

مجلة علمية صناعية زراعية

لمنشئيها

الدكتور يعقوب صرّوف والدكتور فارس نمر

AL-MUKTATAF

A MONTHLY ARABIC SCIENTIFIC REVIEW

EDITED BY DR. Y. SARRUF

VOL LXX No 5

FOUNDED 1876 BY DRS. Y. SARRUF & F. NIMR

المقتطف

الجزء الاول من المجلد السابع والعشرين

١ يناير (كانون ٢) سنة ١٩٠٢ — الموافق ٢١ رمضان سنة ١٣١٩

رجال الاعمال والاموال

افتح كتاب وفيات الاعيان لابن خلكان تجده كلهُ من اولهِ الى آخرهِ ترجمات رجال الامة الاسلامية والبلاد الشرقية من بدء الاسلام الى ان فرغ المؤلف من تأليفهِ سنة ٦٧٢ للهجرة. وقد قال في مقدمتهِ انهُ لم يذكر فيهِ احداً من الصحابة ولا من التابعين الأ جماعة يسيرة وكذلك الخلفاء لم يذكر احداً منهم اكتفاء بالمصنفات الكثيرة في هذا الباب . ولم يقصر كتابهُ على طائفة مخصوصة مثل العلماء او الملوك او الامراء او الوزراء او الشعراء بل كل من لهُ شهرة بين الناس ويقع السؤال عنهُ ذكرهُ واتى على احوالهِ وذكر من محاسن كل شخص ما يليق بهِ من مكرمة او نادرة او شعر او رسالة .وقد سمَّاهُ وفيات الاعيان وانباء ابناء الزمان. ليطابق الاسم المسمَّى

هذا ما قالهُ ابن خلكان في مقدمة كتابهِ. واذا اضفنا اليهِ تاريخ الخلفاء للسيوطي وجب ان يكون الكتابان مرآة الامة وخلاصة تاريخها وعنوان مجدها والدليل الذي يستدل بهِ على احوالها ودرجة عمرانها. اما كتاب السيوطي فواضح من عنوانهِ انهُ خاص بالخلفاء فلا ينتظر ان يُعلَم منهُ شيء كثير عن غيرهم وغير المتصلين بهم رجالاً ونساء. واما وفيات الاعيان فقد نظرنا فيهِ عند كتابة هذه السطور لنرى من هم في عرف مؤلفهِ الاعيان الذين لهم شهرة بين الناس ويقع السؤال عنهم وقرأنا بعض الترجمات ترجمة ترجمة من اولهِ فوجدنا ما يلي

الاولى	ترجمة	ابرهيم النخعي الفقيه
الثانية	«	ابي ثور الفقيه
الثالثة	«	المرزوي الفقيه
الرابعة	ترجمة	الاسفرايني الفقيه
الخامسة	«	ابي اسحق الشيرازي الفقيه
السادسة	«	الخطيب ابي اسحق العراقي الفقيه

السابعة	ترجمة ظهير الدين الفقيه	العاشرة	ترجمة ابرهيم الصولي الشاعر
الثامنة	" ابرهيم بن المهدي الخليفة	الحادية عشرة	" نفطويه النحوي
التاسعة	" ابرهيم الموصلي المغني	الثانية عشرة	" الزجّاج النحوي

وقد نظرنا كذلك في سيرة المئة الاولى من الذين ترجمهم المؤلف رحمهُ الله فوجدناهم ينقسمون حسب شهرتهم كما ترى في هذا الجدول

٣٢	من الفقهاء	٣	من علماء التفسير
٢٩	من الشعراء والادباء	٣	من الزهّاد
١٧	من الملوك والامراء	٢	من المغنيين
٧	من النحاة	٢	من المؤرخين
٣	من علماء اللغة	٢	من اهل المجون والاطباء

هذا تقسيم المئة الاولى ونظن اننا لو استقرينا كل الترجمات التي في هذا الكتاب والتي في غيرهِ من الكتب العربية لوجدناها على هذا النمط وهذه النسبة اي نحو ٣٢ في المئة منها من الفقهاء ونحو ٢٩ في المئة من الشعراء ونحو ١٧ في المئة من الامراء ونحو ٧ في المئة من النحاة والباقون وهم ١٥ في المئة مفسرون ومؤرخون ومغنون واطباء وزهّاد واهل مجون . هؤلاء كانوا عماد الامة الذين تقوم عليهم وبهم تذكر او كما قال ابن خلكان " الذين لهم شهرة بين الناس ويقع السؤال عنهم "

أمِن هؤلاء وحدهم كان قوام الامم الشرقية . اين ارباب الزراعة اين ارباب الصناعة اين ارباب التجارة . كيف كانت الامة تعيش وتنمو وترتقي . كان العرب قبل الاسلام وقبل النصرانية وفي عهد ابرهيم الخليل واسحق ويعقوب والاسباط اهل زراعة وتجارة . كانت قوافلهم تمرُّ بسواحل الشام آتية الى مصر وكانت سفائنهم تمخر البحر الاحمر وبحر العرب وبحر فارس . اما المصريون والفينيقيون والاشوريون وكل الامم الشرقية التي نُشر في بلادها لواء العرب فقولنا انها كانت امماً زراعية صناعية تجارية تحصيل حاصل لانها هي التي اوجدت الزراعة والصناعة والتجارة في الدنيا . وبقي العرب اهل تجارة يطلبون الكسب بالمتاجرة ويضربون في الآفاق تجاراً حتى جاء الاسلام وصاروا يضربون فيها فاتحين . فعلامَ لا نجد في وفيات الاعيان ولا في غيرهِ من كتب السيَر الاّ ذكر الفقهاء والشعراء والادباء والامراء والنحاة ونحوهم . أبهؤلاء قوام الامة لا بغيرهم وهم عنوان مجدها وغيرهم بُهلٌ هَمَل . ان قال بذلك ابناء العصر الذي كان فيهِ ابن خلكان فهل يقول بهِ ابناء عصرنا هذا ونحن نرى ارباب الزراعة والصناعة والتجارة ملكوا الخافقين . نرى الملوك يقتنون المزارع والمعامل ويشاركون الشركات التجارية في اعمالها . نرى ميازيب

الثروة تنهال على ابناء الصناع والتجار نرى قصورهم وبيوتهم ومتاحفهم وسفائنهم غاصَّة بكل علق فاخر ثمين ونحن نسل الامراء والفقهاء والشعراء والادباء عاكفون على التفاخر بالعظم الرميم وتفسير الآيات والاحاديث ونظم المدائح والمراثي . ومن حين يشبُّ اولادنا لا يرون امامهم مثالاً يقتدون بهِ ويحيكون على منوالهِ الاَّ ما يقرأُونهُ في كتب السير عن فلان الفقيه وفلان الشاعر وفلان المحدّث

وقد عنَّ لنا ان نستفتح هذا الجزء وهذه السنة بسير اناس ليسوا من الامراء ولا من الفقهاء ولا من الشعراء بل من ارباب الاعمال والاموال الذين نشأُوا في عصر الامن واليهم يُنسب جانب كبير من تقدُّم البلدان الاوربيَّة والاميركيَّة . وسننشر ترجمة واحد او اثنين في كل جزء من الاجزاء التالية واذا وقعت لنا ترجمات رجال من الوطنيين يحقُّ لهم ان يذكروا بين ارباب الاعمال والاموال لم نتأَخر عن نشرها لكي تكون انموذجاً يحتذيهِ طالبو النجاح في غير مناهج العلم والامارة . وغنيٌّ عن البيان اننا نضطر احياناً ان نذكر ترجمة بيت كبير لان اعضاءهُ سائرون في خطة واحدة . واذ قد تمهَّد ذلك نتقدم الى ذكر الترجمات

(١) بيت رتشيلد

بيت رتشيلد اكبر البيوت المالية بلا مشاحةٍ ولهُ العلاقة الكبرى بالحكومة المصرية لانها مديونة لهُ بملايين كثيرة من الجنيهات وعلاقتهُ بحكومات اوربا واسيا اعظم من علاقة اي بيت كان . وكلمة منهُ تكفي لخراب الوف من البيوت المالية ولعمار الوف غيرها وهو عنوان الثروة والنجدة واصالة الرأْي

اصل هذا البيت من مدينة فرنكفورت بالمانيا فقد نشأ هناك تاجر صغير منذ ١٥٠ سنة وولد لهُ ولد سماهُ مايرو وكان اقصى مرامهِ ان يصيرهُ حاخاماً لكنهُ لم يكن كما رام ابوهُ بل شبَّ ماهراً في المساومة والمتاجرة فدخل في خدمة بيت اوبنهيم من صيارفة هنوفر واظهر من الحذق والامانة والاقتصاد ما جعلهُ من عداد المديرين في ذلك البيت

ثم ترك بيت اوبنهيم وعاد الى فرنكفورت واخذ يتعاطى الصرافة والتجارة واقتصر اخيراً على الاعمال المالية ؛ وكان النصارى يكرهون اليهود ويقاطعونهم لكن ماير هذا كان محبَّباً اليهم لصدقهِ وامانتهِ فلقبوهُ باليهودي الامين فاثرى وصادق امير هس فأْتمنهُ على اموالهِ واستدانت منهُ حكومة الدنمارك مبالغ وافرة وكان ذلك سنة ١٨٠٤ فعظم شأْنهُ جدًّا

وحدث حينئذٍ ما فتح لهُ ينابيع الثروة وذلك ان اوربا كانت كلها قائمة على بونابرت خوفاً من بطشهِ وحاول امير هس ان ينتفع من قيامها كما انتفع غيرهُ من امراء المانيا وذلك بان يجنّد

رجال بلاده ويؤجرهم للانكليز لكي يحاربوا بهم بونابرت وبلغ بونابرت ما فعل فسيَّر فصيلة من جنده لكي تقبض عليهِ وتنهب بلاده' فلجأ الى الفرار وودع كل امواله عند ماير رتشيلد

ولما دنت الجنود الفرنسوية من فرنكفورت علم رتشيلد انها ستدخل داره' لا محالة وتنهب ما فيها فاخذ اموال الامير وطمرها في قبو تحت بيتهِ واقام في البيت مقام من يحاول الاحتفاظ باموالهِ . ودخلتهُ الجنود الفرنسوية فاخذ يتوسَّل اليهم لكي يعفوا عنهُ وعن جانب من اموالهِ فعفوا عنهُ ولكنهم نهبوا امواله' كلها وكل ما وجدوه' في بيتهِ . ولو اخفى امواله' لبحثوا عنها ووجدوها ووجدوا اموال الامير ايضاً فافتدى اموال الامير باموالهِ . ولما انصرفوا عن المدينة اخرج اموال الامير وارسلها الى ابنهِ في بلاد الانكليز وكان قد ذهب اليها فاستعملها فيها وهي اساس غناه'

ولما عاد الامير الى فرنكفورت اخبره' رتشيلد ان امواله' لم تزل محفوظة له' . ولا بدَّ من ان يكون قد علم كيف افتداها له' باموالهِ فسر بذلك ورد له' ما خسره' وابقى الاموال عنده' ليستعملها بربا قليل واهدى الى ابنهِ هدايا سنية

واشتهر اسم رتشيلد حينئذٍ وكان الانكليز مضطرين ان يرسلوا النقود الى البلدان الاوربية نفقة للجنود ورشوة للملوك ولم يستطع احد ان يلبي طلبهم مثل ماير رتشيلد فربح بذلك ربحاً وافراً لان الجزاء على قدر العمل وما فيهِ من الخطر . ويقال انهُ ربح مليون جنيه بارسال النقود الى الجنود الانكليزيَّة وانصارها في اسبانيا في اقل من ثماني سنوات . ولما رأت الحكومة الانكليزية همتهُ ومقدرتهُ عينتهُ لدفع الرواتب التي كانت تدفعها الى ملوك اوربا لكي يبقوا على مقاومتهم لبونابرت. وتوفي سنة ١٨٠٢ بعد ان بلغت ثروتهُ ملايين كثيرة وجمع بنيه الخمسة قبل وفاتهِ واوصاهم قائلاً . " احفظوا شريعة موسى . ابقوا على اتحادكم . شاوروا امكم في كل عمل كبير تريدون عمله' واعتمدوا على رأيها . احفظوا هذه الوصايا الثلاث فلا تلبث الدنيا ان تصير لكم "

وفعل ابناؤه' حسب وصيتهِ فبقوا على اتحادهم واقتسموا ممالك اوربا فبقي اكبرهم في فرنكفورت وذهب واحد منهم الى فينَّا وواحد الى باريس وواحد الى نابلي وواحد الى لندن. واتفقوا على ان يدير كلٌّ منهم القسم الذي اختص به ويعتمد على اخوتهِ في الاعمال العمومية لتكون مشتركة فصار كلٌّ منهم بمقام خمسة لان كل واحد منهم كان يُعلم اخوتهُ بما يقف عليهِ من الاخبار ويعينهُ ويستعين بهِ في الاعمال فاثبتوا المثل القائل ان الاتحاد قوة

واسم الولد الذي اختار بلاد الانكليز ناثان جاءها في صباه' كما تقدَّم لكي يثري فيها . قيل قال له' بعضهم لما شاخ " عسى ان لا يشبَّ اولادك محبين للمال مثلك ولا اظن انك تود ذلك " فقال " بل انا اوده' واوده' ان لا يكون لهم همٌّ غير توسيع اعمالهم وتثمير اموالهم ولا

لذة لثمرة بغير التعب . وجمع المال الكثير يقتضي كثيرًا من الجهد والحذر ولكن حفظهُ بعد جمعهِ يقتضي عشرة اضعاف ما اقتضاهُ جمعهُ من المهارة"

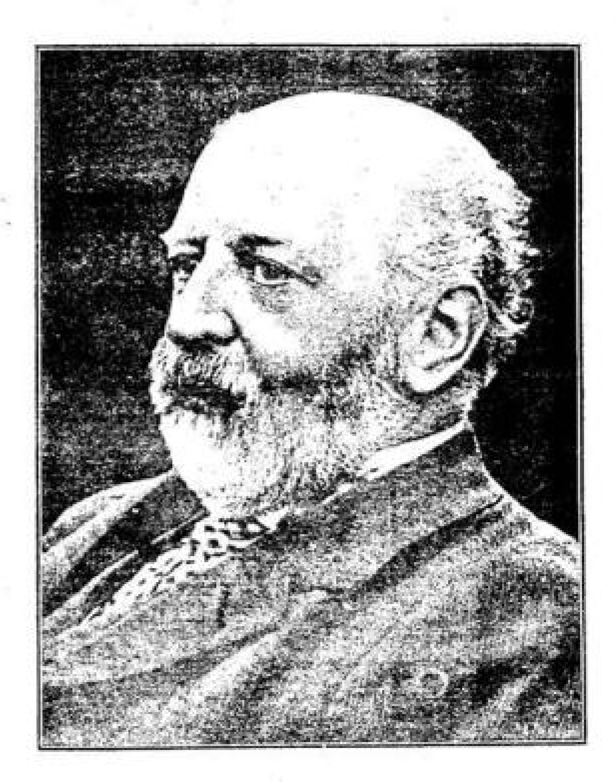
ولما جاء ناثان الى بلاد الانكليز ذهب الى منشستر اولاً لانهُ كان يتاجر بالمنسوجات الانكليزية وجاء فرنكفورت تاجر انكليزي وكأَنهُ احتكر البضائع الانكليزية فاغتاظ ناثان منهُ ذات يوم وقام الى منشستر ومعهُ كل ما استطاع ابوهُ ان يعطيهُ من المال ووجد البضائع رخيصة جدًا فيها فابتاع بكل ما معهُ من النقود وربح ربحًا وافرًا . ثم رأى ان ابواب الكسب من تلك البضائع ثلاثة من المتاجرة بالمواد الاصلية كالقطن والصوف ونحوهِ ومن المتاجرة بالاصباغ التي تصبغ بها المنسوجات وتطبع ومن نسجها فقال لاصحاب معامل الغزل والنسج اني اقدم لكم المواد الاصلية والاصباغ وانتم تقدمون لي المنسوجات فنثلث ربحهُ وكان معهُ عشرون الف جنيه فصارت ستين الفًا في وقت قصير . ثم وردت عليهِ اموال امير هس كما تقدم وكانت نحو ستمئة الف جنيه فمضي الى مدينة لندن واقام فيها وكان يثق ان انكلترا ستقهر بونابرت اخيرًا فترتفع اوراقها المالية عما انحطت اليهِ حينئذٍ فجعل يشتري كل ما تصل اليهِ يدهُ منها ويساعد الحكومة الانكليزية في نقل الاموال كما تقدم . وكان يربي حمام الزاجل لنقل الاخبار اليهِ بسرعة لان التلغراف لم يكن قد اخترع فعجز الماليون عن مناظرتهِ وكان تحت يدهِ جمهور من السماسرة يبيعون لهُ ويشترون فاذا اراد ان يشتري اوراقًا مالية امر بعضهم ان يبيعوا الفًا منها والبعض الآخر ان يشتروا عشرة آلاف كما يفعل كثيرون من المضاربين وهو عمل قبيح لا نظن ان اولادهُ يفتخرون بهِ او يحللونهُ

ويروى انهُ لما حدثت واقعة وترلو التي تم فيها الفوز على بونابرت وأُخذ اسيرًا كان ناثان رتشيلد هذا مع الجنود الانكليزية فاسرع الى لندن واشاع ان الفوز كان لبونابرت فهبطت الاوراق المالية كثيرًا وابتاعها كلها بواسطة سماسرتهِ ولكن هذه القصة مكذوبة وحقيقتها انهُ كان لهُ وكيل في بروكسل فاسرع الى بلاد الانكليز بعد المعركة واخبرهُ بها قبلما وصل الخبر الى رئيس الوزراء وكانت خزائنهُ مملوءة من الاوراق المالية من غير ان يشتري شيئًا جديدًا منها فربح كثيرًا لكن ربحهُ الاوفر ومقامهُ السامي لم يكونا من تعاملهِ بالاوراق المالية بل من اقراض الاموال للحكومة الانكليزية وغيرها من الحكومات

وكان داهيةً يتاجر ويضارب ويحتكر ويرابي وخدمهُ السعد لانهُ قام في زمن الحرب وهو زمن الربح للماليين لكنهُ لم يسلم من نغص العيش . قال لهُ بعضهم مرةً هنيئًا لك فقال لهُ من اين الهناه وكثيرًا ما يصل اليَّ مكتوب يقول لي فيهِ كاتبهُ اما ان ترسل خمس مئة جنيه الى

المكان الفلاني او اطير دماغك

ومع دهائهِ غلبهُ رجل آخر في الدهاء فان هذا الرجل رآهُ مرةً ذاهباً في المساء الى مكتبهِ مع اثنين آخرين فتبعهم ودخل المكتب وراءهم فجأةً ووقع على الارض مغمى عليهِ فقام رتشيلد ورفيقاهُ يحاولون ايقاظهُ وهو لا يبدي حراكاً واخيراً تركوهُ حاسبين انهُ لا يعي على شيءٍ وجعلوا يتذاكرون في الامر الذي جاءوا للمذاكرة فيهِ واتفقوا على شيءٍ وخرجوا واوصوا البوَّاب



(لورد رتشيلد)

ان يعتني بهِ لكن الرجل انتفض بعد خروجهم وهرول الى البورصة واشترى كل الاوراق التي اقرَّ رتشيلد على ابتياعها وهو يذاكر ذينك الرجلين

وتوفي ناثان رتشيلد سنة ١٨٣٦ وكان لهُ ثلاثة ابناء اكبرهم ليونل فخلف اباهُ وفاقهُ في اصدار القروض المالية فصار كلما تولى اصدار قرض يُقدِم الماليون على الاشتراك فيهِ حالاً فاذا طلبت حكومة مليون جنيه قرضاً وتكفل رتشيلد باصدار سنداتهِ اقبل الماليون على

ابتياعها ودفع المال المطلوب حتى اذا كانت العمولة من ذلك خمسة في المئة بلغ ربحهُ منها خمسين الف جنيه واذا كان القرض عشرة ملايين بلغ ربحهُ خمس مئة الف جنيه

واشتهر ليونل رتشيلد بانهُ حفظ السلم في اوربا ومنع بنك انكلترا من الافلاس وكان اكبر سند للحكومة الانكليزية وهو الذي اقرضها المال لابتياع اسهم ترعة السويس من الحكومة المصرية واقرض اسمعيل باشا الخديوي الاسبق الاموال التي بذرها في ما يجدي وما لا يجدي فمهّد الطريق للاحتلال . وتوفي سنة ١٨٧٩ وخلفهُ ابنهُ لورد رتشيلد الذي اعطي لقب اللوردية سنة ١٨٨٥ وهو المرسوم في الصفحة السابقة

ولبيت رتشيلد مآثر كثيرة شملت ابناء امتهم والبلدان التي استوطنوها وهم من اكبر دعائم الحضارة في هذا الزمان وبهم تفاخر الاوربيين والاميركيين فنقول لهم هؤلاء من الاسرائيليين ابناء فلسطين وقد غالبوكم في بلادكم وغلبوكم ولولا فساد الاحكام الذي استولى على هذا القطر والقطر الشامي منذ الف سنة فاكثر لبقي زمام المال في يد ابناء المشرق

(٢) وليم هنري سمث بائع الجرائد

لا نظن ان قارئاً من قرّاء المقتطف يقرأ هذا العنوان الا ويستغرب اننا نحشر باعة الجرائد بين ارباب الاموال ويزيد استغرابهُ اذا علم ان صاحب الترجمة ترقى من بيع الجرائد الى ان صار وزيراً من وزراء الانكليز ورئيساً لمجلس النواب الانكليزي فوق ما جمعهُ من الثروة الطائلة من بيع الجرائد ومات منذ عشر سنوات وترك مليوناً و ٧٢٦ الف جنيه عدا العقارات الكثيرة ولا يزال بيتهُ يبيع الجرائد الى الآن

كان ابوهُ وليم سمث بائع جرائد وورق واقلام وما اشبه مما يطلبهُ الكتاب وكان عالي الهمة لا يكلّ ولا يملّ جعل شعارهُ "السابقون السابقون" فكان يستلم الجرائد من المطابع حال صدورها ويوزع بعضها في انحاء المدينة ويرزم البعض الآخر ويرسلهُ الى الجهات البعيدة واستخدم اناساً كان يركبهم خيولاً سريعة العدو لكي يسبقوا غيرهم في ارسال الجرائد الى اصحابها . ولما شبَّ صاحب الترجمة اراد ان ينتظم في سلك خدمة الدين فمنعهُ ابوهُ عن ذلك واشركهُ معهُ في عمله وكان الاب صعب المراس مع ما اتّصف به من الهمة والانصاف لكن الابن كان من الين الناس عريكة كما كان من اعلاهم همةً واكثرهم اجتهاداً فكان ينهض كل يوم الساعة الرابعة صباحاً ويلبس ويفطر ويمضي الى مكتبه فيكون فيه الساعة الخامسة صيفاً وشتاء ويشرع للحال في فرز جرائد الصباح ولفها وارسالها الى حيث يجب ان ترسل واتسع عملهُ بسرعة فائقة واضاف الى بيع الجرائد التزام بيع الكتب في محطات سكك الحديد وكان يبيع فيها الكتب المفيدة

والروايات الادبية لاغير فكان ذلك من افعل الوسائل في اصلاح آداب الامة الانكليزية
ونشبت حرب القرم وبعثت جريدة التيمس مكاتباً خاصاً اليها وكان التلغراف قد مُدَّ
وصارت الاخبار تنقل بهِ فزاد اقبال الناس على قراءتها اضعافاً كثيرة وكان وليم هنري سمث
البائع الوحيد لها في البلاد الانكليزية فزاد ربحهُ من ذلك ومن ازدياد سكك الحديد وكثرة
محطاتها فصار معدوداً بين ارباب الثروة وانتُخب عضواً في مجلس النواب سنة ١٨٦٨ وجُعل



(وليم هنري سمث)

وزيراً للمالية سنة ١٨٧٤ وللبحرية سنة ١٨٧٧ وللحربية سنة ١٨٨٥ واعيد الى وزارة المالية
في وزارة سلسبري السابقة وجُعل رئيساً لمجلس النواب وتوفي وهو في ذلك المنصب . ولما جُعل
وزيراً للبحرية سلَّم اشغالهُ لاناس اكفاء لادارتها واستراح من عنائها . ويعدهُ قومهُ من دعائم
بلادهم وحسبهُ فخراً انهُ ربح من بيع الكتب والجرائد مليونين من الجنيهات ولم يبع قصة
مجونية ولا باع جريدة تطبع يوم الاحد لكي لا يخل بعقيدتهِ الدينية

عمران دمشق

« مدارسها »

من طالع فهارس الكتب العربية ودخل دور الكتب الشهيرة يعلم ما كانت عليهِ الامة العربية من التوفر على التأليف في كل فن وعلم ايام اقتعادها غارب العز الاقعس وافتراعها اعراف المجد الاثيل . ومن طاف في بلاد دمشق وضاحيتها وشاهد ما هناك من آثار طامسة ومدارس دارسة يدرك ولا شك ما كان في هذه الحاضرة من صنوف العمران وضروب الحضارة والغضارة ايام كانت سوق العلم نافقة وكلمة العدل نافذة

ولقد ذهب بعض متأخري المؤرخين الى ان المدارس بدمشق كثرت على عهد الدولة الاموية وهو وهم لا دليل عليهِ من التاريخ البتة فقد ظهر بعد البحث ان المدارس في الاسلام على هذا الطرز المعروف لعهدنا لم تكن الاَّ في اواخر القرن الخامس للهجرة . قال السيوطي في محاضراتهِ ان اول من بنى المدارس لطلبة العلم ورتَّب فيها لهم المعاليم من المواجب والارزاق نظام الملك يعني هو اول من بنى في العراق . ونظام الملك هو ذاك الوزير الكبير الذي تفخر بهِ الدولة السلجوقية التركية وهو مؤسس المدرسة النظامية ببغداد سنة ٤٥٩ المعدودة من اعظم كليات المسلمين

ويؤخذ من مطالعة كتب السيران تاريخ المدارس في هذه الحاضرة يُرَدُّ الى عهد الملك العادل نور الدين الشهيد وحاشيتهِ وذريتهِ فانهُ كان اول من تقرَّب بهذه المآثر وعُني باشادتها على ما سيجيء . وربما خطر لبعض الناس ان هذه المدارس البادية انقاضها للعيان اليوم في سفح قاسيون والشرفين عمرت وسط البساتين والحدائق كما هي الآن والصحيح انها لم تكن الاَّ وسط عمران مسبطرّ من دور وقصور ومصايف وقرى

قال البدري ومن محاسن الشام الصالحية وهي مشحونة بالزوايا والترب والمدارس والترب تمشي بها بين ترب ومدارس ببناء جميل استولت عليها يد المباشرين والنظار فازالوا منها العين فلم يبقَ سوى الآثار فكم من مدرسة اندرست بعد الصلاة والتراويح وامست في ظلمة بعد تلك المصابيح وهي تقول اصبحت حاصلاً بعد ما كان ايواني بالقراءة عامرًا آهلاً وهذه تقول اصبحت مربطًا للبهائم بعدما كنت معبدًا للصائم والقائم وهذه تقول اتخذوني مسكنًا وهذه تقول جعلوني متبنًا وهذه تقول هدوني واخذوا سقفي وكشفوني وهذه تقول خربوا جداري وباعوا الباب وجعلوني مأوى للكلاب

هذا ما رأيت به المدارس في القرن التاسع فمَ ترى اليوم وقد امسى معظمها مجمعاً للموبقات والخبائث ومستودعاً للقامات والقاذورات . وما برحت انقاضها تسرق سرًّا وجهرًا واوقافها تضيع بين رجع السماء وصدع الارض وما بقي منها يدعى باسم مدرسة او عمرهُ بعض ارباب المظاهر من المتأخرين يؤثر العاقل ان يكون خراباً يباباً من ان يشاهدهُ على هذه الصفة حقيرًا بناؤهُ وخيمة غرفهُ وانيتهُ مختلة اصول التعليم فيهِ وان شئت التصريح فقل ان دروس العلم اعتيض عنها منذ أُبطل امتحان طلاَّب العلوم كل عام بالهزل والهذيان وتعطيل الوقت في ما لا يجدي الانسان ولا يرضي الديَّان

وقد كان بدمشق سبع دور القرآن وثماني عشرة دارًا للحديث وسبع وخمسون مدرسة للشافعيَّة واحدى وخمسون مدرسة للحنفيَّة واربع للمالكيَّة وعشر للحنابلة وثلاث مدارس طبيَّة وهي الدخوارية انشئت سنة ٦٢١ واللبودية انشئت سنة ٦٦٤ والصلاحيَّة انشئت سنة ٦٧٠ وكان بها صيدليَّة منظمة والربعيَّة غربي البيمارستان النوري . ولا اثر في عهدنا لتلك المدارس الطبيَّة

هذه هي المدارس التي كانت بدمشق فتخرَّج فيها قديمًا العلماء والفقهاء والخطباء والشعراء والاطباء والقضاة والولاة . ويؤخذ من تقويم الحكومة المحلية ان المدارس الباقية هنا الآن ثلاثون مدرسة الآن تقويم المعارف يعددا اكثر من ذلك ويرى ان المدارس العامرة بطلابها ومشايخها هي خمس عشرة مدرسة وهو الصحيح يسكنها والاحناف الشوافعة والمالكية والحنابلة على السواء

ومن المدارس التي انشئت في القرن المنقضي مدرسة المرادية لصاحبها الشيخ مراد المرادي وكانت قبل ذلك خانًا يسكنهُ اهل الفسق والفجور وكذلك بنى مدرسة في دار بمحلة سوق ساروجا وتعرف بالنقشبندية البرانية مع مسجد . ومن المدارس الحديثة مدرسة سليمان باشا العظم اسست في باب البريد سنة ١١٥٠ وهي الآن مكتب للاناث ومدرسة عبد الله باشا العظم في سوق السلاح اسست سنة ١١٩٣ ومدرسة اسماعيل باشا العظم في سوق الخيَّاطين اسست سنة ١١٤١

ولما ارادت الدولة العثمانية بث المعارف بين الرعايا وتربية الناشئة بحيث يصلحون لخدمة افكارها شرعت على عهد السلطان عبد المجيد خان بتأسيس بضعة مكاتب وكتاتيب في العاصمة وبعض الولايات القريبة منها تدرس فيها مبادئ اللغات التركية والفارسية والعربية والافرنسية وبعض العلوم العصرية وزادت النهضة على عهد السلطان عبد العزيز خان لكنها لم تبلغ

دمشق الآ منذ اثنين وعشرين عاماً في ولاية الوزير مدحت باشا الثانية فأسس مع ما اسس من المشروعات النافعة مدارس ابتدائية للاطفال كما شاد داراً حسنة للصنائع يأوي اليها اليتامى . ومن الغريب ان المدارس التي عُني بانشائها عندنا لم يكثر عددها و يتزايد انتظامها من بعده بل امست قليلة العدد والجدوى. هذا في مدينة دمشق حيث الحاجة اشد ما تكون ماسة الى المدارس العالية فضلاً عن الابتدائية اذ يحل هنا الروس والروم والفرنسيس والانكليز واليهود وغيرهم فيؤسسون ما شاءوا من مدارس و كتاتيب يقبلون فيها ابناء الطوائف كافة فما بالك في الضاحية التي تكاد لا تخلو اهم قراها من مدارس يتولى امرها المرسلون على اختلاف لغاتهم واديانهم و يربون اولاد القرى على المبادىء التي يريدونها

وياليت المعارف تبذل ربع ما تستوفيهِ في سورية من الاعشار باسم السبع والربع ومن الجبايات ستة بالمئة لتصرفهُ على تعليم الناس . مثال ذلك جبل عجلون وفيهِ مائة وخمس قرى فان اهلهُ يؤدون للمعارف زهاء اربعة آلاف ليرة عثمانية سنوياً ثم لا نجد في كل بلادهم على كبر رقعتها و كثرة سكانها سوى اربعة مكاتب ابتدائية حقيرة لا تصرف عليها المعارف مائة وخمسين ليرة في السنة

واكبر مدارس الحكومة اليوم في هذه الحاضرة مكتبان اعداديان الاول عسكري اسس سنة ١٢٦٦ ﻫ والثاني ملكي اسس في ١٩ آب ١٣٠٤ حساباً شرقياً يكون الاول غربي المدينة في جامع تنكز والثاني في شرقيها في اجمل دور القيجاء كان لغنيّ اسرائيلي فاحترق فابتاعتهُ جمعية المعارف وجعلتهُ مكتباً ملكياً. و يعد من المكاتب الكبيرة ايضاً المكتب الرشدي العسكري وهو بمثابة المدارس الابتدائية او ارقى منها درجة وتلامذتهُ يتراوحون بين الخمسمائة والستمائة غالباً وقد أُسس في جامع يلبغا سنة ١٢٩٣ ﻫ . ويؤخذ من احصاء نشرتهُ رئاسة المعارف بدمشق في العام الماضي ان بدمشق سبعة كتاتيب ابتدائية اميرية للذكور فيها ٥٥٤ طالباً وستة مكاتب للاناث فيها ٣٨٤ طالبة وان عدد الكتاتيب الخاصة ٨٥ كتاباً للذكور وكتاتيب الاناث ٨٠ فيها كلها ١٢٨٦٠ طفلاً وطفلة . اما مدارس الاجانب فلم ار احصاء بها والحكومة لا تعترف رسمياً الاّ بعدد قليل منها اذ الظاهر انهُ أُسس معظمها بلا استئذان ولكن دعوتها سارية وتعاليمها مبثوثة

ولقد همّ القوم مراراً لتأسيس مدرسة وطنية في هذه المدينة لكنهم رجعوا على الاعقاب اذ لا يعرفون الطرق المنتجة وكل شعب غير منور لا يجيد القيام على مثل هذ الشؤون ما لم تأخذ حكومتهُ بيدهِ وتدلهُ على سواء السبيل بل كل حكومة ربت شعبها على الخضوع المطلق

وتقديس اعمالها ينتهي بهِ الحال ان لا يعمل عملاً ما قلَّ او جلَّ

خانقاهاتها

كان بدمشق ستة وعشرون خانقاها . والخانقاه كلمة فارسية مركبة اصطلاحية وهي دار للفقراء ومأوى للدراويش . جاء في محاضرة السيوطي ان اول من بنى خانقاهاً الصوفية بمصر من الملوك السلطان صلاح الدين بن يوسف ورتب للفقراء الواردين ارزاقاً معلومة . ومن قبيل ذلك الرباط وهو مسكن الدراويش والفقراء وكان بدمشق اثنان وعشرون رباطاً . ومن قبيلهِ ايضاً الزاوية وكان بها ست وعشرون زاوية

مستشفياتها

اقامة دور للبائسين ومآوي للضعفاء واصحاب العاهات والزمانات من امارات الحضارة ودلائل ارتقاء الانسان . قيل ان اول من اتخذ المستشفيات في صدر الاسلام الوليد بن عبد الملك كما كان اول من اتخذ دار الضيافة للواردين فانهُ اقام في دمشق على ما يروى مستشفى للمجذومين باقرب من الباب الشرقي في محل يسمى الآن بالاعاطلة لما ان في ماء دمشق على ما قالوا سريرة لدفع مرض الجذام عن اهلها فلم يصبهم البتة والغريب المصاب بهِ تكسر عنهُ عاديتهُ اذا نزل بها او يتوقف عنهُ سيرهُ . قال ابن عساكر كان الوليد عند اهل الشام من افضل خلفائهم كان يُعطي اكياس الدراهم لتفرَّق على الصالحين وفرض للمجذومين وقال لا تسألوا الناس واعطى كل مُقعد خادماً وكل اعمى قائداً . وروى البلاذري في فتوح البلدان ان عمر بن الخطاب عند مقدمهِ الجابية من ارض دمشق مرَّ بقوم مجذَّمين من النصارى فامر ان يعطوا من الصدقات وان يجري عليهم القوت

كان بدمشق بحسب ما وقفت عليهِ ثلاثة مستشفيات الاول انشأهُ نور الدين الشهيد كما انشأ غيرهُ في البلاد وكان بيمارستان دمشق اعظمها واكثرها خرجاً ودخلاً . قال صاحب الروضتين بلغني في اصل بنائهِ نادرة وهي ان نور الدين رحمهُ الله وقع في اسرهِ بعض اكابر ملوك الفرنج فقطع على نفسهِ في فدائهِ مالاً عظيماً فشاور نور الدين امراءهُ فكل اشار بعدم اطلاقهِ لما كان فيهِ من الضرر على المسلمين ومال نور الدين الى الفدى بعد ما استخار الله تعالى فاطلقهُ ليلاً فلما بلغ الفرنجي مأمنهُ مات وبلغ نور الدين موت الفرنجي فبنى بذلك المال هذا البيمارستان ومنع المال الامراء لانهُ لم يكن عن ارادتهم . تولى بناءهُ كمال الدين بن الشهرزوري وكان في الدولة النورية الحاكم المتحكم بدمشق وهو الذي تولى بناء اسوارها ومن دار العدل لتنفذ احكامهُ بحضرة السلطان فلا يبقى عليهِ مغمز ولا ملمز

ظلَّ هذا المستشفى عامرًا الى سنة ١٣١٧ هـ واوقافهُ تكاد تكون دارّة يتولاه نخبة من نطس اطباء تلك العصور . وفي ترجمة رشيد الدين بن علي بن خليفة ان الملك العادل ابا بكر بن ايوب لما سمع بسيرتهِ وعلمهِ ولاه طب البيمارستانين بدمشق اللذين وقفهما الملك العادل نور الدين محمود بن زنكي وهذا يدل على انهُ كان بدمشق بيمارستانان الاول النوري الكبير المتقدم وصفهُ والثاني بباب البريد . جاء في ترجمة عز الدين بن السويدي انهُ خدم في البيمارستان بباب البريد . وكان ايضًا بيمارستان آخر في الصالحية اسمهُ القيمري انشأهُ الامير ابو الحسن القيمري في القرن السابع ولم يبق الاَّ بعض جدرانهِ واصبح باقيهِ حديقة

وفي دمشق لهذا العهد اربعة مستشفيات او بيمارستانات — والبيمارستان كلمة فارسية مركبة ها محل المرضى — الاول المستشفى العسكري وفيهِ يستشفي ضباط المعسكر الخامس السلطاني واجنادهُ . وفي ١١ ذي القعدة ١٣١٥ احتفلت جمعية اسكتلندا الانكليزية بافتتاح المستشفى الذي اسستهُ بارداة سنية في ارض الزينبية على طريق حلب ونوى اللعازريون انشاء مستشفى قبالتهُ مجاراةً لهُ فلم يفتحوهُ حتى الآن لاسباب لا نعلمها على ان للراهبات الافرنسيات مستشفى قرب مدرسة اللعازرية أُنشئ منذ عهد بعيد

ومنذ اعوام شرعت بلدية دمشق بانشاء مستشفى للغرباء في الجانب الغربي امام تكية السلطان سليمان خان وجمعت لهُ اعانات من الاهلين والمأمورين وفُرض شيء من المال على المراسح والمتنزهات من ممثلين وممثلات ومغنين ومغنيات وأُخذ مبلغ من واردات البلدية واوقاف المستشفى النوري حتى اذا كان ١٥ ذي القعدة ١٣١٧ احتفل بافتتاح المستشفى الجديد فصدرت الارادة السنية بتسميتهِ بالاسم الحميدي وجعلت بجانبهِ دار للمتوحدين ودار للايتام [illegible] وخُصصت اوقاف المستشفى النوري ومبلغ خمسمائة ليرة تؤخذ مسانهةً من واردات البلدية لتصرف على المستشفى الحميدي اما البيمارستان النوري فقد جعل مدرسة صنائع للاناث . وهكذا خلف المستشفى الحميديُّ المستشفى النوريَّ وزادهُ رونقًا ورواء مقبرة الصوفية التي ضمت اليهِ وجعلت حديقة للمستشفى مغروسة باشجار تلطف الهواء وتعدّل المناخ

دور كتبها

مَن يُصدّق الآن ان الكتب العربية كانت في هذه الديار قبل اختراع صناعة الطباعة اكثر عددًا ووفاء بالحاجة منها في هذه الايام وان الاسفار الحديث تأليفها في المغرب كانت تسير الى المشرق بسرعة ويتعاقب عليها النقل وتتناولها ايدي الاساتذة والتلامذة وتزداد بها

المكاتب الخاصة والعامة خصوصاً على عهد تينك الخلافتين الاموية المغربية والعباسية المشرقية وانهُ كان من انتظام المدارس الدينية في تلك الاعصر ان لكل منها دار كتب لائقة مُسبلة على المراجعة والدرس متوفرة فيها شروط التعلم والاستنساخ

ذُكر في فتاوى التقي السبكي صكُ وقف دار الحديث الاشرفية المعروفة الى الآن فجاء فيهِ هذا : و يُصرف الى الشيخ المحدّث في كل شهر تسعون درهماً (هي نسبية وربما ناهزت الثلاثين ليرة بمعاملة اليوم) وهو ابو عمرو ابن الصلاح ولنسلهِ خمسون درهماً الى ان ينقرض آخرهم . قال و يُصرف الى خازن الكتب ثمانية عشر درهماً في كل شهر وعليهِ الاهتمام بترميم الكتب واعلام الناظر او نائبهِ ليصرف فيهِ من مغل الوقف ما يفي بذلك وكذلك اذا مست الحاجة الى تصحيح كتاب ومقابلتهِ . وجاء فيهِ وجعل جزءا من الوقف يُصرف على مدارج المدرسة النورية ومن ذلك ان يُصرف في شراء ورق وآلات نسخ من مرّكّب (حبر) واقلام ودويّ ونحو ذلك ما يقع بهِ الكفاية لمن ينسخ في الديوان الكبير او قبالة الحديث او شيئاً من علومهِ او القرآن العظيم او تفسيره' و يصرف الى من يكتب في مجالس الاملاء والى من يتخذ لنفسهِ كتباً او استجازة ولا يعطى من ذلك الا لمن ينسخ لنفسهِ لغرض الاستفادة والتحصيل دون التكسب والانتفاع بثمنهِ. قال وللشيخ الناظر ان يستنسخ للوقف او يشتري ما تدعو الحاجة اليهِ من الكتب والاجزاء ثم يقف ذلك اسوة ما في الدار من كتبها . كُتب سنة ستمائة واثنتين وثلاثين اه

قلتُ انها كانت وافية بالحاجة لتعددها وتنوعها . ومما رواهُ العماد الكاتب انهُ كان لبيع الكتب في قصر صلاح الدين يوسف بن ايوب كل اسبوع يومان وخزائنها في القصر مرتبة البيوت مقسمة الرفوف مفهرسة بالمعروف فقيل للامير بهاء الدين قراقوس متولي القصر هذه الكتب قد عاث فيها العث وتساوى سمينها والغث ولا غنى عن تهويتها ونفضها واخراجها من بيوت الخزانة الى ارضها . وهو تركي لاخبرة لهُ بالكتب ولا دربة لهُ باسفار الادب فاخرجت وهي اكثر من مائة الف من اماكنها واختلط ادبيها بنجوميها وشرعيها بمنطقيها وطبيها بهندسيها وتواريخها بتفاسيرها ومجاهيلها بمشاهيرها وكان فيها من الكتب الكبار وتواريخ الامصار ومصنفات الاخبار ما يشتمل كل كتاب خمسين او ستين جزءا مجلداً . . . .

وذكر المقريزي في الخطط اعاجيب بشأن خزائن كتب الفاطميين بمصر . وفي ترجمة نصير الدين الطوسي الرياضي المشهور المتوفى سنة ٦٧٢ انهُ ابتنى بمراغة قبة ورصداً عظيماً واتخذ في ذلك خزانة عظيمة فسيحة الارجاء وملأها من الكتب التي نهبها هولاكو التتري من بغداد والشام والجزيرة حتى تجمع فيها زيادة على اربعمائة الف مجلد . وهكذا ظلّت اسفارنا تسافر

في البلاد حتى اذا عرا الامة ذاك الجمود العجيب تطاولت الايدي الى نهب الكتب فتمزقت شذر مذر وزهد الناس فيها الاَّ ماكان منها في فروع الدينيات اللازمة لبعض الشيوخ وبقي العلم عندنا كما كان باوربا في القرون الوسطى مختصاً برؤساء الدين لا يكاد يتعدى جدران الصوامع والجوامع ودهاليز الاديرة والبيع حظ سائر الطبقات حظ العجماوات يأكلون ويشربون وينامون ويتناسلون وحظ سائر علوم البشر الدثور والعفاء

ولقد تدرجت الحال باصحاب الاطماع حتى انتقلوا من نهب المكاتب الخاصة الى العامة بمساعدة قوّامها حتى اذا كان عام ١٢٩٨ هـ تنبه بعض اهل البصر من حملة العلم وفي مقدمتهم العلاَّمة الاستاذ الشيخ طاهر الجزائري فسعوا بواسطة الحكومة المحلية الى جمع ما تفرَّق في الخزائن العامة من الاسفار وبعد ممانعات شديدة ممن يرومون كتم العلم وابقاء الناس في عماية جملوها في شطر من مدرسة الملك الظاهر بيبرس قبالة العادلية الكبرى ونصبوا عليها قوّاماً ووضعوا لها شرائط المكاتب في البلاد المتمدنة فجاءت مكتبة مؤلفة من ٢٤٥٣ كتاباً متنوعة عدا الدشت او الكراريس والاوراق المتفرقة . والاصل أُخذ من عشر مكاتب مكتبة المدرسة العمرية بالصالحية وهي قديمة العهد وقفها بعض اهل الخير . ومكتبة مدرسة عبد الله باشا العظم وقفها سنة ١٢١١ وضمَّ اليها كتباً وقفها والده محمد باشا سنة ١١٩٠ . ومكتبة سليمان باشا العظم وقفها سنة ١١٩٦ كانت بمدرسة باب البريد . ومكتبة اعلا عثمان الكردي كانت بمدرسة السليمانية ايضاً . ومكتبة مدرسة الخياطين وقفها اسعد باشا العظم بعد سنة ١١٦٥ وكان مقرّها بمدرسة والده اسماعيل باشا . ومكتبة المرادية بمدرسة الشيخ مراد المرادي النقشبندي . ومكتبة مدرسة الشميصاتية وهي قديمة العهد وقفها بعض اهل الخير . ومكتبة الياغوشية كانت موضوعة في مدرسة سياوس باشا بالشاغور . ومكتبة الاوقاف وهي مؤلفة من عدة مكاتب حُفظت بقاياها . ومكتبة بيت الخطابة كانت بحجرة الخطابة بالجامع الاموي . ومن كتب أُخرى موقوفة

ومن الكتب المخطوطة المهمة في هذه الدار الآن كتاب الكواكب الدراري لابن عروة الحنبلي وهو اكثر من مئة وعشرين مجلداً في فن التفسير والحديث والفقه وعلم الكلام والرد على الفلاسفة واسماء الرجال وعلوم شتى والموجود منهُ ٤٢ جزءا . والغريب في الحديث كثير منها اجوبة الامام احمد عن اسئلة ابي داود السجستاني كتبت سنة مايتين وست وستين . والبحر المحيط في اصول الفقه للبدر الزركشي في خمس مجلدات . والجزء الاول من التذكرة للعلامة اميرك من علماء المعتزلة في علم الكلام . والاشارات الالهية للحكيم المشهور ابي حيَّان التوحيدي

في مخاطبة النفس بابلغ عبارة (الموجود منهُ الجزء الاول) . وشعب الايمان لعبد الجليل الاندلسي في التصوف والاخلاق . والرسالة الجامعة وهي جمع من جمع رسائل اخوان الصفا لمؤلفيها علماء الباطنية تقرأ عندهم بعد الرسائل المعروفة . والاول من سرّ الصناعة لابن جني في اسرار العربية . والصحائف اليونانية في مخاطبة النفس الانسانية . والضوء اللامع للسخاوي في تراجم اهل القرن التاسع خمس مجلدات كبيرة جدًّا . والثاني من مناقب الخلفاء الاربع لابي بكر ابن الطيب الباقلاني . وجامع بيان العلم وفضله لابن عبد البر الاندلسي والثالث من الجليس والانيس لابي الفرج المعافي بن زكريا . وكتاب الاحكام السلطانية للقاضي ابي يعلي . وتفضيل السلف على الخلف لابراهيم بن هبة الله . ورسالة الجاحظ في التنكيت والتبكيت لبعض من خالفهُ من علماء عصره . وكتاب معاني الشعر للاشناندائي في حلّ بعض الاشعار التي تحتاج الى روية زائدة . وديوان خالد الكاتب . والطب الروحاني لابن الجوزي في علم الاخلاق . والاطراق فيما يتعلق بالمحدثين سبع مجلدات للحافظ جمال الدين المزي . وكتاب الاحوال لابي عبيد بن سلام الازدي . وتاريخ ابن عساكر تام في عشرين مجلداً . واجزاء من كتاب الامّ للامام الشافعي خامسها هو الخامس عشر منها . والجزء الخامس من الفتاوى المصرية لشيخ الاسلام بن تيمية وهي في علوم شتى

هذا وفي المكتبة الآن ٢٦٠٠ مجلد مخطوط ويبلغ مجموع المخطوط والمطبوع اربعة آلاف مجلد منها بعض كتب في الفنون والادب أُحضرت حديثًا وهي من مطبوعات اوربا . والانتفاع حاصل بها لان للبلاد حاجة ماسة الى امثال هذه الدور التي قد لا تخلو منها بليدة في المغرب مهما صغرت وسورية كلها على كبر رقعتها وكثرة مدنها ليس فيها سوى هذه الخزانة

محمد كردعلي

[المقتطف] ولما حُرق الجامع الاموي حديثًا شاع انهُ وجد في خزانة كتبهِ نسخ قديمة من التوراة والانجيل وان امبراطور المانيا بعث باحد العلماء العارفين باللغة العربيَّة واللغات القديمة الى دمشق للبحث عن هذه النسخ . فكتبنا الى اصدقائنا في بيروت ودمشق ليبحثوا عن ذلك فلم يجدوا للاشاعة صحةً وانما وجدوا انهُ كان في خزانة الكتب نسخة قديمة من القرآن مكتوبة على رق الغزال مثل النسخة التي وجدت في جامع عمرو بمصر القديمة وهي الآن في المكتبة الخديوية . ويحتمل انهُ كان في تلك الخزانة كتب أُخرى ثمينة وحرقت معها حرق

الطبع والعقل في الشرق والغرب

وطىء الغربُ هامة العلياء برجالٍ ذوي نهىً وذكاء
قرّبوا بالبخار كلَّ بعيدٍ وأزالوا الصعابَ بالكهرباء
كلَّ يوم لهم جديد اختراعٍ واكتشافٍ في جبهة الانباء
ما اكتفوا بالمسير برّاً وبحراً كيف شاؤوا بلا اقلّ عناء
بل سمت فيهمِ العزيمةُ حتى اسـ تسهلوا السير تحت سطح الماء
وتحرّوا مع ذي الجناحِ سباقاً فامتطوا مثلهُ جناح الهواء
ليت شيخَ المعرّة الفيلسوف الـ فردَ ربَّ القريض والانشاء
يُبعَثُ اليوم مبصراً كي يرى ما جدَّ في ارضنا من الاشياء
لو رأى ما رأتهُ باريسُ من سنـ توس ديمون طائراً في السماء
لم يؤخر اصلاح صدر شهير "سر ان اسطعت" قاله في الرثاء (١)
وبكى شرقهُ اسيفاً واهل الـ شرق طرّاً اولى الورى بالبكاء
وأراهم مصداق ما يرتئيهِ انهُ كان أصدقَ الآراء

ذهب كاتب العرب البليغ وشاعرها المفلق وفيلسوفها الحكيم الشيخ ابو العلاء المعري ان الانسان عرضة لقوّتين شديدتي الحولـــ عظيمتي الصولة تتنازعانهِ آناء الليل واطراف النهار فتجذبهُ هذه ذات اليمين وتقذفهُ تلك ذات اليسار . وهاتان القوتان هما الطبع والعقل فمن عصي عقلهُ واطاع هواهُ وساير الطبع الى حيث دعاهُ تولاَّهُ الجهل والغرور وتحكمت فيهِ الشهوات الطبيعية والملاذّ الحيوانية واستأثرت بهِ الاوهام والاباطيل واضلَّتهُ سواء السبيل ولم تُبقِ لهُ في خزانةِ قواهُ العقلية شيئاً يميزهُ عن الحيوان الاعجم . ومن استرقَّهُ الهوى واستعبدهُ الوهم فلا يرجى لهُ نموٌّ يتخذ دليلاً على كونهِ حياً ولهذا يعدُّ ميتاً وهو بعدُ في قيد الحياة

ومن عصي طبعهُ وأطاع نهاهُ واستعان بقوة عقلهِ على كبح جماح هوى النفس ومشتهى الطبع رأى سلَّم الارتقاء منصوبةً لديهِ من الارض الى السماء فارتقى الى اسمى الذرى ورأى من اسرار الطبيعة ما لا يرى وعني بملاحظة كل ما يحدث حولهُ و يعرض لديهِ ووفَّاهُ حقهُ من التجربة والاختبار وعكف على الاستقراء والاستنتاج راداً الحوادث الى مصادرها والمسببات

(١) اشارة الى قوله سر ان اسطعت في الهواء رويداً

الى اسبابها والنتائج الى مقدماتها حتى اخذ بعنان الاستنباط والابداع . وملك ناصية الاكتشاف والاختراع

هذا ما دار في خلد ذلك الفيلسوف العربي منذ نحو تسع مئة عام وهي حقيقة عرضت لهُ في مرآة الخيال فتقصاها بالبحث والاستقراء وعرضها على كير الاختبار والامتحان حتى صفاها من شوائب الغموض وجردها من اعراض الخفاء وجلاها على ابناء جيلهِ جوهرةً تدهش الابصار والبصائر ومن دونها اغلى الحلى واكرم الجواهر . وان شئت ان ترى كيف احتفل ذلك الشيخ الحكيم بامرها . وقدرها حق قدرها . فعليك بمراجعة منظوماتهِ ولا سيما ديوانهُ المعروف بلزوم ما لا يلزم فانهُ لم يغادر فيهِ مقطوعةً او قصيدة الأ زان بهذه الجوهرة عقدها ووشى بطراز هذه الحقيقة بردها فمن ذلك قوله

كذب الظنُّ لا امام سوى العـ قلِ مشيرًا في صبحهِ والمساء
فإذا ما اطعتهُ جلب الر حمةَ عند المسيرِ والارساء

وقوله

لا تطيعي هواكِ ايتها النفـ سُ فنعمى المليكِ فينا ربيبه
فالزمي النسكَ ان عقلتِ وفري من ذوي الجهل كي تعدّي لبيبه

وقوله

عصاً في يدِ الاعمى يرومُ بها الهدى ابرُّ لهُ من كلّ خدنٍ وصاحبِ
فأوسعْ بني حوّاء هجرًا فإنهم يسيرون في نهجٍ من الغيّ لاحبِ
اذا ما اشار العقل بالرشد جرّهم الى الغيّ طبع أخذهُ اخذ ساحبِ

وقوله

عجبًا لي اعصي من الجهلِ عقلي ويظلُّ السليم عندي جريحا
مثل قيسٍ غداة فارق لبنى عاد يشكو فيما جناهُ ذريحا

وقوله

الى الله اشكو مهجةً لا تطيعني وعالم سوءٍ ليس فيهِ رشيدُ
تجيّ مثل مهجور المنازل داثرٌ وجهلٌ كمسكون الديار مشيدُ

وقوله

يستحسن المرء دنياهُ فتقلقهُ والعين تستحسن الهنديَّ والزّبدا
فازجر هواكَ وحاذر ان تطاوعهُ فانهُ لغويٌّ طالما عبدا

ولكنَّ اهل زمانهِ لسوءِ الحظّ لم يستفيدوا مما قرَّره علماً ولا ادباً ولا اتخذوا مذهبهُ لهم مذهباً بل عدّوا جوهره عرضاً ودرَّهُ مخشلباً . ولم يكتفوا بعدم اعتبار هذه الحقيقة حتى كفَّروا صاحبها ورموهُ بسوءِ العقيدة وفساد الطريقة . ولا يزال الى يومنا هذا فريق كبير من ائمة الاديان ورؤساء المذاهب يحرّمون على اتباعهم تلاوة هذا الديوان زاعمين عفا الله عنهم أنَّ في تلاوتهِ عبثاً بالمعتقدِ وخطراً على الإيمان

فلو بُعث ابو العلاءِ في هذه الايام وأُتيح لهُ أن يرى أبناء جنسهِ وباقي اهل الشرق لا يزالون من حيث الارتقاء العقلي والتقدم الادبي كما كانوا في زمانهِ ان لم نقل احطّ منزلةً وادنى درجةً . يحفلون بالاضاليل والاباطيل وينزّلون الترهات والخزعبلات منزلة الوحي والتنزيل . ويقابلون الحقائق بالازدراء والإعراض . ويلهون عن الجواهر بالاعراض ويفخرون بما قد يكون ادعى الى الاستحياء والخجل . وهكذا يتقدمون الى وراء ويرتفعون الى اسفل

ثم أُتيح لهُ ان يرى اهل الغرب يزدادون غنىً وثروةً وعظمةً واقتداراً وقد خضعوا للعقل خضوع العبيد للسادات وطلّقوا الطبع واهواءهُ طلاق البتات . وخلعوا نير التقليد واخلصوا سبك الحقائق العلمية بنار التجربة والامتحان فنما العلم عندهم وبسقت اغصانهُ وورفت ظلالهُ ودنت لهم مقاطفهُ ومجانيهِ . ولانت معاطفهُ ومثانيهِ واستعانوا بهِ على الصناعة حتى ابلغوها من الاحكام والاتقان حدًّا يدهش عندهُ الانسان من قدرة الانسان ويقول ليس في الامكان احسن مما كان . واتخذوهُ ذريعةً لبسط ظلّ تجارتهم فاتسع في الخافقين نطاقها وامتدَّ رواقها ووشجت الى اقصاء الارض اعراقها . واحتفى ملوكهم وامراؤهم واغنياؤهم وعظماؤهم بالحكماء والعلماء والشعراء والادباء وقرّبوهم اليهم وبالغوا في اكرامهم واجزلوا لهم الصلات والهبات ومكنوهم من التفرّغ للبحث والتنقيب والتأليف والتصنيف وسهلوا لهم سبل الاختراع والاكتشاف فملّكوا الانسان قياد البخار يدير بهِ آلات المعامل والمصانع ويقطع لجج البحار ويجوب عرض القفار ثم ذللوا لهُ قوّة الكهرباء يستخدمها مكان البخار في قضاء كثير من الحاجات ويطير بها الانباء ويخاطب الاصدقاء ويحفظ من الاصوات ما شاء ويتأنق بها في كمالياتهِ للانارة وغيرها

لو رأى شيخ المعرّة هذا كُلّهُ في الغرب ورأى فيهِ ايضاً اناساً طائرين في الفضاء يشقُّون عباب الهواء يحلّقون الى ارفع من مطار النسر ويجرّعون ذوات الجناح غصة الخوف والذعر . لو رأى سنتوس ديمون الطيّار البرازيلي الشهير طائفاً حول قمة برج ايفل ثم صحبهُ الى لندن وسمعهُ يذكر المسافات المترامية التي وطن نفسهُ على قطعها في مركبتهِ الهوائية فوق البحار غير

مبالٍ بالمحاذير ولا مكترثٍ للاخطار

لو سمع بالسفن الغوّاصة التي اخترعوها للسير تحت الماء وشهد بالامس تجربة الغوّاصة هولند في جزيرة لنغ مقابل نيويورك حيث غاصت بمن فيها الى جوف المياه فقضى ركبها هنالك خمس عشرة ساعة أكلوا في خلالها وشربوا ولذّوا وطربوا وسمروا ولعبوا حتى اذا قضوا ما شاؤوا من غرض التجربة والامتحان وراعوا بمنظرهم الاسماك والحيتان صعدوا الى سطح الماء وقد عزموا ان يقطعوا بها شوطاً بعيداً جداً

لو رأى سفينتين في ظهر البحر تتخاطبان على بعد سبعين ميلاً بتلغراف مركوني ولا موصل بينهما غير الماء والاثير المنتشر في الفضاء . لو رأى كل ما اخترعوا واستنبطوا وعرفوا واكتشفوا من اسرار الطبيعة وغوامض القوى وعجائب الامور وغرائب الاشياء مما يفوت عدّهُ الوسع . وتضيق دون احصائهِ مسافة الذرع

لو جال في العواصم الكبرى وشاهد الصروح الباذخة والقصور الشامخة والفنادق الفخيمة والاندية العظيمة والقلاع المتينة والابراج الحصينة والمعارض والمتاحف والملاجيء والمتصدقات والمصاحّ والمستشفيات وسكك الحديد ومركبات الكهرباء والعربات السائرة بقوة ضغط الهواء والدرّاجات والسيّارات وغير ذلك من معالم العمران ومظاهر قوة عقل الانسان

لو رأى ما استنبطوهُ للحرب والكفاح من الآلات المهلكة للنفوس والحاصدة للارواح . من بنادق ومدافع وقنابل وقذائف ونسّافات ومتلفات وغير ذلك من الادوات التي اغنت عن القسي والنبال والمزاريق وقامت مقام الحرّاقات والكباش والمزاريق

لو رأى مدارسهم الابتدائية والعالية والكلية والجامعة بين علمية وطبية وعسكرية وهندسية وزراعية وحقوقية ومطابعهم وجرائدهم ومجلاتهم ومكاتبهم ومجامعهم العلمية وجمعياتهم الخيرية وبعثاتهم الجغرافية والجيولوجية والفلكية

لو رأى اكثر الاغنياء بينهم يجمعون الملايين بشقّ النفس وعرق الجبين وهجر الراحة والهناء وتحمل التعب والعناء ثم يوقفون جانباً عظيماً منها لانشاء المدارس والمتصدقات وللانفاق على الاكتشافات الجديدة والاختراعات المفيدة المساعدة على مقاومة الادواء الوبيلة والامراض المعدية والآئلة الى زيادة انتشار العلم والعرفان . وتخفيف الرزايا والويلات عن بني الانسان

لو رأى شيخنا ابو العلاء كل هذه المظاهر الرائعة الدالة على مبلغ اهل الغرب من التقدم والارتقاء . لناح من جهةٍ على شرقهِ وانتحب . وأسف واكتأب . وسرّ من جهة أُخرى لأنهُ رأى بعينهِ صواب حكمهِ القديم وصحة رأيهِ القويم وعاد الى ضريحهِ مغبطاً دعاة العقل ومريديهِ

لانهم في نعيم مقيم يبقى بقاء السماء . وآسفاً على شقاء زعماء الطبع وتابعيهِ لأنهم اموات في صور احياء .

وبعدُ ايها المطالع الكريم فما رأيك في هذه المقابلة البسيطة اليست صحيحة من كل وجوهها صادقة في جميع احكامها . لو نبذتَ معي الغرض جانباً ونحيت عنك محبة النفس والجنس والوطن وتأملتَ في حالتنا الحاضرة وبحثت عن السبب الحقيقي الفاعل في انحطاطنا عن اهل الغرب وسبقهم لنا لم تجد لذلك من داعٍ أكيد سوى استرسالنا الى الطبع وتفريطنا في العقل

ولا اكتمك أنَّ الطبع الذي انقدنا اليهِ وضحينا العقل في سبيلهِ فعل بنا فعل المخدّر بالعليل فلم نعد نشعر بالخسارة الفادحة التي كابدناها لأنهُ سلّط علينا في الحال احد عواملهِ وهو الوهم وموّه علينا ما لا يجوز على الاولاد الصغار لكننا لسوء الحظ اعتقدنا صحتهُ وصدَّقناهُ وتعزَّينا بهِ عن العقل لا بل اطلقنا سراحهُ الى اهل الغرب ولم نأسف على فراقهِ

صوَّر لنا الطبع بقوة الوهم انَّ النطق كفيل بتمييزنا عن الحيوان او ليس الانسان "حيواناً ناطقاً" ؟ ثم اوهمنا فوق ذلك ان العقل نصير الكفر وعدوّ الإيمان ومدعاة الانبعاث في الشرور والمفاسد الشهوانية وقد بلغ من شدة تحاملهِ على العقل ان رماهُ بدائهِ وانسلّ

لكنك تعلم ايها المطالع ان تمييز الانسان عن الحيوان بالنطق ليس بصحيح لان الحيوانات ناطقة ايضاً بمعنى انَّ لكلِّ فريق منها اصواتاً معروفة عندهُ يتفاهم بها كما نتفاهم نحن بما نسميهِ نطقاً . وان المميز الحقيقي للانسان هو العقل لا غير فهو حيوان عاقل لا حيوان ناطق . اذاً عاصي العقل ومطيع الطبع ليس بانسان وهذه النتيجة مرَّة لكنها لسوء الحظ صحيحة

اما القول بان العقل نصير الكفر ومدعاة الانبعاث في الشرور فهو شرُّ تهمةٍ لفقها الطبع لاصحابهِ . وكثيرون منا لنكد الطالع يتعللون حتى يومنا بمثل هذه السفاسف الصبيانية . لان اهل الغرب الذين فاقونا في الارتقاء العقلي فاقونا ايضاً في الارتقاء الادبي وما نسمعهُ عن المفاسد والشرور الفاشية بينهم لا يؤخذ دليلاً على انحطاط شأنهم الادبي بل هو نتيجة حرية النشر والاذاعة لكل ما يحدث عندهم ويقع بينهم ثم انهُ ليس بصادر عمن نعنيهم من اصحاب العقول الراجحة والمدارك السامية بل عن اناسٍ باقين مثلنا او احطَّ منا منزلة في الارتقاء العقلي

وقد علم بالاختبار المدقق انَّ الانسان كلما ارتقى عقلهُ ارتقت آدابهُ وصحت مبادئهُ وشرفت اميالهُ وخلصت عواطفهُ من شوائب الاهواء الحيوانية والاميال البهيميَّة . لان قواهُ العقلية المتصرفة باميالهِ تعصمهُ عن التهالك الى الخزايا وانصرافهُ الى المباحث العقلية يشغلهُ باجمعهِ ولا يترك فيهِ منصرفاً نحو الملاذ الحيوانية

اما الانسان المستعبد لطبعهِ وليس لهُ من قوى العقل ما يشغلهُ عن هوى الطبع فإنَّ الملاذ الحيوانية تجدهُ كما طرقتهُ فارغاً معداً لها واذا رزقَ غنىً وتوفَّرت له أسبابُ الترف والرخاء اطلق لنفسهِ في مجال الشهوات العنان . وعاش انساناً احطَّ شأناً من الحيوان . ومات حيواناً في صورة انسان

فهنيئاً لمن سمع النصح ووعاه . واطاع عقله وعصي هواه . وطوبى لمن قصَّر في سبيل الغرور المدى . والسلام على من اتبع الهدى القاهرة اسعد داغر

مسئلة اصولية

حكم الله واجتهاد المجتهدين

قال الفخر الرازي جرت عادة الاصوليين ان يذكروا اول ابوابهم ما هو الاصل والقاعدة ثم يخرجوا عليها المسائل فنقول : اختلف الاصوليون هل لله تعالى في كل حادثة حكم واحد معين في الواقع ونفس الامر قبل الاجتهاد يرتادهُ المجتهد بالطلب بالادلة وهل هو مكلف باصابتهِ او لا . فعلى هذا اعني ان لهُ تعالى في كل حادثة حكماً واحداً معيناً في نفس الامر قبل الاجتهاد فالمصيب واحد من المجتهدين في الحكم المطلوب وغيرهُ مخطئ لكنهُ معذور لانهُ لم يقصّر في الاجتهاد بل هو مأجور لبذلهِ وسعهُ . وهذا أعني القول بان حكم الله واحد معين والمصيب واحد هو الراجح عند جماعة من المحققين وعبَّرعنهُ العلامة ابن حجر المكيّ في الفتح المبين وغيرهِ بالاصح وفي موضع من كتابهِ التحفة بانهُ الحق . وعليهِ فهل يتعين المصيب ايضاً ام لا فالاكثر على انهُ لا يتعين فالمصيب واحد لا بعينهِ فهو واحد لا نعلمهُ وهذا هو الراجح . وفصَّل بعضهم فقال ينظر في المجتهَد فيهِ فان خالف احد المجتهدين فيهِ النص مخالفة ظاهرة فهو المخطئ بعينهِ خطاء لا يبلغ تضليلاً والمتمسك بالخبر الصحيح والنص الظاهر مصيب في الحكم لا بعينهِ . وعلى ان حكم الله في المسئلة الواحدة معيَّن والمصيب واحد غير معين يجري قول بعض ائمة الحنفية والشافعية اذا سئلنا عن مذهبنا ومذهب مخالفنا قلنا وجوباً مذهبنا صواب يحتمل الخطأ ومذهب مخالفنا خطأ يحتمل الصواب وحينئذٍ فلا يمكن ان يقطع او يظن انهُ على الصواب بل على المقلد ان يعتقد ان ما ذهب اليهِ امامهُ يحتمل انهُ الحق . وقد صرَّح المحقق الكمال بن الهمام بما يؤيدهُ حيث قال في شرح الهداية إنَّ اخذ العامي بما يقع في قلبهِ

انهُ اصوب اولى . وعلى هذا لو استفتى مجتهدَين فاختلفا عليهِ الاولى ان يأخذ بما يميل اليهِ قلبهُ منهما وعندي انهُ لو اخذ بقول الذي لا يميل اليهِ جاز لان ميلهُ وعدمهُ سواءٌ والواجب عليهِ تقليد مجتهد وقد فعل انتهى . كلام المحقق

ومنهم من صار الى انهُ تعالى ليس لهُ حكم معين في الوقائع المجتهَد فيها قبل الاجتهاد وانما حكمهُ تعالى فيها ما ادَّى اليهِ اجتهاد المجتهد وان هذا الحكم منوط بهذا السبب فما لم يوجد السبب لم يثبت الحكم . فعلى هذا كل مجتهد مصيب في الحكم والحكم متعدّد تابع لظن المجتهد . وهذا القول هو الصحيح المختار عند كثير من المحققين او اكثرهم كما قالهُ العلامة ابن حجر في الفتح المبين وهو المؤيد عند اهل الظاهر واهل الباطن جميعاً حتى لقد ايدهُ الحافظ السيوطي في كتابهِ جزيل المواهب في اختلاف المذاهب بما اخرجهُ البيهقي في المدخل عن ابن عباس رضي الله عنهما قال قال رسول الله صلى الله عليهِ وسلم مهما أُوتيتم من كتاب الله فالعمل بهِ لا عذر لاحد في تركهِ فان لم يكن في كتاب الله فسنةٌ مني ماضية فان لم تكن سنة مني فما قال اصحابي ان اصحابي بمنزلة النجوم في السماء فايما اخذتم بهِ اهتديتم واختلاف اصحابي لكم رحمة

قال السيوطي عقبهُ في هذا الحديث فوائد اخبارهُ صلى الله عليهِ وسلم باختلاف المذاهب بعدهُ في الفروع وذلك من معجزاتهِ لانهُ من الاخبار بالمغيبات ورضاهُ بذلك وتقريرهُ عليهِ ومدحهُ حيث جعلهُ رحمة والتخيير للمكلف في الاخذ بايها شاء من غير تعيين لاحد . و يستنبط منهُ ان كل المجتهدين على هدىً وكلهم على حق فلا لوم على احد منهم ولا ينسب الى احد منهم تخطئة لقولهِ فايما اخذتم بهِ اهتديتم . فلو كان المصيب واحدًا والباقي مخطئًا لم تحصل الهداية بالاخذ بالخطاء

وقد أقر صلى الله عليهِ وسلم اختلاف اصحابهِ في وقائع جرت لهم في زمنهِ ولم يعترض احدًا في ما قالهُ ورآهُ مخالفًا لما قالهُ نظيرهُ ورآهُ . من ذلك قصة اختلافهم في اسرى بدر فابو بكر ومن معهُ اشاروا باخذ الفداء منهم وعمر ومن تبعهُ اشاروا بقتلهم فحكم صلى الله عليهِ وسلم بالاول ونزل القرآن بتفضيل الثاني مع تقرير الاول . ففيهِ اوضح دليل على تصويب الرأيين وان كلاً من المجتهدين مصيب . ولو كان الاول خطأً لم يحكم بهِ صلى الله عليهِ وسلم . وقد اخبر تعالى بانهُ عين حكمهُ بقولهِ لولا كتاب من الله سبق وطيب الفداء بقولهِ تعالى فكلوا مما غنمتم حلالاً طيباً وانما وقع العتب على اختيار غير الافضل

ومن ذلك ايضاً قصة اختلافهم في قولهِ صلَّى الله عليهِ وسلم حين اراد غزو بني قريظة لا يُصَلِّيَنَّ احدٌ الظهر الاَّ في بني قريظة فاختلفوا لمَّا خرجوا من المدينة وقد ضاق وقت الظهر

فصلى جماعة منهم الظهر خشية فوتهِ واحتجوا بان ذلك منهُ صلى الله عليهِ وسلم كان تحريضاً على الاستعجال ولم يُرِدْ اخراج الصلاة عن وقتها فاستنبطوا من النص معنى يخصّوا بهِ ان الحصر في قولهِ الاّ في بني قريظة اضافي لا حقيقي وأبى آخرون فلم يصلّوا الظهر الاّ في بني قريظة بعد العصر واحتجّوا بانهُ صلى الله عليهِ وسلم اطلق الحصر ولم يبيّنهُ فكان المراد بهِ حقيقتهُ فلما بلغهُ صلى الله عليهِ وسلم اختلافهم وفعلهم لم ينكر على أحدٍ من الفريقين واقرَّ كلاً على ما فهمهُ اشارةً الى ان الكل مجتهدون مأجورون على هُدًى من الله تعالى فلا ينسب الى احدٍ منهم خللٌ ولا تقصير . وانظر قولهُ صلى الله عليهِ وسلم فايما اخذتم بهِ اهتديتم تجعل الكل مهتدين

وبما تقرر يظهر اتجاهُ القول بان كل مجتهد مصيب وان حكم الله تعالى في كل واقعة تابع لظن المجتهد وهو احد قولين للائمة الاربعة ونسب ترجيحهُ لاكثر الشافعية والحنفية والباقلاني ولا ينافيهِ تصريح الخبر الصحيح بان للمصيب اجرين وللمخطىء اجرًا لأنهُ محمول كما قالهُ السيوطي على ان المراد الخطأ في ادراك الافضل والاولى . وقال في الشفا القول بتصويب المجتهدين هو الحق والصواب عندنا . وقال في جمع الجوامع والمتكلمون عليهِ ونعتقد ان ابا حنيفة ومالكاً والشافعيَّ واحمد والسفيانيين والاوزاعي واسحاق بن راهويه وداود الظاهري وسائر أئمة المسلمين كابن جرير على هدًى من الله تعالى ولا التفات الى من تكلم فيهم بما هم بريئون منهُ انتهى

سليمان العبد

شيخ الشافعية بالازهر الشريف

الشعراء المحافظون والشعراء العصريون

يظهر ان الشعراء آخر من يفكر في خلع القديم الخلق والتزيي بالجديد ذي الطلاوة . فمن كلّ زمرة الشعراء والمتشاعرين الذين ينظمون الشعر او يدعون النظم لا تكاد ترى واحداً في المئة يحاول مجاراة العصر ونبذ القديم واقتباس الجديد وتقليد الشعراء العصريين من الامم الاخرى . والسبب في ذلك اقتصار شعرائنا على درس الشعر العربي وعدم الاحتفال بدرس الشعر الاجنبي اما لانهم يجهلون اللغات الاجنبية او لانهم يزدرون الشعر الاجنبي ويحسبون ان الاهات الشعر لا توحي بهِ الاّ اليهم وان ما ينظمهُ الشعراء الاجانب نفاية وسفسفة حتى كأنهُ المقصود بقول ابي الطيب حيث قال

ان بعضاً من القريض هذاءٌ ليس شيئاً وبعضهُ أحكامُ

منهُ ما تجلبُ البراعةُ والفضلُ ومنهُ ما يجلبُ البرسامُ

ومن الغريب ان مزية نظم الشعر العربي الجيد واتقان اللغات الاجنبية لا يلتقيان في شخص واحد او قلما يلتقيان فكانهما ضرتّان او ضدّان لا يجتمعان او كأن الاهات الشعر لا توحي بهِ الاّ الى الذين لا يعرفون لغة اجنبية غيرة منها على شرف اللغة العربية . ومن خرج عن ذلك فشاذٌ لا يبنى عليهِ حكم كالشاعر احمد بك شوقي فانهُ شاعر عربي وعارف لغة اجنبية وديوانهُ شاهد لهُ بمقدرتهِ على تقليد الشعراء الغربيين وخصوصاً ما نظمهُ على السنة الحيوانات حاذياً في ذلك حذو لافونتين وغيرهِ وقد اغتنمت فرصة تدريسي في المدرسة الكلية ببيروت السنة الماضية فكنت اعلّم التلامذة القصائد المذكورة غيباً على كره بعضهم لها جهلاً ولو عدّ الشعراء المحافظون نظم صاحبها لها وتعليمي اياها مروقاً من مبادىء حزبهم كما سمعتهُ من افواه بعضهم

نشرتم لي في المقطم بعض قصيدة في مقالة من سلسلة مقالات بعنوان "هنا وهناك" . وقد اقترحت على السادة الشعراء اكمالها فجاءني كتاب من شاعر مجيد صديق قال فيهِ انهُ آخذ في تلبية طلبي ولكنهُ رأى ان يوجه خاطري الى مصراع في قصيدتي وينتقد عليّ المعنى المتضمن فيهِ . اما البيت فهو

ونفورٍ وخفّةٍ والتفاتٍ كظباء يمرحن في بستانِ

وملخص الانتقاد انّي لو جعلت الظباء تمرح في وادٍ او كثيبٍ او منعرج او منعطف او على هضبة او اكمة لكان ذلك اوجه لاننا لم نعتد رؤية الظباء تمرح في البساتين والحدائق اذ هي حيوانات برية وحشية لا اليفة انسية . فما ينتقدهُ صديقي عليّ هو عين ما اردت توجيه الانظار اليهِ والبحث فيهِ للتحذير منهُ

يقول صاحبي اننا لم نعتد رؤية الظباء تمرح في البساتين والحدائق بل في الاودية ومنعطفاتها والكثبان ومنعرجاتها . فأسألهُ كم ظبياً رأى في زمانهِ اما انا فلم ارَ في زماني ظبياً في وادٍ او على هضبة او اكمة ولن اؤمل ذلك لانهُ لا يتسنى الاّ لصيّاد في بلاد ترودها الظباء وتكثر فيها الغزلان. على اني رأيتها تنفر وتلتفت وتمرح في بستان فنظمت ما نظمت في ما رأيت اما هو فسمع بنفورها وتلفتها ومرحها مما نظم هذا الشاعر وذاك وعليهِ ينظم ما ينظم في ما يسمع . وما راءٍ كمن سمع

والبستان الذي رأيت الظباء تلتفت وتنفر فيهِ بستان الحيوانات في الجيزة بمصر . ولو ذهب صاحبي الى هناك لصدّق خبرهُ الخبر ولوافقني على مصراعي بيتي . ولكنهُ يفضّل بقاء

القديم على قدمهِ ويحسب ان الالهام لم يهبط الاَّ على الشعراء الاقدمين وان ما ينظمهُ ابناؤهم هذاء في هذاء جارياً مجرى انصار الفلسفة القديمة فلسفة ارسطو واتباعهِ فانهم كانوا يسلمون بمبادئها وقواعدها تسليم الاعمى بحجة ان ارسطو ذهب اليها وهو معصوم من الغلط لا بناء على المشاهدة والاختبار والامتحان اركان الفلسفة الجديدة التي قلبت الاولى ظهر المجن ووضعت اساساً ثابتاً مكيناً للعلوم والفنون الحديثة

ومما يجمل ذكرهُ في هذا الصدد اني كنت اكلم عالماً فاضلاً ببعض الامور العلمية والادبية فورد ذكر الشعر والشعراء عرضاً فجعلنا نقابل الشعر العربي بالشعر الافرنجي ونبين الفرق بينهما فقال ان السر ولتر سكوت الشاعر الانكليزي المشهور كان اذا اراد وصف جدول ماء مثلاً قصدهُ ليراهُ بعينيهِ ثم رسمهُ على قطعة ورق بما على ضفتيهِ من الحصى والاحجار والاشجار كأنهُ مصوّر لا شاعر. ثم شرع في وصفهِ شعراً حتى اذا قرأ احد ذلك الوصف امكنهُ تصوُّر الجدول في مخيلتهِ تصوراً واضحاً كأنهُ يرى صورتهُ الحقيقية امامهُ. اما شعراؤنا فقضوا ايامهم في مدح فلان وذمّ فلان واذا خطر لاحدهم ان يصف منظراً طبيعياً او حادثة ما وصف كما سمع من هذا وذاك وقلما يحكم وصفهُ ويدقق في التفصيل

فوافقتهُ على ما قال وقلت اني لا اكاد اتذكر شاعراً من شعراء العرب دقق التدقيق الواجب في وصف حادثة شاهدها غير المتنبي في وصف الاسد وما جرى بينهُ وبين بدر بن عمار في قصيدتهِ التي مطلعها

في الخدّ ان عزم الخليطُ رحيلا مطرٌ تزيد بهِ الخدود محولا

حيث يقول

امعفر الليث "الشديد" بسوطهِ لمن ادخرت الصارم المصقولا

الى آخر ما هناك من الوصف الدقيق الذي لا يقرأهُ احد الاَّ ارتسمت هيئة الاسد واضحة في ذهنهِ فاستطاع رسم صورتهِ على الورق ولو لم يكن قد رآهُ في زمانهِ

ومما يؤاخذ شعراؤنا بهِ ان يذكروا في قصائدهم اسماء اماكن في بلاد العرب لم يروها بل لم يروا احداً رآها. ولو اقتصر الامر على ذلك لهان ولكنهم يجهلون مواقعها وطبيعة ارضها واقليمها وسائر ما يتعلق بها وربما لم يكن الجغرافيون وعلماء تخطيط البلدان ومسّاحوها ومشاهير الافاقين والسيّاح والمكتشفين اكثر علماً منهم بها وبحقيقة مواقعها وانما اكثر شعراء العرب ذكرها لانها قسم من بلدانهم فان كانت جبلاً فكم استجاروا واعتصموا بهِ او سهلاً فكم حدوا عيسهم فيهِ او عين ماء فكم وردوها وأرووا ظماءهم بمائها او مطمئناً من الارض فكم اناخوا ركائبهم

فيه للمبيت او دوحة فكم تفيأُوا ظلها للمقيل او طللاً دارساً فكم مرحوا فيهِ وطربوا ايام كان ربعاً زاهياً . فما لشعرائنا يطيلون الوقوف على الاطلال ـــ وما لهم ولذكر العقيق والابلق ودار مية ووجرة وكاظمة والعذيب وبارق والمنحني ووادي الغضا وهم لا يعرفون منها الا اسماءها . وقد كان كثيرون من شعراء الاسلام يكثرون ذكر بعضها في قصائدهم ويبالغون في مدحها لعلاقتها بصاحب الرسالة الاسلامية . فان كثيراً منها لم يكن يستحق المدح في حد نفسهِ كعين وجرة فانها عين سخينة الماء قليلة النزّ لا تنقع غلةً ولا تشفي علةً مرتٌ للوحش في سبسبٍ من الارض لا يسكنهُ انسٌ ولا يأوي اليهِ جنٌّ . ولا الوم الشاعر العربي اذا مدحها واعجب بها ما شاء فكم اروى بها الظمآ هو وقومهُ بعد اجتياز المفاوز والسباسب الجافَّة من حولها . ومهما كان الماء أُجاجاً آسناً وجدهُ اذ ذاك عذباً زلالاً . فمدحهُ لهُ من قبيل الاقرار بالمعروف وعرفان الجميل

فما احرى الشاعر المصري ان يتناسى وجرة وماءها ويتغزل بالنيل ما شاء ويعجب بهِ ما شاء وهو ابو مصر وروحها وحياتها وسبب وجودها وهي ابنتهُ كما لقبها هيرودوتس المؤرخ الشهير. بل ما اجدر الشاعر العراقي ان يقف شعرهُ على مدح الفرات ابي الممالك القديمة الاثيلة ممالك الكلدان واشور وبابل. بل ما اخلق الشاعر الشامي ان يسدل حجب النسيان على وجرة والعذيب وعندهُ عيون لبنان وينابيعهُ الشهيرة يتدفق منها الماء الشبم السلسبيل تدفق ماء النيل كراس العين ونبع العسل ونبع اللبن ونبع القاع والصفا والباروك من العيون التي يقلُّ نظيرها تحت الخضراء

هذا وبدلاً من ان نلجأَ الى الرصافة والجسر في قول الشاعر "عيون المها بين الرصافة والجسر" عند قصد التغزل والتشبُّب لماذا لا نقول "عيون المها بين الجزيرة والكبري" في وصف المناظر التي تلوح لعين الناظر بين كبري قصر النيل والجزيرة المشهورة في يوم سرحت ظباؤُهُ وصفت سماؤُهُ واعتلَّ نسيمهُ وراق اديمهُ . ألا يكون الوصف اذ ذاك اكثر مطابقة للحقيقة . أفي شبه جزيرة العرب كلها منظر يقرب بهاء وجلالاً من منظر الجزيرة والنيل مقيل الاقيال العظام من فرعون مصر القديم الى عزيزها الجديد

هذا بعض ما جال في الخاطر عن الشعر والشاعر وقد استأذنت صديقي في نشر انتقادي على صفحات المقتطف الاغرّ فأذن ووعد بالردّ . ولي كلمة بعدُ على الكتابة والكاتب ارجئها الى فرصة اخرى

نجيب شاهين

جزيرة مدله

بلاد دفنيس وكلويه [1] الجزيرة القديمة التي احتلها الجنرال كيار عقب الخلاف الذي حدث اخيراً بين فرنسا وتركيا بسبب ارصفة الاستانة وديون لورندو وتوبيني وغيرها مجهولة اليوم بقدر ما كانت مشهورة في الزمن السابق وقد اردت ان اذكر عنها بعض الشيء تفكهة للقراء الكرام فاقول

هذه الجزيرة صغيرة الاَّ انها قد ابقت في بطون التاريخ ذكرًا مجيدًا ولليونان عن نسائها اقاصيص غريبة في العشق والغرام اشهرهنَّ صافو وقد نبغت في صناعة الشعر لا سيما الغرامي منهُ حتى صار اسمها عنواناً لذوات الغنج والدلال . وهي احدى جزر الارخبيل الرومي ولا تبعد كثيراً عن ازمير . وقد امتلكتها جمهورية البندقية في عهد الحروب الصليبية مع غيرها من الجزر وبقيت في حوزتها حتى القرن الخامس عشر حين انتزعها منها الاتراك . عدد سكانها الآن ٢٠٠٠٠ تقريباً لكنها لقلة اهميتها لا ترسو فيها السفن الاوربية بل تدور حولها وكذلك السياح فانهم يقصدون صاقص وازمير ويشاهدون البلاد التي اشتهرت بحروب ترْوادة ولكنهم قلما يعرجون على مدله وان دخلوها فلا يطيلون الاقامة فيها . زارها منذ عهد قريب احد الفرنساويين واسمهُ المسيو لوني أرسلتهُ حكومتهُ بمأمورية اليها وكان قد زارها قبلهُ اثنان من علماء الالمان وشاهدا آثارها القديمة التي ابقى عليها الاتراك ولم تدمرها قنابل البنادقة

وقد اخذت الحمية احد سكان تلك الجزيرة الاصليين وهو المسيو جيورجياكس فجمع شتات تقاليدها واقاصيصها واناشيدها الوطنية التي يتناقلها الاهالي خلفاً عن سلف في كتاب نفيس ساعدهُ في وضعهِ احد علماء الفرنسيس المسيو بينوى . الا ان تلك الابحاث لم تتجاوز دائرة المعارف التي تهم المشتغلين بالعلوم اليونانية القديمة . واما جمهور القراء فيهمهُ الوقوف على احوالها الحاضرة

سكانها الحاليون قوم من اليونان يقربون كثيراً من الشرقيين في عوائدهم واخلاقهم ولم يتغيروا عما كانوا عليهِ في السابق عند ما كان يأتيهم الليديون [2] للمتاجرة في الاقمشة الحريرية ثم يقلعون الى اثينا . ومعيشتهم الآن ربما تكون اكثر بساطة عن ذي قبل ونفوسهم

---

(١) دفنيس وكلويه اسمان لفتى وفتاة Daphnis & Chloé اشتهرا في الروايات اليونانية القديمة بحبهما العذري وكانا يسكنان تلك الجزيرة

(٢) الليديون قوم كانوا يسكنون اسيا الصغرى اشهر ملوكهم كريسوس الغني الذي اسرهُ الفرس

اشد اعتزالاً عن الدنيا وزخارفها مع حب للسلام يضمن لهم راحة الضمير التي هي سعادة المرء في هذه الحياة الدنيا . ومناظر مدله الطبيعية جميلة تروق الناظر وتقر الخاطر وحسبك منها جبل شامخ يدعوهُ الاهالي جبل مار الياس فاذا جاء الشتاء كساهُ بثوب من الثلج ناصع البياض فضلاً عن التلال الصخرية التي تشرف على البحر من كل جانب . وتجلى الجزيرة كلها للداخل كعروس اتشحت بثوب سندسي يزيدها جمالاً وبهاء . وهناك كثير من اشجار البلوط والحور الذي يناطح برؤوسهِ عنان السماء والجوز الذي لا تخلو منهُ بقعة ومن التوت البري سياجات كثيفة وفيها غابات منمقة ارضها بشقائق النعمان بلونها الاحمر القاني . واذا اتجهت نحو الشاطيء وجدت ازهاراً من جميع الاشكال والالوان وكثيراً من شجر الزيتون وهو من اهم محصولات الجزيرة . هذا فضلاً عن المراعي الخصيبة وما فيها من القطعان . وعلى الشواطيء تكثر الاصداف الجميلة ذات اللون الارجواني

هذه هي الجزيرة التي كانت تسكنها صافو الشهيرة . وملابس نسائها كملابس نساء الشرق في الرونق والبهاء وترى الفتيات معجبات بشعورهنَّ السوداء وهنَّ يضفرنها ضفائر يرسلنها وراء ظهورهنَّ وكلما زادت الضفائر طولاً زدن بها اعجاباً ودلاً . ومن اعتقاداتهنَّ القديمة انهنَّ في ليلة اول مايو يضربن ظهورهنَّ وهي عارية بنوع من القراص يزعمن انهُ يزيد في نماء شعورهنَّ . وفي ذلك اليوم ايضاً من كل سنة يذهبنَ جماعات وسط الليل البهيم الى الحقول وهنَّ ينشدن اناشيد الفرح والسرور فيقطفن منها الازهار بقدر ما يقدرن على حملهِ والتي تسمع صوت طائر الطاطوى قبل رفيقاتها تستبشر بالخير والسعادة . ثم يرجعن الى منازلهنَّ وسكان القرية نيام وهناك يضفرنَ اكاليل وباقات من الزهر ويعلقنها بالكوى والابواب وهي مغلقة . وفي الصباح عند شروق الشمس يتجلى الربيع ببهجتهِ وبهائهِ في المدينة كلها ناشراً اعلامهُ وروائحهُ الذكية على يد اولئك الفتيات الحسان . فاذا بزغ فجر اليوم الاول من شهر مايو نهض الاهالي من رقادهم واسرعوا في لبسهم وتخرج النساء مزينات شعورهنَّ بشقائق النعمان علامة الابتهاج والرجال يرفلن بافخر الملابس متشحين بصدرة سوداء مزررة على شكل مستدير وفي وسطهم حزام قرمزي وعلى رؤوسهم قبعة جديدة . وفي كل قسم من اقسام المدينة تطوف في الشوارع امرأة عجوز حاملة كأساً من العسل تغمس فيهِ اصبعها وتمس بهِ العذارى في جباههن ليصرن مثل العسل عذوبة في اعين خطابهن

وتتزوج الفتيات في الثانية عشرة من عمرهن اذا استكملن جهازهنَّ وتضطر كل فتاة ان تخيط جهازها بيديها فالحاذقة منهن هي التي تكثر من الزينة في ملابسها وتحسن تنيقها

وينسجنَ بانفسهنَّ جميع قطع ثيابهنَّ كالقمصان والصداري والسراويل المنتفخة والملاآت والشراشف والاسمطة والاقمشة المنقمة السدى او المتراخيتها الملونة وغير الملونة . كل ذلك تحيكهُ تلك الانامل اللطيفة

وقد تمر على الفتاة الشهور والاعوام في اتمام هذا العمل ويكون الرضى والقبول في الزواج بين الفتى والفتاة ولا يؤخذ رأي الاهل الأ بعد اتفاقهما فاذا وافقوا على ذلك تجتمع العائلتان ويأتي الكاهن لكتابة عقد الزواج وليبارك الزوجين و يطلب لهما سعادة الدارين . وقبل العرس بيوم تجتمع صديقات العروس في غرفتها ويقمن باعداد ما تحتاج اليهِ من ثياب وحلى وينشر الجهاز ثم يدخلها رفيقاتها الى الحمام و يصبغن اظافرها بالحناء . والعيد عيدها فان العرس لها وهي التي تسود اما الزوج فيأتي بعدها في الاهمية

ومن عوائد اليونان القديمة التي لم تزل مرعية في هذهِ الجزيرة عادة تقضي بجعل المرأة رأساً للعائلة والابنة الاولى الوارثة الوحيدة لوالديها وقد ترث في حياتهما فانهُ فضلاً عن الصداق الذي تأخذهُ والجهاز التي تكون قد حاكتهُ تستولي شرعاً على منزل ابيها يوم قرانها فيرحل الاب مع بقية العائلة الى منزل آخر

ومتى تمَّ الاحتفال في الكنيسة يجتمع الحضور عند العروسين وتقوم فتاة على الباب وكلما حضر واحد من المدعوين تضع في فيهِ معلقة من الحلوى رمزاً للافكار اللطيفة التي يقتضي ان تمر في بالهِ عند ما يخطو عتبة الدار

افليس في كل هذه العادات البسيطة ما يصور للذهن حالة هيئة اجتماعية سعيدة لا تخامرها الاكدار والشواغل التي تنغص عيش امم اوربا وتبدل نعيمها بؤساً . فلسبوس القديمة جزيرة سعيدة وليس فيها احد على غنى واسع ولا منها فقير مدقع فان الارض مقسمة بين العائلات بنسبة متساوية وهيهات ان تجد فيها رجلاً لا يملك حقلاً او ليس في منزلهِ خبز وزيت طيب والهواء هناك معتدل تحسن فيهِ الزراعة وتسهل الاعمال وتطيب الراحة بعدها . ومنازل الجزيرة مسقفة مدهونة من الخارج بالوان مختلفة تحتوي على غرف فسيحة مفروشة بالبسط التي ينسجها النساء من صوف المعزى . وحول الجدران مقاعد يجلس عليها الضيوف فتقدم لهم القهوة التركية والحلويات والفواكه النضرة

وعاصمة الجزيرة متيلين (مدله) وهي في بقعة تشبه الاسكندرية تماماً . وكانت مبنية في السابق على شكل درجات بعضها فوق بعض في شبه جزيرة تكاد تنفصل عن البر لا يوصل بينها وبينهُ الأ جسور من الحجر الابيض . وعلى جانبيها مرفآن متساويان وعلى

توالي الايام امتلأ قاعاها بالرمال فنتج عن ذلك برزخ ارتفعت ارضهُ بين المرفأين وامتدت اليهِ المدينة الجديدة فلم يبقَ للمدينة القديمة اثر والمدينة الجديدة صغيرة ونظيفة طرقها معوجة يخترقها كثير من الحارات والازقة . واذا نظرت اليها عن بعد رأيت المنازل ذات الوان زرقاء وحمراء وصفراء تزين سفح الجبل الذي تعلوهُ القلقة وحولها غابة من شجر الزيتون تلتف كالعصابة يأتي هذه المدينة الفلاحون من داخل الجزيرة ليبيعوا لتجار الاجانب زيت زيتونهم ونبيذ كرومهم نبيذ لسبوس الشهير في الازمان الغابرة ويبيعونهم الحرير والتين والجلود والعسل والخراف والنعاج وهذه التجارة على قلتها تكفي حاجات اهل الجزيرة فانهم لا يعرفون شيئاً من اسباب الترف ولا يخزنون كنوزاً سوى عسل نحلهم الذي يجعلونهُ رمزاً للذة والسعادة

زكي حاتم

بنظارة الاشغال العمومية بمصر

طوائف الناس

أهمّ ما يدور عليهِ علم الانسان البحث عن طوائف الناس عن اصلهم وطبائعهم وتفرقهم على وجهِ البسيطة

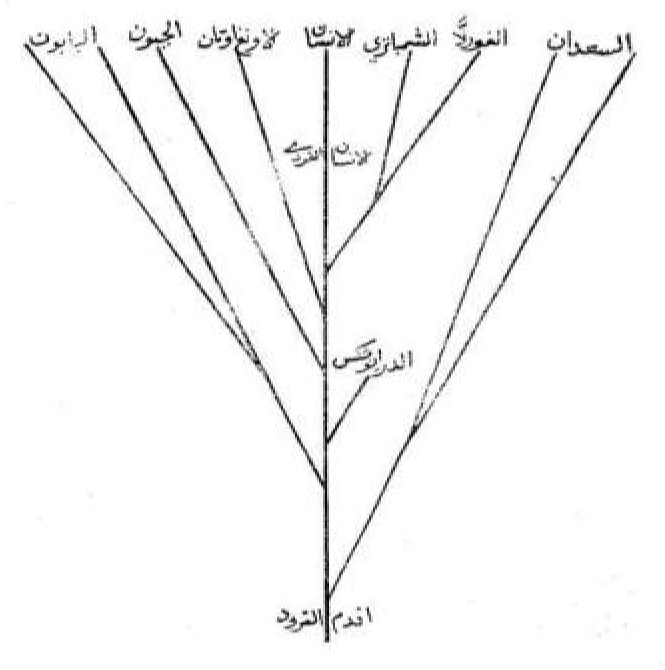
اما من حيث الاصل الذي تولدت منهُ طوائف الناس المختلفة فالمرجح عند العلماء الآن انهُ واحد غير متعدد لان ما يُرى من الفروق بين هذه الطوائف لا يكفي لجعلها انواعاً قائمة بذاتها . وزد على ذلك انها تستطيع كلها ان تتزاوج بعضها مع بعض وتتوالد ونسلها يتزاوج ويتوالد ايضاً وهذا لا يكون في الانواع المختلفة فهي من نوع واحد واصل واحد

وكان القائلون ان طوائف الناس ليست من اصل واحد بل من اصول مختلفة يحتجّون على صحة قولهم بان حداثة عهد الانسان في هذه الدنيا على ما جاء في التوراة تمنع ان تكون طوائفهُ كلها من اصل واحد لان بضعة آلاف من السنين لا تكفي لما يرى من البعد الشاسع بين الزنجي والابيض وبين القوقاسي والمغولي ولكن لما ثبت ان الانسان قديم يمتد تاريخهُ الى الوف كثيرة من السنين ضعف مذهب تعدُّد الاصول واعتُمد مذهب الاصل الواحد

ثم اعاد بعض العلماء الكرَّة على مذهب الاصل الواحد محتجين باختلاف اللغات فانهم وجدوا ان هذا الاختلاف اصلي فيستحيل ردها كلها الى اصل واحد وهذا يدل على ان طوائف الناس مختلفة اصلاً إما انها مخلوقة في اوقات مختلفة واماكن متباينة او مرتقية من اصول

مختلفة من الحيوانات في امكنة وازمنة مختلفة . وانهُ ان كان اصل الانسان واحداً فقد اختلفت طوائفهُ وتفرقت قبلما استطاع النطق فجاءت لغاتهُ مختلفة اصلاً

وخلاصة مذهبهم ان طوائف الناس مرتقية من طائفة كبيرة من القرود كانت تسكن بلاداً وسيعة من البلدان الحارَّة فارتقت رويداً رويداً وهي تنمو وتزيد انتشاراً وتنوعت اصواتها الى ان كثرت مقاطعها وتركبت منها الكلمات فصار لكلّ فريق منها لغة قائمة برأسها

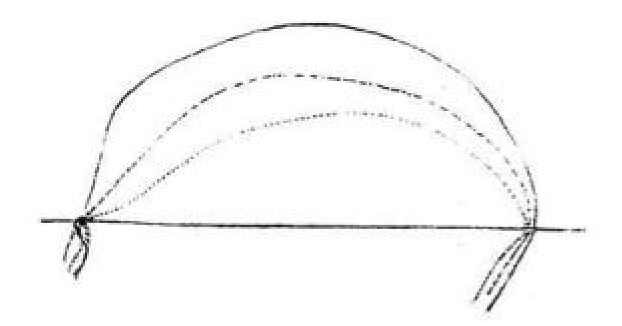


(ش ١)

وقد اختلفوا في الاصل الذي ارتقى منهُ الانسان وفي شجرة نسبهِ وقرابتهِ الى القرود الشبيهة بهِ واحدث شجرة صُنعت لذلك شجرة النسب التي وضعها الاستاذ دبوى مكتشف آثار الانسان القردي في جزيرة جاوى على ما ابنا في الصفحة ٢٦٢ من المجلد العشرين من المقتطف وقد رسمنا هذه الشجرة هنا . فالانسان القردي هو الذي اكتشفت آثارهُ في جزيرة جاوى وهي ضرس وقحف وقصبة ساق والضرس اشبه باضراس الانسان والقصبة مثل قصبات سوق البشر تماماً وقحف الرأس متوسط في شكلهِ واتساعهِ بين قحف رأس الانسان الاوربي وقحف رأس القرد المعروف بالغورلا كما ترى في الشكل الثاني فان الخط الاعلى المتصل رسم قحف

رأس الانسان والخط الاسفل المنقط نقطاً صغيرة قحف رأس الغورلا والخط الذي بينهما رسم القحف الذي وجده الاستاذ دبوى وقال انهُ من رأس الحلقة المفقودة او الحيوان المتوسط بين القرد والانسان

ويظهر من شجرة النسب المرسومة في الشكل الاول ان انواع القرود المعروفة الآن مشتقة هي والانسان من اصل قديم جداً سميناه اقدم القرود ويسمَّى علميًّا ارتشيبثكس والبعيد فيها عن الانسان متفرّع قبل القريب منها اليهِ . وقد حدث هذا التفرّع في العصور الجيولوجية القديمة منذ ملايين كثيرة من السنين كما يظهر من الآثار الكثيرة الباقية في طبقات الارض



(ش ٣)

وما يقولهُ الاستاذ ديبوى ومن جرى مجراهُ من العلماء لا يؤْخذ قضية مسلَّمة لا ينازع فيها بل ان جمهوراً من العلماء المحققين ينازع فيها كل المنازعة ويذهب الى ان العظام التي وجدها ليست من عظام الانسان . بل لا يزال فريق منهم يعتقد ان الانسان خُلق مستقلاً عن غيرهِ من انواع الحيوان . وليس من عرضنا الآن ان نطيل البحث في هذا الموضوع وانما ذكرنا ما ذكرناهُ تمهيداً لبحث اقرب منهُ تناولاً وهو اختلاف طوائف الناس ومميزاتها بعضها عن بعض جسداً وعقلاً فان هذا الاختلاف موجود محسوس مهما كان سببهُ يراهُ الرائي واضحاً في القامة والشكل واللون ويقيسهُ علماء الانسان بالخطوط والزوايا والمساحات واكثر اعتمادهم على قياس الجمجمة ولون الجلد ولون الشعر وقوامهِ والاختلافات العقلية . وكان القدماء يعتمدون في تقسيم طوائف الناس على اللون خاصة فقسمهم برنير سنة ١٦٧٢ الى اربعة اصناف اصلية وهم البيض الاوربيون والصفر الاسيويون والسود الافريقيون واللاب الشماليون . وقسمهم لينيوس النباتي الى اربعة ايضاً وهم البيض الاوربيون والصفر الاسيويون

والسود الافريقيون والسمر الاميركيون. وجرى غيرها على تقاسيم أُخرى وكثر النزاع بينهم الى ان نظر بعضهم في شكل الراس وجعلهُ مميزًا لطوائف الناس بعضها عن بعض فقسموا الى مصفحي الرؤُوس اي الذين ضغطت رؤُوسهم من اصداغهم حتى طال ما بين الجبهة والقفا والى مسفطي الرؤُوس اي الذين رؤُوسهم مضغوطة من قفاها حتى طال ما بين الصدغين. والى بارزي الفم وغير بارزيهِ. وهذا التقسيم غير فاصل لاننا نرى تصفيح الرأْس وتسفيطهُ بين كل الطوائف ولو غلب الاول على الطوائف الاوربية والافريقية والثاني على الطوائف الاسيوية

وقد كثر اعتماد علماء الانسان على اختلاف الشعر لونًا وشكلاً في تقسيم طوائف الناس وتكاد دلالتهُ تكون ثابتة دائمًا فبعض الطوائف شعرها سبط كالصينيين وهنود اميركا وبعضها شعرها جعد قليلاً او كثيرًا كالاوربيين وبعضها شعرها مفلفل كالزنوج. ويختلف لون الشعر من الاسود الفاحم الى الاصفر الذهبي او الكتاني

وقد بقيت فروق أُخرى كثيرة كالقامة وشكل العين ولونها ووضعها وجرم الدماغ وثقلهِ وشكل الانف والفم والشفتين وكلها يُعتمَد عليها في الفرق بين طوائف الناس. هذا من حيث الفروق الجسدية اما الفروق العقلية فاولها اللغة وهي مرآة عقل الامة وخزانة معارفها فضلاً عن دلالتها على اختلاف ثابت في اعضاء النطق حتى ان ابناء اللغة الواحدة لا يستطيعون ان يحسنوا نطق لغة بعيدة عن لغتهم ولو ولدوا بين اهلها كما ترى في الاوربيين الذين قطنوا بلدان المشرق والزنوج الذين خالطوا العرب. ويقال ان اليهود الذين استوطنوا اوربا منذ قرون كثيرة لا يزال لفظهم للغات الاوربية يمتاز عن لفظ الاوربيين لها حتى يومنا هذا

وقد ردَّ الاستاذ فلور ومن جاراهُ من العلماء طوائف الناس الى ثلاثة اصول وهي الاصل الزنجي ومنهُ اكثر سكان افريقية والاصل المغولي ومنهُ اكثر سكان اسيا والاصل القوقاسي ومنهُ اكثر سكان اوربا وتتضح الفروق بينهم من هذا الجدول والرقم (١) فيهِ للاشقر و (٢) للاسمر

	الزنوج	المغول	القوقاسيون
الجلد	ناعم املس بارد تفوح منهُ رائحة خاصة ولونهُ اسود فاحم	خشن الملمس مصفرٌّ يتدرَّج الى اللون الزيتوني	(١) ابيض مشرب حمرة شفاف يشف عن العروق التي تحتهُ (٢) اصفر او اسمر يتدرَّج الاول الى اللون الزيتوني والثاني الى الاسمر الغامق

	الزنوج	المغول	القوقاسيون
الشعر	اسود فاحم مفلفل او صوفي قصير قطعهُ مسطَّح واللحية خفيفة او مفقودة	اسود قاتم ثخين لا لمعان له يطول كثيرًا في سكان اميركا الاصليين . قطعهُ مستدير الشاربان طويلان واما اللحية فكوسج اومفقودة	(١) كستنائي اللون او اشقر او احمر طويل متموج حريري (٢) اسود او فيهِ شقرة قليلة سبط او مفتول او اجعد مقطعهُ بيضي واللحية كاملة
الراس	الراس مصفح وقد يكون عالي القحف بارز الشدق عالي الوجنتين كبير العينين جاحظهما اسودهما مصفر القرنية افطس الأنف عريضهُ غليظ الشفتين اهدلهما	الراس مسفط مستدير لكن دائرتهُ ليست تامَّة غير بارز الشدق كبير عظم الخدين اسود العينين ضيقهما لوزيهما صغير الانف اخنسهُ عريض الوجه مسطحهُ	(١) مصفح الراس (٢) مسفط وكلاهما غير بارز الشدق والعين زرقاء او شهلاء او سوداء برَّاقة والانف طويل دقيق اشمُّ او اعقف والفم صغير والشفتان رقيقتان والوجه بيضي
القامة	القامة طويلة فوق الوسط من متر و٦٧ سنتمترًا الى متر و ٧٨ سنتمترًا وقد تبلغ مترًا و٨٣ سنتمترًا والعظام كبيرة ثخينة ولكن الاطراف السفلى صغيرة	قصيرة في الغالب تحت الوسط من متر و٥٢ سنتمترًا الى متر و٧٠ سنتمترًا لكن الفرع الاميركي طويل جدًّا في الغالب والعظام غليظة والجسم ممتلئ بدين ولا سيما في البلدان العالية كبلاد التبت طولهُ متر و٨٣ سنتمترًا	(١) طويلة فوق الوسط من متر و ٦٧ سنتمترًا ومتر و ٧٨ سنتمترًا الى متر و ٨٣ سنتمترًا (٢) تحت الوسط من متر و ٥٨ سنتمترًا الى متر و٦٥ او ٦٨ سنتمترًا (١) غليظ العضل قوي (٢) نحيف سريع الحركة
الاخلاق	شهواني سخيف العقل كثير السرور كثير الجلبة ساعاتي ينتقل بغتة من السرور الى الغيظ وفيهِ الشفقة والقساوة معًا لا علم لهُ ولا صناعة ولا ادب	بليد كئيب سكوت ضعيف الهمَّة ولكنهُ جلود وينْدفع احيانًا عن غير تذمر . علمهُ قليل وفنونهُ وآدابهُ في درجة متوسطة	شديد التصوُّر عالي الهمَّة كثير الإقدام ولذلك يخاطر ويتكسب (١) حازم جلود (٢) او متسرّع ضجور . رقى العلم والفنون والآداب

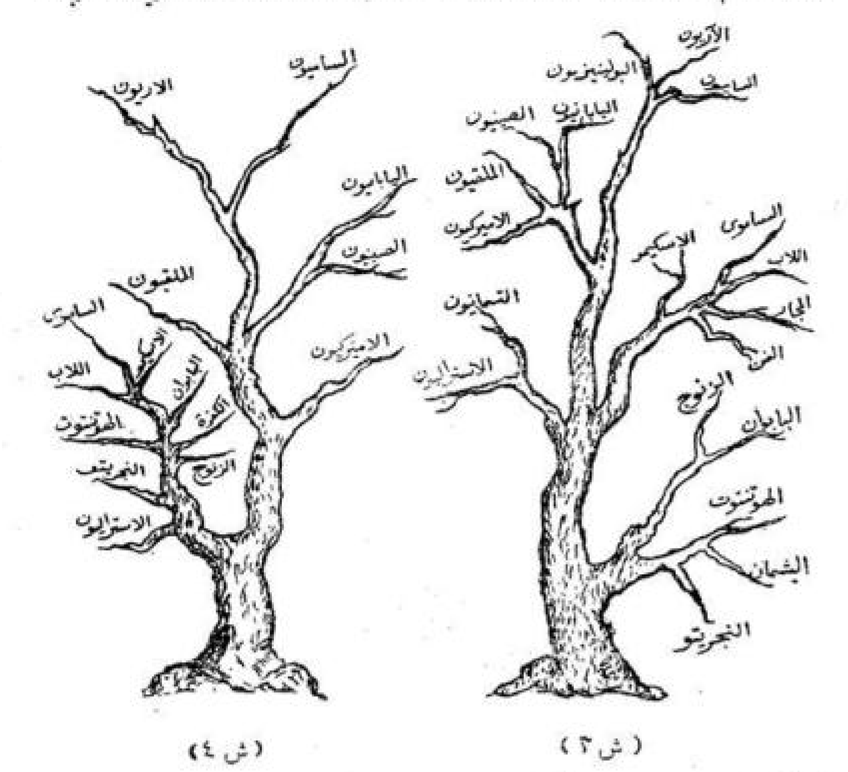
	الزنوج	المغول	القوقاسيون
اللغات	اللغات متقاربة فيها زوائد متشابهة قليلة الكلمات الموضوعة للمعاني المجرَّدة	بعضها مستقل غير متصرّف وتكثر فيها الكلمات التي من مقطع واحد وبعضها متقارب تكثر فيه الملحقات المتماثلة وبعضها مركَّب الكلمات وهي كثيرة الكلمات الموضوعة للمعاني المجرَّدة	اكثرها متصرف بملحقات تلحق اواخر الكلمات وتمتزج بها ولذلك فاكثر كلماتها مركبة ويسهل تحليلها وردها الى اصولها والكلمات الموضوعة فيها للمعاني المجرَّدة كثيرة لا نهاية لها
الاديان	تكثر فيها عبادة الطبيعة والموجودات والسحر	متعددة الآلهة وعبادة الارواح الاعتقاد بالاحلام والرؤى وفريق كبير بوذية	موحدة تعتقد بالوحي وعندها الكهنة او خدمة الدين . وفريق كبير برهمية

والفرع الزنجي يسكن افريقية من شرقيها الى غربيها ويمتد جنوباً الى اطرافها الجنوبية وشمالاً الى نحو الدرجة ٥ من العرض الشمالي . ويسكن ايضاً جزائر الاوقانوس كغينيا الجديدة وكيلدونيا الجديدة وفيجي . ويسكن بين الفرع الزنجي اقوام قصار القامة يسمون بالنيجريتو او الزنوج الصغار ولعلهم اقدم في البلاد التي هم فيها من الزنوج . ومنهم اقزام الكنغو وبشمن جنوبي افريقية وبعض سكان جزائر فيلبين وشبه جزيرة ملقا وجزائر اندمان وجزيرة غينيا الجديدة . ويخالفون غيرهم في كون رؤوسهم مسفطة اي ضيقة من الامام الى الوراء فضلاً عن قصرها

والفرع المغولي يسكن القسم الاكبر من نصف الكرة الشرقي ومنهُ كل سكان اميركا الاصليون . واشهر اقسامهِ اولاً التتار المغول الساكنون شمالي اسيا واواسطها واسيا الصغرى وبعض روسيا وشبه جزيرة البلقان . وثانياً سكان بلاد التبت وسكان الصين الاصلية واليابان والهند الصينية . وثالثاً سكان فنلندا ولابلندا وجبال اورال وشمالي سيبيريا وبلاد المجار . ورابعاً القسم الملقي ومنهُ سكان شبه جزيرة ملقا وجزائر السند ومدغسكر وجزائر فيلبين وفورموسا وزيلندا الجديدة وساموى وتهيتي وهواي . وخامساً كل هنود اميركا اما الاسكيمو والاينو فمن المغول لكنهم شاذُّون عنهم كثيراً

والفرع القوقاسي ويقال لهُ ايضاً فرع البحر المتوسط لانهُ استوطن اولاً سواحل البحر المتوسط في اسيا واوربا وافريقية انتشر حديثاً في اميركا الشمالية والجنوبية وجنوبي افريقية واستراليا واشهر اقسامهِ (١) الآريون سكان الهند وايران وارمينية وبر الاناطول واكثر

اوربا ويدخل تحتهُ الهنود والافغان والفرس واهالي بلوخستان والارمن واليونان والطليان والسلت التوتون والسلاف و(٢) الساميون سكان العراق وسورية وبلاد العرب وشمالي افريقية ومنهم السريان والعرب والفينيقيون والاحباش و(٣) الحاميون سكان شمالي افريقية وشرقيها ومنهم القبط والبربر والتوارك والبجاة والبشاري والدناكل والصومال و (٤) القوقاسيون الاصليون ومنهم الشراكسة والابكاسيون و (٥) الباسك سكان جبال برنيز الغربية



(ش ٣) (ش ٤)

وكما تكثر اللغات في بلاد بكثرة الفواصل بين سكانها وقلة وسائل المخالطة وتقل بنزع الفواصل منها وتقريب المواصلات كذلك تكثر الفروق بين طوائف الناس حتى يظهر انهم من فروع مختلفة ما داموا منفصلين بعضهم عن بعض وتقل حتى يصيروا كلهم كشعب واحد اذا كثر امتزاجهم بعضهم ببعض ولذلك فالشعوب كثيرة مختلفة في البلدان التي يقل امتزاج الناس فيها وقد كانت في العصور الغابرة اكثر مما هي الآن

وقد صنع الاستاذ منتغزا شجرتين لطوائف الناس اوضح في الواحدة منهما نسبة الفروع بعضها

الى بعض في سلَّم الارتقاء كما ترى في الشكل الثالث المرسوم في الصفحة السابقة وتظهر منهُ نسبة طوائف الناس بعضها الى بعض من حيث ارتقاء البنية فانهُ وضع النجريتو والبشمان والهوتنتوت والبابوان والزنوج في اسفل هذه الشجرة وجعلهم متفرعين من فرعين كبيرين وجعل الاستراليين والتسمانيين فرعاً آخر فوق فرع الزنوج. والاسكيمو والساموى واللاب والمجار والفن من فرع آخر قريب من فرع الاستراليين. وقسم اعلى الشجرة الى فرعين كبيرين في اوطإهما اليابانيون والصينيون والملقيون وهنود اميركا وفي اعلاهما الآريون والساميون والبولينيزيون سكان جزائر الباسيفيكي المشهورون باعتدال القامة وكمال الخلقة

ورسم في الشجرة الثانية طوائف الناس من حيث ارتقائهم العقلي كما ترى في الشكل الرابع ففرَّع منها فرعاً كبيراً وضع الاستراليين في اسفلهِ وفوقهم النجريتو فالزنوج فالكفرة والهوتنتوت فالبابوان فاللاب والاسكيمو فالساموى وفوقهُ فرع هنود اميركا ثم فرع الملقيين وفرع الصينيين واليابانيين وفي اعلاها فرع الآريين والساميين . وعليهِ فالساميون والآريون في اعلى شجرة نوع الانسان عقلاً وجسماً وتحتهم الصينيون واليابانيون والملقيون وهنود اميركا ثم تأتي بقية طوائف الناس تحت ذلك

وقد اجتزينا بهذا الفصل عن فصل الفراسة لدخولهِ في موضوعها وسنعود اليها في الجزء التالي

منزلة الشعر من التاريخ

توطئة

التاريخ شخص العمران المتجسم للعيان وراويتهُ البليغ اللسان يقصُّ علينا اخبار الماضين تبصرةً وذكرى للباقين وانموذج عبرة للمعتبرين يعرب عن اسباب البقاء ودواعي العفاء وبواعث الانحطاط والاعتلاء وكيف ضافر النجاح ذوي النبل حتى دانت لهم المناكب والهام ولماذا خذل المجدُ الزعانف حتى داستهم المناسم ووطأتهم الأقدام

والشعر أهرام التاريخ الناطقة بآثار الامم في حالتي الصولة والصغار وبرج المآثر الخالد مع الدهر خلود الليل والنهار يخطّطُ المعالم والمواطن تخطيط الجغرافي الحاذق ويذكر الشعوب والاقوام ذكر المؤرخ الخبير ويسلسل القبائل والعشائر نظير النسَّابة المدقق ويصف السجايا والطباع وصف الاخلاقيِّ الحكيم ويبسط اخبار الدول والممالك بسطاً يتعذَّر على الأثريِّ المحقق

ان يأتي بمثله فضلاً عن انهُ معجم اللغة الذي لا مراء في قوله ودستور قواعدها الذي لا رجوع في حكمهِ وشارعها المنصف الذي لا مردّ لما ارتضاهُ وقضى بهِ

ومن ينكر علينا ذلك ونحن لدى امعاننا النظر في قصائد الشعراء الجاهليين والمخضرمين ومن أخذ عنهم في صدر الاسلام تتمثل لنا عاداتهم واخلاقهم وآداب مجالسهم وصفات امرائهم ومنازلهم وملابسهم ومتاجرهم وحكمة رؤسائهم مما لا يبقى معهُ شك في تعيين مرتبة الامة العربية قبل الرسالة الاسلامية والاعتراف بسموّ مداركها ورغادة معيشتها كأننا واياها جاران في دار

واستنتاج ذلك على ضربين الاول : أن يُعمَد الى ديوان احد الشعراء فتفحص اياتهُ بنظرٍ دقيق وذهنٍ حافظ ويستخلص ما فيها من حكمة او وصف عادةٍ او ذكر موطن سواء كان هضبة او يفاعاً فيعلم من اخبار قوم ذاك الناظم واخبار سواهم بقدر ما جاء في شعرهِ . ثم يؤتى بديوان شاعر آخر فيلخص على هذا النحو ويكون لنا من ذلك ابحاث في مطالب شتَّى غير محكمة التبويب ولا منظمة التنسيق . والثاني : ان يُستكمل البحث على ما مرَّ بيانهُ ثم يوضع كل نوع من مطالب التاريخ في بابهِ الخاص ويقسم ذلك الباب الى ابحاث فتنجلي فصولهُ ككواكب زواهر في أوج العنان وربارب اوانس في منحنى الطرس لا في الخيف والبان . وهذا السبيل اوعر مسلكاً وابعد شقَّةً ولكنهُ من جودة الوضع وغزارة الفرائد بمكان . وها انا ذا اضع بين ايدي قرَّاء المقتطف هذه الرسالة متضمنة لمعة مقتطفة من اشعار الاقدمين مسندة الابيات الى اصحابها دفعاً لمحذور الريبة وقد جمعت بها لمحة من تاريخ العرب وعاداتهم واموالهم ومساكنهم وامثال هذه المباحث وقد سلكتُ في بعضها مسلك الجمع وهو الضرب الاول مما قرَّرتهُ وفي بعضها الآخر مسلك التبويب وهو الضرب الثاني رغبة في ان يكون تلوُّن طرق البحث ادعى الى مرضاة المطالعين فابتدئ بالضرب الاول (١)

(١) قصيدة لعبيد بن الابرص الاسدي

١ً القصيدة ٢ً اعتبار الالوان ٣ً شرب الخمرة ٤ً تحية الملوك ٥ً خرافة الهامة ٦ً نزوح العرب في مواطنها ٧ً موطن القبيلة الاصلي ٨ً كون الملك عند العرب وراثياً ٩ً مثل سهولة الانقياد ١٠ً عشائر اسد

١ يا عينُ ما فابكي بني اسدٍ فهم اهل الندامه

٢ اهل القباب الحمر والـ نَعَم المؤثَّل والمدامه (٢)

---

(١) هي طريقة المبرد في الكامل والعاملي في الكشكول

(٢) النعم الابل خاصة والمدامة الخمر

٣ حلاً أبيت اللعن حــ لاً ان ما في قلت آمه (٣)
٤ في كلّ وادٍ بين يثـ رب فالقصور الى اليمامه
٥ تطريب عانٍ او صيا ح محرّق او صوت هامه
٦ ومنعتهم نجداً فقد حلّوا على وجلٍ تهامه
٧ برمت بنو اسدٍ كما برمت ببيضتها النعامه
٨ مهما تركت تركت عفـ ـواً او قتلت فلا ملامه
٩ انت المليك عليهم وهم العبيدُ الى القيامه
١٠ ذلّوا لسطوتكم كما ذلّ الاشيقر ذو الخزامه

البيت الاول من هذه القصيدة يدلّ على ان بني اسدٍ اقدموا على معصية ندموا عليها وهي عصيان مليكهم كما يستدَلّ من البيت التاسع

وفي البيت الثاني صفة ما تتميز بهِ كرام العشائر من القباب والمال فنستدل منهُ ان اللون الاحمر خاصّ بالعظماء كما يؤيد ذلك قول ابي الطيب المتنبي

من الجآذر في زيّ الاعاريب حمر الحلى والمطايا والجلابيب (٤)

ولا بدع اذا اعتبروا اللون الاحمر ميزة لباس العظماء فانهم كانوا يعرفون الارجوان بدليل قول عمرو بن كلثوم التغلبي في معلقتهِ

كأنّ ثيابنا منا ومنهم خُضبن بارجوان او طُلينا

والارجوان لون ملكي اي انهُ خاصٌ بالملوك وكبار الامراء وهو احمر وعليهِ فقد اتخذ العظماء اللون الاحمر ميزة للباسهم ولكن لم يكن هذا شأن العرب قاطبةً فملوك بني غسان اعتبروا اللونين الابيض والاخضر افضل الالوان واتخذوهما ميزة لهم قال النابغة الذبياني

يصونون اجساداً قديماً نعيمها بخالصة الاردان (٥) خضر المناكب

واما الاعشى ميمون فانهُ يقول في صفة حبيبتهِ

صفر الوشاح وملء الدرع بهنكة اذا تأتى يكاد الخصر ينخزلُ (٦)

وقد اخذ بقولهِ علقمة الفحل حيث قال

(٣) غضاضة
(٤) الجآذر جمع جؤذر ولد البقرة الوحشية والجلابيب جمع جلباب وهو ضرب من الثياب
(٥) اي بيضاء الاردان
(٦) الوشاح والدرع ضربان من الملابس والبهنكة الممتلئة البدن

صفر الوشاحين ملء الدرع خرعبة كأنها رشأ بالبيت ملزوم (٧)

ويُستدَلُّ من هذا البيت ايضاً انهم كانوا يعتبرون النعم (اي الابل خاصةً) اشرف مقتنياتهم وان شرب المدامة دليل رغد العيش وبسطة الجاه وعزة الجانب ويؤكد ذلك قول امرىء القيس الكندي

حلّت لي الخمر وكنت امرأً عن شربها في شُغُلٍ شاغلِ
اليوم فاشرب غير مستحقبٍ اثماً من الله ولا واغلِ (٨)

وقال تأبط شرّاً

حلّت لي الخمر وكانت حراماً وبلأيٍ ما ألمّت تحلّ (٩)

وجاء في شرح البيت الثاني من قول عنترة العبسي في صفة سيد قومهِ وبطلهم

ومشكّ سابغة هتكتُ فروجها بالسيف عن حامي الحقيقة معلمِ (١٠)
ربذٍ يداهُ بالقداح اذا شتا هتّاك غايات التجار ملوّمِ

اراد بالتجار تجار الخمر ومفاد قولهِ هتاك غايات التجار ان لا يترك شيئاً من الخمر الأ اشتراهُ

وقال يزيد بن عمرو بن صعق

فنمتُ الليل اذ اوقعتُ فيهم قبائلَ عامرٍ وبني تميمِ
وساغ لي الشرابُ وكنتُ قبلاً اكادُ اغصُّ بالماء الحميمِ (١١)

وفي البيت الثالث (من قصيدة عبيد المتقدمة) وردت تحية يُستدَلّ من البيت التاسع انها احدى التحيات الواردة في مخاطبات الملوك. اقول احدى التحيات لا التحية الخاصة كما زعم البعض بدليل قول امية بن ابي الصلت في مخاطبة سيف بن ذي يزن تبّع حميَر

سلامٌ ايها الملك اليماني لقد غلب البعاد على التداني

وفي البيت الرابع عدّد اماكن من بلاد العرب يُفهم من قرائن الحال انها منازل قبيلتهِ وبالتالي نستنتج ان الملك الذي كان يخاطبهُ هذا الشاعر كان حكمهُ سائداً هنالك

وفي البيت الخامس ما نستدلُّ منهُ ان خرافة الهامة كانت شائعة عند العرب. وخرافة الهامة هي اعتقادهم انهُ اذا قُتل أحدهم فلم يُدرَك ثارهُ خرج من رأسهِ طائر كالبومة وهو الهامة

---

(٧) الخرعبة الجارية الدقيقة العظام الناعمة والرشأ الظبي
(٨) المستحقب المذخر والواغل الداخل على القوم في شرابهم
(٩) اللأي البطء والاحتباس
(١٠) السابغة الدرع وفروجها جيبها والمعلم ذو العلامة ادلالاً بشجاعتهِ (١١) البارد

فتصيح على قبرهِ اسقوني اسقوني فان قتل قاتلهُ كفت عن ذلك . قال ذو الاصبع العدواني

يا عمرو إلاَّ تدعْ شتمي ومنقصتي أضربْكَ حتى تقول الهامة اسقوني

ومن البيت السادس نستنتج ما يأتي (اولاً) ان لحجر قولاً مطاعاً في نجد كلها (ثانياً) ان العرب كانوا حينما ينالهم ضيم يغادرون منازلهم ويتحولون الى بلادٍ أُخرى وهذا مؤيد من قول النابغة الذبياني ايضاً حيث قال

فدع عنك قوماً لا عتاب عليهم همُ الحقوا عبساً بآل القعاقع

اي انهم اخرجوهم من ارضهم فألحقوهم بالقعاقع (ثالثاً) ان ملكهم الذي ارتحلوا من ارضهِ خالعين نير طاعتهِ كان شديد البأس نافذ الصولة حتى انهم كانوا بعد مغادرتهم ارضهُ واستظلالهم بحمى سواهُ في وجل من ان يوقع فيهم لكونهِ جباراً لا يبالي بسواهُ . او لانهُ كان بين ملوك العرب معاهدات ومواثيق فيتمكن الواحد منهم ان يقتصَّ ممن شقُّوا عصا طاعتهِ وان برحوا من ديارهم الاولى . وهذان الفرضان يصحَّان معاً او يصحُّ احدهما حينما نقوم الادلة على صحة الدعوى وسيأتي معنا في خلال البحث ما فيهِ الكفاية

والبيت السابع نحتجُّ بهِ على ان قبائل العرب المتبدية وان رحبت الارض بهم وهان عليهم الترحُّل والتنقل فان لهم منازل خاصة يحسبون الجلاء عنها اغتراباً فهم في ذلك كالحضريين من سكان المدن الذين ينزحون من قطر الى آخر ولا يزالون محافظين على الانتساب الى موطنٍ مخصوص وبالتالي نستنتج ان حب الوطن مغروس في قلوب الناس اجمع حتى في قلوب البدو الضاربين خيامهم كل يوم في بقعة من الارض ريثما ترعى مواشيهم كلاها وذلك يحقق ما جاء "ان حب الاوطان من الايمان"

ونستدلُّ من هذا البيت ايضاً على ان العرب كانوا يضربون مثل الملل والضجر بالنعامة الحاضنة بيضها

والبيت التاسع يدل على ان المُلك عندهم وراثي للملك ونسلالتهِ من بعدهِ ما لم تسلبهُ يدٌ غالبة كما يدل على اعتقاد قبيلة ذاك الشاعر بيوم القيامة وسنشبع الكلام في البحث الاخير في الفصل الذي نتكلم بهِ عن اديان العرب

والبيت العاشر ينتج منهُ ان الملك دوَّخ القبيلة فعادت الى طاعتهِ مستكينة صاغرة كما يستدل منهُ ان العرب كانوا يضربون مثل سهولة الانقياد بالاشيقر ذي الخزامة اي البعير كما قال العباس بن مرداس السلمي

لقد عظم البعيرُ بغير لبٍّ فلم يستغنِ بالعظم البعيرُ

يصرِّفهُ الصبيُّ بكلّ وجهٍ ويحبسهُ على الخسف الجرير (١٢)
وتضربهُ الوليدة بالمراوي فلا غِيَرٌ لديهِ ولا نكير (١٣)

فهذه الابيات العشرة على قلتها عدداً قد دلّت على امور عديدة من اخبار بني اسد منها تعيين حكامهم ونوعية ملكهم واماكن سكناهم ونزعات نفوسهم ومفاخرهم ومقتنياتهم وشرابهم وتحيات ملوكهم وامثالهم . وهذه الادلة اذا وزنّاها بميزان التبصر نجدها اثبت دلالة من الحروف الهيروغليفية على هياكل المصريين ومن الحروف الاسفينية التي حفظت اخبار الكلدانيين الاقدمين

واذا تتبعنا اقوال هذا الشاعر (عبيد بن الابرص) ناظم هذه القصيدة وامعنا النظر في علاقات الحوادث يمكننا ان نجزم ان بني اسد قبيلة ذات عشائر منها دودان وهي عشيرة هذا الشاعر لقولهِ

قومي بنو دودان اهل الحجى يوماً اذا القحت الحائلُ

وان ملكهم الذي شغبوا عليهِ كان حجر بن عمرو بن الحارث بن عمرو الكندي بدليل قولهِ

يا ذا المخوِّفنا بقتـ ـل ابيهِ اذلالاً وحينا (١٤)
ازعمت انك قد قتلـ ـتَ سراتنا كذباً ومينا (١٥)
هلاَّ على حجر ابن ام قطام تبكي لا علينا

الى ان يقول

هلاَّ سألت جموع كنـ ـدة يوم ولوا أين اينا

ومنها

وجموع غسّان الملو ك اتيتهم وقد انطوينا
ولقد ابحنا ما حميـ ـتَ ولا مبيح لما حمينا

فانا نستنتج من هذا ان المخوِّفهم ملك من كندة وانهُ ابن حجر المقتول . ولم يتهدد بني اسدٍ ملك من ملوك كندة ابوهُ يدعى حجراً الاَّ امرؤُ القيس . فامرؤُ القيس اذن هو خصيم عبيد . لا بل لنا من قول عبيد

تمنَّى مُرَيِّءُ القيس موتي وان أمُتْ فتلك طريق لستُ فيها بأوحدِ

قرار صريح بان خصم عبيد هو امرؤُ القيس لان مُرَيِّءَ القيس تصغير امري القيس للازدراء

واذا ثبت لنا ان خصيم عبيد هو امرؤُ القيس فقول عبيد " ازعمت انك قد قتلت سراتنا كذباً ومينا " جاء تفنيداً لقول امريء القيس

(١٢) الجرير الحبل (١٣) المراوي جمع مراوة وهي العصا الضخمة والغير جمع غيرة وهي النخوة والنكير الانكار
(١٤) الحين الهلاك (١٥) السراة السادة المين الكذب

قد قرَّت العينانِ من مالك ومن بني عمرٍو ومن كاهلِ
ومن بني غنم بن دودان اذ نقذف اعلاهم على السافلِ

ومالك وعمرو وكاهل وغنم بن دودان عشائر من اسدٍ . فمن هذين البيتين نعرف اسماء بعض عشائر اسدٍ معرفة لا وجه للشك بصحتها

امين ظاهر خير الله

احتفال برتلو وخطبتهُ



مضى خمسون سنة على العلاَّمة الاستاذ برتلو الكيماوي الفرنسوي المشهور منذ نشر اول تأليف علمي من تآليفهِ فاحتفل الفرنسويون بذلك احتفالاً باهرًا في مدرسة السوربون بباريس في الرابع والعشرين من شهر نوفمبر الماضي برئاسة المسيو لوبه رئيس الجمهورية الفرنسوية وكان معهُ وزراؤُهُ وسفراء الدول ونوَّاب الجمعيات العلمية الفرنسوية والاجنبية

ونادي السوربون يسع ثلاثة آلاف نفس فكان غاصًّا بجلة القوم الذين حضروا اكرامًا لشيخ الكيماويين الفرنسويين في هذا العصر وكان في النادي تماثيل اشهر رجال فرنسا الذين اعلوا مقامها العلمي بين ممالك الارض مثل روبرت ده سوربون منشئ مدرسة السوربون ورشليه وباسكال وده كارت ولافوازيه ورولين . وكان تماثيل اولئك العظام حضرت بدلاً منهم لتحيي من استحق بعلمهِ وعملهِ ان يقرن اسمهُ باسمائهم

وفتح الاحتفال بخطبة تلاها وزير المعارف عدّد فيها مآثر برتلو العلمية في ترقية شأن التعليم في فرنسا لانهُ لم يقتصر على المباحث العلمية بل التفت الى حال التعليم في المدارس الابتدائية والعالية . وتلاهُ المسيو دربو سكرتير اكادمية العلوم وعدّد الفوائد التي استفادها العلم بنوع عام من الاستاذ برتلو . ثم قام المسيو فوكه رئيس اكادمية الطب وكرر ما قالهُ المسيو دربو واعرب عن سرور الاكادمية ببلوغ واحد من اعضائها هذا المقام السامي في نظر العالم المتمدن وقال ان رجلاً مثلهُ شرفٌ لكل جماعة ينضمُّ اليها . وتلاهُ المسيو مواسان استاذ الكيمياء في السوربون وعدد مكتشفات برتلو في علم الكيمياء وقال انهُ بحث منذ سنة ١٨٥٥ في السكَّر بحثاً ادَّى الى تركيب الحامض الفورميك والالكحول وفتح باباً جديداً للكيماويين الذين كانوا يحسبون التحليل الكيماوي غاية ما يتوخونهُ فصاروا يرون التركيب الكيماوي من مطالب الكيمياء كالتحليل . وكان وهلر وليبغ قد نفيا وجود القوة الحيوية فخالفهما وفنَّد كثيراً من مزاعمهما وساعدهُ في ذلك صديقاهُ باستور وكلود برنار وكلٌّ منهم خلَّد اسمهُ في سجل العلم

وقام بعدهُ المسيو غاستون باري وتكلم عن علاقة الاستاذ برتلو بمدرسة فرنسا وقال انهُ دُعي سنة ١٨٥١ ليكون مساعداً فيها وذهب بعد ذلك الى مدرسة الصيدلة ثم اعيد الى مدرسة فرنسا وبقي فيها الى الآن رافضاً مناصب كثيرة اكثر ريعاً لهُ منها

وكان في المحفل نوَّاب من المانيا وانكلترا والنمسا وايطاليا واسبانيا فقام الاستاذ فشر الالماني استاذ الكيمياء في مدرسة برلين الجامعة وتكلم بالنيابة عن اكادمية بروسيا العلمية والجمعية الكيماوية الالمانية وتلاهُ الاستاذ غلادستون الانكليزي وقدم الاستاذ رمسي الاميركي فتلا خطبة مرسلة من الجمعية الملكية وتبعهُ الاستاذ رينلدز الانكليزي فتلا خطبة من الجمعية الكيماوية وبعد خطب أُخرى من هذا القبيل قام المسيو برتلو وفاه بالخطبة التالية قال

ان ما اراهُ من اكرامكم لي قد حرَّك عواطفي واوقعني في حيرة شديدة وانا عالم انكم لم تبدوا هذا الاكرام لمجرَّد حبكم لي بل قد راعيتم فيهِ سنيَّ واشتغالي الطويل بالعلم وبعض الخدم التي اتيح لي ان اخدم بها بلادي وابناء نوعي . وهذا الحب الذي اظهرتموهُ لي قد زاد النور والبهاء في سراج حياتي الذي يكاد ينطفئ في ظلمة الابدية . وما اكرام الناس للشيوخ سوى دليل على ارتباط ابناء الزمان الحاضر بالذين سبقوهم وبالذين يأتون بعدهم . وما نحن سوى نتيجة لازمة عمَّا كانهُ اسلافنا فلهم نحن مديونون بكل ما لنا وان استطاع احد منا ان يزيد شيئاً في ابواب العلم او الصناعة او الآداب فما ذلك الأ لان كثيرين قد اشتغلوا قبلهُ وكدُّوا وجدوا واشتغال اسلافنا بالعلم هو الذي تكرمونهُ الآن . وعلى كلٍّ منا ان ينسب جانباً كبيراً

من مجاهدٍ الى العلماء المعاصرين لهُ المشتغلين مثلهُ . وما من احد يستطيع ان يدَّعي انهُ اكتشف وحدهُ شيئاً من المكتشفات الكبيرة التي تمَّت في القرن الماضي وما علمنا سوى مجموع ما وضعهُ كثيرون من المشتغلين بهِ مدة العصور الحاضرة والغابرة وقد خلفت الامم بعضها بعضاً وهي ساعية سعياً واحداً في كشف الحقائق واستخدامها في ما ينفع نوع الانسان و يرقيهِ من درجة الى اعلى منها

كان الناس قبلاً يحسبون العلماء رجالاً عائشين على نفقة غيرهم يبحثون في العلم ليسلُّوا بهِ العظماء واهل السيادة . لكن هذا الحكم الجائر الذي يبخس رجال العلم حقهم ويحط من قدر اهتمامهم بالبحث عن الحقائق العلمية قد زال الآن لما ثبت ان حقائق العلم يمكن استخدامها في ترقية الصنائع والاعمال وان العلم يبدل القواعد القديمة المبنية على الحدس والتخمين بقواعد جديدة نافعة مبنية على الملاحظة والامتحان . ومن يجسر الآن ان يصف العلم بانهُ بحث عقيم لا فائدة منهُ وهو يرى فوائدهُ الجمة في زيادة ثروة الامة . واذا قصرنا النظر على ما يمكن ان يعد في المنزلة العليا من فوائد العلم كفانا ان نقابل الحالة السيئة التي كان فيها عامة الناس على ما يعلم من التاريخ بحالتهم في العصر الحاضر وما يرجى من زيادة الاصلاح في المستقبل مما لا يرتاب فيهِ احد . العلم يصلح العالم . ولقد رأى رجال السياسة فوائدهُ المحسوسة فجعلوا ينشئون المعامل العلمية وينفقون عليها لانهم وجدوا منها ربحاً للبلاد يفوق نفقاتها اضعافاً كثيرة. وللعلم حقوق اعظم من هذه فانهُ يدَّعي ودعواهُ حق انهُ هدًى للناس في الامور المادية والعقلية والادبية . وتحت رايتهِ يسير العمران سيراً ذميلاً

ولقد غيَّر العلم وجه المسكونة منذ نصف قرن الى الآن فان الناس الذين من عمري رأَوا شيئاً مخالفاً للطبيعة ان لم يكن مضاداً لها وهو اسمى منها بما لا يقدَّر رأوهُ يتكامل امامهم ورأَوا قوة الفرد تتضاعف بهِ مئة ضعف بتحويل النور والكهربائية والمغنطيسية . ولم يقف الارتقاء عند هذا الحد بل ان زيادة التعمُّق في معرفة الكون وبناء الانسان جسداً وعقلاً دعت الى اعتبار نوع الانسان بصورة جديدة مبنية على الالتحام التام بين كل طوائفهِ . وكما تكثر روابط الناس ويزيد التحامها بتقدُّم العلم وبتوحيد القوانين التي يستخرجها العلم مما يجري في الكون ويفرضها على الناس كلهم فرضاً واجباً من غير عنف كذلك تكثر هذه الفوائد وتزيد اهميتها حتى لا يبقى مناص منها وستكون اساس الآداب والسياسات ولذلك صار للعلماء شأن كبير بين رجال السياسة ايضاً

لكن واجباتنا لغيرنا تزيد بزيادة اهميتنا وهذا يجب ان نتذكرهُ دائماً ولا ننساهُ واحترام الناس للعلماء لا يُقصَد بهِ تبجيلهم وارضاؤهم كلاَّ بل يقصد بهِ الاعتراف بانهم خدموا ابناء

نوعهم غير منتظرين اجرًا ولا شكورًا — خدموا ابناء نوعهم باصلاح احوالهم وتقليل متاعبهم فاستفاد منهم الجميع الاغنياء والفقراء . ولهذا السبب اتفقت الحكومة والامة منذ تسع سنوات على اكرام باستور في هذا النادي . وهذا عين ما كتب على الوسام الذي يريد رئيس الجمهورية ان يقدمهُ لي . ولا اعلم هل قمتُ بما كتبهُ النقاش عليهِ ولكنني اعلم انني بذلت جهدي دائمًا لاقوم بهِ . انتهى

قال مكاتب التيمس وكان لهذه الخطبة وقع عظيم في نفوس السامعين ولا سيما للقسم الاخير منها فصفقوا للخطيب طويلاً ودنا رئيس الجمهورية منهُ وعانقهُ ثم قلدهُ الوسام المشار اليهِ آنفًا

فائدتان طبيتان

الاولى استخراج الكحول من جسم الانسان

ذكرت في مقالتي السابقة ملخص الخطاب الذي القاهُ الاستاذ شانتميس في القسم العملي من المدرسة الطبية عن الطريقة الجديدة في علاج الحمى التيفوئدية

واليوم القى الاستاذ ديلافوى مدرس الباثولوجيا خطابهُ الاول في مستشفى اوتيل لافتتاح السنة المدرسية ولما كان موضوع هذا الخطاب يهمُّ القراء بوجه العموم لما فيهِ من الفوائد الممزوجة ببعض الفكاهة رأيتُ ان اوافيهم بملخص ما قالهُ

لما انتظم عقد المجلس اقبل الاستاذ وبرفقتهِ واحد من خدم المستشفى وجلس على كرسيهِ ووقف الخادم الى جانبهِ فعجبنا للامر وصرنا نتساءل عن شأن خادم المستشفى في مثل هذا المقام وكان الاستاذ ديلافوى ينظر الينا متبسمًا كأنهُ عالم بما يدور في خلدنا . وبعد هنيهة دخل القاعة نفر من الممرضين يحملون سريرًا من خشب عليهِ مريضةٌ فوضعوا السرير الى جانبهِ وانصرفوا واذ ذاك قال

اراكم ايها السادة تنظرون بعين العجب طورًا اليَّ وطورًا الى هذا الخادم الواقف الى جانبي وكأني اسمعكم تتساءلون ما شأن هذا الخادم في مثل هذا المحفل فاعلموا ان هذا الرجل ليس لهُ شأنٌ في موضوع خطابي لأن الموضوع محصور في تدرن الاعور المزمن (الاعور اول المعا الغليظ) وطرق تشخيصهِ وعلاجهِ الجراحي الشافي كما ستسمعون

وانما اتيتكم بهذا الخادم لاطلعكم على مشاهدة طبية غريبة في ذاتها فارجو ان تعتبروا هذه المشاهدة او هذا الخادم بالنسبة الى موضوع الخطاب كمجلبات القابلية من المآكل التي تقدم في بدء مناولة الطعام او بعبارة اخرى « كالموردوفر » (استحسان)

دخل هذا الرجل المستشفى منذ عدة شهور لا للخدمة فيهِ كما هي وظيفتهُ الآن ولكن للاستشفاء من داء الديابيطس او البول السكري الذي لا يزال بهِ حتى الآن . وانتم تعلمون انهُ لا سبيل الى ابقاء كل المرضى المصابين بعللٍ مزمنة كالديابيطس في المستشفيات لأن ليس لمثل هذه الامراض مدة معلومة بل هي ترافق اصحابها طول حياتهم ولو ابقينا مثل هؤلاء المرضى في المستشفيات الى اجلٍ غير مسمّى لضاقت بهم قاعاتها ولتعذر علينا مداواة الامراض الاخرى الحادة التي هي احوج من المزمنة الى الالتفات . واني لم ابقِ هذا المريض في المستشفى حتى الآن الا لانهُ يفيد المستشفى اكثر مما يحملّهُ من النفقة ليس فقط لانهُ يخدم فيهِ كباقي الخدم ولكن لمزية اخرى ستعلمونها

عرفتم الآن ان هذا الرجل مصاب بالداء السكري ولكن ما عرفتم غير شيءٍ واحد وغابت عنكم اشياء . اتعلمون كم ياكل هذا الرجل في الاربعة والعشرين ساعة وكم يشرب وكم يبول وكم يفرز من السكر ؟ كلاَّ اعلموا ان هذا الرجل بل هذا الغول يأكل ويشرب ويبول كستة رجال تماماً فاذا كان الطعام بيضاً ياكل كل مريض بيضتين وهو ياكل اثنتي عشرة بيضة وهيهات ان يكتفي بذلك واذا كان الطعام لحماً اكل كل مريض ماية واربعين غراماً اما هو فيأكل الف جرام الى غير ذلك من المآكل والنسبة واحدة . واذا شرب كل مريض لترين من الماء في الاربع والعشرين ساعة يشرب هو اثني عشر لتراً . وهو لحسن الحظ يكتفي بالماء لارواء غليلهِ ولا يطمع بشرب النبيذ ولولا ذلك لضاق ذرع الحكومة دون اروائهِ (استحسان)

انتم تعلمون مثلي ان غاية ما يفرزهُ المصاب بالديابيطس من السكر في اليوم عشرون غراماً او ستون او ثمانون او مئة او مئتان وقلما نسمع باكثر من ذلك وهذا الرجل يفرز من السكر في الاربعة والعشرين ساعة الفاً وسبعة وسبعين جراماً . وعند ما تشتد عليهِ وطأة المرض يفرز احياناً الفاً وثلثمائة غرام في اليوم فهو والحالة هذه اشبه شيءٍ بفبريقة

سكر (استحسان)

وبينا انا ذات يوم افكرّ في امر هذا المريض ذكرتُ قول العالم الكيماوي كلوت برنار ان ألانسان يشبه النبات في افراز السكر متى اصابهُ الديابيطس فقلت في نفسي انهُ يمكننا ان نستفيد من سكر النبات باستخراجنا الكحول منهُ فلماذا لا نفعل ذلك بالبول السكري ولا سيما ببول صاحبنا وهو مزيج من الماء والسكر (ضحك واستحسان) ولم يكد هذا الفكر يلوح لي حتى استدعيت صيدلاني المستشفى وكلفتهُ ان يجمع البول الذي يبولهُ هذا المريض في الاربع والعشرين ساعة و يعالجهُ ويستخرج منهُ ما يمكن استخراجهُ من الكحول ففعل وكانت كمية الكحول الذي استقطرهُ من بول اربع وعشرين ساعة اربعماية غرام وهو من احسن انواع الكحول المعروفة حتى الآن طيب الرائحة جيد الطعم (ضحك واستحسان) ولما رأى الصيدلاني ان ثمن هذا الكحول يربو على نفقة استخراجهِ وان في ذلك فائدة للمستشفى تقوم مقام ما تنفقهُ الحكومة على هذا المريض داوم على جمع البول واستخراج الكحول منهُ وما زال يفعل ذلك وسيظل يفعلهُ ما دام هذا المعمل في المستشفى . وقد اتيتكم بار بعمئة جرام من هذا الكحول النقي وذلك ما استقطرهُ الصيدلاني من بول امس فخذوا الزجاجة وشموا رائحة هذا الكحول النقي وذوقوهُ فهو حلو المذاق والذ من الكنياك والروم اللذين تشربونهما مع القهوة (ضحك واستحسان) . قال الاستاذ ذلك وادار علينا تلك الراح فشممناها وذقناها فالفيناها تزري بالخندريس المعتقة . وبينا نحن ندير الكاس نظر الاستاذ الى الخادم وقال لهُ دعهم الآن يكرعون من مستقطر خمرك واذهب انت الى المطبخ فاني اراك خائر القوى لانك لم تاكل منذ نصف ساعة « تصفيق »

الثانية احدث الطرق واصحها لتشخيص التدرن

ولما انصرف الخادم وانتهينا من « الهور دوفر » شرع الاستاذ في الكلام على موضوع خطابهِ الاساسي وهو تدرن الاعور المزمن وكيفية تشخيصهِ وعلاجهِ فقال

ان تدرن الاعور المزمن الذي نحن في صددهِ لا يشبه في شيء التقرحات الدرنية المعوية التي تعتري المرضى في اواخر السل الرئوي فان هذه التقرحات تصيب في الغالب المعى الدقيق وتكون ثانوية لتدرنٍ آخر مزمن في الجسم كالسل الرئوي او تدرن العظام

الى غير ذلك ولذا فهي لا تصيب الاَّ الذين انهكهم داء التدرن وهي متى ظهرت تنذر بدنو الاجل. ولها اعراض خصوصية تميزها عن بقية الامراض المعوية واهم هذه الاعراض النزف المعوي او الاسهال النزفي (ميلينا) . اما تدرُّن الاعور المزمن فليس في شيء من ذلك فان هذه العلة تكون في الغالب اولية لا ثانوية اي ان التدرن يظهر في الاعور مباشرةً قبل ظهورهِ في موضع آخر من الجسم . ولذا كان تشخيصها من اصعب الامور قبل ظهور الطريقة الحديثة التي وجدها الدكتور ارلوان وسأتكلم عنها . فالمصابون بهذا الداء لا يرى غالباً في حالتهم الصحية العمومية ما يشير الى التدرن او يوجه النظر اليهِ اذ ليس في رئاتهم او عظامهم او مفاصلهم او قسم آخر من ابدانهم اعراض تدرنية وهم لا يشكون في بدء ظهور العلة سوى المٍ في البطن عموماً وفي حفرة الحوض اليمنى خصوصاً واسهال يكون في الغالب بسيطاً ويندر ان يكون مصحوباً بنزيف (ميلينا) هذا ما يشكو منهُ المصاب بتدرن الاعور المزمن وانتم تعلمون مثلي ان هذه الاعراض لا تكفي مطلقاً لتشخيص المرض . واذا فحصنا الموضع المؤلم الذي يشير اليهِ المريض اعني الحفرة اليمنى من الحوض ماذا نجد او بماذا نشعر ؟ اننا بمجرد النظر الى ذلك الموضع لا نرى في الغالب ادنى اشارة تدل على ان هناك علة قتالة مستترة تحت جدران البطن فلا ورم ظاهر ولا احمرار ولا ارتشاح ولا احتقان في الاوردة واذا جسسنا الموضع المؤلم نشعر بورمٍ صغيرٍ قلما يتجاوز حجمهُ التفاحة هذا كل ما نشعر بهِ وهو لا يكفي ايضاً لتشخيص العلة وغاية ما يمكننا الحكم بهِ بعد الجس المستطيل ان هنالك ورماً ونقف عند هذا الحد دون ان نقوى على الحكم بما هي طبيعة ذلك الورم وما هي الطرق التي يمكننا اتخاذها لعلاجهِ ولذا بقيت هذه العلة زمناً طويلاً مبهمةً علينا يموت بها كثير من المرضى ونحن نقول اذا سئلنا عن سبب الموت كان هنالك ورم ونصاب بالخرس بعد نطق هذه الكلمات الثلاث . وكنا لا نهتدي الى حقيقة العلة وسبب الموت الاَّ بعد التشريح الرمي وكان ذلك عاراً علينا وعلى الطب . ولولا تقدم الجراحة من جهة واكتشاف طريقة ارلوان من جهة اخرى لبقينا الى ما شاء الله نؤجل الى بعد الوفاة تشخيص العلة التي نحن في صددها . وقد سبقنا الجرَّاحون الى التشخيص قبل الوفاة لمَّا اقدموا في هذه السنين الاخيرة على عملية فتح البطن اقداماً

لم يكن في الحسبان . فكنا اذا فحصنا مريضاً وشعرنا بورم في حفرة حوضهِ اليمنى وتعذر علينا الحكم بما هي طبيعة ذلك الورم نسلم المريض الى الجراحين مستسلمين ونقول لهم ربما كان الورم سرطاناً او ربما كان تدرناً مزمناً اذ ليس لدينا من الاعراض ما يساعد على البت في الحكم . وكان الجراحون ينظرون الينا بعين التهكُّم و بعد ان يفتحوا البطن ويروا الورم بعيونهم ويلمسوهُ باصابعهم ويقطعوهُ بمشارطهم ثم يبحثوا بحثاً مكروسكوبياً ويتحققوا طبيعتهُ يشمخون علينا بانوفهم ويقولون كنتم في ضلالٍ فارشدناكم وعلمناكم ما كنتم تجهلون . على اننا وان كنا نسلم بمهارة الجراحين واقدامهم على فتح البطن وبالنتائج الحسنة التي اتت بها الجراحة في عصرنا هذا لا يسعنا الاَّ ان ننكر على الجراحين المعجزة التي يدَّعونها في تشخيص الورم بعد فتح البطن . فليست المعجزة ان يشخص الورم وهو تحت الميكروسكوب ولكن المعجزة ان يشخَّص وهو في بطن المريض قبل شقهِ . وهي الغاية التي طالما صبت اليها نفسي واجهدت للوصول اليها كل قواي العقلية . وما زلتُ ابحث في الاعراض الموضعية والعمومية المميزة لكل ورم من اورام حفرة الحوض اليمنى وما زلت اترقب الفرص لاثبت للجراحين ان اجهاد القوى العقلية يغني احياناً عن المشرط في صحة التشخيص حتى دخلت المستشفى هذه المريضة التي ترونها امامكم مضطجعة في سريرها باسمة الثغر موردة الوجنتين وليس في هيئتها العمومية ما يدل على انهُ بتر من معاها الغليظ ما طولهُ اثنان وعشرون سنتمتراً منذ اسبوعين

دخلت هذه المريضة المستشفى منذ عشرين يوماً وقبل ان افحصها سألتها ان تشرح لي عن العلة التي ساقتها الى المستشفى واليكم ما قالتهُ لي

« انني مصابة منذ ستة عشر شهراً بعرضين موءلمين لم يقف بعد طبيبٌ على حقيقة سببهما فمن قائل انني مصابة باسهال مزمن ومن مدَّعٍ بان بي داء السرطان ومن مشخصٍ ان دائي عصبي حتى ان بعض الاطباء قال لي ان مرضي وهمي لا حقيقة لهُ . وكم جرعوني ادويةً ودهنوني بمراهم وعالجوني بحراريق ولُبخ والعرضان اللذان بي هما هما . ولما عيل صبري واعيتني الحيل وانفقت في تطبيب علتي كلما كنت املكهُ من حطام الدنيا اتيت هذا المستشفى لعلي انال فيهِ الشفاء على يدكم . اما العرضان الموءلمان اللذان اتوجع

ليلاً ونهاراً منهما فاحدهما الم في البطن عموماً وفي القسم الاسفل الايمن منهُ خصوصاً وثانيهما اسهال صيَّر عيشتي مرة حتى كرهت حياتي فاني اخرج الى بيت الراحة لا اقل من ست مرار او سبع في الاربع والعشرين ساعة اما الالم فيتراوح حيناً فحيناً بين اللين والشدة ولكن عند ما تشتد عليَّ وطأتهُ اشعر كأن احشائي تتقطع وان جسماً غريباً في بطني يحاول الخروج وذلك اشبه شيءٍ بألم الطلق وقت الولادة . هذه هي علتي التي قصدتكم لاجلها راجيةً ان تشفوني منها »

ثم نظر الاستاذ الى المريضة وقال لها . اليس هذا عين ما قلتهِ لي يوم وصولك المستشفى فاجابت نعم واعادت علينا كل ما قالهُ الاستاذ عن لسانها . فسألها الاستاذ قائلاً : والآن كيف حالك قالت « انني الآن على غاية من الصحة حمداً لله وشكراً لكم ومن بعد ما شققتم بطني لم اعد اشعر بالمٍ وفارقني الاسهال والان لم اعد انتظر شيئاً سوى ساعة خروجي من المستشفى »

واذ ذاك استدعى الاستاذ الخدم فأعادوا المريضة الى غرفتها ثم استطرد خطابهُ فقال : — ولما انتهت المريضة من شرح حالتها فحصتها فحصاً مدققاً فوجدتها صحيحة الجسم ولم ارَ علةً في عضوٍ من اعضائها الرئيسية ما خلا الامعاء لانها كانت ولا شك مقر العلة والدليل على ذلك الم البطن والاسهال . ولما اشارت الى ان معظم الألم في حفرة الحوض اليمنى تحوَّلت كل انظاري الى الاعور وقلت في نفسي لا ريب انهُ هو المصاب او ان العلة بجوارهِ . فلما تأملت ذلك الموضع لم ارَ فيهِ عرضاً خارجياً يهدينا السراط القويم فلون الجلد طبيعي ولا ورم هناك ولا احتقان في الاوردة ولكن لما جسست الموضع شعرت بورمٍ مستطيل املس ليس فيهِ تحدُّبات يشبه شكلهُ شكل كمثراة قسمها الضخم متجه الى الاسفل . ولما جسست هذا الورم بيديَّ شعرت بانهُ يمكن تحريكهُ أُفقياً من اليمين الى الشمال ولا يمكن تحريكهُ من الامام الى الخلف او من أسفل الى اعلى او بالعكس الاَّ تحريكاً خفيفاً جداً يكاد لا يشعر بهِ . فلم احتج الى اكثر من ذلك ونفي امكان هبوط الكلية اليمنى من مكانها الى حفرة الحوض اليمنى كما يمكن حصول ذلك ولو نادراً وكونها « الكلية » هي الورم الذي اشعر بهِ في تلك الحفرة فانتم

تعلمون مثلي ان الكلية في مثل هذه الحال يمكن تحريكها الى كل الجهات حركةً واسعة النطاق خصوصاً من اسفل الى أعلى

وقدَم عهد المرض جعلني ايضاً انفي نفياً باتاً كون الورم نتيجة التهاب حادّ في الاعور او الانسجة المحيطة بهِ لأن هذا المرض لا يمكن ان يستطيل الى هذا الحد من جهة ومن جهة أُخرى لا يمكن حصولهُ دون ان يحدث اعراضاً عمومية وموضعية مميزة لهُ

بقي اذاً التشخيص محصوراً بين تدرُّن الاعور المزمن وبين ورم من الاورام كالسرطان مثلاً . فما هي الاعراض المميزة لسرطان الاعور وهل بعض تلك الاعراض موجود هنا . اذا كان الورم سرطاناً نشعر غالباً اذا جسسناهُ بان سطحهُ غير املس بل ان فيهِ تحدبات وتعاريج مميزة ولكن قولنا غالباً دليل على ان ورم السرطان يكون احياناً املس كورم التدرن المزمن فلا يكننا والحالة هذه الاعتماد على هذا العرض لبت الحكم في التشخيص طالما ان ملوسة الورم كما هي حالتهُ في المريضة لا تنفي السرطان وعدمها لا يثبتهُ

ومن اعراض السرطان المميزة النزف المعوي الذي يدل عليهِ سواد الغائط « ميلينا » وهذا العرض وان كان يحدث في الغالب من تقرح السرطان قد يجوز ان لا يحدث لا سيما في بدء المرض او ان يكون النزف طفيفاً يفوت المريض والطبيب . فضلاً عن ان هذا العرض قد شوهد احياناً في بعض حوادث من تدرن الاعور المزمن فعدم حدوثهِ عند مريضتنا لا يثبت كونها مصابة بتدرُّن مزمن في الاعور كما انهُ لو حدث لا يثبت اثباتاً قطعياً ان العلة هي السرطان فلا يسعنا اذاً الاكتفاء بهِ لفصل الخطاب في التشخيص

وللسرطان علامة أخري تصحبهُ دائماً وهي احتقان الغدد اللمفاوية عند الحالبين والحفرة الترقوية فهذه العلامة غير موجودة في مريضتنا ولكن ذلك لا يثبت تدرن الاعور المزمن وينفي السرطان لان احتقان الغدد اللمفاوية قد شوهد ايضاً في تدرُّن الاعور المزمن فهذا ايضاً عرض لا يعوَّل عليهِ في التشخيص . فترون مما تقدم ان كل الاعراض الموضعية المنسوبة الى السرطان قد يوجد كلها او بعضها في تدرُّن الاعور المزمن

وانَّنا اذا اعتمدنا عليها لبت الحكم في التشخيص نركب متن الشطط . فلم يبقَ لنا والحالة هذه للتمييز بين المرضين سوى النظر الى حالة المريضة العمومية وقد شاهدتم الآن المريضة باعينكم ورأيتم انها باسمة الثغر موردة الخدين وان جسمها اقرب الى السمن منهُ الى الهزال وان ليس في هيئتها العمومية ما يدل على الضعف وهكذا كانت يوم دخولها المستشفى بعد ان قضت ثمانية عشر شهراً تقاسي الآلام من مرضها . فحالتها العمومية هذه وحدها كافية لنفي السرطان نفياً يكاد يكون قطعياً واثبات تدرُّن الاعور المزمن لان السرطان لا يبقي جسم صاحبهِ ثمانية عشر شهراً دون ان يلحق بهِ الهزال واللون الشاحب الليموني إن هو لم يمضِ بهِ الى الآخرة . وذلك بخلاف تدرن الاعور المزمن فان هذه العلة تبقى زمناً طويلاً في جسم صاحبها دون ان يلحقهُ شيء من الشحوب او الهزال والسبب في ذلك كما ذكرت لكم ان هذه العلة تكون في الغالب اوليَّة اي ان التدرن يظهر مباشرةً في الاعور قبل ظهورهِ في الرئتين اوعضو آخر ويبقى الداء زمناً طويلاً محصوراً في ذلك القسم من المعى قبل ان ينتشر في الجسم ويسبب الهزال

ثبت لكم اذاً ان حالة المريض العمومية هي من اهم الامور التي يلزم توجيه النظر اليها فهي التي تهديكم سواء السبيل غير انكم لسوء الحظ لا يمكنكم الرجوع اليها والتعويل عليها في فصل السرطان عن تدرُّن الاعور المزمن الاَّ اذا ازمن المرض ولكن هبوا ان المرض لا يزال في اول عهدهِ وانهُ ان كان سرطاناً او تدرُّناً مزمناً لم يلحق بعد بالمريض هزالاً او شحوباً فلأي عرضٍ ترجعون اوعلى ايَّة علامة مميزة تعولون في فصل الخطاب . هذه هي العقدة التي ظل حلها مستحيلاً علينا حتى اكتشف الدكتور ارلوان طريقتهُ الحديثة في تشخيص علَّة التدرن اين كانت في الجسم ومهما كانت محصورةً وحديثة العهد . واليكم بيان ذلك

بقي الدكتور ارلوان زمناً طويلاً يجاهد في البحث والتجارب حتى تمكن اخيراً من الحصول على مستنبت سائلٍ صرفٍ متناسبٍ من مكروبات كوخ وتحقق بالادلة الدامغة والبراهين القاطعة ان هذا المستنبت تتغير حالتهُ تغيراً بيناً واضحاً اذا اضيف اليهِ بعض قطرات من مصل دم المصابين بالتدرُّن اياً كان مركز ذلك التدرن من الجسم ومهما

كانت حالتهُ من حيث حداثة عهدهِ او قدمهُ وانحصارهُ في نقطةٍ صغيرةٍ من الجسم او انتشارهُ فيهِ كلهِ . وبيان ذلك انَّا اذا وضعنا في انبوبة من زجاج جانباً من هذا المستنبت خمسة غرامات مثلاً ونظرنا الى هذا السائل وجدناهُ شفافاً وليس فيهِ شيء من الكدر ثم اذا اضفنا الى هذا القدر من المستنبت قطرةً واحدةً من مصل دم مريض بهِ تدرنٌ وعدنا بعد مضي ساعتين او ثلاث فنظرنا الى المستنبت رأينا تحت سطح السائل كتلاً صغيرة جداً بيضاء اللون واذا راقبنا هذه الكتل نراها تتكاثف رويداً رويداً وتتضخم شيئاً فشيئاً حتى اذا زاد ثقلها النوعي عن ثقل السائل رسبت في قعر الانبوبة . والسبب في تكوين هذه الكتل هو ان ميكروبات كوخ التي كانت اولاً منتشرة في المستنبت السائل انتشاراً متساوياً نسبياً لا تلبث ان تتجاذب بعضها الى بعض ومن تكاثفها وانضمامها تتكون في سائل المستنبت تلك الكتل البيضاء . والدليل على ذلك انا اذا بحثنا بالمكرسكوب في قطرة من مستنبت ارلوان قبل اضافة مصل دم المتدرنين اليهِ وجدنا ميكروبات كوخ منتشرة فيهِ انتشاراً نسبياً متساوياً واذا بحثنا في قطرة من ذلك المستنبت بعد اضافة المصل اليهِ وجدنا ان الميكروبات قد تجاذبت وتجمعت وألَّفت بقعاً وما بقي من السائل اصبح خالياً منها

فترون جميعكم ما لاكتشاف ارلوان هذا من الاهمية ليس فقط لتشخيص العلة التي نحن في صددها عند اول ظهورها اذ يتعذَّر فصلها بتاتاً عن سرطان الاعور بل لتشخيص كل تدرنٍ في بدء ظهورهِ سواء كان السل الرئوي او تدرن المفاصل او العظام او الغدد اللمفاوية الى غير ذلك من الانواع التي تعرفونها . فكلما اشكل عليكم الامر وتعذر عليكم الحكم في ما اذا كان المريض مصاباً بالتدرن او مرض اخر فما عليكم الاَّ الاستعانة بطريقة ارلوان هذه لفصل الخطاب فهي طريقة علمية حقيقية اثبتتها التجارب وهي الطريقة التي رجعت اليها وعولت عليها في بت الحكم نهائياً بان المريضة التي رأيتموها هنا كانت مصابة بتدرن الاعور المزمن وليس بالسرطان . فلما اخذت من مصل دمها ومزجت مستنبت ارلوان ببعض قطرات منهُ وتحققت ظهور الكتل البيضاء الصغيرة في السائل لم يبقَ عندي ادنى ريبٍ في ان الورم الذي شعرت بهِ في حفرة الحوض اليمنى كان ورماً درنياً

وهنالك طريقة اخرى يستعين بها بعض الاطباء المعرفة ما اذا كان في جسم المريض تدرُّن اولا وهي ان يحقن بسائل التوبيركولين tuberculine فان كان مصاباً بالتدرن يحصل فيهِ ردُّ فعلٍ شديد ويصاب بالحمى ولا يظن فيهِ شيءٌ من ذلك ان كان جسمهُ خالياً من الدرن . على اني لا ارغب في استعمال هذه الطريقة ولا اشير عليكم باستعمالها لانها احياناً كثيرة تضر بالمرضى ضرراً شديداً اذ شوهد ان بعض المصابين بتدرنٍ بطيء السير ومحصور في قسم صغير من اجسامهم متى حقنوا بالتوبيركولين يستحيل فيهم الداء من مزمنٍ الى حادٍ ومن بطيء السير الى مستعجلهِ وقد ينتشر التدرُّن في كل اجسامهم فلا يلبثون ان يموتوا بسلٍ رئويٍ شديد الوطأة سريع السير . فهي والحالة هذه طريقة تربو اضرارها على فوائدها واجدر بنا تركها جانباً لاسيما وان لدينا الآن طريقة ارلوان التي تأتي بنفس الفائدة وليس من استعمالها اقل خطر على حياة المريض

وبعد ان بتت الحكم نهائياً بان المريضة مصابة بتدرُّن مزمنٍ في الاعور نصحت لها بعملية شق البطن واستئصال الورم فعملت بنصيحتي بلا تردد وفي الغد شقَّ جراح المستشفى بطنها واستأصل قسم المعى المصاب بالتدرن فبلغ طولهُ اثنين وعشرين سنتمترًا منها سنتمتران من المعاء الدقيق عند اتصالهِ بالغليظ وما بقي اي العشرون سنتمترًا من القولون الصاعد كلهِ بما فيهِ الاعور طبعاً وقسماً صغيراً من القلون المستعرض

وقد بحثنا في الورم بعد استئصالهِ فوجدناهُ محاطاً بطبقة سميكة جدًّا من نسيج دهني ليفي ووجدنا في جدران الامعاء لا سيا في جدران الاعور قروحاً درنية احدثت صلابةً وسماكة في الاغشية المعوية وضيقاً في تجويف المعى ولما بحثنا تحت المكروسكوب في جزء من الاغشية المتقرحة وجدنا فيهِ عدداً لا يحصى من ميكروبات كوخ

ولم تمضِ ثلاثة ايام على العملية حتى عادت للمريضة قابليتها للاكل وزالت منها الآلام وانقطع الاسهال وما زالت حالتها متحسنة شيئاً فشيئاً حتى اصبحت كما رأيتموها الآن على صحةٍ جيدة لا تنتظر سوى ساعة خروجها من المستشفى انتهى

باريس الدكتور ابرهيم شدودي

عروسة النيل [1]

الفصل الاول

دانت مصر لجيوش المسلمين وخضع اهلها لفئة قليلة من الغزاة الفاتحين اتوها والبسالة شعارهم وحب الفتح رائدهم فاستولوا عليها و بعد ان كانت يتيمة في تاج قياصرة الروم اصبحت تعترف بسيادة الخليفة عمر بن الخطاب ورُفعت رايات الاسلام على معاقلها وحصونها

وكان صيف ٦٤٣ (اي لثلاثين شهرًا بعد الفتح) شديد القيظ قليل الخير والبركات اخلف فيهِ النيل عهدهُ ولم يفِ بوعدهِ فلم يكد المصريون يفرغون من حفلات نزول النقطة (١٧ يونيو) حتى تبين لهم ان عامهم سيكون كثير القحط والجدب لان ماء النيل اخذ يتناقص بدل الزيادة ويهبط عوض الارتفاع

ففي ١٠ يوليو من تلك السنة وصلت الى منف [2] مدينة الاهرام قافلة صغيرة آتية من الشمال وفي مقدمتها احد تجار العرب واسمهُ هاشم وهو كهل عليهِ هيئة النعمة وفي وجههِ وعينيهِ سمات التأني والصبر والدعة وعلى ملامحهِ اثر العزم والنشاط ومن ورائهِ كوكبة من الفرسان تدججوا بالسلاح وكلهم رهن اشارتهِ وطوع امرهِ والى يسارهِ زعيم ادلاء المدينة وتراجمتها راكبًا على حمار .

وكانت منف قد فارقتها زهوتها وغادرها مجدها وانحطت عن سابق مقامها الرفيع وعزها الشامخ ايام كانت شوارعها وسبلها تضيق بقوافل التجار وتغص بمركبات البضائع المشحونة اليها من الآفاق ومواكب الملوك والامراء وذوي اليسار من اهلها تسد الفضاء . ولم يخفَ هذا التبديل على عين التاجر فطفق يسأل الدليل عن اسباب تقهقر المدينة ويعجب لانحطاطها الى ان قال "وقد كنت اطرق هذه العاصمة منذ ثلاثين سنة متجرًا واراها اليوم غير ما كانت عليهِ بالامس فكنت فيما مضى اطوف بين القصور الشاهقة والحدائق النضرة وارى اليوم الخراب محيقًا بي كيفما سرت فقل لي مَن الذي اتلف هذه الكنيسة الفخيمة فان المسلمين لم يتعرضوا بسوء لبيَع المسيحيين كما سمعت من قائدنا عمرو بن العاص

الدليل — هذه كنيسة الروم الملكيين القائلين بالطبيعتين في المسيح فقد كان منهم في منف

---

(١) (المقتطف) هي احدى روايات العلامة جورج ايبرس الالماني وصف فيها احوال القطر المصري لما فتحهُ القائد الشهير عمرو بن العاص في اواسط القرن السابع للميلاد . نقلها الى العربية صديقنا الكاتب الفاضل خليل افندي ثابت وقد علقنا عليها ما يلي من الحواشي اتمامًا للفائدة

(٢) عاصمة القطر المصري القديمة كانت مبنية حيث ترى خرائب البدرشين وميت رهينة الآن

فئة كبيرة استعانت علينا بامبراطورهم فعاملوا اهل البلاد معاملة العبيد واجبرونا على الصلاة في كنائسهم ومن منّا نطق بايمانهِ بالطبيعة الواحدة عاقبوهُ كما يعاقب العصاة الى ان جاء قومك ورفعوا عنا نيرهم الثقيل فحصدوا الآن ما زرعوهُ ايام سوددهم وسطوتهم وبغيهم ولم يبقَ في مصر والحمد لله سوى المسلمين واليعاقبة القائلين بالطبيعة الواحدة فانتم طردتم الروم عنّا ونحن خرّبنا كنائسهم

التاجر — لكن الملكيين اخوانكم في الدين وجميعكم نصارى

الدليل — ذلك قولهم على اننا لا نسلم بنصرانيتهم بعد الذي اشتهر من هرطقتهم اما نحن اليعاقبة او القائلين بالطبيعة الواحدة فلا نسلّم مقدار ذرة من اعتقادنا واما اذا قضي على ديانتنا بالفناء فاني افضل الاسلام على الاعتراف بالخادم ولتقطيعُ اوصالي وموت زوجتي واولادي اهون عليَّ من ارتكاب هذا الكفر الشنيع اي القول بطبيعتين في السيد المسيح ولا يغرب عنك ان في الاسلام الآن مزايا شتى فانتم اليوم حكامنا واولياء الامر فينا لا زلتم كذلك ولما كان لا بدَّ لنا من حكم الاجانب فأهون علينا ان نؤدي جزية طفيفة لخليفتكم الحكيم العادل من ان نرغم على تأدية اضعافها الى امبراطور الملكيين . وقد احسن الينا جريج ابن مينا المقوقس [٣] في مسالمتكم لانكم اهل مروَّة واحسان وعدل وانتم جيراننا ولا يبعد ان نكون واياكم جنساً واحداً فلا غرو اذا فضلناكم على هراطقة القسطنطينية مضطهدي البشر

ولما قال هذا دار بالقافلة في عطفة تؤدي الى شارع عريض نظيف يحاذي النيل فلما ساروا فيهِ قال التاجر

— سمعت عن المقوقس هذا وقد عرفت اباهُ من قبلهِ رجلاً فاضلاً موسرًا وسمعةُ الابن طيبة نقل لي ألا يزال ينعت بالوالي

الدليل — نعم يا مولاي فانَّ اسرتهُ اعرق اسر المصريين نسباً واكبرها جاهاً وقد تعاظمت ثروتهُ بما حملتهُ اليهِ زوجتهُ من المال وهو مثال الحكمة والعدل يرقب سير الامور بعين اليقظ الحازم لكنهُ اليوم ضعيف عليل حتى ان قائدكم يعبر النهر اليهِ اذا اراد لقاءهُ . فقد كدّر الروم صفاء عيشهِ وبدلوا نشاطهُ بالضعف فاسأل اهل وادي النيل يجيبوك ان العشب لا ينمو حيث تقع اقدامهم ولقد يظن الواحد لاول وهلة ان مقام المقوقس من حيث هو نائب القيصر

(٣) اختلف الكتاب في من هو المقوقس الذي ذكر مؤرخو العرب انه كان والياً على مصر وقت الفتح وقبله والمرجح الآن انه والٍ صغير من ولاة الاقاليم ساعد عمرو بن العاص على دخول مصر وان المقوقس لقب له وهو باليونانية μεγαυχής اي الفخور او المجيد واسمهُ جريج بن مينا على ما قاله المؤرخ الشيخ ابو صالح الارمني

يعصمهُ من ختلهم وجورهم ولكنهم لما ثاروا على طائفتنا في الاسكندرية بدسائس بطريقهم قتلوا ابنيهِ وكلاهما في عنفوان الشباب فسحقوا نفس الاب وهدموا ركنهُ

التاجر — افأصبح من غير ولد

الدليل — كلاَّ فقد بقي لهُ ابن وحفيدتهُ ماري من احد ابنيهِ القتيلين وهي مقيمة في بيت جدّها وقد عاد ابنهُ من القسطنطينية بعد غيبة طويلة فاحتفلوا بعودتهِ وخرجت المدينة باسرها للقائهِ فنصبوا اقواس النصر ونثروا الخضرة والازهار ونفروا زرافات ليروا ابن المقوقس العظيم وكانت النساء في طليعتهم وقد اخبرني اخي وهو مهذبهُ في صغرهِ ان الشاب مفرط في الذكاء والآمالُ معقودة بنجاحهِ وفوزهِ على اني اخالهُ سيقع في اشراك النساء فهو جميل طويل القامة بهيّ الطلعة تعجب بهِ الحسان وهنّ حولهُ كثيرات

التاجر — وما عليهِ من ذاك فان لم يكن فيهِ سوى هذا العيب فلا بأس عليهِ وقد اعجبني وصفك اياهُ

الدليل -- لكنني لست منفرداً في هذا الزعم فان اخي مهذب الفتى يقول قولي فاذا لم يتدرع ابن المقوقس بالفضيلة والحزم فبهاء طلعتهِ وجمال وجههِ سيطوّحان بهِ في مخاطر جمة وعواقب مشومة وعندي ان من واجبات الشبان كبح جماح شهواتهم وصيانة شبابهم ومع ذلك فقد ملك هذا الفتى حبة قلبي فاذا بسم في وجهي خلت السعادة اشرقت شمسها في طريقي ومثلي الوف في منف يشعرون شعوري لا سيما النساء فقد فتنهنَّ الاَّ ان بعضهنَّ يبكين دماً بدل الدمع من اجلهِ وايم الحق.... اذكر الذئب.... قفوا يارجال وانظر يامولاي فان الذي تتكلم عنهُ قادم

— وهل هذه مركبتهُ

— نعم وهذه خيلهُ التي جاء بها من القسطنطينية تسابق البرق وتسبق الريح وقد اخذني موكبهُ الآن وراء السياج ولكنك تراهُ من حيث انت على الهجين وهذه ابنة سوسنة الارملة كانت جالسة معهُ في المركبة وهذا البستان وذاك البيت لها وها قد دخلا البستان

— او ليس هذا بيت فليمون تاجر الحنطة

— نعم وهو زوج سوسنة هذه تزوجها كهلاً واولدها وحيدتها ورثة امواله واغنى بنات البلاد وهي خفيفة الروح قصيرة لمن كانت في سنها وكأنها حمامة في جسم فتاة حتى لقبها القوم هنا "بحمامة الماء"

— حبذا اللقب فهي صغيرة الجسم لطيفة القوام بسيمة الوجه وقد وقعت في عيني احسن

وقع فما اسم ابن الحاكم

— اسمهُ اوريون

— لم تبالغ يا صاح في وصفهِ فقلَّ ان تقع العين على مثلهِ طولَ قامة وجمالاً وحسن معانٍ ولا غرو اذا علقت الحسان بحبهِ فمن كان مثلهُ فهو يفتن امهُ في المهد ثم تلحق بها سائر النساء وارى امارات الصدق والبسالة والفطنة تلوح في وجههِ ولو خلَّف رداءهُ الارجواني وحلاهُ الذهبية في القسطنطينية لاحسن لان هذه الحلي والحلل لا تجانس مدينتكم الخربة المظلمة . قال هذا ولبث يتأمل في ما يجري امامهُ فرأى اوريون يضع في حضن الفتاة كلباً ابيض صغيراً فقبلتهُ هذه وقصفت ساق سنبلة ولفتها على عنقهِ كانها نقيسها وظلاَّ كذلك ساعة يتحدثان ويتضاحكان حتى اذا همَّ الفتى بالانصراف نهضت الى شجرة فقطفت منها زهرتين فتقدم الفتى يريد اسعافها فلطمتهُ على يدهِ وناولتهُ الزهرتين ووجهها يتهلل فرحاً فأخذ الزهرتين منها وقبَّل مكان اللطمة ثم انحنى واسرَّ في اذنها كلاماً فرمتهُ بما في يدها واندفعت تعدو الى البيت وهو يناديها وسمعهُ التاجر يصيح يا كاترين يا كاترين الفتانة . فسرَّ التاجر بما رآهُ وكأن ذكرى ايام الشباب عاودتهُ فابرقت اسارير وجههِ وتمنى للاثنين الرغد والسعادة

ولكن اوريون لم يكد يخرج من البستان حتى رمى بالزهرتين الى الارض وامر السائق بالعودة الى البيت فاندفعت الخيل كالبرق الخاطف حتى حجبها الغبار . فحزن التاجر لقلة وفائهِ وامر غلامهُ ان يلتقط الزهرتين من الرمل ففعل ثم التفت الى الدليل وقال " لقد صدق اخوك في ظنهِ فستكون النساء عقبةً في سبيل هذا الفتى ويكون عقبةً في سبيلهن " فما قصة هذه الفتاة "

الدليل — سمعت ان اميهما اتفقتا على تزويجهما والمرأتان على ثروة طائلة والفتاة تحسب الامر مقضياً اماَّ الآن وقد وارت الاهرام الشمس وخفَّ الهجير فخير لجماعتك ان يذهبوا الى ذلك الخان حيث لا يعدمون الظلَّ واسباب الراحة . قال هذا واشار الى بناء ضخم قديم العهد

التاجر — ليذهب الرجال بالجمال الى الخان اما انا ورستم (شيخ القافلة) فنبغي لقاء الحاكم فسر بنا اليهِ قبل الظلام

الدليل — احبُّ الى المقوقس استقبال زائريهِ في العشية منهُ في النهار فان تبغي لقاءهُ فهات ديناراً ادفعهُ الى سبك القهرمان وانا اضمن لك ما تريد فالبث في مكانك ريثما اسرع الى القصر واوافيك بالخبر اليقين

الفصل الثاني

كان الخان الذي اشار اليهِ الدليل قائماً على مرتفع من الارض تحيط بهِ اشجار النخل وهو

البقية الباقية من هيكل نخيم لامحوتب اله الطب والشفاء عند المصريين فاشتراه احدهم بثمن بخس واتخذه فندقاً يأوي اليهِ القوافل وباعة المواشي وفتح بستان النخل متنزهاً لاهل المدينة فوضع فيهِ الموائد والكراسي على ضفة النهر وابتاع بعض القوارب قصد اكرائها لمن يريد منهم النزهة في النيل فصار فندقهُ مجمعاً للتجار والجزارين وبستانهُ مقصداً لاهل منف يتنشقون فيهِ النسيم البليل ويتعللون بالشراب المنعش

وكان عمرو بن العاص قد شرع يبني مدينتهُ في العدوة الشرقية فاقام جسراً (كبريا) من القوارب على النيل وامر الفعلة بنقل الاعمدة والسواري وحجارة الرخام من انقاض آثار المصريين الى الفسطاط وكان هيكل امحوتب هذا مغشاة جدرانهُ بالرسوم والنقوش القديمة فكساها الدخان حلَّة سوداء يبضها الخلف بالشيد وملأوها بالآيات والرموز باليونانية والمصرية فجلس التاجر واتباعهُ في صحن الهيكل يتعشون ويطفئون ظمأهم بالماء القراح الا رستم شيخ القافلة وهو فارسي مجوسي يشرب الخمر ولما اكتفوا التفت التاجر اليهِ وقال مُرهم ان يحملوا القطيف ويحسنوا شدهُ فقال رستم لقد فعلوا

فقال التاجر اذا هيَّا بنا نسبقهم . ونقدمهُ الى بستان النخيل . وكانت الشمس قد توارت وراء الاهرام والمدافن والهضاب الليبية وبدا الجبل الشرقي وبابل (٤) في العدوة الشرقية بختلف من بديع الالوان يبهر النظر وكأن الورد اعار الجبال والسهول الوانهُ فمن ذهبي الى قرمزي الى كميت تتعاقب في تلك البطاح كحسو الطير اوكلمح البصر فشرح هذا المنظر صدر التاجر فالقى يدهُ على ذراع المجوسي وقال " علمكم نبيكم ان الله لا يريد ان يظن الواحد افضلية في نفسهِ على غيرهِ وان الناس اكفاء فيجب ان لا يكون بينهم غني او فقير بل تقسم خيرات الارض بينهم على السواء فتامل الآن في ما امامك من بديع المناظر واعلم ان ما تراهُ ملك الفقير والغني وقد قسم الله لنا نصيباً واحداً في جمال اعمالهِ وبهائها فلنقتنع بما قسم لنا اما الاموال والمقتنيات فحكمها غير ذلك فنحن في هذه كخيل الطراد والسابق فينا الفائز لكنك ونبيك تريدان ان يشد الى رجلي السابق منا ثقل من الرصاص يعيقهُ عن الجري فلا يفوت غيرهُ . تأمل بحقك في جمال ما تراهُ وما يعتريهِ من تبدل الالوان وتعاقبها وتغير الاشكال فهل رأيت فيما رأيتهُ من الجواهر المتألقة ما هو ابدع من تلك السحابة المطرزة الحواشي "

فضحك المجوسي وقال اصبت يا مولاي في وصف ما تراهُ وقل ان يبدو من ذلك شيء في بلادنا على ان جواهر القطيف احب اليَّ من الياقوت والجمشت اللذين يبدوان لك في

(٤) او حصن بابل مصر القديمة التي بنيت الفسطاط على خرائبها

تلك الغامة وانا اعطيك ابدع المناظر اذا اعطيتني بضائعك فاكون الرابح وايمها واعود الى بلادي فاشتري فيها عقاراً واتزوَّج امرأة حسناء واقضي بقية العمر في تربية الخيل والسائمة واما من جهة تعاليم نبينا فلسوف يحقق الزمان امانينا فيها

التاجر — ومتى تم لك جميع ذلك يأتيك من هو افقر منك و يطالبك بنصيبهِ من ثروتك ويتبعهُ غيرهُ فيأخذ هذا جملاً وذاك ناقة وذلك جواداً الى ان تعود الى سابق فقرك وتبقى زوجتك الحسناء حملاً عليك فانبقِ القديم على قدمهِ يارستم وليكلأْك المهيمن برحمتهِ

فقبَّل المجوسي يد سيدهِ وشكرهُ. وفيما هما كذلك اقبل عليهما الدليل فاخبرهما ان المقوقس خرج للنزهة في سفينتهِ على خلاف العادة ومعهُ سيدات بيتهِ وابنهُ وبعض الحاشية الى ان قال وكأَن عودة اوربون اعادت النشاط الى ابيهِ وجددت ما خلق من همتهِ . ثم نصح التاجر ان يؤَجل الزيارة الى الغد ودلَّهُ على فندقٍ في المدينة تجتمع اسباب الراحة والنظافة . اما التاجر فلم يرعهُ هذا التسويف اذ كان في نيتهِ استشارة احد اطباء منف المشورين مستشفياً من علةٍ بهِ فدلَّهُ الدليل على طبيب اسمهُ فيلبس قال عنهُ انهُ امهر اطباء المدينة وان المقوقس لا يثق الاَّ بهِ . ولما كان المساء بهيجاً ارتأى التاجر ان يقضي بعض ليلتهِ حيث كان ليمتع العين والقلب بجمال تلك المناظر و يرقب النجم ذا الذنب الذي ظهر في تلك السنة فارعب المصريين والبسهم لباس الخوف حتى نكبوا عن الخروج من بيوتهم في الليل . فذهب الدليل يطلب الطبيبَ وجلس التاجر ورستم شيخ القافلة على مقعد مقابل النيل وكلاهما يفكر في شؤُونهِ . والنهر في تلك الساعة كمنطقة من الفضة انعكس عنها نور القمر وعلى صدرهِ الجواري ناشرة شراعها تتهادى كسرب من الطير واذا بسفينة اقتربت الى حيث كانا ثم سمعا وقع حوافر فالتفتا الى الوراء وابصرا مركبة يجري امامها حاملو المشاعل فقال التاجر يلوح لي ان هذه سفينة الوالي وقد جاء من المدينة فيها على نية العودة اليها في مركبتهِ ومن غريب الاتفاق انني لقيت ابنهُ مرتين اليوم . قال هذا واخذ يحدق النظر في السفينة ومن فيها وكانت مصنوعة من خشب الارز المحلى بالذهب وعلى مقدمها تمثال القديس يوحنا حامي اسرة المقوقس والمصابيح تقذف انوارها من جهاتها الاربع فابصر المقوقس متكئاً تحت مظلة والى جانبهِ زوجتهُ وامامهما ابنهما وفتاة يونانية طويلة وابنة في العاشرة اسندت رأسها الى ركبة تلك الفتاة والى يسار هؤُلاء مهذبة الابنة والطبيب فيلبس وكان اوربون ينقر على القيثار نقر بارع بفنّ الموسيقى وهو يحدّق في الفتاة الطويلة القامة تحديق الواله كانما يعزف لها وحدها دون سائر الحاضرين وكأن تلك الاسرة صورة تمثل الوفاق ورضاء العيش والهناء والرغد

ولما رست السفينة اتى العبيد ليرفعوا سيدهم من مجلسهِ الى المركبة فنهض اوريون ودفعهم الى الوراء ثم احتمل اباهُ كمن يحمل اخف الاشياء وسارت امهُ والطبيب وراءهُ حتى اذا وضع حملهُ صاح بالسيدات الباقيات في السفينة ان يوافينهُ الى البرّ وعاد اليهن يتقدمهُ حملة المشاعل . فرق التاجر لضعف المقوقس ورثى لهُ لكنهُ قال في نفسهِ من كان هذا ابنهُ فاشدّ النوازل تضمحل لديهِ كما يفرق الريح السحاب . ولما نزلت الفتاة الطويلة الى البر تأملها فرأى جمالاً بارعاً وقامة تسيل الرقة من معطفيها وطلعة كالبدر تبدو منها العظمة والوقار وسمعها تدل البنت على مواقع بعض الكواكب وتشير الى المذنَّب فاطربهُ صوتها الرخيم ومنطقها العذب . ولما كان منهم بحيث يرَى ولا يُرى لبث يتأملهم جميعاً وشرح صدرهُ ما شاهدهُ من الحنوّ والرقة والجمال وعاد اوريون الى السيدات يحادثهنَّ والتاجر يقابل بين ما فعلهُ مع كاترينا في العشية وبين تصرفهِ مع هذه الفتَّانة فقد كان الآن مقيَّد النظر بوجهها وهو يطرفها باحاديث الجدّ والهزل وهي ماشية الهوينا وقد انبعث الرضا والاخلاص من وجهها كما تنتشر الرائحة الزكية من زهرة بديعة خلقت لتكون بهجة للناظرين وكانت هي تصغي الى حديثهِ اصغاء من يرى في وجه المتكلم شيئاً الذ من كلامهِ

ثم جلسوا الى مائدة في البستان وجاءتهم زوجة صاحب الفندق بالكمك واللبن والعنب والفاكهة وقلبها يطفح سروراً وحبوراً لتشريف ابن المقوقس بستانها فقد كانت عادتهُ ان يتردد الى هناك ايام الصبا مع اصدقائهِ فاخذت تصف لهُ ما شملها من الفرح بعودتهِ وكيف انها خرجت وزوجها وابنتها وصهرها للقائهِ ثم قالت ان ابنتها تزوجت ورزقت ولداً سمتهُ اوريون تيمناً باسمهِ فشكرها وسألها عن ابنتها ثم قال للسيدات "والابنة كالام في جمالها ولطفها" فضحكت الام واومأت الى الفتاة اليونانية وسألتهُ ما اذا كان الطائر الغريد لا يزال مطلق الجناح او اوشك ان يزج في القفص فاخبرها انهُ لم يزل حرًّا ولكنهُ بدأ يشعر بلذة الاسر ولما قال هذا صبغ الحياء وجه الفتاة فحوّل الحديث وافاض في مدح صاحبة الفندق وكلفها ان تهدي سلامهُ الى ابنتها ثم تناول قيثارهُ وعزف لحناً اقترحتهُ عليهِ الفتاة وغناهُ بصوت رقيق وهي تنظر اليهِ نظرات المشوق ولما حان وقت الانصراف نهضت السيدات يطلبن السفينة وذهب اوريون الى الفندق ليحاسب صاحبتهُ فلما عاد وجد منديل الفتاة على الخوان فالتقطهُ وقبلهُ ثم هرول الى السفينة كل ذلك والتاجر ينظر وهو يعجب لما جرى وتعطش لتعرُّف الفتاة والوقوف على علاقتها بابن المقوقس فلما عاد الدليل سألهُ عنها فاخبرهُ هذا انها باولين ابنة توما قائد الروم المشهور الذي دافع عن دمشق يوم فتحها العرب فلما انجلت المعركة عن فوزهم طلبوهُ

فلم يجدوهُ فلجأت ابنتهُ الى خالها المقوقس ولم يرَ الدليل فيها عيباً سوى مذهبها فكان في عينيهِ اقبح العيوب حتى اذا ما اطنب في وصف جمالها عاد فأسهب في الكلام على كبريائها الى ان قال وزوجة المقوقس لا تطيقها في بيتها الاَّ اكراماً لزوجها وحباً بحفيدتها ماري لتعلق هذه بها . على ان جمال الفتاة وبهاء طلعتها وقعا في نفس التاجر احسن موقع فلم يحفل بكلام الدليل ولما جاءهُ الطبيب فيلبس بعد ان انتهى من خدمة المقوقس سألهُ عنها فجاء جوابهُ مطابقاً لظنهِ فيها اذ قال ان ابنة توما هذه من اكمل المخلوقات التي خلقها الله على ان العناية لم تعنَ بصيانة صنع يديها لان حياتها كانت سلسلة من الشقاء والعذاب . ثم فحص التاجر ووقف على علتهِ فوعدهُ بان يصف لهُ دواء يخفف كربهُ ويقرب شفاءهُ وافترقا صديقين حميمين

ستأتي البقية



اعتصاب العمال

استدراك

نشرتُ في الجزءِ الماضي مقالة بعنوان "شباننا والعمل" بحثتُ فيها مطولاً عن علَّة بطالة بعض شباننا وعدم نجاح البعض الآخر منهم في الاعمال التي يتعاطونها حالة كونهم كلهم من الشبَّان الذين تهذَّبوا في المدارس العالية وألمُّوا بكثيرٍ من العلوم الابتدائية واللغات الاجنبية والاعمال كلَّ يوم على ازدياد . وقد بيَّنتُ فيها أنَّ شباننا انفسهم هم علَّة البطالة اوعدم النجاح الذي نراهُ بين اكثرهم لأنهم يطمحون بابصارهم الى الغنى السريع والتقدم العاجل و يطلبون ان يكون لهم بعد تعب ايام قليلةٍ او اشهرٍ معدودة حق مشاركة ارباب الاعمال في ارباحٍ قضوا السنين الطوال في السعي وراءها وافنوا عزيز العمرِ جدًّا وكدًّا وبحثاً وتنقيباً وتجربةً واختباراً واستنتاجاً واستقراء ومكابدة اخطارٍ مالية وصحيَّة حتى تمكنوا من تأسيس العمل وادارتهِ واستدرار منافعهِ

وحدث في اواخر الشهر الماضي اعتصاب بين عمال الخياطين كان لهُ في العاصمة حديث مذكور ومشهد مشهور وتناقلت خبرهُ الصحف اليومية والاسبوعية وفصَّلتهُ تفصيلاً لا محلَّ

لإثبات شيء منهُ هنا لانهُ خارج عن موضوع المقتطف . لكنَّ فريقاً من الكتبة الادباء صدَّقوا دعوى الخياطين وصوَّبوا اعتصابهم وجاهروا بآرائهم قائلين ينبغي لارباب العمل "الاوسطاوات" ان ينصفوا عمالهم ويزيدوا اجورهم ويمكنوهم من ان يقاسموهم سهماً من ارباحهم . ثم استحسنوا هذا الاعتصاب من وجهٍ آخر مدَّعين انهُ دليل حيوية الامة ونهضتها للمطالبة بحقوقها المبخوسة

فاذا صحَّ هذا الادّعاء نقض كلَّ ما اثبتُّهُ في مقالتي السابقة اذ يكون ارباب الاعمال انفسهم علة تأخُّر العمال كافَّة في كل صناعةٍ وحرفةٍ . وهذا ما دعاني الى الاستدراك دفاعاً عما ذهبتُ اليهِ قبلاً ونفياً لما يوهم عدم صحتهِ فاقول

ان اعتصاب الخياطين لم ينشأ قطُّ عن اهتضام "الاوسطاوات" حقوقهم ونقصهم اجورهم لاننا لم نسمع باتفاق عامٍ عقدهُ الاوسطاوات فيما بينهم وسنُّوا فيهِ اجرةً معينةً لجميع عمالهم وهب انهم ارادوا ذلك فلا يستطيعون اليهِ سبيلاً ولا هو من مصلحتهم . ولا يتفق ان يكون كلُّ عاملٍ مبخوس الاجرة مهضوم الحقّ . نعم يتفق ان يكون بينهم افراد قلائل امتازوا بالحذق والذكاء وتفرَّدوا بالمهارة في صناعتهم فاستحقوا من الاجرة اكثر مما يتناولون ولكنَّ امثال هؤُلاء ليسوا بسببٍ كافٍ لاعتصابٍ عامٍ شاملٍ كل ابناء الحرفة وهذا امرٌ بديهيٌّ لا حاجة الى اطالة الكلام في ايضاحهِ

فالسبب الحقيقي لم يخرج عن كونهِ طموحاً في نفوس العمال الى مشاركة الاوسطاوات في ارباحهم وقد اقترنت بهِ اسباب أُخر ملابسة ومهيئة من مثل حب الربح العاجل وغلاء اسباب المعايش في الوقت الحاضر وتحريش احد كبار الاوسطاوات لعمال زميلٍ لهُ على الاضراب عن العمر نكايةً بهِ وسعاية أرباب مخازن الملابس "الجاهزة" واستعدادٌ طبيعي في نفوس سواد العمال للاعتصاب لكونهم اجانب متعوّدين ذلك وهو ان لم يوافق مصلحتهم لا ينافيها

اما كونهُ دليلاً على حيوية الامة ونهضتها للمطالبة بحقوقها المهضومة فليس بصحيح لان سواد المعتصبين اجانب من يونان وطليان وغيرهما وليس العمال الوطنيون من مصريين وسوريين الأعدداً قليلاً بالنسبة اليهم. اولئك الاغراب نفخوا ببوق الاعتصاب فانقاد اليهم الوطنيون بعامل الانجذاب وكان من امره ما كان

اذاً هو اعتصاب اجنبيٌّ غربيٌّ ولا علاقة فيهِ لنا الا المكان. فكيف يصحُّ اتخاذهُ دليلاً على حيوية الامة . نعم للامة ادلة غير هذا على حيويتها ونهوضها للمطالبة بحقوقها من حيث حرصها على القيام بواجبتها نحو الحكومة ومطالبتها للحكومة بكل ما لها عليها من الحقوق . اما

مثل هذا الاعتصاب فلا يتخذ الأ دليلاً على ولوع الانسان بالطفرة وهي محال. وطموح الفقير الى مشاركة الغني في امواله وهو حرام غير حلال ومحال في محال

اسعد داغر

وساوس لا هواجس

لقد صدق ظن حضرة كاتب المقالة "هواجس ام وساوس" حيث قال ان كثيرين من القراء متى اطلعوا عليها حسبوها اضغاث احلام . نعم وهي كما قال . على انها وان كانت لا تزيد على ذلك فهم لم يعرضوا عنها بوجوه باسرة اذ من الاحلام ما يحتمل التفسير و يعود بالخير او بالشؤم على صاحبهِ . واملي ان لا تجني احلامهُ هذه عليهِ ما جنى الحلم على رئيس الخبازين فيأوب بصفقة الخاسر كما اوجس في صدر مقالهِ

هذا واني لا احسب مقالة حضرة الكاتب خليقة بالرد والتخطئة . وليس ذلك عن مخالفتهِ لقواعد الصرف والنحو والبلاغة والبيان والمنطق فيها فانَّا عرفناهُ كاتباً بليغاً وشاعراً مجيدًا بل لانهُ اعتمد على ما يراهُ غيرهُ ويقول بهِ ولم يعتمد على نفسهِ ولا أورد رأياً من عندهِ. وكاتب لا يعتمد على نفسهِ في ما يقول لجديرٌ بان لا يطالَب بما نقلهُ عن غيرهِ ولكني استحسنت ان اسبل ذيل الصفح على ما اتى وابسط لهُ ما اشكل عليهِ فهمهُ بالنيابة عن حضرات السيدات اذا سمحن لي بذلك

كأني بحضرة الكاتب وقد جلس اليهِ محدثوهُ يناجيهم ويناجونهُ ايوب الصديق وقد التفَّ حولهُ اصحابهُ . وحبذا لو اتمَّ التشبه بهِ الى الآخر فاتانا ببعض بنات افكارهِ ولم يقتصر على الارق والاجتماع باصحابهِ ومجرد سماع ما يتلونهُ عليهِ في التشبه بهِ ولم يكتفِ بما قالهُ هذا وذاك منهم

ليس في جواب صاحبهِ الاول ما يستحق الردَّ لانهُ لم يتخطَّ فيهِ حدَّ المجاز الى الحقيقة بل طار في سماء الخيال وهام في فيافي الاوهام واجاد في حسن التعليل ولكن ضالتنا المنشودة هي الحقيقة ولو كان عنوان الكاتب نفسهِ خيالاً في خيال

واما الثاني فانهُ خرج عن الموضوع لحك حزازات وشفاء احقاد قديمة في بعض الصدور على ما يظهر فان كان يروم البحث في الموضوع الذي تخلص اليهِ فليفسح لهُ مجالاً آخر وليعين لهُ فرصة اخرى وانا اصمد لنزالهِ . وقد شطَّ في جوابهِ ولم يصب المحجة لان اللواتي اشتغلنَ بالكتابة من نسائنا لم يكنَّ من ربات الازياء والزينات . فالتزيي والتزين لم يقفا ولن يقفا في سبيل الكتابة والكاتبة

واما الثالث فلم يكن اقرب الى الصواب من سابقيهِ بل ابعد منهما عنهُ بمراحل . فقد اعترف انهُ وجدت كاتبات ولكنهُ استدرك على ذلك قولهُ ان كتابتهنَّ كانت لاغراض في نفوسهنَّ وهذا لا ينفي كونهنَّ كاتبات .واما تقسيمهُ الكتابة الى حقيقية وعارضة فمما لم افهمهُ ولا اظنُّ احدًا يفهمهُ او يسلم بهِ . اذ الكتابة خلة لازمة للنفس كالشعر والموسيقى وسائر الفنون الجميلة والفضائل كالكرم والشجاعة والنقائص كالبخل والجبن . وليست صفة عارضة منفكة عنها كالمرض والنوم والجلوس والقيام وغيرها من الاعراض المتنقلة

واما الرابع فقد "وسع ذمتهُ" وبالغ في الاتهام والتحامل باعتراف حضرة الكاتب فما دام واسع الذمة يحملها ما شاء متحاملاً يضرب ايان شاء فلا سبيل الى جوابهِ لا سيما وان ادعاءهُ حرج جارح . اما الاول فلأنهُ يستحيل الخوض فيهِ واثباتهُ . واما الثاني فلأنهُ يؤلم عواطف الكاتبات اللواتي "ابرزن عرائس افكارهنَّ" بروزهنَّ ايام الاعراس

واما الخامس فجرى مجرى الكاتب نفسهِ في انهُ لم يقل قولاً ولم يبدِ رأيًا بل أشار بالالتجاء الى حكم منصف . وقد اصاب في اختيار الحكم فانهُ ابن بجدتها . فان انصف رضينا بحكمهِ والاَّ فهو ليس "بالحكم الترضى حكومتهُ"

يطلب حضرة الكاتب ان يرى كاتباتنا ويتساءل عن السبب في قلتهنَّ فليرنا اولاً كتَّابهُ وكثرتهم . وما كنتُ لاطلب منهُ ذلك اولاً لو لم يكن الرجل مدَّعيًا حق الاولية والتقدم على المرأة مستأثرًا بالقوة وحدهُ متسلطًا عليها قاصرًا قواهُ الادبية والمادية على انماء اخوتهِ وبنيهِ اولاً تاركًا اخواتهِ وبناتهِ يجرين خلفهُ مقصرات متدرجات في سلم الارتقاء تدرجًا بطيئًا على حسب ناموس النشوء والارتقاء الاجتماعي . ولما كانت الطفرة في الطبيعة امرًا مستحيلاً وكانت العوامل الخارجية المساعدة على ترقية المرأة ومجاراتها للرجل معدومة او قليلة فلا عجب اذا بقيت مقصرة عنهُ ما دام هو صاحب الامر والنهي واليد الطولى في ذلك

ومع ما في معاملة الرجل للمرأة من الغبن الفاحش لها والسيطرة عليها والعبث بحقوقها لا تكاد ترى فرقًا بين الطرفين في ما نحن بصددهِ . فان الكتَّاب الحقيقيين كما سمَّاهم حضرة الكاتب يعدُّون على الاصابع ونسبتهم الى مجموع المتعلمين المتهذبين اقلُّ من نسبة الكاتبات الى المتعلمات المتهذبات هذا على فرض ان الاحوال والوسائط متساوية والظروف واحدة وهي ليست كذلك كما تقدَّم . فاولاً ان الرجل لا يسلم بمساواة المرأة لهُ وبالتالي لا يسلم لها بالحقوق المترتبة على تلك المساواة كالتعليم والتهذيب على القليل . وثانيًا ان المرأة لم تضطر بعد في الشرق الى اتخاذ الكتابة حرفة لها كالرجل لتعيش من شق تلك القصبة كما هي الحال عليهِ

في الغرب حيث الكاتبات كثيرات . ولو اضطرت لرأيت الكاتبات عندنا عشرات ومئات فالمرأة ترى عاراً على الرجل ان تسبقهُ في هذا المضار ووسائطها اقل من وسائطهِ . وهي تغار عليهِ غيرتهُ على نفسهِ لا سيما وانها اكثر احساساً منهُ والطف عنصراً وارق مزاجاً فلا يطاوعها قلبها الضعيف ان تتطال الى ما لم يسلم لها الرجل بهِ وتحاربهُ بسلاحهِ

هذا واني اكتفي بما تقدم راجياً ان يكون بهِ كفاية لحضرة الكاتب ولكلِ من يلفُّ لفهُ . والاَّ فاذا عاد عدنا لهُ

نجيب شاهين

الحقيقة

طالعت في العدد الماضي من مجلة المقتطف رسالة لحضرة الكاتب الفاضل اسعد افندي داغر اثبت فيها آراء بعض الفضلاء في المرأة الشرقية واسباب اغفالها فن الكتابة ناسبين ذلك لقلة استعداد المرأة وانحطاط معارفها حتى انهُ بلغ بهم سوءِ الظن ان رموها بالسرقة وذلك باستكتاب الرجل وانتحال معانيهِ لنفسها — امور لم يبق بعدها حطٌ لقدر المرأة واستخفاف بمعارفها وآدابها . واني بعد ايفاء حضرة الكاتب حقهُ من الشكر والثناء لبسطهِ موضوع ذلك البحث وتمهيدهِ سبيلاً للكاتبات في الدفاع عما نسب اليهنَّ من الجهل سواءٌ كان قصدهُ الاسفار عن وجه الحقيقة كما ذكر ام انهاض همة السيدات وترغيبهنَّ في الكتابة . اقول ولا غاية لي من الدفاع عن بنات جنسي ولا سيما واني على ندورتهنَّ اجهل معرفتهنَّ شخصياً ولا اعلم من اقتدارهنَّ العلمي والادبي اكثر مما يعرف حضرة الكاتب واقرانهُ . غير اني اتكلم بما يوحي بهِ اليَّ العقل والاختبار

ان النقطة التي انتهت اليها المرأة الغربية من التوسُّع في المعارف والعلوم واقتباس الفنون على انواعها ثم مقاومتها اعظم الصعوبات في سبيل الحصول على ما لا يزال مهضوماً من حقوقها المدنية لاعظم برهان ليس فقط على مقدرة المرأة على التأليف والتعريب بل على الاتيان باعظم الافعال واكمل الاعمال

بقي هل ان للمرأة الشرقية ما للغربية من الذكاء ووسائط التعليم حتى يمكنها ان تتشبه بجارتها وتأتي باعمالها وعلى ذلك اجيب ان المدارس في الشرق على تأخرها فيها من الدروس اللازمة للفتيات ولا سيما اللغة العربية ما يكفل باحرازهنَّ الفلاح في مجال الاقلام كما يتضح لكل باحث في حالة التعليم واصناف العلوم التي تدرَّس في اكثر المدارس شهرة ولا سيما المدارس الاميركية والانكليزية المنتشرة في انحاء الشرق

اذن فما بال السيدات متقاعدات من ورود منهل الكتابة العذب والارتواء من كوثر فوائده المروي وقد خصهن المبدع بالعقل والذكاء وتسهلت لهن وسائط التعليم والتهذيب فلا بد لذلك من اسباب مهمة تقعد بهمتهن وتجعل الكسل حائلاً دون اجهاد عقولهن في مسابقة الكتّاب في سبك المعاني والافكار على ما في ذلك من الفائدة ولذة الاشتهار . وتمهيدًا لذلك اقول

من المقرَّر ان المرء لا يقدم على امرٍ ويتحمل ما يصادفهُ في سبيلهِ من المشاق لغير غاية ذاتية وكل ما ازداد الانسان خطوة في المدنية واتسعت دائرة معارفهِ وعظمت اهليتهُ للاعمال المهمة ازداد ضنًّا بوقتهِ ولم يبالِ بغير اكتساب الارباح مادية او ادبية نابذًا ما سوى ذلك من الامور التي لا تجديهِ نفعًا ولا تأتيهِ بفائدة . وعلى ذلك نرى الشعب الاوربي يزاحم بعضهُ بعضًا في ميدان الاشغال وما منهم من يسمح بضياع لحظة من اوقات عملهِ لمخاطبة زيد او السلام على عمرو ان لم يكن لهُ من وراء ذلك غاية شخصية . فالحياة قصيرة والوقت ثمين وواجبات المرء اكثر من ان تكفي لاتمامها تلك الساعات القليلة

ولما كانت المرأة لا تقل عن الرجل مهماتٍ واعمالاً كان لها من واجباتها المنزلية ما يمنعها عن كل عمل خارجي وعليهِ فقد لبثت حينًا من الزمن مقتصرة على تلك الواجبات وافكارها مقيدة ضمن دائرة جدران المنزل الى ان ساعدها الرجل على كسر ذلك القيد والبروز الى عالم الاجتماع . وما لبث ينشط خطواتها ويسمعها من رنات المديح ويذيقها من ثمار الشهرة ما استسهلت في جانبهِ كل صعب لبلوغ قمة العلاء والوصول الى ذروة الفخار التي ما بدأت للاتجاه اليها حتى شعرت بثقل وطأة واجبات العائلة تحول دون تقدمها . فلم يكن من الرجل الاَّ ان اسرع فمهد لها سبل الارباح المادية ليكون لها منها مساعد على ازاحة الحاجز الذي يعترض في طريق نجاحها فوكلت اشغالها المنزلية لمن هم دونها عقلاً وعلمًا ومن لا يمكنهم ان يقوموا باعظم من ذلك ونزعت هي الى ما هو اسمى وارفع من الاعمال الخطيرة التي تعود عليها باللذة والكسب والفائدة

فانَّى للمرأة ان تنال بعض ذلك في الشرق وهي ان كانت بحاجة الى الدرهم لا يمكنها ان تجدهُ عن طريق التحرير والانشاء وكان لا بد لها من قضاء جل وقتها في خدمة عائلتها وتدبير منزلها بنفسها وان كانت في سعة من العيش تغنيها عن ذلك وكانت على شيء من العلم يمكنها معهُ ان تباري الكتَّاب في خدمة الآداب كان لها من اعراض الناس وقلة ترحيبهم باقوالها الف عذرٍ يشفع في تأخرها وتثبيط عزائمها

اطل النظر ايها المقترح الفاضل في صفحات الكتب والروايات والجرائد والمجلات كم فيها للسيدات من آثار اقلام تشهد لهنَّ بالمعارف على قرب عهدهنَّ بالعلم وقلة الوسائط الممهدة لهنَّ سبل الفلاح والاقدام

وبعدهُ فانظر اذا كان يوجد اثر واحد او بعض اثر لاحد الكتَّاب يمتدح فيهِ افكارهنَّ وينبه هممهنَّ الى الاستمرار على تلك الخطة اللازمة لنجاحهنَّ وترقيتهنَّ وتقدم البلاد بتقدمهنَّ

بل افدني تكرماً عن صاحب مجلة او جريدة تنازل بان نقل شيئاً من رسائل سيدة الى صفحات مجلتهِ اعجاباً بذكائها وحثاً لغيرها على الاقتداء بها

بل ارني بحقك اي الجرائد والمجلات ادرجت شيئاً من نفثات الكاتبات او الكتَّاب مع الشكر لمرسليها الذين انما ضحَّوا قسماً من وقتهم على انشاء مبانيها وابتكار معانيها ولا غاية لهم سوى خدمة الانسانية والجريدة

واما ان تجد مقدمة للكتَّاب في اعلى الرسائل يطلب بها الى اصحاب الجرائد ان يتكرموا بنشرها مع الشكر الوافر والثناء العاطر فذلك كثير مما يدل على وهن عزائم الكتاب فضلاً عن الكاتبات وعدم ثقتهم مما اذا كانت رسائلهم ستحوز قبولاً لدى اصحاب المجلات والجرائد

ذلك هو جزاء المقالات التي يجهد بتحريرها جهابذة الكتَّاب وتلك هي الفائدة التي ينالونها في عصر كسدت فيهِ بضاعة العلم و بارت سوق الآداب . فما قولك في الكتب والروايات التي تكلف مؤلفيها او معربيها من الوقت والدرهم ما لا يقوى على بذلهِ غير من كان في سعة من المال وفراغ من الاعمال . ثم يعني بتجليد نسخ منها تجليدًا متقناً و يقدمها هدية الى اصحاب الجرائد والمجلات الذين هم مصابيح الامة ولسان حال البلاد ومن عليهم يتوقف رواج المؤلفات والمصنوعات فيقابلونهم على ذلك التعب الكثير والسهر الطويل بقولهم (اهدى الينا فلان او فلانة كتاباً موضوعهُ كذا ونتمنى لهُ الرواج) ثم يطمس خبرهُ بعد قليل من الزمن و يكون جزاء كاتبهِ القسم الاوفر من النسخ المطبوعة يتلذذ بالنظر اليها و يتحسر على ضياع الوقت والدرهم في سبيل انشائها

أفتلام المرأة بعد ذلك اذا اغفلت الانشاء والتحرير وصرفت همها عن صناعة اضحى يشكو كسادها العالم الخطير و يرزح تحت اثقال بوارها الكاتب النحرير . بل لعمري ان لها الفضل العظيم بما تأتيهِ من وقت الى آخر من نفثات اقلامها فما القليل الذي نراهُ سوى ميل طبيعي يدفعها الى التلذذ بكتابة بعض اسطر في اوقات الفراغ رغماً عما يعترض سبيل تقدمها من الصعوبات والمشقات التي لولاها لكان اقبالها على الكتابة ايما اقبال فان فيها لذة لها وراحة

لا تجدها في ما سواها من الاعمال . والشاهد على ذلك ان عدد الفتيات المتعلمات قد كثر في هذه الايام كما يتضح من تقاويم المدارس وكما هو ظاهر للعيان واكثرهن في احتياج مادي الى الانتفاع بما تعلمنهُ وانفقن اثمن سني العمر في سبيل الحصول عليهِ وقد لجأ اكثرهن الى التدريس على ما في ذلك من المشقة ومرارة الامر . ومن كانت منهن غير قادرة على مبارحة منزلها لاسباب بيتية او علاقات عائلية اذعنت للعطلة واستسلمت لعوامل الفاقة والسأم

فاذا تسهلت لمثل هؤلاء وسائل الكسب وهن داخل منازلهن ولم يكن شيء يقف في سبيل حريتهن ولا تقوى اوامر الرؤساء على تقييد افكارهن واستعباد عقولهن فهل يعقل ان يرفضن مثل هذه النعمة ويرضين من الغنيمة بسجن المدرسة وقلَّة اجرتها

واذا كان بين المتحاملين على المرأة من يرتاب بحقيقة ذلك فما عملية الا ان يصدر جريدة ويعين عشرة فرنكات فقط عن كل صفحة من مقالة تخطها يد سيدة واتا الضمينة بان يرد عليهِ من درر اقوالهن ووشي اقلامهن ما يدحض قول المفترين وينفي اعتقاد المتهمين . وحينئذٍ يعلم حضرة الكاتب واصدقاؤهُ ان الانامل التي يدميها لمس الحرير لنعومتها لهي الين وانسب " لا هتصار اليراع واجتذاب القلم " وان " استيفاء شروط التمدن الحديث " لا تحول دون تقدم المرأة الغربية الى ذروة العلا والفخار في عصر اشتهر بالتمدن والحضارة ووفرة الازياء

(مدام) لبيبة هاشم

اظهار حقيقة

نشر المقتطف رسالة لحضرة الكاتب الفاضل اسعد افندي داغر اعربت عما يتقولهُ بعض الادباء في الاسباب التي دعت الى قلة ما ينشر في المجلات والجرائد باقلام النساء. وقد تصح الاسباب التي ذكروها ولكن حضرة الكاتب اغفل السبب الذي اظنهُ اكبر الاسباب لتوقف النهضة الادبية التي نهضتها النساء منذ عشرين عاماً وعدم مجاراتها نهضة الرجال فاتيت ابينهُ لعلي انفي الظنون والشبهات فاقول

الكتابة مثل غيرها من الفنون الجميلة يبتدئ فيها المرء عن رغبة في النفس ويواظب عليها اما متكسباً واما " غاوياً " (وكلمة غاوي اصطلاح مصري وهي تقابل كلمة اماتور Amateur باللغة الفرنسوية ولا اعرف لها كلمة اخرى عربية) ومن هذا القبيل التصوير والنقش والموسيقى

ولما ابتدأت النهضة العلمية في بيروت بين السبعين والثمانين بعد الالف والثمانمئة وظهر الجنان والجنة والطبيب والمقتطف والتقدم ولسان الحال وما اشبه من المجلات والجرائد

واتمّ كثيرون من الفتيان والفتيات الدروس في المدرسة الوطنية والكلية والبطريركية ومدرسة البنات الانكليزية والاميركية اقبل كثيرون من المتعلمين والمتعلمات على الكتابة والترجمة وجمهورهم من الغواة (الاماتور) لا من المتكسبين ولو حاولوا التكسُّب كلهم او اكثرهم بالكتابة لرجعوا بخفي حنين لان بضاعتهم لا تروج الاَّ اذا كثر طلاَّبها والطلاَّب كانوا قلالاً جدًّا ولا يزالون قلالاً فكان الدافع الى الكتابة حميَّة عامَّة لاتشوبها رغبة التكسُّب ولا باب للتكسُّب فيها

ومنذ نحو عشرين سنة اخذت هذه الحمية العلمية تضعف في سورية بما حدث فيها من المراقبة الشديدة على المطبوعات حتى لقد بلغني قبيل كتابة هذه السطور ان كتابًا في علم الحساب أُرسل من بيروت الى ادارة المطبوعات في الاستانة فحذفوا منهُ كثيرًا من الكلمات التي لا بدَّ منها في الحساب مثل كلمة الضرب وكل مشتقات ضرب فاضطرَّ صاحبهُ ان يعدل عن طبعهِ . والَّفت احدى السيدات رواية ادبيَّة ورفعت نسخة منها الى الاستانة قصد الاجازة فوُضعت تلك السيدة تحت المراقبة . فكيف يغوى الناس الانشاء والتضييقُ على الاقلام بالغ هذا الحد

وانتقل جمهور الكتَّاب الى القطر المصري بسبب هذا التضييق وانشأوا فيهِ الجرائد والمجلات لكنهم اضطروا ان يحترفوا معها حرفًا أُخرى لتقوم بمعيشتهم كانشاء المطابع والاتجار بالكتب ونحو ذلك من الاعمال التي لا يسهل على النساء ان يتعاطينها في بلاد المشرق . وحاول بعض النساء انشاء المجلات مثلهم فلم يفلحنَ لا لقصر باعهنَّ بل لان عدد القراء قليل جدًّا فلا يقوم ما يدفعونهُ بنفقات مجلات كثيرة

ثم ان المتعلمات في القطر المصري قليلات جدًّا اذا قوبلنَ بسكانهِ واكثرهنَّ من الاوربيات او السوريات الآخذات اخذ الاوربيات ويفضلنَ المطالعة والكتابة بلغة اوربية على المطالعة والكتابة في العربية حتى ان بعضهنَّ ينظمنَ الشعر الحسن باللغات الاوربية . وقلَّ ان نرى بين كتب الادب العربية ما يحسن اطلاع البنات عليهِ وملكة الكتابة الصحيحة بالعربية اصعب منالاً من ملكة الكتابة الصحيحة بلغة اوربية لاسباب كثيرة لا تخفى على الذين درسوها ودرسوا لغة اجنبية وذلك كلهُ مماَّ يقلّل عدد الكاتبات بالعربيَّة

هذه اقوى الاسباب التي منعت النساء عن مجاراة الرجال في النهضة العلمية التي شاركنهم فيها منذ عشرين سنة او ثلاثين . وفوق كل ذي علم عليم

احدى قارئات المقتطف

باب تدبير المنزل

قد فتحنا هذا الباب لكي ندرج فيه كل ما يهم اهل البيت معرفته من تربية الاولاد وتدبير الطعام واللباس والشراب والمسكن والزينة ونحو ذلك مما يعود بالنفع على كل عائلة

جني لِند



يطرب جمهور الناس بالغناء ويسرُّ بالتمثيل الى حد يفوق الوصف وقد جعل اسلافنا الغناء قسماً من العبادة فعدُّوهُ من اشرف اعمال الانسان التي يتقرب بها الى خالقهِ ولا نزال نجري على خطتهم في معابدنا ولو تنوعت طرق التسبيح والتلحين . ومع ذلك كلهِ لا يزال مقام الغناء منحطاً جداً في بلدان المشرق ولا سيما اذا كان في محفل حافل كمشاهد التمثيل حتى لقد تردَّدنا كثيرًا قبل ذكر هذه السيدة بين شهيرات النساء ولم نذكرها الاَّ لاننا رأينا مبراتها شفعت بها

ولدت في ستكهلم عاصمة اسوج سنة ١٨٢١ وكان الغناء من طبعها فكانت وهي فتاة تغني كل ما تسمعهُ من الاغاني بصوت رخيم ولما رأى والداها منها ذلك وضعاها عند اشهر معلمي الغناء في تلك المدينة وعمرها تسع سنوات وصارت تغني في المشاهد العمومية حيث يقتضي التمثيل صوت الصغار لكن صوتها ضعف حالاً وفقد قوتهُ فابطلت الغناء وعكفت على آلات الطرب ثم عاد صوتها الى قوتهِ ورونقهِ فصارت تغني في المشاهد الكبيرة في اسوج ونروج وباريس وبرلين وفينَّا وغنَّت امام الملكة فكتوريا ملكة الانكليز لما زارت برلين . ثم اتت الى لندن فسحرت الناس بصوتها حتى لم يعد لهم حديث الاَّ بهِ

ومضت الى اميركا وغنَّت في نيويورك فصارت اوراق الدخول الى المشهد الذي تغني فيهِ تباع بالمزاد العلني وبلغ ثمن الورقة مئات من الريالات . غنَّت مئة ليلة بلغ نصيبها من دخلها ستين الف جنيه . واقترنت وهي هناك برجل اسمهُ اوتو غولدشمت من مهرة الضاربين على البيانو وعادت معهُ الى اوربا واستوطنت البلاد الانكليزية ولم تعد تغني في المشاهد الا قليلاً . وانفقت المال الكثير الذي كسبتهُ بصوتها على الاعمال الخيرية كبناء المستشفيات والانفاق على تعليم التلامذة وجُعلت استاذة للغناء في مدرسة الموسيقى الملكية من سنة ١٨٨٣ الى سنة ١٨٨٦ وبقي صوتها على جودتهِ ورخامتهِ حتى ادركتها الوفاة سنة ١٨٨٧

ترياق السموم

(١) اذا احترق احد من استعمال الحامض الفنيك او الكبريتيك (زيت الزاج) او المورياتيك (روح الملح) او النيتريك (ماء الفضة) او النيترومورياتيك (ماء الذهب) او الكربوسوت او صبغة اليود او الحامض الفصفوروس يعالج الحرق بزلال البيض مخبوطاً بالماء او بملعقة صغيرة من الخردل في كوبة من الماء الفاتر . واذا شرب احد شيئاً من الحامض الكبريتيك او النيتريك او المورياتيك يسقى الجير ممزوجاً بقليل من الماء

(٢) واذا سمَّ احد بالحامض الكروميك او باملاح النحاس او الانتيمون كالانتيمون المقيء ومركبات الزيبق والزنك فعالجهُ بزلال البيض بكثرة ويحسن ان تجعلهُ يتقيأ بواسطة الخردل الاَّ اذا كان السم من الطرطير المقيء

(٣) واذا سمَّ بالامونيا او الصودا او البوتاسا او بالسلكات او الهيدرومنغنات القلوي فعالجهُ بالخل ثم بالزيت او اللبن

(٤) واذا سمَّ بسيانيد البوتاسيوم والزيبق او باللوز المر او بالنيتروبنزين فصبَّ الماء البارد على رأسهِ وسلسلة ظهرهِ وضع خردليات على اخمص قدميهِ وبطنهِ ولا تدعهُ ينام

(٥) واذا سمَّ بالايثر او البتروليوم او البنزول او الالكحول المركَّز فاعطهِ مقيئاً من الخردل مع كثير من الماء الفاتر واغسلهُ بماء بارد في الهواء المطلق ولا تدعهُ ينام

(٦) واذا سمَّ بمركبات الباريتا او الرصاص فاستعمل لهُ الخردل مقيئاً مع الماء الفاتر والملح الانكليزي او ملح الطرطير مع الماء

(٧) واذا سمَّ بالزرنيخ ومركباتهِ فاستعمل لهُ الخردل والحديد المرسب بالذيالسس مع المغنيسيا ثم الزيت واللبن والاشربة الغروية

(٨) واذا سمّ بالحامض الاكساليك واملاحهِ فاستعمل لهُ الجير او ماء الجير ثم زيت الخروع

(٩) واذا سمّ بنيترات الفضة فاستعمل لهُ ملح الطعام مذاباً في الماء . والخردل مقيئاً

(١٠) واذا سم بابخرة الحامض النيتروس فاسقهِ خلاً حاذقاً بمقادير قليلة

وقد جمع الدكتور فرنسيس وبات النصائح التالية في علاج السموم البيتي قال : اذا تناول احد مادّةً سامة فاستدعِ لهُ الطبيب حالاً ولكن لا تضع الفرصة الى ان يحضر بل استعمل الوسيلة اللازمة من الوسائل التالية وهي

اولاً الترياق المتعدد — اذب كبريتات الحديد (الزاج الاخضر) في الماء حتى يتشبع منهُ وخذ مئة جزء من المذوَّب واضف اليها ٨٠٠ جزء من الماء و٨٨ جزءا من المغنيسيا و٤٤ جزءا من الفحم الحيواني . وهذا الترياق يعطى في التسمُّم بالزرنيخ والزنك والافيون والدجيتال والزيبق والاستركنين ولا يفيد في التسمم بالفصفور او الانتيمون او القلويات الكاوية

ثانياً المغنيسيا المكلسة وهي تفيد في التسمم بالحوامض

ثالثاً التربنتينا الفرنسوي وهو يفيد في التسمم بالفصفور

رابعاً الايكاك المسحوق وهو يستعمل مقيئاً وجرعتهُ ٣٠ قمحة او كبريتات الزنك وجرعتهُ من ٢٥ الى ٣٠ قمحة

خامساً الخردل وهو مقيء

ارشادات عامة : استعمل اولاً مقيئاً واتبعهُ بالترياق المتعدد المتقدم ذكرهُ واذا كان السم فصفوراً فاعطِ المسموم التربنتينا الفرنسوي ٢/١ جرام كل نصف ساعة واذا كان حامضاً من الحوامض فاعطهِ المغنيسيا المكلسة واذا كان قلوياً من القلويات فاعطهِ الخل . واحفظ القيء اذا ظننت السمَّ جنائياً لاجل تحليلهِ كيماوياً

تنظيف كفوف الجلد

من المركبات المستعملة لتنظيف كفوف الجلد سواء كانت من جلد الجداء او غيرهِ مركَّب اسمهُ غنتين وهو يصنع من جزء من الصابون وثلاثة اجزاء من الماء يذاب الصابون في الماء على النار ويضاف اليهِ جزء من روح قشر الليمون ثم تغسل الكفوف بهِ . وافضل منهُ ان توضع الكفوف في اناء كبير فيهِ بنزين نقي ويسد سداً محكماً وتهز

فيهِ مراراً ونترك ثم تهزّ واذا بقي عليها شيء من اللطوخ تمزح بخرقة مبلولة بالايثر او البترول. وانشر الكفوف في الهواء ثم ابسطها بين لوحين من الزجاج وعرّضها لحرارة كحرارة الماء الغالي حتى تزول منها كل رائحة البنزين . وتوضع بعد ذلك بين ورقتين ويضغط عليها بالمكواة

من الطرق المشهورة لتنظيف الكفوف ان تذيب الصابون في اللبن السخن وتمزج زلال بيضة بكل رطل من المذوّب مزجاً جيداً وتلبس الكفوف وتفركها بهذا المزيج ويحسن ان تضيف اليهِ قليلاً من الايثر . والكفوف البيضاء تبقى على بياضها بهذاالمزيج

ومنها الطريقة الفرنسوية وهي ان تلبس الكفوف بيديك وتفركها بروح التربنتينا كانك تفرك يديك بالماء والصابون ومتى نظفت علقها في الهواء حتى تجف وتزول منها رائحة التربنتينا

طبخ الديك الرومي

يترك الديك الرومي يوماً كاملاً من غير اكل قبل ذبحهِ ويربط برجليهِ ويعلّق بهما ويربط جناحاهُ وراء ظهرهِ ويذبح بسكين ماضية جداً ويترك كذلك حتى يخرج كل دمهِ لانهُ اذا بقي فيهِ شيء من الدم تلوَّن بهِ لحمهُ ثم يوضع في الماء الغالي مدة قصيرة حتى يسهل نتف ريشهِ واذا طالت مدة وضعهِ في الماء الغالي صار نتف ريشهِ صعباً . ثم ضعهُ على مائدة ورأسهُ الى جهتك وانتف ريشهُ في جهة نموهِ لا في الجهة المضادَّة لئلاَّ ينسلخ الجلد معهُ . وانزع الريش الغائر في الجلد بسكين او بملقط حتى ينظف جلدهُ جيداً ثم شوّطهُ قليلاً على لهب ورق مشتعل او لهب السبيرتو وغطسهُ مرتين او ثلاثاً في ماء غالٍ وفي ماء بارد على التوالي وانت ممسكاً اياهُ برجليهِ . وضعهُ على لوحٍ حتى يتصفى الماء منهُ واقطع رجليهِ بسكين ماضٍ من تحت الركبتين لا من فوقهما لئلاَّ تتقلص عضلات الساقين. وانزع كيس الشحم من فوق ذنبهِ والحوصلة من اسفل عنقهِ بشق دقيق تشقهُ فيهِ

ثم اقطع عظم العنق وشق البطن اذا اردت ان تحشوهُ واستخرج امعاءهُ محترساً لئلاَّ تشق المرارة وموقعها عند اعلى عظم الصدر ملتصقة بالكبد . وانزع القانصة ومعها

كل المصارين وشق القانصة وانزع بطانتها وما فيها وارم القانصة والقلب والكبد في الماء واغسلها جيداً واغسل الديك كلهُ بالماء البارد وعلقهُ حتى يتصفى الماء منهُ وضع خرقة سميكة على صدرهِ ودقهُ حتى يظهر سميناً ولكن احترس لئلا تمزق جلدهُ

واحش صدرهُ اولاً ولكن لا تملأهُ لئلا ينشق حينما تتمدد الحشوة فيهِ ثم املأ بطنهُ بالحشوة وخطهُ بعد حشوهِ ولا بد من ان تنزع الخيط منهُ قبل وضعهِ على المائدة والصق جناحيهِ بخاصرتيهِ بدبوس طويل من الخشب يصنع لذلك واجعل ساقيهُ يلصقان ببطنهِ بدبوس آخر وشك دبوساً ثالثاً في ذنبهِ واربط طرفي ساقيهِ بهِ وافركهُ بالملح والبهار جيداً وضع نتفاً من الزبدة على صدرهِ وضعهُ في فرن شديد الحمو ثم قلل حموَّهُ رويداً رويداً حتى ينضج الديك فيهِ واذا كان ثقلهُ اقتين وجب ان يبقى في الفرن ساعتين وثلث ساعة اي ثلث ساعة لكل رطل (ليبرة) من وزنهِ وثلث ساعة اخرى فوق المدة كلها ويعلم انهُ نضج من انك اذا غرزت فرتيكة بين فخذهِ وجسمهِ خرج منهُ سائل ابيض مائي لادموي

ثم اسلق احشاءهُ القلب والكبد والزنقلة وافرمها فرماً دقيقاً وامزجها بالماء الذي سلقتها بهِ واضف اليها دقيقاً ولبناً او ماء وما يكفي من الملح والبهار وضعها على النار حتى ينضج الدقيق وهي تضاف الى الحشوة التي يحشى بها اما الحشوة فتختلف باختلاف الاذواق فالبعض يفضلون الارز واللحم والبعض يمزجونهما باللوز والبعض بالصنوبر والبعض بالجوز والبعض بالزبيب والبعض يفضلون فتات الخبز والبيض والزبدة والبعض يضيفون اليها شيئاً من البقول او الفطر او المحار وربما اوضحتُ ذلك في فرصة اخرى

آداب السيدات

عند الاوربيين قواعد تجري نساؤهم عليها في معاشراتهم ومخالطاتهم يحسبنها من آداب السلوك لا بدَّ لنسائنا اللواتي يعاشرنهنَّ من ان يعرفنها حتى يعرفن مدلولها او حتى يجارينهنَّ فيها وسنلخص الفوائد التالية من كتاب انكليزي في هذا الموضوع

السيدات في الطريق

(١) اذا مشت ثلاث سيدات معاً وجب ان تمشي واحدة منهنَّ امام رفيقتيها حتى لا تمشي الثلاث في صف واحد فتضيق بهنَّ الطريق

(٢) اذا التقيتِ بسيدة في الطريق وانتِ لا تعرفينها الاَّ قليلاً وهي ارفع منك مقاماً فلا تبادري الى التسليم عليها لئلا يحسب ذلك منكِ ترفُّعاً الى مقامها بل دعيها تلتفت اليكِ وتحييكِ اولاً او تظهر ميلها لتحيتكِ بالتبسم لكِ

(٣) اذا تعرفتِ بسيدة في سياحة فليس من الضرورة ان يكون هذا التعرُّف صداقة دائمة ويكفي ان تحني لها رأسكِ اذا التقيتِ بها في الطريق . ولا تصح المزاورة بينكما الاَّ اذا اتفقتما على ذلك وانتما في السفر وحينئذٍ فالسيدة الاكبر سنًّا او الاعلى مقاماً تزور الاخرى اولاً والمتزوجة تزور العزباء اولاً

(٤) اذا لقيتِ امرأَة لكِ عادة ان تستخدميها لخياطة ثيابكِ او لنحو ذلك فآداب السلوك تقضي عليكِ ان تحييها اولاً لا ان تحييك هي اولاً لئلاَّ يحسب ذلك تطفلاً منها عليكِ

(٥) اذا لقيتِ رجلاً في الطريق وكنتِ لا تأنفين من حسبانهِ بين اصدقائك فحييهِ باحناء رأسكِ لهُ اما هو فلا يحق لهُ ان يبادئك بالتحية

(٦) اذا مشيتِ مع رجلين تعرفينهما فاجعلي اكثر حديثك مع اقلهما معرفةً لان اقرب الاصدقاء يجب ان يكون اكثرهما عذراً

(٧) اذا وقفتِ في الطريق تكلمين سيدة اخرى فقفي على جانب لكي لا تسد طريق المارَّة او امشي معها ولو اضطررت ان ترجعي في طريقكِ ولا تقفي في وسط الطريق تكلمين احداً ولا ترفعي صوتك وانتِ تتكلمين في الطريق

(٨) اذا لقيتِ في طريقكِ بركة ماء او وحلاً او نحو ذلك وعسر عليكِ المرور ودنا منك غريب ومدَّ لكِ يدهُ ليساعدك في عبورها فلا تترددي في اعطائهِ يدكِ لان ليس لهُ غرض من ذلك الاَّ مساعدتكِ للتخلص من تلك الورطة فاقبلي مساعدتهُ بالشكر

السيدات في السوق

(١) اذا مررتِ في السوق لترى البضائع قبلما تصممي نيتكِ على ابتياع شيء منها فاخبري اصحابها بذلك صريحاً فكلٌّ منهم يريك كل ما تريدين ان تريهِ عن طيب نفس راجياً ان تعودي الى دكانهِ وتشتري منهُ . واذا اتعبتهِ كثيراً بمشاهدة البضائع التي عندهُ فاشتري منهُ ولو شيئاً قليلاً مما لا تستغنين عنهُ تعويضاً لهُ عن التعب الذي تعبهُ

(٢) اذا اعجبتكِ بضاعة وعلمتِ ان الثمن الذي طلبهُ صاحبها هو ثمنها الحقيقي فاتركي المساومة لانكِ مهما اكثرتِ منها لا تحملين صاحبها على الخسارة .

(٣) لا تنزلي الى السوق مع رفيقة تحب المساومة الكثيرة اذا أردتِ الراحة لانها تضيع النهار كلهُ حتى توفر غرشاً

(٤) الغالي رخص والرخيص غالٍ . هذا هو الحكم الغالب فاذا اردتِ البضاعة الجيدة التي تقيم زماناً طويلاً على رونقها وجب عليك ان لاتكامري صاحبها والدكاكين التي تبيع البضائع الرخيصة جداً قلما يوجد فيها بضاعة جيدة تساوي ثمنها

(٥) اذا زرتِ مدينة لا تعرفينها فاسألي اولاً عن المخازن التي تباع فيها اجود البضائع واكتبي اسماءها. وقلما يشتهر بائع بجودة بضائعهِ وحسن ذمتهِ الاَّ وبضائعهُ جيدة وكلامهُ صادق

(٦) اذا نزلت الى السوق لتشتري بضاعة فلا تكلفي الرجال لينزلوا معكِ لان صبرهم قليل فيظهر عليهم الملل حالاً وفي ذلك تعب لهم ولك

(٧) اذا رأيت سيدة لابسة ثياباً اعجبتكِ وتودين ان تصنعي مثلها فلا بأس بسؤالها عنها وعن ثمنها وكل ما يتعلق بها والاَّ فليس من آداب السلوك ان تسأليها . وهي غير مضطرة الى اجابة سؤالك وكذلك اذا سُئلتِ انتِ سؤالاً مثل هذا فلست مضطرة ان تجيبي

(٨) اذا لقيت صديقة في مخزن فليس من اللياقة ان تقفي وتكليمها طويلاً فتضيعي وقتها ووقت الناس الذين تقفين في طريقهم

صحة الامهات

تمهيد

يقضي نظام الكون على المرأة ان تصير زوجة واماً ومرضعةً ومربية وعليها في كلٍ من ذلك واجبات لم تقللها الحضارة بل زادتها مشقةً ألا ترى ان المرأة الرابية في مهد الحضارة تجد من المشقة في ولادة الاولاد ما لا تجدهُ البدوية او الفلاحة العائشة بالتعب والمشقة . وبينما تجد البدوية تلد وهي سائرة على الطريق وتحمل طفلها وتظلُّ سائرة تجد نساء المدن يقمنَ في فراشهنَّ ثلاثين يوماً او اربعين بعد الولادة واذا قمن قبلها لحقهنَّ ضرر كثير . ولا مطمع لنساء المدن ان يصرن مثل البدويات من هذا القبيل لانهنَّ ورثنَ ضعف البنية عن امهاتهنَّ ولكنهنَّ اذا اكثرنَ من الرياضة واستنشاق الهواء النقي وهنَّ حوامل سهلت ولادتهنَّ كثيراً وقلَّت نتائجها المضرَّة ولو قمنَ من الفراش بعد ايام قليلة . وليس من الحكمة ان يقلدنَ البدويات

في سرعة القيام من الفراش ولا في قلة الاعتناء بالاطفال لان اللواتي لا يضرهنَّ النفاس من البدويات والذين يعيشون من اطفالهم قلال كما يظهر من قلة نمو الناس في البلدان التي لا يعتني نساؤها بانفسهنَّ وباطفالهنَّ . ولكن الحكمة كل الحكمة في تقوية ابدانهنَّ حتى تجود صحتها وصحة اطفالهنَّ

تدبير الحامل

حالما تشعر المرأة انها حامل يجب ان تعتني بنفسها اعتناء خاصاً ان لم تكن معتادة الاعتناء بها حفظاً لصحتها ولصحة طفلها لانهُ يغتذي من دمها فبقوتها قوتهُ وبضعفها ضعفهُ . واعتناؤها بنفسها يؤثر بهِ في الشهور الاولى من الحمل كما يؤثر بهِ في الشهور الاخيرة وبعد الولادة

يظن بعض النساء ان الحياة لا تبتدئ في الجنين قبلما يصير يتحرك في بطن امهِ وهذا خطأ بل هو يكون حيًّا من اول تصورهِ ومن حين كان بيضة صغيرة. وقوتها وضعفها يؤثران فيهِ من حين تكون فتاة صغيرة بل يؤثر فيهِ كل ما اثر في والديهِ ووالديهما من قبلهما . الا ان موضوعنا قاصر على التأثير القريب اي ما يؤثر في الطفل من ابتداء الحمل الى ان يولد والكلام في ذلك يتناول ثلاثة امور وهي غذاء الجنين وصحتهُ والمكان الكافي لنموهِ وسنبسط الكلام على ذلك في الاجزاء التالية

باب التقريظ والانتقاد

تفسير الفاتحة

اذا تصفحت فهرست مكتبة كبيرة من المكاتب العربية وجدت اكثر ما فيها من كتب التفسير ففي كشف الظنون خمس عشرة صفحة كبيرة ملأتها اسماء هذه الكتب وفي فهرست المكتبة الخديوية صفحات كثيرة لها وقس على ذلك غيرها من الفهارس .وسيبقى باب التفسير مفتوحاً مادامت عناية الامة الاسلامية بكتابها وما دام علماؤها يطرقون سبلاً جديدة للبحث والتنقيب . ولقد علم القاصي والداني ما للاستاذ المحقق الشيخ محمد عبده مفتي الديار المصرية لهذا العهد من العناية ببث المعارف الدينيَّة والحقائق العلميَّة وقد انشأ يفسر القرآن في الجامع الازهر في مجالس يحضرها العلماء والطلاب وكثير من الوجهاء ورجال الحكومة . قال صاحب المنار

الاغر ان اهل الفضل اجمعوا على ان هذا التفسير هو لذي ينفخ روح الحياة الملية في المسلمين وانهُ يجب نشرهُ في جميع الاقطار وان كثيرين من اهل القطر المصري وغيرهِ رغبوا اليهِ ان ينشر في المنار خلاصة ما يقررهُ الاستاذ في الدرس فكتب خلاصة التفسير ونشرها متتابعة بعد عرضها على المفسر واجازتها من لدنهُ . ثم جُمع تفسير الفاتحة وعُرض عليهِ وطُبع في كتاب على حدة التزم طبعهُ حضرة الشيخ احمد عمر المحمصاني الازهري بعد ان أُضيفت اليهِ ثلاث مقالات تفسيرية لحضرة الاستاذ ومقالة رابعة لحضرة صاحب المنار

وقد نقلنا الفقرة التالية عن هذا الكتاب المستطاب دلالة على ما فيهِ من البلاغة وحسن البيان . قال المفسر في قولهِ اهدنا الصراط المستقيم صراط الذين انعمت عليهم

" وههنا سؤال وهو كيف يأمرنا الله تعالى باتباع صراط من تقدمنا وعندنا احكام وارشادات لم تكن عندهم و بذلك كانت شريعتنا أكمل من شرائعهم وأصلح لزماننا وما بعدهُ ؟ والقرآن يبين لنا الجواب وهو انهُ يصرح بان دين الله في جميع الامم واحد وانما تختلف الاحكام بالفروع التي تختلف باختلاف الزمان واما الاصول فلا خلاف فيها . قال تعالى " قل يا أهل الكتاب تعالوا الى كلمة سواء بيننا و بينكم " الآية وقال تعالى " إنا أوحينا اليك كما أوحينا الى نوح والنبيين من بعده " الآية . فالاعتقاد بالله و بالنبوة و بترك الشرّ و بعمل البرّ والتخلق بالاخلاق الفاضلة مستمر في الجميع وقد أمرنا الله بالنظر فيما كانوا عليهِ والاعتبار بما صاروا اليهِ فنقتدي بهم في القيام على أصول الخير "

وقسم الضالين في قولهِ ولا الضالين الى اربعة اقسام (الاول) الذين لم تبلغهم الدعوة الى الرسالة او بلغتهم على وجه لا يسوق الى النظر وقال ان امرهم في الآخرة انهم لن يساووا المهتدين في منازلهم وقد يعفو الله عنهم . (والثاني) من بلغتهُ الدعوة على وجه يبعث على النظر فساق همتهُ اليهِ واستفرغ جهدهُ فيهِ ولكن لم يوفق الى الاعتقاد بما دعي اليهِ وانقضى عمرهُ وهو في الطلب . ولا ريب ان مؤاخذتهُ اخف من مؤاخذة الجاحد الذي استعصى على الدليل . (والثالث) من بلغتهم الرسالة وصدقوا بها بدون نظر في ادلتها ولا وقوف على اصولها فاتبعوا اهواءهم في فهم ما جاءت بهِ في اصول العقائد وهؤلاء هم المبتدعة في كل دين ومنهم المبتدعون في دين الاسلام. واطال في وصفهم . (والرابع) اهل الضلال في الاعمال المحرفون للاحكام عما وضعت لهُ . ثم قال ان النوع الاول والثالث والرابع "يظهر اثرها في الامم فتختل قوى الادراك فيها وتفسد الاخلاق وتضطرب الاعمال ويحل بها الشقاء عقوبة من الله ... و يُعدُّ حلول الضعف ونزول البلاء بامة من الامم من العلامات والدلائل على غضب الله تعالى

عليها لما احدثتهُ في عقائدها واعمالها مما يخالف سنتهُ ... لهذا علمنا الله تعالى كيف ننظر في احوال من سبقنا ومن بقيت آثارهم بين ايدينا من الامم لنعتبر ونميز بين ما بهِ تسعد الاقوام وما بهِ تشقى " انتهى

تلونا اقوال الاستاذ التي ذكرنا خلاصتها هنا وقد تجلَّى لنا منها امران جديران بالنظر امران لو قال بهما ائمة المسلمين وائمة كل الاديان وعملوا على مقتضاهما لعادت الى الارض الاخوَّة التي ازالها منها اهل الديانات . الاول " ان دين الله في جميع الامم واحد " ويقتضي العقل والعدل ان يكون الله قد ساوى بين مخلوقاتهِ فاوحى دينهُ اليهم كلهم على السواء . والثاني ان الهدى والضلال يقاسان بالسعادة والشقاء فالامة التي ترى السعادة حليفة لها مهتدية والامة التي ترى الشقاء حليفاً لها ضالة اي ان اصول الهدى والسعادة موجودة عند كل الامم ولا فرق بينهم الاَّ في التوفر على اتباعها او في الضلال عنها . فعسى ان يتمكن حضرة الاستاذ الفاضل من نشر هذين الامرين في كل الديار الشرقية واقناع الناس بهما فيكون لهُ في اصلاحهم شأن يعلو على كل شان لان بهما الدعوة الى الجامعة الانسانية

اشهر مشاهير الاسلام

الجزء الاول

قال كارليل الفيلسوف الانكليزي " ان تاريخ العظام هو تاريخ العالم " . واذا لم يصدق هذا القول على امة من الامم فهو يصدق على الامة العربية والملة الاسلامية لان كل ما هو محفوظ من تاريخها وارد في تاريخ مشاهيرها اما احوالها الاجتماعية والمعاشية فقلما يُعرف عنها شيء يذكر حتى اننا نعرف الآن من احوال المصريين الاقدمين الذين عاشوا منذ اربعة الاف سنة اكثر مما نعرف من احوال الامة العظيمة التي فتحت معظم المعمور في اقل من قرنين ولذلك نرحّب بكل كتاب تاريخي جديد نرجّي ان نرى فيهِ اموراً لم نرها في كتب التاريخ المتداولة . وحالما وقع نظرنا على كتاب " اشهر مشاهير الاسلام " واسم مؤلفهِ العالم المحقق رفيق بك العظم تجلّت امامنا العقبات الكثيرة التي يجدها المؤرخ العصري في اكتشاف الحقائق التاريخية بين اساطير نقلت عن السن الرواة ولم تودع متون القرطاس الاَّ بعد ان مرَّ عليها اعوام كثيرة وهو يرى الامر بعينيهِ او يسمع خبره باذنيهِ فاذا لم يودعهُ القرطاس حالاً ضاع منهُ كلهُ او اكثرهُ . واذا قصَّ خبراً على زيد وقصهُ زيد على عمرو وعمروٌ على بكر وبكر على خالد ثم سمعهُ من خالد وجدهُ مختلفاً عن الخبر الاول لفظاً ومعنىً فما قولك باخبار

تتداول مئة عام او اكثر. ومن من ابناء هذا القطر يستطيع ان يروي لنا اخبار الثورة العرابية مثلاً ولم يمضِ عليها الآن عشرون عاماً. فقد سمعنا اخبارها من الذين شاهدوها وكان لهم ضلع فيها فلم نكد نجد اثنين يتفقان في الاصول فضلاً عن الفروع وحتى الآن لا يعرف السبب الحقيقي لهذه الثورة فكيف يطمع احد ان يجد تاريخاً صحيحاً للعرب ولقيام الدولة الاسلامية الاولى واول تاريخ كُتب لها كُتب بعد الهجرة باكثر من مئة سنة واقدم تاريخ بقي الى الآن في ما نعلم كتاب المغازي والسير لابن اسحق الطلبي الفهُ في اواسط المئة الثانية بعد الهجرة

وغنيٌّ عن البيان ان قيام العرب اما ان يكون قد جرى مجرى حوادث الكون وخضع للسنن الطبيعية التي سنَّها الله لنوع الانسان او يكون كلهُ خوارق في خوارق فان كان الثاني فلا محل للبحث والتحقيق والتمحيص والتدقيق بل كل ماروي عن لسان السلف يحتمل وقوعهُ لان ليس للخوارق من قانون طبيعي تجري عليهِ حتى لو رووا ان الرجل كان يردي الفاً بضربة واحدة ما وجد معتقد صحة الخوارق الى الانكار سبيلاً. وان كان الثاني حقَّ لنا ان ننتظر تولُّد اخبار موضوعة ومبالغات بعيدة عن الحقائق حول كل جرثومة من الحوادث الصحيحة وان نبحث عن علاقة الروم والفرس بالعرب وعما اذا كان العرب عاونوا الفرس على الروم وعاونوا الروم على الفرس وتعلموا قيادة الجيوش منهم ثم ثاروا على الامتين وانضوا تحت لواء النبي العربي الذي تجمعهم بهِ جامعة اللغة والنسب وانقسمت ولايات الروم بعضها على بعض بسبب الاختلاف الديني بين الملكيين واليعاقبة فانحاز فريق منهم الى العرب الموحدين وحاربوا تحت لوائهم. هذه وامثالها امور رجونا ان نرى لها شروحاً مستفيضة في هذا الكتاب لنفيها او لاثباتها لا ان نراهُ منسوجاً على منوال كتاب السيوطي في تاريخ الخلفاء. لكن الكتاب ليس خالياً من مثل هذه الشروح بل فيهِ كثير منها كقولهِ في الصفحة ٧٢ " وقد اتفق ابن الاثير والبلاذري على حصول وقائع للمسلمين مع الروم قبل وقعة اليرموك وهي وقعة بصرى في حوران ووداثن في فلسطين ومرج الصفر وغيرها. والظاهر من هذه الروايات ان الروم في ابتداء الامر لم يحفلوا بامر المسلمين ولم يظنوا فيهم القوَّة والجرأة على اقتحام عواصم البلاد والتغلغل في احشاء الممالك بجيشهم القليل وعدتهم الضعيفة وهو من سوء الرأي المبني على الكبرياء الباطلة والغرور المضر فان الاستهانة بالعدو مهما قلَّ وهن في الساسة منشأهُ ما يصيب عقول السياسة في الدول الهرمة من فقد قوة التجارب او الاعراض عن مصالح الملك حبًّا بمصالح النفوس وشهواتها وقد مهَّدت سياسة الروم هذه للمسلمين ان يقتحموا بجيوشهم البلاد اقتحام المجربين في

الحروب العارفين بمواضع الخطر الواقفين على عورات العدو الخبيرين بطرق البلاد فانهم اوغلوا في جنوب الشام في شكل مثلث متقارب الخطوط رأْسهُ في البلقاء مع يزيد بن ابي سفيان مما يلي الحجاز وطرفاهُ الواحد في الجنوب الغربي في فلسطين وهو مع عمرو بن العاص والآخر في الجنوب والجنوب الشرقي في حوران وهو مع ابي عبيدة بن الجرَّاح وفي الوسط بميلة الى الغرب ايضاً شرحبيل بن حسنة وهو في الاردن بحيث يمدّ بعضهم بعضاً من قرب ومن ورائهم يزيد يحفظ عليهم خط الرجوع ويديم النظر في طرق المواصلات . على هذه الصفة دخلت الجيوش الاسلامية الى الشام وافتتح كل امير ما مرَّ عليهِ من البلاد صلحاً او حرباً حتى اذا اخذت الصيحة الروم من كل مكان هبُّوا من غفلتهم هبوب المذعورين وانتبهوا انتباه الغافلين فضرب هرقل البعث على العرب الضاحية بالشام من بهراء وسليح وغسان وكلب ولخم وجذام وهم يومئذٍ حماة البلاد والى الملوك من بني غسان بنتهي القول والعمل فاجتمع لديهِ منهم ومن الروم زهاء مئة وخمسين الفاً فقسمهم و بعث لحرب كل جيش من جيوش المسلمين قسماً منهم بقيادة احد مشاهير القوَّاد "

وقال قُبَيْل ذلك ان امراء المسلمين كتبوا الى هرقل امبراطور القسطنطينية وهو في القدس يدعونهُ الى الاسلام او الجزية او السيف فجمع اليهِ البطارقة وكبار القواد وشاورهم في امر المسلمين واشار عليهم بصلحهم فابوا عليهِ الاَّ الحرب وكان مما قال لهم "والله لان تصالحوهم على نصف ما يحصل من الشام ويبقى لكم نصفهُ مع بلاد الروم احب اليكم من ان يغلبوكم على الشام ونصف بلاد الروم " ولما لم يوافقوهُ على رأْيهِ اخذ باعداد الجنود والعدة وارسل لكل امير جيشاً ليشغل كل طائفة من المسلمين بطائفة من قومهِ . انتهى

والذي نعلمهُ من امر هرقل انهُ كان من اعظم القواد نظَّم جنود الروم ومرَّنهم ودرَّبهم وغزا بهم بلاد الفرس سنة ٦٢١ اي قبل الهجرة بسنة فدوَّخها في خمس سنوات واضطرَّ ملكها الى الهرب وعاد بالغنائم الوافرة ثم قام شيرويه بن كسرى على ابيهِ وقتلهُ سنة ٦٢٨ واصطلح مع هرقل وتبادلا الاسرى واعيدت مملكة الفرس الى حدودها الاولى بعد ان كانت قد غزت بلاد الشام وفتحت دمشق سنة ٦١٣ واورشليم سنة ٦١٤ واستولت على سورية ومصر واسيا الصغرى وكادت تدخل القسطنطينية . وعاد هرقل الى القسطنطينية ظافراً ثم اتى الى القدس سنة ٦٢٩ ورد الصليب الى مكانهِ بعد ما استرجعهُ من الفرس وعاد منها الى القسطنطينية وقد تغيَّرت عقيدتهُ فمال الى مذهب اليعاقبة اما ليردهم الى الكنيسة الجامعة او لاقتناعهِ بصحة مذهبهم وشغل بالمجادلات الدينية عن امور المملكة . ويقول البعض ان خللاً في عقلهِ وشغفاً

بزوجتهِ الثانية التي لم يكن يحلُّ لهُ التزوُّج بها صرفاهُ عن امور الملك والاَّ فلو بقي على عزيمتهِ الاولى التي ارغم بها انوف الفرس لكان تاريخ العالم غير ما هو عليهِ الآن . اما قول بعض مؤرخي العرب انهُ اسلم سرًّا فلعلهُ محمول على قول مؤرخي الروم انهُ مال الى مذهب اليعاقبة القائلين بالطبيعة الواحدة (المونوفزيت) واحدث بدعة القائلين بالمشيئة الواحدة (المونوثليت)

ولقد احسن المؤلف في وصفهِ عدل الخليفة الاول وعظيم سياستهِ وثاقب رأيهِ واورد دليلاً على ذلك وصاياهُ للقوَّاد والامراء بالرفق بالامم المغلوبة وتجنُّب كل ما يثير بالمحارب ثائرة الاشجان او يدعو الى مس جانب الانسانية او يخدش وجه العمران . ثم استطرد الى مؤاخذة الامم الاوربية بما تفعلهُ الآن بالامم التي تتغلب عليها كما فعل الفرنسويون في الجزائر والانكليز في الهند والقى تبعة ذلك على مدنيتهم . فعلى مَ تلقى تبعة ما فعلتهُ الجنود المظفرة برجال الشام يوم أُعطوا العهد وحُشروا في سراي دير القمر وحاصبيا وذبحوا ذبح الاغنام . اللهمَّ ارنا عيوبنا حتى نشتغل بها عن عيوب غيرنا واقنعنا ان العبرة بالنتائج العملية لا بالوسائل النظرية . الاَّ ان المؤلف لم يغفل الموعظة والتذكرة لقومهِ كما سنحت لهُ الفرصة . اقرأ ما قالهُ عن الالقاب والرتب في الصفحة ١٥٩ وما بعدها واستطرادهُ الى وصف سكان الولايات المتحدة الاميركية الذين اعرضوا عن هذه السفاسف "فنشطوا الى السعي وراء المجد الحقيقي المتأتي عن العمل والعلم حتى بلغوا مكانًا من المجد والقوَّة تحسدهم عليهِ كل دول الارض الآن ولله في خلقهِ شؤُون وللسعادة والشقاء سبيلان يسلك الاول منهما العاقلون والثاني الجاهلون"

وهذا الجزء من الكتاب مقتصر على سيرة الخليفة الاول من الخلفاء الراشدين ابي بكر الصديق رضي الله عنهُ والقائد العظيم خالد بن الوليد وفيهِ ١٨٢ صفحة بقطع المقتطف . والمؤلف على ما يرجى من سعة الاطلاع ودقة النظر وشدَّة الحمية وحبذا لو راجع تواريخ الروم والفرس وقابل تواريخ العرب بها لزيادة التدقيق والتحقيق

كتاب دفع الهم

هو فصول في آداب النفس لايليا النسطوري مطران نصيبين عثر على ثلاث نسخ منهُ حضرة الاب الفاضل الخوري قسطنطين الباشا في مكتبة الواتيكان برومية فنقحهُ وطبعهُ وقال في مقدمتهِ ان ايليا النسطوري المعروف بابي الحليم ولد في اواخر القرن العاشر وترهَّب في دير القديس ميخائيل بقرب الموصل وصار مطرانًا على نصيبين سنة ١٠١٤ وتوفي سنة ١٠٤٩ في ميافرقين

والكتاب اثنا عشر باباً في كلٍ منها مواعظ وحكم للمؤلف في تحبيب خلة من الخلال الفاضلة المعينة على دفع الهم وتقبيح خلة من الخلال السيئة التي تجلب التعب والغم على صاحبها كالديانة والمعصية والشكر والكفر والتواضع والكبر والرحمة والقساوة والعقل والهوى والمشورة والاستبداد والكرم والبخل والعدل والظلم وبعد كلامهِ امثال واقاويل نفيسة من غيرهِ. والكتاب كلهُ آية في البلاغة وحسن البيان ولقد أحسن حضرة منقحهِ بطبعهِ ونشرهِ. ومع اعترافنا بفضل هذا الكتاب واضرابهِ من الكتب التي تحث على الآداب والفضائل نودُّ ان لا يبالغ في نفعها لان تهذيب الاخلاق امرٌ عملي لا يتم بالقراءة والمطالعة بل لا بدَّ لهُ من تربية عملية يترباها الانسان صغيراً ويربي نفسهُ عليها كبيراً. ولدرهمٌ من العمل خير من قنطار من التعليم

باب المسائل

(١) جائزة تسبيع الدائرة

حيفا. يوسف افندي زعرب. أيوجد جائزة لتسبيع الدائرة اي قسمتها الى سبعة اقسام متساوية لمن يبرهن ذلك بحسب اصول العلوم

ج لا نعلم ولكن الذي يفعل ذلك لا يحرم من الجزاء الادبي. وقد اطَّلعنا على طرق مختلفة لقسمة الدائرة الى سبعة اقسام متساوية بالهندسة فلم نجد منها طريقة صحيحة

(٢) فعل الصابون

ورستر باميركا الخواجه الياس الغز. كيف يعلل فعل الصابون بازالة الوسخ عن الابدان والثياب

ج الصابون ملح مركب من المادة القلوية والحامض الزيتيك او الشحميك الذي يحلُّ اليهِ الزيت او الشحم وقت عمل الصابون. اما كيفية التنظيف فمختلف فيها والمظنون اما ان بعض الصابون يتحلَّل بالماء الى مادة قلوية وصابون حامض لا يذوب في الماء وتتحد المادة القلوية بالوسخ وتكوّن منهُ ملحاً يذوب في الماء فتزول عن الثياب. او ان مذوب الصابون يستحلب المواد الدهنية اي يجزئها الى اجزاء صغيرة جداً ويحيط كل جزء منها بغشاء منهُ فيسهل امتزاجها بالماء. هذا اذا كان الصابون متعادلاً اما اذا كان قلوياً قلويتهُ واضحة فالمادة القلوية الزائدة فيهِ تفعل بالوسخ مباشرة فتحولهُ الى ملح يذوب في الماء

(٣) الماس والصوان

ومنهُ. كثيراً ما نسمع ان بعض الماس

يستخرج من الصوَّان . وقد نظرت حجارة صوَّانية في بعض المتاحف وفي قلبها قطع ماس بحجم كبير فهل هي كذلك وما هو اصل الماس

ج كلاَّ بل الذي رأيتموهُ سلكا متبلورة او ما يسمي في سورية بدب الملح اما الماس فحجم متبلور ولا يوجد قلوباً مجتمعة بعضها مع بعض كالسلكا بل حصى متفرقة . راجعوا ما كتبناهُ عن الماس في المجلدات الماضية من المقتطف فان فيها مقالات ضافية عن اصلهِ ومناجمهِ وكيفية وجودهِ

(٤) الغازولين

ومنهُ . يستعمل الغازولين كثيرًا في هذه البلاد وهو خالٍ من الرائحة فما هي مادتهُ وما هو اسمهُ بالعربي وهل هو موجود في القطر المصري ولاي شيء يستعمل فيهِ

ج هو نوع من البترليوم اوزيت الغاز فانهُ حينما يستقطر البترليوم لتنقيتهِ يخرج منهُ مواد مختلفة تسمى باسماء مختلفة وهي السيموجين وثقلهُ النوعي ١٠٠ الى ١١٠ والريغولين وثقلهُ النوعي ٩٠ الى ١٠٠ والغازولين وثقلهُ ٨٠ الى ٩٠ والنفط وثقلهُ ٧٠ الى ٧٦ والبنزين وثقلهُ ٦٢ الى ٧٠ . والغازولين غير موجود في القطر المصري ولكن يجلب اليهِ جلباً ويستعمل فيهِ للاضاءة وللاشغال في الاوتوموبيل وهو يسمى هنا بالغازولين كما يسمى في اميركا ولا اسم لهُ في العربية لانهُ مادة جديدة لم تكن معروفة عند العرب ولا وجود لها في بلادهم بل قد استحضرت حديثاً من اميركا

(٥) خوف الوحوش من الانسان

ومنهُ يقال انهُ اذا سار انسان في ارض قفر وهجم عليهِ وحش من الوحوش يخلع ثيابهُ وقابل الوحش عاريًا دبًّا على يديهِ ورجليهِ هرب الوحش منهُ فهل ذلك صحيح

ج اذا كان الوحش معتادًا افتراس الناس وكان جائعاً فلا نظن انهُ يهرب منهُ واما اذا لم يكن معتادًا افتراس الناس ولا رؤيتهم على هذه الصورة فلا يبعد انهُ يهرب منهُ . والحكم البات في هذه المسألة وامثالها لا يكون الاَّ بعد التجربة والاستقراء ولا يحتمل ان يجرّب احد ذلك تجربة عملية يبنى عليها حكم

(٦) دود القمح

طرابلس الشام . الخواجه حنا حكيم في اميون من اعمال لبنان اراض متسعة تزرع حنطة وحينما يبلغ علو الزرع نحو ثلاث عقد تأكلهُ دودة سوداء صغيرة تشبه دود الحرير في اول ادوارهِ وفي اواخر اذار لا يعود للدود اثر فهل من دواء او واسطة تقي الزرع من هذه الدودة او تمنع ظهورها

ج لا يكفي وصفكم لمعرفة نوع الدودة وطبائعها لينظر في علاجها . ونكرر هنا ما قلناهُ منذ ٢٦ سنة في المجلد الاول من المقتطف

وهو انهُ اذا طال ترداد الحشرات على بلاد وجب ان يختار لزرعها نوع من القمح ينمو بسرعة حتي ان سرعة نموهِ تتغلّب على فعلها وان تحرث الارض جيدًا ويؤخر زرع القمح فيها (او يبكر حتى ينمو ويقوى قبلما تظهر) . وعلى كلٍ يجب ان تحرق كعوب القمح بعد الحصاد ثم تفلح الارض ويستأصل العشب منها وتمهد. واذا صوِّل القمح المعد للزرع ومزج بقليل من الكلس (الجير) صار سريع النمو وتغلَّب على هذه الحشرات واذا ذُرَّ على الارض كلس جديد بعد الحصاد تلاشى منها كثير من زيزان الحشرات واذا ذرَّ عليها رماد في الخريف والربيع اتى بنفع كبير . ونزيد على ذلك الآن ان حرق كل ما في ارض الحنطة بعد الحصاد من خير الوسائل لاهلاك الحشرات منها وذر الرماد فيها . ومما يفيد كثيرًا تعاقب المزروعات فاذا زرعت ارض الحنطة فولاً او باقياء او حمصًا اوعدسًا فالغالب ان دود الحنطة لا يجد لهُ غذاء فيها فيهلك و يستأصل منها

(٧) العقل ومقرهُ

برمّانا . اسكندر افندي توما ما هو العقل واين مقرهُ

ج هو القوة التي بها ندرك ونحكم ونستدل ونريد ونتصوَّر ونتذكر ونعمل سائر الاعمال العقلية ومقرهُ في الدماغ او في الجسم السنجابي الموجود في الدماغ والحبل الشوكي والعقد السمباثوية . وكنهُ العقل غير معروف كما ان كنه كل الاشياء غير معروف . وقد اشبعنا الكلام على حقيقتهِ ومقرهِ في المجلد الخامس والتاسع من المقتطف

(٨) الضمير

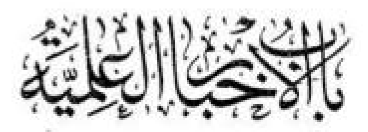
ومنهُ ماهو الضمير وما هي آراء العلماء فيهِ

ج اختلف الفلاسفة في تحديدهِ ولعلماء الفلسفة الادبيَّة منهم اقوال موضوعة لا تقوى على البحث . و يؤخذ من قول علماء الفلسفة العقلية ان الضمير هو العقل حينما يكتشف الحقائق الادبية . وتجدون كلامًا مسهبًا عنهُ في المجلد السادس من المقتطف في الجزء العاشر والحادي عشر

(٩) نور الاسيتيلين

مصر . امين افندي غالب . لم نعد نسمع شيئًا عن نور الاسيتيلين ولا رأينا استعمالهُ قد شاع كاستعمال النور الكهربائي فهل ذلك لانهُ اغلى من النور الكهربائي

ج كلاَّ بل هو ارخص من النور الكهربائي واسطع نورًا ولكن استعمالهُ في البيوت غير سهل كاستعمال الكهربائية اما في المعامل فقد كثر استعمالهُ ولا سيما في معامل الغزل والنسج لان الالوان تتميز فيهِ كما تتميز في نور النهار واستعمالهُ شائع ايضًا في اضاءة المركبات والدرجات وقد استنبط الالمانيون قنديلاً صغيرًا منهُ ساطع النور جدًا



مأثرة جديدة لسابا باشا

رأى سعادة سابا باشا مدير البوسطة المصرية ان يقلّد المجلات العلمية منّةً لم تُقلَّدها في قطر آخر فطلب من الحكومة ان تبقى اجرة العدد من المجلات مليماً واحداً مهما بلغت زنتها فاجابهُ مجلس النظار الى طلبهِ وصار يسهل علينا ان نزيد جرم المقتطف وتبقى اجرة نقلهِ في البريد على حالها . وهذه منّة يشاركنا في شكرها لسعادتهِ جمهور القراء

جائزة ٢٠٠٠ جنيه

اعلن حضرة المهندس الفاضل خورشيد بك وهبي باشمهندس القناطر الخيرية سابقاً انهُ يعطي الفي جنيه لمن يثبت بالادلة العلميَّة ان المياه تتلف الخافقي (الملاط الهيدروليكي) وانها تخترق جسراً من التراب عرضهُ اربعون سنتمتراً وتصل اليهِ . وجعل معرض التقاضي في المقتطف ثم بعث الينا بمقالة ضافية ضمَّنها الاسانيد العلميَّة التي يعتمد عليها لاثبات قولهِ وهو ان المياه لا تتلف الخافقي ولا تصل اليهِ اذا كان بينها وبينهُ جسر من التراب عرضهُ اربعون سنتمتراً . وسننشر مقالتهُ ملحقة بالجزء التالي من المقتطف . اما المقالات التي وردت علينا باقلام حضرات المهندسين مثبتة ان الماء يتلف الخافقي ويخترق جسر التراب اليهِ فاذا رأى حضراتهم ان ادلتها تثبت بعد نشر مقالتهِ وتعريف مرادهِ بالخافقي فاننا ننشرها والاَّ فلا

مركوني بين القارتين

مضى القرن الماضي وعلماء الطبيعة يفكّرون في تلغراف مركوني وفي ما اذا كان نقل الاشارات الكهربائية بهِ يتعدَّى مسافة مئة ميل او مئتي ميل ولم يخطر لهم انهُ قبل ان يحول الحول الاول من القرن الجديد تنقل الاشارات بهِ الوفاً من الاميال فقد ادَّعى مركوني في اواسط الشهر الماضي ان آلتهُ اوصلت الاشارات الكهربائية المعروفة بتموجات هرتس من بلاد الانكليز باوربا الى نيوفونولند باميركا وقد عاد الى اوربا ليقوي آلتهُ فيها ويجعل اشاراتها تصل الى الولايات المتحدة او غيرها من البلدان الاميركية . ومعلوم ان نقل الاشارات الكهربائية من اوربا الى اميركا بالتلغراف العادي لم يتم الاَّ بعد ان استعمل التلغراف بخمس وعشرين سنة فاذا نُقلت الاشارات الكهربائية بتلغراف مركوني الآن من اوربا الى اميركا لا يكون قد مضى عليها

من حين اشير باستعمالها اكثر من عشر سنوات ومن حين جربها مركوني اكثر من اربع سنوات او خمس ولم يكن يستطيع ان ينقلها حينئذٍ اكثر من ميلين اوثلاثة . واذا سارت المكتشفات العلمية على هذا النمط من السرعة لم تمضِ عشر سنوات اخرى حتى نرى تلغراف مركوني يحيط بالكرة الارضية والفضاء مملوءا بالاشارات الكهربائية يقرأها كل من عندهُ آلة من آلات مركوني

ضغط النور

كتب الشهير مكسول منذ زمن انهُ "اذا جُمعت اشعَّة النور وسلِّطت على صفيحة رقيقة من المعدن فمن الممكن انها تفعل بها فعلاً ميكانيكيًّا ظاهرًا" وقد حاول السر وليم كروكس اثبات ذلك بآلتهِ المعروفة بالراديومتر فلم يستطع اثباتهُ لان الراديومتر كبير ولدورانهِ سبب آخر غير ضغط اشعَّة النور . الاَّ ان الاستاذ ليدو من اساتذة مدرسة موسكو الجامعة اثبت الآن قول مكسول بالامتحان فانهُ صنع راديومترًا سواعدهُ من الاليومنوم الخفيف ووضعهُ في زجاجة كبيرة مفرغة من الهواء وجمع اشعة النور الكهربائي وسلطها عليها بعد ان نزع منها اشعة الحرارة فادارت الدولاب بقوة ضغطها على سواعدهِ فالقوة موجودة ولكنها ضعيفة جدًّا

سبب الشيب

كثر بحث العلماء عن سبب الشيب ولكن لم يعرف سببهُ الحقيقي الاَّ الآن فقد كتب الاستاذ متشنيكوف الروسي الى الجمعية الملكية الانكليزية يقول "... البحث عن سبب الضمور ولا سيما الضمور الذي يصيب الشيوخ فانتبهت الى ضمور المادة الملونة في شعر الشيوخ او زوالها ورأيت بالمشاهدة في الشعر الشائب والذي وخطهُ الشيب ان فاغوسيت الشعر هو الذي يزيل المادَّة الملوَّنة منهُ (الفاغوسيت الخلايا البيضاء التي في الدم) فان هذه الخلايا تخرج من باطن الشعرة الى قشرتها الظاهرة وتمتص الحبيبات الملونة منها (فيبيض الشعر لانهُ يصبح خاليًا من اللون) وتوجد هذه الخلايا بكثرة في الشعر الذي ابتدأ الشيب فيهِ واما الشعر الذي شاب تمامًا فلا توجد فيهِ او تكون قليلة جدًّا . وقد شاهدتها كثيرة في اصول الشعر الذي ابتدأ الشيب فيهِ وهي مملوءة بالمادة الملوَّنة وشاهدتها ايضًا في اصول شعر الكلاب التي شاخت وابتدأ الشيب فيها وهي كثيرة هناك ومملوءة بالمادة الملوَّنة . وبذلك يعلَّل حدوث الشيب في يوم واحد فان هذه الخلايا تتكاثر في الشعر وتلتهم المادة الملونة منهُ في وقت قصير"

هذا ويحتمل بعد هذا البيان ان توجد واسطة لاضعاف هذه الخلايا او لمنع تكاثرها في الشعر فيمتنع الشيب

جوائز نوبل

وزعت جوائز نوبل الاربع على مستحقيها في مدينة ستكهلم في العاشر من الشهر الماضي فاعطيت جائزة الطب للدكتور بهرنج وجائزة الكيمياء للاستاذ فنت هوف وجائزة الطبيعيات للاستاذ رنتجن وجائز الآداب للمسيو سلي بردهوم وكل جائزة منها ثمانية آلاف جنيه

وراثة الاخلاق

بحث الاستاذ كارل بيصرن في الف ومئة عائلة منذ ست سنوات الى الآن ليرى هل يرث الاولاد من والديهم الاخلاق العقلية كالذكاء والكياسة والخجل والغضب كما يرثون الصفات البدنية كطول القامة وشكل الراس ولون العينين ولون الشعر فوجد انهم يرثون الاخلاق العقلية كما يرثون الصفات البدنية تماماً

اقزام الاشجار

عرض في معرض غلاسكو اشجار من اليابان من نوع الصنوبر والسرو نسبتها الى سائر الاشجار من نوعها نسبة الاقزام الى الطوال من البشر من ذلك شجرة من الصنوبر عمرها ثلاثون سنة وعلوها ١٥ سنتمترًا فقط وشجرة من السرو عمرها اربعون سنة وعلوها عشرون سنتمترًا فقط . واهل يابان يقصرون هذه الاشجار بالتربية فيقللون غذاءها و يضغطون على سوقها واغصانها حتى يمنعوا نموها

معادن القدماء

ثبت من بحث الاستاذ برتلو ان نحاس الاقدمين كان خالياً من القصدير وهذا يصدق على نحاس اهالي مصر واه بل واشور وفلسطين . وحقق ذلك الاستاذ غلادستون فانهُ حلَّل بعض الادوات النحاسية القديمة التي وجدها الاستاذ بتري في هذا القطر والتي وجدها المسيو مرزك في قصر سرجون ببلاد الكلدان والتي وجدها الدكتور بلس في تل الحسي بفلسطين فلم يجد فيها قصديرًا بل قليلاً من الزرنيخ ثم وجد القصدير في الادوات النحاسية الحديثة فانهُ كان يقسَّى بها

والظاهر ان القدماء استعملوا الذهب والنحاس قبل غيرهما من المعادن ثم استعملوا القصدير والفضة واخيرًا استعملوا الحديد . ومن الغريب ان الاستاذ برتلو وجد قطعةً من البلاتين في صندوق صغير وُجد في طيبة من عهد الملكة شبنبت بنت الملك بينكي التي عاشت في اواخر القرن السابع قبل المسيح . والظاهر ان الصنَّاع ظنوها فضةً فطرقوها بالمطارق . وهذه اول مرة عُلِم فيها ان القدماء استعملوا البلاتين

ترجمة عربيَّة قديمة للانجيل

كتب بعضهم الى النشرة الاسبوعية في بيروت يقول كنت مشتغلاً بنساخة كتيب في تاريخ بطاركة السريان القدماء (اليعاقبة)

فعثرت فيهِ على ما يأتي "البطريرك الخامس والستون يوحنا تلميذ اثناسيوس الجمَّال كان من دير اوسيبونا رسم سنة ٦٣٦ م ووضع عليهِ يدهُ السيد ابرهيم اسقف نصيبين. دعاهُ عمرو بن سعد امير المسلمين وطلب منهُ ان يترجم لهُ الانجيل الى العربية فترجمهُ. خدم ثلاث عشرة سنة وتوفي في ١٤ ك ا سنة ٦٤٩ ودفن في كنيسة آمد (ديار بكر)" ثم ذكرت النشرة ما ذكرهُ المطران يوسف الدبس في مقدمة كتابهِ تحفة الجيل وهو "ان اول ترجمة عربية نجد العلماء ذكروها بعد ظهور الاسلام هي ترجمة الاناجيل التي ذكرها السمعاني في المكتبة الشرقية في السريان الناطرة وجه ٥٩٩ بقولهِ ان عمرًا ملك العرب امر يوحنا بطريرك اليعاقبة نحو سنة ٦٤٠ ليترجم الاناجيل الاربعة من السرياني الى اللغة العربية كما شهد ابن العبري في قسم ٣ من تاريخهِ السرياني ويسميهِ ابن سعد. وذكر هذه الترجمة في المجلد ٢ من تأليفهِ المذكور راس ٤٢ وجه ٣٣٥ قائلاً يوحنا المسمى سدراو من دير اوسابابا تلميذ اثناسيوس رسمهُ ابرهيم اسقف نصيبين سنة ٩٤٢ يونانية (توافق سنة ٦٣١ مسيحية) فهذا بامر عمرو بن سعد ملك العرب ترجم الانجيل من السريانية الى العربية وجلس ثماني عشرة سنة ومات سنة ٩٦٠ يونانية (توافق سنة ٦٤٩ مسيحية) ودفن في آمد"

وعليهِ فقد ترجم الانجيل الى العربية وقتما فتح الشام والمرجح انهُ ترجم قبل ذلك ايضاً كما يستدل من اقوال وردت في اشعار العرب وهي مقتبسة من آيات منهُ. وربما نشرنا مقالة لاحد الادباء في هذا الموضوع

سبب الرؤَى

قرأ السر لودر برنتن مقالة في الجمعية الطبية النفسية قال فيها ان بين الناس فرقاً كبيرًا في قوة الشعور فبعضهم يرى فوق النار السنة زرقاء وبعضهم يسمع للخفافيش اصواتاً لا يسمعها غيرهُ الاَّ ان الرؤَى التي يراها بعض الناس ناتجة عن خلل في ادمغتهم حيث تصل التأثيرات الواردة من الخارج فان الاوعية الدموية التي في الدماغ قد تتقلص كما تتقلص الاوعية التي خارجهُ فيقل الدم حيث تقلصت ويقع الخلل في البصر والسمع والشم والذوق ويرى الناس رؤًى لا حقيقة لها ويسمعون اصواتاً مصدرها في ادمغتهم لا غير ولو عولج بعض مدعي النبوَّة ببرومور البوتاسيوم لعدلوا عن دعاويهم ولم يكن لهم شأن يذكر

ركوب الهواء

قال السر جرام مكسيم ان ركوب الهواء صار امرًا ممكناً وان الآلة التي استعملها سنتوس ديمون وسيَّر بها بالونهُ ذهاباً واياباً ضد

الريح جامعة اقصى درجات الخفة والقوة حتى لا يظن انهُ يمكن ان تصنع آلة تفوقها فيهما ثم التفت الى الآلة التي صنعها هو وحاول الطيران بها وهي اثقل من الهواء فطارت قليلاً ثم وقعت وقال انهُ لما صنعها لم يكن صنّاع الآلات يعرفون مزيج الاليومنوم الجامع بين الخفة والمتانة فانهُ خفيف كالاليومنوم ومتين كالحديد فاذا صنعت آلة منهُ مثل آلتهِ الاولى سهل ركوب الهواء بها . وقال المستر ستورت بردس انهُ ما من احد طار في الهواء من نقطة معينة الى نقطة معينة وعاد الى النقطة التي طار منها في وقت معين قبل المسيو سنتوس ديمون وقد كانت سرعة الريح المضادة لهُ حينئذٍ من اربعة امتار الى خمسة في الثانية

البطاطس في البول السكّري

قال المسيو موسه في اكادمية العلوم بباريس ان البطاطس كان يحسب من الاطعمة النشوية التي لا يجوز ان يأكلها المصابون بالبول السكري لانها تضر بهم اما الآن فثبت بالامتحان انهُ نافع لهم غير ضارٍ

ساعة عجيبة

صنع احد الالمان ساعة دقاقة تعد اعجب الساعات التي صنعت حتى الآن وهي صغيرة توضع في اناء من الزجاج حتى تظهر كل اجزائها وتدلُّ على الثواني والدقائق والساعات والايام والاسابيع والشهور والفصول والسنين وصور البروج والشمس والقمر والسيّارات وشروقها وغروبها ومواقعها بالضبط التام وترى فيها اوجه القمر والكسوفات والخسوفات . ويعلم منها عيد الفصح على اختلاف مواقعهِ ومواقع الاعياد المتغيرة . وفيها اكثر من مئة شخص متحرك ويظهر منها ملاكان كل ربع ساعة يقرعان جرساً وحينما تنتهي الساعة يظهر عزرائيل ويدل بيدهِ على مينا الساعة ويظهر فوقها ملاك بيدهِ بوق ينفخ فيهِ. وقبل الظهر بخمس دقائق يخرج منها ديك يصفق بجناحهِ ويصيح ثلاثاً الى غير ذلك مما يطول شرحهُ وقد قضى في عملها ثماني عشرة سنة

علاج الجرذان

منيت مدينة لسبون عاصمة البرتغال بالجرذان وضاق السكان بها ذرعاً واخيراً اهتدى اطباء البلدية الى داء مكروبي يميت الجرذان ولا يضرُّ البشر وطعموا بعض الجرذان بهِ واطلقوها فعدت غيرها وانتشر الداء بين الجرذان حالاً فاماتها كلها وفي النية تطهير المراكب بهذا الداء من الجرذان

صوف بغداد

قالت الجرائد الالمانية ان الصوف الوارد من بغداد اجود انواع الصوف الوارد من البلاد العربية ويتلوهُ الصوف الوارد من الموصل

ثم من كردستان وقد صدر من البصرة عام ١٨٩٩ نحو ٣٨ الف بالة ثمنها اكثر من ستة ملايين فرنك . وكل الصوف الذي يجز في بلاد العرب والعراق العربي يرسل الى انكلترا وفرنسا واميركا لان ليس في الشرق كلهِ معمل لغزلهِ ونسجهِ

سديم فرساوس

ذكرنا في الصيف الماضي انهُ ظهر نجم جديد في كوكبة فرساوس وزاد اشراقهُ حتى زاد لمعاناً على الع الكواكب ثم ضؤُل واختفى وقد ظهر على مقربة منهُ سديم اي لطخة منيرة كالغيم الرقيق ورصد هذا السديم في مرصد لك وياركس باميركا فظهر انهُ آخذ في الاتساع بسرعة تفوق الوصف لانهُ اذا فُرض انهُ قريب من الارض مثل اقرب النجوم الثوابت اليها فسرعة انتشارهِ اكثر من الفي ميل في الثانية من الزمان واسرع ما يعرف من حركات النجوم مئتا ميل في الثانية ولذلك فهذا السديم اقرب الى الارض من النجوم او ان ما يرى من انتشار مادتهِ حادث من انتشار النور فيها

سكان العالم

كان سكان فرنسا في اول القرن الماضي ٢٥ مليوناً فبلغوا في آخرهِ ٤٠ مليوناً وسكان المانيا ٢٠ مليوناً فبلغوا في آخرهِ ٥٥ مليوناً . وسكان روسيا ٤٠ مليوناً فبلغوا في آخرهِ ١٣٥ مليوناً وبعض هذه الزيادة من ضم بلدان اخرى اليهم . وكان الانكليز في السلطنة البريطانية ١٥ مليوناً فبلغوا الآن ٥٥ مليوناً وكان سكان الولايات المتحدة ٥ ملايين فبلغوا ٨٠ مليوناً . وكان الجنس الاوربي كلهُ ١٥٠ مليوناً في اول القرن الماضي فبلغ في آخرهِ ٥١٠ ملايين فيبعد عن الاحتمال ان يفوقهُ جنس آخر من اجناس الناس

اسلوب جديد لعمل الصلب

استنبط رجل الماني اسمهُ جبلر اسلوباً جديداً لعمل الصلب (الفولاذ) يجعل ثمنهُ نصف ما كان اولاً ويجعل صلابتهُ مضاعف صلابة الصلب فيقطع الصلبَ كما يقطع الصلبُ الخشب و يمكن تطريقهُ حامياً وبارداً على حدٍ سوى . وسيذهب صاحبهُ الى اميركا ليستعملهُ فيها

قرن الفونوغراف

شاع استعمال الفونوغراف في هذه العاصمة حتى صرت تجدهُ في بيوت كثيرة لترديد الاغاني والالحان لكنَّ صوتهُ لا يخلو من خنَّة معدنية وقد اتضح الآن ان سبب ذلك من قرنهِ وانهُ اذا أُبدل هذا القرن بقرنين او وضع داخل القرن قرون صغيرة صار صوتهُ مثل صوت الانسان تماماً خالياً من الرنة المعدنية

احذية الصمغ الهندي

تألفت شركة في اميركا رأس مالها مليونا جنيه لعمل الاحذية من الصمغ الهندي ويقال ان الاحذية التي تصنعها تفوق الاحذية التي تصنع باليد جودة ومتانة

علاج الاشجار المثمرة

اشدُّ الآفات على الاشجار المثمرة الحشرات القشرية وقد شاهدنا فتكها في جنائن الجيزة في هذه الايام فكادت تتلفها لاهمال الذين يناط بهم امرها علاجها عند اول ظهور الآفة ولزرعهم البطاطا الحلوة تحتها لاضعاف قوتها. وقد قرأنا في السينتفك اميركان الآن انهُ يمكن علاج هذه الآفة بسهولة بان ترش الاشجار بزيت البترول بمضخة كبيرة توقع نقط الزيت عليها صغيرة جدًّا ثم ترش بمذوب قلوي كاوٍ كمذوب الصودا الكاوي اوالبوتاسا الكاي فان الزيت يميت الحشرات ثم يأتيهِ المذوب القلوي ويعدّلهُ ويمنع ضررهُ عن الشجر ويصير من مزيج الزيت والصودا مادة صابونية تستفيد الاشجار منها لانها كالسماد لها

نيازك نوفمبر

شوهدت نيازك نوفمبر في كليفورنيا باميركا وعدَّ منها بين الساعة الرابعة والخامسة صباح الخامس عشر من نوفمبر ٢٩٧ نيزكاً وجملة ما شوهد منها من مكان واحد ٦٦١ وكان خمسون منها مثل المشتري لمعاناً واثنان كلٌّ منهما المع من الزهرة عشرين ضعفاً واربعون المع من المشتري ونحو عشرين لامعة مثل الشعرى وكان لونها الغالب الابيض لكن بعضها ضارب الى الخضرة او الحمرة او الصفرة

اعتصاب الصنَّاع

اعتصب صنَّاع خياطي الثياب الافرنجية في القاهرة واضربوا عن العمل ما لم تزد اجورهم ورئيسهم في ذلك رجل اسمهُ الدكتور بستس . ثم عادوا الى اعمالهم بعد فوز وهمي لان ما زيد في اجورهم لا يوازي ما خسروهُ ايام العطلة . ولعلَّهم لا يدرون ان اول اعتصاب ذكرهُ التاريخ جرى في القطر المصري حينما فشا فيهِ الطاعون سنة ١٣٤٨ للميلاد فقلَّ العمال كثيرًا واعتصب بقيتهم على رفع اجورهم . وغنيٌّ عن البيان ان علماء الاقتصاد متفقون كلهم او اكثرهم على ان اعتصاب العمال يضرُّ بهم و بغيرهم ويأُول الى تنقيص اجورهم لا الى زيادتها وان لزيادة الاجور اسباباً اخرى اهمُّها النجاح المستمر في الاعمال . واذا فشا داء الاعتصاب في بلاد وزيدت اجور العمال كلهم فيها فاكثر الزيادة من اموال الفقراء لا من اموال الاغنياء اي من اموال العمال انفسهم وهم الذين يشعرون بها واما الاغنياء فلا يشعرون بها. وسنوضح ذلك بمقالة مسهبة في جزء تالٍ

فهرس الجزء الاول من المجلد السابع والعشرين



مجلة علمية صناعية زراعية

لمنشئيها

الدكتور يعقوب صرّوف والدكتور فارس نمر

AL-MUKTATAF

A MONTHLY ARABIC SCIENTIFIC REVIEW

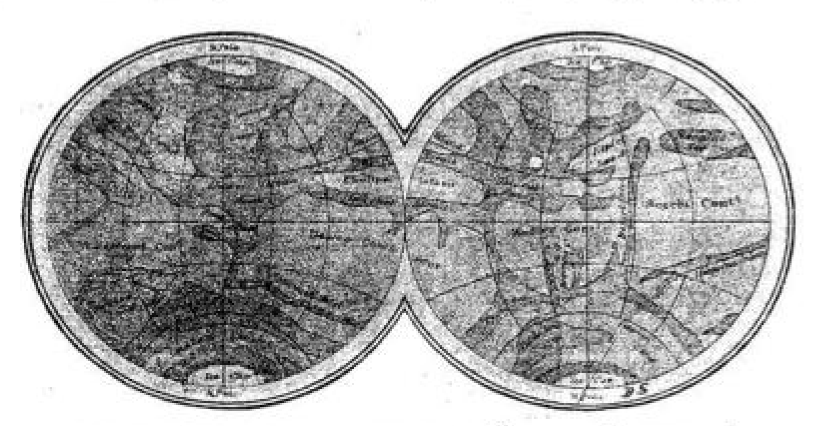
EDITED BY DR. Y. SARRUF

VOL.LXX. No 5

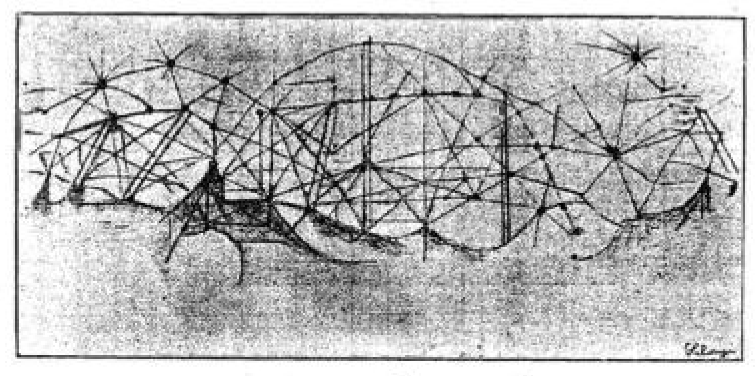
FOUNDED 1876 BY DRS. Y. ṢARRUF & F. NIMR



واحة كركر كما تظهر لمشرف عليها (انظر الصفحة ١٠٣٩) منقولة باذن نظارة الاشغال



خريطة المريخ كما رسمها بروكتر منذ ثلاثين سنة (انظر الصفحة ١٠٧٣)



سطح المريخ كما يشاهد الآن (انظر الصفحة ١٠٧٤)

المقتطف

الجزء العاشر من المجلد السابع والعشرين

١ اكتوبر (تشرين الاول) سنة ١٩٠٢ — الموافق ٢٨ جمادى الثانية سنة ١٣٢٠

كلام الملوك

يقول البديعيون كلام الملوك ملوك الكلام. وان صدق هذا القول على كلام احد من ملوك العصر الحاضر فهو يصدق بنوع خاص على كلام ملك الانكليز ولاسيما على الاقوال التي قالها في بعض المجتمعات الكبيرة . وقد جمعت مجلة لندن فقرات كثيرة من اقوالهِ ونشرتها كمقالة بقلمهِ فحذونا حذوها ونشرنا اقوالاً قالها في بعض المجتمعات العمومية وهو لا يزال وليًّا للعهد واردفناها ببعض ما نشرتهُ مجلة لندن من هذا القبيل

القول الاول

قالهُ لما افتتح مؤتمر علم حفظ الصحة الذي التأم في مدينة لندن في العاشر من اغسطس سنة ١٨٩١ وهو :

ان من اسرّ الامور واحبها اليَّ ان افتتح اعمال هذا المؤتمر وارحّب بجميع اعضائهِ ولاسيما الذين وفدوا من اقاصي البلدان . ولقد كان من نصيبي الترأس على اجتماعات كثيرة ولكن هذا الاجتماع افيد منها كلها باجماع الثقات . ويظهر ما لهذا المؤتمر من الشأن العظيم من كثرة اعضائهِ وشهرتهم فانهُ متمتع بحماية الملكة وقائمة اعضائهِ تتضمن اسماء كثيرين من عائلتها واشهر رجال حكومتها واكبر رؤساء المدارس والجمعيات الطبية التي في المملكة البريطانية ونوابًا من كل الممالك العظيمة في المسكونة ومن كل مدارسنا الطبية ومراكزنا الصحية ونوابًا عن مستعمراتنا واكثر الذين اشتهروا في درس المسائل الصحية وملابساتها وهؤلاء كلهم دليل على عظم نفع المؤتمر ولا شبهة في ذلك لانهُ اذا وفى بغايتهِ فنفعهُ يعم لكل نوع الانسان

واذا التفتنا الى مواضيع البحث فيهِ راعتنا المخاطر الكثيرة المحيطة بنوع الانسان من كل

ناحية . وبعض هذه المخاطر لا مناص منهُ ولكن اكثرها يمكن تلافيهِ او التغلب عليهِ . ولا ادَّعي انهُ يمكنني البحث عن هذه المخاطر كلها ولكنني كنت عضواً في اللجنة المعينة للنظر في مساكن العمَّال ومعاملهم فيمكنني ان اخوض في هذا الموضوع لانني علمتُ حينئذٍ كثيراً عن المخاطر الناتجة عن ازدياد معاملنا المتوالي وما يترتب على ذلك من ازدحام مدننا وفساد المواد والماء وتراكم الفضلات والاقذار — علمت ذلك وعلمت ايضاً شدَّة ما نلاقيهِ من المشقة في توسيع اعمالنا او ابقائها على حالتها الحاضرة بدون ان تزيد الاخطار على الصحة والحياة ولاسيما حيث يكثر السكان . وقد كان يُظنّ قبلاً ان تلافي هذه الاخطار ضربٌ من المحال ولكنني مسرور بما تم في هذا الشأن حتى الآن من تقليلها وتقليل عدد الوفيات في مدننا الكبيرة وزيادة متوسط العمر التي عمَّت الامة كلها وبامور اخرى كثيرة تشهد بفضل التدابير الصحيَّة . وليس من غرضي الاطالة في هذا البحث فحسبي ان اقول ان ما حدث من النفع حتى الآن وما نراهُ من تزايد معرفتنا بهذه المواضيع دليل على ان النفع سيزيد عظمة وشمولاً وعلى ان هذه الامة وكل الامم الاخرى لا تكتفي الَّا اذا بلغت اسمى الدرجات من النجاح المادي والصحة الاهلية معاً

وستبحث فروع هذا المؤتمر عن افضل الاساليب لتلافي الاخطار المشار اليها في قائمة مواضيعهِ واذا امكن ان تعرف مصادرها وادويتها فذلك امرٌ عظيم ولاسيما اذا جرى البحث على اسلوب علمي خالٍ من كل تسرُّع وتعصُّب ومجرَّد عن كل غاية سياسية او غرض آخر غير اجادة الصحة . وعلى هذا النمط فقط يمكن لمديري الدوائر الصحية ان يغيروا ما يريدون تغييرهُ لان كل تغيير يجرونهُ لا بدَّ من ان يضرَّ بالبعض فلا يجوز لهم ما لم يثبت انهُ مفيد للجمهور وحينئذٍ تفضَّل مصلحة الجمهور على مصلحة هذا البعض . وارجو ان لا يقتصر هذا المؤتمر على ما يؤثرهُ في رؤساء الادارات الصحية بل يكون لهُ نفع اعظم اذا علم كل احد من كل الطبقات مقدار النفع الذي ينتفع بهِ الجمهور باعتمادهِ على الوسائط الصحية في البقعة التي هو فيها . وقد قلت كل الطبقات لانهُ ما من طبقة من البشر بأمن من اخطار سوء التدابير الصحية او هي على تمام الاستعداد لمقاومتها ولو كان معظم ضررها واقعاً على الفقراء . ايُّ عائلة لم يصب احد اعضائها بالتيفويد او الدفتيريا او نحوهما من الامراض التي يقال انها ممَّا يمكن التوقي منهُ واي عائلة لا تقول " اذا كان التوقي من هذه الامراض ممكناً فلماذا لم نقونا منها "

وفوق ذلك فان المسائل التي لدى المؤتمر والتي يجب ان يهتمَّ بها كل احد اهتماماً خاصاً لا تنحصر في دفع الموت او الامراض الخطرة بل تتناول استخدام الوسائل التي تمكننا من استعمال كل ما يمكننا من القوى الجسدية والعقلية لان النجاح التام الممكن للامة يستدعي

استطاعة كل فرد من افرادها لإتمام كل ما يمكنهُ عملهُ من الاعمال النافعة التي هو مطالب بها من الذين يعيش بينهم . ولذلك يلزم ان يتمتع كل فرد من افراد الامة باحسن صحة واجود عافية ولا يتم ذلك ما لم تُستخدَم كل الوسائل الممكنة لحفظ صحة الامة وإجادتها . وهذا عملكم بل هو عملنا كلنا ولا استطيع ان اطيل الكلام ولا ان اقدم لكم مقالةً من انشائي ولكنني ساراقب اعمالكم وابذل جهدي في تقوية كل ما تثبتون انهُ مفيد للصحة العمومية

القول الثاني

كتابان كتبهما الى السرجون لوز والدكتور غلبرت اعترافًا بفضلهما على البلاد الانكليزية بما افادا بهِ علم الزراعة وقد تليا في احتفال حافل بالعلماء والعظماء في ٢٩ يوليو سنة ١٨٩٣ وهما

الى السرجون لوز الدكتور في الشريعة والشرائع المدنيَّة وعضو الجمعيَّة الملكيَّة الخ

اني بالنيابة عن لجنة هذا الاحتفال والمشتركين في المال المجموع لهُ من كل اقطار المسكونة اقدم لك التهنئة القلبيَّة بانقضاء خمسين سنة قضيتها في التجارب الزراعيَّة التي لا شيء يفوقها نفعاً

وهذه التجارب التي انت مبدعها تتعلق بنمو الحبوب والغلال تحت اشد الاحوال اختلافًا ولا تقتصر على ذلك بل تتناول البحث عن نسبة انواع العلف المختلفة الى المواشي وفعلها بها وتركيب الارض الكيماوي ومقدار المطر وماء المصارف ومصدر النيتروجين الذي يغتذي بهِ النبات

وقد عاونك مدة هذه السنين الخمسين صديقك الدكتور يوسف هنري غلبرت الذي سيبقى اسمهُ الى الابد مقترنًا باسمك ونحن نهنئك واياهُ معاً في هذا اليوم

ولقد تكرَّمت ووقفتَ مالاً وافرًا للانفاق على مواصلة التجارب التي قمت بها هذه السنين الطويلة ولذلك سيستفيد خلفاؤنا من اتصالها وربما استفادوا من اعمالك المفيدة اكثر مما استفدنا نحن

ونرجو ان التذكار الذي أُقيم لك الآن يبقي اسمك مقرونًا بالشرف مدى العصور التالية وصورتك التي أُهديت اليك تبقي الى الاجيال الآتية اسم اعلم الرجال الساعين في نفع الجمهور واكثرهم ايثارًا لغيره على نفسهِ (الامضاء) البرت ادورد

الى يوسف هنري غلبرت المعلم في العلوم والدكتور في الفلسفة والدكتور في الشرائع وعضو الجمعيَّة الملكيَّة الخ

يستحيل ان يفرَّق بين اسمك واسم السرجون لوز في الاحتفال بعيد التجارب الزراعية التي جرّبت في رثمستد ولذلك فاني بالنيابة عن المكتتبين بالمال الذي أُنفق في هذا الاحتفال

المجموع من كل اقطار المسكونة اقدّم لك التهانئ القلبية بمضي خمسين سنة واصلتَ فيها الاعمال افادةً للعلوم الزراعية . وحقيقة هذه الاعمال وفائدتها معروفتان لدى الجمهور فلا داعي لاطالة الكلام عليهما لكن اذا كان انشاء المعامل التي جرت فيها هذه الاعمال منسوبًا الى السرجون لوز فنجاحها منسوب اكثرهُ الى مهارتك العلمية واجتهادك المتواصل وزد على ذلك انك قد اوضحت اساليب هذه التجارب وأُسسها العلمية والعملية لاهل هذه البلاد وغيرها من البلدان بواسطة خطبك وكتاباتك . واشتراكك في العمل مع السرجون لوز الذي مرَّ عليهِ الآن اكثر من خمسين سنة ولا مثيل لهُ في تاريخ العلوم . واني ارجو لكما دوام التعاون واثق ان اسميّ لوز وغلبرت اللذين اقترنا مدة هذه السنين الكثيرة يبقيان مقترنين اقترانًا مجيدًا مدى الادهار

(الامضاء) البرت ادورد

القول الثالث

قالهُ عند رفع الستار عن تمثال الاستاذ هكسلي في الثامن والعشرين من شهر ابريل سنة ١٩٠٠ وهو

ايها السادة والسيدات . اني احسب فخرًا عظيمًا لي أن انتدبتني لجنة هذا التذكار لارفع الستار عنهُ واقبلهُ في المتحف البريطاني بالنيابة عن امنائهِ الذين لي الشرف ان اكون عضوًا منهم . ولم انسَ اني قمت بعمل مثل هذا منذ خمس عشرة سنة حينما رفعت الستار عن تمثال تشارلس دارون الشهير . ولقد سمعنا اليوم خطبًا في منتهى البلاغة وسحر البيان عن هذا العالم العظيم والفيلسوف الكبير الاستاذ هكسلي . وفضول مني بل غرور ان اطنب في مدحهِ في حضرة هذا العدد العديد من رجال العلم الذين يعرفون عن اشغالهِ اكثر مما اعرف لكنني اوافق على كل كلمة فاه بها هؤُلاء العلماء واكرر لكم الاعراب عما يخالج ضميري من السرور بانتدابكم اياي مرة ثانية لقبول تمثال رجل ثانٍ من اعاظم رجال العلم المشهورين

القول الرابع

نشرتهُ مجلة لندن ولم تقل اين فاه بهِ الملك وجعلت موضوعهُ "لماذا تضيع التجارة من انكلترا"

كان الناس عندنا يعتمدون في التعليم حتى الآن على تثقيف العقل بنوع خاص لكي يتأهل المتعلمون لاستخدام عقولهم في العمل الذي يتولونهُ وقد وجدنا هذا التثقيف العقلي كافيًا بالاجمال الى عهد قريب . ولكن مناظرة الامم لنا في المصنوعات التي كان عملها خاصًا بنا قد اشتدَّت كثيرًا فان التقدم العظيم المبني على سكك الحديد واستخدام البخار في كثير من الشؤُون جعل المواد الاصلية التي تصنع منها المصنوعات تتوزَّع في المسكونة وقلَّل النفقات

اللازمة لما يصنع منها . والامم التي لا يكثر الفحم الحجري والحديد في بلادها كما يكثران في بلادنا استغنت بالتعليم الصناعي عمّا ينقصها منهما ولذلك رأينا المصنوعات تصنع في كل مكان تديرها يد التعليم الصناعي . واقيمت المدارس الصناعية في اوربا واميركا في المراكز الصناعية وهي تعلم العلوم التي تبنى الصنائع عليها .وقد رأت انكلترا الآن ان لا بدَّ لها من ان تضيف المدارس الصناعيَّة الى مدارسها العلميَّة ولذلك فاكثر مدننا الصناعيَّة شرع في انشاء هذه المدارس او انشأها ولكنها قلما ارتقت وصارت مدارس صناعيَّة عمليَّة

ثم ان تغيير الاسلوب التي يتعلَّم بهِ الصنَّاع وابدال الاعمال اليدية باعمال الآلات جعلا تعليم العلوم اللازمة للصنائع امرًا محتومًا على كل الذين يتعاطون الاعمال الصناعيَّة . ولم يكن وقت عُرِفت فيهِ قيمة التعليم الصناعي مثل هذا الوقت ويسرُّني ان تعضيد الحكومة لتعليم العلوم والصنائع قد سهَّل لجمهور الصناع منا تحصيل العلوم الصناعيَّة التي افادت مصنوعاتها وستفيدها اكثر كثيرًا

القول الخامس

قالهُ في منشستر وهو : بادرت عن طيب نفس الى اغتنام الفرصة التي سنحت لي لزيارة هذه المدينة التي لا تفوقها مدينة في الامبراطورية الانكليزيَّة في اهميتها التجاريَّة ولكي ازيد معرفةً في تاريخها وموقعها ومصادر نجاحها . ولقد سهَّل عليَّ والدي منذ حداثة سني زيارة عواصم الدنيا وفي ذلك درس جزيل النفع اذ يرى المرءُ فيهِ اسباب التقدُّم والغنى وكنت وانا اعجب بالنتائج العظيمة التي وصل اليها غيرنا اعجب ايضاً بالاعمال البديعة التي انتجها حذق الانسان وصبرهُ ونتجت من ايدي ابناء وطني ورؤُوسهم ولاسيما الذين يحيطون بي منهم الآن فلنشكر كلنا العناية الالهيَّة التي وفَّقت مشروعاتنا التجاريَّة ومناشئنا العموميَّة التي هي ضمان لنجاحنا المستقبل

القول السادس

يسرُّني انهُ أُبيح لي منذ حداثتي ان امضي الى مشاهد التمثيل وارى تمثيل افضل الروايات وامهر الممثلين والممثلات . ولقد تسليت بذلك تسلية عظيمة . وعضدت التمثيل لاني احسبهُ عملاً شريفاً . وهل يخطر على بالنا ونحن نسرُّ ونبتهج بما نراهُ ونسمعهُ في المشاهد ان الممثلين والممثلات يتعبون اشدَّ التعب ويتجشمون اشدَّ المشاق . وقد يحاول الواحد منهم اضحاك الحاضرين وتسليتهم واعزُّ اقاربهِ مريض على فراش الموت . فهل يليق بنا ان نتركهم يتضورون جوعاً اذا لم يعودوا قادرين على التمثيل لسبب الشيخوخة كلاَّ . ولهؤلاء الممثلين والممثلات الذين عجزوا عن التمثيل قد انشئت هذه الجمعيَّة وجمعت لها الاموال

الغناء العربي

ماضيهِ وحاضرهُ

كان الناس من قديم الزمان كما هم الآن مختلفين بعضهم عن بعض في كثير من الاخلاق والعوائد والاذواق والمشارب ولكنهم مع هذا الاختلاف كلهِ اتفقوا في كل زمان ومكان على التعبير عن عواطف نفوسهم واميال قلوبهم بكلام يكيفون فيهِ اصواتهم ويوقعونها على صور تختلف في الارتفاع والانخفاض والطول والقصر وتتفاوت في الاحكام والاتقان تفاوت اصحابها في درجات الحضارة والعمران ويختلف وقعها في المسامع اختلاف المؤثرات الباعثة عليها والداعية اليها فترفع النفس الى سماء الطهارة والقداسة وتبث فيها روح التبتل والتعبد والزهد والقنوت او تشوقها الى الاستبسال في حومة النزال فتموت لتحيا وتأبى ان تحيا لتموت او تهزها الى الطرب فتنشط اليهِ من عقال الغموم والاتراح وتصبح نشوى المسرات والافراح او تهيج بها لواعج الحزن والجوى فتوغل في النوح والبكاء وتجود ان بخل الدمع بالدماء . او تفعل بها فعل الخدر بالاجسام وتجرّدها عن مطلق الافتكار والاهتمام

هذا هو فن الموسيقى (او الغناء او صناعة توقيع الالحان) احد الفنون الجميلة وهو طبيعي في البشر فكل انسان موسيقيٌّ بالقوة وقلما ترى شخصاً من الطفل الصغير الى الشيخ الكبير الاَّ وتجدهُ منصرفاً في خلوتهِ وانفرادهِ الى الترنم بما يلذ لسمعهِ وترتاح اليهِ نفسهُ . واذا كان الغناء عامًّا بين جميع الطيور ولعلهُ كذلك بين الحيوانات ايضاً فالانسان العاقل اولى بان يكون مطبوعاً على الاخذ بهِ والميل اليهِ . ولا حاجة بعد هذا التمهيد الى بيان ما في النفوس من الارتياح الى سماع الغناء ولو اذن المقام لاشرنا الى بعض ما لاحظهُ علماء الحيوان من تأثير الغناء والايقاع في نفوس الحيوانات الاليفة والآبدة . وفي هذا فقط كفاية للتنويه بعلوّ شأن هذه الصناعة وعظم اهميتها وشدة حاجة الناس اليها

وكان اعيان الفرس القدماء يحتقرونها ويترفعون عن العناية بها فانحصرت في فريق من القوم واقتصر استعمالها على الخدمة الدينيَّة وكان تعليم ابنائهم مقصورًا على ما يشرب قلوبهم حماسة وبسالة ويكسب اجسادهم قوة ونشاطاً كالرماية والطعان والصيد والفروسيَّة والرياضة البدنيَّة وقول الصدق لانهُ اول فضيلة عندهم والالمام بشيء من خواص العقاقير والنباتات لمداواة جراحهم وامراضهم . ففاقوا الاقران في بسالة القلوب وقوة الابدان لكن معظمهم فقدوا عواطف الشفقة والرفق والحنان وسلامة الذوق وحسن التناول اما اليونان فكانوا يروضون

صبيانهم بهذه المذكورات كلها لكنهم لم يقتصروا عليها كالفرس بل كانوا يخرّجونهم ايضاً في صناعة الموسيقى وكان الشاب اليوناني يظل مزدرًى به ومعرَضاً عنهُ حتى يتهذب فوق ذلك كلهِ بالقدوة الجيدة وتصقل طباعهُ بصقل علم الايقاع

ويظهر ان قدماء الفرس غيروا حكمهم في الموسيقى بعد ذلك فاحلّوها محلها من الاعتبار والاهتمام وجاروا المصريين والعبرانيين واليونان في العناية بها والاقبال عليها حتى انها لما ظهرت في العرب كان المأخوذ منها عن الفرس اكثر من المنقول عن اليونان. ومن ادلة ذلك تسمية اكثر الالحان العربيَّة الى الآن باسماء فارسيَّة كاليكاه والراست والدوكاه والجهاركاه وغيرها

ومن يراجع تواريخ العرب يجد ان الغناء عندهم كان قبل نقلهِ عن الفرس واليونان مأخوذًا عن الأذان وكان اول ظهورهِ بينهم محصورًا في افرادٍ من الرجال والنساء كابن سريج وابن محرز وعزة الميلاء ورائقة وطويس وحنين وبلغ غاية من الاتقان في عهد الرشيد والبرامكة حين ظهر ابرهيم الموصلي وابنهُ اسحق مجلّيًا في مضمارهِ وكانا غاية في احكام الايقاع واجادة الغناء

وكثر على توالي الايام سواد المشتغلين بهذه الصناعة الجميلة وزاد عدد الضاربين على العود والقانون والعازفين في الناي والناقرين على الدف وعمرت مجالس الخلفاء والملوك والامراء والاغنياء بالمغنين وكان كثيرون منهم كابرهيم الموصلي وابنهِ اسحق من اهل الادب ورجال الشعر فكانوا يتغنون بما ينظمونهُ من القصائد والمقاطيع والقدود والموشحات او ينتقون احاسنها من كتب الادب ودواوين الشعر. وفي السفينة لشهاب الدين الموصلي وديوان الشيخ امين الجندي ما يزيدك بيانًا عن غنى اللغة العربيَّة بالقدود والموشحات وكل ما يصح ان يغنى في اكرم المجالس وأشرف الاندية لانهُ جامع بين فصاحة التراكيب وبلاغة الاساليب ورقة الغزل والنسيب ونزاهة اللفظ عن كل معنى معيب

ولما عزت دولة العرب في الاندلس والمغرب وعمرت مجالس ملوكها وامرائها بالشعراء استحدث المتأخرون منهم فنًا من الشعر سمّوهُ الموشح وتفننوا فيهِ ما شاؤوا وابدعوا ما ارادوا وجميعهم أحسنوا وأجادوا وكان اكثر منظومهم للغناء والتوقيع كقول احدهم

"كحل الدجى يجري . من مقلة الفجرِ . على الصباح . ومعصم النهرِ في حلل خضر . من البطاح"

وكقول ابن سنا الملك المصري:

"يا حبيبي ارفع حجاب النورِ : تنظر المسك على الكافور : في جلنار : كللي يا سحب تيجان الربى : بالحلي : واجعلي سوارها منعطف الجدول"

ولما شاع فنُّ التوشيح وأقبل الناس عليهِ لسلاستهِ وتنميق كلامهِ نسج العامة في جميع الامصار

العربيَّة على منوالهِ واهملوا الاعراب والتزموا النظم على مناحٍ مختلفة ووجوهٍ متعددة فكان منها الزجل والمواليا والقوما والدوبيت وكان وكان وغير ذلك مما يعرف في هذه الايام بالادوار والطقاطيق وكان عامة بغداد اسبق الناس اليها فتبعهم فيها اهل مصر القاهرة فبلغوا غاية الاجادة والاتقان

وظل مغنو سورية والعراق الى اواسط القرن الماضي حفاظاً للغناء العربي وقوَّاماً على الحانهِ ونغماتهِ واهل مصر والمغرب يحذُونهم ويأخذون إخذهم في التلحين والتوقيع وجميع ما يتعلق بفن الغناء . ثم نحا المصريون في غنائهم منحى ابرهيم بن المهدي وجماعتهِ في عهد هرون الرشيد فنزعوا فيهِ منزعاً جديداً وخالفوا السوريين والعراقيين الذين ظلوا الى عهد قريب آخذين مأخذ اسحق النديم وجماعتهِ في التعصب للغناء القديم على ان المصريين استظهروا عليهم في ميدان السباق واذاعوا اسلوب غنائهم في اطراف سورية والعراق

وفي هذه الايام تناقص عدد المغنين العالمين حق العلم باصول الغناء العربي وفروعهِ وفرَّط الكثيرون منهم في حفظ القصائد الجيلة والمقاطيع الرشيقة والموشحات اللطيفة المنتقاة من دواوين الشعراء المجيدين واقتصر بعضهم من ذلك على ما تعاف الآذان سماع الفاظهِ وتبذأ النفوس المهذبة معانيهُ فانحطَّت منزلة الغناء العربي في عيون كثيرين من شبان هذا العصر واصبحوا ينظرون اليهِ والى المشتغلين بهِ بعين الازدراء والاحتقار

على ان كل الشبان تقريباً لا يرون لهم مندوحة عن سماع الغناء في بعض اوقات الفراغ وليس من العدل عذلهم لان المرء مطبوع على ذلك والموسيقى خير غذاء للنفس في مطلق احوالها وقد اشرنا الى فائدتهِ في صدر هذه المقالة فلا حاجة الى المراجعة ولعل كل انسان تقريباً يستحسن جواب ابي عبيدة لعمر بن الخطاب حين وجدهُ يتغنى وسألهُ ما هذا فاجاب منشداً :

" ولله مني جانب لا اضيعهُ وللهو مني والخلاعة جانب "

وبناء على شدة ميلهم الى سماعهِ تراهم فريقين فريقاً يقصد الاماكن حيث الغناء الافرنجي فيألفهُ ولا يبقى فيهِ اقل ميل الى سماع الغناء العربي وفريقاً يذهب الى حيث تعرض بضاعة الخلاعة باسم الغناء العربي فيغرى بها وينساق الى ما لا تحمد عواقبهُ

وليس هذا وحدهُ مبعث الاسف ومدعاة الحزن والكدر بل ان هنالك سبباً آخر لا يقل عنهُ شأناً واعتباراً وهو بلوغ فن الغناء الجميل هذا المبلغ من الضعة والانحطاط . نعم نأسف اشدَّ الاسف ان نرى ما خلفهُ لنا السلف منذ بضعة عشر قرناً مشرفاً على الزوال وصائراً الى التلاشي والاضمحلال والتاريخ يرنُّ بموسيقى اسلافنا التي سارت بشهرتها الركبان وكادت تحوز السبق على موسيقى اليونان

اسعد داغر

لوثيروس وابن تيمية

ما الحكومات وقوانينها المسطورة ولا الملوك والقياصرة وقواهم المأثورة ولا الفاتحون وايامهم المشهورة ولا المدارس والمجامع وآثارها المشكورة — ما كل هذا هو الذي كان العامل على ارتقاء الغرب والبالغ بهِ من ذرى الحضارة الى هذا الحدّ وانما هو نور من العلم وفيض من الذكاء انتجا تلك السعادة وولدا هذه الخوارق التي ظهرت الى اليوم وما هي الا جرثومة لما سيظهر في المستقبل

فلقد عدَّ المصلحون للعالم في القرن الماضي مثلاً بعض رجال تعبوا لراحة البشر مثل ستفنسن الانكليزي مخترع الآلات البخارية وامبير الفرنساوي مكتشف السلك الكهربائي وفارادي وباستور وداڤي واديسون وبرتلو واضرابهم ممن بدّلوا الارض غير الارض وخدموا العمران بما لم يخطر في بال انسان

وانّى لنابوليون وغاراتهِ ومولتكه وكرَّاتهِ وولنتون ونصراتهِ ونلسون وهجماتهِ ووشنطون وهمتهِ وغاريبالدي وقيادتهِ وبسمرك وسياستهِ وروشفور وحماستهِ ان يبلغوا في التفضل على العالم مبلغ عالم طبيعي او رياضي او اجتماعي ممن استنبطوا من عالم الحيوان والنبات والجماد فائدة تذكر لهم بالمحمدة على المدى. ولكنَّ من ربّى الارواح وهيأ الملكات والكفاءات ليس في فضلهِ دون مَنْ افاد الماديات لما عُلِم من انهُ قلما يعمل عملاً نافعاً في كبرهِ من لم ينشأ على ادب النفس من صغرهِ

اليك حال مَنْ ذكرتُ وعملهم بالنسبة لذاك المصلح "لوثيروس" الالماني الذي حرَّر العقول من رقها وخلص النفوس من شوائب الاوهام في صدر القرن السادس عشر فاعدَّها للعمل بالنافع وقد كانت معتقداتها تحول بينها وبينهُ . الا ترى انهُ أوذي قبلهُ كثير من علماء الطبيعة والاجتماع فاتُّهموا بامانتهم وضُربوا على ايديهم وافواههم . وللاعتقاد تأثير كبير في النفوس لا يصلح المرء بعدهُ شيئاً اذا لم يبادر بالإصلاح فهو بمثابة المؤثر وعمل الانسان أثرهُ بل هو العين وكل عمل الانسان من بعض آثارهِ " واذا صلُحت العين صلحت سواقيها "

دعا لوثيروس الى حذف الزيادات من النصرانية ولم يكن اول من قام بمثل هذه الدعوة فقد سبقهُ أناس من احبار الكنيسة كولدوس في القرن الثاني عشر ووكليف في القرن الرابع عشر ويوحناهوس في القرن الخامس عشر فباؤوا بالخسران ولكن نفساً كبيرة بين جنبي لوثيروس حملتهُ على النهوض بما لم يتيسر لغيرهِ من قبلهِ . والحوادث العظيمة لا تظهر في العادة الا بعد انضاجها وتهيئة اسبابها

فاستعمل بادئ بدء اسلوب حكيم في مؤلفاتهِ وجرى فيها على هيئة استفهام وتحكيم وتشكيك

ليستميل اليهِ قلوب العلماء فاستجاش لهُ منهم انصاراً اكفاء ساعدوهُ على نشر التآليف والقاء الخطب والمواعظ مثل روشلين وهوتان وهما الرجلان اللذان احييا الآداب في المانيا فنالت تآليفهما منزلة سامية من النفوس . وكان لوثيروس دونهما في طلاوة الانشاء مع انهُ عني بدراسة آداب لغتهِ واحكم اللغات العبرية واليونانية واللاتينية

اما خصومهُ فظنوا ان هذه الجذوة منبعثة من تعلُّم الادب لان اهل المانيا اذ ذاك شغفوا بمطالعة كتب اليونان والرومان وتوفروا على دراسة العلوم والفنون والآداب فسلمت اذواقهم وحسنت اخلاقهم وطفقوا يعملون ويفكرون ولذا تصدوا لصدّ الناس عن هذا السبيل فذهبوا الى ان الاولى لحفظ سيادتهم ان يحظروا تعلم الادب. فكان شأنهم في عملهم هذا شأن بعض الفقهاء المتأخرين في منعهم الاخذ من كل علم يجهلونهُ لانهُ غير موصل الى علم الدين ومن جهل شيئاً عاداهُ

وساعد لوثيروس على الاسراع في بث الدعوة اختراع صناعة الطباعة قبل قيامهِ بخمسين سنة فاخذت تنتشر مؤلفاتهِ ومؤلفات اصحابهِ بين طبقات القوم جمعاء . وصادف ان كانت بلاد المانيا آمنة من الحروب على حين كانت تتلظى نارها في سائر الممالك المجاورة خصوصاً بين شارلكان ملك اسبانيا وفرنسيس الاول ملك فرنسا. وقد ارعب الاول ممالك اوربا على عهدهِ كما اذعرها نابوليون بونابرت في اوائل القرن التاسع عشر

ولم تكن بيعة رومية لتهتم بقيام لوثيروس لاول وهلة لما لها من السطوة على افكار الخاصة والعامة فسرت دعوتهُ على غرة منها سريان النار في الهشيم

ولم يتظاهر بالخروج على الكنيسة الرومانية الاَّ بعد ان اخذت دعوتهُ مأخذاً من النفوس وما فتئ يُسرُّ حسوًا في ارتفاء حتى اشتدَّ ساعدهُ لخرق جهاراً في وتمبورغ مرسوم البابا ليون العاشر .فعندها همَّ بقتلهِ ديوان رومية بمالئهُ هنري الثامن ملك انكلترا وبعض ملوك اوربا ولم ينالوهُ بأذى لان منتخب سكسونيا كان يحبهُ ويعينهُ . ولما رأى هذا تربصهم الدوائر بخصيصهِ ابقاهُ في قصر بقلعة ورتمبرغ نحو تسعة اشهر ضيفاً كريم الوفادة توفر فيها المترجَم على التأليف وتفرغ لبث الدعوة في القاصية والدانية

انفرجت مسافة الخُلف بين المؤرخين بشأن لوثيروس فافرط فريق في القدح فيهِ وفرَّط آخر في مدحهِ والحقيقة وسط بين القولين الاَّ انهُ كان على جانب من التربية الصحيحة تقشف لاول امرهِ وزهد في زخارف الدنيا واعتزل في احد الاديرة فدرس في غضون ذلك الفلسفة التي كانت معروفة في اوربا وتبحر في علم اللاهوت فنال منهما حظاً وافراً ثم عدل عنهما ودأب يدرس

متن الانجيل . ولما عرف الامير فريدريك منتخب سكسونيا ما كان عليهِ من العلم اقامهُ مدرساً للفلسفة واللاهوت في مدرستهِ بمدينة وتنبرغ سنة ١٥٢٠ فقنع بما كانت تدرُّهُ عليهِ المدرسة من المشاهرات اليسيرة وتجافت نفسهُ عن تناول ما لا تبيحهُ لانفسها كبار الرجال من الاموال

قال جول سيمون في كتابهِ حرية الضمير لم يبتدع لوثيروس بدعة بل انشأ ديانة وخرق حدود السلطة الزمنية كما خرق السلطة الروحية واستمال الى حزبهِ الامراء وبذل البذول لتأليف قلوبهم على دعوتهِ . فما كان غير قليل حتى رأى نماء محازبيهِ ومشايعيهِ بما جاوز ما كان يأملهُ بحيث ساغ لهُ ان يناجي نفسهُ وهو يموت انهُ غلب باباوات ثلاثة اعني بهم ليون العاشر والامبراطور شارلكان وملك فرنسا فرنسيس الاول اه

ولقد عيب عليهِ اعجابهُ بما كان يتم على يديهِ حيناً بعد آخر من تكثير سواد المهتدين الى مذهبهِ ولكنهُ لم يخرج في هذا عن مألوف عادة البشر. وقليل مَنْ لايفاخرون بملء اشداقهم اذا عملوا ابسط الاعمال . وكذلك أُخذ عليهِ تحاملهُ على خصومهِ ووصفهم في مصنفاتهِ بما لا تبيحهُ آداب هذا العصر فكان في مناظراتهِ يزري عليهم خُطتهم ويقابلهم بمثل شتائمهم وبوقع الغميزة فيهم . ويُعتذر عنهُ بان ذلك كان جارياً مجرى العادة في تلك الاعصر ولم تكن الآداب والاخلاق قد تحسنت . وكان يخلط الهزل بالجد في حجاج مَنْ يريد ضمهم الى حزبهِ . وهكذا ظلَّ بين بث دعوة وكتابة تأليف وردّ على مخالف حتى اخترمتهُ المنية في الثالثة والستين من عمرهِ وقد خلَّف الوفاً ممن أُشربت قلوبهم دعوتهُ وترك اولاداً من زوجة تأهل بها في الكهولة

هذا لوثيروس وهذه حياتهُ واعمالهُ ولكم جاء مثلهُ من قبل ومن بعد فلم تلاحظهم عيون العناية فقضوا وما قضوا من لُباناتهم إما لضعف نفوسهم ونقص استعدادهم او خيفة من المناصبين الجاهلين وفاقة الى الناصرين العالمين كما قضى في هذا الشرق رجال كانوا يقدرون على القيام بمثل ما قام بهِ لوثيروس فاختاروا السلامة ولم تبح صدورهم بما خالجها من ضرورة الاصلاح او اقدموا فعذِّبوا لتصريحهم بما يخالف الاهواء وتصديهم الى العمل بما تدفعهم اليهِ سلامة وجدان وعقول نيرة لا تصبر الاَّ على اضاءة مَنْ حولها

يرى الناظر في تاريخ العرب عدداً كبيراً من هذه العصابة وأُناساً لم يتعرض لهم لعدم اشتهارهم وما رأسهم ان حققت الذي قام بالدعوة قولاً وفعلاً الاَّ شيخ الاسلام "ابن تيمية" فهو كلوثيروس في افكارهِ ودعوتهِ . دعا هذا الى حذف ما في النصرانية من الفضول وجاهر ذاك بتعرية الاسلام مما أُلصق بهِ من البدع فكانا متشابهين في علمهما ودعوتهما ومحنهما الاَّ ان ابن تيمية اعلم والمحن التي لقيها اشد . وكأَن تقدم ميلاد ابن تيمية كان اشارة الى انهُ السابق

لداعية النصرانية الأ في سريان الدعوة وكثرة الخصوم . ومن عادة الغرب ان يقبل اهله على ما ينفع بدلالتهم عليهِ ومن طبع الشرق ان ينبذ سكانهُ كل ما يفيدهم من التجديد مما هو ولا مراء من علل تقدم الاول على الثاني

ولد ابن تيمية في حرّان سنة ٦٦١ هـ وقدم بهِ والده عند استيلاء التتار على البلاد الى دمشق وهو في السادسة من عمره فاخذ الفقه والاصول والعربية عن مشايخ عصره وعني بالكلام والحديث وسمع الكتب الستة والمسند مرّات حتى قيل إن كل حديث لا يحفظهُ ابن تيمية ليس بحديث . واقبل على تفسير القرآن فكان فيهِ الحجة الثبت واحكم اصول الفقه والفرائض والحساب والجبر والمقابلة وغيرها من العلوم ودرس تاريخ الاسلام حتى صار يسلسل ما توالى عليهِ وعلى اهلهِ ساعة ساعة. ثم نظر في الفلسفة الالهية وردّ على رؤسائها

كان خارقة في الجمع بين توقد الخاطر وشدة العارضة فما حفظ شيئاً ونسيهُ . وقد ألّف في التفسير والفقهِ والاصول والحديث والكلام والردود على الفرق الضالة والمبتدعة. وكتب فتاوي عديدة بلغت على روايةٍ اربعة آلاف كراس اما مؤلفاتهُ فثلثمائة وبالغ احد مترجميهِ فقال وما ابعد ان تصانيفهُ الى الآن تبلغ خمسمائة مجلد . وكلها مما لم يسبقهُ اليها احد . وكان لجودة قريحتهِ وسرعة براعتهِ يكتب الرسالة في ليلة ويمليها مسوّدةً مبيّضة كأنها كانت مسطورة امام ناظريهِ لا تحتاج الاّ الى النقل . وكان درسهُ يجمع اشعة العلم النافع يقرأ الإخلاص في سطور اقوالهِ ولهذا حسدهُ معاصروهُ ممن تسموا بالعلماء لان علمهم كان تمويهياً يشبه الخرز وعلمهُ كان يقينياً يشبه الدرّ . قال ابن الزملكاني كان الامام اذا سئل عن فن من الفنون ظن الرائي والسامع انهُ لا يعرف غير ذلك الفن وحكم ان احداً لا يعرف مثلهُ وكان الفقهاء من سائر الطوائف اذا جلسوا معهُ استفادوا في سائر مذاهبهم ما لم يكونوا عرفوهُ قبل ذلك ولا يُعرف انهُ ناظر احداً فانقطع معهُ ولا تكلم في علم من العلوم سواء كان من علوم الشرع او غيرها الاّ فاق فيهِ اقرانهُ. ولذا شغف بهِ العقلاء في عصرهِ فهدى كثيرين من اهل الملل والنحل ولما قام يدعو الناس الى ترك التوسل بالاموات والاستشفاع بالصالحين والشهداء والاولياء وعدم الإسراج على قبورهم وانكر الواسطة بين الخالق والخلائق لان الله يجيب دعوة الداعي اذا دعاهُ دون وسيلة وليّ او نبيّ وانكر على الفلاسفة بعض آرائهم وتكلم في الصوفية ومذهبهم واراد إرجاع الدين الاسلامي الى ما كان عليهِ زمن الرسول والصحابة عادوهُ وآذوهُ ولم يتوجه لهم عليهِ مايشين فلفقوا دسيسة وزعموا انهُ ربما يدعي الامارة فوجد اعداؤهُ السبيل اليهِ مع ان اولاد الكتاتيب لا تصدق ان ابن تيمية يتطاول الى الامارة ولا عصبية لهُ

فاخذ يلقى من الاهوال ما تشيب لهُ نواصي الاطفال ولا يصبر عليهِ ابطال الرجال . وقد قام بنفسهِ في نوبة غازان التتري سنة ٦٩٩ واجتمع بنائبهِ حالوشاه وبتولاي وجرأ على المغول ونصحهم وبكتهم واستصرخ اركان الدولة لحرب التتار لما انقضوا على الشام انقضاض الصواعق ووقف الموقف الحسن سنة ٧٠٢ في وقعة شقحب المشهورة واجتمع بالخليفة والسلطان وحرضهما على الجهاد . وذهب سنة اربع لقتال الكسروانيين في جبل لبنان . وناظر المخالفين في المجالس التي عقدت بحضرة نائب السلطنة الافرم فظهر عليهم بالحجة فرجعوا الى قولهِ طائعين . ثم ذهب الى مصر وعُقِد لهُ المجلس بحضور القضاة واكابر الدولة فحُبس في جب يوسف بقلعة الجبل ومعهُ اخواهُ سنة ونصفاً ثم خرج بعد ذلك فعُقِد لهُ مجلس سنة سبع لكلامهِ في الاتحادية ثم أُمر بتسفيرهِ الى الشام على البريد وأُمر بردهِ من مرحلة وسجن بحبس القضاة سنة ونصفاً ايضاً

وبعد ذلك توجه الى الاسكندرية وجُعل في برج اقام فيهِ ثمانية اشهر ثم توجه الى دمشق. ولما تكلم في مسألة الحلف بالطلاق وانهُ لا يتثلث بالقول ورد كتاب السلطان بالمنع من الفتوى بها فعاد هو الى الافتاء بها بعد ان كتم افكارهُ وقال لا يسعني كتمان العلم وبقي كذلك الى ان حبس بقلعة دمشق خمسة اشهر وثمانية عشر يوماً ثم ظفر لهُ اعداؤهُ بجواب يتعلق بمسئلة شد الرحال الى قبور الانبياء والصالحين كان قد اجاب بهِ من نحو عشرين سنة فشنعوا عليهِ فورد مرسوم السلطان سنة ٣٢٦ بجعلهِ في القلعة

هذا وهو لم يفتر عن العبادة والتلاوة والتصنيف والرد على المبتدعة وكتب على التفسير جملة صالحة تشتمل على نفائس اوضح فيها مواضيع كثيرة التبست على خلق من المفسرين وكتب في المسألة التي حبس بسببها مجلدات عديدة . ولما انتشر ما كتبهُ في البلاد مُنع من الكتابة والمطالعة واخرجوا ما كان عندهُ من كتب ودواة وقلم وورق فاخذ يكتب على الحيطان بالفحم وقد شق عليهِ ذلك فقال ان نزع كتبهِ منهُ كان عليهِ من اعظم النقم . وبقي على ذلك اشهراً حتى وافاهُ اليقين سنة ٣٢٨ فقامت دمشق لموتهِ وقعدت وهرع الناس يمشون في جنازتهِ فقدر من شيعوهُ من الرجال والنساء بمائتي الف نسمة يبكون منار الاسلام في زهدهِ وسخائهِ وشجاعتهِ وعلمهِ وعقلهِ وامرهِ بالمعروف ونهيهِ عن المنكر واخلاصهِ في السر والعلن . ولم يخل مشهدهُ من بعض بدع وثنية كان ابن تيمية يئن منها وينفر النفوس عنها كضرب الصدور وشق الجيوب والقاء الناس انفسهم او عمائمهم على نعشهِ للتبرك بهِ. وشرب بعضهم ما فضل من ماء غسلهِ. قيل ان الطاقية التي كانت على رأسهِ دُفع فيها نحو خمسمائة درهم وقيل ان الخيط الذي كان فيهِ الزئبق ويعاقهُ في عنقهِ طرداً للقمل سيم بمائة وخمسين درهماً

مات الامام ولم يتزوج وقبرهُ باقٍ الى اليوم وحيدًا في مقابر الصوفية غربيّ دمشق على كثرة من دُفن فيها من العلماء والامراء ممن دثرت قبورهم على شدة حرصهم على تخليد اسمائهم فكأن لسان حالهِ ينادي بافصح مقال اليكم يامن تمشون على قدمي في الدعوة الى الاصلاح فتلاقون الشدائد وتُسامون العسف والخسف فالحق يعلو ولا يُعلى عليهِ والجواهر تبقى ولو صُبغت بالسواد حيناً من الدهر والاعراض تزول ولو موّهت قروناً واجيالاً

هذا هو الرجل الآسياوي العظيم الذي تقدم المصلح الاوربي بقرن واحد . وربما يتبادر الى ذهن المطالع ان لوثيروس احسن السياسة مع قومهِ فلم يصلوا اليهِ بمكروهٍ وانتشرت دعوتهُ وذاك لم يحسنها فاضطهد وأوذي . ومن يتروَّ في الامر يجد ان ابن تيمية فعل الواجب ان يفعل فحال دون الوصول الى الغرض تلك العوارض المارة آنفاً ولو سكت عمّا لا يحسن الاضطلاع بهِ غير من كان يقوم مقامهُ . وما كل عشرة قرون تُنتج الامة عقلاً كعقلهِ وعلماً كعلمهِ وشجاعة كشجاعتهِ وصفات كصفاتهِ ولكن الاقدار ما برحت تناصب اهل الاقدار

واعلم ان لوثيروس لم يُوفق بان ظهرت على يدهِ اعظم حوادث القرون الاخيرة (اذ قسم باصلاحهِ اوربا الى شطرين متباينين كاثوليكي و برتستانتي حمي بينهما وطيس الفتن منذ اوائل القرن السادس عشر الى منتصف القرن السابع عشر) بقوة خارقة للعادة فيهِ او ذكاء وعلم ما اوتيهما بشر مثلهُ ولكنهُ كان على التحقيق نسخة صحيحة من عصرهِ وجد مجالاً فسيحاً لمجال وآذاناً واعية لخطب ونفوساً متشوقة فكتب واحسن منشط وجدهُ على نيل بغيتهِ ذاك الملاك العظيم الذي حماهُ من وصول الاذى اليهِ

امّا ابن تيمية فكان الشعب عارفاً قدرهُ فاستاء من ذلك معاصروهُ فسعوا فيهِ وشنعوا عليهِ. وممّا يُعجب لهُ ان قلوب الملوك والامراء في ايامهِ جُبلت على حبهِ ولكنهم لم ينفعوهُ بسلطانهم لما وشى بهِ اعداؤهُ ولو خدمت الظروف ابن تيمية كما خدمت لوثيروس لما انفضَّ القوم من حولهِ وتركوهُ يتقاذفهُ تيار الاهوال من كل مكان

ومن العجيب في المشرق ان اهلهُ تبع لكبرائهم مع قربهم من الخير وسلاسة قيادهم. وامراء الغرب وكبراؤهم تبع لاهلهِ لا ينطقون الاّ بصوت شعوبهم . ولذا رأيت لما انبثق نور التمدن في اوربا بعد لوثيروس استفادت اوربا بهذا الانقسام لما عقبهُ من المنافسة فلم تعمل مملكة عملاً نافعاً الاّ وقلدتها جارتها ان لم يكن برضى سادتها فبرغمهم حتى تشاكلت هاتيك الممالك بهيئة حكوماتها وادارتها ومعارفها وعمرانها الاّ قليلاً . ولا غرو فان السبب الخفي في نجاح لوثيروس اكثر من ابن تيمية انما كان بفضل الشدة والاعنات . ذلك ان رؤساء الدين كان لهم في

اوربا سلطة روحية عظيمة فلما اشتدت وطأتها عافتها النفوس وسعت الى الخلاص منها اما المسلمون فليس لرؤساء الدين فيهم حكم نافذ بلغ ذاك الحد عند المسيحيين وما حكمهم ان تبصَّرت الا ادبي وان استسلم بعض الشعب للعلماء فلا يكون الا من باب المجاملة لا الغرض الواجب ولذلك قلما فكرت النفوس في الاصلاح على ان المذهب الاصلاحي الذي قام به ابن تيمية لم يعدم انصارًا واشياعاً وما فتئ من أشربوا دعوته ينقلونها من صدر الى صدر على توالي الايام الى زمن محمد بن عبد الوهاب الذي جاهر بالدعوة في غربي جزيرة العرب فاثمرت مساعيه ثم انتقلت الى الهند الغربية ولم تزل آخذة في النمو وإن كان دون نمو الدعوة البروتستانتية والله اعلم.

باحث دمشقي

نبأ من اليابان

الصناعة والشركات الصناعية

لما اشرنا الى الصناعة اليابانية في الجزء الماضي من المقتطف قسمناها الى قسمين الصناعة اليدية التي يُعتمد فيها على يد الصانع والصناعة الآلية التي يعتمد فيها على البخار ونحوه من القوى الطبيعية. وقلنا ان الصناعة الاولى قديمة في بلاد يابان وقد بلغت فيها حد الاتقان قبل هذه النهضة الجديدة واما الصناعة الثانية فحديثة ووعدنا بسط الكلام عليها في هذا الجزء وانجازًا لذلك نقول

لا يخفى ان الصناعة الآلية لا تقوم الا بالشركات لما تقتضيه من النفقات الطائلة التي قلما يستطيعها او يُقدِم عليها رجل واحد. وقد ادرك اليابانيون ذلك وعملوا على مقتضاه. وأُدخلت الشركات الصناعية الى بلاد يابان سنة ١٨٨٨ اي منذ اربع عشرة سنة لا غير فلم تمضِ ست سنوات حتى صار فيها ٢٩٦٧ شركة صناعية رأس مالها المدفوع ٢٥ مليون جنيه . وفي ذلك الدليل القاطع على ان البلاد حيَّة مستعدة للنمو السريع وكان هذا قبلما نشبت الحرب بينها وبين الصين وقبلما اثبتت قوتها بالامتحان

والظاهر ان تلك الحرب لم توقف سير التقدُّم مع ما استنزفتهُ من اموال البلاد لانهُ لم تأتِ سنة ١٨٩٩ حتى صار عدد الشركات الصناعية ٧٨٢٩ وصار رأس مالها المدفوع ٧٠ مليون جنيه . ولو جرى القطر المصري هذا المجرى منذ عشر سنوات لوجب ان يكون فيه الآن شركات صناعية رأس مالها عشرون مليون جنيه . ولو كان محمد علي باشا قد حرض اهالي القطر المصري على انشاء المعامل الصناعية بدلاً من ان ينشئها هو وتكون متوقفة عليه تقوم بقيامه وتسقط

بسقوطهِ وجرى القطر المصري من ذلك الحين في الخطة التي جرت فيها بلاد يابان لصار اغنى بالمعامل الصناعية من انكلترا او فرنسا او بلجكا

وقد اقتضى انشاء الشركات الصناعية في بلاد يابان انشاء البنوك المالية فأُنشئ البنك الوطني فيها سنة ١٨٧٢ ومن ثمَّ اخذ عدد البنوك يزداد سنة فسنة فصارت ١٥٣ بنكاً سنة ١٨٧٩ و ٣٥٣ بنكاً سنة ١٨٩٠ . وكان رأس مالها حينئذٍ ثمانية ملايين وربع مليون من الجنيهات وبلغ عددها ٢١٠٥ بنوك سنة ١٨٩٩ رأس مالها المدفوع نحو ٢٩ مليون جنيه وفيها من الودائع ما قيمتهُ ٧٥٠ مليون جنيه . وبعض هذه البنوك صغير جدًّا ولكن بعضها كبير اكبر من البنك الاهلي المصري فبنك يابان الاهلي رأس مالهِ المدفوع ثلاثة ملايين من الجنيهات وفيهِ وحده من الودائع ما قيمتهُ ٢٨٣ مليون جنيه

والاموال التي في بنوك يابان لاهل يابان كلها ولكن الحكومة سمحت حديثاً بانشاء بنك يجوز ان يكون رأس مالهِ من الاجانب وهو مليون جنيه ولكنها جعلتهُ تحت سيطرتها التامة فهي التي تختار رؤساءهُ ومديري حساباتهِ وتراقبهُ المراقبة التامة ولناظر ماليتها ان يوقف اعمالهُ وقتما يشاء اذا حسب انهُ خالف قوانينهُ او خاف من اضرارهِ بالبلاد . وهو يعين مراقبين يراقبون حساباتهِ ودفاترهُ وصناديقهُ وقتما يشاء فكأنهُ بنك ياباني بحت لكن الحكومة ضمنت لاصحاب اسهمهِ خمسة في المئة ربحاً سنوياً

وانشاء هذا البنك بالاموال الاجنبيَّة دليل على ان اليابان لم تعد تخاف من مزاحمة الاجانب لابناء بلادها . وهي تحظر على الاجانب ان يتملكوا املاكاً في بلادها لكنها عازمة ان تبطل ذلك ايضاً حتى تقوى ثقة الناس باليابانيين. وربما عدنا الى هذا الموضوع في الكلام على مالية حكومة اليابان

ومن اول الاعمال الصناعية في بلاد يابان صناعة غزل القطن ونسجهِ وقد ابتدأت سنة ١٨٨٠ وبلغ عدد معامل الغزل ثلاثين معملاً سنة ١٨٩٠ وكان فيها حينئذٍ ٢٧٧٨٩٥ مغزلاً يغزل بها في السنة اكثر من ٤١ مليون ليبرة . ثم الغت الحكومة رسوم الجمرك عن المغزولات الصادرة وعن القطن الخام الوارد الى البلاد تنشيطاً للصناعة الوطنية فبلغ عدد المعامل سنة ١٨٩٩ خمسة وتسعين معملاً فيها ٢٠٧٤٤٧٥ مغزلاً تغزل في السنة ٣٤٥ مليون ليبرة وبلغت قيمة الغزل الصادر من البلاد تلك السنة مليونين و ٨٥٢ الفاً من الجنيهات

وكانت قيمة المنسوجات اليابانية سنة ١٨٩١ نحو ثلاثة ملايين جنيه وهي تساوي الآن نحو ١٥ مليون جنيه

وللحرير شأن كبير في صناعة اليابان وتجارتها وقد كانت قيمة الصادر منهُ سنة ١٨٩٩ خاماً ومنسوجاً نحو تسعة ملايين جنيه

والوراقة قديمة في بلاد يابان وورقها مشهور بمتانتهِ حتى لقد يستعمل كالمنسوجات القطنية. وبلغت قيمة الورق المصنوع فيها سنة ١٨٩٩ مليوناً ونصف مليون من الجنيهات. وللحكومة معامل خاصَّة بها فيها الف عامل يصنعون ورقها فلا تشتري درهماً من بلاد اخرى. وقد انشئ فيها معمل جديد يصنع ٢٣ الف ليبرة من الورق كل يوم وسبعة ملايين ليبرة في السنة فما اشبه ذلك بنا في مصر والشام ونحن لم نستطع ان نقوم بمعمل واحد

وكان الزجاج الذي يصنع في بلاد يابان حقيراً كزجاج القناني الذي يصنع في هذا القطر والقطر الشامي فأنشئ فيها معمل جديد يصنع الزجاج الجيد فناظر زجاجه الزجاج الوارد من المانيا وبلجيكا

وكذلك المنسوجات الصوفية كانت ترد كلها من اوربا لكن تاجراً من باعة الفلانلا انشأ معملاً لنسجها فوفى بالغرض

ويصنع اليابانيون الخزف على انواعهِ والساعات والادوات المعدنية والخشبية على انواعها حتى انهم يصدرون من عيدان الثقاب ما قيمتهُ ٦٠٠ الف جنيه في السنة. ويظهر لنا مما شاهدناهُ في معرض باريس ان عندهم معامل كبيرة لعمل المربيات على انواعها وحفظ الاثمار والخضر والاسماك

وحكومة يابان تبذل الجهد في تنشيط المعامل الصناعية وستنشئ معرضاً في السنة المقبلة لهذه الغاية وتقيم فيهِ داراً مخصوصة تُعرَض فيها المصنوعات الاوربية الاميركية التي تفوق في دقة صنعها ما كان من نوعها من المصنوعات اليابانية حتى يراها اليابانيون ويتعلموا منها كيف يتقنون مصنوعاتهم

ولا تفلح الصناعة في بلاد ما لم تحمَ مصالح الصنَّاع والمخترعين بحقوق الامتياز ولذلك جرت اليابان في خطة الممالك الاوربية والاميركية فانشأت ادارة لاعطاء الامتيازات بالمخترعات والمكتشفات الجديدة وقد اعطت ٢٩٣ امتيازاً سنة ١٨٩٨ و ٥٩٧ امتيازاً سنة ١٨٩٩ و ٦١٥ امتيازاً سنة ١٩٠٠

وقوانين اليابان في الامتيازات صارمة جداً تحمي حقوق المخترعين والمستنبطين سواء كانوا وطنيين او اجانب ومدة الامتياز ١٥ سنة وصاحبهُ يدفع ضريبة تزيد بزيادة انتفاعه منهُ على هذه الصورة

في الثلاث السنوات الاولى	١٠٠	غرش في السنة
« « « الثانية	١٨٠	غرشاً « «
« « « الثالثة	٢٠٠	غرش « «
« « « الرابعة	٢٥٠	غرشاً « «
« « « الخامسة	٣٠٠	غرش « «

ومن يقلّد مخترع غيره او يبيع بضاعة مقلدة وهو عارف ذلك يعاقب عقاباً صارماً فيسجن من ١٥ يوماً الى ثلاث سنوات ويغرَّم جنيهاً الى خمسين جنيهاً . ولا يعطي امتياز بشيء منهُ ضرر لاهالي البلاد مهما كان

ويعطى الامتياز بالعلامات الصناعية والتجارية كما يعطى بالمخترعات والمكتشفات ومدتهُ عشرون سنة وتسجل الرسوم لكي تحفظ لاربابها

وقد اندفع اليابانيون في ميدان الاختراع والاستنباط اندفاعاً عجيباً وجاروا الاوربيين حتى في استنباط آلات الهلاك فالبندقية الشخانة المسماة بندقية موراتا من استنباطهم وكذلك المدفع السريع الطلقات الذي يستعملهُ الجنود اليابانيون . واستنبطوا حديثاً دهاناً يقي السفن من التصاق الاعشاب والاصداف بقاعها . وآلة تصنع اكثر من الف سيكارة في الساعة

وفي اليابان جمعية لارشاد المخترعين والمستنبطين فاذا اخترع احد اختراعاً او ظنَّ انهُ استنبط شيئاً جديداً جاءها واستشارها في امره فتشير عليهِ بما ترى فيهِ مصلحتهُ . قال المستر سند في هذا الصدد "ان الاختراع ليس خاصاً بالاوربيين والاميركيين ولا هو مقصور على امةٍ من الامم بل حيثما سلمت القرائح وتوقدت الاذهان فهناك رجال الاختراع والاستنباط وعندي ان في اليابانيين من الذكاء مقدار ما في غيرهم من امم الارض وهم يحتاجون ان يتعلموا من غيرهم كما يحتاج غيرهم ان يتعلَّم من غيره ولكنهم ليسوا دون غيرهم في ذكاء العقل وتوقد الذهن"

ثم ان الصناعة لا تفلح ولا تروج ما لم تتيسر لها وسائل النقل وهذا ادركهُ اليابانيون فانشأوا السكك الحديدية في بلادهم وتباروا هم وحكومتهم في هذا المضمار ولم تقف الحكومة في سبيلهم ولا فضلت الاجنبي عليهم بل هي تبذل جهدها دائماً لتمنع الاجنبي من مزاحمة شعبها في بلادها

وقد أُنشئت اول سكة اهلية سنة ١٨٨٣ وكان طولها ٦٣ ميلاً وبلغ طول السكك الاهلية ٨٤٨ ميلاً سنة ١٨٩٠ و ٢٨٠٨ اميال سنة ١٩٠٠ . وكان دخلها تلك السنة مليونين و٥٧٤ الف جنيه ونفقاتها مليوناً و ٣٢٠ الف جنيه اي ان المصروفات نحو ٥١ في المئة من الايرادات

وللحكومة سكك اخرى بلغ طولها ٨٩٣ ميلاً سنة ١٩٠٠ ودخلها مليونا و ٣٧٢ الف جنيه ونفقاتها ٦٥٩ الف جنيه

وكما تحتاج الصناعة الى سكك حديدية تحتاج الى سفن بخارية وقد استوفينا الكلام على سفن اليابان البخارية في الجزء الماضي في الكلام على تجارتها

وهذا البيان من حيث ارتقاء الصناعة في بلاد يابان واستئثار اهلها بها وبمواردها ومصادرها يكاد يوقعنا في اليأس ولاسيما اذا علمنا ان القطن المصري يرسل الآن الى بلاد يابان ليغزل وينسج فيها واهالي مصر تُلقى في سبيلهم العثرات لكي لا يناظروا معامل اوربا. ولا عزاء لنا الا ان المعمل الذي انشئ في القطر المصري وأُلزم بدفع رسم الجمرك على مصنوعاته كما يُدفع الرسم على البضائع المصنوعة في اوربا واميركا ليس وطنياً اي ان اكثر ربحه يذهب الى منشئيه لا الى حاملي اسهمه من الوطنيين فدفع هذا الرسم الى الحكومة المصرية خير من دفعه ربحاً الى منشئي المعمل. لكن هذا الحكم اذا تمشّى على ما يمكن ان ينشئهُ الوطنيون من المعامل لم يبقَ فيه سبيل للعزاء

وقس على ذلك البنوك المصرية فان اصحابها وحاملي اسهمها كلهم او جلهم من الاجانب وكذا الشركات الصناعية فلم يبقَ للوطنيين الا الاطيان والاجانب يأخذون من ريعها خمسة ملايين او ستة من الجنيهات كل سنة ربا دين الحكومة وديون الاهالي. واذا تألفت في اوربا شركات زراعية لاستحياء الارض الموات وامتلاك الجزر والسواحل لم يجد ابناء مصر الذين يريدون مورداً للثروة بعد الآن وغاية ما يصلون اليه انهم يتبلّغون تبلغاً باجرة عملهم الى ان يعم الاعتماد على الآلات البخارية للحرث والحصد والدرس. ولا ندري كيف يغفل ولاة الامر هذه القضايا الاجتماعية ولا كيف يسكت ابناء مصر عن المطالبة باول حق من حقوق الانسان الطبيعية وهو حق المعيشة ولوازمها

وما يصدق على هذا القطر مقيَّداً يصدق على سائر الممالك العثمانية من غير قيد فان البنوك فيها للاجانب وللاجانب تعطى الامتيازات بسكك الحديد ومناجم المعادن وحراج الاشجار ومرافئ الثغور البحرية وكل موارد الثروة حتى اذا افاق الوطنيون يوماً ما لا يجدون مورداً يردونهُ عدا عمّا يكابدونهُ الآن من الارهاق وهم لو اعتني بامرهم كما اعتني باهالي اليابان لرأيتهم اليوم لا يحسدون امَّة من امم الارض

———

لماذا يكثر العميان في وادي النيل

اذا كان لا بدَّ لكل معلولٍ من علة فلا ريب ان لكثرة العميان في وادي النيل علة لا يليق باولي العلم اهمال البحث عنها ومتى وجدت لا يجدر باولي الامر التقاعد عن ايجاد الوسائط لازالتها او تلطيفها على الاقل . والحقيقة ان لكثرة امراض العين وكثرة العميان في هذه البلاد عللاً كثيرةً لا علة واحدة كما سنوضح ذلك . غير انهُ وإن كانت كثرة امراض العيون قد بلغت في مصر حدًّا يُضرب بهِ المثل فليست مصر البلاد الوحيدة في المنطقة الحارة التي تكثر فيها تلك الامراض بل على سطح الكرة اماكن اخرى في هذه المنطقة او على مقربةٍ منها كبلاد العرب والهند وطرابلس الغرب وتونس والجزائر ومراكش وفي تلك البلاد تكثر ايضًا امراض العيون ويكثر العميان لا لمجرد وقوعها في المنطقة الحارة بل لاسباب اخرى جمَّة سنأتي على بيانها . غير ان تلك الاسباب تختلف في الزيادة والنقص باختلاف تقهقر البلاد او تقدمها في العلم والمدنية والعمران والثروة . ولا شك ان كثرة العميان ضربة من اشد الضربات وعلة من اقوى العلل التي تعيق البلاد في سبيل الارتقاء . ولا بدَّ لنا اذا اردنا تخفيف وطأة امراض العين في مصر ان نبحث عن اسباب هذه الامراض وشدة وطأتها لنتقيها او على الاقل نخفف مضارها

وقبل الخوض في الموضوع اقول كلمةً لكل من يقرأ هذه السطور راجيًا منهُ ان يعمل بها وهي ان يفيد بما سيقرأهُ الاميين المحيطين بهِ الذين لا يدركون فائدة اتقاء الشرور ولا يعرفون للنظافة قيمة وفيهم تكثر الامراض بوجه العموم وامراض العين بوجه خاصٍ وهم الفئة التي لاجلها نكتب ونؤلف وننشر فاذا كانوا لا يطَّلعون على ما نكتب ونحن لا نكتب الاَّ لهم فما الفائدة من كتاباتنا واضاعة الوقت . ولكن اذا كان كل واحدٍ من قراء الجرائد والمجلات يفيد بما يقرأهُ بعض الذين يعرفهم من الذين لا يقرأون امكننا ادراك بعض الغرض المقصود ان لم ندركهُ كلهُ

اذا نظرنا الى امراض العين بوجه عام امكننا ان نقسمها الى قسمين كبيرين : القسم الاول يشمل الامراض التي تنشأ عن اسباب مصدرها الجسم نفسهِ لعلةٍ او عللٍ فيهِ واهم هذه العلل الداء الزهري وهي تعتري في الغالب القسم الخلفي من العين حيث تضر باغشيتها الباطنة . والامراض التي من هذا النوع تضر باهل الشرق اكثر مما تضر باهل الغرب لان هؤلاء يقدرون الامور قدرها ويهتمون بمعالجة انفسهم ويتداركون المرض في بدء ظهورهِ فيخففون

عنهم اضراره ويلجأون الى الاطباء غير معتمدين على خرافات العصور الخوالي بخلاف الجهلاء من اهل البلاد الشرقية الذين لا يبالون بما يصابون بهِ من الامراض او يركنون في معالجة انفسهم الى غير اهل العلم او يعتمدون على الخرافات الباطلة كما سنذكر ذلك. ومع هذا فلا تعدُّ اضرار هذه الامراض الباطنة شيئاً بالنسبة الى اضرار الامراض الاخرى التي يشملها القسم الثاني

والقسم الثاني يشمل امراض العين التي تسببها العوامل الخارجية وتعتري القسم الامامي من العين. وهي الامراض التي يهمنا البحث في اسباب كثرتها في مصر والبلاد الحارة وتعذُّر شفائها وفقد البصر الذي ينشأ عنها

فلنبحث الآن في هذه الاسباب ولنشرح الطرق الواقية من كل سبب على حدتهِ.

السبب الاول والاكبر — الجهل: لا مشاحة ان الجهل هو من اقوى الاسباب في كثرة امراض العين وتعذُّر شفائها ووفرة العميان في البلاد الشرقية الحارة المقصرة في مضمار العلم والمدنية. وقد قدَّمت الجهل على كل سبب لان الاسباب الاخرى التي تساعد انتشار امراض العين في البلاد الحارة يمكن العاقل المتعلم ان يتقيها والدليل على ذلك ان العقلاء من اهل مصر والبلاد الشرقية الحارة والعدد العظيم من النزلاء الاجانب قلما يصابون بما يصاب بهِ اهل الجهل في تلك البلاد نفسها مع انهم كلهم معرضون لاسبابها على حدٍ سوى. واذا اصيب العامل بمرض في عينهِ لا يضر بهِ مثل ما يضر الجاهل اذا اصيب بهِ لان العاقل يتداركهُ فيتخلَّص منهُ والجاهل يهملهُ فيعمى بهِ

والجهل اشبه شيء بجزع شجرة ضخم تتفرع منهُ فروع كثيرة وكل فرع يكون اصلاً لعلل وشرور كثيرة. ومن فروع الجهل

اولاً ترك الوقاية والعلاج اعتماداً على القضاء والقدر للخلاص من المرض. فاذا كان انسان معتقد انهُ لا يعدى بمرض معدٍ ولو تعرَّض لهُ اذا كان ذلك غير مقدور لهُ ويعدى بهِ ولو لم يتعرَّض لهُ اذا كان ذلك مقدوراً لم يتَّقِ المخاطر ولم يسلم منها بل يكون معرضاً للخطر في كل لحظة من حياتهِ. وفي كل دين آيات واحاديث كثيرة توجب على المرء ان يعتني بنفسهِ ولا يلقي بها الى التهلكة فيجب على ائمتهِ ان يقشعوا عن المحيطين بهم من الاميين غياهب الغباوة وظلمات الجهل وان يهدوهم سواء السبيل. الا ترى العاقل الذي يعتقد ان الوقاية من الشرور لا تتم الاَّ باجتناب اسبابها يهرب من المصاب بداء معدٍ كما يهرب من الاسد فينجو من العدوى وتراهُ اذا مرض يعتني بمعالجة مرضهِ ولذا قلما يصيبهُ من اضرار امراض العين ما يصيب اهل الجهالة

ثانياً عدم الاعتناء بالنظافة . لا يدرك الجاهل ما هي النظافة ولا يدري انها افعل الوسائط لاتقاء الامراض وشفائها فيترك غسل بدنهِ ويهمل نظافة ملابسهِ حتى تتلبد عليهِ الاقذار وتفوح منهُ الروائح الكريهة ويحوم عليهِ الذباب . وجهل الامهات يحملهنَّ على عدم الاعتناء بنظافة اولادهنَّ فيتركن الاقذار تتلبد على وجوههم وابدانهم وتسبب لهم كل علة . وكم من مرض تجلبهُ الوساخة وتبعدهُ النظافة . اما رأيت في ازقة المدن والقرى الاطفال يدبون ويتمرغون في التراب والاوحالِ والاقذارُ متلبدة على اجسامهم وملابسهم والذباب يحوم عليهم. اولم ترَ بائعة السمن كلما تلوثت اصابعها بهِ مسحتها بازارها وزوجها يحدثك والبق يسرح على ثوبهِ والقمل يدب على عنقهِ وجارتهُ في وسط دارها وابنها على قدمها يتغوط ويبول فيلوثها ويبلها ثم تذرعلى روثهِ شيئاً من التراب وتتركهُ يجف في عرصة الدار او تدوسهُ برجلها وتطلي بهِ الارض

واذا اردت ان اعدد لك انواع القذارة وضروب الوساخة التي تصم لسماعها الاذن وتجيش النفس اقتضى لي مجلد ضخم . فكيف لا تكثر امراض العين في مثل هؤلاء القوم وكيف لا يعمون اذا اصيبوا بها . والماء الذي لا بدَّ منهُ للنظافة قد يكون في بعض الترع ممزوجاً بدقائق التراب وهذا حكم الطبيعة لا يمكننا دفعهُ ولكن في الامكان ترشيح هذا الماء حتى يصبح صافياً زلالاً صالحاً للشرب والاغتسال . غير ان الجاهل لا يفكر في شيء من ذلك بل يشرب الماء بما فيهِ من العكر والكدر ويغتسل بهِ فيزيد طينة وجههِ بلَّة . اما رأيتَ ان بعض الجهلاء اذا قدمتَ لهم كأساً من ماء النيل المرشح امتنعوا عن شربها وقالوا لك هذا ماء افرنجي لا يصلح شربهُ اذ ليس لهُ طعم وخير الماء ما كان بخيرهِ اي بعكرهِ فالجهل سبب الوساخة والوساخة مجلبة للامراض ومن هذه امراض العين وهي لعدم النظافة والاعتناء بالمعالجة تأتي بالعمى لصاحبها وتسري عدواها الى المحيطين بهِ وهذه سلسلة متتابعة الحلقات لا ينبغي للانسان ان يكون فيلسوفاً حتى يتتبعها من اولها الى آخرها

ولماذا لا تكثر امراض العين في رجال مصر المتعلمين المتفننين وقلما تجد بينهم اعمى أليس لانهم يهتمون بنظافة اجسامهم وملابسهم ومساكنهم وفرشهم ولأن نساءهم يعتنين بنظافة اجسام اولادهنَّ وملابسهم ومضاجعهم. وهذا برهان حسي ودليل قاطع على ان النظافة من اقوى مقاومات امراض العين والعمى . فلماذا لا نتشبه كلنا بهؤلاء الرجال ونحذو حذوهم. ايظن احد ان النظافة تقتضي كثيرًا من النفقة لا وحقك فمن من الناس لا يمكنهُ الحصول على شيء من الماء والصابون وعلى زير من الفخار ليرشح بهِ الماء. حتى ان سكان بعض المدن الكبيرة

في مصر كالقاهرة والاسكندرية وطنطا لم يعودوا في حاجة الى آلات للترشيح لان مياه الآبار الارتوازية التي كثر الآن حفرها صافية نقية لا تحتاج الى ترشيح واذا كانت شركات المياه في احدى المدن المذكورة تستقي من النيل فهي تعتني بترشيح مائهِ

ثالثاً . طب الركة : وهذا ضربٌ آخر من ضروب الجهل كثيرًا ما يكون سبباً في ضياع العمر والبصر فقد ترى كثيرين من الجهال اذا اصيب احدهم برمدٍ لا يستشير لمعالجتهِ طبيباً خبيرًا بطب العيون بل يعتمد على اشارات الدجالين والعطارين والعجائز ويسلم امرهُ لهم ويضع في عينهِ كما يصفونهُ لهُ من الذرور والمراهم وما شاكلها وهي ان لم تعمِ العين باسهل طريقة تعيقها عن الشفا وتكون احياناً كثيرة سبباً في تولُّد السحابات على القرنية وضمور الملتحمة الى غير ذلك من المضاعفات التي تضر بالعين ضررًا كبيرًا . ولو اردت ان اعدد للقارىء انواع العقاقير والمواد الكاوية وغير الكاوية المتباينة الانواع التي يصفها الدجالون والعطارون وتصادق على استعمالها كل حيزبون لضاق بي المقام ولأخذ العجب من القارىء كل مأخذ ولكن على سبيل الفكاهة آتي على ذكر بعض تلك المواد فمنها مسحوق اللؤلوء والزمرد والياقوت وعصارة الطماطم والزرنيخ وعصارة البصل وجلد الفسيخ وروث البقر والحمير وبول البغال والبصل المسلوق الى غير ذلك من المواد التي يضحك ذكرها العاقل ويبكيهِ

هذا من قبيل المعالجة بالعقاقير اما العمليات الجراحية التي يجيز الدجالون والدجالات عملها فحدث عنها ولا حرج ولاسيما عملية الشعرة . فكم وجه يتشوهُ بهذه العمليات وكم ملتحمة تضمر وكم جفنٍ يقصر لكثرة ما قُصَّ من جلدهِ حتى لا يعود يغطي العين لانهُ لا ينطبق على الجفن الاسفل فينتج عن ذلك جفاف الملتحمة والقرنية ولا تلبث هذه ان تتقرح لتعرضها للعوامل الخارجية وقصور الجفن عن سترها من غبار الهواء ولا تزال تقرحاتها تتزايد حتى يفقد البصر

اما الطرق التي يتخذها الدجالون لعمل هذه العمليات فما يقشعر منهُ البدن لانها كلها طرق وحشية بربرية قاعدتها الوساخة وقص الجلد وتمزيقهُ حتى انهُ كثيرًا ما يصاب المريض الذي يوقعهُ سوء حظهِ بين ايدي اولئك القتلة بفلغموني في اجفانهِ او بالحمراء التي تمتد الى دماغهِ وتذهب بحياتهِ . وكيفية عملية الشعرة عند الدجالين والدجالات هي ان تؤخذ طية من جلد الجفن العلوي وتوضع في شق قصبة شديدة المرونة فيلزم الشقُّ طية الجلد وتبقى القصبة مدلاة فوق العين حتى يعمل الفناه بالجلد المضغوط بشق القصبة فيسود لونهُ ويسقط منفصلاً عن باقي جلد الجفن وتسقط القصبة معهُ

هذه هي عقاقير الدجالين وطرق عملياتهم في وادي النيل ونحن في القرن العشرين وتكاد

لا تخلو قرية من طبيب معهُ شهادة قانونية يمكنهُ القيام مقام الدجال . ولو كان هؤلاء الدجالون يكتفون بالقليل من الرزق ومتاع الدنيا مقابل ما يأتونهُ من ضروب الجنايات لالتمسنا لهم بعض العذر وقلنا ربما كانوا في فقر مدقع وهم يسعون وراء القوت وقد يدفع الجوعُ الانسان الى قتل اخيهِ . ولكنهم مع ما يقصفونهُ من الاعمار ويمزقونهُ من الاجفان والاشفار ويطمسونهُ من الابصار لا يرحمون ولا يشفقون في جمع الدينار

وقد ادرجت في جريدة المقطم في اوائل شهر اوغسطس حادثة الدجالة الشهيرة ام مخلة التي هتكت اجفان فتاة بعملية الشعرة بطريقة القصبة التي اتيت على ذكرها . وقد قطعت هذه الجانية من جلد الجفنين العلويين جانباً عظيماً حتى انهما لم يعودا ينطبقان فتشوه وجه الفتاة وصار منظرهُ قبيحاً واصبحت هذه المسكينة معرضة بسبب قصر جفنيها العلويين لجفاف الملتحمة فضمورها فتقرح القرنية فتلفها فالعمى . أليست هذه الجناية مما يقضي بالعجب ونحن تحت ظل حكومة عادلة ذات قوانين صارمة . واعجب من ذلك هو ان تلك الفتاة المظلومة لم تكن مصابةً بداء الشعرة مطلقاً فقد وجدتُ بعد البحث المدقق ان كل اهدابها متجهة الى الامام والاعلى كما هي الحالة الطبيعية . واعجب من هذا وذاك ان تلك الدجالة الجانية اخذت من ابي الفتاة في مقابل ذلك الفعل الفظيع ثمانية جنيهات حتى الزمتهُ الى بيع ما في دارهِ

ولا شك ان وجود مثل هؤلاء الدجالين ضربة قاضية على ابصار المصريين ويجدر برجال الحكومة ان يبحثوا عنهم ويعاقبوهم على فظائعهم لينقطع دابرهم ويستريح الناس من شرهم وهم على ما يقال كثار العدد ومنتشرون في البلاد انتشار الوباء

الست ترى معي ان الجهل هو الذي يدفع البسطاء الى مشاورة الدجالين والعمل بمشورتهم والاكتحال بكاوياتهم التي تطمس البصر والتماس العمى من عملياتهم الجراحية . وهل بقي عندك ذرة من الريب في ان مثل هذه الامور لا تتناقص في بلاد مصر وما شاكلها من بلاد الشرق الأ باتساع نطاق التعليم . لان الولد متى شب في المدارس وتعلم وتهذب عرف ان لكل فنّ رجالاً ولكل صناعة صناعاً وادرك خلافاً للجهلاء انهُ لا يجوز ان يكلَّف العطار بتطبيب العيون والدجال باعمال الجراحة كما لا يجوز ان يكلف المصور بعمل الاحذية والنجار بخياطة الثياب والكاتب ببناء البيوت والعربجي برصد الافلاك . ولكن كم سينقضي من الاعوام حتى نصل الى هذا الحد من الارتقاء والسواد الاعظم من سكان الشرق اميون لا يحسنون القراءة حتى اليوم

ستأتي البقية

الدكتور ابرهيم شدودي
طبيب العيون

امثال المتنبي

جمعها الصاحب بن عباد لفخر الدولة

وبليق بكل طالب ان يكثر من تلاوة هذه الابيات حتى يستظهرها ويصير قادرًا على استحضارها والتمثل بها في المواقع التي يحسن التمثل بها فيها . وقد علّقنا عليها حواشي تفسر ما نظنهُ غامضًا من كلماتها اتمامًا للفائدة

فَعُدْ بها لاعدمتُها ابدًا — خيرُ صلاتِ الكريم اعودُها

صبرًا بني اسحق عنهُ تكرُّمًا — ان العظيم على العظيم صبورُ

يمّمتُ شاسعَ دارهم عن نيّةٍ — ان المحب لمن يحبُّ يزورُ[1]

فوتي في الوغى أربي لأني — رأيتُ العيشَ في أربِ النفوسِ

لو كان سُكنايَ فيهِ منقصةً — لَمْ يكُنِ الدرُّ ساكنَ الصدفِ

غيرَ اختيارٍ قبلتُ برَّكَ بي — والجوعُ يُرضي الأسُودَ بالجِيَفِ

إذا قيلَ رِفقًا قالَ للحلم مَوْضعٌ — وحِلمُ الفتى في غير مَوضعِهِ جهلُ

يَفنى الكلامُ ولا يُحيطُ بوصفِكمْ — أيحيطُ ما يَفنَى بما لا ينفدُ

يَفدي بنيك عُبَيْدَ اللهِ حاسِدُهمْ — بجبهة العير يُفدَى حافرُ الفرسِ[2]

خيرُ الطيور على القصور وشرُّها — يأوي الخرابَ ويسكنُ الناووسا[3]

وما الكرَمُ الطريف وان تقوَّى — بمنتصفٍ من الكرم التِلادِ[4]

وانَّ الجرح ينفِرُ بعد حين — اذا كان البناه على فسادِ[5]

يجني الغنى للئامِ لو عقلوا — ما ليس يجني عليهم العدمُ[6]

ودهرٌ ناسهُ ناسٌ صغارٌ — وان كانت لهم جثثٌ ضخامُ

وما انا منهمُ والعيش فيهم — ولكن معدن الذهب الرغامُ[7]

خليلك انتَ لا مَن قُلْتَ خلي — وان كثُر التجمُّلُ والكلامُ

ولو حِيزَ الحفاظ بغير عقل — تجنَّبَ عُنْقَ صيقلِهِ الحسامُ[8]

(١) النية الوجه الذي ينويه المسافر (٢) عبيد الله منادى والعير الحمار (٣) الناووس القبر (٤) الطريف المستحدث والمنتصف منهُ استرق حقه والتلاد القديم الموروث (٥) نفر الجرح ورم و يروى نغر اي فار منهُ الدم (٦) يجني يجر والعدمُ الفقر (٧) الرغام التراب (٨) الحفاظ الذود عن المحارم والصيقل من يصقل السيوف

وشبه الشيء منجذبٌ اليهِ … واشبهنا بدنيانا الطغام[٩]

ولو لم يرعَ الاَّ مستحقٌ … لرتبتهِ لسامهم المسام[١٠]

ولو لم يعلُ الاَّ ذو محلٍ … تعالى الجيشُ وانحطَّ القتام[١١]

ومن خبر الغواني فالغواني … ضياءٌ في بواطنهِ ظلامُ

وما كلٌّ بمعذورٍ ببخلٍ … ولا كلٌّ على بخلٍ يلامُ

تلذُّ لهُ المروءة وهي تؤذيهِ … ومن يعشقْ يلذّ لهُ الغرامُ

وفيض نوالهِ شرف وعزٌّ … وفيضُ نوالِ بعض القوم ذام[١٢]

اقامت في الرقاب لهُ ايادٍ … هي الاطواق والناس الحمام[١٣]

وما الفضة البيضاء والتبر واحدٌ … فنوعان للمكدي وبينهما صرف[١٤]

ولكل عين قرّة في قربهِ … حتى كأنَّ مغيبهُ الاقذاء

ولكن حبًّا خامر القلب في الصبا … يزيدُ على مرّ الزمان ويشتدُّ

واصبح شعري منهما في مكانهِ … وفي عُنق الحسناء يستحسن العِقدُ

في سعة الخافقين مضطربٌ … وفي بلاد من اختها بدل[١٥]

ابلغُ ما يطلب النجاح بهِ الطبعُ … وعند التعمق الزللُ

ومن يكُ ذا فم مرّ مريض … يجد مرًّا بهِ الماء الزلالا

ما كلُّ مَن طلبَ المعالي نافذًا … فيها ولا كلُّ الرجال فحولا

الحب ما منع الكلام الالسنا … والذُّ شكوى عاشق ما اعلنا

ومكايدُ السفهاء واقعة بهم … وعداوة الشعراء بئس المقتنى

لُعنت مقارنة اللئيم فانها … ضيف يجر من الندامة ضيفنا

وانفس ما للفتى لبهُ … وذو اللب يكرهُ انفاقهُ

لا افتخارٌ الاَّ لمن لا يضامُ … مدرك او محارب لا ينامُ

ذل من يغبطُ الذليل بعيش … رُبَّ عيش اخفُّ منهُ الحِمامُ

كل حلم اتى بغير اقتدار … حجةٌ لاجئٌ اليها اللئامُ

---

(٩) الطغام اوغاد الناس (١٠) لم يرعَ اي لم يسُسْ ويروى اسامهم المسام . اي ساسهم من يسوسونهُ (١١) القتام الغبار (١٢) النوال العطاء والذام العيب (١٣) الايادي النعم والحمام الطائر المعروف ويكون مطوقًا (١٤) المكدي الفقير والصرف التفاوت (١٥) الخافقان الشرق والغرب والمضطرب مكان الجولان

مَنْ يهنْ يسهل الهوان عليهِ — ما لجرح بميت إيلامُ
ان بعضاً من القريض هراءٌ — ليس شيئاً وبعضهُ احكامُ
وربما فارق الانسان مهجتهُ — يوم الوغى غير قالٍ خشية العارِ (١٦)
افاضلُ الناسِ اغراضٌ لدى الزمنِ — يخلو من الهمّ اخلاهم من الفطنِ
فقر الجهولِ بلا عقل الى ادبٍ — فقر الحمار بلا رأس الى رسنِ
لا يعجبنَّ مضيماً حسن بزتهِ — وهل يروق دفيناً جودة الكفنِ (١٧)
الى مثل ما كان الفتى يرجع الفتى — يعودُ كما ابدي ويكري كما ارمى (١٨)
انعمْ ولذَّ فللامور اواخرٌ — ابداً كما كانت لهنَّ اوائلُ
واذا اتتك مذمتي من ناقصٍ — فهي الشهادة لي بأني كاملُ
في الناس امثلة تدور حياتها — كمماتها ومماتها كحياتها
ومن ينفق الساعات في جمع مالهِ — مخافة فقر فالذي فعلَ الفقرُ
ضروب الناس عشاق ضروبا — فاعذرهم اشفّهم حبيباً (١٩)
ومن نكد الدنيا على الحر ان يرى — عدوًّا لهُ ما من صداقتهِ بدُّ
واكبر نفسي عن جزاء بغيبة — وكل اغتياب جهد من لا لهُ جهدُ
فما في سجاياكم منازعة العلا — ولا في طباع التربة المسك والندُّ
من الحلم ان تستعمل الجهل دونهُ — اذا اتسعت في الحلم طرق المظالمِ
اذا لم تكن نفس النسيب كأصلهِ — فماذا الذي يغني كرام المناسبِ
لو كان يمكنني سفرت عن الصبي — فالشيبُ من قبل الاوان تلثُّمُ
والهم يخترم الجسيم نحافة — ويشيب ناصية الصبي ويهرمُ
ذو العقل يشقى في النعيم بعقلهِ — واخو الجهالة في الشقاوة ينعمُ
والناس قد نبذوا الحفاظ فمطلق — ينسى الذي يولي وعافٍ يندمُ
لا تخدعنك من عدوك دمعة — وارحم شبابك من عدوٍّ ترحمُ
لا يسلم الشرف الرفيع من الاذى — حتى يراق على جوانبهِ الدمُ
يؤذي القليل من اللئام بطبعهِ — من لا يقلُّ كما يقلُّ ويلؤمُ
والظلم من شيم النفوس فان تجد — ذا عفة فلعلة لا يظلمُ

(١٦) المهجة الروح والقالي المبغض (١٧) المضيم المظلوم (١٨) ابدي خلق واكرى نقص وارمى زاد
(١٩) الضروب الانواع والاعذر الاحقّ بالعذر والاشف الافضل

ومن البليَّة عذلُ من لا يرعوي · عن جهلهِ وخطاب من لا يفهمُ

والذل يظهر في الذليل مودة · واودُّ منهُ لمن يودُّ الارقمُ[٣٠]

ومن العداوة ما ينالك نفعهُ · ومن الصداقة ما يضرُّ ويؤلمُ

افعال من تلدُ الكرام كريمةٌ · وفعال من تلدُ الاعاجم اعجمُ

ولكن الغيوث اذا توالت · بارض مسافر كره الغماما

فطعم الموت في امرٍ حقيرٍ · كطعم الموت في امرٍ عظيمِ

يرى الجبناء ان العجزَ عقل · وتلك خديعة الطبع اللئيمِ

وكل شجاعة في المرء تغني · ولا مثل الشجاعة في الحكيمِ

وكم من عائب قولاً صحيحاً · وآفتهُ من الفهم السقيمِ

ولكن تأخذ الآذان منهُ · على قدر القرائح والفهومِ

كلامُ اكثر من تلقى ومنظرهُ · مما يشق على الآذان والحدقِ

والغنى في يد اللئيم قبيحٌ · قدر قبح الكريم في الاملاقِ

ومن قبل النطاح وقبل يأني · تبين لك النعاج من الكباش

ويظهر الجهل بي واعرفهُ · والدرُّ درٌّ برغم من جهلَهْ

فصرت كالسيف حامدًا يدهُ · ما يحمدُ السيف كلُّ من حملَهْ

وقد يتزيَّا بالهوى غير اهلهِ · ويصطحب الانسان من لا يلائمهْ

فني تغرم الاولى من اللحظ مهجتي · بثانية والمتلف الشيءَ غارمهْ[٣١]

وما خضب الناسُ البياض لانهُ · قبيحٌ ولكن احسن الشعر فاحمهْ

وما كل سيف يقطعُ الهام حدهُ · وتقطع لزبات الزمان مكارمهْ[٣٢]

واذا كانت النفوسُ كبارًا · تعبت في مرادها الاجسامُ

فكثير من الشجاع التوقي · وكثيرٌ من البليغ السلامُ

ومن لم يعشق الدنيا قليلٌ · ولكن لا سبيلَ الى الوصالِ

نصيبك من حياتك من حبيب · نصيبك في منامك من خيالِ

ولو كان النساء كمن فقدنا · لفضِّلت النساء على الرجالِ

وما التأنيث لاسم الشمس عيبٌ · ولا التذكيرُ فخرٌ للهلال

---

(٣٠) الارقم اخبث الحيات (٣١) اي في لانظرك نظرة ثانية تردُّ الى مهجتي التي تلفت بالنظرة الاولى لان متلف الشيء غارمه (٣٢) اللزبات الشدائد

فان تفقِ الانام وانت منهم فان المسك بعض دم الغزالِ
الى كم ذا التخلف والتواني ...

الى مَ طاعية العاذلِ ولا رأي في الحب للعاقلِ
يراد من القلب نسيانكم وتأبى الطباع على الناقلِ
خذوا ما اتاكم بهِ واعذروا فان الغنيمة في العاجلِ
اعلى الممالك ما يبنى على الاسلِ والطعن عند محبيهنَّ كالقُبَلِ
ولا يجير عليهِ الدهر بغيتهُ ولا تحصن درعٌ مهجة البطلِ[23]
بذي الغباوة من انشادها ضررٌ كما تضرُّ رياح الورد بالجعلِ
اذا ما تأملت الزمان وصرفهُ تيقنت ان الموت ضربٌ من القتلِ
وما الدهر أهل ان تؤمل عندهُ حياة وان يشتاق فيهِ الى النسلِ
وربما قالت العيون وقد يصدق فيها ويكذب النظرُ
اعاذك الله من سهامهم ومخطئٌ مَنْ رَمِيُّهُ القمرُ
واذا وكلتَ الى كريم رأيهُ في الجود بان مذيقهُ من محضهِ
ان الرياح اذا عمدن لناظرٍ اغناهُ مقبلها عن استعجالهِ
دون الحلاوة في الزمان مرارة لا تختطى الا على أهوالهِ[24]
وهل تغني الرسائل في عدوٍ اذا ما لم يكنْ ظبى رقاقا
وان جزعنا لهُ فلا عجب ذا الجزر في البحر غير معهودِ
فما ترجي النفوس من زمنٍ احمد حاليهِ غير محمودِ
من يعرف الشمس لا ينكر مطالعها او يبصر الخيل لا يستكرم الرمكا[25]
وما ذاك بخل بالنفوس على القنا ولكن صدم الشر بالشرّ احزمُ
اهل الحفيظة الا ان تجربهم وفي التجارب بعد الغي ما يزعُ[26]
ليس الجمال لوجهٍ صحَّ مارنهُ انف العزيز بقطع العز يجتدعُ
والمشرفية لا زالت مشرفة دواءُ كل كريم او هي الوجعُ
لا تحسبوا من اسرتم كان ذا رمق فليس تأكلُ الا الميتَ الضبعُ
من كان فوق محل الشمس موضعهُ فليس يرفعهُ شيءٌ ولا يضعُ

---

(٢٣) اجارها عليهِ منعهُ منها (٢٤) تختطى اي تجاز للوصول الى الحلاوة
(٢٥) الرمك ج رمكة وهي البرذونة تتخذ للنسل
(٢٦) الحفيظة الحمية والغي الاغترار ويزع يردع

فقد يظن شجاعاً من به خرقٌ — وقد يُظن جباناً من به زمعٌ (٢٧)
ان السلاح جميع الناس تحمله — وليس كل ذوات المخلب السبعُ
وما الخوف الا ما تخوّفهُ الفتى — وما الامن الا ما رآهُ الفتى امنا
وحيد من الخلان في كلّ بلدة — اذا عظُم المطلوب قلّ المساعدُ
بذا قضت الايام ما بين اهلها — مصائب قومٍ عند قومٍ فوائدُ
وكل يرى طرق الشجاعة والندى — ولكن طبعَ النفسِ للنفس قائدُ
فان قليل الحبِّ بالعقل صالحٌ — وان كثير الحب بالجهل فاسدُ
وقد فارق الناس الاحبة قبلنا — واعيا دواءُ الموت كلَّ طبيبِ
وللتركُ للاحسان خيرٌ لمحسنٍ — اذا جعل الاحسان غير ربيبِ (٢٨)
فرب كئيب ليس تندى جفونهُ — ورُبَّ كثير الدمع غيرُ كئيبِ
وفي تعب من يحسد الشمسِ ضوءها — ويجهد ان يأتي لها بضريبِ (٢٩)
ومن صحب الدنيا طويلاً تقلبتْ — على عينهِ حتى يرى صدقها كذبا
ومن تكن الاسدُ الضواري جدودهُ — يكن ليلهُ صبحاً ومطعمهُ غصبا
اعيذها نظراتٍ منك صادقةً — أن تحسبَ الشحمَ في مَن شحمهُ ورمُ
(اذا ترحلتَ عن قوم وقد قدروا — ان لا تفارقهم فالراحلون همُ)
وما انتفاعُ اخي الدنيا بناظرهِ — اذا استوتْ عندهُ الانوار والظلمُ
اذا رأيت نيوب الليث بارزة — فلا تظننّ ان الليث يبتسمُ
ان كان سرَّكمْ ما قال حاسدنا — فما لجرحٍ اذا ارضاكمُ ألمُ
وبيننا لو رعيتمْ ذاكَ معرفةٌ — ان المعارفَ في اهل النهى ذممُ
شر البلادِ بلادٌ لا صديق بها — وشرمايكسبُ الانسانُ مايصِمُ (٣٠)
وشر ما قنصتهُ راحتي قنصٌ — شهبُ البزاةِ سواءٌ فيهِ والرخمُ (٣١)
وان كان ذنبي كل ذنب فانهُ — محا الذنبَ كلَّ الذنب من جاء تائبا
وما صبابة مشتاق على املٍ — من اللقاء كمشتاق بلا املِ
والهجرُ اقتل لي مما اراقبهُ — انا الغريق فما خوفي من البللِ
خذ ما تراهُ ودع شيئاً سمعت بهِ — في طلعةِ الشمس ما يغنيك عن زحلِ

(٢٧) الخرق الطيش والزمع الارتعاد (٢٨) ربيب تام (٢٩) الضريب المثيل (٣٠) يصم يعيب
(٣١) الرخم طائر ضعيف

ان كنت ترضى بان يعطوا الجزى بذلوا ... منها رضاك ومن للعور بالحول[٣٢]
لعل عتبكَ محمودٌ عواقبهُ ... وربَّما صحَّتِ الاجسامُ بالعللِ
لان حلمك حلم لا تكلفهُ ... ليس التكحُّلُ في العينين كالكحلِ
وما ثناك كلامُ الناس عن كرم ... ومن يسدُّ طريق العارض الهطلِ
وليس يصحُّ في الاذهان شيءٌ ... اذا احتاجَ النهارُ الى دليلِ
وما كمدُ الحسادِ شيءٌ قصدتهُ ... ولكنهُ من يزحم البحرَ يغرقِ
واطراق طرف العين ليس بنافعٍ ... اذا كان طرفُ القلب ليس بمطرقِ
ومن كنت بحرًا لهُ يا عليُّ ... لا يقبل الدرَّ الاَّ كبارا
ليالِيَّ بعد الظاعنين شكول ... طوال وليل العاشقين طويل[٣٣]
فان تكن الايام ابصرن صولهُ ... فقد علَّم الايام كيف تصولُ
ايدري ما ارابك من يريبُ ... وهل ترقى الى الفلك الخطوبُ
يجمشك الزمان هوى وحبًّا ... وقد يؤذى من المقة الحبيب[٣٤]
لكل امرءٍ من دهرهِ ما تعودا ... وعادات سيف الدولة الفتك في العدى
وما قتل الاحرار كالعفو عنهمُ ... ومن لك بالحر الذي يحفظ اليدا
اذا انت اكرمت الكريم ملكتهُ ... وان انت اكرمتَ اللئيم تمردا
ووضع الندى في موضع السيف بالعلى ... مضرٌّ كوضع السيف في موضع الندى
وقيَّدت نفسي في ذراك محبةً ... ومن وجد الاحسان قيدًا تقيدا
واتعب من ناداك من لا تجيبهُ ... واغيظ من عاداك من لا تشاكلُ
وما تركوك معصيةً ولكن ... يعافُ الوردُ والموتُ الشرابُ
ترفقْ ايها المولى عليهم ... فان الرفق بالجاني عتابُ
وما جهلت اياديك البوادي ... ولكن ربما خفي الصوابُ
وكم ذنبٍ مولِّدهُ دلالٌ ... وكم بعدٍ مولدهُ اقترابُ
وجرمٍ جرهُ سفهاء قومٍ ... فحلَّ بغير جارمهِ العذابُ
ومن طلب الفتح الجليل فانما ... مفاتيحهُ البيض الخفاف الصوارمُ
وما تنفع الخيل الكرام ولا القنا ... اذا لم يكن فوق الكرام كرامُ

(٣٢) اي اذا رضيت اعطوا الجزية فدية كما يختار الحول على العور
(٣٣) شكول جمع شكل اي متشابهة (٣٤) يجمشك يغازلك والمقة المحبة

فان تكُ لا تعطي الذمام طواعةً نعوذُ الاعادي بالكريم ذمامُ
وشرُّ الحامين الزّامين عيشةً يذلُّ الذيــ يختارها ويضام
وما الحسن في وجه الفتى شرف لهُ اذا لم يكن في فعلهِ والخلائقِ
وما بلد الانسان غير الموافقِ وما اهلهُ الادنون غير الاصادقِ
وما يوجع الحرمان من كفِّ حارمٍ كما يوجعُ الحرمان من كفِّ رازقِ
ولو لم يبقِ لم تعش البقايا وفي الماضي لمن ابقى اعتبارُ
لعلَّ بنيهمُ لبنيكَ جندٌ فاوّلُ قُرَّح الخيل المهارُ
وما في سطوة الارباب عيب وما في ذلة العبدان عارُ
لك إلف تجرهُ واذا ما كرُمَ الاصل كان للالف اصلاَ
ان خير الدموع عونًا لدمعٌ بعثتهُ رعاية فاستهلاَّ
واذا لم تجد من الناس كفوءًا ذات خدرٍ تمنّت الموت بعلا
ولذيذ الحياة انفس للنفسِ واشهى من ان يُمَلَّ واحلى
واذا الشيخ قال افٍّ فما ملَّ حياةً وانما الضعف ملاَّ
آلةُ العيش صحةٌ وشبابٌ فاذا ولّيا عن المرء ولّى
ابدًا تسترد ما تهب الدنيا فياليت جودها كان بخلا
ربَّ امر اتاك لا تحمد الفعّال فيهِ وتحمد الافعالا
والعيان الجليّ يحدث للظن زوالاً وللمراد انتقالا
واذا ما خلا الجبان بارض طلب الطعن وحدهُ والنزالا
اقسموا لا رأوك الاَّ بقلب طالما غرت العيون الرجالا
انما انفس الانيس سباع يتفارسن جهرة واغتيالا(٢٥)
من اراد التماس شيءٍ غلابا واغتصابًا لم يلتمسهُ سؤالا
كل غادٍ لحاجة يتمنى ان يكون الغضنفر الرئبالا
ورفلت في حلل الثناء وانما عدم الثناء نهاية الاعدام
الرأي قبل شجاعة الشجعانِ هو اول وهي المحل الثاني
ولربما طعن الفتى اقرانهُ بالرأي قبل تطاعن الاقران
لولا العقول لكان ادنى ضيغم ادنى الى شرف من الانسان

(٢٥) الانيس الانس اي البشر و يتفارسن يفترس بعضهن بعضًا

عروسة النيل

الفصل السادس والثلاثون

بكَّرت كاترينا في النهوض من النوم كعادتها ونزلت الى البستان فابصرت فيلبس آتياً الى بيت روفينس فاستوقفتهُ وتوسلت اليهِ ان يكتم ما رأى في الليلة السابقة لئلاَّ يدري بهِ ذووها فوعدها خيرًا ثم انبأها بوفاة نفورس زوجة المقوقس وقال انها ماتت غمًّا وحزنًا. فجزعت وبكت حتى سالت دموعها على خديها وتذكرت احسان المتوفاة اليها وحبها لها واحتفاءها بها واهتمامها بشؤُونها فاخذ الطبيب يعزيها بما حضرهُ من الكلام الرقيق وقبل ان فارقها اوصاها بوجوب حرق ثيابها وثياب دورا قائلاً ان جراثيم الوباء تعلق بجميع ما يلامسها ولاسيما النسيج فاذا مسَّ مصاب بهِ ثياب شخص سليم لوثها فانتقلت العدوى اليهِ وانتشرت فقلقت كاترينا واخبرتهُ بانهما حرقتا جميع ما كان عليهما من الثياب في موقد الحمَّام

ولما انصرف الطبيب اخذت تخطر في البستان على غير هدًى مفكرةً في ما آلت اليهِ الحال وحاولت التملص من هذه الافكار فلم تفلح وتمثلت لها المصايب سلسلة بدت اول حلقاتها لعينيها ولا تعلم اين تنتهي وخيل لها ان في الجوّ عاصفة ستنقضُّ على المدينة فتذيق من فيها العذاب الاليم ووراء العاصفة سحابة قاتمة السواد هي الوباء. ولم يخفَ عليها ما كان لها من اليد في جرّ ذلك الخراب المشوم وتلك النوازل المفجعة لكنَّ علمها بعظم الشر الذي جلبتهُ لم يدفعها الى الندم بل هاج حقدها واثار كامن غيظها فاحسَّت بقوة شيطانية فيها تحاول اهلاك مبغضيها وسحق مناظريها فقالت في نفسها كأني أرى اوريون يقاد الى القتل لكنهُ قد يموت قبل ان اطلعهُ على من دبَّر المكيدة لهُ فآخذ بثاري فاذا نجا من الموت عاش فقيرًا اذ لا يصدق ان العرب يردون اليهِ ما غنموهُ من امواله وفي ذلك ما فيهِ من العار والذل فيعلم ذلك الفتى الخائن ان من البنات من لا تصبر على الضيم ولا تطيق الاذى واما باولين ودورا فالتي حفرت الحفرة لاوريون لا يعسر عليها ان تلقيهما في التهلكة

وكان رستم المجوسي وماندانى الفارسية جالسين تحت جميزة كبيرة في بستان روفينس وفي يد رستم وشيعة من الصوف تلفُّ ماندانى خيوطها على كرة فرآها الطبيب كذلك فراقهُ منظرها وابرقت اسرَّتهُ وحمد ربهُ على شفاء الفتاة من جراحها ولبث يتأملها ساعة وقد بدت سمات العقل والادراك في عينيها ووجهها ثم دنا منهما وحياها وقال كيف انتما فقال رستم مثلنا في الصحة مثل السمك في الماء فقال فيلبس اياك والوقوع في الحبائل والاشراك فقد يدعوك

هاشم اليهِ في ساعة لا تعرفها ثم اذار ظهرهُ ومشى الى البيت وهو يقول في نفسهِ ليس في هذا العالم ما يشرح صدري اليوم سوى هذين وماري . ولما دخل ابصر هيلانة تهيئ المائدة للفطور فتضع العنب والتين والرمان في الصحف امام مجالس الآكلين والدموع تسيل على خديها فعلم انها تبكي اباها فتذكر رسالة روفينس اليهِ وما كتبهُ عن ابنتهِ فوقف يتأمل حركاتها فاعجبتهُ لباقتها وحسن ذوقها واكبر جمال شعرها الذهبي وقد تدلَّى على كتفيها كانهُ حبال من النور فقال ليس في اثينا ما هو ابدع من هذا وحينئذٍ تحولت هيلانة عن مكانها فرأتهُ واقفاً يتأملها فبدا الاضطراب والدهشة في وجهها فحيتهُ باسمة فاجاب التحية باحسن منها وقال هانذا قد جئت

فقالت الحمد لله فامي في حاجة اليك

فقال اتيتكم امس باخبار السوء واراني بشير الشؤم اليوم

فقالت أفأنت تأتي باخبار السوء قالت ذلك وابتسمت ابتسامة الريب ففكر فيلبس وقال في نفسهِ انها طاهرة القلب سليمة النية كريمة الاخلاق بارعة الجمال ولا غرو فهي ابنة ابويها ثم طفق يحدثها بموت نفورس زوجة المقوقس وما اتفق لها من اسباب الغمّ قبل وفاتها فتأثرت هيلانة علماً منها بما سيكون لهذا النبإ من سوء الوقع في نفسي باولين وماري ولم يخفَ على الطبيب علة حزنها فانها لم تكن تعرف المتوفاة فزادهُ ذلك احتراماً لها وعزم من تلك الساعة على مفاتحة امها بشأن رسالة ابيها اليهِ ولحظت هيلانة سكوتهُ فراعها واوجست خيفةً لئلاَّ يكون لديهِ نبأٌ آخر مشوم فسكَّن روعها وقال لا تستسلمي لليأس فلا بدَّ من وقوع المصايب وسيوافيكِ المستقبل بايام الصفاء والرغد فانتِ لا تزالين في سنّ الصبوة ألا تثقين بي فاجابت بالايجاب ولما قالت ذلك طلع عليهنَّ اهل البيت فانبأهنَّ بوفاة نفورس فشهقت ماري والقت نفسها على باولين فاحتضنتها هذه واصفرَّت لكن رزانتها عاودتها فلزمت السكوت وهي تسمع تفاصيل الخبر فلما رأى الطبيب منها ذلك التعقل اكبرهُ وعاودهُ اضطرابهُ فلم يكد يتم حديثهُ حتى استأذن في الانصراف وخرج فمرَّ برستم وماندانى فقال رستم ارى الطبيب كئيباً اليوم وعهدي بهِ طلق المحيا فقالت ماندانى صدقت فلأمر ما تبدَّل وكانا يتكلمان بالفارسية

فقال رستم أصحيح انكِ تستائين اذا دعاني هاشم اليهِ

فقالت نعم فاذا فارقتني يا رستم تكدر صفو عيشي

فقال وما يحزنكِ

فقالت لقد كنت لي صديقاً صدوقاً وانت فارسيٌّ مثلي بلادك بلادي ولغتك لغتي وانت اول من خاطبني بالفارسية بعد موت امي

فقال افهذا علة حزنكِ الوحيدة

فقالت كلاَّ فانك اذا ذهبت اليوم فلن تعود

فقال فانتِ ترغبين في بقائي معكِ

فقالت اترتاب في ذلك وقد فرحت بلقائك فرحاً عظيماً ولما قالت هذا صبغ الحياء وجهها فحوَّلت نظرها عنهُ

فقال فعلامَ نفترق اذاً

فقالت قد يكون سيدك في حاجة اليك فيدعوك ولا يسعنا ان نبقى عالة على غيرنا امَّا وقد اعتقوني فسأبحث عن عمل اتعيش منهُ ومن كان في قوتك وسنك فلا يجب ان يستسلم الى الكسل

فقال اكره الامور اليَّ الكسل فساعمل واكسب من المال ما يكفي ثلاثة وقد عقدت النية على العودة الى وطني فاشتري ارضاً واعنى بتربية المواشي وعندي من المال ما يكفي ذلك اتعرفين القراءة فقالت لا فقال انا اجهل منكِ بها فاعلمي اذاً ان في منطقتي صكاً بخط سيدي وتوقيعهِ وفيهِ انهُ مديون لي باحد عشر الف درهم وثلاث مئة وستين درهماً فما قولكِ ألاَ استطيع ابتياع ارضاً بهذا القدر من المال

فقالت نعم لاسيما في بلاد فارس

فقال اعلمي انني فارقت بلادي منذ تسع سنوات وانا الآن في التاسعة والعشرين وفي قلبي حنين الى وطني واري زمان العودة اليهِ قد حان فاذا رضيتِ اخذتكِ معي فكنتِ زوجتي وقضينا الحياة في هناء وسرور قال ذلك وقبض على يدها فاضطربت وقالت اني اسيرة فضلك وغريقة معروفك لكني لا استطيع ان اكون زوجتك . فقال مغضباً وما علَّة رفضك فقد مرَّ بي زمن وانا اعلل النفس بهذه الامنية فالقت يدها على ذراعهِ وقالت بلطف

ما اسرع غيظك ان فراقك يؤلمني وبي من الحب اضعاف ما بك ولطالما تمنيت ان اعود الى بلادي معك كزوجتك وكأنك نسيت من انا فماذا يكون من امرك اذا عدت الى قومك واهلك وزوجتك جارية معتقة

فقال أهذه علة إبائكِ وغاب عنكِ انني مجوسي وان الناس في عين المجوسي اكفاء فاعلمي انهُ سيأتي زمان تنسخ فيهِ نواميس هذا العالم الفاسدة فلا يبقى البشر سيداً وعبداً بل اخوة لا ميزة للواحد على الآخر وتصير الارض فردوساً والحياة نعيماً فتبطل الحروب والخصومات وينتهي الشقاء ولا اخالكِ تجهلين ان رباط الزواج محترم ومقدس عندنا ولو لم يكن لنا من

الطقوس فيهِ ما للنصارى فاذا رآكِ شعبي اعتبروكِ اسيرة حرب لا جارية واعتبروني منقذًا لكِ . ويشهد الله اني لو لقيتكِ تئنين تحت نير العبودية لمددت يدي الى منطقتي واخرجت فداءكِ من المال وحملتكِ الى بلادي زوجة لي فاقلعي عن اوهامكِ

فسكتت ماندانى لكنها اشارت الى اذنيها المصلومتين فقال اراكِ لا تعلمين من القاء العثرات في سبيلي لكن صلم اذنيكِ لم يؤثر في سمعكِ ومن يستطيع تمييزها بعد ان عقصت السيدة هيلانة شعركِ على هذا النمط ولعلكِ تذكرين نقاب النساء في فارس فانهنَّ متى لبسنهُ لا يستطيع الناظر اليهنَّ ان يرى اذني المرأة فلا يدري اطويلتان هما ام قصيرتان . ثم ضحك طويلاً ضحك الفائز فاخذت هي تبكي حتى اوجعتهُ فقال ما يبكيكِ قولي ولا تخفي عني صغيرة او كبيرة ثم فطن وقال لا تفعلي فقد ادركتُ علة حزنكِ وذلك ما حدا بي الى التردد والاحجام حتى كدت اخسر راحتي واضيع سعادتي فكيف تلامين على ما جرى رغمًا عنكِ وانتِ جارية صغيرة السن لا قوة لكِ ولا عضد وحسبكِ ان رجلاً ساذجًا مثلي يرى وجه الصواب في الامر ويعلم انكِ بريئة من كل ذنب فاعلمي اني نسيت هذا الامر وسأنساهُ الى الابد . فامسكتْ يدهُ وقبلتها وقالت

— انت خير الناس يا رستم وستباركك امي من قبرها فانا في يديك ورهن اشارتك فقد كان الامر كما قلت فاساءوا اليَّ وانا فتاة قليلة الدربة معدومة النصير وليس لي من استند اليهِ وارى الماضي كحلم مزعج انقضى الآن

— فقال صدقتِ فسنعود الى بلادنا ونمتع العين برؤية تلك المناظر البديعة التي نهيم بها ونذكرها في غربتنا وكما ان الامَّ لا تقلع عن حب ابنها اذا رزقت غيرهُ فتحب الاثنين كذلك انتِ فقد احببتِ واحدًا ولكن في استطاعتكِ ان تمنحيني جزءًا كبيرًا من حبكِ

فقالت ان ما في فؤادي من الحب والاخلاص هو لك وحدك فقط

فقال هذه اسعد ساعات حياتي فقد جلست تحت هذه الجميزة رجلاً فريدًا وحيدًا غريبًا وساقوم من تحتها خطيبًا لاجمل فتاة في العالم وهكذا جلسا يتحدثان غير حافلين بالحرّ الشديد وهو يطرح عليها الاسئلة التي يسألها المحبون فكفّت عن الخياطة واندفعت بكليتها اليهِ تصغي الى كلامهِ وتجيبهُ اجوبة الحبيب المخلص

الفصل السابع والثلاثون

لم تقعد شدة الحرّ عبادة عن متابعة عملهِ فقضى النهار يطوف في قصر المقوقس وهو يقلّب ما فيهِ من متاع ورياش لعلَّهُ يعثر على ما يؤيد التهمة على اوريون فادهشهُ ما رأى من

الحلى والجوهر والتحف النادرة واكبر ما في البيت من الاثاث الكثير الفاخر واعجبتهُ روائح الطيوب الغالية في غرفتي نفورس وابنها فايقن ان هنالك من الثروة ما لم يحلم بهِ عربي في مصر. وكان الترجمان يعرّب لهُ ما يجدهُ من العقود والصكوك والالواح فلم يكن فيها جميعاً ما يطلبهُ حتى وصلا الى غرفة اوريون فتناول عبادة بعض الالواح المطروحة في ارض الغرفة ودفعها الى الترجمان فاذا في واحد منها ما يأتي

من اوريون بن المقوقس الى باولين ابنة توما سلام

انهُ يستحيل عليَّ الآن الاشتراك في انقاذ الراهبات فلا تلوميني واعلمي ان سموَّ غايتكِ وغيرتكِ المحمودة على بنات جنسكِ المظلومات يكفيان ل .... وكانت الكلمات بعد هذه العبارة ممحوة لا تمكن قراءتها فلما وقف عبادة على مغزى الرسالة دسَّ اللوح في جيبهِ وعزم على اتخاذهِ حجة على كاتبهِ ولم يكن يجهل ما بين الفتى وباولين من الربُط وانهُ وصيها والقيّم على اموالها فارتأى أن يلقي القبض عليها فيستنطقها لعلَّها تبوح ببعض السرّ فيأتي كلامها مصدقاً لتهمة البطريرك التي اتهم اوريون بها من سرقة الزمردة والسعي في انقاذ الراهبات لكنهُ اجّل القيام بهذا العمل ريثما يفرغ من التنقيب في قصر المقوقس فاسرع الى الخزينة مستصحباً نيلس وهناك امر باخراج عقود البيع والصكوك والنقود وحملها على مركبات وامر بنقلها الى الفسطاط ولم يذق ذلك النهار بطولهِ طعاماً ولا شراباً خشية ان يفوت الوقت فلما فرغ من عملهِ جلس ينتظر مجيء مطران منف اذ نمي اليهِ خبر عودتهِ من الصعيد حيث لقي البطريرك بنيامين ونصَّ عليهِ واقعة الحال وتلقى اوامرهُ بشأنها وعهد اليهِ البطريرك بمهمة سرية الى عمرو او وكيلهِ. فلما رجع الى منف عوَّل على لقاء عبادة فآنس من نفسهِ ضعفاً ونعاساً فنام على نية ان يفيق بعد ساعتين لكنهُ ابطأ في النهوض واعترتهُ حمّى واصابهُ عطش شديد فارتاعت مدبرة بيتهِ وبعثت خادمهُ الى الطبيب فيلبس يدعوهُ لعيادة سيدها فرجع الخادم وقال ان فيلبس غائب عن منف وذلك ان هاشماً ارسل يستدعيهِ الى جدة لتطبيب ابنهِ المريض

وفي الغد جاءت مارتينا زوجة يوستينوس الى بيت روفينس فلقيتها النساء بالترحاب ولما ابصرت باولين سحرها جمالها وخلب لبَّها لطفها ووقارها فعطفت عليها تحدثها وكانت تعرف ابويها وقد لقيتهما ايام عزها في القسطنطينية فاطنبت في مدحهما والثناء عليهما ثم اتت على ذكر اوريون فاعربت عن ميلها اليهِ واحترامها لهُ ووصفت ما لقيهُ من الحفاوة والاكرام في العاصمة وما اصابهُ من الفوز على جميع شبان تلك المدينة وافاضت في الكلام حتى مالت اليها باولين فانتفى حذرها وصارتا تتكلمان كما تتكلم الصديقات وجاء من يدعو باولين فنهضت وودعت

مارتينا قائلة سنلتقي قريباً ان شاء الله وساسعى بنفسي اليكِ فانا الصغرى ومن واجباتي السعي لزيارتكِ ولما خرجت صاحت مارتينا لله ما اجملها فهي ابنة ابويها ولم تقع عيناي على اجمل منها وقد زيّنها الباري بالاخلاق الكاملة والاوصاف الباهرة ثم التفتت الى كاترينا وقالت لقد كذب من نقل اليّ اخبار السوء عن هذا الملاك فهي جوهرة كريمة ودرة يتيمة ولا يخفى عليّ الآن علة كرهكِ لها فانا نبصر الاشياء كما نروم ان نبصرها لا كما هي ثم تنهدت وقالت في نفسها يالسوء بخت دورا فلا يسعني الاّ الاعتراف بميزة باولين عليها فانّى لدورا ان تناظرها. وحينئذٍ اندفعت كاترينا تدافع عن نفسها قائلة ان باولين مختالة متعجرفة رغماً عمّا فيها من الاخلاق الطيبة والمزايا الشريفة فاعترضتها هيلانة وتولّت الدفاع عن صديقتها كانها لبوءة تدافع عن شبلها ولم تكد تفوه ببعض كلمات حتى سمعنَ جلبة وضجة في الدار ودخلت عليهنَّ مرضع باولين وهي تنوح وتلطم خديها فقالت

— وامصيبتاهُ فقد جاء العرب وهم يريدون القبض على حبيبتي باولين وزجها في السجن. فصعقت النساء لهذا الخبر وجزعنَ جزعاً شديداً فصاحت مارتينا

— تبّاً لهذا البلد أمثل هذا الملاك يسجن فيهِ وليس بين اهلهِ من يقول كلمة ايسرقونها حافية في الشوارع والازقة كأنها من القتلة ونحن قعود لكن سابذل ما في وسعي في اسعافها فاسرعي يا كاترينا ومريهم يأتوا بمركبتكِ ولا تحملقي بعينيكِ كالمعتوهة فاركضي وافعلي ما قلتُ. ثم مدّت يدها الى كيس النقود وقالت الحمد لله فهذه لغة يفهمها جميع الناس وسا كلمهم بها ثم نزلت الى الدار ودعت رئيس الجند فاسرّت اليهِ شيئاً فاومأ بالقبول وامر ان يحملوا باولين في المركبة اووعدها بالاحسان الى الفتاة في سجنها واذن لمرضعها بمرافقتها امّا باولين فتلقت الخبر بسكينة تامة كعادتها ولم يبدُ على وجهها شيء من الاضطراب حتى اذا ما انطرحت النساء عليها يقبلنها انهمرت الدموع من عينيها فسألت الترجمان عن علة القبض عليها فقال ان المطران يتهمكِ بالاشتراكِ في تسهيل السبيل لفرار الراهبات فدنت حينئذٍ من زوجة روفينس وقالت احذري كاترينا فقد نمّت بنا وجلبت علينا هذا الشرّ العظيم اما انا فلن افوه بكلمة ولو قطعوا رأسي ثم ودعتهما وقبّلت ابنتها هيلانة وشكرتهما على معروفهما وفضلهما واوصتهما خيراً بماري وقالت اذا جاء ابي فبلغاهُ سلامي وليحبّ اوربون كابن لهُ وقولا لها انني احببتهما الى آخر نسمة من حياتي فالوداع الوداع يا خير الصديقات وارادت كاترينا ان تدنو منها لتودعها فقبضت مارتينا على ذراعها واوقفتها قائلة قفي مكانكِ فليس لكِ نصيب في هذا العمل فبين هذه القلوب الطاهرة من الروابط ما لايجد مكاناً من فؤادكِ . ولما طال زمان الوداع امر الرئيس بالاسراع والمسير

فتعلقت ماري بپاولين واصرَّت على مرافقتها الى سجنها وهي تبكي من كبدٍ مقروحة فدفعتها باولين برفق بعد ان قبلتها مرارًا ثم ركبت المركبة فتبعتها كاترينا وقالت أليس عندكِ ما تقولين لي

فقالت شكرًا لكِ على ما فعلتِ من اعارتي المركبة التي تحملني الى السجن ذلك السجن الذي ازج فيهِ بفضل خيانتكِ فاذا كنتِ بريئة مما اتهمتكِ بهِ فاغفري لي والاَّ فقصاصكِ اشدّ من عذابي

الفصل الثامن والثلاثون

ولما رجعت كاترينا الى بيتها انبأت امها بما اصاب باولين فشقَّ الخبر عليها وبكت حزنًا وغمًّا فقالت لابنتها يجب علينا ان نهتم في تخفيف بعض عذابها واسعافها في سجنها وسابذل جهدي في اعانتها على احتمال مصيبتها بالصبر وسارسل اليها الطعام من بيتنا فان طعام السجون لا يؤكل. ثم اخذت تندب سوء حظ تلك الفتاة وتدعو لها بالخلاص العاجل من السجن والاسر اما كاترينا فكانت كمن يتقلب على الجمر فلم تذق طعم الراحة بعد الذي شهدتهُ وناالها من تقريع ضميرها عذاب شديد فطفقت تدور في البيت كالحائرة وهي لا تهتدي الى ما تفعل الى ان مضى اكثر الليل وحاولت النوم فلم تستطعهُ لان الارق والاضطراب نازلاها فاقلقا بالها وحرماها الراحة فخرجت عند الفجر الى الشرفة وجلست على كرسي فيها واطلَّت على النهر امامها تتأمل السفن والمراكب الكثيرة واطلقت لافكارها العنان وفيما هي كذلك رأت جنازة يتبعها عدد كبير من الخلق ثم تلاها اخرى فاستولى الرعب عليها واستحوذ عليها القلق فاطرقت خوفًا وخشيةً وخيل لها ان احدى الجنازتين لها ورأت امها ميتة وقد خلفتها فريدة وحيدة لا انيس لها ولا صديق كأنها شجرة اقتلعت جذورها او ورقة مطروحة على سطح اليمّ وحينئذٍ خطر بالها ما تلقتهُ في المدرسة وما سمعتهُ في الكنيسة عن عقاب الاشرار وفاعلي الاثم وتمثلت لها جهنم مأوى الخطأة وبحيرة النار المحرقة حيث يطرح القتلة والمراطقة وشهود الزور فخفق قلبها جزعًا وتمنت لو تبتلعها الارض فتخلص من شقائها ثم رفعت رأسها وصاحت كمن اصابهُ سهم اذ رأت جهنم فاغرةً فاها والنار تنبعث منها فتتصاعد السنتها في الجوّ حتى يغص بها وابصرت الدخان يلتفُّ غيومًا تدور في الهواء وتنتشر في الفضاء وكأن اللهيب يعمل على ابتلاع المدينة والنهر وما حولها وسمعت اجراس الكنائس تقرع ورأت الوف السكان يتجمهرون في الشوارع وقد علت جلبتهم واختلطت اصواتهم بازيجها قعقعة الاسلحة حتى يخال السامع ان الارض زلزلت زلزالها فارادت ان تقف على جلية الخبر فاطلت على الشارع وانصتت فلم تسمع سوى كلمات متقطعة من مثل قصر الوالي — العرب — المقوقس — اوربون — النار — اطفئوها — انقذوا البيت وحينئذٍ ناداها البستاني

من اسفل وقال لقد احترق القصر فلينقذ الله المدينة فتخاذلت ركبتاها ومدَّت يديها تطلب ما تستند اليهِ والحال طوقتها ذراعان والتفتت وابصرت امها وقد اسندتها الى صدرها

الفصل التاسع والثلاثون

تداعت اركان قصر المقوقس فاصبح بعد العز والرفعة انقاضاً ورماداً ولم يبقَ من بيت زعيم المصريين سوى طلل بالٍ لبس ثوب الحداد على اهلهِ الغابرين واشتعل رداء الحزن على ما حلَّ بهم من المصايب والاهوال واندلع لسان اللهيب فامتدَّ الى الجزء الشمالي من المدينة والتهم مساكن الفقراء المجاورة للصحراء فبات مئات منهم بدون مأوى لكن عبادة ورجالهُ لم يألوا جهداً في اخماد النار فانقذوا ما بقي من منف واعانهم المصريون من اهلها وكلهم يعجب ببسالة العرب وحسن تدبيرهم وشدة باسهم فانهم كانوا ينازلون النار بقلوب لاتهاب الموت ولاتحسب لهُ حساباً

وتمَّ لعبادة ما تمناهُ فانهُ احرق القصر بعد ان نقل الى الفسطاط ما نقل من المال والتحف والعقود والصكوك . وفي ذلك اليوم عينهِ وصلت قافلة الى المحطة الاخيرة بين البحر الاحمر وحصن بابل وكان في القافلة اوريون ابن المقوقس وقد احاطت بهِ كوكبة من الفرسان تولَّت اسرهُ وحراستهُ واتت بهِ الى الفسطاط ليحاكم على ما اتهم بهِ وكان برفقتهم يوستينوس وابن اخيهِ الضابط الاسير . ورأى اوريون اللهيب يتصاعد من جهة منف وقد احمرَّ الافق فصار بلون الدم فلم يخطر ببالهِ انهُ بيتهُ وقصر اجدادهِ فلما بلغوا المحطة ترجل وفعل رفيقاهُ فعلهُ واقتدى بهم الجند وعرجوا جميعاً على الخان

وتحرير الخبر ان يوستينوس واوريون تبعا عمرًا حتى ادركاهُ فرفعا اليهِ امر الضابط الاسير فوعدهما خيرًا وطيب خاطر يوستينوس واعطاهُ وصاةً الى رئيس العمال حيث كان ابن اخيهِ يقاسي العذاب ويكرّع مرارة الاسر فأسرع الاثنان الى شاطىء البحر الاحمر فالفيا الاسير في غمرات المنون وقد انهكهُ الاعياء والمرض فنقلاهُ من مكانهِ واقاما على العناية بهِ حتى ردَّا اليهِ بعض قوَّتهِ واصبح يستطيع السفر فازمعوا على الرحيل والعودة الى منف. وفيما هم عائدون بسط اوريون لصديقهِ حقيقة حالهِ واطلعهُ على حبهِ لباولين ناسباً جميع ما فيهِ من المحامد الى حسن ظنها بهِ وشدة تأثيرها فيهِ الى ان قال ولا اراني احب دورا كما تحبني فاذا تزوَّجت فباولين زوجتي لا سواها والذي يسوءني ان ثروتي تغل يديَّ عن العمل وبودي لو استطيع التخلص منها اذًا لكنت اتجر بما منحنيهِ الله من المواهب فاكتسب ثقة الناس واحترامهم باعمالي لا بمقامي وجاهي ومالي. فوقع كلامهُ في نفس صديقهِ وقعاً حسناً لكنهُ اسف لخيبة امل نسيبتهِ وقال في نفسهِ سنعود ادراجنا الى القسطنطينية ومعنا اثنان في مقتبل العمر

يجب علينا تعزيتهما والعناية بهما هذا الذي كان اسيرًا تعيسًا وتلك التي برَّحها الوجد والهيام

ولما دخلوا الخان وجلسوا الى الطعام واحاط الفرسان باوريون احاطة السوار بالمعصم لئلاَّ يفلت من ايديهم اقبل عليهم فيلبس الطبيب فانهُ كان يقصد جدة لمداواة ابن هاشم كما تقدم فنمي اليهِ اسر اوريون فشقَّ عليهِ الخبر وساءهُ ان يبتلي هذا الفتى بالمصايب فاستأذن القائد وجلس بجانب اوريون فحدَّثهُ بما كان من احتلال الجند القصر فغضب اوريون وعزم على التظلم الى عمروٍ ثم نعى الطبيب اليهِ امهُ فاخذ الحزن منهُ كل مأخذ واغمي عليهِ واسرع اليهِ من حضر وعالجوهُ حتى افاق وهو ينوح ويبكي من فؤاد محروق فرثى الجميع لمصابهِ لا سيما العرب لما اعتادوهُ من اكرام الوالدات فابتعد الجند عنهُ احترامًا واغتنم الطبيب تلك الفرصة فأخبر اوريون بفرار الراهبات ونجاتهنَّ وموت روفينس ولم يكن يعلم بحرق القصر وسجن باولين فلم ينبئهُ بهما

وبعد ان استراحوا ساعة نهضوا الى خيلهم فركبوها واستأنفوا المسير الى الفسطاط واوريون كالذاهل لا يعي على شيء وبدت جميع مصايبهِ هينة في جنب خسارة والدتهِ فلم يعد يكترث لمنزلهِ اعادهُ العرب اليهِ ام غنموهُ ونسي ما يتهدد حياتهُ من الخطر والعقاب وكان قلبهُ لا يسع سوى ذكرى امهِ والحزن على موتها بعيدة عنهُ وفيما هم في بعض الطريق طلع عليهم نفر من جند الفسطاط جاؤُوا لملاقاتهم فأنبأوهم بخبر الحريق فدنا الترجمان من اوريون وترجم لهُ الخبر وقال لا تزال النار تعمل في المدينة فزادت لوعتهُ واحسَّ ان جبلاً هوى عليهِ فسحقهُ فاخذ يندب سوء حظهِ ويبكي منزل آبائهِ واجدادهِ ومباءة مجدهم وفخرهم وعزَّ عليهِ ان يخسر اباهُ وامهُ ويبيت بدون مأوى طريدًا اسيرًا لا منزل لهُ ولا سقف يظلله كانهُ في سفينة ضاعت دفتها فعبثت بها الريح والامواج واصبح راكبها عرضة للغرق فقال في نفسهِ لذنب ما يقتصُّ مني الله فهل اقترفت هذا الذنب او اخطأ اسلافي في عينيهِ فاوقع بي وانتقم لذنوبهم مني وشاء ان يفني هذا البيت فكنت الفرع الاخير فيهِ ثم عاودتهُ شجاعتهُ فقال ولكن على المرء ان يسعى الى الخير جهدهُ وسأظلُّ سائرًا في السبيل الذي اختطتهُ لنفسي فلا اخشى عدوًّا ولا ارهب شرًّا والامر لله ثم ذكر باولين فهزَّهُ الشوق اليها وتمنى لو يستطيع لقياها فيضمها اليهِ قبل مفارقة الحياة

ولما بلغوا الفسطاط اخذوهُ الى بيت القاضي عثمان وكان ساعتئذٍ في مجلس عقدهُ عبادة للنظر في امر منف ولم يخفَ على عبادة ما كان الباقون يضمرون لهُ من العدوان لا سيما القاضي وخالد امين بيت المال فهذان لم يكتماهُ ما كان يخالج فؤاديهما من سوء الظن بهِ

فوقف القاضي وقال لقد جرت يا عبادة واسرفت فعاقبة عملك تعود عليك ونحن جميعاً براء مما فعلت فلا ناقة لنا ولا جمل في هذا الامر. فاجاب عبادة وقال فعلت ما فعلت واني المسئول عن عملي وقد امرت باعداد الملاجئ للذين باتوا بدون مأوى ويشق عليَّ ان تروا رأيكم هذا فيَّ بعد ان ابليت البلاء الحسن فالقيت بنفسي في المهالك سعياً في انقاذ المدينة فافعلوا ما يروق في اعينكم . وبعد الاخذ والردّ اقرّوا على تاجيل الحكم في الامر الى ان يوافيهم كتاب الخليفة من المدينة ردًّا على شكاويهم التي رفعوها اليهِ . ثمَّ نهض الجميع وانصرفوا وتركوا عبادة يحرق الارم ويقول في نفسهِ سأرغم السكينة الى ان تقع الضربة القاضية في المدينة . . . وحينئذٍ دخل عليهِ رسول فحيَّاهُ وانبأهُ بأمر اوريون وعودة الفرسان وقال لقد اخذوهُ الى بيت القاضي فصاح عبادة مغضباً وعلامَ لم يأتوا بهِ الى بيتي واني عامل الخليفة في هذه الديار فمرهم يخرجوهُ من بيت القاضي ثم قام الى بيتهِ وجلس ينتظر مجيئهم لكنهُ لم يلبث طويلاً حتى وافاهُ احد رجال القاضي فقال امرني القاضي ان اقرئك سلامهُ واقول ان الخليفة اقامهُ قاضياً على مصر وخوَّلهُ حق النظر في هذه الامور فاذا شئت ان ترى الاسير ففي بيتهِ او في سجن منف حيث يكون محبسهُ . فوقع هذا الكلام من نفس عبادة اسوأ وقع فهبَّ من مكانهِ واسرع الى بيت القاضي فلقي من عثمان سكينة وثباتًا اقعدا ما ثار من غيظهِ وحدتهِ فاخذ يعيد على مسمعهِ التهم الموجهة الى اوريون فقال القاضي سمعتها كلها وسينال الجاني عقاب ما جنت يداهُ فاذا كان اوريون انزلت بهِ القصاص ولو مكرهاً فقد عرفت اباهُ من قبلهِ خير معرفة فرأيت منهُ رجلاً فاضلاً كاملاً . فأصرَّ عبادة على انزال العقاب بأوريون حالاً واصرَّ القاضي على محاكمتهِ حتى يتضح ذنبهُ فاذا ثبتت جريمتهُ عوقب والاَّ اطلقوا سراحهُ . فاخذ عبادة يصيح والقاضي ساكت لا ينبس ببنت شفة وكأنما هو جبل لا يتزحزح فلما فرغ عبادة قال القاضي

— لم يسمع بعد في الاسلام ان رجلاً كاوريون خدم الاسلام والمسلمين تنزع املاكهُ لمجرد شبهة عزيت اليهِ فاذا فعلت كما تقول فاين عدل الاسلام . فقال عبادة ولكن البطريرك اتهم اوريون بذنوبٍ اقترفها ولم ننزع املاكهُ منهُ بعد وانما ضبطنا اموالهُ ووضعناها في مكان حريز حرصاً عليها من الضياع وفضلاً عن ذلك فبيدي لوح مكتوب بخط اوريون يثبت جريمتهُ واشتراك خطيبتهِ باولين في الجناية وقد امرت بحبسها وساتولى استنطاقها بنفسي وكأنك نسيت او تناسيت اننا نفر قليل في هذه البلاد فاذا تجرأ احد الاهالي على قتل جنودنا كما فعل ابن المقوقس فانَّى لنا بمناوأتهم ودفعهم عنا اذا انتقضوا علينا وحاولوا سفك دمائنا

فقال القاضي لستَ اشدَّ مني اهتماماً بمعاقبة الجاني لكني لا آذن بعقابهِ قبل ان اتحقق

جنايتهُ وانهُ الفاعل فاذا اردت استنطاق باولين فافعل اما المحاكمة فلن يتولاها غيري ولا اتنازل عنها لاحد فلم يرَ عبادة بدًّا من موافقته

الفصل الاربعون

وبعد ظهر ذلك اليوم امتطى عبادة جوادهُ وسار الى سجن منف ولما وصل الى المدينة سأل عن المطران فقيل لهُ انهُ مات مطعونًا في الصباح فساءهُ هذا النبأ اذ كان يتوقع منهُ ان يكون شاهدًا على ما ارتكبهُ اوربون وباولين في تسهيلهما سبيل فرار الراهبات ولما دخل السجن امر الحراس فاتوهُ بباولين وكان يعرف اباها وقد شهد بنفسهِ قتالهُ وبلاءهُ في الشام فلما رأى الفتاة اخذ يحرضها على الاعتراف بجريمة اوربون ويغريها بالوعود الطائلة ليتخذ كلامها حجة عليهما كليهما وتهددها بالقتل اذا كتمت ما تعرفهُ اما باولين فقابلت وعودهُ بالاعراض وتهديدهُ بالاستخفاف واصرَّت على السكوت فلما آنس منها الاباء عمد الى الوعيد لفظًا وايماء وهو يحسب انهُ يخيفها فيحملها على الاقرار واخيرًا قال لها لا ينفعكِ هذا الصمت فعندي كتابة تثبت جريتكما فاجابت قد يكون ذلك كما تقول لكني لا اصدق حتى ارى اللوح الذي تشير اليهِ وافهم مغزاهُ قال سترينهُ قريبًا يوم تقفين في مجلس القضاء

ولم يكن عبادة يجهل ان بين النساء من تضارع الابطال الشداد في البأس والصبر والبسالة وقد رأى نساء قومهِ يخرجن الى الجهاد غير خائفات الموت ولا مكترثات للجراح لكن جميع هؤلاء كنَّ زوجات وامهات يبرزن الى ساحة القتال حبًّا بزوج او ابن مدفوعات بعاطفة الدفاع عن اقرب الناس واعزهنَّ اليهنَّ واما الجواري فلا يبرحن الخباء فلما شهد من باولين ثباتها الغريب وعدم مبالاتها بوعيدهِ وقلة اكتراثها للموت اخذ العجب منهُ كل مأخذ فامر الترجمان ان يخبرها ان لا امل لها بالخلاص وان الموت عقابها فعلت وجهها الصفرة لكنها لم تبدِ اضطرابًا ولا جزعًا فعادت الى غرفتها حيث كانت المرضع بانتظارها ولما كانت شديدة الثقة ببراءتها القت اتكالها على الله وعلى ما كانت تعرفهُ وتسمعهُ من عدل قضاة المسلمين لكنها خشيت ان يكون لعبادة رأي في الحكم عليها فاستحوذ عليها القلق وجلست تفرك يديها ولم تكن تخشى المنون وانما شق عليها الموت قبل ان ترى اباها وقبل ان تبرهن لاوربون على اخلاصها في حبهِ وشدة تعلقها بهِ

وعاد عبادة فركب جوادهُ وسار في شوارع منف حتى وصل الى حيث مجلس المدينة فالفى حولهُ جمهورًا غفيرًا من الشعب فلكز جوادهُ واخترق صفوفهم ولم يقف ليسأل عن علة اجتماعهم بل ظلَّ سائرًا في طريقهِ حتى بلغ الجسر فعبر النهر عليهِ الى الفسطاط

اما اهل منف فاحاطوا بالمجلس وهم يصرخون ويطلبون من مشيري المدينة العون والاسعاف في ضيقهم وكان المجلس ملتئماً وقد اقفل اعضاؤهُ الابواب النحاسية واقاموا الحراس على المداخل خشية ان يهاجمهم الشعب فجلسوا حيارى لا يدرون ما يفعلون واخيراً اطلّ الرئيس على الجمهور وقال ان ما تطلبونهُ منا ليس في طاقة البشر القيام بهِ انستطيع ان نزيد الفيضان او في وسعنا تخفيف ويلات الوباء وهل لنا ان نمنع فساد الاثمار. فاجاب الشعب بصوت واحد نعم انكم تستطيعون فقد وليتم احكام المدينة على شرط ان تحسنوا حكومتها . ثم اخذوا يرشقون الحجارة فتتساقط من السقف المفتوح على الاعضاء حتى اضطر هؤلاء الى التخلي عن كراسي العاج وهرعوا الى ما وراء الاعمدة والتماثيل ليتقوها ولما لم يلقَ الشعب مجيباً عمدوا الى الابواب فاخذوا يقرعونها بايديهم ليفتحوها فاستولى الخوف على من في المجلس وحسبوا ان الساعة قد اقتربت وبغتةً هدأت الجلبة وكفَّ الشعب عن الصياح ثم علت اصوات الهتاف والفرح وسمعوا الجمهور يصيح قائلاً اهلاً وسهلاً بالشيخ الحكيم اعنّا ايها الاب الصالح فعندك كنوز حكمة القدماء فادخل المجلس ودلَّ هؤلاء المثرين قساة القلوب على السبيل المؤدّي الى الخير . فتاق رئيس المجلس الى معرفة ذلك الحكيم ورؤيتهِ فتسلق سلماً واشرف على الجمهور من نافذةٍ عاليةٍ فرأى شيخاً وقوراً مترديًا ثيابًا بيضاء لامعة على حمار فارهٍ وامامهُ نفرٌ من حرس المدينة يحملون الفؤوس وقد شدوا اليها سعف النخل علامة الترحيب وفي يد الشيخ ناروس صفراء قديمة العهد فصاح الرئيس لقد جاء ثم اسرع فنزل وامر بفتح الابواب فدخل ابولون وحدهُ واقفلت الابواب ولما صار في وسطهم دعاهُ الرئيس الى الجلوس في مجلسهِ ففعل كمن يحسب ذلك واجباً عليهم وحقاً من حقوقهِ ولما استراح خاطب المجلس فقال اراني اقصر من ان اقوم بما ضاق بهِ حضرات المشيرين ذرعاً ولكني رجل قضيت العمر في درس حكمة القدماء وقد جئتكم اليوم لاطلعكم على ما كانوا يفعلونهُ في مثل هذه الاحوال عساكم تقتدون بهم فتهتدوا بهداهم وتنقذوا البلاد. ان الوباء فاشٍ في المدينة وقد مررت اليوم بالجزء الذي احترق فلقيت نحواً من خمسين مريضاً مطروحين في الشارع فاذا عملتم على ايواء اولئك المساكين برهنتم لاهل المدينة على حكمتكم واخلاصكم واهتمامكم بامرهم . فاقترح احد الاعضاء ان ينقلوا الى دير القديسة سيسيليا وقال آخر بل نضعهم في المكان الفلاني فاجاب ابولون وقال لا يحسن ان يبقى هؤلاء المرضى بين الاصحاء فوجودهم في المدينة يعرض ساكنيها للمرض ولهذه الصحراء المجاورة فائدة لا تزالون تجهلونها فالرأي عندي ان يعزل المصابون فيها. فقال الرئيس ولكننا لا نستطيع ان نتركهم عرضة للشمس المحرقة وقال آخر وليس في طاقتنا ان نبني بيوتاً لهم فيها فقال ابولون ومن يقول

بهذين القولين ان في منف شيئاً كثيراً من الكتان والاعمدة فلتنصب خيام كبيرة ينقل اليها المصابون وليتولَّ نصبها لجنة منكم وعندكم عدد كبير من النوتية الذين لا عمل لهم فاذا استأجرتموهم نصبوا الخيام في يوم واحد. فاستحسن الجميع هذا الرأي واقروا عليهِ وكان بينهم بعض تجار الكتان فعرضوا ان يقدموا ما يلزم للخيام من هذا النسيج فخرج الرئيس الى الشرفة واعلن قرارهم للشعب فتلقوا الخبر باصوات الابتهاج والحبور وفي ذلك اليوم نصبت خيمة كبيرة بقرب المدافن ونقل اليها عدد كبير من المرضى وبعد ان فرغ ابولون من النظر في امور متفرقة اخذ يبحث في حاجة البلاد الكبرى ملتزماً جانب الحذر فقال ان فيضان هذا العام من اردإ الفيضانات ومن يتأمل حوادث الشهر الفائت يعلم أن الآلهة ارادت الانتقام منا فارسلت المذنب نذير السوء وبشير الخراب علامة على غضبها ولا يخفى عليكم ان تحسين الفيضان ليس في طاقة البشر على ان القدماء كانوا اعلم منا بالنواميس التي يجري عليها هذا الكون فكانوا اذا قصر النيل عن الوفاء يقدمون لهُ ضحية ثمينة نعم ان الطبيعة البشرية تنفر من تقديم هذه الضحايا وأنا اول من يستنكف من تقديمها لكنها الوسيلة الوحيدة التي تؤدي الى الغرض المطلوب فلا بدَّ منها وها كم الدليل قال ذلك مشيراً الى طروسهِ . فسكت الاعضاء كأن على رؤوسهم الطير ثم قال واحد وما هي الضحية يا ترى وقال آخر وهل نستطيع ان نجدها في منف فاجاب ابولون وقال عفواً اذا طلبت تأجيل الردّ على اسئلتكم الى فرصة اخرى فلا فائدة من وقوفكم عليهِ اليوم قبل ان اتحقق بنفسي اية الضحايا ترضي الآلهة . فصاح الجميع بصوت واحد بحقك قل ولا تخلنا على مثل جمر الغضا فابى ان يجيبهم الى طلبهم وقال متى حان الزمان دعوتكم الى الاجتماع وبحث لكم بما اعرفهُ من هذا القبيل ثم طلب الى الرئيس ان يعلن نتيجة مفاوضتهم للشعب فلما فعل هذا هتف السامعون وتلقوا البشارة بفرح عظيم واحسَّ اعضاء المجلس ان حملاً ثقيلاً ازيح عنهم

ولما خرج ابولون من المجلس لقيهُ الشعب بالترحاب واصوات الهتاف والاكرام فحملوهُ وهم يترنمون بمديحهِ كانهُ ازال عنهم المكروه فانقذهم من شدتهم وبدل ضيقهم بالفرج . ولما خلا بنفسهِ اخذ يتأمل ما فعل فعلم انهُ اتخذ على نفسهِ عملاً قد يؤول الى سقوطهِ لكنهُ لم يبالِ بل قال ان خلاص فيلبس من تلك الساحرة لهُ عندي المقام الاول ولو كان في خلاصهِ هلاكي . وفي طريقهِ عرج على بيت روفينس فاخبرتهُ النساء بما كان من القبض على باولين فارتاح الى هذا النبإ لكنهُ عاد فقال وهب انهم اطلقوا سراحها فانها تظل حجر عثرة في سبيلنا فلست بحائل عن عزمي حتى القيها في مهلك واستريح منها فاذا قضى عليها العرب بالموت سهلوا عليَّ القيام بعملي وسالتي عبادة فاجتهد في اقناعهِ ليصادق على ما دبرت لها (ستأتي البقية)

بيوت الزنابير

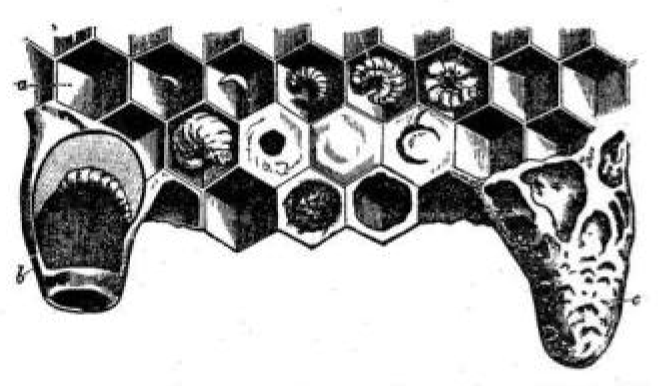
الموضوع غير جليل لكنهُ من افكه المواضيع الطبيعيَّة واكثرها فائدة تظهر فيهِ غرابة الخلق وعناية الخلاَّق حتى لو جارينا الدهريين وقلنا مثلهم نموت ونحيا وما يهلكنا الاَّ الدهر لرأينا في خَلق هذه الحشرات من الحكمة والتدبير ما يحق ان يوصف بهِ الخالق القدير

الزنابير معروفة لا نزيدها بالوصف تعريفاً . نخشى لسعها فنستحلُّ قتلها وتخريب بيوتها وكنا نحسبها شرًّا محضاً لا خير فيهِ

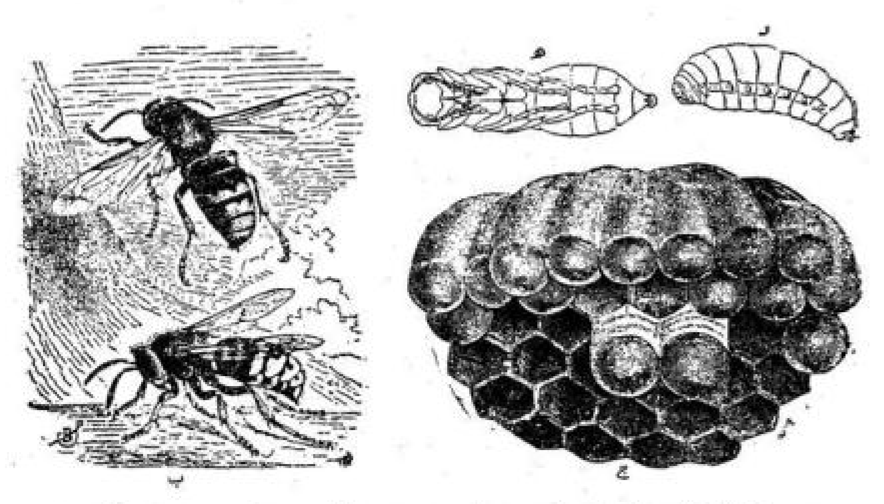
قال الدميري في حياة الحيوان الكبرى " انها صنفان جبلي وسهلي فالجبلي يأوي الجبال يعشش في الشجر ولونهُ الى السواد وبدء خلقهِ دود ثم يصير كذلك ويتخذ بيوتاً من تراب كبيوت النحل ويجعل لبيتهِ اربعة ابواب لمهاب الرياح الاربع ولهُ حمة يلسع بها وغذاؤهُ من الاثمار والازهار وتتميز ذكورهُ عن اناثهِ بكبر الجثة والسهلي لونهُ احمر ويتخذ عشهُ تحت الارض ويخرج منهُ التراب كما يفعل النمل ويختفي في الشتاء لانهُ متى ظهر فيهِ هلك فهو ينام من البرد طول الشتاء كالميتة ولا يدخر القوت للشتاء بخلاف النمل فاذا جاء الربيع وقد صارت الزنابير من البرد وعدم القوت كالخشب اليابس نفخ الله تعالى في تلك الجثث الحياة فتعيش مثل العام الاول وذلك دأبها. ومن هذا النوع صنف مختلف اللون مستطيل الجسد طبعهُ الحرص والشره يطلب المطابخ ويأكل ما فيها من اللحوم ويطير منفرداً ويسكن بطن الارض والجدران وهذا الحيوان باسرهِ مقسوم من وسطهِ ولذلك لا يتنفس من جوفهِ البتة "

وما اوردهُ الدميري من طبائع الزنابير قليل تافه وقد اخطأ في اكثرهِ وهو دون ما اوردهُ الاقدمون من اليونان والرومان ودون ما ذكرهُ الاوربيون قبل القرن التاسع عشر

والمعروف الآن ان الزنابير انواع كثيرة وُصف منها نحو الف نوع اشهرها النوع المعروف الذي لونهُ اصفر الى الحمرة وخلاصة طبائعهِ ان الانثى من اناثهِ تختبىء في فصل الشتاء في مكان يقيها من بردهِ حتى اذا اقبل الربيع ودبَّت الحرارة في الطبيعة خرجت تفتش عن مكان تبني فيهِ بيتاً لصغارها لكي يبقى نوعها ولا ينقرض فاذا وجدت المكان المناسب في خرق جدار او ثقب جسر جمعت نتفاً من الاخشاب البالية ومضغتها حتى تصير كالرب الذي يصنع منهُ الورق وصنعت منها بعض الخلايا وباضت فيها ولا يطول الزمان على بيضها حتى يصير دوداً ثم يتخلق زنابير خناثاً يساعدن امهن في توسيع البيت وزيادة خلاياه والاعتناء بصغارهِ وامهن تبيض في الخلايا وتولد الخناث من بيضها واخواتهن اللواتي ولدن قبلهن يربينهن الى ان يكبرن



خلايا النحل او الزنابير وقد رسم البيض فيها حسب درجات نموهِ ويظهر منها ان الخلايا المتطرفة تكون اسطوانية غير مسدَّسة لانهُ لم يقع على جوانبها ضغط



ج خلايا الزنابير او خميرتها وبعضها مسدود بسدادات مستديرة ود دودة كبيرة من دود الزنابير وه دودة تحلَّقت بخلق الزنبور وشكلها اكبر قليلاً من القد الطبيعي

ويساعدنهنَّ في عملهنَّ وهلمَّ جرًّا حتى اذا توسط الخريف واقترب الشتاء ودنا الاجل المعيَّن للزنابير اولدت ذكورًا واناثًا تطير وتتزاوج ثم تهلك الخناث والذكور وتلتجىء الاناث الى امكنة تقيها برد الشتاء الى الربيع التالي ويدور الدور المتقدم الى ما شاء الله. اما كون خلاياها مسدَّسة الجوانب فمن التصاقها وانضغاطها ولا صحة لما قيل من ان النحل والزنابير تصنع خلاياها مسدَّسة بمعرفة هندسيَّة وغذاء الزنابير من الاثمار والديدان والحشرات ولا تعف عن اللحم الغريض فتهجم على المطابخ وتنتزع قطع اللحم من ايدي الطهاة

ولنعد بعد هذا الاجمال الى تفصيل مسهب وقفنا عليهِ حديثًا للدكتورة مني انترمن من مدرسة شيكاغو الجامعة قالت ما خلاصتهُ وهو نتيجة اختبارها

ان الزنابير تلتقط القطع البالية من الخشب وتمزجها بلعابها حتى تصير كرة لينة قريبة من السيولة وتبسطها بايديها وتصنع الخلايا منها مازجة اياها بمادة غروية من لعابها تصير بها كالورق الصفيق الذي لا يخرقهُ الماء وتكون الخلايا الاولى اسطوانية مستديرة ومتى كثرت وانضغطت يصير شكلها مسدسًا ويبقى ما على الاطراف منها مستدير الجوانب

وتبيض الانثى في هذه الخلايا ويصير بيضها دودًا فتطعمهُ من اري الازهار اي عسلها وبعض الحشرات التي تجمعها وتقلبها بين ايديها حتى تموت وتصير كرة فتأتي بها الى صغارها وتقطع قطعةً صغيرة منها تلقمها اياها وهكذا الى ان تأتي على آخرها وتجري في تلقيمها على اسلوب بديع فانها تدخل رأسها في الخلية وتلمس دودتها بقرنيها فتنتبه الدودة وتفتح فاها فتلقمها قطعة من الطعام الذي اتتها بهِ وتدخلها في جوفها ثم تنتقل الى الخليَّة التالية وتفعل بدودتها كذلك وهلمَّ جرًّا

وانثى الزنابير تميز بيتها عن بيت غيرها وبيضها عن بيض غيرها وتتفقَّد بيتها وبيوضها من وقت الى آخر فقد كنت اقطع قطعةً صغيرة من البيت فترى المكان الذي قطعت منهُ وتصلحهُ . واخرجتُ مرةً بيضةً من خلية ووضعت مكانها بيضة من بيت آخر فلما وصلت الانثى الى هذه الخلية وقفت مبهوتة كأنها لا تصدق حواسها ثم اخرجت البيضة منها ونظفتها وباضت فيها بيضةً اخرى . وكانت البيضة الاجنبيَّة التي وضعتها في الخلية مدهونة بدهان غروي فظننت انهُ هو الذي جعل الانثى تطرحها من خليتها فاتيت بهذا الدهان ودهنت بهِ بعض بيوضها وتركتها في اماكنها فلما اتت اليها تتفقدها ورأت الدهان عليها لم تطرحها من خلاياها بل مسحتها من الدهان ونظفتها وابقتها في اماكنها فثبت من ذلك انها تميز بين بيضها وبيض غيرها

ومدة حياة دود الزنابير ثلاثة اسابيع يقضيها في الاغتذاء بما تلقمهُ اياهُ امهُ او اخوتهُ من الطعام فيبلغ اشدَّهُ في هذه المدة وينسج نسيجًا حريريًّا يبطن بهِ خليتهُ ويسد بابها كما تنسج دودة

القز شرنقتها . وتكون الخلية قصيرة والدودة صغيرة فمتى كبرت الدودة كبّرت امّها او اخواتها الخلية حتى تسعها هذا اذا كانت الزنابير مطلقة اما اذا كان بيتها موضوعاً حيث يراهُ الانسان فلا تهتم بتكبير الخلايا وتضطر الدودة ان تجعل شرنقتها كبيرة حتى تسعها فيبرز جانب منها من الخلية

ومتى اتمت الدودة نسج الشرنقة تنام فيها وتستحيل زيزًا وتنقطع عن الحركة الاَّ بطنها فانهُ يتحرَّك قليلاً من وقت الى آخر وبعد ثلاثة اسابيع يبدو مشفراها فتقرض غطاء الشرنقة بهما وتخرج منها زنبورًا كاملاً وقد تلتفت الى الخلية وتمعن نظرها فيها قبل خروجها منها وتقابل بينها وبين الخلايا المجاورة لها كأنها تبحث عمَّا كانت فيهِ وما صارت اليهِ. ثم تقيم مدة على ظاهر البيت الى ان يجف بدنها وتشتد عضلاتها وهي خنثى كما تقدم (اي انثى ولكنها لا تبيض كالاناث الاَّ نادرًا) وتأتي امها في هذا الوقت الى الخلية وتنظفها جيدًا وتبيض فيها بيضةً اخرى وتعود بعد مدة بكُرَة من الطعام وتقدمها الى ابنتها وتتركها وشأنها وتواظب على العمل امامها وهو تليين الطعام واطعام الديدان بهِ وكأن ابنتها تتعلَّم ذلك منها فتجعل تلين كرة الطعام وتطعم بها الديدان ولا تتعلَّم ذلك سريعاً ولا تتقنهُ الاَّ بعد مدة . وقد اردتُ ان امتحن ما اذا كانت الخناث تتعلم من امها كيفية تليين الطعام واطعام اخواتها بهِ او تفعل ذلك من طبعها من غير تعليم فنقلت بيتاً من بيوت الزنابير الى مكان لا زنابير فيهِ ولم يكن في هذا البيت انثى ولا خنثى بل كان كل ما فيهِ دودًا فلما كبر دودهُ وصار خناثاً خرجت الخناث من خلاياها وبقيت اسبوعين قبل ان اهتدت الى كيفية اطعام اخواتها مع انني كنت اقدم لها الطعام المطلوب دائماً لكنها اهتدت من نفسها اخيرًا وجعلت تمزج الطعام وتلينهُ وتطعم اخواتها بهِ كأن غريزتها لم تتنبَّه لهذا الفعل الاَّ بعد ان عضها الجوع فالغريزة فيها ولكنها تبقى ساكنة مدة الى ان تتنبَّه ومتى تنبهت جرت مجراها بسرعة. وتختلف الزنابير في سرعة انتباه غريزتها فبعضها تنتبه غريزتهُ بعد خروجهِ من الخلية باربع ساعات فقط وبعضها لا تنتبه غريزتهُ الاَّ بعد بضعة ايام . وهي عبدة لغريزتها فانها تمزج كرة الطعام لإطعام اخواتها بهِ ولو كانت في كاس من الزجاج ليس فيهِ غيرها ثم تنفعل بالكرة كما تفعل وهي تطعم اخواتها وتبقى كذلك مدة ثم تترك الكرة ولا تعود تلتفت اليها كأنها اطعمتها لاخواتها او قضت غرضها منها او كأنها آلة ميكانيكيَّة تعمل عملها بالضبط التام ولكن على غير رويَّة . بل الزنابير اجهل من ذلك فاني رأيت واحدةً منها رأت امامها دودة ميتة من دود الزنابير فقطت جانباً من طرفها ولاكتهُ ودوَّرتهُ ثم قدمتهُ اليها تريد اطعامها اياهُ بل رأيت ما هو اغرب من ذلك وهو ان خنثى قطعت قطعة كبيرة

من دودة حيَّة من دود الزنابير ولا كتها ودوَّرتها ودارت بها تطعم الديدان منها وكانت تأتي الى هذه الدودة نفسها بعد ان قتلتها بما قطعتهُ منها وتحاول اطعامها مما قطعتهُ من جسمها . وكرَّرت ذلك ثماني مرات وفي المرة الثامنة رمت قطعة الطعام على فم الدودة الميتة وعادت ادراجها كأنها عملت الواجب عليها . (فكل ما تفعلهُ خناث الزنابير من اطعام اخواتها والاعتناء بهنَّ انما هو مما يسمَّى بالافعال المنعكسة اي لا دخل للارادة فيهِ بل هو مثل هضم المعدة للطعام فاذا دخلها الطعام تنبهت عصارتها وافرزت لهضمهِ وتحركت حركاتها المعلومة وهي لا تفعل شيئًا مما تفعل عن قصد وروية)

ومتى اتقنت صغار الزنابير اطعام اخواتها تكون قد قويت اجنحتها وصارت قادرة على الطيران فتخرج من بيتها لترى العالم الذي حولهُ وتسعى في طلب الرزق . تخرج مدفوعة الى الطيران مشتاقة اليهِ فتطير مسافة قصيرة وتقع على الارض معياة من التعب فتمشي برهة على غير هدًى ثم تطير ثم تقع ولا تبعد عن بيتها واخيرًا تعود اليهِ ولعلَّها تهتدي اليهِ برائحتهِ الشبيهة برائحة العسل البري وقد لا تهتدي اليهِ ابدًا بل تبقى ضالَّةً منفردة . والتي تهتدي تعاود الطيران والجولان حول البيت حتى تتعرَّف الاماكن المحيطة بهِ وتقوى اجنحتها وتصير تخرج من بيتها وتعود اليهِ بسهولة ولا بدَّ من انها تعثر في اثناء جولانها باشياء تؤكل فتمتص عصارها اولاً ثم تحاول تقسيمها كما كانت تقسم الطعام في البيت وقد تطير حينئذٍ فتحمل الطعام معها الى اخواتها ومتى كررت ذلك اعتادتهُ وسهل عليها " انتهى

والظاهر ان الزنابير تهتدي الى عشها بقوَّة الاتجاه المرتبطة بالنور ومجاري الرياح لا بالرائحة وحدها فان الكاتبة نقلت بيتًا من بيوت الزنابير من مكان الى آخر وكان واحد منها يأكل عسلاً من صحنة بعيدة عن البيت نحو نصف متر فلما اكل كفافهُ من العسل عاد الى البيت فلم يجدهُ فطار ووقع على صحفة العسل ثانيةً ثم طار منها نحو المكان الذي كان فيهِ البيت اولاً فلم يجدهُ وعاد الى الصحفة وطار منها ثالثة فلم يجد البيت وكرر ذلك ثماني مرات قبلما اهتدى الى البيت كأنهُ جعل الصحنة علمًا يهتدي بهِ الى بيتهِ . واطالت الكاتبة في الكلام عن كيفيَّة اهتداء الزنابير الى بيوتها ولكنها لم تثبت شيئًا لان التجارب التي تبنى الاحكام الصحيحة عليها لا تزال قليلة

على هذا النمط ارتقت العلوم عند الاوربيين والاميركيين فانهم لا يبنون احكامهم على الاوهام والمعتقدات بل على التجارب والمشاهدات ولا يأنفون من درس طبائع اصغر الحشرات . وقد بارت نساؤُهم رجالهم في هذا المضمار

مجالي الطبيعة

جعلنا هذا العنوان موضوعاً للخطبة التي القاها الاستاذ دُوَر العالم الكيماوي الشهير في مجمع ترقية العلوم البريطاني الذي التأم حديثاً في مدينة بلفست بصفتهِ رئيساً لهُ . والخطبة مسهبة جدًّا تملأُ ثلاثين صفحة من المقتطف بدأها الخطيب بالاشارة الى ولاء اعضاء المجمع البريطاني لملكهم واهتمامهم بمرضهِ وسرورهم بشفائهِ وتتويجهِ . وقال " انهُ ما من احد ادرى من الملك بما هو مديون بهِ لعلم الطب وسائر العلوم الطبيعيَّة التي افادت علم الطب ومكنتهُ من النجاح في الاعمال الجراحيَّة كيف لا وقد كانت فاتحة اعمالهِ الالتجاء الى علماء الطب ليكتشفوا علاجاً للداء العقام الذي ضاعت فيهِ حيل الاطباء (يريد بهِ داء السرطان) ولا شبهة عندنا في انهُ موجهٌ همتهُ ايضاً الى غير ذلك من المباحث العلميَّة التي يحسن بها حال الاصحاء . ولا يخفى ان الوراثة توجب على المرء اموراً وتمنحهُ المقدرة على القيام بها فان كان حكم امهِ السعيد الطويل المدة قد علَّمهُ كيف يسوس رعيتهُ ويقوم باعباء سياستها فسيرة المرحوم والدهِ تدلُّ على الخطة التي يمكن ان يجري عليها في تعضيد العلوم. وقَدْرُ العلوم قدرها في المقامات العليا هو الآن الزم لنا مما كان منذ ثلاث واربعين سنة لما قال المرحوم والدهُ قولهُ المأثور وهو "يحقُّ لنا ان ننتظر من الامَّة كما ننتظر من حكامها الاعتراف بفضل العلم وبالحقوق الواجبة لهُ وذلك بنشرهِ المتدرّج وبادراك نفعهِ في تربية الامَّة . فلا تبقى بهِ حاجة الى طلب الصدقات بل يصير يخاطب الحكومة كما يخاطب الولد امهُ واثقاً بعطفها عليهِ وحبها لهُ واهتمامها بنجاحهِ وتصير الحكومة ترى العلم عنصراً من عناصر قوتها ونجاحها تضطرها مصلحتها الخاصة الى حمايتهِ والمدافعة عنهُ "

ولو سمع حكام بلادنا هذا النصح وعملوا بهِ من ذلك الحين لبلغنا من النجح حدًّا لا نحلم بهِ الآن وما كنَّا نخبط الآن خبط عشواء في تطلُّب اسلوب نجري عليهِ لتعليم اولادنا . ولا كنَّا ننفق الاموال والاوقات التي هي اثمن من الاموال في انشاء مبانٍ تمثّل ما عند غيرنا ولا اساس لها عندنا . وكان يجب علينا ان نضع اساسها منذ ثلاث واربعين سنة لو انتصحنا بنصح ذلك الامير لكننا لم نفعل ونحن مضطرون الآن ان نبذل كل قوتنا حتى نسترد ما فات . وللملكنا السلطة وليس لهُ ادارة الاحكام ولكن دستورنا ونظام حكومتنا يخولانهِ سلطة عظيمة على الذين بيدهم زمام احكامنا فلا حدَّ للمنافع التي تنجم عن اهتمامهِ بجعل التربية العلمية متسلطة على هذه الامة . وانَّا نهنّئ انفسنا بان وليَّ عهدهِ استنتج ممَّا شاهدهُ في جهات مختلفة من ممالكهِ نتائج كبيرة النفع من حيث حاجات الامَّة في هذا الزمان

ثم التفت الخطيب الى تأبين الذين توفوا في هذا العام من العلماء وانتقل الى الكلام على مدينة بلفست التي التأم فيها المجمع البريطاني وما لرجالها من اليد البيضاء في خدمة العلم وما فيها من دور الصناعة وقال ان الرجال الذين يكسبون الشهرة الفائقة لا ينبغون الاَّ من بين الامم الحيَّة النامية. وذكر لورد دفرن ولورد روبرتس الارلنديين لان بلفست من مدن ارلندا مستدلاً بهما وبغيرها على ان الامَّة الارلنديَّة امَّة حيَّة نامية . وبعد ان وصف مدينة بلفست ونموها السريع التفت الى خطبة تندل المشهورة التي خطبها في هذه المدينة لما كان رئيس المجمع البريطاني في اجتماعهِ فيها وقد كان لتلك الخطبة اعظم وقع في اندية العلماء ورجال الدين وظلت المناظرة في موضوعها محتدمة سنين عديدة . واطنب في وصف تندل ووفاهُ حقَّهُ من المدح وجاهر بان ما نحسبهُ الآن نواميس الطبيعة لا نعني بهِ انهُ النواميس المقرَّرة لهذا الكون بل التعليل الاخير الذي وصلنا اليهِ والذي نستطيع بموجبهِ ان نعلل ما نراهُ من ظواهر الطبيعة. ولكن ما من احد يجسر ان يقول ان تعليلهُ هو التعليل الحقيقي وانهُ ثابت لا يتغير لانهُ قد تكشف غداً امور جديدة تضطرنا الى تغيير كلّ رأي وتعليل . وبعد ان اسهب في هذا المعنى قال ان تندل كان يعلم انهُ لا يستطيع ان يدرك حقائق الاشياء ولا مصادرها ولا ما سنؤول اليهِ اخيراً فلم يعنَ بالبحث عن ذلك ولكنهُ لم يقل ان رجال العلم ممنوعون عن الحدس والتخمين وفرض الفروض في هذه المواضيع . وجملة القول ان العلم يعترف بعجزهِ عن ادراك حقائق الاشياء او البلوغ الى العلَّة الاولى وغاية ما يبحث عنهُ العلل الثانوية والظواهر الطبيعيَّة. وقد اكتشفت امور كثيرة من حيث جواهر الاجسام وتركيب موادها منذ خطب تندل خطبتهُ المشار اليها وزاد ما نعرفهُ عن قوة المادة منذ نصف قرن الى الآن زيادة عظيمة تُطمعنا بان معرفتنا ستزيد ايضاً على نسبة هندسية. ونحن مديونون لتندل ديناً عظيماً على الحياة التي بثها في المباحث العلميَّة وعلى مباحثهِ الخصوصية في اسرار الطبيعة

وانتقل من الكلام على تندل الى الكلام على الذين ينفعون العلم فقال ان هذا العصر عصر الذين يجودون على العلم والتعليم وقد رحَّبت الامَّة بهم بعد ان مرَّ عليها زمن طويل لم ترَ فيهِ مثلهم . فقد ترك سسل رودس اموالاً وافرة للتعليم في مدرسة اكسفرد وغايتهُ سياسيَّة كما هي علميَّة فانهُ اراد ان يجمع في تلك المدرسة الشبان الذين ينتظر ان يكون لهم شأن في سياسة المتكلمين باللغة الانكليزية حتى تُمكَّن بينهم عرى الوئام

وهبة كارنجي للمدارس الجامعة في سكتلندا انفع للعلم من هبة سسل رودس لان هبة رودس تمكّن بعض الشبانٌ من تحصيل العلوم التي في مدرسة اكسفرد واما هبة كارنجي فتمكن

المدارس ورجال العلم من توسيع نطاق العلم نفسهِ . وقد وهب كارنجي حديثاً عشرة ملايين من الريالات لتوسيع نطاق العلم وجلاء المباحث العلميَّة واكتشاف الرجال الذين فيهم ميل الى البحث العلمي ومساعدتهم حتى يقضوا حياتهم في الاشتغال بالعلم ولتسهيل الوسائل للتعليم العالي ومساعدة المدارس الجامعة ودور العلم ونشر الكتب العلمية . وغرض الواهب ان تصير الولايات المتحدة في مقدمة البلدان في العلوم الطبيعيَّة واستخدامها في ترقية الاعمال الصناعيَّة . ولما نظرتُ في هبة كارنجي هذه خطر ببالي ان ابحث عن مقدار ما ننفقهُ نحن على المباحث العلميَّة وكنت قد قرأت في مجلَّة اميركا الشمالية مقالة لكارل سنيدر قال فيها ان دار العلم الملكية (رويال انستيتوشن) قد افادت العلم في بلاد الانكليز مدة المئة السنة الماضية اكثر من كل المدارس الانكليزية الجامعة فجرَّأني هذا القول على البحث الذي اشرت اليهِ واخذت دار العلم الملكية اساساً لبحثي ومما يحسن ذكرهُ هنا ان الذي انشأها اميركي وهو كونت رمفرد فوجدت بعد البحث المدقق في دفاتر هذه الدار ان النفقات التي انفقت فيها في القرن التاسع عشر على المباحث العلمية هي هذه

رواتب الاساتذة في الطبيعيَّات والكيمياء	٥٤٦٠٠	جنيه
نفقات التجارب العلمية والمعامل	٢٤٤٣٠	جنيهاً
رواتب المعاونين	٢١٥٩٠	«
والجملة	١٠٠٦٢٠	«

يضاف الى ذلك ما وهبهُ اصدقاء هذه الدار لاجل البحث العلمي وهو ٩٥٨٠ جنيهاً والمعاش الذي قطع لفاراداي وهو ٣٠٠ جنيه في السنة مدة ٣٢ سنة ومجموعهُ ٩٦٠٠ جنيه وجملة ذلك ١١٩٨٠٠ جنيه او نحو ١٢٠٠ جنيه كل سنة هذا كل ما انفق على المباحث العلمية في تلك الدار التي افادت العلم والصناعة اكثر مما افادتهما المدارس الانكليزيَّة كلها جمعاء وسينفق من هبة كارنجي كل سنة اكثر مما انفقتهُ هذه الدار في مئة سنة

واستطرد الخطيب من هذا الموضوع الى المقابلة بين ما تفعلهُ المانيا وما تفعلهُ انكلترا من حيث الاعتناء بالبحث العلمي واستخدام العلم في الصناعة فقال ان في المانيا ٤٥٠٠ كيماوي يشتغلون في المعامل الصناعية واما انكلترا فليس فيها الفا كيماوي وان قيمة المصنوعات الكيماوية في المانيا تبلغ في السنة خمسين مليون جنيه على الاقل وقد شرع الالمانيون في هذه المعامل الصناعية منذ سبعين سنة فقط ووسعوا نطاقها في الثلاثين سنة الاخيرة. واليكم وصف معمل واحد منها وهو معمل فردرك بير الذي يستخرج الاصباغ والطيوب من قطران الفحم الحجري فقد انشئ هذا

المعمل سنة ١٨٧٥ وكان فيهِ حينئذٍ ١١٩ عاملاً فصار فيهِ هذا الصيف ٥٠٠٠ عامل و١٦٠ كيماويًّا و٢٦٠ مهندسًا وميكانيكيًّا و٦٨٠ كاتبًا وكان يدفع ربحًا لحاملي اسهمهِ ١٨ في المئة سنويًّا ودفع هذه السنة ٢٠ في المئة عدا عمَّا انفقهُ على توسيع اقسامهِ المختلفة . وواضح من ذلك ان المانيا تكتسب من غيرها من الامم مكاسب وافرة بواسطة هذه المعامل الصناعية مع ان القضايا العلمية الاساسية التي بنيت عليها اكتُشفت في البلاد الانكليزية — اكتشفها علماء الانكليز واشتغلوا بها مدة ثم ماتوا ولم يخلفهم احد او لم يستطع خلفاؤهم ان يصنعوا مصنوعات تناظر المصنوعات الالمانية في رخص ثمنها لقلَّة العلم عندنا ولكثرتهِ وشيوعهِ في المانيا فأُهملت مصنوعاتنا وشاع استعمال المصنوعات الالمانية مع اننا اغنى من المانيا في المال وفي المواد الاصلية التي تصنع منها هذه المصنوعات ولكن عجز مدارسنا عن ايجاد الرجال الاكفاء لادارة المعامل الصناعية وقصور معاملنا عن استخدام هؤلاء الرجال اخَّرانا حتى تقدَّمت المانيا علينا . ولا يظننَّ احد اننا نقدر ان نرد ما فات ونسدَّ هذا النقص بما عندنا من المدارس ووسائل التعليم لان الاميال العقلية توجد في النفس قبل المدارس الصناعية فيجب علينا ان نربي ابناءنا من صباهم تربية عقلية حتى يزنوا الامور بميزان العقل ويحلوا المشكلات بعين التروي لا بما يحفظونهُ من القواعد العلميَّة . يخرج من مدارسنا كل سنة كثيرون من المتعلمين فن الكيمياء ولكن لا يصلح احد منهم لمعمل بير وشركائهِ المشار اليهِ آنفًا فان عقولهم منعمة بما استظهروهُ من القواعد العلميَّة ولكن اذا عرضت لهم مسأَلة عويصة ليست في كتبهم عجز علمهم عن حلها لانهُ لم يصر جزءًا من عقولهم ولذلك يوحلون كما عرضت لهم مسأَلة جديدة . والذين يسهل عليهم حل المشاكل هم الذين اعتادوا التفكير والتدبير قبلما دخلوا المدارس الجامعة . فالامر المهم ليس هو ان الالمانيين اخذوا من يدنا هذه الصناعة او تلك بل انهم سبقونا في التربية العقلية العمومية حتى لا نستطيع ان نلحق بهم في اقل من ستين عامًا هذا اذا بذلنا اقصى الجهد

وعاد الخطيب من هذا البحث الى تندل وبحثهِ عن الحرارة والبرودة تمهيدًا للكلام في الموضوع الذي هو شغلهُ الخصوصي كما لا يخفى على قرَّاء المقتطف وقال ان الفيلسوف باكون كان اول من التفت الى موضوع الحرارة والبرودة مسميًا اياهما يدي الطبيعة لكنهُ لم يكن يعرف واسطة لإحداث البرد الصناعي ثم جاء روبرت بويل العالم الكبير وقرأ مقالة سنة ١٦٨٢ في الجمعيَّة الملكيَّة موضوعها تجارب وملاحظات تتعلَّق بالبرودة ذكر فيها تاريخ كل ما يعرف عن البرودة الى ذلك الوقت وضمنها تجارب كثيرة جرَّبها بالامزجة المبرِّدة كالثلج والملح . وقد انتبه من ذلك الحين الى ان الاملاح التي لا تسرع ذوبان الثلج لا تزيد البرودة وان جرم

الماء يكبر نحو العشر حينما يصير ثلجاً حتى يشق المدافع . وذكر الخطيب جانباً من ادلة بويل واستطرد الى ذكر الثرمومتر او مقياس الحرارة وتعيين الدرجة التي يجمد عندها الماء والدرجة التي يغلي عندها مقياساً للحرارة واكتشاف امنتُنس للدرجة التي حسبها درجة البرد المطلق حيث لا يعود في الهواء مرونة وهي على نحو ٢٤٠ درجة تحت الصفر ثم ثبت ان درجة البرد المطلق هي على ٢٧٣ تحت الصفر

واطال في الكلام على درجة البرد المطلق وانكار بعض العلماء لها الى ان ثبتت بالامتحان وانتقل الى تسييل الغازات بواسطة البرد الشديد والضغط الشديد وقال ان ثيلوريه صنع مقادير كبيرة من الحامض الكربونيك السائل سنة ١٨٣٥ وبيَّن ان درجة برودته تزيد كثيراً بتبخرهِ حتى يجمد من شدَّة البرد فتناول فاراداي هذا الموضوع وخفض درجة الحرارة الى ١١٠ تحت الصفر بميزان سنتغراد فسيَّل الغازات كلها سنة ١٨٤٤ ما عدا الهيدروجين والنيتروجين والاكسجين والاكسيد الكربونيك وغاز المستنقعات والاكسيد النيتريك وعجز العلماء عن تسييل هذه الغازات الى سنة ١٨٨٣ حين سيَّل دبلوسكي غاز الاكسجين وحينئذٍ سهل تسييل الهواء

وتكلَّم بعد ذلك على تسييل الهيدروجين واكتشاف الهاليوم والارغون وسائر العناصر التي كشفت حديثاً وعن تأثير البرد في النور والكهربائية والمغنطيسية وانتقل الى تأثير البرد الشديد في الاحياء الصغيرة كالميكروبات وقال ان الحرارة الشديدة اقتل لها من البرد الشديد وان بعض انواعها عُرّض عشرين ساعة للبرد الشديد الذي يسيل عندهُ الهواء فبقي حيًّا . وكذلك بزور النبات تعرَّض للبرد الشديد الذي يسيل عندهُ الهواء ومع ذلك تبقى حيَّة . ونُقع حب الشعير والباقياء والقرع والخردل ست ساعات في الهيدروجين السائل ثم زرع فنبت مثل غيرهِ من البزور . وبيَّن الاستاذ مكفادن ان انواعاً كثيرة من الاحياء المكروسكوبية تعرَّض للبرد والهواء السائل ستة اشهر ولا تزول حيويتها مع ان التعل الحيوي يجب ان يتوقف فيها عن العمل بهذا البرد الشديد

وختم الخطيب خطبتهُ المسهبة معتذرًا عن طولها ومؤملاً ان سير العلماء في المستقبل يكون مجيدًا كما كان في الماضي بمن يضاف الى صفوفهم من الاكفاء الذين تهيج في صدورهم الحمية العلميَّة ويباهون بما يستنبُّ لهم من النجاح

سفن هدن في بلاد التبت

ذكرنا في الاجزاء الماضية فقرات كثيرة من اخبار سفن هدن الرحالة الاسوجي الشهير الذي ضرب في بلاد التبت واخترق قفاراً لم يخترقها احد قبلهُ ولقي فيها من المشاق ما يفوق الوصف

وقد اتمَّ هذا الرحالة رحلتهُ الاخيرة الآن بعد ان قضى ثلاث سنوات انقطع فيها عن الاتصال بالعالم المتمدن وعن محادثة احد من الناس غير الرجال القليلين الذين كانوا معهُ وطوى في هذه السنوات الثلاث ستة آلاف ميل ليس منها في بلاد معروفة الأ اربع مئة ميل وما بقي ففي مجاهل لم تطأها رجل اوربي قبلهُ ويقال ان اهالي اسيا ايضاً لم يكونوا يعرفونها . وقد رسم الطرق التي سار فيها وصوَّر البلاد التي حولها صوراً فوتوغرافية وقال ان غرضهُ علمي محض وقد يكون كذلك ولكن اوربا مشحونة بطلاَّب المكاسب وهؤلاء لا بد من ان يجدوا سبيلاً للكسب من قفار اسيا ومجاهلها بالتجارة اولاً ثم بالامتلاك والاستعباد . وكأننا بالاوربيين اربعة رجال جغرافي ينظر في الخريطة التي رسمها سفن هدن لرحلتهِ وهمَّهُ الوحيد ان يضيف ما اكتشفهُ هذا الرحالة الى خزانة معارفهِ . وتاجر ينظر اليها ويبحث عن الاقوام الساكنين في تلك البلاد وطرق الوصول اليهم وما يمكن ان يروج في بلادهم من البضائع . وقائد يدرس مواقعها الحربية والسُبُل الموصلة الى فتحها او احتلالها اذا دعت الحال الى ذلك . ووراء هؤلاء الثلاثة الرجل المالي الكبير الذي لا همَّ لهُ الأ استخدام الامم لتشغيل اموالهِ واستخدام حكوماتهم لضمانة ريعها واستخدام حكومة بلادهِ للسيطرة على تلك الحكومات حتى تكون ضماناً للضمانات وهو القوة التي تحرّك سياسة العالم وميزان السياسة وسائر القوى ثانويَّة بالنسبة اليهِ

لما كان سفن هدن في بطرس برج سنة ١٨٩٩ رفع الى القيصر نسخة من رحلتهِ الاولى واخبرهُ انهُ عازم على رحلة ثانية تبرَّع ملك اسوج وزوج بتقديم نفقاتها فقال لهُ القيصر اذاً اعطيك الحرَّاس اللازمين لك من رجالي القزاق لاني اود ان تكون بمأمن من كل خطر تخذ معك هؤلاء الرجال تجد منهم ما يرضيك . فقبل ذلك شاكراً وقام قاصداً اواسط اسيا ومعهُ اربعة من هؤلاء القزاق فكانوا خير الرفاق لانهم معتادون تجشم المشاق بارعون في الصيد والقنص وواحد منهم يحسن الطبخ وتدبير الطعام وكلهم يحسنون رسم البلدان بالفوتوغراف

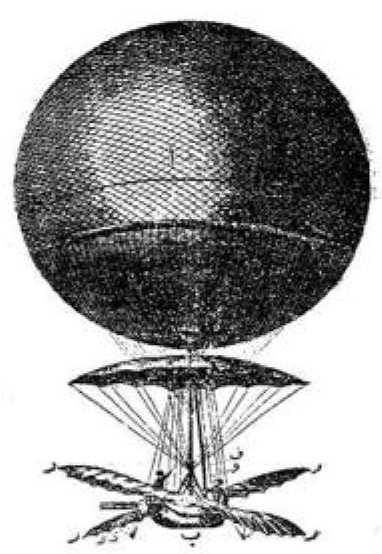
ووصل الى كشغر في ١٧ اغسطس سنة ١٨٩٩ وسار الى نهر يركند وابتاع قارباً من هناك فنزل في هذا النهر مسافة شهرين ونصف ثم منعهُ الجليد من مواصلة السير فعاد يجول في صحراء غوبي فلم يجد فيها غير كثبان الرمال وكانت الرياح هاجمة فلم تلحق بهِ اذى . وكان معهُ

ثمانية جمال محملة ثلجاً بدل الماء فقطع جانباً من الصحراء ثم عاد ادراجهُ الى مخيمهِ لان رجالهُ اعيوا من شدَّة التعب فاختار غيرهم وعاد يضرب في الصحراء فعثر بخرائب بيت فوقف وجعل يحتفر الرمل فوجد امامهُ مدينة غمرتها الرمال ولم يكن في طاقتهِ حينئذٍ ان يتابع النقب لشدة الحر فتركها بعد ان عيَّن موقعها وعاد اليها في الشتاء التالي فوجد انها مدينة كبيرة كانت عامرة حينما عصفت عليها الزوابع وطمرتها الرمال ووجد فيها كتباً كثيرة الفهم منها ان تلك المدينة كانت للمغول وهجرت منذ ثمانمئة سنة على الاقل

واكتشف في رحلتهِ هذه الجمال البرية وقطع بحيرة لبنور ومضى الى شمالي بلاد التبت واختار نفراً من نخبة اتباعهِ وسار بهم مسافة ثلاثة اشهر في بلاد عالية شديدة البرد وجد فيها من المشاق اشدها ومات واحد من رجالهِ واربعة من جمالهِ وكل خيولهِ وكان معهُ قطيع من الغنم لطعامهِ فيهِ ستة عشر خروفاً فافترست الذئاب تسعة منها. واكتشف في طريقهِ بحيرات مالحة كبيرة وكان معهُ قارب يمكن طيهُ ونشرهُ صنعهُ في لندن لهذه الغاية فنشرهُ وقطع البحيرات بهِ. ووصل الى بحيرة كوم كول ولا اثر لهذه البحيرة في خريطة من الخرائط المعروفة مع انها كبيرة اقتضى قطعها من طرف الى طرف يوماً كاملاً وضفافها قاحلة مثل كل البلاد التي حولها

واطول هذه السفرات واشدها خطراً اختراقهُ بلاد التبت جنوباً حتى بلاد الياك وتزيَّا حينئذٍ بزي المغول وقصد مدينة لاسًا حرَم اهالي تبت واخذ معهُ رجلين فقط واحداً من القزاق وواحداً من المغول حتى صار على خمسة ايَّام منها بطريق القوافل فأُوقف هناك بامر من رجال الحكومة في لاسًا. والظاهر انهم كانوا يعلمون غرضهُ فمنعوهُ من الوصول الى مدينتهم فعاد ادراجهُ ومعهُ حرَّاس من اهالي تبت الى ان وصل الى رجالهِ. فعزم ان يقصد مدينة لاسا بطريق آخر وان يسير اليها جهرةً بكل رجالهِ ففعل ووجد هذا الطريق كثير الينابيع والغدران ولكنهُ لم يبعد كثيراً حتى وجد خمسمئة من جنود تبت ارسلوا لصدهِ عن الوصول اليها فرأَى السلامة في الرجوع . ولما رأَوا انهُ اقلع عن عزمهِ مختاراً تودَّدوا اليهِ وعاملوهُ بالحسنى وقدموا لهُ كل ما يحتاج اليهِ من الزاد وساروا في حراستهِ عشرة ايام الى حدود بلادهم وكان عددهم يقل بابتعادهم عن مدينتهم واقتناعهم انهُ راحل عنهم حتى اذا بلغ التخوم الانكليزيَّة لم يبقَ معهُ منهم سوى عشرة وكانوا في اول الامر مئتي رجل شاكي السلاح. وكان معهُ في رجوعهِ تسعة وثلاثون جملاً فمات منها ثلاثون وخمسة واربعون فرساً فمات منها ٤٤ وسبعون حماراً فماتت كلها

وسنعود الى وصف بعض المشاق التي لقيها في هذه الرحلة . ونكرّر ما قلناهُ سابقاً وهو ان غرضهُ علمي جغرافي على ما يظهر ولكن الطامعين يستخدمون مكتشفاتهِ الجغرافية لاغراض اخرى



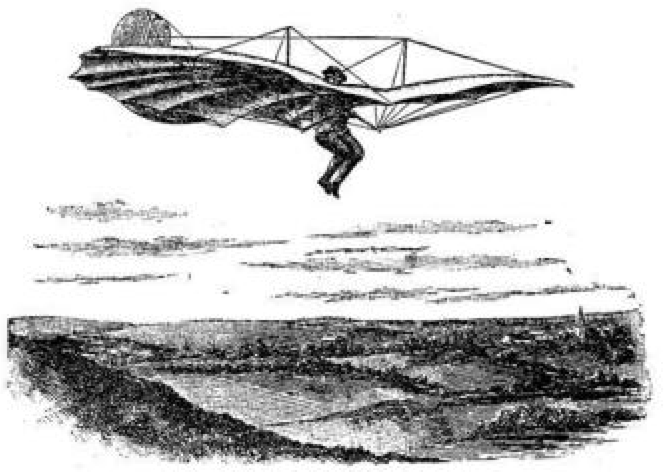
بالون بلنشار

انظر وصفهُ في الصفحة ٩٨٦



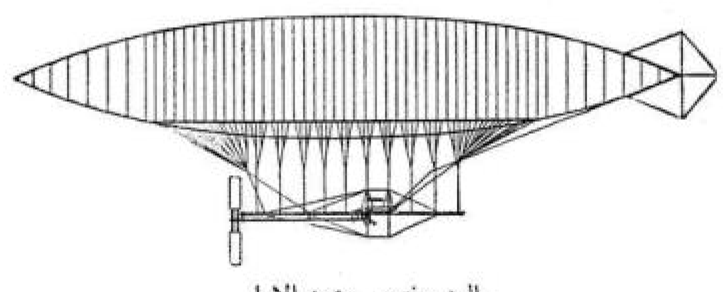
بالون منغلفيه

انظر وصفهُ في الصفحة ٩٨٦

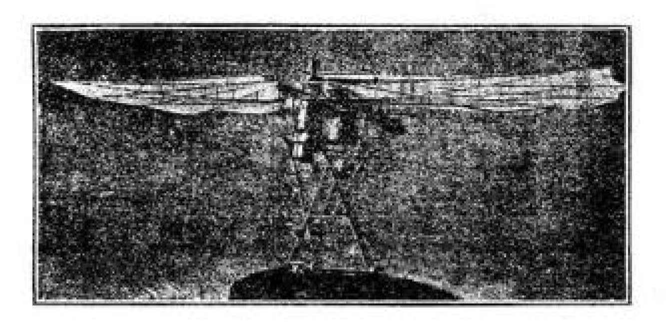


ليلنثل في طيرانهِ

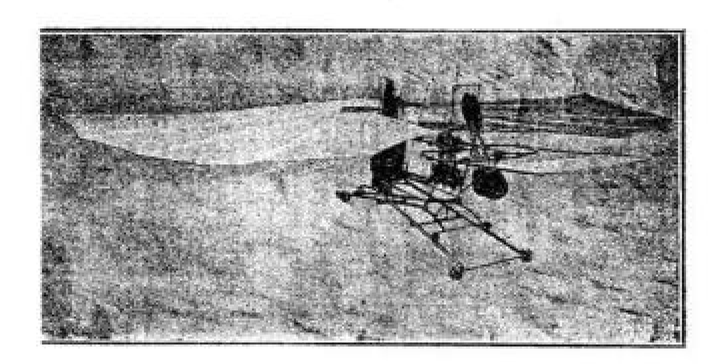
انظر الصفحة ٩٩٠



بالون سنتوس ديمون الاول



آلة هفمن جارية على الارض
انظر الصفحة ٩٩٠



آلة هفمن طائرة

ركوب الهواء

قلما نرفع نظرنا الى السماء في هذه الايام ولاسيما بُعيْد الظهر وقُبَيْل الغروب الاَّ ونرى فيها طيَّارة او اكثر سابحة في طبقات الهواء العليا وذنبها يختال معْجَبًا . واذا امسكتَ خيطها بيدك وجدتَ انها غير قانعة بالارتفاع الذي بلغتهُ بل تطلب المزيد كأنها النفوس الكبار . واذا كانت واسعة جدًّا فقد تقطع خيطها وتترك نفسها لعبث الرياح . رأينا مرةً طيارة في رأس البرحملت كرسيًّا ضخمًا وبقيت تطلب المزيد حتى لو كان خيطها في يد ولد صغير لحملتهُ وطارت بهِ

ويبعد عن الظن ان يكون الناس قد اطاروا الطيَّارات منذ الوف من السنين ولم يخطر لهم ان يطيروا بها . ويقال ان اهالي الصين واليابان وملقا كانوا يطيرونها لغايات دينية قبل المسيح بقرون كثيرة وان اهالي يابان كانوا يطيرون بها لاجل استكشاف مواقع الاعداء منذ ستمئة سنة . وقد نوَّع الاوربيون والاميركيون الطيارات الآن ونزعوا منها اذنابها كانهم رقوها كما ارتقى نوع الانسان من حيوان ذي ذنب او كما ترتقي الضفادع من العوم ذوات الاذناب وصاروا يضعون فيها مقاييس الحرارة وآلات التصوير ويستخدمونها لقياس حرارة الجو وتصوير البلدان من ارتفاع شاهق

والطيَّارة هي المركب الطبيعي لركوب الهواء تستمدُّ قوتها من الطبيعة لا غير وكأن الطبيعة نفسها علَّمت الانسان عملها لان في الطبيعة ما يشبهها وهو العناكب الطيارة التي تغزل خيطاً طويلاً تطلقهُ في الهواء وتسلّم نفسها لهُ فتطير من مكان الى آخر محمولة على اجنحة الرياح

لكن الانسان رأى الطيور تحلق في الجو من اول نشأتهِ ولا بدَّ من ان يكون قد حسدها على خفَّة ابدانها وسرعة حركاتها وقطعها من بلاد الى أُخرى من غير عناء ظاهر وحلِم وهو نائم انهُ طائر مثلها وودَّ لو كان الحلم يقظة . والظاهر انهُ حاول التمثُّل بها منذ عهد بعيد جدًّا فقد جاء في اقاصيص اليونان ان ديدالوس الاثيني قتل حفيدهُ غيرةً منهُ وهرب بابنهِ ايكاروس الى جزيرة كريت وبنى فيها القصر المشهور للملك مينوس الذي كشفت خرائبهُ في العام الماضي. وغضب مينوس عليهِ وسجنهُ فصنع اجنحة من الريش لهُ ولابنهِ والصق الريش بالشمع لكي يطيرا بها ويهربا واوصى ابنهُ ان لا يحلق في الجو كثيرًا ولا ينخفض كثيرًا بل يتبعهُ في سيرهِ ويسير معهُ على وتيرة واحدة الاَّ ان ايكاروس اغترَّ بنفسهِ ونسي وصيَّة ابيهِ وحلق في الجو حتى اذابت الشمس شمع جناحيهِ فوقع في البحر قرب صاموس وسميت جزيرة ايكاريا باسمهِ اما ابوهُ فنجا سالمًا ولم يصدِّق الاقدمون هذه القصة بل قالوا ان المراد بها ان ديدالوس وضع الشراع في

سفينة وسار بها فنجا من اسطول الملك مينوس لان الاسطول كان يسير بالمجاذيف لاغير .

ويقال ان راهباً صنع اجنحة في اسبانيا منذ تسع مئة سنة وطار بها من برج عالٍ اي رمى نفسهُ في الهواء وهو باسط هذه الاجنحة فلم يقع على الارض في خط عمودي بل في خط مائل. وطار آخر من قبة كنيسة البندقية على هذه الصورة. وذلك ليس من قبيل التمثل بالطيور حقيقةً بل من قبيل التمثل ببزور النبات ذوات الحراشف او الاهداب كبزر الصنوبر فانهُ اذا وقع من اعلى الشجرة لم يسقط على خط عمودي بل حملتهُ الريح وابعدتهُ عن امهِ حتى لا ينازعها البقاء. امَّا التمثل بالطيور في تحريك اجنحتها فاقدم عليهِ رجل اسمهُ بسنير منذ نحو مئتي سنة وذلك انهُ علق بكتفيهِ مجذافين كبيرين اوصلهما بقدميهِ بسيور متينة وكان طرفا المجذافين مجوفين ككأسين كبيرتين ويقال انهُ طار بهما مسافة قديرة

ومنذ مئة وعشرين سنة ظهرت بدعة جديدة في ركوب الهواء لا مثيل لها في الطبيعة لكن قُدّر لها ان تبقى حيَّة الى الآن ولو عبثت بحياة كثيرين وهي البالون الذي استنبطهُ اسطفان منغلفيه واخوهُ يوسف منغلفيه وهما ابنا ورَّاق من انوناي على اربعين ميلاً من ليون فانهما صنعا اكياساً من الورق وملآها هواء سخناً فطارت في الجو واخيرًا صنعا بالونًا كبيرًا محيطهُ ٥ ١ اقدام واشعلا تحت فيهِ نارًا في الخامس من شهر يونيو سنة ١٧٨٣ فامتلأ هواء سخناً وطار في الجو وبقي طائرًا نحو عشر دقائق ونزل على ميل ونصف من المكان الذي صعد منهُ وظنَّا ان الدخان اطارهُ والحقيقة ان الهواء السخن اطارهُ لانهُ اخف من الهواء الذي حولهُ

وبلغ خبر هذا البالون باريس وذاع في اوربا كلها واهتمَّ العلماء بتجربتهِ وابدل المسيو شارل الهواء السخن بالهيدروجين لانهُ اخف منهُ كثيرًا ومن ثمَّ اخذ ارباب العزائم يكبّرون هذا البالون ويزيدونهُ اتقانًا واضافوا اليهِ المجاذيف والصابورة التي يرفعونهُ بها ويخفضونهُ . وقد رأيناهُ في هذه العاصمة يملأ بغاز الضوء ويطير حاملاً ثلاثة او اربعة ويحلق بهم في الجو ويبقى الليل طائرًا ثم ينزل على اميال من القاهرة ورأيناهُ في معرض باريس يدايِر بكثيرين وينتصب في الجو ساعات متوالية ولم يخفَ على كل من رآهُ انهُ حالما يطلِق الارض ويرتفع في الجو يصير تحت رحمة الرياح لا قيد ولا شكيمة وكم من نفس زكية ذهبت فيهِ ضحيَّة الغرور

ثم رأى صانعو البالون ان الشكل الكروي ليس اصلح الاشكال فصنعوهُ مغزليًا مستطيلاً مستدق الطرفين ورأوا ايضاً ان تركهُ لرحمة الرياح ليس من الحكمة في شيء فصنع المسيو جِنَّار بالونًا مستطيلاً منذ سنة ١٨٥٢ وضع فيهِ آلة بخارية من عملهِ وشهد الذين رأوهُ انهُ سيفي بالغرض اذا زيد اتقانًا لكن كفَّ بصر صانعهِ قبلما اتقنهُ

ثم اخترع دِيبوي دولوم بلونًا يساق بواسطة آلة كهربائية يديرها ثمانية رجال واطاره وسار بهِ سنة ١٨٧٢ مسافة ٦٫٢ من المتر في الثانية وانقطع خبر اختراعهِ هذا منذ ذلك الزمان وسيأتي لنا كلام عليهِ . ثم تلاه الاخوان تيساندِيه وساقا بالونًا بالقوة الكهربائيَّة مسافة ٣ امتار في الثانية سنة ١٨٨٣ . ولا يخفى فضل الكهربائيَّة على البخار في مثل هذه الاحوال سواء كان من حيث صغر حجم الآلات اللازمة لها وكبر الآلات اللازمة لهُ او من حيث سلامة عواقبها وشدة الخطر الذي يخشى من نار الآلة البخاريَّة او من تفرقع الآلة نفسها. الَّا ان اختراع تيساندِيه لم يشع لضعف الآلة الكهربائيَّة وقلة سرعة البالون المسوق بها حتى لم يستطع ان يتغلَّب على الرياح المضادة لهُ ولذلك لم يحفل الناس بهِ كما احتفلوا باختراع اثنين آخرين وهما رينار وكربب . ولما كان هذا الاختراع قريبًا من اختراع دِيبوي دولوم السابق ذكرهُ نشرح اولاً اختراعهُ ثم اختراعهما لزيادة الايضاح

المتبادر الى الذهن أنَّ البالون جسم كرويُّ الشكل الَّا ان دِيبوي وجد ان الشكل الكروي اذا استطال ولم يبقَ تامَّ الاستدارة قلَّت مقاومة الهواء لهُ. ولذلك صنع بالونهُ على هذا الشكل لكي لا يعاوقهُ الهواء كثيرًا . وزاد على هذا التحسين انهُ علَّق الزورق الذي يركب فيهِ الركاب بالبالون على وجهٍ يكون فيهِ ثابتًا لا يتقلقل . وزاد على هذا ايضًا انهُ وضع في جوف البالون زقاقًا مملوءة هواء حتى اذا ضغط الهواء فيها صغر حجمها واشغلت حيِّزًا اصغر من الحيِّز الذي كانت تشغلهُ قبلاً. والغرض من ذلك ان يبقى جرم البالون على حالٍ واحدة سواء علا في الجو او سفل. وبيانهُ انهُ اذا كان البالون واطئًا يكون ضغط الهواء على خارجهِ اعظم مما اذا علا لان ضغط الهواء يقلُّ كلما علا عن سطح الارض . ولذلك كانت العادة ان لا يملأوا البالون كلهُ غازًا قبل ارتفاعهِ حتى اذا علا في الجو وخفَّ الضغط عنهُ وتمدَّد الغاز في داخلهِ بسبب ذلك وجد الغاز مكانًا يتمدَّد فيهِ ولم يشدَّ على داخل البالون ولم يشقهُ . الَّا ان البالون كان يتجعَّد قبل ارتفاعهِ كثيرًا في الجو وتمدُّد الغاز داخلهُ وملئهِ لهُ . وبسبب تجعدهِ هذا تزيد مقاومة الهواء لهُ فيعاوقهُ في سيرهِ . ولذلك عدلوا عن هذه الطريقة الى طريقة أُخرى استنبطها رجل فرنسوي يسمَّى مُسْنيه منذ نحو ثمانين سنة . وهي ان تنفخ زقاق وتوضع في البالون حتى اذا علا وتمدَّد الغاز داخلهُ وخيف ان يشقهُ تفرَّغ الزقاق فيكون للغاز متسع يتمدَّد فيهِ . واذا وطؤ البالون فتقلَّص الغاز داخلهُ من تزايد ضغط الهواء عليهِ من الخارج تنفخ الزقاق فيبقى جوفهُ ممتلئًا فلا يتجعَّد سطحهُ . وعلى ما تقدَّم يثبت جرمهُ على حال واحدة في الصعود والهبوط فلا يعاوقهُ الهواء كثيرًا

وزاد على ما تقدَّم انهُ وضع في المؤخر قلعاً مثلث الشكل ليقوم مقام الدفة واطار البالون في ٢ فبراير سنة ١٨٧٢ وساقهُ بآلة كهربائية يديرها ثمانية رجال بايديهم (وهذا مكان الضعف في اختراعهِ) فذهب بسرعة ٢,٦ المتر في الثانية كما تقدَّم فلم يقدر ان يغلب الريح التي كانت تهبُّ بسرعةٍ اعظم من سرعتهِ يومئذٍ

فهذا اختراع ديبوي واما اختراع رينار وكرب فيشبههُ في اكثر الامور فشكل بالونهما يشبه شكل بالونهِ الَّا انهُ اقرب منهُ الى البيضوية فهو غليظ من عقبهِ الذي يتجه الى الامام في سيرهِ ودقيق من رأسهِ الذي يتجه الى الوراء . والغرض من ذلك تقليل مقاومة الهواء لهُ . وزورقهما الذي يجلسان فيهِ معلَّق بهِ على شكلٍ تعلُّق الزورق في بالون ديبوي بحيث يبقى ثابتاً لا يتقلقل وهو مصنوع من قصب الزان ومغطًّى بالحرير ليقل فرك الهواء عليهِ وطولهُ ٣٣ متراً وعلوهُ نحو مترين . وفي البالون زقاق ينفخانها عند ارتفاعهِ ويفرغانها عند نزولهِ ليبقى جرمهُ على حال واحدة. والفرق الجوهري بين اختراعهما واختراع ديبوي انهما يسوقان البالون بمحرك في مقدم الزورق يدور بقوة الكهربائية المتولدة من رصيفٍ كهربائي لا بقوة الرجال كما في اختراع ديبوي . وهذا وجه فضل اختراعهما على سائر ما أُخترع قبلهُ لان سرعتهُ تبلغ ٥ امتار او اكثر في الثانية حال كون سرعة غيرهِ لم تبلغ الاربعة مع تكبير الآلات المحرّكة فيهِ

وقد جرَّبا الطيران في بالونهما ثلاثاً . الاولى في ٩ اغسطس سنة ١٨٨٤ فبلغ معدل سرعتهِ نحو ٥ امتار في الثانية مدَّة ٢٣ دقيقة وكان الهواء يومئذٍ رهواً فثبت للناظرين انهما يسوقان سفينتهما الهوائية كما يشاءان ولاسيما لانهما عادا فنزلا في المكان الذي صعدا منهُ بعد ان جالا في الهواء طويلاً . والثانية في ١٢ سبتمبر وكانت سرعة الريح ٧ امتار في الثانية حينئذٍ فلم يقدرا ان يثبتا ضدَّها اكثر من عشر دقائق والثالثة في ٨ نوفمبر وفيها صعدا دفعتين استرجعا فيهما صيت بالونهما واستظهرا على الريح. اما في الدفعة الاولى فصعدا نحو الظهر وطارا مسافةً ضد الريح ثم اوقفا المحرك فوقف البالون حتى قاسا سرعة الريح التي كانت تهبُّ حينئذٍ فوجداها ثمانية آلاف متر في الساعة وكانت سرعة بالونهما ثلثة وعشرين الف متر فيكونان قد قطعا الجوَّ في سيرهما على معدَّل ١٥ الف متر في الساعة . ولما فرغا من قياس سرعة الريح ادارا المحرك ليرجعا فدار البالون في نصف دائرة قطرها نحو ١٦٠ متراً ثم سارا على خط موازٍ لخط مسيرهما الاول حتى اتيا ونزلا في المكان الذي صعدا منهُ . وبعد ساعتين من نزولهما عادا فصعدا دفعةً ثانية الَّا انهما خشيا ان تغيب الارض عن بصرهما اذا اطلقا لمركبتهما العنان لان الضباب كان كثيفاً ساعتئذٍ فاقتصرا على ترويضها امام الناظرين فكانا يجريانها والريح

تهبُّ تارةً من امامها واخرى من ورائها واخرى عن جوانبها كل ذلك وهما يوقفان المحرك فتحملهما الريح تارةً ويديرانهِ فيجريان كيف شاءا أُخرى . وداما يروضان مركبتهما كذلك خمساً وثلثين دقيقة ثم نزلا في المكان الذي صعدا منهُ وقد اقتنع الذين كانوا ينظرون اليهما على ما يظهر واقرُّوا انهما حلاَّ المسألة التي حيَّرت العالم زماناً وأُهرقت دون حلها دماء المخاطرين وانفقت اموال المجرّبين ولكن لم تثبت الايام اقرارهم

وقد نشرنا هذا التفصيل في المجلد التاسع من المقتطف الذي صدر حينئذٍ . ومن عهد رينار وكربب زيد اتقان البالون ولكن لم يُضَف اليهِ استنباط كبير . نعم ان بالون الكونت زبلن استرعى النظر لكبرهِ فان طولهُ كان اكثر من اربع مئة قدم وهو مقسَّم الى غرف كثيرة لكي لا يجتمع الغاز في طرف من طرفيهِ لكن الريح قاومتهُ لكبر جرمهِ وكانت الحرب بينهُ وبينها سجالاً في اول الامر ثم تغلبت عليهِ ودقت اضلاعهُ

وبالون سنتوس ديمون الذي اكثرنا من ذكرهِ اصلح من بالون الكونت زبلن ولكنهُ قلما يفوق بالون رينار وكربب ولا يزال ذكرهُ حديثاً في اذهان القراء فلا نعيد وصفهُ

ونقلت الينا شركة روتر ونحن نكتب هذه السطور ان المستر ستنلي سبنسر طار من قصر البلور ببلاد الانكليز ووصل الى هري مسافة ثلاثين ميلاً ففاق بذلك سنتوس ديمون وزبلن . وطول البالون الذي طار بهِ ٧٥ قدماً وقطرهُ ٢٠ قدماً وهو يطاوع دفتهُ بسهولة

وقد كاد البالون الغازي يبلغ ما بلغهُ الآن من الاتقان منذ اول نشأتهِ فان المسيو بلنشار صنع بالوناً سنة ١٧٨٤ قطرهُ ٢٧ قدماً طار بهِ من باريز ونزل قرب ساقر . ثم طار بهِ من دوڤر بانكلترا في السنة التالية هو والدكتور جفرس الاميركي وسارا قاصدين كالي فوق الخليج الانكليزي فلما صارا في منتصف الطريق رأيا البالون آخذًا في النزول فرميا كل ما فيهِ من الاثقال وظلَّ البالون آخذًا في النزول فرميا المرساة وثيابهما وكادا يقطعان المركبة ويرميانها لانهما خافا من الغرق لكنهُ صعد بهما حينئذٍ وظلَّ سائرًا الى ان مرَّ فوق الخليج كلهِ ونزل في البر الفرنسوي سالماً

وقد صوَّرنا هذا البالون وبالون منغلفيه في صفحة ملحقة بهذه المقالة وطبعنا فيها صورًا أُخرى لايضاح ما ذكر في هذه المقالة

هذا من حيث البالون وخلاصتهُ ان الطيران بهِ ممكن ولكن راكبهُ يبقى تحت رحمة العواصف فاذا كانت الرياح هاجعة سار بهِ كيف شاء وكذلك اذا هبَّت هبوبًا بطيئاً ولكنها اذا ثارت شديدًا عبثت بهِ ولم يسلم من شرها الاَّ اذا رضي من الغنيمة بالاياب العاجل ولا غرابة

في ذلك لان البالون مخالف للطبيعة ولا مثيل لهُ فيها فلا عجب اذا لم يجد منها نصيرًا

هذا ولنرجع الى الاسلوب الطبيعي وهو اسلوب الطيران بالاجنحة فنقول اننا ابنَّا في المجلد الثالث عشر من المقتطف ان الطيران غير مقدور للانسان اذا اعتمد على قوتهِ العضلية وحدها لانها غير كافيةٍ لرفع جسمهِ ودفعهِ في الهواء ولذلك فما حاولهُ ليلنثال اولاً كان من قبيل المستحيل وغاية ما استطاعهُ ان يقع في خط مائل بدلاً من ان يقع في خط عمودي واخيرًا دق عنقهُ وذهب شهيد الطيران مع ان السطوح الواسعة التي كانت في جهازهِ ساعدتهُ كثيرًا في طيرانهِ

الآن ما تعجز عنهُ عضلات الانسان تقدر عليهِ قوة البخار او قوة الكهربائية وقد نقلنا عن المرحوم الاستاذ بروكتر في المجلد الثاني عشر من المقتطف كلاماً تزيدهُ الايام اثباتًا وهو " ان طيران الانسان في البالون وانتقالهُ بهِ من مكان الى آخر وافقتهُ الرياح او لم توافقهُ ضرب من المحال لان البالون كبير الجرم جدًّا فاذا ضادَّتهُ مجاري الرياح مزقتهُ او عجز ما فيهِ من الآلات عن صدها . ولكن لا يبعد ان يتمكَّن الانسان من الطيران بالاجنحة الصناعية او ان يتَّصل الى ما هو انفع من ذلك وهو ان يخترع آلة تسير في الهواء بتحريك اجزائها فيهِ كما يطير الطائر بحركة جناحيهِ "

الآن كيفية طيران الطائر غير مدركة تماماً حتى الآن لكي يسهل التمثل بهِ وغاية ما وصل اليهِ الباحثون من هذا القبيل آلة صنعها المسيو بنو تطير من نفسها لكنها صغيرة جدًّا لا يبنى عليها حكم لان ما يصدق على الآلات الصغيرة لا يصدق على الكبيرة

واهتمَّ الاستاذ لنغلي الاميركي بمسألة الطيران اهتماماً عظيماً وجرَّب التجارب العلمية الكثيرة فيها فوجد ان الآلات التي صنعها لتطير بحركتها لا تطير ما لم تكن قوتها اضعاف قوة ما يعادلها من الطيور . واقتفى السر حيرام مكسم خطوات الاستاذ لنغلي وصنع آلتهُ التي طارت ثم افلتت وتكسَّرت بعد ان انفق عليها الالوف من الجنيهات . واصلح منها آلة هفان وهي تمتاز على كل ما تقدمها من آلات الطيران بان لها اربع ارجل ذات بكر تنتصب عليها كالحيوان وتجري على عجلها جريًا حتى اذا حانت الفرصة المناسبة للطيران رفع من فيها هذه الارجل فوقف معلقًا بين الارض والسماء ويحرك جناحي الآلة حينئذٍ يضرب بهما الهواء فيسير الى الامام كالطائر وفيها دفة ولولب لتعديل سيرها واتجاهها

وستجتمع زبدة آلات الطيران في معرض اميركا في العام المقبل وسنرى حينئذٍ غاية ما بلغتهُ وما يحكم لهُ بالفوز منها

حكيم فيلبين

حينما يذكر اسم فيلبين وسكانها الذين سامهم الاسبانيون ضروب الذل والاستعباد الى ان نُشرت فوق جزائرهم الراية الاميركية لا يتصوَّر السامع الاَّ اناساً سود الابدان مثل زنوج افريقية بعيدين عن كل اسباب الحضارة ويظن اننا نعني بحكيم فيلبين رجلاً من الاوربيين سكن تلك الجزائر او وُلد فيها من ابوين اوربيين فنُسب اليها . لكن هذا الظن على خلاف الواقع لان الحكيم المشار اليهِ من اهالي فيلبين اباً عن جد ومن اعرقهم نسباً واشدهم حميَّة كما انهُ من اوسعهم علماً واعلاهم همَّة وقد ختم حميتهُ الوطنيَّة بدمهِ . وها نحن موردون طرفاً من سيرتهِ وفلسفتهِ نقلاً عمَّا كتبهُ عنهُ الاستاذ بلومنترت الالماني وكان صديقاً لهُ قال :

في الثلاثين من دسمبر سنة ١٨٩٦ قتل ولاة الامر الاسبانيون في مانيلا اعظم ابناء فيلبين الدكتور ريزال زاعمين انهُ من مهيجي الثورة فيها . وهو من النغل احدى القبائل المغوليَّة الاصل التي استوطنت جزائر فيلبين من عهد بعيد جدًّا . درس في مدارس الاسبانيين في بلادهِ وتعلم علم الطب في مانيلا ومدريد ونال من مدرسة مدريد الجامعة دبلوما الدكتورية في الطب والفلسفة . ثم تخرَّج من مدرسة باريس ومدرسة هيدلبرج ومدرسة ليبسك ومدرسة برلين وعكف على المباحث اللغويَّة والشعبيَّة وانتظم في عضويَّة جمعيَّة برلين الانثروبولوجيَّة اي الباحثة عن الانسان ونشئهِ . والَّف رواية ترجمت الى اللغة الانكليزيَّة باسم طيران النسر اغتاظ منها ولاة الامر الاسبانيون في مانيلا فلم يسمحوا لهُ بالاقامة في بلادهِ فطاف في بلاد يابان واميركا الشمالية ثم جاء الى مدينة لندن واقام فيها مدة وهو يوسع معارفهُ اللغويَّة والَّف رواية أُخرى سياسية المغزى ثم انتقل الى هنغ كنغ ومنها الى بورنيو وعزم ان ينشئ هناك مستعمرةً لابناء وطنهِ الذين تضطرهم احوال السياسة الى مهاجرة بلادهم . وأُذن لهُ حينئذٍ في زيارة وطنهِ ولكن قُبض عليهِ حالما وطئتهُ قدماهُ وأُودع السجن ثم لما انتشرت الفتنة في البلاد سنة ١٨٩٦ اتُّهم بانهُ مثير نارها فبرئ نفسهُ ونجا واتُّهم ثانيةً وثالثة وفي المرة الثالثة حكم عليهِ بالقتل فذهب شهيدًا

ومن المباحث الفلسفيَّة التي عكف عليها تحليل ما يعتقدهُ البيض في السود وما يعتقدهُ السود في البيض وكان من اقدر الناس على هذا البحث لانهُ من السود وقد نشأ بينهم وتعلَّم علوم البيض وعاشرهم زمانًا طويلاً تخبر احوال امم كثيرة مختلفة الالوان والدماء في وطنهِ فيلبين وفي اليابان وهنغ كنغ واوربا واميركا وكان يعرف لغات كثيرة معرفة تامَّة فيستطيع

ان يطالع ما كتب فيها في هذا الموضوع ونحوهِ من المواضيع المرتبطة بهِ. وقصر بحثهُ على علاقة السود بالبيض في فيلبين وما يشعر بهِ كل فريق منهما نحو الآخر لكي لا يتسع مجال البحث عليهِ

قال انهُ رأى وهو فتى صغير السن ان الاسبانيين المقيمين في فيلبين يحتقرونهُ لانهُ من اهالي فيلبين لا لسبب آخر فلما رأى منهم ذلك جعل يبحث عمَّا اذا كان هناك مسوّغ يسوّغ لهم ولغيرهم من الاقوام البيض الوجوه ان يحتقروا اناساً يعقلون مثلهم ويدرسون مثلهم لان جلدهم اسمر فان الاوربيين يدَّعون انهم سادة الناس وموجدو العلم والعمران وانهم هم نوع الانسان العاقل وسائر الشعوب دونهم ولا يستطيعون ان يبلغوا مبلغهم . وقد لا يجاهرون بهذه الامور ولكن معاملتهم لغيرهم تدل على انهم يعتقدون ذلك ويجرون عليهِ . فقال الدكتور ريزال في نفسهِ ترى هل هذه الدعاوى صحيحة . قال ذلك وهو تلميذ في المدرسة ثم نظر الى من حولهُ من التلامذة الاسبانيين وقابل قواهُ العقلية بقواهم فوجد ان لا فرق بينهُ وبينهم في المدرسة فان فيهم المجتهد والكسلان والاديب والسفيه والذكي والخامل كما في ابناء وطنهِ . ثم جعل يناظرهم لا كولد يسابق ولداً آخر بل كشعب يناظر شعباً وكان يسرُّ كلما حلَّ مسألة اعتاصت عليهم. واقتنع من ذلك الحين ان القوى العقلية واحدة في ابناء بلادهِ وفي الاسبانيين وتجري على اسلوب واحد في التصور والاستدلال وسائر الافعال العقلية

وولّد هذا الاستنتاج في نفسهِ شيئاً من التباهي الجنسي فاعتقد ان التغال الذين هو منهم ارقى من الاسبانيين عقلاً (ولم يكن قد رأى غيرهم من البيض) لان الاسبانيين يتعلمون بلغتهم واما هو وابناء امتهِ فيتعلمون بلغة غير لغتهم فيضطرون ان ينفقوا جانباً من جهدهم في فهم اللغة الاسبانية وهم يتعلمون العلوم بها وهذا لا يفعلهُ اولاد الاسبانيين فاذا استطاع ابناء امتهِ ان يجاروا اولاد الاسبانيين فهم اذكى منهم عقلاً لكنهم لا يجارونهم فقط بل يفوقونهم ايضاً

وهناك امر آخر جعلهُ ينكر امتياز الاوربيين عقلاً وهو انهُ رأى الاسبانيين يعتقدون ان الوطنيين يحسبونهم اسمى منهم عقلاً وافضل جبلةً وكان يعلم ان اكرام ابناء وطنهِ للاسبانيين لم يكن ناتجاً عن اعتقادهم ان الاسبانيين افضل منهم بل عن خوفهم منهم او عن تملقهم بقصد الاكتساب بالتقرُّب منهم ما دامت ادارة البلاد في يدهم وقد لحظوا ان هذا التملق يرضي الاسباني فاكثروا منهُ واذا ادار ظهرهُ اغتابوهُ وضحكوا عليهِ واستخفوا بهِ لانهُ لا يدرك احتيالهم عليهِ. وهذا اتخذهُ ريزال وهو فتى دليلاً على امتياز ابناء بلادهِ على الاسبانيين ذكاء ودهاء ثم اضطرَّ ان يعدل عن هذه النتيجة لما زاد اختباراً وعاشر غير الذين عاشرهم في صباهُ وقال انني صرت كلما قرأت في كتب الاوربيين او سمعت في حديثهم ما تشتمّ

منهُ رائحة الاستخفاف باهل وطني اضحك على نفسي وعلى الغيرة العمياء التي كنت اغارها في صباي وصرت اراجع المثل الفرنسوي القائل من ادرك الامور تساهل فيها

وانقشعت الغشاوة عن عينيهِ حينما اتى اسبانيا واقام فيها فان الاسبانيين في فيلبين عنوان التعصب والاستبداد راهبهم وضابطهم وحاكمهم سواء . اما في مدريد فالامر على ضد ذلك . رأى هناك المعطل والدهري يصرحان بآرائهما علناً وسلطة الحكومة على اضعفها والاحرار يناظرون الحزب الاكليريكي والكارلوسيون يبثون آراءهم في كل مكان

وزادت مداركهُ اتساعاً بسكناهُ في فرنسا والمانيا وانكلترا واتسع نطاق معارفهِ فانكشف لهُ معنى الشعوب ومزايا الامم فقرأ اشهر الكتب الموضوعة في البحث عن طوائف الناس واخلاقهم ودرس طبائع الفلاحين في فرنسا والمانيا حاسباً انها ادل على اخلاق الامة من طبائع سكان المدن وقابلها بطبائع اهالي بلادهِ وكان ينقطع الى بعض القرى المنفردة يقيم فيها الاسابيع والشهور يراقب احوال الفلاحين ويدرس طبائعهم وجمع نتائج ابحاثهِ في القضايا التالية

الاولى : ان طوائف الناس تختلف منظرًا وبنية ولكنها لا تختلف عقلاً او نفساً فالبيض والصفر والسمر والسود يشعرون ويسرُّون ويتألمون على حدٍّ سوى وتؤثر فيهم المؤثرات على منهاج واحد ولكنهم يختلفون في التعبير عمَّا يخالج ضمائرهم . وطرق التعبير هذه لا تجري مجرًى واحدًا في الشعب الواحد بل تختلف اختلافاً كبيرًا تبعاً لاختلاف الاحوال

الثانية : ان اختلاف اجناس الناس امرٌ عرفي فقط والحقيقة انهم جنس واحد لهُ طبقات مختلفة اختلافها اجتماعي اكثر ممَّا هو جنسي كأنَّ كل شعب منها جبلٌ فيهِ طبقات كثيرة . وكما ان بعض الجبال يكون ناقصاً الطبقات العليا ولكن الجبال كلها تحوي الطبقات السفلى كذلك طوائف الناس ينقص بعضها الطبقات العليا ولا ينقصها كلها شيءٌ من الطبقات السفلى

ففي فرنسا والمانيا القديمتي العمران جانب كبير من السكان يشبه قبيلة التغال ولا يمتاز عنها الَّا باللباس واللغة ولون البشرة لكن الشعوب تفرق عن الجبال في انها تنمو والجبال لا تنمو فتتولَّد فيها الطبقات العليا وتولُّدها لا يتوقف على مقدرتها العقليَّة وحدها بل لهُ اسباب أُخرى ايضاً بعضها معلوم وبعضها غير معلوم ومنها ما يأْتي اتفاقاً

الثالثة : يقول كثيرون من حكام المستعمرات ومن رجال العلم ايضاً ان عقول سكانها محدودة لا تبلغ عقول الاوربيين فان صحَّ ذلك فسببهُ ان العقل الثاقب كالغنى الوافر لا ينالهُ كل انسان فان كان الغني يحسب انهُ ولد غنيًّا فهو خادع نفسهُ لانهُ ولد فقيرًا عاريًا مثل افقر الناس لكنهُ ورث الثروة التي خلَّفها لهُ والداهُ كذلك الانسان يرث العقل الثاقب من

اسلافهِ . فان الشعوب التي دعتها احوال المعيشة الى استعمال قواها العقلية وترويضها نمت قواها حتى صارت اقوى مما هي في غيرها واورثتها لاولادها فزادت فيهم مضاء بالاستعمال . نعم ان عقول الاوربيين ذكيَّة الآن ولكن اسلافهم الاولين لم يكونوا كذلك بل قد مضى عليهم قرون وهم يجاهدون ووافقتهم احوال الزمان وخدمهم السعد فتمتعوا بالحرية والشرائع العادلة وقادهم اناس فضلاء حتى تمكنوا من توريث اولادهم ذكاء العقل . والموصوفون منهم بالفطنة والذكاء الآن لم يبلغوا ما بلغوهُ الَّا بعد ان جاهد اسلافهم قروناً كثيرة في هذا السبيل . ويظهر من التاريخ ان الرومانيين لم يكونوا يحسبون الالمانيين في عهدهم افضل مما يحسب الاسبانيون اهالي فيلبين الآن. ولما مدح تاشيتوس الالمانيين كان مدحهُ لهم فلسفياً محضاً مثل مدح اتباع روسو لاهالي تهيتي حاسبين اياهم عنوان البشرية

الرابعة : ان احتقار الاسبانيين لاهالي فيلبين يسهل تفسيرهُ ولكن ذلك لا يخلصهم من المؤاخذة . فان الضعاف لا يهاجرون بلادهم ولا يهاجر الَّا الاشداء وهؤلاء يصلون الى المستعمرة وقد رسخ في اذهانهم انهم آتون اليها ليسودوا اهاليها ثم هم اذا كتبوا عنها ذكروا اهاليها بالازدراء والاهالي لا يقرأون ما يُكتَب عنهم او لا يستطيعون الردَّ عليهِ . وزد على ذلك ان هؤلاء المهاجرين يعاشرون الطبقة السفلى من الناس في الغالب فيصدق حكمهم على الاهالي كلهم كما يصدق حكم من يحكم على اخلاق الالمانيين والفرنسويين مثلاً من معاشرة بائعات اللبن وساقة المركبات

الخامسة : ان الوصمة الكبرى على اهالي فيلبين هي لون جلودهم لا غير فان كثيرين من اهالي اوربا ارتقوا من ادنى المراتب الى اعلاها ولم يعترض عليهم احد واما الرجل منَّا فمهما امتاز بذكاء العقل وكرم الاخلاق يبقى لون وجههِ وصمة موصوماً بها امام البيض يحتقرونهُ لاجلها وتراهم يحاسبونهُ على كل هفوة . فاذا ارتقى ابن الاسكاف الاوربي وصار باروناً نسوا اصلهُ واغتفروا زلاتهِ واما الرجل منَّا فان اخطأ ولو خطأ طفيفاً هزوا رؤوسهم وقلبوا شفاههم وقالوا ماذا يُنتظر منهُ اكثر من ذلك وهو وطني . واذا لم يؤخذ بهفوة ولا خالف قاعدة من آداب المعاشرة وكان طبيباً ماهراً او قاضياً عالماً لم يُمدَح على مهارتهِ بل نُظر اليهِ بعين الاستغراب كما يُنظَر الى كلب يحسن اللعب في ملعب الخيل لا كما ينظر الى رجل من الاكفاء

ومن الغريب ان المرأة الالمانيَّة التي ترى من خادمتها ما يغيظها لا تشرك كل الجنس الالماني في لومها لها ولكن الاوربيين الذين يسكنون المستعمرات وخدامهم من اهاليها يأخذون الاهالي كلهم من غير حياء بجريرة خدامهم ويرتكبون هذا الوزر ولا ضمير لم يوبخهم عليهِ

ثم ان التجار الاوربيين يقصدون بلداننا لكي يغتنوا منها باسرع ما يمكن من الزمن فيشترون البضائع من الاهالي بابخس الاثمان ويرى الاهالي انهم عاملون على غشهم وابتزاز اموالهم منهم فيعاملونهم بالمثل ويكيلون لهم الصاع صاعين اذا استطاعوا واما معاملتهم بعضهم لبعض فليست كذلك بل هي على تمام الصدق والامانة ولذلك يعتقد الاوربيون ان الوطنيين كذابون خادعون ولا يخطر ببالهم انهم هم الذين الجأوهم الى الكذب والخداع بكذبهم وخداعهم

وقال الدكتور ريزال انهُ لما اتى اوربا ورأى كيف يعامل اهاليها بعضهم بعضاً لم يعد يعجب من معاملتهم لاهل بلادهِ

وكان هذا الرجل مصورًا ورسامًا ونحاتًا وعند الاستاذ بلومنترت ثلاثة تماثيل من عملهِ وهي بديعة الصنعة جدًا تكاد تتكلم الواحد منها يمثل برمثيوس مقيدًا والثاني يمثل غلبة الموت على الحياة وهو هيكل من العظام لابس قلنسوة راهب وفي يدهِ جسم فتاة . والثالث تمثال فتاة واقفة على رأس الموت وبيدها مشعال رفعتهُ فوق رأسها وهو يمثل غلبة المعرفة على الموت. انتهى

هذا ومَن طالع تاريخ الاوربيين في الهند وافريقية رأى فيهِ ادلة كثيرة تؤيد ما قالهُ الدكتور ريزال وقد كنَّا نظن ان النعرة التي ترى من بعضهم انما هي خاصة بالذين اصلهم وضيع منهم او بالحديثي النعمة وهؤُلاء ثقيلو الوطأة في كل مكان اوربيين كانوا او غير اوربيين امَّا ابناء البيوتات الكبيرة الرابون في النعمة والرفاهة فهم في الغالب ودعاء لينو العريكة . هذا الذي كنَّا نراهُ فنطلقهُ على جمهور الاوربيين ثم اتضح لنا حديثًا ان النداء الذي نادى بهِ كبلن وهو ان اهالي اوربا واميركا سادة المسكونة وغيرهم كالانعام المسوَّمة ويجب على السادة ان يتسلَّطوا على الانعام ويسوسوها كما يسوس الانسان ماشيتهُ لكي يجز صوفها ويشرب لبنها ويستخدمها في قضاء حاجاتهِ هذا النداء صدى ما يشعر بهِ اكثر الذين بيدهم الامر والنهي من الاوربيين وقد كاد الاميركيون يحذون حذوهم الآن حتى يصدق عليهم كلهم قول المتنبي

والظلم من شيم النفوس فان تجد ذا عفةٍ فلعلة لا يظلمُ

والاَّ فما معنى ايثارهم انفسهم علي غيرهم من المشتغلين معهم من غير جنسهم ولو في ما لا تفاضل فيهِ وما اساسهُ الاول منع التمييز بين الناس كالتعليم والتبشير . وحقيقة الامر ان التنافس القديم الذي كان بين الشرق والغرب في عهد الفرس واليونان لا يزال جاريًا مجراهُ ولم يعد الآن سجالاً كما كان قبلاً لان الشرق استنام الى الذل منذ سنين كثيرة والغرب ركب متن السوابق ولن تتغير هذه الحال الاَّ اذا فشت في اوربا ادواء الحضارة والرفاهة فافسدت عمرانها وقام في الشرق كثيرون من المصلحين فاصلحوا شؤُون اهلهِ ومعتقداتهم

سكك الحديد في تركيا

نقلاً عن جريدة التيمس

زاد اهتمام الناس حديثاً بسكك الحديد في تركيا على اثر مشروع السكة التي يراد انشاؤها بين بغداد وخليج العجم وتخوُّف الجرائد الروسيَّة منها ولذلك فاحوال السكك الحديدية الموجودة الآن في تركيا مما تفيد معرفتهُ وهذه السكك هي

(١)	السكة بين ازمير وايدين	للانكليز	طولها	٥١٥	كيلومتراً
(٢)	السكة الشرقية	للحكومة العثمانيَّة	«	١٣٤٣	«
(٣)	سكة الاناضول	للالمان	«	١٠٣٢	«
(٤)	السكة بين ازمير وكسب	للفرنسويين	«	٥١٣	«
(٥)	« بين سلانيك ومونستير	للالمان	«	٢١٩	«
(٦)	« الموصلة بين سلانيك والاستانة	للفرنسويين	«	٥١١	«
(٧)	« بين بيروت ودمشق وحوران	للفرنسويين	«	٢٥٨	«
(٨)	« بين يافا والقدس	للفرنسويين	«	٨٧	«
(٩)	« بين مرسين وادنه	«	«	٦٧	«
(١٠)	« بين مودانية وبورصة	للالمان	«	٤١	«

وجملة ذلك ٤٥٨٦ كيلومتراً او ٢٧٥١ ميلاً . وخمس من هذه السكك تأخذ اعانة من الحكومة وهي الاولى والسابعة والثامنة والتاسعة والعاشرة. وقيمة الاسهم والسندات تساوي ٧٧٠٠ جنيه عن كل كيلومتر من السكة الاولى و ٧٩٤٥ جنيهاً عن كل كيلومتر من الثانية و ٩١٤٢ جنيهاً عن كل كيلومتر من الرابعة و ٨٤٠٢ عن كل كيلومتر من الخامسة و ٨٤٦٠ جنيهاً عن كل كيلومتر من السادسة و ٦٦٠٠ جنيه عن كل كيلومتر من التاسعة

اما السكة الثانية اي السكة الشرقية فللحكومة وليس لها اسهم وسندات والسكة السابعة التي بين بيروت ودمشق وحوران اضطرت شركتها ان تصفى وتؤلف شركة اخرى وكذلك السكة الثامنة بين يافا والقدس والعاشرة بين مودانية وبورصة

السكة بين ازمير وايدين

هذه السكة اهم سكك الحديد في تركيا وهي السكة الوحيدة التي اصحابها من الانكليز وليس لها اعانة من الحكومة لكن لها ما هو افضل من ذلك وهو كثرة ما تنقلهُ من البضائع

والركاب فقد بلغ صافي دخلها من ذلك في العام الماضي ٦٨٦ ٢١٧ جنيهاً اي ٤٢٣ جنيهاً عن كل كيلومتر او ٢/١ ٥ في المئة بالنسبة الى رأس مالها من الاسهم والسندات وسينتهي امتيازها سنة ١٩٣٥ ولكن لا بدَّ من ان يجدَّد او ان تشتريها الحكومة العثمانية بمبلغ يساوي ما تساويهِ اسهمها وسنداتها حسب اسعار السوق. فحالتها الماليَّة حسنة وفائدة سنداتها ٤ في المئة فتستغرق من الربح ٧٢٦٠٠ جنيه فقط تدفع قبل دفع حصص الاسهم ولذلك فهي بمأمن من كل خطر. وقد بلغت مصروفات هذه السكة في العام الماضي ٣٦ وثلث في المئة من ايراداتها

سكة الاناضول

تقسم هذه السكة الى قسمين الاول خط حيدر باشا واشميد وانقره وطولهُ ٥٧٨ كيلومترًا والحكومة تضمن لهذا الخط ٤١٢ جنيهاً عن كل كيلومتر من الاثنين والتسعين كيلومترًا التي بين حيدر باشا واشميد و ٦٠٠ جنيه لكل كيلومتر من المسافة الباقية وهي ٤٨٦ كيلومترًا فكأنها تضمن لكل كيلومتر من الخط كلهِ ٥٧٠ جنيهاً او ١٤ ٢٥٢ فرنكاً ايرادًا عمومياً . وقد بلغ ايراد الكيلومتر منهُ في العام الماضي ٥١٩ جنيهاً او ١٢٩٦٢ فرنكاً فما اضطرت الحكومة الى دفعهِ قليل جدًّا وينتظر ان لا تدفع شيئاً هذا العام بل يبلغ الايراد ما ضمنتهُ الحكومة

والقسم الثاني وطولهُ ٤٤٥ كيلومترًا ضمنت لهُ الحكومة ٥٤٩ جنيهاً ايرادًا عمومياً لكل كيلومتر او ٧٢٥ ١٣ فرنكاً ولكنها اشترطت ان يكون معظم ما تدفعهُ لكل كيلومتر ٢٧٠ جنيهاً او ٧٤٠ ٦ فرنكاً. وقد بلغ ايراد الكيلومتر من هذا الخط في العام الماضي ٢١٧ جنيهاً فاذا أضفنا اليهِ اكثر ما تضطر الحكومة الى دفعهِ وهو ٢٧٠ جنيهاً بلغ ايراد الكيلومتر ٤٨٧ جنيهاً

وهناك فرع صغير طولهُ تسعة كيلومترات من الحميديَّة الى ادابازار لم تضمن الحكومة لهُ شيئاً وقد بلغت مصروفات سكة الاناضول كلها في العام الماضي ١٧ر٤١ في المئة من الايرادات. وبلغ المال الذي دفعتهُ الحكومة العثمانية لها ٤٦٢ ١٤٨ جنيهاً . وقد دفعت شركة هذه السكة في العام الماضي ٥ في المئة لحاملي اسهمها وسنداتها وابقت مبلغاً كبيرًا مالاً احتياطياً ولذلك فاشغالها رابحة. وقد قلنا آنفاً ان الكيلومتر منها يساوي ٧٩٤٥ جنيهاً هذا اذا قسمنا قيمة الاسهم والسندات الاصلية على الكيلومترات ولكن لم تبلغ نفقات انشاء الكيلومتر حقيقة سوى ٧٤٧٢ جنيهاً فالباقي وهو ٤٨٨٠٠٠ جنيه لا يزال مالاً احتياطياً

سكة ازمير وكسبا

القسم الاول من هذه السكة وطولهُ ٢٦١ كيلومترًا قديم كان امتيازهُ لشركة انكليزيَّة ولكن الحكومة العثمانيَّة حفظت لنفسها حق ابتياعهِ بعد سنة ١٨٩١ فابتاعتهُ سنة ١٨٩٣

واجرتهُ لشركة فرنسوية الى ٩٩ سنة وتأخذ الشركة نصف الايرادات لاجل النفقات وقد اعطت الحكومة المال الذي ابتاعتهُ بهِ وقسطت عليها ايفاءهُ اقساطاً سنوية كل قسط منها ٩٢٤٠٠ جنيه او ٢٣١٠٠٠٠ فرنك فاذا نقص النصف الثاني من الايرادات عن هذا القسط فالحكومة تدفع الفرق الى الشركة

وقد بلغت ايرادات هذا الخط في العام الماضي ٤١٢٤٦٥٢ فرنكاً ونصيب الحكومة من ذلك ٢٠٦٢٣٢٦ وهو يقل عن القسط السنوي ٢٤٧٦٧٤ فرنكاً او ٩٩٠٧ جنيهاً التزمت الحكومة ان تدفعها فيكاد هذا الخط يقوم بنفقاتهِ وايفاء دينهِ

والقسم الثاني من هذه السكة من ابو شهر الى قراحصار طولهُ ٢٥٢ كيلومتراً انشأتهُ الشركة الفرنسوية وضمنت لها الحكومة العثمانية ايراداً سنوياً ٧٥٥ جنيهاً عن كل كيلومتر وفتح الخط سنة ١٨٩٧ وبلغ ايراد الكيلومتر منهُ في العام الماضي ١٩١ جنيهاً فكان على الحكومة ان تدفع لها ٥٦٤ جنيهاً عن كل كيلومتر والجملة ١٤١٦٤١ جنيهاً . وسيزيد ايراد هذا الخط مع الزمان ولكن لا بدَّ من ان يبقى معتمداً على مساعدة الحكومة العثمانية سنين كثيرة

وتبلغ مصروفات هذه السكة كلها ٥٢ وثلث في السنة من ايراداتها عدا الرسم الذي تدفعهُ في فرنسا ويقابل ذلك ٤١ في المئة في سكة الاناضول و٣٦ وثلث في المئة في سكة ازمير وايدين

سكة سلانيك ومونستير

أُعطي امتياز هذه السكة لشركة المانية مدة ٩٩ سنة من سنة ١٨٩٠ وضمنت لها الحكومة العثمانية ٥٧٢ جنيهاً عن كل كيلو متر وقد بلغ ايرادها في العام الماضي ٢٨١ جنيهاً عن كل كيلومتر فاضطرت الحكومة ان تدفع ٢٩١ جنيهاً عن الكيلومتر وجملة ما دفعتهُ ٦٣٧٧٧ جنيهاً . ونفقات التشغيل ٤١ في المئة من مجموع الايراد وما تدفعهُ الحكومة

الوصلة بين سلانيك والاستانة

امتيازها لتسع وتسعين سنة ابتداؤُها سنة ١٨٩٢ وتضمن لها الحكومة ٦٢٠ جنيهاً ايراداً لكل كيلومتر وقد بلغ دخل الكيلومتر منها في العام الماضي ١٤٤ جنيهاً فكان على الحكومة ان تدفع ٤٧٦ جنيهاً عن كل كيلومتر . وعلى هذا الخط نقلت الحكومة جنودها في حربها مع اليونان فهو خط حربي ولا بدَّ من ان يبقى معتمداً على مساعدة الحكومة . وبلغ دخلهُ في العام الماضي ٧٣٢٥٩ جنيهاً ونفقاتهُ ٧٦٧٤٢ جنيهاً

سكة بيروت ودمشق

هذه السكة ضيقة وليس لها اعانة من الحكومة ولما لم تنجح تصفَّت في العام الماضي ونُقلت

الى شركة اخرى لكي تمد فرعاً واسعاً الى حماه وقد ضمنت الحكومة لهذا الفرع ٦٠٠ جنيه لكل كيلومتر في السنة وسيتصل اخيرًا الى حلب ويوصل بخط قونية وبغداد

سكة يافا والقدس

هذه السكة لم تنجح وليس لها اعانة من الحكومة وبلغ صافي دخلها في السنة ١٢٠٠٠ جنيه وتعطي حاملي سنداتها اثنين وثُلثَين في المئة سنويًّا وحاملي اسهمها نحو ثلث في المئة او ثلاثة في الالف

سكة مرسين وادنه

كانت هذه السكة لشركة انكليزية ثم انتقلت الى شركة فرنسوية واشغالها غير ناجحة والمرجح ان شركة سكة الاناضول تشتريها فتصير فرعاً من سكة قونية وبغداد

سكة مودانية وبورصة

هذه السكة ضيقة ولا اعانة لها من الحكومة . انشأتها الحكومة ثم اعطتها للمسيو جورج نجلماكر لتسع وتسعين سنة وقيمة اسهمها الاسمية ١٥٣٠٠٠ جنيه وقد بلغ ايرادها سنة ١٩٠٠ مئتين وثلاثة واربعين جنيهاً عن كل كيلومتر فلم تدفع شيئًا من الربح لحاملي اسهمها

والاعانة التي تدفعها الحكومة العثمانية لهذه السكك مضمونة بعشور بعض الولايات يستولي عليها صندوق الدين ويدفعها لها وقد كانت تدفع حتى الآن في ميعادها تماماً لان العشور تزيد على المطلوب كثيرًا وقد زادت في العام الماضي ١٣٣٠٠٠ جنيه . وبلغت جملة ما دفعتهُ الحكومة العثمانيَّة في العام الماضي اعانات لهذه السكك نحو ٦٦٠ الف جنيه . انتهى

[المقتطف] هذه ستمئة وستون الف جنيه تدفعها الحكومة العثمانية الى الشركات الاجنبيَّة كل سنة من دماء رعاياها . وهي تماثل ربا دين مقدارهُ عشرون مليونًا من الجنيهات قيَّدت رعاياها بهِ الى نحو مئة سنة مع ما يترتَّب عليهِ من السيطرة الاجنبيَّة ولقد كانت في غنًى عن ذلك كلهِ لو برَّت برعاياها واحسنت سياستهم لانهُ ان كانت جمهورية فقيرة مثل سويسرا تستطيع ان تنشئ سككها باموالها وان كانت مملكة قاصية حديثة كمملكة يابان تنشئ ٣٦٣٥ ميلاً من السكك الحديديَّة بمال اهاليها من غير ان تستدين غرشاً من الاجانب فاحرِ ببلاد قديمة العمران غناها الطبيعي يفوق الوصف ان تستطيع ذلك من غير ان تتقيَّد بقيود لا تفك ولكن ما الحيلة والرشوة تنيل الامتياز بكل شيء وباي شرط كان

باب تدبير المنزل

قد فتحنا هذا الباب لكي ندرج فيهِ كل ما يهم اهل البيت معرفتهُ من تربية الاولاد وتدبير الطعام واللباس والشراب والمسكن والزينة ونحو ذلك مما يعود بالنفع على كل عائلة

الزوجة الفاضلة

نشرنا في الجزء الماضي مقومات الزوج الفاضل وسننشر هنا مقوّمات الزوجة الفاضلة حسب رأي ابناء هذا العصر او المتهذبين منهم

اول شرط لازم للزوجة الفاضلة ان تكون قد ربيت في بيت فيهِ زوجة يحبها زوجها وهي تحبهُ لانها ان لم تربَّ كذلك يعسر عليها ان تحب زوجها وان لم تحبهُ فلا فائدة من الزواج ولا مسرَّة فيهِ ولا راحة منهُ بل هو تعب ونغص . والحب قوة في النفس ولكنهُ لا يظهر الظهور الواجب الاَّ بالقدوة والتمرين فالفتاة التي ترى المحبة في بيت والديها من حين تولد الى ان تبلغ اشدها وترى من حبهما لها ما يحرك محبتها ويمرنها يستحيل عليها ان تبقى قوة المحبة كامنة في نفسها غير بادية بل لا بدَّ من ان تظهر وتقوى بالاستعمال يوماً فيوماً . واماَّ الفتاة التي لا ترى المحبة في بيت ابويها فلا تفهم معنى المحبة الحقيقي ولا تدرك شيئاً من لوازمها كانكار الذات وايثار الغير على النفس والاهتمام بالزوج في اليسر والعسر والسرَّاء والضرَّاء

يدَّعي البعض ان هناء المعيشة لا يتوقف على محبَّة الزوجين لان المحبة تضعف مع الزمان وتفتر او تزول بل على اتفاق الاذواق والاكرام المتبادل الذي يزيد بالتقدُّم في السن . هذا هو رأي العزَّاب الذي تقدموا في السن ولعلهُ سبب تأخرهم عن الزواج او ان تأخرهم عن الزواج جعلهم يرتأون هذا الرأي القائل وهم مخطئون في رأيهم وفي تأخرهم عن الزواج سواءٌ كان كلٌّ منهما سبباً او نتيجة

وهل يغني الاكرام المتبادل شيئاً اذا هبَّت عواصف الاختلاف بين الزوجين او اذا ظهر من الزوجة قصور في اتمام اعمالها البيتية او اضطرَّ الزوج ان يغيب عن بيتهِ او ان يقصّر في الاهتمام بشؤونهِ

كل قوانين المنطق وكل قواعد العقل لا تصلح ما يقع من الخلاف بين الزوج والزوجة وانما يصلحهُ الحب المتبادل ولا يصلحهُ سواهُ

المحبة تشرك الزوجين في الفرح مهما كان وتخفف عنهما الترح مهما كان . والمحبة المقصودة هنا لا تقتصر على التدليل والتقبيل بل تتناول كل ما هو فاضل وجميل في الحياة الزوجية فهي التي تبث البهجة في البيت وفي المكتب. هي التي تجيد صحة الطفل وتدمث اخلاق الخادم وترحّب بالضيوف وتيسّر الاعمال وتمنع الخصام وتوثق الوئام

أرأيت زوجاً وزوجة مشهورين ببشاشة الوجه وطلاقة المحيا فاعلم انهما على تمام الحب والوئام لان البشاشة والطلاقة لا تكونان في بيت لا حبّ فيه . واذا ساد الحب والوئام توحّدت المقاصد والاغراض والآمال والاماني والاميال وصار الزوج يسرّ بما يسرّ الزوجة وصارت الزوجة تشارك زوجها في اعماله كلها ولو بالفكر والتصوّر والعواطف وتشعر معهُ بالتعب فتقاسمهُ مسارّ الحياة ومضارها ونعيمها وبؤسها تفرح لنجاحهِ وتستاه لفشلهِ فتزيد سرورهُ بالنجاح وتقلل كدرهُ من الفشل . ورأيان خير من رأي ولاسيما اذا كان القلبان مشتركين . وكم من رجل اخطأ سهمهُ لانهُ لم يكن لهُ زوجة ترشدهُ بفراستها الى معرفة الناس تلك الفراسة التي تمتاز بها المرأة وكأنها مسبار يسبر غور الرجال. وكما تحتاج السفينة الكبيرة الى دفة صغيرة يحتاج الرجل الى امرأة تسدّد حركاته مهما كان كبير العقل عالي الهمة. وما من احد الاَّ وفيه شيء من النقص مهما كان كاملاً وفيه ايضاً شيء من الضعف مهما كان قويًّا حتى الفضائل لا تكون في المرء مجرَّدة بل يكون معها شيء من النقائص. وهنا مزية الزوجة الفاضلة للرجل والزوج الفاضل للمرأة فان كلاً منهما يكمل نقص الآخر

والمرأة المستكملة صفات الزوجة ليست البارعة الجمال ولا البليغة المنطق ولا الذكيَّة الفؤاد ولا المؤلفة الكتب ولا المنشئة الروايات ولا التي تتزين وتتبرج وتقف امام زوجها كالصنم المزوّق ولا المديرة المقتصدة ولا المبذرة المسرفة ولا التي تقضي ايامها في تنظيف بيتها. هذه كلها ليست من المناقب التي تقوم بها الزوجة الكاملة ولا من المثالب التي تعيبها. فقد تكون كذلك وقد لا تكون . وما هي بالمرأة التي فاقت بفضائل مخصوصة ولا هي قعيدة بيتها التي تخيط ثياب زوجها وترفأ جواربهُ ولا هي التي تسافر معهُ وتحمل مشاق الاسفار بل هي التي تدرس طباع زوجها بالمحبة والانعطاف كأنها تدرس كتاباً تشوقها مطالعتهُ

وهذه الزوجة تكون في قصور الامراء وفي اكواخ الصعاليك على حد سوى . وقد تكون قارئة كاتبة متعلمة متبحرة وقد تكون امية لا تعرف الكتابة ولا القراءة . قد تترفع عن الاعمال اليدية وقد تطبخ بيديها كل طعام بيتها . قد تكون حسناء بديعة المنظر وقد لا يكون عليها لمحة من الجمال . قد تكون عذبة المنطق وقد تكون لكناء او مستهجنة اللفظ . انما الشرط اللازم

لها ان تكون تكملةً لزوجها تكمل نقصهُ وتقوم بما يحتاج اليهِ وتساعدهُ وتسرُّهُ وتكون ريحانة لهُ ودعامة لنجاحهِ ولا تترفع عليهِ مهما كانت حالتهُ . هذه هي الزوجة الفاضلة التي استوفت شروط الزوجيَّة

والزوجة الفاضلة تهتم باعمال زوجها حتى تدركها وتحيط بها فتصير تعرف مركزهُ المالي كما يعرفهُ هو وتعرف مقامهُ في الهيئة الاجتماعية وتبذل اقصى جهدها في تعزيزهِ كما كانت تفعل زوجة دزرائيلي وزوجة غلادستون . والزوج يسرُّ بذلك ويود ان يراهُ يزداد في زوجتهِ ويقدر فطنتها وفراستها قدرها ويصير يستشيرها في امورهِ ويجد الاصابة في رأيها ويعاملها كما يعامل الشريك شريكهُ المساوي لهُ عقلاً وادراكاً

وخير ما ينتظرهُ نوع الانسان ان يشارك نساؤُهُ رجالهُ في اعمالهم واشغالهم والعابهم وافراحهم واتراحهم ودرسهم وبحثهم فيثبت لهم ان الراحة والسرور والهناء والرغد والنجاح والفلاح كل ذلك يمكن اجتناؤُهُ من هذه الحياة ولو احاطت بها المشاق كما يجنى العسل من الزهر ولو كان الزهر ساماً واكتنفتهُ الاشواك . هذه هي المرأة التي تنال حقوق المرأة المهضومة ولو لم تلفظ كلمةً في طلبها . وقد وُجدت في العصور الغابرة وهي موجودة الآن وستبقى ما دام الانسان على وجه البسيطة . وغاية ما نتمناهُ ان يزيد عدد النساء الفاضلات حتى يصير اكثر بنات حواء منهنَّ

السمك

السمك من اطيب المآكل واكثرها غذاء وهو في الغالب من ارخصها ثمناً ولاسيما في السواحل البحرية او حيث تكثر الانهر والبحيرات وانواعهُ كثيرة بعضها طيب الطعم جداً غالي الثمن كالسمك المرجاني (سلطان ابرهيم) وبعضها تفه الطعم رخيص الثمن ككثير من السمك النهري

ولا بدَّ من ان يكون السمك جيداً لكي يكون لذيذ الطعم خالياً من الضرر . واصدق علامة للسمك الجديد صلابة جسمهِ اذا شددت عليهِ باصبعك واحمرار خياشيمهِ وصفاء عينيهِ

ويؤْكل السمك مسلوقاً او مقلوًّا او مشويًّا ولا بدَّ من تنظيفهِ وتمليحهِ قبل طبخهِ . ووضعهُ في الماء الشديد الملوحة خير من رش الملح عليهِ ووضعهِ في بطنهِ . ولا يحسن طرح الكبد والبطرخ لانهما لذيذا الطعم جداً فيطبخان مع السمك اي يسلقان معهُ او يقليان او يشويان ويوضعان بجانبهِ حتى يؤْكلا معهُ . واذا اريد سلق السمك يوضع في الماء وهو بارد ثم يوضع على النار واما اذا وضع في الماء وهو غالٍ تشقق جلدهُ قبلما ينضج داخلهُ . وحالما ينضج السمك يرفع من

الماء والاَّ تهرَّأ او زال اكثر طعمهِ او لونهِ . واذا اريد قليهُ يدهن بزلال البيض ويذر عليهِ قليل من الخبز المحمص المدقوق دقًّا ناعمًا . واذا اريد شيهُ يلف بورق مزيَّت ويوضع على النار حتى ينضج . ولا بدَّ من وضع التوابل والبقول مع السمك لكي يزيد طيبًا وسنفصل ذلك في فرصة اخرى

فوائد بيتيَّة

اذا أُضيف قليل من الصودا الى الماء توفر كثير من الصابون . وهي تذاب في ابريق كبير ويضاف منها الى الماء الذي تغسل بهِ الثياب

صف الواح الصابون على رف بعيدًا بعضها عن بعض حتى يتخللها الهواء ويجففها جيدًا فان الصابون الجاف الناشف يوفر الثلث في الاستعمال

اذا احتجت الى زلال البيض للطبخ فاطبخ ايضاً انواع الحلوى التي يستعمل فيها المح (الصفار) حتى لا يضيع شيء سدًى

اذا اعتنى الطبَّاخ بغسل حلل النحاس بقي البياض عليها زمانًا طويلاً والاَّ زال سريعاً . ولا يجوز ترك الطعام في حلل النحاس من يوم الى آخر ولا من ساعة الى أُخرى . واذا زال البياض عنها ولو من بقعة صغيرة وجب ان يعاد تبييضها

اذا تركت آنية الحديد المبيض مبلَّلة صدأت وتخرَّقت فلا بدَّ من تنشيفها دائمًا

اذا تركت الخضر والاثمار في الآنية المعدنيَّة او الخزفيَّة المدهونة حمضت وفسد بها دهان الآنية الخزفيَّة الحمراء وتولَّد من ذلك مادَّة سامَّة . وكذلك يفعل الخل بالآنية الخزفيَّة فالذين يصنعون المخللات في البلاليص والقدور المدهونة يتلفونها ويسمون انفسهم لان في دهان البلاليص والقدور مادَّة تذوب في الخل فيتكوَّن منها سم زعاف . امَّا الخزف الصيني والزجاج فلا يفعل بهما الخل

اذا اغليت القهوة او الشكولاتا او الهلام مدة طويلة زال منها الطعم الطيب

اذا بُلَّ دقاق الفحم بقليل من الماء صارت نارهُ اشد حموًّا من نار الفحم الكبير

اذا انصبَّ الماء البارد على الحديد الزهر المحمى شقَّقهُ

لا بدَّ من ان يكون عند كل ربة بيت دفتر تكتب فيهِ كل ما في بيتها من الاثاث والثياب والصحون والحلل والآنية على اختلافها مع اثمانها ان امكن وتقابل ما في بيتها على هذا الدفتر مرتين في السنة على الاقل ويحسن ان تقابلهُ اربع مرات واذا كان في البيت خادم وسُلِّم شيئًا من امتعة البيت وجب ان يُسلَّم معها قائمة بها وان يكتب حرف او اكثر من اسم صاحب

البيت على كل قطعة من امتعتهِ وعلى الخادم ان يسلم كل ما في عهدتهِ وقت الطلب واذا انكسرت صحفة او تمزَّق منديل فعليهِ ان يري صاحبة البيت شقف الصحفة المكسورة وعلامة المنديل الممزَّق

لا بدَّ من ان يكون في كل بيت ما تكثر الحاجة اليهِ دائمًا كالملح والبهار والسكَّر والبن وان يوضع كل صنف في آنائهِ الخاص بهِ ويجدَّد قبلما ينفد

سوء الظن ليس من المحامد ولكن لا بدَّ منهُ لامانة الخدم وراحة البال فعلى ربَّة البيت ان تزن اللحم والخبز والخضر وكل ما يشتريهِ الخادم او الخادمة لاسيما وان الخادم قد لا يكون غاشًّا بل يكون مغشوشًا

الستائر وغرف النوم

لا يجوز تعليق الستائر الكبيرة الثخينة في غرف النوم ولا سيما اذا كانت مبطنة لانها تحجز الهواء وتحمل الغبار واقبح منها ما اعتادهُ الاوربيون من تجليل اسرتهم بستائر كبيرة من القطيفة او الاطلس فيبيت من في السرير كأنهُ في كوخ ضيق لا منفذ لهُ . وهم يعتذرون عن ذلك بشدَّة البرد في بلادهم مع ان شدَّة البرد لا توجب افساد الهواء وتنفسهُ فاسدًا . وقد رأينا الفقراء منهم والمتوسطي الحال لا يجللون اسرتهم بهذه الستائر ولا في فصل الشتاء ومع ذلك لا يتعبهم البرد اكثر مما يتعب الاغنياء ولكن ان اعتذر الاوربيون بشدَّة البرد في بلادهم فما عذر اهالي بلادنا الذين حذوا حذو الاوربيين في احاطة اسرتهم بستائر كبيرة ثخينة . اما منع الناموس عن النائم فامر واجب صحيًّا وناموسيَّة (كلَّة) التول تفي بهِ ولا تمنع تجديد الهواء ولا تعسر المبالغة في تزيينها

ربة البيت وقت الوباء

توفي في القطر المصري بهذا الوباء الى حين كتابة هذه السطور في اواخر سبتمبر اكثر من ثلاثين الفًا . هؤلاء الذين درت بهم مصلحة الصحة والله يعلم كم عدد الذين توفوا بهِ ولم تدرِ بهم . فقتل الوباء من السكان اكثر مما قتلت حرب البوير

وكان الناس درجات متفاوتة من حيث اتقائهم العدوى فبعضهم اتَّبعوا التدابير الصحيَّة فكانوا يغلون ماءهم قبل شربهِ ولا يأكلون الطعام الَّا مطبوخًا او مسخنًا على النار او مغسولًا بماء غالٍ . ولم نسمع ان احدًا من هؤلاء اصيب بالكوليرا ومات بها الَّا واحدًا اختلفت الروايات

في اتباعهِ التدابير الصحيَّة والذين يثبتون اتباعهُ لها يقولون انهُ سهر في حانة قبلما أُصيب ووضع الوقاية جانباً

وفشت الكوليرا في الاسكندرية ومات بها كثيرون من الاوربيين الذين ينتظر ان يعتنوا بمائهم اكثر مما يعتني الوطنيون ولكن ماء الشرب في الاسكندريَّة غير تام التصفية والباعة يمزجون بهِ اللبن ويغسلون البقول والخضر والفاكهة فمن لا يعدى بشرب الماء قد يعدى باكل فجلة او خسَّة مغسولتين بهِ او بشرب كاس من الكونياك مزجت بالماء

الاَّ ان اغلاء الماء ثم تبريدهُ وغسل الفاكهة بالماء الغالي واتباع الاعتناء التام بنظافة الماء كيفما استعمل كل ذلك ليس بالامر السهل على ربَّة البيت ولا هي قادرة ان تكل امرهُ الى الخدَم ولذلك عدل كثيرات من النساء عن اتباع هذه الوسائط وجاء عدولهنَّ بعد ان علا النيل وزاد الفيضان وانتفى كل خوف من وصول العدوى الى مائهِ فلم يكن لذلك ضرر ظاهر ولكن لو حدثت هذه الكوليرا في التحاريق وقت قلَّة الماء لفتكت بالذين لا يغلون ماءهم كما تفتك بالذين يشربون ماء الترع من غير تقطير . فلو وُجد في البلاد اسلوب لتطهير الماء بنوع عام او لايجاد الماء النقي للسكان بحفر الآبار العميقة واستخراج مائها بالطلمبات فقط ومنع تطرُّق العدوى اليها لانتفت اكبر طرق العدوى وهذا يوصلنا الى بحث آخر يعد من اهم المواضيع الاداريَّة وهو كيف يوجد الماء النقي للسكان ويكون غزيرًا مجانيًا حتى يسهل على الفقير ان يستقي منهُ كما يستقي الغني ويصير الماء النقي مباحاً للجميع كما ابيح لهم النور والهواء يشتركون فيهِ على حدٍ سوى

ثم ان ربات البيوت عانينَ مشاق اخرى من حيث صحة اولادهنَّ وقد جاء اعتناؤهنَّ بفائدة كبيرة فقلت الامراض التي تحدث عادةً في فصل الصيف ويصاب بها الاولاد من اكل الفاكهة وقلة الاعتناء كالاسهال وسوء الهضم كما علمنا من جمهور من الاطباء . فوقع اكثر التعب على ربات البيوت ولكن جاء تعبهنَّ بفائدة كبيرة وعسى ان لا يُدعَيْنَ لمقاومة الوباء مرةً اخرى ولكن لابدَّ من ان يُدعَيْن دواماً لمقاومة امراض الصيف الكثيرة بمثل الوقاية التي جرين عليها هذا العام فان اكثر الاوصاب من الطعام والشراب لا لسم موجود فيهما بالذات بل لانهما قلما يخلوان من الميكروبات الضارة بنوع الانسان ولو لم تكن من الكوليرا في شيء . والنظافة والوقاية لازمتان في غير وقت الكوليرا كما هما لازمتان فيهِ

الفضة القرنفليَّة

تصير الفضة قرنفليَّة اللون اي يضرب لونها الى الحمرة الوردية بتنظيفها ووضعها مدة ثوانٍ قليلة في مذوب كلوريد النحاس القوي السخن



الزجاج اللين

اهتمَّ الزجَّاجون من الاوربيين والاميركيين بعمل الزجاج اللين منذ عهد قديم لانهم رأوا ان القدماء كانوا يصنعون زجاجاً ليناً لا ينكسر كما ينكسر الزجاج عادةً بل يحتمل الطرق وتغيرات الحرارة والبرودة كانهُ النحاس او الفضة وهو شفاف مثل الزجاج المعروف . وقد جاء في السينتفك اميركان الآن ان رجلاً اميركيًّا اسمهُ كوفلد اكتشف اسلوبًا لعمل الزجاج اللين بعد تجارب سنين كثيرة . وكتم طريقة عملهِ لكنهُ قال ان زجاجهُ ليس فيهِ جير (كلس) ولا رصاص . والسر في المواد الكيماوية التي يستعملها وفي نسبة الاجزاء بعضها الى بعض وفي شكل البوائق والاتون

وقد ذكرت السينتفك اميركان التجارب التي يجربها المخترع امام زائريهِ ليقنعهم ان زجاجهُ لا ينكسر وصوَّرتهُ وهو يجري هذه التجارب . من ذلك انهُ وضع مدخنة زجاجيَّة في اناء فيهِ ماء وثلج حتى بردت بردًا شديدًا ثم رُفعت من الماء ووُضعت حالاً على قنديل مشتعل وجُعل لهب القنديل يقع عليها فاجتمع الدخان عليها وجرى عنها مع الماء الذي كان لاصقاً بها من غير ان تنكسر

ووضع مدخنة اخرى على اجر اتون محمَّى حتى حمي جانب منها وذاب من شدَّة الحمو ولم تنكسر

ووضع ماء في مدخنة اخرى ووضعها فوق النار حتى غلى الماء فيها فلم تنكسر ثم طرحها في اناء فيهِ ماء بارد فلم تنكسر

وامسك مدخنة بيدهِ واستعملها كالمطرقة وسمَّر بها صندوقاً كاملاً كأنها مطرقة من الحديد

واستعمل مدخنة قالبًا وسبك عليها مدخنة اخرى من الزجاج فلم تنكسر هي ولا انكسرت المدخنة التي سبكت عليها

وهذا الزجاج شفاف صافٍ مثل الزجاج العادي او اصفى منهُ واذا كان مصهورًا فهو اكثر مرونة من الزجاج العادي ويمكن سبك الآنية الرقيقة منهُ كما يمكن سبك الآنية الثخينة . ويقطع ويخرَّط كما يقطع الزجاج العادي او الخشب ويخرطان

صفائح سبك الحروف

ان الجرائد التي تطبع مئات الالوف من النسخ لا تستطيع ان تطبع هذه النسخ كلها على مطبعة واحدة بل على مطابع عديدة . اما الحروف فتُرتَّب مرة واحدة ويصنع لها صفائح من الورق الثخين توضع عليها وتضغط فترتسم الحروف فيها غائرة وتصير قالبًا يفرغ فيهِ معدن الحروف فيخرج صفيحة كالحروف الاصليَّة المرتبة ويفرغ المعدن ثانية وثالثة فتكثر هذه الصفائح قدر المراد

ويصنع الورق هكذا :

تصنع عصيدة من الدقيق والنشا والطباشير ويبل فرخ من الورق النشاش وتبسط العصيدة عليهِ ويوضع عليها فرخ من الورق المتين ويدهن بالعصيدة ويوضع فوقهُ فرخ آخر من الورق المتين وهلمَّ جرًّا حتى يوضع ستة فروخ من الورق فيكون من ذلك الصفيحة التي يصنع منها القالب

تنظيف الدهان

احضر اجود نوع من الطباشير الناعم جدًّا وبلَّ قطعة من الفلانلا بالماء السخن واعصرها جيدًا وغطها في الطباشير حتى يلصق بها شيء منهُ وامسح بها الدهان فيزول ما عليهِ من الوسخ ثم اغسلهُ بماء نظيف وافركهُ جيدًا بقطعة من الحور الناعم فيظهر كأنهُ جديد

تبييض الفضة

شاع استعمال الفضَّة التي ازيل لمعانها فابيضت وصارت كأنها قديمة . ويبيض لونها هكذا : تحمى الى درجة الحمرة وتترك حتى تبرد ثم توضع في مزيج من جزئين ونصف من الحامض الكبريتيك وخمسين جزءا من الماء وتترك في هذا السائل ساعة او ساعتين فاذا خرجت حسب المطلوب فبها والّا تغسل ويعاد العمل ثم تغسل بماء سخن وتنشف بنشارة الخشب

تجليد الفضة

وشاع ايضًا معالجة الفضة حتى يصير سطحها كأنهُ مغطَّى بالجليد ويتم ذلك بان تحميها وتضعها في مزيج من درهم من الحامض الكبريتيك واربع اواقي من الماء . ولذلك طريقة أُخرى وهي ان تدهن الفضَّة بسائل فيهِ نصف اوقية من سيانيد البوتاسيوم مذابة في ثلاث اواقي من الماء



الدروس السينائية (عدد ١١)

STUDIA SINAITICA No. XI.

هذا الكتاب الحادي عشر من الكتب التي اكتشفتها السيدة اغنس لويس واختها مسز جبصن وترجمتاها وطبعتا اصلها وترجمتها . وهو يشمل انجيل يعقوب الرسول وآيات من الترجمة السبعينيَّة والقرآن وفقرات من البشيتا وبعض التراتيل وذلك كلهُ مكتوب على رق الغزال المطرَّس في القرن الخامس المسيحي وما بعدهُ

وقد قالت مسز لويس في مقدمة هذا الكتاب انها اشترت النسخة الاصلية سنة ١٨٩٥ في السويس وهي مطرَّسة على رق الغزال اي نُحيت الكتابة الاولى عن الرق ثم كتبت عليهِ كتابة اخرى . والكتابة الحديثة عربيَّة من القرن التاسع المسيحي او العاشر وهي فصول من كتب اثناسيوس وفم الذهب وثيودوسيوس ومار افرام ومار يعقوب وغيرهم من الاباء . والكتابة المحموَّة اقدم منها من القرن الثامن وما قبلهُ وخطها العربي كوفي يقرب من الخط النسخي ولكن اكثر ما فيها سرياني . اما العربي فاكثرهُ اجزاء من القرآن والسرياني انجيل يعقوب الرسول وانتقال السيدة . والظاهر ان كاتب الفصول من كتب الآباء لم يلتفت الى ما كان مكتوبًا على هذه الرقوق فطوى كل رق منها اثنين وخاطها كراريس ولم يراع فيها ترتيبها الاصلي

وقد اضطرَّت مسز لويس ان تمضي الى دير طورسينا وتنسخ بيدها ما تعذرت عليها قراءتهُ في هذا الكتاب من الاصل المحو لانها وجدت هناك ما يماثلهُ

امَّا اكتشافها للكتابة العربيَّة القديمة فيهِ فكانت على هذه الصورة قالت : من حينما ابتعت هذا الكتاب لحظت انهُ كانت فيهِ كتابة عربيَّة محوَّة وقد حاولت قراءتها مرارًا فلم استطع لانها لا تظهر الَّا في الحاشية الداخليَّة وكان تجليد الكتاب يمنعني من استجلائها وانا اكرهُ قص خيوطهِ وفك تجليدهِ وزد على ذلك اني لحظت ان الكتابة كوفية تعسر قراءتها وكان همي حينئذٍ موجهًا الى قراءة الاصل السرياني . ثم اضطررت ان افك ملزمة واعالجها بالمادة الكيماوية التي تظهر الكتابة القديمة فظهرت على حواشيها كتابة عربيَّة كوفيَّة وجدت بعد امعان النظر انها آية من سورة دخان "فضلاً من ربك ذلك" فاتضح لي حينئذٍ ان في تلك الرقوق جزءًا

من القرآن من القرن الثامن او السابع للميلاد والخط كلهُ كوفي لا نقط فيهِ ولا شكل لكن الرقوق كانت مقصوصة من جانب من جوانبها لكي تساوي بقيَّة الكتاب فقُص منها كلمة او اكثر من كل سطر

ثم وجدتُ في هذا الكتاب اجزاء اخرى من القرآن مقطوعة من نسخة أُخرى فيها بعض النقط فعلى بعض التاءات نقطتان الواحدة فوق الاخرى وتحت بعض الباءات نقطة . وكتابة النسخة الاولى من القرآن محوَّة تماماً لا تظهر الاَّ بالمظهر الكيماوي واماَّ كتابة النسخة الثانية فظاهرة بعض الظهور

ولم يقتصر كاتب هذا الكتاب على اخذ الرقوق من انجيل يعقوب والقرآن بل اخذ بعضها من حجَّة عربيَّة قديمة فاستعانت مسز لويس على قراءتها بالاستاذ مرغوليوث استاذ العربية في مدرسة اكسفرد فوجدا فيها ما يلي على ترتيبهِ

بسم الله الر]حـــ . . . .

. . . .

. . . . جميعه ارض يضا سق على نهر لا . ه حد

. . . . مزرعة تنسب الى اهل

من عبد الله بن عيسى السكوى ومن اخته سمانة ابنت عيسى ومن ام[ـه

الكتاب بجميع ما يصير لذلك من حق ومرفق وطريق وسرب ومسيل ماء وبكل

مقتضيها منهما عبد الله بن عيسى بن ابي وردان السكوى واخته سمانة

. . . . المـ]ذكور في هذا الكتاب

* * * * * * * * * * * *

عبد الله بن عيسى[بن ابي وردان] السكوى ومن اخته سمانة ابنت عيسى السكوى ومن امه رقـ[ـية] . . مد بحضرتهما شي وهذه القطعة من الارض تعرف بالمزرعة المتوجها لى الراشدية حدها م[ن] ورحبتها ومن الغرب تنتهي الى مزرعة تنسب الى ابي سعيد بن ايوب وصالح بن فار اشترى اسط ر]قية ابنت محمد بن عمرو ومن . . . واسماء ابنت عبد الله هذا المذكور سابقاً من جميع د . . . ولد . . . الوجوه كلها باثنين وعشرين ديناراً ذهباً عيناً ماه و . . . جيادا د . . . عيـ[سى وامه رقية ابنت محمد بن عمرو وحفيدتها اسماء ابنت عبد الله وافية بجوده وابراوهـ[م] بجميع حقوقهِ عند عقدهِ هذا البيع المسمى في هذا الكتاب من قبلهِ لم يحق عليهم شيء منهُ

* * * * * * * * * * * *

. . . . لا فساد فيهِ ولا باس ولا خسار فكل ما ارادوا . . . . .
فعلى الجماعة المسمين في هذا الكتاب ان يسلموا لها واليهما كل حق يجب لها عليهم
لها عن صاحب امرهم جميع الدين . . . . . يجب عليهم ان يأخذوهم بذلك
حياته وصيا عنهُ دون ما سواهُ بعد وفاتهم راض كل واحد منهم بما حكم ع . .
. . . .
بدين . . . يجيءُ بحق ثابت نحو ام واخت لا من لا حق لها بعينها في ذلك ولا . . .
لهم دونهما وهؤلا لهم ولكل واحد منهم المطالبة بها . اوجبهُ الحق لهم
اقر عبد الله بن ابي وردان السكوي عن اختهِ سمانة ابنة عيسى وامهِ رقية
. . . . واقروا بسماعهِ وفهمهِ ومعرفته واشهدوا بذلك كلهِ

هذا وقد نشرنا الصورة التي قرئ بها هذا الكتاب حتى اذا استطاع احد من القراء ان يصلح شيئًا فيها بمقابلتها بحجة قديمة وافانا باصلاحهِ ولهُ الشكر سلفًا . اما انجيل يعقوب وانتقال السيدة فنشرت اصلهما السرياني وترجمتهما الانكليزية

تربة الفيوم وماؤُها

Soil and Water of the Fayum Province *by* **A. Lucas F. C. S. etc.**

من الكتب ما نودُّ ان نُعفى من تقريظهِ او ما لا نعنى بالالتفات اليهِ الاَّ دفعًا للعتاب ومنها ما نسعى الى تقريظهِ سعيًا لكي نرصّع المقتطف ببعض فوائدهِ ومن ذلك هذه الرسالة فان فيها من الفوائد ما لا نجدهُ في غيرها وهي مما تهمُّ معرفتهُ كل العاملين بالزراعة من ابناء هذا القطر

قال الكاتب ان نحو خمسين عينة من ماء الري الذي يستعمل في الفيوم وستين عينةً من ترابها أُخذت من الجانب الشرقي من تلك المديريَّة وحُلِّلت في المعمل الكيماوي التابع لقسم المساحة ثم بيَّن نتيجة ذلك في هذه الرسالة بعد ان بيَّن الاساليب التي جرى عليها في التحليل لمعرفة كل مركَّب من المركبات التي في تربة الفيوم ومائها . والغرض من ذلك ان يعرف ما اذا كان خصب الاطيان في الفيوم آخذًا في النقص وما هو سبب ذلك لاجل تلافيهِ . وقال في النتيجة ان الخصب ينقص امَّا بنفاد عنصر من العناصر اللازمة لنمو المزروعات او بتولد مادة سامَّة تمنع نموها وهذا السبب الاخير هو السبب الظاهر لقلَّة الخصب هناك ولذلك اقتصر البحث عليهِ فبان ان المواد التي تقلل خصب الارض هي ملح الطعام (كلوريد الصوديوم) وكبريتات الصوديوم . والضرر الاكبر من اولها اي من الملح

وقد ثبت من التجارب في اميركا انهُ اذا كان الملح موجودًا في الارض الى حد ربع في المئة فهو غير ضار واذا وجد من حد ربع في المئة الى نصف في المئة فضررهُ قليل لا يمنع نمو النبات . واذا كان اكثر من نصف في المئة فهو ضار ويمنع نمو النبات وهذا شأن كبريتات الصوديوم ايضاً

امَّا ماء الري فان كان كثير الملح بقي ملحهُ في التربة وقلما يتبخر فيتراكم فيها مع الزمان ويجعلها غير صالحة لنمو النبات ولكن اذا كانت مصارف الارض جيدة فلا خوف من الماء ولو كان فيهِ شيء من الملح لان الملح يذهب مع ماء الصرف . وقد وجد في اميركا ان غاية ما يمكن وجودهُ في الماء من الاملاح من غير ان تضرَّ بالنبات ضررًا كبيرًا هو خمسة اجزاء في الالف او نصف في المئة وقد يظهر الضرر قبل ذلك حتى لو كانت الاملاح ربعاً في الالف . اما الاملاح التي تكون ذائبة في الماء عادةً فليست ضارَّة جميعها بل نصفها ضار ونصفها غير ضار

وقد امتحن ٤٨ عينة من ماء الفيوم فلم يبلغ الملح ثلاثة في الالف الَّا في عينة واحدة منها وهي مأخوذة في ابريل من الطرف الاخير من مصرف من المصارف الكبيرة ولذلك فالمياهُ في كل ترع الفيوم ومصارفها سواءٌ أُخذت في يناير او فبراير او مارس او ابريل جيدة جميعها حسب التقدير الاميركي وصالحة للري واذا ظهر ضرر في المزروعات فهو من الملح الذي في الارض لا من الملح الذي في ماء الري

لكن اذا كان ماء الري خاليًا من الاملاح الضارَّة فارض الفيوم قلما تكون خالية منها حتى الاطيان الجيدة لا تخلو من شيء قليل من الملح كما ظهر من تحليل العينات المشار اليها آنفاً . فاقل ما وجد فيها من ملح الطعام نحو ربع في الالف واكثرهُ نحو واحد وربع في المئة . والملح في الطبقة السفلى من الارض الزراعية اكثر منهُ في الطبقة السطحيَّة . والملح كثير في رمل الصحراء خارج الارض الزراعية وما تحتها من الطفال والحجر الجيري فهناك اصل الملح الذي في الاطيان الزراعيَّة

وحلِّل المليح (اي الطبقة البيضاء التي تكون على وجه الارض) فوجد مزيجاً من الملح وكبريتات الصودا . وكان الملح في بعض العينات اربعة او خمسة في المئة وما بقي كبريتات الصودا وكان الملح في البعض الآخر ٧٧ في المئة والباقي وهو ٢٣ في المئة كبريتات الصودا .

وحلِّلت عينات مختلفة من السباخ الكفري فوجد الملح فيها من اثنين في المئة الى ٤ ١/٢ في المئة ولذلك فالملح كثير في انواع السباخ الكفري التي حلِّلت

وظهر من البحث في اطيان الفيوم ان الاطيان الواطئة تحمل ضرر الاطيان العالية بما ينصبُّ فيها من مصارف الاطيان العالية او يرشح اليها منها . ويزيد الضرر بزيادة الري اذا لم تنشأ المصارف المتقنة وكل زيادة في الماء المستعمل لري الاطيان العالية لا بدَّ من ان يظهر

ضررها في الاطيان الواطئة وكذلك الترع العالية تجرف الاملاح من الاراضي المارة فيها وتوصلها الى الاطيان التي تروى منها ويصل الضرر اخيرًا الى الاطيان الواطئة

والعلاج لذلك كلهِ واضح وهو انشاء المصارف المتقنة ومنع الرشح من الترع ان امكن والاقتصاد التام في استعمال الماء في الاطيان العالية

وحبذا لو توسَّع المؤلف في هذا الموضوع ونشر ما يكتبهُ فيهِ باللغة العربيَّة لغة اهالي البلاد الذين يُنفق على هذه التجارب والامتحانات من مالهم ويجب ان يستفيدوا منها قبل غيرهم

الوقاية الصحية

هي رسالة صغيرة الحجم كبيرة النفع ترجمها حضرة الاديب محمد افندي خيري من كتاب قانون الصحَّة تأليف الدكتور اوبرت والمسيو لا برستي المطبوع سنة ١٨٩٣ وترجم فصل الطاعون من دائرة المعارف الفرنسويَّة الكبرى . ولقد احسن في الاشارة الى مآخذ هذه الرسالة لان مواضيعها طبيَّة لا يعتمد فيها على غير الطبيب الماهر. وهي فصول في نظافة الجسم ونظافة المأكل والمشرب والهواء والتنفُّس والملابس والمساكن. وبعض الامراض المعدية كالسل والدفتيريا. وعبارتها سهلة وحبذا لو جرى دائمًا على مصطلحات الذين كتبوا قبلهُ في هذه المواضيع ولاسيما في الاسماء الكيماوية التي توصل بها حروف مخصوصة تدل على المركب بعينهِ وعلى عناصرهِ الكيماوية فاذا تصرف المترجم فيها فسد المعنى ويتضح مرادنا بذلك من كلمة حامض كبريتيك وحامض كبريتوس فان الذي لم يتعلَّم علم الكيمياء ولم يتخرَّج فيهِ حسب ان حرفي يك في كبريتيك وحرفي وس في كبريتوس هما لمجرَّد النسبة فترجم الكلمتين بالحامض الكبريتي مع انهما مادتان مختلفتان تمام الاختلاف والفرق بينهما كالفرق بين الحجر والبيت فاذا جاز ان نترجمهما بكلمة واحدة كأَن معناهما واحد جاز ان نترجم كلمة كبريتيك وكبريتوس بكلمة واحدة ونحسب معناهما واحدًا

هذا واننا نرى اكبر عيب في ترجمة المواضيع العلميَّة قصور المترجمين في معرفة المصطلحات العلمية ولاسيما الكيماوية منها

السائح الازهري

هي الرواية التاسعة من مسامرات الشعب وضعها حضرة الكاتب الاديب زكريا افندي نامق وجعل مدارها على شيخ ازهري تقلَّبت عليهِ الشؤُون وبيَّن فيها تأَثُّر الانسان باحوال الزمان والمكان "وان الغنى قد يبعث الى المفسدة والسعادة لا تكون في الثروة وان راحة الضمير وسعادة العائلة لا تقوم الاَّ بالزواج" . وقد اكثر الكاتب من ذكر الآيات القرآنية دبج بها عبارتهُ تدبيجًا فاكتسبت منها الرواية بلاغةً تزيد وقعها في النفوس

باب المسائل

فتحنا هذا الباب منذ اول انشاء المقتطف ووعدنا ان نجيب فيه مسائل المشتركين التي لا تخرج عن دائرة بحث المقتطف. ويشترط على السائل (١) ان يمضي مسائله باسمه والقابه ومحل اقامته امضاء واضحاً (٢) اذا لم يرد السائل التصريح باسمه عند ادراج سؤاله فليذكر ذلك لنا ويعين حروفاً تدرج مكان اسمه (٣) اذا لم ندرج السؤال بعد شهرين من ارساله الينا فليكرره سائله فان لم ندرجه بعد شهر آخر نكون قد اهملناه لسبب كافٍ

(١) عدوى الكوليرا

طنطا . الخواجه يوسف اسحق هراري . يظهر مما كتبتموهُ في المقتطف والمقطم ومما نشرتهُ مصلحة الصحة ان للكوليرا ميكروباً فتاكاً فتالاً يدخل امعاء البشر بواسطة شرب الماء او اكل الطعام اذا كان هذا الميكروب قد اتصل بهما من مبرزات شخص مصاب بالكوليرا لانها تكون مشحونة بهذا الميكروب . وقد قلتم ان ما كان اسلافنا يعتقدونهُ من ان سبب الكوليرا فساد في الجو وان الانسان يصاب بالتنفُّس جميع ذلك باطل . ولكن لماذا كان هذا الداء ينتشر في ايام اسلافنا ثم يزول من نفسهِ بعد ثلاثة اشهر ان لم يكن سببهُ في الهواء نرجو ايضاح ذلك بالاسهاب ولكم الفضل

ج اولاً ان الكوليرا تقيم شهراً او اكثر حسب التدابير التي تتخذ لمقاومتها فاذا لم تقاوم فالغالب انها لا تقيم اكثر من شهر في البلد الواحد واذا قاومها السكان او الحكومة بعد انتشارها فالغالب انها تقيم زمناً اطول . فالكوليرا التي حدثت في القطر المصري في عهد محمد علي باشا سنة ١٨٣١ لم تقم في كل بلد الا نحو شهر مع انها كانت فتاكة جداً فتكت بنحو مئة الف او اكثر من السكان على قلتهم حينئذٍ . وفشت سنة ١٨٦٥ ففتكت بنحو ثمانين الفاً من السكان وسنة ١٨٨٣ ففتكت بنحو ثمانين الفاً ايضاً وظهرت في مايو سنة ١٨٩٥ ودامت الى سبتمبر سنة ١٨٩٦ ولم يمت بها الا نحو عشرين الفاً . وسبب فتكها ببعض السكان وعدم فتكها بالبعض الآخر وسبب رحيلها السريع اذا لم تقاوَم وطول اقامتها اذا قاومها السكان بعد انتشارها بينهم هو انها لا تفعل الا بالذين اجسامهم مستعدة لفعلها بضعف معدهم وامعائهم او بسبب آخر غير معروف . اما ضعف المعدة فظاهر من ان المعدة التي في حالة الصحة تكون عصارتها حامضة واذا كانت عصارة المعدة حامضة مات ميكروب الكوليرا فيها . فاذا دخلت مدينة من المدن ولم يتعرَّض لها الا نفر قليل من اهاليها واصيب بعضهم بها ودرى بهم

اولياء الامور ومنعوا انتقال العدوى منهم الى غيرهم انحصر المرض فيهم ولم ينتشر في المدينة. وقد حدث ذلك مرارًا في البلاد الانكليزيَّة منذ عشرين سنة الى الآن . واذا لم يدرِ بهم اولياء الامور او لم تتخذ التدابير اللازمة لمنع انتشار العدوى واتصلت الى الماء الذي يشرب منهُ السكان كلهم او بعضهم تعرَّض لها كل الذين يشربون من ذلك الماء ولكن لا يكونون كلهم مستعدين لمرور ميكروب الكوليرا في معدهم سليمًا ووصولهِ الى امعائهم حيث يفعل فعلهُ الذريع لانهُ لا يبقى سليمًا اذا كانت المعدة سليمة ولذلك لا يصاب بهِ منهم الَّا الذين معدهم غير سليمة . فاذا اصيب هؤُلاء وماتوا ولم يبقَ احد مستعدًّا للاصابة بها زالت من ذلك البلد . واذا استعملت الوسائط الفعالة لمقاومتها بعد انتشارها في البلد لم تتمكن من الوصول الى كل المستعدين للاصابة بها دفعةً واحدةً فيبقى هؤُلاء معرضين لها ما دامت جراثيمها في بلدهم فيصاب بها منهم الواحد بعد الآخر ولذلك تطول مدتها في بلدهم. فان تغلَّب الناس عليها بالتدابير الصحية كاقفال الآبار الملوثة واطلاق الماء الغزير في الترع زال ميكروبها منهُ قبل ان يفتك بكل المعرَّضين لهُ من الاهالي ولذلك تطول مدتها ويقل فتكها

وثانيًا انهُ لم تبقَ شبهة الآن في ان الكوليرا ناتجة عن نوع من الاحياء الصغيرة التي سميناها ميكروبات . نعم قد اشتبه العلماء في ذلك في اول الامر حينما اكتشف كوخ ميكروب الكوليرا في القطر المصري وقاوموهُ زمانًا طويلاً ولكن ثبت اخيرًا بالتجارب العمليَّة الكثيرة ان الكوليرا ناتجة عن هذا الميكروب لا عن سواهُ

ولو استطاع اهالي هذا القطر كلهم ان يحكموا بماء الشرب كما يحكم بهِ اهالي لندن وجنيفا مثلاً لما كنَّا نخاف من الكوليرا فيهِ اكثر مما نخاف من ضربة الشمس. ولكن معرفة هذه الحقيقة وهي ان الكوليرا ناتجة من العدوى بجرثومة خاصَّة وهذه الجرثومة تنتقل من المصاب الى السليم بواسطة ماء الشرب غالبًا قد افادت كثيرًا في قمع الكوليرا وتخفيف وطأتها وتقليل فتكها حتى في هذا القطر

---

(٢) عدد اليهود

مصر . الخواجه اسرائيل موريس نرجو ان تفيدونا عن عدد اليهود حسب آخر تقويم في اوربا وفي اسيا وفي افريقية وفي اميركا وفي سائر العالم

ج عددهم في اوربا نحو ٦٧٥٠٠٠٠
وفي اسيا نحو ٠٥٠٠٠٠٠
« افريقية « ٠٣٥٠٠٠٠
« اميركا « ٠٥٠٠٠٠٠
« استراليا « ٠٠٢٠٠٠٠

والجملة ٨١٢٠٠٠٠

وذلك حسب احصاء سنة ١٨٨٨ ولا يبعد ان يكون عددهم الآن عشرة ملايين او اكثر

---

(٣) السنون الهجرية والميلادية

سنورس . عزيز افندي ابرهيم . سنة ١٢٥٠ الهجريَّة توافق اي سنة من سني الميلاد وكذا سنة ١٢٥٢ هجريَّة توافق اي سنة من سنين الميلاد

ج ان سنة ١٢٥٠ ابتدأت في ١٠ مايو سنة ١٨٣٤ وانتهت في ٢٨ ابريل سنة ١٨٣٥ فبعضها يوافق سنة ١٨٣٤ وبعضها سنة ١٨٣٥ . واما سنة ١٨٥٢ فابتدأت في ١٨ ابريل سنة ١٨٣٦ وانتهت في ٦ ابريل سنة ١٨٣٧

---

(٤) احسن آلة بخارية

مصر . احد التجار . لمن آخر اختراع لاحسن آلة بخاريَّة تدار بزيت البترول لطحن الغلال بحيث تكون متينة الصنعة ومصروفها غاية في الاقتصاد

ج ان الآلة المعروفة بآلة متزوويس Mietz and Weiss Kerosene Engine الاميركية نالت الجائزة الكبرى في معرض باريس الاخير والمدالية الذهبية في المعرض الاميركي الاخير ويقال انها في غاية المتانة وتمام الاقتصاد . وادارة المقتطف تعلم وكيلها في القاهرة

(٥) عدم ملوحة المطر

ثابوكس بالبرازيل . الخواجه الياس مارون . نعلم ان ما تمطره علينا السماء هو من البحر وماء البحر مالح فكيف يصل الينا المطر عذباً لا ملح فيهِ

ج ان ماء البحر وحده يصعد بخاراً ولا يصعد الملح معهُ لانهُ لا يتبخر بالحرارة كما يتبخر الماء . ويتضح لكم ذلك بان تذيبوا درهماً من الملح في فنجان من الماء وتضعوا الماء في الشمس او فوق النار فيتحوَّل بخاراً ويطير واما درهم الملح فيبقى كلهُ في الفنجان ولذلك فالمطر المتولد من البخار يكون خالياً من الملح

(٦) اصابة العين

ومنهُ . يعتقد البعض ان مرض الاطفال ناتج عن الاصابة بالعين فهل ذلك صحيح

ج كلاَّ وكل ما رُوي من هذا القبيل خرافات لا تحتمل الامتحان

---

(٧) الالعاب الرياضية

تاهيا . الخواجه ادولف مارون . هل تنفع الالعاب الرياضيَّة من كان في سن الخامسة والعشرين فما فوق وهو لم يتمرَّن عليها في حداثتهِ

ج نعم تنفعهُ كما تنفع حديث السن

---

(٨) دائرة المعارف الانكليزية

بولاق . محمود افندي زكي الجزيري . يفهم من مطالعة مقتطفكم الاخير ان دائرة

المعارف الانكليزيَّة تراجع ويعاد طبعها الآن فان كان ما فهمناهُ صحيحاً فنرجو ان تتكرموا بتعريفنا عن اسم الملتزم وكم هي المدة المقدرة لهذا العمل وكم قيمة الاشتراك وطريقة دفعها وكم طبع منها الى الآن وما هو رأيكم فيها

ج ان الذي اشرتم اليهِ هو ملحق بالانسكلوبيذيا البريطانية وهو احد عشر مجلداً كبيراً في كل مجلد منها اكثر من ثمانمئة صفحة شرعت ادارة جريدة التيمس في طبعها هذا العام فصدر المجلد الاول منها في شهر مايو الماضي والمجلد الثاني في شهر يونيو ولا تتم سنة حتى تصدر المجلدات كلها لانهُ يصدر منها مجلد كل شهر وقد اناطت بكتابة مقالاتها اكبر علماء اوربا واميركا ويظهر لنا مما قرأناهُ في انتقاد بعض مقالاتها انها ليست على تمام المراد لان العالم الكبير يكون لهُ مذهب خاص في العلم غالباً فيعززهُ ولا يعبأُ كثيراً بما سواهُ فلو انيطت كتابة مقالاتها بالكتَّاب المعدودين بين معممي المعارف وطُلب من كبار العلماء ان يراجعوا مقالاتهم وينقحوها لكان ذلك اتم فائدة . وهذه الاجزاء الاحد عشر لا تغني عن الخمسة والعشرين مجلداً التي هي الطبعة التاسعة من الانسكلوبيذيا البريطانية ولكنها تتمة لها يذكر فيها ما جدَّ في العلوم والمعارف والاخبار والحوادث بعد طبع تلك وما تمحَّص وتنوَّع

ويقال ان ادارة التيمس ستنفق على هذه المجلدات نحو مئة الف جنيه . امَّا قيمة الاشتراك وطرق الدفع فتخابر بها ادارة التيمس وباعة الكتب الاوربيَّة

---

(٩) حياة مكروب الكوليرا

المطرية السيد حسين العقاد . لكل حي اجل على وجه الارض تنتهي حياتهُ بانتهائهِ فهل يصدق ذلك على انواع الميكروبات وخصوصاً ميكروب الكوليرا . فقد ثبت ان تغيرات الجو تلائم بعض هذه الاحياء الصغيرة وتضرُّ البعض الآخر فهل ميكروب الكوليرا يعيش في كل فصل من فصول السنة او لهُ وقت مخصوص ينمو فيهِ (بعد التلوُّث بهِ طبعاً) ويكثر ثم يأتي عليهِ زمن آخر يموت لعدم ملائمة الجو او لقضاء اجلهِ او هي المضادات التي تكون سبباً في محو اثرهِ

ج ان ميكروب الكوليرا يعيش في كل فصل من فصول السنة واذا وجد غذاءً يغتذي بهِ تكاثر حالاً بالانقسام اي ان الفرد منهُ يصير اثنين او اكثر فيكون قد زال هو بعينهِ وخلَّف نسلاً بدلاً منهُ وكل فرد من نسلهِ يكبر ويبلغ اشدَّهُ سريعاً ويتكاثر بالانقسام وهلمَّ جرًّا ويبقى كذلك الى ما شاء الله بدليل ان الكوليرا الاسيوية هذه معروفة منذ اكثر من اربع مئة سنة فلم يزل ميكروبها يتناسل من ذلك الحين . واذا لم يجد غذاءً كافياً لتكاثرهِ ولم يعرض لهُ شيءٌ يأكلهُ او يميتهُ فالغالب

انهُ يبقى حيًّا بضعة اشهر فقط فقد صنع بعضهم حوضاً كبيرًا ملأهُ ماء ووضع فيهِ ترابًا واعشابًا مائيَّة وسمكًا وانواعًا مختلفة من الميكروبات التي تكون في الماء عادة وادخل فيهِ خمسة آلاف ميكروب من ميكروبات الكوليرا ووضعهُ بحيث يقع عليهِ نور الشمس وابقاهُ ثلاثة اشهر ثم فتش فيهِ عن ميكروب الكوليرا فوجد شيئًا منهُ في الماء وفي الطين الذي في اسفل الحوض وعلى الاعشاب المائية النامية فيهِ . ثم زال هذا الميكروب منهُ تمامًا وآخر ما زال منهُ الطين الذي في اسفل الحوض . ولكن اذا كان الماء جاريًا زال الميكروب منهُ سريعًا

وثبت من مباحث الدكتور بالرمو الايطالي ان نور الشمس يضعف ميكروب الكوليرا اذا تعرَّض لهُ من ثلاث ساعات الى اربع فلا يعود يحدث الكوليرا ولو لم يمت

وقد ابنَّا في جواب السؤال الاول سبب بقائهِ في البلد الواحد زمانًا طويلاً او قصيرًا وفعل التدابير الصحية في مقاومتهِ وطول مدة اقامتهِ

---

(١٠) الصفائح البابلية

بغداد . الخواجه اسكندر مسيح . ذكرتم في مقتطف يونيو ان قد كشفت اربع مئة صفيحة من صفائح الاجر البابليَّة في مكان اسمهُ نشان الاسود فنرجو ان تخبرونا اين هذا المكان ومن وجد هذه القطع وبيد من هي الآن وماذا وجد فيها ومن اين نقلتم هذا الخبر

ج اكتشف هذه الصفائح الباحثون الالمانيون من الجمعية الشرقية الالمانية في موقع بابل القديمة ونظن انها لا تزال في يدهم وقد قرئت الكتابة التي على صفيحتين منها فوجد في الواحدة خلاصة شرح الكتابة السفينية البابليَّة وهي قاموس جزيل الفائدة وفي الثانية النشيد الذي كان ينشد في هيكل اساجيلا عند رجوع المعبود مردُك الى هيكلهِ . ونظن اننا نقلنا الخبر عن جريدة نانشر او عن السينتفك اميركان او عن مجلَّة العلم العام الاميركية او غيرها من الجرائد العلمية . والخبر منقول اصلاً عن تقرير الجمعية الشرقية الالمانية الذي نشر في الربيع الماضي

(١١) الآلة البخارية الشمسية

ومنهُ . نرجو ان تزيدونا بيانًا عن الآلة البخاريَّة الشمسية التي ورد ذكرها في الصفحة ٣٨٢ من مقتطف السنة الماضية و ١٩٢ من مقتطف هذه السنة

ج لم نقف حتى الآن على شيء جديد من هذا القبيل ولا ينتظر ان استعمال هذه الآلة ينتشر كثيرًا بل يبقى محصورًا في البلاد التي حرارة الشمس فيها شديدة في اكثر ايام السنة . ثم ان الذين يستعملون الآلة البخاريَّة يطلبون ان يكونوا حاكمين عليها يديرونها وقتما يشاؤُون ويوقفونها وقتما يشاؤُون والآلة الشمسية ليست كذلك بل هي خاضعة لحكم الشمس تدور حينما تشرق عليها وتقف حينما تحتجب

عنها فلا ينتظر ان تستخدم في الاعمال التي فيها عمَّال او التي يراد التدقيق في عملها الَّا اذا اضيفت اليها آلة رخيصة تخزن القوة من وقت الى آخر واستعمالها عند الحاجة اليها وهذا ليس بالامر البعيد . امَّا بقية ما طلبتم معرفتهُ عن هذه الآلة فسنكتب الى اميركا نسأل عنهُ

(١٢) بناء جسم الانسان

ومنهُ . سألكم نسيم افندي فهمي كيف يعيش الانسان بعد نزع ثلثي امعائهِ حالة كون الخالق لو لم يعرف اهميَّة لزوم اقل عضو او عرق في الانسان ما كان خلقهُ فيهِ . فهل يمكن ان يجاب ان كل المخلوقات وجدت بنظام بديع اي ان كل دقائقها واجزائها واعضائها مقومة بعضها لبعض ومتعاضدة على اكمال الوظائف ونمو الجسم وحياتهِ وقضاء حاجاتهِ الخارجية والداخلية وهذا ينطبق ايضاً على ناموس بقاء الانسب لانهُ لو لم يكن لزوم او فائدة من الاعضاء المنزوعة ما كانت بقيت حتى اليوم غير ان الجسم لا يموت اذا نزعت منهُ بعض تلك الاعضاء او قسم منها لان الباقي من الاعضاء يقوم بما يحتاج اليهِ الجسم كما اجبتم لكن تضعف مقدرتهُ على النمو وعلى مقاومة العوارض التي تطرأُ عليهِ وعلى قضاء حاجاتهِ حسب اهمية العضو المنزوع والَّا فهل نقدر ان نقول ان فسيولوجية الانسان ستتغير وتتغيَّر اعضاؤُهُ ايضاً حتى يمكن الاستغناء عنها فتزول ولا يبقى فيهِ الَّا ما تمسُّ الحاجة اليهِ والى اي حدّ يصل هذا التغير

ج ان جوابكم حسن الَّا في الاعضاء الرئيسة كالقلب فانهُ لا يمكن نزعها ويبقى الجسم حيًّا . والتغيير الذي اشرتم اليهِ ممكن وهو جارٍ الآن فقد زال ضرس العقل من كثيرين للاستغناء عنهُ كما ضعفت العضلات التي تحرك الاذن حتى كادت تزول لكن هذا التغيُّر بطيء جدًّا يقتضي الوفاً كثيرة من السنين وقد تعترضهُ امور لا نعلمها فلا يجري في الخطَّة التي نظنها ولذلك فكل قول من هذا القبيل ظنون ورجم بالغيب ومن هذه الظنون واغربها ان دماغ الانسان سيزيد نموًّا وجسمهُ ضعفاً حتى يصير اكثرهُ دماغاً . هذا ولا يعلم الى اين ينتهي التغير ولا ما هو مستقبل الانسان على هذه البسيطة

---

(١٣) صلصة الطماطم

بني مزار . محمود افندي كاني . كيف تعمل الصلصه من الطماطم حتى تحفظ مدة طويلة

ج نظن انكم تريدون بالصلصه ما يسمَّى عندنا برب الطماطم وهو يصنع هكذا يقطع الطماطم في المساء ويذر عليهِ الملح ويترك الى الصباح . وفي الصباح يمرث ويوضع في منخل دقيق او كيس من الشاش ويفرك حتى يخرج كل العصار منهُ ولا يخرج معهُ شيء من البزر ولا من القشر . ويضاف اليهِ ما يكفي

من الملح والبهار ويغلى على نار معتدلة حتى يشتد قوامهُ فيوضع في قناني نظيفة ويغطى بورق مزيت فيحفظ زمناً طويلاً

(١٤) اصلاح الارض الضعيفة

ومنهُ . الاراضي الزراعية الضعيفة التي ريها وصرفها منتظمان هل يمكن اصلاحها حتى تضاهي الاراضي الخصيبة وفي كم سنة يتم ذلك

ج ان كان ضعفها ناتجاً عن وجود ملح فيها فاذا عمقت مصارفها كثيراً واتقن صرفها زال سبب ضعفها في مدة ثلاث سنوات او اربع . واذا كان ضعفها ناتجاً عن قلة المواد المغذية فيها فلا تصلح الّا باضافة السباخ البلدي او الكيماوي اليها والغالب ان السباخ يجيدها في بضع سنوات ايضاً . والظاهر ان الزرع المتوالي واختلاط تراب الارض بتراب ارض اخرى جيدة يوجدان فيها انواعاً من الميكروبات لازمة لجودتها لانها تكوّن فيها الغذاء اللازم للمزروعات فاذا امكن جمع هذه الميكروبات وبثها في الارض اي تطعيمها بها قرب زمن اصلاحها ويقال ان الالمانيين جمعوا الميكروب الذي يجيد الارض لزرع القطاني وهم يبيعونهُ الآن باسم النيتراجين . والسباخ الكفري قلما يصلح الارض الضعيفة لان فيهِ املاحاً كثيرة تبقى فيها وتزيدها ضعفاً

واذا كان صرف الارض غير منتظم او غير ممكن فلا يمكن اصلاحها بوجه من الوجوه

(١٥) جابر ابن حيان

الشين . حنا افندي شيبه . قال جابر ابن حيّان الصابي في كتاب لهُ في فن الكيمياء في باب التدبير " اعلم يا هذا ايدك الله بروحهِ ان التدبير هو اعتدال الحار بالبارد والعكس وهذه الصناعة حكمها حكم الانسان من كل جهة وهذا لا يخفى على هذه الفطنة من ان الجسد العليل دواؤهُ عكس ما يعترضهُ من انحراف المزاج " . . . . الى ان قال "ان النبات اذا نما فوق الارض فصار كاملاً وأُكل صار غذاء فتصيرهُ الحرارة دماً وماء ثم نطفة ثم علقة ثم خلقاً في بطن امهِ ثم اذا ولد وربتهُ امهُ صار حيًّا مريداً مفكرًا عاقلاً بالامور حر الادارة فكذلك الاجزاء المعدنية نقيمها مقام النبات والانبيق معدة لابيها وبطن لامها فاذا صارت كاملة اشبهت الانسان تتغير بها المعادن وتنتقل مراتبها من الاسفل الى الاعلى . ولهُ جملة كلام من هذا القبيل يفيد انهُ مخترع الاحماض الحالية ونرجو ان تفيدونا عن تاريخ حياتهِ ومؤلفاتهِ والصحيح منها وافادتنا عن صحة ما نقلناهُ آنفاً

ج قيل هو ابو موسى جابر بن حيّان بن عبد الله الصوفي الطرسوسي الكوفي ذكرهُ الورّاق في كتاب الفهرست الذي الفهُ سنة ٣٧٨ للهجرة وذكر لهُ خمس مئة كتاب في الكيمياء وغيرها ولا يزال كثير من كتب الكيمياء العربية في مكاتب اوربا وعليها اسم

جابر بن حيَّان . وقد ترجم بعض كتبهِ الى اللاتينية والانكليزية ويظهر منها انهُ هو الذي اكتشف حجر جهنم والسليماني وطريقة تمحيص الذهب والفضة وطرق التقطير الثلاث التصعيد والتكثيف والترشيح واعاد اكتشاف ماء الفضة واملاح النشادر وهو القائل ان المعادن كلها مركبة من الزيبق والزرنيخ والكبريت على درجات مختلفة وباختلاف الحرارة والبرودة والرطوبة والجفاف مستدلاً على ذلك بقياس التمثيل الذي اشرتم اليهِ في ما نُقل عنهُ

الآن ان كثيرين من الباحثين في كتبهِ من علماء اوربا يرجحون انهُ شخص وهمي وان الكتب المنسوبة اليهِ الَّفها او ترجمها اناس كثيرون في ازمنة مختلفة . وربما اشبعنا الكلام عليهِ في فرصة اخرى . اما رأيهُ وهو تحويل المعادن من نوع الى نوع آخر حتى تصير الفضة ذهباً والرصاص فضة فليس من الامور المستحيلة لذاتها لان جواهر العناصر الاصلية يحتمل ان تكون كلها واحدة وانما اختلفت صورها وسائر خواصها باختلاف وضعها بعضها مع بعض كما ينسج من الخيوط الواحدة نسيج متقارب الخيوط ونسيج متباعدها ولكن لا دليل على ان احداً من الناس استطاع ان يحول الفضة ذهباً او الرصاص فضةً مع ان كثيرين حاولوا ذلك ولا يزال كثيرون يحاولونهُ

(١٦) برج بابل

فاقوس . عبد العال افندي محمد . نرجو ان تتفضلوا لنا مسألة برج بابل اين بني. وكيف كان شكلهُ ومَن بناهُ

ج جاء في التوراة ان اولاد نوح وجدوا بقعة في ارض شنعار فسكنوها وقالوا هلمَّ نبنِ لانفسنا مدينة وبرجاً رأسهُ الى السماء ونقم لنا اسماً حتى لا نتبدَّد على وجه الارض كلها فنزل الرب لينظر المدينة والبرج اللذين كان بنو آدم يبنونهما وقال هوذا شعب واحد ولجميعهم لغة واحدة وهذا ابتداؤهم في العمل والآن لا يمتنع عليهم كل ما ينوون ان يعملوهُ هلمَّ ننزل ونبلبل لسانهم حتى لا يسمع بعضهم لسان بعض فبددهم الرب من هناك على وجه كل الارض فكفُّوا عن بناء المدينة ولذلك دعي اسمها بابل لان الرب بلبل هناك لسان كل الارض . وقال المفسرون ان ارض شنعار في العراق العربي اي القسم الجنوبي مما بين النهرين الفرات ودجلة وان الله قصد ان يفرّق الناس على وجه البسيطة وهم ابوا ذلك وارادوا ان يبنوا برجاً مرتفعاً حتى يروهُ عن بُعد ويعودوا اليهِ فلا يتفرقوا فبلبل الله السنتهم لكي يكفُّوا عن بناء هذا البرج ويتفرقوا على وجه البسيطة. ولم يذكر في التوراة كيف كان شكل ذلك البرج

وقد قال علماء اللغات القديمة ان اسم بابل ليس من الفعل بلبل بل هو باب ايل

بالاشورية اي باب الله وهو ترجمة حرفية للاسم القديم كادمبرا بالاكادية اي باب الله من كا باب ودمبرا الله . ووجد جورج سمث الباحث الشهير اصل هذه القصة في كتابة اسفينية قديمة يقال فيها ان رجلاً افكار قلبهِ شريرة قاوم ابا الالهة واخذ هو ورجالهُ يبنون برجاً كالاكمة لكن الرياح هدمت ما بنوا والقى انو التشويش فيهم كباراً وصغاراً وبلبل السنتهم وفيَّل مشورتهم فان بعل ابا الالهة اغتاظ منهم ولكن انو هو الذي اهلكهم . وقد نقل الفنيقيون هذه القصة الى اليونان منذ عهد قديم

والمظنون ان القدماء عنوا ببرج بابل المكان المعروف الآن ببرج نمرود في ضواحي بابل على ثمانية اميال منها وكان يسمى بهيكل الكواكب السبعة وقد وجد السر هنري رولنص انهُ مبني من سبعة ادوار من الاجر على دكة من التراب واجر كل دور لونهُ مختلف عن لون الادوار الاخرى . والبرج كبير طولهُ ٦٤٣ قدماً وعرضهُ من جهة ٤٢٠ قدماً ومن اخرى ٣٧٦ قدماً وبقي غير تام الى ان اتمهُ نبوخذ نصر والمظنون ان القصة المتقدمة نشأت لما كان غير تام

ويظن آخرون ان المراد ببرج بابل البرج المسمى عمرام وهو في بابل نفسها وهو تل من الانقاض طولهُ ١١٠٠ قدم وعرضهُ ٨٠٠ قدم

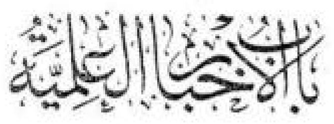
والظاهر ان علماء اليهود كانوا يعلمون ان كلمة بابل ليست مشتقة من بلبل او بالل بالعبرانية فقد قال الدكتور بدج في كتابهِ الذي نشرتهُ جمعية نشر الكراريس الدينية "سُئل في التلمود لماذا سميت بابل كذلك فاجاب ربي يوحنان لانها مبلبلة في التوراة والمثنى والتلمود" ولما فسَّر التلمود كلمة ظلمات الواردة في مراثي ارميا قال "هي ما كان مثل بابل" لغموض معناها . اما اسم المدينة في الآثار البابلية فتفسيرهُ دائماً بيت الله

---

(١٧) ليبريا

مصر . امين افندي محمد . اين سكن العبيد الذين حرَّرهم الاميركيون وقت حرب الحريَّة

ج بقي اكثرهم في اميركا وذهب بعضهم الى ليبيريا وهي جمهوريَّة للزنوج في الشاطىء الغربي من افريقية يبلغ عدد سكانها الآن مليونًا وسبعمئة الف نفس ستون الفًا منهم من الزنوج الذين كانوا في اميركا . ونظام هذه الجمهوريَّة مثل نظام الولايات المتحدة الاميركية لها رئيس ومجلس نواب ومجلس شيوخ واقليم البلاد من احر ما يكون في الدنيا والزنوج الذين بقوا في الولايات المتحدة تكاثروا فيها جدًّا ويبلغ عددهم الآن اكثر من تسعة ملايين نفس وكانوا وقتما تحرروا نحو اربعة ملايين نفس



الاستاذ فركو
Prof. Virchow



نشرنا ترجمة هذا الاستاذ الكبير في العام الماضي حينما اتمَّ السنة الثمانين من عمره عمرٍ قضاهُ في توسيع نطاق المعرفة وتقرير قواعد العلم وافادة نوع الانسان ومقاومة آثار الاستبداد فاحتفلت الامة الالمانيَّة بذلك وشاركها في ذلك الاحتفال نوَّاب الجمعيَّات الطبيَّة والعلميَّة من اقطار المسكونة وكتب اليهِ امبراطور المانيا يقول

"في هذا اليوم الذي مُنحت فيهِ بنعمة الله ان تتمَّ السنة الثمانين من عمرك وانتَ في تمام النشاط العقلي والجسدي أُعرب لكَ عن تهنئاتي القلبيَّة وما ارجوهُ لك من السعادة الدائمة . انَّ علم الطب مديون لكَ لانكَ قضيتَ عمركَ في البحث فيهِ واكتشفت امورًا مهمَّة لذاتها وقد قادت الى اكتشافات اخرى فرسخ اسمك في صفحات تاريخ الطب مدى الادهار وأُكرم في بلادك وفي كل الاقطار والامصار . وفوق ذلك جدتَ بمعارفك الطبيَّة واختبارك الواسع في السلم والحرب لخدمة نوع الانسان وكنتَ دائمًا الطبيب الامين والمعين الصادق . وقد منحتك الآن نشان العلم الذهبي العظيم علامةً لشكري لك واعترافي بفضلك واني اسرُّ بارسالهِ اليك في هذا اليوم الذي يحتفل فيهِ بعيدك"

ولم يتم الحول على هذا الاحتفال حتى قضى الاستاذ فركو نحبهُ سائرًا في طريق كلّ حي. وهاك ملخص الترجمة التي نشرناها هناك وشيئًا يسيرًا مما لم ننشرهُ فيها

ولد سنة ١٨٢١ ودرس الطب واجيز لهُ فيهِ وعمرهُ اثنتان وعشرون سنة وجُعل مساعدًا لاستاذ التشريح في مستشفى الرحمة وفشت حمى التيفوس بين الحاكة في جبال سلسيا على اثر مجاعة فأُرسل للبحث عن سببها فبحث وكتب تقريرًا مدققًا كان لهُ وقع عظيم وهو الذي جعلهُ يسير في الخطة التي سار فيها علمًا وسياسة فعكف على درس الامراض الباطنة وصار من احرار الالمان . ثم جُعل استاذًا في مدرسة برلين الجامعة وأُخرج منها

بسبب مذهبهِ السياسي وجعل استاذًا للتشريح الباثولوجي في مدرسة ورزبرج سنة ١٨٤٧

ولم يمارس صناعة الطب بل اقتصر على تعليم الاطباء وسيبقى اسمهُ في الطبقة الاولى بين علماء الطب الذين وضعوا اصولهُ ووسعوا نطاقهُ حتى يقال انهُ هو واضع علم الباثولوجيا لانهُ بيَّن فعل الامراض بالخلايا التي تتركب منها الانسجة الحيوانية . ولمَّا اكتشف باستور سبب الامراض البكتيريولوجي ظُن ان تعليل فركو للامراض منقوض ثم اتضح ان ما اكتشفهُ باستور من اسباب الامراض لا ينقض مذهب فركو بل يعززهُ

وكان من غلاة الاحرار وهو زعيمهم في مجلس النواب الالماني وكان ينتقد اعمال الحكومة بكلام احد من السهام حتى اضطر بسمارك مرةً ان يدعوهُ الى المبارزة . وكان يحسب الحرب علة البلايا حتى رأى الامبراطور مرةً ان يجاهر بمدح غيرهِ من العلماء لانهم لا يتعرَّضون للسياسة مثلهُ

وكانت لهُ مشاركة في علوم أُخرى غير الطب فاشتهر بعلم الانثروبولوجيا واليهِ انتهت رئاسة الجمعية الانثروبولوجية وكتب عن سكان الكهوف وسكان الخصاص التي كانت قائمة على الاوتاد في بحيرة جنيفا في العصور الغابرة

ورأس اللجنة المالية ٢٥ سنة وهو الذي نظَّم مالية بروسيا وبقي ٤٢ سنة في مجلس برلين البلدي واليهِ ينسب اصلاح تلك العاصمة . وما احسن الادارة اذا خدمها العلم فقد كانت برلين من افسد المدن هواء واقلها صحةً فصارت بسعيهِ وعلمهِ من اصح المدن هواء واجودها صحةً واجرى اسرابها الى ما حولها من القفار القاحلة فصيرتها رياضًا نضرة وهو الذي نظَّم مستشفيات برلين حتى صارت مثالاً في الانتظام والاتقان

وطُلب منهُ سنة ١٨٧٢ ان يخرج من عضويَّة الجمعيَّات العلميَّة الفرنسويَّة فابى ذلك قائلاً ان قطع الاتصال العلمي بين المانيا وفرنسا مخالف لمقتضى العلم والعمران ومصلحة نوع الانسان . وساعد الدكتور شليمن مكتشف خرائب ترواده وكتب المقدمة لكتابهِ اليوس

والَّف كتبًا ورسائل شتى اشهرها كتابهُ في الباثولوجيا الخلويَّة وكتابهُ في الطب والعلاج وهو ثلاث مجلدات . وباثولوجيَّة الاورام وهو ثلاث مجلدات ايضًا ومقالات في الطب والحكومة مجلدان وخطب في الاركيولوجيا والاثنولوجيا وفائدة العلوم الطبيعيَّة وتعليم النساء وتيفوس المجاعة والاسراب والمصارف واساليب التشريح وحريَّة العلم والامراض المعدية في العساكر والفحص الرمي والتريخينا وهجين الاسراب والثكنات وغير ذلك مما يطول شرحهُ وترجم كثير من كتبهِ الى اللغة الانكليزية وكانت وفاتهُ في الخامس من شهر سبتمبر

اميل زولا

فقدت فرنسا رجلاً من اشهر كتابها في هذا العصر ان لم يكن اشهرهم كلهم وهو اميل زولا الذي انتشرت رواياتهُ في الآفاق كما انتشرت روايات ديماس من قبله

ولد بباريس سنة ١٨٤٠ وابوهُ ايطالي كما يدلُّ اسمهُ وامهُ فرنسويَّة وتوفي ابوهُ وعمرهُ ست سنوات وكفلتهُ امهُ وجدتهُ وبدت عليهِ مخايل النجابة منذ حداثتهِ فنظم الشعر والَّف الروايات الشعريَّة . وساءت احوال عائلتهِ فعاش في الفاقة الشديدة الى ان امَّ دروسهُ حتى كان يضطرُّ احيانًا ان يقيم في فراشهِ النهار كلهُ اذا اشتدَّ البرد لانهُ لم يكن قادرًا ان يدفع ثمن الوقود لاشعال النار . وبقي سنة ونصفًا يطوف في شوارع باريس بثياب اخلاق حتى كان باعة الكتب القديمة يطردونهُ اذا وقف ينظر في كتبهم . وكثيرًا ما كان يبيت على الطوى جائعًا عاريًا. قابل ذلك بما وصل اليهِ اخيرًا حينما عُرض عليهِ عشرون الف جنيه لاجل ثلاث روايات الَّفها فلم يقبل بها

ولكن لم تطل عليهِ هذه الحال بل استخدمهُ محل هاشت وعمرهُ ٢٢ سنة وقطع لهُ مئتي فرنك في الشهر فاقام فيهِ خمس سنوات يعمل النهار كلهُ ويدرس ويكتب في المساء فلما طبع روايتهُ الثانية (رؤيا كلود) رأى ان باب النجاح قد فتح في وجههِ فاستخدم في تحرير جريدة الحوادث وجعل راتبهُ خمس مئة فرنك في الشهر والَّف حينئذٍ رواية خفايا مرسيليا ورواية تريز راكين ثم خطر لهُ ان يعارض بلزاك ويؤلف سلسلة من الروايات يصف بها الضرَّاء كما الَّف بلزاك الروايات التي وصف بها السرَّاء وقصد اولاً ان يجعل هذه الروايات اثنتي عشرة فبلغت عشرين وشرع في الرواية الاولى منها سنة ١٨٤٩ ولكنهُ لم ينشرها الاَّ بعد سقوط الامبراطورية وقيام الجمهوريَّة ولم يفلح فيها ولا في الرواية التي تلتها فلم يفِ دخلها براتبهِ فالتجأ الى مطبعة اخرى وتعهد ان يقدم لها روايتين في السنة وهي تعطيهِ مئة وعشرين جنيهًا عن كل رواية فالف لها الرواية الثالثة فاقبل القراء عليها وصار يأخذ رسمًا قليلاً على كل نسخة تباع من رواياتهِ وكان هذا الرسم اولاً اربعين سنتيمًا فصار خمسين ثم ستين وقد قيل منذ مدة انهُ ربح من رواياتهِ مئة الف جنيه

وسيأتي الكلام على هذه الروايات واسلوب مؤلفها وفلسفتهِ في جزء تالٍ

وكانت وفاتهُ بالاختناق وُجد ميتًا في غرفتهِ في التاسع والعشرين من سبتمبر وزوجتهُ مغمى عليها كأنَّ الغاز خرج من موقد النار فسمَّمهُ وسمها . ولما افاقت من اغمائها قالت انها شعرت بصداع شديد فايقظت زوجها وطلبت منهُ ان يفتح شباكًا فقام ليفتحهُ فوقع على ظهرهِ

وأُغمي عليها فلم تعِ على شيء الى ان وُجدت في الصباح بين حية وميتة وزوجها ميت

الحراج والوقود

كتب المستر هتشنس في جريدة نانشر انهُ وجد منذ سنة ١٨٨٢ ان شجر اليوكالبتوس اذا زرع في جبال البلاد الاستوائية امكن ان يقطع من كل فدان منهُ عشرون طنًّا من الخشب اليابس سنويًّا والشجر الذي يقطع ينمو ثانية من غير زرع فتبقى الحرجة على حالها الى ما شاء الله من غير اقل نفقة وحطبها اثقل من الفحم الحجري فان ثقل القدم المكعبة من الفحم الحجري من ٥٠ الى ٥٢ رطلاً واما ثقل القدم المكعبة من خشب اليوكالبتوس فستون رطلاً ولذلك فحرارة القدم المكعبة منهُ تساوي حرارة القدم المكعبة من الفحم الحجري او تزيد عليها . واذا اجيد انتخاب الشجر وزرعهُ فلا يبعد ان يقطع من الفدان اكثر من عشرين طنًّا من الخشب كل سنة. وكل ما يحتاج اليهِ اليوكالبتوس شمس ساطعة ومطر غزير واذا نظرنا في الكرة الارضية وجدنا ان المطر الغزير يقع على ثمانية آلاف مليون فدان منها اي على نحو ربع مساحة اراضيها لان مساحتها نحو ٣٥٢٠٠ مليون فدان واذا قصرنا نظرنا على الارض التي بين خط الاستواء والدرجة ٤٠ حيث يبلغ ما يقع من المطر سنويًّا اربعين عقدةً وحسبنا ان نصفها فقط زرع حراجًا امكن ان يقطع منهُ في السنة ١٦١ الف مليون طن اي اكثر مما يحرق الآن من الفحم الحجري في الدنيا كلها بمئتين وثمانية وثمانين ضعفًا . والحراج الموجودة الآن في هذه البلدان يمكن ان يقطع منها نحو نصف ذلك كل سنة اي ٨٠٠٠٠ مليون طن . واذا زرع ربع الارض حراجًا كما هي الحال الآن في المانيا بلغ ما يمكن قطعهُ منها ٤٠ الف مليون طن كل سنة . واذا تساهلنا كثيرًا وجعلنا ما يمكن ان يقطع منها نصف ذلك بلغ ٢٠ الف مليون طن اي اكثر مما يحرق الآن من الفحم الحجري ثلاثين ضعفًا لانهُ يستخرج من الفحم الحجري الآن في الدنيا كلها ٦٦٢ مليون طن

ويتضح من ذلك انهُ اذا زرعنا ربع الاراضي حراجًا في البلاد الحارة والمعتدلة من خط الاستواء الى ٤٠ درجة من العرض امكن ان يقطع منها كل سنة حطبًا يزيد على ما يحرق الآن من الفحم الحجري ثلاثين ضعفًا الى ١٢٢ ضعفًا ويمكن ان يزيد الى ٢٤٣ ضعفًا . فاذا نفد الفحم الحجري واستعملت كل الشلالات ومجاري المياه يبقى ما يقوم مقامها كلها وهو الحراج او الغابات

مجمع ترقية العلوم البريطاني

بلغ عدد الاعضاء والسيدات الذين اجتمعوا هذا العام ١٦٢٠ وكان عددهم في

العام الماضي ١٩٥١ وفي بعض الاعوام السالفة اكثر من ثلاثة آلاف لكن هذا الاجتماع جرى على تمام الانتظام والفائدة وتليت فيهِ الخطب النفيسة ومنها خطبة الرئيس وقد نشرنا خلاصتها في هذا الجزء . وانتخب السر نورمن لكير محرر جريدة ناتشر رئيساً للمجمع في الاجتماع المقبل وسيعقد في سوثبرت ويبتدىء في ٩ سبتمبر ومن المرجح ان الاجتماع الذي بعده يُعقد في مدينة الرأس في جنوبي افريقية

مؤتمر السل

تجتمع اللجنة الدولية التي عينها مؤتمر السل حديثاً في مدينة برلين من الثاني والعشرين الى السادس والعشرين من اكتوبر وتكون مواضيعها عمل الحكومة في منع السل وتنظيم الصيدليات التي تعطي العلاج مجاناً للمسلولين . وواجبات المدارس من حيث منع السل . والتوقي من ضرر اللبن . والسل في الطفولية . ووقاية العمال من السل . وتقسيم المسلولين الى فرق وقت اوائهم

الوفد العلمي الياباني

قام وفد من علماء اليابان الى اواسط اسيا بقيادة الكونت اوتاني كوزوي للبحث عن الآثار البوذيَّة فيها وفي الهند والصين ولاقتفاء آثار الديانة البوذيَّة الى مصادرها الاولى

تجميد اللبن

جاء في جريدة جمعية الصناعة ان طبيباً استنبط اسلوباً يجمَّد بهِ اللبن والدقيق فيصير كدقيق الحنطة ولا يفقد شيئاً من خواصهِ المغذية وهو يذوب في الماء تماماً ويمكن استعمالهُ في كل ما يستعمل بهِ اللبن ويقال انهُ لا يحمض ابداً مثل اللبن ولا تؤَثر فيهِ تغيرات الهواء اذا كان دقيقاً وتبلغ النفقة اللازمة لتجميد القنطار من اللبن نحو غرشين ونصف

سترمبولي و يزوف

ثار بركان سترمبولي في اواسط سبتمبر وبدت من بركان يزوف دلائل تدلُّ على قرب ثورانهِ

مصلح الهواء

وصف المسيو دسغره آلة صنعها لتنقية الهواء ومنع فسادهِ حتى يستطيع الانسان ان يتنفسهُ ولو كان في صندوق مقفل فان فيها ماء وبرا كسيد الصوديوم والماء يقع على البراكسيد نقطاً صغيرة فيحلهُ ويتولد منهُ الاكسجين ويمتص اكسيد الكربون الثاني المتولد بالتنفس وتحل المواد الاخرى السامة المتولدة من التنفس ايضاً . والآلة التي صنعت الآن تمكن الانسان من البقاء حياً ثلاثة ارباع الساعة ولو كان في اناء من الزجاج محكم السد

الحمى الملاريَّة في الاسمعيليَّة

يؤْخذ مما نشرهُ المقطان الدكتور روس يرى ان سبب الحمى الملاريَّة في الاسمعيلية تكاثر البعوض في المستنقعات الواقعة شرقي

المدينة في المكان المسمى ابا رخ حيث الاشجار كثيرة والمياه راكدة . وكذلك المستنقعات الواقعة جنوبيها حيث بركة ابي جاموس . وقد اجتمع الدكتور المذكور باطباء شركة القنال وتذاكروا مليًّا ثم قرَّ قرارهم على ان تنشئ الشركة قلمًا خاصًّا بملاشاة البعوض مقسومًا ثلثة اقسام قسمًا يلاشيهِ من المستنقعات وقسمًا يلاشيهِ من المنازل وقسمًا يلتقط ما تيسَّر منهُ ويرسلهُ الى الدكتور روس لفحصهِ وعينوا الدكتور برسًا لتلك الاقسام . ثم قفل الدكتور روس راجعًا الى انكلترا وجعل الدكتور برسا يجرب ملاشاة البعوض بصب زيت البترول في المستنقعات المذكورة وغيرها وبعد مضي سنة يُنشر تقرير بنتيجة ذلك كلهِ

التبريد بالهواء السائل

استنبط الهر كروجر الالماني استنباطًا بهِ يصنع الجليد ويبرد الهواء ايام الصيف في الاسواق والمحلات الاخرى العمومية بالهواء السائل والمظنون ان هذا الاستنباط يحلُّ مسألة تبريد الهواء وتلطيف الحر في البلاد الحارة . ولما سمع بهِ امبراطور المانيا ارسل فاستدعى مخترعهُ اليهِ ليشرح لهُ اختراعهُ

تلغراف مركوني

يستفاد من اخبار تورين ان السنيور مركوني اجتمع بمدير البوستة العام في ايطاليا وتكلما مليًّا في انشاء محطة للتلغراف الذي ليس لهُ سلك قرب رومية لمخاطبة من في سان باولو ببلاد البرازيل في اميركا الجنوبية لان كثيرين من الايطاليين يهاجرون من ايطاليا اليها فتمس الحاجة كثيرًا الى مخاطبتهم فيها

خلة الادب

كان فرنس شوبرت من نوابغ الموسيقيين في عصرهِ ولا يزال يعدُّ في الطبقة الاولى بين موسيقيي اوربا عند ارباب الموسيقى كلهم وُلد في فينا سنة ١٧٩٧ وترك للعالم ما يطربهم في افراحهم ويشجوهم في اتراحهم الى ما شاء الله ولكنهُ عاش يشكو الفقر خلة الادب حتى كان يبيع ابدع ما تجود بهِ قريحتهُ بدريهمات يقضي بها حاجتهُ واجهزت الفاقة عليهِ فقصفت المنية غصن شبابهِ سنة ١٨٢٨ في الحادية والثلاثين من عمرهِ من تأثير خلة الادب . ويروى ان كثيرين اغتنوا بطبع منظوماتهِ الموسيقية وبيعها ولكننا قرأنا في جرائد النمسا الاخيرة ان حفيدة اخيهِ باتت الآن في اسوإ حال من الجوع والفاقة فزوجها يمرُّ على الابواب يطلب الخدمة في بيت من البيوت فلا يجد من يستخدمهُ وهي طريحة الفراش منذ عشرة اشهر مما قاست من الضنك وشظف العيش فاخذت الشفقة عليها احدى الجرائد التي تعترف بفضل عم ابيها فقامت تستنهض غيرة اهل الخير ليتصدقوا عليها بما تحفظ بهِ الرمق اعترافًا بفضل ذويها

البعثة الاميركية

يتبارى الاميركيون الآن والاوربيون في الرحلة الى القطب الشمالي وقد عزم الاميركيون ان يسبقوا اليهِ ويرفعوا رايتهم عليهِ فبعث احد اغنيائهم واسمهُ المستر زيغلر بعثة برئاسة المستر بلدوين جهزها بكل ما يلزم لها حتى تضع المؤن في طريقها رويدًا رويدًا وتبلغ اقصى ما يمكن البلوغ اليهِ بحرًا ثم تسير من هناك بالمزالق تجرها الكلاب الى ان تصل الى القطب واخذت معها مئتي كلب لهذه الغاية وكل مايلزم للمباحث العلمية لكن اتفق ان البرد كان اشد في العام الماضي مما كان في الاعوام السابقة فاضطرت سفينتها ان تستقر في مكان بعيد لان الجمد منعها من التقدم واصاب الكلاب مرض امات اكثرها وبعد عناء شديد اضطرت هذه البعثة ان تعود ادراجها لكنها تحققت انهُ لا يوجد بحر يمكن الجري فيهِ حول القطب وان اليابسة تصل الى الدرجة الثانية والثانين شمالاً في جهة فرنس جوزف لند ومن هناك فصاعدًا يمكن البلوغ الى القطب بالمزالق. وقد صورت كل ما رأتهُ صورًا فوتوغرافية كثيرة فاقت ما فعلهُ غيرها

وقبل ان تُطبَع هذه السطور قرأنا ان المستر زيغلر ارسل بعثةً ثانية الى القطب الشمالي كأنهُ رأى ان الجو خلا لهُ بعد رجوع بلدوين وسفردرب فعزم ان لا ينفك على الانفاق حتى يبلغ الاميركيون ما عجز غيرهم عن بلوغهِ

البعثة الاسوجية

ثم ان الفرام السفينة التي قصد بها نَنسن القطب الشمالي عادت اليهِ سنة ١٨٩٩ برئاسة سفردرب رفيق ننسن فلم توفق في سفرها لشدة البرد في الشتاء التالي لان متوسط درجة الحرارة فيهِ بلغ ٤٥ تحت الصفر ولم تتمكن الفرام من كسر الجليد والتخلص من قيدهِ الاَّ في السادس من اغسطس الماضي فعادت ادراجها وعاد الذين فيها سالمين

البريد الكهربائي

استنبط مهندس ايطالي اسمهُ بشيتشلي اسلوبًا لنقل البريد بالكهربائية في صناديق من الالومنيوم تجري معلقة في اسلاك معدنية وادَّعى ان سرعتها تكون اربع مئة كيلومتر في الساعة اي ١١١ مترًا في كل ثانية من الزمان وهي سرعة فائقة جدًّا لا نظن ان الهواء يسمح بها ولاسيما اذا هبَّت ريحًا مضادة لسيرها فان المقاومة تشتدُّ حتى يبطئ سيرها او يمتنع

السر فردرك ابل

ان خسارة الانكليز بموت السر فردرك ابل لا تقلُّ عن خسارة الالمانيين بموت الاستاذ وركو وخسارة الفرنسويين بموت اميل زولا فانهُ كان عالمًا عاملاً عالي الهمة شديد الغيرة ولد سنة ١٨٢٧ وابوهُ من اصل اسوجي واخذ

الكيمياء عن الاحتاذ هُفمن ثم صار مساعدًا لهُ وجُعِل استاذًا للكيمياء في المدرسة الحربية سنة ١٨٥١ وكيماويًا لنظارة الحربية سنة ١٨٥٤ وبقي في هذا المنصب الى سنة ١٨٨٨ فاستخدم علم الكيمياء في ما يفيد الحرب اي في عمل انواع البارود والامزجة المعدنية التي تسبك منها المدافع وهو اول من بحث في قطن البارود واستعمالهِ بدلاً من البارود وعرف بعد التجارب الكثيرة كيفية خزنهِ واتقاء شرهِ ومقدار تفرقعهِ

وجُعل رئيسًا لجنة المتفرقعات وادَّت تجاربهُ الى استنباط البارود المعروف بالكردَيْت وهو مركب من قطن البارود والنيتروغلسرين

واستنبط آلة تعرف بها درجة الحرارة التي يشتعل عندها البترول وكان لهُ اليد الطولى في انشاء دار العلم الملكية وجعل مديرًا لها وفي انشاء دار الكيمياء والجمعية الكيماويَّة الصناعية ومجمع المهندسين الكهربائيين وجمعيَّات اخرى علمية وكان رئيسًا لها كلها ورأس مجمع ترقية العلوم البريطاني سنة ١٨٩٠ . ونال كثيرًا من الالقاب العلمية . وكانت وفاتهُ في السادس من شهر سبتمبر الماضي

بالون سبنسر

اشرنا الى هذا البالون في المقالة التي كتبناها عن ركوب الهواء في هذا الجزء ثم جاءتنا جرائد انكلترا مشحونة بوصفهِ ووصف حركاتهِ في سيرهِ فوق مدينة لندن ويظهر منها ان المستر سبنسر كان يديرهُ كيف شاء فاذا رأى تحتهُ جمعاً كبيرًا من الناس خفضهُ رويدًا رويدًا حتى يدنو منهم ويسمع صياحهم ثم يحلّق امامهم في الجو ليزيد دهشتهم او يتقي الاصطدام بابراج الكنائس ومرَّ فوق نهر التمس ثلاث مرات ذهابًا وايابًا ودار في دائرة قطرها نصف ميل وبعد ان مرَّ فوق مدينة لندن كلها ابعد عنها ونزل ببالونهِ في حقل لامباني فيهِ فوقع على الارض كما تقع الفراشة على الزهر وهرع الناس اليهِ فوقف يحادثهم كأنهُ نزل من مركبة تجرها الخيل وبلغت المسافة التي قطعها ثلاثين ميلاً واعلى ما بلغ اليهِ ١٥٠٠ قدم وكان يرى الناس تحتهُ من هذا العلو كالنمل الصغير ويقول انهُ يستطيع ان يسير ببالونهِ ضد الريح اذا زادهُ ثقلاً

اصغر طفل

رأينا في مجلة الستراند صورة منقولة عن صورة فوتوغرافية لطفل عمرهُ اسبوعان موضوع في صحفة من صحاف الطعام العادية كان ثقلهُ حين ولادتهِ ٢٣٠ درهماً وبلغ ثقلهُ لما صار عمرهُ اسبوعين ٣٠٠ درهم

نباهة الحيوان

يضرب المثل ببلادة الحمار والثور في اكثر لغات الارض لكن كتب بعضهم الآن

الى جريدة ناتشر ما يدل على نباهة غريبة في الحمير والثيران قال : " تعلَّم حمار ان يفتح باب الحظيرة التي كان يزرب فيها فصار يفتح ابواب غيرها من الحظائر وذات يوم خرج من حظيرتهِ ومعهُ حصانان ومضى بهما الى حظيرة تبعد ميلاً ونصفاً وفتح ثلاثة ابواب في طريقهِ اليها وكان في هذه الحظيرة فرس ومهرها وكلب كبير فخرجت هذه الحيوانات منها وهامت على وجهها

"وكان عندنا ثور بعناهُ للذبح في مكان يبعد عنا ١٤ ميلاً وارسل الى المذبح بسكة الحديد فافلت في اليوم التالي ورجع الينا وعرف الطريق من نفسهِ مع طول الشقة لكن هربهُ لم ينجهِ فانهُ اعيد الى المذبح وذبح"

اكبر المراسي

صُنعت مرساة في اميركا طولها خمس عشرة قدماً وثقلها اكثر من ثمانية طونولاطات وطول سلسلتها ٢١٦٠ قدماً وثقل كل حلقة من حلقها ستون ليبرة

مكرر التلغراف

ان الاسلوب الشائع في التلغراف وهو اسلوب هيوز يرسل بهِ ٢٢٠٠ كلمة في الساعة على الاكثر ولكن الاستاذ رولند استنبط منذ مدة اسلوباً يرسل بهِ ١٨٠٠٠ كلمة في الساعة الواحدة على الخط الواحد وقد اخذت ادارة التلغراف في المانيا تجربهُ حتى تعتمد عليهِ

واقية الترامواي

قرأنا في السينتفك اميركان في العدد الصادر في ١٣ سبتمبر ان ولاة الامر في برمنجهام ببلاد الانكليزية يجربون الآن اسلوباً يمنع خطر الترمواي الكهربائي فيحسن بشركتي الترامواي الكهربائي في مصر والاسكندرية ان تراقبا هذه التجارب حتى اذا وفى ذلك الاسلوب بالغرض استعملاهُ في هذا القطر

النور والعين

وجد احد علماء الروس ان العين تطرف في نور الشمعة ٦٨ مرة كل عشر دقائق. وفي نور الغاز ٢٨ مرة كل عشر دقائق . وفي نور الشمس ٢٢ مرة كل عشر دقائق . وفي النور الكهربائي ١٨ مرة كل عشر دقائق وقال ان تعب العين من كثرة طرفها ولذلك فهي تتعب في النور الكهربائي اقل مما تتعب في غيرهِ

شبان المشرق

جاءنا من لبنان ان الشاب الاديب شكري افندي صفا نجل الوجيه الفاضل جرجس افندي صفا تلقى علم الحقوق في باريس ففاق الاقران واثنى عليهِ اعضاء لجنة الامتحان ثناء جميلاً . وبلغنا مثل ذلك عن اكثر الشبان الشرقيين الذين يتلقون العلوم في اوربا واميركا. ومما يدلُّ على نجابتهم ان اولاد الفرنسويين الذين يدرسون علم الحقوق في بلادهم وبلغتهم يسقط منهم ستون او سبعون وقت الامتحان

النهائي واما الشبان الشرقيون الذين يتعلمونهُ بغير لغتهم وفي غير بلادهم فلا يسقط منهم عشرة في المئة

الراديوم وصحة العين

الراديوم عنصر يشعُّ كأنهُ الفصفور واشعتهُ تخترق المعادن فاذا وضعتهُ في قنينة ووضعت لوحاً معدنياً بينهُ وبين عينيك لم يمنعك اللوح من رؤيتهِ . وقد يعمى الانسان احياناً من خلل في قرنية عينهِ لا في شبكيتها اي لا يكون الخلل في الجزء الباطن من العين الذي فيهِ العصب البصري وحينئذ تبقى العين ترى اشعة الراديوم ولو لم ترَ غيرها لان ظلمة القرنية لاتمنعها من رؤية هذه الاشعة فتكون رؤيتها دليلاً على ان العين لاتزال مبصرة من الداخل وشبكيتها سليمة ويمكن ارجاع الابصار اليها فان لم ترَ اشعة الراديوم فالخلل في شبكيتها ولا علاج لهُ

اكبر آبار البترول

هي بئر في باطوم بروسيا نبع منها في اليوم الاول ما يملأ ١٨٠ الف برميل وكذا في اليوم الثاني والثالث وبقي البترول يخرج منها بهذه الغزارة الى ان بلغ اكثر من مليوني برميل وهناك بئر اخرى خرج منها حتى دسمبر الماضي مليون برميل وبقي يخرج منها ٢٥ الف برميل كل يوم. لكن حافري هاتين البئرين خسرا ولم يربحا لان الارض للحكومة ومحتفر البئر يدفع رسماً على كل رطل يخرج منها فاذا خرج غزيراً حتى لم يستطع ان يستلقيهُ كلهُ اضطر ان يدفع الرسم على ما لم ينتفع بهِ ثم ان الارض التي يجري الزيت الفائض فيها تتلف بهِ فيضطر ان يعوض اصحابها ما تلف منها وتحملهُ الريح وهو صاعد في الهواء وتلقي رذاذهُ على البيوت والحقول البعيدة فيضطر ان يعوض اصحابها ما يلحق بهم من الضرر حتى لقد اضطر احد اصحاب هذه الآبار مرة ان يدفع عشرة آلاف جنيه تعويضاً

السيار روس

عاد السيار اروس الى الظهور بعد ان اختفى مدة اكتشفهُ اخيراً الاستاذ لنج في مرصد تشمبرلين باميركا . وهو السيار الصغير الذي اكتشفهُ دهوِت في مرصد اورانيا ببرلين سنة ١٨٩٨ وبيَّن انهُ يدنو من الارض حتى يصير اقرب السيارات اليها

بوارج الدول

اذا دللنا بالارقام على نسبة قوى الدول الحربية البحرية بعضها الى بعض على ما هي عليهِ الآن كانت انكلترا الاولى ولها العدد ٤٥٦ وفرنسا الثانية ولها ١٦٢ وروسيا الثالثة ولها ١٤٤ واليابان الرابعة ولها ١٠٤ والمانيا الخامسة ولها ٨٨ والولايات المتحدة الاميركية السادسة ولها ٧٢

فهرس الجزء العاشر من المجلد السابع والعشرين



مجلة علمية صناعية زراعية

لمنشئيها

الدكتور يعقوب صرّوف والدكتور فارس نمر

AL-MUKTATAF

A MONTHLY ARABIC SCIENTIFIC REVIEW

EDITED BY DR. Y. SARRUF

VOL. LXX. No 5

FOUNDED 1876 BY DRS. Y. ṢARRUF & F. NIMR



الاميرال ياماموتو وزير البحرية



الجنرال كوداما وزير الحربية

المقتطف

الجزء الحادي عشر من المجلد السابع والعشرين

١ نوفمبر (تشرين الثاني) سنة ١٩٠٢ — الموافق ١ رجب سنة ١٣٢٠

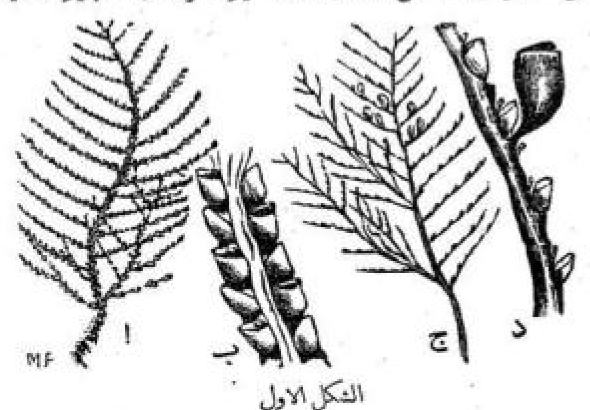
حياة الجماد

واكتشاف هندي عظيم

ارتأى الفلاسفة منذ عهد قديم ان الموجودات كلها سلسلة واحدة لا يظهر الانفصال الاَّ بين حلقاتها البعيدة واما حلقاتها القريبة فمتصلة بعضها ببعض . ثم دخل اندية العلم قوم سبق الى وهمهم ان اتصال الانسان بغيرهِ من انواع الحيوان واتصال هذه الانواع بعضها ببعض وبالنبات والجماد مخالفان لبعض العقائد الدينية فانكروهما وقالوا انها انواع مستقلة لا اتصال بينها كذا كانت منذ خلقها الله ولا تزال كذلك ابد الدهر . وقد نشرنا في المجلد الاول من المقتطف مقالة لحضرة الدكتور وليم فان ديك في تمييز الحيوان عن النبات بيَّن فيها ان التمييز بينهما صعب جدًّا في بعض الاحوال حتى لقد يلتبس النبات بالحيوان ومما ذكرهُ في هذا الصدد قولهُ "اذا نظرنا الى ظواهر الحيوان والنبات على وجه العموم حكمنا على الفور ان بينهما فرقًا واضحًا لا يعجز الطفل عن معرفتهِ . فمن لا يعرف اختلاف الفرس عن الاعشاب التي يأكلها ومن لا يميز الفرق بين الطائر والشجرة التي يعشش فيها . ومن يحسب النحلة نباتًا والزهرة التي تستخرج العسل منها حيوانًا . على انَّا اذا امعنَّا النظر وبالغنا في البحث نصل الى بعض الكائنات التي لا يمكننا ان نعرف ما اذا كانت نباتًا او حيوانًا الاَّ بعد بحث مستطيل وتفتيش مدقق . فاذا نظرنا الى الاسفنج مثلاً سبق الوهم معنا الى انهُ نبات مائي لان ظاهرهُ يوهم ذلك . وطالما كان العلماء يعتقدون فيهِ هذا الاعتقاد والحال انهُ دعامة او هيكل لحيوان بسيط التركيب جدًّا يُحسَب ادنى من ادنى انواع البعوض بقدر ما تُحسَب تلك الانواع ادنى من الانسان في الرتب الحيوانية . وما دام هذا الحيوان عائشًا في خلايا الاسفنج يكون الاسفنج مغطًّى بمادة هلامية القوام . ومتى مات تبلى تلك المادة كما يحدث بعد رفع الاسفنج من الماء . ومع انهُ

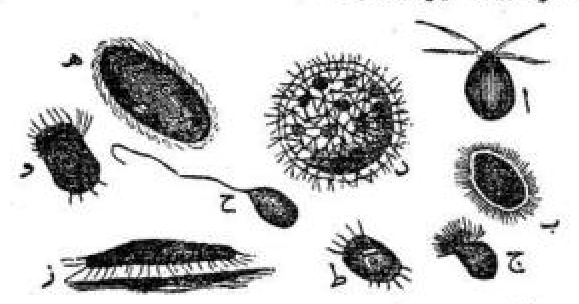
قد ثبت الآن ان الاسفنج ليس نباتاً بل هيكل حيوان ما زال اكثر الذين لم يسمعوا بذلك يحسبونهُ نباتاً لعظم مشابهتهِ للنبات وقلة الفرق بينهما في الظاهر

"وقد تكون المشابهة بين الحيوان والنبات اعظم من ذلك كثيرًا حتى يكاد لا يظهر فرق بينهما كما يتضح من النظر الى الشكل الاوَّل فترى فيهِ صورة بناء تبنيهِ وتعيش فيهِ بعض



الشكل الاول

الحيوانات المائية الصغيرة الى الغاية . والحرف ا يدل على صورة بناء كامل وب على قسم منهُ مكبَّر بنظارة مكبرة وترى في هذا القسم كؤُوساً صغيرة تستقرُّ فيها تلك الحيوانات وج نوع آخر من البناء و د قسم منهُ مكبَّر كما يظهر بالنظارة المكبرة . فهذان المثلان يبينان لنا عظم المشابهة التي قد تكون بين الحيوان والنبات



الشكل الثاني

"وكما ان الحيوان يشبه النبات فكذلك النبات قد يشبه الحيوان ايضاً مشابهة كلية كالحويصلات التي في جراثيم بعض النباتات المائية فانها تشبه الحيوانات الصغيرة تماماً كما ترى في الشكل الثاني فان الحروف ا وب وج تدل على صور هذه الحويصلات والحرف د على

صورة نبات كامل والبقية على صور حيوانات صغيرة جداً فانظر الى ما بينهما من المشابهة العظيمة . وكلها مكبّرة في هذه الصورة كما تظهر لو نظر اليها بنظارة مكبرة

" قال القدماء ان الحيوان يمتاز عن غيره بالحس والحركة الارادية وقد ثبت حديثاً ان هذا الحد غير مانع لان بعض النباتات تشترك في هاتين الخاصتين ايضاً اشتراكاً متفاوتاً فالسنط الحسَّاس ويعرف عند العامة بالعشبة المستحية اذا لمست اوراقهُ ولو لمساً لطيفاً جداً تنطبق حالاً وتتدلى فكأنها استحت وتحركت بارادتها . ويظهر تحرك بعض النباتات على وجه اتمّ في الحويصلات الجرثومية المار ذكرها فان لها اهداباً كالشعر (كما ترى في الشكل الثاني) تحرك حركة الحيوانات الصغيرة التي لا ترى الاَّ بالنظارات المكبرة . ومن امثلة ذلك ما ذكرهُ الدكتور پوست في كتابهِ مبادىء علم النبات عن نبات يعرف بمذبنة زهرة ينبت في الولايات المتحدة باميركا . قال ما معناهُ ان هذا النبات لهُ اهداب على اطراف اوراقهِ وفي وسط الورقة ضلع كالمفصلة ينطبق عليها نصفا الورقة بسهولة فاذا استقرَّت ذبابة صغيرة على اطرافها تطبق عليها فتشتبك باهدابها وتموت ضغطاً . فكأن لهذا النبات ايضاً خاصتي الحيوان اي الحس والحركة الارادية . ولذلك اذا اريد التدقيق الكلي لم يصح ان يعرَّف الحيوان بتعريف القدماء له "

ثم بيَّن الكاتب ان الفروق المعوَّل عليها بين النبات والحيوان تقوم بان اكثر بناء الحيوان من النيتروجين واكثر بناء النبات من الكربون وان الحد الفاصل بينهما على الراجح هو التغذية والتنفُّس فالنبات يغتذي من الجماد والحيوان يغتذي من النبات . والحيوان يتناول الاكسجين من الهواء وينفث فيهِ الحامض الكربونيك والنبات يتناول الحامض الكربونيك من الهواء ويرد اليهِ الاكسجين . لكن هذا الحد غير فاصل لا من حيث التغذية ولا من حيث التنفُّس لان النبات يغتذي بالمواد النباتية وبالمواد الحيوانية ايضاً ويدخل الجماد في غذاء الحيوان كما يدخل في غذاء النبات . ولان النبات يرد الى الهواء حامضاً كربونيكاً كالحيوان

وقد يقول قائل انهُ اذا كان الفرق غير تام بين الحيوان والنبات فهو تامٌّ واضح بينهما وبين الجماد . لكن ليس الامر كذلك فقد ابنا غير مرة ان الجماد يتحرك ويتأثر بالمخدرات كالحيوان والنبات وان كثيراً من المواد التي كان يُظن انها نباتية او حيوانية محضة ولا يمكن تكوُّنها الاَّ بفعل النبات او الحيوان صارت تصنع في المعامل الكيماوية بالوسائل الكيماوية المحضة مثل غيرها من المواد الجمادية

وقد وقفنا الآن على خلاصة كتاب في هذا الموضوع للاستاذ بوز احد اساتذة مدرسة كلكتا الجامعة وهو رجل هندي درس في مدرسة كلكتا الجامعة ثم تخرَّج في مدرسة كمبردج

واحرز قصب السبق في العلوم الطبيعية وعاد الى بلادهِ فجُعل استاذاً للطبيعيات وقرن العلم بالعمل فبحث ونقَّب عن انكسار اشعة النور الكهربائي في المواد المختلفة وزار اوربا مرتين بعد ذلك وفي المرة الاخيرة كان مندوباً من حكومة الهند في المؤتمر العلمي في معرض باريس وابان وهو هناك انهُ اكتشف اكتشافاً مهمًّا جدًّا وهو ان الجماد يتأثر بالمجاري الكهربائية كما يتأثر الجسم الحي بها. ثم اكتشف مشابهات اخرى بين الجماد والحي ادهشت العلماء وفتحت باباً جديدًا للبحث والاستقصاء

فلا يخفى ان الحيوان يتأثر بالفعل الكهربائي فيهتز او يتشنج ويظهر التأثر فيهِ على اتمهِ اذا كان مستريحاً فاذا تعب قلَّ تأثرهُ رويدًا رويدًا حتى يزول تماماً اذا زاد تعبهُ او اذا مات ولم تعد قوتهُ تتجدد فيكون تأثرهُ دليلاً على ان الحياة لا تزال فيهِ وعلى ان التعب لم يأخذ منهُ كل مأخذ اي على انهُ لا يزال قادرًا على العمل

وكما يتأثر الجسم الحي بالمجرى الكهربائي فيهتز بهِ يؤَثر هو في الآلة الكهربائية اذا اهتزَّ تأثيرًا ظاهرًا للعيان كأن الفعل العصبي او الحيوي الذي في الحيوان والفعل الكهربائي الذي في الآلة الكهربائية من نوع واحد. فاذا وصلتَ قطعة من العصب او العضل بآلة تتأثر بالكهربائية كالآلة المعروفة بمقياس الكهربائية (غلفنومتر) وقرصت هذه القطعة حتى تتأثر ظهر تأثرها في مقياس الكهربائية فيكون ذلك دليلاً قاطعاً على ان القطعة لا تزال حيَّة. فاذا ماتت ولم تعد تتأثر بالقرص لم تعد تؤثر بمقياس الكهربائية وبذلك يثبت وجود الحياة في الاجسام الحيَّة ويُرى زوال الحياة منها رويدًا رويدًا اذا قطعت من الجسم الى ان ينطفىء سراجها

فالجسم الذي نقرصهُ فيتأثر ويؤثر في مقياس الكهربائية فهو جسم حيٌّ والذي نقرصهُ فلا يتأثر ولا يؤثر في مقياس الكهربائية ميت اي كان حيًّا فمات او لم يكن حيًّا قط بل هو جماد

ولما كان الاستاذ بوز يبحث عن فعل النور الكهربائي ببعض المعادن وجد انها تتحرَّك بهِ اولاً ثم تقل حركتها رويدًا رويدًا حتى لا تعود تتأثر بالمجرى الكهربائي ولكن اذا ارحتها او حرَّكتها باصبعك عادت تتحرَّك بهِ

وامتحن ذلك في كل العناصر المعروفة فوجد ان بعضها يسترجع قوتهُ من نفسهِ حالاً بعد ان تضعف منهُ كما يسترجع الجسم الحي قوتهُ

وصنع آلة معدنية تتأثر بالقرص او بالغمز فيتولد منها مجرًى كهربائي يؤثر في آلة اخرى تأثيرًا ظاهرًا للعيان فهي مثل مشاعر الانسان كالعين مثلاً ترى اشعة النور فتتأثر بها وينتقل هذا التأثر على الاعصاب الى الدماغ حيث يحفظ ويتردد مرارًا وتردُّدهُ هذا هو الذاكرة او التذكُّر

والمعدن الذي يتأثر كذلك ويظهر تأثره فعلاً كهربائياً يتعب اذا تكرر فعل المؤثر به كما تتعب الاعصاب والعضلات ثم يسترد قوته اذا اريح ويزيد استرداده لقوته اذا غُسل بماء فاتر كما يسترد الانسان المتعب قوته اذا استحم. واذا بُرّد تبريداً شديداً ضعف فعله او انقطع وكذا اذا احمي احماء شديداً فتفعل به صبارة البرد وحمارة الحر كما تفعلان بالحيوان

واذا كان الجماد يتأثر بالمؤثرات كالجسم الحي ويتعب مثله فيقل تأثره رويداً رويداً حتى ينقطع فهو حي مثله اذ قد ظهر فيه اصدق ادلة الحياة اي الشعور والتأثر. واذا كان الجماد حياً فهو يموت ايضاً لان الموت تجلبة الحياة . ومعلوم ان السموم تميت الاحياء فهل تميت الجماد او تؤثر فيه كما تؤثر في الحي . هذه المسألة بحث فيها الاستاذ بوز فاتى بقطعة معدن تفعل بها المؤثرات كما تقدم وعرضها لسم من السموم المميتة فضعف تأثرها حتى انقطع . ثم عرضها لترياق يشفي من ذلك السم او يزيل تأثيره من الاجسام الحية فزال فعله رويداً رويداً وعاد المعدن الى التأثر . وقد شاهدنا صوراً تدل على فعل عصب من اعصاب الحيوان ونبات من النباتات وقطعة من المعادن عرضت كلها لفعل المؤثرات ورسمت اهتزازات المقياس الكهربائي المتصل بها فاذا طول الهزة الواحدة من الهزات التي يسببها العصب نحو سنتيمتر وطول الهزة الواحدة من الهزات التي يسببها النبات نحو سنتيمترين وطول الهزة من الهزات التي يسببها المعدن نحو اربعة سنتيمترات ولما عُرضت كلها لفعل السم اصبح طول الهزة من هزات العصب نحو ربع سنتيمتر ثم انقطع رويداً رويداً وطول الهزة من هزات النبات نحو ربع سنتيمتر ايضاً وانقطعت هزاته بغتةً وطول الهزة من هزات المعدن ربع سنتيمتر وانقطعت بغتةً ايضاً

واذا كان المعدن يتأثر بالمؤثرات كالاعصاب فلا يتعذر عمل آلة تشعر بالمؤثرات الخارجية وتكون مثل مشاعر الانسان كالعين مثلاً او كالاذن ولذلك وجَّه الاستاذ بوز عنايته الى عمل عين صناعية او شبكية تتأثر بالمرئيات تأثر العين بها فنجح في ذلك وصنع شبكية ترى ما تراه العين البشرية من اشعة النور وما لا تراه منها ويظهر تأثرها بالمرئيات في مقياس كهربائي متصل بها ولا يعوزها الاَّ الوجدان اي ان تدرك انها ترى المرئيات

ولما كان يمتحن هذه العين الصناعية اكتشف اموراً كثيرة فسَّرت بعض الغوامض

من ذلك علة رؤيتنا للمريات بعد ان نغمض عيوننا فان العين التي صنعها كان تأثرها بالمرئيات لا ينقطع حالاً بعد حجب المرئيات عنها بل يبقى يتردد مدة كما يحدث في حركة الاجسام المرنة او في اهتزاز الاوتار الموسيقية . فاذا رأيت مصباحاً واغمضت عينيك رأيت صورته تتردد مراراً امام ذهنك تظهر وتختفي على التوالي فسبب ذلك ان تأثر الاعصاب يزول

ويعود من نفسهِ كحركات الاجسام المرنة وهذا هو علة الذاكرة على ما يظهر

ومنهُ ان العينين لا تريان المرئي في لحظة واحدة معاً وتستمران على رؤيتهِ بل تراهُ العين الواحدة ثم الاخرى وتتعاقبان على رؤيتهِ لان التي تلمحهُ اولاً تتعب حالاً وتطلب الراحة فتلمحهُ الثانية وتتعب وتطلب الراحة وتستمران على ذلك دواليك وبهذا يتضح ما يحدث احياناً كثيرة من استجلاء الصور بعين واحدة اكثر من استجلائها بالعينين معاً لانهما اذا لم تتفقا على تداول العمل والراحة بل عملتا معاً واستراحتا معاً اختلطت الصورة التي تراها العين الواحدة بالصورة التي تراها الاخرى فغبشتا

وواضح مما تقدم ان هذا العالم الهندي اكتشف اكتشافاً من ابدع المكتشفات العلمية واثبت الوحدة والمشاركة بين عالم الجماد وعالمي الحيوان والنبات مصداقاً لقول فيلسوف الهند الذي قال منذ ثلاثين قرناً ان الحق الابدي نصيب الذين يرون الوحدة في كل تغيرات هذا الكون وتقلباتهِ

واحة كُرْكُر

ذكر المستر ولكوكس هذه الواحة في كتابهِ عن الري المصري وقال "انها منخفض في مرتفع من الارض فيهِ ماء واشجار من السنط والدوم". وهذه الواحة يعرفها عرب البادية وينزلونها وهي على مرحلتين من اصوان غرباً في قلب صحراء قاحلة لا نبات فيها ولا ماء. زارها الدكتور بول الجيولوجي منذ عهد قريب وبحث فيها بحثاً جغرافياً وجيولوجياً ووضع خلاصة بحثهِ في رسالة مسهبة نشرتها ادارة المساحة الجيولوجيَّة الآن وقد اطلعنا عليها فوجدنا فيها فوائد علميَّة يحسن تسطيرها في المقتطف

من ذلك ان ارتفاع هذه الواحة عن سطح بحر الروم ٣٣٣ متراً وذلك حيث كانت خيمة الدكتور بول مضروبة وكانت حرارة الهواء حينئذٍ في ساعات الرصد تتراوح بين الدرجة العاشرة والتاسعة عشرة بميزان سنتغراد فتبلغ اوطأها قبل الفجر واعلاها بين الظهيرة والعصر وضغط الهواء بالبارومتر نحو ٧٣٥ مليمتراً

والطريق الى الواحة يمرُّ على جبل الجرَّة وهو كلسي الصخور تقطعت الجنادل منهُ وقامت على جوانبهِ كالديادبة وفيها حفر مستديرة حفرتها الاعاصير فانها تدير الحصى فيها دوراناً رحوياً كلما ثارت فتنحتها نحتاً وتجوّفها . وبعد الجبل على نحو ١٩ كيلو متراً منهُ شجرتان من شجر

السنط على جانبي الطريق يعجب الرائي من نموها في ذلك القفر الاجرد ولكن لا شبهة في ان المطر يقع على النجود التي حولها ويقيم في الارض طويلاً الى ان يصعد كلهُ بخارًا لان الطبقة السفلى من الارض طفالية لا يغور الماء فيها

وسفح جبل كركر على ٦٠ كيلومترًا من اصوان وارتفاعهُ عن سطح البحر ٣٦٠ مترًا وارتفاعهُ عن الواحة نحو ٣٠ مترًا وعن الآبار التي فيها نحو ٣٥ مترًا وتظهر الواحة منهُ كما ترى في الشكل الاول المرسوم في صدر هذا الجزء بما فيها من شجر الدوم والسنط والنخل

والواحة منخفض غير منتظم بين التلال في صحراء ليبية مؤلفة من مجتمع اودية كثيرة تنبت فيها الحلفاء والعاقول والدوم والسنط والنخل. ولا ينحصر السنط في ملتقى الاودية بل يمتد فيها شمالاً وغربًا

وكان النخل مثمرًا وقت زيارة الدكتور بول لهذه الواحة فاكل منهُ هو ورجالهُ وجمالهُ مدة الاربعة الايام التي اقاموها هناك . وفيها بئران وهما حفرتان صغيرتان احداهما شرقيَّة قطر محيطها متر وعمقها نصف متر اذا افرغت الماء منها امتلأَت حالاً وكانت حرارة مائها ١٥ درجة لما كانت حرارة الهواء ١٦ درجة والاخرى شماليَّة ويفضلها العرب لانها ليست مكتنفة بالهشيم كالبئر الشرقيَّة وهي مثلها عمقًا واتساعًا

ولا ساكن في هذه الواحة الآن الاَّ ان العبابدة كانوا يقيمون حامية فيها لما كانت ديارهم عرضة للغزو من الجهات الجنوبية ولا تزال آثار الحامية فيها الى الآن اكواخًا صغيرة في الجهة الشمالية ولا ينتظر ان يسكنها احد لان عرض ما ينبت النبات فيهِ منها لا يزيد على مئة متر

ومسأَلة وجود الماء في هذه الواحة من المسائل العويصة لارتفاع سطحها عن سطح البحر وعن سطح النيل المقابل لها فان الماء الذي ينبع من الواحات الخارجة والداخلة والبحرية ارتفاعهُ عن سطح البحر ١٢٠ مترًا فقط واما الماء في واحة كركر فارتفاعهُ ٣٣٠ مترًا ومياه تلك الواحات حارَّة في الغالب واما ماء هذه الواحة فبارد ويظهر في باديءِ الرأْي ان الماء فيها متجمع من الامطار التي تقع هناك احيانًا لان اراضيها طفالية لا يغور الماء فيها والصخور صماء او ممَّا لا يتشرَّب الماء ويلي البئرين صخور تظللهما من الشمس فلا يجف ماؤُهما

لكن الماء غزير استقى منهُ الدكتور بول ورجالهُ وشربت خمسة جمال ولم ينفد ووقع المطر بعد حين ولم يزدد بهِ وذلك يدلُّ على ان اصلهُ عميق ولعلهُ وارد بمجارٍ تحت الارض من مكان بعيد . ولم يقطع الدكتور بول في هذه المسأَلة

اما كيف تكونت هذه الواحة وعمق جوفها فرأْي الدكتور بول فيهِ ان الرياح الهوج تسفي

التراب والرمل منها كلما هبَّت والامطار تقع على جوانبها فتجري فيها غدراناً فتجدد الاخاديد وتفتت الصخور وتحلحل الاتربة ثم تأتي العواصف فترفع التراب والرمل وتلقيهما في اماكن أُخرى وعلى هذا النمط تكوَّن سائر الواحات

وكان الدكتور بول هناك بين الرابع والعشرين والثلاثين من يناير الماضي وفي السادس والعشرين من الشهر حدثت زوبعة في القاهرة وحدثت زوبعة شديدة قبل ذلك باثنتي عشرة ساعة في اصوان وهي التي خربت السكة الحديد وظهرت آثارها في واحة كركر مساء الخامس والعشرين من يناير. كان الجو مطبقاً بالغيوم النهار كلهُ وكانت الريح تهبُّ من الشمال الغربي هبوباً شديداً مستمرًّا ووقع قليل من المطر رذاذاً وفي الساعة الثامنة مساء اومض البرق من الجنوب الغربي وكان شديد اللمعان وظل يومض متتابعاً الى الساعة التاسعة مساء ومرَّت الزوبعة فوق الخيام بعد الساعة الثامنة بنصف ساعة ووقع منها نقط قليلة من المطر وبلغ البرق اشدهُ حينئذٍ وكان يقف اعمدة بين الارض والسماء لأن منظرهُ أثر في العيون تأثيرا يصعب محوهُ منها. وقصف الرعد حتى صمَّ الآذن وعاد البرق والرعد ليلاً وكثر وقوع المطر حينئذٍ ولم يكن اكثر من عشر عقدة ولكنهُ بلَّ الارض شديدًا

وشاهد الدكتور بول ورجالهُ اربعة غزلان قرب البئرين فدنت منهم كأنها من الاوانس وشاهدوا ايضاً عظايتين وكثيرًا من الجنادب والفراش هذا كل ما رأوهُ من حيوانات النهار ولم يجدوا هناك الذبان ولا البعوض . وكثر في الليل نوع من الفراش الليلي الاسمر حتى كاد يملأُ الخيمة ويقول العرب ان هذا الفراش يولد من الصخر ويعيش بعضهُ على بعض لانهُ يشاهد حيث لا نبات

وتكلم عن السراب فقال ان رسومهُ التي تُرسَم في الكتب العلمية غير صحيحة لانك ترى فيها الاشجار مثلاً وظلها تحتها واضح جدًّا كأنها قائمة في بحيرة ماء ولكنهُ رأى السراب مرارًا في الصحراء وكانت الاشجار دائماً بعيدة عن الصور التي ترى فيهِ وصورها صغيرة جدًّا غير واضحة. وقد رأينا نحن السراب مرارًا في هذا القطر وكنَّا نرى الناس وصورهم منعكسة كأنهم واقفون على الماء وهي واضحة اتم الوضوح وقد تكون صغيرة كما قال ولكن الذهن يحسب الصور الصغيرة كبيرة اذا كانت رؤيتها جليَّة فاذا رأيت رجلاً يبعد عنك الف قدم فصورتهُ على شبكيَّة عينك لا تزيد على جزء من مئتي جزء من العقدة ومع ذلك تدرك انهُ رجل متوسط القامة . ولذلك لا نرى خطأً في صور السراب التي ترسم في الكتب العلمية

التواريخ العربيّة

كل أُمة لا تخالط تجاوريها ولا تقتدي بالمفلحين من معاصريها وسابقيها تستحوذ عليها الجهالة وكذلك قلما يفلح من لا يتبصَّر بالحوادث الخالية ليقيس عليها الحالية ويبتاع تجارب غيره صبرةً واحدة ويقف على ما ادَّخرتهُ صروف الدهر لابنائهِ وكيف تغلبوا على المصاعب حتى صافحوا انامل السعادة وايَّ الطرق سلكوا للتجانف عن موارد الشقاء وبالاجمال كيف كانت حالهم في المَنْشَط والمَكْرَه والإعسار والايسار

واحقُّ العلوم التي تتكفَّل برفع الحجاب عن تلك الاحوال الغامضة هو علم التاريخ الذي حدَّهُ شيشرون خطيب الرومان بانهُ "شاهد الازمنة والحقيقة مدرسة الحياة رسول السالف الى الخلف" وان شئت فزد عليهِ استاذ الملوك والرعايا وقائدهم الى مناهج السَّداد

ولقد اجمعت الامم على ان للتاريخ شأناً خطيراً بين علوم الاجتماع وما البراهين القائمة على فائدتهِ بقليلة وتكفي منها واقعة رئيس الرؤساء ببغداد لما اظهر اليهود رسماً قديماً يتضمن ان الرسول عليهِ الصلاة والسلام امر بإسقاط الجزية عن يهود خيبر وفيهِ شهادة جماعة من الصحابة فعُرِض على الحافظ ابي بكر الخطيب فقال انهُ مزوَّر فقيل لهُ بمَ عرفتهُ فقال فيهِ شهادة معاوية وهو انما اسلم عام الفتح سنة ثمانٍ للهجرة وخيبر فُتحت سنة سبع وفيهِ شهادة سعد بن ابي وقَّاص وهو مات يوم قُرَيظة قبل فتح خيبر. فسُرّي عن الناس بذلك بعد ان عظمت حيرتهم

ولقد ظلَّ التاريخ قروناً مشتت الشوارد والاوابد مشوش المبادي والمقاصد شأن معظم العلوم اول نشأتها حتى اذا توفرت الاخبار والآثار احتيج الى تدوينها ليكون في الماضي لمن بقي اعتبار وامست الحوادث العريقة في القدم نسياً منسياً لتطاول العهد بها

كان قدماء المؤرخين يثبتون الحادثة وزمانها ومكانها واشخاصها ويهملون ارتباط الوقائع بعضها والنسبة بين الامم والدول وكيفيَّة الاختلاط والاجتماع . ولما هبَّ الاوربيون من رقدة الجهل وفَّروا العناية بالتاريخ على اختلاف الوانهِ واشكالهِ وصرفوا كدهم كشفاً لما بطن من الكائنات وضاع من الحادثات فساعدتهم على نيل المآرب تلك المحفورات والنقود وورق البردي التي عُثِر عليها في بعض انحاء المشرق وكانت سالمة من الشوائب اذ لم يكن يمسها ما يغيّر من حالها. وبُعيد ان حلَّ الاثريون الكتابات الاشوريَّة والبابليَّة والمصريَّة واليمانيَّة وكانت مخطوطة بلغات انقرضت هي والعارفون بها ظهر كثير من مكاتيم الايام وضائعات الحادثات

وما القصد هنا الالمام بحال التاريخ عند الامم السالفة كالمصريين والكلدانيين والآشوريين

والبابليين والفينيقيين واليونان والرومان او الامم الخالفة من شرقيين وغربيين بل الالماع الى حالهِ عند العرب لانهم كانوا خير رابطة بين عصر يونان الاسكندرية والدول الاوربية الحديثة ولانهم احتفظوا لما زها ملكهم بعد سقوط مملكتي فارس والروم بمصنفات من قبلهم واليونان منهم خاصة ونقلوها الى لسانهم ومنها اقتبس الافرنج لما فقد الاصل فكان العرب اساتذة من بعدهم من الشعوب الراقية وان كان من التلامذة من يفوقون اساتذتهم

أُولع علماء العرب قديماً بدراسة التاريخ حتى ان الامام الشافعي اقام على تعلمهِ والادب عشرين سنة وقال ما اردت بذلك الاَّ الاستعانة على الفقهِ ولا عجب فلولا التاريخ ما عُرفت الاديان والمذاهب لكن المجيدين المحققين قلائل وهم بالاجمال في المتقدمين من العرب اكثر منهم في المتأخرين بخلاف الامم الغربية

فممن انتحلهُ من الاعلام عند العرب الطبري والذهبي والبخاري والكلبي وابن تيمية وعبد اللطيف البغدادي وابن عساكر وابن خلدون وابن الخطيب وابن حجر وابن النجار وابن شاكر وابن شهبة وابن الساعي وابن الاثير وابن سلامة وابن البواب وابن الفرات وابن خلف وابن بشكوال وابن عربشاه وابن اياس وابن خلكان وابن الكتبي وابن العمري وابن العميد وابن اسحق وابن الوردي وابن عباس وابن الجوزي وابن دينار وابن العبري وابن بطريق وابن ابي أُصيبعة وابو الفدا وابو شامة وابو نعيم وابو المحاسن وابو الفرج والفخري والقرطبي والبلاذري والعبدي والصولي والمسبحي والصدفي والصابي والمراكشي والمقريزي والواقدي والسيوطي والنويري والصفدي والسخاوي والغزي والمسعودي والقرماني والمحبي والرازي والنجار والجبرتي والسمعاني وعشرات غيرهم ممن كان التاريخ من جملة علومهم وربما اشتهروا بغيرهِ وصنفوا فيهِ التصانيف الممتعة التي سرد منها صاحب كشف الظنون الفاً وثلثمائة تاريخ منوعة. قال صاحب النتائج ان منها خمسة عشر مصنفًا حسنة الترتيب قليلة الكلام على الحوادث التاريخية القديمة ينبغي ان تدرس في المدارس لكنها خلت عما يلزم في التاريخ من الربط المعنوي

واذ تصدّى الاعاظم لتسطير الحوادث خشية ضياعها جاءت مكتوباتهم بالنسبة لعصورهم حسنة في بابها الاَّ انهُ ينتقد على بعضهم ما وقع فيهِ مؤرخو الامم السائرة من الانقياد للدين وهو عيب عام في جماع المؤرخين من متقدمين ومتأخرين فيحملون على مخالفيهم في معتقداتهم حملة منكرة يغمطون حسناتهم ويقلبونها سيئات وكثيرًا ما يطعنون في انسابهم ويوقعون بهم الغميزة والنقيصة وان كانوا لا يستحقون في الواقع ونفس الامر الاَّ المحمدة والثناء وبالعكس يموّهون في سيئات ابناء دينهم ويحاولون صبغتها بصبغة الحسنات

ولا نتصرف عبارات الواقدي في فتوح الشام بشأن الروم والانحاء عليهم باللعنات الأعلى التعصب وليس هو وحده سقط في هذه المهاوي فان له اضرابًا من مؤرخي القرون الوسطى من الفرنجة الاولى رموا الكلام على عواهنهِ وتقوّلوا على الاسلام والمسلمين وحوادث الصليبيين بما لا يسوغ عدّه الأ في باب الخيالات والترهات (١) كأنهم لا يرون من الدين ان يكتب الانسان بصدق واذا لم تشم من المؤرخ رائحة المعتقدات شقّ ذلك على قومهِ وعدوه مارقًا ساقطًا

وهذا ما دعا طلّاب الحقيقة في هذا العصر ان لا يثقوا بما كتب في القرون السالفة عن كوائن الصليبيين وحروبهم فذهبوا الى ان اخبارها لم تمحص بعد فلا هم يريدون نقلها عن مؤرخيهم والاستسلام لآرائهم لما عرفوا من تعسفهم ولا هم يثقون بمؤرخي العرب لما انهم سقطوا في ما سقط فيهِ مؤرخوهم انفسهم كيف لا وقد خلط بعض كتاب العرب فلم يميزوا ان جيوش الصليبيين التي دهمت الشام ومصر كانت منوعة الاجناس واللغات والعارف منهم من يسمي ريكاردس قلب الاسد ملك انكلترا " ملك الانكتار " ولم يدر ما اسمهُ الحقيقي مع قربهِ من صلاح الدين او يستريح فيطلق على الجميع لفظ الافرنج والعلوج او الكفار

وما ينتقد على المورخين من نعرة الدين ينتقد ما يملونهُ بلسان العصبيَّة والجنسيَّة والوطنيَّة لانها تفسد التاريخ فلا تبقي من جوهرهِ اثرًا ضئيلاً ولا رسمًا محيلاً فيعمى من يميل مع واحدة عن معايب قومهِ او يتعامى . فاذا ذكر حربًا نشبت بين امتهِ وجارتها اعطى الحق بجملتهِ الى امتهِ واسجل بانها محقة وعدوّتها محقوقة يشمت بقهر هذه ويغالي بانتصار تلك ولا يستكبر هزيمة قومهِ مهما جلت ويفحش في التهويل بما اوقعتهُ امتهُ بجارتها . كأن التاريخ ليس الأ سرد اقاصيص مدخولة يتوقع منها ان تروق في اعين من كتبت لهم وتستدعي إعجابهم وطربهم لا حقائق راهنة يثبتها كاتبها للعبرة بها والتنفع بمضمونها

ولعلهُ يعد في باب الوطنية تجافي مؤرخي العرب عن ذكر حوادث مجاوريهم من الروم والفرس والحبشة دع عنك مَن في القاصية من الامم واقتصارهم منها على جمل متقطعة اذ اختصوا تواريخهم بشرح احوال دولهم وبلادهم واشخاصهم فلم يصلح ما كتبوهُ الأ ان يُدعى تاريخًا للمسلمين لا تواريخ كلية عامة تُعنى بهم كما تُعنى بغيرهم . او يُفسَّر ذلك بانهم احتقروا من عداهم فلم يسعوا الى إشغال صفحاتهم باخبار عداتهم . او انهم آثروا الراحة على البحث ورأوا من الاحرى الاكتفاء بما وصلهم من اخبار دولهم وبلادهم وتلقوا اخبار غيرهم عن اهل

(١) راجع كتاب الاسلام (خواطر وسوانح) للكنت هنري دي كاستري لمعربهِ احمد فتحي بك زغلول المطبوع في مصر

القوافل والمكارين والجمّالين فجاء اكثرها غثّا عاريًا عن الفائدة التاريخية . كأنهُ يكفي المؤرخ ان يسطّر ما يتراءى لهُ امام قِمطرهِ دون ان يضرب في مناكب الارض ليحيط خبرًا بحال الشعوب والامصار ويتغلى في البحث عن معنويّاتهم وماديّاتهم

وغير نكير ان الامانة والعلم وهما الدعامتان اللتان يستند اليهما التاريخ تقضيان على كاتبهِ ان يتجرّد فيما يثبت عن كل ما يخلّ بشرف غايتهِ . ولكن قلّ في البشر من خلص من معايب ومعاير تضرّ بجوهر الغرض

ومما يسقط المؤرخ فيهِ طوعًا او كرهًا علّة وتربيتهُ فللمرء من ورائهما اعظم زاجر ودافع في اطوار حياتهِ . والمحيط حاكم متحكم على الانسان في اخلاقهِ وافكارهِ بحيث يعتقد الوهم صدقًا والصدق كذبًا بحتًا . فمن تأثير البيئة او المحيط مغالاة مؤرخي العرب في تصوّر معنى الجن وايراد الاعجوبات لهم وذكر ما يخالف المحسوس من امرهم وقد كانوا يعتقدون ذلك في الجاهليّة ولم يكن الاسلام ليمحو هذه الاوهام من نفوسهم . والجهل بنواميس الطبيعة واحوال المجتمع الانساني حمل كثيرين من المؤرخين على الاعتقاد بوجود عوج بن عنق او عوق وضخامة جثتهِ فرووا لهُ عن الاسرائيليات ما يكذبهُ العيان وينفيهِ المشاهَد

والجهل حدا مؤرخي اليونان الى مجاراة اهواء عصورهم ومتابعة خرافات جيلهم وقبيلهم . والجهل ساق مؤرخي الرومان الى الاعتقاد بانّ لهم اصلاً سماويًا فشحنوا مصنّفاتهم بما جادت بهِ قرائحهم من الخزعبلات والترهات . والجهل قضى على بعض مؤرخينا ان يذكروا ان والد الاسكندر ذي القرنين كان يحمل الى دارا ملك الفرس كل عام بيضًا من ذهب خراجًا ولم يبينوا لنا تلك الدجاجات (الفراخ) التي باضت تلك البيوض . ومثل ذلك قل عن مغالاتهم في توسيع الارقام ووصف القوى والرجال ومئات من الامثلة التي وقع فيها الافرنج والعرب على السواء والمّ ببعضها ابن خلدون في مقدمتهِ عند ذكر مذاهب التاريخ وما يعرض للمؤرخ من اوهام ومغالط

واما الخوف من بطش الظلمة ورقاعات الجهلة فهو هو مستجمع تلك النقائص ومستوبل هاتيك المشوّهات . وقديمًا لم يكن الامراء يستحلون الضغط على العقول والتلاعب بالعلم واهلهِ وما ذهب اليهِ بعض من كتب على العرب من الفرنجة من انهُ لم يكن لمؤرخيهم الحريّة في اظهار الحقائق التاريخية مخافة ان يتربّص بهم حكامهم الدوائر اذا دوّنوا ما لا يرفع شأنهم فهو كلام فيهِ نظر ومجمل يحتاج الى تفصيل ينقضهُ ما عُرف من حريّة العلم والتأليف على عهدهم

ومن السفسطة ما يرتئيهِ كثيرون ايضًا من ان الدولة الأمويّة لم تكن من الاستبداد

بالدرجة التي وصفها بها المؤرخون لان معظمهم كانوا عباسيين ومكرهين ضمنًا او علنًا على الإشادة بمناقب خلفائهم وتكثير معايب مَن سلفهم تزلفًا ونفاقًا فهذا وهمٌ لا مسحة عليهِ من التحقيق. وربما يزيفون ايضًا ما رواهُ ابن تيمية وهو اعلم العالمين بتاريخ الاسلام من ان الجيش العباسي لمَّا هزم الجيش الأُموي في احدى الوقائع التي قُضي بها على الامويين وجد في كل خيامهم دنان الخمر واقداح الراح . ومهما حاول امثال هؤلاء نقض ذلك فليس في المكنة تبرئة ساحة دولة ممَّا اجمع عليهِ الاباعد والاقارب وتناقلهُ سكان المشارق والمغارب . ولا مناص ممَّا قام عليهِ دليلهُ من نفسهِ فان كل خبر تسلسلت روايتهُ وتواتر تواتر مجيء موسى وعيسى ومحمد وابراهيم يُعَدّ من فائل الرأي انكارهُ والقول بخلافهِ

وان الصادقين من الاخباريين ليحدثونا بان فساد الاخلاق لما استشرى اواسط الدولة العباسيَّة وانتشر ملوك الطوائف كثر التشيّع للاغراض فبيعت الضمائر بثمن بخس تزلُّفًا من الامراء والكبراء " واعوز الصدق في الاخبار والقسم " ومع هذا ظهرت حقيقة المحسن والمسيء على جليتها مطهرة مما غشيها رغم الوسائط التي لجأوا اليها تدليسًا على من بعدهم. والحقُّ لا يخفى ولو لُبِس عليهِ اعوامًا وقرونًا

قيل ان احد مؤرخي الاندلس ترجم في كتاب لهُ احد ملوكها بما لا يرضيهِ ونشرهُ في البلاد والمترجم لا يزال حيًّا قادرًا فلما نمي الخبر اليهِ استشاط غضبًا فاشار عليهِ ابنهُ ان يكل اليهِ قتل المؤرخ انتقامًا وعبرة فوبخهُ على هذا الفكر قائلاً يا بُنيّ ان قتل المؤرخين يُعدُّ منقصة في الملوك فاذا قتلناهُ ونحن على ذلك قادرون ساءت سمعتنا عند مجاورينا من الملوك وانتشر عنا قبح الاحدوثة بين رعيتنا ونحن لا نأمن ان يرمونا بكل كبيرة . والاحجى ان نبعث اليهِ بصرة من الدنانير ارضاءً لهُ . فلما انفذ اليهِ مع رسول من قبلهِ صرّة تستميل قلبهُ وضعت في ثيابهِ وهو داخل الحمام مع رقعة معناها ان من قدر على ايصال هذه الصرّة لك وانت لا تدري بها يهون عليهِ قتلك وهدر دمك فاتّقِ الله فينا ولا تعد الى ما وسمتنا بهِ في تاريخك انفضّ الخلاف بين الملك ومؤرخهِ فكفّ هذا من غرب لسانهِ ولكن بعد ان ملأت نسخ تاريخهِ كل قطر ومصر وسارت حثيثًا في البر والبحر

ومن ملوك الطوائف من كان يستعمل القسوة مع المؤرخين ويكرههم على كتابة التاريخ كما يشاء على نحو ما فعل عضد الدولة بن بويه لما ملك بغداد وسائر العراق بان أمر ابا اسحق الصابي الكاتب المشهور بتأليف كتاب في اخبار الدولة الديلمية يشتمل على ذكر قديمهِ وحديثهِ فامتثل امرهُ وسمى كتابهُ بالتاجي نسبة الى تاج الملك من القاب عضد الدولة واخذ يشتغل في

تصنيفهِ ويشفق عليهِ من روحهِ . فرُفِع الى عضد الدولة ان صديقاً للصابي دخل عليهِ فرآهُ في شغل شاغل من التسويد والتبييض فسأَلهُ عما يعمل فقال اباطيل انمقها واكاذيب الفقها . فانضاف تأْثير هذه الكلمة في قلب عضد الدولة الى ما سمعهُ من حقدهِ على ابي اسحق وتحرَّك لها كامن ضغنهِ فامر ان يُلقى تحت ارجل الفيلة فأكبَّ جماعة من ارباب الديوان على الارض يقبلونها بين يديهِ ويشفعون اليهِ في امرهِ الى ان امر باستحيائهِ مع القبض عليهِ واستصفاء اموالهِ فبقي في الاعتقال بضع سنين الى ان تخلص في آخر ايام عضد الدولة وقد ساءت حالهُ وتهتك سترهُ

ومن المؤرخين من شايعوا رقاعات العامة الجهال وذهبوا مع كدورات تياراتها وحاذروا من القول بما يبعد عن التصورات الواطئة فأكثروا من ذكر الصالحين وتقديس اهل اليقين وخلطوا في مضاعفة كرامات الاولياء وتسطير مضحكات البلهِ وصقلها بطلاء يقربها من الحقيقة وأغرقوا في التأويل وطاوعوا وساوس الاغراب وصفُّوا الاغبياء في مصاف العلماء مما لا ينكرهُ من طالع كتب التراجم خصوصاً الحديثة وحكَّم العقل في المقال والمقول فيهِ

الا وان التاريخ الذي يرجع اليهِ هو تاريخ رجل عاقل عالم لا يميل مع ما يقال لهُ دين او وطنية او جنسية او عصبية ولا يصرح الا بما يوافق المعقول ولا يخاف ظالماً ولا يرغب في مرضاة احد . ما التاريخ الحقيقي الا ما كان ملؤُهُ الفلسفة وحشوهُ التحقيق يبحث في الاخلاق والعادات والآراء والمذاهب ويأتي على اوائل اجتماع الامم وما كانت عليهِ احوالهم واصولهم ولغاتهم ومعايشهم وعقولهم وسياساتهم ومنازعهم وفقرهم وغناهم ويدرس احلام مشاهير الناس ومناقبهم ومثالبهم التي اثرت في بلادهم وما الداعي لتقدم المدنية والصناعات والعلوم

واول من كتب التاريخ على هذا الطرز ويسمى بالتاريخ الفلسفي او الادبي هو ابن خلدون فانهُ تفلسف في المقدمة على العمران وما يعرض لهُ وردَّ الحوادث الى اصول كلية وضبطها بقواعد وروابط عامة ثابتة مع بيان اسبابها وغاياتها فكان واضع فلسفة التاريخ وعلم العمران في غالب الآراء. وعلى اثرهِ مشى مؤرخو الافرنج . لكنهُ لم يحسن في تاريخهِ احسانهُ في المقدمة لانك تجد اشياء تؤخذ عليهِ قد يكون نصَّ عليها في مقدمتهِ ولعلهُ كتبها بعد الفراغ من تاريخهِ لما نضجت افكارهُ وكثر اختبارهُ على ان لهُ تاريخاً مطولاً لم يعرف فيما اعلم ولعل فيهِ البلاغ

ومن اشهر تواريخ العرب تاريخ ابن جرير الطبري المدعو باخبار الملوك والامم وهو اقدم تاريخ بين الايدي والمعوَّل عليهِ عند الحفظة الثقات كتبهُ الى سنة ٣٠٢ بما دل على سعة علم وحسن رأي وصدق في القول والعمل وقد حلاهُ برسائل الخلفاء والامراء والعلماء فجاء ملذاً

في المطالعة منشّطاً على التأمل وان اورثهُ ذلك تطويلاً بالنسبة لما يتطلبهُ اهل العصر الحاضر من الاختصار . ذكر ابن الجوزي ان ابن جرير بسط الكلام في الوقائع بسطاً وجعلهُ مجلدات وان المشهور المتداول مختصر من الكبير وانهُ هو العمدة في هذا الفنّ .وذكر ابن السبكي في طبقاتهِ ان ابن جرير قال لاصحابهِ هل تنشطون لتاريخ العالم من آدم الى وقتنا هذا قالوا كم قدرهُ فذكر انهُ ثلاثون الف ورقة فقالوا هذا يفني الاعمار قبل اتمامهِ فقال انا لله وانا اليهِ راجعون ماتت الهمم وخمدت العزائم فاختصرهُ في نحو ما اختصر التفسير

وممن عاصر ابن جرير المسعودي صاحب مروج الذهب واخبار الزمان اما الاول فمعروف وقد ترجم الى بعض اللغات الاوربية واما الثاني وهو المعتمد عليهِ والمرجوع في المعضلات اليهِ فلا اثر لهُ هنا ولا في اوربا . وعبارة مروج الذهب واضحة المناهج متينة التراكيب وهو مرتب الاصول لو خلا من بعض ما شوّهُ المقدمة من الخرافات . اما ما يعيبهُ عليهِ بعضهم من نقص جغرافيتهِ فلا يعد الأكلاً لان المسعودي المّ بكل ما عرف لعهدهِ من اطراف الارض . واسلوب الجغرافية قد انقلب في الاعصر المتأخرة ظهراً لبطن فما بالك بهِ منذ عشرة قرون . وكان المسعودي رُحلَة الآفاق درس — كما قال سيديليو — تاريخ الرومان واليونان والامم المشرقية القديمة والحديثة ولهُ اطلاع واسع على اديان المجوس والوثنيين واليهود والنصارى والاسلام . وصل بتاريخهِ الى سنة ٣٣٢

وممن وُفر تاريخهُ في الصدور ونال الحظوة من الناس فعُدَّ الحجة الثبت والأمين في الاستفتاء ابن الاثير صاحب تاريخ الكامل الذي وصل بهِ الى سنة ٦٢٨ وهو مرتب على السنين جمع الحادثة التي وقعت في اوقات متعددة في محل واحد — على ما نقل عن نفسهِ — مع ذكر شهورها وسنيها فأتت الحوادث الكبيرة متناسقة آخذاً بعضها برقاب بعض . جمع هذا المؤرخ شتات الاخبار الجارية في المشرق وتجرّد عن الغرض فجاء تأليفهُ كاملاً في بابهِ يغني عن تصفح المجلدات الضخمة البعيدة على المتناول على ما فيها من الاخلال والاملال واقتصر فيهِ على اللُّباب ولم يطرح العظيم من الكائنات ويتعلق بذكر الامور التافهات . ولو عرّي صدرهُ من بعض ما لا يسلم بهِ مؤرخو هذا العصر من الحوادث المنقولة عن الاسرائيليات لكان بهِ اولى

واختصر الكامل ابو الفداء وزاد عليهِ المتجددات بعد تاريخهِ. قال سيديليو ان ابا الفداء استمدّ تاريخهُ من كتب متوسطة الاعتبار ولا بأس بمراجعتهِ لاجتناء ثمرة التاريخ الاسلامي سياسياً كان او ادبياً وتاريخ امبراطرة اليونان اهل القرن الثامن والتاسع والعاشر للميلاد .وعبارة ابي الفداء موجزة مسبوكة تشفُّ عما يكن صدر صاحبها من العلم العمراني والسياسي والطبيعي مات سنة ٧٣٢

واختصر ابن الوردي تاريخ ابي الفداء وزاد عليهِ ما شهده من الحوادث الى ٧٤٨ هجرية فاجاد كل الاجادة بحيث يصح إقراؤه لتلامذة المدارس لخلوّه مما يشوش الذهن من التطويل الممل وان تجرّد كسائر تواريخنا من ذكر الاسباب ومسبباتها . وابن الوردي من العلماء الامناء الذين لا يرقبون في الظلمة والجهلة الاَّ ولا ذمة

واشتهرت بعض التواريخ شهرة متوسطة كتاريخ البلاذري وتاريخ مصر لابن إياس وتاريخ الخلفاء للسيوطي وتاريخ القرماني وتاريخ ابن الشحنة وتاريخ العتبي في دولة محمود بن سُبكتكين وتاريخ آل سلجوق للعماد الكاتب . وعبارة التاريخين الاخيرين على الإغراق في حسن سبكها عليها شائبة التكلف لما ان مؤلفيهما التزما فيها السجع وفنون البديع فعُمِّي على القارئ مغزى الحوادث التاريخيَّة والفوائد السياسيَّة

وتاريخ دمشق لابن عساكر هو على اسلوب المحدثين مطوّل باسانيده واختلاف رواياته وفيهِ الغث والسمين ولا يخجو المؤلف من تبعة ما حاول القاءه على قائليهِ من الحوادث التي لا يقبلها صغار اولاد المدارس لعهدنا . ولعلَّ من اختصروا هذا التاريخ قديمًا من العلماء كالذهبي حذفوا منهُ هذه الضلالات ولكن مَن لنا بتلك المختصرات

وجاء في المتأخرين بعض المؤرخين وافضلهم فيما احسب الجبرتيّ الذي كتب تاريخًا لمصر منذ الفتح الاسلامي مختصرًا ووصل بهِ ما شاهده من الحوادث الى سنة ١٢٧٦ يومًا يوم وشهرًا بشهر بعبارة سهلة لم يعاود تنقيحها فيما يظهر ولهجة يتدفق الاخلاص منها ممزوجةً بآرائهِ. وهو من العلماء المحققين عارف بالسياسة قريب من مصادرها ضليع من احوال بلادهِ وقومهِ . وقد كانت الامانة تقضي على من طبعوه ان لا يحذفوا منهُ القسم الخاص بمحمد علي الكبير واخبار الدولة التي عُني بتأسيسها في مصر لان فيهِ فوائد تاريخيَّة لا يصح كتمها بحال

امَّا تواريخ التراجم والطبقات فكثيرة العدد كالتواريخ السياسية الاَّ ان معظمها لم يطبع . ومع ان المسلمين كانوا اول الامم التي اجتهدت من وراء الغاية في تحرير السند ونقد الرجال ذهابًا بالسنة عن مظان الضعف نظروا في التراجم الى الجسديات لا الى الروحانيَّات ومن السهل ان يتلبَّس بالاولى من يريد ان يتلبَّس فاختلط المرعيّ بالهمل. والمجيدون المنصفون قلائل في المتأخرين والمتقدمين والنافع من كل شيء نادر

وممن اجاد في ترجمة الناس ابن خلكان في القرن السابع وقد قصر تاريخهُ على اعاظم العلماء والكبراء ممن اثَّروا في حياتهم . وفي تاريخهِ تقرأ الاخلاص والصدق والعلم . وجاء الصلاح الكتبي وذيَّل تاريخ ابن خلكان الاَّ انهُ عني بالشعراء خاصَّةً خشية ان تفقد تراجمهم لعدم

اشتهارهم وترك علماء اشتهروا وملأ كتابهُ بالقصائد والموشحات والمواليا وبعضها سقيم . ومنهم ابن ابي أُصيبعة المتوفى سنة ٦٦٨ كتب طبقات الاطباء وترجم جانباً ممن غلبت عليهم الفلسفة من الاعلام وتجافى كتّاب السير عن سرد اسمائهم في عداد مترجميهم لانهم لم يستحسنوا في غالب الظن ان يُطلقوا اسم العالم الأعلى الفقيه والمحدّث والنحوي والشاعر والزاهد امَّا الطبيب والمهندس والفيلسوف فلا حظّ لهم من هذا الاسم ولا حق في تخليد اعمالهم

وكتب السخاوي كتاب "الضوء اللامع في تراجم اهل القرن التاسع" والنجم الغزي كتاب "الكواكب السائرة في اعيان المائة العاشرة" والمحبي "خلاصة الاثر في اعيان القرن الحادي عشر" والمرادي "سلك الدرر في تراجم اهل القرن الثاني عشر" ويفضلهم السخاوي بصدق لهجتهِ وإقلالهِ من الاطراء وقلة تحاشيهِ من ايراد المساوىء برمتها . اما الغزي والمحبي والمرادي فانهم رفعوا قدر آبائهم وانسبائهم وحشروا في عداد العلماء من لا يسوغ عدهُ فيهم كفلان الصالح وفلان الخلاّط وفلان المؤذن او المغني . ومع ان في ما دونوهُ عثرات تُتقى ففيها ايضاً فوائد تُنتقى . ذلك لقلة الظفر بتواريخ لاعصارهم فيها مشاهير الناس وخيارهم

ولقد ذهب بعضهم الى ان "قلائد العقيان" للفتح بن خاقان وذيلهُ "مطمح الانفس في ملح اهل الاندلس" و"يتيمة الدهر" للثعالبي و"ريحانة الالباء" للخفاجي "واعيان الشام" هي ايضاً كتب سير وحقيقتها انها كتب ادب فيها دقائق شعريَّة ورقائق نثريَّة وحوادث عصريَّة وليست من التاريخ في شيء . وللمؤلفين في كتبهم مقاصد لا ينبغي التسرّع في الحكم عليهم وعليها قبل افراغ الجهد في الاستقراء والاحاطة بخفيها وجليها

هذا رأيي فيما اطلعت عليهِ من تواريخ العرب اثبتهُ على علاتهِ مخمَّراً كان اوفطيراً وتركت الحكم على ما لم يسعد الحظ بالاطلاع عليهِ. بقي لي ان استفتي رجال العلم في ما اذا كان تاريخ العصر الحاضر يكتب كما كتب تاريخ العصر الغابر بلسان المحاباة والمداجاة او بلسان النَّصفة والاعتدال. نعم ان الجرائد اليوميَّة والصحف السيَّارة تسطرّ الحوادث غالباً ولكن اذا لم يتفلسف فيها فلسفة مجردة عن الغرض والعرض وتحفظ في كتب خاصة لا يبعد ان تضيع كما انتثر كثير من سلاسل التاريخ

ولعل فيّ المشهورين الثقات لعهدنا من يحسن كتابة تاريخنا على الاقلّ ان لم اقل التاريخ العام فقد كثر الاختلاط وانتشرت الصحف والكتب وقربت الاباعد حتى لم يعد عذر للمؤرخ بعدم تعرّضهِ لحوادث الارض كما يفعل المؤرخون في الغرب هذا العصر فيقرّبونهُ ما امكن من الاذهان ويفرغونهُ في قالب حسن من التنسيق والبيان

محمد كرد علي

امثال المتنبي

جمعها الصاحب بن عباد لفخر الدولة

عقبى اليمين على عقبى الوغى ندمُ ... ماذا يزيدك في إقدامك القسمُ [١]

لا تطلبنَّ كريماً بعد رؤيتهِ ... ان الكرام باسخاهم يدًا خُتموا

ولا تبالِ بشعرٍ بعد شاعرهِ ... قد أُفسد القولُ حتى أُحمد الصَمَمُ

وما عاقني غيرُ قولِ الوشاةِ ... وان الوشايات طُرْق الكذبْ

ومن ركب الثور بعد الجوا ... د انكر اظلافهُ والغبَبْ [٢]

واذا خامر الهوى قلبَ صبٍّ ... فعليهِ لكلِّ عينٍ دليلُ

زودينا من حسن وجهكِ ما دا ... م فحسنُ الوجوهِ حالٌ تحولُ

ان تربني ادمتُ بعد بياضٍ ... فحميدٌ من القناةِ الذبولُ [٣]

وكثيرٌ من السؤَّال اشتياق ... وكثيرٌ من ردّهِ تعليلُ [٤]

ما الذي عندهُ تدار المنايا ... كالذي عندهُ تدار الشمولُ [٥]

غدرتَ يا موت كم افنيتَ من عددٍ ... بمن اصبتَ وكم اسكتَّ من لجبِ [٦]

وان تكن تغلب الغلباءِ عنصرها ... فان في الخمر معنًى ليس في العنبِ [٧]

وعاد في طلب المتروك تاركهُ ... انا لنغفلُ والايامُ في طلبِ

فلا تنلك الليالي ان ايديها ... اذا ضربن كسرن النبعَ بالغَرَبِ [٨]

ولا تعن عدوًّا انت قاهرهُ ... فانهنَّ يصدنَ الصقر بالخربِ [٩]

وان سررت بمحبوب فجعنَ بهِ ... وقد اتينك في الحالين بالعجبِ

وما قضى احد منها لبانتهُ ... ولا انتهى اربٌ الاَّ الى اربِ [١٠]

تخالف الناس حتى لا اتفاق لهم ... الاَّ على شَجَبٍ والخلق في الشجبِ [١١]

---

(١) الوغى الحرب اي من اقسم انهُ يفوز في الحرب وهو ليس من ذوي الاقدام فعاقبة قسمهِ الندم مثل عاقبة حربهِ لان القسم لا يزيدهُ اقداماً

(٢) الغبب اللحم المتدلي تحت حنك الديك والبقر (٣) ادم اسمرَّ اي علتني السمرة من كثرة السفر

(٤) الرد الجواب والتعليل التلهية (٥) الشمول الخمر (٦) اللجب الجلبة

(٧) تغلب اسم قبيلة والغلباء وصف لها اي العزيزة وعنصرها اصلها

(٨) النبع شجر صلب والغرب نبات لين اي تضرب القوي بالضعيف

(٩) الخرب ذكر الحبارى وهو طائر ضعيف ابله (١٠) اللبانة الحاجة وكذا الارب (١١) الشجب الحزن

فقيل تخلص نفس المرء سالمة   وقيل تشرك جسمَ المرء في العطبِ
ومن تفكَّر في الدنيا ومهجتهِ   اقامهُ الفكر بين العجز والتعبِ (١٢)
كفى بك داء ان ترى الموت شافياً   وحسب المنايا ان يكنَّ امانيا
تمنيتها لما تمنيتُ ان ارى   صديقاً فاعيى او عدوًّا مداجيا
اذا كنتَ ترضى ان تعيش بذلة   فلا تستعدنَّ الحسامَ اليمانيا
فلا ينفعُ الاسدَ الحياء من الطوى   ولا تُتقى حتى تكونَ ضواريا
فان دموع العين غدرٌ بربها   اذا كنَّ خلفَ الغادرين جواريا (١٣)
اذا الجود لم يكسب خلاصاً من الاذى   فلا الحمد مكسوباً ولا المال باقيا
وللنفس اخلاق تدلُّ على الفتى   اكان سخاء ما اتى ام تساخيا
خُلقتُ الوفًا لو رجعتُ الى الصبى   لفارقت شيبي موجع القلب باكيا (١٤)
قواصدَ كافور توارك غيرهِ   ومنْ قصد البحر استقلَّ السواقيا
حسن الحضارة مجلوبٌ بتطرية   وفي البداوة حسن غيرُ مجلوبِ (١٥)
فما الحداثة من حلم بمانعةٍ   قد يُوجدُ الحلم في الشبان والشيبِ
ابى خلُق الدنيا حبيباً تديمهُ   فما طلبي منها حبيباً تردُّهُ
واسرع مفعول فعلتَ تغيرًا   تكلُّفُ شيء في طباعك ضدهُ
واتعب خلق الله من زاد همُّهُ   وقصَّر عمَّا تشتهي النفس وِجدُهُ (١٦)
فلا مجد في الدنيا لمن قلَّ مالهُ   ولا مالَ في الدنيا لمن قلَّ مجدهُ
وفي الناس من يرضى بميسور عيشةٍ   ومركوبهُ رجلاهُ والنعلُ جلدهُ
وما الصارم الهنديُّ الا كغيرهِ   اذا لم يفارقْهُ النجاد وغمدهُ
وما منزل اللذات عندي بمنزلٍ   اذا لم ابجَّلْ عندهُ واكرَّمِ
اذا ساء فعل المرء ساءت ظنونهُ   وصدَّق ما يعتادهُ من توهُّمِ
اصادق نفسَ المرء من قبل جسمهِ   واعرفها في فعلهِ والتكلُّمِ
واحلم عن خلي واعلم انهُ   متى اجزهِ حلماً على الجهل يندمِ
وان بذل الانسان لي جودَ عابسٍ   جزيت بجود الباذل المتبسِّمِ
وما كل هاوٍ للجميل بفاعلٍ   ولا كلُّ فعَّالٍ لهُ بمتمِّمِ

(١٢) المهجة الروح والدم (١٣) غدر جمع غدور اي غادرة بربها (١٤) الالوف الشديد الالفة
(١٥) التطرية الدعك بالطيب والحسنات (١٦) الوجد مثلثة الواو الغنى والسعة

ولم ازجِ الاّ اهلَ ذاك ومن يرِدْ مواطرَ من غير السحائب يظلمِ
فاحسنُ وجهٍ في الورى وجه محسنٍ وايمنُ كفٍّ في الورى كفُّ منعمِ
واشرفهم من كان اشرفَ همةً واكثر اقداماً على كلّ معْظمِ
لمن تطلبُ الدنيا اذا لم ترد بها سرورَ محبٍّ او اساءة مجرمِ (١٧)
انما تنجح المقالة في المر ء اذا صادفت هوى في الفؤادِ
قد يصيب الفتى المشير ولم يجـ ـهدْ ويخطي المرادَ بعد اجتهادِ
واذا الحلم لم يكن في طباعٍ لم يحلّمْ تقدّم الميلادِ (١٨)
واطاعتك اسدُ دهرك والطا عة ليست خلائق الآسادِ
واذا كان في الانابيب خُلفٌ وقع الطيش في صدور الصعادِ (١٩)
كيف لا يترك الطريق لسيل ضيِّق عن أتيِّهِ كلُّ وادِ (٢٠)
وما الخيل الاّ كالصديق قليلة وان كثُرت في عين من لا يجرِّبُ
اذا لم تشاهد غير حسن شياتها ولبّاتها فالحسن عنك مغيَّبُ (٢١)
لحى الله ذي الدنيا مناخاً لراكبٍ فكل بعيد الهمِ فيها معذَّبُ
وكل امرئٍ يولي الجميل محبَّبٌ وكل مكان يُنبتُ العزَّ طيبُ
ولو جاز ان يحوُوا علاك وهبتها ولكن من الاشياء ما ليس يوهب
واظلم اهل الظلم من بات حاسداً لمن بات في نعمائهِ يتقلبُ
وقد يترك النفس التي لا تهابهُ ويخترمُ النفس التي تتهيَّبُ
فلا يديمُ سروراً ما سررتُ بهِ ولا يردُّ عليك الفائت الحزَنُ
يا من نعيتُ على بعدٍ بمجلسهِ كل بما زعم الناعون مرتهنُ
ما كل ما يتمنى المرء يدركهُ تأتي الرياح بما لا تشتهي السفنُ
غير أنّ الفتى يلاقي المنايا كالحاتٍ ولا يلاقي الهوانا (٢٢)
ولوَ انّ الحياة تبقى لحيٍّ لعدَدْنا اضلَّنا الشجعانا
واذا لم يكن من الموت بدٌّ فمن العجز ان تكون جبانا

(١٧) اراد بالدنيا المال والجاه (١٨) اي التقدم في السن (١٩) الانابيب ما بين عقد الرمح والخلف الاختلاف والطيش الخفة وصدور الصعاد اعالي الرماح (٢٠) الأتي السيل الغريب اي الآتي من مكان الى مكان . وكلُّ وادٍ فاعل ضيق (٢١) الشيات جمع شية اللون واللبات المناحر (٢٢) كالحات معبسات

كل ما لم يكن من الصعب في الأ نفس سهل فيها اذا هو كانا
فان يكُ انسان مضى لسبيلهِ فانّ المنايا غايةُ الحيوان
قال الزمان لهُ قولاً فاسمعهُ ان الزمان على الامساكِ عذّال[33]
القاتل السيف في جسم القتيل بهِ وللسيوف كما للناس آجال
يروعهُ منهُ دهر صرفهُ ابداً مجاهر وصروف الدهر تغتالُ
لطُفت رأيك في وصلي وتكرمتي ان الكريمَ على العلياء يحتالُ
لولا المشقة ساد الناس كلهمُ الجود يفقر والإقدام قتّالُ
وانما يبلغُ الانسان طاقتهُ ما كل ماشيةٍ بالرجل شِملال[34]
انّا لفي زمن ترك القبيح بهِ من اكثر الناس احسان واجمالُ
ذكر الفتى عمرُهُ الثاني وحاجتهُ ما قاتهُ وفضول العيش اشغالُ
ولما صار ودُّ الناس خبّاً جزيت على ابتسامٍ بابتسامِ
وصرتُ اشكُّ فيمن اصطفيهِ لعلمي انهُ بعض الانام
وآنف من اخي لابي وامي اذا ما لم اجدهُ من الكرامِ
ارى الاجداد تغلبها كثيراً على الاولاد اخلاقُ اللئامِ
عجبت لمن لهُ قدٌّ وحدٌّ وينبو نبوة العضْب الكهامِ[35]
ومن يجدُ الطريق الى المعالي فلا يذرُ المطيَّ بلا سنام[36]
ولم ارَ في عيوب الناس شيئاً كنقص القادرين على التمامِ
ويصدق وعدها والصدق شرٌّ اذا القاكَ في الكُربِ العظامِ
فان لثالث الحالين معنًى سوى معنى انتباهِكَ والمنامِ[37]
وللسرّ مني موضعٌ لا ينالهُ صديق ولا يفضي اليهِ شرابُ
وما العشق الاّ غرّةٌ وطماعةٌ يعرِّض قلب نفسهُ فيصابُ
وغير فؤادي للغواني رميةٌ وغير بناني للزجاج ركابُ
اعزّ مكان في الدنى سرجُ سابحٍ وخير جليسٍ في الزمان كتابُ
ابا اسداً في جسمهِ روح ضيغمٍ وكم أُسْدٍ ارواحهنّ كلابُ

(33) الامساك البخل والعذال المبالغة من العزل (34) الشملال الناقة القوية السريعة
(35) العضب السيف والكهام الكليل (36) السنام الحدبة في ظهر البعير اي عجب لمن يجد الطريق الى المعاني فلا يذيب سنام المطايا في تطلبها
(37) يريد بثالث الحالين الموت

وقد تحدث الايام عندك شيمةً ... وتنعمر الايام وهي يباب (٣٨)

اذا نلت منك الودَّ فالمالُ هيّنٌ ... وكل الذي فوق التراب ترابُ

ولكنك الدنيا اليَّ حبيبةً ... فما عنك لي الا اليك ذهابُ

يا من يرى انك في وعدهِ ... كمن يرى انك في حبسهِ

ولا يرجَّى الخير عند امرئٍ ... مرّت يد النخّاس في رأسهِ

فقلّما يلؤم في ثوبهِ ... الا الذي يلؤم في غرسهِ

اذا اتت الاساءة من وضيع ... ولم الم المسيء فمن الومُ

ماذا لقيت من الدنيا واعجبها ... اني بما انا باكٍ منهُ محسودُ

جود الرجال من الايدي وجودهمُ ... من اللسان فلا كانوا ولا الجودُ

فتى زانَ في عينيَّ اقصى قبيلة ... وكم سيّدٍ في حلّةٍ لا يزينها

وما كل من قال قولاً وفى ... وما كل من سيم خسفاً ابى

ولا بدَّ للقلبِ من آلة ... ورأيٍ يصدّع صمَّ الصفا

وكل طريق اتاهُ الفتى ... على قدر الرجل فيهِ الخطا

ومن جهلت نفسهُ قدرهُ ... رأى غيرهُ منهُ ما لا يرى

الحزن يقلق والتجمّل يردعُ ... والدمعُ بينهما عصيٌّ طيعُ

اني لاجبن من فراق احبتي ... وتحسُّ نفسي بالحمامِ فاشجعُ

ويزيدني غضب الاعادي قسوة ... ويلمُّ بي عتبُ الصديق فاجزعُ

تصفو الحياة لجاهل او غافل ... عمّا مضى منها وما يتوقعُ

ولمن يغالط في الحقائق نفسهُ ... ويسومها طلبَ المحالِ فتطمعُ

اين الذي الهرمان من بنيانهِ ... ما قومهُ ما يومهُ ما المصرعَ

تتخلّف الآثار عن اصحابها ... حيناً ويدركها الفناء فتتبعُ

بابي الوحيد وجيشهُ متكاثر ... يبكي ومن شرّ السلاحِ الادمعُ

واذا حصلت من السلاح على البكا ... فحشاك رعتَ بهِ وخدكَ تقرعُ

قبحاً لوجهك يازمانُ فانهُ ... وجهٌ لهُ من كل قبحٍ برقعُ

ومن ضاقت الارض عن نفسهِ ... حرٍ أن يضيق بهِ جسمهُ

تسوّدُ الشمس منا بيض اوجهنا ... ولا تسوّد بيض العذر واللممِ (٣٩)

---

(٣٨) اليباب الخراب (٣٩) العذر جمع عذار وهو جانب اللحية ما يلي الاذن واللمم جمع لمة وهي شعر الراس حتى يجاوز شحمة الاذن

وكان حالهما في الجود واحدةً   لو احتكمنا من الدنيا الى حكمِ

حتى رجعتُ واقلامي قوائلُ لي   المجدُ للسيف ليس المجدُ للقلمِ

توهَّم القومُ ان العجز قرَّبنا   وفي التقرُّبِ ما يفضي الى التُّهمِ

ولم تزل قلة الانصاف قاطعةً   بين الانام ولو كانوا ذوي رحمِ

هوِّنْ على بصرٍ ما شق منظرهُ   فانما يَقظاتُ العين كالحلمِ

ولا تشكُ الى خلق فتشمتهُ   شكوى الجريح الى العقبان والرخمِ

وكن على حذر للناس تسترهُ   ولا يغرَّك منهم ثغرُ مبتسمِ

غاض الوفاء فما تلقاهُ في عدةٍ   واعوزَ الصدق في الاخبار والقسمِ

كدعواكِ كلٌّ يدعي صحة العقل   ومن ذا الذي يدري بما فيهِ من جهلِ

ذريني انل ما لا ينال من العلى   فصعبُ العلى في الصعب والسهل في السهلِ

تريدين لقيان المعالي رخيصة   ولا بدَّ دون الشهد من ابر النحلِ

وليس الذي يتّبع الوبل رائداً   كمن جاءهُ في دارهِ رائدُ الوبلِ

وما انا ممن يدعي الشوق قلبهُ   ويحتجُّ في ترك الزيارة بالشغلِ

تحاذر هزل المال وهي ذليلة   واشهد ان الذل شرمن الهُزلِ (٣٠)

قد كنت احذر بينهم من قبلهِ   ولو كان ينفع حاذراً ان يحذرا

ان في الموج للغريق لعذراً   واضحاً ان يفوتهُ تعدادُهُ

ما سمعنا بمن احب العطايا   واشتهى ان يكون فيها فؤادُهُ

وغيظ على الايام كالنار في الحشا   ولكنهُ غيظُ الاسير على القِدِّ (٣١)

وليس حياء الوجه في الذئب شيمةً   ولكنهُ من شيمة الاسد الوَرْدِ (٣٢)

يعللنا هذا الزمان من الوعد   ويخدعُ عمَّا في يديهِ من النقدِ (٣٣)

كل جريح ترجّى سلامتهُ   الاَّ فؤاد دهتهُ عيناها

وخلٍ زيّاً لمن يحققهُ   ما كلُّ دامٍ جبينهُ عابدُ

لا بدَّ للانسان من ضجعة   لا تقلب المضجعَ عن جنبهِ

ينسى بهِ ما كان من عُجبهِ   ومن اذاقَ الموت من كُربهِ

نحن بنو الموتى فما بالنا   نعاف ما لا بدَّ من شربهِ

(٣٠) هزل المال اي المواشي المهزولة   (٣١) القدّ سير الجلد الذي يقيد بو الاسير

(٣٢) الورد الذي في صفرتو حمرة   (٣٣) النقد خلاف الوعد اي المعجل

تجـل ايدينا بارواحنا على زمانٍ هنَّ من كسبهِ
فهذه الارواح من جودهِ وهذه الاجسامُ من تربهِ
لو فكَّر العاشق في منتهى حسن الذي يسبيهِ لم يسبهِ
يموت راعي الضأن في جهلهِ ميتة جالينوس في طبهِ
وربما زاد على عمرهِ وزاد في الامن على سَرْبهِ(٢٤)
وغاية المفرط في سلمهِ كغاية المفرط في حربهِ
فلا قضى حاجتهُ طالبٌ فؤادهُ يخفق من رعبهِ
ما كان عندي ان بدر الدجى يوحشهُ المفقود من شهبهِ
ان النفوس عددُ الآجالِ . وربَّ قبح وحلًى ثقالِ
احسن منهُ الحسن في المعطالِ . فخر الفتى بالنفس والافعالِ
من قبلهِ بالعم والاخوالِ

لماذا يكثر العميان في وادي النيل

(تابع ما قبلهُ)

رابعاً . الاعتقادات والاوهام الباطلة . وهنا لا ادخل في امر الدين ولا اقصد الاشارة الى ملةٍ او شيعةٍ دون سواها . لان الخرافات والاوهام موجودة عند كل الامم حتى بين اكثر القوم ارتقاءً واعرقهم مدنيةً وان كنتَ في ريبٍ من ذلك فاقرأْ ما كتبهُ اميل زولا الكاتب الشهير في (سنت لورد) لتعلم الى اين ينتهي حد الخرافة عند بعض سكان فرنسا وهم يعدون في مقدمة اهل الارتقاء والحضارة

وخرافات الناس ضروبٌ شتَّى يضيق المقام دون تعدادها وحصرها فمنهم من يشير على المرضى بالاغتسال بمياه ميضأة الجامع الفلاني او بئر الدير الفلاني . ومنهم من يشير بالاكتحال من تراب الضريح الفلاني او الكنيسة الفلانية الى غير ذلك من المضحكات المبكيات . اتاني يوماً شاب صديق لي من شبان مصر الاذكياء ومعهُ شاب آخر اعمى من اقاربهِ لانظر في عينيهِ لعلي اجد لهُ حيلةً فوجدتهُ مصاباً بضمور العصب البصري فانفردت بصديقي وافهمتهُ ان علة قريبهِ لا يرجى شفاؤُها وانهُ سيبقى اعمى طول حياتهِ ولكنني طلبتُ اليهِ ان لا يطلعهُ

(٢٤) يقال فلان آمن السرب اي لا يغزى مالهُ ونعمهُ واهلهُ لعزهِ

على كل الحقيقة لكي لا يتنغص عيشهُ بل ان يفهمهُ ان الأمل برجوع بصره ضعيف ويلزمهُ ان يعتصم بالصبر الجميل . فنظر اليَّ وقال لي كلاَّ لا بدَّ لي من ان اطلع هذا المسكين على الحقيقة برمتها . قلتُ لماذا قال لاريحهُ مما يحدلهُ كل يوم من العذاب الاليم عملاً بخرافات اقاربهِ قلت وكيف ذلك قال لهذا الشاب اقارب جهلاء كثيرو الخرافات والاوهام والمعتقدات الفارغة فلما رأى بعضهم ان لاشيء ظاهر على عينيهِ من خارجهما حكموا انهُ مصاب باوراح خبيثة وصاروا يتفننون كل يوم في علاج جديد فطالما سقوهُ من المستنقعات المجاورة لاضرحة بعض المشايخ لاعتقادهم ان بركة اولئك الاولياء تبعد عنهُ الارواح الخبيثة وطالما جعلوا المجاذيب يتفلون في عينيهِ وكم غطسوهُ في ميضأة وسقوهُ من مائها حتى كره حياتهُ فاذا اطلعتهُ الآن على حقيقة امرهِ لا يعود يذعن الى خرافات اهلهِ فيستريح من العذاب . فاستصوبت رأي صديقي واطلعت قريبهُ على حقيقة امرهِ

هذا قليل مما هو شائع بين العامة الجهلاء من ضروب الخرافات وانواع الاوهام . فكيف لا يكثر العمى في البلاد التي تكثر فيها . وتصور ماذا تكون النتيجة اذا اصيب احدهم برمد يستدعي اهتماماً ومعالجة وعوضاً عن ذلك اكتفى بشرب ماء المستنقعات او الاكتحال بتراب القبور ولا تعجب بعد ذلك ان قلت لكن ان الجهل من اقوى اسباب العمى

السبب الثاني — الاقليم والتربة . ارض النيل في منطقة اقرب الى المنطقة الحارة منها الى المعتدلة ولذا يشتدُّ فيها الحرُّ في فصل الصيف ثم ان تربتها ناعمة فاذا هبت الريح حملت الغبار منها وسدَّت بهِ منافس الفضاء . واكثر المدن والقرى في وادي النيل مبنيٌّ على ارض لا تختلف تربتها عن تربة الاراضي الزراعية المجاورة لها ولذا تكثر الاتربة في الازقة والطرقات ولولا كثرة الرش في المدن الكبيرة لما كانت اصلح حالاً من القرى حيث يتصاعد الغبار ويعمي الابصار . ثم ان جسور السكك الحديدية يتصاعد منها الغبار الكثيف كما هبت عليها الريح وكلما مرت عليها القطارات . ومن يجهل فعل الغبار بالاعين فما عليهِ الاَّ ان يسافر مرة واحدة الى الصعيد بطريق السكة الحديدية ليقف على حقيقة الامر . ومتى دخل الغبار العين يهيجها ويحدث في الملتحمة خدوشاً دقيقة فتصبح في استعداد تام لقبول كل الامراض المعدية كالرمد الحبيبي المستوطن في وادي النيل والرمد الصديدي وغيرهما . وقد يكون الغبار الذي يدخل العين حاملاً بعض مكروبات الرمد فيكون في الوقت نفسهِ جارحاً ولاقحاً ولكن في الغالب تحصل العدوى باللمس اي ان الذي تقرحت ملتحمتهُ بالغبار اذا خالط مصاباً برمدٍ او لمس شيئاً ملوثاً بمفرزات عين مصابة لا يلبث ان يصاب بنفس الداء وكثيراً ما يكون الذباب واسطة العدوى

لانهُ يكثر في البلاد الحارة ويحوم على الاعين الرمداء ثم ينتقل منها و يسقط على الاعين السليمة و يلقحها بمكروبات الرمد العالقة باجنحته وارجلهِ

والحيلة في تخفيف المضار التي تنتج عن كثرة الغبار في وادي النيل هي الاعتناء برش الشوارع والطرقات والازقة لا سيما في زمن الصيف وانَّا نرى الحكومة مهتمة بامر الرش ولكن اعتناءها بذلك مقتصر على الشوارع الكبيرة من المدن واما طرق القرى وازقة المدن حتى في العاصمة فلا تزال مهملة . ولنا وطيد الامل ان الحكومة تزيد في اعتنائها عاماً فعاماً . ولكن لا يخفى على كل ذي بصيرة ان تعميم الرش يكلف من النفقات اموالاً باهظة ويكاد يكون من المحال فيجب والحالة هذه ان يتفق سكان الحارات في المدن والقرى ويتعاونوا على رش الطرق فيرش كل ساكن القسم الذي امام بيتهِ

امَّا جسور السكك الحديديَّة فلا بدَّ من مرور الاعوام حتى تصير في الحالة التي لا بدَّ منها لكي لا تضر بالمسافرين . وقد شرعت مصلحة السكة الحديدية منذ حين في اصلاح الجسور بتغطيتها بالحصى فعسى ان يتم لها ذلك في البلاد كلها

السبب الثالث الرمد الحبيبي — ان انخفاض ارض مصر وشدة حرارتها الرطبة لاسيما في زمن الفيضان هما السبب في استيطان الرمد الحبيبي فيها فقد اثبت الاختبار ان هذا الرمد يكثر ويتأصل في البلاد المنخفضة حيث تشتد الرطوبة ويندر في البلاد المرتفعة ذات الجبال والوهاد حيث الهواء جاف . ومن المؤكد ان الحرارة ليست السبب الوحيد في استيطان الرمد الحبيبي في مصر والدليل على ذلك هو : اولاً ان هذا الداء الخبيث ينتشر بسهولة في بلاد المنطقة المعتدلة والباردة وهو مستوطن ايضاً في الاماكن المنخفضة من تلك البلاد : ثانياً لان البلاد المرتفعة الجافة الهواء الواقعة في منطقة احر من منطقة مصر لا يكثر فيها الرمد الحبيبي كبعض جهات السودان المرتفعة فقد اقمت خمس سنوات في ارض السودان وكنت لا اعثر بالمصابين برمد حبيبي الاَّ في الاماكن المنخفضة الرطبة الكثيرة الآجام والمستنقعات ثم ان السود القاطنين اواسط افريقية حيث يبلغ الحر اشدهُ قلما يصابون بهذا الرمد لانهم يسكنون قمم الجبال والآكام حيث الهواء جاف . فينتج من ذلك ان انخفاض الارض وبالتالي رطوبة الهواء السبب الاكبر في احياء جراثيم هذا الرمد والذي يساعد على نموهِ وزيادة فتكهِ واكسابهِ شكلهُ الحاد الصديدي المعدي هو الحرارة اذاً الرمد الحبيبي يستوطن ويفتك بالابصار فتكاً ذريعاً حيث يكثر الغبار وحيث الارض منخفضة والهواء رطب حار وهي الحالة في مصر

وقد اطلق الغربيون على الرمد الحبيبي اسم الرمد المصري خطأً وذلك لان بعض رمديي الغرب ظنوا انهُ لم يظهر في قارة اوروبا الا بعد عودة جنود نابليون الاول في مصر بين عام ١٧٩٨ وعام ١٨٠١ وقبل ذلك لم يكن معروفاً في تلك القارة . والحقيقة انهُ كان معروفاً في اوروبا منذ القرون الخوالي . فقد كتب عنهُ سلسُس الطبيب الروماني الشهير قبل التاريخ المسيحي واتى على اغلب اعراضهِ كخشونة ملتحمة الاجفان والافراز الصديدي الذي يحدثهُ في طورهِ الحاد . وكان الاقدمون يتخذون لمعالجة هذا الرمد نفس الوسائط الفعالة التي نعول عليها الآن كتشريط الاجفان ومسها بالكاويات فكانوا بعد التشريط يفركون ملتحمة الجفن بورق التين ولا يخفى ما في عصارة هذا الورق من المواد الحريفة فلا يجوز والحالة هذه ان يسمى هذا الداء بالرمد المصري . وكونهُ مستوطناً في مصر لا يثبت شيئاً من ذلك لانهُ مستوطن ايضاً منذ عهد قديم في غير مصر كطرابلس الغرب وتونس والجزائر وبلاد العرب وقسم كبير من اسيا الصغرى لا سيما في الاماكن المخفضة من تلك البلاد حيث الهواء رطب حار كما هو في مصر . والخلاصة ان الرمد الحبيبي كان معروفاً في قارة اوربا قبل عودة جنود نبوليون الاول من مصر ولكنهُ كان قليل الحدوث خفيف الوطأة واكثر ظهورهِ كان في البلاد المخفضة الرطبة ولكن بعد عودة الجنود من مصر الى اوربا وحدوث الحروب البونابرتية ايام كانت جيوش اوربا يختلط بعضها يبعض ثم تتفرق وتخالط بقية سكان البلاد سرى الداء من العساكر الفرنسوية الى عساكر الدول الاخرى وامتدت العدوى وانتشر الرمد الحبيبي بصفة وبائية في اوروبا كلها واشتدت فيها وطأتهُ الى درجة هائلة ولذا دعاهُ رمديو ذلك العصر بالرمد المصري

وهذا الرمد هو ولا شك من اقوى الاسباب في كثرة العميان في وادي النيل لانهُ اذا أُهمل في بدء ظهورهِ ولم يعالج معالجةً فعالة لا يلبث ان يتأصل في ملتحمة الاجفان فتغور الحبيبات وتتفخم الاجفان وتتصلب وتخشن ولا تزال تحك على القرنية حتى تقرحها فتغشاها السحابات او يتكوّن عليها نسيج من الاوعية وذلك ما يدعونهُ بالبانوس (Pannus) وهذا النسيج الوعائي اذا لم يتدارك في بدء ظهورهِ يتكيف ويتحول الى نسيج ليفي يغشى القرنية ويطمس بصر العين وتصبح ازالتهُ من اصعب الصعوبات والذي يزيد الطين بلة هو ان تضخم الاجفان وتصلبها وضمورها تسبب انقلاب الاشفار الى الداخل فتلامس الاهدابُ القرنيةَ وتهيجها لتواتر الاحتكاك وذلك ما يدعونهُ بداء الشعرة واذا لم يعالج هذا الداء بعملية جراحية تعيد الى الاجفان اتجاهها الطبيعي تظل الاهداب تحك على القرنية حتى تذهب بصفائها وشفافتها فينطمس البصر وتعمى العين

فيجب تخفيف مضار هذا الرمد المعمي وتداركهُ منذ اول ظهورهِ ومعالجتهُ معالجة فعّالة. وطرق علاجهِ كثيرة تختلف باختلاف نوعهِ وحالتهِ وقد ذهب الرمديون في علاجهِ مذاهب شتى لا سبيل الى بيانها هنا ولكن طريقة الرمدي الشهير ابادي هي احسن الطرق لازالتهِ تماماً لا سيما في الاحوال المستصعبة . اما ما ينسبهُ بعض الرمديين الى طريقة ابادي هذه من ضمور الملتحمة وقصر الاجفان وغير ذلك فكلهُ زورٌ وبهتان ولا يسعنا المقام ايراد البراهين الدامغة التي تفسد زعمهم هذا الباطل

ولكن رب قائل يقول أنّى يتيسر للفقراء معالجة هذا الرمد وهم المصابون بهِ في الغالب ولا يخفى ما يقتضي لمعالجتهِ من النفقة لاسيما اذا كان مزمناً صعب الشفاء . فالجواب على هذا الاعتراض سهل . وذلك ان مصر محتاجة كل الاحتياج الى مستشفيات رمديَّة يعالج فيها الفقراء مجاناً . ألا ترى ان في كل بلاد اوربا مستشفيات مخصصة لمعالجة امراض العيون مع ان هذه الامراض اقل بكثيرٍ في بلاد الغرب منها في بلاد الشرق وعلى الخصوص مصر . وليست كل بلاد اوربا اغنى من وادي النيل بل ربما كانت مصر اغنى بكثيرٍ من بعض تلك البلاد وهنا نعود فنسأل عن الملوم في التقصر هل الحكومة او الشعب

امَّا الحكومة فلا شك ان رجالها العارفين بحقائق الامور ولا سيما المهتمين منهم بامر الصحة يعلمون ان مصر في حاجة شديدة الى مستشفيات رمدية ولا ندري ما هي اسباب سكوتهم عن ذلك . ولكن اذا كان رجال الحكومة لا ينظرون في كل شؤُوننا ألا يمكننا ان ننظر فيها نحن . فلماذا لا نجد ونؤَلف شركة تجمع مالاً وتنشئ بهِ مستشفى رمدياً في القاهرة يضاهي احسن المستشفيات الرمديَّة في اوربا بحيث يجد المرضى فيهِ كل اسباب الراحة ويعالجوا باحسن الطرق بمعرفة اشهر من عندنا من اطباء العيون . ويخصص قسمٌ من هذا المستشفى لمعالجة الفقراء مجاناً . فتعود من ذلك على المساهمين في هذه الشركة فائدتان الاولى الارباح من الذين يقدرون على دفع نفقات المعالجة والثانية عمل الخير وكسب الاجر . واذا أُنشئ هذا المستشفى في العاصمة وظهر نجاحهُ حذت حذوها اكثر بنادر القطر فتقل امراض العيون وتخف وطأَتها وتصير عواقبها سليمة

ويكون الرمد الحبيبي وبائياً في فصل الصيف اذ يتخذ شكلهُ الحاد الصديدي او بالحري يتضاعف بحدوث انواع اخرى من التهابات الملتحمة الميكروبية لأن المفرزات التي تحدثها تلك الالتهابات المضاعفة تلوث ايدي المصابين وملابسهم وكل ما يلمسون مما يساعد على انتشار العدوى . ويكثر انتشار الرمد الحبيبي في الاماكن المزدحمة كمنازل الفقراء والمجتمعات العمومية

كالاديرة والجوامع والمدارس والكتاتيب والمعسكرات والتكايا وما شاكلها بسبب المخالطة فاذا تفشى هذا الداء في واحدة من هذه المجتمعات ولم تتخذ الوسائط الفعالة لمنع العدوى لا يلبث ان يصاب به الجميع

ومنذ بضع سنوات كان هذا الرمد متفشياً بكثرة في كل المدارس والجوامع وما شاكلها من الاندية الجامعة ومما اورده علوي بك الرمدي ان تلامذة المدارس الذين كانوا يصابون بالرمد الحبيبي لم يكنوا اقل من ٨٠ في المئة ولكن اصلاح شؤون المدارس والاعتناء بمعالجة المصابين وعزلهم عن الاصحاء انقصت تلك النسبة تدريجاً حتى اصبح عدد التلامذة المصابين بهذا الرمد في ايامنا هذه لا يزيد على ٣٠ في المئة

فيتضح مما تقدم ان اقوى الوسائط الفعالة لتخفيف وطأة هذا الداء حتى يزول هي تحسين شؤون المعيشة وعزل المصابين عن الاصحاء وبناء المستشفيات لمعالجتهم وهذا كله لا يبلغ حد الاتقان الا بزيادة تحسين احوال الشعب ادبياً ومادياً والاول اهم لانه مجلب للثاني

وخلاصة القول ان لكثرة العميان في وادي النيل ثلاث علل كبرى وهي :

اولاً جهل العامة وتهاونهم في اتقاء امراض العين ومعالجتها متى اصيبوا بها ودواء هذه العلة توسيع نطاق التعليم بانشاء المدارس الكثيرة المستوفية الشروط التي تغرس في قلوب الاحداث حب النظافة

ثانياً اقليم البلاد وحرارتها الرطبة وكثيرة الغبار المساعد على استيطان الرمد الحبيبي ودواء هذه العلة تحسين شؤون المعيشة كسكن المنازل الفسيحة النظيفة التي تدخلها اشعة الشمس ويتخللها الهواء واصلاح طرق المدن بتعميم الرش ثم الكنس (لان الكنس بلا رش او قبل الرش يثير الغبار ويضر اكثر مما ينفع) وزيادة غرس الاشجار واصلاح جسور السكك الحديدية والزيادة في تحسين شؤون المدارس والكتاتيب والجوامع والتكايا وبالاختصار كل الاندية العمومية

ثالثاً افتقار البلاد الى مستشفيات رمدية يعالج فيها الفقراء المصابون بالرمد الحبيبي وامراض العين الاخرى ويجدر باولي الحل والعقد جعل تلك المعالجة اجبارية كما يفعلون في التطعيم لمقاومة الجدري واذا صعب على الحكومة القيام بكل هذه المطالب فلا بد لارباب الحجى واهل النهى والغيرة والثروة من الشعب المصري ان يتكاتفوا ويتعاونوا لايجاد الطرق المؤدية الى الغرض المقصود

الدكتور ابرهيم شدودي
طبيب العيون

نبأٌ من اليابان

قوتها الحربيَّة البريَّة والبحريَّة

الجهاد سنَّة طبيعيَّة يشترك فيها الانسان والحيوان غايتهُ حفظ النوع "وبقاء الانسب" ووسائلهُ السلاح الطبيعي كالانياب والمخالب والصناعي كالسيوف والبنادق . وقد يعدل الانسان عن هذه الوسائل في المستقبل البعيد لكنهُ لا يعدل عن الجهاد فيلجأُ الى وسائل اخرى قد تكون افتك منها كاحتكار المال والقوت . اما في العصر الحاضر فلا مندوحة لامم الارض من الحروب ومن اتقائها بالاستعداد لها والذود عن حوضهم بسلاحهم والاَّ امتُهنوا وساءت حالهم ومن ادلَّة ذلك المقام الذي احرزتهُ اليابان لما برهنت لامم اوربا انها امة حربية برًّا وبحرًا

والظاهر ان محبة الحرب سليقة في قبائل اليابان اعتادوها منذ زمن طويل حتى ان رجالهم لا يخرجون من منازلهم الاَّ شاكي السلاح فيتقلَّد كثيرون منهم حتى الذين في المناصب العالية خنجرًا او سيفًا قصيرًا لئلاَّ يؤْخذوا على غرَّة كأَنَّ حميَّتهم القديمة لم تنطفئ ولو خبت نارها

ولما كانت البلاد مقسومة بين امرائها قبل حصر السلطة في الامبراطور الحالي كان عند كل امير صاحب اقطاع جند خاص بهِ وقد بلغ عدد هؤُلاء الجنود وقت الغاء النظام الاقطاعي مليونين من المقاتلة فاختيرت الجنود المنظمة منهم وشقَّ عليهم في اول الامر ان ينتظم معهم مَن ليس منهم من السوقة الذين لم يعتادوا الحرب والكفاح مثلهم واضطرت الحكومة ان تعطي الذين لم تستخدمهم منهم عشرين مليون جنيه ليستعينوا بها على معاشهم ومع ذلك ثار بعضهم وذاقت العساكر المنظمة الامرَّين في قمع ثورتهم فكان شأْنهم شأن الانكشارية في جنود الدولة العثمانية لكن حكومة اليابان لم تستأْصل شأْفتهم بل عاملتهم بالشدَّة مرةً واللين اخرى حتى امنت جانبهم

ولما شرعت في تنظيم جنودها استخدمت لهم ضباطًا من الفرنسويين ثم ابدلتهم بضباط من الالمانيين وقد استتبَّ النصر لجنودها في قمع الثورة الوطنية وفي محاربة الصين فقويت عزائمهم وزادوا ثقةً بنفوسهم . وعددهم الآن خمس مئة الف وقت الحرب ومئة وخمسون الفًا وقت السلم وحسب قانون القرعة العسكرية على كل بالغ سنهُ بين السابعة عشرة والاربعين ان ينتظم في الخدمة العسكرية البرية او البحرية ولكن لا يؤْخذ للخدمة الاَّ نحو عشر مَن تجب عليهم. وفي اليابان مدارس حربية كثيرة للمشاة والفرسان والمدفعية

ويمتاز الجندي الياباني على غيرهِ من جنود الدول الاخرى بحسن سلوكهِ سواءٌ كان في

المعسكر او خارجاً عنهُ فانهُ لا يسكر ولا يعمل عملاً مخلاً بالادب . ترى الجنود ماشين في الشوارع طلقي المحيا غاضي الطرف كاكثر الناس تأدباً وظرفاً . واذا جلت في شوارع عاصمتهم فالغالب ان تراهم جالسين في القهاوي يشربون الشاي مع رفاقهم وهم يكلمونهم في شؤون مختلفة كأنهم من جمهور التجار او تراهم في المكاتب يطالعون الكتب والجرائد كأنهم من طلبة العلم

وينتظر من الجندي الياباني ان يتم تمرنهُ الحربي في اربعة اشهر ويصير اهلاً للنزول الى حومة الوغى . ويشمل تمرنهُ الالعاب الرياضيَّة وكيفية الطعن بحراب البنادق والوثب من فوق الخنادق وتسوُّر الاسوار. ويمشي الجنود على صوت البوق . والموسيقى اقل في العساكر اليابانية منها في غيرها . وتعليم ضباطهم تام اما اليابانيون فيحسبونهُ ناقصاً وهم يدرسون في ثلاث مدارس الواحدة فوق الاخرى في علومها واخيراً يدرسون دروساً خاصَّة حسب المنصب الذين يطلبون اليهِ

والامبراطور رئيس الجند كلهِ واليهِ المرجع في فض الخصومات والمنافسات بين اقسام الجندية وهي اربعة قسم الادارة الحربية وقسم التدريب الحربي وقسم المخابرات وقسم الاعمال الحربية . ووزير الحربية هو القائد العام ولا بدَّ ان يكون في رتبة جنرال وتحتهُ رئيس اركان الحرب يعينهُ الامبراطور وهو المسؤول عن تعيين الموظفين

والبنادق اليابانية تصنع في اليابان في معمل توكيو حسب اختراع ياباني وكذلك المدافع يسبك اكثرها في مسبك اوساكا ومنها نوع سريع الطلقات اخترع في اليابان . ومعمل البنادق يصنع اربع مئة بندقية كل يوم و ٢٥٠ الف خرطوش وهناك تصنع القنابل ايضاً . والخيل الحربية تولد في اليابان واطباءُ الجيش من اليابانيين وعندهم جمعية لمساعدة الجرحى اسمها جمعيَّة الصليب الاحمر مثل الجمعية الاوربية

ومقدار النفقات الحربية العادية في ميزانية السنة الماضية اربعة ملايين جنيه والنفقات غير العادية مليون و ١٥٠ الف جنيه . وقد ثبت من الحرب الاخيرة في قمع ثورة البكسران وسائل نقل الامتعة والميرة والاخبار على اتمها وكذلك ادارة الجنود وآدابهم وحركاتهم الحربية . وبعثت اليابان ضابطاً من ضباطها الى جنوبي افريقية ليرى احوال الحرب هناك ويكتب الى دولتهِ بما يمكن ان يستفاد من ذلك حتى تتجنَّب الخطأ الذي يرتكبهُ غيرها وتستفيد من التدابير الحربية الجديدة . ويقال ان هذا الضابط وكل الضباط اليابانيين ميالون الى الانكليز ويفضلونهم على غيرهم من الامم

وقد اجمع كتَّاب الصحف على ان سلوك الجنود اليابانية وقتما فتحت باكين كان افضل من سلوك غيرهم من الجنود الاوربية والاميركية فانهُ بينما كان كثيرون من الجنود الاوربية مشغولين

بالسلب والنهب كانت الجنود اليابانية واقفة في مراكزها الحربية لا تعبأ الأ بالخضوع لاوامر قوادها . وهاك ما بعث بهِ لورد سلسبري الى حكومة اليابان اظهاراً لاعجابهِ بالجنود اليابانية وحسن سلوكها وهو " ان حكومة جلالة الملكة تعرب عن اعجابها العظيم بالبسالة والكفاءة اللتين بدتا من الجنود اليابانية في الحرب الحديثة وكان لها اليد الطولى في نجاح هذه الحملة "

الأ ان فوز اليابان ومقامها السياسي يتوقفان على قوتها البحرية اكثر مما يتوقفان على قوتها البرية فقد ذكرنا في الجزء الماضي بين الاخبار العلمية انهُ اذا دللنا بالارقام على قوى الدول الحربية ونسبتها بعضها الى بعض على ما هي عليهِ الآن كانت انكلترا الاولى ولها العدد ٤٥٦ وفرنسا الثانية ولها العدد ١٦٢ وروسيا الثالثة ولها العدد ١٤٤ واليابان الرابعة ولها العدد ١٠٤ والمانيا الخامسة ولها العدد ٨٨ والولايات المتحدة الاميركية السادسة ولها العدد ٧٢ . فاليابان متوسطة بين روسيا والمانيا على حداثة عهدها . وقد انبأنا روتر بالامس ان وزير بحريتها صادق على بناء بوارج محمولها ١٢٠ الف طن تكمل في ستة اعوام وينفق عليها كل عام ٢٠ مليون ريال ياباني اي مليونان من الجنيهات المصرية وستكون اربع مدرعات و ٦ طرادات من الدرجة الاولى وبوارج اخرى اصغر منها . فالمدرعات تبنى في انكلترا والطرادات في انكلترا وفرنسا والمانيا والبواقي في اليابان " ومعلوم ان انفاق اثني عشر مليوناً من الجنيهات على بناء البوارج في ست سنوات مما تنوء تحتهُ دولة من الدول الاوربية الكبرى فاقدام اليابان عليهِ دليل على قوة وهمَّة فيها غير عاديتين . وقد نشأ اكثر الاسطول الياباني بعد الحرب مع الصين ولذلك فمدرعاتهُ على نسق واحد تقريباً وهي كبيرة جداً سريعة السير سرعة البوارج منها ١٨ ميلاً بحريًّا في الساعة وسرعة الطرادات ٢٣ ميلاً ومحمول البارجة ١٥ الف طن او اكثر وقوة آلتها البخارية خمسة عشر الف حصان ومحمول الطرَّاد من طرَّاداتها نحو عشرة آلاف طن وقوة آلتهِ البخارية ١٨ الف حصان

وامنيَّة اليابان ان تكون الدولة الاولى بين دول المشرق وان تكون لها السلطة المطلقة في البحار الشرقية حتى لا تفوقها فيها سلطة دولة اخرى من دول اوربا . وفيها الآن دارا صنعة كبيرتان الواحدة في يوكاهاما والثانية في كوري لبناء السفن الحربية الكبيرة والصغيرة ولسبك المدافع وعمل القنابل . واكثر مدافعها من معمل ارمسترنغ الانكليزي ولكنها لا تبتاع مدفعاً من معامل اوربا ما لم تمتحنهُ وترى بالامتحان انهُ احسن ما يكون من نوعهِ

والبحارة والجنود في البوارج الحربية يؤْخذ نصفهم بالقرعة ونصفهم بالتطوُّع ويفضل رؤَساء البوارج ابناء المدن المتعلمين على غيرهم لسهولة تعليمهم الفنون الحربيَّة . والتعلُّم في المدارس

الحربيَّة دقيق جدًّا والامتحان صارم لايجوزهُ الاَّ البارعون وهم يتعلمون على نفقة الحكومة ويتمرَّنون في سفن حربيَّة معدَّة لذلك وكل ضبَّاط البحريَّة يتكلمون اللغة الانكليزيَّة جيدًا وقد يتكلمون لغات اخرى معها

ويسهل على اليابان تنظيم قوَّتها البحريَّة وتكثيرها لان فيها مناجم غنيَّة بالفحم الحجري فان الفحم مصدر القوة ولا تفلح بلاد بغيرهِ في هذا العصر عصر البخار والكهربائية ولولاهُ لاضطرت ان تكون العوبة بيد الدول يعطينها الفحم في السلم ويمنعنهُ عنها في الحرب ولبعُد عن الاحتمال ان تناظرهنَّ او ان تجري في خطتهنَّ ولو في بحار المشرق

ويتلو الفحم الحجري وجود بحر واسع النطاق داخل بلادها تلجأُ اليهِ سفنها عند الشدة فتبقى فيهِ بأمن الى ما شاء الله لان مداخل هذا البحر ضيقة تحميها الحصون المنيعة وهي ثلاثة يتعذر على العدو حصرها كلها معًا فتكون فيهِ البوارج في حرز حريز ولا تكون مقيَّدة مغلولة الايدي فتخرج وتدخل كما تشاء. والظاهر ان هذا الخاطر لا يخطر على بال اليابانيين لانهم يحسبون بوارجهم اقوى من ان تفرَّ من وجه عدو وان البحار التي حول جزائرهم لهم لا ينازعهم فيها منازع

وفي اليابان زيت البترول وهو مصدر آخر للقوَّة وقد جرَّب اليابانيون ايقادهُ بدل الفحم الحجري في بعض قوارب التربيد فاذا وفى بالغرض صارت لهم المزية الكبرى على الدول الاوربية في بحار المشرق . وهم يرقبون الآن تجارب الفرنسويين والانكليز في بناء الغوَّاصات واستعمالها حتى يحذوا حذوهم اذا نجحت

ويفضل رجال البحريَّة اليابانية البوارج الكبيرة على الصغيرة ما دامت الدول الاوربية تعتمد عليها لكي لا يكونوا دونها في شيءٍ لكنهم يفضلون ان لا يزيد محمول البارجة من بوارجهم على ١٥٠٠٠ طن . ويودُّون الاكثار من قوارب التربيد ومتلفات التربيد وهم يبنونها في بلادهم وفي اوربا ايضًا

ومما هو حريٌّ بالذكر ان الاسطول الياباني هو الاسطول الوحيد بين الاساطيل الحديثة الذي اشتبك في واقعة حربية نعم ان الاسطول الاميركي حارب في سنتياغو ومنيلا ولكن خصمهُ لم ينازلهُ الاَّ مدة قصيرة واما الاسطول الصيني فنازل الاسطول الياباني مدة طويلة ولم يتغلب الياباني عليهِ الاَّ بشق الانفس ولذلك يفتخر البحَّارة اليابانيون بان التجارب حنَّكتهم فهم اوفر خبرة من كل مَن سواهم. ومن الغريب ان الاسطول الصيني كان فيهِ عدَّة بوارج واما الاسطول الياباني فلم يكن فيهِ سوى الطرَّادات لكن البوارج الصينية لم تغلب من ضعفها بل من سوء ادارتها

وهاك اسماء احدث البوارج اليابانية وسرعتها اميالاً بحرية وغير ذلك مما يتعلق بها

الاسم	السرعة	سمك درعها	سنة بنائها	محمولها	قوة آلاتها البخارية
ميكاسا	١٩,٦	٩ عقد	١٩٠٠	١٥٢٠٠ طن	١٥٢٠٧
هتسس	١٩,١١	٩ «	١٨٩٩	١٥٠٠٠ «	١٤٧٠٠
اساهي	١٩	٩ «	١٨٩٩	١٥٢٠٠ «	١٥٢٠٧
شكيشيما	١٨	٩ «	١٨٩٨	١٤٨٠٠ «	١٤٧٠٠
ياشيما	١٩,٢	١٨ عقدة	١٨٩٦	١٢٥٠٠ «	١٣٦٨٧
فوجي	١٨,٥	١٨ «	١٨٩٦	١٢٥٠٠ «	١٣٦٨٧
الطرّادات المدرّعة					
إدزومو	٢٢	٧	١٨٩٩	٩٨٠٠	١٤٧٠٠
اواتي	٢٢	٧	١٩٠٠	٩٨٠٠	١٤٧٠٠
اساما	٢٢	٧	١٨٩٨	٩٧٥٠	١٨٢٤٨
تُكيوى	٢٢,٧	٧	١٨٩٨	٩٧٥٠	١٨٢٤٨
يكومو	٢٠	٧	١٨٩٩	٩٨٥٠	١٥٥٠٠
ازوما	٢١	٧	١٩٠٠	٩٤٣٦	١٦٦٠٠
تشيتومي	٢٣,٧٦		١٨٩٨	٤٧٦٠	١٥٧١٤
كساجي	٢٢,٧٦		١٨٩٧	٤٧٦٠	١٧٢٣٥
بوشينو	٢٣,٠٨		١٨٩٢	٤١٥٠	١٥٩٦٧
تكاساغو	٢٤		١٨٩٧	٤٣٠٠	١٥٩٦٧
نيتا كي	٢٠		١٩٠١	٣٤٢٠	٩٠٠٠
صوشيما	٢٠		١٩٠١	٣٤٢٠	٩٠٠٠

والاخيران مبنيان في اليابان ومدافع هذه البوارج والطرّادات كبيرة شديدة الفعل بعضها قطر فوهتهِ ١٢ عقدة وبعضها عشر عقد او ثمان عقد واكثرها سريعة الطلقات . ولم نذكر السفن الحربية التي بنيت قبل سنة ١٨٩٢ اي التي صار عمرها اكثر من عشر سنوات لان ليس لها شأن كبير عند الدول البحرية ولو كانت اليابان قهرت بها البوارج الصينية . وتركنا ايضاً بعض الطرّادات الحديثة امّا لانها صغيرة او لان سرعتها اقل من عشرين ميلاً بحريًّا في الساعة وتركنا كذلك خمسة عشر من الطرّادات والبوارج التي غنمتها اليابان من الصين

وقد خطر لنا مرارًا ان نقابل الاسطول الياباني بالاسطول العثماني وكنّا نطرد هذا الخاطر

لما نشعر بهِ من الخجل والاضطراب واخيرًا تجلدنا وفتحنا كتابًا حديثًا يبحث عن اسطول الدولة العثمانية فلم نجد بين سفنها الحربية التي بنيت بعد سنة ١٨٨٥ سوى سفينة واحدة اسمها عبد القادر لم تتم حتى الآن وبقية السفن القديمة اريد تجديد واحدة منها في ايطاليا وواحدة في المانيا ودفع المال اللازم لتجديدها كلهُ او بعضهُ. واليك اسماء السفن الكبيرة وتاريخ بنائها ومحمول كل منها منقولاً عن كتاب السياسة لسنة ١٩٠١ وكتاب حقائق الاخبار عن دول البحار لسعادة اسمعيل باشا سرهنك ناظر المدارس الحربية المصرية

الاسم	تاريخ البناء	سمك الدرع	السرعة	المحمول	قوة آلتها البخارية
العزيزية	١٨٦٤	٥ ١/٤ عقدة	١٢ ميلاً	٦٤٠٠	٣٧٤٠
المحمودية	١٨٦٤	٥ ١/٤ »	١٢ »	٦٤٠٠	٣٧٤٠
العثمانية	١٨٦٤	٥ ١/٤ »	١٢ »	٦٤٠٠	٣٧٤٠
الاورخانية	١٨٦٥	٥ ١/٤ »	١٢ »	٦٤٠٠	٣٧٤٠
المسعودية	١٨٧٤	١٢ »	١٣٫٥	٨٩٩٠	٧٨٠٠
الحميدية	١٨٨٥	٠٩ »	١٣٫٥ »	٦٧٠٠	٦٨٠٠
عبد القادر		١٤ »		٨٠٠٠	١١٥٠٠
اثار التوفيق	١٨٦٨	٠٨ »	١٣٫٣ »	٤٦٠٠	٣٥٦٠
عون الله	١٨٦٩	٠٦ »	١١ »	٢٣١٠	٢٢٠٠
فتح بلند	١٨٧٠	٠٩ »	١٣ »	٢٧٢٠	٤٢٠٠
معين الظافر	١٨٦٩	٠٦ »	١٢٫٥ »	٢٣٣٠	٢٢٠٠
مقدم الخير	١٨٧٢	٠٩ »	١٢٫٥ »	٢٦٨٠	٣٠٠٠

ويظهر من ذلك باجلى بيان ان هذه المدرعات كلها قديمة بطيئة السير لا تصلح للحروب الحديثة ولو اصلح بعضها حديثًا ولا تقابل بارجة واحدة من بوارج اليابان . فاين ذهبت ملايين الجنيهات التي استدانتها الدولة العلية والملايين التي اخذتها من مصر. واي امَّة حيَّة ترضى ان تكون على ابواب اوربا وسواحلها واسعة وجزائرها كثيرة وليس عندها بوارج تكفي لحمايتها

ورب قائل يقول ان النمسا متاخمة لنا وليس عندها اسطول بحري يذكر بالنسبة الى اساطيل الدول الاوربية . والجواب ان النمسا مستعزَّة بالمحالفة الثلاثية وعندها مع ذلك اسطول اقوى من اسطولنا بما لا يقدر فقد انزلت الى البحر في شهر مارس الماضي ثلاث بوارج كبيرة من الطبقة الثانية واربع بوارج من الطبقة الثالثة ونحو سبعين قاربًا من قوارب

التربيد وهي تبني الآن ثلاث بوارج كبيرة وعندها من البوارج الحديثة ما تراهُ في هذا الجدول

اسم البارجة	سنة انزالها	سمك درعها	سرعتها	محمولها	قوة آلتها البخارية
ارباد	١٩٠١	٨٫٦ عقد		٨٣٠٠	١١٠٠٠
كارل السادس	١٩٠٠	١٠٫٦ «	٢٠	٦١٠٠	١٢٠٠٠
بابنبرج	١٩٠٢	٨٫٦ «		٨٣٠٠	١١٠٠٠
هبسبرج	١٩٠٠	٨٫٦ «		٨٣٠٠	١١٠٠٠
بودابست	١٨٩٦	١٠٫٦ «	١٧	٥٦٠٠	٨٠٠٠
ڤينا	١٨٩٥	١٠٫٦ «	١٧	٥٦٠٠	٨٠٠٠
المونارك	١٨٩٥	١٠٫٦ «	١٧	٥٦٠٠	٨٠٠٠
ماريا تريزا	١٨٩٣	٤ «	١٩	٥٢٠٠	٩٠٠٠
القيصر فرنسيس يوسف	١٨٩٠		١٩	٤٠٠٠	٩٠٠٠
القيصرة اليصابات	١٨٩٠		١٩	٤٠٠٠	٩٠٠٠

اما البوارج التي أُنزلت هذا العام فاقوى من البوارج المذكورة في هذا الجدول لان قوة الآلة البخارية في كلٍ منها ١٤٠٠٠ حصان وسمك درعها ١٠ عقد وواضح من ذلك ان عمارة دولتنا لا تقابل بعمارة جارتها النمسا مع ما هو مشهور من ان النمسا ليست دولة بحرية وسواحلها البحرية قصيرة جداً

هذا ولنعد الى اليابان فنقول ان عندها غير ما تقدَّم من البوارج والطرادات المدرعة طرادات كثيرة محميَّة اي مدافعها ضمن ابراج تحميها وهي كثيرة سريعة السير قوية الآلات البخارية سرعة بعضها ٢٤ ميلاً بحريًا في الساعة وسرعة البعض الآخر ٢٣ او ٢٢ ميلاً واكثرها حديث بني بعد الحرب الصينيَّة . وكانت قوة الآلات البخارية التي في اسطول اليابان سنة ١٩٠٠ في شهر يوليو ٣٠٩٣٥٨ حصانًا وعدد مدافعها ٨٩٥ وقد زادت بعد ذلك ولا تزال آخذة في الازدياد. وقوارب التربيد التي عندها تزيد سرعة بعضها على ٢٧ ميلاً بحريًا في الساعة . و ٢٣ من سفن التجار تعطى للحكومة اذا احتاجت اليها وقت الحرب محمول الواحدة من ست عشرة منها ستة آلاف طن ومن البقية اكثر من ٣٣٠٠ طن

وجملة القول ان عند اليابان الآن ست بوارج كبيرة سرعة الواحدة منها ١٨ ميلاً بحريًا في الساعة و ٨ طرادات كبيرة مدرعة سرعة الواحد منها نحو ٢٣ ميلاً بحريًا وثماني طرادات مدرعة بعض التدريع سرعة الواحدة منها من ٢٠ ميلاً الى ٢٤ وكل بوارجها وطراداتها على

نسق واحد وهي ليست مضطرة ان ترسلها الى اماكن بعيدة لحماية املاكها فيها

قال المستر ستد الذي اعتمدنا عليهِ في كثير مما ذكرناهُ آنفاً انهُ كان في كوريا في العام الماضي ففاتتهُ سفينة البريد ورأى الاسطول الياباني عازماً على العودة الى بلاد يابان فبعث تلغرافاً الى عاصمة اليابان ليسمح لهُ بالسفر فيهِ وقال انهُ اول انسان من غير رجال البحرية وغير اعضاء العائلة المالكة سُمح لهُ بالسفر في سفينة حربية يابانية فنزل في الطراد اساما وكان في الاسطول بارجتان جديدتان وثلاث طرادات مدرعة وطراد محمَّى وقاربان من قوارب التربيد . ثم افاض في وصف هذه السفن ومدح ما شاهدهُ في رجالها من المهارة والتدقيق في الاعمال وكان النوء على اشدهِ فامال السفن على درجة ٤٥ لكنهُ لم يلحق بها اقل ضرر

هنا يقف القلم وعاملان يتنازعاننا اليأس والرجاء. اليأس لانهُ مضى علينا السنون الطوال ولم نعرف كيف نصل الى هذه العزَّة والمنعة وفريق كبير منا من الذين اسلافهم كانوا ملوك البحار وقد طافت سفائنهم حول افريقية وبلغت اقاصي الهند والصين شرقاً واقاصي انكلترا غرباً وشمالاً . والرجاء لانهُ اذا استطاعت جزر اليابان ان تبلغ هذا الشأو في سنوات قليلة فلا يستحيل علينا ان نبلغ بعض ما بلغت اذا مهَّدنا لانفسنا سبل النجاح وازلنا منها العراقيل وسنفصّل هذا الاجمال في فرصة اخرى

المريخ وترعهُ

في الانتقال من الارض الى السماء نزهة لذوي الالباب فاذا ملَّ القراء ما نشرناهُ قبيل هذا عن العميان واساطيل اليابان وجدوا شيئاً من الراحة في الانتقال بافكارهم الى كواكب السماء وشاركوا الباحثين عنها في بحث لا يفوت احداً ولا يكسوهُ ولكنهُ يلذُّ للعقول ويطيّب النفوس ويرفع الانسان من التعلق بهذه الدنيا وحطامها الى البحث عن سنن الكون التي تخضع لها عوالم كل عالَم منها يفوق عالمنا اضعافاً كثيرة . هناك يمتزج العلم بالفلسفة ويسهل الوصل بين الحياة والمعاد

وفي السماء نجوم بل عوالم لا عديد لها لكن سبعة منها لها نسبة الينا لا تقل عن نسبة الاخت الى اختها فانها كلها والارض معها بنات ام واحدة هي الشمس . وهذه الاخوات هي السيَّارات السبعة نبتون واورانوس وزحل والمشتري والمريخ والزهرة وعطارد الاول والثاني لم يكونا معروفين عند القدماء من الاشوريين والمصريين والهنود واليونان والرومان والعرب

لانهما لا يُريان الاَّ بالتلسكوب وبين هذه السيارات نجيمات صغيرة لا ترى الاَّ بالتلسكوب ايضاً لصغرها وهي كثيرة عدَّ وا منها نحو اربع مئة حتى الآن والسيَّارات اجرام كبيرة جداً اكثرها اكبر من الارض نراها صغيرة لبعدها الشاسع على حدّ ما قيل

والنجم تستصغر الابصار رؤيتهُ والذنب للطرف لا للنجم في الصغرِ

ولو كانت مسكونة ونظر من فيها الى ارضنا لرآها نقطة صغيرة كاصغر النجوم بل لو نظر اليها من



القمر وهو اقرب اجرام السماء الينا لبانت كما ترى في هذا الشكل كرةً صغيرة معلقة في الفضاء

وقد تساءَل العلماء من قديم الزمان عن هذه السيَّارات هل فيها برٌّ وبحر كما في كرتنا الارضية وهل هي مسكونة مثلها وما شكل سكانها . وما عُرف عنها حتى الآن يمكن ادماجهُ في السطور التالية

السيار الاول نبتون وهو اقدم السيَّارات اي انهُ انفصل عن الشمس قبل غيرهِ من سيَّاراتها

المعروفة . قطرهُ اكبر من قطر ارضنا اربعة اضعاف وهو ابعد منها عن الشمس ثلاثين ضعفاً فان قطر الارض نحو ثمانية آلاف ميل واما قطر نبتون فنحو ٣٧٢٠٠ ميل وبُعْد الشمس عن الارض نحو ٩٣ مليون ميل واما بُعْد نبتون عنها فنحو ٢٧٩٤ مليون ميل والمعروف من امرهِ حتى الآن قليل جدًّا لبعدهِ الشاسع عنا ولم يتحقق علماء الرصد حتى الآن هل يدور على محورهِ وهل يتم دورتهُ كل بضع ساعات او بضعة ايام او بضع سنين لانهم لم يروا على سطحهِ علامات واضحة يمكن الاستدلال منها على سرعة حركتهِ في دورانهِ على محورهِ

ويستدلُّ من السبكتروسكوب (وهو آلة بديعة يعرف بها تركيب الاجرام السموية من النور الصادر منها او المنعكس عنها) ان حول نبتون هواء كثيفاً يختلف تأليفهُ عن تأليف هواء ارضنا لعلَّ فيهِ غازات كثيرة مما كان في هواء الارض في العصور الجيولوجيَّة الاولى

ومادة نبتون اخف من مادة الارض اي ان المتر المكعب منهُ يزن اقل من وزن المتر المكعب من ارضنا وهذا يدلُّ على ان حرارتهُ اشد من حرارة ارضنا لان الحرارة تفرق دقائق المادة فتصير لطيفة خفيفة . ولم يبرد هذا السيَّار حتى الآن كما بردت ارضنا مع انهُ اقدم منها كثيرًا وسبب ذلك انهُ اكبر من ارضنا كثيرًا فان الجسم الصغير يبرد قبل الجسم الكبير اذا تساوت بقية احوالها . وعليهِ فالمخلوقات الارضية لا تعيش فيهِ فان كان مسكونًا فسكانهُ ليست من نوع السكان في ارضنا لا من الحيوان ولا من النبات لانها كلها لا تحتمل حرارة فوق المئة درجة وتبقى حيَّة

الثاني اورانوس وهو كبير ايضاً قطرهُ اطول من قطر الارض نحو اربعة اضعاف فانهُ نحو ثلاثين الف ميل وهو ابعد منَّا عن الشمس تسعة اضعاف ومادتهُ خفيفة ايضاً اذا كان المتر المكعب من الارض خمسة اطنان فالمتر المكعب منهُ طن واحد . يظهر فيهِ بالتلسكوب مناطق سوداء حول جهاتهِ الاستوائية ويظهر بالسبكتروسكوب انهُ يحيط بهِ هواء كثيف مثل هواء نبتون . ويستدل من ذلك ان هذين السيَّارين نبتون واورانوس لا يزالان في حالة السيولة من شدَّة حموها فلا يصلحان لسكن الاحياء التي مثل الاحياء الارضية حيوانات كانت او نباتات

الثالث زحل وكان معروفاً من قديم الزمان لانهُ يرى بالعين وقد عرف القدماء انهُ سيَّار ولكنهم قالوا انهُ يسير حول الارض لا حول الشمس . ومزيتهُ الكبرى التي يختلف بها عن غيرهِ من السيَّارات ان لهُ حلقات كثيرة تحيط بهِ احاطة الهالة بالقمر وهذه الحلقات مؤلفة من ملايين من الاجرام الصغيرة التي تدور حولهُ معاً ولكثرتها وقربها بعضها من بعض تظهر الحلقات بها كانها اجسام متصلة تحيط بالسيَّار لتزيد بها مجدًا وبهاء

وزحل كبير جدًّا اكبر من اورانوس واكبر من نبتون قطرهُ ٧٥ الف ميل اي نحو عشرة امثال قطر الارض لكن كثافتهُ قليلة نحو ثمن كثافة الارض ويحيط بهِ غلالة من الغيوم الكثيفة المنيرة ترى فيها مناطق مظلمة موازية لخطهِ الاستوائي وتظهر فيهِ احيانًا نقطة لامعة تنفجر بغتةً مما يدلُّ على ان هذا السيار لا يزال حارًّا وستمرُّ قرون كثيرة قبلما يبرد بردًا كافيًا لتعيش فيهِ الاحياء الارضية او ما يماثلها

والرابع المشتري وهو اكبر السيارات واجلاها لعين الرائي لا يفوقهُ بهاء الَّا الزهرة احيانًا.



الشمس الدائرة البيضاء والسيارات الدوائر السوداء وهي مرسومة حسب اقدارها

الههُ الاقدمون وحسبوهُ ابا الالهة وقال العرب انهُ سمي بالمشتري لانهُ اشترى الحسن لنفسهِ وهو قريب من الشمس يبعد عنها ٤٨٣ مليون ميل اي خمسة اضعاف بُعد الارض عنها لكن قطرهُ اكبر من قطر الارض احد عشر ضعفًا ومع قربهِ منا وكبر جرمهِ لا يرى فيهِ شيءٌ ثابت ينبئ عن احوالهِ بالتدقيق وغاية ما شوهد فيهِ حتى الآن مناطق موازية لخطهِ الاستوائي بعضها مظلم وبعضها منير ونقط لا تحصى بعضها مظلم ايضًا وبعضها منير ومنها بقعة كبيرة حمراء اللون ظهرت سنة ١٨٧٨ واشتدَّت حمرتها ثم زالت وتكاد البقعة كلها تختفي الآن. وتدلُّ الارصاد على ان سطح هذا السيار دائم التغير فهو غير جامد والمرجح انهُ لا يزال سائلاً مشمولاً بغلالة من الغازات

فلا يزال المشتري بعيدًا عن الحالة التي وصلت اليها الارض وهو مثل نبتون واورانوس وزحل من هذا القبيل لانهُ وان كان اقدم من الارض الاَّ انهُ اكبر منها كثيرًا ولذلك لم يبرد سطحهُ حتى الآن كما برد سطح الارض ولكن لا بدَّ من ان يأتي زمن يشعُّ فيهِ جانب كبير من حرارتهِ فيبرد سطحهُ ويصير مثل سطح الارض او ابرد منهُ

والخامس المريخ وهو اقرب الينا من المشتري وكذلك رصدهُ اسهل من رصد المشتري وكأَنَّ الطبيعة وضعتهُ على مقربة منا لنري فيهِ مثالاً على وحدتها ووحدة اعمالها كما قال فلامريون الفلكي الفرنسوي

وهو اول سيَّار نفتخر عليهِ لانهُ اصغر من كرتنا الارضية فان قطرهُ اقل من ٥٠٠٠ ميل اي خمسة اثمان قطر ارضنا وقد انفصل عن الشمس قبل انفصال الارض عنها فهو اكبر من الارض سنًّا ولو كان اصغر منها حجمًا وهو في الدرجة التي بلغتها الارض ويجب ان يكون سطحهُ جامدًا فيهِ ماء او بخار مائي ولكونهِ ابعد منا عن الشمس يقابلنا وجههُ المنير ويتَّفق حينئذٍ ان يكون على اقل بعدهِ منا . وقد ظهر من رصدهِ مدة سنين كثيرة ان سطحهُ جامد ولا يبعد ان يكون ارضًا مثل ارضنا وعليهِ علامات او آثار ثابتة وحول كل قطبة من قطبتيهِ بقعة بيضاء كبيرة لا تبقى مساحتها واحدة بل تتغيَّر فتتسع حينما يكون فصل الشتاء عندها واذا جاء الربيع اخذت تضيق فقطبتاهُ مثل قطبتي الارض وتظهران لنا كما تظهر قطبتا الارض لمن كان واقفًا في المريخ ولا يمكن الحكم البات ان هاتين البقعتين مغطاتان بالثلج والجليد بناء على ما تقدم من لونهما واتساعهما وضيقهما ولكن هناك ادلَّة اخرى ترجح ذلك وتجعلهُ في حد اليقين

واذا التفتنا الى اجزاء اخرى من سطح هذا السيَّار رأَينا فيها علامات مظلمة وعلامات منيرة والمظلمة خطوط ضاربة الى الخضرة والمنيرة بقع كبيرة ضاربة الى الحمرة او الصفرة . وهذه اكثر من الاولى واوسع والمظنون الآن انها برور وان الاولى بحار او ان بعضها بحار والبعض الآخر مروج خضراء . وتكثر هذه العلامات قرب القطبتين ويكثر تقاطعها ونقط تقاطعها سوداء واضحة جدًّا وهي التي سماها شبارلي الفلكي الايطالي ترعًا او خلجانًا وسُميت نقط تقاطعها واحات . وهذه الترع او الخلجان طويلة جدًّا طول بعضها مئات كثيرة من الاميال والكبيرة منها ثابتة في موضعها وتظهر احيانًا مزدوجة وتبقى كذلك مدة ثم تعود منفردة

ويظهر احيانًا في جو المريخ غيوم سابحة فيهِ وهي دليل قاطع على ان لهُ هواء فيهِ بخار مائي وهذه الغيوم تمرُّ فوق سطحهِ مرَّ السحاب وترى من خلالها اشعَّة منيرة يظن انها انعكاس نور الشمس عن جوانب الصخور او الاماكن المغطاة بالثلج ويرى عند حدهِ نواتئُ تدل على ان سطحهُ

غير مسطَّح بل فيهِ جبال ووهاد

قلنا سابقاً ان الثلج يأخذ في الذوبان عن قطبتيهِ حينما يدخل فصل الربيع . ويؤيد ذلك انهُ يظهر حينئذ عند كل قطبة بقعة سوداء تمتد الى جهة خط الاستواء كأن ماء الثلج يصير بحرًا غامرًا . وحينئذٍ يزيد عدد الخلجان وتزيد وضوحاً ويقلُّ وضوح ما بينها من البرور . وذلك يشبه فيضان الماء على سطحهِ في فصل معلوم من السنة لتروى بهِ سهولهُ ويحيا نباتهُ . ويؤيد هذا ما يرى من اختلاف الالوان على سطحهِ فان الاخضرار الضارب الى الزرقة يتدرَّج من القطبتين الى نحو خط الاستواء ويشتدُّ دكنةً من الربيع الى الصيف ثم يزول في الخريف. فالبقاع التي لونها ازرق ضارب الى الخضرة مروج خضراء احياها الماء وظل في جريانهِ الى ان بلغ الانحاء الاستوائية

يظهر من ذلك ان هذا السيَّار شبيه بارضنا من وجوه كثيرة ولكن السحاب غير كثير في جوّهِ ولا هو كثيف فيهِ دلالة على ان الحرَّ والبرد هناك اشد مما هما عندنا

وخلاصة ما تقدَّم ان ما يُعلَم حتى الآن من احوال المريخ يدلُّ على ان سكن الاحياء فيهِ ليس من المستحيلات او على ما ستصير اليهِ الارض بعد زمن طويل حينما يقل البخار المائي في هوائها فلا يعود قادرًا على حفظ القدر الكبير من حرارة الشمس

هذه خلاصة ما كتبهُ المستر وليم لكير حديثاً عن هذا السيَّار الَّا ان الناظر في شكل خلجانهِ او ترعهِ وانحنائها وتقاطعها بعضها مع بعض كأنها دوائر تدور حول مراكز معلومة يحسب انهُ يرى جسماً متبلورًا او متشققاً تشققاً طبيعياً بلوريًّا فان كان فيهِ مخلوقات عاقلة فيدُ الطبيعة غالبة على يدهم والَّا فقد اتقنوا الصناعة الى حد يفوق ما وصلنا الينا في ارضنا

وبالتقدم من المريخ نحو الشمس نصل الى الارض ثم الى الزهرة وهي ابهى الكواكب كلها لا يفوقها بهاء الَّا الشمس والقمر وترى للواقف على سطح الارض كالقمر هلالاً وبدرًا وما بينهما لكنها تكون هلالاً حينما تكون قريبةً منَّا وبدرًا حينما تكون بعيدةً ولو كانت بدرًا وهي في اقرب مواقعها منَّا لزاد نورها نورًا وبهاؤها بهاء . وعلى وجهها علامات غير واضحة وجوُّها كثيف وتتغطَّى قطبتاها بالثلج كما تتغطى قطبتا المريخ وجوُّها يشبه جوَّنا لكنهُ اكثف منهُ او اكثر بخارًا ويدلُّ على انها الآن كما كانت الارض في العصور الخوالي ولكن قربها من الشمس يزيد حرارتها ويرجح انها صارت متقدمة على الارض في نشوئها

وبعد الزهرة يأتي عطارد ويستدلُّ من رصدهِ انهُ صار خاوياً خالياً كالقمر على حداثة سنهِ لا ماء فيهِ ولا هواء وهو في الحالة التي ستصل اليها ارضنا يوماً ما

منزلة الشعر من التاريخ

(٦)

بعض اخبار ملوك العرب وملوك الأمم الاخرى الذين اشتهروا عندهم

فمن اخبار الامم العربية ما جاء في شعر الاعشى ميمون

ألم تروا ارماً وعاداً افناهمُ الليلُ والنهارُ
وقبلهم غالت المنايا طسماً فلم ينجها حذارُ[1]
وحلّ بالحيّ من جديسٍ يوم من الشر مستطارُ
واهل جوّ اتت عليهم فافسدت عيشهم فباروا[2]
وصبّحتهم من الدواهي نائحة عقبها الدمارُ
ومرّ دهر على ديار فهلكت جهرة وبارُ

وهو قول لا مراء بانهُ تاريخ اقوام انقرضوا وهم طسم وجديس وكانا قبيلتين من عاد وداعي هلاكهما هو ان الملك كان من بني طسم فجار في جديس واستباح المحرّمات كما يؤيد ذلك ما جاء في شعر الشموس عميرة بنت غفار الجديسية فكبر ذلك على هذه الفتاة وقالت في امرها قصيدة اثارت في رؤوس رجال قبيلتها نخوةً فعمدوا الى الايقاع بطسم . واليك بعض ما قالت

فلو اننا كنّا رجالاً وكنتمُ نساء لكنّا لا نقيمُ على ذلِّ
فبعدًا وسحقاً للذي ليس مانعاً ويختال يمشي بيننا مشية الفحل[3]
فموتوا كراماً او اميتوا عدوّكم ودبّوا لنار الحرب بالحطب الجزلِ[4]

ولم يلبث قومها ان مكروا بطسم ففتكوا بها شرّ فتكة

وقال عدي بن زيدٍ في الاكاسرة واستطرد الى المناذرة

اين كسرى تاج الملوك بني سا سان ام اين قبلهُ سابورُ
واخو الحضر اذ بناهُ واذ دج لة تُجبى اليهِ والخابورُ[5]
شادهُ مرمرًا وجللهُ تبـ ـرًا وللطير في ذراهُ وكورُ
وتذكّرْ ربّ الخورنق اذ أشـ ـرف يوماً وللهدى تفكيرُ

---

(١) غالت اهلكت (٢) باروا هلكوا (٣) سحقاً اي حرقاً وبعداً . ويختال يتكبر ويتبختر
(٤) الحطب الجزل الغليظ العظيم منهُ (٥) الجباية جمع الخراج

سرّهُ مالهُ وكثرة ما يـ ـملك والبحر معرضاً والسديرُ
فارعوى قلبهُ فقال وما غبـ ـطة شيءٍ الى الممات يصيرُ (٦)

وقال زهير بن ابي سلمى وقد تطرّق الى ذكر النعمان وحادثة إغضابهِ كسرى ابرويز

ألم ترَ ان الله اهلك تبَّعاً واهلك لقمان بن عادٍ وعاديا
واهلك ذا القرنين من قبل ما ترى وفرعون اودى جندهُ والنجاشيا (٧)
ألم ترَ للنعمان كان بنجوةٍ من الشرّ لو أن امرءًا كان ناجيا
فغيّر عنهُ رشد عشرين حجة من الدهر يوم واحدٌ كان غاديا

وقال النابغة الذبياني ذاكرًا بعض ملوك غسان

هذا غلامٌ حسنٌ وجههُ مستقبل الخير سريع التمامْ
للحارث الاكبر فالحارث الا أعرج فالاصغر خير الانامْ
ثم لهندٍ ولهندٍ انتمى جدّات صدق وجدود كرامْ
خمسة آباء هُمُ ما هُمُ هم خير مَن يشرب ماء الغمامْ

وكان جذيمة بن مالك بن فهم الازدي المعروف بجذيمة الوضاح او الابرش من اشدّ ملوك العراق صولة وابعدهم مغارًا وقد صلى العالقة المتاخمين في الجزيرة واعالي الفرات حربًا عوانًا ففتك بهم فتكًا ذريعًا وقتل ملكهم فخلفتهُ ابنتهُ واسمها الزبّاء فهذه احتالت على جذيمة حتى قبضت عليهِ فثأرت منهُ بوالدها . وكان لجذيمة وزير اسمهُ قصير بن سعد اللخمي فلم يزل يمكر بها حتى ثأر منها بمولاهُ وفي ذلك يقول عمرو بن عدي بن نصر اللخمي ابن اخت جذيمة وقد ذكر ما كان من مكاشفة خالهِ الملك وزراءهُ لمّا خطب الزبّاء قال

ألا يا ايها الغرّ المرجّى ألم تسمع بخطب الأولينا
دعا بالبقّة الوزراء يومًا جذيمة يستشير الناصحينا (٨)
فطاوع امرهم وعصى قصيرًا وكان يقول لو نفع اليقينا
ففاجأها وقد جمعت جموعًا على ابواب حصنٍ مصلتينا (٩)
وحكّمت الحديد براهشيهِ فألفى قولها كذبًا ومينا (١٠)
فبات نساؤهُ ثكلاً عليهِ مع الابناء يعلين الانينا

(٦) ارعوى كفّ ورجع (٧) اودى هلك (٨) البقة موضع بالعراق قريب من الحيرة قيل انهُ على شاطىء الفرات (٩) مصلتين اي مصلتين السيوف واصلات السيف تجريدهُ
(١٠) الراهشان عرقان في باطن الذراع

فولّى انفهُ الموسى قصير ليخدعها وكان بهِ ضنينا
مخاتلة ابنة الريّان مكرًا فاذهل عقلها الواف الرصينا
اتتها العيرُ تحمل ما دهاها رجالاً في المسوح مسوَّمينا (١)
ففاجأها على الانفاق عمروٌ بشكتهِ ولم تخشَ الكمينا (٢)
فجللها عتيق الحدّ عضبًا يشق بهِ الحواجب والجبينا

وهذه الابيات فضلاً عن انها تتضمَّن رواية ما كان من امر جذيمة والزباء وقصير وعمرو تعرب عن امورٍ شتى منها (اولاً) ان ملوك العرب كانوا يستوزرون و يشاورون الوزراء واذا اختلف رأي الوزارة فالعمل برأي الفريق الاكبر (ثانيًا) ان العرب اجازوا الضرار اي تعدد الزوجات بدليل ان جذيمة اراد التزوج بالزباء وهو ذو زوجات (ثالثًا) علمنا منهُ ان ابا الزباء كان يسمى او يلقب بالريّان (رابعًا) افادنا ان الانثى كانت عند العرب ترث الملك كالذكر اذا لم يكن للملك نسلٌ من الذكور وهو نظام يجري عليهِ في هذا العصر المتمدّن بعض الامم الحائزة اعلى منزلة رفيعة من ادراك حقائق الهيئة الاجتماعية والعمل بموجبها

اما عمرو بن عدي قائل هذه الابيات فهو ابن رقاش اخت جذيمة الابرش . ووالدهُ لم يكن من الملوك بل كان صنيعة الملك خالهِ ومتولي شرابهِ وكان جذيمة قد زوَّجهُ اختهُ في حالة سكرهِ فلما افاق من نشوتهِ وعلم بما كان دخل الى خدر رقاش وقال لها

خبريني وانتِ غير كذوبِ ابحرّ زنيتِ ام بهجينِ
ام بعبدٍ فانت اهل لعبدٍ ام بدونٍ فانتِ اهل لدونِ

فاجابتهُ أختهُ

انت زوّجتني وما كنت ادري واتاني النساء للتزيينِ
ذاك من شربك المدامة صرفًا وتماديك في الصبا والمجونِ

وقول جذيمة المورد معنا يؤيد ما يروى عن انفة العرب من تزويج كرائمهم بغير الاكفاء كما جاء في شعر المهلهل عدي بن ربيعة التغلبي فانهُ لما أُجبر على تزويج احدى بناتهِ بغير كفء قال

لو بأبانَينِ جاء يخطبها ضُرِّج ما انف خاطبٍ بدمِ (٣)

وانفة العرب من هذا الزواج كانت لا تخطى الاستياء . واما بعض الامم القديمة كالرومانيين واليونانيين فاننا نجد في شرائعهم القضاء بقتل الرجل اذا كان من غمار الناس واقترن بفتاة تنتسب

(١) العير الابل تحمل الميرة . المسوَّمين المعلمين بعلامات يعرفون بها وهي من خصائص الشجعان
(٢) الشكة السلاح (٣) ابانان جبلان الواحد لبني اسد والآخر لبني فزارة

الى بيت نبيلٍ فالعرب اذن اعدل منهم حكومة واهدى وجهة الى محجة الصواب

وقد ولي عمرو بن عدي (ابن اخت جذيمة الوضاح) الامر دون بني خالهِ وانقادت لهُ العرب وخلَّف اريكة السلطة لبنيهِ واعقابهِ الذين يُسمون بآل محرّق واليهم يشير الاسود بن يعفر الدارمي بقولهِ

ماذا تؤمل بعد آل محرّقٍ تركوا منازلهم وبعد ايادِ
اهل الخورنقِ والسديرِ وبارقٍ والقصر ذي الشرفات من سندادِ (٤)
نزلوا بانقرة يسيل عليهم ماء الفرات يجيء من اطوادِ
جرتِ الرياح على رسوم ديارهم فكأنهم كانوا على ميعادِ
ولقد غنوا فيها بانعم عيشةٍ في ظل ملك ثابتِ الاطوادِ (٥)
فاذا النعيم وكلُّ ما يُلهى بهِ يوماً يصير الى بلى ونفادِ

وكانت العرب تعرف فرعون يوسف وتسميهِ الريّان قال الاعشى ميمون

ولأنت أجودُ بالعطاء من الـ ريّان لما ضنَّ بالقطرِ

وفاعل ضنَّ محذوف لقرينة الشهرة تقديرهُ الافق . ومراد الاعشى في قولهِ الاشارة الى استحياء الناس في زمن القحط الذي انتاب بلاد مصر وسواها في زمن فرعون يوسف وهو اشهر من ان يذكر

وذكر النابغة الذبياني سليمان الحكيم في اثناء امتداحهِ النعمان بن المنذر اللخمي قال

ولا ارى فاعلاً في الناس يشبههُ ولا احاشي من الاقوام من احدِ
الاَّ سليمان اذ قال الالهُ لهُ قم في البريَّة فاحددها عن الفندِ (٦)
وجيّش الجنَّ اني قد اذنتُ لهم يبنون تدمرَ بالصفاح والعمُدِ

وكلام النابغة هذا يتضمن اموراً اولها عظمة الملك النعمان وهذا ما يجوز ان لا نثق بهِ لان الشعراء اذا عمدوا الى مدح ذوي التيجان أثنوا عليهم بصفاتهم وبغير صفاتهم وانما يؤخذ كلام الشاعر كأمرٍ تاريخي موثوق بهِ اذا كان الملك ميتاً ومدحهُ الشاعر على غير تزلفٍ الى احدٍ من اعقابهِ ولا لغاية خاصَّة كأن يكون ممن يتصل نسبهُ بهِ كما نجد في مقصورة ابن دريد في امتداح سيف بن ذي يزن . واما مدح الملك الحي فلا نثق بهِ الاَّ مع وجود القرائن الدالة على صدق تلك الاقوال

---

(٤) الخورنق اسم قصر بناهُ النعمان الاكبر والسدير اسم نهر وقيل اسم قصر . وبارق موضع قريب من الكوفة . وسنداد ايضاً موضع (٥) غني القوم في ديارهم اذا طال مقامهم فيها

(٦) حدَّها منعها والفند العجز وهنا بمعنى الفساد وفي البيت القلب اي وامنع الفند عنها

والامر الثاني عزو بناء تدمر الى سليمان الحكيم وهو يوافق ما جاء في التوراة ونصهُ هكذا " وبنى سليمان جازر وبيت حورون السفلى وبعلة وتدمر في البرية " ولكنَّ المؤرخين قد اجمعوا على ان تدمر اقدم عمراناً من ايام سليمان. وقد صرَّح صاحب المرآة الوضية الفيلسوف فان ديك ان مراد الكتاب هو ان سليمان حسنها وزاد في ابنيتها . قلتُ وعلى هذا الوجه يتخرَّج ما قالهُ احد مؤرخي العرب ان جبلة بن الايهم الغساني بنى جلق اي دمشق وهي اقدم من عصره فكأنَّ المؤرخ اراد ان يبالغ في ما اجراهُ جبلة فقال بنى بدلاً من ان يقول حسَّن وزاد

وتحسين المدن القديمة حتى تكاد تنسب لمحسنيها من صفات ذوي السلطة من المتقدمين كسليمان ومن المتأخرين كالخديوي توفيق الذي اولى مدينة حلوان من اهتمامهِ مايسوّغ للمؤرخ ان ينسب بناءها اليهِ مع انها كانت قبلهُ بمئين من السنوات

والامر الثالث مما يستفاد من كلام النابغة هو اعتقاد العرب بالجن وانهم هم الذين بنوا تدمر وهذا لا يطابق الكتاب المقدس اذا أُخذ على حقيقتهِ ولكنهُ اذا أُخذ على معنى مجازي اي استخدام مهرةٍ فاقوا بمهارتهم حتى كادت قواهم العقلية تعدُّ غير بشرية صحَّ المعنى

وبهذه الفقرة كفاية لتأييد ما ذهبتُ اليهِ من امكان استحصال الامور التاريخية من الشعر وانتقل الى ايراد بعض ما لهُ منزلة خاصَّة من عادات العرب واخلاقهم وصنائعهم الى غير ذلك

امين ظاهر خير الله

عروسة النيل

الفصل الحادي والاربعون

زُجَّت باولين ومرضعها في سجن منف سجن القتلة والمجرمين كأنها اتت امرًا ادًّا او ارتكبت جناية فظيعة فلما ارخى الليل سدولهُ استولى عليها القلق والقنوط وعبث بها اليأس حتى كاد الجنون يتولأها فاذا اطبقت اجفانها وران الكرى عليها علت ضجة المسجونين وجلبتهم في غرف السجن الأُخرى فافاقت مذعورة كمن يفيق من حلم مخيف وفيما هي كذلك سمعت وطأ اقدام في الغرفة التي فوق غرفتها فقالت في نفسها ترى من التعيس الذي جاء بهِ سوء بختهِ الى هذا المكان فان السفلة من المجرمين لا يسجنون في هذه الطبقة ونحو نصف الليل سمعت نقرًا على القيثارة وقع في نفسها احسن موقع حتى حسبتهُ بلسماً لجراح نفسها فنهضت من فراشها ودنت من النافذة فالقت رأسها على حديد الشباك واصغت فسمعت السجين يحادث السجان فراعها

صوتهُ وخنق قلبها وتبادر الى ذهنها انهُ اوريون ولم تلبث ان سمعت السجان يناديهِ باسمهِ فتحقق ظنها وظلاً كذلك ساعة ثم اقفل السجان باب الغرفة وانطلق في سبيلهِ ودنا اوريون من النافذة يتنشق الهواء فلما ايقنت ان لا رقيب نادتهُ بصوت رخيم فاجابها وناداها وهو لا يكاد يصدق ما يسمع ثم قال انتظريني فصمتت منتظرة ما يكون وهي تحسب الدقائق اياماً فناداها ثانيةً وقال خذي فمدت يدها وامسكت لوحاً دلاهُ اليها بوترٍ من اوتار قيثارتهِ فقالت ليت لي نوراً استضيء بهِ ثم ربطت وردتين من الباقة التي ارسلتها اليها هيلانة وقالت انتشل ففعل ولما امسكهما شكرها وعمد الى قيثارتهِ فنقر عليها دوراً شجياً ولم يزد لان السجان حظر عليهِ العزف في الليل ولما عادت باولين الى مضجعها دسّت الرسالة تحت وسادتها ونامت

هو الحبّ يهزأ بسلاسل الاسر وقيود السجن فيمزّق نورهُ غياهب الظلمة ويخفف ثقل المصايب والنوازل . فتىً وفتاة لم يذوقا مرارة الاسر ولم يعرفا طعم الهوان والذلّ فلما زجاً في السجن احسَّا ان السعادة فارقتهما وان التعاسة خيمت بجناحيها عليهما فما هو الاَّ ان ايقنا الواحد بقرب الآخر حتى تبددت احزانهما واشرقت شمس افراحهما وذهلا عما يحيق بهما من الخطر كانهما في امنع الحصون لا في قرارة السجون فعاود باولين نضارتها واشرق وجهها وردَّ الى اوريون همتهُ ونشاطهُ

وفي صباح الغد دعيت باولين الى المجلس لمحاكمتها فلما رآها القضاة ووجهها يتدفق فرحاً وحبوراً دهشوا حتى القاضي عثمان فانهُ جزع اذ شهد منها هذا الابتهاج لعلمهِ بما امامها من الخطر فقد كان لدى المحكمة من الادلَّة ما يؤيد التهمة عليها وكان نصف القضاة من المصريين لان المتهمة من سكان منف ونصفهم الآخر من العرب لاتهامها بالاشتراك في قتل جندهم وكان عثمان يعلم حق العلم ان القضاة المصريين يقضون على المتهم بالموت اذا كان من ابناء الكنيسة الملكية واحسَّ انهم يريدون الايقاع بالفتاة لاسباب خفيت عليهِ فازداد اضطرابهُ وابصر بين الحضور ابولون فتأملهُ ملياً لعلَّهُ يقف على علة حضورهِ فاذا بهِ يرشق باولين بنظرات تشف عن الغيظ الشديد وحب الانتقام

ولمَّا سئلت عما عُزي اليها اصرَّت على ما قالتهُ قبلاً واثبتت بالبينة انها لم تفارق منف وانها كانت في بيت روفينس في نفس اليوم الذي قتل فيهِ جند العرب فسرَّ عثمان بما قالتهُ وتفاءل بهِ لكنها لم تكد تفرغ من الكلام حتى وقف عبادة فدفع الى عثمان اللوح الذي وجدهُ في غرفة اوريون قبل ان احترق القصر فقرأهُ المترجم وعرَّبهُ فسألها القاضي عمَّا تعرفهُ من امرهِ وكانت تجهل وجود هذا اللوح كل الجهل فقالت لا يخفى عليكم ان الراهبات من بنات مذهبي وجنسي

فلا غرو اذا تمنيت لهنَّ الخير ودعوت لهنَّ بالفوز على البطريرك وكلكم يعلم ان المقوقس واعضاء مجلس منف كانوا من انصارهنَّ ولم يتداخل العرب في شؤونهنَّ علماً منهم بما لهنَّ من الفضل على المرضى وذوي الاسقام والعاهات وما قمن بهِ من الخدمات الجليلة ايام الاوبئة وتفشي الامراض . فوقع كلامها موقعاً حسناً من نفوس القضاة لاسيما المسلمين منهم وخال عثمان ان نجاتها اصبحت في حكم الممكن فامر ان يؤتى باوريون للاستفهام منهُ عن مغزى الرسالة والغرض منها فجيء بهِ ولما وقعت عينهُ على عين باولين ارتبك ارتباكاً شديداً وسُئل عن اللوح فاعترف بانهُ كاتبهُ وقال ان ما فيهِ اشارة الى ما كان يتهدد الراهبات من الخطر الذي حاق بهنَّ ثم قال صحيح انني رفضت اسعافهنَّ ولكني كنت مستعداً لبذل ما في وسعي في سبيل انقاذهنَّ حين تعرض الفرصة المناسبة مستعيناً على ذلك بعامل الخليفة فقد كان يرتاي ما ارتآهُ المرحوم والدي في حياتهِ من وجوب الدفاع عنهنَّ . فقال ابولون يا لهُ من فتى ذكي . فضحك عبادة وقال ايها القضاة لايخدعنَّكم من هذا الفتى كلامهُ البليغ وحسن بيانهِ فهو خطيب بينهُ وبين هذه الفتاة روابط شديدة وعندي الدليل على صحة ما اقول فهو القيم عليها والوصي على اموالها وفضلاً عن ذلك . . . فقاطعتهُ باولين وقالت حسبك ما قلت وقد فهمت تعريضك وادركت الغرض الذي ترمي اليهِ فاسمعوا جميعاً ان ابن المقوقس خطيبي . فصاح اوريون وقد افعم قلبهُ سروراً وقال لقد سمعتم ماقالت فذلك اسعد اماني واعظمها فابنة توما خطيبتي . فذعر القضاة المصريون وتنبهوا لمن اصابهُ صيب ماء بارد فقال احدهم أنسيت اباك يافتى فهبهُ حياً اتراهُ يرضى عن زواجك بملكية وقد قتل الملكيون اخويك وسفكوا دمهما . فاجاب اوريون ان ابي بارك اقتراننا على فراش الموت فقال آخر ان صح ما تقول فقد اصاب البطريرك اذ نهى الكهنة عن الاحتفال بجنازتهِ ولعمري ان هذا الخبر من اغرب الغرائب . لكنَّ هذا الكلام وامثالهُ ذهب كرجع الصدى فلم يفقه لهُ المحبان معنى وحينئذٍ عادت المحاكمة الى مجراها بين اتهام ودفع حتى اوشكت ان تختتم فوقف ابولون وخاطب القاضي وقال ان لديهِ اموراً تختص بالقضية وقد تهمهم معرفتها فلما رأتهُ باولين سُرّي عنها ظناً منها بأن صديق فيلبس لا ينوي لها سوى الخير فقال ابولون في صباح الليلة التي فرَّت الراهبات فيها ذهبت باولين الى الدير فقرعت اجراسهُ . ثم دار اليها وقال ادفعي هذه التهمة اذا قدرت فعندي غيرها. فنزل كلامهُ عليها كالصاعقة ورأت ان الخطر تجاوزها الى زوجة روفينس وابنتهِ . فقال القاضي وعلامَ قرعتِ الجرس فاجابت فعلتُ ذلك تسهيلاً لفرار الراهبات فاني احبهنَّ . فصاح عبادة انها فعلت ذلك لتخدعنا نحن حكام هذه البلاد فسفكت دم اولئك الرجال . فاومأ اليهِ القاضي بالسكوت ودعا المحامي عن باولين الى

الدفاع عنها وكان هذا قد اعدَّ دفاعاً منمق الالفاظ كعادة المحامين في ذلك العصر فاخرج القرطاس وتلاهُ فذهب كلامهُ ادراج الرياح واقرَّت المحكمة على اعتبارها مجرمة ثم اخذ القضاة ينظرون في تعيين العقاب فتلا القاضي عثمان خلاصة القضية واشار بالايجاز الى ما ثبت من اتهام باولين بمساعدة الراهبات والسعي في انقاذهنَّ الى ان قال وقد ثبت ايضاً انها لم تكن معهنَّ يوم الواقعة ولا يستغرب ما فعلتهُ من فتاةٍ متعبدة سعت في انقاذ اخواتها في الايمان من الاضطهاد . وكان يتكلم والبلاغة تنفجر من فيهِ رغماً عن اعتراض عبادة حتى اقنع جلَّ قضاة المسلمين بوجوب الرأفة فلما اقترعوا حكم القضاة المسيحيون بالاعدام بالاجماع وخالفهم قضاة المسلمين الاَّ واحداً فصدر الحكم بالاعدام. ولما سمعهُ اوريون صار الضياء في عينيهِ ظلاماً حتى لم يعد يعي على شيء فدنا منهُ عبادة وقال باليونانية سيأتي يومك قريباً يا ابن المقوقس . ففهمَ اوريون باجابتهِ ولكنهُ التزم الحذر ورأى السكوت من الحكمة فدنا منهُ عثمان وقال اصبت في ما فعلت فالنسر لا يستطيع ان يحلّق في قفصهِ كما لو كان في الهواء ثم اومأ الى الحراس بردّهِ الى السجن واقترب من باولين فقال لقد حكموا عليكِ ايتها الفتاة النبيلة على ان في وسع مولانا الخليفة نقض حكمهم والعفو عنكِ وقد عزمت انا وبعض اصدقائي على رفع الامر اليهِ . ولما انصرفت التفت الى من حولهُ فقال ارى فؤادي يقطر دماً وقد كلفني النطق بهذا الحكم عناء جزيلاً

الفصل الثاني والاربعون

وتبع ابولون عبادة بعد خروجهما من المجلس فطلب اليهِ ان يأذن لهُ في مفاوضتهِ على حدةٍ ففعل ولما خلا بهِ اطلعهُ على ما دبَّر لباولين طالباً مساعدتهُ على اتمام العمل فاستحسن عبادة رأيهُ الاَّ انهُ شرح لهُ ما يعترضهما من العقبات فعمد ابولون الى التزلف والاقناع فلم يفلح واخيراً قال لعبادة اذا منحتني مبتغاي اعطيتك ما يثبت التهمة على اوريون فلا يبقى لهُ امل في النجاة قال وماذاك قال هذا وناولهُ لوحاً من الشمع . ومن خبر هذا اللوح ان ابولون قبل دعوة روفنيس بعد سفر الطبيب فهجر منزلهُ واتخذ بيت الارملة مسكناً فنقل امتعتهُ وطروسهُ اليهِ فوضعها جميعاً في مكتبة كانت خاصة بباولين ولما فتح المكتبة عثر على رسالة خطها اوريون وارسلها الى باولين يوم جاء الى بيتها مودعاً واستبطأها فقال ــــ فيها انهُ ذاهب لوداع عمروٍ وكانت الكتابة محوة الاَجزاء منها فيهِ الكفاءة لاثبات اشتراك اوريون في اعداد المعدات ونحوها فلما اطلع عبادة على ما في اللوح سُرَّ بهِ وقال لابولون امر باولين اليك فافعل ما تشاه . ودعا السجان اليهِ وقال اذا نجا هذا السجين من يدك فدمك هدر ثم امتطى جوادهُ وسار في سبيلهِ . اما ابولون فركب حمارهُ وذهب توّاً الى مجلس منف فطلب من الرئيس ان يدعو الاعضاء

لعقد جلسة في ذاك المساء وعاد الى مسكنهِ الجديد فدخل غرفتهُ فاذا بها مكنوسة نظيفة وقد رشت ارضها بالماء وصفت الازهار على الموائد ورتبت الطروس والدفاتر في اماكنها فارتاح لجميع ما رأى واخذ يفرك يديهِ فرحاً وبعد هنيهة جاءت ماري تدعوهُ الى الغداء فامسك يدها ونزل الى حيث كانت النساء فحياهنَّ وقد ابرقت اسارير وجههِ وانبعث الفرح من عينيهِ فاخذ يطرفهنَّ بالنكات والاحاديث ويقابل بين سوء معيشتهِ في الماضي ورخاء عيشهِ في بيتهنَّ ثم دار الى هيلانة فقال ومتى عاد الحبيب فيلبس كمل عددنا فكنا كنجم مصري مخمس لجميع نجوم المصريين المنقوشة على الحجر او المصورة مخمسة. فضاحت ماري وقالت اذاً آمل ان نكون حينئذٍ نجماً مسدساً اذ يحدث ان تعود الينا الحبيبة باولين. فامنت الارملة وابنتها على دعائها اما ابولون فانقبض وعبس وبدا الغيظ في وجههِ فسألتهُ هيلانة عن علة انقباضهِ فقال لست اطيق اسمها فلا تعدنهُ على مسمعي فقالت ماري اتعني باولين فآه لو عرفتها . . . .

فقال عرفتها حق المعرفة فاعلمن انني احب اهل هذا البيت وقد لقيت فيهِ تلك الراحة التي كنت اطلبها في ما غبر من حياتي واراني اليوم شاباً لا شيخاً هرماً على اني اكره تلك الفتاة واكره اسمها فاذا اصررتنَّ على التحدث بشؤونها والاطناب في وصف محاسنها بغية ان تحببنها اليَّ اضطررت الى مغادرة هذا المنزل بما فيهِ من رغد العيش وعدت الى بيتي ففي صدر تلك الفتاة قلب مملوء مكراً وخداعاً وتريني افضل مساكنة الافاعي على العيشة معها . فوثبت ماري من مكانها وقالت احقًا ما تقول

فقال نعم يا حبيبتي — فقالت اذاً لست حبيبتك فانت ظالم قاسٍ ولو كنت تعرفها لما وصفت قلبها هذا الوصف

فقال مهلاً يا ابنتي فلنضرب صفحاً عنها فقد حاكوها اليوم وقضي على قلبها بالسكون. فصاحت هيلانة وكاد يغمى عليها وقالت امها رحماك خلِّ المزل فليس هذا مقامهُ

فقال لست هازلاً فقد قضي عليها بالموت . فقالت ماري اتيتنا وانت تعلم هذا فقضيت ساعة في المزل والضحك غير حافل بالامر اني ابغضك اشدَّ البغض ولو لم تكن شيخاً فانياً . . . . فاسكتتها الارملة واخذت النساء في البكاء والعويل . فقال ابولون لا يأخذكنَّ الحزن فقد اختارتها العناية لامر عظيم قد يكون فيهِ انقاذ البلاد من القحط والوباء فتخلص الامة بموتها نعم ان القاضي عثمان وبعض مريديهِ يبذلون ما في طاقتهم لانقاذها وسيعقدون غداً مجلساً ليقروا فيهِ على ارسال رسول الى الخليفة يلتمس لها العفو لكن الخيبة نصيبهم فعبادة مصرَ على اعدامها وهو صاحب الامر والنهي في مصر في غياب عمرو بن العاص ولا يخفى عليكنَّ ان عمر ايميل

الى ابن المقوقس فيرجح انهُ يسعى جهدهُ في انقاذ خطيبتهِ . فقالت النساه ومن خطيبتهُ فقال باولين وقد سمعتهُ يدعوها كذلك امام القضاة . فقالت الارملة وفَّق الله الساعين الى الخير فقد حلَّ بهذه الفتاة من المصايب ما يزحزح الجبال وكأنك نسيت يا ابولون ان القضاة الذين حكموا على باولين قد يتوسعون في البحث فينزلون الويل بيت روفينس فيقبض علينا ونزج في اعماق السجون

فقال لا توجسي شرًّا فاني احميكن ومادام فمي ينطق وقلبي ينبض فلن تسقط شعرة من رؤوسكنَّ

فقالت اذا كنت نافذ الكلمة فاسعَ في انقاذ باولين فهي اعز الناس الينا والى فيلبس

فقال ليس ذلك في طاقتي ولست بفاعلهِ فلا تحاولن اغرائي. ولما قال ذلك خرج من الغرفة فصاحت ماري خلفهِ يذهب ان الله عادل ثم اجهشت بالبكاء فلم تستطع التلفظ ولما سكن جاشها طلبت من الارملة وهيلانة ان تأخذاها الى السجن فترى باولين فاجابتاها وخرجت النساء الثلاث يردنَ السجن فلما بلغن الاسواق الفينها غاصَّة بالخلق فواصلنَ السير حتى بلغن ساحة المدينة فلم يعدن يستطعنَ التقدم ولا الرجوع فاستولى الخوف على الارملة فقبضت على يد ماري ووقفت مكانها تنتظر الفرج وحانت من ماري التفاتة فرأت رستمًا واقفًا في الجمع وكأنَّ عمامتهُ بين الرجال لواء فاخبرت الارملة فقالت ليتهُ معنا فسلَّت ماري يدها وانسلَّت بين الناس حتى وصلت اليهِ وحينئذٍ ازداد الهياج وعلت الجلبة واتجهت العيون الى المجلس فامسكت بيدهِ وقالت ما الخبر فلم يجبها بل انحنى ورفعها على كتفهِ حيث استطاعت ان ترى ما حولها كانها واقفة على برج ثم سار بها الى حيث الارملة وهيلانة فوقف فقالت ماري يا اماهُ ارى حمار ابولون مربوطاً امام مدخل المجلس والقوم يضعون اكليلاً من ورق الزيتون على عنقهِ. ثم نفخت الابواق فكفَّ القوم عن الهرج وسألت هيلانة ماري عن الخبر فاجابت تطلعا في الشرفة فاني ارى اسكندر رئيس المجلس والى جانبهِ ابولون وارى الاول يتهيأ للكلام فقاطعها صوت الابواق ثانيةً فزادت السكينة وحينئذٍ شرع الرئيس يخطب في القوم فقال

— يارجال منف التعساء لا اراكم تجهلون عظم المصايب التي المَّت بنا فقد نزل بنا ما اجهدنا وكاد يفنينا ولا يزال الشرُّ يفاجئنا من حيث لا ندري فنحن اعضاء المجلس الذين وُلّينا حكومة المدينة للنظر في شؤونها والاهتمام باموركم . . . . . فقاطعهُ الجمهور وتعالت الاصوات فمن قائل اذًا فاهتموا بنا وقائل انكم عبارة عن اكياس من الذهب وقائل احفظوا العهود والمواثيق وانقذونا من الهلاك. فنفخت الابواق وثاب القوم الى الوقار فقال الرئيس ظننتمونا احسن منكم حالاً فقلتم ما قلتم فاعلموا اذًا ان القحط والموت فعلا بنا ما فعلا بكم فقد ماتت زوجتي وابنتي

امس بالوباء . فوقع هذا الخبر من السامعين اشدّ الوقع وبكى بعضهم اذ رأوا قائلهُ يمسح عينيهِ فاستطرد الكلام وقال فاذا كان بينكم من يستطيع اثبات تقصيرنا فليبكّتنا امام الله والخليفة واهل منف فاتركوا النوح والعويل اليوم فالفرج قريب باذن الله ولننظر معاً في الوسيلة الوحيدة التي تبلغنا الغرض فقد تضرعنا الى الله كما يفعل المسيحيون ودعونا الفادي وتوسلنا الى الكنيسة ولم ندخر وسعاً في تقديم الصلوات واقامة الحفلات الدينيَّة والرياضات والتقشفات والتقدمات فلم تغنِ فتيلاً وليت الله اكتفى بما ضربنا بهِ فان الضربات ما برحت تزداد حتى تراكمت علينا كانها رمال الصحراء فعمدنا الى السحرة والعرافين فكنَّا كصارخٍ في وادٍ فتذكرنا حينئذٍ اسلافنا الامجاد وذكرنا ان بين ظهرانينا رجلاً يعرف ما غاب عنَّا من حكمتهم رجلاً قضى حياتهُ في درس علوم الاوائل وفي يدهِ مفتاح اسرار القدماء وكنوز حكمتهم وقد قصَّ علينا هذا الحكيم ما كان يفعلهُ القدماء من سكان هذه البلاد اذا نزلت بهم رزيئة كالتي اثقلت كاهلنا وسيطلعكم ابولون هذا الحكيم الذي ترونهُ واقفاً الى جانبي على السرّ وترون الطروس في يديهِ ففيها ما ينبئكم بالخبر اليقين . فصاح الجمع بصوت واحد فليجيَ ابولون المنقذ فانحنى الشيخ وطلب الى الرئيس ان يتولَّى اتمام الحديث فقال اسكندر

ايها الاخوان لا سبيل الى نيل هذه الاماني الاَّ ببذل كل مرتخصٍ وغالٍ هذا ما عرفهُ القدماء فجروا عليهِ فاذا قصَّر النيل عن الوفاء قدموا لهُ ضحية ثمينة فاختاروا فتاة بارعة الجمال طاهرة . . . اني اراكم تشمئزون وتنفرون ولا غرو فالنفس تعاف تقديم هذه الضحايا لكني لا ارى موجباً لهذا الاشمئزاز وذاك النفور فليس هذا اول عهدنا بتقديم الضحايا ويذكر جميعكم اننا في ليلة النقطة القينا في النيل صندوقاً فيهِ اصبع انسان[1] فهذه التقدمة الصغيرة رمز الى التقدمة الكبيرة التي اشرت اليها ولم نسمع في ما اتانا من الانباء ان احداً من اباء الكنيسة شجبها فقد القيت في الماء بمرأىً من انطونيوس واثناسيوس وثيوفيلس وغيرهم وقد يداخلكم الريب ويستولي عليكم الجزع ظنًّا منكم بان الضحية ستكون من بناتكم ونسائكم فقرُّوا عيناً واعلموا ان شرائع اسلافنا تحظر سفك دم المصريين في هذه الاحوال فلا يضحَّى سوى الاجانب او الذين يعبدون غير آلهة المصريين وقد اسعفنا القدر على نيل بغيتنا اليوم فارسل الينا فتاة اجنبيَّة جميلة حكم عليها القضاة بالاعدام لجريمة لا تشين طهارتها ولا تمسُّ نقاوتها وهي رومية ملكية توفرت فيها جميع الشروط المطلوبة فاستعدوا وافرحوا فقد دنا الفرج . فارتفع ضجيج استحسان السامعين

(١) كان المصريون المسيحيون يلقون في النيل صندوقاً فيهِ اصبع انسان ليحملوا ماء النهر على الارتفاع وظلوا يفعلون ذلك الى القرن الخامس عشر — ذكرهُ المقريزي

وعلا صراخهم قائلين خذوها الى النيل زوجوا النيل بهذه الملكية هاتوا الاكاليل لعروسة النيل اسرعوا بالازهار لعرسها . لنجرِ على تعاليم اجدادنا وليحيَ رئيس المجلس والشيخ الحكيم

وبينما القوم يطفرون فرحاً ويرقصون طرباً اذا برجلٍ متردٍ بالحلل الكهنوتية وعليهِ سيماء الرزانة والوقار جاء يخترق الحشد على مهل رافعاً بيدهِ صليباً فلما توسط الجمع خشعت الابصار وهدأَت الاصوات وكفت الجلبة وظلَّ الرجل سائراً على مهل حتى وصل الى سلَّم المجلس فصعد عليهِ ودخل وبعد قليل خرج الى الشرفة واطلَّ على الجمهور فرفع الصليب ولبث كذلك هنيهة فلما رآهُ ابولون قدحت عيناهُ شرراً فطلب الى رئيس المجلس ان يمنعهُ عن الكلام لكن الكاهن نظر الى الاثنين مغضباً فطأطأ اسكندر رأسهُ وسكت سائر الاعضاء اذ لم يخفَ عليهم ان الرجل مطران منف الجديد المشهور بغزارة علمهِ وفضلهِ وشدة بأسهِ فلما سادت السكينة خاطب الجمهور فقال

تأملوا هذا الصليب واصغوا الى كلام كاهنهِ فانتم تتعطشون الى نعمة الفادي ولا تزالون تتوقون الى ضلال الوثنيين وعبثاً تتململون من كلامي فلن يسكتني تضجيركم فالحق ينطق بي ولن يخرس احد الحق فاعلموا انني أُقمت خلفاً لمطرانكم المتوفى وعزمت على القبض على عصا الرعاية برفق واحسان فاذا احرجتموني صارت سوطاً وسيفاً في يدي حتى تدمي جراحكم فانظروا صورة فاديكم في يدي فاني ارفعها سداً يحول بينكم وبين هذه الضلالة التي تلقيتموها بفرح وابتهاج فانتم ملعونون ملحدون فارفعوا قلوبكم وتأملوا هذا الدماء على الصليب ليفتديكم ولكنكم قليلو الايمان اذا اظلم الليل قلتم في النور واذا أُصبتم بمرض قلتم عجز الطبيب فما هذا الذي انا سامع ايعجز الله وكنيستهُ وينقذكم السحر وفجور الوثنيين أبعدهذا تجديف وكفر . امَّا وقد عدمتم الثقة بالله ولجأتم الى السحر وشرّ الوثنيين فيتلو القصاصُ القصاصَ والعقابُ العقابَ حتى يطمركم الرماد والتراب فتئنون وتتوجعون وتطلبون العون الالهي في اشد الضيق . يا اولاد مولك ان الفتاة التي عزمتم على القائها في النهر هي تحت حماية الكنيسة العظمى وموت جسدها يؤَدي الى هلاك نفوسكم فاطرحوا اميالكم الفاسدة وانبذوا اعمالكم القبيحة . فقاطعهُ ابولون وقال واجلسوا مكانكم حتى لا يبقي القحط والطاعون على احد منكم . وسمع الوف هذا الاعتراض فقابلوهُ بالاستحسان وقال رئيس المجلس ان الناس يموتون والبلاد سائرة في طريق الخراب وعلّة مصابنا هبوط البحر فدلّنا على سبيل النجاة او فاتركنا وشأننا نلجأ الى حكمة اسلافنا . فانتهرهُ المطران وقال لا علاج لكم سوى الايمان والرجاء والصلاة . فقال الرئيس اراك تجهل مقدار ما اصابنا من النوازل ولا غرو فانك لم ترَ زوجة في حشرجة الموت

او ابنا تخمد انفاسهُ في اول العمر . فصاح الشعب من اسفل " الضحيةَ الضحيةَ " وقال آخرون ايتونا بالفتاة فنلقيها في النيل . فاعترضهم فريق وصرخوا فلتبقَ مسيحيين وليحيَ المطران يوحنا ان نفوسنا اثمن من اجسادنا فحاول المطران ان يخاطب الشعب ثانية فاختنق وسدى بوّق المبوقون يدعون السامعين الى السكينة فذهب تبويقهم ادراج الرياح وانقسم الجمهور قسمين كلٌّ يناضل عن مبدإهِ ولم يطل بهم الجدال حتى اخذوا يتلاكمون ويتضاربون فاسرعت النساء في الخروج من الزحام وهجمت كوكبة من فرسان العرب على المتضاربين ففرقتهم

اما المطران فاعلن للمجلس ما عزم عليهِ من منع تضحية الفتاة قائلاً سارسل اليوم رسالة الى البطريرك فنرى ما يقول فاجابهُ ابولون ان عامل الخليفة في هذه الديار اذن في تضحيتها فستضحى وينقذ الشعب رغماً عن جميع رجال الكهنوت . فاخذ الغيظ من المطران كل مأخذ وقال ساعاقب الذين اشاروا بهذه الفعلة الشنعاء بالحرم فقال ابولون افعل ما تشاء وانحاز اعضاء المجلس اليهِ فانصرف المطران وهو يتميز غيظاً

الفصل الثالث والاربعون

وبعد ان خرجت النساء سرن الى السجن ليزرن باولين فلم يأذن لهنَّ السجان في الدخول عملاً باوامر عبادة فتوسلن اليهِ وبكين فرقَّ لهنَّ وبعد اللتيا والتي فتح الباب المؤدي الى غرفتها فدخلن وابصرنها واقفة امام النافذة تصغي الى صوت قيثارة اوريون وارادت ماري ان تطرح نفسها عليها فامسكتها الارملة ومنعتها كل هذا وباولين غير منتبهة الى وجودهنَّ معها فلما دعونها دارت اليهنَّ وصاحت فرحاً فاسرعت اليهنَّ وقبلتهنَّ فطوقتها الارملة بذراعيها وبكت وراعهنَّ ما رأين من ثبات جاشها ورزانتها اذ حسبنَ ان سجنها ومحنتها يذهبان بنضارة وجهها ورونقهِ فاذا هي كاحسن ما عرفنها وكأَنها في نعيم مقيم لا في اعماق السجون والموت يترصدها فقلن في انفسهنَّ لعلها جاهلة ما سيحلُّ بها فلما جلسنَ انبأتهنَّ بما تمَّ من امرها فبكينَ واعولنَ فقالت لا يحزنكنَّ امري فقد وعدني القاضي خيراً وسيرفع قضيتي الى الخليفة طالباً العفو عني وكانت ماري تنوح فاخذت باولين تعزيها وتطيب خاطرها قائلة ان المصايب تعلّم المرء الصبر والتسليم فقد استفدتُ من مصيبة بيت روفينس ما سهل عليَّ احتمال محنتي هذه . وبعد ان قضينَ ساعة قرع السجان الباب يدعوهنَّ الى الخروج فنهضت باولين وقالت عندي رسالة لاوريون ولست آمن غريباً فخذيها يا حبيبتي ماري اليهِ ثم اخرجت الزمردة وناولتها لماري واعطتها لوحاً مكتوباً وقالت ادفعيهما اليهِ وقولي لهُ ان يعتبر الزمردة ملكهُ فيدفع غضب الكنيسة عنهُ ففعلت ماري كذلك وسلمت الرسالة والزمردة الى اوريون فلما قرأ المكتوب قالت ماري لقد

بمت نبوتي وباولين اليوم خطيبتك فقال صدقت ولكني لم اكد اربحها حتى خسرتها

فقالت ان القاضي صديقكما وسيلتمس لها العفو من الخليفة

فقال ولكن عدوًّا جديدًا قام لنا في شخص ابولون

فقالت تبًّا لهُ من خدَّاع ماكر

فقال ليت عمرًا يعود فنجاتنا بهِ وقد كان لي بمثابة ابٍ وقبل ذهابهِ كلفني القيام بعمل شاق وحاولت امس ان اضع قواعدهُ فلم استطع الكتابة اذ ينقصني الخرائط والدفاتر اللازمة وكان نيلس قد جمعها سوية وامرت من يلزم بنقلها الى بيت روفينس ولست ادري ما صارت اليهِ بعد احتراق البيت

فقالت ان هذه الخرائط والدفاتر في بيت روفينس وقد رأيتها بنفسي. ففرح اوريون وضمها الى صدرهِ وجعل يقبلها ثم جمع يدهُ وضرب بها الجدار وقال لقد وجدنا الخرائط والدفاتر الضائعة يا نيلس وسآتي بها غدًا

فقال نيلس انها بشارة مفرحة ونحن في حاجة الى العمل دفعاً للهم والقلق فقد نقل اليَّ اليوم سجين جديد اخبارًا يسوءُك سماعها

— بشأن خطيبتي نعم لقد بلغني

— ويقول السجين ان قد جاء رسول من عمروٍ ينبئ بوصولهِ الى المدينة حيث لا يطيل المكث وعليهِ فسيعود الينا قريباً

فقال اوريون فينتج من ذلك انهُ غادر المدينة قبل وصول رسول القاضي اليها فلم يبقَ لنا امل الاَّ في عمروٍ وليتنا نستطيع اطلاعهُ على حقيقة حالنا قبل ان يصل

فقال نيلوس من لنا برسول امين يحمل رسالتنا اليهِ فقد تشتت اتباعنا . فقالت ماري انا اجد رسولاً كفؤاً وقال اوريون وانى لكِ ذلك فاجابت ان الرسول سيبرح منف غدًا فاتكلا عليَّ فعليكما الآن ان تدلاَّني على الطريق الذي يجب على الرسول سلوكهُ واكتب يا عمَّاهُ اسماء المحطات على هذا اللوح فلا انساها ثم ناولتهُ لوحاً من الشمع فرأى عليهِ صورة قلب وحولهُ مربعات فقال وما هذا فاحمرت وقالت هذا قلبي وهذه المربعات اشارة الى اجزائهِ التي وزعتها على من احب فلباولين النصف ولك الربع وهكذا ثم اخذت اللوح فمسحت المرسوم عليهِ وبعد ان كتب اسماء المحطات كما طلبت قال غدًا ارسل اليكِ كتاباً باسم عمروٍ يأخذهُ الرسول معهُ فقال نيلس ولكن سفرة كهذه تقتضي نفقات كثيرة وجميع ما لدينا من المال لا يكفي فاجابت هي لست في حاجة الى ما لديكم فعندي جواهري ومجوهرات امي فقال اوريون اياكِ

وبع هذه الاشياء ثم انتزع خاتمًا ثمينًا من اصبعهِ وقال خذي هذا واعطيهِ للارملة وهي تبيعهُ لغالانيل الصيرفي فني ثمنهِ ما يسدّ الحاجة. ولما فرغوا جاء السجّان وامر ماري بالخروج وفيما هما خارجان سمعا وقع اقدام فخشي السجّان ان يكون القادم عبادة فتوارى عن البصر فاذا بهِ المطران يتبعهُ شماسهُ وقد اتيا لتعزية المسجونين كعادتهما

ولما اجتمعت ماري بالارملة وهيلانة قالت لهما لقد عهد اليَّ بامرٍ ذي شأن وسيشاركني رستم في القيام بهِ وليس من الحكمة افشاء السرّ الآن فسأُطلعكما عليهِ متى حانت الفرصة المناسبة وحينئذٍ فتحوا باب السجن الخارجي فخرجنَ وهنَّ يتحسرن ورستم يشكو غدر الدهر وتقلبات الحدثان

الفصل الرابع والاربعون

ولما توسطوا الطريق مشت ماري ورستم امام الآخرين وهو يحرق الأُرَّم ويعدد ما لباولين من الايادي عليهِ وعلى ماندافي الى ان قال وبودّي لو استطعت . . . . فقاطعتهُ ماري وقالت ولكن في استطاعتك ان تقوم بعمل كبير اذا اردت اسعافها عن طيبة خاطر فقال انني ابذل آخر نقطة من دمي في خدمة تلك السيدة النبيلة فامسكت ماري بيديهِ وقالت ان كنت تؤمن بالله فاقسم بهِ او اقسم بعروسك ماندافي ان لا تبوح بما سأسرّهُ اليك ولا تطلع عليهِ احبَّ الناس اليك فقال وما ذاك فقالت اقسم اولاً — فاقسم

فقالت اذًا فاعلم اننا في حاجةٍ الى رسول نرسلهُ الى عمرٍو فيسعى في انقاذ باولين فهل تعرف الطريق بين حصن بابل وبرينيس

فقال نعم ولطالما سلكتها فانها اخصر الطرق الى جدّة والمدينة

فقالت ليس في منف كلها سوى رجل واحد يمكننا التعويل عليهِ لكن ذلك الرجل يأبى الذهاب ويفضل البقاء مع خطيبتهِ والعودة معها الى بلادهِ على اسعافنا

فقال تبًّا لهُ من نذلٍ . فضحكت ماري لسذاجتهِ وقالت

الم يخطر ببالك انك الشخص المعنيّ فاعلم اننا لا نأمن سواك في هذه المهمة

فقال ولكن سيدي قد يدعوني اليهِ ولا يسعني الَّا ان البي طلبهُ

فقالت يصعب عليك هجر خطيبتك وانت ترى تلك السيدة التي احسنت اليكما في مخالب المنون

فقال انتِ تعلمين انني رجل نشأت على السير مع القوافل فليس لقاء الحكام والعظام من شؤُوني ولو سعيًا لانقاذ ابي من الموت فانا رجل ساذج لا احسن الكلام فاذا لقيت عمرًا وحدي فلا اجسر على مخاطبتهِ

فقالت ومن يكلفك الذهاب وحدك ومخاطبة عمرٍو انا اذهب معك ولا بدَّ لي من لقائهِ ولو اضطررت الى اتخاذ البستاني الاحدب معي

فقال وكيف تستطيعين احتمال المشقات والسفر الطويل وانتِ فتاة صغيرة

فقالت ليس رفيقك الفتاة ماري وانما هو فتًى اسمهُ ماريوس

فقال سمعتك تقولين انك انت تذهبين معي

فقالت ما ابطأ فهمك فسأتنكر في زي صبيٍّ حتى اذا رآني بعض من يعرفني خالني اخي. فضحك رستم وقال احسنتِ وانا رهن اشارتكِ وترينني مستعدًّا للسفر وقتما تريدين فماذا تقول هيلانة وامها اذا هما دريتا بذهابكِ

فقالت ستعلمان ذلك بعد ان نخرج من منف وحينئذٍ تدعوان لنا بالسلامة ويسهل الله سبيلنا . وظلت ماري تتوسل اليهِ تارة وتهزأ بهِ اخرى وتذكرهُ بما فعلتهُ باولين لهُ ولخطيبتهِ وتعدد الاخطار المحدقة بها حتى اقتنع بوجوب ذهابهِ معها فوعدها خيرًا . ولما افترقا ضربت لهُ موعدًا للسفر ونحو نصف الليل نهضت من سريرها وكانت المهذبة اليونانية نائمة معها فانسلَّت الى الغرفة المجاورة واضاءت مصباحًا فتبعتها المهذبة ترقب حركاتها فخلعت ثيابها وتناولت ثوب صبي خاطتهُ هيلانة لابن البستاني فلبستهُ وشرعت تتأمل نفسها ثم خلعتهُ وجلست تكتب ولم يطل بها المقام حتى هبَّت من مكانها ونادت المهذبة فخرجت هذه اليها وقبل ان تسألها عن غرضها ابتدرتها ماري بالكلام فقالت

— ان الله يدعوني الى القيام بمهمة ذات خطر وقد رأيت ان اطلعكِ على ما عقدت النية عليهِ واسألك النصيحة ثم طوَّقت عنقها بذراعيها واستحلفتها ان تكتم سرها قائلة ان الامر يتعلق عليهِ خلاص اوريون وباولين من السجن والموت ثمَّ بكت فرقَّت المهذبة لها وقبلتها وهي تدعوها باحب الاسماء والنعوت فزاد ذلك في جرأتها فنهضت من مكانها وامسكت الانجيل ووضعت يد المهذبة عليهِ وقالت اقسمي انكِ تحفظين السرَّ فقالت كلاَّ فقد وعدتكِ ولا يجوز لنا القسم فالحت ماري عليها واخذت تستعطفها حتى لم تخلِّ لها بابًا للرفض ففعلت اكرامًا لها ثم انطرحت على مقعد هناك وجلست ماري بجانبها فبسطت لها ما عرفتهُ من امر باولين والحكم عليها وما يتهدد حياة اوريون من الخطر وافاضت في وصف ما يلقاهُ من العناء علمًا منها بان ذلك يحرك قلبها لما آنستهُ من ميلها اليهِ الى ان قالت وقد ارتأيت ان اسافر بنفسي فالاقي عمرًا واشكو اليهِ . فلمَّا سمعت المهذبة ذلك الكلام اعتراها اضطراب شديد فنهضت من مكانها وقالت لقد تجاوزتِ الحدَّ فلن آذن لكِ في السفر فانما تسيرين الى الموت العاجل . لكن كلامها

لم يحول ماري عن عزمها فاخذت تبين لها ضرورة السفر وقالت انني لا احفل بالمخاطر فقد اعتدت الركوب واجد فيهِ لذة عظيمة اماَّ الحرُّ فقد نشأت فيهِ ولست بذاهبة وحدي فرستم الجبَّار يرافقني ويحرسني وفضلاً عن ذلك في الطريق محطات ينزل فيها المسافر فيستريح من عناء السفر ولا اراكِ تجهلين ان في نيَّة المطران ارسالي الى احد الاديرة لاترهَّب فيهِ ولا اكره اليَّ من الترهُّب فاذا بقيت هنا ارغمني على ذلك ولم تجد كم مقاومتكم لهُ نفعاً فخير الامور لي الذهاب حتى اذا لقيت عمرًا وبسطت لديهِ جميع هذه الامور لقيت منهُ مدافعاً عني ونصيرًا لها. وكانت تتكلم وهي تشرق بدمعها حتى غصَّت فرثت المهذبة لها وقالت افعلي ما تشائين ولا تبطئي

وفي الصباح نهض اهل البيت من النوم واجتمعوا كالعادة فراعتهم من ماري هيئة الرضا والفرح الباديين على وجهها فطلبت ان يؤذن لها في الذهاب الى المدينة لقضاء بعض الحاجات لعمها فاجيب طلبها فارسلت الخرائط والدفاتر الى السجن فلما عاد الرسول ناولها كتاباً من اوريون وهي الرسالة التي كان يريد ارسالها الى عمرو فدستها في جيبها وانطلقت مع رستم الى المدينة فاخبرها انهُ دبر ما يحتاجان اليهِ من الركائب والطعام والخدم وانهُ اشترى خيمة لها للمبيت وظلاً سائرين حتى بلغا بيت غمالائيل فامرتهُ بانتظارها ودخلت فلقيها الجوهري بالترحاب وقد رأى فيها البقية الباقية من ذلك البيت العظيم فسألها عن حالها فتبسمت واحمر وجهها ثم ابرزت الخاتم وقالت اشترِ هذا مني فاني في حاجة الى الدراهم

فاجاب الخاتم ثمين لكننا لا نعامل الصغار

فقالت كيف العمل وبي حاجة الى المال

فقال اذا كنت تحتاجين الى شيء لانفاقهِ في الطعام اعطيتكِ ما تطلبين لكني اعلم ان بيت روفينس مملوء خيرًا وشبعاً وقد اودع جدك عندي منذ سنتين مبلغاً طائلاً من المال باسمك فلستِ اذاً في حاجة الى المال للانفاق على نفسكِ

فقالت اني محتاجة الى المال لا للانفاق على نفسي فاعطني من مالي مقدار ما احتاج

فقال ولكن ذلك ليس بالامر السهل اذ ينبغي لهُ شهود ومجلس ووصيٌّ فلا تنسي اننا في مصر

فقالت اذاً فاشترِ الخاتم

فقال لعلكِ نسيتِ الزمردة فقد كلفني ابتياعها عناء كبيرًا ولست اشتهي ذلك العناء فخذي خاتمك فعندي من الحجارة الثمينة ما يقدر بالالوف . فحزنت وسالت دموعها على خديها حتى احزنتهُ فقال

لا تستسلمي لليأس والقنوط وبكاؤكِ يسوءني فاعلمي ان غمالائيل غنيٌّ وانهُ يحب العطاء

كما يحب الاخذ فلست في حاجة الى خاتمكِ فارفعي عينيكِ الى الرجل الذي كان موضع ثقة جدك وقولي لهُ يلزمني كذا من المال ولا بدَّ لي منهُ. فسرَّت ماري وآنست منهُ الاخلاص في المقال فاستحلفتهُ ان يكتم السرَّ ثم باحت لهُ بجميع ما عزمت عليهِ من لقاء عمروٍ وبذل كل مرتخصٍ وغالٍ في انقاذ باولين واوريون. وكان غمالائيل يصغي اليها وقد اعترتهُ الدهشة فلما فرغت قال لها كم يلزمكِ من المال فقالت كذا ففتح صندوقاً من الحديد واخرج كيساً ملآن ذهباً وقال اللهمَّ اجعل ابنتي راعوث كماري حفيدة المقوقس العادل. ثم اقفل الصندوق وعدَّ الدنانير ووضع ما بقي في جيبهِ وقال عديها وضعيها في هذا الكيس وانظريني حتى اعود ولما رجع قالت عددتها فوجدتها ناقصة دينارًا واحدًا فرفع يديهِ الى السماء وقال لله ما اذكاها نخذي الدينار يا ابنتي واسمعي نبوة رجل عرك الدهر ان الله يبارك جميع اعمالكِ وهنيئاً لمن تكونين زوجتهُ والآن فاكتبي اسمك على هذا الصك نعم ان لا قيمة لهُ اذ انت قاصرة ولكنهُ مطابق للعرف. فاخذت القلم ووقعت اسمها بعد ان قرأت المكتوب في الصك فصاح

— ان هذا لمن الغرائب فتاة .... صغيرة ... تقرأ وتتدبر الامر بنفسها ولا توقع اسمها قبل ان تتفهم ما في الصك فليباركك الله يا ابنتي وليُنجح جميع مساعيكِ

الفصل الخامس والاربعون

وفي الغد امر القاضي بان يؤتى باوريون لمحاكمتهِ فجيء بهِ وكان المجلس مؤلفاً من قضاتهِ بالامس وجيء بباولين والمطران وغمالائيل شهودًا فوقف المدعي العمومي واتهم اوريون بسرقة الزمردة التي وهبها ابوهُ للكنيسة فتولَّى اوريون الدفاع عن نفسهِ وسرد على مسمع القضاة ما قالهُ للبطريرك في شأن الزمردة ثم قال ولما كنت اشتهي ان تنفضَّ هذه المسئلة على وجه لا يبقي مجالاً للقال والقيل فاني مستعد لاعادة الزمردة ثم اخرج الحجر الذي ارسلتهُ اليهِ باولين ودفعهُ الى القاضي فناولهُ للمطران فدهش هذا وبدت امارات الريب على وجههِ فقال — انى لنا ان نتأكد ان هذا هو عين الحجر الذي كان في القطيف. فاستاء الحاضرون من ذلك لكنَّ القاضي نبههم الى صوابية كلامهِ وقال اتاني كتاب من هاشم يقول فيهِ ان ابنة وزن زمردة القطيف في جدة فبلغت كذا وعليهِ فانني اكلف غمالائيل ان يزن هذا الحجر فصدع غمالائيل بالامر واخرج ميزانهُ فوزن الحجر مرتين وفعل ابولون كذلك. كل هذا واوريون وباولين ينظران الى الميزان وقلباهما يخفقان فلما فرغ من الوزن اذا بالحجر اثقل من زمردة القطيف ببعض قمحات. وقال غمالائيل ان هذه الزمردة من اصفى الجواهر التي رأيتها واثمنها. فسرّي عن نفس اوريون واخذ القضاة ينظرون في علة هذا الفرق فاجمعوا على انَّ ابن

هاشم اخطأ في الوزن اذ لا يعقل ان الذي سرق زمردة القطيف يستبدلها باخرى ابهى منها واثقل وزناً فاقتنع المطران بصحة استنتاجهم وسكت

وكان عبادة في خلال ذلك يرشق اوربون بنظرات تشف عن كرهِ وايقانهِ بالظفر فلما فرغوا من امر الزمردة وقف المدعي العمومي فاتهم اوربون بالاشتراك في انقاذ الراهبات. فدفع اوربون هذه التهمة مثبتاً براءتهُ الى ان قال وقد كنت يوم القتال في بيت عمروٍ بن العاص ثم عدَّد ما لقيهُ من الظلم وما اصابهُ من الاستبداد من حجز املاكهِ ومقتنياتهِ وحرق بيتهِ وقال ان ذلك تمَّ استناداً الى شبهة لم تؤيد فانا استعين على رفع الظلم بعدل القضاة فاذا لم الق منهم اذناً سامعة فاني رافع امري الى الخليفة. ولما فرغ وقف عبادة وناول القاضي لوحاً وقال هذه رسالة ارسلها هذا الفتى الى باولين وفيها ما يؤيد جريمتهُ فاطلب فحصها. ثم اومأ الى ابولون ان اقرأها فاعترضهُ القاضي وطلب من المترجم تعريبها ففعل وكان بعض ما فيها ممحواً فلما جاء على آخرها سأل القاضي عبادة فقال اين وجدتم هذا اللوح فاجاب اخرجناهُ من درج باولين وقد وجدهُ ابولون فالتفت القاضي الى باولين وقال أصحيح ما يقولان

فقالت نعم يا مولاي فاللوح لي وقد سرقهُ هذا الشيخ النذل من درجي ثم اشتدَّ بها الحنق فصاحت اليس بينكم من تهزهُ النخوة فيشنق على الطهارة وسلامة النية فيذهب الى زوجة روفينس وينبهها الى ما فعلهُ هذا الشيخ الذي لقي في بيتها الترحاب والحفاوة فاتخذها ذريعة لاتمام مقاصدهِ السيئة . فاضطرب ابولون واخذتهُ الرعدة حتى اذا اراد الكلام خانهُ النطق وتخاذلت ركبتاهُ فجلس مكانهُ لا حراك بهِ واومأ غمالائيل الى باولين بانهُ سيقوم بالمهمة التي عينتها فيطلع اهل بيت روفينس على خيانة الشيخ. وحينئذٍ امر القاضي الترجمان ان يقرأ اللوح على مسمع القضاة ففعل وهو يتعثر بالكلمات لعدم وضوحها وآنست باولين منهُ ذلك فخطر ببالها خاطر ملأ فؤادها بهجة ومسرَّة وكان في جملة ما جاء في الكتاب ما نصهُ

كنت اودُّ ان ينقضي هذا النهار الذي قضيناهُ في اعداد المعدات لفرار الراهبات على غير هذا الوجه وقد بذلت طاقتي في اسعاف الاخوات البريئات اللواتي يراد اضطهادهنَّ لغير ذنب واملي اننا نستطيع الاجتماع غداً في متسع من الوقت فيحمل كل منا ذكرى تنفعهُ ايام الفراق الطويل ويكون منها غذاءالقلبينا في المستقبل. ان العامل عمراً كبير الهمة ابيُّ النفس وهو من العرب ما كان فقيدنا الذي نرثيهِ من المصريين ...... وهنا لم يعدفي طاقة الترجمان القراءة فاعلن ذلك للقاضي فقال عثمان اذا صحَّ احتمال ان الكاتب لم يقاتل جندنا فلا ريب في انهُ كان عالماً بفرار الراهبات وانهُ ساعدهنَّ على قدر طاقتهِ فقولي ايتها الفتاة متى جاءتك هذه الرسالة

فقالت انها لم تأتني بل قد كتبتها بنفسي

فقال أصحيح ما تقولين

فقالت نعم فالرسالة مني لاوريون

فقال فكيف اتفق وجودها في درجك

فقالت الامر بسيط فقد كتبتها لخطيبي واردت ارسالها اليهِ فجاء بنفسهِ ولم يعد ثمت من حاجة لارسالها فالقيتها بين سائر الالواح في الدرج . فصاح اوريون وقال انهُ اختلاق محض فلا يغرنكم قول هذه الفتاة فانا كاتب الرسالة وهذا خطي. فقاطعتهُ باولين قائلة اتصدقون كلامهُ ألا ترون انهُ يحاول التلبس بجريمتي حبًا بي فلا يخدعنكم منهُ اضطرابهُ فليس هو بالكاتب فقال اوريون انا الكاتب يا قوم واراد متابعة الكلام فاعياهُ النطق فرفع عينيهِ الى السماء وسقط مكانهُ كمن لا يعي على شيءٍ فقالت باولين

ارأيتم يا سادة سكوتهُ فقد اتضح لهُ خطأهُ فصمت فانا مستعدة للتكفير عمَّا بذلتهُ من المساعدة للراهبات . فصاح عبادة

كذبتِ وربِّ الكعبة وانما فعلتِ ما فعلت قصد انقاذ هذا الفتى أو يصدَّق ان كتابًا مختومًا يوجد في درج كاتبهِ بعد مضيِّ اسابيع من تاريخ كتابتهِ. ولا يخفى عليكم ضرورة اتخاذنا جميع الوسائل لمعاقبة الذين اعتدوا على جندنا حفظًا للامن وصيانةً لنفوذنا في هذه البلاد .

فكان لكلامهِ وقع شديد في نفوس السامعين لكن القضاة المصريين لم يكونوا ليطلبوا دم اوريون كما طلبوا دم باولين لرفعة منزلتهِ فيهم وحبهم لهُ ولاهل بيتهِ فجلسوا للمداولة و بعد ساعة نهض القاضي عثمان واعلن نتيجة مداولتهم فقال لم نرَ في فعل المتهم ما يدفعنا الى الحكم عليهِ بالموت كما اننا لا نستطيع تبرئتهُ وعليهِ فسنرفع الامر الى الخليفة او عاملهِ على هذه الديار امَّا المتهم فيعاد الى السجن حتى اذا اتضح ذنبهُ طالتهُ يد العدل

فصاح عبادة حنقًا انا نائب عمروٍ في هذه الديار . فلم يعرِ القضاة كلامهُ اذنًا سامعة بل اقرُّوا على مضاعفة الحرس على محبس اوريون لئلاَّ يفتك بهِ احد

وعادت باولين الى غرفتها ووجهها يتهلل فرحًا وحبورًا حتى خالت مرضعها ان القضاة قضوا ببراءتها فسألتها عن الخبر فقصت عليها ما كان وانبأتها بخلاص اوريون قائلة اما انا فمقتولة لا محالة واما هو فسيحيا بعدي ويقوم بالاعمال الجيدة التي عُهد بها اليهِ . وحينئذٍ دخل عليهما السجان فقال ان القاضي بالباب يروم مقابلة باولين ثم دخل فحيتهُ باولين احسن تحية فقال اتاني كتاب من هاشم يقول فيهِ ان اباك البطل توما. فقاطعتهُ وقالت أصحيح ما تقول أعثروا على

ابي. فسكَّن روعها وقال ان اباك طلب الخلوة في جبل سيناء فقضى هذه السنين فيهِ ناسكاً ولكن الرسول وجدهُ مريضاً على حافة قبره وهو يشكو من الجراح التي اصابت رئتيهِ فايامهُ معدودات. فبكت باولين وقالت أَيموت ابي وانا سجينة لا استطيع الذهاب اليهِ . فطيب القاضي قلبها وقال ثم اتاني منذ يومين نبطيٌّ فقال لي ان احد قوَّاد الروم ممن حارب المسلمين مريض مشرف على الموت وهو يطلب المجيء الى مصر فهل يؤذن لهُ في ذلك وهل يكون في مأمنٍ من الاسر فلما علمت ان القائد المذكور هو ابوكِ وعدت الرسول بقبولهِ على الرحب والسعة آمناً مطمئناً باسم الخليفة فوصل الفسطاط اليوم ونزل في بيتي وقد لقيتهُ نحيلاً ضعيفاً لكنهُ يدفع الاجل عنهُ املاً بلقائك فقد نمي اليهِ انكِ قتلتِ في جملة من قُتل في الشام فلما علم انكِ حية تجددت آمالهُ وعاودهُ بعض القوَّة وقد امرتهم باعداد الغرفة المجاورة لغرفتكِ هذه فينزل فيها ويبقى الباب مفتوحاً بين الغرفتين. فصاحت باولين أأرى ابي واعيش معهُ فنموت معاً ثم غلب عليها الفرح فاكبَّت على يد القاضي تقبلها اعترافاً بفضلهِ وجميلهِ . فاغرورقت عيناهُ وقال الحمد لله فهو الذي قدَّر نجاة ابيكِ وسهَّل لقاءكما . ولم تغرب شمس ذلك النهار حتى اقبل توما على السجن فلقيتهُ ابنتهُ وانطرحت عليهِ مغمياً عليها ولما افاقت ارسلت كتاباً الى اوريون تخبرهُ فيهِ بعودة ابيها وتقول انهُ يهديهِ بركتهُ. فلما قرأ اوريون الكتاب احسَّ كأن يداً غير منظورة رفعت عن عاتقهِ ثقل اللعنة التي القاها ابوهُ عليهِ فاستولى عليهِ الفرح وشملهُ الحبور

تعاون الحيوان

لما شرحنا طبائع التمساح في المجلد الحادي والعشرين من المقتطف قلنا ان طائراً صغيراً اسمهُ القطقاط يدخل فاه التمساح ويلتقط فضلات الطعام من بين اسنانهِ والتمساح راضٍ بذلك مرتاح اليهِ لا يغدر بضيفهِ ولو اكل الطعام من فيهِ . ونقلنا ما كتبهُ بعضهم وكان قد رأى التمساح مرأى العين ورأى هذا الطائر يدخل فاهُ ويخرج منهُ (انظر الشكل التالي)

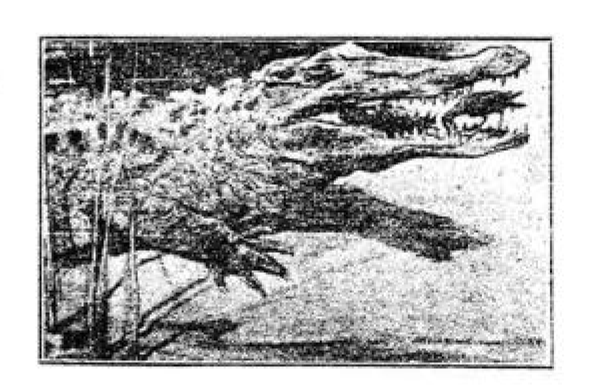
ومن السهل ان يُكتَب فصل طويل عن تعاون الحيوانات لا التي من نوع واحد او من فصيلة واحدة لان هذه امرها في التعاون مشهور بل التي من فصائل مختلفة كالتمساح والقطقاط والطائر الذي يلتقط القراد عن البقر والابل. فقد قضت العناية ان يُسخَّر بعضها لبعض فينتفع الواحد من الآخر ويرد لهُ صاعاً بصاع على غير ما هو شائع بين اكثر طوائف الحيوان والنبات من الجهاد الذي يُقضي بهِ على الالوف لنفع الواحد فيغتذي الطائر الصغير بمئة حشرة

في يومه يلتهمها حيّة ولا يبالي كأنها رزق حلال له ويقوم الانسان رب الحكمة والانصاف على هذه الطيور الصغيرة فيصطادها ويذبحها ويشويها ويأكلها ناعم البال . هذا ليس التعاون الذي نعنيه لان فيه مصلحة فريق واحد حسب الظاهر لا مصلحة الفريقين معاً وانما نعني ما كان من قبيل ما يفعله القطقاط يلتقط فضلات الطعام من فم التمساح وينظف اسنانهُ ويغتذي بذلك ويشبع جوفهُ وعلى هذا مدار كلامنا الآن

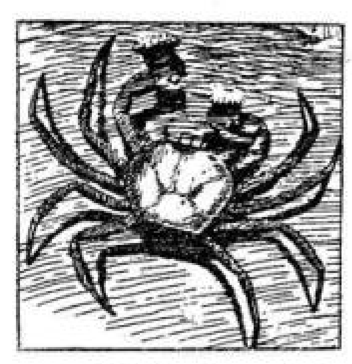
ذكر الاقدمون ان الثعلب يقيم في اجمة الاسد ينبئهُ بالخطر ويرشده الى الصيد فيترك له الاسد فضلات طعامهِ . ولو كان الامر كذلك لعددناه من باب تعاون الحيوان الذي كلامنا فيهِ لكن المحققين انكروا الآن ما يخص الثعلب من هذه المعاونة وقالوا انهُ يقتفي آثار الاسود ويأكل ما يفضل من طعامها ولكنهُ لا ينبئها بخطر ولا يرشدها الى صيد فهو طفيلي ينتفع ولا ينفع مثل كثيرين من ابناء آدم . الَّا ان الاسود تنفع ما تفعل من تركها الطعام غير قاصدة نفعهُ ولا نفع غيرهِ واذا التقت بهِ وهي جائعة افترستهُ كما تفترس الحملان فهي غير مشكورة على تركها الصيد له كما انها غير مأجورة

ومن هذا القبيل سمكة اسمها الربَّان تتبع التنين (كلب البحر) وتأكل فضلات طعامهِ وكان المظنون انها ترشده الى الطعام وتحذِّره من الخطر لكن ثبت الآن انها لا تفعل شيئاً من ذلك بل تكتفي بمصاحبتهِ احتماء بهِ لانها ما دامت على مقربة منهُ لم تجسر سمكة اخرى ان تدنو منها . وهي تلتقط ايضاً فضلات طعامهِ فهو لها بمثابة الكفيل يقيها ويقوتها وقد لا يعلم شيئاً مما يفعل من المبرَّات

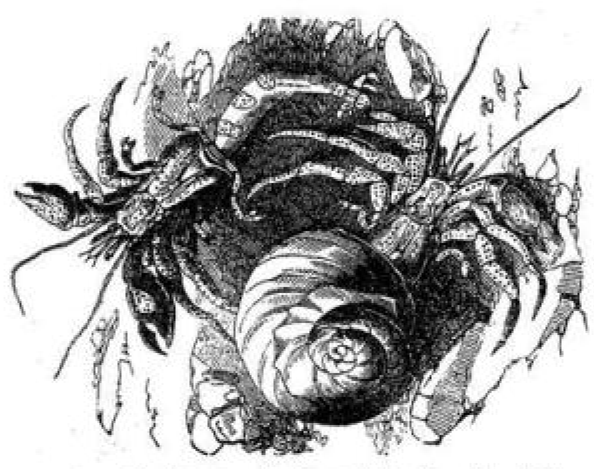
ومنهُ سمكة دقيقة تعيش في بدن الحيوان المعروف بخيار البحر وهي صغيرة لا سلاح لها يقيها من اعدائها فتلجأ الى خيار البحر تدخل الثقب الذي يتنفس منهُ وتقيم في رئتيهِ ولا تخرج منهما الَّا اذا عضَّها الجوع وصفا البحر وكانت قريبة من شاطىءٍ لا تكثر فيهِ الاعداء فانها تخرج حينئذٍ تلتمس الطعام واذا شعرت بدنو العدو عادت ادراجها الى رئة حاميها ضيفاً غير محتشم لانها قد يأخذ منها اللؤم كل مأخذ حتى تجازي بالسيئة عن الاحسان فتلتهم جانباً من رئتهِ ولا تبالي . لكن خيار البحر صبور يحمل الضيم ويغتفر السيئات فتنمو رئتهُ حالاً من غير اذى . والمورد العذب شديد الزحام ولذلك تكثر الحيوانات البحرية التي تضيف خيار البحر وتنمو في جسمهِ فيقبلها على الرحب والسعة وهو لا ينتظر منها اجرًا ولا شكورًا . وما هو بمنفرد في هذا الكرَم فالانسان يجري مجراهُ تدخل الديدان معدتهُ وامعاءهُ وتقيم فيها الشهر بعد الشهر والعام بعد العام وهو غير ناقم منها وقد تقيم على ظاهر بدنهِ فلا يشكو منها الَّا اذا تمادت في اذاهُ



(١) طائر القطقاط في فم التمساح



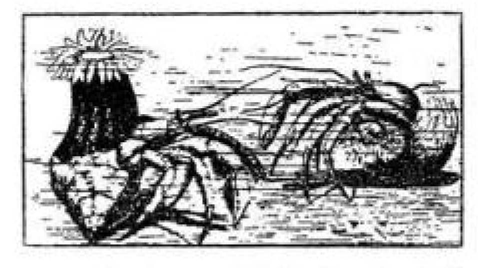
(٤) سرطان حامل شقيقتين



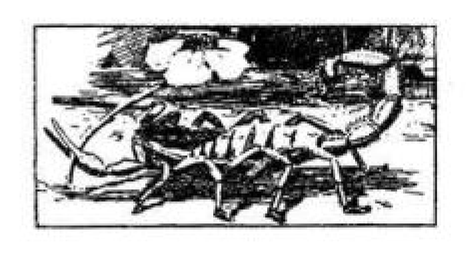
(٢) السرطان الناسك في القوقعة وخارجاً عنها



(٥) السرطان الناسك حامل صدفة يستظل بها



(٣) السرطان الناسك وشقيقة على قوقعتهِ



(٦) عقرب حاملة زهرة تستظلُّ بها

هذا ولنعُد الى الحيوان الاعجم فنقول

قال الدميري في حياة الحيوان الكبرى " ان السرطان لا يتخلّق بتوالد ولا نتاج انما يتخلق في الصدف " اي انهُ يتولد في الصدف مباشرة . وهذا خطأ فاضح والحقيقة ان نوعاً صغيرًا من السرطان يدخل الصدف ويقيم مع الحيوان الذي فيهِ وقد عرف ذلك المصريون القدماء وذكرهُ ارسطوطاليس وبلينيوس . وقال القدماء ان السرطان كالحاجب لحيوان الصدف يرى العدو وينذره بقدومهِ فيطبق مصراعيهِ ويجازيهِ على ذلك بالمأكل والمأوى. ولكن لا دليل على ان السرطان يقيم في الصدفة لهذه الغاية وانما يقصدها للسكن ولا تثقل وطأتهُ على حيوانها فيرحّب بهِ ولو لقي منهُ الاذى ما تعذّر عليهِ الخلاص منهُ لان الحيوانات كلها تحاول الخلاص من كل طُفيلي فتتفلى وتحكك وتذب الذباب عنها باذنابها امَّا حيوان الصدف فلا يحرك اصبعاً لابعاد السرطان عنهُ . ويشبههُ في هذا الكرم نحلة هنديَّة سوداء تثقب سوق الاشجار وتصنع فيها غرفاً بعضها فوق بعض تبيض فيها . ويعلق بهذه النحلة نوع صغير من النمس فلا تهتمّ بالتخلص منهُ بل تفتح لهُ جيباً صغيرًا فوق حقويها وتدعهُ يقيم فيهِ وتضم طرفي هذا الجيب اذا شاءت حتى يتعذر على النمس الخروج منهُ فتحمل ضيفها على ظهرها ولا تبالي لان جيبها مبطّن بمادة قرنيَّة يعسر على النمس نخرها. وكأنها ادركت ان لا حيلة لها بابعادهِ عنها وانهُ اذا بقي لاصقاً بها فقد يقع بعضهُ مع بيضها ويأكلهُ فلجأت الى اخف الضررين وهو ان تحمل النمس في هذا الجيب وتقفل عليهِ بابهُ الى ان يتم غرضها من الحياة وهو وضع بيضها في بيوتهِ واعداد الغذاء الكافي لصغارها من العسل ونحوهِ والنمس نفسهُ يلجأ الى الجيب ولا يعود يخرج منها وهي تحفر البيوت لبيضها وتضعهُ فيها لانهُ يعلم انهُ اذا وقع في تلك البيوت عرضاً تعذر عليهِ الخروج منها فيموت جوعاً ولو استطاع ان يغتذي ببيض النحلة اولاً . فهذا الجيب مفيد لهُ ولصغار النحل لانهُ يقيهِ ويقيها من التلف

واكرم الحشرات وارحبها منازل النمل فترى الضيوف في بيوتهِ من انواع مختلفة تدخل وتخرج على الرحب والسعة عدا ما فيها من العبيد والجواري والخدم والحشم من ضيف كريم وغريب نزيل وخادم امين وطفيلي ثقيل . ترى هناك المن الذي يفرز العسل يربَّى ويحلب كالمواشي والنمل الذي من نوع آخر أُسر في الحرب ودُرِّب على الخدمة كالعبيد وترى ايضاً انواعاً من العناكب والخنافس تدخل وتخرج والنمل يلتقي بها فيقف قليلاً يتعرَّفها . ثم يمرُّ في طريقهِ غير مكترث لها اما هي فتعلم انها ما دامت في بيتهِ فهي في حرز حريز من الحشرات التي تسطو عليها

ويدخل قرى النمل ضيف آخر من نوع النمس وهذا لا يتنازل الى سكن البيوت بل يجعل مقرَّهُ اعناق دود النمل فان بيض النمل يصير دودًا قبلما يصير نملاً فيأتي هذا النمس ويضع بيضهُ على عنق الدود فينقف حالاً ويصير دودًا صغيرًا

وكلما جاء النمل ووضع الطعام لدودهِ في الجيب الذي تأكل منهُ الدودة وهو في نحرها بين فيها ومعدتها اكل دود النمس منهُ كفافهُ ثم ان دودة النمل اذا بلغت حدَّها من النمو نسجت لنفسها شرنقة واقامت فيها الى ان تبلغ اشدَّها وتخلق نملة وحينئذٍ تثقب الشرنقة وتخرج منها ويبقى دود النمس في الشرنقة وقد بلغ حدَّهُ من النمو ايضاً ودنا وقت صيرورتهِ حشرات طيَّارة فيأتي النمل ويجمع قشور الشرانق ويطرحها خارج قريتهِ ويكون دود النمس فيها وقد صار حشرات مجنحة كما تقدم فيطير في الهواء ويتزاوج وتعود اناثهُ الى قرى النمل وتبيض على اعناق بيضهِ كما تقدم ويدور الدور الى ما شاء الله

وهذا النمس ضيف محتشم وان كان طُفَيليًا ولكن يقصد منازل النمل ضيف آخر غير محتشم وهو لا يبيض على اعناق دود النمل بل على اعناق النمل نفسهِ ويتولد الدود من بيضهِ وينخر رأس النملة التي هو على عنقها ويأكل دماغها ثم يقطع رأسها عن بدنها ويقيم فيهِ كانهُ بيت لهُ الى ان يبلغ اشدهُ ويصير حشرة مجنحة . وحينما يكون في رأس النملة دئبًا على اكل دماغها تكون هي قائمة على عملها ولو تمَلْمَلَت وابدت الضجر من وقت الى آخر حتى اذا فرغ من اكل دماغها وقطع عنقها بقي بدنها قائمًا يحاول السير من غير رأس . وعلى ذلك ترى امام قرى النمل كثيرًا من رؤوسهِ المقطوعة . ولا يُعلم لماذا يحجم النمل السليم عن مساعدة اخواتهِ ولكن الباحث في طبائع الخلق بنوع عام يرى في الموت صلاح المجتمع فانهُ اذا لم يمت بعض افرادهِ لم يعُد الغذاء كافيًا لهُ فيهلك كلهُ . فان كان النمل يدرك ذلك ويرضى بموت بعضهِ عن طيب نفس لكي ينجو المجتمع كلهُ فيكون قد ادرك ما لم يدركهُ كثيرون من العقلاء حتى الآن

والسرطان بين حيوانات البحر كالنمل بين حيوانات البر في الذكاء والدهاء ومنهُ نوع صغير يسمَّى الناسك ترك البداوة ولجأ الى الحضارة يفتش على قوقعة مهجورة يسكنها ومن ثم اخطأ الدميري ومن جرى مجراهُ وظنوا انهُ يتولد في الصدف . وقد ظن هذا السرطان ان البيت الصدفي يقيهِ من الموت ونسي قول القائل

والموت لا ينجيك من آفاتهِ   حصن ولو شيَّدتهُ بالجندلِ

فان السراطين الكبيرة التي تلتهم الصغيرة جريًا على القانون العام وهو ان الكبار يأكلون الصغار تستخرجهُ من هذا البيت وتطحن عظامهُ والسمك القوي الانياب يلتقم البيت والساكن

فيهِ . ولما رأى ان القوة تعوزهُ لجأ الى الحيلة على حدّ ما قيل اذا لنت لم تغلب فاخلب فانهُ رأى حيوانًا جميل المنظر قبيح المخبر يقال لهُ شقيق البحر يلصق بالصخور كالفطر وتتشعب من رأسهِ شعب كثيرة كالشعر او كالاهداب الوانهُ تزري بالوان الازهار بين احمر واصفر واخضر وبرتقالي وبنفسجي لكنهُ سامٌ حرّيف اذا اغريت بهِ سمكة وحاولت اكل شيءٍ منهُ لدغها لدغةً كالعقرب فلم تعد تحاول ذلك مرّة اخرى . وكأن السرطان الناسك اكتشف مزية هذا الحيوان فصار يقلعهُ عن الصخور ويلصقهُ بالقوقعة التي يقيم فيها فيأمن شر الحيوانات الكبيرة التي تصطادهُ لكنهُ لا يستخدمهُ عفوًا بل يقوتهُ بدل حمايتهِ لهُ وذلك انهُ اذا قبض على فريستهِ مزّقها قبلما يأكلها فينتشر الفتات منها في الماء والحيوان المشار اليهِ يبتلع ماء البحر على الدوام ويبقي في جوفهِ ما فيهِ من الغذاء فيغتذي من فضلات السرطان ويكتفي بذلك ولا يطمع باكثر. لكن انصاف السرطان لهذا الحيوان لا يبرئهُ من اغتصابهِ القوقعة التي يسكن فيها وهي ليست لهُ . وما ظالم الأ ويبلى باظلم فان دودة طويلة من ديدان البحر تخالفهُ الى القوقعة وتسكنها معهُ وكلما خرج ليتناول طعامهُ مدّت رأسها غير مدعوّة وقاسمتهُ الطعام وهو صابر عليها صبر الكرام لسبب لا يُعلَم حتى الآن فقد ظُنّ قبلاً انها تنظف منزلهُ من مبرزاتهِ وهذا سبب صبرهِ عليها ولكن اتّضح الآن انها لا تفعل شيئًا من ذلك

والظاهر ان طائفة السرطان عرفت خواص شقيق البحر في كل البحار ففي بحر الهند سرطان يقبض على شقيقتين صغيرتين بمخالبهِ و يستخدمهما سلاحًا للهجوم والدفاع فيهجم بهما على الحيوانات الصغيرة ويلمسها بهما فتنشلّ من المادة السامّة التي في الشقيقتين فيقبض عليها ويفترسها . واذا هجم عليهِ عدو يريد افتراسهُ قابلهُ بالشقيقتين واذاقهُ من الالم ما يعلّمهُ ان النجاة بالهرب . والظاهر ان الشقيقتين لا تتألمان من قبض السرطان عليهما بمخالبهِ او انهما تكتمان الكمد وتظهران الجلد لاشتراكهما معهُ في المنفعة فانهُ اذا اصطاد حيوانًا شاركاهُ في اكلهِ على ما تقدَّم

وكثيرًا ما ترى بعض السراطين وعلى ظهرها قطع من الاسفنج والنبات البحري ويظَن لاول وهلة ان هذه النوامي نمت من نفسها كما تنمو على الصخور ولكن ليس الامر كذلك بل ان السرطان نفسهُ يقتلعها و يزرعها على ظاهر جسمهِ حتى يصير كقطعة من الصخر نما النبات والاسفنج عليها وغرضهُ من ذلك الحيلة على الحيوانات التي تفترسهُ حتى تظنهُ حجرًا فلا تطمع فيهِ وعلى الحيوانات التي يفترسها حتى تدنو منهُ غير موجسة شرًا : والسرطان يخلع قشرهُ مرارًا وهو ينمو فيضطر ان يزرع النبات والاسفنج على ظاهرهِ كما خلع القشر القديم وتكوَّن لهُ قشر جديد . عمل

شاق يقتضي عناية وروية ولكنهُ يقدم عليهِ من حداثتهِ ويمارسهُ طويلاً فيمضي الى حيث يجد طحالب البحر ويقتلع قطعة منها بمخالبهِ ويمضغ طرفها ويمزجه بلعابهِ حتى يسهل عليهِ الصاقهُ ببدنهِ وكلما الصق قطعة على جانب الصق قطعة اخرى مثلها على الجانب الآخر حتى تُغطَّى قشرتهُ واذا ابت قطعة ان تلتصق اعاد مضغها ومزجها باللعاب حتى تلتصق جيداً فيلبس من النبات والاسفنج ثوباً لا يبلى ولا يضطر الى تجديدهِ الا حينما يجدد قشره او حينما يذهب الى مكان يسهل اكتشافهُ فيهِ فاذا غطى جسمهُ بالنبات مثلاً ومضى الى مكان ارضهُ مغطاة بالاسفنج واحب الاقامة فيهِ نزع النبات عن جسمهِ وزرع مكانهُ اسفنجاً حتى يسهل عليهِ الاختفاء بين الاسفنج . ولكن الطبيعة لم تتم نعمتها لهُ فاعطتهُ هذا المقدار من الذكاء ولكنها حرمتهُ التمييز بين الالوان فقد يغطي بدنهُ بنبات احمر اللون وهو قائم في مكان نباتهُ اخضر او اصفر وكذا فعلهُ بالاسفنج لانهُ مصاب بالعمى اللوني على ما يظهر ويؤيد ذلك انهُ ينزع لباسهُ او يلبسهُ نهاراً وليلاً في النور والظلام على حدٍ سوى ويفعل ذلك بالدقة التامة ولو كان اعور او اعمى كأنهُ يعتمد على حاستي الشم واللمس لا على حاسة البصر

ولا تنتهي غرائب السراطين في لبس الثياب المنمقة بل منها ما يحمل مظلة فوق رأسهِ يتقي بها حر الشمس في البلدان الحارَّة وقد تكون هذه المظلة ورقة شجر كبيرة او صدفة او قشرة حيوان من الحيوانات القشرية

ولا يماثل السرطان في حمل المظلة الا العقرب فقد ذكر احد الثقات ان بعضهم رأى عقرباً في عدن تدبُّ وهي ماسكة زهرة باحد قرنيها تظلل رأسها بها . والعقرب تكرهُ الحر الشديد فتخرج ليلاً في طلب فرائسها وتختبئ نهاراً في مكان ظليل والظاهر ان هذه العقرب ابعدت عن مربها فادركها النهار قبلما عادت اليهِ واذتها حرارة الشمس فقطفت الزهرة ورفعتها فوق رأسها تقيهِ بظلها والا فلا وجه لتفسير عملها لانها لا تأكل النبات حتى تأكلها ولا تشرب الماء حتى تمتص عصارتها

وقد نشرنا مع هذه المقالة صورة القطقاط يلتقط فضلات الطعام من بين اسنان التمساح وصورة السرطان الناسك وصورتهُ وقد زرع شقيق البحر على قوقعتهِ وصورة السرطان الهندي الذي يقبض على شقيق البحر ويقابل بهِ الاعداء وصورة السرطان الذي يحمل مظلة فوق رأسهِ والعقرب التي شوهدت في عدن ومعها زهرة تستظل بها ونقلنا اكثر ذلك عن مجلة لندن

هذا يسير من موضوع كلهُ فكاهات وغرائب ولا شيء الذ للانسان من درس الطبيعة

الكوليرا ومعالجتها الوقتيَّة

رأيت ان انشر ما اهتديت اليهِ في معالجة هذا الوباء خدمة لابناء وطني وقبل ذلك اشرح اعراضهُ شرحاً بسيطاً يسهل فهمهُ على جمهور القراء حتى لا تلتبس اعراضهُ عليهم باعراض غيرهِ من الامراض ولا يحسبوا كل اسهال او مغص او تلبك معدي من اعراض الكوليرا فيفعل بهم الوهم ما يفعلهُ الداء

الكوليرا او الهيضة الوبائية مرض معدٍ ظهر في بلدة موشا من بلاد الوجه القبلي في شهر يوليو الماضي وانتشر منها فوصل الى الوجه البحري وانتشر فيهِ انتشارًا وبائيًا وكانت اعراضهُ اشد من الاعراض التي ظهر فيها سنة ١٨٩٦ فقمنا نحن رجال الصحة لمقاومتهِ بارشاد رؤسائنا بالمطهرات والعزل والعلاج رغماً عن مقاومة الاهالي لنا في اخفاء المصابين ودفن المتوفين بهِ بغير كشف ولا تطهير حيث لا اطباء وطرح براز المصابين في الترع التي يشرب منها الاهالي وغسل ثيابهم الملوثة حتى تلوثت المياه بميكروب الكوليرا ولاسيما في الترع الصغيرة

ولا بدَّ من ان يكون ميكروب الكوليرا قد وصل الى القطر المصري من بلاد اخرى لانهُ لا يتولَّد من نفسهِ ولا هو مستوطن في هذا القطر

الاعراض — تبتدئ الكوليرا بانحطاط في الجسم وتكسُّر في الاطراف وغمشة في البصر وآلام عصبيَّة في الاطراف تؤدي الى انقباض الاصابع وغثيان وقيء وبحة في الصوت وظمإٍ شديد واسهال خفيف . وتكون المواد البرازية سائلة بيضاء كالماء الذي يغسل فيهِ الارز . وبرودةٍ في الاطراف وغور العينين في حجاجهما وتكوُّن هالة مسمرَّة قليلاً حول الحجاج وتلوُّن اطراف الاصابع بلون كدمي خفيف مزرق . ويتغطَّى اللسان بطبقة بيضاء . ويصاب البعض بالقيء فقط ويكون بهم امساك شديد مع الاعراض المذكورة آنفاً وفي اليوم التالي تبتدئ آلام الاطراف تزول وكذلك يزول القيء ويتغير لون المواد البرازية فتصفرُّ وتعود الحرارة الى الاطراف نوعاً وتزول الطبقة البيضاء عن جانبي اللسان وتأخذ سائر الاعراض في التناقص الى اليوم السابع الذي هو نهاية دور الهجوم وتعود قوى المريض تدريجاً في الاسبوعين التاليين وينال الشفاء التام في نهايتهما

وقد تشتدُّ الاعراض في اليوم الرابع او الخامس بعد التحسُّن الظاهر فتزيد بحَّة الصوت ويعتري المصاب ضيق في التنفُّس من غير صمم في الصدر ولا خراخر في شعب الرئة مع ضجر

شديد وخفقان في القلب وقلة في البول بسبب الاحتقان الكلوي الذي يصاحب هذا الداء وارق وتلوُّن اللسان بلون احمر وآلام في قسم المعدة من غير قيء ولا اسهال مع برودة في الاطراف . ويمكث المصاب في هذه الحالة ساعتين او ثلاثاً ثم يموت

وهناك شكل ثالث من هذه الاعراض وهو ان المصاب تعتريهِ آلام شديدة في المعدة والكبد وقيء دفعة واحدة او اثنتين وبرودة شديدة في الاطراف ويموت بعد ساعتين او ثلاث وهذا ما يسمَّى بالشكل الصاعق . وقد لا يعتريهِ قيء ولا اسهال وانما يشكو من الم شديد في المعدة والكبد ويموت في برهة وجيزة وهذا ما يسمَّى بالشكل الجاف

المعالجة الوقتية — اني اكتفي بذكر طريقة العلاج التي جريت عليها سنة ١٨٨٣ و١٨٩٦ وهذه السنة فثبت لي نجاحها نجاحاً تاماً وساقتصر على ما يستطيع اهل المصاب استعمالهُ في غيبة الطبيب الى ان يحضر

حينما تظهر الاصابة بالاعراض المار ذكرها يجب على اهل المصاب عزلهُ في الحال في مكان خاص بهِ شامل للشروط الصحيَّة وتطهير كل الادوات والامتعة التي لامسها ولا سيما الآنية التي تقيأ او تغوط فيها ويكون تطهيرها بمحلول السليماني $\frac{1}{500}$ (اي درهم منهُ في خمس مئة درهم من الماء) ويطرح مقدار كافٍ من الجير الجديد في المرحاض الذي القيت فيهِ مواد البراز والقيء وتطهر ايدي الذين خالطوا المصاب وملابسهم بمحلول السليمان $\frac{1}{1000}$. وتوضع الامتعة التي كانت في غرفتهِ في مكان معرَّض لنور الشمس وحرارتها بعد غمر ما يمكن منها في اناء فيهِ محلول السليماني $\frac{1}{500}$ ثم تعرض لحرارة الشمس حتى تجف ويقام خادم خاص لخدمة المصاب ويوصى بان يطهّر يديهِ كلما لامسهُ وبان يفعل ما يأتي

اولاً ان تنزع ملابس المصاب ويدلك جسمهُ بروح الكافور المزوج بالكونياك النصف من كلٍّ منهما دلكاً شديداً ويلف بثياب نظيفة وتوضع قصريتان بجانبهِ واحدة للقيء وواحدة للبراز ولا يسمح لهُ بشرب الماء مطلقاً ولكن يسقى مغلي الشعير المثلج

ولا يعطى مركبات الافيون في الحال مثل الكلورودين ويكتفى لايقاف القيء باعطائهِ قطعاً صغيرة من الثلج ووضع اوراق خردليَّة على معدتهِ لان خروج الصفراء بالقيء يساعد على انحطاط الاعراض وبعكس ذلك ايقاف القيء بالمركبات المذكورة . ويعطى في الحال اي في ابتداء الاصابة المسهل الآتي

للبالغ	زيت الخروع	٥٠	جراماً
	كالومل محضر بالبخار	٤٠	سنتيجراماً

يعمل الزيت مستحلباً ويعطَّر بروح القرفة ويؤخذ منهُ ملعقة شوربا كل ساعة

للصغير { زيت الخروع ٢٥ جراماً
كالومل محضر بالبخار ١٥ سنتيجراماً }

يعمل مستحلباً ويعطى كل نصف ساعة ملعقة شاي

وفي اليوم التالي يحقن المصاب بحقنة من الماء المقطر بعد اغلائهِ وتبريدهِ حتى يبقى فاترًا ويضاف الى كل لتر ونصف منهُ ملعقة شوربا من ملح الطعام النظيف ومنفعة ذلك اخراج الفضلات الباقية المشحونة بميكروب الكوليرا وادرار البول . ولا يرتكن الى ادرار البول بالدواء بل يلزم قسطرة المصاب دفعتين في اليوم اي اخراج البول منهُ بالقساطير مع اعادة دلكهِ بروح الكافور والكونياك وتغيير ملابسهِ كما في اليوم الاول . ويستمر على شرب مغلي الشعير المعطر بالنعناع ويؤمر لهُ بغذاء من اللبن والشاي ويعطى المركَّب الآتي

للبالغ { كالومل محضَّر بالبخار ٣٠ سنتيجراماً
سالول جرام ونصف
مسحوق الراوند « « }

يعمل ستة برشامات ويعطى برشامة كل ساعتين

للصغير { كالومل محضَّر بالبخار ١٥ سنتيجراماً
بترونفثول جرام
مسحوق الراوند ٢٥ سنتيجرام }

تعمل اربعة ورقات يعطى الصغير واحدة منها كل ثلاث ساعات ممزوجة بقليل من اللبن المحلى

ومع نجاح هذه المعالجة النجاح التام في مقاومة الاعراض قد استبدلنا البرشام المار ذكرهُ بحبوب الكالومل مع الراوند تركيب اب جون فانت بفائدة كبيرة اذ ان كثيرين من المصابين يصعب عليهم تناول البرشام لاسيما وان حبوب اب جون المذكورة اسهل تناولاً وهي سريعة الذوبان وتمتص بسهولة

وفي اليوم الثالث يعالج المصاب حسب مهارة الطبيب

اما المعالجة الواقية من هذا الوباء فقد شرحت في الاعلانات التي نشرتها ادارة الصحة ووزعت في جميع القطر المصري

محمد رشدي
حكيمباشي اسبتالية الفيوم

علم التعليم

ان اهم المسائل التي تشتغل بها الامَّة الانكليزيَّة الآن والتي يخشى ان تكون سبباً لسقوط الوزارة الانكليزيَّة الحاضرة مسألة التعليم . ولا عجب اذا اهتمت بها الامَّة الانكليزيَّة هذا الاهتمام لان مستقبل الامم يتوقف على تعليم ابنائها فالامَّة التي تعدُّ ابناءها للجهاد في ميدان الحياة بالتعليم والتهذيب تفوز على غيرها والتي لا تعدُّ ابناءها لهذا الجهاد تُهتضَم حقوقها وتعيش اسيرةً لغيرها خادمةً لهُ

ومن المقالات الكثيرة التي انشأها كبار الكتَّاب في هذا الموضوع خطبة تلاها الاستاذ هنري ارمسترنغ رئيس قسم علم التعليم في مجمع ترقية العلوم البريطاني الذي التأم حديثاً في مدينة بلفست وقد لخصناها في ما يلي

ابتدأ الخطيب خطبتهُ بالكلام على تندل العالم الطبيعي لعلاقة مكان الاجتماع بخطبة تندل الشهيرة التي خطبها لما كان المجمع مجتمعاً في بلفست واستشهد بعبارة قالها تندل يحقُّ ان تكتب على جبين الدهر بحروف من ذهب وهي ان كل نظام ليس فيهِ من المرونة ما يكفي لتنوُّعهِ على ما يقتضيهِ اتساع المعارف يكون نصيبهُ مثل نصيب الحيوان او النبات اذا لم يستطيعا ان يتنوعا على ما تقتضيهِ احوال المكان الذي يوجدان فيهِ. اي ان النظام الذي لا يستطيع ان يجاري العلوم العصريَّة يقضي على نفسهِ بنفسهِ سواء كان مذهباً دينيًّا او منهجاً سياسيًّا او اسلوباً صناعيًّا اذ لا بدَّ للناس من مجاراة روح العصر والاَّ تخلَّفوا عن غيرهم وسبقهم السابقون

وبنى الخطيب على هذه الحقيقة بناءً كبيراً في حث قومهِ على تغيير اساليب التعليم المتَّبعة عندهم والجري على مقتضيات العصر حتى يظنَّ من يقرأُ كلامهُ ان الانكليز في الدرك الاسفل بين امم الارض وما ذلك الاَّ من باب المبالغة في النصح والتخوُّف من سوء المصير اذا لم يهبَّ قومهُ الى مسابقة كل الامم التي تبغي سبقهم لانهم اذا لم يكونوا اهلاً للمقام الذي هم فيهِ بين امم الارض لم يُسمَح لهم بالقيام فيهِ طويلاً فان مناظريهم الذين يغارون منهم كثار اقوياء وسنَّة الجهاد لاجل البقاء التي هي اول سنن الطبيعة تقضي بان "يبقى الانسب" ويزول ما سواهُ .

قال اذا نشبت الحرب رأينا نتائجها حالاً مرأى العين رأينا اسماء القتلى والجرحى تكتب وتنشر واذا دارت الدائرة علينا علمنا اننا سندفع غرامة الحرب دراهم معدودات بل قناطير مقنطرة من الذهب .اما حرب الحياة فلا تنشب على هذه الصورة البتة ولا تكتب اسماء قتلاها وجرحاها وتُعرض على الانظار لكن ذلك لا ينفي انتشاب القتال ووقوع كثيرين فيهِ بين قتيل وجريح

بل قد لا يسلم احد من الامة المغلوبة في هذا الجهاد . والنجاة من الانغلاب ليست مما يتعذر نيله اذا انتصحنا بنصح تندل وغالينا بالحياة ورفعنا مقام العقل . وان اكثر التقصير الذي نشكو منهُ ناتج عن ضعف تصوُّرنا او عن قلة تمريننا لقوى عقولنا واخراجنا تصوُّراتنا من القوة الى الفعل . اذا التفتنا الى سسل رودس قال قصار النظر في العواقب انهُ انما كان رجلاً فعالاً يعتمد على العمل ويقود غيره اليهِ لكن الذين هم اطول نظرًا منهم واوسع خبرةً يعلمون ان سسل رودس كان من ارباب الرأي والتدبير كان واسع التصوُّر بعيد النظر في العواقب ولذلك بلغ ما بلغ من النجاح . وكذلك لورد روبرتس ولورد كتشنر اللذان خدما الامة خدمة لا تقدر لم ينتج نجاحهما عن كونهما جنديين محنَّكين وبطلين باسلين بل السبب الاكبر لنجاحهما انهما بعيدا النظر حادًّا التصوُّر قادران على تطبيق العلم على العمل . والقوَّاد الذين ذهبوا الى هذه الحرب وهم يحتقرون القواعد العلمية عادوا منها بالخيبة والفشل

ثم استطرد الخطيب الى فائدة النظريَّات العلميَّة كنظرية نيوتن في الجاذبيَّة ونظرية دالتون في جواهر الاجسام ونظرية دارون في النشوء وقال ان الامور العمليَّة كلها مبنيَّة على الامور النظريَّة . وانتقد مدارس بلادهِ لان معلميها لا يجارون العلم الحديث اي لا يجرون على ما اكتُشف حديثًا في علم التعليم وكيفية نمو القوى العقلية وانمائها ولا ينظرون الى المطالب الكثيرة التي دعت اليها احوال الزمان وصار التأهُّب لها من اوجب الواجبات والزم ما يلزم على كل انسان

وانتقل من هذا التعميم الى التخصيص فبيَّن خسارة الامَّة من عدم فهم الوقَّادين والطباخين ونحوهم معنى القوة المذخورة في الفحم وكيفيَّة استعمالها حتى لا يتلف منها شيء. وخسارتها الكبرى من جهلها فوائد الطعام الحقيقية وكيفية اعدادهِ حتى يحصل منهُ اكثر نفع باقل ما يكون من النفقة . قال ان اعداد الطعام حتى يكون صالحًا من اهم الامور لان عليهِ تتوقف راحة الناس وصحتهم . والطبخ صناعة كيماويَّة بل هو فرع من فروع علم الكيمياء ويجب ان يتعلم بناتنا في المدارس ما يؤَهلهنَّ لتعاطي هذه الصناعة او لادارتها بقليل من العناء . ولا اظن ان اهل الحل والعقد الذين في يدهم ادارة مدارسنا خطر ببالهم ان يدخلوا علم الطبخ في جملة العلوم التي تعلَّم في المدارس العالية او التي يمتحن التلميذات فيها بل اقتصروا على مسائل النحو والبيان وغوامض الهندسة والتاريخ حاسبين ان علم الطبخ احقر من ان يدخل دار المدرسة لكنهم مخطئون وعلم الطبخ من اهم العلوم واليكم ما يؤيد قولي وهو كلام قالهُ رئيس مدرسة كبيرة في خطبة لهُ على التعليم قال اننا نحن الانكليز نفتخر ببيوتنا ونتغنى بمدحها ونكتب في

وصفها ويحق لنا ان نباهي بها . فهل يخطر ببالكم ان المعنى الذي يفهمهُ اكثرنا من كلمة بيت هو الطعام الذي نأكلهُ في البيت هو الطبخ المتقن الذي نطبخهُ فان اتقان الطبخ يدعو الى الاقتصاد والصحة والراحة والمحبة . اذا عاد العامل الى بيتهِ مساءً خائر القوى من تعب النهار فالطعام الطيب المغذي يجدد قواهُ ويطيّب نفسهُ فيقوم الى العمل في اليوم التالي نشيطاً معافًى والبيت هو المطبخ

ومن الغريب ان الذين بيدهم ادارة التعليم لا يهتمون بامر الطبخ وتعليمهِ وغني عن البيان ان بناتنا لا يتقنَّ هذه الصناعة ما لم يتعلمنَ اصولها ويقرنَّ العلم بالعمل وبالتفكير والتدبير

وانتقل الخطيب الى الكلام على العلوم الطبيعيَّة الامتحانية كالفلسفة الطبيعيَّة والكيمياء وما يبنى عليهما وبيَّن لزوم هذه العلوم حتى للفلاَّح الذي يحرث الارض ويغرس الاشجار وقال انهُ يجب على كل احد ان يعرف الفوائد التي نتجت عن مباحث باستور الذي خلَّص نوع الانسان من بلايا كثيرة ويستحيل ان نعرف حقيقة علم الصحَّة وفائدة التدابير الصحيَّة والعمل بها ما لم نتعلَّم علم الميكروبات ونعلّمهُ في مدارسنا واذا علَّمنا اولادنا مبادئ العلوم الطبيعيَّة صاروا يرون في الطبيعة ما يسرُّهم ويسليهم في اوقات العطلة وابتعدوا عن كل ما يضرهم ولاسيما عن المسكرات فيقل ما يُشرَب منها في البلاد كلها . ولام حكومة بلادهِ لانها لم تأخذ برأي مجمع ترقية العلوم لما قرَّرت لجنة منهُ منذ سنة ١٨٦٧ انهُ يجب تعليم العلوم الطبيعيَّة في كل المدارس الابتدائية وكان الاستاذ هكسلي والاستاذ تندل والقس فرار والقس هتشنصن من اعضاء تلك اللجنة وقال انهُ لو عملت الحكومة برأيها من ذلك الحين ما رأينا شيئاً من الخطإِ الذي ارتُكب في جنوبي افريقية في الحرب الماضية ولا رأينا انفسنا مقصرين عن غيرنا في الحرب الصناعية الدائرة رحاها الآن ولا رأينا الفوز للالمانيين علينا

وبعد كلام طويل على التعليم الحربي ونحوهِ انتقد لجان المدارس وقال انهُ يجب ان يكون في البلاد نظارة خاصَّة بالتعليم تكون مسؤُولة لدى الامَّة ثم عاد الى ترتيب المدارس الابتدائية وما يجب ان يعلَّم فيها واشار باغراء التلامذة بالمطالعة الكثيرة ونقل ما قالهُ احد المشاهير وهو انهُ يجب ان يُرغَّب التلامذة في المطالعة بكل واسطة ممكنة وتوضع الكتب في طريقهم حتى يجدوها كيفما التفتوا دواوين الشعر وكتب السيَر واخبار الاعمال المجيدة والقصص التاريخيَّة وكتب الرحلات . ويجب ان يقرأُوها بصوت عالٍ وان يتصفَّحوها جيداً لا ان يمرُّوا نظرهم على صفحاتها مرَّا . والذي يبتدئ بالمطالعة يواظب عليها ويستفيد من هذه الكتب اذا كانت منتقاة ومتدرّجة في لغتها ومواضيعها فوائد لا تقدَّر فيستنير عقلهُ وتزول السآمة من نفسهِ ويتعلم منها اللغة والتاريخ ومعرفة مواقع البلدان

واستطرد الى تعليم التاريخ والجغرافيا وقال ان اسلوب تعليمهما قبيح يقيّد العقل لان التلميذ الذي يقرأ درساً وجيزاً في صفحة من كتاب التاريخ يجد عقلهُ يدفعهُ الى قراءة غيرها الى ان يتم الفصل او الموضوع فحصرُهُ في صفحة او صفحات تقييد لهُ عن التوسُّع وهو لا يطيق هذا التقييد فيجب ان نطلق الحريَّة للتلامذة ولا سيما للصغار منهم حتى يطالعوا كل ما تلذُّ لهم مطالعتهُ من الكتب التي نختارها لهم ويجب ان نرغبهم في الرجوع الى الكتب والاستشهاد بها ولا سيما كتب المراجعة كالقواميس فانهم متى فعلوا ذلك وابنت لهم انك راضٍ عنهم وعن عملهم هذا جروا فيهِ وعقد لهم النجاح

ويجب ان يرغبوا في قراءة الطبيعة كما يرغبون في قراءة الكتب فان للطبيعة كتاباً منشوراً يستطيع كل مَن في رأسهِ عينان ان يطالعهُ ويرى فيهِ فوائد لا تحدّ. ثم يعلّموا بالتجارب العمليَّة خواص الاجسام وسنن الطبيعة . ولا يحسن ان يستعملوا كتب التعليم حينئذٍ بل يكفي ان يروا بعيونهم ويستنتجوا بعقولهم . والكتب الموضوعة للتعليم هي اقل الكتب فائدة لان مطالعتها لا تلذ لاحد ولا تفيد الاَّ مَن لهُ المام كثير بالعلم

وهنا دخل الخطيب في موضوع كبير الاهميَّة وهو نوع الكتب التي تفيد مطالعتها وظاهر كلامهِ ان هذه الكتب قليلة في اللغة الانكليزيَّة او غير موجودة فيها ويجب ان تؤلف من جديد . وان كان الانكليز يقولون ذلك فما نقول نحن وليس في لغتنا كتاب يصح ان نضعهُ في يد اولادنا الاَّ ما ندر

ولما فرغ من الكلام على القراءة تكلم على الكتابة وقال ان اولادهم يعجزون عن الكتابة لقلة المادة كما عجز بنو اسرائيل عن عمل اللبن من غير تبن . والقى اللوم على المعلمين لانهم لا يعلّمون التلامذة كيفيَّة التعبير عن افكارهم كتابةً بلغة فصيحة زاعمين انهم غير مقامين لتعليم اللغة بل لتعليم العلوم . (وماذا عساهُ ان يقول لو رأى مدارسنا وعلم ان معلميها انفسهم لا يحسنون كتابة سطرين بلغتهم) ولا يُحسب ان التلميذ فهم شيئاً فهماً صحيحاً الاَّ اذا قدر ان يعبّر عنهُ تعبيراً صحيحاً بلغة صحيحة . ومعلوم انهُ لا يُطلب من الصغار ما يُطلب من الكبار ولكن اذا دُرّب الصغار على التعبير عن افكارهم بلغة صحيحة مهروا في ذلك سريعاً على غير ما يُنتظر منهم . ويدخل تحت الكتابة الرسم فانهُ يجب على التلميذ ان يستطيع التعبير عن افكارهِ بالكتابة وبالرسم ايضاً

وذكر الخطيب بعد القراءة والكتابة علم القواعد الحسابية ثم تمرين العقل على الاستدلال المنطقي وقال انهُ يجب ان يكون متصلاً بكل العلوم فيُقضى وقت التلامذة في المدارس

الابتدائية في المطالعة وفي التجارب العمليَّة ووصلها بالكلام والكتابة واستنتاج النتائج العمليَّة منها

وانتقل من ذلك الى الكلام على تعليم المعلمين طريقة التعليم والى كيفية التعليم في المدارس العالية وقال انهُ يجب ان يوجَّه التعليم فيها الى تقوية العقل والتصوُّر والاستقلال في الافكار

وختم خطبتهُ بالكلام على المدارس الجامعة وقال ان نجاة الامة متوقفة عليها ولكنها لا تنجيها ما لم تكن عمليَّة واسعة النطاق وما لم يكن الغرض الاول منها تعليم التلامذة واعدادهم ليعلّموا غيرهم

بابُ تدبير المنزل

قد فتحنا هذا الباب لكي ندرج فيهِ كل ما يهم اهل البيت معرفتهُ من تربية الاولاد وتدبير الطعام واللباس والشراب والمسكن والزينة ونحو ذلك مما يعود بالنفع على كل عائلة

الوالدان

الكلام على الزوج والزوجة يوصل الى الكلام على الوالدَيْن فقد ابنَّا في الجزء السابق مقوّمات الزوجة وفي الجزء الذي قبلهُ مقوّمات الزوج اي الصفات التي يتَّصف بها كلٌّ من الرجل والمرأة حتى يكونا زوجاً وزوجة مستوفيين الصفات اللازمة للزوجيَّة . وسيكون الكلام في هذا الفصل على الصفات التي يجب ان يتَّصفا بها حتى يكونا والدَيْن مستوفيين حقوق الوالديَّة قادرين على تربية اولادهما التربية الصالحة . وهذه الصفات يكاد يعرفها كل مَن أُعطي فطنة كافية وراجع الاساليب التي نجرى عليها والداهُ في تربيتهِ وما كانا يحسنان فيهِ وما كانا يسيآن فاتَّبع الاول واجتنب الثاني

قالت احدى السيدات في مقالة نشرت حديثاً في مجلة لندن ان الام الفاضلة هي التي تُعِدُّ نفسها لتكون مثالاً فاضلاً لاولادها وتصادقهم متى كبروا وتعاشرهم حتى يروها من اخلص الاصدقاء والصق العشراء

وقليلات من النساء يفتكرن في ما يجب ان تكون عليهِ الوالدة وكذلك قليلون من الرجال يهتمون ليكونوا من فضلاء الوالدين . ترى الوفاً من الشبَّان يبذلون كل مرتخص وغالٍ لكي تقوى ابدانهم ويمهروا في الصراع او ركوب الخيل او الصيد والقنص ولكن كم شاب يحرم نفسهُ الملاذ ويجتهد في تهذيب اخلاقهِ وتقوية جسمهِ لكي يولد لهُ اولاد اصحاء جسداً وعقلاً .

وكم شابَّة تهتم بتقوية جسمها وتهذيب طباعها وتدميث اخلاقها حتى تورث ذلك لاولادها وكم والدة تهتم بان تربي في اولادها الاخلاق الفاضلة النبيلة. اذا لم يشعر الولد ان امهُ اقرب الناس اليهِ واشفقهم عليهِ فاللوم عليها لا عليهِ لانها لو عرفت ان تربط قلبهُ بقلبها برباط المحبة لارتبط بها ولم يفضّل احدًا عليها

وعلى الام ان تكتشف اميال اولادها فتقوي الصالح منها وتنميهُ وتضعف الطالح وتذويهُ كما يفعل البستاني يستانهِ فانهُ يربي فيهِ النبات النافع ويقتلع النبات الضار . وهي نفسها تفعل ذلك اذا كان لها بستان او حديقة فاحرِ بها ان تهتم بولدها على الاقل كما تهتم ببستانها. ومن الغريب ان الوالدين لا يهتمون باولادهم كما يهتمون بزروعاتهم

ومن هذا القبيل محاولة الوالدين صرف اولادهم عن الاعمال التي يميلون اليها بالطبع وجعلهم يعملون الاعمال التي لا يميلون اليها فاذا كان الولد ميَّالاً الى التجارة الزموهُ ان يدرس الطب واذا كان ميَّالاً الى الطب الزموهُ ان يدرس المحاماة مع ان الاول لو تعاطى التجارة لبرع فيها اكثر مما يبرع في الطب والثاني لو درس الطب لبرع فيهِ اكثر مما يبرع في المحاماة ولا يراد بذلك ان يترك الولد الى هواهُ ليحترف كل حرفة يميل اليها ولو كانت ضارَّة او لا تناسب مقامهُ ومقام اهلهِ كلاَّ فان اهواء الفتيان قد لا تكون مصيبة وقد تكون شاطَّة جدًّا وحينئذٍ يجب صرف الفتى عنها بكل واسطة ممكنة ولكن اذا مال الى حرفة شريفة تتكفَّل بمعاشهِ لم يكن من الحكمة صرفهُ عنها

ويستصعب كثيرون من الوالدين ان يعرفوا اميال اولادهم ومقاصدهم وسبب ذلك قلة اهتمامهم بهم فترى الوالدين يهتمان بفرس يركبانهِ او بطائر يربيانهِ او بثيابهما وامتعة بيتهما اكثر مما يهتمان باولادهما واكتشاف ما يميلون اليهِ وما يسرُّهم وما يسوءهم وهذا خطأٌ كبير عواقبهُ وخيمة على الوالدين وعلى اولادهما

وجملة القول ان الوالدين المستوفيين شروط الوالديَّة يربيان نفسيهما اولاً تربية جسديَّة وعقليَّة حتى يورثا اولادهما الصحة التامة جسدًا وعقلاً ثم يهتمان بتربية اولادهما الجسديَّة والعقليَّة وباميالهم ويبذلان جهدهما لجعل اولادهما يصادقونهما ويساعدانهم على اتباع ما يميلون اليهِ اذا كان صالحًا شريفًا والابتعاد عنهُ اذا كان قبيحًا دنيئًا وبذلك يقومان بالحقوق الوالديَّة

العلاج بالطعام

من الاقوال المأثورة ان تدبير الغذاء قبل الدواء وان اكثر الاوصاب من الطعام والشراب . ومن المشهور ان كبار الاطباء الذين مارسوا صناعة الطب السنين الطوال يعتمدون على تدبير

الغذاء اكثر مما يعتمدون على وصف الدواء. نعرف شيخاً جليلاً منهم كاد يقتصر على التدابير الصحيَّة في علاجهِ ويترك العقاقير الدوائية بخلاف صغار الاطباء فانك اذا دعوتهم عشر مرات في النهار الى مريض وصفوا لهُ كل مرة دواء جديداً ولم يخطر ببالهم ان يقولوا كلمة عن طعامهِ

ومما لا شبهة فيهِ ان الناس الذين يعتنون بطعامهم وشرابهم فلا يأكلون الا الطعام الجيد ولا يشربون الا الماء النقي ويقتصرون على ما يقوتهم من الطعام وما يروي عطشهم من الماء لا يمرضون ولا يحتاجون الى الدواء الا نادراً . وقد عبَّر حكماء العرب عن ذلك بقولهم لا تجلس على الطعام الا وانت جائع وقم وانت بما دون الشبع قانع

وما دام الانسان صغير السن غير بالغ تمام نموهِ يكون طعامهُ لغرضين الاول انماء جسمهِ باضافة مواد جديدة اليهِ والثاني التعويض عن الدقائق التي تتلف منهُ دواماً بالتنفُّس والحركة وسائر الاعمال الحيويَّة . واذا بلغ تمام نموهِ انحصرت فائدة الطعام بالتعويض عن الاجزاء التالفة الا في الذين يزيد سمنهم بتقدمهم في السن فانهُ يدخر في ابدانهم حينئذٍ من الغذاء اكثر مما يتلف منها

والغذاء لجسم البالغ كالوقود للآلة البخارية فما دامت كميتهُ معتدلة وما دام نوعهُ صالحاً للاشتعال دارت الآلة على تمام الانتظام ولكن اذا زاد الوقود عن الحد المطلوب غصَّ بهِ الموقد وتعذَّر عليهِ الاشتعال وكذا اذا كان الوقود غير صالح للاشتعال فانهُ لا يشتعل ولا تتكوَّن منهُ الحرارة اللازمة لاغلاء الماء وادارة الآلة

ثم ان اعضاء الجسم مختلفة وكل عضو منها يحتاج الى الغذاء والتجديد فيجب ان يكون الطعام حاوياً لكل العناصر التي يحتاج اليها الجسم . ولا يعرف طعام واحد حاوٍ لعناصر الجسم كلها الا اللبن والبيض والخبز

وتقسم الاطعمة كلها الى اربعة اقسام كبيرة الاول الطعام النيتروجيني الذي يصلح لتكوين اللحم في جسم الانسان والثاني الطعام الدهني وهو يصلح لتوليد الحرارة والثالث الطعام النشوي والسكري وهو يصلح لتوليد الحرارة ايضاً ولتسمين الجسم والرابع الماء والمواد الجمادية كالملح وهي لازمة لبناء الجسم ولتسهيل اعمالهِ . والطعام الجيد الكافي يجب يكون شاملاً لهذه الانواع الاربعة على نسب معتدلة

ومن المؤكد ان تسعة اعشار الموسرين وجانباً كبيراً من غير الموسرين يأكلون اكثر مما تحتاج اليهِ ابدانهم والزيادة عن الحاجة تضرُّ ولا تنفع لانها تتعب اعضاء الهضم فتهرم او تتلف قبل الزمن الذي تهرم فيهِ او تتلف لو كان الطعام الى حد الكفاف . واكثر المصابين بسوء

واذا امكن فليمتنعوا عنها كلها فاذا واظب السمين على ذلك قلَّ سمنهُ يوماً فيوماً وقد يقل رطلاً كل ثلاثة ايام

وصف بعضهم الطعام التالي للسمان الذين يريدون ان يقل سمنهم وهو. لحم او سمك ١٨٠ درهماً ونحو ٧٠ درهماً من الخضر كالاسبانخ او الكرنب او الكوسى و ٢٤ درهماً من الخبز لاغير وقليل من الاثمار . هذا طعام اليوم الواحد ولا يزيد الماء على نحو مئتي درهم في اليوم

وقد نجح الدكتور ويرمتشل الاميركي الشهير في ازالة سمن السمان بطريقة بديعة وهي انهُ يضطرهم الى القيام في فرشهم والاقتصار على شرب اللبن المخيض اي الذي ازيلت الزبدة منهُ فتخف اجسامهم سريعاً وتجود صحتهم

واذا كان الانسان نحيفاً واريد ان يسمن وجب عليهِ ان يجري على ضد الطريقة التي تخف السمين فيكثر من الطعام النشوي ويشرب كثيراً من اللبن ويأكل كثيراً من الزبدة والخبز ويشرب زيت السمك اذا اراد

وقد اخذ الاطباء الآن يعالجون المسلولين بالطعام فيحشونهم بهِ حشواً كأنهم الخرفان التي يراد تعليفها وتسمينها وثبت ان هذه المعالجة تشفي المسلولين الذين لا يزال سلهم في بداءتهِ ولا سيما اذا كان المكان طيب الهواء واقام المسلول وقتاً طويلاً كل يوم في الهواء المطلق وشرب كثيراً من اللبن الى حد اقتين في اليوم

ويصف كثيرون من الاطباء الفرنسويين اللحم النيء للمسلولين يدقونهُ كما يدق لحم الكبيبة ويمزجونهُ بالمرق السخن . ويصف غيرهم انواع الحلازين او شرب دم الحيوانات وقت ذبحها ويصف بعض الالمانيين البطرخ المملح . ولا شبهة في فائدة الطعام الكثير المغذي لمن كان مصاباً بداء السل

وطعام المصابين بالبول السكري يجب ان تنزع منهُ المواد النشوية والسكرية . فيصنع لهم خبز من غلوتن القمح اي يغسل الدقيق بالماء مراراً كثيرة حتى يزول منهُ اكثر النشا ويصنع ما بقي خبزاً او يصنع لهم الخبز من النخالة (الرضّة) بعد اغلائها وغسلها لازالة ما معها من النشا ثم تمزج بدقيق اللوز الحلو ويصنع منها خبز ويطعمون بدل النشا كثيراً من المواد الدهنية او الزيتية

واذا كان الانسان مصاباً بالنقرس وجب ان يقلل من اكل اللحم وكل ما يزيد الحامض الاوريك في بدنهِ وان يقلل ايضاً من شرب الخمور او يمتنع عنها تماماً

ومن أُصيب بالتيفويد فطعامهُ وهو مريض بسيط جداً يقتصر على اللبن مع قليل من مرق اللحم المبرد ولكن حينما تزول الحمى يشعر بالجوع الشديد فيطعم اولاً قليلاً من النشا

المطبوخ باللبن مع قليل من الخبز المحمص ثم قليلاً من البيض ويتدرَّج الى اكل السمك والفراخ واخيراً يأكل اللحم

غسل الحرير

الشائع ان الثياب الحريرية تفقد لمعانها اذا غُسلت وهذا خطأ الاّ اذا غسلت على اسلوب يتلفها اما اذا غسلت على الاسلوب الآتي بقي لمعانها فيها وهو ان يذاب الصابون في قليل من الماء ويضاف منهُ الى الماء السخن ما يكفي لتوليد الرغوة فيهِ ويجب ان لا يكون الماء شديد السخونة لان الحرارة الشديدة تجعل لون الحرير اصفر . ثم انفض ثياب الحرير حتى يقع عنها كل ما هو لاصق بها من الغبار وضعها في الماء بعد ان ترغي الصابون فيهِ واغسلها برغوتهِ واعصرها ولا يجوز فرك الحرير وقت غسلهِ لانهُ يفتح بالفرك اي تتباعد خيوط السدى وتجمع بل يربَّص تربيصاً كما يعجن الدقيق ثم يعصر . ولا بدَّ من شطفهِ من الصابون جيداً لانهُ اذا بقي فيهِ شيء منهُ اصفرَّ لونهُ بهِ . وبعد شطفهِ من الصابون كلهِ يفوح بالماء السخن ثلاث مرات متوالية اي ينقل من ماء الى ماء واخيراً يفوَّح بماء بارد . واذا كان الحرير ابيض يحسن ان يفوَّح اخيراً في ماء نقي فيهِ قليل جداً من النيلة ثم يعصر . وعندهم آلة لعصر الغسيل يخرج الماء منهُ بالضغط وذلك خير من اخراجهِ بالفتل واذا كان الحرير ملوناً يضاف الى كل عشرة ارطال من الماء الذي يغسل فيهِ ملعقة صغيرة من الخل واذا كان ملوناً بلونين وخيف من ان يلطخ احدهما الآخر يضاف الى الماء الذي يشطف بهِ ملعقة صغيرة من الملح

اختيار المنزل الصحي

اذا غشَّ اللبَّان لبنهُ او السمَّان سمنهُ حتى صارا مضرَّين بالصحة قبضت عليهما الحكومة وعاقبتهما عقاباً صارماً ولكن اصحاب المنازل يبنونها على اسلوب يضرُّ بصحة السكان ولا يطالبهم احد لانهُ ليس في القانون ما يمنعهم عن ذلك

واول شيء يُلتفت اليهِ في اختيار المنزل في القطر المصري ان يكون متجهاً الى الشمال لكي تدخلهُ الرياح الشمالية الباردة في ايام الحر وان يكون متجهاً ايضاً الى الشرق او الغرب او الجنوب لكي تدخلهُ اشعة الشمس

ثم يُلتفت الى ما يجاور المنزل فاذا كان في جوارهِ قهاوي او دكاكين لبيع الفراخ او السمك او اللحم او اسطبلات للخيل او صنَّاع ينهضون قبل الفجر وينشرون الخشب او يدقون المسامير او يطرقون الحديد او كان المنزل مجاوراً لسكة الحديد او سكة يمرُّ عليها الترام فالسكن في ذلك المنزل متعب جداً يبعد عنهُ كل من يراعي صحتهُ وراحتهُ

واذا كانت مرافق البيت غير محكمة الوضع تخرج الروائح الخبيثة منها فلا يجوز السكن فيهِ لمن يراعي راحتهُ وصحتهُ . وقد اصبح اصلاح المرافق من اسهل ما يكون بعد استنباط الممص (الصيفون) فاذا وضع ممص او كوع في كل مصب ماء ومرمى اقذار حتى تجتمع المياه فيهِ وتمنع خروج الغازات منهُ وجُعل لهُ انبوب عالٍ يفتح فوق سطح المنزل زالت الروائح الخبيثة وزال ضررها

ولا بدَّ من ان يصل الماء النقي الى المنزل والاَّ فكل التدابير الصحية لا تقي الانسان من الامراض الفتاكة اذا كان الماء الذي يشربهُ غير نقي

ولا بدَّ من ان يكون بيت الراحة مجهزها بآلة تندفع المبرزات منها بقوة الماء وفيها ممص يمنع خروج الغازات منها وان يكون لهُ شباك كبير يفتح الى الخارج وتدخل منهُ الشمس ويجب ان يبقى بيت الراحة نظيفاً خالياً من كل شيء وان تدهن حيطانهُ بالجير. وان تكون اوضة المونة منفصلة عن المطبخ ويكون لها شبابيك تفتح الى الجهة الجنوبيَّة او الشرقية او الغربية حتى تدخل الشمس منها ويتجدَّد هواؤها

ولا بدَّ من الحمَّام في كل بيت ان امكن. وتسخين مائهِ بالغاز على ما جرت بهِ العادة حديثاً مضرٌّ جدًّا لان الغاز قد يرشح ويخنق المستحم وخير من ذلك الحمام الشرقي الذي يسخن ماؤُهُ بموقد وراءَهُ او تحتهُ

وغرف النوم يجب ان تكون واسعة تدخل الشمس من شبابيكها . والغرفة التي طولها اربعة امتار وعرضها اربعة امتار وعلوها اربعة امتار لا يصح ان ينام فيها اكثر من اثنين بالغين او ثلاثة اولاد فان كل واحد يحتاج الى نحو ثلاثين مترًا مكعباً من الهواء والغرفة التي كذلك مساحة هوائها ٦٤ مترًا مكعباً . ولا بدَّ من عمل الشبابيك حتى يسهل فتحها من اسفل ومن اعلى لانها بفتحها من اعلى تجدِّد هواء الغرفة ولا سيما اذا كانت واصلة الى السقف

اما سائر غرف البيت كغرف الاستقبال والاكل وما اشبه فينظر في اختيارها الى ذوق الانسان ومقدرتهِ المالية

تعليم الطبخ في المدارس

يحسن بقراء المقتطف ان يطالعوا خلاصة الخطبة التي نشرناها في هذا الجزء وموضوعها علم التعليم فانها مفعمة بالفوائد وهي آراء رجل مارس ادارة المدارس اكثر من ثلاثين سنة وممَّا جاء فيها ان البيت هو المطبخ لان المطبخ اهم شيء فيهِ وعليهِ تتوقف صحة اهل البيت وراحتهم ويجب على كل البنات ان يتعلمن علم الطبخ حتى يستطعن ان يدرن بيوتهن"



قد رأينا بعد الاختبار وجوب فتح هذا الباب ففتحناهُ ترغيباً في المعارف وانهاضاً للهمم وتشحيذاً للاذهان. ولكنّ العهدة في ما يدرج فيهِ على اصحابهِ فنحن براءٌ منهُ كلهِ. ولا ندرج ما خرج عن موضوع المقتطف ونراعي في الادراج وعدمهِ ما يأتي: (١) المناظر والنظير مشتقّان من اصل واحد فمناظرك نظيرك (٢) انما الغرض من المناظرة التوصل الى الحقائق. فاذا كان كاشف اغلاط غيرهِ عظيماً كان المعترف باغلاطهِ اعظم (٣) خير الكلام ما قلّ ودلّ. فالمقالات الوافية مع الايجاز تستختار على المطوَّلة

نجاح اليابان الموهوم

حضرة منشئي المقتطف الفاضلين

اني اطالع ما تكتبونهُ عن اليابان ونجاحها العجيب وكأن لسان حالكم يلوم المصريين والسوريين والعثمانيين عموماً لانهم وقفوا على ابواب اوربا ورأوا نجاحها وفلاحها منذ مئتي عام الى الآن ولم تأخذهم الغيرة للاقتداء بها بخلاف اهالي اليابان فانهُ لم يكد الاوربيون يتصلون بهم حتى اخذوا اخذهم وجاوروهم في كل شيء تقريباً وقد اعترفت لهم اوربا بهذه المجاراة كما يتضح من عقد المحالفة بين اكبر الدول الاوربيَّة البحرية وبينهم. ولا بدَّ من ان يتساءل القراء قائلين ترى ما سبب هذا التقدُّم السريع في بلاد اليابان الذي لم نرَ لهُ مثيلاً ولا في اوربا نفسها فان روسيا وايطاليا واسبانيا لم يكن سير الافكار الجديدة سريعاً فيها كما كان في بلاد اليابان. وقد خطر على بالي خاطر احببت ان ابديهُ على صفحات المقتطف يزول بهِ بعض الاستغراب وهو ان تقدُّم اليابان ليس كما يزعمون وفي ما يروى عنهُ مبالغة شديدة يراد بها تسكين خواطر اليابانيين واغراؤهم باستدانة الاموال الطائلة من اوربا كما حدث في ايام اسمعيل باشا الخديوي الاسبق فان الكتّاب الاوربيين كانوا يتغنون حينئذٍ بمدح مصر وحكومتها ويطنبون بغناها وارتقائها حتى اقنعوا اسمعيل باشا ان كل دَيْن يستدينهُ من اوربا لا يتعذَّر عليهِ ايفاؤهُ في سنوات قليلة لوفرة خيرات البلاد كما يفعل كبار المرابين الذين يحسّنون للعمدة او لصاحب الاطيان الكثيرة ان ريع اطيانهِ وافر وانهُ يستطيع ان ينفق بسعة ولا ينقصهُ الآن ان يبني قصراً مثل قصر جارهِ البك الفلاني ويفرشهُ مثل فرش الباشا الفلاني فينخدع باقوالهم ويستدين منهم الاموال الوافرة بالربا الفاحش وينفقها على ما لا حاجة بهِ اليهِ

ويرهن لهم اطيانهُ فيمسي اجيرًا عندهم يعمل في طينهِ ويكتفي بالقوت الضروري ويدفع لهم بقيَّة الريع . وقد حدث مثل ذلك للحكومة المصريَّة فاستغرقت في الدين ورهنت ايرادات بلادها لدفع فوائدهِ وهي تدفع الآن للمرابين نحو نصف ايرادها

فان كان استدلالي صحيحًا فيكون ما يروى عن اليابان مبالغًا فيهِ مبالغة شديدة وتكون العاقبة على اليابان وخيمة اذا انخدعت بالتملُّق والتدليس ومدَّت رجليها على اكثر من بساطها وتكون امم المشرق في "الهوى سوى" وحبذا لو وضعتم هذه المسأَلة موضع النظر ونشرتموها في باب المناظرة لنرى ما يكون رأي القراء فيها مصر احد المشتركين

وكما تكونوا يولَّى عليكم

حضرة منشئي المقتطف الاغر

طالعت ما نشرتموهُ في الجزء التاسع من المقتطف بقلم حضرة الفاضل الدكتور سعيد ابو جمرة عن تأخر رجال الشرق ونسائهِ ولغتهِ . ورأي الكاتب في ذلك ان سبب هذا التأخر من الحكومة لا من الشعب. كأَن الحكومة شيءٌ مستقلٌّ عن الشعب او قوة تحلُّ فيهِ وتفارقهُ كالنفس على ما قالهُ القدماء . وقد يصدق هذا القول على البلدان الخاضعة لدولة اجنبيَّة وهي في حال الانحطاط التام ولكنهُ لا يصدق على البلدان التي حكومتها منها كالبلاد العثمانية ولا على البلدان التي شعبها من اصول مرتقية . اما البلاد الاولى التي لا تزال في حال الانحطاط التام ككثيرٍ من البلدان الافريقيَّة فلا يستطع شعبها ان يرتقي من نفسهِ فجأَةً وينال من وسائل العمران ما لا يمكن نيلهُ الاَّ بتوالي الازمان لان العمران نظام متدرج ترتقي اليهِ العواطف والاميال والاخلاق والعادات رويدًا رويدًا على حسب سنن الارتقاء الطبيعي ولكن اذا كانت حكومتهُ اجنبيَّة عنهُ ومن امَّة مرتقية وارادت ترقيتهُ بسرعة فلا يتعذَّر عليها ذلك ولهذا الامر امثلة في الطبيعة فان النباتات البستانيَّة تولدت من النباتات البريَّة بالارتقاء المتدرّج في الوف من السنين ولكن البستاني الماهر يستطيع ان يزرع النبات البري في بستانهِ ويعتني بهِ اعتناء خاصًا حتى يوصلهُ الى درجة النبات البستاني في سنين قليلة ولذلك ارتقى بعض الزنوج سكان اميركا وليبيريا في سنين قليلة وصاروا مثل الاميركيين في علومهم وتصوراتهم وعاداتهم

واما البلدان الثانية التي حكومتها منها كالبلاد العثمانيَّة فالحكومة لا تستطيع ان تكون ارقى من الشعب ولا احط منهُ لانها من الشعب وهي صورة لهُ واذا ارتقت اليوم عن الشعب بقوة قاهرة انحطت اليهِ غدًا واذا انحطَّت عنهُ امس ارتقت اليهِ اليوم . وكما تكونوا يولَّى عليكم

كما جاء في الحديث الشريف. وهذه حقيقة يؤيدها الاختبار فضلاً عن تأييد الحديث الشريف لها . واذا كان رجال الحكومة من الامة فلا يُطالَبون باكثر مما تُطالَب بهِ هي ولا تطالَب هي باكثر مما يطالَبون بل الفريقان سواء في المسؤولية

والبلدان الثالثة التي شعوبها من اصول مرتقية لا تُرفع المسؤولية عنها اذا لم يهتمَّ ولاة امرها بنجاحها سواء كانوا منها او اجانب عنها لانهُ يجب عليها ان تأبى الضيم وتدفعهُ بايديها وترفسهُ بارجلها وتقاوم وتجاهد الى ان تفوز بالغرض المطلوب وتقول كما قال الشاعر العربي

اذا ظلمت حكامنا وولاتنا خصمناهمُ بالمرهفات الصوارمِ

ما قول الكاتب الفاضل لو تولَّت الاحكام في البلاد الانكليزية وزارة تمنع نفقات المعارف وتغلُّ ايدي الصنَّاع والتجار وتسعى في اماتة اللغة الانكليزية واحياء اللغة اللاتينيَّة أكان الشعب الانكليزي يرضخ لها صاغرًا اما كان ينهض كلهُ ويسقطها في يوم وليلة وبماذا نصفهُ اذا رضخ لها صاغرًا وخنع للذل ألا نصفهُ بما يوصف بهِ الاذلان عير الحي والوتد. فكل من يلومنا نحن الشرقيين ويشدد النكير علينا مصيب في لومهِ وتشديدهِ لاننا امتنا نفوسنا بايدينا واضعنا مئة فرصة سنحت لنا لننهض عن غفلتنا ولا نزال نضعف عزيمة كل من ينادي بالاصلاح ويقول حيَّ على الفلاح

بيروت منتقد

نصيحة المسيو ديمولان

حضرة منشئي المقتطف الفاضلين

اهديت نسخة من كتابي حاضر المصريين او سر تأخرهم الى جناب العالم الفاضل المسيو ادمون ديمولان صاحب كتاب سر تقدُّم الانكليز السكسونيين فتفضل جنابهُ وبعث اليَّ بالكتاب التالي فعسى ان تكرموا بنشرهِ لما فيهِ من النصائح لي ولامثالي من ابناء وطني محمد عمر

اما ترجمة الكتاب فهي : سيدي العزيز

تناولت بيد الشكر مؤلفك ولكونهِ محررًا باللغة العربية كان يجب عليَّ قبل ان اشكرك ان ابحث عمن لهُ المام بهذه اللغة ليترجم لي شيئًا من اهم مواضيعهِ . ومع كلٍّ فاني اسديك جزيل الشكر على تفضلك عليَّ بهذه الهدية الثمينة واثني على همتك في استنهاض همة قومك المصريين

واني اود لك من صميم الفؤاد ان تصل الى غايتك الشريفة التي تسعى اليها بكل قواك .

واني عالم بما سيحيق بك من الصعوبات في هذه الطريق الوعرة ولكن يجب ان تعلم وتتذكر ان أهم قوة من قوى الشعب الانجلوسكسوني التي بلغت بهِ اقصى درجات السؤدد والعظمة هي

الثبات على الاعمال ادبية كانت اومادية فعليك اذاً بالثبات والمثابرة على خطتك الممدوحة الشريفة دون ان يثبط عزمك ما سترى من الصعوبات الجمة

وارجوك ان تقبل يا سيدي العزيز وافر احساساتي واحتراماتي ادمون ديمولان

باريس في ١٧ سبتمبر سنة ١٩٠٢

باب الزراعة

تسمين المواشي

قلما نطالع رسائل المكاتبين من الارياف في الجرائد اليومية الا ونجد فيها مرّ الشكوى من ذبح المواشي الهزيلة كأن الناس لا يذبحون الماشية الا اذا مرضت واشرفت على الموت او اذا شاخت وعجزت عن العمل ويتركونها في الحالين بلا علف حتى يبلغ الهزال منها اشدهُ ثم يذبحونها مع انهم لو احسنوا حسابهم لعلفوها جيداً حتى تسمن قبل ذبحها لان اردب الفول الذي تأكلهُ وثمنهُ مئة غرش مثلاً قد يصير في جسمها لحماً يساوي مئتي غرش

واهل الزراعة يحسبون استغلال الحاصلات من الارض الدرجة الاولى من الزراعة وصيرورة هذه الحاصلات لحماً الدرجة الاخيرة سواء كان اللحم في بدن الانسان او في بدن الحيوان . والاوربيون الذين فاقونا في علم الزراعة وعلم الصحة كما فاقونا في كل شيء يغالون باللحم المسمَّن ويشترونهُ بضاعف ما يشترون بهِ اللحم الهزيل لانهُ الذ طعماً واكثر غذاء من اللحم الهزيل ولا بدَّ من ان يشيع ذلك عندنا كما هو شائع عندهم فيصير لتسمين المواشي شأن كبير عندنا ويصير منهُ ربح يفي بنفقاتهِ ولو كان العلف غالياً عندنا

ولا بد قبل الكلام على تسمين المواشي من البحث العلمي عن المواد التي توجد في العلف ليُعلَم ايها يغذي وايُّها لا يغذي وما هو العلف الذي يسمّن اكثر من غيرهِ حتى اذا علم مربو المواشي ذلك وهم يعلمون اكثرهُ بالاختبار اختاروا لتسمين المواشي العلف الذي يسمنها وثمنهُ اقل من غيرهِ

ونقسم مواد العلف الى ستة اقسام وهي

(١) الماء (٢) الرماد (٣) المواد الليفية (السلولوس) والنشوية (٤) المواد الغروية او المتخثرة (البكتوس) (٥) الزيوت والادهان (٦) المواد الزلالية

فالماء قليل في العلف اليابس وكثير في الطريء فهو في الحبوب والدريس والتبن من ١٤ الى

١٦ في المئة واما في العلف الطريء فكثير من ٧٠ الى اكثر من ٩٠ في المئة كما ترى في هذا الجدول

في النجيل	من ٧٠	الى ٨٠	في المئة
في البرسيم	« ٧٨	« ٨٣	« «
في الباقياء	٨٢		« «
في الكرنب	« ٨٤	« ٨٩	« «
في ورق اللفت	٨٨		« «
« اللفت نفسهِ	٩٢		« «
« البطاطس	٧٥		« «

والماء في جسم الحيوان نفسهِ كثير من ٦٠ الى ٦٣ في المئة فلا عجب اذا كان كثيرًا في علفهِ. وهو يدخل في بناء جسم الحيوان ويساعدهُ على هضم طعامهِ. لكنهُ اذا كان قليلاً في العلف كما هو في العلف اليابس فالماء الذي يشربهُ الحيوان يقوم مقامهُ

والرماد هو ما يبقى من النباتات بعد حرقها ومواده ضرورية لعلف المواشي لان منها تتكون العظام ومنها الاملاح اللازمة للدم وللجسم كلهِ

والمواد الليفية والنشوية ويدخل تحتها الياف النبات ونشاؤهُ وصمغهُ وسكرهُ وكلها مركبة من عناصر الكربون الاكسجين والهيدروجين . ومن امثلة الالياف او السلولوس القطن والقنّب والكتان والتيل والياف الاوراق وقشور الخلايا النباتية وهي لا تذوب في الماء ولكنها تتحول الى سكر بواسطة فعل الحوامض وتصير تذوب في الماء ويسهل هضمها اذا كانت جديدة طرية فتكون مغذية واما اذا قدمت فيصير هضمها صعباً

والنشا يكثر في الحبوب والبطاطس وما اشبههما . وهو في القمح ٦٠ في المئة وفي الشعير نحو ٣٨ في المئة . لا يذوب في الماء لكنهُ يتحول حالاً بالحرارة الى مادة صمغية تذوب فيهِ . ولعاب الانسان والحيوانات آكلات العشب يذيبان النشاء ويحولانهُ الى سكر . ويسهل تحويلهُ واذابتهُ في الامعاء ولذلك فهو من المواد المغذية

والمواد النشوية وما يجري مجراها في التركيب كالصمغ والسكر تستخدم لتوليد الحرارة في بدن الحيوان فهي من الزم مواد العلف لهُ

والمواد الغروية والخاثرة تكون في الاثمار ذات الرب الكثير كالبطيخ واليقطين والبنجر والتفاح والكمثرى

والزيوت والادهان هي التي تسمن المواشي وهي تغذي الحيوانات اكثر مما يغذيها النشا والسكر وقد بيّن السرجون لون ان الرطل منها يقوم مقام رطلين ونصف من النشا والسكر

والمواد الزلالية فيها ما في المواد النشوية من الكربون والاكسجين والهيدروجين وفيها ايضاً نيتروجين وفصفور وكبريت واهم هذه المواد الزلال نفسهُ والجبن والفبرين . وهذه المواد تذوب في المعدة وتنتقل الى الدم ويتكون منها لحم الحيوان الهبر والدهن ايضاً . وهي كثيرة في بعض الحبوب كالفول والكرسنة والعدس فان نسبتها فيها نحو ٢٢ في المئة من وزنها وتوجد ايضاً في الشعير والذرة ولكنها اقل فيهما منها في الفول والحمص والعدس فانها نحو ١٠ في المئة فقط

يظهر مما تقدم ان علف المواشي اما خالٍ من النيتروجين او حاوٍ للنيتروجين والاول يشمل المواد النشوية والغروية او الدهنية والزيتية والثاني يشمل المواد الزلالية وكلاهما لازم للعلف على حدٍ سوى ولكن الاول يسمّن اكثر من الثاني ولاسيما ما فيهِ زيت ودهن لان المراد بالتسمين تكثير الدهن والشحم في بدن الحيوان

الآن الذين يربون المواشي يقصدون ايضاً غرضاً آخر غير تسمينها وهو ان يكون زبلها سماداً جيداً للارض ولا يكون السماد جيداً للارض ما لم تكن فيهِ مواد نيتروجينية . فان قيمة الزبل تختلف باختلاف العلف من حيث كثرة المواد النيتروجينية فيهِ وقلتها كما ترى في هذا الجدول وقد ذكرنا فيهِ قيمة الطن من الزبل حسب اختلاف العلف

اذا كان العلف كسب بزر القطن المقشور	فقيمة طن الزبل	٥٥٠ غرشاً
« « « « القطن غير المقشور	« « « «	٣١٧ «
« « « « فولاً	« « « «	٣٠٩ «
« « « درياً	« « « «	٢٠٢ «
« « « شعيراً	« « « «	١١٧ «
« « « تبن الفول	« « « «	٨٥ «
« « « « « القمح	« « « «	٤٩ «
« « « « « الشعير	« « « «	٤٩ «
« « « « من اللفت والجزر	« « « «	٢٠ «

فترى من ذلك ان فائدة الزبل تكون على اكثرها اذا كان العلف من كسب بزر القطن المقشور لانهُ غنيٌّ بالمواد النيتروجينية ثم من كسب بزر القطن غير المقشور ثم من الفول. وزبل المواشي التي تأكل فولاً اجود من زبل المواشي التي تأكل درياً وهو بالطبع اجود من زبل المواشي التي تأكل برسيماً بما لا يقدَّر

اما نسبة انواع العلف بعضها الى بعض من حيث وجود المواد المغذية فيها فتظهر من هذا

الجدول وهو منقول عن جدول الدكتور اميل ولف الالماني وذكر ثمن القنطار ايضاحاً للنسبة

	الماء	الرماد	الزلالية	الهيدروكربونية	الدهنية	ثمن القنطار
دريس البرسيم	١٦٫٥	٦	٨٫١	٣٥٫٩	٢	١٧ غرشاً
البرسيم الاخضر	٨٠٫٥	٣	٢٫٣	٧٫٩	٠٫٥	٤ ١/٢ «
ورق الذرة	٨٣٫٣	١٫١	٠٫٨	٩٫٩	٠٫٣	٣ ١/٢ «
البرسيم الحجازي الصغير	٨١	١٫٧	٣٫٥	٧٫٣	٠٫٣	٥ ١/٢ «
« « المزهر	٧٤	٣٫	٣٫٣	٩٫١	٠٫٣	٥ ١/ «
ورق الكرنب	٨٩	١٫٣	١٫١	٦٫٠	٠٫٣	٣ ١/٢ «
تبن القمح	١٤٫٣	٤٫٦	٠٫٨	٣١٫٩	٠٫٤	٧ ١/٢ «
تبن الشعير	١٤٫٣	٥٫٥	٠٫٨	٣١٫٤	٠٫٤	٧ «
تبن الفول	١٦٫	٤٫٠	٥٫٠	٣٥٫٣	٠٫٥	١٣ ١/٢ «
تبن العدس	١٦	٦٫٥	٦٫٩	٣٠٫٨	١٫٣	١٥ «
تبن الترمس	١٦	٤٫١	٣٫٣	٤١٫٦	٠٫٣	١٠ ١/ «
بنجر السكر	٨١٫٥	٠٫٧	١٫٠	١٥٫٤	٠٫١	٤ «
اللفت	٩٣٫٠	٠٫٧	١٫١	٥٫٣	٠٫١	٣ ١/٤ «
القمح	١٤٫٤	١٫٧	١١٫٧	٦٣٫١	١٫٣	٢٧ «
الشعير	١٤٫٣	٢٫٣	٨٫٠	٥٧٫٥	١٫٧	٢١ «
الذرة الشامية	١٤٫٤	١٫٥	٨٫٤	٥٧٫٨	٤٫٨	٢٣ /٢ «
« العويجا	١٤	٣	٩٫٥	٤٣٫١	٣٫٦	٢١ «
الفول	١٤٫٥	٣٫١	٢٣٫٠	٤٣٫٦	١٫٤	٣٦ «
الحمص	١٤٫٣	٢٫٧	٢٤٫٨	٤٣٫٥	٢٫٥	٣٨ ١/٢ «
العدس	١٤٫٥	٣٫	٣١٫٩	٢٧٫٤	٤٫٣	٤٤ «
نخالة الحنطة	١٣٫١	٥٫٤	١٠٫٩	٣٧٫٦	٣٫٤	٢٣ «
نخالة الذرة	١٢	٢٫٣	٦٫٣	٥٠٫٠	٣٫٦	١٧ «
كسب بزر الكتان	١١٫٥	٧٫٩	٢٣٫٨	٢٩	٨٫٩	٣٧ «
« الفول السوداني	٧٫٥	١٢٫٥	٤٢٫٨	١٥٫٥	٦٫٤	٥٦ «
كسب بزر القطن	١٠٫١	٧٫٧	٢٨٫٨	١٧٫	٩٫٩	٤١ ١/٢ «

امراض المواشي

وقفنا على تقرير مفتش القسم البيطري بمصلحة الصحة المصريَّة عن الامراض المعدية والوبائيَّة التي أُصيبت بها المواشي في القطر المصري في العام الماضي وها نحن موردون خلاصتهُ تعميمًا لفائدتهِ

البثرة الخبيثة — حدثت اربعون حادثة في الاسكندريَّة ٣٠ منها في زرائب الكورنتينا و١٠ في المسلخ ولم تنتقل العدوى الى اماكن اخرى على ما يظهر

جدري الغنم — حدثت منهُ ١٨٠ حادثة في البحيرة والدقهليَّة والشرقيَّة . وأُصيب بهِ ٢٦ رأسًا من الغنم الواردة من اسيا وهي في زرائب الكورنتينا في المكس

الكلب — ظهر في ٢١ كلبًا وفي قطة واحدة . ولم يصب بداء الكلب الَّا ثلاثة من الآدميين مع ان الذين عقرتهم الكلاب الكلبى كثيرون فقد عالج الدكتور تونين ١٨٠ معقورًا

السقاوة — حدثت ٦٣ اصابة في مصر والاسكندريَّة ومن رأي حضرة المفتش ان الاحواض التي أُنشئت حديثًا لسقي الحيوانات تساعد على انتشار هذا الداء ولكن ضررها قليل بالنسبة الى ضرر المواشي من قلة وجود الماء ولا سيما في فصل الصيف

الخناق — وهو مرض وبائي شديد الفتك يظهر بنوع خاص مدة انخفاض النيل وبدء ارتفاعهِ من شرب المواشي من البرك القذرة الراكدة ومن الترع القليلة الماء ويزول او يختفي عند تمام الفيضان ثم يظهر ثانية في التحاريق . ومن رأي حضرة المفتش انهُ اذا حفرت آبار لتشرب منها المواشي وردمت البرك التي تشرب منها الآن زال هذا المرض تمامًا . وعندهُ ان قلَّة العلف الاخضر مدة اشهر الصيف يسبب موت كثير من المواشي ولو وجد لها العلف الاخضر لقلَّ موتها وزاد لحمها. وممَّا يكثر بهِ موتها رعيها البرسيم وهو صغير فانهُ يسبب لها اسهالًا وهزالًا وقد يكون سببًا لموت بعضها



دليل العازب وطبيب المتزوج

لمؤلفهِ الدكتور سعيد ابو جمره

يعرف قرَّاء المقتطف حضرة مؤلف هذا الكتاب من مقالاتهِ الطبية التي تنشر في المقتطف ويعلمون انهُ متتبع للمكتشفات والمباحث الطبية في تقدمها السريع ولذلك يرحّبون

بكل كتاب طبي ينشر من قلمهِ . وهذا الكتاب كبير النفع ذكر فيهِ المؤلف كل نصيحة ينصح بها الطبيب المتزوجين وغيرهم لحفظ صحتهم الجسدية والعقلية وحفظ نسلهم وكشف الستار عن كثير من المنكرات وابان مضارها . وقد نشر اموراً يضرُّ الاطلاع عليها في رأينا ولو كانت صحيحة لذاتها لكنهُ شفعها بما يكفي من النصح والتحذير حتى رجح جانب النفع على جانب الضرر

دليل الخبراء

لمؤلفهِ يوسف افندي صبري

لقد احسن حضرة المؤلف في وضعهِ هذا الكتاب فان عمل الخبير من الاعمال الهامَّة جدًّا لان حكم القضاة يتوقف عليهِ في كثير من القضايا كما احسن في حث الحكومة على وضع لائحة لتعيين الخبراء وانتقائهم من المتعلمين. ومن رأيهِ ان لا يجبر الخبير على تأدية اليمين كلما انتُدب لتحقيق امر بل يكفي ان يقسم مرةً واحدة عند تعيينهِ خبيرًا. الآن العلم والقسم لا يعصمان المرء دائمًا او كما قال المؤلف ان الانسان قد يثبت ما يخالف ضميرهُ اما لغرض وغاية او لعدم التثبت من المبادىء الصحيحة او لعدم وجود مراقبة تراقبهُ ولهذه الاسباب وغيرها وُضع القضاة والمحامون وغيرهم تحت المراقبة والسيطرة ولهذه الاسباب نفسها ارى انهُ من اوجب الواجبات جعل الخبراء تحت المراقبة والاحكام التأديبية حتى اذا لم يكن لهم وازع من نفوسهم وزاجر من ضمائرهم فيكون هذا من القوة التي تضرب على ايديهم

وفي الكتاب خلاصة تاريخ الخبرة ثم شرح اعمال الخبراء وواجباتهم بالاسهاب مع ذكر القوانين المصرية والفرنسوية واحكام المحاكم العليا في مصر وفرنسا وبلجكا ويظهر لنا ان هذا الكتاب وفى بحاجة شديدة وانهُ على كونهِ اول كتاب في بابهِ في اللغة العربية جاء جامعًا كبير الفائدة . وقد اهداهُ مؤلفهُ الى حضرة الاصولي الفاضل فتحي بك زغلول رئيس المحكمة الابتدائية الاهلية

مراقي الترجمة

هو الكتاب الثالث من هذه السلسلة وضعهُ حضرات الادباء الافندية ابو زيد فايد وعبد المجيد الشربيلي ومحمود عثمان عطا الله من مدرسي المدرسة الناصرية ويراد بهِ تعليم التلامذة الترجمة من الانكليزية الى العربية ومن العربية الى الانكليزية . وقد قسموهُ الى دروس في كل درس منها كلمات مفردة وجمل تتألف منها وبعض القواعد الصرفية والنحوية

باب المسائل

فتحنا هذا الباب منذ اول انشاء المقتطف ووعدنا ان نجيب فيهِ مسائل المشتركين التي لا تخرج عن دائرة بحث المقتطف. ويشترط على السائل (١) ان يمضي مسائلهُ باسمهِ والقابهِ ومحل اقامتهِ امضاء واضحاً (٢) اذا لم يرد السائل التصريح باسمهِ عند ادراج سؤالهِ فليذكر ذلك لنا ويعين حروفاً تدرج مكان اسمهِ (٣) اذا لم ندرج السؤال بعد شهرين من ارسالهِ الينا فليكررهُ سائلهُ فان لم ندرجهُ بعد شهر آخر نكون قد اهملناهُ لسبب كافٍ

(١) حفر المعادن

بيروت . د . افندي أنسي قرأت في مقتطفكم الاغر مسألة عن الحفر على المعادن للصور الشمسيَّة حفراً غائراً لاجل الطبع وان العمليَّة يدخلها دم الاخوين ولم اقف على المسألة المذكورة لمراجعتها فالامل افادتنا عن موضعها وان لم تكن فيهِ فعن كيفيَّة ذلك العمل

ج لا نتذكر اننا ذكرنا طريقة يدخل فيها دم الاخوين. والطرق التي ذكرناها لنقل الصور الفوتوغرافيَّة على صفائح التوتيا والنحاس وحفرها فيها كثيرة ترون بعضها في الصفحة ٣٤٠ من المجلد السادس عشر وفي الصفحة ٥٥٢ من المجلد الرابع والعشرين

(٢) كتب السياحات

جاجون . احمد افندي فهمي اذكروا لنا بعض الكتب التي أُلفت قديماً وحديثاً في السياحات ووصف احوال الامم ومدنيتها قديماً وحديثاً

ج اقدم هذه الكتب واشهرها تاريخ هيرودوتس ابي التاريخ فان جانباً كبيراً منهُ وصف للبلدان التي ساح فيها واحوال اهلها ومدنيتهم. وجرى استرابون وديودورس الصقلي وبوساناياس وتاسيتوس مجرى هيرودوتس في انهم طافوا البلدان وبحثوا عن اخلاق الشعوب واحوالهم واثبتوا ذلك في رحلاتهم . ومن اصحاب الرحلات الشهيرة بالعربية ياقوت الحموي وابن بطوطه وابن جبير ومن اشهر اصحاب الرحلات عند الافرنج مركو بولو الرحَّالة البندقي الذي وصل في رحلتهِ الى بلاد الصين وكوك وهمبلت وده شليه ولفنستون وستانلي وغيرهم ممن يضيق المقام عن ذكرهم

(٣) اصلاح السودان

طنطا . الخواجه جوزيف دهان ما هي اهم الاصلاحات التي تمَّت في السودان منذ افتتاحهِ الى الآن

ج نشر الامن في البلاد حتى يأمن كل احد على دمهِ وعرضهِ ومالهِ . وتحديد الاموال التي يدفعها الاهالي لقيام الحكومة . والشروع في

انشاء المحاكم ونشر التعليم وتسهيل طرق المواصلات . والبحث عمَّا تحفظ بهِ ثروة البلاد وتستثمر خيراتها كالبحث عن الغابات وكيفية قطع الاشجار منها ودفع امراض المواشي وتجربة زرع القطن وانشاء الترع وما اشبه

(٤) امتداد تجارة السودان

ومنهُ . هل امتدَّت التجارة في السودان

ج لقد امتدت بعض الامتداد ويعوق امتدادها امران الاول غلاء النقل الى السودان بسكة الحديد وكون السكة الموجودة الآن لا تكفي للنقل ولذلك ستنشأ سكة من سواكن الى بربر وحينئذٍ تتوفر وسائل النقل وترخص اجورهُ فيزيد رواج التجارة . والثاني ان حكومة السودان تخشى من ان يدخل التجار الى البلاد القاصية ويخدعوا الاهالي فيشتروا منهم قنطار العاج مثلاً بحفنة من الخرز ولذلك صعبت على التجار الدخول الى تلك البلاد واخذت تشتري بضائع الاهالي من الصمغ والعاج بثمن ليس فيهِ غبن عليهم حفظاً لثروتهم

(٥) مزروعات السودان

ومنهُ . ما هي اهم الاشياء التي تزرع هناك الآن

ج الحبوب على انواعها ويزرع القطن في طوكر . ويستغل من بلاد السودان الصمغ العربي والكاوتشوك والكوتابرخا

(٦) عدد سكان السودان

ومنهُ . كم عدد سكان السودان الآن وكم كان عددهم قبلاً

ج لا يعلم عددهم بالتحقيق ولكن يرجح انهُ لا يزيد الآن على اربعة ملايين نفس وانهم كانوا حينما ظهر المهدي من ثمانية ملايين الى عشرة

(٧) احوال السودانيين

ومنهُ . هل تحسَّنت احوالهم الآن تحسُّناً بيناً ادبيًّا وماديًّا

ج ان المدة التي مضت بعد استرجاع السودان لا تكفي لظهور نتائج حسن الادارة في كل شيء ظهورًا بيناً ومع ذلك قد ظهرت هذه النتائج اكثر ممَّا ينتظر . ولو لم يكن اقليم السودان مانعاً من بلوغ الحضارة فيهِ مبلغها في الاقاليم المعتدلة لسهل عليهِ ان يجاري القطر المصري او يفوقهُ بعد سنوات قليلة ولكن الحرّ الشديد فيهِ وفي كل البلدان الحارَّة يضطر الناس الى تقليل ساعات العمل فيكون مجموع القوة العقلية والبدنية التي يستطيع السكان ان يبذلوها فيهِ لاتمام اشغالهم واعمالهم اقل من مجموع القوة التي يبذلها امثالهم عددًا في بلاد معتدلة الهواء

(٨) آثار المهدوية

ومنهُ . هل تقلَّص ظل المهدوية من هناك تقلُّصاً تامًّا او لا تزال آثارها كامنة في الصدور نظرًا لسيادتها زمناً طويلاً

ج يظهر لنا ان جور الخليفة ازال من النفوس كل اثر دينيٍّ للدعوة التي قام بها المهدي ولولا ذلك لبقيت آثارها في نفوسهم. ثم لو انتقلوا من حكومة جائرة الى حكومة مثلها جوراً اوتزيدعليها لحنّوا الى الزمن الماضي لكنهم انتقلوا من الجور الى العدل ومن الشدة الى الرخاء ومن حكومة تسفك دماءهم وتسلب اموالهم الى حكومة تدفع عنهم وعن مواشيهم ايضاً الامراض والاوبئة وتحافظ على دمائهم واموالهم بكل واسطة ممكنة وتمهد لهم سبل النجاح والفلاح فان بقي في نفوسهم حنين الى الجور الماضي فهم بشر

(٩) البضائع المطلوبة في السودان

ومنهُ . ما هي الاصناف التجارية المطلوبة الآن الى السودان

ج المانيفاتورة والدخان والتنباك والسكَّر والخشب ونحوهُ من ادوات البناء . وربما زدنا الكلام على السودان اسهاباً في الجزء التالي

(١٠) كتب المطالعة

مصر. سليمان افندي فهمي اذكروا لنا بعض الكتب التي تفيدمطالعتها في فن الانشاء

ج كتاب كليلة ودمنة ومقدمة ابن خلدون وتاريخ ابن الاثير ووفيات الاعيان

---

(١١) ولادة التوأمين

مصر. محمد افندي رشيد السيد . ما سبب ولادة بعض النساء توأمين في آنٍ واحد وهل يكون ذلك ديدنا لبعض النساء

ج اما سبب نمو الجنينين في وقت واحد معاً فغير معروف . والغالب ان المرأة التي تلد توأمين مرةً تلد توأمين مرةً ثانية او ثالثة وقد تورث ذلك لبناتها فيلدن التوائم

(١٢) حياة التوأمين

ومنهُ . هل من دواء يمنع ولادة التوأمين وهل الغالب فيهما ان يعيشا او ان يموتا

ج لا دواء يمنع ذلك ولا يجوز استعمال الادوية في هذه الحال . والحياة مقدورة للتوأمين كما هي مقدورة للفرد الاَّ اذا كان احدهما ضعيفاً جدًّا او اذا لم يكن الرضاع كافياً لهما كليهما . اما الدواء الذي سألتم عنهُ لمنع الحمل فيوجدولكن لا يجوز استعمالهُ الأ برأي الطبيب لاسباب خصوصية

---

(١٣) الاثرة

باهيا بالبرازيل . الخواجه ادولف مارون خرس. ما قولكم في رجل مستقيم يحترم حقوق غيرهِ ويعمل لمنفعة نفسهِ ويبخل على ما سواهُ بمالهِ وبرأيهِ ايضاً

ج الناس في من كان كذلك فريقان الفريق الواحد يذمُّهُ ويقول كما قال الشاعر

ومن يكن لا خير منهُ يرتجى
ان عاش او مات على حدٍّ سوى

وكما قال الآخر

ومَن يكُ ذا فضل فيبخل بفضلهِ

على اهلهِ يستغنَ عنهُ ويذمم

والفريق الآخر يمدحهُ ويقول اذا كان زيد ينفع عمرًا وعمرو ينفع زيدًا فالنفع لكل منهما متبادل ولا يزيد مجموعهُ عن نفع زيد لنفسهِ وعمرو لنفسهِ فهو بمثابة ما لو قصر زيد نفعهُ على نفسهِ وعمروٌ نفعهُ على نفسهِ ويسلم بما يحدث احيانًا كثيرة وهو ان زيدًا ينفع عمرًا ولكن عمرًا ينفع نفسهُ فقط ولا ينفع زيدًا فيخرج زيد مغبونًا. وبينهما فريق ثالث يوجب على الناس كلهم التعاون بحيث يسعى كلٌّ منهم في نفع المجتمع كلهِ فاذا سعى الناس كلهم كذلك توفرت قواهم وبطل ما يتلف منها الآن باحتكاك بعضها ببعض ومقاومة بعضها بعضًا واشتركوا كلهم في النفع على قدر ما تمسُّ الحاجة. لكن ما يطلبهُ هذا الفريق يصعب ادراكهُ ولو سهل تصوُّرهُ وحسبُ صاحبكم ان لا يضرَّ احدًا

ونحن في زمن ترك القبيح بهِ

من اكثر الناس احسانٌ واجمالُ

(١٤) تزوُّج السوري في اميركا

ومنهُ. دار البحث منذ مدة وجيزة بين بعض على زواج السوري في اميركا ففضلهُ بعضهم من فتاة سورية والبعض الآخر من اميركية فما رأيكم في ذلك اذا كانت الفتاتان متساويتين علمًا وادبًا وجمالاً وكان مكث السوري في اميركا الى وقت طويل او الى منتهى العمر

ج ان الفرض الذي فرضتموهُ وهو تساوي الفتاتين في كل شيءٍ يكاد يكون ضربًا من المحال وهب انهما تساوتا علمًا وادبًا وجمالاً يبقى الاختلاف كبيرًا في الاخلاق والاذواق واللغة وهذه كلها تجعل للسورية مزية على الاميركية اذا تزوَّج بها سوري ويبقى للاميركية مزية عليها من حيث التربية وتقوية النسل بامتزاج الدم بدمٍ غريب ولا بدَّ من الموازنة بين هذه المزايا المختلفة. وهل يئس السوريون عندكم من العودة الى بلادهم حتى وطّنوا النفس على الاقامة في اميركا الى منتهى العمر ألا يخطر ببالهم ان الرزايا اذا توالت تولّت وان بلادهم تحن اليهم حنين النوق ابصرنَ الفصالا

(١٥) رياضة الشيوخ

ومنهُ. هل من موانع صحية تمنع طاعني السن من استعمال الرياضة البدنية العنيفة

ج نعم اذا كانت الرياضة تقصر النفس لان شرايينهم تكون ضعيفة او قليلة المرونة ويظهر ضعفها في القلب وقد كتبنا في ذلك فصلاً مسهبًا كثير الفوائد في المجلد السادس عشر من المقتطف موضوعهُ رياضة الكهول تكلمنا فيهِ على رياضة الكهول والشيوخ وابنّا الاسباب التي تمنع من الرياضة العنيفة في الكهولة والشيخوخة وقلنا هناك انهُ على الكهل والشيخ ان يمتنعا عن كل انواع الرياضة التي تستدعي سرعةً او قوة عضلية عنيفة كالعدو والتجذيف

ولكن تجوز لها الرياضة التي لا تدعو الى التنفس السريع

---

(١٦) مصباح كهربائي صغير

مصر . محمود افندي اللقاني . شاهدت رجلاً في صدره وردة ودبوس ينيران نوراً كهربائياً ساطعاً على التعاقب ورأيته يضغط جيبهُ بيدهِ فينيران ويرفع الضغط فينطفئان فكيف ذلك

ج في جيبهِ بطرية كهربائية صغيرة فاذا ضغطهُ وصل الضغط الى زر يتصل بهِ المجرى الكهربائي وينير مصباحين كهربائيين صغيرين في الوردة والدبوس واذا رفع الضغط عن جيبهِ انقطع الاتصال الكهربائي فانطفأ المصباحان



البعوض والحمَّى في مصر

ذكرنا غير مرة ان شركة ترعة السويس طلبت من الدكتور روص ان يأتي الى الاسمعيلة ويبحث عن علَّة الحمَّى الملاريه فيها فجاء اليها وبحث وبعث الى السر فرد جونس رئيس مدرسة امراض البلدان الحارة كتاباً ضمَّنهُ خلاصة بحثهِ ومما قالهُ فيهِ ان الاسمعيلة واقعة في صحراء قاحلة تهبُّ فيها رياح حارَّة تزهق حياة الحشرات وتسفي الرمال من كثيب الى آخر فكيف تصل الحمَّى الملاريه اليها اذا كان البعوض هو الناقل لها . هذا السؤال اجاب عنهُ طبيبا الشركة الدكتوران دامبسيرون وبرسات قبل وصولي الى الاسمعيلة فانهما وجدا البعوض الذي يحمل الملاريا في البيوت التي فيها اناس مصابون بالحمَّى الملاريه واكتشفا ايضاً الاماكن التي يتولَّد فيها هذا البعوض . فان الماء قريب من سطح الارض حول الاسمعيلة حتى تنمو بهِ بعض النباتات في منخفضات الصحراء فتكون بها تلك المنخفضات مروجاً او مستنقعات . ويقال ان الماء فيها يعلو بارتفاع النيل وينخفض بهبوطهِ وهو اجاج في بعض الاماكن لا ينمو فيهِ نبات ولا يعيش فيهِ بعوض ولكنهُ عذب في اماكن أُخرى وقد وجدت عوم هذا البعوض في مستنقعين من هذه المستنقعات يبعدان عن بيوت الاسمعيلية بضع مئات من الامتار . وعلى صغر المستنقعات المشار اليها تميت بالحمَّى الملاريَّة الف نفس كل سنة . ثم قال ان بعوض الملاريا لم يوجد في ترع الري . وعندهُ ان استئصال هذا البعوض سهل جداً قليل النفقة وذلك بان يردم المستنقعان المشار

اليهما او ان يعمقا ويربَّى فيهما السمك

وزار الدكتور روص القاهرة ولم يجد فيها اثرًا للحمي الملارية ولا بعوضاً من بعوضها

مذبح كنعاني

كتب الدكتور شوماكر من حيفا ان الاستاذ سلن اكتشف آثار حصون يهودية وكنعانية الى الشمال الغربي من تل تانُك وبينها مذبح خزفي على زواياه حيوانات مجنحة برؤوس كرؤوس الناس وفي اعلاه قرنان وكأس للذبيحة . وهو مربع طول كل جانب من جوانبهِ تسعون سنتيمترًا وعلوه ٤٥ سنتيمترًا وعلى وجههِ الامامي صورة شجرة الحياة بجانبها غزالان يرعيان منها وعلى وجه آخر صورة انسان يحاول خنق حيَّة . وقد أُرسل هذا المذبح الى الاستانة ليوضع في دار التحف

سليم بك فرج

نُنعي الى ابناء المدرسة الكلية اخاً رضع معهم لبان المعارف وجرى في مضمار الحياة فادرك قصب السبق . توفَّاهُ الله كهلاً في عنفوان القوة العقلية والجسدية . اتى مدينة بيروت مرضعة المعارف سنة ١٨٦٧ فتى ذكي الفؤاد فيهِ حياء العذراء واقام اربع سنوات يطلب العلم وهو الاول في فرقتهِ فاتمَّ دروسهُ سنة ١٨٧١ ونال الدبلوما البكلوريَّة وعاد الى القطر المصري وتقلَّب في مناصب مختلفة ولما ادركتهُ الوفاة كان قاضياً من الدرجة الاولى مشهورًا بعلمهِ ونزاهتهِ يقضي اوقات العطلة في الاهتمام بزراعتهِ فان لهُ بستاناً ونخلاً وارضاً زراعية في عزبة النخل جعلها جنة بحسن اعتنائهِ . في الرابع من اكتوبر شعر بانحراف في صحتهِ وهو في محكمة بنها حيث كان قاضياً فعاد الى منزلهِ في عزبة المرج وبقي يشكو من ضيق الصدر الى الساعة السابعة مساء فانتقل الى رحمة ربهِ وهو في السابعة والاربعين من عمرهِ

زراعة النيل في الهند

جاء النيل الصناعي ضربةً قاضية على النيل الطبيعي فكانت الارض المخصَّصة لزراعتهِ في بلاد الهند منذ مئة عام نحو مليون و٣٤٠ الف فدان وكانت غلتهُ السنويَّة نحو ١٦٧ الف قنطار فضاق نطاقها سنة ١٨٩٨ حتى بلغ مليون فدان فقط وبلغت غلتهُ حينئذٍ نحو ١٤٠ الف قنطار ثم زاد ضيق الارض رويدًا رويدًا . ومساحتها الآن نحو ٨٠٠ الف فدان فقط وغلتها نحو ١٢٠ الف قنطار . واذا زاد النيل الصناعي رخصاً واتقاناً فلا يبعد ان تبطل بهِ زراعة النيل مطلقاً

ثوران البراكين

لا يزال بركان بيلي ثائرًا يقذف الحمم من وقت الى آخر وكذلك البراكين القريبة منهُ وهاك خلاصة ما حدث فيهِ في الشهرين الاخيرين على ما كتبهُ الاستاذ نيكولس من دومينيكا

(١٧ اغسطس) كانت باخرة مارّةً على خمسة اميال منهُ فالتقت بسحابة من الرماد اظلم بها الجو وتغطى برمادها سطح الباخرة

(٢٦ اغسطس) سمع من الجبل اصوات مزعجة وصعقات شديدة وانتشرت سحب الرماد فوق الجانب الجنوبي الغربي حتى اذا بلغتها الشمس احتجبت بها كما تحتجب بجدار من الحجر

(٢٨ اغسطس) كثر وميض البرق فوق الجبل ليلاً فاستنار الجو بهِ بنور فرنفلي وفي الساعة الحادية عشرة ليلاً زاد وميض البرق وانتشر من الجبل في كل الجهات تتخللهُ كرات من النور الاحمر كانت تصعد من الجبل ثم تنفجر وتخرج النجوم منها كالسواريخ وظهرت الظواهر الكهربائية ايضاً في مكان آخر يبعد عن البركان اربعين ميلاً كانها انعكاس عما كان ظاهراً فوقهُ او قطبة اخرى كهربائية

ولا شبهة في ان ثوران بركان يلي وما جاورهُ من البراكين نتج عن بلوغ الماء جوفهُ وجوفها وليس هناك انهار ولا بحيرات يكفي ماؤُها لذلك فلا بدَّ اذاً من ان ماء البحر بلغ جوف هذه البراكين من شق حدث في طبقات الارض . وقد تغيَّر قاع البحر في تلك الجهات فزاد عمقهُ ٢٥٠٠ قدم في بعض الاماكن حتى تعذَّر اصلاح الاسلاك التلغرافية المارة في البحر لازدياد عمقهِ

(٣٠ اغسطس) علت اصوات بركان يلي بعد الظهر وزادت الصعقات في الساعة السابعة واستمرَّت الى الساعة الثانية بعد نصف الليل ثم اخذ الرماد البركاني يهطل على البلاد المجاورة بعد الساعة الخامسة واستمرَّ الى الليل التالي وثقُل على الاشجار في سنت دومينيكا حتى كسَّر اغصانها ووردت عليها الاخبار في الثالث من سبتمبر ان ثوران الثلاثين من اغسطس خرب بلدة مورن روج وقال كاهن شاهد ما حلَّ بها ان الماء الغالي والتراب الحامي انهالا عليها وعلى بلدة كاربت حتى طمراها وخرَّباها. وقالت سيدة كانت ساكنة في مورن روج ان البركان بقي يصوت النهار كلهُ وكان البرق يومض فوقهُ والرعد يلعلع فيهِ ولما خيم الليل ظهر كلهُ كشعلة من نار وجعل يقذف الماء الغالي والرماد الحامي فوقعت مقذوفاتهُ على البيوت وحرقتها وخرج الناس من بيوتهم هائمين على وجوههم فانهال عليهم الماء والرماد فانسلقوا وانحرقوا . وفي الغالب انحرق ما هو مكشوف منهم وجوههم وايديهم وصدورهم واما ثيابهم فبقيت سليمة وعلا صراخ الذين لم يقضَ عليهم حالاً طالبين الماء ولما أُتوا بهِ شربوا وقضوا نحبهم . ومات بهذا الثوران ١٥٠٠ نفس

وثار بركان السوفرير في جزيرة سنت فنسنت في ١٦ اكتوبر فاجهز عليها لانهُ اتلف اكثر ما بقي فيها من المزارع

وقد ذكرت جريدة التيمس الحوادث البركانية التي حدثت قبل ذلك من ١٠ ابريل الى اواخر سبتمبر وهاك خلاصتها

١٠ ابريل — وردت الاخبار عن حدوث حوادث بركانية في اونالاسكا

١٨ ابريل — حدثت زلزلة في غواتامالا والمكسيك وسان جوان وسان ماركو وسنتا ماريا والبلاد المجاورة . قتل بها الف نفس وجرح ثلاثة آلاف وامسى خمسون الفاً بلا ماوى

٣ مايو — ثار جبل ردوت في الاسكا

٧ « — ثار بركان سنت ڤنسنت

٨ « — ثار بركان يلي تخرب سن بير وقتل ثلاثين الف نفس

١٢ مايو — ثار بركان كوليما في المكسيك

١٣ « — حدثت زلزلة عنيفة في سنت دنيس باملاك الدنمارك في الهند الغربيَّة

١٥ مايو — ثار بركان سوكونسكو في المكسيك

١٨ مايو — حدثت زلزلة في جنوبي البرتغال

١٨ مايو — ثار بركان سنت ڤنسنت ثانيةً

٢٠ مايو — علا المدُّ تخرَّب جانباً من بلدة لاكربت في مرتنيك وجرى الوحل من بركانها فغمر مدينة باس بوانت

٢٤ مايو — عاد بركان يلي الى الثوران الشديد

٣٠ مايو — عاد السوفريير الى الثوران وزلزلت الارض معهُ زلزالاً شديداً

٣١ مايو — نفث جبل ترابوشتو ابخرة كبريتيَّة وهو في ايطاليا بين نيس وجنوى

٢ يونيو — وردت الاخبار عن ثوران بركان بلاكبرن في الاسكا

٤ يونيو — ثار بركان طيني في القوقاس فقتل كثيرين وزحلت الارض قرب بحيرة لكو في سويسرا فقتلت اثنين من العلماء

٦ يونيو — ثار بركان يلي ثوراناً شديداً

٨ يونيو — ثار بركان تاكانا في غوتيمالا وزلزلت الارض تخربت بلدان كثيرة وقتل الف نفس

١٤ يونيو — ظهر ارتفاع في سطح الارض في ولاية بنسلفانيا باميركا

١٤ مايو — ثوران شديد في بركان يلي

١٥ « — زلزلة شديدة في صقلية

١٩ « انقذف الطين من بركان يلي تخرب مدينة باس بوانت

٢٠ مايو — حدثت زلزلة عنيفة في تيرول

٢١ مايو — ثار بركان يشنشا في اكوادور

٢٤ مايو — وردت الاخبار عن ثوران بركان كيلوى في جزيرة هواي

١ يوليو — حدثت زلزلة في سلانيك مات بها كثيرون وكان فعلها شديداً في عشرين مدينة من مدن الاناضول

٧ يوليو — قذف بركان تُلسا حجارة وغازات وهو في المقاطعة الهندية باميركا

٧ يوليو — خربت الزلازل جوسن جلبسوڤا في بلاد الدولة في اوربا

٨ يوليو — ثارت براكين بحرية في كوستا ريكا فقتلت ملايين كثيرة من السمك

٩ يوليو — حدثت زلزلة عنيفة في بندر عباس

١١ يوليو — عاد الثوران الى بركان يلي

١٢ « — حدثت زلزلة عنيفة في كركاس فاضرَّت باربع مدن

٢٧ يوليو — حدثت زلزلة عنيفة في كليفورنيا باميركا امتدَّ فعلها الى ولايات كثيرة

١٣ — ١٥ اغسطس نُسفت جزيرة صغيرة في بلاد يابان سكانها ١٥٠ نفساً فاختنقوا هم ومنازلهم

٢٥ اغسطس — ثار بركان التو في ايطاليا

٢٧ اغسطس — حدثت زلزلة في جزيرة منداناو من جزائر فيلبين فقتلت ٦٠ نفساً

٣٠ اغسطس — حدثت زلزلة في فنزويلا وثار بركان يلي فقتل الفي نفس

١ سبتمبر — اشتد ثوران بركان يلي حتى فاق ثوران الثامن من شهر مايو الذي خرب مدينة سان بير

٨ سبتمبر — اخذ بركان يزوف يقذف النيران وحدثت زلزلة شديدة في بنغالا ببلاد الهند

٩ سبتمبر — تغيَّر شكل جزيرة سنت فنسنت بثوران السوفرير وثار بركان سترمبولي

١٧ سبتمبر — اشتد الثوران في براكين فيلبين

زلزلة كشغر

جاء في جرائد الهند ان زلزلة حدثت في كشغر في الثاني والعشرين من اغسطس الماضي قتل بها نحو الف نفس وارتفعت حرارة الهواء بعد ذلك وبقيت الهزات تتردد مدة اسبوع . وجاء في تلغراف روتر من سملا ان الزلزلة قتلت ٦٦٧ نفساً وجرحت الفاً غيرهم

زوبعة صقلية

ثارت زوبعة شديدة على شاطىء صقليه في ٢٦ سبتمبر مات بها كثيرون وفاض غديران في مدينة موديكا فغمرت مياههما البيوت الى الطبقة الثانية منها ونفث بركان اتنا اعمدة كثيفة من البخار من قرب المكان الذي ثار منهُ سنة ١٨٩٢

الملح للغنم

جاء في المجلة الزراعية التي تنشر في مدينة الراس ان بعض الفرنسويين جرَّبوا فعل الملح بالغنم اذا أُضيف الى طعامها فقسموا قطيعاً ثلاثة اقسام اضافوا الى علف الخروف في القسم الاول ثمانية دراهم من الملح يومياً والى

علف الخروف في القسم الثاني ستة دراهم ولم يضيفوا الملح الى علف القسم الثالث فظهر بعد حين ان الغنم التي اضيف الى علف الخروف منها ستة دراهم يومياً زاد وزنها اكثر مما زاد وزن التي لم يضف الملح الى علفها اربعة ارطال ونصف رطل وزاد وزنها ايضاً اكثر مما زاد وزن التي اطعمت تسعة دراهم وبلغت الزيادة رطلاً وربع رطل. وظهر من ذلك ان الملح المعتدل انفع من عدم الملح ومن الملح الكثير. وغزر صوف التي اطعمت ملحاً وجاد نوعهُ

صغار الممثلين

لصناعة التمثيل شأن كبير عند الاوربيين والاميركيين حتى لقد يهتمُّ ملوكهم بها كما يهتم عامتهم ويبلغ دخل الممثل او الممثلة من كبار الممثلين الوفاً من الجنيهات في الشهر او في الاسبوع ومما هو في حد الغرابة انهُ يدخل مشاهد التمثيل احياناً اطفال لم يبلغوا العاشرة من عمرهم فيجيدون ويبلغ ما يعطاهُ الواحد منهم ستين او سبعين جنيهاً في الاسبوع ويقال ان في مشاهد اوربا الآن اكثر من اثني عشر ولداً ممثلاً دخل الواحد منهم اكثر من الف جنيه في السنة . فما اشبه ذلك بصناعة التمثيل عندنا ودخل المنتظمين فيها

حديد اليابان

الحديد دعامة العمران في هذا العصر لا تفلح بلاد ليس فيها القدر الكافي منهُ . وقد علم اهالي اليابان ذلك فكان من اهم الاغراض التي رموا اليها استخراج الحديد من بلادهم بمقادير كبيرة حتى يسهل عليهم استخدام المقدار الكافي منهُ ولا يبقوا معتمدين على اوربا واميركا ولاسيما في بناء سفنهم الحربيَّة. فعينت حكومة اليابان لجنة للبحث في هذا الموضوع وعمل التجارب اللازمة لاستخراج الحديد وسبكهِ وعمل الصلب (الفولاذ) منهُ فبحثت هذه اللجنة وجرَّبت ورفعت تقريرها الى الحكومة فخصص مجلس الامَّة اربع مئة الف جنيه تنفق في اربع سنوات على انشاء المسابك لسبك الحديد وكان ذلك سنة ١٨٩٦ فانشئت المسابك والمعامل الكبيرة بهذا المال وقبل ان ينفق كلهُ خصص مجلس الامَّة لها مليوني جنيه وقد فتحت رسمياً في شهر اكتوبر الماضي وهي تشغل ارضاً مساحتها ٣٢٠ فداناً ولها منجمان من مناجم الحديد وثلاثة مناجم من مناجم الفحم الحجري وكلها على نحو ٢٠ ميلاً منها وتتصل بها بسكك حديدية . ويقال انهُ يلزم لهذه المسابك كل يوم ٢٥٠ الف طن من حجارة الحديد و ٣٥٠ الف طن من فحم الكوك و ٨٠٠ الف طن من الفحم الحجري. وقد شرعت في سبك الصلب بطريقة سمنس منذ شهر مايو الماضي وهي تسبك في اليوم الآن اربعين طناً. وقال رئيس هذه المسابك انهُ يمكن ان يسبك بها مئة الف طن من الصلب كل يوم متى عملت كلها

رش الطرق بالزيت

جرَّبت ادارة الكنس والرش في العاصمة الزيت المعدني المعروف بزيت تكساس لانهُ يغني عن رش الطرق بالماء ويمنع خروج الغبار منها فنجحت التجربة الاولى بعض النجاح والظاهر ان بلاد ايطاليا تجرب ذلك الآن في طرقها ويقال ان الزيت الذي تستعملهُ يصلّب الطرق ويمنع خروج الغبار منها وتنوذماء المطر فيها

البريد التلغرافي

جاءتنا الجرائد العلمية بوصف البريد التلغرافي الذي اشار بهِ احد الايطاليين وقال ان سرعتهُ ٢٥٠ ميلاً في الساعة فاذا هي تؤيد ما ابديناهُ من الريب في نجاحهِ وزادت جريدة السينتفك اميركان ان ارتجاف الاسلاك سيكون من اكبر العوائق في نجاحهِ . ويؤلف البريد الكهربائي من اربعة اسلاك معدنية تنصب على اعمدة كاعمدة التلغراف او الترام الكهربائي اثنين عاليين واثنين تحتهما تعلّق في العاليين مركبة صغيرة يجري عجلها على السلكين ويعلّق بها الصندوق الذي توضع رسائل البريد فيهِ وهو من معدن الالومنيوم الخفيف ولهُ عجل من اسفلهِ يجري بها على السلكين الثانيين . والمركبة تجري بالكهربائية المارَّة على السلكين العلويين وعلى سلك من السلكين اللذين تحتهما

ومخترع هذا الاسلوب اخترع اشياء اخرى لوضع الرسائل في الصناديق وهي مارَّة ولالصاق طوابع البريد بها وقد طلب الامتياز باختراعهِ في اميركا

زيت الاسكا

ابتاعت الولايات المتحدة بلاد الاسكا من روسيا وهي تحسب انها لا تجني منها نفعاً يذكر ولكن وجد فيها الذهب وقد وجدت فيها الآن زيت البترول بكثرة واحتفرت بالامس بئراً صعد منها الزيت الى ارتفاع مئتي قدم وهو جيد يساوي البرميل منهُ اربعة ريالات في ارضهِ قبل تنقيتهِ

اكبر البواخر

صنع الالمان باخرتين اخريين من اكبر ما صُنع حتى الآن الواحدة اسمها سدرك والثانية اسمها القيصر ولهلم الثاني . طول السدرك ٧٠٠ قدم ومحمولها ٣٨٥٠٠ طن وطول القيصر ولهلم الثاني ٧٠٦ ½ قدم ومحمولها ٢٦٠٠٠ طن فقط ولكن آلاتها البخارية بقوة اربعين الف حصان لكي تكون اسرع كل البواخر الكبيرة فان سرعتها المقررة في شروط عملها ٢٣ ميلاً بحرياً في الساعة على الاقل ولكن ينتظر ان تبلغ ٢٤ ميلاً وهي تسع ٧٧٥ راكباً في الدرجة الاولى و٣٤٣ راكباً في الدرجة الثانية و ٧٧٠ راكباً في الدرجة الثالثة والجملة ١٨٨٨ راكباً واذا اضفنا اليهم البحارة ونحوهم بلغ عدد من تسعهم ٢٤٤١ نفساً

فهرس الجزء الحادي عشر من المجلد السابع والعشرين



مجلة علمية صناعية زراعية

لمنشئيها

الدكتور يعقوب صرّوف والدكتور فارس نمر

AL-MUKTATAF

A MONTHLY ARABIC SCIENTIFIC REVIEW

EDITED BY DR. Y. SARRUF

VOL. LXX. No 5

FOUNDED 1876 BY DRS. Y. ṢARRUF & F. NIMR

المقتطف

الجزء الثاني عشر من المجلد السابع والعشرين

١ ديسمبر (كانون الاول) سنة ١٩٠٢ — الموافق ١ رمضان سنة ١٣٢٠

المتحف المصري

المتاحف قديمة العهد منشأها هذا القطر اولها متحف الاسكندرية الذي أُنشئ سنة ٢٨٠ قبل المسيح وكان خزانة للكتب ومنتدًى للعلماء . واقتبسها الاوربيون من المصريين وجعلوها دورًا للعاديات والصور والتماثيل ثم توسعوا فيها فجعلوا بعضها للمصنوعات على اختلاف انواعها وبعضها للحيوانات او للنباتات او الجمادات

ولما كثر اكتشاف الآثار المصرية في عهد سعيد باشا اذن للشهير ماريت سنة ١٨٥٨ ان يستعمل دار الصنعة القديمة في بولاق متحفًا لها او مخزنًا تخزن فيهِ . وكانت تلك الدار ضيقة لا تزيد مساحتها ومساحة الحديقة التي امامها على خمسة آلاف متر مربع فاضطر مريت ان يبقي كثيرًا من الآثار التي اكتشفها في اماكنها لضيق الدار . ثم ان الآثار التي نقلها اليها كانت في خطر دائم من ارتفاع النيل وجرفهِ اياها مع البناء الذي هي فيهِ . واخيرًا قرَّ القرار على نقلها الى دار ارحب وآمن فنقلت الى قصر الجيزة

وذلك القصر كبير جدًّا كما لا يخفى ولكن رجال البحث والتنقيب زادوا عددًا فكثرت المكتشفات حتى ضاق بها فلذلك ولبعدهِ عن العاصمة ولأن في جدرانهِ وسقفهِ كثيرًا من الخشب فيخشى من احتراقهِ دوامًا قرَّ قرار الحكومة المصرية بعد بحث طويل على بناء متحف خاص في المكان الذي بني فيهِ قرب قصر النيل واقترحت على راسمي الابنية ان يرسموا لها بناء وافيًا بالغرض وعينت الف جنيه تعطيها جوائز للرسوم الخمسة الفضلى واشترطت ان لا تزيد نفقات البناء على مئة وعشرين الف جنيه مصري

فتبارى الرسامون في هذا المضمار وعرضت الحكومة ٨٤ رسمًا من رسومهم سنة ١٨٩٥

واختارت خمسة منها اعطت اصحابها الجوائز واخيرًا اختارت رسمًا من هذه الخمسة وهو رسم المسيو دورنيون الباريسي ثم طلبت منهُ ان يرسم لها رسمًا آخر ينطبق على ما طلبهُ المسيو ده مورغان الذي كان مدير المتحف حينئذٍ . والذين شاهدوا تلك الرسوم البديعة وشاهدوا المتحف في حالتهِ الحاضرة ورأوا المباني المصرية القديمة وحجارتها الصلبة يقولون معنا انهُ لو عينت الحكومة المصرية الجوائز لمن يرسم لها ابعد الرسوم عن جمال البناء واقربها الى التلف المستمر لنال الجائزة الاولى الرسم الذي جرت عليهِ . وعذر المدافعين عنها انها لو جعلت البناء اجمل من الآثار التي توضع فيهِ لبانت قبيحة بالنسبة اليهِ

وعُرض بناء المعرض على المقاولين فرضي المقاولان الايطاليان غارسُّو وزفراني ان يبنياهُ بثلاثة وتسعين الفًا وخمس مئة جنيه وجنيهين ويتماهُ في مئة وعشرين شهرًا فانيط بهما ذلك وشرعا في البناء في اوائل سنة ١٨٩٧ فلم يتماهُ الَّا في اربع سنوات وثمانية اشهر وبلغت نفقاتهُ ١٨٩٢٢٠ جنيهًا

وفي الخامس عشر من شهر نوفمبر احتُفل بافتتاحهِ رسميًّا بحضور الجناب الخديوي وحضرات نظار حكومتهِ ووكلاء النظارات ومختار باشا الغازي ووكلاء الدول واللورد كتشنر وسردار الجيش المصري وجمهور كبير من وجهاء العاصمة الوطنيين والاجانب ووقف سعادة فخري باشا ناظر الاشغال العمومية بين يدي الجناب الخديوي امام باب المتحف وتلا مقالة وجيزة باللغة الفرنسوية وهذه ترجمتها نقلاً عن الجريدة الرسمية

مولاي في اول ابريل من عام ١٨٩٧ تفضل جنابكم الفخيم فوضعتم بيمينكم الكريمة الحجر الاول من دار الآثار المصرية وفي يومنا هذا اقدم لمقامكم السامي بمزيد الابتهاج هذه العمارة وقد كمل بناؤها وترتيب اوضاعها

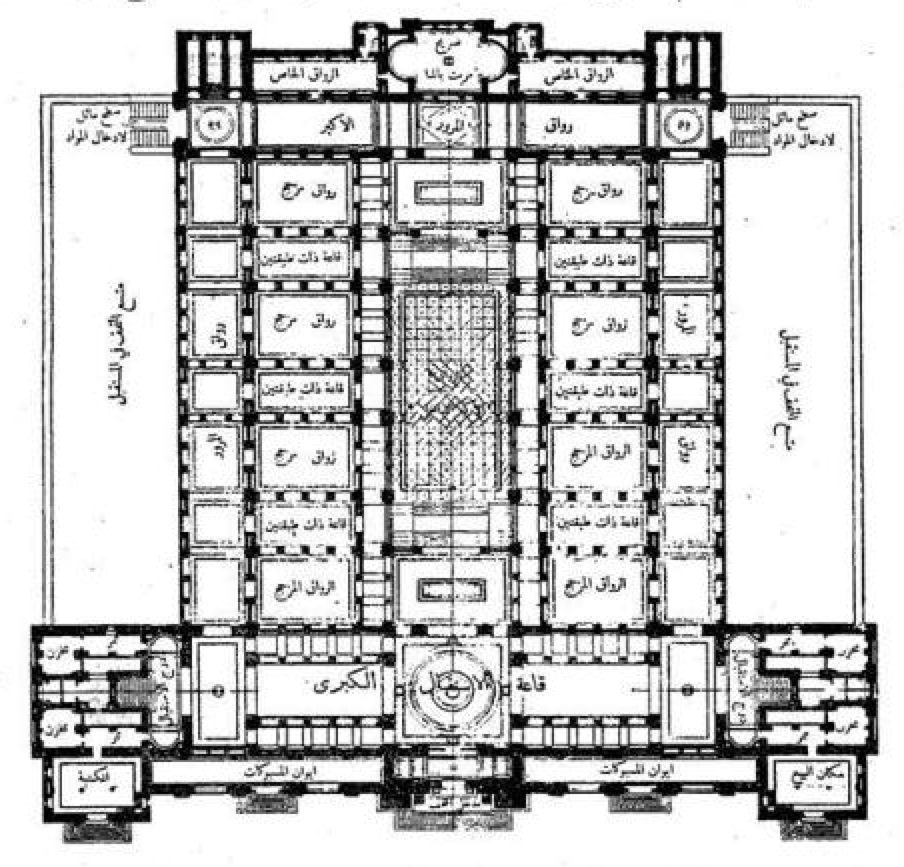
ولقد بذل المهندسون بنظارة الاشغال وعمال دار الآثار منتهى العناية والاهتمام فكان تشييد البنيان وتنسيق الآثار على غاية ما يرام

مولاي ان ارض مصر المباركة تدر على اهلها الخير الوفير بمحصولاتها العديمة النظير جزاء لهم على حسن قيامهم بخدمتها وفوق ذلك ففي احشائها كنوز اخرى تنفتح مغالقها وتتجلى غوامضها امام العلماء الصابرين الذين يوالون البحث عليها ويواظبون في التنقيب عنها حتى اذا تكشفت لهم غوامضها ابرزوها على رؤُوس الاشهاد لتكون عجبًا باقيًا للناس وعبرة للعالمين

هذه الكنوز الثمينة التي تدلنا على تفنن الاقدمين في الصنائع والمعارف وتخبرنا بحضارتهم الزاهرة على ضفاف النيل في الزمان العتيق قد اصبحت اليوم في هذه الدار وهي في امان من

الضياع والدمار بل في حرز حريز يليق بقيمتها العالية فكيف لا تتباهى مصر وقد صار في وسعها ان تجلو امام ابصار العلماء والمتفننين والسائحين والمولعين بطرائف الاقدمين ما حوتهُ عاصمتها المحروسة في هذه الدار من بدائع المجاميع وعجائب الآثار

فتكرم يا وليَّ النعم بافتتاح دار الآثار المصرية وشرفها بزيارة تكون لها طالع يمن واقبال



فيزداد بهمة مديرها العلامة ماسبرو ما فيها من التحائف والطرائف وتنتشر سمعتها وشهرتها في الخافقين

فتلا الجناب العالي جواب ذلك بالفرنسوية وهذه ترجمتهُ نقلاً عن الجريدة الرسمية ايضاً

يا سعادة الناظر . أفتح دار التحف المصرية الجديدة بصدر ملؤُهُ الانشراح وهي التي سبق ان وضعت اول حجر من اساسها

واشكر لسعادتكم ولكبار الموظفين الذين اشتركوا معكم في العمل مسعاكم الذي اقترن بالنجاح في اتمام هذا البناء الفخيم وكذلك أُقدّم شكراني للمسيو ماسبرو مدير مصلحة الآثار ورئيسها الجليل الذي اعتقد انهُ تمكن هو واعوانهُ العلماء من تنسيق هذه الآثار النفائس واخراجها للناس في اكمل نظامٍ وهي مما تركت لنا تلك الامة التي استحقت ان تعدَّ من امهات الحضارة في العالم

وان مصر لتذكر الجميل لجماعة المشتغلين بآثارها القديمة من رجال العلم أخص بالذكر منهم المأسوف عليهِ مريت باشا وتعترف لهم باليد الطولى في اجتماع هذه الكنوز التي تزداد ظهورًا وكثرة على الايام

فاليوم اراني سعيدًا وفخورًا ان افتح ابواب الهيكل الذي يضم هذه الكنوز والذي اقيم ليذكر الناس عصرًا كبيرًا ألا وهو ماضي بلادي

ثم فتحت ابواب المتحف فدخلهُ الجناب الخديوي وبين يديهِ المسيو ماسبرو يشرح لهُ ما يرى ووراءهُ جمهور المدعوين وطاف في اقسام المتحف المختلفة الى ان اتى على آخرهِ وكان هناك مائدة عليها صور المتحف من الخارج ورسم بنائهِ وزعت على المدعوين وعنهما نقلنا الرسم الذي في هذه المقالة والرسم الذي صدرنا هذا الجزء بهِ . واقيم شرقي المتحف سرادق فخيم فيهِ انواع المرطبات فدخلهُ الجناب الخديوي وتلاهُ جمهور المدعوين واعاد شكرهُ لسعادة فخري باشا وللسر وليم غارستن وكيل الاشغال وللمسيو ماسبرو

ومساحة الارض المختصة بالمتحف ٣٠٦٢٥ مترًا مربعًا . وفي طبقتيهِ ما مساحتهُ ١٥٠٥٠ مترًا مربعًا لوضع الآثار ولم يكن في قصر الجيزة سوى ٩٧٠٠ متر مربع ويمكن ان يوسع بناء المتحف باضافة جناحين اليهِ كما ترى في الرسم . اما شكلهُ الظاهر فيرى من الصورة التي في صدر هذا الجزء وهو مبنيٌّ بالحجر الابيض ومطليٌّ اسفلهُ بالسمنت واعلاهُ بالجير والجبس وداخلهُ مطليٌّ كلهُ بالجبس وفي واجهتهِ صفائح من الرخام كتبت عليها اسماء علماء الآثار المصرية باللغة اللاتينية . وحبذا لو بُنيت جدرانهُ بالحجر النحيت الذي لا يتفتت وجعلت عمدهُ من المرمر او الرخام حتى يضارع ما فيهِ من الآثار وحتى لا يقال ان ابناء القرن العشرين بعد المسيح عجزوا عمَّا استطاعهُ ابناء القرن العشرين قبلهُ . وعسى ان تتم هذه الامنية عند بناء الجناحين فيجعل ظاهرهما من الحجر النحيت وتقام امام الواجهة واجهة اخرى على عمد رفيعة من المرمر تليق بفخامة المتحف وما فيهِ من التحف

كلية غوردون

واذا نظرت الى البلاد رأيتها تشقى كما تشقى العباد وتسعدُ

وما اصدق هذا القول على السودان فقد عهدناهُ منذ سنوات قليلة مرتعاً للجور والظلم ومرسحاً للاستبداد وسفك الدماء اسدلت حجب الغباوة على اهلهِ واذيقوا مرارة التعاسة والشقاء حتى لم يبقَ في تلك البلاد الواسعة الأرجاء اثر للعدل والعمران وحتى بات الناس يضربون المثل بتوحش حكامها واستبدادهم الفظيع ويتوجعون لبضعة ملايين من اخوانهم باتوا تحت رحمة العتاة الظلام من اولياء الامر فيهم ويتمنون لو يقوم من السودانيين من ينقذهم من قبضة يدهم ويريحهم من شرهم ويمهد للبلاد سبيل التمدن والعمران فتنفتح ابوابها للتجارة وتنشط فيها الزراعة من السبات العميق الذي أُلقي عليها

وكأن الرجل الذي قاد الجيوش المصرية والجنود الانكليزية الى مواقع النصر ومواطن الظفر لم يكفهِ محو سلطة الدراويش وثل عرش التعايشي بل رأى بعين بصيرتهِ النقادة ان هذا الفتح سيحل السودانيين من قيودهم فيطلبون الارتقاء والتقدم بحكم السنن الطبيعية فاستنجد ذوي الفضل والسخاء من بين امتهِ وطلب اليهم ان يسعفوا السودانيين فيوافوه بما تجود بهِ ايديهم من المال لانشاء مدرسة كلية في الخرطوم تذكاراً للبطل غردون الذي بذل حياتهُ في الدفاع عن تلك المدينة فبادر القوم الى اجابة ندائهِ وبعد زمان قصير زاد ما تبرع بهِ الفضلاء لهذا الغاية عمّا طلبهُ مبتكر المشروع فوضع اساس المدرسة وابتدأ العمل فيها بهمة وجدّ ثم دُعي الى جنوب افريقية فكلف سعادة حاكم السودان العام ان يتولى ادارة العمل بالنيابة عنهُ فافرغ جهد المستطاع في اتمام البناء على الوجه المطلوب

وقد احتفل بفتح هذه المدرسة في ٨ نوفمبر الماضي احتفالاً باهرًا قصدهُ اللورد كتشنر في طريقهِ الى الهند فزين بناؤها اجمل زينة واصطفت فرقة من الجنود على رصيفها لتأدية السلام العسكري حتى اذا ما وصل اللورد كتشنر حيتهُ فمشى بين صفين من الطلبة ولمّا استقرّ بهِ المقام انبرى سعادة السر ريجنلد ونجت باشا سردار الجيش المصري وحاكم السودان العام فرحب بهِ باسم الجيش الانكليزي والمصري في السودان ورجال الحكومة السودانية وعلماء البلاد ومشايخها واعيانها واشار الى غيبتهِ في جنوب افريقية وما لقيهُ من الفوز في انجاز الحرب فيها واعرب عن فرح الجميع برؤيتهِ من الجنود التي تولّى قيادتهم الى الاهلين الذين يذكرونهُ طول عمرهم كمنقذهم من قبضة الخليفة وكاول حاكم بريطاني للسودان بعد ذلك البطل غوردون باشا الذي

بذل جهده في المحافظة على سطوة الحكومة المصرية وباع حياته في الدفاع عنها منذ ١٨ سنة الى ان قال " وقد ارتأيتم ان تخلدوا ذكر اعماله المجيدة في السودان بانشاء مدرسة كلية تدعى باسمهِ ولا اتولّى الكلام عمَّا جرى بعد ان اعلنتم رغبتكم هذه وحسبي ان اقول ان نداءكم اجيب بسرعة غريبة فانهالت العطايا من كل حدب وصوب وفي زمن قصير جُمع مبلغ طائل من المال وكان اكثره من بريطانيا العظمى وبعضهُ من كندا واوستراليا وزيلاندا الجديدة ومستعمرة الراس والولايات المتحدة والهند ومصر . ولما انتقلت الملكة فكتوريا الى رحمة ربها اتخذ جلالة الملك المدرسة تحت رعايتهِ اقتداءً بوالدتهِ وقد قال اللورد سالسبري في كلام لهُ عن هذه المدرسة "ان الخاطر الذي خطر لكم واجب وجبهُ علينا نموّ الامبراطورية واتساع ارجائها وان من اشرف الاعمال ازالة الموانع الجنسيَّة لتأييد الاشتراك العقلي بين الامم وتسهيل ترقية البشر" وقبل ان دعيتم الى جنوب افريقية كان العمل قد ابتدأ في البناء ونجز قسم منهُ فالقي على عاتقي القيام باتمامهِ على الوجه الذي ارتأيتموهُ فاقتضت الحال احداث تعديل طفيف في البناء وسأترك لكم الحكم فيما اذا كنَّا قد احسنَّا القيام برغبتكم وحققنا املكم والاستعداد جارٍ لاستقبال المعمل البكتيريولوجي والتحليلي الذي تكرَّم بهِ المستر ولكم والعمل جارٍ في تشييد بناء خاص بالجهاز الذي اهداهُ الكريم السر وليم ماذر لتعليم الصناعات والاشغال اليدويَّة وسيتولّى المستر كري مدير المدرسة الكلام في هذه الشؤون مفصلاً لكنني اغتنم الفرصة للاشارة الى المساعدة التي بذلتها لنا نظارة المعارف العموميَّة المصريَّة ومن موجبات سروري ان السكرتير العامّ للنظارة المشار اليها موجود بيننا اليوم وفي الختام اقول انني ما دمت حاكم السودان العامّ فسأبذل الجهد في انجاح هذه المدرسة التي سيكون لها نفع جليل في تقدم البلاد وارتقائها

وعقبهُ المستر كري مدير المدرسة فقرأ كتاباً من السر وليم ماذر الى اللورد كرومر اعرب فيهِ عن الغاية التي يطلبها في اهدائهِ هديتهُ النفيسة وهذه الهديةُ مؤلفة من جهازات كاملة من قزانات وآلات بخارية وكربائية وطلمبات لرفع الماء من النيل الى المدرسة وادوات للشغل في الخشب والمعادن ورسوم خاصة بهذه الآلات وكيفيَّة تركيبها ووضعها . وممَّا جاء في هذا الكتاب قولهُ " امَّا الغرض من انشاء هذا القسم الصناعي فهو تسهيل التعليم لابناء السودان فيقرنون العلم العقلي الذي يتلقونهُ في غرف الدرس بالعلم العملي اذ من المعلوم والمتفق عليهِ ان الصغار سريعو التعلُّم جيدو الحفظ فاذا اهتموا بما يشغل ايديهم وعيونهم واذهانهم باستعمال الآلات والادوات والعمل في الموادّ المختلفة تمكنت فيهم دقة النظر والاعتناء والاستنتاج العقلي الصحيح ممَّا يؤول الى ترقية قواهم المولّدة فيصل الاثر المطلوب الى العقل عن طريق

الحواس ومن الواجب ان تكون الطبيعة ودرسها خير الوسائل الفعّالة في تعليم الامم السريعة التأثر من المظاهر الخارجيَّة كالامتين المصرية والسودانية فاذا تمثَّلت النواميس الطبيعية للطلبة في الاشباح والاشياء المحسوسة في معامل المدرسة اصبحت هذه النواميس مألوفة لديهم. ثم ان التعليم العملي الذي يشغل العين واليد والفكر ما بين رسم باليد او بالآلات ونقل تلك الرسوم الى المعادن والاخشاب وتمثيلها فيها واستعمال الادوات المختلفة تدريجاً على اسلوب الارتقاء العقلي لمن الامور التي تعوّد الطالب على التعليل العلمي الصحيح دون ان يتكلف مشقة او عناء فان الاعمال اليدوية تمرّن اليدين وتكسبهما اللباقة فضلاً عن انها تجلو العقل وتلذّ الحواس فتكون النتيجة التعليم في اوسع معانيهِ وارفعها اذ تشتدُّ قوّتا الملاحظة والتعليل ويتسع الفهم والادراك اتساعاً يمكن الانتفاع بهِ في جميع الاعمال أضف الى ذلك ان الطلبة يتخلصون من السآمة والضجر اللذين يلازمان التدريس العاديّ فان الاوَّل ينمي العقل والثاني يملأه والفرق بين الاثنين جليٌّ واضح " . . . .

وقد قال المستر كري ان في الخرطوم وام درمان مدرستين ابتدائيتين ومدرسة ثالثة لاعداد المعلمين من الوطنيين وان عدد الطلبة في المدارس الثلاث ٤٥٠ وان في حلفا وسواكن مدرستين اخريين ومدرسة صغيرة في بربر وانهم ينوون فتح مدرسة اخرى في دنقله في اول السنة القادمة. ثم اشار الى رغبة الاهلين في تعليم اولادهم واقبالهم على هذه المدارس وتنشيطهم رجال الحكومة وان العلماء منهم يشدون ازرها . وتلاهُ سر تجار الخرطوم ونظار مدارس ام درمان والخرطوم وبربر . ولمَّا فرغوا وقف اللورد كتشنر فشكر سعادة السردار على ترحيبهِ بهِ بالاصالة عن نفسهِ وبالنيابة عن اصدقائهِ في السودان واشار الى ما لقي من الحفاوة والاكرام من جميع الذين عرفوهُ ابَّان وجودهِ في الجيش المصري الى ان قال مخاطباً الحاكم العام

" لمَّا دعيت الى جنوب افريقية ابقيت لسعادتكم الاهتمام بهذا المشروع الذي يمهد للسودانيين سبيل تلقي العلوم العالية وقد سررت سروراً فائقاً اذ وجدت لدى عودتي ان اقصى الهمَّة بُذِل في سبيل نيل تلك الغاية ودهشت اذ شاهدت ما تمَّ من البناء واني اوافق المستر كري على ما قالهُ من ان هذا المشروع لا يكمل على الوجه المطلوب الاَّ بعد مدَّة طويلة لكنني اعترف انني لم احلم بمثل هذه السرعة في العمل واثق انهُ اذا ظلت الهمة مبذولة على هذا المنوال في ادارة كلية غوردون فنجاحها سيكون كالذي قدرتهُ لها او يفوقهُ وقد اتضح لنا ان اهل السودان راغبون في تعليم اولادهم وانهم مجمعون على استحسان الخطة التي وضعناها لبلوغ هذه الغاية في المستقبل وانهم مستعدون لبذل ما في وسعهم في موآزرتنا وقد استفدنا من اختبارنا في المدارس

الابتدائية السودانية ان الطلبة قابلون التعليم فقد اتصل بي ان هذه المدارس على حداثة عهدها تضارع مدارس مصر الابتدائية فلم يعد في وسعنا سوى الاعتراف ان ليس هناك ما يمنع نموَّ التعليم وارتقاءه في السودان وانهُ لا ينقصنا الفتيان المشتاقون الى تحصيلهِ . ويسرّني ان ارى على وجوه الطلبة الذين بيننا من امارات النجابة ما يدفعنا الى الثقة بان لدينا ارضاً خصبة يعود العمل فيها بالاقبال على البلاد فتصبح مركزاً للتمدن بعد ان كانت كما تعلمون جميعاً لكنني لا ازال اقول ما قلتهُ آنفاً من أن هذه الآمال لا تحقق الاّ بعد زمان طويل . وقد كان الغرض من تسمية هذا الصرح التذكاري مدرسة كليةً اقامة معلَم يكون في المستقبل بمثابة النواة للتعليم الثانوي والعالي والصناعي في السودان فيتخرج فيهِ شبان فيهم الكفاءة لتولي المناصب التي تحتاج الى امثالهم الآن في بلادهم وسانتظر بملء الصبر والسرور تلك النتيجة العظيمة التي تنتجها هذه المدرسة واستحسن في الوقت عينهِ ان ينفق ريع مال الكلية على نشر التعليم الابتدائي في انحاء السودان ولي امل كبير (كما قال المستر كري) انني متى انقضت مدة خدمتي في الهند وهي خمس سنوات اعود الى الخرطوم فارى الكلية سائرة على الخطة التي وُضعت لها وليس انتظار خمس سنوات او عشر بالانتظار الطويل اذا قضيت هذه السنوات بجدٍ وهمة في انجاح مشروع يؤول الى تنوير امة باسرها وتحسين آداب جنس . واني ارى بعين الامل مئتي طالب في هذه المدرسة وفرقة من المعلمين الانكليز الاكفاء يعيشون معهم بالوفاق والوئام فيهذبونهم ويدربونهم وينيرون عقولهم حتى تنمو آدابهم ويصبحوا قادرين على تولي المهام في الجيش والخدمة الملكية والاعمال الصناعية. نعم ان مال المدرسة البالغ مئة الف جنيه لا يؤدي ريعاً يكفي للقيام بنفقات التعليم الثانوي في المستقبل ولكنني واثق ان سعادة الحاكم العام بصفتهِ رئيساً للمدرسة وكونهِ غير مقيد بشيء من القيود في ادارتها يستطيع ان يدخل من التحوير والتبديل ما تقتضيهِ الحال حتى تظل المدرسة قادرة على القيام بما يُطلَب منها . ومتى اخذت تسير في خطتها فلا ريب في زيادة مالها بما تمنحها الحكومة وما يأتيها من اجور التعليم بحيث تستطيع ان تماشي البلاد في تقدمها وارتقائها . ثم اثنى على جميع الذين اسعفوا المدرسة بهباتهم وخصَّ منهم السر وليم ماذر والمستر ولكم وقال ان الكلية ينقصها كثير من المعدَّات وانها تقبل ما يأتيها من الهبات بسرور وشكر اللورد كرومر والسردار على ما بذلاهُ من الهمة في تحقيق آمالهِ وعدهما شريكين لهُ في العمل وبعد ان دعا للمدرسة بالنجاح اعلن فتحها رسمياً

وسيكون فتح هذه الكلية في الخرطوم فاتحة عصر جديد للسودان فتبزغ فيهِ شمس المعارف والعلم وترسل انوارها فتبدد غياهب الجهل وتعد شبان السودان ليكونوا رجالهُ في المستقبل

ارسطوطاليس والمتنبي

للحاتمي

قال الامام ابو علي محمد بن الحسن بن المظفر الكاتب اللغوي المعروف بالحاتمي لما رأيت ابا الطيب احمد بن الحسين ابن الحسن الشاعر اللغوي المعروف بالمتنبي قد اتى في شعرهِ على اغراض فلسفية ومعاني منطقية اردت الموافقة بين ما توارد بهِ في شعرهِ مع ارسطو في حكمهِ لانهُ ان كان ذلك عن فحص ونظر فقد اغرق في درس العلوم . وان يكن ذلك منهُ على سبيل الاتفاق فقد زاد على الفلاسفة في ذلك . وهو في الحالين على غاية الفضل . وقد اوردت من جملهِ ما يستدل بها على فضلهِ

ارسطو — اذا كانت الشهوة فوق القدرة كان هلاك النفس دون بلوغها

المتنبي — واذا كانت النفوس كبارًا تعبت في مرادها الاجسامُ

ارسطو — روم نقل الطباع من ذوي الاطماع شديد الامتناع

المتنبي — يُراد من القلب نسيانكم وتأبى الطباعُ على الناقلِ

ارسطو — نفوس الحيوان اغراض لحوادث الزمان

المتنبي — اذا اعتاد الفتى خوض المنايا فاهونُ ما يمرُّ بهِ الوحولُ

ارسطو — اذا تجردت اللطائف من الشكوك اكتسبت الصورة رونقًا

المتنبي — اذا خلعتُ على عِرضٍ لهُ حُللاً وجدتها انت في أبهى من الحللِ

ارسطو — الالفاظ المنطقية مضرة بذوي الجهل لنبو احسامهم عن دركها

المتنبي — بذي الغباوةِ من انشادِها ضررٌ كما تضرُّ رياحُ الوردِ بالجُعَلِ

ارسطو — تعاقب ايام الزمان . مفسدة لاحوال الحيوان

المتنبي — فما ترجّي النفوس من زمن احمد حاليهِ غير محمودِ

ارسطو — الزمان ينشئ ويلاشي . ففناء كل قوم سبب لكون قوم آخرين

المتنبي — بذا قضتِ الايّامُ مابينَ اهلها مَصائبُ قومٍ عندَ قومٍ فوائدُ

ارسطو — يسيرٌ من ضياء الحس خير من كثير من درس الحكمة

المتنبي — فانَّ قليلَ الحُبِّ بالعقلِ صالحٌ وانَّ كثيرَ الحُبِّ بالجهلِ فاسدُ

ارسطو — من علم ان الكون والفساد يتعاقبان الاشياء لم يحزن لورود الفجائع لعلمهِ انهُ من كونها وهان ذلك عليهِ لعجز الكل عن دفع ذلك

المتنبي اذا استقبلت نفس الكريم مصابها بخبثٍ ثنت فاستدبرتهُ بطيبِ

ارسطو — النفوس المتجوهرة تأبى مقارنة الذلة وترى فناها في ذلك حياتها والنفس الدنية بالضد من ذلك

المتنبي يحبُّ الجبان النفسَ اوردهُ البقا وحب الشجاع الذكر اوردهُ الحربا

ارسطو — ترك حركات الفلك تحيل الكائنات على جهاتها

المتنبي ومن صحب الدنيا طويلاً تقلبت على عينهِ حتى يرى صدقها كذبا

ارسطو — باعتدال الامزجة وتساوي الاحساس يفرق بين الاشياء واضدادها

المتنبي وما انتفاع اخي الدنيا بناظرهِ اذا استوت عندهُ الانوار والظلمُ

ارسطو — من لم يردك لنفسهِ فهو النائي عنك وان تباعدت انت عنهُ

المتنبي اذا ترحلتَ عن قوم وقد قدروا أن لا تفارقهم فالراحلون همُ

ارسطو — من علم ان الفناء مستولٍ على كونهِ هانت عليهِ المصايب

المتنبي والهجرُ أقتلُ لي مما أراقبهُ انا الغريقُ فماخوفي من البللِ

ارسطو — العيان شاهد لنفسهِ والاخبار يدخل عليها الزيادة والنقصان فاولى ما أُخذ ما دل على نفسهِ بالنظر

المتنبي خذ ما تراهُ ودع شيئاً سمعت بهِ في طلعة البدر ما يغنيك عن زحلِ

ارسطو — قد يفسد العضو لصلاح الاعضاء كالكي والفصد اللذين يفسدان الاعضاء

المتنبي لعل عتبك محمودٌ عواقبهُ وربما صحت الاجسامُ بالعللِ

ارسطو — مباينة المتكلف المطبوع كمباينة الحق الباطل

المتنبي لانَّ حلمك حلمٌ لا تكلفهُ ليس التكحل بالعينين كالكحلِ

ارسطو — الرجاء تمنٍ والشك توقُّف وهما الامل

المتنبي واحلى الهوى ماشك في الوصل ربهُ وفي الهجر فهو الدهرَ يرجو ويتقي

ارسطو — علل الافهام اشد من علل الاجسام

المتنبي يهون علينا ان تصاب جسومنا وتسلم اعراضٌ لنا وعقولُ

ارسطو — من تخلى عن الظلم بظاهر أمرهِ وعفت جوارحهُ وكان مساكناً بحواسهِ فهو ظالم

المتنبي واطراقُ طرفِ العين ليس بنافعٍ اذا كان طرفُ القلب ليس بمطرقِ

ارسطو — من يجعل الفكر في موضع البديهة فقد اضرّ بخاطرهِ وكذلك من جعل البديهة موضع الفكر

المتنبي ووضع الندى في موضع السيف بالعلى مضرٌّ كوضع السيف في موضع الندى

ارسطو — مباعدة الجواهر ابعد من التنائي بمباعدة الاجسام

المتنبي واتعب من ناداك من لا تجيبهُ واغيظ من عاداك من لا يشاكلُ

ارسطو — اذا لم تنصرف عن النفس شهواتها ومرادها فحياتها موت ووجودها عدم

المتنبي ذلَّ ما يغبطُ الذليل بعيشٍ ربَّ عيشٍ اخف منهُ الحمامُ

ارسطو — الفرق بين الحلم والعجز ان الحلم لا يكون الاَّ عن قدرة والعجز لا يكون الاَّ عن ضعف فليس للعاجز ان يتسمى باسم الحليم وهو عاجز

المتنبي كل حلمٍ اتى بغير اقتدارٍ حجةٌ لاجىءٌ اليها اللئامُ

ارسطو — النفس الذليلة لا تجد الم الهوان والنفس الكريمة ترى الاشياء بطبعها

المتنبي من يهن يسهل الهوان عليهِ ما لجرحٍ بميتٍ ايلامُ

ارسطو — الجاهل لا يحلو عندهُ طعم العلم بل يجد لهُ ثقلا كما يثقل على المريض الادوية النافعة ويحلو لهُ في فمهِ غير طعمها

المتنبي ومن يكُ ذا فمٍ مرّ مريضٍ يجد مرًّا بهِ الماء الزلالا

ارسطو — ليس جمال ظاهر الانسان مما يستدل بهِ على حسن فعلهِ وفضلهِ

المتنبي لا يعجبنَّ مصوناً حسنُ بزّتهِ وهل يروقُ دفيناً جودةُ الكفنِ

ارسطو — اقرب القرب مودات القلوب وان تباعدت الاجسام وابعد البعد تنافر القلوب وان تقربت الاجسام

المتنبي وابعد بُعدنا بُعد التداني واقرب قربنا قرب البعادِ

ارسطو — اذا كان البناء على غير قواعد كان الفساد اقرب اليهِ من الصلاح

المتنبي فانَّ الجرح ينفسد بعد حينٍ اذا كان البناء على فسادِ

ارسطو — لا يجد لذة الحياة من لا يجد لشهوتهِ دراكاً ولا لامرٍ دراكهِ تصرفاً

المتنبي من لا توافقهُ الحياة وطيبها حتى يوافق عزمهُ الانفاذا

ارسطو — من نظر بعين العقل ورأى عواقب الامور قبل مواردها لم يجزع لحلولها

المتنبي عرفت الليالي قبل ما صنعت بنا فلما دهتني لم تزدني بها علما

ارسطو — لحوق البغية صعب واعجز العجز مَن لم يعن عزمةُ في طلب الغاية

المتنبي اذا قل عزمي عن هوى خوف بعده فما بعد شيء ممكن يجد العزما

ارسطو — لا برح الفضل بترك الذم ثم التناهي في المدح

المتنبي ومني استعار الناس كل غريبة فجازوا بترك الذم ان لم يكن حمدُ

ارسطو — من قصر عن اخذ لذاته عدمها وعدم صحة جسمهِ

المتنبي دع النفس تأخذ وسعها قبل بينها فمفترق جاران دارهما العمرُ

ارسطو — من لم يرفع قدرهُ عن قدر الجاهل رفع الجاهل قدرهُ عليهِ

المتنبي اذا الفضل لم يرفعك عن شكر ناقص على هبة فالفضل في من لهُ الشكرُ

ارسطو — من افنى مدتهُ في جمع المال خوف العُدْم (الفقر) فقد اسلم نفسهُ الى العُدْم

المتنبي ومن ينفق الساعات في جمع مالهِ مخافة فقر فالذي فعل الفقرُ

ارسطو — الذي لا يعلم بعلتهِ لا يصل الى برئهِ

المتنبي ومن جاهل بي وهو يجهل جهلهُ ويجهلُ علمي انهُ بي جاهلُ

ارسطو — حلول الفناء في عظيم الامور كحلولهِ في صغيرها

المتنبي فطعم الموت في امرٍ حقيرٍ كطعم الموت في امرٍ عظيمِ

ارسطو — قبيح بذي الجودة ان يفارقهُ الجود لانهما اذا اعتدلا كانا كشيء واحد ويحق بهما اسمان

المتنبي والغنى في يد اللئيم قبيح قدر قبح الكريم في الاملاقِ

ارسطو — العاقل لا يساكن شهوة الطبع لعلمهِ بزوالها والجاهل يظن انها باقية وهو باقٍ فذاك يشقى بعقلهِ وهذا ينعم بجهلهِ

المتنبي ذو العقل يشقى في النعيم بعقلهِ واخو الجهالة بالشقاوة ينعمُ

ارسطو — بالصبر على مضض الرئاسة تنال شرف النفاسة

المتنبي لا يسلم الشرف الرفيع من الاذى حتى يراق على جوانبهِ الدمُ

ارسطو — ان الحكيم تريهِ الحكمة ان فوق علمهِ علماً فهو يتواضع لتلك الزيادة والجاهل يظن انهُ قد تناهى فيسقط بجهلهِ وتمقتهُ النفوس

المتنبي وما التيه طبي فيهم غير انني بغيضٌ اليَّ الجاهل المتعاقلُ

ارسطو — وقد رأى غلاماً حسن الوجه فاستنطقهُ فلم يجد عندهُ علماً فقال نِعمَ البيت لو كان فيهِ ساكن

المتنبي وما الحسن في وجه الفتى شرفاً لهُ اذا لم يكن في فعلهِ والخلائقِ

ارسطو — اذا تجوهرت النفس الفلسفيَّة لحقت بالعالم العلوي فلا تسكن الى الهمم الترابية

المتنبي ولذيذ الحياة اوقع في النفس واشهى من ان تُملَّ واحلى

ارسطو — الكلال والملال يتعاقبان الاجسام لضعف الجسم لا لضعف آلة الحس

المتنبي واذا الشيخ قال افٍ فما ملَّ حياةً ولكن الضعف ملاَّ

ارسطو — الدنيا تطعم اولادها وتأكل مولودها

المتنبي ابدًا تستردُّ ما تهبُ الدنيا فياليت جودها كان بخلا

ارسطو — اذا كانت الاشياء فاعلة بالطبع لم تحمد على فعلها لان الشمس لا تحمد على حرارتها ولا على ضوئها

المتنبي رُبَّ امرٍ اتاكَ لا تحمد الفعاً ل فيهِ وتحمد الافعالا

ارسطو — الجبن ذلة كامنة في نفس الجبان فاذا خلا بنفسهِ اظهر شجاعة

المتنبي واذا ما خلا الجبان بارضٍ طلب الطعن وحدهُ والنزالا

ارسطو — الغلبة بطبع الحياة والمسالمة بطبع الموت والنفس لا تحب ان تموت فلذلك تحب اخذ الاشياء بالغلبة

المتنبي من اطاق التماس شيءٍ غلاباً واغتصاباً لم يلتمسهُ سوءالا

ارسطو — الانسان شبح روحاني ذو عقل غريزي لا ما تراهُ العيون من ظاهر الصورة

المتنبي لولا العقولُ لكان ادنى ضيغمٍ ادنى الى شرفٍ من الانسانِ

ارسطو — الظلم من طبع النفس انما يصدها عن ذلك خلتان خلة دينيَّة وخلة دنيويَّة خوف الانتقام

المتنبي والظلمُ من شيم النفوس فان تجد ذا عفةٍ فلعلةٍ لا يظلمُ

ارسطو — ثلثة ان لم تظلمهم ظلموك ولدك وعبدك وزوجتك فسبب صلاحهم التعدي عليهم

المتنبي من الحلم ما يستعمل الجهل دونهُ اذا اتسعت في الظلم طرق المظالمِ

ارسطو — كل ما لهُ اول تدعو الضرورة الى ان يكون لهُ آخر

المتنبي انعم ولذَّ فللامور اواخرٌ ابداً اذا كانت لهنَّ اوائلُ

ارسطو — النفوس المجوهرة تشرك الشهوات البهيمية طبعاً لا خوفاً

المتنبي وترى الفتوة والابوة والمروة — عند كل مليحة ضراتها

ارسطو — من اثرى من العدم افتقر من الكرم

المتنبي ورب مثرٍ فقير من مروَّته لم يثرِ منهُ كما اثرى من العدمِ

ارسطو — اذا لم تجرد الافعال كان الاحسان اساءة

المتنبي اذا الجود لم يرزق خلاصاً من الاذى فلا الحمد مكسوباً ولا المال باقياً

ارسطو — ليس تغير مثل تغير الافعال التي ترد غير مطبوعة فانها اشد انتقالاً من الريح الهبوب

المتنبي واسرع مفعولٍ فعلت تغيراً تكلُّفُ شيءٍ في طباعك ضدُّهُ

ارسطو — اتعب الناس من قصرت مقدرتهُ واتسعت مروءتهُ

المتنبي واتعب خلق الله من زاد همهُ وقصَّر عما تشتهي النفس وجدُهُ

ارسطو — اعظم الناس محنة من قل مالهُ وعظم مجدهُ ولا مال لمن كثر مالهُ وقل مجدهُ

المتنبي فلا مجد في الدنيا لمن قلَّ مالهُ ولا مال في الدنيا لمن قلَّ مجدهُ

ارسطو — من لم يقدر على الفضائل فلتكن فضائلهُ ترك الرذائل

المتنبي انَّا لفي زمنٍ ترك القبيح بهِ من اكثر الناس احسانٌ واجمالُ

ارسطو — تخليد الذكر في الكتب عمر لا يبلى وهو كل يوم جديد

المتنبي ذكر الفتى عمرهُ الثاني وحاجتهُ ما فاتهُ وفضول العيش اشغالُ

ارسطو — اعجز العجز من قدر على ان يزيل العجز عن نفسهِ فلم يفعل

المتنبي ولم ارَ في عيوب الناس شيئاً كنقص القادرين على التمامِ

ارسطو — اصطبار العقلاء ضد تمني الجهلاء فالحاجة التي فيها نكر العاقل عليها يحسدهُ الجاهل

المتنبي ماذا لقيتُ من الدنيا واعجبها اني بما انا باكٍ منهُ محسودُ

ارسطو — لا غنى لمن ملكهُ الطمع فاستولت عليهِ الاماني

المتنبي امسيت اروح مثرٍ خازناً ويداً انا الغنيُّ واموالي المواعيدُ

ارسطو — النفس الشريفة ترى الموت بقاء لدرك النفس في اماكن البقاء فهذه حال يعجز الخلق عن دركها

المتنبي سبحان خالق نفسي كيف لذتها في ما النفوس تراهُ غاية الالمِ

ارسطو — من كان غذاؤهُ الاماني مات دون بلوغ مرادهِ

المتنبي يعللنا هذا الزمان بذي الوعد ويخدع عمّا في يديهِ من النقدِ

ارسطو — اذا كان سقم النفس بالجهل كان الموت شفاءها

المتنبي اذا استشفيت من داءٍ بداءٍ فاقتل ما اعلّك ما شفاكا

ارسطو — كره ما لا بدَّ من كونهِ عجز في صحة العقل

المتنبي نحن بنو الموت فما بالنا نعاف ما لابد من شربهِ

ارسطو — اننا نؤاسي الارواح من كرور الايام فما بالنا نعاف رجوعها الى اماكنها

المتنبي تبخل ايدينا بارواحنا على زمانٍ هنَّ من كسبهِ

ارسطو — اللطائف سماوية والكثائف ارضية وكل عنصر هو عائد الى عنصرهِ الاول

المتنبي فهذه الارواح من جوهرٍ وهذه الاجساد من تربهِ

ارسطو — الزيادة في الحد نقص في المحدود

المتنبي متى ما ازددت بعد الى التناهي فقد وقع انتقاصي بازديادي

ارسطو — بانفاذ سهم الحزم تدرك صحة العزم

المتنبي مع الحزم حتى لو يعوّد تركهُ لالحقهُ تضييعهُ الحزم بالحزمِ

ارسطو — اواخر حركات الفلك كاوائلها وانشاء العالم كتلاشيهِ في الحقيقة لا في الحس

المتنبي كثير حياة المرء مثل قليلها يزول وباقي عمرهِ مثل ذاهبِ

ارسطو — اعظم ما على النفوس عظام ذوي الدناءة

المتنبي فاني رأيت الضر احسن منظرًا واهون من مرءٍ صغير بهِ كبرُ

ارسطو — عدم الغنى من النفس اشد من عدم الغنى من اليد والملك

المتنبي غثاثة عيشي ان تغث كرامتي وليس بغثٍّ ان تغث المآكلُ

ارسطو — الحيوان كلهُ معتلٌّ وليس من السياسة شكوى بعض الى بعض

المتنبي ولا تشكُ الى خلقٍ فتشمتهُ شكوى الجريح الى الغربان والرخمِ

ارسطو — النظر في عواقب الاشياء يزيد في حقائقها والعشق عمى الحس عن درك الروية

المتنبي لو فكّر العاشقُ في منتهى حسن الذي يسبيهِ لم يسبهِ

ارسطو — اخر افراط التوقي اول موارد الحزن

المتنبي وغاية المفرط في سلمهِ كغاية المفرط في حربهِ

الزاجل ومزاجله

عرف القدماء ان بعض انواع الطيور لو نُقلت من مكانها ترجع اليهِ ولو بعد حين ولذلك استخدموها في إنفاذ الرسائل ايام لا اسلاك برقية ولا سفن تجارية ولا سكك حديدية . وما الغرض هنا الالمام بحال حمام الزاجل واقوال الناس فيهِ فان انواعهُ كثيرة جدًّا تحتاج الى مجلّد لتوفى حقها من الشرح . وقد سبق لهذه المجلة ان اشبعتهُ وصفاً في احدى سنيها الماضية وانما القصد ان المع الى حمام الزاجل ومزاجلهِ في العالم عامة وفي بلادنا خاصةً . اذكرني بهذا الموضوع ما قرأتهُ منذ امد في احدى الصحف العلميَّة الباريسية من رسالة في الزاجل للمسيو هنري دي بادفيل من اهل العلم الطبيعي قال :

لم تُعرف حتى الآن الخاصية العجيبة التي امتاز بها حمام الزاجل لتعرُّف خوافق السماء والاهتداء الى مزاجلهِ على بعد مئات من الاميال . وقرَّ رأي علماء منافع الاعضاء على ان لهذه الطيور حاسَّة خاصة في رواحها ومغداها . وتجادلوا في حاسَّة الاهتداء حتى اثبت كل من المسيو بونيه والمسيو سيون أن للحمام حاسة خاصَّة يستطيع بها الاهتداء في عنان الفضاء . وعلى هذا تكون الطيور وغيرها من انواع الحيوان مفضَّلة على ابن آدم من هذا الوجه وان لم يثبت ذلك في الحقيقة . قال وقد اهدى رجل في باريس الى صديق لهُ مولع بتربية الحمام في احدى مقاطعات فرنسا واسمها بيريكورد وهي على مسافة ٣٦٠ كيلومترًا او ٩٠ فرسخاً من باريس حمامتين غير مدربتين ارسلهما لهُ في القطار فكان منهُ ان حبسهما في قنٍ فلم ترقهما العيشة وطارا من مزجلهما تاركين فراخهما بعد شهر حتى وصلت احداهما الى باريس بعد يومين وثانيتهما بعد ثلاثة . وبعد ان اورد ما يشابه هذه القصة قال : ومع ما لنا نحن البشر من الحواس اي اخرس كان يتأتى لهُ الخلاص من هذه الورطة كما تخلص اقل حمامة نعم ان الحمامتين السالفتين قضتا اكثر من ٤٨ ساعة للرجوع الى مقرهما الاصلي على حين يجتاز المدرَّب هذه المسافة في خمس ساعات . وكيفما كان الحال فان اثبتنا حاسة الاهتداء او الغيناها فانها تعدُّ في الزاجل من خوارق العادات

وقد تكلم الدميريُّ في حياة الحيوان على هذا الحمام وانواعهِ فقال : ومن طبعهِ ان يطلب وكرهُ ولو أُرسل من الف فرسخ ويحمل الاخبار ويأتي بها من البلاد البعيدة في المدة القريبة ومنهُ ما يقطع ثلاثة آلاف فرسخ في يوم واحد وربما اصطيد وغاب عن وطنهِ عشر حجج فاكثر ثم هو على ثبات عقلهِ وقوة حفظهِ ونزوعهِ الى وطنهِ حتى يجد فرصة فيطير اليهِ

وبهذا عُرف ان علماء الحيوان من العرب عرفوا شيئاً حقيقياً مما عرفهُ المتأخرون عن الزاجل . وقد اجمع كثير من المؤرخين على ان العرب كانوا اول من استخدم الزاجل في الرسائل في القرن الثاني للهجرة . والزاجل من الاكتشافات الشرقية عُرف في ديارنا منذ نحو الفي سنة ولذا ورد ذكرهُ كثيراً في الشعر الفارسي والتركي والعربي لانهُ يجعل المسافة بين المحبوب وحبيبهِ الشريد اقرب من حبل الوريد . واستفاض ذكرهُ في اشعار الفرس لما انهم اقدم في الحضارة من العرب وهؤلاء عنهم اخذوا وبمذاهبهم في العمران اقتدوا حتى ان مزاجلهُ لم تبرح لعهدنا ماثلة للعيان في ايران وافغان

ورأى صاحب التعريف ان الزاجل نشأ من بلد الموصل وحافظ عليهِ الخلفاء الفاطميون بمصر وبالغوا حتى افردوا لهُ ديواناً وجرائد بانساب الحمام. وللفاضل محيي الدين بن عبد الظاهر في ذلك كتاب سماهُ تمائم الحمائم . فاما اول من نقلهُ من الموصل فهو الشهيد نور الدين محمود بن زنكي سنة ٥٦٥ . وذكر ابن الاثير في حوادث سنة ٥٦٧ ان في هذه السنة اتخذ نور الدين بالشام الحمام الهوادي وهي التي يقال لها المناسيب وهي تطير من البلاد البعيدة الى اوكارها وجعلها في جميع بلادهِ . وسبب ذلك انهُ اتسعت بلادهُ وطالت مملكتهُ وعرضت اكنافها وتباعدت اوائلها عن اواخرها (كانت من حدّ النوبة الى بلاد همدان) ثم انها جاورت بلاد الفرنج وكانوا ربما نازلوا حصناً من الثغور فالى ان يصل الخبر يكونون قد بلغوا غرضهم منهُ فحينئذٍ امر بالحمام ليصل الخبر اليهِ في يومهِ واجرى الجرايات على المرتبين لحفظها واقامتها فحصل منها الراحة العظيمة والنفع الكبير للمسلمين . فقد كانت الاخبار تأتيهِ لوقتها لانهُ كان لهُ في كل ثغر رجال مرتبون ومعهم من حمام المدينة التي تجاورهم فاذا رأوا او سمعوا امراً كتبوهُ لوقتهِ وعلقوهُ على الطائر وسرّحوهُ الى المدينة التي هو منها في ساعة فتنتقل الرقعة من طائر الى طائر آخر من البلد الذي يجاورهم في الجهة التي فيها نور الدين وهكذا الى ان تصل الاخبار اليهِ فحفظت الثغور بذلك حتى ان طائفة من الفرنج نازلوا ثغراً لهُ فاتاهُ الخبر ليومهِ فكتب الى العساكر المجاورة لذلك الثغر بالاجتماع والمسير بسرعة وكبس العدو ففعلوا ذلك فظفروا والفرنج قد امنوا لبعد نور الدين عنهم

وقال العماد الكاتب وكان نور الدين لا يقيم في المدينة ايام الربيع والصيف محافظة على الثغر وصوناً من الحيف ليحمي البلاد من العدو بالسيف وهو متشوّف الى اخبار مصر واحوالها وتحقيق اعتدالها بتحقيق اعتلالها فرأى اتخاذ الحمام المناسيب وتدريجها على الطيران لتحمل اليهِ الكتب باخبار البلدان وتقدّم اليّ بكتب منشور لاربابها وإعزاز اصحابها وهو حينئذٍ بظاهر

دمشق مخيم بوادي اللوّان فقلت في الحمام : هي برائد الانباء المخصوصات بفضيلة الالهام والايجاد وهي فيوج الرسائل المأمونة الابطاء والسابقات الموج في الاهتداء والحاملات ملطفات الاسرار في اقرب مدة الى ابعد غاية والموصلات مهمات الاخبار في وقتها من اقاصي الامصار باكمل هداية والقاطعات في ساعتها الى البلاد اجواز الفضاء والموامي والنافذات بنجح المرام بعود السهام الى المرامي وهي تطوي الفراسخ البعيدة والاشواط في ساعة وتنتحي الى اقصى غايات الطاعة باتم استطاعة وقد عمَّ بها نفع المرابطين والغزاة والمجاهدين في سبيل الله في اهداء اخبار الكفرة اليهم من اماكنها دالة على مكايدها ومكامنها طائرة بكتبهم الى مَن وراءهم من الطلائع والسرايا مظهرة لهم من احوالها خبايا الامور الخفايا وانها لميمونة المطار مأمونة العثار سالمة من الاخطار مهدية في الاسفار امينة على الاسرار سابقة الى الاوكار صادرة بالاوطار من الاقطار سائرة الى المؤمنين بنبإ الكفّار

ونقل صاحب الروضتين ان القاضي الفاضل وصفها بالطف من هذه الاوصاف واخصر فقال "الطيور ملائكة الملوك" يشير ان نزولها على الملوك من جوّ الهواء نزول الملائكة على الانبياء عليهم السلام من السماء مع فرط ما فيها من الامانة لا يتوهم من جهتها خيانة . وقال العماد ايضاً في حوادث سنة ٥٨٦ عند حصار صلاح الدين عكاء لما انقطع اخبار البلد عنهُ انتدب العوام للسباحة حتى صاروا يحملون نفقات الاجناد على اوساطهم ويخاطرون بانفسهم مع احتياطهم ويحملون كتباً وطيوراً و يعودون بكتب وطيور نكتب اليهم ويكتبون الينا على اجنحة الحمام بالترجمة المصطلح عليها. وكان في العسكر من اتخذ حماماً يطوف على خيمتهِ ونزل في منزلتهِ وعمل بها برجاً من خشب وهوادي من قصب ويدرّجها على الطيران من بعد. وكنا نقول ما لهذا الولع بما لا ينتفع حتى جاءت نوبة عكاء فنفعت واتت بالكتب سارحة شارحة وكنا نطلبها مع الليل والنهار حتى قلَّ وجودها لكثرة الارسال . قلت وقد غالوا لذلك العهد في الزاجل حتى روى بعض الكتّاب من الفرنجة ان زوجهُ كان يباع بنحو الف ذهب نمساوي

وكان لحمام الزاجل مزاجل لتدريجهِ في مصر والشام قال الشهاب العمري من علماء القرن الثامن للهجرة واعلم ان الحمام بمصر انقطع تدريجهُ بالوجه القبلي وقد كان متصلاً الى قوص واصوان وعيذاب ولم يبقَ الآن منهُ الا ما هو من القاهرة الى الاسكندرية ومن القاهرة الى دمياط ومن القاهرة الى السويس ومن القاهرة الى بلبيس متصلا بالشام ومن بلبيس ايضاً الى الصالحية ومن الصالحية الى قطيا ومن قطيا الى الواردة ومن الواردة الى غزة ومن غزة الى بلد الخليل عليهِ السلام ومن غزة الى القدس الشريف ومن غزة الى نابلس ومن غزة الى لدّ ومن

لدّ الى قاقون ومن قاقون الى جينين ومن جينين الى صفد ومن جينين الى يسان ومن يسان الى اربد ومن اربد الى طفس ومن طفس الى الصنمين ومن الصنمين الى دمشق ومن كل واحدة من هذه المراكز الى ما جاورها من المشاهير كمن يسان الى اذرعات ومن طفس اليها لاشعار والي الولاة. ثم من دمشق يسرح الحمام الى بعلبك ويسرح الى قارا ويسرح الى القريتين ثم من قارا الى حمص ومنها الى حماة ومنها الى المعرّة ومنها الى حلب ومنها الى البيرة والى قلعة المسلمين والى بهنسى ومنها الى الرحبة وقد تعطل الآن (في القرن الثامن) تدريج السخنة الى قباقب وانما صار يسوق بطائق تدمر الواقعة بالسخنة منها الى قباقب ثم يسرح على الجناح من قباقب الى الرحبة وبهذا تم ذكر مراكز الحمام في سائر الممالك الاسلامية. وفي ترجمة الظاهر بيبرس انهُ زاد الابرجة مكان المحدثة وعمل بها الخفراء وبنى من القصير الى المناخ الى قار الى حمص اعمدة وابرجة فيها الحمام والخفراء وكذلك من دمشق الى تدمر والرحبة الى الفرات

وتباينت الآراء في تاريخ استعمال الزاجل وجمهور المؤرخين وعلماء الحيوان على انهُ يُردّ الى نحو الفي سنة فقد كان تجارة مصر وقبرص يتناقلون اخبارهم على جناح الزاجل ويبعثون بها الى البر وكذلك المصارعون في الالعاب الاولمبية. وكان استعمالهُ شائعاً عند الرومانيين حتى ان القائد مايور المشهور كان يرسل اخبارهُ الى اصحابهِ بواسطتهِ لما كان محصوراً في موتينا احدى مدن ايطاليا سنة ٤٤ ق. م. ومن رأي دائرة المعارف الاميركية انهُ لا يعرف اول مستخدم لهُ ويقول السير جون ماندفيل ان الرومان استعملوهُ كما استعملهُ اهالي آسيا واستخدم ايضاً ايام سانت لويس اي في خلال الحروب الصليبيَّة فاستخدمهُ تاسوا في حصار بيت المقدس

وأكد بعض المولعين بتدريجهِ من الافرنج ان العرب كانوا يتخابرون بالزاجل في جزيرتهم فلما استولوا على الاندلس نقلوا اليها كيفية استخدامهِ على النحو الذي كانوا يستعملونهُ في بلادهم الاصلية وادخلوا الى الاندلس نوعاً من الزاجل غاية في القوة فزاوجهُ الاسبان مع حمام الفلمنك عند ما استولوا عليها ومع ان الزاجل غير مرتقية احوالهُ الآن في اسبانيا تراهُ ارقى مما هو عليهِ في الشرق. وروى بعضهم ان استعمالهُ شاع في اوربا في القرون الوسطى خصوصاً في البلجيك والفلمنك حتى كان المحصورون في هارلم سنة ١٥٧٣ والمحصورون في ليدن سنة ١٥٧٤ يتخابرون بواسطة الزاجل في حرب الفلمنك المشهورة

وجاء في دائرة معارف ريس المطبوعة سنة ١٨١٩ " ان بعض سفراء المسلمين لما جاؤوا الى جود فري ايام الحروب الصليبية استصحبوا معهم حمام الزاجل فلما قضيت مصالحهم ارسلوا رسائل من الزاجل الى رفاقهم يعلمونهم بذلك. وبرهن بوكارت على قِدَم استعمال الزاجل

في سورية وبلاد اليونان بعدة حوادث . فان هيرتيوس وبروتوس تخابرا بالزاجل اثناء حصار مودنا . ومنذ اربعين او خمسين سنة بطل استعمال الزاجل بين الاسكندرونة وحلب لان بعض لصوص الاكراد اطالوا يد التعدي عليها وقتلوا اكثرها " . وذكر بعض المؤرخين ان الدولة العثمانية ابطلت استعمال الزاجل في اواخر القرن الحادي عشر بعد ان لبث زمناً مستعملاً في بلادها . ونشرت الجرائد التركية منذ نحو ثلاث سنين صورة ارادة سنية قاضية باستخدامهِ لنقل الاخبار في المعسكرات السلطانية فبني لهُ برج في جتالجة من ضواحي الاستانة

وذكرت موسوعات ريس ان الشركة الانكليزية الهندية استخدمت الزاجل فكانت عند رسو سفنها في ثغر الاسكندرونة تبعث بالرسائل مع الزاجل الى الدواخل لاعلام الاهالي بوصولها وكانت الرسالة توضع تحت جناح الطير وكانت رجلاهُ تغطسان بخل ليبقى منتعشاً فلا يسفُّ الى المياه ليعُبَّ اذا رآها في طريقهِ وكان يقطع المسافة بين حلب والاسكندرونة في اقل من ساعتين ونصف — كما ان حماماً من الزاجل يقدر ان يحمل رسالة من بابل الى حلب ويقطع المسافة وهي للمسافر ثلاثون يوماً في اقلّ من ٤٨ ساعة — وكان اذا أُخذ من حلب الى الثغر يوضع في قفص مكشوف مدة الطريق ومتى وصل الى الثغر وتُرك منهُ يرجع حالاً الى عشهِ ومتى أُفلت كان يصعد في الجو حتى يشرف على حلب فيرفرف على بيتهِ وينزل كالسهم

وفي الموسوعات الاميركية ان العثمانيين ابرع الناس في تربية الزاجل وطريقة تعليمهِ عندهم هي ان مربي هذا الحمام يضع الفراخ التي صارت قادرة على الطيران في زنبيل ويأخذهُ الى مسافة نصف ميل ثم يطير منها الفراخ فالذي يؤوب الى عشهِ يصلح فيما بعد للزجل فيأخذهُ مسافة ابعد من الاولى ويفعل معهُ فعلهُ الاول وهكذا تدريجاً حتى تصبح المسافة التي يقطعها مئة ميل او اكثر ويصبح بعد ذلك قادراً على الرجوع ولو من اقصى اطراف المملكة

وقبل ان يزجلوهُ في انكلترا يضعونهُ في محل مظلم قدر ست ساعات ويطعمونهُ ويسقونهُ في غضون ذلك حتى يمتلئ . ويظهر من الاشعار الانكليزية القديمة واشعار توسو ان الرسالة كانت تعلق بجناح الحمام او بعنقهِ والطريقة المستعملة الآن هي ان تلفَّ الرسالة على القسم الاعلى من الرجل وهي اصلح من الطريقة الاولى لانها لا تعوق الطير في طيرانهِ

وفي الموسوعات البريطانية ان طريقة كتابة الرسالة الزاجلية هي ان تؤخذ صورتها الاصلية بالتصوير الشمسي مصغرة على ورق دقيق للغاية . وكانت هذه الطريقة هي المعوَّل عليها اولاً ثم لما تحسنت هذه الصناعة صارت صورة الرسالة الاصلية تطبع بحرف اعتيادي اولاً ثم تنقل صورتها الى غشاء معمول من الكلوديون بالطريقة المعروفة بالتصوير المصغَّر ويبلغ طول الغشاء

قيراطين وعرضهُ قيراطاً وهو خفيف جدًّا حتى ان ٥٠٠٠ رسالة لا يبلغ ثقلها غراماً واحداً تحملها حمامة واحدة. ولكي تحفظ تلك الاغشية من العاهات كانت توضع في ريشة وتناط هذه بريش الذنب . ومتى وصل الحمام الى باريس كانت تؤخذ منهُ تلك الاغشية وتمدد ثم تعكس صورة الكتابة فيها على ستار مكبرةً بواسطة المصباح الكهربائي فتنسخ صورة الرسائل وتؤدى الى اصحابها ولكن بعد ذلك استعمل ورق التصوير الحساس عوضاً عن الستار فصارت الرسائل تُطبع عليهِ رأساً . اه

قيل ان الزجّال يُطير في البر والبحر والغالب انهُ لم يثبت فائدتهُ في البحر . وقد ابتذل استخدامهُ في اوربا ايام حرب السبعين بين المانيا وفرنسا فان هذه استخدمتهُ في حصونها فكان ينقل الاخبار منها الى باريس المحاصرة لان ادارة بريد باريس لاقت من المصاعب الجمة في إرسال الكتب ما لم تلاقهِ ادارة من قبل في العالم وابرزت بتأسيس ادارة بريد من الزاجل من النجاح ما خلّد لها ذكرًا بين العالمين . ولم يعقد الصلح بين تينك الامتين حتى مهر الفرنسيس في ارسال الزاجل فقد وصلت حمامة منهُ الى باريس حاملة في رأسها اربعة آلاف رسالة مما عجب لهُ الاوربيون واهاب بالمانيا فاستخدمتهُ في حصونها وقلاعها وتخومها وسواحل البلطيك وهي تعدهُ من جملة المواد الحربية التي لا غنية عنها للجيش . وان وزراء الالمان ليُعنون بتربيتهِ جريًا على ما يقتضيهِ منهم امبراطورهم لما انهُ يشجعهم على تربيتهِ ويكافئ من يحسنها بالوسامات الذهبيَّة وشارات التجلة والاكرام . وفي ميزانية المانيا نحو مئة الف فرنك مخصصة للزاجل ولهُ مجلة تنشر اخبارهُ عندهم. وشاع استعمالهُ منذ نحو ثلاثين سنة في ايطاليا والبرتغال وروسيا وانكلترا وسويسرا والدانيمرك والنمسا والبلجيك والفلمنك وكل دولة تصرف عليهِ جانبًا من النفقات

واحسن المدائن التي تلائم طبع الزجّال مدينة انفرس في البلجيك ولذا فهي اشهر مراكز الزاجل للبريد لعهدنا . وقد كان الزاجل يُطيَّر من لندن الى انفرس في ثلاث ساعات وكذلك من هذه الى باريس ويفوق طير البلجيك ما يربى في غيرها من حيث سرعتهُ وضخامتهُ. ويقطع الزاجل المسافة بين باريس وليون وهي خمسمائة كيلومتر في ثماني ساعات مما لا يتيسر للقطار ذي السير السريع ان يقطعها الّا في ١٣ ساعة. ولا يستوي سيرهُ في الجبال والسهول فانهُ قد يقطع في السهل ثلثمائة كيلومتر قبل ان يقطع مئة في غيرها من الحزون والجبال. ولا يصلح للزجل الّا واحد من كل ثلاثة زواجل بداعي ما يصيبها من العواصف وبنادق الصيادين ومخالب الجوارح. وما ينفع من الزاجل في الاوقات الممطرة قد لا ينفع في الاوقات المصحية واذا تأخر عن ميعاد وصولهِ لما يسطو عليهِ من الطيور الضارية لا يهلك وحدهُ بل يهلك ما معهُ من اسرار واخبار

وحمام الزاجل اكبر من الحمام الاعتيادي يبلغ طولهُ ٣٧ سنتيمترًا ووزنهُ ليبرة وربع وعضلات صدرهِ قويَّة جدًّا وهو سريع الطيران ومنقارهُ مغشَّى بغشاء جلدي مقبَّب ممتد الى ما فوق الرأس ومتصل بطرفي الفم . وكلما كان هذا الغشاء كبيرًا وكان للطير حلقة متسعة حول عينيهِ لا ريش عليها زاد حسنهُ وارتفت قيمتهُ . واستخدامهُ ضروريٌّ للحصارات ونقل الاسرار عند الخشية من الاغيار والاشرار

واذا شاع استعمال التلغراف بلا سلك فيستغني عن الزاجل كما انهُ قلَّ استخدامهُ لما ظهرت الاسلاك البرقيَّة وهو لا يزال مع هذا يُستعمل في بعض اقطار الغرب لنقل الاخبار المالية الى اسواقها وتبليغ الاخبار للصحف الخطيرة

محمد كرد علي

ارباب المال والاعمال

المستر لفر صاحب صابون صنلَيت

لما اخترنا سيرة هذا الرجل لنضمها الى سيَر الرجال الذين سميناهم بارباب المال والاعمال خطر لنا ان كثيرين من القرَّاء لا يعدون صانع الصابون اهلاً لان يذكر اسمهُ مع اسماء الرجال العظام الذين تتسع بهم ثروة بلادهم وتزيد قوَّتها لانهم لم يروا بين صانعي الصابون رجلاً بلغت ثروتهُ مبلغاً عظيماً لكن ما يتيسَّر في البلدان الكبيرة الواسعة الثروة لا يتيسَّر في الصغيرة الفقيرة . ولو كانت سيرة هذا الرجل مقتصرة على نجاحهِ في صناعتهِ وتجارتهِ ما عنينا بنشرها ولا وجدت لها محلاً في المقتطف ولكننا رأينا فيها مثالاً لما يجب ان يجري عليهِ ارباب الاعمال في معاملة العمال اذا ارادوا ان يضيفوا الى الثروة حسن السمعة والاحدوثة فنشرناها عسى ان يكون في نشرها عبرة للذين يئنُّ عمالهم من شدَّة وطأتهم

المترجَم المستر وليم رسكث لفر ولد سنة ١٨٥١ وكان ابوهُ تاجرًا يبيع المأكولات فشاركهُ في تجارتهِ الى ان صار عمرهُ ثلاثين سنة ثم استقلَّ وفتح محلاً لبيع البقالة وعكف عليهِ بهمة ونشاط فوسَّع نطاقهُ ووفَّر ارباحهُ وباعهُ بعد خمس سنوات بستين الف جنيه عازماً ان ينقطع لعمل آخر اوفر ربحاً من البقالة وهو عمل الصابون فاشترى مصبنة صغيرة وحاول ان يصنع صابوناً جديداً يسميهِ اسماً يسهل دورانهُ على الالسنة ويكون لهُ وقع حسن في الآذان فصنع هذا الصابون بعد تجارب كثيرة ونفقات كبيرة وكتب بضعة اسماء جعل ينظر فيها يوماً بعد آخر الى ان اختار منها اسم صنلَيت (اي نور الشمس) وحينئذٍ اقبل بكليتهِ على ما حسبهُ

السبيل الوحيد لنجاحهِ وهو الاعلان عن هذا الصابون في الجرائد والطرق والاماكن العمومية لكي يصير اسمهُ مألوفاً عند الجميع ولم يضن بنفقة على الاعلانات حتى انك لا تتنح جريدة انكليزية ولا مجلة الاّ وتجد فيها اعلاناً او اكثر عن هذا الصابون بل تجد الاعلانات عنهُ في شوارع المدن الانكليزية وضواحيها والطرق التي حولها بل في الحقول الزراعية والمزارع وكل مكان يتردَّد اليهِ الناس ولعلهُ انفق نصف دخلهِ على الاعلانات

فاتسعت اعمالهُ حالاً وضاقت المصبنة التي اشتراها عن القيام بها فاختار مكاناً آخر بنى فيهِ مصبنة كبيرة جدًّا . وليس عمل الصابون سرًّا غامضاً ولا هو من الصنائع المجهولة التي يستطيع صاحبها ان يربح منها ربحاً غير مألوف ولكن المستر لفر رأى ابواب الربح واسعة اذا تحكم في جلب الموادالتي يصنع الصابون منها وفي الاساليب التي يستفاد بها مما يطرح من المصابن عادةً وفي تقليل النفقات اللازمة لايصال الصابون الى مستعمليهِ فانشأ المعاصر في اميركا واخذ بزر القطن من مصر ونقل النارجيل من جزائر صاموى الى معاصر سدني باستراليا حيث عصر الزيت منهُ ونقاهُ واتى بهِ الى انكلترا وباع كسبهُ لفلاحي استراليا علفاً لمواشيهم وقلل نفقات العمل والنقل حتى صارت على اقلها

ولما انتشر صابونهُ في اقطار المسكونة ورأى ان صنعهُ في انكلترا وارسالهُ اليها يزيدان النفقة ويقللان الربح انشأ المصابن الكبيرة في بوستن وفيلادلفيا ليباع صابونها في الولايات المتحدة.وفي مدينة تورنتو ليباع صابونها في كندا. وفي مدينة سدني ليباع صابونها في استراليا. وفي اولتن ليباع صابونها في سويسرا . وفي منهم ليباع صابونها في المانيا . وفي بركسل ليباع صابونها في البلجيك.فزالت بذلك نفقات النقل الى هذه البلدان ومكوس الجمارك. واضاف الى هذه المصابن معامل تعمل كل ما يلزم لها ويتعلق بها من عمل العلب والصناديق والورق والكتب وما اشبه واوصلها بسكك الحديد العمومية بخطوط خاصة بها وبنى لها سفناً لنقل صابونها بحرًا

وألف شركة لهذه المصابن سنة ١٨٩٤ جعل رأس مالها مليوناً ونصف مليون من الجنيهات وبلغ ربحها تلك السنة عشرة في المئة ثم زاد رأس مالها سنة ١٩٠٠ فجعلهُ ثلاثة ملايين من الجنيهات وبلغ ربحها حينئذٍ خمسة عشر في المئة . وعدد العمال في القسم الذي في بلاد الانكليز وحدها ٣٢٠٠ عامل

ونجاح المرء في عملهِ دليل على مقدرتهِ ولكنهُ قد لا يكون دليلاً على استقامتهِ وكرم اخلاقهِ. فكم من رجل اثرى من دماء غيرهِ وكم من مثرٍ لا يجود بدرهم على ابناء نوعهِ امَّا المترجَم فلمَّا رأى ثروتهُ تزداد يوماً فيوماً وان دخلهُ في السنة بلغ خمسين الف جنيه بعد ان انشأ المصابن

بسنتين او ثلاث اضطربت افكارهُ وحسب انهُ لا يستحق هذا الربح كلهُ فعزم ان يعطي العمّال جانباً من ربحهِ ليس دراهم تزيدهم اسرافاً بل راحة من عناء الاعمال فقلل ساعات عملهم من تسع ساعات في اليوم الى ثمان وبنى لهم منازل صحيَّة انفق عليها ٣٥٠ الف جنيه لكي يتمتعوا بالصحة والراحة . وجعل يعطيهم اجازات كل سنة يقضونها في النزهة هم ونساؤهم واولادهم وبعث برؤسائهم الى معرض غلاسكو فاقاموا فيهِ اسبوعاً على نفقتهِ . وبعث الفاً وستمئة منهم الى معرض باريس انفق عليهم خمسة آلاف جنيه فاقتضى نقلهم اليها اربعة قطرات مخصوصة ومئتي قنطار مصري من الزاد في اثناء الطريق ومئتي مركبة ركبوا فيها في باريز

والبلد الذي بناهُ لهم استكمل فيهِ شرائط الصحة والراحة فالبيوت مبنيَّة على الاسلوب الانكليزي يحيط بكل بيت منها حديقة صغيرة والشوارع تامةّ النظافة والتنظيم والاشجار مغروسة على جانبيها وهو يعطي الجوائز للذي يعتني بحديقتهِ اكثر من غيره

والمنازل مختلفة الاقدار في الصغير منها مطبخ وغرفتان للنامة ومكان للمؤونة ومكان للجلوس . وفي البلد مدرسة وكنيسة ونادٍ للمجتمعات الادبيَّة ودار للموسيقى ومكتب للبريد . والتعليم مباح للجميع حتى للكبار وعندهم جمعيات علميَّة وزراعيَّة وفوتوغرافية ومنتدى للمذاكرات والمباحثات الادبيَّة وللتمثيل بعض الروايات وساحات للالعاب الرياضيَّة على انواعها ويقال جملة ان عند اهالي هذا البلد كل ما يثقف عقولهم ويقوي ابدانهم ويزيل السآمة من نفوسهم . وقد جادت صحتهم بسبب ذلك فبلغت وفياتهم في العام الماضي عشرة في المئة فقط والمتوسط في البلاد الانكليزية عشرون في المئة او اكثر . وزادت مواليدهم زيادة بالغة جداً فبلغت ٥٦ في الالف

ويظهر الرجل صاحب هذه المبرات من مبراتهِ ويقال انهُ لا يسرُّ ما لم يرَ السرور شاملاً كل الذين حولهُ وهو ربعة بين الرجال قوي البنية طلق المحيا حازم الى الغاية القصوى يمتاز باقدامهِ على عظائم الامور وسرعة ادراكهِ لفائدة المشروعات التي تعرض عليهِ . بعيد النظر في العواقب سريع الحكم في الامور اذا اخذ في امر لم يثنهِ عنهُ شيء . يكتشف الشبان الذين يرجى نجاحهم ويعتمد عليهم ويكل اليهم ما يحسب انهم يفلحون فيهِ وهو مع ذلك متضع لا يحسب لهُ فضلاً في شيء من اعمالهِ بل يعد نفسهُ ساعياً لعمل ما يجب عليهِ . وقد طاف حول المسكونة مراراً كثيرة زار فيها معاملهُ المختلفة المنتشرة في كل الاقطار

وهو من المولعين بالبناء والفنون الجميلة على انواعها وعندهُ مجموع كبير من الصور الثمينة

المستر باركس

ان طلاّب العلوم الطبيعية ولا سيما علم الفلك يعرفون اسم باركس من نظارتهِ العظيمة التي لا تزال اعظم ما صُنع من نوعها حتى الآن ولا اعظم منها الاَّ نظارة معرض باريس. وقد يظن بعضهم انهُ عالم من علماء الفلك او امير من الامراء يجود بالمال لتخليد الذكر ولا يخطر ببالهم انهُ عصامي من اولاد اميركا الذين اثروا بجدهم واجتهادهم ثم استخدموا ثروتهم لتخليد ذكرهم

ابتدأ هذا الرجل في العمل وهو ولد عمرهُ اثنتا عشرة سنة فانهُ كان يتردَّد على سوق تقام في مدينة فيلادلفيا يوم السبت من كل اسبوع وتباع فيها البضائع بالمزاد وكان يسرُّ بذلك ويتمنى ان يكون في عداد البائعين والشارين

وذات يوم مرَّ بهذه السوق فرأَى فيها صناديق فيها نوع من الصابون كان يشتري منهُ لامهِ فذهب الى البدَّال (البقَّال) الذي كان يشتري الصابون منهُ وسألهُ كم ثمن الرطل من هذا الصابون فقال لهُ اثنا عشر سنتاً (اي غرشان ونصف) فقال وبكم تشتريهِ انت فقال اني اشتريهِ بتسعة سنتات فقال اتشتريهِ بهذا الثمن مهما كان مقدارهُ فقال نعم. وكان معهُ ذريهمات جمعها بالتقتير مما تعطيهِ اياهُ امهُ فعاد الى السوق وانتظر الى ان عرض الدلاَّل الصابون فدفع في الرطل ستة سنتات ولما سمع الحضور صوتهُ دُهِشوا والتفتوا ليروا مَن هذا الولد الذي يناظر كبار التجار. فرسا مزاد الصندوق الاول عليهِ وكذلك الصندوق الثاني والثالث الى خمسة عشر صندوقاً ثم خفض السعر قليلاً وجعلهُ خمسة سنتات ونصفاً فرسا عليهِ مزاد خمسة صناديق اخرى. واسرع الى البدَّال واخبرهُ انهُ احضر لهُ عشرين صندوقاً من الصابون بالسعر الذي قطعهُ معهُ وهو تسعة سنتات الرطل فدهش البدال من ذلك كما دُهِش التجار ودفع اليهِ الثمن فمضى ودفع ثمن الصابون وعاد الى بيتهِ وقد ربح مبلغاً طائلاً

واتمَّ دروسهُ في المدرسة مثل كل ابناء الاميركيين ودخل مخزن تاجر من تجار الدقيق والحنطة كاتباً بغير اجرة فارضى التاجر باجتهادهِ فاعطاهُ في آخر السنة عشرة جنيهات هبةً وتعلَّم وهو هناك طرق البيع والشراء لكن نفسهُ كانت تسمو بهِ الى اعلى من ذلك فخرج من عند التاجر وفتح محلاًّ للسمسرة وعمرهُ احدى وعشرون سنة. وكان غاية في الاجتهاد والانتباه ولين العريكة فلم يمضِ عليهِ وقت طويل حتى صار كثيرون من الاغنياء من زبائنهِ فجمع شيئاً من الثروة وصار يُعدُّ من "البنكيارية"

وكانت الحرب الاهليَّة ناشبة في اميركا واسعار الاوراق الماليَّة وكل السلع التجاريَّة تعلو وتهبط بسرعة البرق لغير سبب ظاهر والمضاربات على اشدها فيغتني المرء اليوم ويفتقر غداً ولا

يثبت على الاشغال الاَّ المتبصّر الذي لا يبطر اذا نجح ولا يقنط اذا فشل. ورأَى ان اوراق الحكومة اسلم عاقبةً من غيرها فقصر شغلهُ عليها فربح من ذلك ربحاً وافرًا. ورأَى الذين يعاملونهُ فرط ذكائهِ وحذرهِ فاعتمد عليهِ التجَّار والمشتغلون بالاوراق المالية ومدُّوهُ بمبالغ طائلة من المال فزادت ارباحهُ كثيرًا واستمرَّ سائرًا في سبل النجاح الى ان احترقت مدينة شيكاغو فخسر بذلك خسارة كبيرة ذهبت بثروتهِ كلها وباموال كثيرة مما استمدَّهُ من غيرهِ فرأَى ان لابدَّ لهُ من اعلان افلاسهِ رسمياً

وعاد بعد هذه الخسارة اشدَّ حذرًا مما كان اولاً الى ان تبيَّن ان محلاً من المحلات التجارية الكبيرة على شفا الافلاس وان افلاسهُ سيحط ثمن الاسهم كثيرًا فباع مقدارًا وافرًا "على المكشوف" منها قبلما اشتهر افلاس هذا المحل وربح بذلك ربحاً كبيرًا فاشترك في سكة فيلادلفيا الحديدية وانتقل من الاشتغال بالمضاربات الى الاشتغال بالشركات وادارتها وكانت قيمة السهم من اسهم هذه الشركة ثلاثة جنيهات حينما تولَّى ادارتها فبلغت بحسن ادارتهِ عشرين جنيهاً ولما رأَى ذلك قصر اشتغالهُ على فرع واحد وهو فرع الترامواي وكان ينزل الى مكتبهِ قبل الساعة السادسة صباحاً ولا يخرج منهُ الاَّ وقد مضى جانب كبير من الليل واستمرَّ على ذلك الى ان نشر سكك الترامواي في فيلادلفيا وجمع ثروةً وافرةً

ولما رأَى ان المجال ضاق عليهِ في فلادلفيا قصد مدينة شيكاغو وانشأَ بنكاً فيها واقام خمس سنوات يرقب احوال سككها الى ان تيسَّر لهُ تأليف شركة لانشاء سكك الترام فيها فالَّفها وادارها بمهارة فائقة وهمَّة لا تعرف الملل ووسَّع نطاقها حتى صارت تمتلك خمس مئة ميل من سكك الترام ثم زادها اتساعاً وانشأَ سككاً كثيرة تتصل بالمدينة وسهَّل الانتقال على سكانها فربح اموالاً طائلة وصار من اصحاب الملايين الكثيرة

قلنا انهُ خسر خسارة فاحشة وقتما احترقت شيكاغو ذهبت بها اموالهُ واموال كثيرين من مدائنيهِ فلما اثري عاد الى فيلادلفيا ودعا اولئك المدائنين الى وليمة فاخرة اعدها لهم وبعد الطعام قدَّم الى كل واحد منهم تحويلاً على البنك بالمال الذي كان لهُ عندهُ مع فائدتهِ القانونية المركبة من حين افلاسهِ الى ذلك اليوم فاوفى كل ما كان عليهِ وربَاهُ مع ان قوانين التجارة لا تضطرهُ الى شيء من ذلك فذاعت شهرتهُ في الدنيا كلها ونال بذلك من حسن الاسم والسمعة ما لا يُنال بالمال

اما النظارة المنسوبة اليهِ فبلغت نفقاتها مئة الف جنيه وهي كاسرة قطر بلورتها اربعون عقدةً او اكثر من متر قليلاً وهي مؤلفة من بلورتين ثقلهما معاً اكثر من خمسة قناطير مصرية

وثقلهما مع الطوق الذي يحيط بهما نحو عشرة قناطير وبلغ ثمنهما ثلاثة عشر الف جنيه. وقد وصفنا هذه النظارة غير مرةٍ والذي يعنينا من ذكرها الآن ان رجلاً جمع ثروتهُ بالشركات والمضاربات عرف كيف يكتسب حسن الاحدوثة بايفائهِ اموالاً خسرها في حداثتهِ لا باسراف ولا بخطإٍ بل بقضاء وقدر. وعرف ايضاً كيف ينفق على ما يفوق بهِ كل من تقدمهُ حتى الممالك الكبيرة لان نظارتهُ لا تزال الكبرى من نوعها حتى الآن

ناموس النشوء في تقدم العمران

(١)

العلم باصولهِ وفروعهِ يشبه صرحاً فخيم البنيان مشيَّد الاركان رفيع الطباق مديد الرواق وُضع اساسهُ منذ نشأة الانسان وسيزداد اتساعاً ويعلو شأناً مع تقدم العمران. ولكلٍّ من الوف الخلق الذين اشتركوا في اقامة بنائهِ وتوسيع رحابهِ واعلاء قبابهِ فضل يذكر على قدر الذكاء في الوضع والهمة في العمل والأثر في النفع شأن المهندسين والفعلة والبنائين والمزينين على اختلاف العمل والشرف في الرتب والاقدار. والذين تحق لهم الميزة في الفضل والفخر بين مؤسسي العلم ورافعي جدرانهِ هم الذين خطّطوا رسومهُ وحدَّدوا طبقاتهِ وفصّلوا غرفهُ وقسموا ابوابهُ ولكن الشرف الاعلى والقدر الأغلى لاولئك الذين ادركوا القصدَ في مجموعهِ وعيَّنوا النِّسب والعلائق بين اقسامهِ واكتشفوا وحدة القياس والناموس في نظامهِ

فمهما يكن من هوى النفوس الزكيَّة في الاحاطة بمفردات الحقائق واستجلاء غوامضها من طريق البحث والاستقصاء. ومهما اشتدَّ اعجاب العقل بهمم جمّاع المعارف وخزنتها وضبّاط شواردها ومقيّدي اوابدها فان ارتياح الخواطر الى نظم فرائدها في قلادة العلم القانوني اشدُّ وردُّ شتات الفروع الى اصول قليلة اوقع في النفس واعلق في الذهن وابقى في خزانة المحفوظ

ولا جرم ان ناموس النشوء العام المحيط بما عُرِف من شرائع الكون يتمشّى على ارتقاء العلوم ونشئها تدرُّجاً من بسائط اصلية الى مركَّباتٍ فرعيَّة فيتولَّد من امهات تلك العلوم انواعٌ وصنوف بارتقاء العمران كما تتولَّد القبائل من الاجداد وتنسل الاباء الاولاد. تتجلى هذه الحقيقة لكلِّ ذي بصيرة من طلبة هذا العصر على الخصوص بعد ان درس العلم المتسلسل فأيقن ان حلقاتهِ آخذة بعضها برقاب بعض يعزو كلُّ مولودٍ منها الى والدهِ ويحفظ لها جميعاً سلسلة الانساب

وفي جملة تلك العلوم الجليلة الغايات الجلية الآثار علم التاريخ اساس علم الاجتماع . كان هذا العلم "وما زال عند سواد الطلاَّب" مقصورًا على تدوين الوقائع وجمع الاخبار جليلها وحقيرها من تقلُّب دُوَل وتبدُّل شؤُون وصعود وهبوط حتى تقلبت فيهِ انظار اهل الفلسفة فانشأُوا منهُ (فلسفة التاريخ) . ثم لما قُيّض لابطال العلم الحديث اكتشاف ناموس النشوء الكوني تبين لهم ان الشرائع التي جرت عليها الاحياء في اطوار نشئها هي نفس السنن العامة التي فعلت فعلها في تقدم العمران مما لم يحلم بهِ واضع التاريخ ولا جال في خيال مدوّن الاخبار فكأنهُ قد تكوَّن لهذا العلم ثلاث دوائر متداخلة . اولها تدوين الوقائع . ثانيها تعليلها الاجتماعي . ثالثها وهو المحيط بهاتين الدائرتين فلسفة نشوئها وارتقائها. ومن وراء هذه كلها دائرة رابعة يقال لها دائرة (ما وراء الطبيعة) عند علماء الدين وهي دائرة المقاصد الالهية السرية التي يديرها مهندس الكون الاعلى علة العلل قطب دائرة الوجود وربُّ الازل

ولذا فقد اصبح الاقتصار في درس التاريخ على درس وقائعهِ واستيعاب اساطيرهِ مجردةً على ارتباطها بذلك الناموس العام من ضرائب المدارس وعبئًا ثقيلاً على الاذهان كما اوضح سبنسر في فلسفة التربية والتهذيب باقطع برهان . بل ان علم العمران نفسهُ اذا حصر نطاقهُ في النظر الى الاسباب الثانويَّة لتقدم الامم وانحطاطها من الوجوه الطبيعية والادبيَّة على ما هو معروف في فلسفة التاريخ البسيطة ولم يتجاوز البحث فيهِ الى ناموس الحياة العام بقي ضيق النطاق قريب حدود المجال . نعم لا ينكر ان تمثيل نشأة التمدن القديم والحديث لمرآة النظر بعللهِ العمرانية القريبة من دواعي اللذة والانشراح كما جاء (لاحد خدام الانسانية) في مقالة "نشأة اوربا" الحديثة في مقتطف هذا العام الا ان اظهارها ناشئةً ناميةً متدرجةً لناموس النشوء كالجسم الحي ادعى الى ارتياح النظر البعيد وارضى لنفس الباحث الدقيق

ولما كان نصيب العربية من هذين العلمين قاصرًا في ما نعلم لهذا العهد على اسفار معدودة كتاريخ التمدن الاوربي للفيلسوف كيزو ومقدمة ابن خلدون في علم العمران وهما لم تتعدَّ ابحاثهما حدود الاسباب القريبة في تقدم التمدن والعمران لم يكن للمتشوّف الى ما وراء ذلك غنى من الاجنبية يستقي من بحارها ويهتدي بمنارها شأن الشرقيين اليوم في كل العلوم حتى يبلغ الشرق من الارتقاء زمانهُ في نظر الفيلسوف او حتى يثني الزمان عنانهُ على قول الحالم المتخيّل والمتعلل الاسيف

(٢)

اما غرضنا في هذه المقالة فهو تحصيل ما انتهى اليهِ بحث علماء الاجتماع البشري من اشتراك

علم العمران مع علم الحياة بمبادىء النشوء والارتقاء وادراج العلمين في سلك واحد من اسباب التقدم والنماء لما بينهما من الشبه ونسبة الاتصال مع الفارق الحقيقي معتمدين في تقرير حقائقهِ على عمدة من اكابر علم التاريخ والعمران اهل النشوء الالهي عداة فلسفة الماديين والزخصومهم زحاماً واقطعهم حساماً في ذلك الميدان

لا يخفى ان مرجع النشوء في الاحياء هو التغيرات الحاصلة لها باختلاف احوال المحيط الخارجية مع الميل الداخلي فيها الى موافقة تلك الاحوال بحيث تحفظ موازنة التقدم بين الامرين ولما كانت تلك التغيرات هي محط نظر الباحث لم يكن لهُ بُدٌّ من اعتماد الكلي منها واغفال الجزئي ليتسهَّل لهُ استخراج القواعد الكلية شأن تقرير الاحكام الاصلية في كل العلوم. وهذا هو نفس الحكم الذي يجب ان يعتمدهُ علماء الاجتماع بتقرير احكامهِ الكلية اريد بهِ التعويل على التغيرات الكلية الاصلية واطراح الجزئية الفرعية في احداث التاريخ. فاذا نظرنا الى التغيرات الاجتماعية الكلية في مبحثنا هذا رأينا فيها ميلاً كليًّا عامًّا الى التقدم من اسوإ الحالات الى احسنها اي ان وجهتها التقدم العام ابداً

فليس المراد ان التاريخ البشري كان شأنهُ التقدم في كلٍّ من جزئيات وقائعهِ في انحاء المعمور وفي جميع الازمان فانك ترى في عصور مختلفة وبلدان متنوعة مظهر التأخر جليًّا ماثلاً للابصار ولذلك فان كثيرين من علماء القرن الثامن عشر لاغفالهم الشرط الآنف الذكر في تقرير الاحكام الكلية سبق لهم الوهم فقالوا ان مبدأ التقدم ضروريٌّ الشمول والاطلاق في كل ادوار التاريخ كما غلب الوهم يوماً على الشهير لامارك في حسبانهِ هذا التقدم ضروريًّا مطلقاً في نشوء العضويَّات. وقد بلغ الخطأ من بعض مَن لم يروا مهربًا من ثبوت التأخر في بعض احوال الامم أن زعموا ان للجنس البشري جدَّين احدهما فُطر فيهِ الميل الى التقدم والآخر طبع على التأخر. فكان شأنهم في هذا الاعم شأن من رأى الطول في قامات بعض البشر والقصر في غيرهم فحسب النوع الانساني نوعين في البنية الجسديَّة احدهما يميل الى طول القامة والآخر الى قصرها. اوشأن من قال بقياس التمثيل " الشيخوخة حال طبيعية عامة في الانسان لان فيهِ ميلاً طبيعيًّا اليها" ومنشأ الخطإ في ذلك الوهم كلهِ غفلتهم عن هذا الحكم وهو ان للتقدم شروطاً قد لا تتوفَّر في كل ما هو موضوع للتقدم. ولقد فاتهم ان ادراك الشاب طور الشيخوخة وبلوغ الامة درجة التمدن يتوقفان على احوال المحيط الى حدٍّ بعيد

ومحصل ما يقال في باب تغيير الشؤون الاجتماعية ان التقدم فيها قاعدة كلية وان دخل تحتها شيءٌ من شواذ التأخر وتخللها حال من احوال السكون وان الارتقاء العمراني على الجملة سنة التاريخ

ولذلك فمتى عُرفت شروط التقدُّم عُرفت اسباب التأخُّر على السواء . اي اذا اثبتنا تقدماً لقبيلة من قبائل الارض أبنّا تأخُّراً يعاكسهُ في الاحوال الداخليَّة والخارجيَّة بلا اشكال على حدّ ما ثبت في علم العضويَّات نريد بذلك ان ما يُعلل ارتقاء بعض انواعها يعلل تأخر البعض الآخر او وقوفها او انقراضها بفقد اسباب الارتقاء

وعليهِ فقد احسن الفيلسوف كونت بحصرهِ تاريخ الاجتماع في مجرى التمدن مبتدئاً من شواطئ البحر المتوسط الشرقي حتى انتهى ممتدّاً الى اوربا وقسم من اميركا كأنهُ يقول ان اسباب التأخر تظهر من اسباب التقدُّم فاختصر الطريق وابدع في التحقيق وان مقياس الارتقاء مقياس الهبوط ابداً شأن التوازن في كفتي ميزان

الاَّ انا قبل الشروع في بيان المطلب الاقصى في هذا البحث اللذيذ لا ندحة لنا عن مرّ النظر على اركان التقدم الاجتماعي ومقوماتهِ فنقول

(٣)

ان لهذا التقدم ركنين اوَّلين هما القبيل والمحيط . اما محيط القبيل فهو ما احاط باحوالهِ وشؤُونهِ الاجتماعية القريبة والبعيدة ممَّا يؤَثر فيهِ على وجهٍ مَّا حتى يلائمهُ ويرتقي اليهِ . وهنا لا بدَّ لنا من التنبيه على ان ليس المحيط ما اقتصر على اقليم الامة الطبيعي وتربتها وحيوانها ونباتها وموقعها الجغرافي ونسبتها الى سلاسل الجبال وطول ساحلها البحري وما شا كل ذلك بل هو ما شمل ايضاً حالة الامة العقلية والادبية كمبلغ افكارها وعوائدها ومنشإها وتاريخها وتقاليدها مع علاقتها بمن يجاورها من الامم الداخلية ويخالطها من الخارجية وما يؤَثر فيها من مجموع هذه الاحوال . وعلى ذلك فقد يختلف محيط القبيلة ضيقاً وسعةً مثال الاول محيط قبيلة الاسكيمو فانهُ ضيق الدائرة لانحصارهِ في موقعها الطبيعي في لابرادور وعلاقتها بقبائل قليلة مجاورة لها واختلاطها بعدد يسير من التجار والسيَّاح وشيءٍ زهيد من تقليداتها الموروثة عن اسلافها . وهذا كلُّهُ ما يؤَثر في احوال هذه القبيلة الضعيفة الحال

ومثال المحيط الثاني مُحيط الولايات المتحدة فانهُ يُحيط بقارة اميركا الشماليَّة ويشمل جميع الامم المعاصرة المخالطة لها من كل ما انتهى اليها من مبلغ التقاليد والعادات والافكار من سياسيَّة وادبية وعلمية ودينية ويشترك فيهِ معها سائر الامم التي ورثت التمدن عن المملكة الرومانية . واماَّ سبب اتساع دائرة المحيط الاجتماعي ووفرة ما يحويهِ من مختلف الامور فسيظهر في ما يلي من البيان

ويحسن بنا في مساق هذا الكلام على تعريف المحيط ان نُشير الى ما عُلق في اذهان بعض

الكتبة من زعمهم ان الاسباب الطبيعية (او بقاع الامم) هي كل المؤثرات الاجتماعية او اقواها

وفي ابطال هذا الزعم قال اهل التحقيق ان ليس لهذا الوهم من علة سوى الغفلة عن نسبة علم الاجتماع الى الاصل الذي تفرع هو عنهُ مع الفارق المُضاف اليهِ . فكما ان علم الاخلاق (او النفس) هو فرع من علم الحياة مع زيادة اختصاصهِ بالبحث عن العقل ونسبتهِ الى المحيط كذلك علم الاجتماع فرع عن علم (الاخلاق) مع ما انضاف اليهِ من خاصة البحث عن مجموع العقول ونسبة بعضها الى البعض والى محيطها المشترك ايضاً

وكما ان مساعي علماء الحياة وراء اكتشاف ناموس عام لترقي العضويات ذهبت ضياعاً لانحصارها في نسبة الحي الى محيطهِ الطبيعي فقط ولم يفوزوا بضالتهم المنشودة حتى فطن دارون الى نسب الاحياء بعضها الى بعض كذلك يكون نصيب علماء الاجتماع من القصور والتقصير ما دامت ابحاثهم محصرةً في نسبة الامة الى موقعها الطبيعي ضاربين الحجاب على نسبها الضرورية الى غيرها من الامم ومؤثراتها الفعلية والادبية

ولا يُنكر انهُ كان لطبيعة الاقليم التأثير البالغ في ادوار التمدن الاولى . فمما لا شبهة فيهِ ان التمدن نشأ اولاً في بقعةٍ لم يكن تحصيل الطعام والمأوى فيها يتطلَّب فرط الجهد وكان حال الطبيعة من الخصب والجدب على اعتدال . فلم يكن منشأ التمدن في مفاوز سيبيريا الجرداء ولا سهول البرازيل بقاع الخصب والنماء بل كان في مثل ارض مصر وما بين النهرين حيث لا الجدب ينهك قوى الانسان او يلقيهِ في مخالب الجوع ولا فرط الخصب يحملهُ على فتور الهمة والاهمال

ولا نزاعَ ايضاً في ان امة اليونان مثلاً تعزو كثيرًا من قوتها المدنية التاريخية الى موطنها على ساحل البحر وان بحر الروم مقدس الذكر عند درّاس التاريخ اذ هو الذي حملت امواجهُ سفن التجارة بين ذهاب واياب فتمكنت اسباب المواصلات واشتدت اواخي الاشتراك الاجتماعي بين الامم على حد ما يُشاهد اليوم في شعوب اوروبا الساحليَّة . ولكن مع ذلك كلهِ فلما درج التمدن من مهد الطفولة وجعل يرقى في معارج الفتوة والشباب لم يكن لهُ في اشتداد عزيمتهِ غنًى عن اقتباس ما انتهى اليهِ من الاخبار المشترك وما ورثهُ عن سالف الاجيال

ومن جوامع الكلم المأثورة عن الفيلسوف كونت ما جاء لهُ في هذا الباب وهو قولهُ " ان مملكة الاموات تزداد سطوةً وسيادةً على مملكة الاحياء على تراخي العصور " وقال العمراني فسك الاميركاني الشهير " انَّا اذا رمنا استقصاء تمدننا والتحقيق في سلسلة محيطنا العمراني لم نرَ محيدًا عن التقهقر الى حلقات التاريخ المتعلق بنا نحن الاميركان . فهي ترتفع الى نصرة اليونان

على الفرس في واقعة ماراثون وفوز قيصر بأمة الغول وتأسيس النصرانية وهزيمة اتيلا في كالون ونزول النورمانديين الى انكلترا وحروب الصليبيين واصلاح لوثيروس . . . مع ارتقاء العلم الرياضي منذ زمن ارخميدس الى فاراري الخ الخ . فان كل ذلك كان ولا يزال اكثر تأثيراً في احوالنا الاجتماعية من الجبال الصخرية (غربي اميركا الشمالية)والبحيرات العظمى المشهورة (شمالي الولايات المتحدة في القسم الشرقي منها) وخليج المكسيك "

واذا سألنا سبباً لبقاء امة الاسبان مثلاً الى هذه الساعة امة الخرافة والتعصُّب لم نجد تعرض بلادها الى الزلازل الأ سبباً زهيداً بالقياس الى كونها ساحة النزاع في امور الدين "

وعلى ذكر امة الاسبان والزلازل يخطر لنا في هذا الشأن حديث جلل يتعلق بتمدن العرب نظنهُ شديد الموقع في اذهان قرَّاء المقتطف الاغرّ من اهل الغيرة على هذه الامة الجليلة الشأن في تاريخ التمدن والعمران

ذلك ان بعض الكتبة الغربيين ذوي المكانة في فلسفة التاريخ اخطأ المرمى في تعليله تمدُّن العرب فقال " ان ما كان للعرب من حال الخشونة والجاهلية المعلومة انما ينسب لوجودهم في بقعةٍ قاحلةٍ من الارض فاورثهم ضعف الحال تلك البداوة وعجف المال ذلك الجهل العريق والجهل ثمر الفقر حيثما كان. ولكنهم (اي العرب) لما فتحوا بلاد فارس في القرن السابع (للميلاد) وتملكوا اسبانيا في الثامن والبنجاب بل معظم بلاد الهند ما كادوا يحطون رحالهم في هذه الممالك الجديدة حتى بدت علائم التبدل والانقلاب في اخلاقهم. فبعد ان كانوا في جزيرة العرب قبائل رحلاً ورعاة همَلاً اشبه بالانعام السائمة يفترشون الغبراء ويلتحفون السماء ولا يعلمون عن ابواب الرزق سوى شن الغارات اصبحوا في فتوحاتهم وقد وُطِئَت لهم اكناف المجد المدني من فخامة الملك وبهجة الدنيا والبسط في العلم والانفراد بالعز حتى عمروا الامصار على بناء يحير الالباب ويأخذ بالابصار واقاموا المدارس والمساجد وحشدوا اسفار السلف الى مكاتبهم من جميع الاقطار مما تكتحل العين بمشاهدة آثاره ولا يمحى ذكر فخاره "

ففي الردّ على موضع الاستشهاد بهذا القول لا يحتاج الآ الى سؤالين . الاول اذا كان العرب انما ادركوا ذاك التمدن بتبديل بقيعهم ببلاد الاندلس وفارس والهند فلمَ لم يتأتَّ ذلك للامة التي غادرت بواديها وحلَّت احسن موقع جغرافيّ وابهى مملكةٍ في الغنى والمجد بل ظلَّت بعد قرونٍ عديدة تدافع غارات التمدن بسلاح الخشونة والجهل ؟ والسؤال الثاني كيف قيِض للعرب ان تهجر صحاريها وقفارها وتنتجع البلاد الواقعة بين جبال البيرنس ونهر الكنج فهل كان ذلك الانقلاب جيولوجيّاً او نشأ عن تغير في طبيعة الاقليم والتربة ؟ اننا لا نحتاج في



امبراطور اليابان

الجواب على هذين السؤالين الى تعمق في التاريخ فقد يجيب عليهما ابسط طلابهِ وهو انهُ لم يتسنَّ للعرب بلوغ تلك الحال المدنيَّة الَّا بعد ان تبدلت حالهم الفكريَّة فدخل على نفوسهم آراءٌ جديدة في الحياة والواجبات ومطالب الآخرة بدعوة الاسلام وعلى الجملة فان المؤثر الاخلاقي او النفسي لا الطبيعي هو علة تمدُّن اهل الاسلام متري قندلفت

نبأٌ من اليابان

امبراطور اليابان ورجالها

لقد اتَّضح من الفصول السابقة ان ارتقاء اليابان امر حقيقي لا ريب فيهِ وانهُ شامل كل مقوّمات حياتها كافَّة فلاحتها وصناعتها وتجارتها وامارتها حتى صارت تباري الممالك الاوربيَّة في بناء اكبر البواخر كما تباريها في عمل ادق المصنوعات ولم تقتصر على ما كان معروفاً عند اهاليها بل اقتبست احدث الصنائع الاوربية حتى عمل المقاييس الهندسية والآلات الكهربائية وبارت اوربا ايضاً في اتساع تجارتها وفي دستورها ونظام جنديتها وبحريتها

ولا بدَّ من ان يسأل مَن يحبُّ الاطلاع على ما يرفع الامم وما يخفضها وما يقوّيها وما يضعفها عن اسباب هذا النهوض وعلل هذا الارتقاء . وقد اجاب المستر ستد عن ذلك بقولهِ ان السبب الاكبر هو امبراطور اليابان فان لهُ اليد الطولى في ارتقاء بلادهِ ولو لم يكن ذلك ظاهرًا في كل شيء . فان ديانة اليابان توجب على اهاليها الخضوع التام لهُ . ولكلمتهِ شأن عندهم اكثر مما لكل السنن والشرائع وهو فوق كل قانون ودستور ويتَّضح ذلك من المثال التالي وهو انهُ منذ سنتين عُرض على مجلس الاعيان مشروع قانون الضرائب فقاومهُ اربعة اخماس الاعضاء وحينئذٍ وردت رسالة من الملك يقول فيها انهُ يود ان يصادقوا على المشروع فصادقوا عليهِ كلهم بالاجماع

ولا يخفى ان اعطاء الملك سلطة مطلقة الى هذا الحد يضر البلاد ضررًا كبيرًا اذا كان الملك جاهلاً سيء السياسة او ظالمًا فاسد الرأي ولكنهُ ينفعها نفعاً عظيمًا اذا كان الملك حكيمًا برًّا برعيتهِ. وامبراطور اليابان من هذا النوع الاخير وهو في مقدمة رجالهِ الساعين في ترقية بلادهم والفضل الاول لهُ في كل ما اصابتهُ البلاد من النجاح

وهيبة هذا الامبراطور متملكة من قلوب شعبهِ حتى لا يجسر احد ان يقف امامهُ ويكلمهُ الَّا ويتلعثم لسانهُ ما عدا اربعة من رجالهِ مع انهُ لا يعامل احدًا بالقسوة والجبروت

وهو مثل ملوك المشرق قليل الخروج من قصرهِ واذا خرج جلس امامهُ في المركبة واحد من خواصهِ جلس مطرقاً لا يرفع بصرهُ الى مولاهُ

وهذا الاكرام يشمل الملكة فانها تُعَدُّ امًّا لشعبها كما يُعَدُّ زوجها ابًا لهم وشخصها مقدس عندهم فيكرمونها اكرامًا دينيًّا وهي من المولعات بحماية الفنون الجميلة كالموسيقى والتصوير

وولي عهد المملكة شاب عمرهُ ٢٣ سنة فقط لكنهُ متزوج ولهُ ولد وليٌّ لعهدهِ بعدهُ

والملك ورجالهُ يلبسون اللباس الاوربي في كل المقابلات والاحتفالات وهو رئيس الجيش والبحرية وبيدهِ ميزان التوازن بين احزاب المملكة وقواها المختلفة. وفي الدستور الذي سُنَّ سنة ١٨٨٩ سبع عشرة مادة تختص بالملك منها ان شخصهُ مقدَّس وانهُ هو الذي يسن القوانين بمصادقة مجلسهِ وهو الذي يأمر باجرائها وتنفيذها وهو الذي يجمع مجلس النواب ويفتحهُ ويقفلهُ ويحلهُ واذا كان المجلس غير مجتمع ودعت الحال ان اصدر الملك امرًا لا يصير ذلك الامر قانونًا ما لم يجتمع مجلس النواب ومجلس الاعيان ويصادقا عليهِ واذا لم يصادقا عليهِ أُلغي. وللامبراطور ان ينظم فروع الادارة المختلفة وينصب ويعزل ويعيّن الرواتب وفي يدهِ نظام الجنود البرية والبحرية وهو الذي يعلن الحرب ويعقد الصلح ويمنح الرتب والنياشين وبيدهِ العفو وتخفيف العقاب

هذه هي حقوقهُ المكتتبة ولكن حقوقهُ غير المكتتبة اعظم منها وارسخ في النفوس فان كلمة منهُ ترجح على دستور البلاد كلهِ ولاسيما في عيون الشيوخ والكهول من رجالهِ اما الشبان فيودون ان تكون السلطة للدستور لا للامبراطور لكنهم قلما يجاهرون بذلك ولاسبيل لهم للمجاهرة بهِ لانهُ ليس لهم سبيل للشكوى من الحال الحاضرة وما دام الدستور يخول الامبراطور وضع الرجال في مناصبهم فهو لا يضع في المناصب الَّا الذين يثق بهم

اما جمهور الشعب فينظرون الى الملك نظر العابد الى المعبود واكرامهم لهُ نوع من العبادة. وفي العام الماضي طلبت احدى جرائد يابان قتل المركيز ايتو لانهُ تجاسر ان يقابلهُ وهو بالثياب التي لبسها لما حضر جنازة احد اصدقائهِ حاسبة ذلك اهانة للامبراطور لا يكفّر عنها الَّا بقتل من اجترأَ عليها. والتعليم العمومي الجاري الآن في بلاد يابان يرسخ هذا الاعتقاد في اذهان اليابانيين كما ابنَّا في الكلام على التعليم

ويحق لليابانيين ان يفاخروا بامبراطورهم لانهُ ما من امةٍ ارتقت في عهد ملك واحد من ملوكها ارتقاء اليابانيين في عهدهِ وما من ملك توفّق الى خدمة امتهِ اكثر مما توفّق هذا الامبراطور الى خدمة الامة اليابانية

وهو كهل ولد في ٣ نوفمبر سنة ١٨٥٢ (فهو اصغر من سلطاننا بعشر سنوات) وخلف اباهُ وعمرهُ خمس عشر سنة فقط فلهُ قائم على سرير الملك ٣٥ سنة وتزوج سنة ١٨٦٩ بالاميرة هاروكو فرزق منها ابناً واربع بنات وابنهُ ولي عهدهِ لان ولاية العهد محصورة في الاولاد الذكور والمال المعين للامبراطور ثلثمئة الف جنيه في السنة . ولما عُقد الصلح بين اليابان والصين أُعطي مليوني جنيه من غرامة الحرب اعترافاً بفضلهِ على الامَّة وبما بذلهُ من العناية والتدبير في امر تلك الحرب . وسيأتي الكلام في الجزء التالي على رجال اليابان الذين ساعدوا امبراطورها في رفع منارها

نصائح لسلامة العيون

الاعتناء بالعيون يبدأُ قبل تكوُّن الجنين ويستغرق كل ادوار الحياة وقد أعددت عشرين نصيحة لحفظ العيون سليمة اذكرها بحسب الترتيب الموافق للسن الذي ينبغي ملاحظتها فيهِ وهي

(١) للوراثة تأثير عظيم على البصر فيحترس من اقتران المريض بالزهري قبل مضي ثلاث سنوات على زوال العلامات الثانوية كالطفح الجلدي وسقوط شعر الرأس وتقرح الفم والحلق والاغشية المخاطية . وبعد الزواج لا ينقطع المصاب عن استعمال العلاج الموافق اي يوديد البوتاسيوم مدة ٣ سنوات أُخرى والرجوع الى الاستحضارات الزئبقية عند اللزوم . ويحترس ايضاً من زواج المصابين بالسل او الخنازيري لما قد يعتري اولادهم من امراض العين الخطرة ويحترس كذلك من زواج فاقدي البصر منذ الصغر لانهُ قد يولد لهم اولاد عيونهم ضامرة او مصابون بعاهات مختلفة . ومن امراض العين الوراثية قصر البصر او الميوبيا فيراقب اولاد المصابين بهذا الداء مراقبة خصوصية عند دخولهم المدارس ويعطون النظارات الموافقة عند الحاجة اليها بلا ابطاء

(٢) يغسل مهبل الوالدة قبل الوضع بمحلول مطهر فاتر لكي يقل تعرض عيني الجنين للتلوث بالميكروبات المرضية التي قد تلتصق بالغشاء المخاطي وتؤدي الى ظهور رمد المولودين حديثاً

(٣) يقطر في عيني الطفل حال الولادة نقطتان من قطرة مصنوعة باذابة ٣٠ سنتجراماً من نترات الفضة في ٣٠ جراماً من الماء المقطر ومستنبط هذه الطريقة هو الاستاذ كريدي وتعرف باسمهِ وقد قلل بها معدل اصابات رمد المولودين حديثاً من عشرة في المئة الى نصف في المئة

(٤) اذا احمرَّت احدى عيني الطفل او كلتاهما او ظهر عليهما ادنى علامة التهابية

كانتفاخ الجفون في الاسبوعين الاولين من الولادة وجب الاسراع الى استشارة الطبيب المختص بذلك لان اقل اهمال قد يؤدي الى فقد البصر. ولقد احسنت الحكومة الالمانية وحكومة الولايات المتحدة بوضعهما هذه المسؤولية على عاتق القابلة

(٥) رمد المولودين حديثاً والرمد الصديدي الذي يعتري الصغار والكبار شديدا العدوى فمن الواجب فصل المصاب وتفهيم المعتني بهِ وجوب غسل يديهِ كلما لامس المريض بمحلول مطهر قوي وضرورة حرقهِ كل الاشياء التي تتلوث بالافراز الخاص كالقطن والاربطة وما شاكلها

(٦) السيلان من اكثر الامراض العمومية انتشاراً فاذا اصيبت الوالدة بهِ وجب ان تتخذ كل الاحتياطات المذكورة في النصيحة السابقة من غسل اليدين وحرق الانسجة الملوثة لئلا تتصل ميكروباتهُ بعينيها او عيني طفلها فتسبب الرمد الصديدي الشديد الخطر

(٧) تتبع نظافة العينين منذ الولادة وتستمر مدى الحياة ويتم ذلك بغسلهما مرتين في اليوم بالماء النقي المذاب في كل ليترمنهُ ٥٠ جراماً من الحمض البوريك او نصف جرام من الحمض السليسليك او ٢٠ سنتجراماً من السليماني او سيانيد الزئبق او خمسة غرامات من ملح الطعام النقي وهذا العلاج الاخير كثير الاستعمال لقلة تهييجهِ العيون وسهولة الحصول عليهِ

(٨) ينبغي ان تكون عيون مرضع الطفل وخادمتهِ ومهذبتهِ خالية من كل مرض معدٍ وقد يستحيل معرفة ذلك بغير استشارة الطبيب فمن الواجب الاعتماد على رأيهِ في هذه الاحوال

(٩) يزاد الاعتناء بنظافة العيون في اثناء ظهور الاسنان

(١٠) لا يهمل التطعيم بالمادة الواقية من الجدري لان الجدري اشد فتكاً بالعيون منهُ بالنفوس وتراقب العيون مراقبة خصوصية اذا أُصيب الطفل بهِ او دهمتهُ الحصبة او الحمى القرمزيَّة لما قد يتأتى عن ذلك من الاضرار الجسيمة

(١١) اكتشفت ميكروبات الانفلونزا والدفتيريا في العين فينبغي ان لا ينسى ذلك اذا اصيب الطفل باحد هذين المرضين

(١٢) يعتنى بانتخاب العاب الاطفال ولا يعطوا ما يمكن ان يسبب اذى للعين كالاسياخ والبارود وما شاكل ذلك ويقدر عدد الذين فقدوا بصرهم لاهمال والديهم هذه النصيحة بثلاثة في المائة من مجموع العميان

(١٣) تحببات الملتحمة كثيرة الانتشار في القطر المصري وافرازها شديد العدوى وتنتقل الميكروبات الى العيون السليمة بواسطة الايدي والذباب والمناديل وما شاكلها فمن

الواجب عدم قبول التلميذ المصاب بهذا المرض في المدارس قبل ان ينال الشفاء التام. ويشتد فتك هذا الداء في الاماكن الواطئة والكثيرة الغبار ويصيب خصوصاً ذوي المزاج اللمفاوي والخنازيري

(١٤) اذا تشكى التلميذ من تعب في نظره مصاحب بالم في رأسه وميل الى تقريب الكتاب من عينيه حين المطالعة وجب ان يستشار الطبيب في ذلك ليفحص عينيه ويشير عليه بالنظارات الموافقة عند وجود داعٍ لذلك

(١٥) الحدادون والبناؤون والصاغة والطحانون والنجارون ونحاتو الحجارة والمعدنون هؤلاء كلهم يشتد تعرض عيونهم للاصابة باجزاء صغيرة مما يشتغلون به فلهذا يستحسن ان يستعملوا نظارات سلكية واقية

(١٦) اذا أُصيبت العين بجسم غريب فلا يقتصر الخطر عليها بل يتخطاها الى شقيقتها ولذلك ينبغي المبادرة الى الطبيب في هذه الاحوال

(١٧) الزهري من اشد الامراض العمومية ضررًا بالعين فينبغي على من أُصيب به الاعتماد على نصيحة طبيب العيون عند ظهور ادنى انزعاج بصري

(١٨) البول السكري والزلالي والامراض العصبيَّة وامراض القلب والاوعية الدموية هذه كلها قد تسبب امراضاً مختلفة في العين فينبغي الاحتراس الشديد ومداركة العلة حين بدئها

(١٩) يزداد طول النظر كلما تقدم المرء في السن ويتسبب ذلك عن ضعف العضلة الهدبية وعدم مقدرتها على القيام بتكييف العين تكييفاً تاماً فمن الواجب والحالة هذه استعمال النظارات المحدبة وتبدل باقوى منها كل سنتين او ثلاث سنوات لتسهيل المطالعة ورؤية الاشياء القريبة بلا اجهاد شديد قد يفضي الى تشنج العضلة المذكورة سابقاً مع ما يأتي عن ذلك من الاضرار

(٢٠) النصيحة الاخيرة استشارة الطبيب عند اقل عارض يعرض على العين لان مداركة كل العلل حين ظهورها خير من الاهمال وانتظار زوالها بلا واسطة . وما يمكن اقامته في يوم في بداية المرض قد لا يتأتى في شهر عند استحكام اذاه والوسائط كثيرة للغني والفقير فما من مدينة الا وفيها مستشفيات واطباء لا يتأخرون عن تقديم النصيحة والعلاج مجاناً للمعوزين

الدكتور

الياس ابرهيم صلبي

طبيب العيون

عروسة النيل

الفصل السادس والاربعون

وبعد الفراغ من المحاكمة عاد ابولون الى المنزل عابس الوجه مقطب الجبين فمرَّ ببيت سوسنة فاذا بجمهورٍ من الناس واقفون امام باب البستان وعلى وجوههم الخوف والاضطراب فسأل احدهم عن علة اجتماعهم هناك في تلك الساعة فأشار هذا الى لوح كبير معلق على السور فقرأ فيهِ "اياكم والدنوّ من هذا البيت فالوباء يفتك بساكنيهِ" وكان ابولون ضعيف الفؤاد يخاف من الوباء خوفهُ من ملاك الموت فدعا اليهِ احد رجال الحفظ وطلب منهُ الوقوف على تفاصيل الاصابات فقال اصيب امس احد عبيد سوسنة وابنهُ فعزلا ثم اصيبت سيدة المنزل اليوم فضربنا على المنزل ومن فيهِ نطاقاً صحيًا فلا يخرج منهُ احد فطار قلب الشيخ شعاعاً وحار في وصول الوباء الى ذلك البيت وهو بمعزلٍ عن الاحياء الموبوءة ولما كان منزل روفينس ملاصقاً لبيت سوسنة خشي ان ينتقل الداء اليهِ فامر الرجل باتخاذ الاحتياط الشديد وبث العيون والارصاد على اهل البيت فلا يخرج منهم احد قال هذا وعاود المسير الى بيت روفينس فصعد توًا الى غرفتهِ وكان الوقت بعد الزوال وبينما هو يستعد للنزول الى الطبقة السفلى لتناول العشاء دخلت عليهِ جارية تحمل طبقاً عليهِ شيءٌ من الاطعمة فاستغرب ذلك وقال لها علامَ اتيت بالطعام اليَّ فاخبرتهُ ان السيدات يؤْثرن تناول الطعام وحدهنَّ اما طعامهُ فيؤْتى بهِ الى غرفتهِ. فادرك الغرض المقصود من هذا العمل فاشتد بهِ الغيظ والحنق ونادى عبدهُ فقال شد لي على حماري ثم دار الى الجارية فقال واين سيدتك الآن قالت في الدار وعندها غمالائيل اليهودي فاسرع في النزول فلقي الصيرفي يتأهب للذهاب فعلم انهُ انما جاء لينذر اهل البيت ويحذرهم منهُ فلم يحفل بهِ بل ظل سائرًا حتى بلغ غرفة المائدة فابصر هيلانة وماري راكعتين بجانب الارملة والنساء الثلاث يبكينَ فعلم انهنَّ يبكين سوء حظ باولين وانهنَّ يتهمنهُ بالاساءة اليها فعمد الى تبرئة نفسهِ من التهمة وخاطب الارملة فلم تجبهُ ولكنها اومأت بيدها الى الباب فظل الشيخ مكانهُ وهمَّ بالكلام ثانية فقاطعتهُ قائلة حسبك ما قلت يا مولاي فلا شأن لك في هذا البيت بعد اليوم فقد قطعت بيدك ما كان يربطنا من رُبُط الصداقة فعد الى بيتك ولا تعمد الى اساءتنا فحاول الكلام وهو يتميز غيظاً فحولت وجهها عنهُ وامسكت بيدَي الفتاتين قائلة هيَّا بنا يا ابنتيَّ ثم اجتزنَ الباب الى غرفة اخرى واقفلنهُ تاركات ابولون وحدهُ . ولا تسل عمَّا الم

بهِ من الغيظ والحقد في تلك الساعة فانهُ لم يلقَ اهانة كهذه في حياتهِ قط فركب حمارهُ وعاد الى منزلهِ وهو يلعن باولين ويتمنَّى لها شرَّ الميتات

وقضى بعد ذلك يومين يطوف في الاسواق والشوارع ومجتمعات الناس غير حافل بالحرّ والتعب وهو يهيج القوم تارة بالتمليق وطورًا بالارهاب مبينًا لهم باجلى بيان ان امرهم في يدهم فاما هلاك اكيد او خلاص عاجل ولم يغفل عن حضور جلسات المجلس والقاء الخطب على اعضائهِ لئلاَّ يرتدوا عن عزمهم ويحاوزوا الى المطران وكان اذا لقي جمهورًا من العامة يصف لهم بهاء الحفلة ويشوقهم الى رونقها وجمالها ويفصّل لهم ما كان اسلافهُ يفعلون في مواكب ايسس كما رآهُ بنفسهِ وكما نصَّت عليهِ اخبارهم المحفوظة في كتبهم كتب الحكمة والعلم ثم يحضهم على اكمال المعدَّات التي تضمن للحفلة زخرفها كل ذلك بالكلام البليغ حتى فتن سامعيهِ وشاقهم وصبوا الى حلول اليوم الذي تجلى لهم فيهِ صورة من صور مفاخر اسلافهم العظام واصبح القوم وكلهم اطوع لهُ من بنانهِ وجميعهم يلهج بالثناء عليهِ ويرى في الامر رأيهُ حتى اذا ما آنس منهم الميل الشديد اليهِ والرغبة في العمل باشارتهِ صاح بهم خلاصكم وهلاكم في ايديكم فاذا ظلت الحال على هذا المنوال خسرتم حياتكم وحياة من تحبون وذهبت اموالكم طعمة للقحط والوباء واذا قدمتم الضحيَّة ووفى النيل عاودكم الاقبال وجادت مواسمكم وفارقكم الداء فما على المدينة اذا انفقت بضعة آلاف درهم في هذا السبيل . ولم يزل في هذا الكلام ونحوهِ حتى هاج المدينة باسرها فعيَّن المجلس موعدًا قريبًا واختاروا لذلك يومًا من ايام الاعياد لتزداد الحفلة بذلك بهجة وليتفرغ لها جميع من في المدينة

اما المطران فلم يقعدهُ فشلهُ الاول عن السعي لانقاذ الاسيرة فلما خرج من المجلس كما تقدم آنفًا ارسل رسالة الى البطريرك انبأهُ فيها بما قرَّ عليهِ المجلس واهل منف واستعطفهُ على باولين متوسلاً اليهِ ان ينهى اهل منف عن ارتكاب هذا الوزر العظيم ثم اخذ يطوف في المدينة ويخطب في الناس اينما لقيهم كاشفًا لهم القناع عن شر عملهم وسوء مغبتهِ وفعل كهنتهُ فعلهُ وغاروا غيرتهُ فبذلوا جهد المستطاع لانقاذ تلك التعيسة . لكنَّ النار التي اوقدها ابولون في صدور اهل منف لم تكن ليطفئها وعد الكهنة ووعيدهم بعد ان اضعف الجوع والمرض سلطة الايمان وذهبا بنفوذ الكنيسة فاندلع لهيبها وكأن ابولون ومريديهِ يصبون عليها زيتًا بما كانوا ينادون بهِ صباحَ مساء

وجاء عبيد ابولون الى بيت روفينس فنقلوا امتعتهُ واوراقهُ وطروسهُ وكان احدهم يحمل رسالة مختومة وقارورة الى الارملة فدفعهما اليها ففضت الرسالة وقرأت فيها ما يأتي " ليس من

العدل شجب امرئ قبل سماع دفاعهِ والتثبت من اقوالهِ. امَّا انتِ فقد فعلتِ بي كذلك فظلمتني لكني سكتُّ واستسلمتُ الى حكمكِ. فاذا عاد فيلبس ففي استطاعتهِ ان يعيد المياه الى مجاريها وهانذا مرسل اليكِ الآن شيئاً من الدواء الذي ركبهُ فيلبس لمقاومة الوباء وقد امتحنت فعلهُ في هذين اليومين فتأكدت عظم فائدتهِ وعسى الداء الذي حلَّ بجيرانك ان يتجاوزكِ واهل بيتكِ".

فلما وقفت ماري على فحوى الكتاب صاحت باعلى صوتها اياكِ وتجرع هذا الدواء ففيهِ السم الناقع. فابت الارملة تصديق قولها وانحازت اليها هيلانة قائلة حسبنا دليلاً على صدق طويتهِ ما يرتئيهِ فيهِ صديقنا فيلبس ثم جلسنَ يتحدثنَ واذا بالنبطي داخل عليهنَّ فانبأهنَّ بوصول توما ابي باولين وقال انهُ معها في السجن فسررنَ بهذا النبإ وتفاءلن بهِ خيراً وحينئذٍ هبَّت ماري من مكانها فقالت حان لي ان افارقكما فاعدَّ دروسي مع المهذبة فامامي عمل شاق يقتضي استعداداً طويلاً فادعيا لي بالفوز والنجاح ثم اكبَّت عليهما تقبلهما وهما يحسبان انها ذاهبة لاعداد دروسها وانهما يريانها في الصباح ولما فارقتهما صعدت الى غرفتها حيث كانت المهذبة بانتظارها فقصَّت غدائرها والبستها ثياب الصبي وهي تبكي ولما فرغت اخذت تتأملها معجبة بجمالها ورشاقتها فقالت قد يسهل على الناظر اليكِ تمييزك ولو متنكرة فانتِ اجمل وجهاً وارق بنية من ان تكوني صبياً فاذا لقيتِ في الطريق بعض المارَّة فانزلي قبعتك على عينيك فلا يعرفوكِ ولمَّا فرغنا خرجتا سويَّةً من البيت حتى اذا ما مرَّتا بكنيسة يعقوبيَّة طلبت ماري الى المهذبة ان تبقى خارجاً بانتظارها ثم دخلت وجثت على ركبتيها وبعد ان قضت بضع دقائق في الصلاة خرجت من الكنيسة وقد اشتدَّ عزمها وكبرت همتها

ولما بلغتا الفندق وجدتا رستم بانتظارهما وقد اعدَّ الهجن والاتباع فودعت ماري مهذبتها وشكرت لها عنايتها بها وحبها لها فقبلتها المهذبة وزودتها ببعض النصائح ثم اركب رستم ماري هجيناً وامر من معهُ بالمسير فسار الركب والمهذبة واقفة تنظر اليهم حتى غابوا عن عينيها فدعت للفتاة بالسلامة والنجاح وطلبت الى الله ان يحميها في الاقامة والسفر وان يبلغها منيتها وفي الصباح دفعت كتاب ماري الى الارملة فلما وقفت على ما تضمنهُ استولى عليها القلق والجزع فدعت المهذبة اليها وعنفتها على سكوتها ولامتها على تشجيعها ماري دون ان تطلع اهل البيت على غايتها وبكت بكاء مرًّا واخذ الحزن من هيلانة كل مأخذ فأبت تناول الطعام وصارت تحسب ماري في عداد الاموات. ونحو الظهر جاء المطران يطلب ماري ليرسلها الى احد الاديرة المجاورة فانبئ بفرارها فاستشاط غيظاً وتهدد الارملة بالقصاص قائلاً سابحث عنها في طول البلاد وعرضها حتى اجدها واردها الى حظيرة الخلاص. وبعد ذهابهِ اعترفت المهذبة بانها زيَّنت

لماري الفرار وجرأتها عليهِ لتخلصها من نير الدير وشقاء عيشة الترهُّب فلما فقهت الارملة قولها طارت فرحاً واكبت عليها تقبلها واعتذرت اليها عما فرط منها في الصباح قائلة تجاوزي عما سمعتِ مني فانتِ كريمة الاصل طاهرة القلب رحبة الصدر . فسرَّت المهذبة سروراً عظيماً واحسَّت ان سعادة الشباب عاودتها وان شتاء عمرها تحول ربيعاً كربيع تلك الايام اذ كانت واخواتها فتياتٍ في مقتبل العمر تحت سقف ابيها

وعلمت باولين بما دبر لها اهل منف فان المطران اتاها ذات يوم وانبأها بما قرَّ عليهِ المجلس وكان يطلعها على تفاصيل الخبر ملتزماً الحذر لئلا يفاجئها النبأ فيصيبها ما لا تحمد عقباهُ وحاول ان يسكن مخاوفها بما كان يؤملهُ من ارهاب القوم وزجرهم وصرفهم عن ارتكاب تلك الجريمة فلما تجلت لها الحقيقة وعلمت انها ستقع فريسة الظلم والجهل والحقد اقشعرَّت وارتاعت وضاقت بها الدنيا على رحبها لكنها كتمت ما بها اذ خشيت ان يلم ابوها بواقع الحال فتزداد همومهُ فيقضي عليهِ جزعاً وغمّاً فاخذت تعلق آمالها على ما قالهُ المطران فسكَّن ذلك بعض اضطرابها ومخاوفها حتى اذا ما بسطت الظلمة جناحيها عاودها الهمّ والقلق واستولى عليها الرعب فتمثلت لها حالتها وهي تقاد بين جماهير الناس الى تلك الميتة الشنعاء وسدى لجأت الى الصلاة فلم تجد لها فيها عزاء فالتمست الراحة في رسائل اوريون وغنائهِ فلم يجدها ذلك نفعاً وشقَّ عليها ان تصبح بعد عزها ورفعة مقامها عرضة لسخرية القوم وضحية لجهلهم فخطر لها ان تنتحر قبل ان يحلَّ بها الويل ورأت في الانتحار دواءها الشافي لكنها لم تلبث حتى دفعت عنها هذا الخاطر وعزمت على الاعتصام بحبل الرجاء الى النهاية

وقبل حلول الاجل المضروب لتضحيتها بيومين زارها المطران ليعزيها في محنتها فاخذ يشدد عزيمتها طالباً اليها ان تلقي اتكالها على الله الى ان قال وسالازمك الى النهاية وابذل جهدي في الدفاع عنكِ فقد يأتينا الفرج من حيث لا ندري وقد زرتك الساعة لاكلمك في الامور الروحية فاذا وقع القضاء وخاب فألنا فاني مستعدٌ للعناية بابيك الى ان ترجع نفسهُ الى ربها . فايقنت باولين بحلول الاجل وعلمت ان الامر قضي وان السهم نفذ فوقع كلامهُ عليها كالصاعقة وانطرحت على مرضعها لا تعي ولما افاقت شكرت المطران على ما بذلهُ من المساعي لانقاذها واثنت عليهِ لاهتمامهِ بوالدها فاجاب وقال — فعلت واجباً فاخفقت وقد كنت اعلل النفس بمنشور البطريرك واعلق الآمال عليهِ فلما اتاني اليوم اذا بهِ غير ما كنت اشتهي نعم ان غبطتهُ شجب هذه الضلالة ولكن منشورهُ ينقصهُ الشدة المطلوبة لارهاب الناس فيقلعون عن غوايتهم لكنهُ آخر سهامي وساطاقةٌ فقد يصيب الغرض وقد امرتهم ان يعدُّوا نسخاً كثيرة منهُ لتوزع

على اهل المدينة وسارسل بعض هذه النسخ الى المجالس واعلق غيرها في الاسواق والشوارع على ان املي بالنجاح ضعيف وهذا يسوءني ويحزنني . فقالت باولين اذًا فساعدني على التأهب للموت واسمع اعترافي فاني اطلب الحل منك وان تكن من غير مذهبي فقال تكلمي فنعلت وهو يصغي الى كلامها وعيناهُ تقطران الدمع السخين حزنًا على صباها حتى اذا ما فرغت باركها وحلها

الفصل السابع والاربعون

ولما وصل المطران الى بيت سوسنة وجدها جثة هامدة وكاترينا واقفة عند رأس السرير وقد شخص بصرها واصفرَّ وجهها فحاول تعزيتها لما آنسهُ من حزنها المفرط وخاطبها بكلام رقيق عذب فدفعتهُ عنها وفرَّت من الغرفة فقال في نفسهِ لم ارَ في ما رأيت حزنًا كحزن هذه الفتاة ويلوح لي ان هنا قلبين ارتبطا باشد ربط الحب فلما سكن الواحد غمرت الاحزان الآخر اما كاترينا فلما صارت الى غرفتها انطرحت على سريرها وفي صدرها كغلي مرجل وبعد برهة احست ببرد شديد فظنتهُ الوباء فقالت ليتهُ يأتيني رحمة من ربي فيريحني من حياة الشقاء هذه ثم اخذت تعيد في مخيلتها ما اتفق لها فرأت امها سائرة في طريق القبر بفضل دسائسها وشدة حقدها وعلمت ان تلك التعيسة تنشقت جراثيم الداء منها ليلة قبلت شعرها فان امارات المرض ظهرت اولاً على شفتيها حتى استغرب الطبيب ظهورها في هذا المكان وسمعت هاتفًا يناديها قائلاً انك قاتلة امكِ وخطر لها اذ ذاك ان الاقدمين كانوا لا يفرضون عقابًا لقاتل والديهِ زعمًا منهم ان جرمًا فظيعًا كهذا مستحيل فغلب عليها القنوط وتمنت الموت ثم ضحكت ضحكة الياس الشديد وقالت اي الذنوب لم ارتكب فقد دنست اسم الله واشتركت في السحر والعرافة وشهدت شهادة الزور وارتكبت جريمة القتل فاية وصايا الله التي انزل على موسى لم اخالف فقد ماتت امي مقتولة بيدي واصبح قلبي قرارة آثامٍ ومستودع شرور وخابت آمالي باسرها فقد سعيت الى موت دورا فجاء القدر . . . . ثم غلب عليها الحزن وعاودها تبكيت الضمير فسئمت الحياة وودت لو تفغر الارض فاها فتبتلعها واحست بضيق شديد فهبت من مكانها وجرت الى حيث كانت جثة امها فركعت بجانبها وهي ترتجف ولما لم تستطع البقاء هناك ركضت الى البستان وقد ضاقت بها الدنيا على رحبها فزارت المواضع التي كانت تقصدها مع امها في حياتها وكانت تنتقل من مكان الى مكان كالمجنونة ولم تزل كذلك حتى طلع الفجر فتنفست الصعداء ثم مشت نحو المنزل فصادفت انوبيس اخاها في الرضاع وكان يبكي فلما رآها اسرع اليها فقالت اواهُ ومصيبة هذا الفتى من بعض اعمالي فدنا منها وعزَّاها على فقد والدتها فاجابتهُ بكلامٍ متقطع لا معنى لهُ حتى قال انها اضاعت رشدها لحزن لحزنها وفاضت عبراتهُ ووقف الاثنان صامتين ثم قالت

اتعرف يا انوبيس كيف يكتبون الوصية قال نعم فقالت صف لي ذلك ففعل الى ان قال ويجب ان يوقع عليها شاهدان يشهدان على صحة توقيع صاحبها اما انتِ فلا تستطيعين كتابة وصيتكِ الآن فانك قاصرة فقالت وما عليَّ من ذاك وقد كتبت باولين وصيتها وليست اكبر مني سنًا فقال هل بلغكِ انهم سيضحونها غدًا فقد سمعت الناس يدعونها عروسة النيل . فابتسمت ابتسام الفوز وبدا الحقد في وجهها لكنها عادت فعبست ودخلت البيت

ونحو الظهر جاء المطران للجنازة فرأى الازهار النضرة تغطي النعش فقيل لهُ ان كاترينا انتقت تلك الازهار وحدها من البستان ونظمتها اكاليل وباقاتٍ فمال اليها لما آنسهُ من حبها لامها واخذ يعزيها وهي تجيبهُ كالتائهة الغائبة

ولما تقدم الحاملون ليرفعوا النعش هبت كمن افاق من حلم وانطرحت على جثة والدتها فودعتها وداعًا يفتت الاكباد واسندت رأسها الى صدرها كما كانت تفعل في حياتها ثم سالت عيناها بالدموع لاول مرَّة وانهمر ماء العزاء منهما فوضعت فمها على اذن الميتة وقالت انظريني قليلاً فسالحق بكِ وانبئك بجميع ما جرى ثم قبلتها تكرارًا حتى ارتاعت الراهبات فجذبنها بعنف وابعدنها عن الجثة ولما اقفل النعش خذلتها قوتها فانطرحت على الارض تبكي من كبدٍ مقروحة وايقنت انها يتيمة لا معين لها على الارض ولا ناصر ولما فتحت عينيها الفت البيت خاليًا ساكنًا فاستولت عليها الكآبة وخيم الياس على قلبها وعلمت انها لا تستطيع مغادرة المنزل والحرس يطيف بهِ فاخرجت منشور البطريرك وكان المطران قد جاءها بنسخة منهُ وقرأتهُ غير مرَّةٍ ومما جاء في ذلك المنشور قولهُ . ان الهنا فوق البشر كما ان النفس فوق الجسد فلا يرضيهِ تقدمة الجسد بل تقدمة الروح افلا يحوّل وجههُ عن مسيحيي منف الذين اسدلت غشاوة الجهل على ابصارهم اذا هم لجأوا في ضيقهم الى ضلالات الوثنيين وفجورهم او يحسب هؤلاء العميان انهم يصرفون غضب الله عنهم بقتلهم فتاة هرطوقية اجنبيةً أوَ لا يعلمون ان عملهم هذا يجلب عليهم غيظ الله ونقمتهُ فان ديننا يحظر علينا تلطيخ مذابحنا الطاهرة المقدسة بدم البشر وهو يهب حياةً لا موتًا فاذا كان ثمت فتاة نقية طاهرة مملوءة بحب الله وشاءت هذه الفتاة ان تقتدي بالفادي الذي فدى الجنس البشري فتطرح نفسها في الماء وهي تصرخ قائلة تقبلني يارب تقدمة راضية امامك وانقذ شعبي من ضيقهم فقد يقبل الله التقدمة قائلاً حسبي يا ابنتي رغبتك وارادتك فلن يبذل احد من اولادي الحياة التي اعطيتهُ وهي اثمن هباتي واقدسها . . . . »

فعادت كاترينا هذه العبارة الاخيرة وهي تتأمل مغزاها ولما طال بها التفكير قالت في نفسها ساكون تلك الفتاة التي يشير اليها البطريرك فاضحي نفسي فدى شعبي واخلص من هذا

الحمل الثقيل فيعلم اوريون والمطران والملأ قاطبة انني منطوية على صفات طيبة واخلاق نبيلة وترى ابنة توما انها لا تفوقني شهامة وعزّة نفس وساطرح نفسي في الماء بمرأًى منها ومن الواجب ان يعلم اوريون ان الفتاة التي باعت حياتها بارخص الاثمان فعلت ما فعلت حبًّا بهِ فيذكرها طول حياتهِ

وكانت كلما ازدادت تاملاً في الموضوع ازدادت رغبة في العمل وشوقًا الى القيام بهِ واخذت تنتظر حلول الغد بذاهب الصبر لتقوم بعملها المجيد ولما عقدت النية عليهِ شرعت تنظر في توزيع تركتها فتناولت لوحًا وخطت عليهِ وصيتها الاخيرة وفيها تركت جانبًا كبيرًا من ثروتها لعمها وخصت انوبيس اخاها في الرضاع بجزء غير قليل وفعلت كذلك بارملة روفينس تكفيرًا عما فعلتهُ مما ادى الى قتل زوجها وتركت نصف مالها وبيتها لاوريون وكتبت تتضرع اليهِ ان يقبل البيت بدلاً من قصرهِ لان لها يدًا في حرقهِ وكانت تعلم ان البطريرك يكره اوريون فلم يفتها ان هذا الميراث الذي يصيبهُ يزيدهُ مقتًا في عينيهِ فرأت ان تحتاط لذلك واوصت اوريون بان يتبرع بجانب كبير مما تركتهُ لهُ للبطريرك والكنيسة وخيرتهُ في تعيين الزمان الملائم فاذا مات في خلال ثلاث سنوات من تاريخ الوصية انتقل نصيبهُ الى عمها ثم افرزت جانبًا من المال للكنيسة بشرط ان تقام الصلوات على اسمها واسم امها في عيديهما في جميع كنائس البلاد وعينت مبلغًا آخر لبناء كنيسة تدعى باسميهما ثم اعتقت جميع عبيدها وتركت مبالغ وافرة للعتقاء من خدمها وبعد ان فرغت من كتابتها يضتها ودعت الطبيب والعتقاء من اهل البيت وطلبت اليهم ان يشهدوا على صحة توقيعها وفي المساء جاء الطبيب باسكندر رئيس المجلس فقابلتهُ عند باب البيت وعينتهُ وصيًّا عليها ومنفذًا لوصيتها ثم طلبت اليهِ ان يوقع صك الوصية دون ان يرى ما فيهِ ففعل ولما عادت الى المنزل دعت الخدم فامرتهم باعداد سفينتها للغد وان يفرغوا الجهد في تهيئتها وتزيينها بانواع الرياحين والازهار قائلة ارغب في حضور الحفلة غدًا واريد ان اكون بحيث ارى جميع تفاصيلها ثم ذهبت الى غرفتها فنامت نومًا ثقيلاً

الفصل الثامن والاربعون

ما بلغ صبح عيد سرابيس وهو اليوم المعيَّن للاحتفال بتقديم الضحية حتى اسرع اهل منف الى ضفة النيل وكلهم طروب مستبشر بقرب انفراج الازمة وانقضاء ايام النحس وكان بعضهم قد قضى الليل بطولهِ هناك ولم يتخلف عن الحضور سوى العجزة والاطفال والذين اقعدهم المرض عن المشي او الركوب واختلط الرجال والنساء والاولاد حتى باتوا كالبنيان المرصوص

وكلهم يتشوّف الى رؤية هذه الحفلة النادرة المثال والتي لم يسبق لها نظير في ما رأوه من حياتهم. ولم يدخر مجلس منف وسعاً في اعداد الحفلة على نمط يأخذ بمجامع القلوب جمالاً ورواء فنصبت دكة كبيرة من الخشب تشرف على النيل وتسع الالوف من المتفرجين وخصت بالذين يدفعون رسماً معيناً واقيم في وسطها مجالس مرتفعة لاولياء الامر من المصريين وكبار رجال العرب وخدمة الدين وانتشر القوم على شاطىء النهر وكلهم بثياب العيد وقد تهيأوا لقضاء يومهم في اللهو والطرب ودار الباعة بينهم يبيعونهم المبردات والطعام والشراب كعادتهم في المواسم والاعياد وأُقيم امام الدكة صقالة من الخشب داخلة في الماء على شكل نصف دائرة متصلة بالبرّ من طرفها الغربي وافرغ الصنّاع جهدهم في تمنيقها وزخرفتها بالرايات والازهار والاغصان والاكاليل حتى غدت فرجة للناظرين وكانت الجهة الغربية منها مكشوفة بحيث يرى المتفرجون ما عليها

ولم يشهد الحفلة من رجال العرب سوى عبادة وثلاثة من المقرَّبين اليهِ وامتنع القسوس كلهم عن الحضور . ولمّا اكتمل الحشد واذنت الساعة سمعوا عزفاً فاتجهت الابصار الى مصدر الصوت وكفّت الجلبة وعقب العزف زغردة النساء وغناء الفتيان وكان الصوت يقترب ويزداد جلاء فاشرأبّت الاعناق وسادت السكينة على الجمهور وبعد قليل بدت طلائع الموكب وفي مقدمتها المبوقون على خيول مطهمة فلما دنوا من القوم انقسموا شطرين ووقفوا بخيلهم على جانبي الطريق وعقبهم جوقة من المغنيات فوقفنَ امام المبوقين الى اليسار وتبعهنَّ فرقة من الرجال فاصطفت مقابلهنَّ الى اليمين وكانوا جميعاً في ثياب خضراء بلون البحر وعليهم اكاليل النيلوفر وفي ايديهم باقات الحلفاء والقصب وقد ضفرت شعور النساء بالازهار البيضاء وتلاهم جوقة من الفتيان والشيوخ وهم بالملابس البيضاء وعلى مناكبهم جلود الببور تشبهاً بكهنة الوثنيين وفي مقدمتهم شيخان وقوران يحمل احدهما كاساً من الذهب والآخر كاساً من الفضة يُلقيان في الماء قبل طرح العروسة فيهِ فتقدما الى الصقالة وسارا الى طرفها الآخر فوقفا على جانبيهِ وتلا هؤلاء فرقة كبيرة من الضاربين على الطبول والعازفين على الشبّابات ووراءهم خمسون فتاة ينقرن على الدفوف وخمسون رجلاً بالحلل الخضراء وبعدهم شيء كثير من الزرافات والافيال والنعام والظباء والغزلان وبعض الاسود والببور الاليفة ثم جاءت مركبة كبيرة يجرها اثنا عشر جواداً ادهم وعليها تمثالان يمثلان القحط والوباء مقهورين وحولها اولاد سود يصيحون باصوات تصمّ الآذان ولهم اجنحة على اكتافهم وقرون على جباهم وقد شدّ وثاقهم رمزاً الى جيش جهنم وعقبتها مركبة أُخرى عليها إلاهة الفيضان جالسة بين الاثمار والاكاليل وحزم الغلّة وحولها اولاد يحملون

انواع الفاكهة من تفاح ورمّان وقمح وبلح ودنانًا صغيرة مملوءة خمرًا وكؤوسًا وتلاها إلاهة الصحة في صدفة كبيرة يجرها ثمانية جياد بلون الثلج وكانت تحمل بيدها الواحدة كأسًا من الذهب وفي الاخرى صولجانًا وتبعها الاله النيل عريس الحفلة منقول شكلهُ عن التمثال الذي حملهُ الرومان من الاسكندرية وهو ملاَّح كبير الجثة كثّ اللحية وقد اتكأ على قارورة كبيرة واحاط بهِ ستة عشر ولدًا كلهم عراة رمزًا الى الستة عشر ذراعًا التي يعلوها النيل في الفيضان الوافي وكانت مركبتهُ مملوءة بالاثمار والفاكهة والصدف يحرسها نفر من الشيوخ بلباس كهنة الوثنيين فلما ابصرها القوم علا ضجيج استحسانهم وهتافهم ومشى وراءها جوقة من الموسيقيين تصحبهم فرقة من الشبان والعذارى وهؤلاء اشابين العريس وشبينات العروس. وكان المتفرجون يعجبون بتنظيم الموكب وكثرة من فيهِ وتباين ازيائهم وبهاء حلاهم وكلما طلعت عليهم فرقة قابلوها باصوات الهتاف والسرور غير حافلين بالحرّ ولا مكترثين للجوع والعطش وكانت عيونهم وقلوبهم متجهة في جهة واحدة وكلهم يتطلل الى المزيد الاَّ عبادة فانهُ نهض من مكانهِ واخذ يتلفت الى الوراء حيث كانت المدينة فرأى دخانًا قاتمًا يصعد منها وهو يزداد كثافة فتبسم تبسم المزدري وجلس

ولما بلغ موكب العروس الصقالة انقسم شطرين فالفتيان على الجانب الواحد والفتيات على الجانب الآخر واخذ الفريقان ينشدان ثم جاءت فرقة من الشبان اللابسين جلود الببور ووراءهم مركبة يجرُّها ثمانية ثيران سود وعلى الثيران ريش النعام واعشاب الماء وعلى المركبة مظلَّة على اربعة اعمدة امام كلّ عامود رجل بلباس كهنة الوثنيين وتحت المظلة بيت قصيد الحفلة وعروسة النيل وقد اتشحت بثياب بيضاء واسدلت على وجهها نقابًا ثخينًا وتدلَّى شعرها الفاحم على كتفيها وامامها اكليل من النيلوفر فضلاً عن باقات منثورة في ارض المركبة وكان المطران يوحنا جالسًا الى جانبها وقد عقد النية على مرافقتها الى مكان موتها للعناية بها قيامًا بوعدهِ لها

ولم يعلم توما واوريون بذهابها لان الاول ثقل مرضهُ فلم يعد يعي على شيءٍ ولأن اوريون كان يحسب ان طرحها في النيل يتم في الغد كما قال لها في رسالة جاءتها منهُ ذلك الصباح تخفف ذلك بعض همها

ولما بلغت المركبة الصقالة ارتفعت اصوات الجمهور وعلا ضجيجهم وجلبتهم واختلطت بانغام الموسيقى والغناء فرفعوها من مكانها ومشت وراء الفتيان والفتيات وهم ينشدون اغاني العرس فحاول المطران ان يخاطب الشعب فلم يلقَ سامعًا فامسك بيد باولين وسار الى طرف الصقالة وفيما هما ماشيان ادركهما ابولون وطلب الى باولين ان تنزع خمارها وامر المطران ان يتخلى عنها فابيا اجابتهُ فدنا منها ومزق نقابها ثم اومأ الى الاله النيل فتقدم هذا وحيَّا المطران باحترام وقبض

على يد باولين فاضطر المطران الى مفارقتها ولما بلغا طرف الصقالة التي الشيخان كاسيهما في الماء ثم انبرى احد المحامين وهو لابس لباس كاهن وثني فتلا خطاباً انيقاً فصّل فيهِ معنى هذه الخطبة والزواج ومفاد الضحية ومزاياها ولما فرغ وضع يد باولين في يد الشيخ وطلب اليهِ ان يطرحها في النيل بصفتهِ نائباً عنهُ وحينئذٍ دنت سفينة مزدانة احسن زينة من الرصيف فحالت دون القاء الفتاة فصاح احد الحاضرين وقال هذه سفينة سوسنة وقال غيرهُ وهذه ابنتها ووارثة فليمون الغني فقال آخر وهذه عروسة اخرى وأخذ الباقون يتساءلون عن الغرض من دنوّ السفينة من الرصيف وظهورها بمظهر العيد في حين ان سوسنةَ دفنت امس ولم يكن الأ كلا حول ولا حتى صعدت كاترينا الى ظهر السفينة فصاحت بالقوم قائلة

" ايها المطران المحترم ويا اهل المدينة خذوني عروسة للنيل بدلاً من ابنة توما فاني مستعدة لتضحية حياتي مختارة اسمعتَ ايها المطران المحترم اني اودُّ بذل نفسي فداء لشعبي وبلادي وقد قال البطريرك ان تقدمة كهذه يقبلها الله فصلوا لاجلي وارحمني يا رب وهاءنذا يا اماه آتية اليك "

ثم طرحت ما كان في يدها من الزنابق وألقت بنفسها في الماء. فارتفع ضجيج الخلق بين مستحسن ومستهجن وشاكر ومرتعد ورآها النوتي الشيخ الذي كان يمثل الاله النيل فارتاع وافلت يدهُ من يد باولين ووثب الى النهر وتبعهُ انوبيس وبعض البحارة فلم يظفروا بها وكان انوبيس اعرج لا يستطيع السباحة فغرق ولحق بكاترينا في قبرها. ولمَّا هدأ روع الناس امسك المطران يد باولين بيسراهُ ورفع الصليب بيمناهُ وقال مخاطباً الجمهور " لقد تمت مشيئة ابينا البطريرك الذي تكلم بوحي الهي وهوذا فتاة يعقوبيةٌ طاهرة نقية ضحت نفسها مختارة مقتدية بالفادي تكفيرًا عن ذنوب مواطنيها امَّا الآن وقد اصاب النيل ضحيتهُ فهذه (واشار الى باولين) حرَّة يجب الافراج عنها " لكنهُ لم يكد يتم كلامهُ حتى هجم ابولون عليهما فقبض على ثوب باولين وصاح بمن حولهُ ليدنُ احدكم فينوب عن اله النيل ويطرح في النهر عروستهُ فاعترضهُ المطران مدافعاً عن باولين ليحمي عنف ابولون وامسكهُ يريد نزع الصليب من يدهِ فصاح بهِ المطران بصوت كهزيم الرعد " محروم محروم " ولما سمع المصريون هذه اللفظة هبَّت الحمية في صدورهم واتقدت نار الغيرة الدينية في قلوبهم فهجم رئيس جوقة المغنين على ابولون وجذبهُ بعنفٍ وانحاز اليهِ كثيرون غيران بعضهم تشيَّع لابولون وفيما هم بين اخذ وردّ سمعوا اجراس المدينة تقرع قرعاً عنيفاً وابصروا شاباً يجري نحوهم وفي يدهِ سيف مصلت وقد اسودّ وجههُ وتمزقت ثيابهُ فحاد القوم عن طريقهِ اذ رأوهُ يندفع نحوهم كالسهم المارق ولما توسطهم عرفوهُ انهُ اوريون فوثب على الصقالة كالاسد الضاري وانتشل باولين من قبضة ابولون فلما رأتهُ كاد

يغمى عليها من الفرح والذهول فضمها اليهِ بيسراهُ وبقي شاهرًا سيفهُ باليمنى فلم يجسر احد على الدنوّ منهُ فقد كان كلبؤةٍ تدافع عن اشبالها ولما انتشل باولين سقط الشيخ ابولون على وجههِ ثم نهض واراد الهجوم عليهما لكنَّ اوريون لم يكن وحدهُ بل تبعهُ رجال هجموا على القوم ومزقوهم اي ممزق فدافع هؤلاء وتراكضوا وسقط بعضهم في الماء ومنهم ابولون فغرق في من غرق ونجا الباقون سباحة وكان عبادة يراقب ما يجري نخشي ان يكون صاحب السيف اوريون فنهض يريد القبض عليهِ واعادة النظام الى الحفلة لكن ازدحام الناس حال دون تقدمهِ وذلك ان المسجونين فرُّوا كلهم من السجن وجروا الى مكان اجتماع الناس وهم يصرخون النار النار فقد احترق السجن والمدينة يلتهما اللهيب. فاضطرب القوم وهبوا يطلب كل واحد منهم بيتهُ لينقذ مالهُ واطفالهُ ففكوا الخيول والثيران من المركبات فركبوها وهم يصيحون ويبكون ويلعنون واختلط الحابل بالنابل حتى لقد يظن الناظر اليهم ان القيامة قامت . فاستلَّ عبادة سيفهُ وهجم يريد الصقالة وهو يدفع الناس من امامهِ اما هم فجمدوا مكانهم لا يتزحزحون منهُ ودهش لسكونهم فرفع عينيهِ ورأى وراءهُ غبارًا مدَّ منافس الفضاء ثم انجلى عن فرسان غاطسين في الزرد والحديد يتقدمهم القاضي عثمان فلما وصلوا ترجَّل القاضي وصاح لقد عفي عنها ثم دنا من باولين وهنأها بخلاصها وسلامتها فلما سمع عبادة ما قال علم ان الامر جاء من الخليفة

وكان البعض قد اضرموا النار في السجن اثناء الحفلة يريدون هلاك اوريون مخنوقًا لكنَّ السجانين دروا بذلك فاطلقوا سراح المسجونين واسرع اوريون ومن معهُ الى ضفة النهر كما تقدَّم. اما النار فاندلع لهيبها في المدينة فالتهمت المساكن والمنازل فلم تبقِ ولم تذر ولم ينجُ من فتكاتها سوى بعض البيوت وفي جملتها بيت روفينس فامر القاضي بنقل اوريون وباولين اليهِ وطلب اليهما ان يمكثا فيهِ الى ان يعود عمرو ابن العاص

اما عمرو فان رستمًا وماري لقياهُ في برنيس فبسطا لديهِ ما حلَّ باوريون وباولين وما يتهددهما من الهلاك العاجل وكانت برنيس محطة لحمام الزاجل فرفع عمرو الامر الى الخليفة في المدينة فاتاهُ الجواب بالعفو عن الفتاة فبعثهُ الى القاضي كما تقدَّم

وظلَّ ماء النيل آخذًا في الانخفاض رغمًا عن تقديم الضحية فدعا القاضي اهل منف والفسطاط الى اجتماع عقدهُ على ضفة النيل وذلك لثلاثة ايام بعد الحفلة ثم امر المنادي العربي والترجمان المصري ان يعلنا على رؤُوس الاشهاد ما يقولهُ الخليفة من أن الله يكرهُ الضحايا البشريَّة الى ان قال وقد ارسل الخليفة كتابًا ليلقى في النهر وهذه صورتهُ " الى نيل مصر امَّا بعد فان كنت تجري بامرك فلا تجرِ واذا كان الله الواحد القهَّار هو الذي يجريك بامرهِ فنسأل

الله الواحد القهار ان يجريك "ثم امر القاضي الناس ان يعبروا النهر ففعلوا ومشى المطران والكهنة في مقدمة المسيحيين ومشي الحاخامون في مقدمة اليهود واجتمعت الطوائف الثلاث في جامع عمروٍ حيث ابتهلوا الى الله وتضرعوا اليهِ ليشفق عليهم ويمنَّ بالفرج

يقول كاتب هذه الرواية وليست هذه المرة الوحيدة التي اجتمعت فيها تلك الطوائف في الجامع المذكور ليدعوا الله فقد رأيت بعيني المسلمين والمسيحيين واليهود مجتمعين فيهِ مشتركين في الصلاة والدعاء وعندي ان الله استجاب صلواتهم المشتركة

ولم يمضِ زمن طويل حتى جاءت البشائر من الشلالات تنبئ بارتفاع ماء النيل في تلك الاصقاع ثم اخذ النيل يرتفع في مصر حتى فاضت ضفتاهُ فارتوت الارض العطشانة وابشر الفلاح بقرب الفرج وسقط مطر غزير فغسل الارض والاشجار من ادرانها وذهب بالغبار وانقضى الوباء . وفي تلك الاثناء عاد عمرٌو بصحبة رستم وماري وفيلبس وهاشم

ولمَّا صفت الاكدار احتفل بقران اوريون وباولين وفيلبس وهيلانة ورستم وماندالي احتفالاً نادر المثال. ووقف عمرٌو على المشروع الذي وضعهُ اوريون في تقسيم الاطيان فاعجبهُ وسرَّ بهِ فاثنى عليهِ واقامهُ مقوقساً مكان ابيهِ فانتقل بزوجتهِ الى الاسكندرية ومعهما ماري ابنة اخيهِ ومهذبتها .وكانت باولين قد قصَّت عليهِ ما فعلتهُ كاترينا فحزن عليها حزنًا شديدًا وحفظ لها في قلبهِ اجمل ذكر ورزقا ولدًا ذكرًا عنيا بتربيتهِ احسن تربية ورأى البطريرك ان لا فائدة من مناوأة اوريون فصالحهُ ولمَّا ولد ابنهُ تولى عمادهُ وكان لهُ عرابًا وسماهُ جريج على اسم جدهِ

امَّا فيلبس فرحل بعروسهِ وامها الى الاسكندرية حيث تفرغ لمهنتهِ بجدهِ المعتاد محسنًا الى الفقراء ومكرمًا من الجميع وظلَّ الى آخر حياتهِ صديقًا حميمًا لاوريون واهل بيتهِ ولمَّا ماتت ام هيلانة دفنوها في قبر زوجها روفينس

واجزل اوريون العطاء لرستم ووهبهُ شيئًا كثيرًا من المال فاقترن بماندالي وعاد الى بلادهِ فاشترى ضيعة واهتم بتربية الماشية والسائمة ورزق اربعة بنين سماهم هاشمًا وفيلبس ورستم وروفينس

وشفي الضابط ابن اخي يوستينوس الوزير من جراحهِ بعناية دورا فباح لها بحبهِ وكانت تعلم انهُ احبها قبل ان تزوجت باخيهِ المتوفى فقبلتهُ زوجًا واحتفل بقرانهما في مصر واهدتهما باولين الزمردة الكبيرة التي اعيدت من القسطنطينية

ولم ينسَ الناس في مصر عروسة النيل ولا يزال اهل القاهرة يصنعون دمية من الطين يسمونها العروسة ويطرحونها في النهر ليلة نزول النطقة . انتهى

الطب والنظافة

والاحاديث النبويَّة والاحكام الشرعيَّة

اطَّلعت على ما كتبهُ الدكتور ابرهيم شدودي في اسباب امراض العيون في القطر المصري وما قصد اثباتهُ من ان الاسلام يوجب التداوي والنظافة فاردت ان اعزز قولهُ بجمع بعض الاحاديث النبوية والاحكام الشرعية التي توجب النظافة والمعالجة وهي :

في الجامع الصغير للسيوطي " ان الله تعالى حين خلق الداء خلق الدواء فتداووا ". رواهُ الامام احمد . وقال في الحاشية للحنفي اي بإخبار الطبيب العارف مع ملاحظة انهُ سبب وان الذي يشفي حقيقةً هو الله تعالى

وفيهِ " ان الله تعالى لم يضع داء الاَّ وضع لهُ شفاء فعليكم بالبان البقر فانها ترمُّ من كل الشجر " . رواهُ الامام احمد

وفيهِ " تداووا عباد الله فان الله لم يضع داء الاَّ وضع لهُ دواء غير داء واحد الهرَم " . رواهُ الامام احمد واصحاب السنن الاربعة وغيرهم . وقال في الشرح اي اطلبوا الدواء واسألوا الحكماء عما يناسب ما بكم . قولهُ تداووا الحديث فلا ينبغي اهمال التداوي للتوكُّل ولذا مرض سيدنا موسى عليهِ السلام فقالت لهُ بنو اسرائيل تداوَ بكذا فقال لا اتداوى بقولكم بل بالوحي . وانمَّا انتظر الشفاء من الله تعالى فلم يحصل لهُ الشفاء فنزل الوحي عليهِ اتريد ان تبطل حكمتي التي وضعتها في العقاقير فمن خلق العقاقير غيري فانا الذي خلقتها واخلق الشفاء عند تعاطيها . ولا يرد على ذلك قول الصديق رضي الله تعالى عنهُ حين قالوا لهُ اناَتي لك بطبيب فقال انهُ نظر لي فقالوا ماذا قال . فقال قال لي انا الفعَّال لما أُريد . اي انهُ علم بنور قلبهِ انهُ قرُب اجلهُ فلم ينفعهُ الدواء . وكذا اهل الله تعالى منهم مَن يطلعهُ الله تعالى على عدم نفعهِ بالدواء فيتركهُ . اما من لم يبلغ هذا المقام فلا يترك هذا التداوي نظرًا للتوكل . انتهى عن الجامع الصغير

من شرح المشكاة لملاَّ علي قاريء عن سعد رضي الله عنهُ قال مرضت مرضًا اتاني النبي صلى الله عليهِ وسلَّم يعودني فوضع يدهُ بين ثدييَّ حتى وجدت بردها وقال انك رجل مفؤُود ائتِ الحارث بن كَلَدة اخا ثقيف فانهُ رجل يتطبَّب (اي يعرف الطب مطلقًا او هذا النوع من المرض فيكون مخصوصًا بالمهارة والحذاقة . قال الشراح وفيهِ جواز مشاورة اهل الكفر في الطب لان الحارث مات في اول الاسلام ولم يصح اسلامهُ) فليأخذ سبع تمرات من عجوة المدينة فيجأهنَّ (اي يكسرهنَّ ويدقهنَّ) بنواهنَّ ثم ليلدَّك (من لدَّ الدواء اذا صبهُ في فمهِ

واللدد ما يُصَب من الادوية في احد شقي الفم) قال القاضي وانما امر الطبيب بذلك لانهُ يكون اعلم باتخاذ الدواء وكيفية استعمالهِ . قال التوربشتي وانما نعت لهُ العلاج بعد ما احالهُ على الطبيب لما رأى هذا النوع من العلاج ايسر وانفع او وثق على قول الطبيب اذا رآهُ موافقاً لما نعتهُ (رواهُ ابو داود)

وروى الامام مسلم في صحيحهِ بسندهِ عن عاصم بن قتادة قال جاءنا جابر ابن عبد الله رضي الله عنهما في اهلنا ورجل يشتكي خراجاً بهِ او جراحاً فقال ما تشتكي فقال خراج فيَّ قد شقَّ عليَّ فقال يا غلام ائتني بحجام فقال لهُ ما تصنع بالحجام يا ابا عبد الله قال اريد ان اعلق بهِ محجماً . قال والله ان الذباب ليصيبني فيؤذيني ويشق عليَّ . فلما رأى تبرمهُ من ذلك قال اني سمعت رسول الله صلى الله عليهِ وسلم يقول ان كان في شيء من ادويتكم خير ففي شرطة محجم او شربة عسل او لذعة بنار . قال فجاء الحجام فشرطهُ فذهب عنهُ ما يجد

وفيهِ عن جابر رضي الله عنهُ عن رسول الله صلى الله عليهِ وسلم انهُ قال " لكل داء دواء فاذا أُصيب دواء الداء برأ باذن الله تعالى " قال الامام النووي رحمهُ الله تعالى في هذا الحديث اشارة الى استحباب الدواء وهو مذهب اصحابنا وجمهور السلف وعامة الخلف . قال القاضي في هذه الاحاديث جملة من علوم الدين والدنيا وصحة علم الطب وجواز التطبب في الجملة واستحبابهُ بالامور المذكورة في هذه الاحاديث التي ذكرها مسلم وفيها ردٌّ على من انكر التداوي من غلاة الصوفية وقال كل شيء بقضاء وقدر فلا حاجة الى التداوي . وحجة العلماء هذه الاحاديث ويعتقدون ان الله تعالى هو الفاعل وان التداوي هو ايضاً من قدر الله وهذا كالامر بالدعاء وكالامر بقتال الكفار وبالتحصن ومجانبة الالقاء باليد في التهلكة مع ان الاجل لا يتغير والمقادير لا تتأخر ولا تتقدم عن اوقاتها ولا بدَّ من وقوع المقدرات

وفي شرح المشكاة روى البزار عن عروة قال قلت لعائشة رضي الله عنها اني اجدكِ عالمة بالطب فمن اين فقالت ان رسول الله صلى الله عليهِ وسلم كثرت اسقامهُ فكانت اطباء العرب والعجم ينعتون لهُ فتعلمت ذلك . انتهى

هذا من حيث الطب والتداوي اما حيث النظافة ففي الجامع الصغير للسيوطي " احسنوا لباسكم واصلحوا رحالكم حتى تكونوا كأنكم شامة في الناس " رواهُ الحاكم . " واغسلوا ثيابكم وخذوا من شعوركم واستاكوا وتزينوا وتنظفوا فان بني اسرائيل لم يكونوا يفعلون ذلك فزنت نساؤهم " رواهُ ابن عساكر . " الاسلام نظيف فتنظفوا فانهُ لا يدخل الجنة الا نظيف " رواهُ الطبراني في الاوسط . قال الحفني قولهُ فتنظفوا اي حسًّا او معنًى ولذا وجد سيدنا عمر

في فناء دار ابي سفيان قمامات فضربهُ بالدرَّة وامرهُ بتنظيفها فقال الناس لو كان ذلك في غير هذا الزمن لحصل ما حصل اي لان ابا سفيان كان من كبار قريش وسيدنا عُمر لا يراعي في الله كبيرًا ولا صغيرًا . " انكم قادمون على اخوانكم فاصلحوا رحالكم واصلحوا لباسكم حتى تكونوا كانكم شامة في الناس فان الله لا يحبُّ الفُحش ولا التفحُّش" . رواهُ الامام احمد والحاكم وغيرهما . " ان الله تعالى جميل يحبُّ الجمال " قال المحشي قولهُ يحب الجمال اي التجمل في الهيئة وهذا يطلب تأخير نحو الزيّات في آخر المسجد لئلاَّ يتضرَّر بهِ من يقربهُ فقول من يدَّعي التصوُّف المطلوب تنظيف القلوب بدل الثياب جهل بسنتهِ صلى الله عليهِ وسلم . " ان الله تعالى يحب الناسك النظيف رواهُ الخطيب " وفي كنز الحقائق للعلامة المناوي " النظافة تدعو الى الايمان " رواهُ الطبراني

هذا من حيث الطب والنظافة وقد رأيت في احياء العلوم لحجَّة الاسلام الشيخ محمد الغزالي وشرحهِ للسيد محمد مرتضى الحسيني ما يوجب تعلُّم الطب وهو قولهُ

في بيان العلم الذي هو فرض كفاية اما فرض الكفاية فهو كل علم لا يستغنى عنهُ في قوام امور الدنيا كالطب اذ هو ضروري في حاجة بقاء الابدان وكالحساب فانهُ ضروري في المعاملات وقسمة الوصايا والمواريث وغيرها (فان في كل منها مسائل يحتاج في معرفتها الى علم الحساب ولهذه الضرورة اعدَّ الملوك مواضع خاصَّة بالمرضى ورتَّبوا على ذلك اوقاتًا واول من عمل ذلك في الاسلام الوليد بن عبد الملك ذكرهُ ابو بكر احمد بن علي الحلواني في لطائف المعارف وعينوا القسمة التركات والمواريث قضاة يتولون ذلك خاصَّة دون غيرهم) وهذه هي العلوم التي لو خلا عمَّن يقوم بها حرج اهل البلد واذا قام بها واحد كفى وسقط الفرض عن الآخرين فلا يتعجَّب من قولنا ان الطب والحساب من فروض الكفايات فان اصول الصناعات ايضًا من فروض الكفايات كالفلاحة والحياكة والسياسة بل الحجامة فلو خلا البلد من الحجَّام تسارع الهلاك اليهم وحرجوا بتعريض انفسهم للهلاك فان الذي انزل الداء انزل الدواء وارشد الى استعمالهِ واعدَّ الاسباب الى تعاطيهِ فلا يجوز التعرُّض للهلاك باهمالهِ واما ما يُعدُّ فضيلة فالتعمُّق في دقائق الحساب وخفايا الطب وغير ذلك ممَّا يستغنى عنهُ ولكنهُ يفيد زيادة قوة في القدر المحتاج اليهِ انتهى

هذا ما رأيت جمعهُ من الاحاديث النبويَّة والاحكام الشرعيَّة الدالة على وجوب التداوي والنظافة وعلى ان تعلم الطب فرض لا بدَّ منهُ لكل بلد

احد القراء

باب الزراعة

دودة القمح وعلاجها

سأل سائل في الجزء الاول من المجلد السابع والعشرين من المقتطف عن دودة سوداء تظهر في الحنطة باراضي اميون من اعمال لبنان وذكر انها صغيرة تشبه دود الحرير في اول ادوارهِ وفي آخر اذار (مارس) لا يعود لها اثر. وطلب ارشادهُ الى دواء او واسطة تقي الزرع منها او تمنع ظهورها فيهِ. وكان جواب المقتطف ان وصفهُ هذا لا يكفي لمعرفة نوع الدودة وطبائعها لينظر في علاجها. ومع ذلك سرد بعض الوسائط الواقية حقيقة من هذا الداء الفتاك الى آخر ما جاء في جوابهِ. وقد خطر لي حين تلاوة سؤالهِ انهُ يعني دودة القمح الفتاكة بمحصولات هذه البلاد. واذا كان الامر كذلك فها تذييل لجواب المقتطف تتميمًا للفائدة فنقول

ان دودة القمح الشهيرة ببلاد الشام هي الدودة التي تظهر في مزروعات الحنطة حينما يبدأ الزرع في النمو ويعلو حتى يغطي الارض ومنشأها الزرع نفسهُ فهي تتوالد فيما بين لفائف النبات ويتكاثر نسلها حسب استعداد الارض وقد تبتدئ في عملها من اعلى القصبة الى اسفلها فاذا كانت الارض مستعدة لتقوية الزرع ومقاومة الدودة وكان الجو باردًا وكثرت الامطار تغلَّب نمو الزرع على الدودة ونجا منها وبعد اسبوع او اسبوعين يخضرُّ بعد اصفرارهِ ويغدو كأَن لم تصبهُ آفة ما واما اذا كانت الارض متعبة بالزراعة ومهملة خدمتها فتتغلب الدودة على الزرع وتصل الى اصولهِ فيصفر بعد اخضرارهِ. وكلما هبَّت الريح تسمع لهُ هشيشًا كهشيش الزرع عند حصادهِ. وقد يسلم منهُ ما كان على اطراف الحقل بجانب الطريق او ما هو داخلهُ وارضهُ مزبلة ولو بالصدفة امَّا بنزول الغنم فيهِ او بنحو ذلك وهذا يثبت ان التزبيل يفيد القمح وينجيهِ من فتك هذه الدودة

وقد لاحظنا مرارًا ان هذه الدودة تتولد من نفس الورق. وذلك اننا جئنا الى بقيع من الزرع دخلتهُ الدودة ومسكنا ورقة وفحصناها فحصًا جيدًا فوجدنا الدودة فيها كأَنَّ يدًا شقت الورقة وغلفت تلك الدودة بها ودققنا النظر فلم نجد في الورقة خدشًا ولا شقًّا بل كان جميع الورقة اخضر سليمًا من كل الشوائب سوى محل الدودة وكذلك فحصنا غيرها من الاوراق وتعدد فحصنا فوجدنا النتيجة كما شرحنا يعني ان الدودة تتولد داخل الورق وهي ان كان رأسها الى الاسفل تعيش وتأكل وهي داخل الورق حتى تصل الى القصب من الزرع وتتلفهُ واذا كان

رأسها الى الاعلى فلا تضر لانها تصل الى طرف الورقة العلوي وتنفذ منها بدون ان تضر بالقصبة

وما وصف بهِ الخواجه حنا حكيم دودتهُ نظن انهُ يقع على هذه الدودة سواء كانت متولدة في الساق او داخل الاوراق . ونزيد على وصفهِ بكونها تشبه دودة الحرير في اول ادوارها انها تشبه ايضاً دود التفاح ولكنها اصغر منهُ قليلاً وجسمها مبسط خلاف دودة التفاح المبرومة الهيئة ومن جملة صفاتها ايضاً انهُ يكون حولها اشياء صغيرة مثل بزر الدخان او بزق الذبان وهذا على ما نظن اما ان يكون فضلات لها او بزوراً يتكاثر نسلها بها اذا سنحت لهُ الفرصة

هذا ما كان من وصف دودة القمح الشهيرة فلنشرح الآن سبب ظهورها في الزرع فنقول.

ان المسبب لظهور هذه الدودة في القمح هو إتعاب الارض بالمزروعات وعدم الاعتناء بخدمتها وتسميدها او عدم اراحتها من الزراعة مدة كافية لكي تستفيد وتعوض ما صرفتهُ من المواد المختلفة الموقوف نمو المزروعات عليها . فلنأخذ هذه السنة ارضاً بكراً ونزرعها زراعة شتوية يعني قمحاً او شعيراً وفي السنة التالية نكربها يعني نصيفها (والكراب هو حرث الاراض ثلاث مرات او مرتين على الاقل وبعدها رمي البذار وحرث الارض) ونزرعها بمثل الذرة او السمسم او البطيخ او القرع وما شابه من المزروعات الصيفية ونعيد ذلك مرتين او ثلاث يعني نزرعها على فصلين كل سنتين ونعيد ذلك مرتين او ثلاث مرات او اكثر فالارض الجديدة لا بدَّ ان تصرف ما فيها من القوت في هذه السنوات الست او اكثر او اقل حسب نوعها وقوتها وضعفها فتبطئ بالزرع وتؤخر نموهُ حتى يجيء الوقت المعين لظهور الدودة "وهو على الغالب شهر اذار" وتفعل ما تفعل بالمزروعات

فهذه هي حالة الارض البكر الجديدة التي لم ترَ الزراعة او رأتها وبوّرت عدة سنين فكيف بحل يا ترى بالارض المستعملة على الدوام بدون خدمة واعتناء كما هو جارٍ عندنا الآن . فهي لا شك تفلس وتضن على الفلاح وتضيع لهُ بذارهُ واتعابهُ . والارض التي حالتها كذا فهي عوضاً عن ان تكون معرضة للدودة فخصبها قليل وزرعها نحيل وفلاحها فقير

هذا ويوجد لمنع هذه الدودة وسائط جمة ومنها ما وصفهُ المقتطف ونزيد عليها ما هو آتٍ فنقول قاسمين ذلك الى ثلاثة اوجه . الوجه الاول . اقسم ارضك الى قسمين احدهما شتوي والثاني صيفي وبعدها شلّف الارض الشتوية يعني ازرعها ثانية في السنة الثانية زرعاً شتوياً كالحنطة والشعير والعدس وما اشبه وكذلك افعل بالنصف الثاني واجعلهُ كرتين يعني ازرعهُ زرعاً صيفياً على سنتين متواليتين . واحسن مزروعات الصيف ما طالت جذورهُ كالسمسم والبطيخ والقرع وما اشبه لان جذور هذه النباتات تكون طويلة وتغتذي من الارض بصورة

نسبية بحيث تبقى خواص في الطبقة الاولى (ولنفرض الطبقة الاولى عشرة سنتيمترات والثانية عشرين) التي لا تتجاوزها جذور القمح وذلك خلاف الذرة فهي على ما هي عليهِ من طول الساق والعلو وكبر العرنوس لا تمتص غذاءها الاَّ من الطبقة الاولى حيث يمتص القمح غذاءهُ وذلك لقصر جذرها وعدم نزولهِ في الارض كفاية بحيث ان يتلقى غذاءهُ مناصفة من الطبقة الاولى والثانية. ونحن هنا لا نريد بخس الذرة حقها والحط من قدرها وعدم الترغيب في زرعها بل اردنا بيان الافضلية بينها وبين غيرها بالنسبة الى موضوعنا . ومع ذلك فاذا كربت الارض مرتين بالذرة فقد تفي بما نريد ولكن كراب طويل الجذور افضل من كرابها . وبعد ان تفعل ذلك يعني بعد ما تزرع الارض على نصفين في سنتين كما شرحنا ومتى اوسمت الدنيا وبدأ الحراث احرث الارض المكروبة حنطة او شعيرًا حسبما تريد فلا يصيبها الدود وعند الكراب اكرب ارض الشلف وبحلول الشتاء في السنة التالية ابذرها قمحًا او شعيرًا فهذه ايضًا في الغالب لا تدود ولا سيما اذا كان كرابها جيدًا من ذوي الخمس حرثات وبعد ذلك اكرب هذه مرتين يعني صيفها صيفيتين وشلف الاولى يعني ازرعها زرعًا شتويًا سنتين متواليتين وهكذا اجرِ المناوبة على القطعتين فارضك تسلم من الدودة على الغالب ولا يخلف ذلك الاَّ ما ندر . وهذه الطريقة معلومة عند اهل البر بالكربتين او التشليف وهي الشائعة بينهم لقرب تناولها مهما كانت عليهِ من المضرة في المحصول الشلفي لان الارض اذا كرر زرعها قمحًا اوشعيرًا فمحصولها ولو سلم من الدودة يكون نصف محصول او اقل

وسبب تأثير الكراب على سنتين في الدودة هو كون الارض تُكرب وتُخدم وتحرث مرارًا وتستريح من زراعة القمح حولين تُوفر وتخزن في غضونهما المواد اللازمة للقمح لان ما يحتاجهُ السمسم والذرة والقرع وما شابه من المزروعات الصيفية من المواد الكيماوية يختلف بنوعهِ ومقدارهِ عمَّا يحتاج اليهِ القمح منها. وهنا قد سلَّمنا بهذه المسألة يعني بكون الكراب لكثرة خدمتهِ وحراثهِ المترادف وراحة الارض يكون سببًا لتقوية الزرع وقتل الدودة ولكن ما الذي نعبرهُ بمسألة الشلف لانهُ ايضًا يمنع ظهور الدودة بلا منازعة ولا خلاف فلا نرى سوى طريقة واحدة وهي بحدّ ذاتها لا تثبت لنا شيئًا اكيدًا ولكن سنوردها للاطلاع عليها

لا شك ان للدودة اوانًا تظهر فيهِ كما بينًا سالفًا وانها قد تضر بالزرع اذا كان في شبتهِ الاولى عن الارض يعني اذا كانت القصبة في اول نموها وكان علوها عن الارض ما بين العشرين والخمسة والعشرين سنتمترًا يعني ما بين الشبر والفتر وما قاربهما وعلى ما نظن ان كل من عني بمسألة الزراعة يوافق على ذلك فلماذا يا ترى لا تضر الدودة بزرع الارض الشلف ولو كان كبرهُ

نحو خمسة وعشرين سنتيمترًا كما اشرنا . والجواب عن ذلك امّا ان تكون الدودة مركبة من عناصر مختلفة اغلبها توجد في القمح وما زال القمح زرع مرتين متواليتين في الارض الواحدة واخذ اكثر العناصر والمواد النافعة لهُ في اول سنة فما اخذهُ منها في السنة التالية لا يكاد يكفيهِ لدرجة النشو عن الارض لا لدرجةٍ تجعلهُ صالحًا ليتولد منهُ حيوان تراكيب جسمهِ من نفس ما ركب منهُ هو ايضًا . وامَّا ان يكون السبب خلاف ذلك ممَّا ندعو فضلاء المقتطف الى البحث فيهِ لكونهِ من الابحاث العلمية العميقة التي لا مجال لنا لخوضها

الوجه الثاني — يسمى التغطيس يعني زراعة الحنطة بعد ايام عيد الغطاس عند المسيحيين ويصادف ذلك اواسط كانون الثاني (ديسمبر). وليس يخاف ان المقصود برمي البذار في هذا الوقت هو كي يكون متأخرًا عن ميعادهِ ويأتي ميقات ظهور الدودة وقد كاد الزرع يشرع بالانبات ولا يزيد طولهُ عن ١٠ سنتيمترات ولا تكون القصبة متجسمة حينئذٍ فالدودة طبعًا لا تتوفر لها المواد الضرورية لنموها ويسلم الزرع منها . ولولا وجود محذورين مهمين من استعمال هذه الطريقة لكانت تفي بالمطلوب وتفوق عملية الكربتين وهذان المحذوران هما اولاً ان الفلاح لا يتيسر لهُ ان يزرع ارضهُ كلها ولا نصفها وذلك لضيق الوقت ومداهمة فصل الربيع . ثانيًا ان الزرع الغطاسي يكون في الغالب معرَّضًا للعطش في السنين التي يعز المطر في اواخرها ويمضي الشتاء وينقضي الربيع قبل ان يشبع ويروى من الماء فيقل محصولهُ وتضعف نشأتهُ وتضيع الفائدة منهُ . فلهذين السببين يقتصر الفلاحون دائمًا على هذه العملية في قطع مخصوصة تكون من عادة دودتها الفتك الذريع بالمحصول ويكون كرابها عسرًا على صاحبها لفقرهِ ولعدم اقتدارهِ

الوجه الثالث — قلب الارض يعني بحثها واخراج الطبقة السفلى من التراب وجعلها عليا وتخفيض العليا وجعلها سفلى فبهذه العملية كأن الفلاح تمكن من ايجاد ارض جديدة مستريحة مدة سنوات وفرت بها خواصها . فنحن اذا استحضرنا محراثًا افرنجيًا يغور في الارض مقدار عشرين سنتيمترًا ويقلب اعلاها اسفلاها وقلبنا بهِ الارض ثم بذرناها قمحًا وحرثناها بالمحراث البلدي العادي المعلوم (والموجود على هيئتهِ من ايام سيدنا ابرهيم بدون تغيير) فيكون القمح مزروعًا في الطبقة الاولى لان محراثنا لا يصل الاَّ الى عمق عشرة سنتيمترات او ثلاثة عشر سنتيمترًا في الارض فلا شك ان الزرع يخصب ويسلم من الدودة . والمقصود بحرث الارض بالمحراث البلدي بعد رمي التقاوي هو كون القمح لا يلزمهُ تغمير في التراب اكثر ممَّا يغمرهُ فيهِ هذا المحراث لاننا لو بذرنا الحنط وحرثنا عليها بالمحراث الافرنجي فالغالب ان القمح يبطئ عن الظهور على وجه الارض ولربما يضيع منهُ حبوب كثيرة لكونها تتخمر . وننبه على الفلاح

ان لا يأتي هذا الامر اصلاً بل يلزم الطريقة التي كيَّفناها وبيناها اعلاهُ لكونها اسهل واتم واوفر في العمل لان المحراث الافرنجي مكلف نوعاً بخلاف البلدي وليس لهُ فائدة في الحرثة الثانية حين رمي البذار

وقلب الارض على هذا الوجه ينشل الزرع من خطر الدودة مدة ثلاث سنوات او اربع وبعدها نرجع ونعيد قلبها ثانيةً بالسكة الافرنجية كما مرَّ آنفاً ولكن الاحسن ازال سلاح السكة الى ثلاثين سنتمترًا واكثر حين اللزوم اذا امكن ونعيد ذلك في كل برهة من السنين. وقد نقفي السكة الافرنجية الوظيفتين بهذا الامر يعني اذا استعملناها اولاً لقلب الارض فمن الممكن ايضاً ان نستعملها لحراثتها بعد رمي البذار حتى لا تغور في التراب اكثر من السكة البلدية وذلك يحصل برفع سلاح السكة الى الاعلى بواسطة مسمار يدير هذه الوظيفة . وكل فلاح اسعدهُ الزمان واستعمل هذه الآلة الزراعية يعلم ذلك . وقد افلحت هذه السكة في بلادنا ومستعمرو الافرنج ومهاجرو الموسويين هنا لا يستعملون غيرها . وهي قد مثلت لنا الفرق بينها وبين آلتنا القديمة العهد وقلما ظهرت الدودة في الاراضي التي حرثت بها . ولكن لا عبرة لمن لم يعتبر . ولعمري ان هذا الامر من الغرائب لاننا نرى ان الدودة تفعل بمزروعات بلادنا افعالاً ذريعة حتى انها تضيع على الحكومة ما ينيف عن العشر من وارداتها ان لم نقل الخمس في كثير من الاحيان وهي لا تقاوم هذا الامر بشيء فالدودة اذًا تهلك لنا في كل سنة واردات اكثر من واردات كريد او اكثر من واردات البانيا او اكثر من واردات مكدونيا . فنحن والحالة هذه كاننا نخسر كريد او غيرها من الولايات في كل سنة بدون ان نتفكر بطريقة لحمايتها وصيانتها . هذا ونذكر القارئ تكرارًا بطريقة التزبيل والتسميد التي ذكرها المقتطف كما اشرنا . واني بلسان عجزي ادعو كل من اطلع على رسالتي هذه ان ينتقد ما يستحق الانتقاد فيها . ورب مجرب اعلم من طبيب ولا سيما في موضوعنا هذا

القدس الشريف احد قراء المقتطف

[المقتطف] لقد اجاد حضرة الكاتب الفاضل وافاد ولم نكن نعلم ان هذه الدودة تفتك هذا الفتك في بلادنا ويظهر من وصفهِ اياها انها من جنس الدود المعروف في اوربا واميركا بدود الحنطة وسنصف هذا الدود وكيفية وضعهِ بيضهُ في نبات القمح وسائر طبائعهِ في جزء تالٍ

اما الاساليب التي اشار بها لنجاة الحنطة من فتك هذه الدودة فعملية معقولة كلها ولا بدَّ من ان يكون الكاتب قد عرف فائدتها بالاختبار وحبذا لو اذن لنا في التنويه باسمهِ

تسمين المواشي

ابنا في الجزء الماضي انواع العلف المختلفة ونسبة بعضها الى بعض من حيث مقدار الغذاء الذي في كلّ منها وهاك فوائد اخرى من هذا القبيل

ما دامت المواشي صغيرة السن آخذة في النمو لا يُنتظر ان تسمن كثيرًا لان الغذاء يتحوَّل حينئذٍ الى انمائها ولذلك لا يكون من الحكمة ذبح العجول الصغيرة ولا محاولة تسمينها قبلما تبلغ السنة الثالثة من عمرها ولا محاولة تسمين حملان الغنم قبلما يمضي عليها الحول

وقد قابل السرجون لوز الغنم المسمَّنة قليلاً بالمسمنة كثيرًا وبغير المسمنة فوجد بينها الفروق التالية : لنفرض ان وزن الخرفان كان الف رطل فوزن ما فيها من اللحم والدهن والاحشاء كما ترى في هذا الجدول

	غير المسمنة		المسمنة قليلاً		المسمنة كثيرًا	
وزن الكرش وما فيهِ	٩١	رطلاً	٧٠	رطلاً	٥٦	رطلاً
المصارين وما فيها	٥٣	«	٣٨	«	٢٨	«
الشحم	٤٥	«	٦٠	«	٧٥	«
القلب والكبد والرئة والطحال والدم	٨٤	«	٧٧	«	٦٥	«
بقيَّة الفضلات	١٧٩	«	١٦١	«	١٣١	«
اللحم والدهن	٥٣٤	«	٥٨٧	«	٦٤١	«
الخسارة بالتبخُّر	١٤	«	٧	«	٤	«
والجملة	١٠٠٠		١٠٠٠		١٠٠٠	

ويظهر من ذلك باجلى بيان ان التعليف يزيد لحم الحيوانات ودهنها وشحمها بالنسبة الى مجمل وزنها فاذا رأينا خروفين وزن كلّ منهما مئة رطل مصري واحدهما معلَّف والآخر غير معلَّف فالمعلَّف فيهِ من اللحم والشحم والدهن ٧١ رطلاً وغير المعلَّف فيهِ منها ٥٧ رطلاً فاذا بيع غير المعلَّف بسبعة وخمسين غرشًا وجب ان يباع المعلَّف بواحد وسبعين غرشًا هذا اذا فرضنا ثمن الرطل من اللحم السمين مثل ثمن الرطل من اللحم المزيل واذا كان اللحم السمين اغلى من اللحم المزيل كما هو الواجب فثمن الحيوان السمين يجب ان يكون مضاعف ثمن الحيوان المزيل اذا تساويا وزنًا . وما يصدق على الغنم يصدق على البقر ايضًا

ثم ان معدة البقر وامعاءها اثقل من معدة الغنم وامعائها بالنسبة الى وزنها فاذا كان وزن الغنم الف رطل ووزن البقر الف رطل فوزن معدة الغنم وامعائها اي كرشها ومصارينها نحو مئة رطل ووزن كرش البقر ومصارينها نحو ١٤٣ رطلاً ولذلك فمعدة البقر تسع اكثر من معدة الغنم بالنسبة الى وزنهما ولا بدَّ من ان يكون علف البقر كبير الحجم ليملأ معدتها وامعاءها وعلف الغنم كثير الغذاء لانها لا تستطيع ان تأكل كميَّة كبيرة منهُ

مستقبل الزراعة المصرية

ان حال الزراعة المصرية على ما يسرُّ الصديق ويسيء العدو لسببين كبيرين الاول انتظام الري والصرف والثاني غلاء الاسعار ولذلك ارتفع ثمن الاطيان جداً حتى ان الفدان الذي كان يباع منذ خمس سنوات باربعين جنيهاً او خمسين اصبح ثمنهُ الآن من ثمانين جنيهاً الى مئة وارتفع ايجارها على هذه النسبة تقريباً فالفدان الذي كان يؤجر باربعة جنيهات او خمسة صار يؤجر بستة او سبعة

اما الري والصرف فامرها ثابت او هو آيل الى زيادة الاتقان لان مياه الري ستزيد مقداراً في ايام التحاريق بواسطة الخزان حتى تقصر المناوبات او تزول . وستنشأ المصارف في كل مكان يحتاج اليها ولو دعت الحال الى انشاء مصرف كبير في لحف الجبل الغربي يمتد من المديريات الوسطى الى بحر الروم

واما اسعار الحاصلات فامرها مجهول وهو محلُّ الخوف الشديد ولاسيما سعر القطن الذي عليهِ المعوَّل في ايفاء الاموال الاميريَّة وديون الفلاحين فان الاموال الاميرية التي توفى من ثمن القطن تبلغ نحو ثلاثة ملايين من الجنيهات وجانب كبير من الاطيان التي اشتراها الفلاحون في الوجه البحري والمديريات الوسطى لا يزال مرهوناً في البنوك وعند الدائرة السنيَّة والدومين واقساط الرهن توفى من ثمن القطن ايضاً فاذا هبط سعرهُ عجز الفلاح عن ايفاء المال والدين لاسيما وان اجرة "الانفار" زادت اكثر من خمسين في المئة بارتفاع الاسعار ولا يمكن ان تعود الى حالها الاَّ تدريجاً واما سعر القطن فيمكن ان يهبط في شهر واحد عشرين او ثلاثين في المئة

وهبوط سعر القطن من الممكنات بل من المرجحات لان الذي رفعهُ في هذه السنوات الاخيرة وقوع العجز الكثير في محصول اميركا فاذا اتسعت مساحة الارض التي تزرع قطناً هناك وزاد المحصول حتى بلغ ١٣ مليون بالة هبط سعر القطن الاميركي كثيراً وهبط معهُ سعر القطن المصري. ولا يبعد ان يعود ثمن القنطار جنيهين لا غير. وقد لا يحتمل ان يهبط اكثر من ذلك

لشدَّة الحاجة اليهِ ولامتيازهِ الكثير على القطن الاميركي ولكن اذا بلغ ثمن القنطار جنيهين فقط فالاسعار الحاضرة للاطيان تصير غالية بالنسبة الى ثمن المحصول ولاسيما لان المصاريف لا تهبط بهبوط الاسعار. ويقع الفلاح في ضنك شديد لانهُ يضطر ان يدفع الاموال الاميرية واقساط دينهِ في اوقاتها من غير نقص

وواضحٌ مما تقدَّم ان المالك الذي لا دين على اطيانهِ لا تسوء حالهُ كثيرًا بهبوط الاسعار لان غاية ما ينتج عن هذا الهبوط ان الفدان الذي يبلغ ايجارهُ الآن ثمانية في المئة من ثمنهِ الحاضر يصير ايجارهُ خمسة في المئة لا غير ولكن الضرر الكبير يقع على المالك الذي على اطيانهِ دين رباهُ ستة او سبعة في المئة فان ايجار اطيانهِ لا يعود يكفي ربا الدين فتحجز وتباع بثمن بخس

هذا الامر يراهُ جليًّا كل من يبحث في حالة البلاد الاقتصادية ويلوم الذين غالوا في اسعار ما يشترونهُ من اطيان الدائرة السنيَّة والدومين حتى صار يخشى عليهم من الافلاس اذا هبطت اسعار الحاصلات او تلف المحصول سنة واحدة لسبب من الاسباب

فوائد التوت

ابنا في النبذة السابقة ان الاعتماد على القطن وحدهُ لا يخلو من خطر كبير على اهل الزراعة اذا هبطت اسعارهُ كما يرجح ان تهبط اذا جاد موسم اميركا. ومعلوم انهُ لا يصح الاعتماد على غير القطن من الحاصلات التي لا سوق لها في غير القطر المصري او التي ثمنها رخيص بالنسبة الى ثقلها فيضيع جانب كبير من ثمنها الذي تباع بهِ في اجرة نقلها. واول شيء يخطر على البال اهمال المصريين لزرع شجر التوت وتربية دود الحرير لاسيما وانهُ يمكن ان يزرع جانب كبير من الشجر حول المصارف والمساقي وعلى حدود الاطيان فلا تشغل الارض. ويظهر باقل حساب انهُ يمكن ان يزرع حول كل مئة فدان وعلى جوانب ترعها ومصارفها وسككها نحو الفي شجرة من شجر التوت ويربى عليها الفا درهم من بزر القز يكون حاصلها باقل التقديرات خمسة آلاف اقة ثمنها نحو ٦٠٠ جنيه يعطى نصفها للشركاء الذين يربون الدود فيبقى منها للمالك نحو ثلثمئة جنيه في السنة وتبقى زراعة الاطيان على حالها. فهذا ربح كبير لا يقلُّ عن ربح القطن ولا يخشى على الحرير من الكساد

ثم ان من شجر التوت فائدتين اخريين الاولى ان ورق التشارين وجزَّة القز علف جيد للمواشي يغنيان عن البرسيم حين لا يكون البرسيم ويغلو ثمن العلف. والثانية ان قضبان التوت وقود جيد جدًّا تغني عن حرق الجلَّة وعن الفحم الحجري ايضًا فتوفر السباخ البلدي وثمن الفحم

وحبذا لو اهتمت الحكومة بعضد الذين يزرعون التوت كأن تعفيهم من بعض الضرائب او تسهل لهم سبل زرعهِ بوسائط اخرى لانهُ ما من بلادمن البلدان الاَّ وانفقت اموالاً طائلة على ادخال تربية دود الحرير اليها

القمح ونيترات الصودا

ابان السر وليم كروكس في خطبتهِ الشهيرة التي خطبها لما كان رئيساً لمجمع ترقية العلوم البريطاني ان آكلي القمح سيزيد عددهم اكثر مما تزيد غلتهُ فيغلو سعرهُ جدًّا ما لم يلجإِ الناس الى واسطة يزيدون بها غلة الارض وقال ان هذه الواسطة ميسورة وهي سمد الارض التي تزرع قمحاً بنيترات الصودا وانهُ اكتشف اسلوباً كيماوياً لعمل المقادير الكبيرة من نيترات الصودا حتى يرخص ثمنها ويسهل استعمالها سماداً

وقد امتحنت مصلحة الدومين نيترات الصودا في بعض الاراضي الضعيفة في الوجه البحري بناحية دمرو فسمدت ١٨ فداناً و ١٨ قيراطاً بنيترات الصودا و ١٨ فداناً و ١٨ قيراطاً بالسباخ البلدي وابقت ١٨ فداناً و ١٨ قيراطاً من غير تسميد فكانت غلة كل قسم منها من الحنطة والتبن كما ترى في هذا الجدول

	المسمَّدة بنيترات الصودا	المسمَّدة بالسباخ البلدي	غير المسمَّدة
قمح	١٠٠ اردب و ١٦ ربعاً	٧١ اردباً	٦٧ اردباً و ١٩ ربعاً
تبن	٥ احمال و ٧٤ اقة	٣ احمال و٩٢ اقة	٣ احمال و ٦١ اقة
فغلة الفدان قمحاً	٥ ارادب و ٨ ارباع	٣ ارادب و ١٨ ربعاً	٣ ارادب و ١٤ ربعاً

وكانت هذه الاطيان سباخاً فأُصلحت منذ بضع سنوات وغُسل الملح منها وفي طينها قليل من الرمل والجير وكان نيترات الصودا الذي استعمل طنين بلغ ثمنهما الفي غرش وقد مزج قبل استعمالهِ بخمسة وخمسين قنطاراً من طمي الترع وسمدت الارض بهِ في ٢٧ يناير

اما السباخ البلدي فبلغ احد عشر متراً مكعباً لكل فدان واضيف الى الارض في ٢٧ و ٢٨ يناير ورويت هذه الارض والارض الاولى بعد تسميدها

وبلغ ثمن نيترات السودا ونفقات التسميد بهِ ١١٣ غرشاً لكل فدان واذا حسبنا ثمن الاردب من الحنطة ٩٠ غرشاً وثمن حمل التبن ٣٠ غرشاً فتكون الزيادة في غلة الفدان المسمَّد ٢١٩ غرشاً يطرح منها ثمن السماد واجرة استعمالهِ فيبقى من استعمالهِ ١٠٦ غروش ربحاً . اما السباخ البلدي فلم يظهر من استعمالهِ ربح يذكر

وجرَّبت الجمعيَّة الزراعيَّة نيترات الصودا سماداً للقمح الهندي وذلك في ارض الجيزة وفي ميت الديبة فكانت غلة الفدان المسمَّد في الجيزة ٨ ارادب وغير المسمد ٦ ارادب و١٠ كيلات وغلة الفدان المسمد في ميت الديبة ٤ ارادب و٣ كيلات وغير المسمد ٣ ارادب . وكان ثمن سماد الفدان في الجيزة ثمانين غرشاً والزيادة في المحصول من القمح والتبن ١٢٥ غرشاً . وثمن سماد الفدان في ميت الديبة ٩٠ غرشاً والزيادة في المحصول من القمح والتبن ١٤٣ غرشاً



قد رأينا بعد الاختبار وجوب فتح هذا الباب ففتحناهُ ترغيباً في المعارف وانهاضاً للهمم وتشحيذاً للاذهان . ولكنَّ العهدة في ما يدرج فيهِ على اصحابهِ فنحن براءُ منهُ كلهِ . ولا ندرج ما خرج عن موضوع المقتطف ونراعي في الادراج وعدمهِ ما يأتي : (١) المناظر والنظير مشتقَّان من اصلٍ واحد فمناظرك نظيرك (٢) انما الغرض من المناظرة التوصل الى الحقائق . فاذا كان كاشف اغلاط غيرهِ عظيماً كان المعترف باغلاطهِ اعظم (٣) خير الكلام ما قلَّ ودلَّ . فالمقالات الوافية مع الايجاز تستختار على المطوَّلة

كتاب شكر الى القمر

انت ايها القمر وصفك قبلي الواصفون وتغنَّى بمديحك الشعراء والمغنون قديم العهد باخبار المحبين رقيق القلب ترثي لشكوى العاشقين صبوح الوجه طويل الاناة وقد خلقك ربي فابدع واحلَّك من سمائهِ المحلَّ الارفع تبدّد غياهب الظلام وتشرح صدور الانام وتكسو الارض حللاً من اللجين واثواباً من البهاء وترسل اشعتك ارواحاً من اللطف تطير فوق الارض وتلثم وجنات الماء وانت كوكب الليل ومثال الجمال صديق المحبين والشاهد على وعودهم وعهودهم طلوعك موعد لقائهم واكتمالك تمة هنائهم وابتسامك غاية رجائهم تحدث مدّاً وجزراً في البحور ونبضاً وخفقاناً في القلوب والصدور فان قلت رفعك الله فقد سبقني الى الاجابة قبل الدعاء او قلت اطال بقاءك ارتفعت اصوات الالوف داعية لك بطول العمر فانت الطلق محياك الباهر سناك المرسل ضياك ولك الفضل والايادي البيضاء هنا وهناك

وليلة سارت بنا السفينة في تلك البحيرة فشقت عباب الماء يدفعها النسيم الرقيق وهو يبثُّ في اذنيها لوعتهُ وجواهُ وسادت علينا السكينة فكانت سدّاً منيعاً يحول بين صفاء عيشنا وهموم الحياة وحاجزاً يفصل القلب الهائم عن احزان الكون وغرور هذا العالم لكن الظلام بسط علينا

جناحيهِ والظلام ثقيل الروح فما عتمتَ ان طلعتَ من وراء الافق بدراً كاملاً فاخذتهُ الرعدة واستولى عليهِ الخوف فضمَّ جناحيهِ وطار الى بلاد العتمة والموت فابتسم ثغرك وانار محيَّاك فرقصت الامواج طرباً وترنحت السفينة اعجاباً وخفقت القلوب سروراً كانما انت توحي اليها آيات الحب الصحيح وتنزل عليها منَّ الطهارة والسلام . وهبَّ الطير والسمك ذاك من اوكاره وهذا من الاعماق وتسابقا الى تحيتك وكأنما الكرى ابى منازلتك وقد عودتهُ المزية من قبل فلم يجسر على الدنوّ منّا وانت لهُ بالمرصاد خلقك ربي رحمة لعبادهِ تهدي الضالين وتنير سبيل التائهين وتشرح صدور المكروبين وتصعد بنفوس المحبين الى حيث يطيرون بعيدين عن ارجاس هذا الكون فتنزلهم في منازل الحياة والنور

وما انسَ لا انسَ منطقة النور التي القيتها علينا ضافية الذيل فافترشت الماء بعدنا تنقلب عليهِ وتنعكس عن سطحهِ الوانها بين زمرد وياقوت وفيروز واشكال الجواهر المصوغة منها ابواب السماء

ولا يقلقك ما يقولهُ فيك الفلكيون من انك عالمَ بارد لا حياة فيك ولا روح فانما يقولون هذا القول وهم وقوف امام نظاراتهم يرصدون الافلاك أرأيت لو وقفوا وقفة المحبّ المفتون اذاً لنسوا جميع ما قالوهُ وكتبوهُ ورجعوا الى قولنا انهُ الصواب والقول الحق

وقالوا ان نورك مكتسب مستعار لافضل لك فيهِ فقلتُ انهُ الكرم بعينهِ تأخذ الشيء من معدنهِ فتجود بهِ اجمع بعد ان تجيد سبكهُ — انكار الذات وحبّ السوى والرفق بنوع الانسان صفات لو تمثلت في جسم امرءٍ لالههُ الناس وعبدوهُ واتخذوهُ دون الاله ربّاً

ويعجبني منك هذا الثبات فالشمس يحرق حرها في الظهيرة ويضعف نورها في المساء وتبتلينا بحمعان ناجر في الصيف وتذيقنا بلاء البرد في الشتاء امَّا انت فلا تحول عن جوهرك اللطيف وانما هي اشكال اتخذتها هلالاً وبدراً وربعاً وكذلك نصف الناس حب تبديل اشكال وتغيير ازياء

أرأيت لو اجتمعت انت والحبيب على جدول ماء يجري صافياً كالبلور وجاء النسيم يستطلع الخبر وغضّ الصفصاف طرفهُ اذاً لقلت ذاك نعيمي وتلك جنتي وفي الارض جنات تجري من تحتها الانهار

فتقبل شكر معترف بفضلك حافظٍ لجميلك داعٍ لك بالسلامة وطول العمر فبسلامتك هناء المحبين ولا زلت مرفوع القدر عالي المنزلة فانهُ فضل ربك يؤتيهِ من يشاء

المخلص لك

خليل ثابت

التواريخ العربيَّة

سيدي الفاضلين منشئي المقتطف الاغرّ

في الجزء الحادي عشر من مجلد المقتطف السابع والعشرين مقالة تحت هذا العنوان لناسج بردها حضرة الفاضل المدقق محمد افندي كردعلي بيَّن فيها التواريخ العربيَّة وما انتابها من المؤثرات التي جنحت بالمؤرخين الى تسطير التاريخ بين المحاباة والمداجاة فانطمست معالم الوقائع الحقيقية في كثير من العصور واقيمت على اطلالها مدعيات كلها افك وتمويه — ذلك لما كان لاولياء الامر من السلطة والحجر على حرية المؤرخين فلا يدعونهم يكتبون الاَّ لجانبهم فضلاً عن تشيع المؤرخ نفسهِ لبني جنسهِ وتعصبهِ ضدّ الاجانب ونسبة كل مذمةٍ اليهم . وفي عرفنا ان لهاتين الصفتين (سلطة الامراء وتعصُّب المؤرخ) قوة كافية لقلب الحقائق التاريخيَّة وتشويه وجه التاريخ بالبطل . على ان انوار التمدن الحديث قد اجلت عن بني الانسان سحب الجهالة وازاحت بيدها القوية كل شين تسلط عليهِ القرون الطوال واقامت على ربوعهِ الحرية والعدل والبست العلم ثوباً صفيقاً لا يبلى ولئن كان للمؤرخين القدماء عذرٌ لائتمارهم بالامر القوي في تدوين الوقائع التاريخية حسب الاهواء والاغراض فاي عذر يجنح اليهِ مؤرخ العصر وقد انفكت قيود استعبادهِ بفضل الحرية وتخلص عقلهُ من حبوس التمسك باهداب المعتقدات القديمة بفضل الفلسفة الحديثة والعلم الحق فصار في مكنتهِ الآن ان يسطر الحوادث على علاتها لهُ وعليهِ كأنهُ لا يكتب عن وطن ولا جنسية بل عن الايام وابطالها وحوادثها

والمنعم النظر فيما كتب من التواريخ منذ قرن مضى يرى ان منهاج التأليف القديم انتسخت صورتهُ الاَّ في بعض مسائل اختلف في حقيقتها إما دفعاً لتهمة اوتلطيفاً ومراعاةً لجانب . كما اختلف الرواة في شأن معاملة نابوليون ابان اسرهِ في جزيرة القديسة هيلانة . او كما اغفل المؤرخون ايراد السبب الجوهري في عزل اسماعيل باشا الخديوي الاسبق . فقالوا ان ذلك لاستدانة الملايين وانفاقها بغير حساب على اصلاح القطر وضربوا صفحاً عن هوّات استهلاك هذه القناطير المقنطرة مما يعلمهُ الخاص والعام حتى خافت اوروبا على ضياع اموال رعاياها فبادرت الى رتق الفتق واستخفاف اهون الضررين فقررت عزلهُ

اما رؤية الجرائد اليومية السياسية فليست بموضع ثقة لانها انما جعلت لتعضيد الاحزاب واخفاء مقاصد الدول فلا يعتمد على مروياتها المؤرخ الثقة الاَّ بعد التثبت والتدقيق . ففي اخبار روتر الواردة على اسرى البوير ارقام لو جمعناها لساوت ضعفي سكان الترنسفال والاورنج فضلاً عن تضارب اقوال الصحف عن وقائع الحرب وتدبيراتها . ويظهر ذلك باكثر وضوح

كلمات الجرائد العربية على مبلغ الدولة العثمانية في الوقت الحاضر ويكاد بعضها يرفعها الى السماكين فوق القرطاس وهي في نظر التاريخ ليست على شيء من ذلك . وخلاصة القول ان التاريخ نال سهماً وافراً من العناية والانصاف ولكنهُ لم يبلغ حد التمام حتى الآن

اسيوط اسكندر سعد الدمنهوري

نجاح اليابان الموهوم

حضرة منشئي المقتطف الفاضلين

لما كتبت عن التواريخ العربيَّة اتيت بذكر عزل اسماعيل باشا على سبيل المثال — تلك الحادثة العظيمة التي غيرت اوضاع جملة دول ومكانتها في الوجود اتى بها بعينها احد مشتركي المقتطف الكرام استدلالاً على تمدن اليابان "الموهوم" . وكما قلتُ ويعرف كل مطلع على الحقيقة ان اوروبا لم تطمع اسماعيل باشا في استدانة اموالها على زعم ان مصر مقتدرة على السداد ولا هو ايضاً كان يجهل وخامة العقبى . ويقول الخبيرون انهُ لو صرف قوة ذكائهِ في اصلاح القطر لاستطاع ذلك بدون ان يحمل مصر ديناً لا طاقة لها بهِ هذا من جهة . اما من جهة احتيال المرابين على المصري وتحسين الاستدانة في عينيهِ حتى يتوسع باكثر من دخلهِ فيقع تحت وطأة الدين وينتهي الامر بنزع املاكهِ منهُ واعطائها للاجنبي ملكاً حلالاً . نعم كان هذا الغرض يصح للادلة على مستقبل الياباني لو كانت درجتهُ في عالم الارتقاء العلمي والادبي والسياسي كدرجة المصري فيها وبمعنى آخر لو انفق الياباني من قوتهِ الاجتماعية اكثر مما يحصل كما فعل ويفعل الشرقيون عموماً ؟

وظاهر للعيان ان دول الشرق المكونة من الدولة العثمانية على الاطلاق ومصر والفرس وبلاد الافغان والهند واضف الى ذلك مراكش وغيرها — كل هذه متباينة الاساسات التي يبنى عليها تقدم الشعوب وارتقائها ومتفاوتة القوة الادبية التي تؤهلها للدخول في مضمار الحياة وهب ان وُجد اثر من هذه القوة في امة فلن تقوى على الظهور في اطول حرجة توقف نموها او انها لا تستطيع مجاراة غيرها من القوى الفائقة كمصر والفرس مثلاً وبعضها تنازع الايام البقاء فهي في حشرجة الموت كاغلب ما ذكرنا اللهمَّ الاَّ اذا اخذت اخذ اليابان في تأسيس دعائم التمدن الحق والارتقاء الصحيح الخاليين من شائبة التقليد الاعمى والتفرنج المعيب . ونظن ان بشائر الحال تدل على سواد المستقبل الاَّ في مصر نوعاً اذ نشطت في اصلاح داخليتها وانماء ثروتها بفضل المرشدين وهي وان كانت في مقدمة امم الشرق تنوراً وتقدماً الاَّ ان حالتها

العمومية ادنى بمراحل عن اصغر امة متمدنة في اوربا . ويعجبني من المقتطف الزاهر ايراد البرهان تلو البرهان والحجة وراء الاخرى شأنهُ في كل مبحث يأتي بهما لا جزافاً ولا اختلاقاً بل " بشهادة الارقام ولا اصدق من شهادتها " كما قال في مقدمة مقالات " نبأ من اليابان " فاذا كان القول عن بلاد الميكادو ونجاحها مبالغاً فيهما فليأتني الواهم بمدرسة كلية عالية واحدة في كل مدائن الشرق يتخرج منها مهندسون رياضيون ميكانيكيون واساتذة طبيعة وفلاسفة في الآداب وضباط بحريون وقواد مجربون من ابناء البلاد يخدمونها بعلومهم واختراعاتهم ويستغنون عن الاجانب كما استغنت اليابان . او ليقل لي عن شركة واحدة او مصرف واحد او سفن ملاحة للاهالي تمخر البحار وتقطع المسافات الشاسعة حاملة مصنوعات البلاد ومتاجرها كما لليابان

افبعد ذلك نقول ان اليابان في غفلة عما تجهزهُ لها ايدي اوربا من الاطماع والآمال الممزوجة بالسم الناقع لتميت حياتها القومية . وهم هم اليابانيون (كما ذكر المقتطف جزء ثامن مجلد سابع وعشرين) " لما رأوا مصر اضحت غنيمة للدائنين اوجبوا على حكومتهم سنة ١٨٧٣ ان لا تستدين غرشاً واحداً من الاجانب "

فنهضة اليابان ونجاحها امران اكيدان صادقان فصارت دولة يرغب في ودها ويخشى جانبها وكل مروي عنها لا مبالغة فيهِ البتة فجدير بالادباء والكتاب بعد ما عرفوا مبلغ اوروبا من الحضارة ومطامعها في بلادهم وحققوا نجاح اليابان واسباب ارتقائها ان يبحثوا عن مستقبل الشرق والشرقيين على قياس الحال

اسيوط — اسكندر سعد الدمنهوري



الرخام الصناعي

حاول كثيرون من الصنّاع عمل الرخام منذ زمن طويل ونجحوا في ذلك نجاحاً يكاد يحسب تامّاً لجمال ما صنعوهُ لكن الرخام الذي كانوا يصنعونهُ لم يكن خالياً من العيوب فكانت الوان الملوَّن منهُ غير ممتزجة بعضها ببعض كما تكون الوان الرخام الطبيعي بل كانت جوانبها خطوطاً مستقيمة واطرافها زوايا حادَّة او منفرجة . اما الآن فقد استتبَّ لاحد الدنمركيين ان صنع رخاماً كالرخام الطبيعي تماماً وثمن الملوَّن منهُ وغير الملوَّن واحد وهو يصنع منهُ الالواح والاساطين والاشكال المعرَّقة والمنقوشة وثمنهُ رخيص جداً عشر ثمن الرخام الطبيعي

نسج الياف الخشب

لما صُنع الورق من الخشب استغرب الناس ذلك اولاً ثم زال استغرابهم اذ تبيّن لهم ان الورق صُنع من الخشب قبلما صُنع من القطن والخرق لان القرطاس المصري كان يصنع من قدد تشق من سوق الحلفاء . والآن استنبط الالمانيون استنباطاً ادهش العالم وهو انهم صنعوا من الخشب الياقاً تُغزل وتنسج مثل القطن والكتّان وهذا ايضاً على غرابته لا يخلو من بداية قديمة فان الناس طالما سلخوا لحاء الاشجار وضفروه او نسجوه وما الكتّان والقنّب والرامي والسيسل سوى الياف سوق النبات لكن ما صنعهُ الالمان الآن بعيد عن ذلك فانهم حوّلوا الخشب الى الياف دقيقة كالياف القطن وغزلوها كما يغزل القطن والكتان ونسجوها كما ينسجان وثمن هذه الالياف رخيص لا يبلغ ثلث ثمن القطن لكنها قصيرة جدًّا لا يبلغ طول الليفة منها سنتيمترًا فلا تكون الخيوط التي تغزل منها متينة ولذلك لا ينسج منها الاَّ المنسوجات التي لا يراد ان تحتمل شدًّا كثيرًا كالبسط واغطية الاثاث . واذا امكن مزجها بالياف القطن او الكتان اكتسبت المتانة التي تنقصها الآن

تسويد الخشب

لصبغ الخشب صباغاً اسود ثابتاً طرق مختلفة اشهرها الطرق التالية

الاولى . خذ ١٢ درهماً من خلاصة البقّم واسحقها واغلها في ٤٧٠ درهماً من الماء حتى تذوب واضف الى المذوب درهماً من كرومات البوتاسا الاصفر . فهذا السائل يسوّد الخشب ويمكن ان يكتب بهِ على الخشب فتظهر الكتابة سوداء ثابتة

الثانية . اغلِ رطلاً من خشب البقم في رطلين من الماء ساعة من الزمان وادهن الخشب بهذه الغلاية واذب اوقية من كبريتات الحديد (الزاج) في ماء فاتر وادهن الخشب بهِ فوق ماء البقم وجففهُ في الخلاء فيسود حالاً

الثالثة . اغلِ تسع اواقي من العفص ورطلين وربع من خشب البقم في رطلين وربع من الماء في اناء من النحاس ساعةً من الزمان . ورشّ الغلاية بخرقة وادهن بها الخشب مرارًا وهي سخنة فيسود ويكون لونهُ جميلاً

نقل الصور على الخشب لحفرها

ادهن الصورة المطبوعة بقليل من ماء البوتاسا حتى يلين حبرها ثم ابسطها على قطعة الخشب واضغطها ضغطاً شديدًا فترسم الصورة على الخشب ويسهل حفرها عليهِ

الصاق قطع الباغا

تلصق قطع الباغا اي الذبل او عظم السلاحف بان تضع القطع بعضها فوق بعض او بعضها بجانب بعض مجتهدًا لكي تكون عروقها متجهة اتجاهًا واحدًا ثم لفها بورقة وضعها بين قطعتين من الحديد المحمى واضغطها بهما جيدًا ويجب ان لا يكون حمو الحديد شديدًا لئلا يحرق الباغا فتلتصق القطع بعضها ببعض وتصير كأنها قطعة واحدة ويمكن تليين القطع الصغيرة بوضعها في ماء سخن ثم تلصق بعضها ببعض بالضغط الشديد في المكبس المائي

الغليسرين للسن بدل الزيت

يفضل كثيرون استعمال الغليسرين للسن بدل الزيت لانهُ انظف من الزيت واصلح وذلك بان يمزج ثلاثة اجزاء من الغليسرين بجزء من الالكحول يوضع هذا المزيج على المسن بدل الزيت

باب التقريظ والانتقاد

اشهر مشاهير الاسلام

الجزء الثاني

لمَّا صدر الجزء الاوَّل من هذا الكتاب الجليل رحَّبنا بهِ لانهُ اول تاريخ عربي لم يكتفِ بسرد الحوادث بل حاول ردها الى عللها وايضاح الغامض منها وتمحيص ما كثرت شوائبهُ لبعد عهدهِ وتصرُّف النقلة فيهِ. وقد اقترحنا على حضرة المؤلف حينئذٍ ان يراجع تواريخ الروم والفرس الامتين اللتين اتصل العرب بهما اولاً ويقابل تاريخ العرب بها لزيادة التدقيق والتحقيق فاحلَّ اقتراحنا محلهُ وقال في هذا الجزء " طلبت اليَّ مجلة المقتطف ان اوسع النظر في تواريخ الغربيين واستقصي منها حالة دولة الروم على عهد الفتح الاسلامي لاتوسَّع في بيان العلل والاسباب التي اوجبت قهر تلك الدولة بواسطة الجيوش العربيَّة . وفي الحقيقة فان هذا الامر من الامور الجديرة بتدقيق المؤرخين الخليقة بالنظر والتأمل لهذا راجعت اشهر التواريخ الافرنجيَّة التي كتبت عن العرب والروم في ذلك العهد كتاريخ الامبراطوريَّة الشرقيَّة لادورد جبون الانكليزي وتاريخ العرب للمؤرخ الفرنسوي ديفرجي ". وقد ظهرت نتيجة هذه المراجعة في كثير

من فصول هذا الجزء فنشكر لحضرة المؤلف الفاضل بلسان قراء العربية همتهُ الشماء في المطالعة والتنقيب حتى يكون كتابهُ بالغاً غاية ما يمكن الوصول اليهِ الآن من تمحيص الاخبار

ويعجبنا من المؤلف استنتاجهُ القضايا الكلية ومجاهرتهُ بها ولو ثقل سماعها على الذين في نفوسهم مرض من ذلك قولهُ في الصفحة ٢٠٦

"هذا شأن الاسلام في المحافظة على حقوق الامم المغلوبة وقد رأيت مما تقدم انهُ لم يعطِ للمسلمين من حقوق الغلب التي ينتحلها الغالبون في كل عصر الاَّ ما تدعو اليهِ الضرورة القصوى وتستلزمهُ سلامة الملك والدين لا ما تدعو اليهِ شهوات الملك ورغبات الامة الغالبة وقد علم هذا المسلمون وخلفاؤهم وان لاهل الذمة ما لهم وعليهم ما عليهم فبالغوا في الرأفة بأهل جوارهم والداخلين في ذمتهم من ارباب الملل الاخرى فتركوا لهم حرية التملك والدين ولم ينازعوهم حقاً من حقوق المواطنة والجوار بل كانوا يعتبرونهم جزءًا من الدولة وعضواً من اعضاء مجتمعهم لا غنى عن مشاركتهِ في العمل ومشاطرتهِ اسباب السعادة المدنية والحياة الوطنيَّة يؤيد هذا اعتماد الخلفاء الامويين والعباسيين على اهل الكتاب من اليهود والنصارى في ترتيب دواوين الخراج وترجمة علوم اليونان وتقريب النابغين منهم في علوم الهندسة والطب اليهم واعتمادهم في شفاء عللهم عليهم بل بلغ بالمسلمين اعتبارهم لاهل الكتاب عضواً من جسم هيئتهم الاجتماعية لا يجوز فصلهُ في حال من الاحوال ان جيوش التتار لما اكتسحت بلاد الاسلام من حدود الصين الى الشام ووقع في أسرهم من وقع من المسلمين والنصارى ثم خضد المسلمون شوكة التتار في الشام ودان ملوكهم بالاسلام خاطب شيخ الاسلام ابن تيمية رأس العلماء في عصرهِ امير التتار قطلوشاه باطلاق الاسرى فسمح لهُ بالمسلمين وابى ان يسمح لهُ باهل الذمة فقال لهُ شيخ الاسلام : لا بدَّ من افتكاك جميع من معك من اليهود والنصارى الذين هم اهل ذمتنا ولا ندع اسيراً لا من اهل الملة ولا من اهل الذمة فاطلقهم لهُ

"وكيف لا يقوم علماء المسلمين وخلفاؤهم بحماية اهل ذمتهم وقد استوصى بهم النبي صلى الله عليهِ وسلم امتهُ خيراً وكذلك الخلفاء الراشدون من بعدهِ كما رأيت فيما مرَّ من هذا الكتاب وكما سترى بعد. ونحن ننقل اليك هنا على سبيل الاستطراد ما جاء في كتاب كتبهُ عمر بن الخطاب (رض) الى عمرو بن العاص عاملهِ على مصر وهو قولهُ

" واعلم يا عمرو ان الله يراك ويرى عملك فانهُ قال تبارك وتعالى في كتابهِ (واجعلنا للمتقين اماماً) يريد ان يقتدى بهِ وان معك اهل ذمة وعهد وقد اوصى رسول الله صلى الله عليهِ وسلم بهم واوصى بالقبط فقال " استوصوا بالقبط خيراً فان لهم ذمة ورحماً " ورحمهم ان

أم اسماعيل منهم وقد قال صلى الله عليهِ وسلم "من ظلم معاهدًا او كلفهُ فوق طاقتهِ فانا خصمهُ يوم القيامة". احذر يا عمرو ان يكون رسول الله صلى الله عليهِ وسلم لك خصماً فانهُ من خاصمهُ خصمهُ . والله يا عمرو لقد ابتليتُ بولاية هذه الامة وآنست من نفسي ضعفاً وانتشرت رعيتي ورق عظمي فأسأل الله ان يقبضني اليهِ غير مفرّط . والله اني لأَخشى لو مات جمل باقصى عملك ضياعاً ان أُسأل عنهُ يوم القيامة"

وقد انكر المؤلف القصَّة التي تداولتها تواريخ الافرنج وذُكرت في تاريخ سوريَّة وفي تاريخ الوافي وهي ان خالد بن الوليد لحق بعض الذين اجلوا عن دمشق وقتلهم . وقال انهُ بحث عن هذا الخبر في ما دوَّنهُ رواة الاخبار من المتقدمين كالطبري والبلاذري وابن واضح المعروف باليعقوبي وفي تواريخ المتأخرين كابن الاثير فلم يجد لهذا الخبر من اثر

وقد رأينا المؤلف يستشهد كثيرًا بتاريخ الواقدي فتوح الشام فلو تصفَّحهُ جيدًا لوجد الخبر فيهِ وهو في النسخة التي عندنا في الصفحة ٤٦ و٤٧ و٤٨ و٤٩ و٥٠ وخلاصة ما فيها ان خالدًا اخذ عساكر الزحف وهم اربعة آلاف فارس ويونس الدليل امامهم وتبع آثار القوم الى ان اقبل عليهم فقسم اصحابهُ اربع فرق فأمَّر ضرار بن الازور على الف فارس وعلى الالف الثاني رافع بن عميرة الطائي وعلى الالف الثالث عبد الرحمن بن ابي بكر الصديق وبقي هو في الفرقة الرابعة وهاجمهم وظفر بهم وغنم ما معهم . وقد فصَّل الواقدي هذه الحادثة بالاسهاب في خمس صفحات كبيرة . ومن يطالع تاريخ الواقدي يجد فيهِ امورًا كثيرة مدخلة لكن هذا الخبر ليس اغرب من كثير من الاخبار الواردة في هذا الكتاب وان كان مقحماً فيهِ فلا يبعد ان يكون غيرهُ من المؤرخين قد اشار الى ذلك . فعسى ان يزيدنا المؤلف الفاضل تحقيقاً . ونتمنَّى ايضاً ان يزيد اعتناؤهُ بطبع الاجزاء التالية حتى لا يقع فيها من الخطإِ المطبعي ما وقع في هذا الجزء

واكثر من ثلث هذا الجزء في المواضيع الادارية والاقتصاديَّة وممَّا جاء فيها ان دفاتر الحكومة كانت تكتب بالرومية في الشام وبالفارسية في العراق الى عهد عبد الملك بن مروان في الشام والحجاج بن يوسف في العراق وهو امر حريٌّ بالنظر

والكلام في هذا الجزء مقصور على خلافة الامام عمر بن الخطاب وما جرى في عصرهِ من الفتوح الاَّ ان المؤلف اوجز كثيرًا في الكلام على فتح مصر فاوردهُ في اقل من صفحتين مع ان فتح الشام شغل نحو سبعين صفحة في هذا الجزء وحبذا لو عاد الى فتح مصر فوفاهُ حقهُ من الشرح في جزء تالٍ

العربيَّة والقبطيَّة

لما نزل العرب هذا القطر وقت الفتح كانوا فئة صغيرة وظلوا كذلك والقبط اكثر منهم عدداً واوفر عمراناً الى ان دان اكثرهم بالاسلام وامتزجوا بالعرب ومن نزل هذا القطر بعدهم من الامم الغالبة فأهملت اللغة القبطية ولكن بعد ان بقي اثرها في اللغة العربيَّة في النبرة الخاصَّة باللغة المصريَّة وفي كثير من الالفاظ التي نظنها عربيَّة وهي قبطيَّة الاصل . وقد عني حضرة الاديب اقلاديوس افندي لبيب بجمع كثير من الكلمات العربيَّة العاميَّة التي اصلها قبطي ونشر بعضها الآن في كراسة صغيرة ووعد بنشر باقيها اذا وجد من يعاونهُ على نشرها . وقد عانى في جمعها مشاق كثيرة مدة اثنتي عشرة سنة فاستحق شكر محبي المعارف واظهار الحقائق

ومن الالفاظ التي قال ان اصلها قبطي كلمة "حالوم" في قولهم "حالوم يا جبنه حالوم" فان حالوم او هالوم اسم الجبن بالقبطيَّة

وكلمة "ياما" وهي قبطيَّة معنا كثير او وافر

وكلمة "اش" وهي حرف استفهام مثل ما او ماذا

وكلمة "بعبع" وهي اسم عفريت مصري استعمل في العزائم السحريَّة ولتخويف الاولاد

وكلمة "لقش" وهي من ايلكشاي ومعناها استهزاء

وكلمة "ادهى" من ادهو ومعناها اردأ او اشر

وكلمة "اوني" في قولهم اوني اوني ياطاحون الرحاية فان معناها رحى

وكلمة "طمس" فان معناها بالقبطية دفن

وكلمة "يم" فان معناها بالقبطية بحر

وكلمتا "كاني ماني" في قولهم كاني ماني ودكان زلبكاني فان معناهما سمن وعسل

وكلمة "لبان" معناها بالقبطية حبل وتستعمل الآن للحبل الذي تجرُّ بهِ المراكب

وكلمة "ليلي" المستعملة كثيراً في الغناء معناها بالقبطية فرح

وكلمة "مدمس" هي بالقبطية متمس اسم الفول الناضج في الفرن

وكلمة "نافله" في قولهم دا كله نافله ما ينفعش معناها بالقبطية باطل

وكلمة "شوياً" قبطيتها اشون معناها قليل وتطلق على اصغر الحبوب

وهذا جزءٌ من الكلمات الكثيرة الفصيحة والعاميَّة فقد ابان حضرة المؤلف ان اصلها قبطي وحبذا لو لقي من نظارة المعارف المصريَّة تعضيداً لنشر كل ما جمعهُ من الكلمات فان نشر كتاب مثل هذا لا يقوم بهِ الَّا الحكومة او الجمعيات التي تنفق على نشر الحقائق العلمية

آثار لبنان

او تسريح الابصار في ما يحتوي لبنان من الآثار للاب هنري لامنس اليسوعي

لقد طالما تمنينا ان يبحث احد علماء العاديات عن آثار لبنان القديمة ويشرحها شرحاً وافياً عساهُ يرغّب سكانها في الاحتفاظ بها ويرغّب غيرهم في مشاهدتها ولذلك سررنا بهذا الكتاب الذي وضعهُ احد الاباء اليسوعيين لاننا رأينا في كل صفحة منهُ دلائل البحث والتحقيق فقد جمع الكاتب زبدة ما قالهُ الباحثون في آثار لبنان الى ما رآهُ وتحققهُ بنفسهِ وافرغ ذلك كلهُ في قالب عربي محكم مجتنباً القطع في الحكم حيث لا يرى الادلَّة قاطعة

وفي الكتاب كثير من صوَر الآثار المذكورة فيهِ لكن اكثرها غير جلي مع توفُّر رسم الصوَر الجليَّة وطبعها في هذا العصر . فنشكر لهُ همتهُ ونتمنى ان يكثر فيهِ من الرسوم المنقولة عن الصور الفوتوغرافية في الطبعة الثانية

المحيط

مجلَّة علميَّة تاريخيَّة صحيَّة ادبيَّة فكاهيَّة تصدر مرة في الشهر لصاحبها ومنشئها حضرة الكاتب الفاضل عوض افندي واصف وقد وعد بان يبحث فيها عن سياسة القطر وعمَّا يتعلَّق بطلبة المدارس صغاراً وكباراً وعن عيوب التعليم في مصر واحدث الطرق المستعملة لاصلاح المدارس وعن صحة الابدان وانواع العلاج التي يُلجأ اليها في غياب الطبيب . وعن العلاقة بين العلم والدين . وعن تاريخ شهيرات النساء وكل ما يتعلَّق بالبنات . وعن موارد الارزاق اي الزراعة والتجارة والصناعة والاستخدام

ووعد ايضاً ان ينشر فيها خلاصة ما تنشرهُ الجرائد والمجلات مدة الشهر واهم الحوادث الخارجيَّة والداخلية ورواية مختصرة في كل عدد ودليلاً يذكر فيهِ مواعيد سفر القطرات والبريد وايام السنة الى غير ذلك

وفي الجزء الاول الذي صدر الآن بحث في المجلات المصرية رغب فيهِ اليها ان تجعل لها صوتاً واضحاً في سياسة البلاد الداخلية ورأياً معدوداً في شؤُونها الادارية ومباحثها الاجتماعية . وقد نسي ان اكثر الذين في يدهم الحل والعقد لا يقرأُون العربية او لا يفهمون منها الأ ما جاء على سبيل الخبر البسيط وان غرض المجلات الاول تنوير الامة ومساعدة المدارس على تعليمها ثم هي اذا ذكرت مسأَلة وطنية اجتماعية قلَّ ان لا تضطر الى انتقاد اعمال الحكومة فتمنع من دخول الولايات العثمانية وتفوت فائدة تلك الولايات منها وتضيع فائدتها من مشتركيها وهم

ليسوا بالعدد القليل او تضطر الى تحمُّل النفقات الطائلة لتصل اليهم . ولا ننكر مع ذلك ان بين المسائل الوطنية مجالاً واسعاً للمجلات العربيَّة لتخوض فيهِ وتفيد قراءها بهِ اكثر مما تفيدهم بكثير من المقالات العلميَّة والفلسفيَّة التي تنشرها من وقت الى آخر

هذا واننا نتمنَّى لصاحب "المحيط" ان يوفَّق الى نيل ما يقصدهُ من نشر الفوائد وتعميم المعارف

الجغرافية الجديدة

New Geography *by Ahmed Hafez*

نتذكر حديثاً دار بيننا وبين احد قوَّاد الانكليز منذ نحو ١٨ سنة قال لنا فيهِ لو ان الاموال التي انفقتها انكلترا على حملة السودان انفقتها على تعليم اللغة الانكليزيَّة في هذا القطر لفازت باصلاح مصر والسودان ووجدت لها فيهما اعظم النصراء . ولم يخطر بالنا حينئذٍ ان الانكليز يهتمون بنشر لغتهم وان شبان مصر يقدمون هذا الاقدام على تعلُّمها حتى يؤلفوا فيها الكتب العلميَّة فان امامنا الآن كتاباً في الجغرافية وضعهُ حضرة الاديب احمد افندي حافظ باللغة الانكليزيَّة وهو يبتدئ مثل سائر كتب الجغرافية بالحدود والتعريفات لكنهُ لم يطل الكلام فيها بل انتقل الى القطر المصري حالاً واسهب الكلام فيهِ واستطرد منهُ الى بقية افريقية ثم انتقل الى سائر القارات فاوجز الكلام عليها واكتفى من وصف بيروت مثلاً بانها ناجحة جدًّا . والكلام على الولايات المتحدة الاميركية اوفى فيهِ من الكلام على تركيا . والكلام على برلين اوفي من الكلام على القسطنطينيَّة . وحبذا لو اسهب في الكلام على تركيا كما اسهب في الكلام على مصر

نيل الارب

في موسيقى الافرنج والعرب

وضعهُ حضرة الاديب احمد افندي امين الديك بحث فيهِ عن الموسيقى والصوت وانواعهِ ونغماتهِ بحثاً علميًّا وافرز فصلاً خاصًّا بالنوتة الشائعة عند الافرنج للدلالة على الاصوات وما يقترن بها من مدارج ومفاتيح وانواع العلامات الموسيقية وفيها النسبية مستعملاً اسماءها الفرنسوية والموازين والحركة والدلالة عليها مستعملاً اسماءها الايطالية ومعرباتها وما يتبع ذلك من العلامات والاشارات

وتكلم عن العود واصلاحهِ مقابلاً بين النغمات العربية المعروفة والنغمات الافرنجية وبعد

ان تكلم عن المقامات اثبت شذرات في الموسيقى العربية فيها كلام عن العود القديم وحالة الموسيقى عند العرب القدماء وما اتصل بنا من اخبارها ثم قابل المقامات الافرنجية بالعربية

وقد اتى في القسم العملي على النظر في الغناء والتوقيع على الآلات الموسيقية على اختلاف اشكالها

والكتاب موضح بالرسوم الموسيقية وفيهِ صور كثير من الآلات المعروفة لكنَّ طبعهُ سقيم يتعب النظر وتنفر منهُ العين وهو كغيرهِ من الكتب الموضوعة لتعليم الموسيقى لا يغني الطالب عن معلم وانما يرجع اليهِ في استجلاء غامض او حلّ مشكل فنثني على حضرة المؤلف ونحث المولعين بهذا الفنّ على اقتناء كتابهِ لاسيما المحبين للموسيقى العربية

رسالة

هي رسالة في صمام نودون الكهربائي تلاها حضرة الدكتور عيد الطبيب المشهور في هذه العاصمة في مؤتمر الكهربائية الطبيَّة العام في برن عاصمة سويسرا وصف فيها هذا الجهاز وبين مزاياهُ في استحضار اشعة رنجن وقلَّة نفقتهِ بحيث يتسنَّى لجميع الاطباء توليد هذه الاشعة بهِ وقد ادمجت هذه الرسالة في وقائع جلسات المؤتمر المذكور

بابُ تدبير المنزل

قد فتحنا هذا الباب لكي ندرج فيهِ كل ما يهم اهل البيت معرفتهُ من تربية الاولاد وتدبير الطعام واللباس والشراب والمسكن والزينة ونحو ذلك مما يعود بالنفع على كل عائلة

بنات مصر والتعليم

كنا قُبيل كتابة هذه السطور نتكلم مع احد العلماء الاعلام عن مستقبل اهل الاسلام في هذا القطر وغيرهِ من الاقطار . وهو غيور على امتهِ وملتهِ باذل اقصى جهدهِ في تنوير اذهانها وتعزيز اركانها يرى ان لا بدَّ لاصلاحها من معاول تهدم معاقل الخرافات والاوهام التي شادها اهل السيادة الدينية والسياسية لكي يتسلطوا بها على العقول . واتصل بنا الحديث والحديث ذو شجون الى نهضة الامة القبطية واندفاعها بتيَّار واحد نحو تعليم ابنائها وبناتها حتى لم تعد تكتفي بالمدارس المصريَّة والسوريَّة بل صارت ترسل ابناءها الى البلاد الانكليزيَّة ولا تطلب

معونة الحكومة في ذلك لعلمها ان مَن يتعلم على نفقة الحكومة قلما يفلح مثل مَن يتعلم على نفقته. واخبرناه بما شاهدناه بالامس في احد الاعراس فاننا رأينا بنات الاقباط وبنات الافرنج في حفلة واحدة وليس بين الفريقين فرق لا في الثياب ولا في دلائل الذكاء والنجابة وحسن التهذيب البادية في الوجه ولا بدَّ من ان يكون هؤلاء الفتيات قد تعلمنَ وتهذبنَ في المدارس كما تعلم اخوتهنَّ. فاذا تزوجن بفتيان متعلمين متهذبين مثلهنَّ ناظرت بيوتهنَّ واولادهنَّ احسن العيال الاوربيَّة ولا تمضي سنون كثيرة على الامة القبطيَّة حتى تفوق غيرها من امم هذا القطر لانها اهتدت الى الطريق السوي وهو ان تعلّم بناتها كما تعلّم ابناءها ولو اقتصرت على تعليم ابنائها دون بناتها لتعذَّر عليها الارتقاء المطلوب

فنظر ذلك العالم نظر المفكر ثم تنهَّد وقال ها نحن آخذون المعاول لهدم معاقل الاوهام والخرافات التي شادتها العصور الغابرة حتى نعيد الى المرأة حقوقها التي خوَّلها اياها شرعنا ثم نعلمها ونهذبها لتعلّم لنا اولادنا وامتنا ولا نرتقي بغير ذلك

والظاهر ان هذا الاعتقاد اخذ يشيع في القطر الآن فتسابقت مدنهُ الى انشاء المدارس للبنات واخذت تفتش عن المعلمات وتعرض عليهنَّ الاجور العالية حتى ان احد المديرين كتب الينا بالامس يطلب معلمة لمدرسة في مديريتهِ ووعد ان يدفع اليها راتباً لا يناله احد الآن من الذين نالوا الشهادة الثانوية . واتانا آخر يطلب معلمة يعطيها اثني عشر جنيهاً في الشهر. واذا استمرَّت هذه النهضة لا تمضي سنوات كثيرة حتى يظهر لها اثر كبير في الهيئة الاجتماعية لكن يبقى عدد مدارس البنات دون المراد لقلة البنات المصريات اللواتي يرضين ان يكنَّ معلمات فعسى ان تتجه الهمم من الآن الى ترغيب البنات في التعليم واقناع والديهنَّ وازواجهنَّ ان حرفة التعليم شريفة لا تشين امرأةً تكتسب بها بل تزيدها رفعةً في عيني زوجها وبين بنات جنسها

الطعام والغذاء

ترى العمَّال الذين يبنون البيوت او يرصفون الطرق جلوساً في الظهيرة فرقاً فرقاً وامام كل فرقة اناء من المخللات يغمسون خبزهم فيهِ او قطعة من الجبن يضعون منها في اللقمة اقل من فلقة الحمصة ويكتفون بهذا الطعام وهم اصحَّاء الاجسام اقوياء الابدان واهل الثروة والرفاهة يأكل الواحد منهم رطلاً من اللحم مع كثير من الخبز والجبن والفاكهة والحلويات ويشرب اللبن والشاي والقهوة والخمر وهو مع ذلك ضعيف ضئيل او سمين بدين ولكن لا قوة في عضله ولا

متانة في اعصابهِ . يتضح من هذا باجلى بيان ان جانباً كبيراً من غذاء الاغنياء يذهب سدى لان اجسامهم في غنى عنهُ ولو اقتصروا على القليل مما يأكلون لما اعتلّت ابدانهم بل لزادت صحة وقوة

والاغنياء لا يهمهم الاكثار من الطعام والشراب من الوجه المالي بل هم لو استطاعوا ان يعودوا الى ما كان يفعلهُ الرومانيون وهو املاء بطونهم بفاخر الطعام ثم استفراغهُ واكل غيرهِ لمجرَّد التلذذ بالمآكل الطيبة لفعلوا ولكن الاواسط والذين دونهم الى ان تأتي الى الفقراء المعوزين يهمهم جدًّا امر ما يأكلون وما يشربون لانهم ينفقون الجانب الاكبر من دخلهم على طعامهم فاذا كان القليل من الطعام يبقي الجسم في صحتهِ وقوتهِ فالكثير منهُ اسراف مضرٌّ تدعو الحكمة الى اجتنابهِ

وقد بحث كثيرون من العلماء عن مقدار ما في الطعام من الغذاء ونسبة الاطعمة بعضها الى بعض من هذا القبيل وبحثهم لا يخلو من فائدة علمية لكن ليس العبرة بمقدار الغذاء في الطعام كالعبرة بما تهضمهُ المعدة منهُ وما يغتذي الجسم بهِ منهُ فان الطعام الكثير قد يدخل المعدة والامعاء ويخرج منهما من غير ان يغتذي الجسم الا بالقليل منهُ والطعام القليل قد يدخل المعدة فلا يكتفي بتقديم ما فيهِ من الغذاء للجسم بل يساعدهُ على الاغتذاء بغيرهِ من الاطعمة . ترى زيداً يأكل رطل لحم ورغيفاً من الخبز فلا يزيد وزنهُ اكثر مما يزيد وزن عمرو لو اكل ذلك الرغيف بدرهمين من الجبن لا لان في درهمي الجبن من الغذاء قدر ما في رطل اللحم بل لان الجبن يهيء النفس للاغتذاء كأنهُ يهيج الاعصاب الحاكمة على الهضم والتمثيل فتدفع اعضاء الهضم والتغذية الى هضم الخبز كلهِ والاغتذاء بكل ما فيهِ من الغذاء

وخير قاعدة وضعت لمقدار الطعام الذي يكفي الجسم ولا يزيد على حاجتهِ ان يأكل الانسان متمهلاً ويمضغ طعامهُ جيداً ويأكل الى حد الشبع ولا يزيد . ومع ذلك فمعرفة ما في الاطعمة المختلفة من انواع الغذاء ومقاديرها لا تخلو من فائدة لانها تساعد ربة البيت على اختيار الاطعمة الكثيرة الغذاء اذا كان ثمنها مثل ثمن غيرها مما غذاؤهُ اقل من غذائها فاذا كانت الاطعمة من الجذور كالبطاطس والبنجر والجزر واللفت فالوزن الذي يساوي ستين غرشاً من البطاطس يساوي من البنجر خمسة واربعين غرشاً ومن الجزر نحو اربعين غرشاً ومن اللفت نحو خمسة وعشرين غرشاً . وعليهِ اذا بيع قنطار البطاطس بستين غرشاً وجب ان لا يباع رطل اللفت بأكثر من خمسة وعشرين غرشاً

واذا كان الطعام من الحبوب والقطاني كالقمح والذرة والارز والفول فهناك نسبة بعضها الى

بعض. اذا ساوى قنطار القمح ۲۷ غرشاً فقنطار الذرة الصفراء يساوي ۲٤ غرشاً. وقنطار الذرة البيضاء يساوي ۲۱ غرشاً. وقنطار الارز يساوي ۲۲ ½ غرش. وقنطار الفول يساوي ۳۷ غرشاً. وقنطار العدس يساوي ۳٦ غرشاً. وقنطار الترمس يساوي ٤٥ غرشاً. وقنطار السمسم يساوي ۳۸ غرشاً. وقنطار الفول السوداني يساوي ٤۹ غرشاً. وقنطار التفاح والكمثرى لا يساوي غرشين ونصف غرش. وقنطار الكوسى والقرع واليقطين لا يساوي غرشين

لكن فائدة الطعام لا تقتصر على ما فيهِ من الغذاء بل على ما يستفيدهُ الجسم منهُ فقد يكون قليل الغذاء جداً كقطعة الجبن التي يستعملها الفقير اداماً يأكل بها خبزهُ كلهُ فان جسمهُ قد يستفيد منها اكثر مما يستفيد جسم الغني المترفه من اكل حمامة او فرخة كما تقدم

نصائح لتقوية الشعر

(۱) يغسل الشعر مرة او مرتين في الاسبوع بماء فاتر او بارد ثم يفرك جيداً بمنشفة حتى ينشف ولا يحسن تنشيفهُ بغير ذلك

(۲) مشط الشعر وفركهُ بالفرشاة يقويانهِ ويجب ان تكون الفرشاة ناعمة وان يكون المشط خالياً من الكسور

(۳) يحسن ان تضع المرأة ملعقة صغيرة من الزيت المطيب في يدها مرة في الاسبوع وتدهن بهِ شعرها من اصولهِ وتفركهُ بهِ جيداً ثم تفركهُ بمنشفة حتى لا يبقى مبللاً بالزيت. ولا يحسن فرك الشعر بالزيت كل يوم الا في احوال نادرة جداً

(٤) يجب ان لا يُترك الشعر يطول كثيراً فاذا زاد طولهُ تقصُّ اطرافهُ لان زيادة الطول تضعفهُ فيصير يسقط من نفسهِ. واذا جعل الشعر يسقط بكثرة وجب ان يحلق او يقصَّر كثيراً

(٥) تمسح الحواجب كل يوم بفرشاة في جهة ميلها ويحسن ان تدهن مرة او مرتين في الاسبوع بقليل من زيت الزيتون

اعمال النساء

اذا جلتَ في هذا القطر شمالاً وجنوباً تجد اكثر النساء يساعدن رجالهنَّ في اعمال الزراعة المختلفة وفي البيع والشراء ويعملنَ اكثر الاعمال التي يعملها الرجال. واذا دخلت المدن والبنادر الكبيرة وطفت في بيوت الطبقة العليا من السكان وجدتَ النساء جلوساً لا يعملنَ عملاً يذكر وقد استولت عليهنَّ السآمة والضجر. وهذا شأن نساء الطبقة العليا في كل البلدان بل صار شأن نساء الطبقة الوسطى في الغالب

وقد رأى اهالي اوربا واميركا ان هذه الحال تعود على المرأة بالوبال وعلى نسلها بالضعف والاضمحلال فشجعوا المرأة على احتراف الحرف وتعاطي الاعمال المختلفة التي يتعاطاها اخوتهنَّ او ازواجهنَّ فدرس بعضهنَّ علم الطب وبرعنَ فيهِ ولاسيما اللواتي ذهبن الى بلاد الهند حيث يفضل السكان دخول الطبيبات الى بيوتهم على دخول الاطباء. ودرس بعضهنَّ فن الصيدلة حديثاً ويقال انهنَّ بارين الرجال ولا سيما في المستشفيات. ودرس بعضهنَّ طب الاسنان فبرعن فيهِ ولا مانع يمنع نجاحهنَّ ولا سيما اذا عالجنَ اسنان النساء والاولاد . وقد شاهدنا النساء مشتغلات بطب الابدان وطب الاسنان وبالصيدلة ايضاً وهنَّ بارعات فيها

واخذ النساء الآن يشتغلن بالتصوير الشمسي فبرعنَ فيهِ وهو صناعة جميلة شريفة

واشرف الصناعات صناعة التعليم ولا بدَّ لها من النساء ولاسيما اذا اريد تعليم الصغار . وما من بلاد نجح التعليم فيها وعمَّ اهاليها الاَّ بعد ان سُلِّم تعليم صغارها لنسائها

واذا شاءت المرأة ان يرتفع مقامها في الهيئة الاجتماعيَّة وتجد مسرَّة لاسآمة في الحياة لم ترَ لها بدًّا من مشاركة الرجال في عمل من الاعمال ولاسيما الاعمال التي لا تمنعها حالتها الطبيعية من تعاطيها

باب المسائل

(١) بكاء الاطفال

مصر . محمد افندي زكي يوسف. هل من دواء لعدم بكاء الطفل الرضيع وهل يجوز استعمال الخشخاش (ابو النوم) كما تستعملهُ النساء احياناً لاطفالهنَّ

ج لا يجوز استعمال الخشخاش مطلقاً اما بكاء الطفل فالغالب انهُ عادة يألفها فاذا احسنت مداراتهُ من حين ولادتهِ لم يعتد البكاء وقد يكون سببهُ مغص يصيبهُ او دبّوس يشك في بدنهِ او نحو ذلك من الاسباب التي يسهل تلافيها

(٢) رجة الانفجار

مصر . نقولا افندي بدران . هل الرجة التي شعر بها سكان القاهرة وضواحيها على اثر الانفجار الهائل الذي حدث في مخزن البارود في القلعة ناتجة من فعل الانفجار نفسهِ او من قوة الصوت الناتج عنهُ

ج ان الانفجار هو تحوُّل مقدار صغير

من البارود الى غاز كبير الحجم في وقت قصير جدًا ولنفرض ان حجم البارود كان قدمًا مكعبة وان الغاز الذي تكوَّن منهُ لمَّا احترق تبلغ مساحتهُ الفًا من الاقدام المكعبة فهذا المقدار الكبير من الغاز يطلب مكانًا يسعهُ فيدفع الارض والصخور والهواء في كل جهة فتندفع بسرعة ترتجف بها الارض وتتكسَّر الصخور ويتموَّج الهواءوهذه الحركة العنيفة تشعر بها الآذان صوتًا شديدًا ويصل تأثيرها الى الاماكن القريبة والبعيدة فترتج بها المنازل كما حدث في الانفجار المشار اليهِ

(۳) قاموس عربي مصوَّر

كفر الزيات . م . ج . ألا يوجد قاموس عربي مصوَّر مثل قاموس لاروس أوَلا يمكن عمل قاموس مثلهُ

ج لا يوجد الآن قاموس عربي مصوَّر. وعمل قاموس مصوَّر يقتضي نفقة كبيرة لا تعوَّض الَّا اذا بيع منهُ الوف كثيرة من النسخ ولا ينتظر ان يباع منهُ الف نسخة في خمس سنوات. فاذا زاد عدد القراء كثيرًا كما ينتظر راجت بضاعة الكتب وسهل نشر القواميس المصوَّرة

(٤) تأثير الشيطان

ومنهُ . هل توجد ادلَّة علميَّة يثبت منها ان الشيطان يؤَثر في عقول الناس

ج كلَّا ولا ينتظر من العلم الطبيعي اثبات ذلك ولا نفيهُ لان البحث فيهِ ليس من موضوع العلم الطبيعي وكذا البحث عن سليمان الحكيم ليس من موضوعهِ لانهُ لا يبحث الَّا عمَّا يمكن اثباتهُ او نفيهُ بالامتحان

(٥) الفصد في الكوليرا

اتياي . محمد افندي العلواني . قرأت اليوم في جريدة البصير انهُ لمَّا اشتد فتك الهواء الاصفر في نواحي طبريَّة استعملوا لهُ عملية الفصد فصارت الوفيات واحدًا في المئة فهل ذلك صحيح وكيف تكون فائدة الفصد

ج يفيد الفصد في حالة الامتلاء لتخفيف الضغط عن القلب وقد ذكرنا ذلك في الجزء الثامن من مقتطف هذه السنة في الكلام على علاج الكوليرا اما كونهُ يفيد الى هذا الحد حتى تصبح الوفيات واحدًا في المئة فقط فلا نظنهُ صحيحًا

(٦) الاسكندر ذو القرنين

طنطا . نقولا افندي يارد قرأت في كتاب بدائع الزهور في وقائع الدهور ان الاسكندر ذا القرنين كان طول انفهِ ثلاثة اشبار وانهُ عاش الف سنة وكان معاصرًا لابرهيم الخليل فهل ذلك صحيح

ج اذا كان الاسكندر ذو القرنين هذا هو الاسكندر المكدوني كما هو المرجح فالصحيح من امرهِ ما كتبناهُ عنهُ في المجلد الثالث

والعشرين والرابع والعشرين من المقتطف وقد نشرنا هناك تاريخهُ بالاسهاب ويظهر منهُ انهُ كان مثل سائر الناس لا عيب في وجههِ توفي سنة ٣٢٣ وعمرهُ ٣٢ سنة وثمانية اشهر اي بعد ابرهيم الخليل باكثر من الف وخمسماية سنة

(٧) الفصد في الكوليرا

القدس . ع . ن طالعت في الجزء الثامن من المقتطف في ترجمة محمد علي باشا ان الكوليرا انتشرت في مصر سنة ١٨٣١ وكتب وكيل دولة الانكليز بالاسكندرية الى اخيهِ ان الفصد علاج لها ونصحهُ ان يفصد حالاً اذا اصيب بها وان لا شبهة عندهُ في ان ابنتهُ نجت بالفصد من الموت . وسمعت انهُ حينما وصلت الكوليرا الى دمشق عالجها اهالي محلة الصالحية بالفصد ولم يمت من المصابين المعالجين بالفصد عندهم احد فهل يشفي الفصد يا ترى

ج يشفي بعض الاحيان لانهُ يخفف الضغط عن القلب وقد ابنا ذلك في الكلام على علاج الكوليرا في الجزء الثامن من هذه السنة والصفحة ٧٩٨ وورد الى هذا القطر الآن ان الكوليرا تعالج في نواحي طبرية بالفصد فلا يموت من المصابين سوى واحد في المئة كما ترون في السؤال الخامس

(٨) علاج الكوليرا

ومنهُ . قرأت في باثولوجيَّة الدكتور ڤان ديك انهُ اصيبت كلاب وقطاط بالكوليرا من اكلها اطعمة ممزوجة بالمواد المبرزة من المصابين بها فلماذا لا يجرب الاطباء الفصد او غيرهُ من العلاجات في هذه الحيوانات بعد ان يطعموها مكروب الكوليرا

ج لقد جرَّبوا تجارب كثيرة من هذا القبيل ولكنهم لم يهتدوا حتى الآن الى دواء يشفي دائماً ثم ان ما يصدق على الحيوانات لا يصدق على الانسان دائماً بل ان ما يفيد زيدًا قد لا يفيد عمرًا فلا تكفي التجارب في الحيوان . والعلماء الباحثون عن علاج يشفي من الكوليرا يطرقون كل طرق البحث ولا نظن انهم يغفلون عن امر فائدتهُ ظاهرة

(٩) كلمة التلبثي

اسيوط . اسكندر افندي سعد . ذكرتم في تعريب خطبة للسر وليم كروكس عن عالم الارواح في الجزء الثاني عشر من المجلد الثاني والعشرين كلمة التلبثي اي الشعور عن بعد فهل هذه الكلمة عربيَّة او معرَّبة

ج اننا نحن عرَّبناها او نقلناها عن الاسم الذي وضع لهذا المعنى باللغات الافرنجيَّة وهو telepathy من تلي باليونانية اي بعيد وباثوس شعور

(١٠) معمل الورق

مصر . احد القرّاء . ايمكن ان ينشأ معمل لعمل الورق في هذا القطر وكم يلزم له من المال حتى يصنع الورق الكافي لما يطبع في القطر من الكتب والجرائد

ج يمكن ان ينشأ معمل للورق في كل مكان وتختلف النفقات اللازمة لانشائهِ حسب كبرهِ وصغرهِ ونظن ان اربعين الف جنيه تكفي لانشاء معمل معتدل ولكن يتعذَّر علينا ان نجاري اوربا في ما يحتاج الى قوَّة بخاريَّة لان لا وقود عندنا ولا قوَّة مائيَّة . ثم ان المواد التي يصنع الورق منها غير موجودة في هذا القطر او لا يوجد منها فيهِ الاَّ الخرق . والورق الذي يستعمل الآن مصنوع اكثرهُ من الخشب ولا بدَّ من جلب هذا الخشب من اوربا من بلاد النمسا او المانيا او اسوج ونروج فجلب الورق منها ارخص من جلب الخشب لعمل الورق منهُ

(١١) علموا بناتكم الطبخ

ومنهُ . لقد استحسنَّا ما نشرتموهُ في المقتطف تحت عنوان علموا بناتكم الطبخ والنفخ ولكن فاتكم ان تحثوا الطبقة العليا من الاهالي على اجتناب عادة قبيحة اقتبسوها من الاوربيين وهي تعليم بناتهم الرقص ومنعهنَّ عن الطبخ والنفخ لئلاَّ تسود ايديهنَّ فهل من طريقة تمنع اسوداد يدي الفتاة اذا طبخت طعامها بنفسها

ج ان الرقص عادة قديمة عند كل الامم والرقص الافرنجي لا يخلو من النفع اذا كان معتدلاً ولا يخلو من الضرر اذا افرط فيهِ . هذا من حيث الصحَّة اما من حيث الآداب العمومية فالذين يعتادونهُ لا يرون فيهِ شيئاً والاَّ ما استمرُّوا عليهِ الى الآن والذين يستعيبونهُ يسهل عليهم الابتعاد عنهُ لانهُ ليس من ضروريات الحياة ولا من لوازم الكياسة . اما منع البنات عن تعلُّم الطبخ مخافة اسوداد ايديهنَّ فضعف في الراي لاسيما وانهُ لا يتعذَّر على الفتاة ان تباشر كل اعمال منزلها بيديها من غير ان تسودَّا . غير ان الفتيات المترفهات عندهنَّ من الثروة ما يسهّل عليهنَّ استخدام من يطبخ لهنَّ ويجب على الاغنياء ان يستخدموا الفقراء لقضاء اعمالهم والاَّ انحصرت الثروة فيهم ولم تتوزع على غيرهم. والترف لازم لقيام الهيئة الاجتماعية كالاقتصاد لانهُ اذا اقتصد الاغنياء وعملوا كل اعمالهم بايديهم كالفقراء زادت ثروتهم وزاد الفقراء فقراً وهذا يزعزع اركان الهيئة الاجتماعيَّة

---

(١٢) سم الحامض الكربونيك

اسيوط . ديمتري افندي روفائيل تكلمتم في احدى مقالات المقتطف عن الحامض الكربونيك وقلتم ان الذي يموت مختنقاً بهذا السم لا يشعر بالم . ولكن كثيرين يقولون انهُ لا بدَّ من حدوث آلام عصبيَّة شديدة قبل

الوقوع في حالة التخدير فالمرجو كشف الحقيقة

ج لا نتذكر اننا تكلمنا عن السم بالحامض الكربونيك لانهُ قلما يسمُّ احد بهِ و يموت ولكن الذين يسمُّون بمركبات الكربون يكون سمهم غالبًا الاكسيد الكربونيك وهم يشعرون اولاً بضيق الصدر وبان" عصابة شادَّة على رؤُوسهم. هذا شعور الذين نجوا من الموت بهِ اما الذين ماتوا فلا نعلم كيف كانوا يشعرون

(١٣) رؤْية الله

الاسكندرية . نجيب افندي جبرائيل نصرالله جاء في الاصحاح الثاني والثلاثين من سفر التكوين ما يأتي " فدعا يعقوب اسم المكان فنئيل قائلاً لانني نظرت الله وجهاً لوجه ونجيت نفسي "وقد جاء في الاصحاح الاول من انجيل يوحنا ان " الله لم يرهُ احد قط " فكيف يفسر هذا التناقض الظاهر

ج يقول علماء التفسير ان الذي كان يراهُ الآباء في العهد القديم هو المسيح وانهُ كان يظهر في الجسد

(١٤) تعليم المتزوجة

مصر . مصطفى افندي سعيد . هل يمكن تعليم المرأة الشرقية المتزوجة مبادئ العلوم الضرورية مثل القراءة والكتابة وان كان ذلك ممكنًا فاذكروا لنا كيفية تعليمها والكتب اللازمة لذلك

ج اننا لا نرى مانعًا يمنع المرأة الشرقية من تعلُّم القراءة والكتابة وقد عرفنا نساء شرقيات تعلمنَ القراءة ومنذ بضعة ايام قرأنا مكتوبًا كتبتهُ واحدة منهنَّ. وعرفنا ايضًا كثيرات من النساء الانكليزيات والاميركيات تعلمنَ اللغة العربية قراءة وكتابة. واول شيء فعلتهُ زوجة اشهر رجل من الانكليز في هذا القطر انها اتت بمعلمة تعلمها اللغة العربية . فان كانت النساء الاجنبيات يتعلمن ان يتكلمن اللغة العربية ويقرأنها ويكتبنها فاحرِ بالنساء الوطنيات ان يتعلمنَ ذلك وهو اسهل عليهنَّ لانهن يتكلمن العربية ويفهمنها جيدًا . اما الكتب فكتب القراءة البسيطة والعبرة ليس بالكتاب بل بالمعلم فالمعلم الماهر في فن التعليم يعلّم في كل كتاب ومن غير كتاب

(١٥) تقميط الاطفال

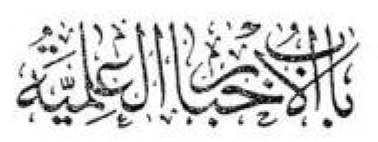
ومنهُ ومن يوسف افندي بشتلي . هل الاصح للطفل ان يلف لفًّا محكمًا و يربط مع يديهِ كما يفعل السوريون في بلادهم او يترك من غير لف (تقميط) كما يفعل المصريون

ج ان يترك من غير تقميط

(١٦) استحمام الطفل

ومنهُ . ارجو الافادة عن كيفية استحمام الطفل الرضيع

ج قد شرحنا كيفية استحمامهِ وغسلهِ من حين يولد وذلك في الصفحة ٣٨٨ من المجلد الثاني والعشرين وفي الصفحة ٤٨٤ من مجلد هذه السنة



المدرسة الكلية ورئيسها الجديد

ذكرنا قبلاً ان استاذنا الفاضل الدكتور دانيال بلس استعفى من رئاسة المدرسة الكلية الاميركية وان مديري المدرسة انتخبوا نجله الدكتور هورد بلس رئيساً لها . وقد كُتب الينا من بيروت ان الرئيس الجديد وصل اليها في الحادي عشر من نوفمبر فاستقبله جمهور غفير يتقدمهُ قنصل اميركا الجنرال والدكتور دانيال بلس واساتذة المدرسة الكلية وساروا بهِ الى المدرسة وكان جرسها الكبير يدق مرحباً بهِ

وكان تلامذة اقسام المدرسة وعددهم يزيد على ست مئة تلميذ مصطفين بين القسمين الطبي والعلمي وتلامذة كل قسم من الاستعدادي والعلمي والطبي والصيدلي والتجاري يمتازون بشرائط ملونة وضعوها على صدورهم وباعلام عليها كتابة تخفق فوق رؤوسهم . فلما وصلت مركبة الرئيس الجديد هتف التلامذة كلهم بالدعاء الحميم وساروا حولها . وظهرت اقسام المدرسة في زينات بديعة نسقت فيها الازهار والاغصان الخضراء وسعف النخل والرايات اجمل تنسيق ونصب في ساحتها الكبرى قوسا نصر بينهما دكة للخطابة فوقفت مركبة الرئيس امامها وتبارى الخطباء فناب واحد من تلامذة كل قسم عن رفاقهِ التلامذة وخطبوا بلغات مختلفة واظهروا مزيد سرورهم برئيسهم الجديد ودعوا لهُ بالعيش الرغيد والعمر المديد

ثم صعد الرئيس وخطب في جمع الاساتذة والتلامذة والجماهير المحتشدة باللغة الانكليزية فوقع كلامهُ احسن وقع في النفوس ومما قالهُ : ان كل ما يراهُ من مظاهر الاحتفاء والابتهاج انما هو عائد لوالدهِ الذي صيَّر لرئاسة هذه المدرسة الاهمية التي هي عليها اليوم بسعيهِ واجتهادهِ . وشكر لكل الذين ساعدوا والدهُ لجعل هذه الكلية عظيمة خطيرة وخصَّ بالذكر منهم المرحوم الدكتور كرنيليوس فان ديك وجناب الدكتورين ورتبات وبوست ووعد بانهُ يسير على خطة والدهِ في انجاح المدرسة

وكانت دموع المحبة الوالدية والسرور تتساقط على خدي والدهِ الذي كلل رأسهُ البياض في خدمة هذه المدرسة . ولما فرغ من خطبتهِ عانقهُ والدهُ وساروا الى منزلهما

وفي المساء ظهرت المدرسة في زينة بديعة وأُطلقت الاسهم النارية

حروف الهجاء في العصر الحجري

بينما كان الناقبون ينقبون في لسكوليس

بلاد تساليا عثروا على اشياء كثيرة من صنع العصر الحجري ومن جملتها نواويس محفوظة تمام الحفظ وقد نقشت على اغطيتها خطوط غريبة ليس كمثلها بين حروف الهجاء المعروفة . فاستدلَّ علماء العاديات من ذلك على ان اهل العصر الحجري اصطلحوا على علامات او نقوش يعبرون عن معانيهم بها وبالتالي انهم كانوا يقرأُون فوقع هذا الاكتشاف عند اولئك العلماء وقعاً عظيماً

اصل الحياة

ألَّف فون شاروف كتاباً بالروسيَّة في اصل الحياة ارتأى فيهِ انهُ يمكن رد الافعال الحيوية كلها الى اتحاد دقائق الحديد التي في الاجسام الحيَّة بالاكسجين وبيَّن ان في كل الاجسام الحيَّة دقائق صغيرة فيها حديد اطلق عليها اسم يونكليين وقال انها هي التي تتحد بالاكسجين فتبدو منها الافعال الحيويَّة على اختلاف انواعها

زلزلة كشغر

كتب الى جريدة الستندرد من اودسا ان زلزلة كشغر التي حدثت في ٢٢ اغسطس الماضي كانت افتك مما قيل عنها فانها قتلت ١٧٠٠ نفس في نجني ارتش الى الشمال الشرقي من كشغر وقتلت ٦٠٠ نفس في كشغر نفسها وضواحيها وخربت قرية باش كريم وقتلت سكانها كلهم وعددهم ٥٠٠ وجملة قتلاها ٣٠٠٠ نفس

الوفيات في ايطاليا

ظهر بالاحصاء ان عدد الوفيات في ايطاليا كان ٣٤ وثلث في الالف سنة ١٨٦٧ فبلغ ٢٠ وثمانية اعشار في الالف سنة ١٨٩٩ اي قل نحو ١٣ ونصف في الالف وما ذلك الاَّ لانتشار التدابير الصحية في البلاد وقد زاد عدد السكان بين سنة ١٨٦٢ وسنة ١٨٩٩ عشرة ملايين نفس واكثر هذه الزيادة ناتج عن هذه التدابير الصحية التي قللت عدد الوفيات

ثوران البراكين

وردت الاخبار من هونولولو في الحادي عشر من نوفمبر ان بركان كيلويا ثار ثوراناً عنيفاً جدًّا لم يثر مثلهُ منذ عشرين سنة الى الآن . وقد وصفنا هذا البركان وبحيرة النار التي فيهِ في المجلد الثالث والعشرين من المقتطف. وجاء من ايطاليا ان بركان سترمبولي ثار في ١٦ نوفمبر وقذف الحمم . وحدثت زلزلة في اوران من اعمال الجزائر في السابع عشر من نوفمبر

عظام كولمبس

يقول الاسبانيون ان عظام كولمبس بقيت في سنتودومينيغو حتى سنة ١٧٩٦ ومن ثم نقلت الى هفانا في كوبا . ولما نشبت الحرب بين اسبانيا واميركا حديثاً نقل الاسبانيون هذه العظام الى اسبانيا ودفنوها باحتفال عظيم في كنيسة اشبيلية الكبرى في السابع

عشر من نوفمبر الماضي . ولكن بعض المحققين يقول ان ما نقل من سنتو دو مينيغو الى هفانا ليس عظام كولمبس بل عظام ابنهِ وان عظام كولمبس لم تزل في مكانها

بالون لبودي

جُرّب هذا البالون في ننتس بفرنسا في الثالث من نوفمبر وكان الذين ركبوهُ يديرونهُ كيف شاؤوا ويعودون بهِ الى المكان الذي طار منهُ. وبلغت سرعتهُ ٢٥ ميلاً في الساعة مع انهُ كان يسير ضد الريح

بين الذئب والكلب

اثبت الماجور منرس سمث في مجلّة الجمعيَّة الاسيويَّة وجود حيوانات متولدة بين الذئاب والكلاب ممَّا يدلّ على ان الذئب والكلب من اصل واحد

مصل الحمى القرمزيَّة

اكتشف الدكتور موزر من فينا مصلاً يشفي من الحمّى القرمزيَّة ويقال انهُ جرَّبهُ في ٤٠٠ مريض فلم يمت منهم الاَّ تسعة في المئة

فتح الخزان

خزان اصوان سدّ من البناء طولهُ ميل وربع وعلوهُ ٦٥ قدماً ويزيد على ذلك في بعض اقسامهِ حتى يبلغ ١٣٠ قدماً ومتوسط عرض اساسهِ ٦٠ قدماً وعرض الطريق التي على ظهرهِ ٢٤ قدماً وفيهِ ١٨٠ عيناً مختلفة الاوضاع . ويرتفع سطح الماء بهِ ٤٦ قدماً فيتكوَّن من ذلك بحيرة طولها ١٥٠ ميلاً يجمع فيها من الماء نحو ١١٤٠ مليون طن او متر مكعب وفي الطرف الغربي منهُ ترعة (هويس) لسير السفن فيها خمسة ابواب طول الكبير منها ٥٩ قدماً وعرضهُ ٣٠ قدماً. وقد بلغ عدد العمال في هذا السد نحو عشرة آلاف نفس يوميًّا مدة السنوات الاربع الاخيرة التي اقاموهُ فيها واضيف الى الحجارة الصماء التي بني بها عشرة آلاف طن من الحديد. وقد وُصف بالاسهاب ورسمت صورتهُ في آخر المجلد الرابع والعشرين من المقتطف. وسيحتفل بوضع الحجر الاخير منهُ وفتح نحو ٢٠ عيناً من عيونهِ وفتح الهويس المتصل بهِ يوم الاربعاء في ١٠ دسمبر الساعة الثالثة ونصف بعد الظهر يحضر هذا الاحتفال الجناب الخديوي ودوق كنوت وزوجتهُ . وكثيرون من العظماء وسنأتي على وصفهِ في الجزء التالي

الآثار البابليَّة

اهدى جلالة السلطان الى الدكتور هلبرخت الاميركي جانباً كبيراً من الآثار البابليَّة التي وجدت حديثاً اعترافاً بفضلهِ فوضعها الاستاذ هلبرخت في معرض مدرسة بنسلفانيا الجامعة باميركا

ميكروبات المثلوجات

يراد بالمثلوجات ما يجمَّد بالبرد الشديد

من لبن ونحوهِ ويسمَّى في مصر كريما او جلاتا وفي سورية بوظه . وقد امتحنت ادارة الصحة في مدينة لندن كثيرًا من هذه المثلوجات فوجدت فيها ميكروبات كثيرة بعضها من الميكروبات المرضية كميكروب الاكزيما الخبيثة والميكروبات التي تسبب التهاب المعدة والامعاء

تغير منكب الجوزاء

منكب الجوزاء اسم النجم الاكبر في صورة الجبار من صور النجوم رصدهُ الفلكي هرشل بين سنة ١٨٣٥ و ١٨٤٠ فوجد فيهِ بعض التغير وقد زاد تغيرهُ الآن فزاد اشراقهُ ليلة الخامس عشر من شهر اكتوبر الماضي حتى قارب الشعرى

تلغراف رولند

وصفت السينتفك اميركان التلغراف الذي استنبط اسلوبهُ الاستاذ رولند وهو يطبع الاشارات البرقية طبعًا بحروف مطبعية ويبلغ ما يطبع بهِ ١٩٣٠ حرفًا في الدقيقة الواحدة او ٣٢٠ كلمة. وقد استعملت الحكومة الاميركية هذا التلغراف على خطوط طولها ٥٥٠ ميلاً

موءتمر السل

عقد مؤتمر السل في برلين وخطب فيهِ الدكتور كوخ عن انتقال عدوى السل من البقر الى البشر فايّد قولهُ السابق الذي قالهُ في مؤتمر لندن وهو ان البشر الذين يأكلون لحم البقر المصابة بالسل ويشربون لبنها لا يعدَون بالسل منها

بالون سنتوس ديمون

عزم سنتوس ديمون على عمل بالون يركبهُ ويسير فيهِ فوق باريس من جهة الى اخرى ويكون اصغر من كل بالون صنعهُ قبلهُ يكون طولهُ ١٨ قدمًا فقط ومساحتهُ ٢٦٠ يردًا مكعبة وشكلهُ بيضي قطرهُ الاطول ثلاثة اضعاف قطرهِ الاصغر تمتد منهُ اسلاك معدنية الى السلة التي يجلس فيها وهناك آلة بخارية صغيرة بقوة ثلاثة احصنة ثقلها ٢٦ رطلاً مصريًّا فقط تدير لولبًا ٢٠٠ دورة في الدقيقة فيسير بهِ البالون مسافة ١٨ قدمًا في الثانية من الزمان. وثقل البالون كلهِ مع آلتهِ وسلتهِ ٤٦٠ رطلاً وسيملأ بالهيدروجين

وقد قال سنتوس ديمون للمستر جمس فلَن محافظ سان فرنسسكو السابق انهُ اذا وُجد من يتعهَّد لهُ بدفع مئتي الف ريال فهو يصنع بالونًا على نفقتهِ ويسير بهِ من باريس الى سان فرنسسكو ولا يأخذ المال الا اذا وصل الى سان فرنسسكو سالمًا

الالكتروغراف

او التلغراف الذي تُرسل بهِ الصور فيرسمها رسمًا . استنبطهُ رجل اميركي اسمهُ هبربرت بالمر منذ مدة واصلحهُ الآن اصلاحًا تامًّا وقد رأينا صورة الرئيس مكنلي مرسومة بهِ وهي

واضحة تظهر بها هيئتهُ اتم الظهور . وكيفية نقل الصور بهِ ان ترسم الصورة على صفيحة من الزنك بالحفر الكهربائي كما ترسم للطبع وتلف الصفيحة على اسطوانة تدور امام قلم يمرُّ على كل نقطة منها فيتصل المجرى الكهربائي او ينفصل حسب اتصال القلم بنقطة بارزة او بنقطة محفورة . هذا حيث ترسل الاشارة الكهربائية ويكون على الجانب الآخر حيث تصل الاشارة الكهربائية اسطوانة اخرى مثل هذه عليها ورقة تدور امام قلم فيهِ حبر فكلما اتصل المجرى الكهربائي وقع القلم على الورقة ورسم عليها نقطة او خطًّا حسب اتصال المجرى . وحينما ينقطع المجرى يرتفع القلم عن الاسطوانة . ويرسم بهذه الآلة ما طولهُ عقدة من الاسطوانة في الدقيقة من الزمان وطول الاسطوانة ٢٤ عقدة فاذا كانت الصورة تملأُها كلها ارتسمت صورتها في ٢٤ دقيقة . ويمكن ان تكتب مقالة كبيرة وتلف على الاسطوانة فترسل كلها بهذا التلغراف ويكون متوسط ما يرسل منها ٣٠ كلمة في الدقيقة

اكبر المدافع

صنع الاميركيون مدفعاً ثقلهُ ١٣٤ طنًّا وطولهُ نحو خمسين قدماً وثقل قنبلتهِ ٢٣٧٠ رطلاً ولا بدَّ لحشوهِ واطلاقهِ من آلة ثمنها مئة الف ريال ويقال ان قنبلتهُ تعلو في الجو ستة اميال ويبلغ مداها احد عشر ميلاً وتخرق لوحاً من الصلب سمكهُ متر وثمانية سنتيمترات وهو اكبر المدافع التي صُنعت حتى الآن واقواها فعلاً ولا شيء من الدروع يمتنع عليهِ ولو كان على ستة اميال منهُ

القنديل الكهربائي

حدث اصلاح مهم جدًّا في القنديل الكهربائي يقلل نفقتهُ نحو خمسين في المئة وذلك باستعمال الخيوط الدقيقة التي استنبطها كروفرد وفلكر . وقد امتحن السر وليم بريس الكهربائي هذا القنديل فوجد انهُ يتوفر بهِ عند اول استعمالهِ نحو ٤٠ في المئة وبعد ما يستعمل ٥٠٠ ساعة يتوفَّر بهِ اكثر من خمسين في المئة وبعدما يستعمل الف ساعة يصير يتوفَّر بهِ نحو ٤٢ في المئة

شمع الشجر

في جبال الاندس باميركا شجر يعلو حتى يبلغ ارتفاعهُ ٢٠٠ قدم يتولَّد بين خشبهِ وقشرهِ شمع كشمع العسل ويجمع من الشجرة الواحدة عشرون رطلاً الى ثلاثين

المرأة الملتحية

ذكرنا غير مرة امرأة ذات لحية طويلة كانت تعرض في المعارض العمومية ويدفع لها في الشهر نحو اربع مئة جنيه . وقد توفيت الآن في مدينة بروكلين باميركا وعمرها ٣٧ سنة

فهرس الجزء الثاني عشر من المجلد السابع والعشرين

فهرس المجلد السابع والعشرين

تاريخ العام الماضي ١٩٠١

يناير

٠١ احتفل في سدني (عاصمة استراليا) باعلان الاتحاد الاسترالي
٠٢ الغيت رسوم القناطر والكباري والاهوسة في القطر المصري
٠٣ استلم اللورد روبرتس قيادة الجيش الانكليزي العامة
٠٤ عيّن السر الفرد ملنر حاكماً للترنسفال والاورانج ومندوباً سامياً لجنوب افريقية
٠٨ احتفل بعيد جلوس الجناب الخديوي على اريكة الخديوية
١٣ احتفل في الاسكندرية برفع الستار عن تمثال لنوبار باشا نُصب في الكنيسة الارمنية الارثوذكسية . وقعت حكومة الصين على البرتوكول
١٦ حكمت محكمة الاستئناف المختلطة في الاسكندرية بتصفية البنك الصناعي
١٧ ابتدأت الحفلات العظيمة في برلين تذكاراً لمضي مئتي عام على تأسيس مملكة بروسيا
١٨ اصدر امبراطور الصين منشوراً قبل فيهِ شروط الدول لاعادة العلاقات
١٩ اعلن رسمياً ان صحة الملكة فكتوريا تستدعي القلق
٢١ وصل امبراطور المانيا الى لندن وذهب الى اسبورن مع البرنس اوف ويلس . وتوفي الاستاذ غراي الكهربائي الاميركي
٢٢ توفيت الملكة فكتوريا في اسبورن الساعة ٢/١ ٦ مساء
٢٣ اطلقت المدافع من قلعة مصر حزناً على الملكة واحتفالاً بجلوس الملك ادورد السابع . وصل البرنس اوف ويلس الى لندن ورأس المجلس اول مرة كملك واقسم اليمين وبايعهُ المستشارون
٢٤ نودي بالملك ادورد السابع ملكاً على انكلترا وامبراطوراً على الهند . شبّت النار في منتريال (من مدن كندا) فاحترق مجلس التجارة واجمل قسمٍ من المدينة
٢٧ توفي فردي الموسيقي الايطالي المشهور وعمرهُ ٨٧ سنة
٢٩ احترقت مدرسة القديس يوسف في لوفير من اعمال البلجيك وقدرت الخسائر باربعين الف جنيه

فبراير

٠٢ احتفل بجنازة الملكة فكتوريا في لندن واقيمت الصلوات في مصر وسائر اقطار العالم

٠٤ دفنت الملكة في فرجمور (مدفن زوجها)

٠٥ ابتدأت الحفلات بزواج الملكة ولهلمينا ملكة هولاندا

٠٦ شبت النار في مستودعات البترول في باكو (من جنوب روسيا) فمات ٥٠٠ نفس وباتت ٤٠٠ عائلة بلا مأوى

٠٧ اقترنت الملكة ولهلمينا بالدوق هنري اوف مكلنبرج شورين

١٠ انتحر الاستاذ بتنكفر الالماني شيخ علماء الهيجين

١١ انتشرت الحركة ضد اليسوعيين في مدن كثيرة في اسبانيا

١٢ توفي الملك ميلان . اقرَّ مجلس نوّاب فرنسا على صحة انتخاب النساء التاجرات في مجالس التجارة

١٣ عاد الطاعون ففشا في بومباي

١٤ اعلنت الاحكام العرفيَّة في بعض مدن اسبانيا بعد حدوث فتن دمويَّة . فتح معرض الصور في القاهرة

٢٠ عين فضيلتلو قره حصار لي زاده يحيي افندي قاضياً لمصر

٢١ ظهر نجم جديد في صورة فرساوس

٢٥ تمَّ تشكيل شركة الفولاذ الاميركية وبلغ راسمالها الف مليون ريال

مارس

٠١ فتح صندوق التوفير في البوسطة المصرية

٠٤ احتفل في مصر بسفر المحمل الشريف . واحتفل في اميركا بتنصيب المستر مكنلي رئيساً للولايات المتحدة للمرَّة الثانية . واقيمت الحفلات في روسيا تذكاراً لمضي ٤٠ سنة على تحرير الفلاحين

٠٦ رمى رجل امبراطور المانيا بقطعة من الحديد فجرح خدَّهُ

٠٨ فتح معرض الازهار والبقول والاثمار في القاهرة

١٥ برح الدوق كورنوال وقرينتهُ لندن ذاهبين في سياحتهما لزيارة المستعمرات البريطانيَّة

٢٣ نشر اهل جنوب جزيرة ساموى راية العصيان

٢٥ فتح المستشفى الفرنسوي في العباسيَّة بالقاهرة

٢٨ أُسر اجوينالدو الزعيم الفيليبيني وبعض اركان حربهِ

٣٠ وصل الدوق والدوقة اوف كورنوال الى بورت سعيد

ابريل

٠٢ غرقت الباخرة اصلان العثمانيَّة في البحر الاحمر وغرق معها ١٨٠ نفساً من العساكر والحجاج

٠٣ أُنزلت السفينة سلتك لشركة النجم الابيض في البحر وهي اكبر بواخر العالم

٠٧ اعلنت اصابة بالطاعون في الاسكندريَّة

٠٩ افتتح مؤتمر عام في ڤينا لمقاومة المسكرات

١٠ اعلنت الاحكام المدنية في الترنسفال

١٣ صدر امر عالٍ بتحصيل رسم معادل لرسم الجمرك على المنسوجات والخيوط والاقمشة المصنوعة في القطر المصري في معامل كبيرة

١٤ اعلن الموسيو دي بوفور رئيس مجلس التحكيم فتح هذا المجلس في الهاي

١٥ احتفل بعيد شم النسيم في مصر

١٦ انهال السيل في مديريتي اصوان وقنا فقطع خط سكة الحديد واغرق المزروعات

١٧ احترق القصر الامبراطوري في بكين فنجا الكونت والدرسي من احدى النوافذ

٢٥ فتح معرض عام للفنون في البندقية

٢٧ ثارت بعض قبائل العرب في الجزائر على الفرنسويين

مايو

٠٣ شبت النار شبوباً هائلاً في مدينة جاكسون ڤيل من اعمال فلوريدا في الولايات المتحدة فاحترق نحو ثلاثة ارباع المدينة وبات نحو ١٥ الف نفس بدون مأوى

٠٥ شرعت الجنود الاميركية تجلي عن الصين

٠٧ اعترض سفراء الدول على ما فعلتهُ تركيا من استلام اكياس البوسطة

٠٩ افتتح الدوق اوف كورنوال البرلمنت الاوسترالي الاول

١٦ صدر الامر العالي باستبدال المعاشات . وصدر امر عالٍ بحصر لقب الامارة في بعض اعضاء البيت العلوي

١٨ كسفت الشمس كسوفاً تاماً ظهر في الجنوب الغربي من مدغسكر وجزائر موريتيوس وسمطرة وبورنيو

٢٠ فتح المعرض الاميركي العام في مدينة بفلو من مدن الولايات المتحدة

٢٢ حلَّت مسئلة البوسطات الاجنبية في تركيا

٢٤ صدر الامر العالي بالعفو عن عرابي باشا وعلي باشا فهمي والترخيص لهما بالعودة

الى مصر . انعم على السر الفرد ملنر بلقب لورد

٢٩ سقطت ثلاثة منازل في بيروت فقتل نحو ٥٠ شخصاً تحت الردم

يونيو

٠١ فتح البرنس جورج الجمعية الكريتية

٠٣ عاد ركب المحمل الى العاصمة . ظهر الطاعون في الزقازيق . سافر الكونت والدرسي من الصين

٠٤ ظهر الطاعون في المنيا

٠٥ احصي سكان باريس فبلغ عددهم ٢٫٦٦٠٫٠٠٠ بزيادة ٢٤٩٫٠٠٠ عما كانوا سنة ١٨٩٦

٠٧ انتخب السيد يواقيم بطريركاً مسكونياً للروم الارثوذكس في القسطنطينية

٢٢ انشق سد في فرجينيا من الولايات المتحدة فامات ٥٠٠ نفس

يوليو

٠٣ شبت النار في سوق الخوجه في دمشق وقدرت الخسائر بربع مليون ليرة

٠٤ توفي الاستاذ تايت العالم الطبيعي

٠٦ زار سمو الخديوي جلالة السلطان

١٤ ركب الموسيو سانتوس ديمون بالونهُ واداره كيف شاء

٢١ اصدر السلطان ارادة تحظر استخدام المهذبات الاجنبيات في بيوت المسلمين

٢٢ افتتح مؤتمر السل في لندن

اغسطس

٠١ ثار العصاة على حكومة كولومبيا

٠٥ توفيت امبراطورة فردريك والدة امبراطور المانيا

٠٦ استقبل القيصر سفارة مراكش

١١ توفي السنيور كرسبي وزير ايطاليا المشهور

١٣ توفي البارون نوردنشلد الرحالة الشهير

١٤ افتتح مؤتمر علم الحيوان في برلين

١٥ احتفل بجبر الخليج في مصر . وقع ١١ من معتمدي الدول على البروتوكول في بكين

١٦ استلمت ادارة متحف اللوفر مجموعة الزخارف الكنسية في القرنين الثالث عشر والرابع عشر التي تركها البارون ادولف رتشيلد باسم المتحف . احصي اهل كندا فبلغ عددهم ٥٣٣٨٨٨٣

٢١ قطعت العلاقات بين فرنسا وتركيا بسبب مسئلة الارصفة

٢٧ برح المسيو كونستان الاستانة وانزلت الراية الفرنسوية عن السفارة

سبتمبر

٠٤ قابلت الرسالة الصينية امبراطور المانيا فاعتذر اخو امبراطور الصين الى الامبراطور وظلم عن قتل البارون كتلر سفيره في بكين

٠٥ وصل عرابي باشا الى كولومبو قاصداً مصر. امر امبراطور الصين بالتوقيع على البروتوكول

٠٦ اطلق فوضوي بولوني الاصل الرصاص على الرئيس مكنلي فجرحهُ جرحاً مميتاً

٠٧ امضي البروتوكول بين الصين والدول الاوربية

١٠ افتتح مؤتمر السلم العام في غلاسكو

١١ افتتح مجمع ترقية العلوم البريطاني في غلاسكو

١٤ توفي الرئيس مكنلي في بفالو واستلم نائبهُ روزفلت الرئاسة بعد ان اقسم اليمين

١٧ خرجت جنود الحرس الاميركيَّة واليابانية من بكين فتمَّ بذلك اخلاؤها

١٨ استقبل الرئيس لوبه القيصر والقيصرة في دنكرك

٢١ استعرض القيصر والقيصرة ١٣٠٠٠٠ جندي فرنسي بقرب ريمس

٢٢ اجتمع مجمع الطبيعيين والاطباء الالماني

٢٧ وصل عرابي باشا الى السويس عائداً من سيلان

اكتوبر

٠٨ توفي الامير عبد الرحمن امير الافغان

٠٩ نودي بالامير حبيب الله اميراً على افغانستان خلفاً لابيهِ المتوفى

١٩ طار الموسيو سانتوس ديمون ببالونهِ حول برج ايفل

٢١ احتفل بفتح ملجإ اللقطاء في القاهرة

٢٤ احتفل بتذكار ٤٠٠ سنة مرَّت على وفاة تيخو براهي الفلكي الشهير

٢٥ افتتح معرض الحيوانات في طنطا

نوفمبر

٠١ وصل الدوق والدوقة اوف كورنوال الى بورتسموث عائدين من سياحتهما

٠٣ سافرت فرقة من الاسطول الفرنسوي الى مدللي لكي تسلّم تركيا بمطالب فرنسا في ما يختص بدين لوراندو

٠٤ توفي لي هنغ تشنغ وزير الصين الاول

٠٥ وصل الاميرال كليار باسطولهِ الى مدلّه فاحتلّ ثغورها الكبيرة

٠٨ اعلنت حكومة فرنسا ان الباب العالي سلّم بجميع مطاليبها. اعلن الموسيو ويت ناظر مالية روسيا ان سكة حديد سيبيريا تمّت

٠٩ سمي الدوق اوف كورنوال برنس اوف ويلس. توفي خليل باشا رفعت الصدر الاعظم

١١ كسفت الشمس كسوفاً حلقياً . اقلع الاسطول الفرنسوي من مدله

١٤ استؤنفت العلاقات الحبية بين فرنسا وتركيا

١٨ عين سعيد باشا صدراً اعظم . وقّعت بريطانيا العظمى والولايات المتحدة على العهدة الخاصة بترعة كولومبيا (ترعة بناما)

٢١ ثار تلامذة المدارس في اثينا

٢٢ استعفى رئيس اساقفة اليونان بسبب اعتصاب التلامذة

٢٤ اعتصب الخياطون في القاهرة

٢٦ اجتمع مندوبو بريطانيا وايطاليا في رومية لتعيين الحدود الفاصلة بين السودان والاتبره

٢٨ سافر سموّ الخديوي الى السودان

دسمبر

٠٣ وصل سموّ الخديوي الى الخرطوم

٠٤ توفي السر وليم مكورماك الجراح الشهير

٠٦ تمّ الاتفاق على ان تقترض بلديّة الاسكندريّة ٥٠٠,٠٠٠ جنيه من البنك الاهلي

٠٧ سافر سموّ الخديوي من الحلفاية عائداً الى مصر

١٠ زار سموّ الخديوي خزان اصوان. عين ملك الانكليز يوم الخميس الواقع في ٢٦ يونيو ١٩٠٢ للاحتفال بتتويجهِ. اجرت حكومة نيكاراغوى للولايات المتحدة الارض اللازمة لحفر الترعة

١١ وصل سمو الخديوي الى القاهرة عائداً من السودان

١٤ اعلن السنيور ماركوني انهُ تلقى اشارات تلغرافية مرسلة من انكلترا الى نيوفوندلاند وذلك بالتلغراف الذي لا سلك لهُ

٢١ انزل قومندان البارجة الانكليزيّة الراية العثمانيّة عن منزل شيخ الكويت ورفع بدلاً منها راية الشيخ مبارك دلالة على استقلالهِ

٢٦ افتتح المؤتمر الصهيوني في بال من اعمال سويسرا



مجلة علمية صناعية زراعية

لمنشئيها

الدكتور يعقوب صرّوف والدكتور فارس نمر

AL-MUKTATAF

A MONTHLY ARABIC SCIENTIFIC REVIEW

EDITED BY DR. Y. SARRUF

VOL. LXX. No 5

FOUNDED 1876 BY DRS. Y. ṢARRUF & F. NIMR

المقتطف

الجزء الثاني من المجلد السابع والعشرين

١ فبراير (شباط) سنة ١٩٠٢ — الموافق ٢٢ شوّال سنة ١٣١٩

رجال الاعمال والاموال



السر جون اڤانس

يقول العرب "طالب علم وطالب مال لا يجتمعان" وقالوا "ما احسن الدين والدنيا اذا

اجمعا " فنفوا المال عن طلبة العلم واستحسنوهُ في رجال الدين . ولكن اذا حقّ لنا ان نبيح المال لقوم ونحرّمهُ على قوم اجتناهُ لرجال العلم لا لرجال الدين لان هؤلاء احرى من كل احد بالزهد في حطام الدنيا لكي يتسنى لهم حث غيرهم على الزهد فيها فلا ينصرف همّ الناس كلهُ اليها . اما العلم فانهُ قرين المال وعميدهُ بل كلٌّ منهما عميد الآخر . العلم يزداد نفعهُ بالمال والمال يزداد نفعهُ بالعلم وعليهما كليهما تبنى عزّة الامم وتقام دعائم الممالك ولا ترتقي الشعوب الاَّ حيث يعضد المالُ العلمَ والعلمُ المال

لما زرنا معرض باريس الاخير انسنا بلقاء رجل من شيوخ العلماء وهو السر جون افانس وكنا نسمع عنهُ ونقرأ خطبهُ ونودّ التعرّف بهِ ويقيننا انهُ منقطع للعلم لا يفعل شيئاً سواهُ . ثم زار القطر المصري في الشتاء الماضي وحالما وقع نظرهُ على بالات الورق في دار المقتطف وقف متهللاً واستوقف زوجتهُ لادي افانس قائلاً لها انظري ورق معملنا . ثم اخبرنا انهُ صاحب معمل دكنصن المشهور بعمل ورق الكتابة وورق الطباعة في البلاد الانكليزية وقد تحوّل هذا المعمل الآن الى شركة مساهمة رأس مالها ٤٥٠ الف جنيه والجانب الاكبر من اسهمها لهُ . ولدى البحث والاستقصاء وجدنا انهُ ابن اخت جون دكنصن منشيء هذا المعمل وقد انضمّ اليهِ سنة ١٨٤٠ وعمرهُ ١٧ سنة وتزوج بابنتهِ واشترك معهُ سنة ١٨٥٠ وعكف على توسيع نطاق المعمل واتقان اعمالهِ وتوفير ارباحهِ ولم يصرفهُ ذلك عن خدمة العلم فقضى حق العلم وحق المال لانهُ كان يقضي ساعات الفراغ من الاعمال في الدرس والبحث وانتظم في سلك كثير من الجمعيات العلمية وصار رئيساً لكثير منها فرأس جمعية علم النقود وجمعية العاديات والجمعية الجغرافية والجمعية الملكية ومجمع ترقية العلوم البريطاني . ولهُ تآليف مختلفة في علم النقود والعاديات وعندهُ مجموع كبير من التحف قلما يوجد مثلهُ وقد ظهر لنا من الحديث معهُ ان عندهُ من نوادر النقود القديمة ما لا مثيل لهُ عند سواهُ

ولو اقتصر هذا الرجل على خدمة العلم ما مات جوعاً ولا عاش فقيراً متربًا كما يعيش كثيرون من خدمة العلم عندنا ولا اضطرَّ ان يهرب بقلمهِ وكتبهِ من بلاد الى أُخرى كما يهرب كثيرون من ابناء المشرق الذين قضي عليهم نكد الطالع ان يكونوا من ارباب الاقلام لان لرجال العلم شأناً كبيراً عند الامة الانكليزية وكل الامم الاوربية . ولكنهُ لو فعل ذلك ما استطاع ان يقتني القصور ويجمع التحف ويضيف العلماء وينفق على المباحث العلمية انفاق المثري الكريم . فقد اخبرنا ابننا انهُ زارهُ في قصر لهُ في مدينة دوفر وكان قد دعا اليهِ كثيرين من اعضاء مجمع ترقية العلوم البريطاني فرأى بسطة جاهٍ وعزّاً لا يظهر فيهِ الاَّ

الامراء وكبار الاغنياء . ورأينا في نشرة نشرتها لجنة البحث عن آثار كريت ان اكثر نفقات البحث منهُ والباحث عن تلك الآثار ابنهُ. فكأَنهُ وقف مالهُ واولادهُ لخدمة العلم . فالمال الذي اكتسبهُ بجدهِ من صناعة الوراقة كان لهُ عوناً كبيراً على توسيع نطاق العلم فوق ما فيهِ من رفعة الجاه عند من يعرف كيف ينفق مالهُ في ما يُكرَم على انفاقهِ فيهِ . ولم يثرِ هذا الرجل مثل كبار الاغنياء لكن مقامهُ بينهم لا يقلُّ عن مقامهم ونفعهُ لوطنهِ قد يزيد على نفعهم



بيربنت مورغان

ننتقل الآن من رجل ناهز الثامنة والسبعين ولم تبلغ ثروتهُ نصف مليون من الجنيهات الى رجل ربح نحو ثلاثين مليوناً في عشر سنوات ولا يزال كهلاً في عنفوان القوة وعلو الهمة ويقال انهُ آتٍ الى القطر المصري ليبتاع سككهُ الحديدية ويجعل لها شركة واحدة كما فعل بكثير من الشركات الاميركية

وهو رجل رزين قليل الكلام . يجلس في مكتبهِ حيث يدير اشغالهُ الكثيرة مفصولاً عن الكتَّاب الذين في خدمتهِ بفواصل من الزجاج حتى يراهم ويروهُ واذا دخل عليهِ وزير

قابلهُ كما يقابل جمهور السماسرة والتجار سواء بسواء . يختار في حديثهِ الكلمات الوجيزة اللفظ الكبيرة المعنى مثل كلمة نعم وكلمة لا و يلفظ الكلمة منها نبرًا لفظ رجل باتّ الحكم غير متردّد . ولا تبلغ ثروتهُ الآن ثروة ركفلر ولا ثروة كارنجي ولكنهُ اقدر منهما على ادارة الاعمال وسلطتهُ اعظم من سلطتهما . وقد اثريا اكثر منهُ لان جانبًا كبيرًا من ثروتهما اتاهما عفوًا بنمو البلاد وازدياد الطلب على البترول والحديد واما هو فاقتنى ثروتهُ بجدهِ وحسن نظرهِ في العواقب

كان ابوهُ صانعًا عند فلاَّح ثم صار كاتبًا عند بائع منسوجات وبقي كذلك الى ان صار عمرهُ ٣٨ سنة وخطر لهُ حينئذٍ ان يشتغل مستقلاً ففتح بنكاً صغيرًا في مدينة بوستن واشتهر باجتهادهِ واستقامتهِ فاتسعت اشغالهُ رويدًا رويدًا وصار من اعرف الناس بالاسواق المالية في الدنيا كلها فوثق بهِ معاملوهُ ثقةً تامةً لانهُ كان يخلص النصح لهم ولا يدعهم يضاربون مضاربات تعود بالخسارة عليهم واقتصر على ما يسمَّى باشغال البنك القانونية وزادت اشغالهُ بازدياد ثقة الناس بهِ حتى صار لهُ المقام الاول بين الماليين فزار بلاد الانكليز وكانت شهرتهُ قد سبقتهُ اليها وتعرَّف فيها بالمستر بيبدي المشهور بغناهُ ومبرَّاتهِ فقدرهُ بيبدي قدرهُ وعرض عليهِ ان يشاركهُ في اعمالهِ المالية فزادت تلك الاعمال نجاحًا وجرى على اسلوب الانكليز في استثمار المال وبذل جهدهُ في حمل الانكليز على الثقة بالبيوت المالية الاميركية فزادت الثقة بين نيويورك ولندن ورسخت على قواعد متينة فكثرت بسببها المعاملات المالية ولما عاد الى نيويورك سنة ١٨٧٧ قوبل باحتفال عظيم واولم لهُ كبار الاغنياء وليمة فاخرة اعترافًا بفضلهِ عليهم ويقال ان ثروة الذين حضروا تلك الوليمة كانت نحو مئتي مليون جنيه

ونشأ المستر مورغان صاحب الترجمة في كنف ابيهِ وتدرَّب عندهُ على المعاملات المالية وتوفي ابوهُ ١٨٩٠ فاستقلَّ بادارة اعمالهِ ووسَّع نطاقها بهمتهِ واشتهر باصالة الراي والحزم في الاعمال . قيل جاءهُ رجل يملك منجمًا كبيرًا من الفحم الحجري وقد صمم على بيع المنجم لهُ باغلى الاثمان لانهُ كان في حاجة شديدة اليهِ . وجعل يحدث نفسهُ بما يقولهُ وما يجيبهُ المستر مورغان بهِ حتى لم يبقَ عندهُ ريب في ان البيع يكون صفقة رابحة جدًّا لهُ فدخل مكتب المستر مورغان واخبر الكتبة باسمهِ وجلس ينتظر الى ان عيل صبرهُ واخيرًا خرج اليهِ المستر مورغان وقال انني ادفع في المنجم كذا وكذا من الريالات فان كنت تقبل فامضِ صك البيع . قال ذلك وعاد الى مكتبهِ فأمضى الرجل صك البيع ولم يفه بكلمة

وقال احد السماسرة جئتهُ يومًا لاقترض منهُ مليونًا من الريالات على ضمان ولم اكن

اعرفهُ ولا كان يعرفني فتفرَّس في وجهي لحظة من الزمان ثم نظر الى الورقة التي كتبت فيها اسماء الضمانات وقال نعم واشار الى احد شركائهِ ليدفع اليَّ المال المطلوب . فامضى في ربع دقيقة عملاً ماليًّا كبيرًا قد لا تستطيع دولة كبيرة ان تمضيهُ في اسبوع

واكبر الاعمال المالية التي اشتهر بها ضم الشركات بعضها الى بعض حتى تزول المناظرة من بينها وتقلّ نفقاتها وتزيد ارباحها . من ذلك ضم ثمان من شركات الفولاذ (الصلب) وجعلها شركة واحدة رأس مالها ٢٢٩ مليون جنيه . واهم هذه الشركات شركة كارنجي وكان لكارنجي في شركتهِ ٨٥٠٠٠ سهم يساوي السهم منها ٣٠٠ جنيه فجملة ما يمتلكهُ فيها ٢٥ مليونًا ونصف مليون من الجنيهات فاتفق معهُ اولاً على بيع اسهمهِ للشركة العمومية واخذ اسهم جديدة بدلاً منها تساوي اربعين مليونًا من الجنيهات وريعها السنوي اكثر من ثلاثة ملايين من الجنيهات ولما تمَّ لهُ ذلك لم يتعذر عليهِ ان يبدل اسهم بقية المساهمين في الشركات السبع الاخرى باسهم جديدة من الشركة العامة . وكان رأس مال هذه الشركات السبع ١١٢ مليون جنيه واذا اضيفت اليها شركة كارنجي بلغت قيمة اسهمها كلها نحو ١٧٠ مليون جنيه فلما جعل اسهم الشركة الجديدة ٢٢٩ مليون جنيه رفع قيمتها نحو ستين مليون جنيه وكان هذا الرفع حقيقيًّا لا وهميًّا لان ارباحها زادت مليونين ونصف من الجنيهات بزوال المناظرة وبتقليل نفقات الادارة كما سيجيء . وغنيٌّ عن البيان انهُ تناول اجرتهُ من هذا العمل الكبير ولم نقف على مقدارها ولكنها لا تقلّ عن بضعة ملايين من الجنيهات ذلك كلهُ وهو لا يعرف شيئًا من عمل الفولاذ

وقد تدرَّج الى هذا العمل العظيم وهو تأليف شركة رأس مالها ٢٢٩ مليون جنيه بعمل آخر يقاربهُ في عظمتهِ وهو ضم خمس شركات من شركات سكك الحديد التي في الجهات الشمالية الشرقية من اميركا رأس مالها مئة مليون جنيه ذلك انهُ ابتاعها الواحدة بعد الاخرى ووحَّدها ووفر ارباحها بتقليل نفقاتها . ثم ضمَّ الشركات التي في الجهات الجنوبية وبعض الشركات التي في الجهات الغربية فصار المتصرّف المطلق في اجرة النقل وثمن الفحم الحجري وبلغ ربحهُ من ذلك كلهِ ما اشرنا اليهِ قبلاً ذلك انهُ ورث عن ابيهِ مليونين من الجنيهات فصيرهما ثلاثين مليونًا في بضع سنوات . ولم تكفهِ اميركا بل قصد انكلترا وابتاع بواخر بعض الشركات التجارية لكي لا يبقى الاميركيون معتمدين على الانكليز في نقل بضائعهم

وهو من كبار المحسنين دفع ٢٧٠ الف جنيه لبناء مستشفى الولادة في نيويورك ومئة الف جنيه لانشاء مدرسة للتجارة في نيويورك ايضًا وستين الف جنيه لبناء دار الاسقفية فيها

وخمسة آلاف جنيه لانارة كنيسة مار بولس في لندن بالنور الكهربائي

ولهُ ولع شديد بجمع التحف ابتاع صورة من تصوير غاينسبرو المصور الانكليزي بثلاثين الف جنيه وهي المعروفة بصورة "دوقة ديفنشير" وابتاع صورة أخرى من تصوير رفائيل بنحو مئة الف جنيه وهو اعظم ما دفع ثمن صورة واحدة في ما نعلم. وكما اتى الى اوربا ذهب الى فرنسا واقام اياماً في نورمدي يزور الفلاحين في بيوتهم ويبتاع منهم اشياء صغيرة باثمان باهظة يرى لوحاً منقوشاً عند امرأة فلاّحة فيقول لها بكم تبيعين هذا اللوح فتقول ليس للبيع فيقول لها كم يساوي فتقول لا يساوي شيئاً فيقول ولكنني اريد ان اشتريهُ فتقول لهُ لقد اخبرتك يا موسيو انهُ ليس للبيع فيضحك ويقول لها هذه الف فرنك فهل تعطينيهِ بها فتأخذها وهي لا تصدق ما ترى بعينيها

الى هنا انتهى ما يقع الاجماع على انهُ ممدوح لا غبار عليهِ لكن الاعمال المالية لا تقتصر على ذلك بل فيها ما يختلف الناس في تصويبهِ مثال ذلك ان العمال في مناجم اميركا يكونون من حزب الاحرار ما داموا آخذين في العمل فاذا اعتصبوا انضموا الى حزب الديموقراط . ولما كانت الانتخابات الاخيرة كان عمال المناجم معتصبين فطلب حزب ماكنلي من المستر مورغان ان يسعى في التوفيق بينهم وبين اصحاب المناجم لكي يعودوا الى حزب الاحرار فاستدعى اصحاب المناجم واصلح بينهم و بين العمال وارسل سماسرتهُ في غضون ذلك ليبتاعوا لهُ كل سهم يجدونهُ من اسهم مناجم الفحم عالماً انهُ لا بدَّ لهُ من ان يفلح في التوفيق بين العمال واصحاب المناجم فترتفع قيمة هذه الاسهم بعد هبوطها فكان كما توقَّع وربح بضعة ملايين من الريالات وهو يسعى في التوفيق بين الناس

المستر شواب

نجد بين ارباب الاموال كثيرين شبوا ودخل الواحد منهم بضعة غروش في اليوم وشاخوا ودخل الواحد منهم الوف من الجنيهات ولكن لم يذكر في تاريخ الامم ان اجيراً يعطى خمسة وعشرين جنيهاً في السنة ثم تزيد اجرتهُ رويداً رويداً حتى تبلغ مئة وستين الف جنيه وتصير لهُ ثروة تقدَّر بملايين الجنيهات اي تصير اجرتهُ اعظم من راتب خديوي مصر وثروتهُ اعظم من ثروة كل اغنيائها وهو لا يزال وكيلاً عن اشغال غيرهِ ولا يزال في عنفوان الشباب . هذه حال المستر شواب وكيل المستر كارنجي

قلنا في ترجمة المستر مورغان انهُ الف شركة من شركات الفولاذ رأس مالها ٢٢٩ مليون جنيه وانهُ ابتاع حقوق كارنجي فيها باربعين مليوناً من الجنيهات فلما تنحى كارنجي عن العمل

طلب ان تعطي الادارة العامة للمستر شواب واقترح ان يكون راتبهُ السنوي ١٦٠ الف جنيه فكان كما طلب

وعمر المستر شواب الآن تسع وثلاثون سنة وبين الرجال الخاضعين لادارتهِ شيوخ وكهول عركوا الدهر وادارو الاعمال الكبيرة حينما كان طفلاً يرضع او فتى يتعلم . ولد في قرية صغيرة سنة ١٨٦٢ وكان ابوهُ يعمل في احد معامل الصوف وانتقل بهِ الى قرية اخرى اسمها لورتو



وعمرهُ عشر سنوات وهناك دير لراهبات الرحمة فاحببنهُ وعلمنهُ وقام في نفسهِ ان لا بدَّ لهُ من ان يتعلَّم الهندسة ويصير مهندساً فدرس العلوم الرياضية واتمَّ دروسهُ سنة ٨٨٠ وكان ابوهُ قد قاول ادارة البريد على نقل البوسطة الى لورتو فجعل ابنهُ يحمل كيس البوسطة ويوزعها ويساعد الفلاحين في اعمالهم ويستعين بذلك على معيشتهِ. واحبهُ الفلاحون والرهبان والراهبات لوداعتهِ واجتهادهِ فلما اتمَّ دروسهُ في المدرسة رأى ان لا بدَّ لهُ من مغادرة تلك القرية والاَّ اضطرَّ ان يدفن علمهُ ومواهبهُ فيها فودَّع اهلهُ آسفاً ومضى الى مكان فيهِ مسبك من مسابك كارنجي عازماً ان يدخل فيهِ عاملاً ولكنهُ لم يكن يعرف احداً فيهِ ولا كان معهُ كتاب

توصية الى احد وبعد اللتيّا والتي دخل دكان بدَّال (بقَّال) صانعاً وجعل يبيع عندهُ السكَّر والشاي والبن وما اشبهُ وقد استفاد من ذلك فائدة كبيرة لانهُ عرف اثمان الحاجيَّات

واتفق ان اتى الى هذا الدكان رجل من مديري مسبك كارنجي ليشتري شيئاً منهُ ورآهُ شواب وكان يعرف من هو ويتمنى ان يتاح لهُ التكلُّم معهُ فقابلهُ وافتتح الحديث معهُ بقولهِ ما احرَّ هذا النهار . فقال الرجل نعم الحر شديد هنا ولكنهُ لا يطاق في المسبك فقال شواب ولكن ما اعظم الفرق بين المسبك وبين هذا الدكان اواهُ لو اخذتني الى المسبك . فسرَّ الرجل بهذا الكلام وقال لهُ انت فتيً فماذا تريد ان تصير لو دخلت المسبك فقال اريد ان اصير مهندساً ميكانيكياً . فقال وهل تعلَّمت العلوم الرياضية اللازمة لذلك فقال نعم تعلمت كل ما يلزم . فقال وهل تقدر على دق الاوتاد . فاجاب اقدر على دق كل شيء . فقال وهل تقبل ريالاً في اليوم اجرةً . فاجاب اقبل اية اجرة تعطيني اياها . وكان ذلك سنة ١٨٨١ بعد ان اقام في دكان البدَّال ستة اشهر . فاتى بهِ الى المسبك وجعل يعمل كل ما يُطلَب منهُ عملهُ بدقةٍ وهمةٍ واعتناء . ولم يمضِ عليهِ ستة اشهر في المسبك حتى تمرَّن على كل الاعمال وارى كل من فيهِ انهُ رجل همةٍ وعزم وتفانٍ في اتمام الاعمال من غير انتظار الاجر او الشكر . ورقي ذلك المدير الى منصب الادارة العامَّة في المسبك فجعل مديراً بدلاً منهُ فادار المسبك بهمةٍ لا تعرف الملل ولا تكلُّ من التعب وارتقى رويداً رويداً حتى صار مديراً لاعظم شركة صناعيةٍ وجدت في المسكونة — لشركة رأس مالها ٢٢٩ مليوناً من الجنيهات كما تقدَّم وربحها السنوي عشرون مليوناً

ان من يقرأُ السطور المتقدمة يرى في ارتقاء هذا الشاب من اجير صغير اجرتهُ نصف ريال في اليوم الى مدير كبير اجرتهُ ١٦٠ الف جنيه في السنة طفرةً تكاد تكون من ضروب السحر او من انواع الخوارق لانهُ قد لا يعلم ماهية الكفاءة ولا كيف يقدرها اصحاب الاعمال قدرها . اما المستر كارنجي صاحب هذا المسبك فرأَى ان الشاب مستوفٍ للشروط التي يطلبها في مَن يدير اعمالهُ رآهُ سريع النظر سريع العمل سريع التغلُّب على المصاعب كبير الهمة واسع الحيلة لا يعجزهُ شيء ولا يقعدهُ شيء . ومن مذهب المستر كارنجي ان الشبان الممتازين على غيرهم بالمواهب يجب ان يُفتَح امامهم المجال الواسع لاستعمال مواهبهم ويميَّزوا على غيرهم . وقد قدِّر لهذا الشاب ان يفلح في كلِّ عمل يتولاَّهُ ولكن دخولهُ معامل كارنجي فتح امامهُ مجالاً للنجاح لا يجدهُ في غيرها وكانت تلك المعامل في بدء عملها والطلبات تنهال عليها من كل فجّ وكان عليهِ ان يديرها ويتولَّى امر توسيعها بانشاء المسابك الجديدة فانشأ تسعةً منها تولَّى رسمها بيدهِ

فاعرب عن مهارة فائقة في الهندسة الميكانيكية والادارة العامة وبواسطتهِ أُدخلت اصلاحات كثيرة حتى سهل على شركة كارنجي ان تناظر شركات الفولاذ في اميركا وفي اوربا ايضاً

ولما رأت الشركة منهُ ذلك جعلتهُ رئيس مهندسي قسم من معاملها ومديراً لهُ واشترك مع المدير الاول الذي جاء بهِ الى المسبك في استنباط اسلوب لمزج المعادن اشتهر بهِ اسماها وربحا منهُ ربحاً طائلاً . وسنة ١٨٨٧ عُرض عليهِ ان يكون مديراً للقسم الاهم من معامل كارنجي فرأى هناك اوسع مجال لمهارتهِ فاصلح آلات العمل واساليبهُ حتى صار اقوى معامل الفولاذ كلها كما انهُ اكبرها

وكانت الحكومة الاميركية قد طلبت من شركة كارنجي مراراً ان تصنع لها صفائح الصلب لتصفيح مدرعاتها فابت لانها رأت ذلك مما يتعذر عليها القيام بهِ فلما اعطيت الادارة للمستر شواب ذاكر المستر كارنجي في هذا الموضوع واقنعهُ ان اجابة طلب الحكومة من الممكنات اذا كانت تطلب كمية كبيرة تفي بنفقات التجارب اللازمة للقيام بهذا العمل فأُجيب طلبهُ ولم يمضِ وقت طويل حتى صارت شركة كارنجي اعظم الشركات لعمل صفائح الفولاذ للمدرعات الاميركية والروسية . ويعوزنا الوقت لو وصفنا التجارب التي جرَّبها والمشاق التي تكبدها للوصول الى هذه الغاية وفيها الف دليل على ان نجاح هذا الرجل لم يكن نتيجة الصدفة والاتفاق بل نتيجة الهمَّة والتعقُّل

وتوفي مدير المسابك سنة ١٨٨٩ فجعل مديراً عاماً بدلاً منهُ ثم دعت الحال الى جعلهِ مديراً للمعامل والمسابك معاً وعمرهُ ثلاثون سنة فتولَّى اداراتها كلها وفيها الوف من العمَّال ويخرج منها كل سنة ملايين طن من الفولاذ فسهل على المستر كارنجي ان ينقطع للمطالعة والانشاء والسفر والنزهة وهو عالم ان معاملهُ ومسابكهُ تدرُّ عليهِ ملايين الجنيهات لانها في يد مدير حكيم همام . وظلَّ هذا الشاب يرتقي في اعتبار الشركة حتى جُعل رئيساً لها واخيراً جُعل مديراً للشركة الجديدة التي الفها المستر مورغان من شركة كارنجي ومن سبع شركات اخرى كما تقدَّم

وقد يظن القارئ ان هذا الرجل اضاع عمرهُ في خدمة مستخدميهِ فنجحت اعمالهم باجتهادهِ ولم ينل منها غير الاجرة التي يتقاضاها سنة بعد سنة ولو بلغت الوف الجنيهات وانهُ رأى الارباح تزيد بسعيهِ وهو مكتفٍ بمدح الشركاء لهُ واجماعهم على زيادة راتبهِ . الَّا ان ذلك امرٌ لا يفعلهُ الَّا كل خامل الذهن زاهد في الدنيا معتقد ان المال كثيرهُ وقليلهُ مجلبة للشقاء اما المستر شواب فلم تبلغ منهُ سخافة العقل هذا المبلغ حتى يرى ابواب الكسب امامهُ ولا يلجها بل كان يبتاع باجرتهِ اسهماً من اسهم شركة كارنجي حتى بلغ ما عندهُ منها حينما انضمت

الى سائر شركات الفولاذ ١٨٩٢٩ سهماً تساوي قيمتها الاصلية ٣,٧٨٥,٨٠٠ جنيه وتساوي قيمتها الآن نحو تسعة ملايين من الجنيهات اي ان صانع البدّال صار من كبار الاغنياء باجتهادهِ الذي اغتنى بهِ غيره وقد كانت اجرتهُ وهو صانع عند البدال خمسين غرشاً في الاسبوع فصارت الآن ٣٢٠٠ جنيه في الاسبوع ولم يكن يملك شيئاً فصار يملك نحو تسعة ملايين من الجنيهات ولهُ ايضاً ثلاثة قصور فخيمة انفق على واحد منها ٧٥ الف جنيه . وان شئت ان تعرف رأيهُ في سبب نجاحهِ فاسمع ما قالهُ في هذا الصدد

"سألني البعض ما سبب ارتقائي حتى صرت آخذ ثمانمئة الف ريال في السنة بعد ان كنت اخذ ريالين ونصف في الاسبوع . وحقاً اني لا اعرف السبب . ما من احد نجح بالصدفة او بالتوفيق . اذا لقيت رجلاً يقول انهُ لم ينجح لعدم التوفيق فاعلم ان التوفيق الذي عدمهُ هو الشيء الخفي اللازم للنجاح . وكثيراً ما يخطر ببالي ان هذا الشيء الخفي هو اندفاع الانسان الى الاعمال الشاقة واقتداره على عملها

"يدخل ابن الغني ميدان الحياة مغلول اليدين لانهُ يرى حولهُ من المال ما يغنيهِ عن التعب والكدح ولانهُ لا يعرف قيمة لما عنده لان قيمة الشيء على حسب التعب الذي يُنال بهِ . وما تتعب على نيلهِ كثيراً تزداد قيمتهُ في عينيك عشرة اضعاف

"واني احسب ان اول نعمة انعم الله عليَّ بها هي انهُ خلقني فقيراً . فان الصفات التي بُني عليها نجاحي هي نتائج المشاق التي لقيتها في حداثتي والاضطرار الى الكدح والاقتصاد وانكار الذات . ولا ابدل الاختبار الذي يكتسبهُ الولد من الفقر والمشاق باي مبلغ كان من المال لاني اكون قد نزعت منهُ الاساس الذي يبني عليهِ نجاحهُ

"ولقد عرفت قيمة الريال وانا في السن الذي يدلّل فيهِ الاولاد ويرفهون . عرفتُ ما يقتضيهِ من التعب وما يجلبهُ من الراحة والرفاهة . وانا عالم الآن كم بذلت من المشقة في كسب كل ريال كسبتهُ . ولا يضيع على المرء تعبهُ ولو تأخر جزاؤُهُ"

وفي سيرة هذا الرجل صفحة أُخرى لا يصحُّ الاغضاء عنها . لما كان فتى يتعلم في مدرسة لورتو احبَّ فتاة فقيرة مثلهُ واحبتهُ هي كما احبها وعزم ان يبذل كل ما في وسعهِ ليكتسب ما يمكّنهُ من الاقتران بها والسكنى معها في مدينة من المدن بعيداً عن الجبال . ولما دخل دكان البدّال صانعاً ولم يجد امامهُ ما يحقق هذه الامنيَّة بقي يكاتب الفتاة التي احبها وتكاتبهُ حتى اذا دخل المسبك وصار عمرهُ ٢١ سنة وصار راتبهُ كافياً لمعيشتهِ ومعيشتها اقترن بها وكان ذلك سنة ١٨٨٣ وزيدت اجرتهُ في العام التالي الف جنيه في السنة ومن ثمَّ اخذت

اجرته في الازدياد وثروته في النمو حتى بلغتا ما ذكرناه آنفاً

وهو كاثوليكي المذهب وقد جازى الرهبان والراهبات الذين علموه في حداثته ببناء الكنائس والمدارس ولم ينس بلدة لورتو التي قضى فيها ايام الصبا فانشأ فيها قصراً فاخراً ونورها كلها بالنور الكهربائي ووسع نطاق مدرستها وهو يلجأ اليها كما اراد الراحة من عناء الاعمال

الجذام (١)

سادتي الافاضل اعرض على مسامعكم مشاهدة طبية جزيلة الفائدة شاهدتها في معالجة مريض مصاب بالجذام

جاءني هذا المجذوم في ٢ اكتوبر سنة ١٩٠٠ وطلب مني ان اعالجه من هذا الداء الخبيث وهو مولود من ابوين سليمين وسنه نحو ٥٠ سنة واقامته في محل ولادته بقرية من قرى مديرية الغربية

قال لي انه كان متمتعاً بصحة جيدة الى ان بلغ السنة الثامنة والثلاثين من العمر وحينئذٍ ابتدأ يحس بخدر في يده اليسرى ثم في الطرف الاسفل الايمن فاشير عليه بفتح حمصة في هذا الطرف وبتعاطي العشبة ولكن هذه الوسائط لم تأتِ بفائدة ثم ظهرت حبوب في وجهه بعد خمس سنوات

وهو متزوج بامرأتين وله منهما اربع بنات وابنان والبنات تزوجن وولدن اولاداً وعمر اصغر ابنيه تسع سنوات ولم يصب احد من عائلته بهذا الداء مع انه مقيم معها في منزل واحد فبقيت امرأتاه سليمتين وكذلك بناته ورأيت ابنيه فوجدتهما سليمين

وكان المصاب قوي البنية قبل ان اصابه الجذام وصار ضعيفها الآن وتغيرت سحنته فظهر في وجهه درن مختلف الحجم اصغره في حجم العدسة واكبره في حجم البندقة وشكله مختلف ولونه احمر قانٍ. وفي درنتين منه ماء لونه اردوازي

وفي جلد وجهه ارتشاحات بيضاء وثنيات عميقة في الحاجبين وما يجاورهما من جهة الجبهة . فاجتماع هذه التغيرات في الوجه جعلته اعرض من اصله واعطته هيئة مخصوصة تعرف بهيئة وجه الاسد

(١) من مقالة تلاها سعادة الدكتور حسن محمود باشا باللغة الفرنسوية في الجمعية الطبية بالمحروسة في ٤ يناير سنة ١٩٠٢

ورأيت درناً في جلد الاطراف العليا والسفلى والصدر والظهر وقد حصل لين وتقرُّح في الدرن الذي في اصابع اليدين امتدَّ الى الاجزاء الرخوة كالجلد والعضل والاوتار ولكنهُ لم يصب عظامها واتَّجه بعض هذه القروح نحو راحتي اليدين وتكوَّن منها اثر التحام ابيض في بعض اجزائهِ وملوَّن في البعض الآخر وتسبَّب عن هذا الالتحام انثناء الاصابع نحو الراحة وقصر اطرافها السفلى بسبب ضمور اجزائها الرخوة وكان على سطح جلد الاطراف لطخ طول البعض منها ٦ سنتمترات وعرضها ٣ سنتمترات وسمكها ١/٢ سنتمتر ولونها احمر قانيء كلون الدرن وجلدها متين وسطحها مستوٍ وسميت هذا الشكل بالجذام اللطخي

وبالبحث في جلد المريض في الجذع والاطراف وجدت بعض اجزاء منهُ فاقدة الحس ووجدت ايضاً بقعاً ذات لون ابيض واخرى ذات لون اغمق من جلد باقي الجسم

وزال بعض شعر الاجفان والحاجبين والشاربين واللحية وتغير لون بعضهِ واما شعر فروة الراس فبقي على حالهِ

ولم تقتصر آفة الجذام على الغلاف الجلدي بل امتدت الى الغشاء المخاطي المغشي للاحشاء فشاهدت لطخاً وحبوباً على الغشاء المخاطي المبطن للسان والشفتين وسقف الحنك والحلق وغشاء الملتحمة المخاطي في العين اليسرى وكانت لا تبصر واخبرني اخي الدكتور علوي بك وكنت قد ارسلت المريض اليهِ ليبحث في عينيهِ انهُ مصاب بالتهاب مشيمي مزمن مع ضمور في العصب البصري

وكان المريض ضعيفاً جداً حتى انهُ يجرُّ رجليهِ جرًّا عند المشي . هذه هي الظواهر المرضية التي شاهدتها فيهِ

المعالجة — عالجتهُ بزرنيخات الصودا وزيت الشالموجرا فوصفت لهُ محلولاً من ١٠ سنتجرامات من الزرنيخات في ٣٠٠ جرام من الماء المقطر يؤخذ منهُ ملء ملعقتين كبيرتين في اليوم . واعطيتهُ زيت الشالموجرا اولاً من ٦٠ الى ١٠٠ نقطة في اليوم . ثانياً حقنتهُ تحت الجلد بسنتمتر مكعب كل يومين مرة مع مس الدرن واللطخ بصبغة اليود كل ثلاثة ايام مرة فتحسنت حالهُ وهبط كل من الدرن واللطخ وعادت قوة المريض نوعاً وعادت ايضاً شهيتهُ للاكل فصار يأكل كل يوم رطل لحم تقريباً وبيضاً وخضراً . ولما وجد ان حالتهُ تحسنت عاد الى بلدهِ منذ ثلاثة اشهر ولم اعد اراهُ

وقد استنتجت من مشاهدتهِ ومن مشاهدات أُخرى غيرها النتائج الآتية وهي

اولاً انهُ يوجد ثلاثة اشكال من الجذام وهي الدرني واللطخي والفاقد الاحساس

ثانياً يمكننا القول ان الجذام ليس وراثياً لان هذا الرجل وغيرهُ من المجذومين الذين

عالجتهم لم يولدوا من آباء مجذومين ولا اورثوا الجذام لاولادهم

ثالثاً ان الجذام غير معدٍ على الاقل في مصر لان زوجتي هذا الرجل لم تعديا منهُ وكذلك اولادهُ والذين كانوا معهُ في المستشفى لم يعدوا منهُ وابنهُ الذي ولد لهُ بعد ما أُصيب بالجذام لم يصلهُ الجذام بالارث ولا بالعدوى

وقد جربت نقل الجذام بالتلقيح فلم ينتقل وقرأت بعد كتابة ما تقدم ان غيري جرَّب نقلهُ بالتلقيح فلم ينتقل حسن محمود

مضار الحشيش

الحشيش او الحشيشة آفة من الآفات التي ألمَّت بالشرق ومورد من موارد الثروة في الكثير من انحائهِ فهو آفة باعتبار المادة المسكرة المخدرة التي شاع ذكرها وعمت لسوء البخت معرفتها في هذا القطر يؤْخذ من نبات يعرف بالحشيشة او حشيشة الفقراء او الشهدانج او القنب الهندي وهو من موارد الثروة باعتبار ما يفتل منهُ خيوطاً وحبالاً وينسج انسجة منها الاكياس المعروفة . وباعتبار الحشيش المسكر المذكور يصنعونهُ خفيةً ويلجأُون الى ضروب الحيل والتستر والخداع وطلب المنافذ الى المدن بعيدةً عن رقباء الحكومة طمعاً بما يتناولونهُ من اثمانهِ الباهظة . والقنب انواع منها ما ينسب الى آسيا وهو مثل الاوربي المعروف باللاتينية بكنابس ساتيفا لكن الجواهر الفعالة فيهِ اكثر منها في النوع الاوربي وهو اهم انواعهِ في بحثنا لما يؤْخذ منهُ من الحشيش المسكر

والاصل في الحشيش المخدر المسكر ان يؤْخذ من زهر القنب الهندي او من اطرافهِ الزهرية ومن الشرقيين من يتعاطى ورقهُ بل شاع استعمال الورق عندهم فيعصرونهُ او يطبخونهُ او يعجنونهُ او يتناولونهُ مع اللوز او الفستق او السكر او الخشخاش او غير ذلك فاصطنعوا منهُ انواعاً والواناً تختلف باختلاف المكان والزمان فمن ذلك عصير يستحضرونهُ بان يمرثوا الورق في الماء ومنهُ نقيع البزر الاخضر ومنهُ صمغ راتنجي (دهنهُ) يجمعونهُ على سيور او قدد من الدبيغ يسيرون بها في مزارع القنب فتلتقط من الورق ورؤُوس الاغصان مادةً غروية هي الصمغ الراتنجي المذكور يصنعونهُ حبوباً صغيرة ومنها نوع يستحضرونهُ في بلاد العجم وهو عصير الورق يهرسونهُ ويعصرونهُ في نسيج صفيق ويستحضرون من الحشيش معاجين او انواعاً من اللعوق مركبة منها معجون دواء المسك المعروف عند العرب يأْخذون لهُ شيئاً من ورق الحشيشة ومن زهرها

ومن ثمر المسك العطري يطبخونهُ بالسمن و يضيفون اليهِ بعض الخلاصات او الارواح وهو عندهم من انواع الحلوى يأكلونهُ . و يعرف بالتمهيرة في مصر يتعاطون دخانهُ في التراجيل او يضيفونهُ الى التبغ

وللحشاشين في مصر اماكن خاصة بهم يختلفون اليها تعرف بالمحششات او قهاوي الحشيش ويتعاطاهُ معظمهم فيها دخاناً فيجتمعون حلقةً ويدور عليهم صاحب المحششة بجوزة فيها الحشيش فيتداولون الشرب واحداً بعد الآخر دوراً او اكثر الى ان يستنزفوا ما في الجوزة من الحشيش ويسمون ذلك تعميرة يردفونها بتعميرة اخرى فثالثة الى ان تنال ادمغتهم منهُ الكفاية . وقد منعت الحكومة المحششات او حظرت على اصحابها بيع الحشيش والتعميرات وتتبعت تجارة الذين يستوردونهُ ومنعت زراعتهُ فضربت على كل ذلك انواع العقوبات ولم تقوَ على استئصال علته الخبيثة . فالحشيش موجود في مصر ولا يزال اصحاب المحششات يدورون بتعميراتهم على جماعات من الحشاشين

وفي بلاد العرب و بعض انحاء الهند مثل المحششات او ما يقوم مقامها ومثلها في الهند الصينية ايضاً يتعاطون الافيون بدلاً من الحشيش

وعادة التحشيش قديمة في مصر قيل اتصلت اليها من الهند وقيل من بلاد العجم فالعراق فبلاد الشام فمصر وقيل غير ذلك وقد شهدها الصليبيون وذكروا حسن بن صباح الحوايري وجماعتهُ في اخبارهم وعرفوهُ بشيخ الجبل وقالوا انهُ توسل بالحشيش الى التسلط على جماعتهِ وخبرهُ مشهور وتمكن التحشيش في مصر بتوالي الحكام بين راغب فيهِ مريد لهُ يتسابق اليهِ في عهدهِ الرفيع والوضيع فيعدونهُ من التحف وانواع الترف ويبالغون في مدحهِ ووصف محامدهِ ويترنمون بذكر ملاذهِ ويقولون فيهِ الاشعار وبين من يأباهُ و يضرب انواع العقاب على من تعاطاهُ ومن هؤلاء الامير سودون الشيخوني قيل انهُ تتبع الحشاشين ودمر مزارع الحشيشة في نواحي مصر في نحو سنة ٧٨٠ للهجرة وشدد عليها العقاب . وممن قال فيها شعراً احمد ابن محمد ابن رسام الحلبي فقال

ومهفهف بادي النفار عهدتهُ لا التقيهِ قطُّ غير معبسِ
فرأيتهُ بعض الليالي ضاحكاً سهل العريكة ريِّضاً في المجلسِ
فاجابني لا تشكرنَّ خلائقي واشكر شفيعك فهو خمر المفلسِ
فحشيشة الافراح تشفع عندنا للعاشقين ببسطها للأنفسِ
واذا هممت بصيد ظبي نافر فاجهد بان يرعى حشيش القنبسِ

اما جواهر الحشيشة الفعَّالة فلم يتصلوا الى ادراك حقيقتها والتدقيق فيها وحدُّ ما اتصلوا

الى استخراجهِ منها نوع من الراتنج سمَّاه بعضهم حشيشين من لفظةِ حشيشة وسماهُ غيرهم قنابين من لفظة قنب وهو اسمر اللون لا يذيبهُ الماء ولا تحلهُ القلويات ويحل في الكحول والايثر والزيوت واستخرجوا غير ذلك الى ان وقع بريو براشسكي على مقدار وافر من النيكوتين في الحشيشة وهو المادة السامة الموجودة في التبغ وذلك مما يسهل عليهم ابحاثهم في خصائصهِ المخدرة ولعلهم يتوصلون بهِ الى حقيقتها

وآثار الحشيش في الانسان بينة جلية واول ما يصاب بهِ حديث العهد في تعاطيهِ ان ينقبض منهُ الصدر وتدور منهُ النفس الى الغثيان على مثل ما يصيب شارب التبغ لاول شربهِ لهُ وقد يقيء ويسرع قلبهُ في حركتهِ ويؤثر الحشيش في الدماغ والاعصاب والعضلات وجهاز الهضم وغير ذلك من الاعضاء مما لو سلم معهُ ما بقي من البدن لما بقي للبدن من السالم ما يقوم بهِ او يكون بهِ انساناً فهو يمسخ الصور ويشوّه الملامح وتسفل بهِ الاخلاق الى ان يختل دماغ الحشاش والمصير من كل ذلك الى العته او الجنون ثم الموت . فالحشاش ينالهُ من الحشيشة كلما تعاطاها ان يختل دماغهُ وقد يختنق ولذلك اعراض من الهذيان مضحكة من فرح او طرب في الغالب وقد يستشيط او يهيج بعض الاحيان . ومما يحل بالحشاش من اعراض التحشيش النادرة ان لا يدرك بعدًا فقد يبصر القمر فيتطاول بيدهِ اليهِ ويقبضهُ ويشد القبض عليهِ لئلا يفلتهُ ويحدق بنظرهِ اليهِ فيراهُ في قبضتهِ ومنها انهُ لا يدرك للوقت حدًّا فيحسب ان امهُ ولدتهُ منذ قرون فقد يقصُّ عليك واقعة كانت لهُ مع صديقهِ هارون الرشيد او آدم ابي البشر. ومن الاعراض المذكورة ان يخيل للحشاش ان جسمهُ من الخفة على جانب عظيم وليس لهُ ثقل يدرك فهو يطير اذا شاء فقد يلقي بنفسهِ من نافذة او عن شرفة مرتفعة ويبسط ذراعيهِ كجناحي طائر يطير فيعتمد على الهواء او على عبيدهِ ورهيني امرهِ واشارتهِ في كل حين وآن من المردة والجان فيحملونهُ الى حيث شاء وكيفما شاء فربما وضع السبابة وحدها من اصابعهِ تحت بطن حمار او بعير او ما هو اكبر من ذلك ورفع يدهُ وركفي واصبعهُ مرفوعة تركض امامهُ وهو يرى الحمار او البعير عليها ويقول لك انظر . ومن باب هذه الاعراض ما يتمثل للحشاش من الصور والاشباح مما انطوت ذاكرتهُ عليهِ من اشخاص عرفهم او حوادث طرأت عليهِ في سابق ايامهِ فيراها اعياناً او اجساماً حقيقية تلمس وتتحرك وتتكلم . او يرى بحرًا يسبح فيهِ او يجتازهُ وهو في غرفتهِ او على قارعة الطريق. او هو يرى الاشباح الهائلة المريعة ترتعد لها فرائصهُ وقلما يراها او يهيج ويشرس الاَّ اذا تأثر عقلهُ لامر كان يشغلهُ او تناول من الحشيش كمية وافرة الى غير ذلك من الصور الغريبة والخيالات المتضاربة العجيبة مما يعقبهُ النعاس ثم الرقاد

ثم ان لاميال الحشاش واذاوقهِ شأناً يذكر في نوع ما يرى من مهيج مخيف او مفرح لطيف . فهو اما ان يرقد بعد هياجهِ هنيئاً مريئاً وقد زايلهُ الهذيان كأن لم يكن للحشيش فيهِ اثر ثم يستيقظ على احسن حال وقد يتذكر كما تمثل لهُ من الخيالات لا يفوتهُ منها شيء قط . وقد يرقد ويستمر على هذيانهِ طرباً في الغالب ولكل من حواسهِ خيال يتمتع منهُ بلذة فيطرب لضرب عود يسمعهُ او عزف مزمار او صوت رخيم ينشد أبدع الاناشيد او يتناول من المآكل اطيبها واشهاها او يتناول من وسادتهِ او طرف ثوبهِ شيئاً يتفنن في مطارحتهِ ضروب الغزل والحب والهوى واذا تناول من الحشيش كمية وافرة كان في الغالب شرساً في هذيانهِ هائجاً فيأخذ منهُ التخدر كل مأخذ ويبادر اليهِ السبات ثقيلاً فيفعل الحشيش فيهِ فعل الكلوروفرم فيستغرق في نومهِ . لذلك استعملهُ الصينيون استعمالنا للكلوروفرم لتنويم العليل للاعمال الجراحية . فيستيقظ وقد اضنى التعب قواهُ العضلية والعقلية ويستمر على هذه الحال اياماً

وقد خبر بعضهم تأثير الحشيش الفيسيولوجي في خنزير الهند (الكوباي) من الحيوانات فتبين لهم ان الحيوان المذكور اذا تعاطى غراماً الى غرام ونصف استرخى ونعس وتحير في حركاتهِ واقشعر بدنهُ اقشعراراً يشتد بهِ لاقل مؤثر يؤثر فيهِ تهيجاً وبقي لهُ حسهُ ثم مات لثلاثة او اربعة ايام من تعاطيهِ الحشيش فيخصر تأثير الكهربائية في عضلاتهِ ولا تؤثر في اعصابهِ . فشرحوهُ ووجدوا ان الاحتقان قد اصاب دماغهُ واغشية دماغهِ وارتشح شيء من دمهِ الى اغشية الدماغ والبلورا واحتقنت رئتاهُ . ومما ظهر لهم من اعراض التسمم المزمن في الكوباي نقص بدا لهم في ثقلهِ واضطراب مؤخر جسمهِ في حركاتهِ وهزالهُ وما الم بهِ من الاسهال

خلاصة القول

أن الانسان اذا تعاطى الحشيش اعتل دماغهُ وعضلاتهُ واختل جهاز الهضم من بدنهِ فيطلب الاكثار من الطعام اذا تعاطى القليل من الحشيش ويأباهُ اذا تعاطى الكثير منهُ الى غير ذلك . ومن سمية الحشيش تسمماً حاداً عالجوهُ بالحوامض والستركنين اما الشاي والقهوة فيزيدان فعلهُ قوة . هذا واذا استمر الانسان على تعاطي الحشيش تغيرت هيأتهُ وانقلبت سحنتهُ واصفر لونهُ اصفرار المصاب باليرقان وكان ابله شرساً ظاهر البلادة قليل الشعور ضعيف العضل وظهرت علامات ذلك كلهِ عليهِ واضحة جلية وتحير في حركاتهِ وفقد شهية الطعام بل تلفت قناتهُ الهضمية الى غير ذلك من الآفات تلم بهِ الى ان يصاب بالعته او الجنون وبالهزال والسل فيموت . نسأل الله ان يلطف بعبادهِ ويقيهم شر هذه الآفة وما يترتب عليها من سوء المصير الدكتور توفيق صوصه

اساطير الاولين

من العلماء العصريين من زعم ان عباد الوثن ليس لهم دين بل دينان احدهما الاساطير وثانيهما الديانة

والاساطير في اللغة جمع اسطورة للحديث المدوَّن كذباً وهي كلمة تنطبق على لفظة مثولوجيا اليونانية المركبة من كلمتين مثوس بمعنى اسطورة ولوغوس بمعنى كلام فهي اذا عُرِّبت حرفياً كانت كلامٌ في الاساطير ويراد بها التعليم الذي يبحث فيهِ عن عقائد الوثنيين القدماء والاقاصيص الموضوعة عن معبوداتهم وما وراء ذلك من الاسرار والرموز

وكان الوثنيون يستفيدون من تلك الاساطير الوقوف على اخبار اوثانهم وما يتخللها من الاقوال للتحلية بآدابهم والاقتدا بما يستطيعون من فعالهم او تجنب ما يسيء تلك المعبودات ويدينون لطقوس ديانتهم توصلاً لمرضاتها

والوثن في اللغة العربية ما يُعبد من دون الله ويقال للوثني في الفرنسية Paīen وبالانكليزية Pagan وكلاهما مشتقان من كلمة Paganus اللاتينية وهي بمعنى فلاَّح على ان الكلمة اللاتينية لم تكن اسم الوثنيين في عصورهم بل هي من اوضاع النصارى حين استفحال امرهم وغلبتهم الوثنيين على السيادة في الرومان فكان من دان منهم بالنصرانية اتسم بها ومن ظلَّ على الشرك وعبادة الوثن لجأ الى الجبال العصم واتخذها مقرًّا مبتعداً فيها عن السلطة المسيحية فغلب على هؤلاء اسم الفلاحين ثم صار علماً للوثنيين

ومن رأي بعض الباحثين ان القوم في بادىء امرهم كانوا يعبدون الله تعالى ثم كرَّت عليهم العصور فغووا وضلُّوا سواء السبيل وشرعوا يعبدون ما يرونهُ عظيماً جليلاً ولا يفقهون لعظمتهِ سرًّا كالشمس والقمر والنجوم والجبال والانهار والاشجار وبعض الحيوان والانسان وكانوا يكثرون من المعبودات بنسبة ما يرون من عظمة الموجودات حتى تعددت عندهم الاوثان وتنوعت الاَّ ان اليونان والرومان اخذوا تلك العبادة وحصروها في اوثان مثلوها بشراً

وكأني بهم انما عددوا معبوداتهم تأليهاً لفضائل بعض نوابغهم على انهُ بقي لهم رأي في التوحيد ولكن طمس عليهِ الدهر ولم يبقَ الاَّ في صدور بعض كهانهم يؤيد هذا ان بعض النوابغ من حكماء الصين والهند وفارس ومصر واليونان قالوا بالوحدانية ان لم يكن صريحاً فتلميحاً

ولاخفاء ان لعلماء الغرب عنايةً في استيضاح خفيَّات الدهور ولذلك فانهم بذلوا جهد المستطاع في دراسة المؤلفات القديمة استجلاء لعقائد الامم السالفة ليتم لاهل التاريخ الاطلاع

على شؤون الذين عمروا الكون من قبل وجمعوا شوارد الاخبار عن هاتيك المعبودات ونقبوا عن تواريخها وفحصوها حتى ظهرت لهم علاقتها مع آداب القوم وصناعاتهم وفلسفتهم فاصبح الكلام فيها لهذا اليوم علماً قائماً بذاته لما اتخذوهُ في سبيل الوصول اليها من الطرق الفلسفية وناهيك بان لهذا العلم فائدة يرتاح اليها الآخذون خصوصاً بعلم فلسفة التاريخ لما فيهِ من استجلاء غوامض الاديان الوثنية

ولقد كان القوم حتى قبل منتصف القرن التاسع عشر يقرأُون اقاصيص المعبودات لاسيما اليونانية منها فيحسبونها خرافات اولدتها تخيلات الشعراء تزييناً لكلامهم او ايجاداً لموضوع تجول فيهِ سوابق افكارهم او انها من ترهات كهانهم يخرفون بها على عقول عامة الناس وناهيك باوهام العامة وجهلهم ولكن ما عتم العلماء ان ازجوا اليها ركاب البحث لما وجدوا لها من المقام العالي في مخيّلة الشعراء والنحاتين الذين ظهرت ابدع نتائج قرائحهم وازاميلهم في تمثيل بعض هاتيك المعبودات والالمام باقاصيها فلما انعموا فيها نظراً دقيقاً وسبروا غورها بمسبار العلم العصري وجدوها ذات معانٍ دقيقة تدلُّ على مقام واضعيها من الحكمة والسداد اذ تبين لهم ان منها ما تضمن من الحكم والدقة في معرفة طبائع الكون وحوادث الدهر ما يستوقف النظر وناهيك ببعض آدابها الغراء وما حوت ايضاً من صفات الالوهيَّة والنفس البشريَّة ومعادها مما يظهرها للناقد العصري فذلكة العلم والحكمة ظاهرةً في ثوبٍ خرافيّ. فلما تبيَّن علماء الفرنجة ذلك من بعضها سعوا في دراسة سائرها فادركوا مغزى معظمها وفقهوا سرَّ وضعها وحسبوا ان عامة معتقديها لم يكونوا عارفين باسرارها وانما كانت الحكمة من واضعيها على ان الكهّان كانوا يتخذونها سبيلاً للمخرقة على عقول العامة حتى تأصلت فيهم بكرور الايام ظواهر معانيها وعمَّت طبقات الامم ترّهات اقاصيصها

الاَّ ان تعميم الاعتقاد بها من خاصة الناس وعامتهم وركون القوم الى تصديق ترهاتها بما كان يدسهُ الكهان من تحقيقها في الاذهان لم يكن ليمنع العقول السامية في مدى تلك العصور من ان تقف حيرى عن اعتقاد صحتها لما فيها من مخالفات العقل ولم يكن بالمستطاع يومئذٍ نشر افكار المشككين لما يحول دونها من قوة الكهان الهائلة ولان تشكيكهم لم يكن الاَّ اتفاقاً لانتاج البحث العلمي على شاكلة ابحاث العلماء في عصرنا فظلَّ المشككون في ريبتهم والمعتقدون على غوايتهم والتساهل في الامرين ضارب اطنابهُ على حدّ ما قال المؤرخ المشهور غبون في كتابهِ تداعي الدولة الرومانية وسقوطها ما تعريبهُ : لان سياسة القياصرة والملاء الاعلى (السناتو) من حيث الديانة كانت لسعدهم موافقةً لاراء المستنيرين من الامة ولما

اعتاده اصحاب الخرافات حتى ان القوم كانوا يعتبرون ضروب العبادات الجمة التي كانت شائعة يومئذ في العالم الروماني انها جميعها صادقة بينما يراها الفيلسوف منهم انها جميعها كاذبة ولكن ارباب الحل والعقد يعتقدونها جميعها نافذة وعلى هذا انتج التساهل لهم تبادل الاحتمال بل الاتفاق الديني اه

ومما وجد علماء العصر من خصائص هذه الاساطير انها جمعت بين الرموز والاقاصيص والمبادىء والعقائد والحقائق الدينية جمعاً جعلها كلها كتلةً واحدة متداخلة الاجزاء يكاد يحار الراغب في تجريد بعضها عن بعضٍ فهي لا يقصد بها نشر الاكاذيب عن المعبودات بل تخفو غايةً اسمى الاَّ وهي الافصاح عن طبائع الكائنات والمبادىء الادبية والآراء الدينية وكلها محوكةٌ معاً وممتزجة بوقائع كانت منشأً لتلك الاسطورة واما الرموز فان هي الاَّ مجنسع طقوسي ذات معانٍ خفيةٍ يحار فيها اللبيب على انهُ ليس بالمستحيل على علماء عصرنا ان يحلوها ويجلوها ليكشفوا اسرارها للناس

وليس في الامكان الوقوف عند القواعد العامة التي كانت تدعو لوضع تلك الاساطير فان الاسباب التي تحمل على وضعها تكاد لا تحصى الاَّ انهُ يستفاد من آراء بعض الباحثين ان بعض الافراد كانوا يخدمون اوطانهم خدمةً نصوحاً كأَن يشترعوا لهم السنن او ينظموا الشؤون او يمصروا الامصار او يهاجروا بهم الى المواطن التي يختارونها او يسودوا فيهم ويحسنوا اليهم او يردوا عنهم الغارات او يأتوا غير ذلك من الاعمال الجليلة التي تعود على الامة بالخير والمجد حتى اذا قضى اولئك المحسنون وبقي ذكرهم في الامة حياً كافأُوهم بتخليد اعمالهم وتأليه ذواتهم ابتغاء رفعهم فوق امثالهم من الناس وربما ادعوا لهم النسبة اسلالة الهية فيزداد بكرور الايام تذكار فضلهم وتعلو حكاية اعمالهم عن مطابقة الواقعة المألوفة فهي الاسطورة مأخوذة عن التقليد تدوَّن في القرطاس وتحفظ دهوراً

ولكنَّ تأليه الافراد لم يكن كل مصادر الاسطورة والديانة بل ان ثمة مصادر اخرى لا تقلُّ عن تلك شأناً اريد بها الحوادث الطبيعية كنمو النبات وترتيب الكائنات وهبوب الرياح وقصف الرعود ولمعان البرق واشتداد العواصف ونزول المطر والثلج وشروق الشمس وطلوع القمر ولمعان الكواكب وجري الانهار وغير ذلك مما يجد الانسان من العظائم في الانسان والحيوان والجماد كأَنهم كانت تحار فيهِ البابهم فلا يجدون عنهُ منصرفاً الاَّ اذا شفت غلتهم رواية اسطورةٍ يبتدعونها

ولقد قسم بعض علماء العصر تلك الاساطير الى قسمين اولهما التقليدي او التاريخي وهو

ما حوى وقائع القوم واخبار الجبّارين ومهاجرات القبائل وتمصير الامصار واعتلاء شؤون بعض البيوتات المالكة . والقسم الثاني الديني او اللاهوتي وينطوي على العقائد بطبائع الآلهة وعلم الآداب وتهذيب الاخلاق وبعض العلوم واخصها الفلكية الى غير ذلك

الاَّ ان هذا التقسيم غير مقبول عند جلّة العلماء لما فيهِ من مخالفة حال الاساطير لان معظمها تحوي مزيجاً من مواضيع شتّى فيعسر الحاقها بالقسم المحسوبة منهُ الاَّ تسامحاً

ولقد عسر على الباحثين في نشأة الاساطير ان يتتبعوا سيرها منذ تألفها ليفقهوا امرها هل تدرجت الى حالها تدريجاً جرياً على كثير من الشؤون او برزت للوجود على طرزها المألوف وكذلك ما برحوا يجهلون سرّ اندماج الرموز في اشعار الشعراء لاسيما وان الشعر اليوناني محوك بالاساطير حتى صار بها سدةً ولحمة

ومما ارتأى بعضهم ان تلك الاساطير ولئن كانت مبعث الشعر والنحت او سبباً فعالاً في تحسينهما وبلوغهما عند بعض الوثنيين مبلغاً عظيماً فانها هي السبب الفاعل في تأخرهما عند آخرين ذلك لان الفنون الجميلة تقتضي مبدأ الحرية والاستقلال لبلوغ الغاية في العمل ولا حرية للشاعر اذا اراد ان يقتبس من الاسطورة حديثاً فانهُ يتقيد باوضاعها ولا يبقى للخيلة الاَّ مجالاً محدوداً كأنهُ الشاعر العربي في عصرنا هذا اذا تقيد بتحدّي الشعراء السابقين عجزت مخيلتهُ عن التوسّع في الخيال فتجيء اشعارهُ كأنها ظل القديم ليس عليها شيء من طلاوة الشعر ورونقهِ . ويحاكي الشاعر في تقيدهِ النحّات والمصوّر فانهما يتقيدان بما في الاسطورة من الاوصاف فلا يستطيعان ان يطلقا العنان لتصورهما ناهيك ان التحسين في الصناعات يقتضي الذوق لاستحسان الجميل وهذا لا ينال الاَّ في طلاوة الجديد وحسن الاختراع

ولكن ما عتم هذا القيد ان التي بهِ بعيداً وابتعد ارباب الفن عن التقليد فمثلوا كل اساطيرهم تمثيلاً بشرياً وحبوا اربابهم المذكورة فيها الهيئة الانسانية وخصائصها فشذوا بذلك عن الوضع الاول واصبحت الاساطير كانها قسمان قديم وحديث ولهذا قال هيرودوت المؤرخ ان الآلهة اليونانية من وضع الشعراء

وبين اساطير اليونان والامم الشرقية بوناً بما ترى من الخصائص البشرية في معبودات اليونان خلقاً وخلقاً بين ترى الرموز الطبيعية ظاهرة على اقاصيص الشرق ذلك لان اليونان كانوا يتخذون الانسان قاعدة فيمثلون بهِ كل شيءٍ في الوجود

ومما ذهب اليهِ بعض الباحثين ان من الاساطير الاولى أُخذت مبادىء الفلسفة وجرى عليها الحكماء بعد ذلك ولكن ردَّ عليهِ بعضهم بان الآراء الواردة في بعض تلك الاساطير لم

تأت الأ اتفاقاً والحكمة لم تأت الأ بنت البحث والروية نعم انهم لا ينكرون حقيقةً ظاهرة هي ان من اساطير بعض الامم المتمدنة كالكلدان والفرس والمصريين ما تحوي كثيراً من مبادىء الحكمة والسداد والعلم الصحيح

وليس للاساطير هذه وطنٌ فردٌ اي انها لم تكن عند امةٍ دون أُخرى بل انها اعتقد صحتها كل العالم المعروف من قبلُ ولم ينجُ من ضلال الوثنية واساطيرها الأ الاسرائيليون قبل المسيح والنصارى والمسلمون من بعده فالكلام فيها يشمل معظم الامم القديمة و بعض الحديثة كالمصريين والكلدان والاشوريين والبابليين والفينيقيين والسوريين والفرس و الماديين والهنود

واساطير هؤلاء الامم وعباداتهم اتصلت باليونان فالرومان فاثرت في عباداتهم الوطنية تأثيراً ظاهراً ولكنها لم تكن هي الوحيدة بين مثيلاتها بل كان ثمة للجرمان والسكندناف والبريتون والغالة وغيرهم من امم اوروبا عبادات واقاصيص الأ انها لم تؤثر في ما كان منها يونانياً او رومانياً

وتنعت الاساطير اليونانية والرومانية بالمدرسية classique وهي ما يُعلم من نوعها ولدراستها المكانة العليا لما تكشف به من الحقائق سواء كان في اللغتين اليونانية او اللاتينية او في تاريخ الامتين وآدابهما حتى انهم ليعسر فهم مؤلفات الامتين والوقوف على شذرات اقلامهم قبل الوقوف على اساطيرهما واخبار اوثانهما لان لديانة الامتين دخلاً عظيماً في شؤونهما المدنية والسياسية

بل ان بعض كتبة عصرنا هذا يكثرون من التلميح والكنايات والاستعارات المقتبسة من اساطير اليونان والرومان كل ذلك يجعل دراستها في مكان عظيم من اللزوم

قلت ان اساطير اليونان والرومان تنعت بالمدرسية وليس هذا الوصف خاصاً بالاساطير بل عاماً لكل ما كتبهُ كتّاب الامتين وقد اطلقهُ علماء اوروبا منذ ابتداء نهضتهم الادبية على ما اتصل بهم من مؤلفات اليونان والرومان للاشارة الى تفوقهِ واعتمادهم ثقةً في الاخذ عنهُ في المدارس لان جميع المدارس العليا في اوروبا واميركا كانت توجب على الطلبة فيها ان يتعلموا اللغتين اليونانية واللاتينية لاستطلاع مؤلفات القوميين في لغتيهم ولهذا نعتت كتاباتهم بالمدرسية

الأ ان اليونان على علو قدرهم لم يكونوا واضعي ديانتهم ولا مؤلفي اساطيرها ولا كان كذلك الرومان وانما كلتا الامتين من جرثومةٍ واحدة هي الاريةُ وقد استمدتا ديانتيهما من ذلك المصدر كما استمدَّ منهُ اخوانهم الهنود والفرس وغيرهم الأ ان الصلات السياسية والتجارية

بين الامم سهلت لهم الاطلاع على عبادات بعضهم وتبادل الاقتباس . ولهذا تجد الديانة عند اليونان متكيفة عن اصولها بما داخلها من التحويز والاصلاح

وليس هذا الاقتباس محصرًا في الامتين بل نجد كثيرًا من الامم تأخذ ضربًا من عباداتها عن غيرها او تدخل في زون اربابها وثنًا جديدًا كما سنبين ذلك في فرصة اخرى

جرجي يني

الانتحال

او سرقة الشعر والنثر

قال طرفة بن العبد

"ولا أُغير على الاشعار اسرقها غنيتُ عنها وشرُّ الناسِ من سرقا"

ولو كان في ايامنا لقال

والنثرُ كالشعرِ ايضاً من نَحلهُ عليهِ بين الورى اسمُ السارق انطبقا

يُطلق السارق او اللصُّ على من يعمد الى جدران البيوت والناسُ نيامٌ والليلُ مرخٍ سدولهُ فينقبها و ينسلُّ الى داخلها ويجوس خلال الغرف والمخادع ويتلقفُ ما خفَّ حملهُ وغلا ثمنهُ او على من يترصد أبناء السبيل مرابطاً مباغتاً حتى اذا هبطوا بطن وادٍ او جازوا قفرًا خاليًا انقضَّ عليهم من مكامن الطرق او مغابن الكهوفِ وسلبهم مالهم واشياءهم . او على خارب الابل وناهب المواشي او على من يخطف اولاد السودِ من عن ضفة نهرٍ او جانب غابة او حضيض جبلٍ و يبيعهم للنخاسين بيع السماح او على خاطف السمع الذي يسرق ما يوحي بهِ ويجلى فيرمى بالرُّجم من الجو الاعلى

هؤلاء يعرفهم القارىء بانهم سرَّاقٌ ولصوص لانهم يخطفون و يخربون و يسلبون وينهبون وهم مذنبون بحكم جميع الشرائع والاديان ومذمومون بكل شفةٍ ولسان . لكنهُ قد يجهل ان بين اهل اللصوصية فريقاً يتلقف ما هو اكرم من المال و يتخطف ما يفوق كل عزيزٍ وغالٍ وهو آمنٌ في سربهِ مطمئنٌ في قلبهِ لا تنالهُ يدُ القانون باخف جزاء . ولا يعكر عليهِ الرأي العام اقل صفاء . وهو المنقضُّ على سرَّاق البيوت وقطَّاع الطرق وخرَّاب الابل من على منبر الخطابة بصواعق المطاعن والمثالب . والمرهف من غمد جريدتهِ او ديوانهِ او كتابهِ اقلامًا امضى من السيوف القواضب

هؤلاء يشنون غارة شعواء على مبتكرات القرائح ومواليد العقول ونتائج الافكار وينتهبون ما شاؤوا من منظوم او منثور وينتحلونهُ اي يدعونهُ لانفسهم غنيمة باردة ورزقاً مشاعاً كانهم أُوتوهُ حلالاً طيباً وهو السحت الحرام

ومعلوم انهُ شاع قديماً بين العرب شيء من السرقة الشعرية كأن يستعين الشاعر بصدر او بعجز او ببيت كامل لشاعر آخر او يلمّ بمعنى سبقهُ اليهِ غيرهُ دون أن يشير الى ذلك بكلام يدفع عنهُ تهمة الانتحال . على ان العرب لم يسمحوا بهِ مع كونهِ طفيفاً بل انكروهُ وعدُّوهُ سرقة كما مرَّ بنا في صدر هذه المقالة . وكأنَّ عزَّة النفس التي عُرفوا بها وأُثرت عنهم وقفت بهم عند هذا الحدّ من الانتحال فلم يُنقل عنهم أنهم تعدَّوهُ الى اكثر من ذلك او تجاوزوهُ الى النثر المسجَّع والكلام المرسل . ولا سمعنا قطُّ أنَّ كاتباً منهم تعمَّد انتحال مقالة لغيرهِ بل من يراجع تآليفهم ومصنفاتهم يجدهم اشدَّ الناس احتراساً من انصراف اقل تهمة اليهم من هذا القبيل واعظم كتَّاب الارض ترفُّعاً عن مثل هذه الدنايا واسبق ارباب الاقلام الى الاعتراف بفضل من تقدَّمهم وذكر من نقلوا عنهُ واستعانوا بكلامهِ على تأييد ما قصدوا إثباتهُ او نقض ما ارادوا نفيهُ . واذ لم تعرف عندهم علامات الاقتباس التي شاعت عندنا في هذه الايام نقلاً عن اللغات الاوربية كانوا يدلُّون على ما يأخذونهُ عن غيرهم بكلمة قال و يكثرون من تكرارها الى حدّ يوجب السآمة و يورث الملل

اما في هذه الايام فقد زاد سوادُ المنتحلين حتى كاد عدد سرَّاق القصائد والمقالات يربي على عدد الشعراء الحقيقيين والكتَّاب الصادقين . وقد بلغت بهم الجرأة حداً لا نعجب بعدهُ ان رأيناهم يفعلون بارباب الاقلام ما فعلهُ لصوص مكدونية والمغرب الأقصى بمسيون والولدين الاسبانيين فيختطفون أُسيلهم قريحةً واجرأهم يراعاً الى حيث يعتقلونهم ويقترحون عليهم نظم الداووين وانشاء المقالات وتأليف الكتب وتعريب الفصول فكاكاً من الاسر وفداء من الاعتقال

وهذه النكبة الفادحة التي رُزىء بها اصحاب الاقلام في الشرق هي من اكبر آفات النشأة الادبية والنهضة العلمية كأنَّ نكد الجدّ أبى ان يفارق الشرق فلا يكاد يجتاز في طريق ارتقائهِ عقبة كؤوداً حتى تعترضهُ عقبات ولا يظفر بالتغلُّب على آفة حتى يلاقي بعدها آفات والاَّ فقل لي في اي بلاد غير بلادنا يقوم أُناس ادعياء يحسدون شعراءها و كتابها على موتهم او على رزقهم الضيق الراشح من شق القصبة فينتحلون قصائدهم ومقالاتهم ويدَّعون الشعر والكتابة والصحافة بلا استحقاق واستعداد كدعوى آل قيس في زياد . و يزيدون بضاعة

الادب كساداً يقطع منها وتين الرواج والنفاد

ولما وطّنت النفس على الكتابة في هذا الموضوع عولت على حصر البحث في الانتحال النثري الذي استشرى خطبهُ واستطار شرّه في مصر والشام واصبح ضربة على ارباب الاقلام . لكني اذ اطلعتُ احد اصدقائي على مرادي رغب اليَّ أن أُوسع للانتحال الشعري مجالاً في البحث لانهُ باتَ ايضاً داء فاشياً فامتثلت اشارتهُ وعوّلتُ ان اكتفي من ذلك بذكر حادثتين فقط احداهما أنَّ احد مشاهير الشعراء في بيروت عزم على جمع ما تفرَّق من شعره ليطبعهُ ديواناً فأعلن ذلك في الجرائد وطلب صورة بعض قصائده ومقاطيعهِ من صديقٍ لهُ فانكرها عليهِ بتاتاً و بعد البحث عن علةِ إنكارهِ لما ظهر انهُ ضمَّها الى ما عندهُ من بضاعة الشعر المزجاة متوقعاً وفاة ناظمها اطال الله عمرهُ فيطبعها منتحلاً لها برّاً بعهد الصداقة والادب وخلطاً للدرّ بالمخشلب

والثانية انَّ احد المتشاعرين او الشعارير كلَّفني ان انظم تاريخاً في تهنئة وجيهٍ انعم عليهِ بالوسام العثماني وقد اقترح عليهِ ذلك احد اصدقائهِ مصدقاً دعواهُ في الشاعرية فاجبتُ طلبهُ ونظمت التاريخ ولما اعطيتهُ اياهُ سألتهُ أن يحفظ لي صورتهُ و يردّها اليَّ بعد نقلها فوعدني ذلك ثم انقضت الايام والشهور ولم احصل من تذكيري لهُ بالوعد على سوى المطل والتسويف واخيراً علمتُ انهُ ادّعاها لنفسهِ وقد مزّق صورتها الاصلية حتى لا يبقى لي سبيل الى إثباتها بين منظوماتي لكن سوء الطالع خيَّب رجاءهُ وكذَّب ظنَّهُ من حيث لم يدرِ فاني عثرت لها بعد ذلك على اصل بين اوراقي ودوّنتها عندي

وفيما انا عازم على اثبات هاتين الحادثتين بالتفصيل عرض لي بالاتفاق غريب حادث آخر شغلت عندهُ شعابي جدواي فاجتزأْت بما قدّمتُ فيهما من الاجمال اليسير . وابقيت التفصيل لهذا الحادث الاخير

وهو ان صديقاً لي اعطاني نسخة من ديوان الشاعر المشهور المرحوم الشيخ نجيب الحداد واذ كنتُ لم اطالعهُ من قبل فتحتهُ واخذت اقلّب صفحاتهِ لارى موضوع قصائدهِ ومقاطيعهِ وسائر منظوماتهِ شأن من يطالع كتاباً جديداً فاستمال نظري عنوان قصيدةٍ في وصف القمر وقبل تلاوتها تذكرت اني لما كنت في بيروت عثرت في اواخر الربيع الماضي على بعض قصيدة في الموضوع نفسهِ لاحد شعرائها مدرجة في الجزء الخامس من احدى مجلاتها واسعدني الحظ ان ذلك الجزء محفوظ عندي فجئت بهِ على الفور وفتحتهُ بازاء ديوان الشيخ نجيب وعكفت على المقارنة والمقابلة لعلي امتع النفس بمشاهدة شيء من الغرائب والنوادر الناتجة عن توارد

الخواطر الذي لم ينفرد شعراء العرب في القول بهِ والاجماع عليهِ الاَّ ليسهلوا على المتشاعرين سبيل السرقة فيغيرون على جوهر الشعر المكنون . ويبذلون بالانتحال ماء المحيا المصون وهم آمنون مطمئنون لا خوف عليهم ولا هم يحزنون

وما قضيت في هذه المقابلة بضع دقائق حتى رأيتُ ما قضى بعجبي واستغرابي وكاد يذهب برشدي وصوابي . اذ وجدت في بعض تلك القصيدة البيروتية اثني عشر بيتاً مأخوذة من قصيدة الشيخ نجيب على وجه السلخ والمسخ وغيرها من انواع السرقة المنصوص عليها في مطولات البديع ولعلَّ احسن عذرٍ نتمحَّلهُ لصاحبها انها سرقةٌ باصول ??

ولكي يكون القارىء على بينةٍ من صحة ما ذكرت أُثبت في ما يلي ابيات الشيخ نجيب بلها بما في القصيدة الاخرى . قال الشيخ نجيب

قرين الارض ليس يغيب عنها ... ولكن لا يواصلها القرين
يدور بها ولكن حين يدنو ... يفرُّ فلا يجيب ولا يلينُ

اخذهُ شاعرنا البيروتي فقال

وليدُ الارضِ انت ولا وليدٌ ... سواك بها يخامرها السرورُ
ولم يبرح بها برًّا رؤوفاً ... محبًّا حولها ابدًا يدورُ

وقال الشيخ

وتصفرُّ النجوم اذا تبدَّى ... كما يصفرُّ من حسدٍ جبينُ

اغار عليهِ صاحبنا وقال

سفرتَ وقد علا الزهرَ اصفرارٌ ... ولونها فراحت تستجيرُ

وقال الشيخ

تمرُّ بهِ السحائب مسرعات ... فيخفى تحتهنَّ ويستبينُ

سلخهُ شاعرنا وقال

وتحسدك الغيوم تمرُّ مرعى ... فيخفى نور وجهك ذا المرورُ

وقال الشيخ

فتحسبُ منهُ انَّ هناك ماءً ... ولا ماء هناك ولا عيونُ
ولا نبتٌ عليهِ ولا حياةٌ ... ولا نسمٌ ولا غيثٌ هتونُ

مسخهُ السارق الاصولي وقال

فتحسبُ ان وجهك لج بحرٍ ... ولا بحرٌ هناك ولا غديرُ

ولا نبتٌ ولا حيوان فيهِ ولا نغمٌ ولا طيرٌ يطيرُ

وقال الشيخ

جنازة ميتٍ لا نعش فيها ولا ايدٍ حملنَ ولا انينُ

نقلهُ استاذنا فقال

كأنَّ جنازةً لا ميت فيها ولا ندبٌ شجاك بهِ يثورُ

وقال الشيخ

حويتَ عجائباً فدعاك قومٌ الهاً حبهُ في الناس دينُ

تناولهُ اديبنا فقال

وفيهِ عجائب فدعاهُ قومٌ الهاً فعلهُ في الكونِ خيرُ

وقال الشيخ

فياشبهَ الحبيبِ حويت منهُ بهاهُ وفاتنا منك الفتونُ

حرَّفهُ المعارض البارع فقال

ايا بدر الظلام حويت جلاً من الاوصاف يعلمها الخبيرُ

وقال الشيخ

لنا في كل شهرٍ منك شكٌّ ولكن ليس يمهلهُ اليقينُ

باراهُ فيهِ المجلي فقال

لنا في كل شهرٍ منك هلٌّ نعرف ما تهلُّ بك الشهورُ

وقال الشيخ

وقاك الله كم تفني قروناً ولا تفني محياك القرونُ

تلقفهُ اللبق فقال

فكم تفني العصورَ ولستَ كهلاً تبيّض شعر مفرقك العصورُ

وقال الشيخ في الختام

ترى فيك البداءة كيف كانت قديماً والفناء متى يكونُ

وهل يبقى الوجود بلا فناءٍ وهل تعفو عن الشهب المنونُ

كوائن ليس يدري السرَّ منها سوى من امرهُ كاف ونونُ

تخطَّفها خاطر صديقنا في الختام ايضاً فقال

اتخبرني البداءة كيف صارت وتصدقني الفناء متى يصيرُ

وهل يبقى البقاء بلا فناءٍ لمخلوقٍ وشهب لا تغورُ
مسائلُ ما درى الاسرار منها سوى من نعت عزتهِ القديرُ

هذا ما رأيتهُ في بعض هذه القصيدة العامرة فكم يكون فيها كلها ؟ بل كم يبقى عليها من الستر بعد تجريدها من الفاظ الشيخ ومعانيهِ وتعابيرهِ وتراكيبهِ ؟ اكثر مما بقي من "صبيرةِ طمسن" وبقي على القارىء ان يلاحظ الفرق العظيم بين بلاغة الاصل وفهاهة الفرع وبين متانة قوافي الشيخ وركاكة قوافي المنتحل . ولعلَّ شاعرنا البيروتي يدفع عن نفسهِ تهمة الانتحال ويدَّعي المعارضة ولكن عندي ان دعوى توارد الخواطر اسهل عليهِ من دعوى المعارضة . فليتمسك بهذه ويترك تلك عفا الله عنهُ وتاب عليهِ . ورحم الشيخ نجيب عداد إساءة هذا الشاعر اليهِ

ومما يحضرني من الشواهد على السرقات النثرية اني كتبتُ مقالةً موضوعها "لا تؤجل الى الغد" ونشرتها في الجنانِ . وبعد نحو سنتين اغار عليها احد المتطفلين على موائد الكتابة وعني بنقلها عن الجنان عناية كتبة اليهود بنساخة التوراة في قديم الزمان وارسلها الى النشرة الاسبوعية فطبعت ونُشرت بتوقيعهِ . ولما اعلمت ادارة النشرة بالامر واطلعتها على سرقة ذلك الدعيّ أبت نشر كلامي حفظاً لكرامتهِ وعندي وعند كل عاقل انَّ النشرة أخطأت باسرافها في الرفق واللطف اذ لو نشرت ما ارسلتهُ اليها في هذا الصدد لكان في ذلك عبرةٌ لهُ ولكثيرين من امثالهِ

ومنذ نحو شهرين نشر المقطم في صدرهِ مقالةً افتتاحية عنوانها "الفونسو الثالث عشر ملك اسبانيا" فلم يمضِ على ذلك الا بضعة ايام حتى رايتها مثبتة في احدى الجرائد المصرية برمتها دون ان يسبقها اقلّ كلمةٍ او اشارةٍ تشير الى نقلها عن جريدة اخرى تحت السماء وعرَّب المقطم خطبة وليّ عهد انكلترا عن احدى الجرائد الانكليزية وبعد برهة وجيزة . صدرت جريدة اسبوعية في القاهرة تميس في برد تلك الخطبة القشيب غير ذاكرة المقطم ولو بكلمة ثناء على تجشمهِ مشقة التعريب

ولو شئتُ ان أُشير الى كلّ ما يسرق منهُ وينقل على هذا الاسلوب عنهُ من المقالات الكبيرة والقطع الصغيرة لمللتُ وامللت

لكنَّ المجلة الوحيدة التي توثّب فيها سرّاق النثرِ في مصر والشام وازدحموا في بابها "والمنهل العذبُ كثير الزحام" هي مجلةُ "المقتطف" التي استباح اولئك المنتحلون مقالاتها العلمية والفلسفية وفصولها الاجتماعية والادبية ومباحثها الزراعية والصناعية وفوائدها الصحية

والطبيعية وغير ذلك من مندرجاتها النافعة ومحتوياتها المفيدة فذخرها بعضهم عدةً لجريدتهِ وبعضهم مصدرًا لمكاتباتهِ و بعض الاساتذة خزانة لخطب طلبتهِ ومباحثاتهم و بعض الخطباء والواعظين جعبةً لنصائحهم وارشاداتهم ولا تَسأَل عن الرسائل والنبذ والكتب التي أُلفت في العلم والادب والصنائع والفنون ووضعت اجزاء لتعليم القراءة وقد شحنت بمقالات المقتطف وفصولهِ ومباحثهِ دون ان يتنازل اصحابها الى التكفير عن سيئاتهم هذه بحسنةٍ واحدةٍ وهي الاشارة الى انَّ ما نقلوهُ او سرقوهُ مأخوذ عن شيخ المجلات الذي قضى ستًّا وعشرين سنة في خدمة العلم والادب وترك عشرات الالوف من الصفحات مكتوبة بمداد العمر لا باسود الحبر وبيراع المشقة والتعب لا بالقصب وعلى صفحات السهر والارق لا على قرطاسٍ وورق

وفضولٌ مني أن أُشيرُ الى فضل هذه المجلة بعد ما شهد بفضلها الخاصُّ والعام ولكن يشقُّ على الحرّ الكريم ان يطمع بعض ادعياء الكتابة في حماها ويتهافتون من كل فجّ على تهضم جانبها وسلب حقوقها و بخس أشيائها او ليس من الكياسة وسلامة الذوق أن نستأذن في في نقل كلّ ما يراد نقلهُ وهي لا ترد سائلاً ولا تمنع ناقلاً او تذكر على الاقلّ في مستهلِ النقل او ختامهِ قضاء لواجب الادب ووفاء لحق الخدمة ؟

ولعلَّ بعض المقتصرين في سرقاتهم على المعرَّب في السياسة والعلم يستسهلون الامر ولا يحسبون ذلك شيئًا كأنَّ التعريب عندهم سهل المنال وبالتالي يجوز انتحال المعرَّب خلافًا لما أُلفَ او صُنّفَ . لكنَّ الواقع غير ما يتوهمون ولو وسع المقام لبينتُ لهم انَّ التعريب صعبٌ كالتأليف والتصنيف وكثيرًا ما يكون اصعب منهما كليهما وانَّ حقَّ الكاتب في ما يعربهُ كحقهِ في ما يؤلفهُ او يصنفهُ

فليت الكتَّاب البلغاء . والشعراء الادباء الذين قضوا في مزاولة هذه الصناعة الشريفة الاعوام والسنين . وتعهدوا ملكتها المغروسة فيهم بعرق الجبين لا بماء المعين . يشبون حربًا عوانًا على سرَّاق الشعر والنثر . و يشددون عليهم النكير في السرّ والجهر . حتى يرعووا عن هذا الامر المعيب والله حسبي واليهِ انيب القاهرة اسعد داغر

باكون وشكسبير

هوميروس

من اغرب الغرائب ومساوىء الصدف ان يكون اجود ما نظمهُ البشر من الشعر اليوناني والانكليزي وما نظم من الشعر الحماسي في العربية معرض الشك والريبة من حيث ناظمهُ . فقصائد الالياد والاودسي اليونانية المنسوبة الى هوميروس اجود ما نظم من الشعر على الاطلاق في عرف الناقدين الخبيرين ولكن هوميروس نفسهُ مجهول الاصل والفصل . فمنهم من يعدهُ في مصاف ابطال اليونان القدماء الذين ورد ذكرهم في خرافاتهم كهرقل وامثالهِ من الذين لم يكن لهم وجود الاَّ في مخيلات مختلقيهم . ومنهم من يقول انهُ وجد حقيقة وكان ضريرًا يطوف مدائن آسيا الصغرى متسوّلاً على الابواب وهو يغني القصائد مما نظم اقلهُ وسمع اكثرهُ يتداول على الالسنة في ايامهِ عن وقائع حرب ترواده كما يفعل كثيرون من عميان المتسولين في الشرق هذه الايام . ومنهم من يقول انهُ هو نفسهُ ناظم قصيدة الالياد ان لم يكن ناظم الاودسي . وانما قالوا هذا القول لان الثانية دون الاولى معنًى ومبنًى فقالوا انها نظم شعراء متعددين ربما كان هوميروس واحدًا منهم . الى غير هذا من الاقوال المتضاربة التي لا تنقع غلة الباحث عن الحقيقة

عنترة العبسي

وما قيل في هوميروس يقال في عنترة العبسي " افرس الفرسان واشعر الشعراء " كما قال بعضهم فيهِ . فمن قائل انهُ حيٌّ بن بيّ وان ما نُسب اليهِ من الشعر انما هو من نظم غيرهِ وان قصتهُ مبالغ فيها كثيرًا وهي من وضع الاصمعي . وبعضهم يذهب الى اكثر من ذلك فيقول ان عنترة لم يكن موجودًا وانهُ ان كان هناك عنترة حقيقة فقد كان رجلاً فاق رجال عشيرتهِ في الشجاعة والفروسية فنسب ما نسب اليهِ . والذي يعرض الشعر المنسوب الى عنترة للنقد الصحيح ويقابلهُ بالشعر الجاهلي يرى فرقًا عظيمًا بينهما بل قلما يرى شيئًا من الملابسة مما يثبت ان معظم الشعر المنسوب اليهِ حديث لا جاهليٌّ قديم . ثم ان ذكر الناظم اسماء اماكن لم تذكر في الشعر الجاهلي وعدم ذكرهِ اسماء ذكرت كثيرًا فيهِ واقتصارهُ على ذكر القليل من العيس والبعران وما يتعلق بها وغير ذلك مما كان شعراء الجاهلية يفعمون شعرهم بهِ . كلُّ ذلك يدلُّ على ان الشعر المنسوب الى عنترة حديث ويؤيد قول القائلين انهُ من نظم غيرهِ

وزد على ذلك ان معلقتهُ المشهورة التي يقال ان عرب الجاهلية عدوها من المعلقات السبع

وعلقوها في الكعبة يعبدونها في الاصباح والامساء كما كان اليونان القدماء يعلقون قصائد هوميروس في العابهم السنوية — انما هي من نظم غيرهِ بلا مشاحة

شكسبير

وهنا يسوقنا البحث الى شكسبير شاعر الانكليز الشهير . فقد اختلف العلماء في حقيقة ناظم الشعر المنسوب اليهِ وتعاظم الخلاف منذ عهد بعيد فانقسموا الى فئتين فئة كبيرة تقول ان شكسبير هو الناظم حقيقة وتسند قولها الى ادلة كثيرة . وفئة أُخرى صغيرة تقول ان الشعر المذكور نظم اللورد باكون وان شكسبير لم يكن سوى ممثل بسيط وقد بنت قولها هذا على ادلة منها ما يرى من الشبه بين كتابات باكون والشعر المنسوب الى شكسبير في التصور ونسق التفكير والتعبير . ولا تزال الفئتان مفترقتين وكلَّ حين تقوم قيامتهما فتفتحان باب هذه المسألة ثم تغلقانهِ ولا تقرران امرًا

وفي دسمبر الماضي نشرت مجلة القرن التاسع عشر مقالة من قلم احد الكتاب الانكليز اشار فيها الى هذه القضية كما سيأتي فثار الكتاب من كل حدب وصوب يكتب كلٌّ ما بدا لهُ . وكنت قد ولعت بدرس هذه المسألة منذ سنة ١٨٩٣ حين كنت ادرس آداب اللغة الانكليزية في المدرسة الكلية ببيروت . واول ما ثارت الشبهات والشكوك في خاطري عندما شرعت انا ورفقائي في درس رواية هملت الشهيرة درسًا انتقاديًّا بيانيًّا ولم اكن بعد عارفًا بمجادلات العلماء ومناقشاتهم في هذه المسألة . وزاد ريبي عند درسنا مقالة مكولي الكاتب الانكليزي المشهور عن باكون وفيها يذكر الملكة اليصابات وباكون وشكسبير ومن عاصرهم من المشاهير فتنبهت الى هذا الامر وبسطت معتقدي فيهِ وكنت أؤيدهُ بما تيسر من الادلة والاستاذ يجرئنا على حرية البحث وانشاء المقالات في هذا الموضوع لان الحقيقة بنت البحث ويصوّب او يخطئ على حسب ما كان يعتقد . ثم تركنا المدرسة في نهاية تلك السنة وكرت الايام فنسينا هذه المسألة ولكنها كانت تخطر على بالي من حين الى آخر فاقول لا بدَّ ان تنجلي الحقيقة في الاقرب العاجل وان كانت لم تنجلِ في ثلاث مئة سنة خلت

ومن مضي اكثر من شهر نبهني احد العلماء السوريين الى المقالة التي وردت في مجلة القرن التاسع عشر بهذا الصدد كما تقدم . فقرأت بعض ما فيها وملخصهُ يبحث في امكان نسبة الشعر المذكور الى باكون . فانشأت رسالة بالانكليزية وارسلتها الى جريدة "ايجبشن غازت" الانكليزية اليومية التي تطبع في الاسكندرية فنشرتها في عددها الصادر في ٢٧ دسمبر الماضي تحت عنوان "قضية باكون وشكسبير: راي مصري" وهذه ترجمة بعضها

لا يخفى على كل من لهُ المام بعلم الادب والشعر امر المناظرة الشديدة التي قامت بين العلماء فيما اذا كان شكسبير هو نفسهُ مؤلف الشعر الذي يعزى اليهِ او اللورد باكون ولكن على غير طائل وقد طالما جال في خاطري لاسباب جمة ان شكسبير الامي (اذ لم يكد يحسن كتابة اسمهِ) لا يمكن ان يكون ناظم ذلك الشعر البديع بل الاصوب ان يكون باكون ناظمهُ وهو الكاتب العظيم والسياسي الكبير والفيلسوف الخطير الذي نقض نظام الفلسفة القديمة برمتهِ تلك الفلسفة المبنية على مجرد تصديق ما قالهُ ارسطوطاليس وغيرهُ من الفلاسفة القدماء وشاد نظام الفلسفة الحديثة على اساس مكين وهو المشاهدة بالعيان والامتحان

وقد نشرت مجلة القرن التاسع عشر الانكليزية مقالة في عددها الصادر في غرة ديسمبر الماضي من قلم المستر ملوك احد مشاهير الكتّاب عنوانها "بيان جديد للكتابة المختزلة المعروفة بالصفر عن باكون وشكسبير" وبحث الكاتب في هذا الموضوع بحثاً مستفيضاً فاوجه اليهِ انظار الذين تهمهم هذه المسألة

وليس العجب ان يكون باكون ناظم الشعر المذكور على الارجح بل الذي يحمل على العجب ان يكون ذلك الشعر منطوياً على معانٍ مستترة غير ما يؤدي اليهِ ظاهرهُ كما ورد في تلك المقالة فكأنهُ شعر متنكر ظاهرهُ غير باطنهِ . وان يكون في طيهِ اسرار مختصَّة بباكون والملكة اليصابات كان باكون يحبُّ اطلاع الناس عليها ولما لم يسعهُ ذلك جهرًا خوفاً عمد اليهِ سرًّا بالطريقة المعروفة بالصفر وهي ان يكتب كلاماً و يطبعهُ بنوعين من الحروف يستدلُّ منها على معانٍ أُخرى

وربَّ معترض يقول انهُ ان كان باكون ناظم الشعر المذكور فلمَ لم يقل ذلك صريحاً . والجواب ان فن التمثيل كان فناً حقيرًا في تلك الايام . ولو ادعى باكون ان لهُ اقلَّ علاقةٍ بهِ مهما كانت كمية تلك العلاقة وكيفيتها لعرَّض نفسهُ لاحتقار الاشراف والعامة لا سيما وانهُ كان حافظ الختم الملكي وثاني الملكة في المملكة والمرجح انهُ كان يدفع ما ينظمهُ الى شكسبير سرًّا فيمثلهُ فعزي اليهِ وما زال معظم الناس يعتقد هذا الاعتقاد منذ ثلاث مئة سنة الى يومنا هذا

ولا يعجب عاقل اذا ثبت عاجلاً او آجلاً ان باكون وحدهُ نظم الشعر المذكور وهو الكاتب والسياسي والفيلسوف وان شكسبير كان اعظم ممثل في زمانهِ"

ثم بعثت اليها برسالة اخرى في ٣ يناير وهاك بعض ما ورد فيها

"لي كلمة اخرى اقولها على قضية باكون وشكسبير . وهي ايراد الادلة الآتية وترك القراء

يستنتجون كلاً على حسب قابليتهِ للاقتناع

(١) كان باكون وشكسبير معاصرين

(٢) كان باكون كاتباً كبيراً وفيلسوفاً وشكسبير يكاد يكون امياً

(٣) بين كتابات باكون والشعر المنسوب الى شكسبير وجوه كثيرة للشبه في نسق الكتابة والتصورات وطريقة الفكر والتعبير باعتراف اعظم انصار شكسبير ومؤيديهِ

(٤) كلُّ من يعرض الشعر المنسوب الى شكسبير للنقد الدقيق الخالي من الهوى يراهُ مفعماً بالحكم والتجارب عن الطبيعة البشرية مما لا يمكن ان يصدر الأعن فيلسوف ذي قريحة وقادة وفؤاد يتلهب ذكاء فضلاً عن قرويٍّ ربما امتاز باشارة لطيفة ونطق فصيح ووقفة حسنة على مرسح التمثيل وغير تلك من الصفات التي تختصُّ بالممثلين لا بالفلاسفة

(٥) ان فنَّ التمثيل كان فناً حقيراً في تلك الايام كما قلت في رسالة سابقة وهذا ما منع باكون من القول صراحة انهُ ناظم الشعر المذكور

فهذه الادلة المتقدمة قد لا تقوم مقام برهان باتّ صريح وان كان حسبان امثالها برهاناً قاطعاً يعمل بهِ غير نادر الوقوع . مثال ذلك انهُ لما رأت محاكم مصر منذ ثلاث سنوات ان القانون لا يجيز لها الحكم بالاعدام على متهم بالقتل ما لم تقم بينة صريحة على ذلك كشهادة اثنين انهما رأياهُ مرأى العين يرتكب القتل عمدت الى تحوير المادة الثانية والثلاثين المشهورة من قانون العقوبات ومآل ذلك التعديل انهُ يجوز الحكم بالاعدام على متهم بالقتل بدلالة القرائن والبينات غير الصريحة اذا لم يكن هناك بينات صريحة . فما صحَّ هنا يصحُّ في المسألة التي نحن بصددها "

هذا ملخص ما ورد في هذه الرسالة . وقد ردَّ بعض المكاتبين الانكليز على ما ورد في الرسالة الاولى بين مصوّب ومخطىء مما لا فائدة من ايرادهِ

والذي فتح باب هذه القضية هذه المرة سيدة اميركية اسمها مسز جالوب وهي التي بنى المستر ملوك مقالتهُ على اكتشافها واظهر ميلاً الى تصديقها فقامت عليهِ قيامة انصار شكسبير ونشر اثنان منهما مقالتين في مجلة القرن التاسع عشر الصادرة في هذا الشهر ينتقدان مقالتهُ ويبينان فساد ما ادعتهُ مسز جالوب

على ان كل من يباحث الانكليز في هذا الامر يرى ان معظمهم متعصب تعصباً اعمى لشكسبير حتى ان انصار باكون لا يبلغون جزءا من الف من انصارهِ . وقد بلغ منهم التعصب مبلغهُ حتى قال احد كتابهم في جريدة " الايجبشن غازت " انهُ وان ثبت ان باكون هو

ناظم الشعر المنسوب الى شكسبير لكن هناك صعوبة عظيمة في اقناع الجمهور بالعدول عن اعتقادهم التقليدي ان شكسبير هو الناظم لا باكون . ولو بُعث شكسبير من رمسهِ واعترف بذلك على رؤُوس الاشهاد لم يصدّقهُ الناس

فرددت عليهِ بقولي " ان الباحث عن الحقيقة يفتش عن ضالتهِ المنشودة حتى يجدها فاذا وجدها واعلن ذلك للملاءِ انتهت مهمتهُ ومسأُوليتهُ هنا ولا يطالَب باكراه الناس على تصديق رأيهِ اكثر مما يطالب الواعظ باكراه سامعيهِ على قبول نصائحهِ وارشاداتهِ . فقد طالما كان التقليد مضللاً للناس وصحتهُ معرضاً للشك والارتياب ومحطاً للاختلاف . فان كان الجمهور لا يحب ترك التقليد القديم ولا يصدّق ان شكسبير ليس ناظم الشعر المنسوب اليهِ ولو نشر من قبرهِ واعترف بذلك صريحاً فهذه مسألة اخرى لادخل لها في قضية بحثنا "

هذا وان كلَّ محبٍّ للحقيقة يتمنى لو يحلُّ الخلاف الذي بين الفريقين وتنجلي الحقيقة بالبرهان الساطع حتى يستريح عالم الآداب من قضية مضت عليها الاعوام وهي لا تزال اعقد من ذنب الضب واطول من ليل الصبّ . ولعمري اذا ثبت بعد هذا العناء الطويل والنصب الكثير ان باكون هو ناظم الشعر المنسوب الى شكسبير كان ذلك دليلاً على امرين الاول ان باكون نابغة بني البشر اجمعهم لانهُ فاق الاقران وحاز قصب السبق في فرعين مختلفين كلّ الاختلاف لا علاقة للواحد منهما بالآخر وهما الفلسفة والتمثيل وهو ما لم يسبق لهُ نظير في تاريخ البشر . والثاني ان كثيراً من الحقائق لا يزال محجباً بحجب الغيب والريب وان جيوش الوهم لا تزال سائدة متسلطة على كثير من امور البشر مهما تقدموا وتمدنوا فلا يزيل لها صولة ولا يديل لها دولة غير كثرة البحث وطول الايام نجيب شاهين

عروسة النيل

(تابع ما قبلهُ)

الفصل الثالث

عادت سفينة المقوقس تشق عباب النيل وعاود ركبها الحديث والغناء واسندت ماري رأسها الى كتف باولين ونامت وطفقت المهذبة تارةً تتأمل الافلاك والنجم ذا الذنب وقد امتلأ قلبها رعباً وتارة تحدق في وجه اوريون وقد سحرها جمالهُ وملك سويداء قلبها وكأنما هي تحسد باولين على ما خصها بهِ اللهُ من الحسن والجمال . وكان الليل هادئاً واديم الجو صافياً والنسيم بليلاً

والقمر يحدث في الصدور خفقاناً كما يحدث في البحر مدّاً وجزراً

وظلّ اوريون يغني ما تقترحهُ عليهِ باولين وصوتهُ يزداد جلاءً وحلاوةً ورنةً وقعاً وتأثيراً حتى سكرت الفتاة من الطرب ولما طرح القيثار من يدهِ همس في اذنها يسألها عن رأيها في بلادهِ في مثل تلك الليلة وعن احب الاغاني اليها ثم اخذ يصف لها ما اصابهُ من الفرح والدهشة عند ما لقيها في بيت ابيهِ دون سابق انتظار او علم منهُ فزاد ذلك وجدها واجابتهُ على اسئلتهِ همساً جواب المحبّ لحبيبهِ. ولما بلغا القصر ومشيا في ظلال الاشجار الغبياء اخذ يدها وضمها الى شفتيهِ فلم تزجرهُ . ثم دخل المنزل فاسرعت الى خالها فلثمت يدهُ وقبلت زوجتهُ خلافاً لعادتها فبهتت هذه وحدقت بابنها وبالفتاة وكأنها قرأت في عيونهما ما اقلقها وادركت ان وراء القبلة سرًّا فلزمت الصمت وحفظت الامر في قلبها لانها لم تأمن جانب زوجها على ما تعرفهُ من ميلهِ الشديد الى ابنة اختهِ حتى اذا ما فرغت من اعمالها البيتية ونقل الخدم زوجها الى مضجعهِ وناولتهُ الدواء لتسكين اوجاعهِ امرت احد الغلمان بملازمتهِ واسرعت الى مخدع ابنها لعلمها ان العجلة من الحزم وان التأني في تلك الحال مجلبة للندم فقرعت الباب ودخلت فلقيها بالترحاب والدهشة وهو يحسب لمجيئها الف حساب اما هي فبدأتهُ بالكلام قائلةً ان سلوكهُ وتصرف باولين اقلقاها واجبراها على مخاطبتهِ في امر ذي بال حرمها النوم الى ان قالت ولا اصف مقدار حبي لك فان آمال حياتي وحياة ابيك منوطة بك فاحبّ الاشياء لدينا الآن ان ترتدع عن سيرتك الماضية فقد لقيك ابوك بصدر رحب واوفى ديونك الباهظة فاصبح من الواجب عليك ان تقابلنا بالمثل وانت تعلم اننا قد اخترنا لك عروساً من فضليات البنات وهي تحبك حباً شديداً فقد قالت امها لي اليوم انك فتنتها فانت الآن قبلة ناظرها وموضوع نجواها وعليهِ فلم يبقَ ثمت مانع يمنع اقترانك بها وهو امنية حياتي وغاية مشتهاي .

فاجابها اوريون

— نعم يا أماهُ ولكن لا تعلقي كبير امل على ما جرى بيننا فان معاملتي هذه للنساء اصبحت فيَّ عادة ولكنني ساقلع عنها فقد حان لي ان ابدأ حياة الجدّ

— فقالت ولكنَّ هذا ما نبغيهِ نحن ايضاً فكل الامر اليَّ وغداً انجزهُ على ما تروم فالفتاة عالقة بحبك وهي مهذبة الصفات كريمة الاخلاق وستجد فيها مثالاً للزوجة الفاضلة هذا فضلاً عن انها ذات ثروة طائلة

— صحيح ما تقولين يا أُماهُ على اني لست بطامع الى ثروتها فاحرص عليها . فغضبت أمهُ وصاحت بهِ قائلةً

— يربك خل المزل لاوقاته فنحن الآن في طور الجدّ فما الذي يمنعك من الاقتران بها وقد اجتمعت الحسن والرقة والاخلاص الملك خلفت فؤادك في القسطنطينية او اغوتك نسيبة الوزير يوستينوس

— كلا يا أماه فقد غادرت تلك المدينة ومن فيها ولم يبق من ضفاف البسفور في ذهني الا رسم ضئيل على اني لقيت تحت سقف بيت ابي في منف ما هو اجمل من فاتنات العاصمة واعلمي ان كاترينا لا تصلح زوجة لي وانا فرع الجبابرة الكرام وعلينا ان نحافظ على نسلنا كي لا يشوبهُ شيء من الضعف فينحط الى طبقات العامة ولا اريد الاقتران الا بفتاة تشبهك ايام صباكِ طولاً وجمالاً ووقاراً اما وقد برح الخفاء فانا لا اتزوّج سوى باولين ابنة ذلك القائد العظيم فهي عروسي التي اخترتها لنفسي فامنحينا بركتك وشاركينا في سعادتنا

وكانت امهُ اثناء حديثهِ تتقلب على احرّ من الجمر فلما فرغ من الكلام احتدمت غيظاً وانقطع نطاق صبرها فاحمرّ وجهها غضباً وصاحت بهِ

— ألا قف بحقك ولا تزد أغاب عنك ان هؤلاء الملكيين هم سافكو دم اخيك وان الروم يحتقروننا ولا يؤدون لنا واجب الاحترام على اننا زعماء المصريين ايليق بحفيد مينا العظيم وابن المقوقس الحكيم وشقيق شهيدين سفكا دمهما دفاعاً عنهُ دينهما ان يتزوج يونانية ملكية الغضب والدك وتسحق قلب امك اكراماً لهذه المتحجرفة المعوزة التي تجسر ان تحيي امك بمثل ما يحيي بهِ العبد انحرم لاجلها ولدنا وهو البقية الباقية لنا ومنتهى امالنا في الدنيا . لقد كنت جميع دهرك عنيداً يا اوربون لكنني لا اخالك تعصينا في هذا الامر الى هذا الحدّ نحن اللذين سهرنا على حياتك وراحتك اربعاً وعشرين سنة. واذكر اباك العليل فان ايامهُ معدودات واذكر والدتك التعيسة التي اتخذتك عضداً لها وعكازاً لشيخوختها أتطرحني لفتاة رايتها منذ يومين وتنسى حبّ الامّ وحنوها ورأفتها اما اذا دفعك الطيش الى ارتكاب هذا الجرم فاني اقسم بمن لهُ الملك والملكوت لانزعنّ حبك من قلبي ولا طرحنهُ عني كما تقلع الاعشاب السامّة ولو كان في ذلك انقضاء عمري ومحو سعادتي

فذعر اوربون لكلامها واضطرب لاضطرابها فطوّق عنقها بذراعيهِ وقبّل جبينها وقال لا سمح الله ان اجازيكما هذا الجزاء بعد الذي فعلتماهُ بي ثم امسك بديها وقال ما راعني قط مثل كلامك ان اسمك مشتق من الحنو ولكنك قريبة الغضب والقسوة. وعاد يقبلها و يطيب قلبها الى ان هدأ روعها فكلفها ان تتولى عقد خطبتهِ على كاترينا على ان لا تفعل ذلك الا بعد يومين ظناً منهُ ان في التأجيل باباً للفرج . فارضى ذلك امهُ فودعتهُ وعادت من حيث اتت

وتركتهُ يتقلب على فراش الهواجس والبلابل يتنازعه عاملا حبهِ لباولين وحبهِ لوالديهِ وحقهما عليهِ. ورأى بعينيهِ خيبة الامل ماثلة لديهِ فاخذ يعزي نفسهُ بما حضرهُ من اسباب السلوى ويسرد لنفسهِ اسماء اللواتي علقهنَّ ثم ملهنَّ وهو يحسب كل واحدة اهلاً لان تكون زوجتهُ لكن ذلك لم يبرّد غليلهُ لان حب باولين تمكن من فؤادهِ وعلم ان سعادتهُ في الحياة لا تتم بدونها فاخذ يضرب اخماساً لاسداس ويلوم العناية التي قدرت ان تكون الفتاة ملكية وحار كيف انها على لطفها ودعتها لم تستمل اليها قلب والدتهِ

ولما فارقتهُ امهُ اسرعت الى مخدع باولين فلما دخلتهُ شعرت هذه بغرضها من الزيارة في تلك الساعة فتدرعت بالصبر واظهرت الجلد اما هي فاعلنت لها خطبة اوربون لكاترينا وامارات الظفر والفوز بادية في وجهها فتبسمت باولين وتمنت للخطيبين الهناء والسعادة ودعت لخالها واهل بيتهِ بالرخاء وطول العمر. حتى اذا ما خلت بنفسها بعد خروج امرأة خالها فارقها الجلد وخانها الصبر فتنفست الصعداء والقت نفسها على سريرها وبكت بكاء مرا ثم مسحت عينيها وتنبهت فيها عاطفة عزة النفس فعزمت على احتمال هذه النكبة بالسكون وقضت ليلتها تتقلب على مثل الجمر وتفكر في غيَر الدهر فتمثلت لها الحياة سلسلة من المصائب والاحزان لا تنتهي حلقاتها الاَّ في القبر

وكان المقوقس يحب باولين ويقدرها حق قدرها ويتمناها عروساً لابنهِ لكنهُ لم يخفَ عليهِ كره زوجتهِ لها وادرك ان مذهبها سيحول دون تحقيق امانيهِ وتسلطت زوجتهُ على اميالهِ وتغلبت على افكارهِ فلم يشأ مخالفة رفيقة عمرهِ وسند شيخوختهِ وايقن انها لا تحول عن عزمها وعلم ان كرهها لابنة اختهِ لا تزيدهُ الايام الاَّ شدةً وفطنت زوجتهُ الى ميلهِ فلم تطلعهُ على ما دبرت من المكايد ولم تخبرهُ بما فعلت تلك الليلة

الفصل الرابع

وفي مساء اليوم التالي وفد التاجر هاشم وبعض جماعتهِ على قصر المقوقس يريدون زيارتهُ فاذا بهِ غاصٌّ بالقصَّاد واصحاب الحاجات والدعاوي حافل بالخدم والحشم وعلى احد بابيهِ حرس المقوقس من الجنود المصرية وقد انتشر العبيد والاماء في ضواحيهِ يستقون الماء من النيل ويتنشقون النسيم البليل بعد ان ازهق حرّ النهار النفوس وانقسم العتقاء منهم جماعات يتضاحكون ويتسامرون ويغنون

وكان المقوقس على جانب عظيم من الثروة ولهُ املاك واسعة في مصر العليا والسفلى يتولى زراعتها والعناية بها الوف من عبيدهِ. ولما كان المصريون حديثي العهد بالفتح الاسلامي ويجهلون

اخلاق العرب واميالهم انفوا ان يلجأوا اليهم في التقاضي وفض الخصومات والنظر في الدعاوي وابوا الاَّ ان يكون المقوقس الحكمَ المطلق في امورهم كسابق عادتهِ فارتضاهُ المسلمون واليًا للمصريين لثقتهم بعدلهِ ونزاهتهِ وخبرتهِ باحوال البلاد واخلاق اهلها فظلَّت ازمَّة الامور في يديهِ وهو يتولى الاحكام باسم الخليفة واسم قائد جيوش المسلمين عمرو بن العاص . فاكبر هاشم سطوة المقوقس وجاههُ وثروتهُ وعجب كيف يستطيع على ضعفهِ وعلتهِ ان ينظر في جميع ما يرفع اليهِ من الدعاوي على كثرتها في عام رديء الفيضان يشتد فيهِ العوز ويكثر فيهِ القصَّاد وطلاَّب الصلات واصحاب الحاجات وتتقاطر وفود الاقاليم . فاخذ يرقب الداخلين الى المجلس والخارجين منهُ حتى اتى على آخرهم ولم يبقَ بالباب سوى رجل فقير الحال رث السربال لم يتمكن من المثول بين يدي الحاكم لضيق ذات يدهِ وعدم استطاعتهِ دفع الجعل المعتاد الى الحاجب فلما ارفضَّ الجمع امرهُ هذا ان يعود في الغد ودعا التاجر ان يدخل الى قاعة الزائرين احترامًا لهُ واكرامًا للدينار الذي نقدهُ اياه الدليل امس فابى هاشم الدخول قبل ان تقضى حاجة الرجل والحَّ في طلبهِ فاجابهُ الحاجب الى ذلك ولم يكن الاَّ كلاحول ولا حتى عاد الرجل مبتهجًا مسرورًا فقبَّل يد التاجر وشكرهُ على معروفهِ وانصرف . فحينئذٍ تقدَّم هاشم وبين يديهِ بعض غلمانهِ يحملون القطيف فساروا بهِ الى غرفة الانتظار حتى يصدر لهم الاذن في المثول بالحضرة وكان المقوقس بعد قضاء الاعمال قد جلس يلعب الشطرنج مع ابنة اختهِ في غرفة تطلُّ على النيل وسقفها مكشوف يغطونهُ في النهار بمظلة تقي من تحتها حرَّ الشمس اللاذع ويزيحونها في الليل التماسًا للبرودة وارضها مصنوعة من الفسيفساء المنزلة في الزجاج المذهب وجدرانها مبطنة بالخزف الصقيل وفي وسطها حوض من البرفير فيهِ نكت بيضاء ينصب اليهِ الماء من نوفرة ترفعهُ في الهواء فيبردهُ ولم يكن في الغرفة من الاثاث سوى بعض المقاعد والكراسي والموائد واكثرها مصنوع من المعادن المصقولة وقد تدلى في زواياها مصابيح كثيرة لالاءتها

ولما ابتدأ اللاعبان وقف اوربون وراء باولين واخذ يتأملها والنسيم يعبث بغدائرها فينشرها ويلفها وهي لا تبالي وحاول ان تعيرهُ التفاتة فلم تفعل واخيرًا عرض عليها ان يأتيها بمنديل تطرحهُ على عنقها اتقاء البرد فرفضت بتاتًا دون ان تشكرهُ وخفي عليهِ سبب نفورها منهُ لانهُ كان لا يزال يجهل ما فعلت امهُ في الليلة البارحة . ولم تكن معاملة باولين لهُ في النهار احسن منها في المساء فاذا دنا منها نفرت او سألها سؤالاً يريد بهِ اطالة الحديث اجابته على سؤالهِ سلبًا او ايجابًا كانها تروم التخلص منهُ . فبهت لهذا السير الغريب الذي لم يعتدهُ قبل اليوم فقال في نفسهِ لقد صدقت والدتي في ما قالتهُ عنها فانها متكبرة متغطرسة ولولا شفاعة

جمالها الفتان لما اطلقت كبرياءها وترفعها عني الى هذا الحد فهي الآن اشبهُ شيء بصنم لولا حركاتها فما الحيلة في كسر شوكة تعجرفها. ولاحظت امهُ اضطرابهُ فارادت ان تشغلهُ عنها فاخذت تلقي عليهِ الاسئلة تباعًا وترسلهُ الى غرفتها لقضاء بعض الحاجات وهي تفكر في ما طرأ عليهِ من التبديل في ذينك اليومين وشرعت تراجع تاريخ حياتهِ من يوم ذهب الى القسطنطينية الى يوم عادمنها شابًا غض الاهاب طيب السريرة سليم النية بطبع سلس وحب لاهلهِ شديد ولم تفسد اخلاقهُ ملاهي تلك المدينة العظيمة بل اكسبتهُ اختبارًا ودقة نظر حتى اذا جلس يناقش اباهُ في الامور السياسية والادبية ادهشهُ بفرط ذكائهِ وحدة ذهنهِ وسمو معارفهِ وحسن سردهِ للحقائق وايضاحهِ للخفيّ منها ولما اطلعت اباهُ على ما خلَّف وراءهُ من الديون وقلبها يخفق خشية ان تأخذهُ سورة الغيظ تبسم وفتح خزانتهُ وعدَّ الدراهم عن طيبة خاطر قائلاً ان ما اكتسبهُ الشاب في غيابهِ يساوي اضعاف ما انفقهُ . وسرَّهُ من ابنهِ انفاقهُ ما ادَّخرهُ في ما يزيد شأنهُ ويرفع قدرهُ في عيون الناس واعجبهُ اقتناؤهُ جياد الخيل وفوزهُ في حلبة السباق وشرح صدرهُ ما شاهدهُ فيهِ ما سمات العافية ودلائل النشاط البادية في وجههِ المشرق وعضلهِ المجدول فقال لزوجتهِ لقد احسن ابننا في ما فعل فان مئة وزنة لا تفقرني وقد شخت ولم تبقَ بي حاجة الى المال فلينفق عن سعةٍ ان مالي كان كثيرًا والذي يزيدني حبًّا لهُ وتعلقًا بهِ ما نمي اليَّ من اخبارهِ ايام كان في القسطنطينية فقد كتب اليَّ بعض من اعرف هناك يقول انهُ كان فيها محلى الاكرام والاعزاز يصدرونهُ في الحفلات والولائم والسباقات وقد اعترف لهُ شبان العاصمة بالسبق والميزة عليهم ومن كان كذلك فالمال اقلُّ ما يكافأ بهِ

والحقيقة ان اوريون على جمالهِ وغناهُ لم يفرط في معيشتهِ في عاصمة الملذات والملاهي ومع انهُ قضى فيها سنوات عديدة حذق في خلالها اليونانية وآدابها وتفقه باشعارها واقتبس عادات اهلها واخلاقهم فعاشرهم ومازجهم لكنهُ لم ينسَ بلادهُ بل ظلَّ مصريًا بحتًا يخفق قلبهُ لذكرى وطنهِ فيفرح لفرحهِ ويتألم لمصائبهِ ويتمنى لهُ الخير ولاهلهِ السعادة وكان يجاهر بمبادئهِ هذه في المجالس ويصف شوقهُ الى مصر واعجابهُ بها . ولم يغادر القسطنطينية الاَّ بعد ان اصبح مقامهُ فيها محفوفًا بالمخاطر لان اليونان لم ينسوا ما فعلهُ ابوهُ من تسليم مصر للمسلمين دون حرب ولا جلاد فارادوا الايقاع بالابن اخذًا بثارهم من الاب ولم يفلت من ايديهم الا بمعونة بعض اصدقائهِ من كبارهم الذين لما دروا بما يحيق بهِ من الخطر اوعزوا اليهِ ان يرحل الى بلادهِ ففعل ولما اجتمع بابيهِ اراد هذا ان يسبر غورهُ اذ خشي ان مقامهُ الطويل بين اليونان وما تعلمهُ منهم يغيران قلبهُ فيحولانهِ عن حب بلادهِ وتقاليدها فالفاهُ مصريًا لا غشَّ فيهِ وابنًا لم

يتسن ما سمعهُ من عبارات الازدراء بابيهِ وبلادهِ ولم تغب عنهُ ذكرى مقتل اخويهِ فازداد ابوهُ تعلقاً بهِ واحتراماً لمبادئهِ وادرك ان ابنهُ سرّهُ وانهُ كفوء لتولي المناصب وادارة الاعمال

جميع هذه خطرت ببال نفورس وهي تحدّث والدة كاترينا وتجاملها بغية ان تصرف نظرها عن سلوكهِ الغريب وفيما هما كذلك التفتت اليها الاخرى وقالت

— الا ترانا ابنة اخت زوجك اهلاً لحديثها

— كلاّ فهي طباعها السيئة لا تحول عنها ولا تروم تبديلها باحسن منها على انني اشتهي ان ترحل عنا الى حيث تطيب لها الاقامة فاذا ارادت الرحيل فلن تجد مني عائقاً. ثمّ سألتها عن كاترينا فاعتذرت عن غيابها بان في بيتهم ضيوفاً من انسبائهم فاضطر ذلك الفتاة على البقاء معهم مع انها كانت تفضل قضاء السهرة في القصر. فلم تفت هذه العبارة الاخيرة اوريون فدار الى المتكلمة وسألها عن ابنتها قائلاً لقد وعدتني امس ان تصنع طوقاً لكلبي فهل فعلت يا ترى

— فقالت أمهُ نعم وقد عملتُ انهُ ازرق يمثل لون السماء وقد رصعتهُ بنجوم ذهبية على اني اخطأت في البوح بسرها لانها ارادت ان تفاجئك بهِ على غير سابق انتظار. وظلّوا يتحدثون على هذا النمط الى ان عاد اوريون الى موقفهِ الاول وراء باولين يرقب لعبها ويدلها على مواقع الضعف فيهِ وينبهها الى نقل القطع وهي لا تزداد الا نفوراً منهُ وعناداً فاذا اشار بامرٍ فعلت عكسهُ اظهاراً لكدرها ولم يفت الحاضرين اهتمامهُ بها وعدم احتفائها بهِ فلما انتهى اللاعبان من الدور الثالث رمى المقوقس القطع على اللوح ودنا منهُ الحاجب فاخبرهُ ان التاجر العربي بالانتظار فامرهُ بادخالهِ الى المجلس ثم جذب اذيال قفطانهِ اليهِ والتفت الى الباقين فقال

— عفواً فقد طوقتموني بجميلكم لانكم احتملتم البرد لاجلي والغالب في الشيوخ ان يكونوا كالاطفال في حب الدفء ونور الشمس اما انا فلستُ كذلك واري حرَّ هذا الصيف شديداً لا يطاق وذلك مما يزيد في اوجاعي وآلامي وطالما تمنيت يا باولين ان يكون لي فراش من الثلج كالذي يقع في جبال لبنان حيث سُنتِ اذاً لكنت اتمرَّغ فيهِ فيخف بعض ما بي فان هذا البرد الذي تكرهونهُ حبيبٌ اليَّ لكنَّ حرارة الشباب لا تطيق البرودة

وكان اوريون يصغي الى ابيهِ باحترام واهتمام شديدين فلما لفظ العبارة الاخيرة تبسم وقال

— ولكنَّ من الناس من لا يزال في سنّ الشباب وهو يجد راحة في برودة العواطف لسبب لا يعلمهُ الاّ الله. قال هذا والتفت الى باولين كانهُ يشير اليها في كلامهِ فحوَّلت وجهها عنهُ وبدا الغضب في عينيها ثم مشت والعظمة والجلال يطيفان بها فلما بلغت الباب حيَّت الجميع تحية المساء وانصرفت نحو غرفتها وامر اوريون الخدم ان يقفلوا الباب المطلَّ على النيل وان يعيدوا المظلَّة فوق السقف

الفصل الخامس

دخل هاشم ووراءهُ بعض اتباعهِ يحملون القطيف حتى فرشوهُ بين يدي المقوقس فلما رأى هذا رستمًا وابصر خنجرهُ الطويل وفأسهُ الكبيرة ذعر من طول قامتهِ وعرض منكبيهِ وكثافة شعرهِ فصاح بالحاضرين

— اخرجوهُ وابعدوهُ عني فلن استطيع البقاء هنا حتى يغيب عن وجهي. واخذ يرتجف وبدا الخوف والجزع على وجههِ وكان فؤادهُ يهلع لرؤية الجبابرة والسلاح لان احد منفيي اليونان حاول مرة اغتيال حياتهِ. ولما خرج رستم سكن جاشهُ وثاب الى الهدوّ واقبل عليهِ اهل بيتهِ يلاطفونهُ ثم اخذوا يتأملون في القطيف فاكبروا ما فيهِ من دقة الصنعة وكريم الحجارة وجودة النقش. ومن خبر هذا القطيف ان العرب غنموهُ في ما غنموا من ايوان كسرى في المدائن وكان طولهُ ثلثمائة ذراع وعرضهُ ستون ذراعاً فلما استولى عليهِ العرب قطعهُ عمر بن الخطاب قطعاً فرقها بين الصحابة فاصابت هذه القطعة علياً واخبرهم هاشم انهُ رأى القطيف بتمامهِ معلقاً في ايوان كسرى قبل ان يحمل منهُ الى المدينة[1] ولما فرغوا من تأملهِ قال لهُ المقوقس

— بكم تبيعني هذه القطعة فقل ولا تدع باباً للمساومة

فقال ابيعها باربعمائة الف درهم

فهزت نفوس رأسها واومأت الى زوجها ان لا يبتاعها وقال اوريون

— لكنها قد لا تساوي سوى ثلاثمائة الف درهم فاجابهُ التاجر

— سألني ابوك ان لا اساوم ففعلت ولو كنت خبيرًا بالجواهر لعلمت ان هذه اليواقيت التي تمثل العنب وهذه اللآلي التي تمثل زهر الآس وهذه الماسات الراقدة كالندى على العشب وتلك الزمردات التي اعارت الاوراق خضرتها — لاسيما وسطاهنّ — تساوي اكثر مما طلبت

— اذًا فعلامَ لا تنزعها جميعًا وتبيعها على حدة

(١) ذكر ابن الاثير في الكلام على غنائم المدائن « ان القطيف بساط واحد طولهُ ستون ذراعاً وعرضهُ ستون ذراعاً مقدار جريب كانت الاكاسرة تعدهُ للشتاء اذا ذهبت الرياحين شربوا عليهِ فكأنهم في رياض فيهِ طرق كالصور وفيهِ فصوص كالانهار ارضها مذهبة وخلال ذلك فصوص كالدر وفي حافاتهِ كالارض المزروعة والارض المبقلة بالنبات في الربيع والورق من الحرير على قضبان الذهب وزهرهُ الذهب والفضة وثمرهُ اشباه ذلك وكانت العرب تسميهِ القطيف فلما قدمت الاخماس على عمر نفل منها من غاب ومن شهد من اهل البلاء ثم قسم الخمس في مواضعهِ ثم قال اشيروا عليَّ في هذا القطيف فمن بين مشير بقبضهِ وآخر مفوض اليهِ ... فقطعهُ بينهم فاصاب عليًا قطعة منهُ فباعها بعشرين الفًا وما هي باجود تلك القطع »

— ذلك لاني اكره ان افسد هذه الصنعة التي افرغ فيها امهر الصناع جهدهم فاما ان ابيع القطعة كما هي او لا ابيعها ابدًا فاومأ المقوقس الى زوجتهِ وابنهِ بالسكوت ثم عمد الى لوح صغير فاخذهُ وكتب عليهِ شيئًا وقال للتاجر

— لقد تمَّ عقد البيع بيننا نخذ هذا اللوح الى نيلُس خازننا وهو ينقدك الثمن وتكرَّم الآن فصف لنا بعض ما تعرف عن هذا القطيف قبل تجزئتهِ

فتناول التاجر اللوح ودسهُ في منطقتهِ ثم قال

— كان في ايوان كسرى قاعة تسع بضعة الوف من الضيوف ماخلا مئة جندي يحرسون العرش وقوفًا على جانبيهِ وكان القطيف معلقًا فيها وقد سمعت ان الحاكة والمطرزين والصاغة الذين صاغوهُ كانوا كعدد ايام السنة وانهم قضوا ستين سنة يعملون فيهِ والصورة باسرها تمثل جنة الخلد عند الفرس باشجارها وازهارها واثمارها وانهارها وجميع ما فيها فاذا تأملتم في ما امامكم الآن ترون جزءًا من السلسبيل اذا نظر اليهِ الرائي من بعيد حسبهُ بما عليهِ من الجوهر ماء جاريًا وهذه اللآلي تمثل زبد الامواج وهذه الاوراق جزء من هذه الوردة التي كانت بجانب السلسبيل والفرس يعتقدون ان لون الورد الاصلي ابيض فلما رأى بعضهُ المرأة وقد اشرق جمالها وبدا بياضها الناصع احمرَّ خجلاً فكان من ذلك الورد الاحمر وقد كانت هذه القطعة في وسط القطيف والمرسوم عليها يمثل يوم الحشر على زعم الفرس والناس فيهِ فرق ثلاث العجزة اتباع اهريمان وقد طاروا من وجه الجن الذين عدوا وراءهم ليقبضوا عليهم والبررة اتباع اورمزد وهم اهل الجنة الخالدون فيها والمتمتعون باطايبها والفرقة الثالثة ارواح الذين لم يستحقوا الثواب ولا استوجبوا العقاب ومقام هؤلاء في غابة كثيفة مظلمة . وقد تلقيت هذه التفاصيل عن احد كهنة المجوس العارفين باسرار ديانتهم واثمن ما في القطعة هذه الزمردة التي اشرت اليها . فصاح اوريون

— لقد اصبت فكم ثمنها يا ترى . فقال ابوهُ

— انها ثمينة جدًا على انها واخواتها حقيرة في جنب الغاية التي ابتعتها لاجلها وجميعها ليست اهلاً لمن عزمت على اهدائها اليهِ . فقال اوريون

— لعلك تريد ان تهديها الى القائد الكبير عمرو بن العاص

— كلاَّ يا ولدي بل الى اكبر من عمرو فهي تقدمتي الى خالقي

فلم يرق ذلك في عيني ابنهِ بخلاف امهِ فانها اسرعت الى زوجها وقبلتهُ فرحةً وقالت لهُ لقد احسنت فالاهتمام بنفسينا اولى من حشد الاموال ورضا الله خير من تنميق البيوت

وزخرفتها بنفيس الجواهر وثمين الرياش بارك الله فيك . واحسَّت ان حملاً ثقيلاً زال عن عاتقها . فلم يفه زوجها ببنت شفة لكنهُ هزَّ رأسهُ وامر الخدم فلفوا القطيف وساروا بهِ الى بيت التحف يتقدمهم اوربون فوضعوا حملهم فيهِ واقفلوا الباب فاخذ اوربون المفتاح ووضعهُ في جيبهِ ولما عاد الى المجلس امر المقوقس حاجبهُ ان يأخذ هاشماً واتباعهُ الى دار الضيافة وتفرقت الجماعة كل في سبيلهِ

الفصل السادس

كان المقوقس في عنفوان شبابهِ قويّ البنية طويل القامة شديد البأس صبوح الوجه لكنَّ الهمّ ادركهُ في شيخوختهِ فاضعف جسمهُ ونخر عظامهُ وسوَّد وجههُ وخلفهُ عرضة للاوجاع والاحزان فاصبح قلق المضجع مضطرب البال مشتت الافكار ضعيف العزم فانهُ قضى دهرًا طويلاً يعلل النفس بالانتقام من قاتلي ابنيهِ ومضطهدي أُمتهِ وكأن حياتهُ شجرة ماؤُها حبّ الاخذ بالثار فلما ظفر بهم ودفع البلاد غنيمة باردة الى غزاة المسلمين وقضى لبانتهُ من اليونان وألبسهم لباس الخزي والعار بعد عزهم ومنعتهم وظن انهُ قام بالواجب عليهِ وان كاس العيش صفا لهُ بعد طول تعكره اذا بالسكينة والراحة فارقتاهُ وتسلطت عليه الاوهام وملكهُ الخوف والجزع وأصاب به صوت الضمير مقرعاً وموبخاً وسدًى حاول ان يبرئ نفسهُ من تبعة عملهِ بحجة عجزهِ عن الدفاع عن البلاد وردّ العرب البواسل عنها وافضلية سياسة المسالمة بذل مناضلتهم في ساحة القتال فلم يغنِ ذلك فتيلاً ولم يخفف شيئاً عما المَّ بهِ من الهم والغمّ ولما لم يكن بالطبع من عظام القوَّاد الفاتحين او من كبار الرجال المصلحين الذين يغيرون سير التاريخ بافعالهم وتعاليمهم ذعر لفعلتهِ وتعاظم جرمهُ في عينيهِ فتمثلت لهُ الوف النفوس التي قضي عليها زورًا وبهتانًا وسفكت دماؤُها هدرًا فاراد ترضي العزة الالهية بالتقادم والعطايا لعلّها تفرج كربتهُ وتخفف بعض جرمهِ وزاد في همهِ غضب بطريرك كنيستهِ واتهامهُ اياهُ بموالاة المسلمين مع ان هذا البطريرك كان اكثر الناس سرورًا بقدومهم اذ انقذوهُ وقومهُ من ربقة عبودية اليونان واطلقوا يدهُ لينظر في شؤُون ابناء ملتهِ الدينية الامر الذي لم يتسنَّ لهُ قبل احتلالهم وادي النيل

وكان الذين يأخذون الامور بظواهرها يحسدون المقوقس على ما اصابهُ من العز والغنى واتفق لهُ عند الفتح من الحوادث ما يزيد عادة في فرح المرء وسعادتهِ فورث عن احد انسبائهِ تركة طائلة وعثر عبيدهُ على كنوز نفيسة في المدافن لم ترَ مثلها عين واجمع مجلس منف على تلقيبهِ بالعادل واقرَّهُ الخليفة وعمرو بن العاص على ولايتهِ وعملهِ وفوَّضا اليهِ النظر في امور

مواطنيهِ والحكم فيها وكان اهل بيتهِ يجلونهُ و يحترمونهُ و يحبونهُ وكلهم يبذلون النفس والنفيس في مرضاتهِ وكانت رسائل ابنهِ تأتيهِ من القسطنطينية حاملة بشائر الفوز والسبق فتملأهُ بهجة وحبورًا وحفيدتهُ ماري تخفف بعض حزنهِ على ابيها وعمها بلطفها ومحبتها فكأنها ملاك العزاء يضمد الجراح ويجبر كسر القلوب هذا فضلاً عن اقبال مواسمهِ وتكاثر مواشيهِ وتمكن هيبتهِ من اهل بلادهِ لكنَّ هذه جميعًا زادت في تنغيص عيشهِ ولم تورثهُ سوى القلق والاضطراب فاصبح نهارهُ سلسلة هواجس وليلهُ احلامًا مزعجة

ولما رقد في مضجعهِ تلك الليلة التفت الى زوجتهِ وقال

— اين باولين فاني لا اراها هنا كالعادة فهل ذهبت المسكينة الى فراشها قبل الميعاد

فقالت دعها وشأنها فقد ضاق نطاق صبري عن ان يسع عنفوانها وتغطرسها فقد آويناها شريدة طريدة فكان جزاؤنا الاحتقار والاهانة وكنا كمن انزل آمالهُ بوادٍ غير ذي زرع ولا يصعب عليَّ الترحيب بجميع انسبائك لا سيما المعوزين منهم فاهلاً وسهلاً بهم ولكن هذه الفتاة تحرجني وانا بشرٌ فاذا اجتمعت بها في غرفة واحدة شعرت ان خطرًا عظيمًا يتهددني واهل بيتي وزد على ذلك ان اوريون يميل اليها ميلاً يقرب من الحب وهو ما اخشى عاقبتهُ فليتها تفارقنا على عجل وتذهب الى حيث نكون بأمنٍ من شرّها

فانتهرها زوجها ونظر اليها نظرة الموبخ ثم اراد الكلام فلم يستطعهُ لان الافيون الذي اعتاد تجرعهُ عقد لسانهُ فاغمض عينيهِ ونام نومًا قلقًا وكان يفيق ساعة فساعة ويجيل عينيهِ في انحاء الغرفة كمن اضاع شيئًا وهو يبحث عنهُ لان باولين اقامت على خدمتهِ في السنتين الاخيرتين فكانت تجلس الى سريرهِ اذا اراد الرقاد فتحدثهُ وتوانسهُ بلطفها وتمرّضهُ كانهُ ابوها فيرتاح لحديثها و يطرب لصوتها فكانت ترياقًا لعلتهِ ومخففًا لكربتهِ فلما غابت عن ناظرهِ تلك الليلة افتقدها مرارًا وهو يحسب انها تعود

اما باولين فلما غادرت المجلس اسرعت الى غرفتها وقد اتقدت نار الغيظ في وجنتيها وعينيها اذ اتضح لها ان اوريون يريد ان يعبث بفؤادها فوجدت النوافذ مقفلة والغرفة كالاتون وكانت قد امرت الجواري ان يفتحن النوافذ بعد الغروب فاغفلن امرها لانهنَّ لاحظن كره سيدتهنَّ لها فلم يعدن يحفلن باوامرها شأن الخدم في مثل هذه الاحوال فصبَّت بعض الماء لتبرد بهِ وجهها وتغسل عينيها فاذا بهِ كالماء الغالي فاسودَّ النور في عينيها وتذكرت ربوع الشام وجبال لبنان حيث كانت تقضي ايام الصيف في ظل ممدود وهواء عليل وماء نمير وحنت الى ابيها وغابر عزها وتمنت لو تعود تلك الايام برخائها وطيبها واخذت تقابل بين رغد الحياة في تلك

الربوع ايام كانت عزيزة الجانب مرعية المقام وبين ما تقاسيهِ من جور زوجة خالها فتنفست الصعداء وانهمرت الدموع على خديها ثم فتحت نوافذ الغرفة ولفت راسها بقناعٍ وخرجت تريد دار القصر وكان الحرّ قد خفت سورتهُ فلما صارت في العراء مدّت ذراعيها كمن يروم الطيران في الفضاء من ذلك المكان . ولم تبغِ في النزول استنشاق الهواء وانما ارادت بث بعض شكواها الى من يرثي لحالها ويرق لامرها ولم يكن لها في ذلك القصر الفخيم من تأنس اليهِ وتعتمد عليهِ الاّ اثنين من اتباع ابيها المخلصين لها وكلاهما محب لها خاضع لاوامرها يرى اطاعتها فرضاً ورضاها منَّةً ويتفانى في خدمتها والقيام على راحتها احدهما مرضعها في ايام الصغر وهي تُصَف عاقلة حكيمة والثاني حيرام احد عتقاء بيتها وهو الذي شملها بعنايتهِ بعد فقد ابيها فلما خشي ان تقع في الامر احتال وهرب بها من دمشق مخبأًها في بعض اودية لبنان حتى اذا ما امن الرقيب جاء بها وبالمرضع الى مصر واستصحب ابنةً معهُ ليقوم بخدمة سيدتهِ ولما وصلوها وضم المقوقس نسيبتهُ الى اهل بيتهِ خيَّر اتباعها بين البقاء في خدمتهِ او الذهاب الى حيث يشاؤون فطلبوا ان يلازموا قصرهُ قريباً من سيدتهم . وكان حيرام ماهرًا في تربية الخيل عالماً بادوائها وعلاجها وسياستها فأُقيم طبيباً بيطريًّا في الاصطبل وكلف بابتياع ما يلزم من الخيل وآنست السيدة نفورس من المرضع حذقاً وبراعةً في الحياكة والتطريز فعينتها ناظرة على الحائكات من جواريها وكانت باولين تزورها كلما سنحت لها الفرصة فتجتمع عندها بحيرام وينظر الثلاثة في خير الوسائل للبحث عن ابيها لانها لم تقنط من العثور عليهِ خصوصاً بعد ان تحققت ان جثتهُ لم تكن بين اشلاء القتلى وكانت لدن قدومها الى منف قد الحت على خالها بارسال الرسل وبث الارصاد والعيون لعلهم يعثرون على ابيها وتوسلت اليهِ ان لا تأخذهُ الشفقة على ثروتها بل ينفق ما شاء منها سعياً وراء تلك الغاية ولقيت من زوجتهِ شفيعاً لها لديهِ فاجاب طلبها وارسل كل رحّالة وخرّيت لديهِ واوصاهم ان يضربوا في انحاء سوريا ومصر ففعلوا لكنهم عادوا بخفي حنين ولم يقفوا على اثر للمفقود فعادت باولين تتوسل اليهِ ان يجدد البحث فاصرَّ على رفض سؤلها خشية ان تبدد ثروتها في طلب المحال وافهمها ان واجباتهِ كوصي عليها تقضي عليهِ ان يحافظ على مالها ثم اعاضها مما انفق في البحث من مالهِ الخاص فاعجبت بمروءتهِ وشهامتهِ وغيرتهِ على مصلحتها ولكنها لم تنثن عن عزمها ولم تضعف همتها فباعت عقداً من اللؤلؤ كان لها وارسلت حيرام ثم اعقبتهُ بغيرهِ ولكن على غير جدوى

قلنا ان باولين سارت تريد مرضعها في تلك الليلة فتجاوزت المنزل الى دار الخدم حيث كان معملا الحياكة والصباغة وقلبها يخفق لئلاَّ يراها احد الجنود او الاتباع فيفتضح امرها

وبنكشف سرُّها فمشت الهوينا حذرة ترقب الحركات وتصغي الى اصوات الغناء والرقص واللعب وقد علت الضوضاء والجلبة فأخذت تتأمل في تصاريف الدهر واحكام القدر وقالت في نفسها أليس من اعجب العجاب ان هؤلاء الجواري على ما يقاسين من مرارة الرقّ وما بهنَّ من التعب والشقاء يجدن في الحياة لذة وحبوراً وانا ابنة رجل من اعاظم الناس واغناهم ونسيبة حاكم وادي النيل واحدى اهل بيتهِ اعدُّ الساعات وانقلب بين القنوط والحزن والجزع. ثم خطت بضع خطوات الى الامام فرأت الحياكات والصباغات منهنَّ مجتمعات تحت سقيفة من جذوع النخل وقد انقسمن فرقاً بحسب اميالهنَّ ففرقة منهنَّ تألبت في حلقة حول احداهنَّ وقد انهمكت هذه في رسم الرسوم المضحكة على الواح الشمع والباقيات يتبعن حركات يدها بعين الاهتمام حتى اذا ما فرغت من الرسم عرضتهُ عليهنَّ واخذت كل منهنَّ تسمي اسم المرسوم فاذا كان احد النظار الغلاظ مشوه الخلقة تعالى ضحكهنَّ وزادت جلبتهنَّ تشفياً منهُ وكان في الطرف الآخر من السقيفة فرقة اخرى من تلك الجواري يلعبن لعبة معروفة في ذلك العصر وهي ان تجلس الجارية على قيد بضع اذرع من خطٍ مرسوم على الارض وراءها ثم تدفع حذاءها الى الوراء فاذا اجتاز الخط تفاءلن انها ستتزوج من تحب عن قريب والاَّ فاما ان تتزوج من لا تهواهُ او تظل عزباء الى زمان غير محدود فلبثت باولين تتأملهنَّ وقد كادت تنسى ما اتت لاجلهِ ولما طال بها المقام وتعالت الجلبة والضحك غلب عليها الضحك ايضاً وكأنَّ القنوط فسح مكاناً في فؤادها للسلوى فوقفت تضحك كالباقيات ثم حانت منها التفاتة فرأت جارية لم ترها من قبل وقد غطت رأسها بقناع تدلَّى الى عنقها وجلست بمعزلٍ عن الباقيات ويداها في حجرها وعلى وجهها سمات الحزن واليأس الشديدين فتأملتها باولين فرأت جمالاً بارعاً وبياضاً ناصعاً قلَّ ان يكونا في مثلها من الرقائق . ومن خبر هذه الفتاة انها فارسية اسمها ماندانى وقعت وامها اسيرتين في قبضة اليونان في الحرب التي اثارها هرقل قيصر الروم على كسرى الثاني ملك الفرس فباعهما الجند من نخاسي المقوقس فصارتا في بيتهِ ولم تكد الابنة تبلغ الثالثة عشرة حتى توفيت والدتها بعد ان رزحت تحت نير الرقّ الذي لم تعتدهُ فنشأت الابنة يتيمة في بيت المقوقس وكانت آية في الجمال واللطف والدعة فرآها اوريون قبل سفرهِ الى القسطنطينية واعجب بها فلما درى بذلك بعض اتباعهِ الاخصاء نقلوها الى مصيف لابيهِ في العدوة الشرقية فكان يزورها هناك متى شاء ولم تستطع الفتاة على ضعفها وجهلها ان تصدهُ او تزجرهُ حتى احست امهُ بهما فامرت كبير خدمها ان يقتص من الفتاة على نمط يمنعها من اغواء الفتيان فصلم هذا اذنيها عملاً بعادةٍ قديمة عندهم فاثرت هذه القسوة في الفتاة تأثيراً عميقاً واصيبت من جرائها بالجنون

لكنها ظلت تعمل عملها بين الحائكات بسكينة حتى اذا ما فرغت من العمل عاودها الجنون فكانت تظن المقوقس زوجها . فلما ابصرتها الجواري اسرعن اليها واتين بها الى حلقتهن ثم وقفن جميعاً وعلى وجوهن علامات السخرية والهزء وحيينها تحية الاماء لسيدتهن واخذن يسألنها عن صحة زوجها وعن احوال بيتها ويتوسلن اليها و يستعطفنها لكنهن امتنعن عن ذكر اسم اوريون رحمة بها الا واحدة منهن زنجية فانها قالت لها

— وكيف حال ابنك اوريون يا مولاتي فاجابت المسكينة

— لقد زوجتهُ من ابنة القيصر في القسطنطينية

— فاذاً لم يبلغك انهُ عاد الى منف واستصحب زوجتهُ معهُ وعن قريب تريْنهما لابسين الارجوان وعلى رأسيهما تاجا الامارة . فلما سمعت الفتاة ذلك احمر وجهها وضمت يديها الى رأسها وقالت

— او عاد اوريون فاجابتها احداهن

— نعم . قد كان امس في السفينة يتنزه مع نسيبتهِ اليونانية

— او تعنين اوريون الجميل

— نعم ابنك اوريون

فرفعت يدها ولطمت المتكلمة لطمة على فمها اسالت دمها ثم صرخت بأعلى صوتها

— افلتن ان اوريون ابني لقد اخطأتن فهو ليس ابني ولكنهُ عشيقي وطالما سمعتهُ يقول ذلك لي ولذا صلموا اذني لكنني لا احبهُ واتمنى ان ..... قالت هذا وجمعت يديها وحرقت اسنانها حتى سمع حريقها وعدت كالظليم وهي تصيح

— يا من يدلني عليهِ افليس بينكم من يرحم على اني ساجدة فاين انت يا اوريون . ثم عمدت الى المصبغة واخذت تبحث بين الامتعة والخوابي والجواري يغربن في الضحك الى ان جاءت الناظرة وامرتهن بالانصراف الى مضاجعهن ولما ابعدت تقدمت باوابن اليها فذهلت هذه لرؤية سيدتها وبادرت فادخلتها الى غرفتها و بعد ان طافت غرف المنامة وتحققت ان الجواري جميعاً فيها ما عدا الفارسية عادت الى غرفتها وقد اوهمتن انها تبحث عن المجنونة

الفصل السابع

كانت غرفة المرضع غايةً في النظافة والاتقان والبساطة فسرير تدلت عليهِ كلة بيضاء كالياسمين من النسيج الرقيق تقي النائم لذع البعوض و كراسي من الخشب مغشاة بشيءٍ من الانسجة المصبوغة وعلى الارض حصير قش وفي النوافذ اصايص من الخزف غرست فيها انواع

الازهار يضوع اريجها فيطيب الهواء فجلست باولين صامتة صمت المتأمل الحزين حتى عادت المرضع فقالت لها

— لقد رعبني قدومك اليَّ في هذه الساعة من الليل فماذا دهاكِ

نحفت باولين اليها وارتمت على عنقها تبكي وتنتحب حتى ابكتها وظلت كذلك حتى رأت المرضع ان البكاء ازال بعض غصتها وخفف كربها فقالت

— حسبك بكاء يا حبيبتي وكفاك نحيباً وهاتي حدثيني فلأمرٍ ما هجرتِ مضجعكِ وآثرتِ السهر على الرقاد . فاجابت باولين والعبرات تكاد تخنقها

— لقد ضاقت بي الدنيا على رحبها وباتت حياتي عبئاً ثقيلاً عليَّ فماذا يفيد العيش كرباً يخشى غروب الشمس وانسدال الظلام ويبغي شروقها وطلوع النهار فقد عزمت على مغادرة هذا المكان ففيهِ شقيت وفيهِ اموت غماً

— ولكن يا حبيبتي ويل اهون من ويلين فهبي اننا تخلينا عن ملجإنا هذا وضربنا في مفازة العالم فما الذي نصادفهُ فيها

— اذا خرجتُ من منف فكل مكان خيمت فيهِ فهو بابل ولخص وبئر ماء في ظل نخلتين في عرض الصحراء احبُّ اليَّ من سكن هذا القصر المنيف ومعاناة الشقاء فيهِ

— ولكنكِ لم تكوني كذلك قبل امس فهل اعتراكِ ما بدَّل رأيكِ فيهِ

— نعم فقد لقيت من ابن خالي الذي حسبتهُ اهلاً للحفاوة والاكرام ما كدَّر صفاء عيشي وزاد في تعاستي ولا اراكِ تجهلين ما لهذا الفتى من السلطان على القلوب فانهُ منذ يوم وصل شرع يهش لي ويبشُّ في وجهي ويتقرَّب مني فاذا تكلم فانما يتكلم لي او نظر فالى وجهي او غنى فلكي اسمعهُ وحدي . وانا احسبهُ صادقاً في حبهِ كريم النفس طاهر النية فاذا بهِ خدَّاع واذا بي مغترة فقد كان يطارحني الحبَّ وهو يعمل على عقد خطبتهِ على تلك الدمية كاترينا ابنة الارملة سوسنة فهي خطيبتهُ وعروسهُ

— يا وبلاهُ افلم يكفكِ ما انتِ فيهِ حتى فاجأكِ القدر بهذه الضربة ايضاً فاتكلي على عزَّة نفسك وشممكِ ورفعة نسبكِ يكن لكِ منها عون على احتمال مصيبتك بالصبر وقد كان من الواجب عليَّ ان اطلعكِ على دخيلة هذا الفتى وانبهك الى ما فعلهُ بماندا في الفارسية ولكني احجمت ريثما اقف على امرهِ واعجم عوده بعد عودتهِ من الغربة وحسبتُ قلبكِ امينًا في مثل درع من الزرد فاذا بهِ كقلوب سائر الفتيات فانك احببت اول رجل طارحكِ الغرام

— ولكنني لا احب اوريون الآن بل اكرههُ ولستُ اطيق احداً من يتهم

— اصبتِ في كرهكِ لهُ ولكن اخطأتِ في نفوركِ من اهل بيتهِ فقد حاولوا التقرُّب منكِ منذ اتينا بلادهم فصددتِهم فما ظنكِ بمن يطلب مشاركتكِ في حزنكِ فيرى منكِ انقباضاً انهُ يحسبكِ متكبرة متغطرسة وينحي عنكِ واعلمي انهُ يستحيل على المرء تبديل اخلاق غيرهِ بحسب ما يشاه فلم يبقَ لنا اذاً سوى التسليم بالحالة الحاضرة والقناعة بما قسم لنا ولا عتب عليهم اذا تجنبوكِ ولم يأنسوا بكِ فان ما اصابكِ من الشقاء تركك عبوسة الوجه كئيبة المنظر واكثر الناس لا يروق لهم ذلك

— على اني لم افه لديهم بشكوى ولم انبس ببنت شفة مما لاقيتهُ وما الاقيهِ

— وذلك عين الخطإِ افلا تعلمين ان في تعزية الحزانى لذة للمعزي او لم يخطر ببالك ان نفوركِ هذا والاصرار على كتم ما في نفسك خيَّبا آمالهم فالانسان ميَّال بالطبع في مشاركة غيرهِ في احزانهِ وهو يجد لذة في هذه المشاركة اما انتِ فقد حرمت انسباءك سروراً عظيماً فكانك تصرخين باعلى الصوت ابتعدوا عني فما بي حاجة اليكم ولو كنتِ تشكين امرك الى خالكِ لكان لنا مفرج من هذا الضيق

— لقد هممتُ بذلك الف مرة ثم اعود فاحجم فاني كلما رأيتهُ شاحب اللون بارد الاطراف كالميت اشفقت ان ازيد في المهِ وكأن واحداً ختم على شفتي فلا تنفتحان اما وقد جرى ما جرى الآن فلا سبيل الى مخاطبتهِ في الامر

— حسناً فافعلي ما تشائين وثقي ان اوريون لن يتعدَّى طورهُ بعد فتدرعي بالصبر وعزَّة النفس فقد يأتينا الفرج من حيث لا ندري

— بربك هل اتاك نبأٌ عن ابي فقلبي يحدثني بقرب لقائهِ وقد اتيتكِ الليلة اتنسم اخبارهُ

— نعم فقد عاد النبطي الذي ارسلناهُ وارى بارقةً من الامل تلوح لنا ولكن مهلاً فما الذي اعتراك . فصاحت باولين اتمي الحديث وهاتي ما عند الرجل من الاخبار

— قد يكون نبأُهُ كاذباً

— ولكن عجلي بهِ اكراماً لمجد الله

— اتاني حيرام فقال لي ان الرسول سمع عن زاهد منقطع الى عبادة الله في البراري وان هذا الزاهد كان قائداً عظيماً على اني لم اتمكن من مناقشة حيرام لضيق الوقت فغداً نقف على جلية الخبر منهُ

— ذلك ابي وافرحتاهُ فلا تؤجلي الامر الى غدٍ وهيَّا بنا الى حيرام فهو في الدار يصطلي مع سائر الاتباع

— مهلاً ولا تعلقي كبير امل على ما سمعتِ فقد يحدث ان يكون ذلك سراباً لامعاً تخدع بهِ و يعقبهُ خيبة الامل وليس من اللياقة ذهابنا الى الدار حيث الخدم والعبيد على اني ساوقظ ابن حيرام وارسلهُ في طلب ابيهِ فيوافينا الى هذا المكان

ولما جاء حيرام امرتهُ باولين باعادة ما جاء بهِ الرسول فكان ما سمعتهُ من المرضع وزاد عليهِ ان اسم الزاهد بولس وانهُ مقيم في جبل سيناء بين اخوانهِ العبَّاد الى ان قال والنبطي لا يأبى موالاة البحث عنهُ الى ان يعثر بهِ بشرط ان ننقدهُ مالاً معيناً قبل الشروع في العمل

فقالت باولين — ان الزاهد ابي فلمَّا نجا من المعركة وخال اني قُتلتُ في من قتل تخلى عن العالم وتزهد ثم تسمَّى باسم يذكرهُ بابنتهِ فاتوسل اليك يا حيرام ان لا تبطيء في البحث عنهُ بنفسك وساطلب الى خالي ان يأذن لك في الذهاب

فقالت المرضع — لقد سألنا خالك ذلك فامرنا بكتمان الامر عنكِ ريثما ينتهي حيرام من ابتياع الخيل اللازمة ولا يتم ذلك لهُ قبل اسبوعين فاذا اراد السفر بعدهما فهو مخير فيهِ

— ولكن من يضمن لي البقاء في قيد الحياة اسبوعين افلا يذهب النبطي الآن

— نعم ولكنهُ يطلب مبلغاً طائلاً لقاء ذلك ولما كان عارفاً باللغات فقد اتخذهُ بعض التجار دليلاً ومترجماً لعائلتهِ فاذا لم نرغبهُ في العطاء فلا يتخلى عن عملهِ هذا ولهُ فيهِ كسب كثير

فقالت باولين — وما اجرتهُ

فقال حيرام — الفا درهم . فبهتت باولين وبدت امارات الحيرة في وجهها ثم صاحت

— ولكن مالي في يد خالي وساجبرهُ على اعطائي ما احتاج اليهِ والاَّ رفعت الامر الى القضاة . فقالت المرضع

— ولكنك لا تستطيعينهُ دون رضاهُ لانهُ وصيك وهب انك فعلتِ فقد تمضي الايام قبلما تفصل القضية فاصبري ريثما نستطيع ارسال حيرام . فاطرقت باولين ساعة ثم قالت

— ما اتعس العيش وما امرَّ الحياة على ان الله لا يتخلى عني فقد وجدت منفذاً لنا فتعال معي يا حيرام وانتظرني عند الباب الصغير المؤدي الى غرف النوم فعندي ما يسد حاجتنا ويبقى بعدهُ الوف فقد عزمت على بيع الزمردة التي في عقد امي . فصاحت المرضع

— اتبيعين تلك الفريدة التي ورثتها عن الامبراطور تيودوسيوس وهي البقية الباقية من نفائس اسرتكِ

— نعم ابيعها لهذا الغرض فان ابي شيخ فانٍ وقد اصابهُ في اثناء الحصار من الجراح وقاسى بعدهُ من التعب ما يذهب بالعمر فانفاسهُ معدودة والموت يترصدهُ فاذا اجلنا انقاذهُ كان في

ذلك التأجيل انصرام عمرهِ فلا تحاولي ان تثنيني عن عزمي وانت ياحيرام فاذا اخذت الزمردة فاذهب بها غداً الى غمالائيل الصيرفي وبعها منهُ باثني عشر الف درهم تنقد النبطي الفين منها وتبقى الرصيد في يد الصيرفي الى ساعة نحتاج اليهِ ستأتي البقية

فتح المكسيك

لا تذكر بلاد المكسيك ولا يذكر فتح الاسبانيين لها الا خطر على بال قارىء التاريخ اسم كورتس القائد السفاح الذي اجتاحها وهدم دعائم العمران الذي وصفناه في الاجزاء السابقة . وعلى هذا الرجل وافعالهِ مدار كلامنا في هذا الفصل والفصول التالية

ولد كورتس سنة ١٤٨٥ من بيت قديم يقال انهُ من نسل ملوك لمبرديا وكان ابوهُ ضابطاً في الجيش مشهوراً بحسن السيرة وكذلك كانت امهُ من فضليات النساء . وبعث بهِ ابوهُ الى مدرسة سلامنكا ليتعلم علم الحقوق فلم يتعلم شيئاً سوى القليل من اللغة اللاتينية واتقن الكتابة والانشاء في لغتهِ . وشب شكس الاخلاق كثير المشاكل على غير ما يريده ابواهُ ومال الى الانتظام في سلك الجنود واقتحام المخاطر . وكان الاسبانيون قد اكتشفوا اميركا وطمحت نفوس شبانهم اليها لما فيها من اقتحام الاهوال وجمع الغنائم الكثيرة فدخل سفينة من اسطول ذاهب اليها اوالى الجزائر الهندية كما كانت تسمى وعمره ١٩ سنة حتى اذا بلغ الاسطول جزائر كناري اسرعت السفينة التي كان فيها تاركةً الاسطول لكي تصل قبلهُ الى هسبانيولا لكن العواصف كسرت سواريها فاضطرت ان ترتد على عقبها وتسافر مع الاسطول كلهِ ثم تركتهُ قاصدة ان تسبقهُ الى هسبانيولا فسبقها اليها وباع شحنهُ قبل وصولها

وكان كورتس يعرف والي المدينة فمضى اليهِ فوجدهُ غائباً لكن وكيلهُ رحب بهِ وقال لهُ ان الوالي يعطيك ما تشاه من الاراضي الزراعية فقال اني لم آتِ لافلح وازرع بل لاجمع الذهب . ثم جاء الوالي واقنعهُ ان حراثة الارض اربح لهُ من اقتحام الاهوال ومنحهُ ارضاً فسيحة وكثيرين من الهنود ليقوموا لهُ بزراعتها لكن الطبع غلاب فكان كلما رأى الجنود تخرج لاخماد ثورة الاهالي يخرج معها ويشاركها في الاعمال البربرية التي سودت وجه اوربا

وسنة ١٥١١ خرج القائد ڤلاسكث الاسباني لفتح كوبا فخرج كورتس معهُ وابدى من الهمة والبسالة ما اعجب بهِ رئيسهُ ومن الكياسة والظرف ما حببهُ الى الجنود . وفتح ڤلاسكث جزيرة كوبا وجُعل والياً عليها فقرَّب كورتس وجعلهُ من كتابهِ ثم انقلب عليهِ كورتس بعد

حين لانهُ وبخهُ على إخلافهِ وعدهُ لفتاة وعدها ان يقترن بها وانضم الى الحزب الناقم عليهِ . ولا تخلو بلاد جديدة من حزب ينقم على واليها لانهُ يتعذَّر عليهِ ارضاء الجميع بالوظائف والمنح . وانتدب الحزب الناقم كورتس ليمضي الى هسبانيولا و يشكو الوالي ونمي الخبر الى الوالي قبل سفر كورتس فقبض عليهِ وكبلهُ بالقيود لكن كورتس احتال على القيود فكسرها وفرَّ من السجن ولجأ الى الكنيسة محتميًا بها . وخاف الوالي ان يخرجهُ من الكنيسة عنوة فوضع حراسًا حولها حتى اذا خرج منها ذات يوم قبضوا عليهِ واعيدت قيودهُ وطرح في سفينة ليرسل الى هسبانيولا لكنهُ اخرج قدميهِ من القيود في ظلمة الليل وانسلَّ من السفينة الى قارب بجانبها ودفعهُ فسار بهِ قليلاً ثم طرح نفسهُ في البحر ولجأ الى السباحة وكان قوي الذراعين فبلغ الشاطئ واسرع الى الكنيسة واعتصم بها ورضي ان يقترن بالفتاة التي ابى الاقتران بها اولاً فعفا الوالي عنهُ واصطلحا ووهبهُ الوالي اراضي فسيحة وكثيرين من الهنود ليعملوا لهُ فيها فعكف على الزراعة واستغلال الارض وكان في اراضيهِ مناجم ذهب فاستخرج الذهب منها واثرى وعاش بالرفاهة والنعم مع زوجتهِ

وشاعت في ذلك الحين اخبار المكسيك ويوكتان وما فيهما من الغنى الوافر فاستدعى الوالي كورتس وعقد لهُ على حملة بحرية اليهما فرأى ان احلام الصبا واماني الشباب قد تحققت الآن وابيح لهُ ان يشارك عظماء القواد في افتتاح البلدان التي رأتها عين كولمبس المكتشف الاكبر ولكنهُ قضى قبل ان تطأها قدماهُ فابرقت اسرتهُ وتغيرت اطوارهُ وكاد يطير سرورًا فانفق امواله كلها في اعداد الحملة ورهن املاكهُ لكي يتمكن من ذلك فابتاع السفن والمؤن والاسلحة واستعان باصدقائهِ واعدًا اياهم بجزء من المكاسب لان ظاهر الحملة كان التجارة لا الفتح وانقاذ بعض المسيحيين الذين اسرهم اهالي المكسيك ودعوتهم الى اعتناق الديانة المسيحية ومحالفة ملك اسبانيا واتحافهِ بالهدايا النفيسة من الذهب والفضة والحجارة الكريمة ومعرفة شواطئ البلاد ومرافئها وانواع حاصلاتها واخلاق اهلها ومقوّمات عمرانهم ونحو ذلك مما يسهل بهِ التعامل معهم ويتسع نطاق المعارف . هذه هي الغايات الظاهرة التي أُعدَّ لها ذلك الاسطول ولا ندري هل كان كورتس والذين ارسلوهُ يضمرون غاية اخرى وهي الفتح والتغلُّب او كانوا مخلصين في دعواهم ولا غرض آخر لهم. ولا هل كان في الامكان مسالمة الاهالي وترك بلادهم لهم والاكتفاء بمعاملتهم ومحالفتهم ولو لم يعتنقوا الديانة المسيحية . ولكن ذلك ليس بعيدًا لان اهالي البرتغال دخلوا ممالك الهند منذ قرون ولم يحاولوا امتلاكها بل اكتفوا باحتلال بعض الثغور والاتجار مع الاهالي

وكان عند والي كوبا نديم مهذار جامع بين البله والهزل والرقاعة فرآهُ ذات يوم ماشياً مع كورتس نحو المرفإ وقال لهُ "كن على حذرٍ منهُ ايها الوالي وإلاَّ قلب لك ظهر المجن" فقال الوالي لكورتس اسمعت ما يقول هذا الرجل فقال كورتس انهُ مجنون ويستحق الجلد على هذا الكلام . لكنَّ كلام هذا المجنون مرق كالسهم في قلب الوالي

وكان لكورتس كثيرون من الحسَّاد فاكثروا الوشاية بهِ وتذكَّر الوالي ما جرى لهُ معهُ قبلاً وكيف عصى امرهُ وفرَّ من وجههِ فعزم ان يعطي قيادة الحملة لرجل آخر واطلع على ذلك اثنين من اخصائهِ فحملا الخبر الى كورتس واشارا عليهِ ان يسرع في السفر اذا شاء ان تبقى القيادة لهُ ولم يكن قد اعدَّ السفن الكافية ولا العدد الكافي من البحارة والجنود ولا مايكفي من المؤن لكنهُ رأى في العجلة السلامة وفي التأني الندامة

وربما فات قوماً جلُّ امرهم من التأني وكان الحزم لو عجلوا

فعقد نيتهُ على السفر ذلك اليوم والليل مرخٍ سدولهُ واستدعى رجالهُ وامرهم بالنزول الى السفن في منتصف الليل ومضى الى الجزار واخذ كل ما اعدَّهُ من اللحم للمدينة واعطاهُ بدلاً منهُ سلسلة كبيرة من الذهب كان يضعها في عنقهِ

وقام اهالي المدينة في الصباح فوجدوا السفن كلها بعيدة عن الشاطىء ونمي الخبر الى الوالي فنهض حالاً وركب جوادهُ واسرع الى المرفإ ورآهُ كورتس فنزل في قارب مسلح ودنا من الشاطىء فقال لهُ الوالي اتفارقني على هذه الصورة أهذا جزاء المعروف الذي فعلتهُ معك فقال كورتس قضت الضرورة عليَّ بذلك فهل لسعادتكم امرٌ تأمرونني بهِ فوقف الوالي حائرًا في امرهِ ورفع كورتس يدهُ اشارة التسليم والوداع وامر رجالهُ ان يعودوا بهِ الى السفينة وعاد الوالي الى قصرهِ وهو يحرّق الارَّم وكان ذلك في ١٨ نوفمبر سنة ١٥١٨ . ولعلهُ رأى انهُ اخطأ خطائين الاول انهُ جعل كورتس قائداً لهذه الحملة وهو لا يأمنهُ والثاني انهُ حاول نزع القيادة منهُ بعد ان امتلك ناصيتها فجعلهُ عدوًّا لهُ لدوداً وهذا من فساد الرأي ولم يكن في طاقة كورتس ان يفعل غير ما فعل بعد ان انفق اموالهُ كلها في اعداد هذه الحملة واستغرق في الدين لاجلها

وبلغ اسطولهُ مكاكا وهي على ١٥ غلوة من سنت جاكو عاصمة كوبا فاخذ منها ما وجدهُ في اراضي ملك اسبانيا من المؤن قائلاً انها دين عليهِ للملك وسار منها الى ترندال فنزل الى البر واستدعى الاهالي للذهاب معهُ واعداً اياهم بالربح الكثير فجاءهُ المتطوعون، وبعضهم من جنود حملة سابقة وبعضهم من الفرسان الذين كان لهم شأن يذكر في الغزوات السالفة . وبلغهُ

وهو هناك ان سفينة تجارية مشحونة حنطة كانت قريبة من الشاطىء فبعث سفينة من سفنهِ اسرتها واتت بها فكتب لربانها صكاً بثمنها وثمن وسقها واقنعهُ بالذهاب معهُ هو وبحارتهُ

واتت الرسائل من والي كوبا الى حاكم ترندال يأمرهُ فيها بالقبض على كورتس او يمنعهُ عن السفر لانهُ اناط القيادة بغيرهِ فاطلع الحاكم الضباط على امر الوالي فقالوا لهُ لا تفعل لان الجند كلهُ مع كورتس فيحرقون المدينة على رأسك

ثم سار الى هافانا ورأى هناك كثيراً من القطن فامر جنودهُ ان يحشوا ثيابهم بهِ حتى لا تخرقها نبال الهنود وقسمهم الى ١١ كتيبة وجعل لكل منها قائداً محنكاً. وكان علَمهُ من المخمل الاسود مطرَّزاً بالذهب وفيهِ صليب تحتهُ السنة زرقاء وبيضاء تمثل لهب النار

وكان عمرهُ حينئذٍ ٣٣ سنة وهو فوق الربعة اصفر الوجه اسود العينين كبيرهما عريض المنكبين كبير العضل مشهور بالفروسة واستعمال السلاح لا يتأنق في مأكلهِ ومشربهِ ولا يبالي بالتعب يلبس اللباس الفاخر الخالي من الزخرفة مع قليل من الحلى الثمينة جداً وهو طلق المحيا لكنهُ شديد الحذر حازم الرأي يشعر من يقترب منهُ ان لا بدَّ لهُ من طاعتهِ

لما اتمَّ استعدادهُ للسفر كان معهُ احدى عشرة سفينة اكبرها سفينتهُ محمولها مئة طن وتلوها ثلاث محمول كل منها سبعون او ثمانون طناً والبواقي صغيرات وجعل لها كلها رباناً واحداً اسمهُ انطون الامين وقد كان هذا الرجل رباناً لسفن كولمبس في سفرتهِ الاولى. وعدَّ رجالهُ فوجدهم ١١٠ من البحارة و ٥٥٣ من الجنود ومئتا رجل من الهنود وكان معهُ عشرة مدافع كبيرة واربعة صغيرة وستة عشر جواداً ووجود الجياد لم يكن بالامر السهل لغلاء ثمنها فان الجواد الواحد كان يساوي نحو خمس مئة ريال

وخاطب جنودهُ قبل سفرهِ قائلاً انهم مقدمون على عمل يخلد اسماءهم في صفحات التاريخ وذاهبون الى بلاد اوسع من كل بلاد وطأتها اقدام الاوربيين قبلاً واعمر منها واكثر سكاناً فامامهم شهرة واسعة ولكنهم لا ينالونها الاَّ بشق الانفس ولا يُنال الامر العظيم الاَّ بالتعب الكثير الى ان قال "واني خاطرت بكل ما املكهُ لكي انال الشهرة التي تفوق كل قنية وان كنتم تطمعون بالغنى فثقوا بي واتكلوا عليَّ فتغنموا ما لم يحلم بهِ ابناء وطنكم. انتم شرذمة صغيرة ولكنكم رجال بواسل فاعتمدوا على الله الذي لم يخيب الاسبانيين قط فهو يقيكم ولو احاطت بكم زُمَر الاعداء ولقد خرجتم لتحاربوا باسمهِ فثقوا بهِ والظفر حليف لكم

فهتفوا لهُ فرحين وغنوا الاغاني الحماسية واقلعوا في الثامن عشر من شهر فبراير سنة ١٥١٩ قاصدين سواحل يوكتان وبلاد المكسيك

وتغيّر الهواء بعد ان اقلعوا وثارت العواصف فتفرَّقت السفن بعضها عن بعض وعبثت بها الرياح حتى لم تصل الى جزيرة كزومال الاَّ بشق الانفس وكانت سفينة كورتس آخر السفن التي وصلت اليها فرأى ان قائدًا من قواده وصل قبلهُ ودخل هياكل الاهالي ونهب ما فيها فهربوا من وجههِ الى قلب الجزيرة فلامهُ كورتس على ما فعل لومًا شديدًا واتى باثنين من الاسرى واخبرها بواسطة الترجمان ان ما حدث كان خطأً من جنودهِ وطيَّب خاطرها فاكثر لها الصلاة وارسلهما ليخبرا اهالي بلادها ليرجعوا الى بيوتهم فرجعوا واعطاهم كثيرًا مما معهُ من الحلي والخرز وآلات القطع واخذ بدلاً منها شيئًا من الحلى الذهبية

وبحث عن الاسرى الذين قيل لهُ انهم كانوا في اسر اهالي المكسيك فبلغهُ انهم لا يزالون هناك ثم افتدى واحدًا منهم بعد ان اقام زمنًا طويلاً في تلك البلاد وتعلم لغة اهلها واكرم مثواهُ واخذهُ معهُ ليستعملهُ ترجمانًا بينهُ وبينهم. وطلب من اهالي كزومال ان يقلعوا عن عبادة الاوثان ويتنصروا ولما رأى ان كلامهُ لا يقنعهم دخل الهياكل وطرح الاصنام منها لكي يري عبَّادها انها لا تستطيع ان تقي نفسها واقام مذبحًا في احدها ووضع عليهِ صورة العذراء والطفل وكان معهُ مبشران للخدمة الدينية فلم يعترضهُ الاهالي بل رضخوا لحكمهِ بعد ما رأوا ما فعلهُ باصنامهم. وترك جزيرتهم في الرابع من شهر مارس (اذار) واقلع ووجهتهُ بلاد المكسيك الى ان بلغ مصب نهر غريجلفا فوجد الرمل كثيرًا فيهِ يصدهُ عن الصعود بسفنهِ الكبيرة فتركها وركب القوارب مع البعض من رجالهِ وصعد في النهر وكانت الاشجار الغبياء تظلل ضفتيهِ فرأى من خلالها السكان يرقبونهُ بعيون ملئها الغيظ فاوجس خيفة وجعل يصعد في النهر على حذرٍ منهم حتى اذا بلغ منفرجًا من الارض وجد فيهِ كثيرين من السكان مجتمعين فطلب منهم بواسطة الترجمان ان يسمحوا لهُ في النزول على البر وقال لهم انهُ لا يقصد لهم شرًّا وانما غرضهُ الاتجار معهم اما هم فشهروا اسلحتهم كمن يتهددهُ فرأى من الحكمة ان يخفض لهم جناحهُ ودار بقواربهِ الى جزيرة في وسط النهر ونزل عليها تلك الليلة

وما طلع الفجر حتى رأى الاسبانيون ان الضفة المقابلة لهم قد تغطت بالهنود وقواربهم تملأ النهر امامها وهي مشحونة بالمقاتلة فقال كورتس لا بدَّ لنا اذًا من ان نلجأ الى القوة وامر مئة من رجالهِ ان ينزلوا الى البحر من ذلك المكان بقيادة احد ضباطهِ واسمهُ افيلا ويسيروا الى مدينة الهنود واسمها تباسكو ودنا هو مع بقية رجالهِ من الهنود عازمًا ان يستعمل معهم اللين اولاً فان لم يفلح فالشدة وخاطبهم بواسطة الترجمان قائلاً انهُ لا يبغي الاَّ ان يسمحوا لهُ بالنزول الى البر وانهُ يود الاحتفاظ بالعلاقات الودية التي كانت بين قومهِ وبين سكان المكسيك

وانهُ اذا اريق دم احد فهم المطالبون بذلك وهو لا يقصد سفك الدم ولا نفع لهم من مقاومتهِ لانهُ عازم ان ينزل على كل حال ويبيت في تباسكو رضوا او لم يرضوا . فاجابهُ الهنود بالصراخ والنبال ولعلهم لم يفهموا شيئًا مما خاطبهم بهِ

فقال كورتس لقد بررت بعهدي لمولاي وانا من دم هؤُلاء الناس بريءٌ ثم امر ان تدنو قواربهُ من قوارب الهنود وابتدأ الكفاح يدًا ليد فكان الفوز لرجالهِ فهرب الهنود من وجههم الى البر وجعلوا يرشقونهم بالنبال والعيدان المشتعلة وكانت الارض موحلة فلصق خفُّ كورتس بها وتعذَّر عليهِ نزعهُ فحارب حافيًا. واصلى الاسبانيون الهنود نارًا حامية من بنادقهم فذعروا من لهب البارود وصوتهِ ولم يكونوا قد رأوا ذلك من قبل وارتدوا على اعقابهم واحتموا وراء سورٍ من الخشب لكن الاسبانيين وصلوا اليهم حالاً واخرجوهم من ورائهِ فهربوا من وجههم الى مدينتهم واحتموا فيها فتبعوهم اليها

وكان اڤيلا قد بلغ المدينة من جهة اخرى فاحاط بها الاسبانيون من جهتين ووضعوها بين نارين حاميتين ورأى الاهالي ان لا قبل لهم بمقاومة هذا العدو اللدود فانهزموا من وجههِ وكانوا قد اخرجوا نساءهم واولادهم وامتعتهم من المدينة فجدوا في اثرها واخلوا بيوتهم للاسبانيين فدخلوها ونهبوا ما فيها فلم يجدوا فيهِ الاَّ قليلاً من الذهب . واكثر البيوت من الطين ولكن بعضها كبير مبني بالحجر والجير (الكلس) واستولى كورتس على المدينة باسم ملك قشتالة وقال انها صارت من املاك ذلك الملك وانهُ (اي كورتس) يحميها من كل عدو بسيفهِ وترسهِ وهذا كان اسلوب الفتح والامتلاك عندهم . وكُتب ذلك في كتاب ووضع الشهود اسماءهم فيهِ

ونام كورتس ورجالهُ تلك الليلة في المدينة بعد ان رتَّبوا الحرَّاس حولهم ونهض في الصباح وبعث فرقتين من رجالهِ للاستكشاف فالتقى الهنود باحداها وكادوا يفتكون بها لو لم يبلغ صراخهم الفرقة الثانية فاسرعت الى نجدتها وارتدَّت الفرقتان نحو المدينة لان الهنود كانوا كثارًا جدًّا فخرج كورتس من المدينة ببقية رجالهِ واستعرت نار القتال فابلى الاسبانيون في الهنود بلاء حسنًا حتى ردوهم على اعقابهم. واتضح لكورتس حينئذٍ ان البلاد كلها قد هبَّت لمقاومتهِ لانها انفت مما جرى في جزيرة تباسكو. فندم على ما فرط منهُ ولات ساعة مندم ورأى انهُ لم يبقَ امامهُ الاَّ مقابلة القوة بالقوَّة لانهُ اذا ارتدَّ ضعفت عزائم رجالهِ ولم يعودوا يستطيعون شيئًا وطمع الهنود بالاسبانيين في كل مكان فارسل الجرحى الى السفن واتى منها ببقية الرجال وستة مدافع وبالخيل وكانت قوائم الخيل قد يبست من طول الوقوف ولكنها لم تجرِ على البر

طويلاً حتى لانت وطلبت المزيد . وأمّر واحداً على المدفعية وواحداً على المشاة وابقى لنفسهِ قيادة الفرسان وكان بينهم كثيرون من نخبة الابطال . وقضى الليل على احرّ من جمر القتاد فلم يغمض لهُ جفن بل بات الليل كلهُ يطوف حول معسكرهِ ولما بزغ الفجر صفّ رجالهُ ليهجموا على العدو قبل ان يهجم العدو عليهم عالماً ان شروعهم في الهجوم يقوي عزائمهم وامر المشاة والمدفعية ان يهجموا على القلب ودار هو بالفرسان ليأتوا العدو من احد الجناحين او من الساقة وكانت الارض مزروعة ذرة وفيها كثير من المساقي فعسر عليهِ وعلى رجالهِ السير فيها لكن كان فيها سكة مطروقة فجروا المدافع عليها . ومشى الجنود ثلاثة اميال وكان الحرّ شديداً لكن ثيابهم كانت محشوَّة بالقطن كما تقدَّم فوقتهم من حر الشمس كما حمتهم من النبال واخيراً وصلوا الى سهل فسيح ورأوا صفوف الهنود فوقهُ على مرتفعات من الارض حتى اذا دنا الاسبانيون منهم وهم يتعثرون في المستنقعات صبُّوا عليهم النبال والحجارة فنزلت على خوذهم وتروسهم كوابل المطر وجُرح كثيرون منهم قبلما خرجوا من السهل وصاروا على مقربة من الهنود وللحال شرعوا يصبون عليهم نار البنادق فيحصدونهم حصداً وكان الهنود كثاراً فلم يرعهم ذلك بل اطبقوا على الاسبانيين من كل ناحية فثبت الاسبانيون في مواقفهم منتظرين قدوم الفرسان لنجدتهم وظلوا على ذلك اكثر من ساعة حتى ضاق خناقهم وزهقت ارواحهم وبينما هم على هذه الحال رأوا التشويش في الصفوف البعيدة من الهنود فماجت واضطربت وامتدَّ الاضطراب الى بقية الجيش وسمع الاسبانيون اخوانهم الفرسان ينادون باسم مار يعقوب ومار بطرس ورأوا بريق سيوفهم ولمعان خوذهم وهم يخوضون غمرات الردى ويردون الهنود يمنةً ويسرة فانتعشت نفوسهم واشتدت عزائمهم وخُيّل لهم ان ذينك القديسين اتيا لنجدتهم

وذعر الهنود من الفرسان ذعراً شديداً لانهم حسبوا الفرس والفارس حيواناً واحداً ولم يكونوا قد رأوا فرساً من قبلُ فطرحوا اسلحتهم وفروا من وجههم ولم يكن الاَّ القليل حتى انهزم الهنود كلهم ولم يبقَ في ساحة الوغى الاَّ اشلاء القتلى والجرحى وتهلل كورتس ورجالهُ بهذا النصر المبين حاسبين ان الله سبحانهُ ارسل اثنين من قديسيهِ ليحاربا عنهم . وامر كورتس رجالهُ ان لا يقتفوا اثر العدو ثم جمعهم وشكر الله على هذا الفوز . وبنيت مدينة هناك تذكاراً لهذه المعركة جعلت عاصمة لتلك الولاية

ولا يُعلَم كم كان عدد الهنود بالتحقيق ولا كم قُتل منهم واكثر الاقوال على انهم كانوا خمس فرق في كل فرقة ثمانية آلاف نفس . والاختلاف كثير في عدد من قتل منهم من الف الى ثلاثين الفاً ويقال انهُ لم يُقتل من الاسبانيين الاَّ اثنان ولم يجرح منهم الاَّ مئة

واسر الاسبانيون كثيرين من الهنود وبينهم اثنان من شيوخهم فاطلقهم كورتس وبعث معهم الى اهالي بلادهم يقول انهُ يتجاوز عمَّا مضى اذا خضعوا لهُ والاَّ دوَّخ بلادهم وقتل كل مَن فيها ولم يعفُ عن امرأة ولا عن ولد

فخاف الهنود من هذا الوعيد وجاء بعض شيوخهم في الصباح بثياب سوداء علامة التذلُّل وطلبوا ان يسمح لهم بدفن قتلاهم فاذن لهم في ذلك وطلب منهم ان يأتيهُ رؤساؤهم لكي يعقد معهم هدنةً او صلحاً فجاءهُ الرؤساء حالاً بموكب عظيم وهدايا نفيسة وفي جملتها عشرون جارية حسناء واحدة منهنَّ اصطفاها كورتس لنفسهِ وتزوج بها وكان لها اليد الطولى في فتح المكسيك كما سيجيء

وعقد الصلح بين كورتس ورؤساء تباسكا وفتش الاسبانيون عن الذهب العين ضالتهم المنشودة الذي سفكوا لاجلهِ دماء اولئك الابرياء فقيل لهم ان معادنهُ ليست هناك بل في بلاد المكسيك غرباً فعادوا الى الغاية الاخرى التي جاؤوا لاجلها وهي تنصير الاهالي وردعهم عن عبادة الاصنام فانقاد الاهالي اليهم بعد الذي شاهدوهُ من فتكهم بهم. وكان اليوم التالي احد الشعانين فاحتفل بهِ الاسبانيون احتفالاً باهرًا وساروا بموكب حافل حاملين سعوف النخل وسار الهنود معهم رجالاً ونساء مدهوشين الى ان بلغوا الهيكل الاكبر فدخلوهُ والاسبانيون يرنمون والهنود ينظرون اليهم مبهوتين ويقال انهم بكوا فرحاً مما شاهدوا . ولو لم تمحُ حسنات القرن الماضي سيئات القرنين اللذين سبقاهُ لقلنا انهم بكوا وحق لهم البكاء على ملكهم الذي زال وعمرانهم الذي تقوضت اركانهُ

ولا يبعد ان تكون الديانة المسيحية قد دخلت تلك البلاد منذ عهد قديم جدًا كما ابنًا في الكلام على رسول المكسيك الاَّ ان تعاليمها لم ترسخ في النفوس فلما عاد ذلك الرسول الى اوربا نجهل الناس تعاليمهُ رويدًا رويدًا ولم يبقَ عندهم الاَّ آثارها . ثم تغيرت شؤُون السكان بمجيء الغزاة من الجهات الشمالية فكادت تلك الآثار تمحى ولم يبقَ الاَّ ظلها حتى اذا جاء الاسبانيون تنبهت الاذهان بحفلاتهم الدينية الى ما يكاد يمحى منها وسهل على اهالي المكسيك ان يقبلوا ما في نفوسهم اثر منهُ

وودَّع كورتس ورجالهُ الهنود وقد حسبوهم الآن اخواناً لهم وعادوا الى قواربهم وسعوف النخل في ايديهم ونزلوا في النهر الى ان بلغوا السفن فاقلعوا بها قاصدين سواحل المكسيك ومناجم النضار وسيأتي تفصيل ما فعلوهُ فيها في الجزء التالي



قد رأينا بعد الاختبار وجوب فتح هذا الباب ففتحناهُ ترغيباً في المعارف وإنهاضاً للهمم وتشحيذاً للاذهان . ولكنَّ العهدة في ما يدرج فيهِ على اصحابهِ فنحن براء منهُ كلهِ . ولا ندرج ما خرج عن موضوع المقتطف ونراعي في الادراج وعدمهِ ما يأتي : (١) المناظر والنظير مشتقَّان من اصل واحد فمناظرك نظيرك (٢) انما الغرض من المناظرة التوصل الى الحقائق . فاذا كان كاشف اغلاط غيرهِ عظيماً كان المعترف باغلاطهِ اعظم (٣) خير الكلام ما قلَّ ودلَّ . فالمقالات الوافية مع الايجاز تستختار على المطوَّلة

هواجس ام وساوس

قُلْ للأُلى لم ينظروا بمقالتي ال ... أُولى سوى ما جاء في العنوانِ
فقضَوا عليَّ بأنني مُذكٍ لظى ... حرب على الجنس اللطيف عوانِ
لا تحكموا حسب الظواهر واعلموا ... أن ليس ذا قصدي ولامن شاني
وتذكَّروا أني كرام آكل ... رُطَب المشانِ بعلة الورشانِ

نشرت في مقتطف دسمبر الماضي مقالة بهذا العنوان أثبتُّ فيها ما ارتآهُ بعض اصدقائي في علة انقطاع السيدات عن الكتابة وختمتها بذكر ما انتهوا اليهِ في البحث وهو رفع المسألة الى حضرة الكاتب الشهير الدكتور شبلي افندي شميل ولبثتُ انتظر حكمهُ فيها او ردًا عليها من احدى السيدات او احد المدافعين عنهنَّ

فلما صدر مقتطف يناير رأيتُ فيهِ بدل الرد الواحد ثلثةً اولها لحضرة الصديق الفاضل نجيب افندي شاهين والثاني لحضرة الفاضلة السيدة لبيبة هاشم والثالث لاحدى قارئات المقتطف . ولما كان كل ما جاء في هذه المقالات الثلث موجهاً لاصدقائي الذين اشرت اليهم في مقالتي الأُولى لم أبطئ ان اجتمعتُ بهم وعرضت عليهم الاجوبة المشار اليها. وقبل ما نظروا فيها عقدوا "جلسة رسمية" انتخبوا خامسهم رئيساً لها وهذا العاجز كاتباً يدوّن خلاصة ما يجمعون عليهِ في البحث واطلقوا على صاحب المقالة الاول "النجيب" وصاحبة المقالة الثانية "اللبيبة" والثالثة "الاديبة". وبعد ما انعقدت الجلسة نهضتُ واستأذنت الرئيس في تلاوة ردّ النجيب ثم جلستُ ادوّن ما ارتآهُ فيهِ كل من الاربعة على الوجه الآتي

قال الاول — ان النجيب شديد الطمع في مودة صديقهِ ولذا اكثر من مداعبتهِ وكأنهُ

واثق بعدم تطيرهِ فلم يأنف من تعريضهِ لشؤم الاحلام ورجوعهِ من معترك البحث بنصيب رئيس الخبازين وجلوسهِ مجلس ايوب في المسوح والرماد ولعل الصداقة تجيز اكثر من ذلك

وقال الثاني . اتهمني النجيب بحكِّ الحزازات وشفاء احقادٍ قديمةٍ في بعض الصدور فلو صدَّق الجنس اللطيف مدَّعاهُ لصلاني حرباً ذات ضرام وجرَّعني صاب عذابٍ يهون عندهُ الموتُ الزؤام

وقال الثالث . اتهمني النجيب بتقسيم الكتابة الى حقيقية وعارضة وانا لم اقل هذا بل قلت ان كتابة السيدات كانت على صورة عارضة والفرق بين القولين ظاهر ولقد فسَّرت " الاديبة " مرادي بهذا احسن تفسير في صدر ردّها فليرجع اليهِ ان اراد

وقال الرابع . انَّ في ردّ النجيب اوضح مثالٍ للتناقض فانهُ لم يلبث بعد ما استصوب الحكَمَ الذي اخترناهُ ووصفهُ بأنهُ " ابن بجدتها " ان قال " فان انصف رضينا بحكمهِ والاَّ فهو ليس بالحكم " الترضي حكومتهُ " وهذا اغرب ما سمع في شروط التحكيم

قال الرئيس . أُصدِّق ما قرَّرتموهُ وازيد عليهِ ان النجيب سلّم بقلَّة عدد الكاتبات بل بعدم وجودهنَّ تقريباً لانهُ اذا كان الكتّاب يعدون حسب زعمهِ على الاصابع فالكاتبات صفر لكنَّ حضرة اللبيبة تخالفهُ في هذا وتدَّعي أنَّ لانقطاعهنَّ عن الكتابة سبباً آخر غير قلتهنَّ او عدمِ وجودهنَّ فليت كلاًّ منهما اطَّلع على ما كتبهُ الآخر فكانا يأمنان هذا التناقض الذي اقلُّ ما فيهِ سقوط الدعوى

ثم نهضتُ وتلوتُ عليهم جواب اللبيبة وجلستُ أُدوِّن عنهم ما يأتي :

قال الاول : انَّ لغة اللبيبة تظهرها وتدلُّ على انها بالحقيقة من الجنس اللطيف لانها في دفاعها عن نفسها وعن بقية بنات جنسها اضفت علينا جانباً عظيماً من اللطف الذي بخل علينا باقلهِ حضرة النجيب المحامي عنهنَّ

وقال الثاني : اقرَّت حضرة اللبيبة صريحاً بجهلها لاقتدار بنات جنسها العلمي والادبي فلا بدع ان جهلناهُ نحن وانكرناهُ

وقال الثالث : اعترفت اللبيبة بان الحياة قصيرة والوقت ثمين فليتها راعت هذه القاعدة ولم تقضي الوقت الثمين باطلاً في محاولة اتهام الرجال بما تشهد السماء ومن فيها والارض وما عليها بانهم براء منهُ وهو عدم امتداحهم للكاتبات وتنشيطهنَّ الى مزاولة الكتابة . وعندي انهُ لو بُعث سيف الدولة من لحدهِ وادَّعى على المتنبي بانهُ لم يفه قطُّ في شعرهِ بكلمة مدحٍ لهُ لكان تصديق دعواهُ هذه ايسر من تصديق دعوى اللبيبة على الرجال

وقال الرابع : تطلب حضرة اللبيبة عشرة فرنكات عن كل صفحة تخطها يد سيدة وهي الضمينة بوجود سيدات كثيرات يكتبن . فلا بأس من ان ينشىء احد الرجال مجلة شهرية ذات مئة صفحة وينتدب لتحريرها لجنة من السيدات باجرة خمس مئة جنيه في السنة وانا الضمين لهُ بربح يفوق الحساب ويسوق اليهِ الخراب من اقرب الابواب

فقال الرئيس : ان السيدة التي تستحق هذه الاجرة الفادحة لم تخلق بعد في الشرق والتي لا تكتب الأعلى هذا الشرط لن تكتب ابد الدهر فيستوي وجودها في عالم الادب والعدم وتكون اناملها بالحقيقة لا تقوى على "احتصار اليراع واجتذاب القلم"

ثم نهضت وتلوت جواب الاديبة وجلست اكتب الرد الآتي عليهِ

قال الاول : اراها في هذا الجواب اصابت كبد الصواب كانها أُوتيت الحكمة وفصل الخطاب

وقال الثاني : وانا اثني ذلك

وقال الثالث : لا أُبدي ولا اعيد

وقال الرابع . وانا حسبي فلا ازيد

حينئذٍ نهض الرئيس وقد لاحت على محياهُ علامات الجد والاهتمام واسترعى منظرهُ الاسماع فقال :

ليس يخافٍ على احدٍ منا اننا في جلستنا الاولى فوَّضنا الى كاتب هذه الجمعية ان ينشر ما دار بيننا من البحث في هذا الموضوع الخطير الذي فتحنا بابهُ عفوًا من تلقاء انفسنا لا نقصد بهِ الاَّ امرين لا ثالث لهما الاوَّل تشويق القادرات من الجنس اللطيف على الكتابة الى مزاولة ذلك كلما سمحت لهنَّ الفرصة ولا حاجة الى اظهار الفائدة الناتجة منهُ لانَّ الرجال شديدو الولع بمطالعة ما تكتبهُ النساء فيقبلون عليهِ كل الاقبال و يستفيدون من الوقوف على امورٍ كثيرةٍ تعلمها النساء بالاختبار وهي مجهولة عند الرجال واذا اضفنا الى هذه الفائدة فائدتين أُخريين وهما تقدم الكاتبات في العلوم والآداب واقتداء كثيرين من الشبان بهنَّ في هذا الامر تصبح الفائدة اعظم مما يحيط بهِ الوصف . والثاني إطراء كاتباتنا واذاعة فضلهنَّ لأنَّ المصاعب التي تعترضهنَّ في طريق الانشاء اكثر جدًّا من التي تعترضنا نحن . وقد سبقتني الاديبة الى ذكرِ اهم هذه المصاعب وهي اللغة او ملكة الكتابة الصحيحة . فاذا كنا نحن الرجال نقضي السنين الطوال في تعلُّم قواعد اللغة من صرفها الى بيانها ونحفي الاقلام ونستنفد الحبر والقرطاس في التحرير والانشاء ونظل من حيث غزارة المادة اللغوية وامتلاك ناصية اللغة الفصحى والاخذ باطراف البيان في فقرٍ وضعفٍ وعجزٍ لا مزيد عليها فما قولنا بالسيدات

اللواتي لم يستطعن ان يتفرَّغنَ لشيءٍ مما تفرغنا لهُ نحن

ثم ان كتب الادب الموضوعة في اللغة العربية لاقتباس التعبير الفصيح والتركيب البليغ ليست متفقة في وحدة النفس والمنهاج كما هي في اللغات الاوربية ليستفيد من يطالع كتاباً واحداً منها ما يغنيهِ عن مطالعة غيرهِ من الكتب الموضعة لهذه الغاية بل لكلّ كتاب منها—نثرًا كان او شعرًا— نفَس خاصٌ لا يرى لهُ في الكتاب الآخر الاّ ما يخالفهُ وينافيهِ. وليس هذا المانع الوحيد الذي يحول دون استفادة النساء منها بل هناك مانع آخر وهو عدم خلوّ كتابٍ منها مما ينكرهُ الادب الصحيح ويستهجنهُ الذوق السليم ويقضي على كلّ رجلٍ منا ان يمنع مطالعتهُ عن شقيقتهِ او خطيبتهِ او قرينتهِ

وكأنَّ هذه العقبات كلها لم تكن كافية لتثبيط هممنا واضعاف عزائمنا وحبس اقلامنا عن الجولان في مضمار الطروس بما تملي عليها الافكار والتصورات حتى قام بعض علماء اللغة يغلقون في وجوهنا باب التعريب المفتوح في كل لغةٍ حيةٍ نامية ولم يكفهم هذا ايضاً بل شدُّوا علينا الخناق من جهة اخرى وهي انهم لا يجيزون لنا استعمال كلمة فصيحةٍ الاّ بالمعنى الحرفي الذي وضعها لهُ العرب وقيدها بهِ الصحاح والمحيط ولسان العرب وغيرها من كتب اللغة دون ان نتجاوزهُ الى معنى اخر يقرب منهُ على طريق المجاز والاستعارة او يتصل بهِ بوجهٍ من الوجوه"

ولما فرغ الرئيس من خطبتهِ هذه تلوتُ عليهم كلّ ما كتبتهُ عنهم فصدقوهُ ووقّعوهُ واستأذنتهم في نشرهِ فأذنوا لي بالاجماع وكان ذلك خاتمة الاجتماع

القاهرة اسعد داغر

الشعراء المحافظون

وفي النفس اشياءٌ لوقع اقلّها تكاد جلاميدُ الصفا تتصدَّعُ
علمنا فقلنا ما علمنا كما ترى ولكن علينا الفعل صعبٌ ممنَّعُ
ومادام هذا الشأن يا صاح شأننا فلا القولُ يجدينا ولا العلمُ ينفعُ

أبى صديقي الكاتب المدقق نجيب افندي شاهين الاّ ان يجذبني بلطف اسلوبهِ وحسن تناولهِ الى خوض مبحثٍ ان أمنتُ الغرقَ في تيّارهِ لم اسلم من البَلَل . وان احجمت عن الاجابة قضى عليَّ شرع الادب باللوم والعذَل . فسأجيب وفاءً بالوعد وانا اقول مكرهٌ اخوك لا بطل

من الاقوال المأثورة "الحقيقة أن تقال— لا أن تُعلَّم" لان الناس في الشرق والغرب

يعلمون حقائق كثيرة لكنهم لا يقولونها لمسابهها بالشرائع الدينية او القوانين السياسية او القواعد الاجتماعية او غيرها من الاسباب التي لا محل لذكرها هنا . فتودع غيابات القلوب واعماق الصدور . ولا يؤذن لها ان ينفتح بها الفم وينطلق اللسان . الأ متى زالت هذه المحاذيرُ وانقطع خوف الانسان من الانسان

ولكننا نحن الشرقيين مصابون والامر لله بخطب آخر اجلّ من هذا واعظم اذ لدينا فوق الحقائق التي نعلمها ولا نستطيع ان نقولها حقائقُ أُخرى كثيرة علمناها وقلناها اذ لم يكن في قولها ما يخالف مبدأً او يناقض معتقداً لكننا لسوء الحظ وقفنا عند حدّ العلم والقول ولم نقرنهما بشيءٍ من العمل. اذًا الحقيقة عندنا ان نُعمل لا أن نُعلَم ونقال . لان أكثر ما جاء في مقالة حضرة النجيب من الحقائق التي علمناها وكثيرًا ما قلناها واما فعلها او العمل بموجبها فالى الآن لم نجمع عليهِ . فهو مصيب كل الاصابة في حكمهِ على شعرائنا بانهم محافظون على القديم لا يفكرون في خلعهِ ولعلهُ اوجس خوف المناقضة او الاعتراض فلم يصرح في حكمهِ كما اراد وكما هو الواقع . اما انا فاقول بكل صراحةٍ ان كل الشعراء اسواء في التزام التحدّي والاقتداء والفرق بين افرادهم الذين تسامح مريدوهم في تسميتهم بالشعراء العصريين او الاحرار في اصطلاح صديقي النجيب — وبين بقية الشعراء هو نسبيٌّ لا يحسب عند التحقيق فرقًا

وكأنهُ بالماعهِ الى اللغاتِ الاجنبية يريدُ أنَّ إتقان واحدةٍ منها يعين الشاعر العربي على نزع التقليد واتيان الجديدِ وليس من ينكرعليهِ انَّ التضلُّع من احدى اللغات الغربية يزيد بضاعة الشاعر ويوسع دائرة تصوراتهِ لكنهُ قلما يجدي نفعاً في تحصيل القصد . ومتى كانت العلّة باطنيةً لا يفيدها استعمال المراهم على ظاهر الجلد . ومن السهل جدًا ان نقترح على الشعراء او نكلفهم خلع القديم البالي والتزيي بالجديد الطليّ الأنيق ولكننا لا ندري ايَّ جراحٍ دفينة في صدورهم ننكأُ بمثل هذا الاقتراح . ولم يكن صديقي النجيب بأوَّل من أثار الحزازات ونقض الكلوم اذ قد سبقهُ كثيرون الى ذلك ولم يجاروهُ في الانتقاد بلسان الرفق واللطف بل اشرعوا على الشعراء اسنة اللكز والوخز واطلقوا نحوهم اعنة الهمز والغمز حتى جعلوهم لرياح التهكّم مهزًّا ولسكاكين الازدراء محزًّا

وهذهِ شعراء العصرِ تحسبها اوفى ثوابٍ لها في حاضر الزمنِ
فقل لمن لام مرزوءا بسيئةٍ يعدُّها منةً من اعظم المننِ
" يقضى على المرء في ايام محنتهِ حتى يرى حسناً ما ليس بالحسنِ "

فقد علمنا انَّ شعرنا ليس كما ينبغي أن يكون وقلنا هذا للشعراء وهم مثلنا يريدون ان

يجاروا شعراء الغرب وحاولوا ذلك مراراً عديدةً فما استطاعوا لذلك سبيلاً ولم يجدهم اتقان اللغات الاجنبية فتيلاً بل زادتهم معرفتهم بها نغصةً وتحسُّراً لانهم رأوا في الشعر الاجنبيّ اشياء كثيرة استحسنوها وودوا من صميم قلوبهم نقلها الى الشعر العربي فلم يقدروا . ولماذا ؟ لأنَّ اللغة لا تطاوعهم على ذلك . هذه هي الحقيقة ولا ينكرها الاَّ المكابر او من كان ليس بشاعرٍ . وتفصيل ذلك أن الشاعر الاوربي عند ما يخلو بنفسهِ للنظم في اي موضوع اراد يستكدُّ قريحتهُ ويشحذ غرار تصوُّراتهِ لاستنباط المعنى ورسم صورتهِ في ذهنهِ ومتى توفَّق الى ذلك وتهيأَ لهُ التصوُّر المراد والتخيُّل المطلوب عمد الى خزانة ذاكرتهِ وفتحها فرأى ما شاء من مترادفات لغتهِ واساليب تعابيرها المنطبقة على قواعد الصرف والنحو والمعاني والبيان والمفهومة حتى عند عامة امتهِ واطفالها والمقبولة عند خاصتها وعلمائها وكلها معدَّة وصالحة لتمثيل كل صورةٍ ذهنية وللتعبير عن كل معنًى خياليّ

اما الشاعر العربي المنكود الجدِ السيئ الطالع فقد يكون اسيل من الشاعر الافرنجي قريحةً وامضى ذهناً واقوى تصوُّراً . فماذا يبقى عليهِ بعد التصوُّر والتخيُّل . يبقى عليهِ كل شيء لأنهُ اذا كان ممن رزقوا بعض الالمام باحدى اللغات الاجنبية واراد مجاراة شعراء الافرنج في النظم وفتح خزانة ذاكرتهِ لا يرى فيها سوى الالفاظ العامية واذا استعان بما في محفوظهِ من الكلمات الفصيحة لا يرى بينها لفظةً تعبّر عمَّا يريد وصفهُ بالتدقيق كالشاعر الافرنجي وان رأى لها بعد الجهد الفاظاً تفي بالمعنى المراد كانت غويصة غامضة يعسر فهمها على الخاصة فضلاً عن العامة . والاقتراح على شعراء هذه الايام أن يجاروا الافرنج ليس فقط في التدقيق في الوصف والتعبير عن حقيقة العواطف حتى تجيء القصيدة اشبه بالصورة بل في التزام البسط والجلاء حتى لا يقلّ الشعر عن النثر في سهولة الفهم ووضوح المعنى بحيث يفهمهُ اولادنا كما يفهم اولاد الافرنج اشعارهم . ويا ما اقلّ عقل من يعلّلُ نفسهُ بمثل هذا المحال

وعند ما يرى شاعرنا أنَّ الكلام العامي لا يصحُّ ان يتخذهُ قالباً لسبك المعنى الذي ارادهُ والكلام الفصيح لا يفي بهِ او يفي ولكن لا يفهمهُ احدٌ الاَّ هو والقاموس الذي اخذهُ منهُ يمحو من ذهنهِ صورة المعنى التي رسمها على وجه التدقيق والاحاطة ويعرض على مخيلتهِ الصور البسيطة التي رسمها هو قبلاً او كثيرون غيرهُ من شعراء العرب لمثل هذا الموضوع فيختار منها واحدة سهلةَ المأخذ قريبة المنال ويلبسها الالفاظ المعدَّة لها في ذاكرتهِ ويزينها بالاستعارات المألوفة والتشابيه المعروفة ويرسلها كما جاءت لا كما اراد

هذه علَّة محافظة شعرائنا على القديم وهي فاشية بين كتَّاب النثر ايضاً فمصابهم ومصاب

الشعراء فيها واحد . والاَّ فايُّ كاتبٍ عربيٍّ يجسر على القول انهُ ظافر من الكلام الفصيح الواضح بما يقدّرهُ على مجاراة كتبة الافرنج في وصف كل ما جال في خاطرهِ وتصوَّر في ذهنهِ من الخواطر والافكار . بل ايُّ كاتب منصف من كتَّابنا لا يعترف بانهُ يعرض لهُ كل يوم عقبات تحول دون ادراكهِ الغرض وتضطرهُ رغم انفهِ ان يترك جوهر المعنى ويقنع بالعرض

اذًا من يهمهُ اصلاح شأن الشعر العربي فليتفضل بازالة هذا المانع من طريق ارباب الشعر والنثر ولهُ خالص الحمد وجزيل الشكر . والا فذرهم ياصاح يهيمون في اللوى والبان . ويعيدون على قلب الصب الولهان . ذكرى مسارح الآرام ومنازل الغزلان . ودعهم يستعذبون وادي النقا والعذيب . ويحنون الى المنحني والحصيب . فما يرون بعد ماء وجرة ماء ولا يؤثرون على ارواح نعمان هواء

بقي ان الصديق النجيب اراد بكلمةِ الظباء في قولهِ "كظباء يمرحن في بستانِ" الحسان او الظباء الانسيات بدليل قولهِ بعد ذلك "على اني رأيتها تنفر وتلتفت وتمرح في بستان" . وقد انكرت عليهِ كلمة بستان وارتأيت ابدالها بالبانِ ونحوهِ لغاية حصر كلمة الظباء في معناها الحقيقي وعدم مجازها الى الحسان حتى لا يكون المشبه والمشبه بهِ واحدًا ويقال هكذا "كظباء يمرحنَ بين البانِ" فالمقام يقضي ان يكون معنى الظباء الغزلان ليصح التشبيه ولكن ذكر البستان يصرف الظباء عن الغزلان الى الحسان . والله اعلم اسعد داغر

الاعتصاب وحيوية الامَّة

كتبت مقالة الى المقطم الاغر عن اعتصاب العمال على اثر اعتصاب عمال الخياطين في القاهرة وبحثت في الموضوع من الوجهة الاقتصادية . وقلت في عرض الكلام ان الاعتصاب دليل على حيوية الامة . فقامت قيامة حضرة الكاتب المجيد اسعد افندي داغر وكتب مقالة في المقطم ذهب فيها الى عكس ما ذهبت اليهِ في مقالتي وقال ان فريقًا من الكتاب قام يقول ان الاعتصاب دليل على "حيوية" الامة واعاد ذلك مرارًا وتكرارًا حتى ظهر لكل من قرأ مقالتهُ انهُ انما كتبها ليفند تلك "الحيوية" . ولم يكتفِ بذلك حتى قام يتجير بصفحات المقتطف فنشر فيهِ رسالة بعنوان الاعتصاب عاد فيها الى "الحيوية" يذكرها ويفندها كأن ذكرها يلذُّ لهُ او كأنهُ "هو المسك ما كررتهُ يتضوَّع"

قلت ان الاعتصاب دليل على "حيوية" الامة وهو قول تسندهُ الادلة ومن ادلتهِ اننا لا نسمع بالاعتصاب الاَّ بين الامم الحية النامية البالغة ذرى التمدن كالامم الاوربية فلا

نسمع بهِ بين الامم الاسيوية كالهنود والصينيين مثلاً

وربَّ معترض يقول انهُ ان كان الاعتصاب دليلاً على "حيوية" الامة فهو ليس كذلك في مصر لان العمال الوطنيين انما اكرهوا على الاعتصاب مسوقين اليهِ بسطوة العامل الاجنبي وما كان يتخذ من وسائل الارهاب والتهديد لمنعهم عن العمل. فاجيب انهُ لو لم يكن العامل الوطني (والسوري يدخل ضمن هذا) مستعداً للاعتصاب قابلاً لهُ لم يعِ اليهِ اذناً صاغية فهو لم يقدم عليهِ خشية الارهاب والوعيد بل عن استعداد وقابلية لان لهُ بالقانون كافلاً لحقوقهِ ضامناً لمصلحتهِ رادعاً للعابث بامنهِ ذائداً عن حوضهِ ممن يروم بهِ سوءا

وانا في حوادث التاريخ الماضية مؤيدٌ لهذا القول . فقد طالما كتب كتّاب الفرنسويين ضدّ ظلم الملوك قبل الثورة الفرنسوية المشهورة وطالما حرّضوا الشعب على قلب الدول وثلِّ العروش فلم يسمعوا لتحريضهم رجع صدًى حتى اواخر القرن الثامن عشر حين كان الشعب مستعداً للعمل فقام بثورة عظيمة لم تبقِ ولم تذر . وهكذا جرى في ممالك اخرى

وخلاصة القول انهُ لو لم يكن العامل المصري مستعداً للاعتصاب ما اقدم عليهِ فالاعتصاب اذاً دليل على روح جديدة تدبُّ في صدرهِ سببها " الحيوية " ونتيجتها تحسين الحال والمآل

نجيب شاهين

المصرية والانشاء

حضرة منشئي المقتطف الفاضلين

اكتب هذه السطور الآن وانا على يقين انهُ لا يوجد في القطر المصري كلهِ عشر نساء مصريات يمكنهنَّ الرد على ما اكتب او الاعتراض على ما اقول . . . ولست بمستغربٍ ذلك لاني على يقين ايضاً ان كل نسائنا (الاَّ عدداً قليلاً جدّاً) لا يعرفن من صناعة الكتابة والتحرير غير اسمها

ولا اقول ذلك حطّاً من كرامة المرأة المصرية في عيون القرّاء او محاولة تخفيض مقامها او تحقير شأنها لاني اغار عليها غيرة شديدة واود من كل قلبي انها تتقدم وترتقي حتى يتسنى لها ان تساوي الرجل في كل شيء

ويعلم الله اني لم اكن اود الخوض في موضوع يتعلق بالمرأة المصرية لان الامر لا يخلو من كلمة مكدرة او عبارة تضحك وتبكي ولكن ما العمل وقد رأيت السكوت لا يجدي نفعاً بل سيزيد الطين بلة وخصوصاً في هذه الايام حيث صدر مقتطف دسمبر وفيهِ مقالة لاديب

اقلقتهُ الهواجس والوساوس فاخذ يتساءل عن سبب امتناع الجنس اللطيف عن الانشاء والتحرير وعن اطراد الجري في ميدان النهضة الجديدة "التي برزت في مصر وسورية وعليها من العزم طراز بديع ولها من الرونق ثوب قشيب وفيها للجنس اللطيف — نساء الشرق — اكبر نصيب"

وقد وقفت عند قولهِ "نساء الشرق" واخذت اسأل نفسي ترى هل المرأة المصرية معدودة بين نساء الشرق اللواتي لهنَّ في هذه النهضة اكبر نصيب؟ وكم ترى كان مقدار نصيبها فيها؟ فاخذت اراجع مقالة حضرة الكاتب وقد زاد تأملي فيها لعلي اظفر فيها بشيء من ذلك فوجدتهُ يحيل القارىء على جرائد مصر والشام ليرى فيها كم للجنس اللطيف من آثار الاقلام فخطر ببالي حينئذٍ ان اجمع كل جريدة وكل مجلة نشرت شيئاً تحت امضاء سيدة لكي اتحقق الامر بنفسي واعرف كم هنالك للنساء المصريات من مقالات ورسالات لكنني وجدت الامر صعباً فضربت عنهُ صفحاً ولم ألبث بعد ذلك ان تولاني الارتباك واعترتني حيرة شديدة لانهُ عسر عليَّ ان اصدق ان المرأة التي تخرج من المدرسة قبل الثالثة عشرة من عمرها ثم تدفن بين اربعة جدران الى ابد الآبدين هي نفسها كانت يوماً ما كاتبة نحريرة

وقد زادت الصعوبة في تصديق ذلك وزدت انا تأكداً بصحة اقوالي لما صدر مقتطف يناير وليس فيهِ دفاع او بيان او رد بيد كاتبة مصرية

ولا غرو في ذلك فالمصريات لا يعرفن شيئاً من قراءة "الجرانين" "والكتبات" (اي الجرائد والكتب كما تسميها نساؤنا) ولا تتكرم الواحدة منهنَّ بمسك جريدة الأ اذا ارادت فرش طاولتها او تزيين دولابها

ولا يتوهمنَّ احد ان مرادي ان ارمي المرأة المصرية بقلة الادراك لان هذا ليس قصدي بل غاية المراد هو ان انبه اذهان رجالنا الى حقيقة حال المرأة المصرية لعلهم يقلعون عن عوائدهم القديمة التي حالت دون تقدمها في المعارف والعلوم ولئلا يظن احدهم ان المرأة المصرية كانت فيلسوفة زمانها وكاتبة عصرها واوانها فيرضى ببقاء الحال على حالهِ وهناك المصيبة الكبرى والخطر الشديد

ليت شعري كيف يتأتى للمرأة المصرية ان تصير كاتبة ماهرة في وصف اخلاق الناس وعوائدهم وطباعهم وهي لا ترى طول عمرها غير طباع ابيها وامها وشقيقها وشقيقتها

وانَّى لها ان تصير كاتبة ماهرة في وصف البلدان والاماكن ومناظر الطبيعة وهي لا ترى طول عمرها غير بيت ابيها وزوجها والطريق الموصل بينهما

وأنى لها ان تصير كاتبة ذات مادة غزيرة وهي لا تعرف من احوال العالم غير ما يجري في بيت ابيها

وأنى لها ان تصير شاعرة وهي لا تتصور طول حياتها غير العفاريت والجن وليس لها ما يجلو قريحتها من المناظر غير منظر ابواب البيت وحيطانهِ وليس لها ما تتغزل بهِ غير موقد النار ومكنسة الارض وخشب السقف

هذه كلها معضلات لا افهمها فان كان هناك من يفهمني اياها ويريني كيف كانت المرأة المصرية تنشئ مقالاتها و يعرفني لماذا امتنعت عن الانشاء الآن فليأتني بما عندهُ وانا لهُ من الشاكرين

المنصوره اسكندر تادرس حبل

جائزة خورشيد ٢٠٠٠ جنيه

اعلنت عن هذه الجائزة في جريدة المقطم والاهرام والمؤيد وطلبت ممن يريد الحصول عليها ان يناظرني في جريدة المقتطف

﴿ الموضوع ﴾ حكمت محكمة مصر الابتدائية الاهلية في جلستها المدنية بصفة استئنافية في قضية ضدي موضوعها ان المياه اتلفت الخافقي . وكان المهندسون الذين تعينوا للنظر في هذه القضية حضرات محمد افندي فضلي واحمد بك عزي واحمد بك كمال قد حكموا بطريقة غير علمية فضلاً عن تناقض تقاريرهم ان المياه اتلفت الخافقي — وترافعتُ بشخصي واثبتُّ للمحكمة بالطريقة العلمية والتجارب فساد تلك التقارير وان المياه تصلح الخافقي على فرض ملاصقتها لهُ . وكذلك اثبت بالطريقة العلمية والعملية والتجارب بواسطة اريك من زجاج صورت فيهِ هيئة المكان المتنازع فيهِ انهُ لا يمكن سير المياه افقياً في عرض الجسر الفاصل بين الزرع والخافقي مسافة ٤٠ سنتمترًا . وطلبت من عدالتها (اولاً) ان تحلل كمية من الخافقي المتنازع فيهِ في المعمل الكيماوي ليكون قرارهُ نقطة الفصل في الدعوى (ثانياً) ان تعين لجنة من المهندسين الذين تعتمد نظارة الاشغال على معارفهم ليقدموا تقاريرهم بالطريقة العلمية ويقنعوا المحكمة (ثالثاً) ان تنتقل المحكمة الى مكان النزاع وتعاين الجسر المذكور المتروك في ارضي بين الزرع والخافقي (الذي اعترف بوجودهِ احمد بك كمال وانكرهُ الخبيران الآخران) فان كان ترابًا جافًا تكون تقارير الخبراء باطلة ومدافعتي العلمية حقيقية وان كان مبلولاً قليلاً او يشم منهُ رائحة البلل تكون التقارير حقيقية ومدافعتي العلمية باطلة — فرفضت المحكمة طلباتي وحكمت ضدي مستندة على اني مصمم على فكرة علمية اعتقد صحتها ولكن كثيرًا من

التجارب ما لا توافق العلم . وحيث ان هذا الحكم مطاع على كل حال وانما من وجهة عملية لا يمكنني السكوت فقد خصصت هذه الجائزة من مالي لمن يتنعني بالطريقة العلمية (اولاً) ان المياه تتلف الخافقي على فرض ملاصقتها لهُ (ثانياً) ان المياه التي نحن بصددها تسير في عرض الجسر وتصل الى الخافقي المذكور . وملكي بشارع مصر القديمة ضامن لهذه الجائزة — فمن اراد الحصول عليها فعليهِ بمناظرتي في جريدة المقتطف واحب ان يكون حضرات الخبراء المذكورين اول المستحقين

﴿ البحث العلمي ﴾ قرَّر الفلاسفة السابقون والحاضرون انهُ لا يثبت امر علمي الاَّ اذا امكن اثباتهُ بالحس والعيان والتجربة ولا يُنفى امر علمي الاَّ بعكس ذلك . فبناء عليهِ سأشرح الطريقة العلمية واطبقها على اشياء عملية واقعية معلومة لكل عالم وجاهل فاقول

﴿ الكلام على هل المياه تتلف الخافقي ﴾ كلمة خافقي ليست عربية و بعد البحث الدقيق ومساعدة حضرات علماء الآثار وجدتُ انها مصرية قديمة هندسية وهي باللسان المصري "خابُق" ومعناها البياض القشرة المركب من جير وحمرة ورملٍ حرش يُمزج بالماء ويوضع في جدران الحيطان الملاصقة للمياه او الرطوبة لحفظها من تأثير المياه فيها . ثم ترجمت الى اليونانية Hydraulikos ومنها الى الافرنكية Hydraulic plaster ومنها الى الاصطلاح الهندسي العربي اي البياض القشرة المائي . واستعمل مهندسو الاسلام كلمة خابُق وقت الفتح المصري ثم حُرِّفت على توالي الاعوام الى خافقي وصارت معلومة عند المهندسين والعوام ان معناها البياض الذي يوضع على الحيطان ليقيها من تأثير المياه . ولما شيَّد المسلمون المساجد استعملوا هذا الخابُق في مراحضها (ميضها) ومراحيضها (كنفها) ومغاطسها لانهم شاهدوهُ في السواقي والآبار والحمامات القديمة وفي الآثار المصرية القديمة التي مضى عليها آلاف من السنين الى يومنا هذا وهو في حالة جيدة . و يعلم من ذلك كل احد من اي طبقة ان الخافقي هو البياض القشرة الذي يوضع في الحيطان الملاصقة للمياه او الرطوبة لكي يحفظها وان المياه لا تؤَثر فيهِ الاَّ تأثيرًا نافعًا

﴿ التركيب الهندسي للخافقي ﴾ هو جير وحمرة ورمل حرش[1] وماء بمقادير معينة علمها المهندسون القدماء بواسطة التجارب وضبطوها ودوَّنوها في الكتب حتى تكون قاعدة لمن يخلفهم . ومما يثبت قولي هذا هو انهُ لما شرعت الحكومة في بناء الخزانات شرع المستر

(١) يهز من عيون مهزة اتساعها معلوم ثم يؤْخذ ويهز من عيون مهزة اصغر من الاولى وحينئذٍ يكون هو المطلوب

وبلكوكس المهندس الشهير في عمل قاعدة مضبوطة لمقادير المون المختلفة الانواع في التركيب لكي تصير قاعدة للبناء وعليهِ كلفني جنابهُ بعمل ذلك وفعلاً مكثت نحو السنة وانا ادير تلك الحركة بنفسي واضع كل مونة بتركيبها المختلف في الماء حتى تتماسك و بعدئذٍ اعرّضها تحت قوة ضغط وقوة شد Compresion and Tension وارصد حساب قواها الى ان توصلت بعد البحث الدقيق الى مقادير معينة من كل نوع من المون المائية كالخافقي (البياض القشرة المائي) ومونة الاسمنت ومونة الحمرة والجير ومونة الجير والطين وهلمَّ جرًّا ووجدت مونة الخافقي اقوى الجميع

ومعلوم من قديم الزمان ان من مونة الخافقي تبنى المباني المائية في وسط البحور والترع كافة وعندئذٍ يطلق عليها الاسم العلمي Hydraulic morter اي المونة المائية وكما دلت التجربة التي عملتها الفرق في عينة الرمل والاحتراس جدًّا في كيفية استعمال المياه وقت المزج كما يحترس وقت مزج مونة الاسمنت

﴿ السبب العلمي لتماسك مونة الخافقي في المياه ﴾ وهو

اكسيد الحديد ومنهُ اللون الاحمر، السلكات غير الادراتي، الومين "	تركيب الحمرة	وجعل الله في ناموسهِ الطبيعي ان تلك المواد اذا اجتمعت بمقادير متناسبة تتحد بعضها ببعض وتصير جسماً صلباً بشرط ان تكون في وسط المياه او الرطوبة
اكسيد الكلسيوم	الجير	
سليس وغيره	الرمل	
اكسجين، ادروجين	الماء	

وكان الواجب على حضرات الخبراء الذين تعينوا في هذه القضية ان يوضحوا للمحكمة الطريقة التي خرقت حرمة هذا الناموس الطبيعي والعلم المنير وبني عليها تلف الخابق (الخافقي)

ولكن اذا سلمنا بالمستحيل وجارينا الخبراء على افكارهم وقلنا ان المياه اتلفت الخافقي . فما سبب تلف الخافقي على جدران الحيطان غير المجاورة للزرع والبعيدة عنهُ مسافة ٥,٢٠ وهذه المسافة قررها احمد بك كمال في تقريرهِ وانكرها محمد افندي فضلي في تقريرهِ واثبتها في الرسم الذي رسمهُ عن هيئة المحل وانكرها احمد بك عزي بالكلية ولم تزل (المسافة) على حالتها ثابتة

وعليها آثار قديمة منذ آلاف من السنين — وهذه نقطة مهمة استلفت انظار المناظرين اليها

واذا كان احد المناظرين يريد ان يثبت بطريقة غير عملية اي بطريقة التجارب ان المياه تتلف الخافقي فما عليهِ الاَّ ان يرشدني الى المحلات التي تلف فيها الخافقي لكي يحلل في المعمل الكيماوي ليُعلَم ما اذا كان هذا التلف حصل عن رداءة مونتهِ في التركيب الهندسي او عن تأثير المياه فيهِ واحبُّ بنوع خاص ان حضرات الخبراء يرشدونني عمَّا ذكر

﴿ الدليل العلمي والعقلي على تلف الخافقي المتنازع فيهِ بسبب رداءة تركيب مونتهِ حسب الهندسة ﴾ قرر احمد بك عزي ان لا بد من اعادة الخافقي وابعاد الزرع عن الحيطان حاسباً ان المياه تتلف الخافقي مع انهُ قرر ان المياه لم تؤثر في الحيطان المركب عليها هذا الخافقي وهذه الحيطان بما فيها الزاوية المتنازع فيها من ضمن ملكي قديمة ومونتها قديمة مركبة من طين وجير وقصرمل مضى عليها زمن طويل كما اثبت ذلك احمد بك كمال الخبير الثالث في تقريرهِ من الحجة والرسم مشترانا من الحكومة وحافظت على هذه الزاوية ١٣ سنة وتنازلت عنها للاوقاف وبعدها حالاً تنظَّر عليها المدعي ورفع عليَّ هذه القضية -- قلت ان المونة قديمة ومقرر علمياً هندسياً وكيماوياً ان تركيب هذه المونة تؤثر فيهِ المياه اوالرطوبة ولو قليلاً جدًّا وتحللها (المونة) وتذوّبها كما تحلل المياه ملح الطعام وتذوّبهُ — أيتصور عقل عادل امين ان المياه التي تتلف الخافقي وتمرّ من حائط عرضهُ متر وتسبب رطوبة في ارضية الزاوية كما قال احمد بك عزي لا تؤثر في مونة الحيطان القديمة التي مضى عليها نحو ٧٠ عاماً من وقت ما أُسست في زمن المرحوم محمد باشا جدّ العائلة الخديوية . وفي خلال تلك المدة كانت تلك الحيطان فاصلاً بين جنينة فيها مصلّى صغير للشغالة في الورشة وبين معمل كيماوي لعمل البارود للحكومة . وهذا امر واضح في الرسم والحجة المشار اليها . واذا قيل ان الرسم والحجة لا يعوَّل عليهما ففضلات المواد الكيماوية الموجودة على الحيطان المذكورة الى الآن تؤيد ذلك والدليل العلمي والعقلي على ان الخافقي تلف بسبب رداءة مونتهِ في تركيبها الهندسي هو ان مؤنة الحيطان القديمة المذكورة باقية على حالها الى الآن وكما اثبت ذلك احمد بك كمال في تقريرهِ . وحينئذٍ لا دخل للمياه في هذا التلف على فرض ملاصقتها لهُ

﴿ الكلام على الرطوبة ﴾ لا ادري كيف ان احمد بك عزي ينكر بعد ان طلبت منهُ مراراً ان يثبت في تقريرهِ وجود البئر والسبيل والزلعة المغربية والبلاص والقلل المملوءة بالمياه الملاصقة لحيطان الزاوية من الداخل مع صغر حجم الزاوية وسد منافذها من ابواب وشبابيك . واخذ الاهالي من تلك المياه بكثرة و بسبب ذلك تفيض المياه على ارض الزاوية

وحصر الصلاة لعدم وجود بلاعة وللإنخفاض ارضية الزاوية عن ارضية السبيل والبئر والجزء الذي فيه تلك المواعين المملوءة. فكل هذه اسباب تساعد على وجود رطوبة في الحيطان وارضية الزاوية — وهذا امر اثبتهُ احمد بك كمال الخبير الثالث في محاضر اعماله اذ قال ما نصهُ حرفياً "ودخلت امرأة لتملأ قلة ثم دخل رجل تمضمض والقى المياه على ارضية الزاوية وان المياه فوق ارضية الزاوية وحصر الصلاة وموجود زلعة مغربية وبلاص وقلل مملوءة بالمياه مع سد منافذ الزاوية من شبابيك وابواب". الا ان احمد بك كمال انكر البئر والسبيل وانخفاض ارضية الزاوية عن الشارع

وقرر محمد افندي فضلي واحمد بك عزي وخالفهما في ذلك احمد بك كمال ان المياه سببت رطوبة في ارضية الزاوية حالة كون احمد بك عزي اعترف ان ارضية الزاوية منحطة عن الشارع بقدر ٣٠ سنتمترًا وان ارضية الزاوية على مستوى ارضي الزراعية . ولم يصب حضرتهُ في ذلك لان ارضية الزاوية منحطة عن الشارع بقدر ٥٠ سنتمترًا ومرتفعة عن ارضي الزراعية بقدر ٢٥ سنتمترًا وهذا امر مثبت على الارض الى الآن — وهذا الانحطاط في ارضية الزاوية وسد منافذها وعمل بئر وسبيل ووضع مواعين الشرب واخذ الاهالي المياه من البئر كما سبق الذكر جرى بامر من المدعي قبل رفع هذه الدعوى بايام قليلة وهو ابتداء مناظرته على هذه الزاوية كما هو مثبت رسمياً . ومن العجب ان احمد بك عزي لم يعترف ان هذا الانحطاط يسبب رطوبة (على فرض ان الاشياء السابقة الذكر ليست موجودة داخل الزاوية) مع انهُ مقرر علمياً جيولوجياً ان الاراضي المنحطة تسبب رطوبة خصوصاً مع وجود الرطوبة الناشئة من المياه الدائمة المتبخرة من البئر والسبيل ومواعين الشرب وغير ذلك والمحبوسة من سد المنافذ كما سبق الذكر وخصوصاً وجودنا على شاطئ النيل كما قرر احمد بك كمال من الحجة والرسم اللذين تحت يدي . وكان يجب على الخبراء الذين حكموا بطريقة غير علمية بوجود الرطوبة من مياه الزرع ان يصنعوا آلة إجرومتر (مقياس الرطوبة) ليحكموا بطريقة علمية أخرى وعند ذلك يتضح هل كانت الرطوبة من مياه الزرع

نعم اعترف بوجود رطوبة خفيفة في بعض محلات من الجزء العلوي للحيطان المجاورة للزرع والغير المجاورة والبعيدة مسافة ٢٥ و٥ وهذا امر طبيعي ناشئ من فعل كيماوي بسبب ان مونة الحيطان قديمة ومركبة من طين وجير وقصرمل (كما اثبت ذلك احمد بك كمال وكما هو ثابت من الحجة والرسم) كما قدمنا وبعض احجارها طفلي لم ينضج نضجاً حقيقياً بواسطة الفعل الجيولوجي فتتكوّن هناك املاح برتاسية معظمها ناشئ من القصرمل (لانهُ يحتوي على

كربونات البوتاسا) وهذه البوتاسا من خاصيتها الكيماوية امتصاص الرطوبة الطبيعية التي في الهواء الجوي وحبسها معها وعلاوة على ذلك انها تمتص الرطوبة الدائمة (المحبوسة بسبب سد المنافذ) المتصاعدة من البئر والسبيل ومواعين الشرب وخصوصاً اننا على شاطيء النيل كما سبق الشرح

فيظهر لكل شخص يجهل القوانين العلمية المشروحة آنفاً ان هذه علامات رطوبة ناشئة من مياه الزرع . ولكن العالم بقواعد علم الجولوجيا والكيمياء او الواقف على شيء منهما يحكم ان الرطوبة السالفة الذكر يجب ان تكون في اسفل الحيطان وليس في اعلاها . وهذه الحالة تنطبق تمام الانطباق على السور الغربي لحديقة الدرمللي التي كانت فيها محكمة مصر الابتدائية الاهلية فاذا فحصتم هذا السور تجدون نصف طوله البحري بعيداً عن الزرع اكثر من ٢,٥٠ ومرتفعاً عن ارض الزرع بمقدار ٠,٧٥ ونصف طوله القبلي بعيداً عن الزرع في بعض محلات اكثر من ١٢,٠٠ وهذا النصف القبلي المذكور مبلّط بطرقة مصنوعة بمونة اسفلت عرضها ٢,٢٥ و ٤,٥٠ في بعض محلات . ومقرر علمياً هندسياً وكيماوياً ان مونة الاسفلت لا تمكث على الارض الا اذا وضع تحتها دكة من البناء سمكها لا يقل عن ٠,٢٥ ومونتها من تركيب المونة المائية او البياض القشرة المائي (الخافقي) — تجدون جميع حجارة السور الا النادر جداً (وهذا لا حكم له) قديمة طفلية ومونته قديمة مركبة من طين وجير وقصرمل وهو متآكل جداً وعليه علامات الرطوبة . وهذا التآكل والرطوبة على نسبة واحدة في جميع طوله وهذا دليل قاطع علمياً وعقلياً ان املاح البوتاسا هي السبب في هذا التلف ومياه الزرع المجاورة له بريئة من هذا

انظروا الى مسجد السلطان حسن المبني على صخر تجدوا بعض احجاره في الجدران وفي اعلى الحيطان وفي وسطها متآكلة وعلامات الرطوبة ظاهرة عليها . انظروا الى قناطر مجرى المياه التي بناها السلطان صلاح الدين الايوبي الموجودة في فم الخليج بالقاهرة تجدوا معظم احجارها متآكلة جداً وعلامات الرطوبة ظاهرة عليها وهذا بسبب مجاورة تلك القناطر للتلول المحتوية على كثير من السباخ المحتوي على ملح البارود وهو العنصر الاصلي للبوتاسا . انظروا الى القناطر الخيرية بل الى جميع قناطر الموازنة التي مضي عليها بعض من السنين تجدوا بعض احجارها متآكلة وعلامات الرطوبة ظاهرة عليها . ولو قيل ان المياه اكلتها نقول اذاً كانت تأكل الاحجار بدون استثناء . انظروا الى جدران المنازل الكبيرة التي على الشوارع وخصوصاً التي من داخل الحارات تجدوا تلك العلامات ظاهرة عليها وتزداد تلك الرطوبة في مدة الشتاء بسبب قرب مدار الكرة الارضية للشمس . وان كنتم يا حضرات المناظرين في

ريب من ان البوتاسا ليس من خواصها امتصاص الرطوبة فراجعوا قانون الكيمياء او انظروا الى ملح الطعام الموضوع على موائدكم في مدة الشتاء تجدوه مبلولاً قليلاً ودقائقهُ متماسكة نوعاً

وظاهر لي ان حضرات الخبراء الذين تعينوا في هذه القضية سبق لهم الحكم فيما يماثل ذلك وكان حكمهم على غير قاعدة علمية كما حكموا في هذه . ولجهل ارباب القضايا بعلم الهندسة وبعض العلوم الاخرى ما امكنهم الطعن لينوّروا المحكمة فصار من المقرر عندهم انهُ ما دامت الرطوبة موجودة على حيطان قريبة من ارض مزارع واحجارها متأكلة تكون تلك الرطوبة والتأكل من مياه الزرع بدون بحث علمي والحقيقة ان تلك الرطوبة ناشئة من املاح البوتاسا . فالحمد لله على حصول هذه القضية لعلها تكون السبب في تنوير الخبراء الذين يجهلون القوانين الطبيعية السالفة الذكر

❖ الكلام على هل المياه او رطوبتها تسير سيرًا افقياً مسافة ٤٠ ,٠ في عرض الجسر التراب الفاصل بين الزرع والخافقي الذي انكرهُ محمد افندي فضلي واحمد بك عزي وقررهُ احمد بك كمال ❖ قرر الخبراء الثلاثة انهُ يلزم ابعاد الزرع عن الخافقي بقدر ١,٥٠ الى ٢,٠٠ ولم يبين احد منهم الطريقة العلمية الميدروستاتيكية (علم قوى المياه) ولا الطريقة العقلية التي اوجبت هذه المسافة مع ان الثابت في قواعد هذا العلم ان المسافة يلزم ان تكون ١٥ ,٠ على الاكثر لان المياه ورطوبتها التي نحن بصددها لا تسير سيرًا افقياً في عرض الجسر المذكور المتروك في ارضي بين الزرع والخافقي الأ سبعة سنتمترات كما اثبتُّ ذلك امام المحكمة بواسطة ارنيك من زجاج كبير صنعتهُ لهذا الغرض ملأتهُ بالتراب الجاف الهاش صورت فيهِ هيئة المحل الواقع النزاع فيهِ ووضعت فيهِ طبقة مياه سمكها اربعة سنتمترات ثم شرحت عليهِ الطريقة العلمية الميدروستاتيكية وأيدت ذلك . ومن كان يجهل ذلك فعليهِ بمراجعة هذا القانون البسيط وهو في مبادىء علم الميدروستاتيك او ان يحضر ليشرفني في منزلي بمصر القديمة لأُطلعهُ على ذلك واطلعهُ على الاورنيك المذكور ليرى التجربة بنفسهِ

وقبل التكلم في الموضوع يلزم اولاً معرفة كمية المياه اللازمة لري النبات المزروع في الغيط المتنازع فيهِ فاقول

من المقرر في علم النبات وعند عموم المزارعين البسطاء ان المياه التي تلزم لري النبات مثل المزروع في الغيط المتنازع فيهِ كالفجل والخبازى والسبانخ والجرجير والبقدونس وما شاكل ذلك هي طبقة من المياه لا يزيد سمكها على سنتي واحد او اثنين على الاكثر كل خمسة ايام مدة الصيف الحار جدًا او ثمانية ايام في الصيف المعتدل وكل ٢٥ الى ٣٠ يوماً في الشتاء

القار او ٢٠ الى ٢٥ يوماً في الشتاء المعتدل حتى بذلك تتشرب المياه في الارض في مدة ١٠ دقائق الى ١٥ دقيقة وفي خلال الخمسة الايام او الثانية تمتص خلايا النبات جزءا وحرارة الشمس والهواء الجوي المطلق جزءا والارض جزءا وتبتدى‎ء الارض بعد ذلك في الجفاف الكلي حتى تمضي الخمسة الايام المذكورة وتصير الارض والزرع ظمآنين كأن الماء لم يروهما بحيث اذا لم يسرع في ري الارض يموت النبات . وهذا برهان قاطع علمياً وعقلياً ان الارض خالية من شيء يقال لهُ رطوبة والاَّ لكانت تغذّي شعيرات النبات الدقيقة جدًّا وتحفظها من الموت

والسبب العلمي في موت النبات هو ان حرارة الشمس تجفف (تمص) دائماً كل شيء مائي او رطب اعني انها تجفف الرطوبة الموجودة في الارض وفي آن واحد تتحول على شعيرات النبات وتُقاتلهُ فتقوى عليهِ لان رطوبة الارض التي كانت تغذيهِ جفت ثم تمص الجهاز المائي الكيماوي الحيوي فيهِ وتميتهُ بواسطة الطريقة المصطلح عليها علمياً في علم النبات Capillary Section اي الامتصاص الشعري او امتاص الاوعية الشعرية . وهذا اثبات قوي علمي آخر وعقلي ان الارض خالية من الرطوبة والاَّ كانت تغذي شعيرات النبات الدقيقة وتحفظهُ من الموت . وقد نشر في جريدة المقطم الغراء عدد ٣٩٢٥ بتاريخ ٢٥ نوفمبر سنة ٩٠٠ صحيفة ٢ عامود ٦ تقرير نظارة الاشغال الرسمي المؤيد لكلامي في هذا الموضوع اي بخصوص كمية المياه اللازمة لري النبات

واذا زادت طبقة المياه عن سنتمترين يتلف الزرع والسبب العلمي هو ان كثرة المياه تمدّد الياف النبات وتضعف الجهاز المائي الكيماوي الحيوي فيهِ فيبتدىء في الاصفرار حتى يموت وهذا مثل الانسان اذا شرب الماء بكثرة تتمدّد الامعاء وتضعف فيقل غذاؤُهُ ويبتدىء في الاصفرار ويعقبهُ الموت . والحاصل ان المياه اللازمة للري هي طبقة سمكها سنتمتران على الاكثر

وحيث ان قانون الامتصاص في علم الهيدروستاتيك يقرر ان طبقة المياه التي سمكها سنتمتر واحد تتشرب وينعدم تأثير رطوبتها تدريجياً في طبقة من الارض الهشَّة والجافة والغير مزروعة التي عمقها ثلاثة ونصف في نصف دقيقة . بمعنى ان رطوبتها لا تؤثر فيها بعد في هذا العمق (بشرط ان يجف محلها قبل ورودها ثانياً مثل ما هو حاصل في ري الزراعة) ومن اراد فليشرف منزلي ليطلع على ذلك في الارنيك الزجاج السالف الذكر

وحيث ان الارض المتنازع فيها ليست من الاراضي الهشَّة اي انها مندمجة بسبب امتداد

شعيرات النبات في مسامها فضروري استغراق مدة تزيد عن نصف دقيقة لتتشرب هذه الطبقة التي في إثنائها تكون معرّضة للتبخر في الهواء الجوي وحرارة الشمس

وحيث ان الارض المتنازع فيها منزرعة نباتًا فضروري ان شعيراته تمتص جزءًا من هذه الطبقة فوق ما يتبخر منها كما قدمنا . يكون من البديهي ان تأثير الرطوبة الرأسي السابق الذكر يعدم في طبقة من الارض سمكها اقل من ثلاثة سنتمترات ونصف بكثير

وحيث ان سير الرطوبة الرأسي اكثر من سيرها الافقي بسبب الضغط الرأسي (لوجود مياه الري محصورة داخل بتون ارض الزراعة) فبمقتضى قانون القوى الاستاتيكية (علم توازن القوى) وجذب الارض المركزي الطبيعي يكون الضغط رأسيًا ويكون سير الرطوبة الافقي بكل تحقيق اقل من ثلاثة سنتمترات ونصف باكثر من الكثير . ولكن اذا سلمنا المستحيل وقلنا ان الارض المتنازع فيها من الاراضي الهشة والجافة والخالية من النبات وغير معرضة للهواء الجوي المطلق ولا لحرارة الشمس وان سير الرطوبة الرأسي والافقي متساويان فتكون النتيجة بكل تحقيق ان رطوبة المياه التي نحن بصددها لا تسير سيرًا افقيًا في عرض الجسر الفاصل المتروك في ارضي بين الزرع والخافقي الا سبعة سنتمترًا فقط

وحيث ان عرض الجسر المتروك المذكور ٤٠ سنتمترًا كما قرر ذلك احمد بك كمال الخبير الثالث في تقريره وكما هو مثبت في اوراق القضية من قبل تعيين الخبراء ولم يزل على حالته للآن . فتكون الرطوبة اذًا بعيدة عن الحيطان او الخافقي بمراحل

واذا قيل ان المياه مستعملة بكثرة عمدًا فالجواب ان الزرع القريب من الخافقي هو كالزرع الموجود في جميع انحاء الغيط المتنازع فيه وهو على قارعة الشارع العمومي والسور واطيء بارتفاع ٩٠ ,٠ وكل شخص طويل القامة ينظر ذلك

❁ امثلة واقعية مطبقة على الشرح العلمي الهيدروستاتيكي لاقناع حضرات المناظرين الكرام ❁ (اولاً) ترون حضراتكم ان عرض جسر سكة حديد الوجه القبلي من ابتداء الجيزة لغاية اصوان لا يزيد على ثمانية امتار توجد مياه الفيضان مدة ثلاثة شهور على جانبيه وبعدئذٍ مدة شهرين في بعض محلات لوجود خنادق (الجنبيات) بعمق من ٤ امتار الى ٦ وفي بعض الاماكن تكون المياه موجودة على الدوام كترعة الابراهيمية وتتلاطم الامواج على جانبيها . بمعنى ان لكل جهة من المياه ٤,٠٠ امتار من عرض هذا الجسر . فاذا كانت رطوبة طبقة مياه سمكها سنتمتران تتشرب في الارض في مدة من ١٠ الى ١٥ دقيقة وتمكث ٥ ايام حتى تجف الارض مكانها في مدة الصيف الشديد تسير سيرًا شديدًا افقيًا مسافة ٠,٤٠

سنتي وتتلف الخافقي ثم تمر من حائطهِ الذي عرضهُ ٠٠ و١ وتسير بعد ذلك مسافة ٨ امتار وتسبب رطوبة في ارضية الزاوية فمن باب اولى كان يلزم ان تلك المياه الجسيمة والمستديمة تؤثر في جسر السكة الحديد وتلاشيهِ في زمن اقرب من لمح البصر

(ثانياً) ترون حضراتكم ان جسر نهر النيل اقرت نظارة الاشغال رسمياً بان يكون عرضهُ من ٤ الى ٦ امتار ولولا سير الجمال المحملة وتقابلها للمرور واسباب اخرى لما عمل عرضهُ اكثر من ٤ امتار . هذا الجسر يحبس مياه الفيضان العالية مدة ثلاثة شهور بسرعتها السريعة وكميتها الكبيرة وامواجها الشديدة . فاذا كانت الرطوبة تسير سيراً افقياً كما يتوهم الخبراء تلاشي هذا الجسر الدائم في زمن اقرب من لمح البصر وفضلاً عن ذلك ان منسوب سطح المياه اعلى من منسوب سطح الاراضي الزراعية بمقدار ثلاثة امتار واربعة امتار في بعض الاماكن حتى اننا نشاهد مياه النشع فوق الاراضي الزراعية وملاصقة لميل الجسر من الجهة الاخرى بمعنى ان الجسر حابس تلك المياه ومتحمل ضغطها الشديد

(ثالثاً) ترون حضراتكم سدود الاتربة التي تعمل في وسط البحور لحبس طبقة مياه ارتفاعها من ٤ امتار الى ٦ مدة ٧ اشهر لبناء قناطر موازنة مثل القناطر الخيرية والقناطر التي على افمام الترع الآخذة من البحور مباشرة — عرض تلك السدود لا يزيد على ٤ امتار الى ستة . فلو كانت الرطوبة تسير سيراً افقياً كما يتوهم الخبراء المذكورون آنفاً لما عمل عرض تلك السدود اقل من ١٠٠٠ متر وهذا امر يستحيل عملهُ

(رابعاً) ترون حضراتكم بتون ارض المزارع عرضها لا يزيد على ٢٠ و٠ سنتي محصورة في وسط مياه الري يخص المياه ١٠ و٠ سنتي من عرضها . فاذا كانت الرطوبة تسير سيراً افقياً كما يتوهم الخبراء ما تمكن المزارعون من السير على تلك البتون الصغيرة وقت ري الارض ولا بعد ريها . واذا تأملنا قليلاً نجد ان ذلك منة من الله حيث لم يجعل سير المياه ولا رطوبتها في الاتجاه الافقي كما ظن الخبراء والاَّ لتلف جزء كبير من المحصول — وامثلة تلك السدود كثيرة لا تحصى وجميعها مطبقة على القانون العلمي الذي شرحتهُ—وانا بصفتي مهندس من الذين عوَّلت الحكومة على اعمالهم في اشغال موازنة مياه البحور على القناطر الخيرية مدة سنوات مذكانت تلك القناطر تنادي كل انسان وتشكي لهُ اوجاعها كانت تلك السدود تعمل على حساب القانون العلمي الذي اوضحتهُ [1] — ولو كان احد الخبراء الذين تعينوا في هذه

(١) فلو حصل مني اقل هفوة لتحملت نظارة المالية خسارة ملايين من الجنيهات عدة سنوات حتى تصلح تلك الهفوة

القضية اشتغل بمياه البحور ولو قليلاً من الزمن لألزمتهُ الضرورة لدرس قواعد فن الهيدروستاتيك وكان يعلم شيئاً من قواعد سير المياه ورطوبتها في الاتربة وما يترتب عليها . ولو كان احدهم درس قواعد علم النبات البسيطة لعلم كمية المياه اللازمة وكان يراجع قانون الامتصاص في علم الهيدروستاتيك و بعدئذٍ يعلم ان لا المياه ولا رطوبتها تصل الى الخافقي . فعذرة مني لحضراتهم

واكبر دليل لا ينقض على ما اقررهُ من القواعد لثبوت ما وضحتهُ بكافة الطرق العلمية هو ان الجسر الفاصل المتروك في ارضي بين الزرع والخافقي هو تراب جاف ليس فيهِ بلل ولا شيء يشتم منهُ رائحة البلل سوى الخمسة سنتمترات الأُوَل من جهة الزرع كما يشاهدهُ كل انسان وقت الري وتجف عند ما تجف الارض والزرع . وكذلك جدران الحيطان المجاورة للزرع أمتن من جدران الحيطان الغير المجاورة والبعيدة عنهُ بمسافة ٢٥ ,٥ على امتداد الحائط البحري المتنازع فيهِ . فلو كانت المياه او الرطوبة اثرت على الخافقي واتلفتهُ ثم مرّت من حيطان عرضها متر وسببت رطوبة في ارضية الزاوية فمن باب اولى ان الجسر الفاصل بين الزرع والخافقي السابق الذكر يصير لزجاً (رهْرِيط) او فيهِ بلل او شيء يشتم منهُ رائحة البلل او توجد فيهِ على الاقل بعض شعيرات النبات المنزرع الملاصق لهُ تماماً . وهذه نقطة مهمة جداً استلفت اليها انظار حضرات العلماء المناظرين الذين يريدون الحصول على الجائزة . هذه الشروط الموجودة في الجسر لا شك انها تؤيد الشروحات العلمية التي شرحتها ان لا المياه ولا رطوبتها التي نحن بصددها يمكن وصولها الى الخافقي المتنازع فيهِ . ومن اراد تحقيق ذلك فليشرف ليرى الجسر بعينهِ

وهذه القضية تنطبق تماماً على الزرع الموجود بين غرف المحكمة الابتدائية الاهلية مذ كانت في سراي الدراملي . تجدون حضراتكم الزرع بعيداً عن حيطانها بمقدار ٦٠ ,٠ سنتي وجدرانها مبيضة ببياض يسمى علمياً " بياض القشرة الجوّي " atmospheric plaster واسمهُ عند العامة " البياض بالجير والرمل " . وتركيب هذا البياض هندسياً هو جير ورمل وماء بمقادير معينة . ومقرر علمياً وكيماوياً وعملياً ان اقل كمية من المياه او الرطوبة تؤثر في هذا البياض وتحللهُ وتذوّبهُ كما يحلل الماء ملح الطعام ويذوّبهُ . فهذا البياض تجدونهُ لغاية اليوم في حالة جيدة حالة كونهِ قديم الوجود وتركيبهُ الهندسي ليس على ما يرام . وهذا دليل قاطع علمياً وعملياً ان لا المياه ولا رطوبتها واصلة لهذا البياض حالة ان جميع البياض الموجود على السور الغربي لحديقة السراي الذي سبق الكلام عليهِ قد تلف بالكلية مع بعدهِ عن ارض المزارع

وعندي دليل قوي يثبت ان لا المياه ولا رطوبتها التي نحن بصددها تؤثر في الحيطان القديمة التي مونتها ضعيفة جدًّا ومركبة من طين وجير وقصرمل ولا في الحيطان القديمة المبنية بطين حلو فقط ولا في جروف (جمع جرف) التراب الراسية الملاصقة لمياه الزرع بدون فاصل. وهو ان تلك الاوصاف موجودة في الغيط المتنازع فيهِ منذ سبع سنوات وهو ابتداء الزرع . بحيث لو حصل ادنى خلل في تلك الحيطان لكلفني نحو الف جنيه لاعادتها . وهذه الحالة عرضت على جميع الخبراء المذكورين آنفًا عند حضورهم لاجل المعاينة

وعندي عبارة مهمة تناقض ما قررهُ الخبراء في تأخير الزرع عن حالتهِ الراهنة . وهي اذا كانت طبقة مياه ارتفاعها سنتمتران تشرب في الارض في مدة ١٠ دقائق الى ١٥ دقيقة ويجف محلها مدة خمسة ايام زمن الصيف الشديد كالجاري في الغيط المتنازع فيهِ تسير رطوبتها سيرًا افقيًّا مسافة ٠و٤٠ سنتي في عرض جسر من تراب وتتلف الخافقي ثم تمرّ من حائطهِ الذي عرضهُ متر وتسبب رطوبة في ارضية الزاوية حسب زعم الخبراء فاذا رسمنا الجدول الآتي حسب هذا الزعم نجد

سماكة طبقة الماء الارتفاعية التي	مجرى رطوبة الماء الافقي	سماكة جدران الزاوية المركبة عليها الخافقي	طول اضلاع الزاوية حسب الرسم المعمول بمعرفة آل خبرة		مسطح الزاوية	
			طول	عرض		
٠و٠٢	٠و٤٠	١و٠٠	١٤و٠٠	١٠و٠٠	١٤٠و٠٠	
٠و٠٤	٠و٨٠	٢و٠٠	٢٨و٠٠	٢٠و٠٠	٥٦٠و٠٠	
٠و٠٨	١و٦٠	٤و٠٠	٥٦و٠٠	٤٠و٠٠	٢٢٤٠و٠٠	
٠و١٦	٣و٢٠	٨و٠٠	١١٢و٠٠	٨٠و٠٠	٨٩٦٠و٠٠	
٠و٣٢	٦و٤	١٦و٠٠	٢٢٤و٠٠	١٦٠و٠٠	٣٥٨٤٠و٠٠	
٠و٦٤	١٢و٨٠	٣٢و٠٠	٤٤٨و٠٠	٣٢٠و٠٠	١٤٣٣٦٠و٠٠	
١و٢٨	٢٥و٦٠	٦٤و٠٠	٨٩٦و٠٠	٦٤٢و٠٠	٥٧٥٢٣٢و٠٠	اي مسطح زاوية اتساعها
٢و٥٦	٥١و٢٠	١٢٨و٠٠	١٧٩٢و٠٠	١٢٨٤و٠٠	٢٣٠٠٩٢٨و٠٠	٥٤٧ فدانًا

ونتيجة هذا الجدول هي انهُ اذا تصوَّرنا طبقة مياه سمكها متران وستة وخمسون سنتمترًا تشرب في الارض في مدة ١٠ دقائق الى ١٥ دقيقة ويجف محلها حتى تمضي خمسة ايام زمن الصيف الحار الشديد تفعل هذا الفعل — فاذا كانت طبقة مياه سمكها ثلاثة امتار في الصيف وستة امتار زمن النيل والمتوسط ٤و٥٠ تمكث على الدوام وامواجها تتلاطم كما هو الحاصل في ترعة الابرهيمية الملاصقة لجسر السكة الحديد في الوجه القبلي — فماذا يا ترى تفعل ؟ —

او اذا دامت تلك المياه مدة شهور متوالية بدون انقطاع كما هو الحاصل على طول السكة الحديد المذكورة من ابتداء الجيزة لغاية اصوان ؟ — هذه نقطة مهمة تثبت لحضراتكم القانون العلمي الهيدروستاتيكي الذي شرحتهُ سابقاً وقلت ان سدود الاتربة التي تعمل في وسط البحور وغيرها مطبقة عليهِ

واختم هذه الرسالة بالمسألة العلمية الآتية الشاملة قاعدتين علميتين هيدروستاتيكية ونباتية لاثبت عدم وصول المياه والرطوبة الى الخافقي المتنازع فيهِ فاقول

اذا سلمنا المستحيل وجارينا الخبراء السالفي الذكر على افكارهم وقلنا ان مياه الزرع او رطوبتها سارت سيراً افقياً في الجسر التراب الذي عرضهُ ٤٠,٠٠ سنتمترًا الفاصل بين الزرع والخافقي السابق الذكر وَوصلت للخافقي واتلفتهُ — ثم مرّت من حيطانهِ التي عرضها ١,٠٠ متر ووصلت الى ارضية الزاوية وسبَّبت رطوبة — فهذا معناه علمياً هيدروستاتيكياً ونباتيا وعقلياً وعند المزارعين الجهلاء ان الارض متشبعة (ممزوجة) بمياه كثيرة لا تنقطع ولا تجف ابدًا — وهذا ما ينفيهِ قانون علم النبات لانهُ يقرّر استحالة نموّ شعيرات النبات الدقيقة او جذور الاشجار الكبيرة — لان ذلك يعدّد اليافهُ ويضعف الجهاز المائي الكيماوي الحيوي ويميتهُ كما قدمنا — واذا فرضنا هذا المستحيل وقلنا ان كثرة المياه لا تميت شعيرات النبات الدقيقة ولا جذور الاشجار الكبيرة واننا اذا حفرنا في عرض الجسر الفاصل المذكور بعمق كبير ووجدنا شعيرات النبات والجذور مارّة منهُ وملاصقة للخافقي فلا يمكن انها (الشعيرات والجذور) توصل المياه اليهِ ولا الى تراب هذا الجسر. بل هي تمص المياه والرطوبة منهما علاوة على المزاحمة الواصلة من مياه الري. ودليلي على ذلك هو انهُ لو كانت شعيرات النبات الدقيقة "وجذور الاشجار" الكبيرة توصل المياه الى المباني او الى الاراضي المارّة فيها لهُدمت مباني العالم اجمع لان جذور شجر اللبخ والسنط والجميز والنخل والتوت والبلوط والآس والمنجو وغير ذلك تمتد في الارض احياناً لغاية خمسة وستين متراً واحياناً تمتد افقياً لغاية ١٠٠ متر (راجع قانون علم النبات في هذا الموضوع) وحينئذ يجب على الحكومات ان لا تزرع الاشجار في الطرق او الجناين المجاورة للسكن بمسافة ١٠٠ متر

وبناء عليه

التمس العلم من حضرات العلماء المناظرين ان يردوا علينا في المقتطف اذا وجدوا مناظرتي موافقة للعلم والتجارب كما ان لهم الحق بمطالبتي بالجائزة اذا ثبت بعد المناظرة ان لهم الحق بها. وربما يفتكر البعض ان اعلان الجائزة المدرج في الجرائد وفيهِ جملة (من يقنعني بالطريقة

العلمية) معناها اني لا اقتنع ابدًا حاشا بل قصدت بها ان ما دام المناظرون يناظرونني بالعلم المدوَّن في الكتب العلمية المتداولة بين العلماء و بمقارنتها بالتجارب توجد حقيقية فلا بد انها تقنعني. واذا أصررت بعدئذٍ على عدم الاعتراف بالحقيقة فهناك لجان مهندسين وعلماء النبات عدول يحكمون رغماً عن انني وهذا حجة عليَّ بذلك

خورشيد وهبي

باب الزراعة

السماد الكيماوي والقطن

اهم مسألة نظر فيها ارباب الزراعة في الشهر الماضي مسألة تسميد القطن بالسماد الكيماوي والتجارب التي جرَّبها المستر فودن سكرتير الجمعية الزراعية وغيره من ارباب الزراعة فانهُ ان كان السماد الكيماوي يفيد القطن فيجود نوعهُ ويكثر محصولهُ حتى تكون الزيادة في ثمن قطن الفدان الواحد اكثر من ثمن السماد الذي يسمد بهِ ونفقات التسميد ولم تنتج منهُ نتائج مضرة للاطيان وجب ان يقبل الجميع على استعمالهِ . وهاك شرح التجارب التي جرَّبها المستر فودن ملخصاً مما كتبهُ في مجلة الجمعية الزراعية الخديوية . وقد جرَّب هذه التجارب في اطيان الجمعية الزراعية بناحية ميت الدية وفي اطيان أُخرى في الجيزة وقال ان الاطيان التي حصلت فيها التجارب تختلف كثيرًا فالاطيان التي في ميت الدية ضعيفة طفالية ومنخفضة واما اطيان الجيزة ففوق الوسط في خصبها وهي عالية وترابها قليل التماسك . ثم وصف فائدة السماد للارض وافتقار القطر المصري الى السباخ الكيماوي لان السباخ الكفري لا يفيد كلَّ الفائدة المطلوبة والكيمان التي سباخها جيد قليلة جدًّا . والسباخ البلدي مفيد لكنهُ قليل جدًّا لقلة المواشي ولان الدوائر الكبيرة تستعمل مواشي الفلاحين لحرث اطيانها فلا تنتفع بكل زبلها وهي لو ربَّت المواشي لزراعتها لاستفادت من زبلها واستطاعت ان تحسّن نتاجها ايضاً . ولذلك تبقى الحاجة ماسَّة الى سباخ كيماوي يفيد المزروعات فائدة خاصَّة . اما خصب الاطيان العمومي فيجب ان يبقى الاعتماد فيهِ على السباخ البلدي والبودرت اي السباخ المجفف المستخرج من الكنف ونحو ذلك من المواد البرازية . واذا اقتصرنا على تسميد الارض بالسباخ البلدي سنة بعد اخرى اجتمع فيها مقدر كبير من الغذاء لكنهُ لا يكون كلهُ في حالة صالحة لتغذية

المزروعات لانهُ لا يقبل كلهُ الذوبان في الماء واما السباخ الكيماوي فيذوب في الماء سريعاً فتجد المزروعات في المقدار القليل منهُ غذاء كما تجد في المقدار الكبير من غيره . خذ مثلاً لذلك المواد التي تحتاج اليها اطيان القطر المصري اكثر مما تحتاج الى غيرها وهي النيتروجين والحامض الفصفوريك فان القنطار من نيترات الصودا او كبريتات الامونيا فيهِ من النيتروجين مقدار ما في ٦٥ او ٧٠ قنطاراً من السباخ البلدي . والقنطار من الفصفات الاعلى (الذي فيهِ ١٦ الى ١٨ في المئة من الحامض الفصفوريك القابل الذوبان) فيهِ من الحامض الفصفوريك مقدار ما في ٦٥ الى ٧٠ قنطاراً من السباخ البلدي . ففي المقدار القليل من هاتين المادتين غذاء للمزروعات من نوع النيتروجين والحامض الفصفوريك قدر ما في المقدار الكبير جداً من السباخ البلدي . وزد على ذلك ان هذا الغذاء فيهما سهل الذوبان قريب التناول وهو وليس كذلك في السباخ البلدي

لكن السماد الكيماوي لا يكفي وحدهُ بل لا بدَّ من استعمال السباخ البلدي ايضاً لحفظ خصب الارض بنوع عام ويجب ان تسمد بهِ الارض مرةً كل سنتين او ثلاث تسميدًا كافياً ثم تسمَّد في السنين الاخرى بالسماد الكيماوي اللازم بنوع خاص لما يزرع فيها . ولا سيما اذا كانت الاطيان بعيدةً عن العزَب يصعب نقل السباخ البلدي اليها

ثم قال ان التجارب السابقة دلت على ان السماد الكيماوي مفيد مالياً اي ان فائدتهُ للزراعة تزيد على ثمنهِ ونفقات استعمالهِ . وجاءت التجارب الحديثة في الجيزة وميت الديبة مؤيدة لذلك فاولاً ثبت منها ان القطن الذي يسمد بالسماد المناسب ينضج ويفتح لوزهُ قبل غيره وهذا يفيد من وجهين الاول ان الجنية الاولى يكون قطنها اجود من الجنيتين الاخريين والثاني ان الزارع يجمع الجانب الاكبر من قطنهِ قبلما يتقلب الهواء ويبرد ويكثر الضباب وتقع الامطار

ثم ان استعمال السماد لا يغني عن جودة الحرث بل لا بدَّ من ان تحرث الارض حرثاً عميقاً جيداً لانهُ كلما عمق الحرث كثر الغذاء الذي يسهل على النبات تناولهُ . وفي القطن جذر متوسط يغور في الارض الى عمق عميق فاذا كان الحرث سطحياً حتى امتنع غور هذا الجذر في الارض قلت المساحة التي يغتذي النبات منها فلا يجود كثيراً ولا ينتج كل ما يمكن ان ينتجهُ من القطن ولذلك يجب ان يستوفي الزرع حقهُ من الحرث والتسميد ولا ينتظر ان يعوّض الانسان بالسماد عن الحرث الجيد

ولما اتم هذا الكلام العمومي انتقل الى وصف التجارب التي اجراها في ميت الديبة فقال

ان الارض هناك قليلة الخصب ثقيلة اي متماسكة الدقائق زرع منها خمسين فداناً من الميت عفيف وعشرين فداناً من العباسي ومحصول الفدان هناك عادةً نحو ثلاثة قناطير لكن انقطع الماء عنها هذه المرة ٤٥ يوماً في اشد ايام الحر وهذا اثر في المحصول كثيراً ولم نتمكن من احياء القطن الآن بالعزق السطحي المتوالي الذي يمنع التبخر بسده الشقوق الكبيرة التي في الارض. هذا ما قالهُ المستر فودن ونظن ان للعزق السطحي فائدة اخرى وهي ان التراب الناعم يمتص الرطوبة من الهواء ولا سيما في ساعات الليل و يزيد الفعل الكيماوي المغذي بتسهيل مرور الهواء في التراب

وقسم ٣٠ فداناً من الارض الى خمسة عشر قسماً متساوية وزرعها من القطن ميت عفيف وابقى بعضها بغير سماد وسمد بعضها بالسباخ البلدي او الصودا وحدها او الصودا والحامض الفصفوريك الخ كما ترى في هذا الجدول

بغير سماد	نيترات الصودا	سباخ بلدي	الفصفات الاعلى وكبريتات البوتاسا	الفصفات الاعلى
الفصفات الاعلى ونيترات الصودا	البودرت	الفصفات الاعلى ونيترات الصودا	الفصفات الاعلى	نيترات الصودا
كبريتات البوتاسا ونيترات الصودا	بغير سماد	الفصفات المرسب	سماد خاص للمستعمرات	سماد خاص للاراضي الطفالية

فاختلف محصول الفدان من القطن بحسب اختلاف هذه الاسمدة كما ترى في هذا الجدول

متوسط محصول الفدان بغير سماد	٦٢٥	رطلاً
" " " المسمد بالسباخ البلدي	٩٧٤	"
" " " بالبوتاسا وحدها	٦٣٣	"
" " " " " والفصفات الاعلى	٨٩٥	"
" " " بالفصفات الاعلى وحدهُ	١٠٨٤	"
" " " " " " ونيترات الصودا	١٤٨٤	"
" " " " بنيترات الصودا وحدهُ	١١٥٦	"
" " " " بكبريتات البوتاسا ونيترات الصودا	٩٦٣	"

متوسط محصول الفدان المسمد بالبودرت	١٢٣٠	رطلاً
" " " بسماد المستعمرات	٨٧٨	"
" " " بسماد الاراضي الطفالية	١١٨٣	"

ثم قال ويظهر من ذلك ان السماد فعل بالارض حالاً ولا يستثنى من ذلك الاَّ البوتاسا المستعملة وحدها . وظهرت الفائدة الكبرى من الفصفات الاعلى ونيترات الصودا ومن نيترات الصودا وحده ومن البودرت وسماد الاراضي الطفالية

والسماد اللازم للفدان من الفصفات الاعلى اربعة قناطير يبلغ ثمنها نحو ٧٠ غرشاً اذا كان ثمن الطن واصلاً الى الاطيان ٣٨٠ غرشاً . فسماد بسبعين غرشاً زاد المحصول قنطاراً وثلث قنطار من القطن

اما السباخ البلدي فاستعمل منهُ ٣٠ حملاً للفدان فزاد بهِ محصول الفدان اكثر من قنطار . اما الارض التي سمدت بالنيترات والفصفات الاعلى فقد سمدت بنحو ثلاثة قناطير الى اربعة من الفصفات الاعلى و بنحو قنطار وربع الى قنطار ونصف من النيترات و بلغ محصول الفدان منها ١٤٨٤ رطلاً اي زاد ٨٥٩ رطلاً عن محصول الفدان الذي لم يسمد و ٥١٠ ارطال عن محصول الفدان الذي سمد بالسباخ البلدي و ٤٠٠ رطل عن محصول الفدان الذي سمد بالفصفات الاعلى وحده

ثم ان نيترات الصودا وحده زاد المحصول في الميت عفيف من ٦٢٥ رطلاً الى ١١٥٦ رطلاً لكنهُ اخَّر النضج وقلل جودة القطن واما الفصفات الاعلى الممزوج بنيترات الصودا فزاد المحصول حتى بلغ ١٤٨٤ رطلاً وجعل القطن ينضج باكراً وحسن نوعه ولو كان الطين اجود لكان فعل نيترات الصودا فيهِ مضراً على الراجح لانهُ يجعل شعر قطنهِ غليظاً . وكذلك لو كان اقل جودة مما هو في ميت الديبة لكانت النتيجة ارداً لقلة الفصفور والبوتاسا فيهِ . ولذلك لا نشير باستعمال السماد النيتروجيني وحده بل ممزوجاً بالسماد الفصفوري

وكانت النتيجة من استعمال البودرت حسنة جداً فبلغ محصول الفدان ١٢٣٠ رطلاً وهو يفضل على الاسمدة الكيماوية في انهُ يصلح التربة اي انهُ يبقى فيها بعد زراعة القطن شيء من الغذاء متخلفاً من البودرت لكن نقل البودرت اغلى من نقل الاسمدة الكيماوية . ولو وجد البودرت بمقادير كافية في القطر المصري واضيف اليهِ شيء من السماد الكيماوي لوفى بالحاجة تماماً . والمقدار الذي استعمل من البودرت في هذه التجربة هو طنَّان للفدان ولم تدفع الجمعية ثمنهُ لان شركة نقل البراز قدمتهُ اليها بغير ثمن

واختار ٢٤ فداناً زرعها بالقطن العباسي وارضها ادنى من التي زرعها بالميت عفيف وقسمها هكذا

بالبودرت	باعلى فصفات البوتاسا	بغير سماد	بغير سماد
بكبريتات البوتاسا ونيترات الصودا	بنيترات الصودا	بالفصفات الاعلى	بالفصفات الاعلى ونيترات الصودا
بغير سماد			بكبريتات البوتاسا

فكان متوسط محصول الفدان الذي بغير سماد ٥٢٦ رطلاً

" " " المسمد بالفصفات الاعلى ٨١١ "

" " " " " " والبوتاسا ٧٠٦ "

" " " " " بنيترات الصودا ٨٤٤ "

" " " " " " " والفصفات الاعلى ١١٧٥ "

" " " " " بكبريتات البوتاسا ٠٧٧٧ "

" " " " " بالبودرت ٨٧٨ "

وهذه النتائج توافق النتائج التي حصلت من القطن الميت عفيف فالارض التي لم تسمد بلغ متوسط محصول الفدان منها ٥٢٦ رطلاً والارض التي سمدت بكبريتات البوتاسا زاد محصولها ٦٥ رطلاً فقط وهذه الزيادة لا تفي بثمن السماد . وسماد الفصفات الاعلى زاد محصول الفدان ٢٩٥ رطلاً . واما السماد الممزوج من الفصفات الاعلى والبوتاسا فلم تكن فائدتهُ كبيرة . وكانت النتيجة من استعمال نيترات الصودا حسنة من حيث كثرة المحصول ولكن قطنهُ لم يكن جيداً . واحسن النتائج كانت من استعمال الفصفات الاعلى ونيترات الصودا فزاد المحصول ٣٦٤ رطلاً عما كان باستعمال الفصفات الاعلى وحدهُ . ويتلو ذلك البودرت وقد استعمل منهُ طنَّان للفدان

و يظهر لنا انهُ يُعترض على ما تقدَّم اولاً ان اطيان ميت الديبة يبعد ان تكون من درجة واحدة في الخصب لانها مثل كل الاطيان الضعيفة التي تتفاوت درجة الخصب فيها . وعندنا اطيان تشبهها على مقربة منها ولا نأمل انها تصير كلها من درجة واحدة الاَّ بعد ان تصلح وتمضي عليها بضع سنوات . ومعلوم ان المقابلة او الموازنة لا تصحُّ الاَّ اذا كانت الاطيان كلها في درجة واحدة من الخصب

وثانياً انهُ ذكر اولاً ان الاطيان التي اجرى التجارب فيها زرع خمسين فداناً منها من القطن الميت عفيف وعشرين من القطن العباسي وعند التفصيل قال انهُ اجرى التجارب في ٣٠ فداناً مزروعةً بالقطن الميت عفيف وفي ٢٤ فداناً من القطن العباسي ولعلَّهُ وقع خطأٌ في الارقام الاولى

وثالثاً انهُ ذكر استعمال البوتاسا وحدها بين الاسمدة الكيماوية حينما ذكر ارطال المحصول ولم يذكرها في الجدول السابق فلعلَّ نيترات الصودا في قطعة منها هو نيترات البوتاسا. والعبرة ليست في الامر الثاني والثالث بل في الامر الاول اي في درجة اطيان ميت الديبة فان كانت من درجة واحدة في الخصب فالنتائج صحيحة تستحق ان يعوَّل عليها والاَّ فلا . لكن اذا صحَّ هذا الاعتراض على اراضي ميت الديبة لا يصحُّ على اراضي الجيزة لان هذه من درجة واحدة تقريباً وتمتاز على تلك ايضاً في انهُ جرَّب زرع القطن فيها بعد انواع مختلفة من الزراعة . والتجربة الاولى في ستة افدنة اثنان منها كانا مزروعين قطناً واثنان ذرة واثنان برسيماً وقد قسمت هذه الارض هكذا

بعد البرسيم	بعد الذرة	بعد القطن
بلا سماد	بلا سماد	بلا سماد
الفصفات الاعلى والنيتروجين	الفصفات الاعلى	الفصفات الاعلى والنيتروجين
الفصفات الاعلى والبوتاسا	البودرت	الفصفات الاعلى والبوتاسا

فكانت النتيجة هكذا

المحصول بعد البرسيم من غير سماد ٢٦٦٢ رطلاً

" " الذرة " " " ٢٢٣٦ "

" " القطن " " " ١٤٠٢ "

ويتضح من ذلك ان محصول القطن بعد البرسيم اكثر كثيرًا من محصولهِ بعد الذرة والفرق بينهما ٤١٦ رطلاً او قنطار وثلث وكانت الذرة مسمدة بالسباخ الكفري . اما الارض التي كانت مزروعة قطناً فكان محصولها قليلاً جدّاً وذلك دليل اما على ان القطن

يأخذ من الارض بعض المواد اللازمة فيفقرها حتى لا تسترد قوتها الاَّ بعد حين او على انهُ يترك فيها مواد تضرُّ بهِ اذا زُرع فيها قبلما تزول منها

وكان محصول الارض التي كانت مزروعة برسيماً قبل القطن اكثر من محصول الارض التي كانت مزروعة قطناً ومن محصول الارض التي كانت مزروعة ذرة كما تقدم . وهذه الارض ثلاثة اقسام سمد قسم منها بسماد مركب من الفصفات الاعلى والنيتروجين وقسم بسماد مركب من الفصفات الاعلى والبوتاسا والثالث لم يسمد بشيء لكن محصول الاقسام الثلاثة كان واحداً كأن السماد وعدمهُ سيَّان . ومن رأي المستر فودن ان ذلك حصل لان الارض جيدة ولانها كانت مزروعة برسيماً . اي ان الارض الجيدة التي كانت مزروعة برسيماً يجود القطن فيها من غير ان يسمد ولا حاجة بها الى السماد

والارض التي كانت مزروعةً ذرة كانت ثلاثة اقسام ايضاً ترك قسم منها بغير سماد وسمد قسم بالفصفات الاعلى وحدهُ وقسم بالبودرت . اما التي بدون سماد فبلغ محصول الفدان منها ٧ قناطير و ٤١ رطلاً والتي سمدت بالفصفات الاعلى بلغ محصول الفدان منها ٧ قناطير و٢٣٧ رطلاً فالزيادة ١٩٦ رطلاً اي اقل من ثلثي القنطار والقسم الذي سمد بالبودرت كان محصول الفدان منهُ اقل من ذلك وهذا يدل على ان الذرة تقلل الحامض الفصفوريك في الارض فيفيدها السماد الفصفوري

والارض التي كانت مزروعة قطناً قسمت ثلاثة اقسام ايضاً فالقسم الذي لم يسمد منها بلغ محصولهُ ٤ قناطير و١٤٢ رطلاً كما تقدم (لان ١٤٠٢ ÷ ٣١٥ = ٣ قناطير و ١٤٢ رطلاً) والقسم الذي سمد بمزيج من الفصفات الاعلى والبوتاسا بلغ محصول الفدان منهُ ٥ قناطير و٧٩ رطلاً فزاد ٢٥٢ رطلاً والذي سمد بالفصفات الاعلى ونيترات الصودا بلغ محصول الفدان منهُ ٥ قناطير و٢٦٥ رطلاً اي زاد على محصول الفدان من القسم الذي لم يسمد قنطاراً و١٢٣ رطلاً وعلى محصول الفدان الذي سمد بالفصفات الاعلى والبوتاسا ١٨٦ رطلاً

وجرّب ايضاً زرع القطن بعد البرسيم وبعد الفول وفي ارض بوِّرت بعد القمح اما البرسيم فكان مزروعاً بعد القمح ورعي مرتين ثم خدمت ارضهُ للقطن والارض التي كانت مزروعة فولاً خدمت حالاً بعد نزع الفول منها فكان المحصول هكذا

محصول الفدان بعد الفول	٥ قناطير	و ٢٧٠	رطلاً
" " البرسيم	٨ "	و ٢٢٧	"
بعد القمح في الارض المبورة	٩ "	و ١٣٠	"

اي ان محصول الفدان في الارض التي كانت مزروعة قمحاً وتركت بغير زرع الى حين زرع القطن وخدمت بالحرث جيداً كان اكثر من محصول الفدان بعد البرسيم ومحصول هذا كان اكثر من محصول الفدان بعد الفول

والارض التي كانت مزروعة برسيماً قسمت قسمين سمد احدهما بالسباخ البلدي وترك الآخر بغير سباخ فكان محصولها واحداً تقريباً فان محصول الفدان من الاولى بلغ ٨ قناطير و ٢٤٧ رطلاً ومن الثانية بلغ ٨ قناطير و ٢٠٧ ارطال والفرق بينهما ٤٠ رطلاً فقط

وجرّب الاسمدة الكيماوية في خمسة افدنة كما جرّبها في ميت الدبية فوجد الفائدة الكبرى من الفصفات الاعلى ونيترات الصودا ووجد ان السباخ البلدي لا يسرع النضج فلا تكون الجمعة الاولى كبيرة كما تكون لو سمد القطن بالفصفات الاعلى ولكن الجمعتان التاليتان تكونان كبيرتين وفائدة الفصفات الاعلى ونيترات الصودا تفوق فائدة الفصفات الاعلى وحده ونيترات الصودا وحده ولكن نيترات الصودا الممزوج بالفصفات الاعلى يؤخر نضج جانب كبير من القطن واما فصفات الصودا وحده فيسرع نضج القطن ويظهر ذلك واضحاً من هذا الجدول وقد ذكر فيه محصول الفدان المسمَّد بكلٍ من الاسمدة المذكورة فيه والمحصول بالارطال

السماد	الجمعة الاولى	الثانية	الثالثة	المجموع
الفصفات الاعلى وحده	٨٣٥	٤٢٠	٤٠٠	١٦٥٥
نيترات الصودا وحده	١٣٨	٤٥٥	٩٠٠	١٤٩٣
الفصفات الاعلى والنيترات	٤٣٥	٩٣٥	٨٧٠	٢٢٤٠

الا ان المياه كانت قليلة في الاول وزادت في الآخر فتأخر جانب من المحصول بنوع عام واستنتج المستر فودن من ذلك كله النتائج التالية وهي

(١) ان السماد الكيماوي المناسب يكون من استعماله ربح

(٢) ان نتائج البودرت حسنة وتبقى منهُ بقية في الارض

(٣) ان الفصفات الاعلى جيد ويسرع النضج

(٤) ان نيترات الصودا يزيد المحصول لكنهُ يؤخر النضج فلا يحسن استعمالهُ وحدهُ

(٥) ان السماد الممزوج من الفصفات الاعلى والنيترات افضل من غيره ويكون هذا المزيج من ٣ قناطير الى اربعة من الفصفات الاعلى وقنطار وربع الى قنطار ونصف من نيترات الصودا او كبريتات الامونيا او النصف من هذا والنصف من ذاك . ويحسن ان تكون مقادير هذا السماد هكذا ٣ الى ٤ قناطير من الفصفات الاعلى و ٦٠ الى ٧٠ رطلاً من نيترات الصودا

و ٦٠ الى ٧٠ رطلاً من كبريتات الامونيا وثمن ذلك نحو ٣٥ غرشاً

(٦) ان سماد البوتاسا لم تكن نتيجتهُ جيدة

(٧) ان المزروعات التي تحتاج الى ماء كثير في زمن الصيف تضر بزراعة القطن التالية

(٨) ان الفائدة قليلة من السماد في الارض الجيدة اذا زرع القطن بعد البرسيم

(٩) انهُ يمكن اسراع النضج بمزيج مناسب من الاسمدة

هذه هي النتائج التي استنتجها المسترفودن و يظهر لكل احد من مطالعة تقريرهِ بالامعان امران جوهريان الاول ان السماد لا يفيد القطن في الارض الجيدة او ان فائدتهُ قليلة جداً كما قال آنفاً في البند الثامن ولا سيما اذا زرع القطن بعد البرسيم . ولا يخفى ان زراعة البرسيم اولى من تبوير الارض لان رعيتين منهُ اثمن من الفرق في محصول القطن

والثاني ان الامتحان في اراضي ميت الديبة عرضة للشك لانهُ يبعد عن الظن ان تكون اطيانها من درجة واحدة في الخصب وان تصل اليها المياه على كفاءة واحدة فان الاطيان التي في تلك الجهات ومن نوع اطيان ميت الديبة تزرع على نسق واحد تماماً فيغلّ فدان منها اربعة قناطير وفدان آخر ملاصق لهُ اقل من قنطارين وتكون الخدمة واحدة في الاثنين وانما الفرق في جودة الارض وسهولة ريها

والثالث ان السماد الكيماوي مختلف الدرجات وقابل للغش الى درجة قصوى فاذا لم تتولَّ الحكومة امتحانهُ كيماوياً لكي تثبت درجتهُ اي مقدار ما فيهِ من الحامض الفصفوريك القابل الذوبان او من الحامض النيتريك فلا يكون من الحكمة انفاق الاموال عليهِ . ولكن اذا رضي تجار السماد ان يأخذوا بدل سمادهم جانباً مما يزيد في محصول الارض كان ذلك اقرب الى الانصاف واوفى بالغرض وابعد عن الغش فاذا كان عند واحد حوض مساحتهُ اربعون فداناً من درجة واحدة من الخصب وزرع عشرين فداناً منها من غير سماد وعشرين فداناً سمدها بسماد فصفوري او نيتروجيني او فصفوري ونيتروجيني معاً و بلغ محصول العشرين فداناً الاولى مئة قنطار ومحصول العشرين فداناً الثانية مئة وعشرين قنطاراً فالعشرون قنطاراً التي زادت في محصول القسم الثاني نتجت من السماد ويحسن ان يتفق صاحب الاطيان مع تاجر السماد على ان يعطيهُ نصف هذه الزيادة او ثلثيها او اكثر او اقل فيسلم المزارع من الخطر والغش و يهتمّ التاجر بجودة سمادهِ . هذا في الاطيان الضعيفة اما الاطيان القوية فلا حاجة بها للسماد الكيماوي بل قد يكون خصبها زائداً عما يلزم للقطن فتكبر اغصانهُ واوراقهُ ويقلّ لوزهُ وتكون الفائدة من تبعيد الزرع ونوع الخدمة اكثر مما تكون من السماد

المعرض الزراعي والمعروضات

فتح المعرض الزراعي في الثاني والعشرين من يناير فخامة الجناب العالي الخديوي ومعهُ جمهور كبير من الامراء اعضاء العائلة الخديوية والقناصل الجنرالية ونظار الحكومة المصرية ووجهاء العاصمة . وكانت المعروضات كثيرة من المواشي والقطن والقمح والذرة والشعير والارز والفول والبرسيم والسكر والبنجر والطيور الاهلية — حاصلات القطر المصري وينابيع ثروتهِ وعماد اهلهِ . وعرض فيهِ ايضاً تجار الآلات الزراعية انواعاً مختلفة من آلات الري والحرث والحصد والدرس والتذرية وتجار السماد انواعاً مختلفة من الاسمدة الكيماوية

وتدلُّ المعروضات الزراعية التي عُرضت فيهِ على ان في القطر الآن قطناً وقمحاً وذرةً وشعيرًا وقصبًا وبنجرًا من اجود ما تنتجهُ الارض في كل مكان وان فيهِ من المواشي الاهلية والمجلوبة من الخارج ما يندر ان يُرى اجود منهُ في بلاد أُخرى ولكن هل كل حاصلات الارض مثل الاصناف التي عُرضت في هذا المعرض وهل يستفيد احد من رؤْية حاصلات نادرة المثال من غير ان يعلم شيئاً عن كيفية استغلالها . هاتان مسأَلتان خطرتا لنا حالما وقع نظرنا على هذه المعروضات وقد تخطران على بال كل من يراها. وحتى الآن لا تظهر فائدة من هذه المعروضات الاّ للذين عرضوها لانهم قد يهتمون بالحصول على ما يفوق غيرهُ واهتمامهم هذا يفيدهم ولكنهُ لا يفيد غيرهم الاّ الذين يهتمون مثلهم . ومن المحتمل ان قفة الحنطة التي نالت الجائزة الاولى ولا يزيد وزنها على اقتين او ثلاث تكون منتقاة حبةً حبةً من عشرين اردباً من الحنطة فيكون المعرض ممهدًا للتدجيل والخداع ومع اننا نجلُّ حضرات العارضين عن ذلك لا نرى هذا الاسلوب وافياً بالغرض المطلوب . وحبذا لو جرت لجنة المعرض مع اسلوب آخر بسطناهُ مرارًا وهو ان تعين الجوائز الكبيرة لمن يتقن زراعة القطن حتى يستغل من الفدان الواحد ١٢ قنطارًا مثلاً ويكون نوع قطنهِ من اجود ما يكون حتى يبتاعهُ تجار القطن باغلى من غيرهِ . ولمن يتقن زراعة الحنطة حتى يستغلَّ من الفدان ١٢ اردباً مثلاً ويكون قمحهُ من اجود الانواع وهلم جرًّا . ويعلم ذلك بان تدعي لجنة يجمع القطن امامها ويوزن او يحصد القمح امامها ويدرس ويوزن فتحكم بافضليتهِ وتكتب رسالة في كيفية زرع ذلك القطن وهذا القمح وتنشر حتى يستفيد منها الجميع

اما المواشي فلا نعرض على اسلوب آخر ولكن حبذا لو ان اصحاب المواشي البلدية والمولَّدة التي تنال الجوائز الاولى يكتبون رسائل في وصف توليدها وتربيتها وترويضها لكي يستفيد غيرهم من اختبارهم

اما المعروضات التي نالت الجوائز فكثيرة وقد اخترنا منها ما نال الجائزة الاولى فقط وهي ثور عمرهُ اكثر من ثلاث سنوات للدائرة الخاصَّة وعجل لبوغص باشا نوبار وبقرة حلوب عمرها اكثر من ثلاث سنوات لمصطفى باشا وهبي وعجلة للدائرة الخاصة وعجل لها ايضاً وزوج ثيران شغل لمصطفى باشا وهبي

هذا في بقر الوجه البحري اما بقر الوجه القبلي فالذي نال الجائزة الاولى منها ثور لمحمد زيتي وبقرة حلوب لمسعود سليمان

والبقر الاجنبية التي نالت المدالية المذهبة عجل للدائرة الخاصَّة وعجل آخر اصغر منهُ لها

والبقر المولدة او المجنَّسة التي نالت المدالية المذهبة ثور للدائرة الخاصَّة وعجل لها ايضاً وبقرة حلوب لمدرسة الزراعة وبقرة للدائرة الخاصَّة

ونالت بقرة لمصطفى باشا وهبي المدالية الذهبية وهي جائزة خاصة للبقرة التي تفوق غيرها في الاقسام المتقدمة . ونال ثور لبوغص باشا مدالية الفضة لانهُ اصلح من غيره للذبح

والجواميس التي نالت الجوائز الاولى جاموس لشركة اراضي ابي قير وعجل جاموس للدائرة الخاصة وجاموسة وعجلها لمصطفى باشا وهبي وعجلة جاموس لاحمد سيّه وعجل جاموس للدائرة الخاصة

والغنم المرعز التي نالت الجائزة الاولى كبش للدائرة الخاصة وثلاث نعاج للدائرة الخاصة وثلاث حملان للدائرة الخاصة ايضاً . والغنم البلدية التي نالت الجائزة الاولى كبش لابي زيد بك طنطاوي . وعرض خليفة بك رمضان ثلاث نعاج نالت الجائزة الثانية وثلاث حملان نالت الجائزة الثانية . ولم ينل الجائزة الاولى من المعزى الأ تيس اجنبي عرضهُ سيد محمود غمراوي

ونال الجائزة الاولى من الجمال جمل عرضهُ ميخائيل فلتس . ومن الخيل حصان عرضهُ المستر برنش وفرس عرضها محرَّم بك ابو جبل . ومن البغال بغل عرضتهُ الشركة الزراعية الصناعية

ونال مدالية الفضة مجموع الحيوانات التي عرضها البرنس عمر باشا طوسون والجائزة الثانية اتان عرضها امين بك عبد الله وحمار عرضهُ بوغص باشا نوبار وهجين عرضهُ داقد لجورث

وسيأتي الكلام على جوائز القطن والحبوب وسائر المعروضات في الجزء التالي

———

باب التقريظ والانتقاد

العربيَّة المحكية في مصر
The Spoken Arabic of Egypt.

يسيح المرء في بلاد اسبوعاً من الزمان فيكتب عنها كتاباً ضخماً وابناء تلك البلاد الذين ولدوا فيها وشبُّوا واكتهلوا وشاخوا لا يجسرون على تأليف كتاب مثلهُ. ويشرع الواحد في درس علم من العلوم كعلم القانون او علم الكيمياء فلا يمضي عليهِ سنة حتى تسوّل لهُ نفسهُ تأليف كتاب فيهِ يشرح غامضهُ ويقرب قاصيهُ والثقة من علماء القانون وعلماء الكيميا يستصعب تأليف كتاب فيهما . ويتعلَّم واحد لغة اجنبية يعاني المشاق في حفظ مفرداتها وجملها فيرى ان يسهّل على غيرهِ ما وجدهُ شاقًّا فيؤلف فيها القواميس والمذاكرات. وعلى هذا الاسلوب وضع سيبويه الكتاب والفيروزبادي القاموس وهما غريبان عن العربية وجرى في خطتهما كثيرون من علماء الافرنج حتى كأن الجنس الآري من الفرس والاوربيين احرص على هذا اللسان من اهلهِ

ولقد كانت العربية المحكية تخالف العربية المكتوبة من عهد ابن خلدون وما قبلهُ ويظهر من ادلَّة لا محل لبسطها هنا انها كانت تخالف العربية المكتوبة دائماً ولم يحاول احد من ابنائها ان يجمع مفرداتها ويضع قواعد لتصريفها وتركيبها ويدعو الناس الى الاقتصار على استعمالها بدل اللغة المكتتبة كما لم يحاول احد من الانكليز ان يجمع لغة التجارة والسمَّاكة منهم ويدعو قومهُ الى الاقتصار عليها. لكن قد يسهل على الاجنبي ما لا يسهل على ابن اللغة ولذلك حاول بعض الاوربيين جمع اللغة المحكية في مصر والشام ووضع القواعد لها . والكتاب الذي امامنا الآن آخر كتاب وُضع لهذا الغرض وضعهُ القاضي ولمور احد قضاة محكمة الاستئناف الاهلية

والبحث في تنقيح العربية المحكية وكتابتها قديم طرقناهُ في المقتطف منذ احدي وعشرين سنة كما ترى في الصفحة ٣٥٢ من المجلد السادس حيث قلنا ما خلاصتهُ

" ان اكثر الذين نجحوا بسعيهم وجدهم من الافرنج كانوا يدرسون العلوم العالية مثل الجبر والهندسة والفلسفة الطبيعية والميكانيكيات وهم يتعاطون احقر الاعمال ولا يعرفون من العلم سوى القراءة البسيطة . ذلك لان لغة الكتب عند الافرنج لا تفرق كثيراً عن اللغة

التي يتكلمون بها فيفهم العامي منهم لغة كتاب العلم كما يفهم العامي منا قصة بني هلال. وينتفع عامتهم بالكتب كما ينتفع خاصتهم بها ولهذا ترى سبل النجاح مفتوحة لخاصتهم وعامتهم على حدٍ سوى و بضاعة العلم رائجة عندهم ايّ رواج . فترى ساقة المركبات وحارثي الارض يشتركون في الجرائد و يقتنون الكتب اكثر من اكثر خاصتنا وما هذا الأ لانهم يفهمونها وينتفعون بها. اما نحن المتكلمين باللغة العربية فكتبنا مكتوبة بلغة غير اللغة التي نتكلمها والبعد بينهما كالبعد بين الفرنسوية والانكليزية او كالبعد بين اللاتينية والايطالية فلا يقدر عامتنا على ادراك معاني الكتب ما لم يدرسوا لغتها وتصر ملكة فيهم . وهذا يقتضي وقتاً طويلاً ونفقةً طائلة واذا بقي الحال على هذا المنوال فلا امل ان يستفيد عامتنا من مطالعة الكتب. وبما ان العامة هم القسم الاكبر فلا امل بالنجاح التام. فاذا اردنا ان نطلب النجاح من بابهِ فقد اشار ذوو الالباب بواحد من ثلاثة امور وهي اما ان نستبدل لغتنا بلغة اخرى وهذا لا نرضاهُ لانفسنا ولا يرضاهُ غيرنا لنا مع انهُ ممكن ونخاف ان تدعو الاحوال اليهِ في مستقبل غير بعيد

واما ان نكتب كتبنا باللغة التي نتكلم بها كما فعل الايطاليون والاروام وغيرهم من الامم الذين فسدت لغاتهم بتوالي الازمان وتسلّط ليل الجهل ثم لما عادت اليهم شموس العلم لم يروا سبيلاً لارجاع لغاتهم القديمة فاكتفوا باللغات الشائعة حينئذٍ وهذبوها و كتبوا كتبهم بها. فان اللغة اللاتينية مثلاً فسدت في مدة انحطاط الدولة الرومانية ولما تبين للكتّاب الذين قاموا في القرن الثاني عشر وما بعدهُ ان لغة التكلم صارت بعيدةً جداً عن لغة الكتب جعلوا يكتبون حسب لغة التكلم وكانت الكتب الاولى التي كتبت باللسان الايطاليّ شعريةً واما الآن فصارت الكتب تؤلف في ذلك اللسان لا في اللاتينية مع ان اللاتينية بقيت مستعملة في التأليف ولكن على قلة . ولو كان الايطاليون لا يكتبون الآن الأ باللاتينية ما كان العلم منتشرًا في بلادهم . وما يقال عن الايطاليين يقال عن الاروام الذين تركوا اللغة اليونانية القديمة واعتمدوا على الرومية ونسبتها الى اليونانية نسبة العربية التي نتكلم بها الى العربية التي نكتب بها . ولا يخفى ان اليونانية واللاتينية لغتان قديمتان شريفتان وسيعتان انتشرتا وقتاً ما في كل العالم المتمدن و كتبت بهما كتب الفلسفة والشريعة والعلم والديانة ومع ذلك كلهِ قضت شرائع الطبيعة على اهلهما ان يهملوها . وما من مانع يمنعنا عن مجاراتهم فنضبط لغة التكلم الشائعة في البلدان العربية ونكتب كتبنا بها ونكون قد جرينا المجرى الطبيعي القاضي على اللغات ان تتغير بتغير الازمان

واما ان نعلّم اولادنا التكلم بالعربية الصحيحة حتى تصير ملكة فيهم فيتكلمون كما

يكتبون . وهذا على ما نظن اشرف الطرق وآمنها وانفعها لان العربية الصحيحة واسعة المتن مضبوطة القواعد غنية بالكتب يمكنها ان تجاري العلم اكثر من كثير من لغات الارض ولا سيما لان فيها بابين وسيعين وهما باب التعريب وباب النحت فلا تحتاج الاَّ مجمعاً لغوياً من اهل العلم والفضل يحكم في تعريب الكلمات او نحتها لكي يجري استعمالها في كل الديار العربية . فاذا تمَّ لها ذلك واجبر المعلمون تلامذتهم والآباء ابناءهم على التكلم باللغة العربية الصحيحة فربما لا يمضي عشرون او ثلاثون سنة حتى تصير لغة التكلم مثل لغة الكتابة وتحصل الفائدة المطلوبة من اللغة "

هذا ما كتباهُ في المجلد السادس من المقتطف في الجزء السادس منهُ الصادر في غرة نوفمبر سنة ١٨٨١ ولم نكن قد رأينا كتاب سبتا ولا ما ماثلهُ من الكتب وانما كنا نشعر بالحاجة الى التقريب بين اللغة المحكية واللغة المكتوبة لاننا كنا نضطر ان نشرح قواعد العلوم لتلامذتنا باللغة المحكية حتى يفهموها . ودعونا الكتَّاب الافاضل الذين يغارون على الوطن لكي يبدوا رأيهم في هذا الموضوع فلبى دعوتنا كثيرون منهم كالمرحوم الشيخ خليل البازجي والجمعية الادبية الدمشقية واسعد افندي داغر وكاتب اخفى اسمهُ وسمَّى نفسهُ " الممكن " . وذهب اكثرهم الى ان اشاعة اللغة المكتوبة خير من كتابة اللغة المحكية . وكثيراً ماقلنا الاوربيين والاميركيين الذين ذاكرونا في هذا الموضوع انهُ لو اهتمَّ محمد علي باشا جد العائلة الخديوية بكتابة اللغة المحكية في مصر والشام وجعل الكتابة بها وحدها لما وجد في ذلك كبير مشقة وكنا نجد اللغة المكتوبة الآن قريبة من اللغة المحكية قرب اللغة الايطالية المكتوبة من اللغة الايطالية المحكية ولكن اقتصار المتعلمين في مصر والشام على الكتابة باللغة المعربة وشيوع الكتب والجرائد فيها ولا سيما في السنوات الاخيرة واعتياد اكثر الذين يعرفون القراءة على مطالعة الجرائد كل ذلك عضد اللغة المعربة وقوَّاها حتى صار اهمالها متعذراً ان لم يكن مستحيلاً ولذلك لا نطمع بكتابة اللغة المحكية الآن ولا نشير بهِ ولكننا نطمع ونشير بالتوسُّع في اللغة المكتوبة حتى تدخل فيها كل كلمة محكية لا تقابلها كلمة فصيحة مألوفة سواءٌ كانت الكلمة المحكية مما وضعهُ العامة او نحتوهُ او نقلوهُ عن لغة اجنبية . ونطمع ونشير ايضاً بالتوسُّع في التعريب حتى تجاري لغتنا لغات اوربا ونشير ايضاً بالحرص على كل ما هو حسن من المعاني والاستعارات العامية والمنقولة عن اللغات الاجنبية . اي يجب علينا ان نجوّز للعربية ما يجوزهُ الانكليز للانكليزية والفرنسويون للفرنسوية وكل المتكلمين بلغة حية للغتهم

ولذلك فاهتمام حضرة القاضي ولمور ومن جرى مجراهُ بضبط اللغة المحكية جاء بعد اوانهِ واذا

تبارى هو والحافظون على اللغة المعربة فسعيهم هو الغالب اخيرًا الاَّ اذا تسلَّطت على البلاد قوة قاهرة عضدت الساعين في ضبط اللغة المحكية وكتابتها. وقد اشار القاضي ولمور الى ذلك حيث قال ان ارباب الصحف اولى من غيرهم بكتابة اللغة المحكية ولكن لا بدَّ من ان يعضدهم في ذلك اهل الحل والعقد وهذا نصُّ عبارتهِ

A movement in favour of the vernacular would best be started by the press, but it would need to be strongly supported by men of influence.

لكننا لا نرى الامر آتيًا على رغبتهِ فانَّ ارباب الصحف احرص الناس على اللغة المعربة وارباب الامر ليسوا في العير ولا في النفير

ولم يكتفِ المستر ولمور بضبط اللغة المحكية او كما سماها لغة القاهرة بل اشار بكتابتها بحروف رومانية واضاف اليها بعض العلامات لتدل على الحروف العربية التي لا مثيل لها في اللغات الرومانية . وكتابة العربية بحروف رومانية لا غبار عليهِ فانَّ العرب كتبوا بالقلم الكوفي والنسخي والسرياني ولا يتعذر عليهم ان يقتبسو ما شاءوا من صور الحروف للدلالة على اصوات لغتهم . وقد اشرنا بذلك غير مرة وبيَّنا المزايا الكثيرة من استعمال الحروف الرومانية بدل الحروف العربية ولكننا نرى المستر ولمور والاستاذ سايس (الذي قدم مقدمة لهذا الكتاب) قد جاريا كل الذين انتقدوا على الكتابة العربية خلوها من الحركات. ولا ندري كيف ذهب عنهم ان هذا الاختصار في الكتابة العربية مزية لها مثل الكتابة المختصرة في لغتهم وان بعض النوابغ من علمائهم يودُّ لو كانت كتابتهم كذلك . نعم ان كلمة "كتبت" لا يُعلَم هل هي كَتَبْتُ او كَتَبْتَ او كُتِبَتْ او كُتِبْتُ الخ وكلمة كتاب لا يعلم هل تلفظ كِتَاب او كَتَّاب او كُتَّاب ولكن ألاَ يرى المستر ولمور ومن جرى مجراهُ ان القرينة تكفي للدلالة على الكلمة الاولى والسمع يكفي للدلالة على لفظ الكلمة الثانية .وهل يطمع هو او غيرهُ ان يتعلم لغة اجنبية من غير ان يسمع لفظها من العارفين بها ومن غير ان يرى فيها كتابة ذات معنى .وها مطابعنا تطبع مئات من الكتب كل عام ومئات الالوف من صحف الاخبار وكلها تباع وتُقرأ وتفهم ولا اضطرار الى وضع حركة فيها الاَّ نادرًا عند خوف اللبس او غموض المعنى لان من يقرأ في لغة يفهمها لا يضطر ان يرى كل حرف من كلماتها والاَّ تعذَّر عليهِ قراءة الخط فان حروفًا كثيرة منهُ لا تظهر مطلقًا ولاسيما في خط علماء الانكليز ومع ذلك لا تتعذَّر قراءتهُ.وهذا امر لا ينازع فيهِ . ونحن لا نرى قراءة الكتابة العربية التي لا شكل فيها اصعب من قراءة الكتابة المشكولة او من قراءة الكتابة التي وُضعت فيها حروف بدل الشكل . واذا قرأحضرتهُ صفحة من كتاب

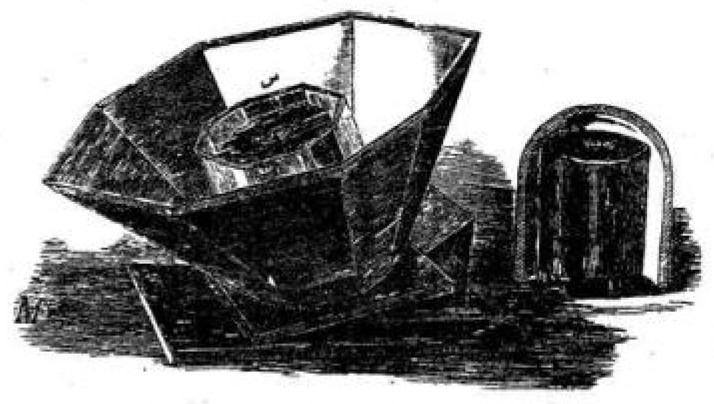
انكليزي كالتوراة مثلاً وقرأنا نحن صفحة تماثلها من التوراة العربية المطبوعة من غير شكل فلا نظن انهُ يفهم بلغتهِ اكثر مما نفهم بلغتنا او انهُ يخلُ من دماغنا اكثر مما يحلُ من دماغهِ . اي ان الجهد الذي نبذلهُ نحن في قراءة كتبنا العربية المطبوعة من غير شكل لا يزيد على الجهد الذي يبذلهُ هو في قراءة كتبهِ الانكليزية

ثم ان وضع العلامات لحروف الرومانية يزيل المزية المطبعية التي نودُّ ان نترك حروفنا لاجلها . ولما كانت الحروف الرومانية اقل من الحروف العربية عددًا فيستعاض عن الناقص منها بقلب حرف يقاربهُ فيقلب حرف t هكذا ʇ للدلالة على الطاء وتستعمل الحروف y, u, a للدلالة على الالف والواو والياء والحروف i, o, e للدلالة على الفتحة والضمة والكسرة ولا تستعمل هذه الثلاثة الاَّ عند غموض المعنى او خوف اللبس كما تستعمل الحركات العربية الآن. و يستعاض عن علامة الشدَّة بتكرير الحرف وعن نون التنوين بحرف n يوضع بعد علامة الضمة او الفتحة او الكسرة وعن الهمزة بحرف a مقلوبًا فتقوم الحروف الرومانية مقام الحروف العربية تمامًا فتبقى علامات البناء والاعراب على حالها

وقد عني المستر ولمور بجعل الحروف دالة على الاصوات وهو عناء باطل لان اصوات اللغة تعدُّ بالمئات ونحن نكتفي بعشرين او ثلاثين حرفًا للدلالة عليها كلها. اما كون الاصوات كثيرة فلا ينكرهُ احد ينعم نظرهُ في ذلك واوضح دليل نذكرهُ لهُ علامات الفونوغراف فان اشكالها المختلفة لا تكاد تحصى ولو كانت الاصوات واحدة حسب الظاهر . فاخصر الطرق واصحها ان تبدل الحروف العربية بحروف رومانية كما هي ثم تكتب الكلمات العربية بالحروف الرومانية كما تكتب بالقلم النسخي الآن وكما كانت تكتب بالقلم الكوفي فتكتب الكلمة ملك هكذا Mlk واذا اريد الفرق بين مَلَك ومِلك كتبت الاولى Melek والثانية Melik ومزايا هذا الاسلوب كثيرة لا محل لبسطها هنا

وليس من الانصاف ان يبخس المستر ولمور حقة فانهُ تعب في ضبط لغة القاهرة تعب سيبويهِ في ضبط لغات العرب ووضع في ذلك كتابًا فيهِ نحو ٤٠٠ صفحة مشحونة بالفوائد وغرضهُ من اشرف الاغراض وانبلها وهو تسهيل نشر العلوم والمعارف باللغة العربية وتسهيل التكلُّم بالعربية على الاجانب لكنَّ اسلوبهُ لا يوصل الى الغرض الاول في رأينا بعد ان نهض ابناء العربية الى احياء اللغة المعربة واكثروا من استعمالها ونشر الكتب والصحف فيها ولا سبيل لتحقيقهِ بالتعليم الجبري ولو ظن ان سنتين تكفيان لذلك لانهُ يقتضي عشرة آلاف معلم على الاقل وهؤلاء لا ينبتون من الارض ولا يهبطون من السماء

باب المسائل



(١) آلة بخارية شمسية

بغداد . يعقوب ميخا الشيخ . اطلعنا على مقالة نشرت في بعض المجلات يقال فيها ان البعض استخدموا حرارة الشمس بدل الفحم والحطب وسائر انواع الوقود بواسطة المرآة المحرقة وان هذه الحرارة تغلي الماء فتكون منهُ بخارًا قوتهُ قوة اربعة افراس فان كان ذلك صحيحًا فاين تصنع هذه الآلة وهل صنعت آلة مثلها بقوة عشرة افراس فاكثر افيدونا ولكم الفضل

ج ترون في الصفحة ٣٨٢ من مقتطف السنة الماضية انهُ صُنعت آلة بخارية بقوة عشرة افراس تدور بحرارة الشمس . وقد اطلعنا الآن على صورة آلة بخارية شمسية بقوة خمسة عشر حصانًا موضوعة في دار النعام بلوس انجلس في كليفورنيا باميركا

Los Angeles, California.

وهي مصنوعة من اناء مخروطي كبير قطرهُ اكثر من عشرة امتار مبطن بالف وسبعمائة و٨٨ مرآة موضوعة فيهِ حتى يجتمع نور الشمس المنعكس عنها في بقعة واحدة وهناك مرجل (اظان) طول ١٣ قدمًا ونصف قدم يسع مئة جالون من الماء . وقد فصَّلنا الاساس الذي بنيت عليهِ هذه الآلة منذ ٢٤ سنة في الكلام على الطبخ بحرارة الشمس كما تجدونهُ في الجزء الثالث من المجلد الثالث من المقتطف ورسمنا هناك هذا الشكل ولا بأس بنشرهِ هنا ثانية . ولا بدَّ من ان يدار هذا الاناء المخروطي مع الشمس حتى يبقى مواجهًا لها وهو يدار كذلك بالآلة نفسها او بآلة كآلة الساعة

(٣) ري الحنطة

ومنهُ . نريد زرع اربعة آلاف كيلو من الحنطة في ارض يابسة لا تسقى بالمطر اقتضى ريها بواسطة آلة بخارية ترفع الماء من عمق ثمانية امتار بشرط ان تدار سبع ساعات في اليوم غير اننا نجهل كم يلزم ان تكون قوة هذه الآلة لتقوم بري اربعة آلاف كيلو من بذار الحنطة

ج لو ذكرتم مساحة الارض لكان تقدير قوة الآلة البخارية اقرب الى الحقيقة ولكن لنفرض ان بذار الفدان عندكم نصف اردب كما هو في القطر المصري فالاربعة آلاف الكيلو تكفي لزرع خمسين فدانًا من الارض والفدان نحو خمس دنمات واذا كان عمق الماء ثمانية امتار فالحصان البخاري يروي نحو فدان كل سبع ساعات فاذا اريد ري هذه الارض في عشرين يومًا فالآلة التي قوتها حصانان ونصف تكفي لذلك

---

(٢) تعلم النطق

البحرين . الشيخ حسين بن علي بن مشرف ما قولكم في ولد وضع في الفلاة طفلاً وعاش مع الانعام حتى بلغ سن التمييز فهل ينطق كالانسان او يبقى اعجم كالحيوان او يكون بين بين

ج يبقى اعجم كالحيوان يقلدهُ في اصواتهِ التي يسمعها منهُ لان اللغة ليست فطرية في الانسان بل هي مكتسبة بدليل انهُ لا ينطق الاَّ باللغة التي يسمعها او يتعلمها . ثم ان فرضكم الاول ان يوضع الطفل في الفلاة فيبقى حيًّا بعيد الاحتمال لان طفل الانسان ضعيف لا يستطيع السعي كطفل الحيوان ولا وقاية نفسهِ فاذا لم تأكلهُ الضواري اكلهُ النمل او مات جوعًا

---

(٤) بداءة الرضاعة

امبابه . اسكندر افندي نبيه . قيل ان الطفل يجب ان لا يرضع الاَّ بعد خمس ساعات او ست من ولادتهِ و يسقى في غضون ذلك ماء محلًّى بالسكَّر او بالعسل فهل هذا صحيح

ج الصحيح منهُ ان الطفل يترك بعد ولادتهِ اربع ساعات او خمسًا من غير رضاعة لانهُ يكون في جسمهِ من الغذاء ما يغنيهِ عن الطعام وخير لهُ ان يترك حينئذٍ لينام الى ان تستريح امهُ وتصير قادرة على ارضاعهِ. ولا يسقى شيئًا لا ماء محلًّى بالسكر ولا بالعسل. ولا يدرُّ لبن امهِ غالبًا قبل اليوم الثالث ولكن يخرج منهُ في اليوم الاول والثاني ما يكفيهِ

(٥) حلاوة ماء النيل

ومنهُ . قال منيطون المؤرخ المصري ان ماء النيل حلا في عصر الملك نفرخوس حتى صار حلوًا كالعسل وبقي على هذه الحال احد عشر يومًا فانى لهُ تلك الحلاوة وكيف كانت

درجتها ان كان هذا المؤرخ من الصادقين

ج لا يكلَّف احد بتصديق امر الاَّ اذا كان ذلك الامر مما يدلُّ الاختبار على امكان وقوعهِ وكان عليهِ شهود عدول. والاختبار يدلُّ على ان صيرورة ماء النيل حلوًا كالعسل ليست مما يقع في الانهر لا في نهر النيل ولا في سواهُ ولا اثبت شهود عدول حدوث ذلك فيرفض مثل كل الاخبار المختلقة

(٦) سبب الكابوس

ومنهُ . من اي شيء يتولَّد المرض المسمَّى بالكابوس

ج سببهُ القريب انقباض الحجاب الحاجز والعضلات التي بين الاضلاع واسبابهُ البعيدة النوم على الظهر او على شكل يتضايق منهُ النائم ووجود الطعام غير المهضوم في المعدة او الضغط عليها من الغازات المتولدة فيها فاذا حرَّك النائم بديهِ حتى ارتفعت عضلات صدرهِ زال عنهُ الكابوس حالاً

(٧) فوائد الغليسرين

ومنهُ . جاء في احدى الجرائد الفرنسوية المصورة ان الغليسرين يصلح لتنظيف الاحذية وتجديد رونقها وحفظ متانتها واذا مزج بدقيق الشعير وغسل بهِ الوجه اكسبهُ لونًا حسنًا واذا مزج جزء ان منهُ بجزء من حجر الشب ودلكت بهِ الاقدام ازال منها رائحة العرق ويستعمل لمعالجة ورم اللثة وينفع المصابين بالزكام فهل ذلك صحيح وهل يعتمد على هذه الجريدة

ج ان ما ذكر عن الغليسرين هنا صحيح ولكننا لا نعلم منزلة هذه الجريدة بين الجرائد الموثوق بها ولا يكفي ذكر سطرين منها للدلالة عليها كلها

باب الاخبار العلمية

الدكتور دانيال بلس

الدكتور دانيال بلس استاذنا ورئيس المدرسة التي رضعنا منها لبان العلوم انشأ المدرسة الكلية الاميركية في بيروت بسعيهِ وفتح ابوابها للطلبة في اواخر سنة ١٨٦٦ وكانت في بناء مأجور ثم بنى لها دورًا رحبة في رأس بيروت في اجمل بقعة من بقاع سورية بمال جمعهُ لها من كرماء اوربا واميركا وتولَّى رئاستها من حين انشائها الى بداءة هذا العام خمسًا وثلاثين سنة وبضعة اشهر عدا السنوات التي قضاها في جمع المال لانشائها. وقد كُتب الينا من بيروت الآن انهُ اراد الراحة التي يطلبها كل شيخ بلغ سنهُ وتعب تعبهُ فقبلت لجنة المدرسة استعفاءهُ وعينت

فحله الكريم المستر هورد بلس رئيساً لها بدلاً منهُ. وسنأتي على ترجمة الرئيسين في جزء تالٍ

هبة كارنجي للبحث العلمي

وهب المستر كارنجي مليونين من الجنيهات لاجل البحث العلمي من كل نوع سواء كان في العلوم الطبيعية او الادبية او الفنيَّة فيستنفق ريع هذا المال على مساعدة مدارس الحكومة الاميركية والجمعيات العلمية والعلماء بنوع عام . وبمثل ذلك ترتقي العلوم والصنائع عند الاوربيين والاميركيين

اسباب الجرائم

التأم مؤتمر علم الانثروبولوجيا الجنائية اي العلم الذي يبحث عن الجرائم من حيث اسبابها وعلاقتها باخلاق الانسان فارتأى الاستاذ لمبروزو الذي يُعدُّ كواضع لهذا العلم ان الاهواء التي تتغلب على الانسان وتحملهُ على ارتكاب الجرائم يمكن توجيهها الى غايات حميدة اذا وفاها العلماء حقها من البحث. وقال الاستاذ لاكاسانج والاستاذ مارتيق ان السبيل الوحيد لاستئصال الجرائم هو سن القوانين لمنع استعمال المسكرات ولمنع انتشار السل والزهري . وقال الدكتور غارنيه ان السكر هو سبب اقدام الصغار على ارتكاب الجرائم وقال المستر سذرلند الاسترالي ان فعل الوراثة قليل لا يعتدُّ بهِ فان اهالي استراليا كانوا ٢٤٠ الفاً سنة ١٨٥٠ وكان ١٣٥ الفاً منهم من المجرمين الذين نفوا الى تلك الجزيرة او من اولاد المجرمين . وسنة ١٨٨٠ كان متوسط الجرائم في استراليا بالنسبة الى عدد سكانها اقل من متوسطها في بروسيا وسكسونيا وايطاليا واسوج فلو كان الميل الى ارتكاب الجرائم موروثاً لوجب ان يكون في سكان استراليا اكثر مما في غيرهم

البرَد والمدافع

كتب الاستاذ مونتي الايطالي ثلاث مقالات في البرَد وما يقال من ان اطلاق المدافع يمنع وقوعهُ بيَّن فيها ان ثوران البراكين لا يمنع وقوع البرد وانهُ يقع من العواصف التي يسببها ثوران البراكين . وان حدوث الرعد لا يمنع وقوعهُ ايضاً بل ان اكثر وقوعهِ يكون مصحوباً بالبروق والرعود فلو كان اطلاق المدافع يمنع وقوعهُ بتحريك الهواء لكان وقوعهُ يمتنع بثوران البراكين وقصف الرعود

تحاريق النيل

يظهر من مقاسات النيل في الخرطوم وما فوقها ان التحاريق المقبلة ستكون شديدة اشد مما كانت في العام الماضي وتكاد تماثل تحاريق سنة ١٩٠٠ ولا يعلم سبب ذلك حتى الان ولكن اذا كان سببهُ قلة الامطار في الاقطار الاستوائية فعواقبهُ وخيمة لانهُ لم تقلّ الامطار في بلاد الاَّ نتج عن قلتها نقص الحاصلات وضيق المعيشة

اقدار السيارات

حققت اقدار السيارات وبعض النجيمات بعد رصدها بنظارة لك التي قطر بلورتها اربعون عقدة فاذا هي هكذا

قطر عطارد	٢٩٦٥	ميلاً
قطر الزهرة	٧٧١٣	"
قطر النجيمة سرس	٤٧٧	"
" " بلاس	٣٠٤	"
" " جونو	١٢٠	"
" " فستا	٢٣٩	"
" المريخ الاستوائي	٤٣٥٢	"
" " القطبي	٤٣١٢	"
" المشتري الاستوائي	٩٠١٩٠	"
" " القطبي	٨٤٥٧٠	"
" قمره الاول	٠٢٤٥٢	"
" " الثاني	٠٢٠٤٥	"
" " الثالث	٠٣٥٥٨	"
" " الرابع	٠٣٣٤٥	"
" زحل الاستوائي	٧٦٤٧٠	"
" " القطبي	٦٩٧٨٠	"
" قمره تشيان	٠٢٧٢٠	"
" اورانوس الاستوائي	٣٥٨٢٠	"
" " القطبي	٣٣٩٢١	"
" نبتون	٣٢٩٠٠	"

وظهرت كرة نبتون مستديرة دائماً

سفن هدن

عاد الدكتور سفن هدن الى السياحة في قلب اسيا وقد ورد تلغراف منهُ الآن الى ملك اسوج يقول فيهِ انهُ قطع بلاد التبت متخفياً في زي حاج حتى اذا بلغ مدينة لاسا كشف امرهُ فقبضوا عليهِ لكن اللاما الكاهن الاكبر امر ان يعامل بالحسنى

الورق والفوتوغراف

كتب الدكتور رسل في جريدة نانشر ان الورق يؤثر غالباً في الواح التصوير الشمسي اذا وضع معها في الظلام والورق الدون يؤثر فيها كثيراً والورق الجيد يؤثر فيها قليلاً حتى اذا كان الورق جيداً جداً لم يؤثر في الالواح الفوتوغرافية ابداً . وقد امتحن ورق كثير من الجرائد الانكليزية فوجد ان ورق الستندرد والدايلي اكسبرس والدايلي مايل يؤثر في الالواح كثيراً فيسودها وورق التيمس والغلوب ونانشر يؤثر فيها قليلاً جداً وورق الدايلي تلغراف والدايلي نيوز والدايلي غرافك والمورننغ ليدر لا يؤثر فيها ابداً وقس على ذلك الكتب والمجلات فاغلاها ورقاً اقلها تأثيراً في الالواح الفوتوغرافية

الفيل الروسي

جاء من بطرس برج ان اللجنة التي أُرسلت لجلب الفيل الروسي القديم (المموث) الذي كشف في كوليمسك عادت بجثتهِ بعد

عناء شديد وهي تامة لم يبلَ منها شيء وتدل على انهُ كان متوسط السن ولم يزل بعض الطعام في فيهِ ومعدتهِ غير مهضوم وكان ذنبهُ قصيراً مغطى بشعر طويل وقد وقاهُ الثلج والبرد من البلى

هبة مصرية

وهب السر ارنست كاسل مئتي الف جنيه لبناء مستشفى يعالج فيهِ المسلولون وطلب من جلالة ملك الانكليز ان يقبل هذه الهبة ويأمر بانفاقها في سبيلها . ويحق لنا ان نسمي الهبة مصرية مع ان الواهب انكليزي والموهوبون انكليز لان الواهب ربح هذا المال كلهُ او بعضهُ من القطر المصري من الخزان والبنك الاهلي وتبرع بالهبة وهو في الديار المصرية . وقد عيَّن جلالة الملك لجنة من كبار العلماء لاتمام ذلك . ويراد ان يكون المستشفى كبيراً يسع مئة مسلول ويكون مبنياً على احسن اسلوب قضى بهِ العلم ومجهزاً بافضل الوسائل واتماماً للبحث عن داء السل ودوائهِ . واتماماً لهذا الغرض دعي الاطباء من كل مكان لابداء رأيهم في مقالات يكتبونها وعُينت لهم جوائز قيمتها ثمانمئة جنيه ويقسم هذا المبلغ ثلاث جوائز الاولى ٥٠٠ جنيه والثانية ٢٠٠ جنيه والثالثة ١٠٠ جنيه تعطى لاصحاب المقالات الثلاث التي تحكم اللجنة انها افضل من غيرها

كتابان عربيان قديمان

وجد الاستاذ سيبلد بين كتب الخط القديمة في مكتبة تبنجن كتابين عربيين قديمين الواحد منها نسخة من الف ليلة وليلة يظن انها اقدم نسخهِ والثاني كتاب الدوائر والنقط في عقائد الدروز

ترعتا بناما ونيكاراغوى

قابلت جريدة السينتفك اميركان بين ترعة بناما وترعة نيكاراغوى وقالت ان نفقات ترعة بناما تبلغ ١٨٩٨٦٤٠٦٢ ريالاً اي نحو ٣٨ مليون جنيه ونفقات اتمام ترعة بناما تبلغ ١٤٤٢٣٣٣٥٨ ريالاً يضاف اليها ٤٠ مليون ريال الثمن الذي قدّر بهِ ما تمَّ منها الى الآن فتصير نفقاتها ١٨٤٢٣٣٣٥٨ ريالاً او نحو ٣٧ مليون جنيه فالفرق في النفقات بين الترعتين نحو مليون جنيه ولكن النفقات السنوية لترعة نيكاراغوى تزيد على النفقات السنوية لترعة بناما نحو ١٣٠٠٠٠٠ ريال فكأن النفقات الاولى لترعة نيكاراغوي زادت على النفقات الاولى لترعة بناما ٣٨ مليون ريال او اكثر من سبعة ملايين ونصف من الجنيهات

نجاح معرض غلاسكو

بينا نرى الفرنسويين والذين شاركوهم في معرضهم يشكون من الخسائر التي كابدوها والاميركيين يشكون شكواهم من معرض

بفلو ترى الانكليز مبتهجين بالربح الذي ربحوهُ من معرض غلاسكو فقد دخل ابواب هذا المعرض ١١٤٩٦٢٢٠ نفساً وبلغ دخل لجنتهِ ١٧٠ الف جنيه وربحها الصافي من ذلك ٨٠ الف جنيه . وقد كان هذا المعرض من اعظم المعارض كلها من حيث اظهار حالة الصناعة في الدنيا

منع الحمّى الملارية

نجح الماجور رولند روس في تخليص فريتون عاصمة سرّا ليون من الحمى الملارية بعد ان كانت مستوطنةً فيها وقد ثبت الآن ان الحمى الملارية والحمى الصفراء وداء الفيل ينقل البعوض عدواها من المرضى بها الى الاصحاء . وانواع هذا البعوض ثلاثة لكل مرض من هذه الامراض الثلاثة نوع منهُ الاول منها يتولد في المستنقعات والثاني والثالث في الآنية التي تكون في القمامات كشقف القناني والصفائح الفارغة. فنزح مياه المستنقعات من حول تلك المدينة او ردمها بالتراب وكنس ما حول البيوت من القمامات والاقذار وارى السكان العوم التي يتولد البعوض منها لكي يكبوا كل اناء يجدون العوم في مائهِ او يصبوا فيهِ قليلاً من زيت البترول. وكان البعوض يتولد في كل بيت من آنية الماء التي فيهِ ومن شقف الآنية المطروحة حولهُ فان ماء المطر يبقى في تلك الشقف بضعة ايام فيبيض البعوض فيهِ ويتكاثر فلما ردمت المستنقعات او نزحت وازيلت الشقف وطمرت في حفرة كبيرة زال البعوض كلهُ فنجا السكان من الحميات

تلغراف ارمرل

لما استُنبط التلغراف الكهربائي وكان مستنبطوهُ يصنعون لهُ الآلات الكثيرة التراكيب للدلالة على حروف الهجاء بواسطة حركات الابرة المغنطيسيَّة قام مورس في اميركا على غفلة منهم واستنبط اسلوباً بسيطاً جداً للدلالة على حروف الهجاء فشاع استعمالهُ حالاً في كل المسكونة . والآن بينما نرى مركوني وتسلا وغيرهما يتبارون في اصلاح التلغراف الاثيري واتقان آلاتهِ حتى تنتقل بهِ الاشارات الكهربائية الوفاً من الاميال قام مهندس انكليزي اسمهُ ارمسترنج وصانع اسوجي اسمهُ أُرلنج واشهرا تلغرافاً بديعاً استنبطاهُ قبلما استنبط مركوني تلغرافهُ . وهو في حد البساطة يوضع في صندوق صغير طولهُ سبع عقد وعرضهُ اربع عقد وعلوهُ ثماني عقد وتنقل الاشارات الكهربائية بهِ من مكان الى آخر من غير اسلاك معدنية كالتلغراف العادي ومن غير اعمدة تُنصب في الجو كتلغراف مركوني وانما يغرز لهُ وتدان صغيران في الارض فتنتقل الاشارات الكهربائية بالارض من مكان الى آخر .

وقد نجحا حتى الآن في نقلها عشرين ميلاً وهذه المسافة اطول من المسافة التي نقل فيها مركوني اشاراتهِ الكهربائية اولاً . فاذا نجح تلغرافهما نجاح تلغراف مركوني لم تمضِ عليهِ بضع سنوات حتى يصير لهُ الشأن الاكبر بين وسائل نقل الاخبار

غواصة ارمرل

قلنا في النبذة السابقة ان تلغراف ارمرل تنقل بهِ الاشارات الكهربائية بالارض وحدها من غير سلك ومن غير اعمدة تنصب في الهواء . ولما كان الماء اصلح من الارض لايصال الكهربائية استنبط المخترعان سفينة غوّاصة تغوص في الماء وتسير فيهِ حسبما يسيّرها ربّان البارجة التي تنزل منها لانهُ يكون فيها محرك كهربائي وآلة من آلات ارمرل وفي البارجة آلة من آلات ارمرل ايضاً والثانية تحرك الاولى حسبما يشاء محركها فتحرك هي المحرك الكهربائي وتسير الغواصة الى الامام او الى الوراء او الى اليمين او الى اليسار وتعلو او تسفل وتسرع او تبطئ حسبما يريد المدير الذي في البارجة . وآلة ارمرل رخيصة جدًّا يبلغ ثمنها نحو ستين غرشاً وهي تُدوزن على درجات مختلفة جدًّا فتدوزن الآلة التي في الغواصة والتي في البارجة على دوزان واحد فلا تعود الآلة التي في الغوّاصة تتأثر الاَّ بالتموجات الكهربائية التي تأتيها من الآلة التي في البارجة ولذلك لا خوف ان يحركها محرك آخر خداعاً . فقد تمت فائدة الغوّاصات بهذا الاختراع البديع

تربيد ارمرل

واستنبط ارمسترنج وارلنج تربيداً وضعا فيهِ آلتهما والقياه في البحر تحت الماء واداراه من البر او من سفينة كما يريدان بواسطة التموجات الكهربائية واذا بلغ ثمن تربيد هوبتهد ٣٥٠٠ ريال فثمن هذا التربيد وكل آلاتهِ ١٠٠٠ ريال . وسيكون اكبر آفة على البوارج الحربية

الغام ارمرل

ثم ان الالغام التي تلغم بها الصخور والمناجم والحصون يشعل بارودها بالكهربائية توصل اليها بسلك معدني فاستنبط ارمسترنج وارلنج آلة صغيرة توضع في اللغم وتحرَّك بآلة اخرى بعيدة عنها فتشعلهُ حالاً

قناديل ارمرل

واستعملا آلتهما ايضاً لانارة القناديل الكهربائية واطفائها عن بُعد . وفائدة ذلك كبيرة في الانوار التي تستعمل اشارات على سكك الحديد فيستطيع مأمور المحطة ان ينيرها او يطفئها وهو جالس في مكانهِ ولو كانت على ميال منهُ

فهرس الجزء الثاني من المجلد السابع والعشرين



مجلة علمية صناعية زراعية

لمنشئيها

الدكتور يعقوب صرّوف والدكتور فارس نمر

AL-MUKTATAF

A MONTHLY ARABIC SCIENTIFIC REVIEW

EDITED BY DR. Y. SARRUF

VOL. LXX. No 5

FOUNDED 1876 BY DRS. Y. ṢARRUF & F. NIMR

المقتطف

الجزء الثالث من المجلد السابع والعشرين

١ مارس (آذار) سنة ١٩٠٢ — الموافق ٢١ ذي القعدة سنة ١٣١٩

رجال المال والاعمال

جون رُكفلّر اغنى اغنياء اميركا

وصفنا هذا الرجل باغنى اغنياء اميركا ونحن مرتابون في صحة الوصف الآن لئلاَّ يكون في طيَّات تلك البلاد اناس زاد غناهم على غناهُ من العام الماضي الى هذا العام . فقد قُدّرت ثروتهُ في العام الماضي بخمسين مليونًا من الجنيهات وبلغت ارباح شركة البترول التي هو رئيسها ومالك اكثر اسهمها ستة عشر مليونًا من الجنيهات ولكن اميركا التي انشأتهُ من العدم وابلغت ثروتهُ الى هذا الحد لا يكبر عليها ان ترفع رجلاً آخر فوقهُ في سنة من الزمان ما دامت خيراتها وافرة وما دام ابناؤُها في مقدمة الامم همة واقدامًا

قلنا ان اميركا انشأتهُ من العدم والاولى ان نقول انهُ هو انشأ نفسهُ . ولد فقيرًا متربًا لا يملك شروى نقير وابوهُ فلاَّح صغير فعمل بالفاس والمحراث الى ان صار عمرهُ ست عشرة سنة وحينئذٍ ترك الزراعة وسار الى مدينة اسمها كلفلند لعلهُ يجد عملاً فيها فدخل في احد المكاتب التجارية صانعًا وفتح عينيهِ وذهنهُ فرأَى ووعى واستفاد خُبرةً ودُرْبةً . قال بعد ذلك "اني لا انسى تلك السنين حين ابتدأت عملي في مدينة كليفلند صانعًا فتعلمت كثيرًا من اساليب ادارة الاعمال واهم ما استفدتهُ ان العالم كبير وميدان العمل واسع . وكانت امالي كبيرة ومطامعي كثيرة ورأيت انني لا انال شيئًا منها الاَّ بالتعب الشاق" . فكدَّ وتعب ولم تثبط المشاق همتهُ ولا اقتصر على العمل بل قضى دقائق الفراغ في تهذيب عقلهِ وتوسيع معارفهِ وكان يشكر ربهُ لانهُ وُلِد فقيرًا فاضطرَّ الى العمل والكدح وقد قال في هذا الصدد "ان الذين يولدون في المدن الكبيرة لا يضطرون ان يكافحوا كفاحنا نحن اولاد الارياف وهذا مما

يضعفهم ويقوينا ولذلك تجد اولاد الارياف الفقراء يزاحمون اولاد المدن الاغنياء ويحلون محلهم لانهم اقدر على العمل واصبر على المشاق وشظف العيش فلا يستطيع ابناء المدن الاغنياء ان يجاروهم ولا ان يقفوا امامهم". وقد لا يصدق هذا القول على كل ابناء المدن اذا قوبلوا بغيرهم من ابناء الاقاليم ولكنهُ يصدق عليهم كلهم اذا قوبلوا بركفلر ابن الفلاَّح



جون رُكفلر اغنى اغنياء اميركا

واول عمل تجاري عملهُ رَمَثٌ (طوف) من الاخشاب اشتراهُ وسار بهِ في نهر اوهيو الى معمل خشب وباعهُ فيهِ فربح منهُ عشرة جنيهات فلما ذاق الربح جعل يفتش عن عمل آخر يربح منهُ فنظر حولهُ يمنةً و يسرةً فلم يرَ الاَّ المتاجرة بزيت البترول. وكانت تجارتهُ في بداءتها وهي غير رابحة يقوم عليها الناس مدفوعين بتيار الامل و يعودون بصفقة المغبون. يحفر الواحد منهم بئرًا فيتدفق الزيت منهُ تدفقًا ويحسب نفسهُ ملك مقاليد الثروة فيعي الزيت في الآنية

ويبعث بهِ الى الاسواق فيباع بعضهُ ويرفض البعض الآخر لشدَّة التهابهِ وقد يغتني منهُ زيد ويفتقر عمرو في وقت واحد فامعن نظره في هذا الامر ورأى بفكرتهِ الوقَّادة انهُ اذا استطاع ان ينقي الزيت ويجعلهُ خالياً من الخطر فهناك الربح الوافر ولكنهُ كان صفر اليدين لا يزيد راتبهُ في الشهر على خمسة جنيهات فلم يرَ سبيلاً امامهُ الاَّ الاقتصاد فاقتصد في نفقتهِ ولم يكن ينفق على نفسهِ سوى نصف راتبهِ فعاش على جنيهين ونصف في الشهر في مدينة اميركية حيث اجرة العامل الصغير لا تقل عن ريال في اليوم وحيث الجنيه بمثابة الريال عندنا حتى اذا صار عمره احدى وعشرين سنة كان قد جمع من راتبهِ القليل راس مال صغير فاشترك مع شاب آخر اسمهُ هيوت واتجرا معاً مدة خمس سنوات فبلغ ربحهُ فيها الفي جنيه

الى هنا سار رُكفلر سير كثيرين من الشبان لانهُ لا يندر ان يجمع الشاب الفي جنيه وعمره ٢٦ سنة اذا ابتدأ في العمل وعمره ١٦ سنة اما هو فكان يسعى الى غاية اخرى لم تبرح من بالهِ وهي تنقية زيت البترول حتى يزول الخطر من استعمالهِ . ولم يحذُ حذو غيرهِ من الذين كانوا يضاربون بابتياع اسهم شركات البترول حاسبين انهم يغتنون في يوم وليلة ولا شاركهم في آمالهم الفارغة بل بحث وامتحن ودقق وحقق حتى اتصل الى طريقة لتنقية الزيت فصنع معملاً لتنقيتهِ بالاشتراك مع رجل اسمهُ صموئيل اندروس فراج زيتهما المنقَّى رواجاً عظيماً حتى اضطرا ان يفتحا معملهما للعمل نهاراً وليلاً ليقوما بما كان يُطلَب منهما . ثم بنيا معامل اخرى بما ربحاه من المعمل الاول . ولما رأى الماليون نجاحه المستمر عرضوا عليهِ اموالهم للاشتراك معهُ فاختار اليهم عريكة واقربهم الى المسالمة حتى اذا كانت سنة ١٨٧٠ صار ربحهُ كافياً لانشاء شركة مساهمة فانشأ شركة ستندرد اويل وكان رأس مالها مئتي الف جنيه وكان هو رئيسها واخوه وليم رُكفلر نائباً لهُ ورجل اسمهُ فلوجر كاتباً وامين صندوق

وكان لتنقية زيت البترول معامل اخرى كثيرة ولكن معامل رُكفلر فاقتها كلها في نقاوة زيتها فقام عليهِ اصحاب تلك المعامل حسداً منهُ وقاوموه اشد المقاومة وحاولوا احباط مساعيهِ فلم يحفل بهم بل ظلت شركتهُ تنقي الزيت وتزيد اساليب تنقيتهِ اتقاناً . والناس يسألون عن نوع البضاعة لا عن صفة صنَّاعها فراج بترول شركتهِ ايَّ رواج حتى انيرت بهِ قصور اوربا واسيا وافريقية ومدارسها وكنائسها وجوامعها وبيوت عامتها

وحالما حلَّ مسألة تنقية البترول اهتمَّ بمسألة نقلهِ من مكان الى آخر وكان يُنقل من الآبار الى معامل التنقية في براميل رشَّاحة وفي عربات ثقيلة او على الاطواف في الانهر فصنع المركبات ذات الحياض لنقلهِ ثم مدَّ لهُ الانابيب الحديدية في الارض ليجري فيها من نفسهِ .

وكان كثيرون قد اهتموا بمد هذه الانابيب فابتاع منهم حق مدها وحصره في شركتهِ ووسع رأس مالها فجعله ٧٠٠٠٠٠ جنيه

ثم رأى امامهُ مشكلاً آخر لا بدَّ من حلهِ وهو ان معامله لم تكن حيث يسهل نقل الزيت المنقَّى منها الى مراكز التجارة وكانت معامل غيرهِ تفضل معامله من هذا القبيل فقصد ان يستأثر باساليب النقل حتى لا يستطيع احد مناظرتهُ ونجح في ذلك . وقد اتهمهُ بعضهم بانهُ رشا رجال الحكومة حتى ميزوه على غيرهِ وقيل بل اقنعهم اقناعاً بالحجة والدليل وهو الاقرب . ومهما يكن من ذلك فانهُ فاز باحتكار كثيرٍ من اساليب النقل واضطرت الشركات الاخرى ان تسلم له صاغرة وتحول عن مناظرتهِ

وهذا الفوز العظيم وسع نطاق شركتهِ وجعلها تنشيء لها مراكز في كل الولايات الكبيرة لبيع بترولها واتسع نطاق هذه المراكز فصارت شركات محلية مرتبطة بالشركة الاولى المركزية وصار زمام زيت البترول في البلاد كلها بيد هذه الشركة . ولم تترك لاحد سلطة عليها فابتاعت السكك الحديدية والبواخر البحرية ومعامل الخشب والصفيح (التنك) وكل ما له علاقة بزيت البترول ونقلهِ حتى لا يكون قيادها بيد احد غيرها وقد زادت ارباحها من هذه الاضافات كما زادت من تنقية الزيت وبيعهِ فقد كانت تشتري برميل الخشب سنة ١٨٧٢ بستة واربعين غرشاً فلما صارت تصنعهُ لم يعد يكلفها اكثر من اربعة وعشرين غرشاً وهي تستعمل في السنة ثلاثة ملايين ونصف مليون من البراميل فتوفر بذلك نحو ثمانمئة الف جنيه في السنة . وتعمل الصفيح لنفسها فتوفر اكثر من مليون جنيه في السنة لانها تستعمل ٣٦ مليون صفيحة . واعتنت بنفايات البترول فصارت تصنع منها الشمع الابيض الجيد وزيت الآلات وانقصت نفقات التنقية ٦٦ في المئة بما استعملتهُ من الاساليب الجديدة

ورأس مال هذه الشركة الآن ٢٢ مليوناً من الجنيهات وربحها في السنة ١٦ مليوناً من الجنيهات فاذا حُسب هذا الربح على معدل ٥ في المئة سنوياً فهو يقابل رأس مال لا يقل عن ٣٢٠ مليوناً من الجنيهات

ولجون ركفلر واخيهِ وليم وللمستر فلجلر واخيهِ وللمستر ارتشبلد اكثر اسهم هذه الشركة والشركات الاخرى المتعلقة بها وتبلغ حصة جون ركفلر من ذلك كلهِ نحو خمسين مليوناً من الجنيهات وحصة اخيهِ عشرين مليوناً وحصة فلجلر واخيهِ سبعة عشر مليوناً وحصة ارتشبلد سبعة ملايين . وبلغ ربح جون ركفلر وحده ١٥ مليوناً من الجنيهات سنة ١٩٠٠ ولا نظن ان ربح بيت رتشيلد كلهِ يبلغ هذا الحد . ويقال ان ثروتهُ زادت ثلاثين مليوناً من الجنيهات بالاعمال

التي عملها المستر مورغان حديثاً

وهذا الغنى الوافر الذي لم يسمع بمثلهِ من سالف الدهر لم يصرف صاحبهُ عن بساطة المعيشة ولا جعلهُ يعيش مثل كبار الاغنياء . ويعلم قراء المقتطف اسمهُ من هباتهِ السنية فهو وهّاب الملايين لمدرسة شيكاغو وغيرها من المدارس والكنائس. ويضرب المثل بتقواهُ وقيامهِ في مدارس الاحد لتعليم الصغار دروساً من التوراة والانجيل . ومن اقوالهِ المأثورة في احدى هذه المدارس في نيويورك "لا ضرر من السعي وراء الغنى لان المال من اقدر الوسائط على عمل الخير وفي الاغنياء اناس اشرار كما في الفقراء اناس اشرار ولكن اكثر الاغنياء يحسبون انفسهم امناء على اموالهم لكي ينفقوها لنفع ابناء نوعهم"

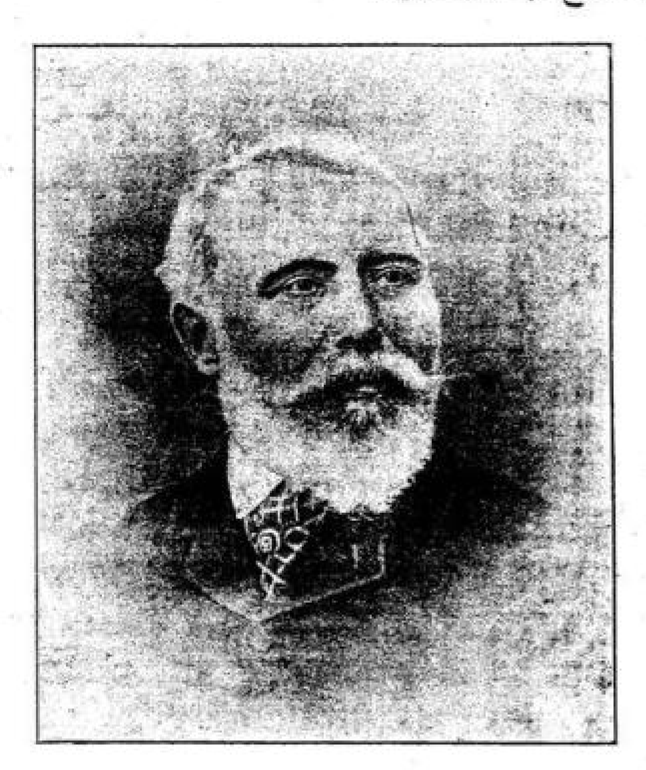
ويقوم المستر ركفلر باكرًا كل يوم ويأكل قليلاً وينظر في امورهِ الشخصية ثم ينزل الى مكتب الشركة يدير اعمالها الى الظهر فيأكل قليلاً من الخبز واللبن لانهُ قلما يأكل غيرهما ويروض جسمهُ عند العصر بالمشي او بالركوب مثل سائر الناس ولا يظهر عليهِ ما يميزهُ عن عامتهم مع ان في يدهِ مصالح الوف من العباد

لورد مشام

قد يرى القراء في سيرة ركفلر ما لا يستطيع احد منهم التمثل بهِ فان الرجل نشأ في بلاد كبيرة غنيَّة وجمع ثروتهُ مما لا يوجد في بلادنا حتى الآن ووسعها بما في تلك البلاد من اساليب العمل واسباب النجاح فرأينا ان نشفع سيرتهُ بسيرة رجل آخر جمع ثروتهُ مما اصلهُ من بلادنا من الصوف ومشاقة الحرير وليسينهِ وهو لورد مشام واسمهُ الاصلي المستر لستر وسنطلق عليهِ هذا الاسم الى ان نذكر ارتقاءهُ الى رتبة الاعيان فنقول

ولد المستر لستر سنة ١٨١٥ من عائلة وجيهة وقصد والدهُ ان يدرس الدروس الدينية ويصير من خدمة الدين وتركت لهُ جدتهُ املاكها مشترطةً عليهِ ان يصير قسيساً . الاَّ ان العصر الذي نشأ فيهِ كان عصر اختراع واستنباط . كانت الآلات البخارية في بداءة عملها وكان كبار الصنّاع مكبين عليها يتقنون ويوسعون والجمهور يحسب انها ستعمل العجائب فلم يكد يخرج من المدرسة الصغيرة حتى اعرب عن رغبتهِ في التجارة والاعمال الصناعية فدخل محل احد التجار وسافر الى اميركا مرارًا وكان السفر اليها طويل الشقة بالسفن الشراعية لا يقدم عليهِ كثيرون فعرف من احوالها ما لا يعرفهُ الاَّ قليلون. ولما صار لهُ من العمر ٢١ سنة اشترك

مع اخيهِ في معمل صغير لمشط الصوف وغزلهِ ونسجهِ فرأَى مماشط الصوف لا تفي بالغرض لان فيها خللاً ونقصاً من وجوه كثيرة فجعل يفكر في اصلاحها واول استنباط استنبطهُ مكوك لنسج الحرير المعرَّق وآلة لعمل اهداب الشيلان . ثم عكف على اصلاح مماشط الصوف وهو اهم اعمالهِ وكان كثيرون قد حاولوا اصلاحها فانفقوا اموالهم واضاعوا اوقاتهم عبثاً ولا غرابة في اهتمامهم الشديد بهذا الامر لان مشط الصوف اهم ما يكون في صناعتهِ ومن استطاع ان يستنبط آلةً تمشطهُ جيداً ربح منها الالوف المؤلفة



لورد مشام

ولما شرع في ذلك كان عمرهُ ٢٧ سنة وكان الصوف يمشط باليد ومشطهُ بها كثير النفقات وشديد الضرر على الماشطين ولم يكن احد يظن انهُ يمكن ان يصنع آلة تمشط الصوف كما يمشط باليد تماماً لكثرة الذين حاولوا ذلك وفشلوا . وكان رجل اسمهُ دونستربب قد صنع ممشطة واخذ امتيازاً بها ولكنها لم تفِ بالمراد فرأى لستر انهُ يمكن اصلاحها حتى تفي بهِ

فاشترى من صاحبها نصف حقهِ في امتيازها بالفي جنيه ثم اشترى منهُ النصف الثاني بعشرة آلاف جنيه واصلح هذه الآلة كثيرًا حتى وفت بالغرض المطلوب حاسبًا انهُ هو ودونسترب المخترعان الوحيدان لها . ثم بلغهُ ان مخترعًا آخر اسمهُ كارتريت اخترع آلة مثلها تمامًا قبلهما ونال الامتياز بها واعطاهُ البرلمنت الانكليزي عشرة آلاف جنيه اعترافًا بفضلهِ لكن آلتهُ لم تشع لانها جاءَت قبل زمانها فزاد اعجاب لستر بهِ حتى عزم ان ينشئ لهُ تذكارًا عظيمًا فانشأهُ كما سيجيء

ثم اصلح هذه الآلة ونوَّعها فشاع استعمالها حالاً واضاف اليها آلة اخرى وهي آلة ندف الصوف القصير قبل مشطهِ فقامت الماشط البخارية مقام المشط باليد وهبطت نفقات مشط الرطل (الليبرة) من شلنين وثلاث بنسات الى اربع بنسات وهذا هو السبب في رواج تجارة الصوف الانكليزية والاسترالية وفوائد ذلك تقدَّر بالملايين الكثيرة كما لا يخفى . ولكن المناظرين لم يدعوهُ يهنأ بثمار اختراعهِ فادعوهُ ورافعوهُ الى المحاكم ولا سيما رجل الزامي اسمهُ هيلمن ففاز لستر عليهِ من بعض الوجوه وفاز هو على لستر من وجوه اخرى واخيرًا رأى لستر ان نفقات المحاكم والمحامين قد تزيد على ما ينتظرهُ من الربح فاشترى حقوق هيلمن بثلاثين الف جنيه ووضع ضريبة الف جنيه على كل آلة يستعملها غيرهُ وانشأ هو تسعة معامل للصوف خمسة في انكلترا وثلاثة في فرنسا وواحدًا في المانيا فربح اموالاً طائلة جدًّا وجمع ثروة وافرة من هذه المعامل وغيرها لانهُ صنع آلات اخرى لعمل المخمل وندف القطن

ودخل مخزنًا في لندن ذات يوم فرأى كثيرًا من مشاقة الحرير ولم يكن قد رآها قبلاً فقال ما هذا فقيل لهُ مشاقة الحرير فقال وماذا تصنعون بها فقيل لهُ انها نفاية لا تصلح لشيءٍ. فاخذ قليلاً منها بيدهِ وفحصها وشمها وكانت وسخة قذرة مخلوطة بفضلات كثيرة مما يبقى من معامل حل الحرير كالشرانق المثقوبة والديدان الميتة والزيزان الفاسدة وورق التوت وبعر الدود وما اشبه مما يسمَّى موَّاتة وليسينًا

ولم يكن يعرف شيئًا من امر الحرير وتربية دود القز فطلب ان يباع تلك النفايات فبهت صاحبها من ذلك وباعهُ اياها حالاً فذهب بها الى احد معاملهِ ووضع بعض المشاق في ممشطة الصوف ومشطة بها فتخلصت خيوطهُ بعضها من بعض وتوازت وصار يسهل كب الحرير منها

ورأى للحال مجالاً واسعًا للعمل والكسب فدرس صناعة حل الحرير درسًا مدققًا بالنظر والعمل وظلَّ عشرين سنة يبحث ويصنع الآلات ويغيرها ويبدلها حتى اهتدى الى آلة وافية بالمراد ولكن بعد ان انفق عليها ثروتهُ كلها ثلثمئة وستين الف جنيه ولم يبتدئ ربحهُ منها

الأ سنة ١٨٦٤ . ثم صنع آلة لعمل المخمل من الحرير وقد قال عنها اني لما كنت احاول عملها خطبت خطبة في جمعية غلاسكو الفلسفية قلت فيها ان البعض يهتمون بسباق الخيل في دربي لان الرهان فيهِ يبلغ اربعة آلاف او خمسة آلاف من الجنيهات ولكني انا مهتم الآن باختراع آلة اذا نجحت في اختراعها ربحت منها خمسين الف جنيه كل سنة وقد حاول غيري اختراعها منذ خمسين سنة الى الآن فلم يفلحوا . ثم لما اخبرت الذين كانوا يسمعون خطبتي ان هذه الآلة يراد بها عمل المخمل ضحكوا عليَّ لكنني عملت الآلة بعدئذٍ انا ورجل آخر وربحنا منها يزيد الآن على خمسين الف جنيه في السنة . وقد كانت الصعوبة الكبرى في ابقاء السكين ماضية لقطع زغب المخمل وكنت مرةً انظر من كوّة مكتبي فرأيت مجلخاً يجلخ مقراضاً فقلت في نفسي انني اذا وضعت في النول حجر جلخ اصغر من هذا لتتجلّخ السكين عليهِ بقيت ماضية تقطع النسيجين اللذين الخمل بينهما فجربت ذلك فرأيتهُ وافياً بالمراد وهذه واحدة من مصاعب شتى تغلبت عليها انا وشريكي في مدة سبع سنوات

واكتشافهُ هذا اعاد صناعة نسج المخمل الى انكلترا . ويصنع في معامله الآن كل انواع المخمل وكل نسيج لهُ خمل حتى النسيج الذي يشابه جلد الفقمة والبسط المخملية على انواعها والمنسوجات الحريرية على انوعها وكلها من مشاقة الحرير التي كانت تطرح من المعامل كأنها زبالة

ولما رأى ان عملهُ نجح النجاح التام حوّلهُ الى شركة مساهمة رأس مالها مليون و ٩٥٠ الف جنيه لكي يشرك غيرهُ معهُ في عمله وربحهِ واشترى ارضاً مساحتها ٣٤ الف فدان بمليون من الجنيهات وقصرًا قديماً دفع ثمنهُ وثمن الحراج التي حولهُ ٤٧٥ الف جنيه وبنى بدء نخياً تذكارًا لكارترايت مخترع آلة النسج انفق عليهِ ٤٧ الف جنيه و ٥٠٠ جنيه

واعترفت الحكومة الانكليزية بفضلهِ على صناعتها فمنحتهُ لقب لورد ماشام سنة ١٨٩١ واعترف اصحاب معامل الصوف بفضلهِ فصنعوا لهُ تمثالاً كبيرًا نصبوهُ لهُ في روض بردفورد وهو المخترع الوحيد الذي نُصب لهُ تمثال في حياتهِ

وقد كان الصرف يُجزّ ويمشط ويغزل ويحاك في هذا القطر والقطر الشامي منذ الوف من السنين ولكن ما من احد منا خطر على بالهِ ان يصنع آلة لمشطهِ وغزلهِ . وكانت المشاقة والليسين والقشيرة وما اشبه من نفايات الحرير ترمى او تبيض ويغزلها النساء بايديهنَّ ولم يهتم احد منّا بعمل آلة تنظفها وتغزلها . و بمثل ذلك يبين الفرق بين اقدار الرجال ومبالغ الهمم . واذا اغتنى هذا الرجل ورقي الى مراتب الاشراف فيكون قد جوزي جزاء العامل المستحق عند من يعرف اقدار الرجال

لورد دفرن



لورد دفرن ومن لم يسمع هذا الاسم من رجال هذا القطر والقطر الشامي ومن لا يعلم ان بهِ وبامثالهِ قامت المملكة الانكليزية ونشرت راياتها في الخافقين

ولولا رجال مثل دَفرِنَ مادرت بناة المعالي كيف تبنى الممالكُ

ولد في الحادي والعشرين من شهر يونيو سنة ١٨٢٦ من بيت كبير من اشراف ارلندا اصلهُ من اسكتلندا وابوهُ بارون دفرن كان من ضباط البحرية وتوفي شاباً وامهُ لادي دفرن كانت من اشهر نساء عصرها وهي من عائلة توماس شريدن المشهور ببلاغتهِ فورث من

ابيهِ حصافة الاسكتلنديين وحسن نظرهم في العواقب ومن امهِ ذكاء الارلنديين وبلاغة اساليبهم في التعبير وزاد على ذلك ان دَرَس وتربى في احسن مدارس الانكليز في اكسفورد ولم يفق اقرانهُ في درس العلوم والفنون ولكنهُ فاقهم في درس احوال بلادهِ ارلندا واسباب انحطاطها فتأهل بذلك للنظر في احوال هذا القطر وبلاد الهند لما دُعي اليهما كما سيجيء

وورث لقب عائلتهِ وعمرهُ ١٥ سنة ثم جُعل من لوردات الانكليز سنة ١٨٥٠ فجلس في مجلس الاعيان ورحل الى ايسلندا سنة ١٨٥٥ وكتب رحلتهُ في رسائل بليغة كان لها اعظم وقع في النفوس فوُضع في الطبقة العليا بين الكتَّاب لكنهُ لم يتخذ الانشاء حرفةً لهُ ولو بقي مشهورًا بحسن انشائهِ

ولما حدثت المذابح في سورية سنة ١٨٦٠ وخاف الانكليز من ان فرنسا تحتلها وتبقى فيها دوامًا فتضعف تجارتهم فيها وتقوم في طريقهم الى الهند بعثوا باللورد دفرن ليقنع غيرهُ من مندوبي الدول الاوربية بوجوب جلاء الجنود الفرنسوية عن الربوع السورية . ويظهر لنا الآن انهُ اعتمد على آراء الكولونل تشرشل وبعض المرسلين من الانكليز والاميركان والكولونل صديق حميم للدروز والمرسلون ناقمون من الموارنة لما نالهم منهم من الاضطهاد فاقنعوهُ ان ما حدث في سورية ناتج عن ضغائن قديمة بين النصارى والدروز لا غير وانهُ اذا عوقب الدروز عقابًا صارمًا او بقي الفرنسويون في سورية قوي النصارى على الدروز وعادت الفتن وتكررت المذابح فاقنع اكثر رفاقهِ المندوبين بصحة ما اقتنع بهِ . ولكن ان كانت مذابح لبنان ناتجة عن ضغائن قديمة بين النصارى والدروز فما سبب مذبحة دمشق ولا دروز فيها وكيف تتعهد الجنود المنظمة بحماية نصارى دير القمر وحاصبيا وتستلم اسلحتهم منهم ثم تبيح ذبحهم ذبح الغنم ولم يكن لدروز الارض ان يخالفوا امرًا لجندي واحد

ولا شبهة عندنا في ان اللورد دفرن اقتنع بصحة ما قيل لهُ وان الذين اقنعوهُ بذلك كانوا مقتنعين بصحة اقوالهم وآرائهم فلم يخاتلوهُ ولا ختل احدًا ولو اهتدى الى وجه الصواب ما وصلت بلاد الشام الى ما وصلت اليهِ في هذا الزمان ابناؤها منتشرون في مشارق الارض ومغاربها مع ان بلادهم تكفي اضعاف اضعافهم

قالت جريدة التيمس عند كلامها على وفاة لورد دفرن ان حصافتهُ هي السبب في نجاح لبنان وفي خروج الجنود الفرنسوية من البلاد السورية . اما خروج الجنود الفرنسوية فلا شأن لنا فيهِ ولا شبهة في ان الاكثرين يشكرونهُ عليهِ . واما نجاح لبنان فوهمٌ في وهمٍ وكيف ينجح جبل صخري سلخت عنهُ السهول والمدن فحُرم موارد الزراعة والتجارة او جُعل فيهما تحت رحمة غيرهِ

ولولا الرزق الذي يجدهُ ابناؤُهُ في المهاجرة ولولا الهمَّة التي لهم حتى يكسروا الصخور و يزرعوا كرومهم في فتاتها لمات اكثرهم جوعاً

ورأت الحكومة الانكليزية حينئذٍ انها نالت يوماً تمنّت وهو خروج فرنسا من بلاد الشام واخماد الفتن التي تدعو الى عودتها اليها فحسبتهُ بين رجالها المعدودين الذين تثق بهم نوائب الدهر

وتزوَّج بعد عودتهِ من بلاد الشام سيدة فاضلة كانت اكبر معين لهُ في اشغاله السياسية في كندا والهند و بطرسبرج والقسطنطينية ورومية وباريس. ويذكرها نساء الهند بالمدح والثناء

وجُعل حاكماً عاماً على بلاد كندا سنة ١٨٧٢ فاحكم عرى المودة بين تلك البلاد والبلاد الانكليزية بما اظهرهُ لاهلها من الحب والولاء والاهتمام بمصالحهم وترقية شؤُونهم فكان مثالاً للوالي الحكيم الذي يعزّز سلطة مولاهُ باصلاح شأن ولايتهِ ولهُ في ذلك كلام بليغ نعرّبهُ عن جريدة التيمس ليكون انموذجاً للولاة قال : ان اسمى ما ارمي اليهِ ان اخدم مولاتي الملكة في المنصب العالي الذي اقامتني فيهِ واحافظ على ما لها من المقام السامي في هذه الولاية واتمثل بمثالها المجيد في قيامي بمهام منصبي واكتسب ثقة اهالي كندا بقيامي على خدمتهم واجرائي العدالة بينهم من غير تشيع ولا تحزُّب . وان كان صدق ولائك لبلاد يُبرهَن بحبك لها من كل قلبك ونظرك الى كل واحد من اهاليها كأنهُ صديق حميم لك واهتمامك بخيرها ونجاحها اهتمام ابنائها بهما وافتخارك بكل ما فيها بمناظرها واقليمها وآداب اهلها واخلاقهم وما يسرهم ويرضيهم فحبي لكندا امر مقرر لا يمكن ان يرتاب فيهِ احد

وكان خطيباً مفلقاً شديد العارضة قوي الحجة يخلب عقول سامعيهِ بفصاحة لسانهِ لكنهُ لم يكن يلجأُ الى الادلة الخطابية بل كان يعتمد على دليل العقل والاختبار

ولما ظهرت مهارتهُ الادارية ودهاؤُهُ السياسي في كندا عُرض عليهِ مسند السفارة في بطرسبرج عرضهُ عليهِ اللورد بيكنسفيلد زعيم المحافظين وهو من الاحرار لكنهُ قال لهُ وقتما عرض عليهِ هذا المنصب اننا لا نقصد ان تنحاز الينا وتعضد سياستنا في مجلس الاعيان. فقبل المنصب ومضى الى بطرسبرج وكان النفور مستحكماً بين روسيا وانكلترا بسبب تشيع انكلترا لتركيا وحرمانها روسيا ثمرة حربها مع تركيا فبذل جهدهُ في تضميد الجراح وازالة البغضاء الى ان انتقلت عقدة المسألة الشرقية من بطرسبرج الى الاستانة فنُقل سفيراً اليها سنة ١٨٨١ وكانت الليالي حبالى بالمسألة المصرية ولا بدَّ لها من سياسي محنك يراقب احوالها من رجل يدهُ من حديد لكنها في كف من المخمل فأُرسل الى مصر بعد واقعة التل الكبير فنظر في ما يقتضيهِ اصلاحها ولا يبعد ان يكون قد اعتمد على آراء الذين استخلصهم من سكانها وانشأ

تقريرهُ المشهور مشيرًا فيهِ بما رآهُ من طرق الاصلاح . وقد اطلعنا على نسخة منهُ سقيمة الترجمة جدًّا وهاك بعض ما جاء فيها عن المعارف بعد تنقيحهِ قليلاً

"من الغني عن البيان ان كل مساعينا لنخ مصر ادارة حسنة تحبط ما لم ننظر نظرًا دقيقًا في كل فروع المسائل التي تتألف منها تلك الادارة ونخصص كلاًّ منها بما يلائمهُ فليس للمصريين حق في التشكي من وجود عدد وافر من الاوربيين في الادارات اذا كان من المستحيل في الوقت الحاضر وجود وطنيين نائلين كل الصفات المطلوبة للقيام بالمصالح المسلَّم زمامها للاجانب . فان كنا نرغب في التخلص من هذا التشكي الشرعي فلا وسيلة لذلك الاَّ بأن تأخذ الحكومة المصرية بعزم ثابت وطوية سليمة امر تهذيب الجيل الجديد

فالمدارس الموجودة الآن في القطر المصري تنقسم كما يأتي

اولاً الجامع الازهر . وهو مدرسة جامعة يدرس فيها علم الكلام والفقه والنحو والمنطق وآداب اللغة العربية وفيهِ نحو ثمانية آلاف طالب وثلاثمائة استاذ

ثانيًا المدارس التي انشأها مرسلو الاجانب ونحلهم و يبلغ عددها ١٥٢ مدرسة تحوي ١٢٢٤٧ طالبًا منهم ٦٤١٩ او ٥٢ في المئة من المصريين . وخزينة الحكومة تدفع معينات سنوية لبعض هذه المدارس

ثالثًا مدارس الحكومة وتقسم على الوجه الآتي

(١) الكتاتيب البسيطة المشيدة في المدن والقرى و يبلغ عددها ٥٣٧٠ وفيها ١٣٧٥٥٣ طالبًا او جزء من ٤٠ من عدد سكان القطر و يعلم فيها القراءة وحفظ القرآن (الشريف) غيبًا ويزاد في بعضها تعليم الخط والحساب

(٢) المدارس الابتدائية ويوجد منها ٢٧ تحوي ٤٦٦٤ طالبًا واحدة منها في العاصمة ونفقتها داخلة في ميزانية نظارة المعارف وفيها ٦٤٨ طالبًا وهي مثال للمدارس الموجودة والتي يراد انشاؤها في مراكز المديريات والقرى الكبيرة ومدة التعليم فيها اربع سنوات في خلالها يتقوى الطالب في قراءة القرآن (الشريف) وكتابة اللغة العربية وعلم الحساب وفي غضون السنة الاخيرة منها يدرس مبادىء التاريخ والجغرافية ومبادىء لغة اجنبية (انكليزية او فرنساوية او المانية) حسب رغبتهِ والخط الاوربي ويترقى من هذه المدارس الى المدرسة العليا (التجهيزية) في القاهرة ومن هذه يتدرج الى مدرسة الصنائع والفنون

ونفقة بقية المدارس الابتدائية من ايراد بعض الاطيان في الوادي وهي التي وهبها حضرة الخديوي السابق لهذه الغاية وتؤدى من ادارة الاوقاف والاحسانات الخصوصية

(٣) المدرسة العليا في مصر وفيها ٢٩٢ طالباً يتدرج منها الى مدارس الصنائع والفنون ومدة التعليم فيها اربع سنوات يتعلم الطالب فيها لغة اجنبية والعربية والرياضيات والطبيعيات والكيمياء والتاريخ الطبيعي والتاريخ العام والجغرافيا والخط العربي والافرنجي والتصوير

(٤) مدارس الصنائع والفنون وهي

(ا) مدرسة الطب وفيها ١٧٦ طالباً ويلحق بها مدرسة الصيدلية وطلبتها سبعة ومدرسة القوابل وطالباتها عشرون (مديرها فرنسوي)

(ب) مدرسة الفنون وفيها خمسون طالباً

(ت) مدرسة المساحة وفيها ٣٩ طالباً

(ث) مدرسة الفنون والصنائع وفيها ٥١ طالباً (مديرها فرنسوي)

(ج) مدرسة الحقوق وفيها ٣٧ طالباً (مديرها فرنسوي)

(ح) مدرسة الالسن وفيها ٢٣ طالباً (مديرها فرنسوي)

(خ) مدرسة المعلمين وفيها ٦٠ طالباً (مديرها فرنسوي)

(د) مدرسة العمال وفيها ٧٩ طالباً وهي تحت ادارة مدرسة الفنون والصنائع ويدخلها تلامذة المدارس الاولية الذين لم تظهر منهم اهلية لمدارس العالية

(ذ) مدرسة العميان والخرس وفيها ٧٥ طالباً من الجنسين

(ر) مدرسة البنات وكان لهنَّ سابقاً مدرستان احداهما لعائلات الذوات والثانية لعائلات الفقراء لكنهما اندمجتا معاً وفيها ٣٠٠ طالبة

(ز) المدرسة العسكرية في القاهرة (مديرها فرنسوي)

(س) المدرسة البحرية في الاسكندرية

فاذا امعنا النظر في هذا البناء الواسع الجامع مشتملات التهذيب المتوج بالجامع الازهر المنتشر صيتهُ في آفاق الارض خيل لنا ان المصريين هم الشعب الاكثر تعلماً على سطح الكرة ولكن من نكد الطالع نرى الحال بالعكس فالولد المصري يبلغ الحلم صغيرًا ولهُ قابلية خاصة لتعلم اللغات والرياضيات لكنهُ متى وصل الى درجة محدودة في التقدم لا يتمشى نموّ عقلهِ تمشي نموّ جسمهِ في ادراك العلوم العالية وان الزواج الباكر هو احدى العلل الرئيسة التي تقطعهُ عن اطراد رضاعة البان المعارف وكم من الطلبة تراهم جالسين على مقاعد التعلم وهم حاملون على مناكبهم احمال الزواج وان ضعف البصر مانع آخر لنجاحهم

وهنالك ايضاً علة تجب مداواتها فانهم يستخدمون في التعليم قوة الذاكرة الى حد الافراط

ويغفلون عن تمرين بقية القوى العقلية . وطريقة التعليم في الجامع الازهر جافة وغروسها في العقول عقيمة لا تثمر فائدة ولا نتاجاً حين العمل

وقلما نبغ تلميذ من الفرق الاولى في مدارس الحكومة بانتهاء مدة دروسهِ الى درجة تؤَهلهُ للانتقال الى مدرسة اعلى على انهُ يتنقل اليها لينوب مناب الخارج منها ويملأَ الفراغ فتكون النتيجة انهُ يباشر دروساً عالية حالة كونهِ لم يتم دروسهُ الابتدائية

وفي اوربا ٤٩ شاباً مصرياً مرسلون من مدارس الصنائع والفنون لاتمام دروسهم والحكومة المصرية تنفق على اربعين منهم والتسعة الآخرون ينفقون على انفسهم وهم موزعون كما يأتي : في فرنسا ٤٧ . في انكلترا ١ . في سويسرا ١ . و ١٤ منهم يتعلمون الطب . و ١٠ الحقوق . و ٣ الهندسة . و ٢ الهندسة الآلية . و ٨ يتجهزون للدخول في مدرسة البيطرة . و ١٣ يتجهزون للدخول في مدرسة الطب

فالمدرسة العليا (الحاوية ٢٩٢ طالباً) هي الوحيدة التي يؤْخذ منها التلامذة لمدرسة الصنائع والفنون وهي غير كافية لسد الطلب ولكن يمكن سد هذا الخلل موقتاً باخذ تلامذة مدرسة الصنائع والفنون من تلامذة المرسلين الاجانب لانهم انجح من تلامذة مدرسة الحكومة لكن الوزارة عارضت ذلك حتى الآن بقولها ان تلامذة مدارس الاجانب لا يتقنون اللغة العربية كما يتقنون باقي الفنون . وبما ان مدارس الصنائع والفنون ومدرسة المساحة ومدرسة الصنائع ذات بغية واحدة اعني اخراج مهندسين وآليين فلربما افاد ادماجها في سلك واحد تحت ادارة واحدة

ومدرسة الحقوق التي يجب ان ينتقى منها القضاة وارباب المجالس مشيدة على اسس ملائمة لمقتضيات القطر . وبما ان المجالس الوطنية والمجالس العدلية من الامور الكثيرة الاهمية فيجب توسيع هذه المدرسة بزيادة عدد اساتذتها وانتقاء عدد وافر من تلامذة مدارس الحكومة والاجانب وادخالهم فيها

ويجب تنظيم مدرسة اللغات على اساس يوصل الى تخريج العدد الاكبر من المترجمين والمستخدمين الثانويين لمصالح الحكومة فان اكثر المترجمين الرسميين في الوقت الحاضر من السوريين الذين برعوا بسبب حسن التعليم الذي تلقوهُ من مدارس المرسلين الاميركان والفرنسويين والالمان في سوريا

وقد تقادم عهد الكتب المستعملة في مدارس الصنائع والفنون وما ذلك الّا لقدم ترجمتها ونشرها في اللغة العربية

ومما يحتاج اليهِ القطر مدرسة زراعية لانهُ زراعي صرف فمحصولاتهُ تبلغ سنوياً نحو ١٥ مليون جنيه ولا ريب ان هذا الايراد ينمو جدًّا اذا استُخدمت الطرق العلمية في التسبيخ وتعاقب المزروعات . وطلبة هذا العلم المنتقون من اصحاب الاطيان في المديريات يستطيعون تمرين انفسهم واختبار دروسهم في الدوائر الزراعية الواسعة كالدائرة السنية والدومين

ومن اهم ما تحتاج اليهِ مدارس الحكومة مفتشون مهرة فاذا عُيّن هؤلاء تحت رئاسة مفتش عام بارع زالت اكثر عيوب الطريقة المستعملة الآن على انهُ ولو تعين هؤلاء ما امكنهم ان يراقبوا كل مدرسة الأ مرة في السنة لان المدارس في القطر تزيد على ستة آلاف . ويكون من واجبات المراقبين ان يلاحظوا تعيين الاساتذة ولا يقبلوا غير البارعين منهم وان يراقبوا امتحان التلامذة ولا يدعوا تلميذًا ينتقل من فرقة الى اعلى منها او من مدرسة الى اسمى منها ما لم يتحققوا انهُ بلغ ما يؤَهلهُ لذلك . ويكون من خصائص المفتش ان يرفع عن عاتق الحكومة نفقات الذين لا يتبين لهُ ان عندهم اهلية لتلقي العلوم العالية ومن شؤُون المفتش ايضاً ان يزور مدارس الاجانب ليضيف الى علومها علوماً أُخرى من شأنها ان تؤهل تلامذتها للدخول في مدرسة الحكومة العليا او في مدارس الصنائع والفنون . فان لم تكن طريقة التفتيش حسنة فكل القوانين والترتيبات مهما كانت هيئتها عملية ودقيقة تعتبر عديمة الجدوى

وبما اني شاهدت عياناً النجاح التام الذي نالهُ البلغار والارمن في مدرسة روبرت الكلية بجوار الاستانة اراني شديد الميل لتحصيل مثل تلك النتائج بادخال سننها في القطر المصري

وخال ان امل التقدم ضعيف ما دام العامة تتعلم اللغة الفصيحة العربية لغة القرآن كما في الوقت الحاضر ولا تتعلم اللغة العربية الدارجة لان نسبة اللغة المصرية الدارجة الى لغة القرآن كنسبة الايطالياني الى اللاتيني واليوناني الحديث الى اليوناني القديم. وعربية الفلاَّح لغة قائمة بنفسها وقواعدها خاصة بها . واذا لم تؤخذ هذه الاحتياطات الضرورية للحصول على النتائج الفعلية من المدارس العديدة التهذيبية التي اشرت اليها يستمر الجيل الجديد كسابقهِ غير صالح لخدمة وطنهِ سواء كان للقيادة في العسكرية او في الصنائع او في الخدمات العمومية وتظل عبارة "مصر للمصريين" كما كانت اسماً بلا مسمّى " . انتهى

وعاد من مصر الى الاستانة وكأنهُ قضى المهمة التي اقيم لها فيها على اتم المراد فانعمت عليهِ الملكة بحكمدارية الهند فمضى اليها سنة ١٨٨٤ واقام فيها الى سنة ١٨٨٨ ويقال ان تلك السنوات الاربع كانت اكثر ايامهِ اشتغالاً فسكّن ما في بلاد الهند من الاضطراب لانهُ جرى في الطريقة الوسطى بين الوطنيين الطالبين حكومة نيابية كالحكومة الانكليزية وبين الانكليز

الطالبين ان لا يعطى الوطنيون حقاً من الحقوق النيابية . وارضى المسلمين من غير ان يغيظ الهنود وعزَّز التخوم الشمالية الغربية واضاف مملكة برما العليا الى الاملاك الانكليزية . واهتمت زوجتهُ لادي دفرن باحوال النساء وبترغيب الطبيبات في الذهاب الى الهند لتطبيبهنَّ . وتعلم اللغة الفارسية , هو هناك لكي يخاطب الفرس بها . ثم لما استعفى من حكمدارية الهند منح لقب مركيز دفرن وآفا . واسم آفا هذا اسم قديم لبلاد برما التي ضُمها الى السلطنة الانكليزية . وجُعل سفيرًا في ايطاليا فسوَّى المسائل التي بين ايطاليا وانكلترا في ما يتعلق بالسودان الشرقي ونُقل في اواخر سنة ١٨٩١ الى باريس فبقي فيها الى سنة ١٨٩٦ وخيف من وقوع الخلاف بين انكلترا وفرنسا في هذه المدة على مصر وعلى سيام واتفقت فرنسا وروسيا والمانيا على اليابان في الحرب الصينية اليابانية فخافت انكلترا من العبث بمصالحها في الشرق الاقصى واتفقت فرنسا والمانيا على انكلترا في مسألة النيجر في افريقية فكان لهُ اليد الطولى في حل هذه المشاكل السياسية على ما فيها من التعقيد . ومُنح وهو هناك لقب حارس المدن الخمس ولما استعفى من سفارة باريس سنة ١٨٩٦ عاد الى ارلندا ولكن لم تصافهِ الليالي في اخريات ايامهِ بل نغصت عيشهُ فقتل ابنهُ البكر في حصار لادي سمث وبان خلل كبير في شركة مالية كان لهُ علاقة كبيرة بها فخسر فيها اموالهُ وذلك كلهُ مضافاً الى متاعب الشيخوخة وفقد السمع هدم ما بقي فيهِ من القوَّة فتوفي بعد مرض طويل في الثاني عشر من فبراير وحالما بلغ نعيهُ ملك الانكليز بعث بتلغراف التعزية الى لادي دفرن يقول فيهِ

" اننا بالاخلاص التام نشاركك في خسارتك التي لا تعوَّض "

وبعث برنس اوف ويلس وزوجتهُ يقولان " اننا باشد الاسف سمعنا عن وفاة زوجك العزيز فحزنَّا معكِ ومع عائلتكِ ونقدم لكِ تعزياتنا القلبية "

وارسل دوق كنوت الى ابن لورد دفرن يقول " لقد حزنَّا حزناً شديدًا انا والدوقة واني حزين لمصابكِ ومصاب لادي دفرن وارجو ان تجد صبرًا على هذا الخطب الفادح "

ووردت تلغرافات التعزية من لورد سالسبري ودوق ارجيل ولورد روزبري وغيرهم

وقالت جريدة التيمس في تأبينهِ ان خدمتهُ لبلادهِ لم يسبق لها مثيل في تاريخ انكلترا فانهُ لم يحدث ان انسانًا واحدًا كان حاكمًا لكندا وحاكمًا للهند وسفيرًا في اربع سفارات كبيرة ... ثم لما آن الاوان ليستقيل من الخدمة ويستريح من عناء الاشغال لم يكن سفير ولا حاكم احق منهُ بتلك الراحة . ولولا ما نُغص بهِ عيشهُ في اخريات ايامهِ لكانت سعادتهُ تامة . . . وقد شمل الحزن عليهِ السلطنة الانكليزية لانهُ كان من انفع رجالها وانجبهم واعلاهم همة

عروسة النيل

الفصل الثامن

نزل حيرام الى دار المنزل فوجد كبار الخدم جالسين يصطلون ويتسامرون وبينهم رستم المجوسي و بعض اتباع هاشم وكان كاتب اوريون يحدثهم بما اتفق لسيدهِ من الوقائع حين كان في القسطنطينية وما صادفهُ من الحظوة في عيون جلّة القوم فيها والباقون يصغون الى حديثهِ ويشوقون الى استماع المزيد

ولما خالت باولين ان الجوّ خلا لها انسلّت في الدار واومأت الى حيرام فتبعها وسارا الى غرفتها فعمدت الى صندوق ففتحتهُ واخرجت عقدًا من الجوهر في وسطهِ زمردة كالجوزة حجمًا وكالشمس لمعانًا فامرت حيرام ان يقتلعها من مكانها فعالجها بمديتهِ حتى نزعها واخذ يقلبها في يديهِ وباولين تعيد على مسمعهِ ما امرتهُ بهِ ثم اشارت اليهِ بالانصراف واقفلت الباب واخذت تستعدّ للرقاد ولم يكن الأ كلا حول ولاحتى سمعت قرعًا خفيفًا فهبت مذعورة وقالت من بالباب

— حيرام

فاسرعت وفتحت الباب وسألتهُ عن سبب عودتهِ فاخبرها ان الباب الصغير الذي جاء بهِ والذي يوْدي الى الدار موصد وانهُ لا يستطيع الخروج اذ هو لا يعرف مخارج البيت ومداخلهُ فحارت باولين في امرها ثم القت قناعًا على راسها وقالت

— اتبعني على مهل فاذا وجدنا المطبخ فارغًا استطرقنا منهُ الى القاعة وقد نستطيع الخروج من الباب الكبير لان بعض الخدم يبيتون في المنزل ولعلهم لا يزالون في الدار فاذا بلغناهُ صرتَ على هدًى واحذر الكلب الذي امام دار التحف فهو عقور ومتى اومأتُ اليك بيدي فقف مكانك . فمشيا حذرين الى المطبخ فالقاعة حتى بلغا دار التحف فوجد بابها مفتوحًا فتواريا ووقفت باولين تسترق السمع وقلبها يخفق وجلاً وذهولاً فابصرت رجلاً خارجًا من دار التحف فحققتهُ واذا بهِ اوريون يتبعهُ كلبهُ الذي اشارت اليهِ فهجم هذا عليهما فمدَّت يدها اليهِ ودعتهُ باسمهِ بصوت خافت فكفَّ عن النباح واقبل اليها واطرق راسهُ ولم يرَ اوريون الاثنين فاقفل الباب ومضى لسبيلهِ وظلت باولين كأنها تفكر في وسيلة للخلاص وسادت السكينة على البيت وكاد القمر يغيب ثم سمعت جلبة وهرير كلب عقبهُ استغاثة امرأة في اشدّ الآلام فذعرت لهذا الصوت ثم رأت اوريون يجري والكلب وراءهُ وهما يعدوان حتى وصلا الى حديقة امام

المنزل فغابا فيها عن عينها فالتفتت الى حيرام وقالت لهُ لقد حانت الفرصة فاتبعني واندفعت تجري امامهُ ولكنها لم تسر بضع خطوات حتى عثرت رجلها بشيء فارتعدت فرائصها وتأملتهُ فاذا امرأَة منطرحة على الارض لاحراك بها فهمّت بالفرار لكنّ رقة قلبها تغلبت على جبنها فوقفت وامرت حيرام بالخروج واومأت الى الباب الكبير ثم جثت على ركبتيها امام الجثة وحققت النظر فيها فالفتها ماندافي الفارسية وقد تخضبت ثيابها بدمها فمزقت قميصها واذا في صدرها جراح دامية فارتاعت لهول ما رأت وعجبت لاوريون كيف يقدم على مثل هذه الفعلة الشنعاء وقد كانت بالامس تنعتهُ بخير النعوت وتحسبهُ مثالاً للشهامة والمروءة ثم هو اليوم يرتكب جرماً كهذا ولا يلبثان يترك المسكينة وشأنها وقد باتت فريستهُ مرتين. فاخذت تتبصر في وسيلة لانقاذها اذ آنست فيها رمقاً من الحياة ولم يشأ حيرام ان يتخلَّى عن سيدتهِ في ذلك الموقف الحرج تخلع حذاءهُ وحمل المجروحة واسندها الى عمود في القاعة ووقف ينتظر امر سيدتهِ في شأنها لكنّ باولين الحّت عليهِ بالذهاب خشية ان يراهُ احد من اهل القصر فصدع بامرها واسرع الى الدار وحينئذٍ صاحت باولين باعلى صوتها تدعو الخدم الى مساعدتها فرددت جوانب القصر صوتها وهرع الكتَّاب والحشم وفي طليعتهم اوريون وقد تدثَّر بدثار الليل كأنهُ نهض من الرقاد بغتةً فلما وصل اليها سألها عما جرى فلم تجبهُ فاعادت امهُ السؤال فحارت باولين في ما تقول لكنها شدَّدت عزمها وقالت

— منيتُ الليلة بالارق وبينما كنت اتقلب على فراشي سمعت نباح كلب وصراخ مستغيث فاسرعت الى هذا المكان ورأيت ما ترون . فقالت نفورس

— لا مشاحة في انكِ غريبة الاطوار فهل سُمع في الدهر ان الفتيات يتركن غرف النوم ويخرجنَ الى مواقع القتال. وقال اوريون ولو كان معكِ شيءٌ من السلاح يا ابنة الابطال .... فقاطعتهُ باولين وقالت

— لقد خليت السلاح للابطال والقتلة ثم حوَّلت اليهِ نظرة احدّ من السهم فندم على خطابهِ وحاول صرف الحديث فقال على انكِ مخطئة في زعمكِ فليست هذه الجراح في صدر الفتاة وكتفها طعنات سلاح ولكنها اثر براثن الكلب ولا ادري ما الذي جاء بماندافي الى دار التحف حتى جرى ما جرى فقالت امهُ

— ولكن حذاءُ مَن هذا الذي اراهُ هنا. فعلت جبين اوريون صفرة الوجل وحسب الف حساب واخذ يضرب اخماساً لاسداس فانهُ لم يدخل الى دار التحف حتى تيقن ان الباب المؤدي الى القاعة موصد وان المكان خالٍ من الانس فقلق وخشي ان يكون قد رآهُ احد

لكنهُ عزم على البحث فالتقط الحذاء وسأل الخدم عن صاحبهِ فلم يعرفوهُ فقال

— لكنَّ هذا الحذاء مصنوع عندنا وعليهِ سمة معملنا تخذهُ يا سبك وتحقق صاحبهُ وغداً نرى ما يكون من امرهِ ثم التفت الى باولين وقال

— لقد كنتِ اول الواصلين الى هذا المكان بحسب قولكِ فهل ابصرتِ فيهِ رجلاً فاجابتهُ والغيظ يكاد يخنقها

— نعم

— وكيف سار

— رأيتهُ يعدو كالجبان في عرض القاعة ثم خرج الى الحديقة التي امامها حتى غاب في غرف النوم

فحرَّق اوريون اسنانهُ وغلت البغضاء في صدرهِ وخشي ان تكون باولين واقفة على دخيلة امرهِ في تلك الليلة فتفضحهُ وتفشي سرهُ وتمنى لو تخسف الارض بها فلا تبوح بما في صدرها. فقالت امهُ لعلَّ الفاعل اراد اباك يا اوريون قصد الفتك بهِ فاسرع يا سبك الى غرفة مولاك وقم على حراستهِ بما نعهدهُ فيك من الامانة وانت يابني تحقق اللص من آثارهِ ولا تخلهِ يفلت من يديك. فالتفتت باولين الى البستاني وطلبت اليهِ ان يقيس الحذاء على الآثار التي في الحديقة فاعترضها اوريون قائلاً هذا شغلي انظر فيهِ بنفسي قال هذا وحمل الحذاء وخرج الى الحديقة فاستاءَت باولين لتداخلهِ وخشيت ان يضيف الى ذنوبهِ في تلك الليلة الكذب كأن يقول ان الآثار تطابق الحذاء حجماً وشكلاً فلما عاد قال لا استطيع الجزم في الامر فالحذاء اكبر من اثار الاقدام هناك

وكانوا قد ارسلوا من يأتي بالطبيب فلما جاء انفردت نفورس بابنها وسألتهُ عن سبب صفرتهِ واضطرابهِ وهي تحسبهُ مريضاً فقال لها لقد احزنني منظر هذه الفارسية

وفيما هم كذلك اقبل بعض الاتباع يحملون رستماً شيخ قافلةهاشم التاجر العربي فوضعوهُ في القاعة لا حراك بهِ وذلك انهُ كان مع اتباع المقوقس كما تقدم فلما دار الحديث على المذاهب واختلافها ابدى ازدراء واستخفافاً بمذهب اليعاقبة فتناول احدهم هراوةوضربهُ على رأسهِ فالقاهُ جريحاً فكشف الطبيب عن الجرح ثم وقف وهو يتميز غيظاً وقال هذه ضربة مصري بحت فانها في مؤخر الرأس فتفرقوا عني ايها الاتباع وليبقَ هنا اصحاب الشأن فقط وهاتوا لي محملين وانت ايتها السيدة نفورس مريهم ان يعدُّوا غرفتين للجريحين فان هذا الفارسي في خطر

— سآمرهم باعداد الغرفتين المجاورتين للقاعة

— كلاً فاني اريد غرفتين تشرفان على النيل فالجريحان في حاجة الى الهواء الطيب النقي

— لم يبقَ اذاً سوى غرف الضيوف حيث تقيم باولين ولو كان الجريحان من اهل البيت لاذنت لها في البقاء فيها ورياش هذه الغرف نظيف ثمين وقد اعددناها لكبار الضيوف

فقال الطبيب — لا اكبر الآن من هذين الجريحين فانهما اقرب الى الله منّا جميعاً فليحملها الخدم الى غرف الضيوف

الفصل التاسع

ما كان اوربون ليخشى باولين لولا جريمة ارتكبها تلك الليلة فاتت قذىً في عينهِ وشجى في حلقهِ حتى اذا ما رآها تعتني بالفارسية وسمعها تتهمهُ بمحاولة قتلها علم انها كانت في القاعة ساعة كان في دار التحف وظنّ انها رأتهُ متلبساً بجرمهِ فمني بتبكيت الضمير وهجرهُ النوم وطاب الانفراد وتجلّت لهُ فعلتهُ باسمج الالوان واقبح الصور فعلم انهُ في قبضتها وعجب لنفسهِ كيف اقدم على عملهِ هذا نخاطر بشرفهِ وهو عميد القوم وابن واليهم . وتحرير الخبر ان اوربون قضى سهرتهُ في بيت كاترينا حيث لقي عمها فحدثهُ بحديث القطيف الذي ابتاعهُ ابوهُ هدية للكنيسة ووصف لهُ جمالهُ وما فيهِ من الجواهر النادرة المثال حتى اتى الى الزمردة فاطنب في صفاء مائها وكبر حجمها وغلاء قيمتها فلما فرغ من الكلام قال الآخر

— او يأبى عليك ابوك ان تأخذ شيئاً من جواهر هذا القطيف وانت ولدهُ وفلذة كبدهِ او نسي ان الكنيسة في غنى عن هذه الجواهر وخزائنها تتدفق بالثروة فقد حقّ لك ان تأخذ نصيبك منها فتهديهُ الى عروسك فالنساء يطمعن في الحلى ويرين فيها من اللذة مالا نشعر بهِ نحن . ولما جلسوا الى الطعام استرسل الرجل في حديثهِ هذا فزاد اوربون شوقاً الى احراز الزمردة التي في القطيف قصد ارسالها الى نسيبة يوستينوس في القسطنطنية قياماً بوعدهِ لها ومقابل هدايا اهدتها اليهِ كالخيل التي جاء بها فلما عاد الى البيت سار توًّا الى دار التحف ففتحها وعمد الى القطيف فنزع منهُ الزمردة وقلبهُ يخفق وجلاً لان ذلك كان اول عهدهِ بالسرقة

فلما حدث ما حدث مما ذكرناهُ آنفاً تبدّلت ظنونهُ وازداد قلقهُ فقضى بقية ليلهِ يتقلب على احرّ من الجمر ورأى في باولين عدوًّا لهُ لا بدّ من مناجزتهِ او التسليم اليهِ . وادرك انها ليست ممن تنطلي عليهم الحيل وظنّ انها تنوي الايقاع بهِ وتشهيرهُ بعد ان اتهمتهُ بمحاولة قتل الفارسية وظل على تلك الحال نحو ساعتين ثم هبّ من اضطرابهِ وقال اذا شاءت الخصام فانا كفؤها . نعم ان نسيبة يوستينوس جميلة بهية كملاك وقد اقترفتُ جرماً كبيراً لاجلها وارتكبتُ وزراً لا يغتفر ولكن ما الحيلة الآن وقد كاد الامر ينكشف فلا بدَّ من الثبات . ثم امر قهرمان

بيتهم وقائد الحرس ان يقتفيا آثار صاحب الحذاء حتى يقفا عليهِ وعمد الى اساودهِ فخطَّ ابياتًا من الشعر لفتاة القسطنطينية ثم لفَّ الزمرُّدة وشدها الى الرسالة وارسل فاستدعى السائس الذي اتى بخيلهِ من عاصمة الروم الى منف فامرهُ بالاستعداد للسفر ودفع اليهِ الهدية واوصاهُ ان يسير توًّا الى الاسكندرية و يركب اول سفينة وجهتها القسطنطينية ثم رافقهُ الى خارج المدينة وهو يعيد عليهِ اوامرهُ بسرعة المسير وكتمان الامر . و بعد ان سار بضعة اميال عاد الى البيت وقد اطمأَنَّ فؤادهُ وخفَّ جزعهُ اذ اقصى عنهُ الشاهد على سرقتهِ لكنهُ ودَّ لو تنقص حياتهُ سنة وانهُ لم يرتكب هذه السرقة على انهُ لم يكد يستقرّ في مخدعهِ حتى عاودتهُ مخاوفهُ وتضاعف قلقهُ فاخذ يفكر في باولين وما ابدتهُ من مظاهر العداء لهُ وحار في تعليل الاسباب التي دفعتها الى عملها هذا واتهامها اياهُ بالقتل في حين انهُ لم يقترف ذنبًا يمسها وعجز عن الوقوف على علة نفورها منهُ بعد ان باحت عيناها بحبها لهُ ليلة كانا يروّحان النفس في السفينة مع ابويهِ فقال في نفسهِ لعلَّ الباعث الى ذلك غيرتها من كاتورينا ولما خطر ببالهِ هذا الخاطر شرع يقابل بين الاثنتين تلك في جمالها وشممها وسموّ عواطفها وشرف نسبها وهذه في قصر قامتها وخفتها وثروتها تلك الثروة التي اشتهتها امهُ على ما كان لها ولابيهِ من الاموال التي لا تقع تحت حصر

ولبث ساعة كذلك تتنازعهُ الافكار حتى اعيا فارتمى على سريرهِ وران الكرى على اجفانهِ فرأى رؤيا تمثلت فيها باولين على عرش من الماء الازرق مفروش بالورود واصوات الغناء تتصاعد حولها فتقدم اليها واذا بنسر اسود كبير انقضَّ عليهِ ولطم وجههُ بجناحيهِ حتى كاد يعميهِ ثم تحوَّل الى الورود فاخذ ينقرها كما تنقر الفراخ حبوب الحنطة فغاظهُ ذلك وعمد الى النسر يريد القبض عليهِ فلم يستطع المشي وكأن قدميهِ مشدودتان الى الارض فحاول الركض وهو يضرب بيديهِ ذات اليمين وذات الشمال وبينما هو كذلك استيقظ وجبينهُ يكاد يتفصد عرقًا فلما فتح عينيهِ رأى امهُ واقفة بجانبهِ وقد علا وجهها الاصفرار فاخبرتهُ ان اباهُ بانتظارهِ في المجلس وانهُ في حاجة اليهِ فنهض من سريرهِ واصلح شعرهُ وهو يفكر في ما عسى ان يكون الغرض من تلك الدعوة ولما فرغ خرج من غرفتهِ يريد الذهاب فاستوقفتهُ شدة الحرّ في الدار والحديقة وقد صرَّ الجندب واشتدَّ الهجير وامتلأَ الجو بوهج الشمس المنعكس عن سطح الارض وكأنَّ جميع المخلوقات استسلمت لفعل الحرّ حتى خيل لهُ ان الماء في النوفرة بطيء الجريان فزاد ذلك في كدرهِ وغمهِ وشعر كأنَّ ثقلاً أُلقي على صدرهِ وكأنَّ رجليهِ مقيدتان و يديهِ مكبلتان فسار الهوينا حتى بلغ المجلس فابصر فيهِ ما راعهُ وزاد في اضطرابهِ اذ رأى امام سرير ابيهِ القطيف الفارسيَّ منشورًا بعضهُ و بجانبهِ امهُ وهاشم التاجر العربي فحيَّا والدهُ والحاضرين ثم نظر اليهم وقال

ما بالكم صامتين كأنَّ على رؤوسكم الطير . ان المصيبة شديدة الوطأة وقد احزنني ما الم بتلك الفتاة التعيسة واغضبني ما اصاب رستم شيخ القافلة فأيقن ايها التاجر ان القصاص سيحل بالمجرمين فيلقون جزاء ما جنتهُ ايديهم وسيخولك ابي حق الانتصاص منهم كما تشاء ولا تخشَ بأساً على رستم فان فيلبس الطبيب يداويهِ ويشفيهِ باذن الله وما ذلك على مهارتهِ بكثير وهو ابقراط مصر وطبيبها النطاسي اما التعويض فانت أدرى بأبي ولا أراني في حاجة الى الاسهاب.

فهبَّت النخوة العربية في صدر هاشم والتفت اليهِ مغضباً وقال

— مَهْ ولا تجمع بين شرين اهانتي والجراح التي اصابت صديقي الباسل تحت سقف بيتكم فلست بائعاً حقي بمال ولو مال المقوقس ولن اتحوَّل عن طلب النقمة وقصاص القتلة اللئام فقد جاء في كتابنا ان القتل انفى للقتل وان في القصاص حياة واراكم تجرون على هذه القاعدة ولو ان كتبكم تقول غير هذا القول . ويسوءُني ان امثال هذه الحوادث تحدث في بيت الرجل الذي استعملهُ الخليفة على نصارى مصر فقد سمعتكم تفاخرون برحابة صدركم وعدم تعصبكم فما قولك في ما فعلتموهُ برجل نزل عليكم فقتلتموهُ ايام السلم وهبهُ نجا من الموت فسيبقى معتوهاً طول عمرهِ واما امانتكم . . . . . .

اوريون — ومن يجرأُ على الارتياب فيها

هاشم — انا يا فتى فقد بعتكم امس شيئاً واراهُ اليوم عطلاً من اثمن جواهرهِ وحينئذٍ التفتت امةُ اليهِ وقالت لقد اقتلعوا الزمردة النفيسة من القطيف في الليلة البارحة بعد ان مررت بنفسك مع الخدم الذين حملوهُ الى دار التحف حيث اودعتموهُ . فقال اوريون

— نعم فقد كان الامر كذلك ونحن نقلناهُ في نفس الثوب الذي لفهُ بهِ اتباع التاجر ورافقنا سبك قهرمان بيتنا فمن الذي جاء بالقطيف اليوم منهُ

هاشم — لحسن الحظ ان جاءت بهِ امك وسبك وحملهُ عبيدكم

اوريون — وعلامَ لم يتركوهُ وشأنهُ

هاشم — ذلك لاني قلت لابيك ان جمالهُ لا يبدو على اتمهِ الاَّ في النهار في نور الشمس . وقالت امةُ وزد على ذلك فان اباك رام ان يعيد النظر في ما ابتاعهُ واراد ان يسأل التاجر عن خير الوسائل لاقتلاع حجارتهِ الكريمة منهُ دون ان يمسهُ بسوءٍ فذهبتُ وسبك بالعبيد الى دار التحف واتينا بهِ

اوريون — وكيف دخلتما الدار ومفتاحها معي

امةُ — وجدنا الباب مفتوحاً

اوريون — ولكني افقلتهُ بحضور سبك

سبك — نعم وقد سمعت باذني رنة القفل . فقالت امهُ بقي اذًا انهم فتحوا الابواب النحاسية بمفتاح آخر فاننا حالما دخلنا الفينا القطيف منشورًا فتأملناه فاذا الزمردة منزوعة من مكانها . فاصفرَّ اوريون وصاح يا للعار وقال المقوقس

— اقسم بالسيد المسيح اني لا اغفل ولا استريح ولا انفك انقب عن الجاني حتى القي القبض عليهِ . فقال هاشم

— وانا اشاركك في البحث ولو دعت الحال الى رفع الامر الى عمرو بن العاص فقد بدرت كلمة الآن لن انساها وقد ادركت يا فتى مغزى كلامك وما يدور في خلدك فقد حدثتك نفسك ان هاشمًا خبٌ مكّار باع اباك في ما باعهُ زمردة كاذبة فلما خيم الظلام ارسل من يسرقها تحت جنح الليل قبل ان يطلع النهار وتنكشف الحيلة فاعلموا يا قوم انني رجل امين واموالي بفضل الله كثيرة فاذا تجرأ احد ان يثلم شرفي وصيتي فليعلم ان لهذا الشيخ الفاني من الاخوان الذين يأخذون بناصرهِ و يشدون ازرهُ من لا قبَل لكم بمناجزتهِ . ولما انتهى الى هذا الموقف اغرورقت عيناه بدموع الغمّ والكدر فقاطعهُ اوريون وقال

— ومن الذي تجرأ فاتهمك بمثل ما تقول . فقال

— امك ولو لم تقل ذلك صريحًا . فقال المقوقس

— عفوًا ايها التاجر ولا يثر ثائر غيظك فقلوب النساء ارقّ من قلوب الرجال لكنهنَّ اقرب منهم الى سوء الظن لا سيما بالخارجين عن عقيدتهم فقد قيل ان شعر المرأة طويل وعقلها قصير . فاجابت نفورس

— قولوا في النساء ما شئتم اذا كان ذلك يبرّد غليلكم على اني اعترف بخطائي واستميحك العفو ايها التاجر

— على الرحب والسعة فقد قضيت ما مضى من العمر ولا غبار على اسمي وصيتي فلا غرو اذا لم اطق ذلك الآن على اني ساقف وقتي على البحث عن هذا الامر فلا احيد يمنة ولا يسرة حتى يبدي الصريح عن الرغوة فقولوا لي أ كان الكلب القائم على حراسة دار التحف عقورًا . فاجاب اوريون

— يكفيك من ذلك ما فعلهُ بالجارية الفارسية . وقالت امهُ

— لقد كنتُ اول الواصلين الى مكان الواقعة ولو كان السارق اجنبيًا لما تركهُ الكلب وشأنهُ فهو اذًا من البيت او من الخدم ولا يحتمل ان يكون باولين التي سبقت الجميع الى اغاثة

ماندالي فانها . . . . . فقاطعها زوجها وقال منتهراً

— تجاوزي عن اسم باولين في هذا الحديث . فقال هاشم

— او تعنون الفتاة التي كانت معكم امس اذاً اموالي حرام عليَّ ان كانت هي السارق ومن كان مثلها فابعد الاشياء عنهُ ارتكاب الخيانة . وقال اوريون ومن يصدق ذلك عن باولين فصاحت امهُ

— عجباً للرجال تفتنهم عين نجلاء وتسلب البابهم ولكنني لم اتهمها فاسمعوا ما اقول واعلموا انَّ ذات الشعر الطويل قد تكون ذات عقل كبير ايضاً فقد وجدوا حذاء رجل في القاعة فهل صدعت بامر مولاك يا سبك وهل اوعزت اليهم ان يحققوا صاحب الحذاء

— نعم يا مولاتي واني انتظر الساعة قدوم قائد الحرس الذي كلفتهُ قضاء الامر ولم يكد يفرغ من عبارته هذه حتى طلع عليهم القائد المذكور فاخبرهم بما فعلهُ قال طرحنا الحذاء امام كلاب الصيد حتى شمتهُ ثم اطلقناها فجرى اثنان منها الى الباب المؤدي الى غرف النوم وتسلق السلَّم الى غرفة السيدة باولين ثم عادت الكلاب باسرها الى الاصطبل فدارت في انحائهِ وهي تهرُّ هريراً شديداً وكأنها الشياطين تجري لتقبض نفوس الهالكين ولم تلبث ان هجمت على الفتى ابن حيرام مربي الخيل الذي جاء من دمشق مع ابنة توما العظيم فالقتهُ على الارض ثم اندفعت الى غرفة ابيهِ فقلبت الامتعة وبعثرتها حتى لم يبقَ عندنا ريب ان صاحب الحذاء هو حيرام بعينهِ وقد اقتفت الكلاب اثرهُ الى ضفة النيل ووقفت هناك وبعد البحث تبين لنا ان احد القوارب ناقص وعندي ان الرجل عبر النهر الى العدوة الشرقية فاذا لم يجرهُ العرب تهيأ لنا القبض عليهِ قبل ان ينجو . فصاح اوريون

— لقد عرفنا السارق وانت ايها القائد نخذ بعض رجالك واعبر بهم النهر والقِ القبض عليهِ وسيعطيك ابي امراً قاضياً بذلك فيساعدك العرب على اسرهِ فاذا ظفرت بهِ اليوم فقد يحدث ان تكون الزمردة في قبضتهِ

وفيما هم كذلك دخل الحاجب فاخبر المقوقس ان غمالائيل الصيرفي اليهودي بالباب يلتمس صدور الاذن في المثول بالحضرة ليطلعهم على امور ذات بال بشأن الزمردة . فامتقع لون اوريون وحوَّل وجههُ عن التاجر وانزاح من مكانهِ فلما صار غمالائيل في حضرة المقوقس سئل عما يعرفهُ من امر الزمردة فقال

جاءني صباح اليوم الرجل حيرام من خدم هذا البيت وبيدهِ زمردة كبيرة كريمة فعرضها عليَّ للبيع واقسم لي انها اتصلت اليهِ من تركة القائد توما وان سيدهُ اتخذها ايام مودَّدهِ

وعزه حليةً في رأس جواده فرضيتُ ان ابتاع الجوهرة وعرضت عليهِ ثمنًا مليحًا نقدتهُ منهُ الفي درهم معجلة كان في حاجة شديدة اليها وخلى الباقي وديعة عندي ولما انفصل عني تنازعتني الافكار ولم اعتم ان رأيت رجال الشرطة يجرون بكلابهم في الشوارع وقد علت الجلبة والضوضاء فسألت عن الخبر فقيل لي انهم يبحثون عن رجل سرق شيئًا من بيت الوالي فعلمت اني مخدوع واني عقدت صفقة خاسرة فاسرعت الى القصر واثقًا بعدل المقوقس وهانذا اتنازل عن هذا الحجر الكريم مقابل ما نقدت حيرام ولا اطلب منكم فائدة لمالي ولا ابتغي اجرًا ولا جعلاً مقابل حفظي هذه الوديعة الثمينة في يدي ساعتين او اكثر . فلم يرُق مزاحهُ البارد في عين هاشم فقال لهُ هات الزمردة ومدَّ يدهُ فانتزعها منهُ وشرع يقلبها في يديهِ ويحدق فيها النظر ثم اخرج من جيبهِ مطرقة صغيرة فدقها بها وهو يفحصها فحص خبير بانواع الحجارة الكريمة حتى اكتفى . هذا واوريون كن في النزع تارة يصفرُّ وطورًا يحمرُّ اذ خشي ان يكون رسولهُ الى الاسكندرية قد باع الزمردة الى حيرام وهذا باعها الى اليهودي ولمَّا اعياهُ الامر التفت الى غمالائيل وقال

اواثق انت ان حيرام باعك الزمردة وهل تعرف الرجل معرفة تامة فان المسألة شديدة الاهمية وعقابهُ او براءتهُ من التهمة يتعلقان على كلامك

فقال اليهودي ليبارَك اسم الرب اترتاب يا مولاي في صدق قولي اوَ بقي في منف اليوم من يجهل حيرام ولا يعرف تمتمتهُ فكم من مرة رأيناهُ يعود بخيلك السراع كأنهُ ملاك الموت فيدوس الشيوخ والاطفال . فقال اوريون

— اتذكر اية ساعة اتاك اليوم

— اتاني بعد صلاة الصبح بقليل ساعة يقع نور الشمس على الدكة امام بيتي

— وفي اية ساعات النهار يكون ذلك

— لساعتين بعد الشروق في هذه الايام

فسرِّي عن اوريون وذلك لان رسولهُ الذي سار بالزمردة الى الاسكندرية انفصل عن منف بعد شروق الشمس باربع ساعات ولما كان شديد الثقة بصدق اليهودي اطمأنَّ بالهُ لكنهُ ما برح يظن الزمردة عين التي ارسلها وتمنَّى ان لا يقبض الشرطة على حيرام الى ان قال في نفسهِ وهب انهم فعلوا فشرفي اثمن من حياة مئة سائس فاذا اقتضى الامر ضحيت صبيتهُ فديةً عني وحقنت دمهُ بمالي من النفوذ عند ابي ثم التفت الى هاشم فقال

— اتأذن لي في فحص الزمردة فقد اعياني امرها فهل تظن ان في الوجود زمردة اخرى تماثلها

فقال هاشم هذا امر يصعب الجزم بهِ فان هذا الحجر اشبه بالذي كان في القطيف من الماء بالماء لولا نتوء في احد جوانبهِ لا اذكر انني رأيتهُ في ذاك وقد يحدث ان هذا النتوء كان مختفياً في الذهب المحيط بهِ ولكن قل يا جوهري أكانت الزمردة كما هي الآن لما اشتريتها من السارق

— نعم كانت عارية كآدم وحواء قبل ان اكلا من الثمرة المنهي عنها. فقال التاجر

— يا للحيرة فقلبي يحدثني ان هذه ليست تلك وتكاد عيني تقنعني انها هي لولا ان في هذه طولاً يزيد عن طول تلك فقال اوربون

— أوَ يصدَّق ان هذين التوأمين وجدا في ساعة واحدة وفي بيت واحد فلم يبقَ اذًا الأ ان هذه هي زمردة القطيف عينها وقد سرَّني اننا ظفرنا بها بعد ضياعها وسأحرص عليها الآن فاضعها في خزانة الحديد ومتى قبضتم على السارق فادعني ايها القائد للنظر في امرهِ . ثم حيا والدبهِ وهاشماً وخرج وهكذا اتضحت براءة التاجر لكنهُ ظلَّ مضطرب البال وكأن في قلبهِ ريباً لم يستطع محوهُ فلما اخذت الجماعة تتفرق نهض هو ايضاً وترك المجلس وعاد من حيث اتى

بحيرة طبرية وواقعة حطّين

احسنُ ما فيهِ يسرح النظرُ ... وادٍ بحيثُ الأُردنُّ ينفجرُ
غارت عليهِ النجودُ من شغَفٍ ... فالغور ما بينهنَّ منحصرُ
قامتْ على الجانبين تخفرهُ ... كذلك الحسن شأنهُ الخفَرُ
مبتدئُ الجري في الشمال لدى ... شيخٍ لهُ الكبرُ بات والكِبَرُ
هاوٍ الى الموت في الجنوب لدى ... بحرٍ ولا كالبحار يحتضرُ
ومن يؤمُّ البياض لمَّتهُ ... فهل سوى الموت بات ينتظرُ
يا شرقَ هونين كم لديك جرى ... معينُ ماءٍ حصباؤهُ دُرَرُ
الشطرُ تلُّ القاضي يسلسلهُ ... والشطرُ من بانياسَ ينحدرُ
والحاصبانيُّ بات إثرَها ... يشتدُّ في الجري ليس يصطبرُ
يملأُ منها الاردنُّ بركتهُ ... ويزدهي مرجُ حولةَ الخضرُ
حيث وشيجُ اليراعِ مشتبكٌ ... كانما الخطُّ ثَمَّ والسمرُ
حيث نموُّ النبات معجزةٌ ... كانما سوق قمحهِ الشجرُ

والصيدُ ما إن يزال عن كثَبٍ لا كِنَّ من دونهِ ولا قتَرُ
بحيرة لم يَرِمْ بساحتها ضاقَ بها ان تُقلَّهُ الصغرُ
يمٌ أُخرى ورام ثالثةً لقد ترامت بهِ نوىً شُطُر
أمن جسرُ البنات معبرَهُ وربما خاض دونهُ الجسرُ
حتى اذا فاض من هناك غدت ارض البطيحاء منهُ تزدهرُ
ارضٌ علت ماؤُهُ مناكبها وبات منها للبحر ينفغرُ
اقبلَ يُرغي وما بهِ قطَمٌ وظلَّ يعدو وما بهِ بَطِرُ
حتى اذا ما مياههُ اختلطت بهِ تولاَّهُ بغتةً سكرُ
من بعد تلك الحياة بات بهِ ميتاً وفي البحر يغرق النهرُ

بحر الجليل الذي شواطئهُ في كل شبرٍ من رحبها اثرُ
غذا دماء المسيح موردهُ وراقهُ منهُ ريقهُ النضرُ
وبين امواجهِ واربعهِ كانت تجلَّى آياتهُ الكبَرُ
كم فيهِ للكاتبين من سيرٍ وكم نبيين فيهِ تذَّكرُ
عيسى حواريهُ وصفوتهُ والناس من حول وعظهِ زُمَرُ
والصائدون الأُلى لهُ اتَّبعوا هدًى وذاك الشراعُ منتشرُ
وكفرناحوم مع عجائبها ومن بها آمنوا ومن كفروا
والمجدل القرية التي نشأَتْ مريمُ منها والطيب منتثرُ
والزهد فيهِ الافراح قد دُمجت والفقر معهُ البيان والفقرُ
والخبز تقري الالوف كسرتهُ والمشيُ فوق المياه مشتهرُ
والقول هذي الفتاة نائمةٌ والبكرُ عزريلُ نحوها بكرُ
وكم نبَتْ بالسفين عاصفةٌ وظنَّ ان الركاب قد غبروا
فسكنَ البحر وهو مضطربٌ من بعد ما استصرخوا وماجأروا
سجا بإيماءةٍ لهُ ونجا مَن حملتهُ الالواح والدسرُ
في ضفتي هذه البحيرة لو تبحَّر الفكر حارت الفكرُ

كم خبأ الدهر في جوانبها وكم رمى فوق موجها القدرُ
ما الابحر السبعُ مع نتائجها ما الروم ما الهند ثم ما الخزرُ
وقوم موسى لهم بساحتها مركع صدقٍ وادمعٌ غزرُ
في طبريًّا مواقفٌ حُمدت وارضها مقدسٌ ومغتفرُ
بها رجال التلمود قد سكنوا وجُلَّ آرائهم بها زبروا
وكم نبيٍّ في ذي البلاد قفا موسى وكم مرَّ ههنا الخضرُ
يكفيك ما في الأُردنّ من عبرٍ نهرٌ عليهِ آباؤهم عبروا
وانَّ يحيى على شواطئهِ بين يديهِ الانام تطَّهرُ
ما الفنج ما النيل في جوانبهِ ما دجلةٌ ما الفراتُ يُعتبرُ
والغور بين البحرين منبسطٌ تسرح فيهِ الجآذرُ العفرُ
لو طبقتهُ ايدي الورى عملاً على فلسطين فاضت الميرُ
قد كان والماء غابرًا شرعًا والآن ما ان يكاد ينحسرُ
بحيرة كل شانها عجبٌ وهي من الحسن كلها غررُ
لله در الكنديِّ واصفها كانها في نهارها قمرُ
كانت تحفٌّ الجنان دورتها والآن تحتفُّ دَورها السدَرُ
مرآة نورٍ من السفوح لها اطارُ نورٍ لم تحكهِ الأُطرُ
كأنها في صفائها فلكٌ وفلكها فيهِ انجمٌ زُهرُ
اجمدْ بقومٍ رأوا محاسنها يوماً فما انشدوا ولا شعروا
عند الشمال الأُردنُّ واردها وفي جنوبيها لهُ صدَرُ
شريعةٌ من مياهها ظهرت وقد تلتها شرائعٌ أُخرُ
علَّم عيسى هنا شريعتهُ وقوم موسى توراتهم فسروا
وفي حروب الصليب قد رُفعت اعلام دين الذي نمت مضرُ

يا يوم حطّين كم حططت من الافرنج شأناً ما كان ينكسرُ
هبُّوا من الغرب كالجراد فلم يكن لشرقٍ بردّهم قدرُ

واستفتحوا القدس والبلاد ولم   يعصِ عليهم بدوٌ ولا حضرُ
وهدَّدوا المسجد الحرام وكم   دعا ملبٍّ فيهِ ومعتمرُ
وكاد يبكي الميزاب فيهِ دماً   ورقَّ مما اصابنا الحجرُ
ونابتِ المسلمين داهيةٌ   دهماء قد عمَّهم بها الذعرُ
فكلُّ كفٍّ اصابها شللٌ   وكل عزم اصابهُ خوَرُ
وكل جمع ناواهمُ انقلبت   فرسانهُ وهي للظبى جزرُ
وحوصرت جلَّقٌ ولو أُخذت   لم تبقَ مدنٌ لنا ولا مدرُ
وقيل دار الاسلام قد حصرت   وحفَّ باقي بلادهِ الخطرُ
ما زال ملءُ القلوب رعبهم   ولم يكن نافعاً لها الحذرُ
حتى تولَّى زنكي فنازلهم   وكان من شيركو لهُ وزَرُ
طليعة النصر في ولاية نور الدين ملك   بالعدل يأتزرُ
مجاهدٌ ماهدٌ بخطتهِ   في الفتح والعدل سارت السيَرُ
تقرُّ عين النبيِّ سيرتهُ   ويرتضي مثل هديهِ عمرُ
ثم ابن ايوب جاءهُ خلفاً   وليس الاَّ سروجهِ سرُرُ
مهَّد دار المعزّ فانقلبت   بيوسفٍ مصرُ وهي تفتخرُ
لما استقامت لهُ الامور ولم   يبقَ رقيبٌ وانجابت الغمرُ
اقبل في جحفلٍ لهُ لجبٍ   يطلب ثأر الدين الذي وتروا
بفتيةٍ سمرهم اذا عشقوا   سمر صعادٍ وبيضهم بترٌ
غير طعان النحور ما عرفوا   وغير جرد الخيول ما زجروا
اناخ في شاطىءِ البحيرة اذ   اليهِ عن كل ناجذٍ كشروا
فقام من ارضهِ لصدمهم   في السهل من لوبياء واشتجروا

يوم تلاقى الجمعان والتظت الـ   هيجاء حتى كأنها سقرُ
يوم تلاقى الجمعان وانتصب الميزان رهن انحرافهِ الظفَرُ
الشرق والغرب بعد طول وغى   تواقفا والبراز مختصرُ

ثلاثة والنزال بينهما نزالُ من بعد يومهِ العصرُ
فامطرتهم قسيُّ جيش صلا ح الدين نبلاً من دونهِ المطرُ
ودُّوا وقد ابصروهُ عارضهم لو سترتهم من دونهِ حفرُ
كانما قومنا وقد ثبتوا شمٌّ حصونٍ لها القنا جدرُ
كانما قومنا وقد وثبوا زعازعٌ للغصون تهتصرُ
كانَّ سوق الجهاد قائمة وهم بصنف الردى هم التجرُ
ذاق العدى من سلاف طعنهم كاساً بغير النقود تختمرُ
لما رأوا الامر غير ما حسبوا والناس من فوق صبرهم صبروا
ولوا ظبى يوسفٍ ظهورهمُ تأخذ منها فوق الذي تذرُ
ضياغمٌ اجفلوا وقد نظروا حمر المنايا كانهم حمرُ
وادبر القمص مع فوارسهِ ما غرَّهُ مثل غيرهِ الغررُ
لا عجبٌ ان نجا وحيط بهِ عادة ذي الارض نشرُ من قبروا
مالوا لحطّين طالبين نجاً فلم يفدهم ضلعٌ ولا دبرُ
واسفر السبتُ عن هزيمتهم واصبح الملك ضمن من أُسروا
وفوق ذاك الصعيد نائمهم كانهُ النخلُ وهو منقعرُ
والهيكليون من قساورهم لم يبقَ الاَّ هيا كل دُثرُ
لم يجبنوا ساعةً وان خذلوا وانما الليث دونهُ النمرُ
في حضرةٍ من شعيب قد شُعبوا كذا لهم عن مزارهِ زَوَرُ
فأُزلفوا نحو يوسفٍ خضعاً رقابهم ناكساً لهم بصرُ
تُرهقهم ذلَّةٌ وتحسبهم قوماً سكارى كأنهم حُشروا
يوسف عصرٍ صلاح مملكةٍ بكلِّ امرٍ للبرِّ مؤْتمرُ
اصبح مستحيياً دماءهمُ حياؤهُ والخلائقُ الزهرُ
أَبى عليهِ الإِباءُ مصرعهم وعفَّ اذ عفَّ وهو مقتدرُ
عفواً بهِ عمَّهم واخرج من بنكثهِ السهل ضاق والوَعرُ

وفي بارناطَ نذرهُ بيدِ اذ طالما لم تحك بهِ النذُرُ

وقال اذ تلّهُ بصارمهِ ها اناذا للنبيّ انتصرُ

ازوجَ بين التهليل مهجتهُ مخضوبةً صارماً هو الذكرُ

فاصبح الملكُ وهو مرتجفٌ ما شكَّ أنْ بالحسام يبتدرُ

ابصر جسم البرنس منعفراً فقال إثرَ البرنس أقتفرُ

فأفرج الروع منهُ في الحال اذ بُشّر ان لن يصيبهُ ضررُ

عوقب بالاسر موقناً بردى وجلّ ملكاً مع العمى العوَرُ

قاصمة القاهر للفرنج غدت وقعة قرنيْ حطّينَ مذ ظهروا

كأنَّ عليا حطين مبتدأٌ وكل فتحٍ من بعدها خبرُ

حظٌّ ابن ايوب ان يفوز بها والله في خلقهِ لهُ أثَرُ

وحظٌّ جيشٍ لبّى النداء غدت في اللوح مكتوبةً لهُ الأجرُ

قومٌ اراحوا الاقوام اذ تعبوا وقد اناموا الانام اذ سهروا

بهم جدود الاسلام قد صعدت من بعد ما كان اهلهُ عثروا

ولابن شاذي ذكرٌ شذاهُ سرى في كل قطرٍ كأنهُ القُطُرُ

قام بوجه الفرنج منفرداً والقوم من كل امة جهروا

حتى استردَّ البلاد اكثرها واصبح القدس دان والصخرُ

كانت مئات الحصون تعصمهم منيعةً اذ ثغورنا ثُغرُ

من كل حصنٍ اماط عزّتهمْ بالسيف لم يُمشَ نحوهم خمرُ

واستعصمت صورُ في معاقلها وكل طرفٍ بهِ لها صوَرُ

من فرط ما عمّهم برأفتهِ وقلّتهِ قلّهم وقد كثروا

فامتنعوا كلهم بعقوتها فهي لهم ملجأٌ ومعتصرُ

ان عيب بالحلم والوفا بطلٌ فانهُ خيرُ ما هذا البشرُ

ما شانَ طولُ الأناةِ في رجلٍ ان لم يكن شان باعهُ القِصرُ

قد كان في رقةٍ وفي جلدٍ كالسيف في ماءِ حدهِ الشَّرَرُ

جمرة بأسٍ ما شابها وهَلٌ غمرة حلمٍ ما شابها كدرُ
ما كان يدري من الوغى ضجرًا والكل في الجانبين قد ضجروا
حتى يميط العوار اجمعهُ ما هان من كان همّهُ العسرُ
امّن دار الاسلام بعد عناً كذلك الشهد دونهُ الإبَرُ
لم يلههِ عن ثغور مملكةٍ ثغرٌ ولا ناظرٌ بهِ حوَرُ
وكان من حرمة العدوّ لهُ أن ذكرُهُ في بلادهِ عطرُ
تغدو عظامُ الملوك واقفةً ببابهِ وهو اعظمٌ نخَرُ
وينحني حاسرًا بتربتهِ رأسٌ باعلى التيجان معتجرُ
شهادةً منهمُ لخصمهمِ والحق كالشمس ليس يستترُ
والفضل يحيا من بعد صاحبهِ والذكر يبقى ولو عدَتْ غِيَرُ
ونحن من بعد كل ذاك وذا لم يبقَ الاّ الحديث والسمرُ

طبرية في يناير سنة ٩٠٢ شكيب ارسلان

الاعتصاب ومضارهُ

بحث اقتصادي

كثر اعتصاب العمال في القاهرة منذ شهرين فاعتصب صنّاع الخياطين اولاً وملأُوا الشوارع بجماهيرهم ثم لاقوا السكاير والخبازون وصنّاع البقالين حتى خيّل للناس حينما رأوهم يطوفون في الشوارع جماهير مزدحمة تتقدمها الموسيقى اننا في احدى مدن اوربا يوم يشتدّ فيها الهرج والمرج لانقطاع العمال من العمل واعتصابهم على اصحاب المعامل . وقد كنا منذ عهد قريب لا نعرف شيئاً عن اعتصاب العمال سوى ما نقرأُهُ في الجرائد اما اليوم فقد سرت عدوى الاعتصاب الينا وانتشرت بين عمالنا فيليق بنا ان نبحث عن اسبابهِ ونتائجهِ اذا اردنا ان نتدارك الشر قبل تفاقمهِ ونمنع المكروه قبل وقوعهِ . ولما كان علماء الاقتصاد السياسي في اوربا قد نشروا في هذا الموضوع اسفارًا كبيرة رأيت ان استعين بواحد من كبارهم وهو العالم جوردان استاذ فن الاقتصاد السياسي في مدرسة الحقوق باكس واكتب السطور التالية

ان الاختلاف بين العمال وارباب الاعمال او بين العمل ورأس المال كما يقول علماء الاقتصاد قديم جداً . فيقول العمال اننا نعمل بالاجرة ونحن قابلون بهذه الحالة ولكننا نرغب في تحسينها بازدياد اجورنا ليتيسر لنا يوماً ما ان نصير من ارباب الاعمال كما صار غيرنا . فاذا سمع المنصف كلاماً مثل هذا استصوبهُ وارتاح اليهِ ولكن لا يخفى ان الاجرة هي ثمن عمل يعملهُ العامل فهي ثمن لمثمن مثل ثمن البضائع وثمن البضائع لا يتوقف على مشيئة زيد وعمرو بل على حالة الطلب او حالة السوق فاذا راجت البضاعة وكثر طلب الناس لها ارتفع ثمنها والا انخفض وكذا اجور العمال فان ارباب الاعمال يرفعونها اذا زاد الطلب على اعمالهم والا اضطروا ان يخفضوها او يقفلوا معاملهم . وكثيرًا ما لا يسرعون في زيادة الاجور ولا في تخفيضها لانهُ يصعب عليهم ان يعرفوا حالة السوق وهل ينتظر الرواج لمصنوعاتهم او الكساد الا ان العمال لا يصبرون في الغالب فيطالبون ارباب الاعمال بزيادة اجورهم قبل ان يكون هؤلاء على ثقة انهم يستطيعون زيادتها وقد يطلب العمال الزيادة وقتما يكون ارباب الاعمال عازمين على التنقيص خوفاً من الخسارة فيعتصب العمال و يضربون عن العمل وتكون النتيجة ضررًا عليهم وعلى اصحاب الاعمال

وكان القانون الفرنسوي يعاقب على كل تحزُّب من شأْنهِ اجبار صاحب العمل على زيادة اجور عمَّالهِ او انقاص ساعات عملهم ثم أُلغيت منهُ المادة التي تفرض هذا العقاب فلا يطالَب المعتصبون الآن الا على ما ينتج عن اعتصابهم من المشاجرات

ورفع المعتصبون في مصر امرهم الى اللورد كرومر على ما جاء في المقطم فكتب اليهم آسفاً من وقوع الخلاف بين العمال واصحاب الاعمال وآملاً ان تزول اسباب ذلك ببحث المختلفين بحثاً حبياً بلا اعتصاب عمَّا يعود بالضرر الوقتي او الدائم على العمال وعلى اصحاب الاعمال وعلى الهيئة الاجتماعية لازالتهِ . ثم قال انهُ لا يبدي رأيهُ في شكاوى العمال ولكنهُ يغتنم هذه الفرصة لابداء بعض الآراء التي يجب عليهِ ابداؤُها لحكومة الجناب العالي في مثل هذه الاحوال وهي

اولاً . يجب على الحكومة ان تلزم الحياد التام فلا تتداخل بين العمال واصحاب الاعمال بل تتركهم وشأْنهم يفضُّون الخلاف بينهم على شرط ان لا يخالفوا قوانين البلاد

ثانياً . ان تحافظ على الامن العام بجميع الوسائل الممكنة ولكن لا تستعمل الشدَّة الا اذا اقتضت الضرورة ذلك

ثم ختم كتابهُ قائلاً ان الحكومة يجب ان تفعل كل ما تستطيعهُ لمنع كل عمل غير قانوني

يقصد بهِ مس حرية واحد او اكثر من العمال والتعرض لهم في اعمالهم . انتهى

فيتضح من ذلك ان الاعتصاب اصبح الآن في مصر داخلاً في دائرة القانون اي انهُ من الاعمال التي لا يعاقب القانون عليها فلننظر اليهِ من الوجهة الاقتصادية ونبحث في حالة العمال الذين يقبلون العمل بالاجرة ولا يكثرون الشكوى فان هؤلاء يقولون ان ارباب الاعمال يربحون اموالاً وافرة فيجب عليهم ان يزيدوا اجور عمالهم ولو ترتب على ذلك تقليل ربحهم او طالت المدة التي يجمعون فيها ثروتهم . فهل هذه الشكوى حقيقية وجواباً عن ذلك نقول ان جمع الثروة الكبيرة من الاعمال الصناعية امرٌ قليل نادر فقد احصى بعضهم الاعمال الصناعية فظهر لهُ ان عشرة في المئة من اربابها ينجحون نجاحاً تاماً ونحو عشرين في المئة يفشلون فشلاً تاماً ونحو خمسين او ستين يتراوحون بين النجاح والفشل ثم يتغلب الفشل عليهم . فاذا عدَّلنا بين الجميع وجدنا الربح معتدلاً جداً واذا سلبنا العشرة الذين ينجحون النجاح التام ارباحهم ضعف شأن الصناعة وكان الضرر عاماً من جراء ذلك. فخير البلاد وخير الصناعة يقتضيان ان يبقى بين ارباب الاعمال اناس يربحون الارباح الطائلة لكي يتسنى لهم ان يوسعوا نطاق الصناعة ويرقوها والاَّ فان اجبرناهم حتى يشركوا عمالهم في ما يزيد من ارباحهم نكون قد جعلناهم مثل الذين يتراوحون بين النجاح والفشل او مثل الذين يفشلون تماماً . وزيادة غرش في اجرة العامل الواحد يومياً لا يظهر انها امر كبير بالنسبة الى رب العمل ولا الى العامل ولكن اذا كان عند رب العمل مئة عامل او الف عامل فهذه الزيادة تذهب بكل ربحهِ او بما يستطيع ان يرقي الاعمال بهِ وينفق على المخترعات والمستنبطات لان العمال لا يشاركونهُ في الانفاق عليها واذا لم ينفق هو انحطت صناعة البلاد ولم تعد تستطيع ان تناظر غيرها . ولا بد من ان يبقى عند رب العمل مال ينفق منهُ على معاملهِ وعمالهِ وقت اشتداد الازم الصناعية او التجارية ووقوف حركة الاعمال وكساد اسواق التجارة فاذا لم نترك لهُ الاَّ جزءا صغيراً من الربح نكون قد عرضنا صناعة البلاد لخطر مبين بل للخراب والدمار

ويتضح من ذلك ان العمال لا يهتمون بالمستقبل ولا يهمهم الاَّ زيادة اجورهم في الحاضر واما ارباب الاعمال فلا يفلحون الاَّ اذا نظروا الى الحاضر والمستقبل معاً واخذوا الاهبة لما يمكن ان يطرأ من الطوارىء فاذا تُرك العمال وشأنهم ولم يردعهم رادع عن الاعتصاب اوقعوا الضرر بالذين ينتظر منهم وحدهم نجاح الاعمال وحفظها من البوار وعاد الضرر عليهم ايضاً وعلى كل العمال معهم

ويزعم البعض ان الاعتصاب مفيد للعمال لانهُ من حين شرعوا يعتصبون في اوربا واميركا

زادت الاجور من ٣٠ الى ٨٠ في المئة . وهذه النتيجة صحيحة ولكن ليس الاعتصاب سببها بل سببها ازدياد الثروة العمومية وتقدُّم العلوم الصناعية واتساع نطاق الاعمال . ثم ان الاعتصاب لم يشمل كل الاعمال ولكن الاجور زادت فيها كلها فالفلاحون الذين يعملون بالاجرة تضاعفت اجورهم عندنا في هاتين السنتين وهم ابعد الناس عن الاعتصاب وزادت اجور الخدَم من برابرة وغيرهم وسبب ذلك ازدياد الثروة العمومية وازدياد الربح من الاعمال الزراعية

واسباب الاعتصاب ثلاثة وهي جهل القوانين الاقتصادية وجهل حالة السوق وطمع العمال او ارباب الاعمال . كما ان اسباب الجنايات ثلاثة ايضاً وهي جهل القانون وجهل واقعة الحال وسوء النية او الميل الى الظلم والظاهر ان الامل بتقليل الاعتصاب لا يزيد على الامل بتقليل الجنايات ومع ذلك وضع بعض علماء الاقتصاد السياسي قواعد من شأنها تقليل الاعتصاب او منع حدوثهِ وازالة الخلاف من بين العمال واصحاب الاموال سنأتي على ذكرها في الجزء التالي

عمران دمشق

« زراعتها »

منذ عهد النبط والرومان واليونان والعرب ما برحت الزراعة بحال تكاد لا تختلف في جماع ادوارها في قرن عن تاليهِ الاَّ قليلاً حتى ان قارتي اوربا واميركا لم تطرحا الاصول القديمة وتجعلا الزراعة علماً خاصاً برأسهِ يدرس في المدارس الاَّ منذ نحو مئة سنة اما بلادنا فلم تزل محافظة على تقاليدها القديمة تنهض الحاجة بالفلاَّح فيحرث ارضهُ و يثيرها اضطراراً ويبذرها ويتعاهدها بالسقي و يحصدها و يدرسها بادوات لا تطلق عليها اسم الادوات الاَّ تجوُّزاً يتعلم معاناتها من ابيهِ ووليهِ . ويا ربَّ كيف كان حال الفلاح هنا لو لم يكن من ورائهِ ذاك الخصب الطبيعي

وهذه سورية التي يضرب المثل بزكاء منابتها واعتدال طينتها وحسن مناخها وكثرة مياهها على كثرة حزونها وجبالها ما فتئت زراعتها كما عرفها الاسلاف بل كما عرفها الانسان منذ آلاف من السنين ما فيها شيءٌ من العلم ولا المعرفة يعوزها كثير مما يجود فيها من النباتات والاشجار والهمم متقاصرة عن جلبهِ والايدي مقطوعة عن المران عليهِ . قال الرحالة فولني عند كلامهِ على مناخ سورية ان الارزَّ يجود زرعهُ على شواطيء بحيرة الحولة وان النيلة تنبت بلا عمل

على ضفاف نهر الاردنّ في بيسان ولا تحتاج الاَّ الى قليل من العناية حتى تستوفي الشرائط وبعد ان افاض في الكلام على مدن سورية كافة وما اختصت بهِ من انواع الثمار والاشجار قال ان دمشق تفاخر وحقّ " لها الفخر بان فيها كل الثمار التي تحصل في ولايات فرنسا ثم ذكر ان البن" الذي يزرع في تهامة واليمن تلائم زراعتهُ ارض سورية ومناخها يلائم طبائع الثمار كلها فينبت فيها النخل كما ينبت العفص والسرو. ولا شك ان سورية كانت منذ القدم من احسن البقاع لذلك جعلها الرومان واليونان من اهم ولاياتهم وقارنوا بينها وبين مصر في الخصب وجودة التربة حتى ان احد عمال الاتراك سئل يوماً عن رأيهِ في سورية ومصر فقال " ان مصر مزرعة حسنة لكن سورية مصيف بهيج "

ومع ان الزراعة سائرة لعهدنا على الطرق القديمة العقيمة نرى البلاد خصوصاً قرى ضاحية دمشق متماسكةً احوالها نوعاً على قلة ما يصدر من الغلات الى الخارج. ولعمري لو رُفع عن الفلاح لاسيما البعيد ساعاتٍ عن الحاضرة ظلمُ ملتزمي الاعشار وفرسان الدرك وجباة الاموال الاميرية وقُلِّلَ من عدد الاعانات التي يقضي عليهِ دائماً ان يدفع قسطهُ منها مضاعفاً بالجبر والقوة وأُبطلت سخرة الانسان والحيوان الى المطارح الشاقة النائية لغدا ما يُدعى بالغوطة من هذا البلد الامين زهرة البقاع والضياع وانموذج الحقول في سائر الاصقاع

ومنذ خفّت وطأة المصادرات في الظاهر واطمأن ارباب الاراضي الواسعة على املاكهم وانتشر الامن في الاطراف بطبيعة الزمن حسنت والحق يقال حال المزارع وتوفر اهلها على استثمارها واستنباتها بحيث اصبح ما يحيط بدمشق منها عامراً بصنوف الثمار والغلات يدر لبناً وعسلاً . اما ما هو وراء الجبال من القرى فحالهُ سيئة . هناك تنفرج مسافة الخلف وينفسح ميدان الخبث فيبسط ارباب النفوذ ايديهم عليها وحال الفلاح ثمت كما كان حالهُ في روسيا قبل مئتي سنة يباع مع الارض كما يباع الزنجي الرقيق وهيهات ان يحصل الاَّ بشق النفس قوتهُ من الخبز القفار المعمول في الملة من الذرة او الشعير والغني منهم من يأكل خبز الحنطة ويذوق اللحوم مرة في الاسبوع وقس على ما ذكر ما لم يذكر

واهم محاصيل البلاد الحنطة والشعير والذرة والفول والعدس والبيقية والحلبة والفصة والقنب والزيتون والجوز واللوز والمشمش والدراق والبطيخ والخيار. والبقول على اختلاف انواعها تنبت غالباً في الحدائق القريبة من هذه المدينة . قال البدري وكان حكماء اليونان ازدرعوا هذه الرياضَ والازهار في سفح جبل قاسيون لحكمة وهو انهُ يقيها البرد وكونها في دائرهِ وان النسيم اذا مرَّ بها يحمل منها ما استطاع ويسري بهِ الى من تحتها من اهل المدينة والسكان

ومن اهم الغلاَّت الصيفية في الغوطة القنب الذي يزرع في اثنتين وعشرين قرية عدا الحدائق المجاورة لدمشق وذلك للانتفاع بقشره وبزره . يعتاش بهذا الموسم الوف من الخلق ويشغل الفلاَّح السنة بطولها فقد يبذره في آذار او نيسان ثم يتعهده بالسقي والتعشيب الى اواخر ايلول وعند ذلك يقلع من الارض وقد اربى طوله في الغالب على ثلاثة امتار فيحزمونهُ حزماً وينقعونهُ بالماء في مناقع خاصة به نحو اربعين يوماً ثم ينشرونهُ وتأخذ النساء ينزعن قشرهُ عن عوده حتى اذا كشط يحزم فيباع الرطل الشامي من قشره غالباً بستة الى تسعة قروش تعمل منهُ الحبال وغيرها . وقد يصدر منهُ قليل مما يفيض عن حاجة البلاد

ورائحة المناقع تضرُّ كثيرًا بصحة اهل القرى القائمين على معالجة القنب اذ تنبعث منها روائح كريهة وجراثيم قتَّالة تراهم من جرائها صفر الوجوه ضئال الاجسام لكثرة ما يتعرضون لهُ من العفن . ولو كان هذا القنب يجود في قرى البلاد المتمدنة لعُنيت حكومتها برفع اضراره عن رعاياها ولو كان القنب يُغمر بالمياه على هذا النحو في فصل الصيف لهلك ثلاثة ارباع السكان المارسين لصنعه ولكن المستنقعات قد لا تضر في الشتاء ضررها في الصيف

هذا وقد كانت قديمًا في دمشق اشجار وانواع من الثمار منوَّعة ابلاها الزمن . قال كاتب جلبي ان في خندق قلعة دمشق اشجارًا مثمرة وشجر الكستانة والمشمولة واعني البيسيم وهو شجر مثمر كالاجاص ولا كستانة ولا بيسيم لهذا العهد . وهنا ننقل فصلاً ذكرهُ صاحب محاسن الشام في انواع الزهور والثمار في القرن التاسع فقال :

الورد جنس تحتهُ ستة انواع بدمشق خلا الاسود . والنرجس وتحتهُ انواع كاليعفوري والبري والمضعف . والبنفسج انواع عراقي ومليحي وابيض . والياسمين وهو بلدي وتوتي وعرائسي واصفر . والمنثور اصفر وابيض وبنفسجي وازرق . والسوسن ابيض واصفر وازرق . والزنبق والبهار والارديون صنف من الاقحوان منهُ ما نوارهُ اصفر ومنهُ ما نوارهُ احمر . والبابونج والآس . والريحان جنس تحتهُ انواع ترنجي وجاجمي وطثري وطراطيري وجُمَّم . والنمام وشقائق النعمان والنينوفر اصفر وازرق وبنفسجي واحمر . والبان . والترحنا كان يطلع خارج المدينة في الغور وفي الارض الحارَّة من قرى الشام ويعمل منهُ دهن . والخيلاف شجر يشبهُ الصفصاف غير انهُ في اوائل الربيع تصبغ جميع اغصانه بالاحمر كقضبان المرجان . والزنزلخت والسرو . قال فان حكماء اليونان لما رأوا الجانب الشمالي يصلح لزراعة الازهار ورأوا جانب الارض القبلي اختاروها لغرس الاشجار فمنهُ المشمش وهو واحد وعشرون صنفاً بدمشق . حموي . سندياني . اويسي . عربيلي . خراساني . كافوري . بعلبكي . لقيس . لوزي . وزيري . كلابي . سلطاني .

حازمي . ايدمري . منيني . بردي . ملوَّح . ضراط البخاتي . جلاجل القلوع * ومن محاسنها القراصيا وهي سبعة اصناف . رشيدية . بعلبكية . افرنجية . رومية . طعامية . بزرة . فيجية * والكمثرى اي الانجاص وهو اصناف . عثماني . عيلاني . خلافي . سمرقندي . صيني . ملكي . صقلاني . مغازلي . بيرودي . رحبي . وربي . قناديلي . خنافسي . معنَّق . همروري . عرب . بعلبكي . ماوردي . عقرباني . شتوي . صيفي . سكري . قهلي * ومن محاسنها التفاح وهو اصناف كثيرة بدمشق نذكر بعضها . سكري . مسكي . فتحي . صيني . شتوي . صبني . قاسمي . فاطمي . نخابي . فضي . حديثي . جناني . حرستاني . لبناني . حلواني . رهشاوي . اخلاطي . قصري . بربري . نبطي . ماوردي . بطيخي . مجهول * والدراقن . ويسمى في القاهرة خوخاً وهو اصناف بدمشق منها . خواجكي . رصاصي . حمصي . نيرباني . لوزي . ازبق . لقيس . كلابي . صالحي . غنمي . مطغري . سافري . صوري . زهري . لحم الجمل . مجهول * والاجاص ويسميه اهل الشام الخوخ كان يوجد بها اصنافاً صيفي . زجاجي . قبرصي . اسود . عين البقر . خوخ الدب . خوخ الطعام . اغبر . سفير . حابكي . برقوق . مجهول . بزرة * والزيتون . والرمان بدمشق اصناف شوبكي . بردى . ماوردي . مليسي . كوفي . برجنيقي . سجاقي . سويخي . مصري . سلطاني . محجر . مطوق . تدمري . لقيط . حصوي . طقاطقي . قطي . مشبه . حامض الطعام . لفان . رأس البغل . مجهول * والبطيخ اصناف والعنب كذلك منها بلدي . خناصري . عاصمي . زيني . بيتموني . قناديلي . افرنجي . مكاحلي . بيض الحمام . حلواني . بوارشي . جبلي . قصيف . ايزاز الكلبة . قشليش . كوتاني . عبيدي . شعراني . جوزاني . داراني . مخ العصفور . عرايشي . رومي . مشهي . نيطاني . عصيري . رناطي . درق الطير . سماقي . جرصي . مجذع . شفراوي . دربلي . قاري . علوي . عينوني . مورق . مسعر . مسمط . مرصص . مخضر . مقوص . حماري . تفاحي . رهباني . زردي . مبرد . مخصَّل . مغازلي . شحمة . القرط

ومن محاسنها اللوز وهو اصناف منهُ الجبلي . قسطاسي . عربيلي . عقابي . بندقي . شحمي . والخشخاش والسفرجل والبطيخ الضميري الاصفر والسمرقندي والسلطاني والشامي والمخطط الاصفر وهو المسمى بالشمام ويسمى بمصر باللفاح * والتين وهو انواع منهُ البرزي والمزي . ماسوني . رومي . بعلبكي . كعب الغزال . غريب . طيفور . شتوي . جبلي . حفيراني . ملكي . عبلي . مكتب . مجهول . درق الطير * والخيار والقثاء والمليون والطرخون والكرنب والقنبيط والباذنجان . والكراث والجزر والزعتر والفجل والسذاب والنعناع والرشاد والبقلة والاسفاناخ

والكرفس والسلق والبصل والثوم والكسفرة والكراويا والكمون والقرع والكمأة واللوبيا والارز والباقلا والذرة والدخن والماش والقرطم والعدس والسمسم وبزر قطونا والترمس والحمص والحلبة والخس والبندق والجوز والفستق والتوت والرطب والقصب والاترج والليمون والنارنج وزهر القرنفل والخزام والشيح والسماق والزعرور والزيزفون والخرنوب والريباس والصنوبر والقلقاس والموز وقصب السكر والقنب . اه

واعلم ان بعض هذه الانواع فقد لعهدنا كالقراصيا والخرنوب والصنوبر والموز وقصب السكر وقد استجلب بعض الاعيان المولعين بالزراعة شجراً كثيراً مما لم يكن يعهد عندنا كالاوكالبتس والاكاسيا والمشمش الهندي اما النباتات والبقول الحديثة فكثيرة جداً

« صناعتها »

كلما تأمل الناقد الخبير في صناعة الفيحاء سابقاً وصناعتها لاحقاً يتجلى له سر قول ابن خلدون ان الصنائع لا بدَّ لها من العلم وانك تجدها في الامصار الصغيرة ناقصة ولا يوجد منها الاَّ البسيط فاذا تزايدت حضارتها ودعت امور الترف فيها الى استعمال الصنائع خرجت من القوة الى الفعل وان على مقدار عمران البلد تكون جودة الصنائع للتأنق فيها حينئذٍ واستجادة ما يطلب منها بحيث تتوفر دواعي الترف والثروة وان رسوخ الصنائع في الامصار انما هو برسوخ الحضارة وطول امدها ولهذا نجد في الامصار التي كانت استبحرت في الحضارة لما تراجع عمرانها وتناقص بقيت فيها آثار من هذه الصنائع ليست في غيرها من الامصار المستحدثة العمران ولو بلغت مبالغها في الوفور والكثرة وما ذاك الاَّ لان احوال تلك القديمة العمران مستحكمة راسخة بطول الاحقاب وتداول الاحوال وتكررها . وان الصنائع واجادتها انما تطلبها الدولة فهي التي تنفق سوقها وتوجه الطلبات اليها وانهُ اذا ضعفت احوال المصر واخذ في الهرم بانتقاض عمرانهِ وقلة سكانهِ تناقص فيهِ الترف ورجع اهلهُ الى الاقتصار على الضروري من احوالهم فتقلّ الصنائع التي كانت من توابع الترف لان صاحبها حينئذٍ لا يصح لهُ بها معاشهُ فيفرُّ الى غيرها او يموت ولا يكون خلف منهُ . ثم قولهُ ان العرب ابعد الناس عن الصنائع وانها رسخت في الشرق منذ ملك الامم الاقدمون من الفرس والنبط والقبط وبني اسرائيل ويونان والروم احقاباً متطاولة فرسخت فيهم احوال الحضارة ومن جملتها الصنائع

نعم ان صناعتنا منحطة كسائر احوالنا في العمران لكنها تفضل صنائع جميع مدن سورية اللهم الاَّ ما تجدد حديثاً في فلسطين من صناعات اليهود والالمان فانها عندهم على حصة موفورة

من الاستجادة والتمحيق . ويتعذر الآن ان نأتي على تفصيل صنائعنا بعد الاسلام فما بالك قبلهُ واخبرني احد ثقات العلماء ان لابن الصائغ الدمشقي منظومة في ثلاثة آلاف بيت في الصنائع فيها ولا شك كثير مما يعوزنا من الايضاحات

ولقد علم بالاستقراء اجمالاً ان صنائع دمشق كان منها البسيط او الضروري والمركب او الكمالي وان امهات الصنائع كلها كانت مستحكمة ملكتها فيها شأن كل مصر متحضر . ولما استوفت عمرانها على عهد الدولة العباسية الى ما بعد الحروب الصليبية صار للصنائع شأن يذكر تجد تفاصيلها بالعرض مبعثرة في تضاعيف الكتب . مثال ذلك ان السلطان صلاح الدين يوسف لما كان محاصراً عكاء سنة ٥٨٦ وكاد ييأس من فتحها لان الصليبيين كانوا قد اصطنعوا ثلاثة ابرجة من خشب وحديد والبسوها الجلود المغشاة بالخل بحيث لا تنفذ فيها النيران و يسع الواحد منها من المقاتلة ما يزيد على خمسمائة نفر جمع الصناع من الزرَّاقين والنفاطين وباحثهم في احراقها ووعدهم عليهِ الاموال الطائلة فضاقت حيلهم عن ذلك وكان من جملة من حضر شاب نحاس دمشقي يعرف بعلي ابن عريف النحاسين فذكر ان لهُ صناعة في احراقها فطبخ ادوية لذلك مع النفط في قدور من النحاس حتى صار الجميع كانهُ جمرة نار ثم ضرب البرج الواحد بقدر فاشتعل من ساعتهِ وصار كالجبل العظيم من النار ثم رمى الثاني والثالث فاحترقا كلاهما . ومن الصنائع التي كانت في هذه العاصمة فابلتها وارابها الايام

(القيشاني) فقد كانت قاعات دمشق وقصورها ومبانيها العامة مملوءة منهُ مزدانة بهِ ولم تزل تشاهد منهُ قطع في بعض جدران دورها وجوامعها وحماماتها كما انهُ كانت تعمل منهُ الفساقي والسلسبيلات والباذهنجات والقباب والزهريات والقلل وغيرها واحدث ما عثر عليهِ من القيشاني سلسبيل بجدار جامع الدرو يشية عليهِ تاريخ سنة ٩٨٣ . والغالب ان هذه الصناعة فقدت من دمشق منذ زهاء مئة سنة وظهر لبعض الافاضل ان القيشاني يعمل من الرمل الابيض والجبس يجبلان معاً ويفرغان في قوالب على الشكل المطلوب وتكتب على سطوحها آيات او احاديث او اشعار او ترسم عليها نقوش مختلفة بمواد ثابتة ويذر عليها مسحوق الزجاج او تطلى بهِ ممدوداً بسائل غروي وتشوى في تنور معدّ لذلك فيسيل الزجاج ويكسوها قشرة رقيقة تقيها من الفواعل والمؤثرات زمناً طويلاً وتظهر النقوش والكتابات زاهية بالوانها الطبيعية

(الفسيفساء) كانت تصنع بدمشق فتنوسي امرها منذ قرون وقد بقي منها بعض قطع في الجدار الشمالي من حرم الجامع الاموي رغم عدة حرائق اصابتهُ وفي قبة الملك الظاهر بيبرس . والفسيفساء فصوص مربعة من الزجاج الملوَّن المذهب تلصق بالجدران مرصوفاً

بعضها بجانب بعض بحيث تتألف منها نقوش وصور جميلة تمثل ابنية وازهاراً واشجاراً وغابات وحدائق وما ضارعها

(الزجاج الملوّن) وكان معروفاً بالدمشقي ويتخذ للزخرفة والزينة ومنهُ الاكواب والآنية على اختلاف ضروبها . ولشعرائنا قصائد لطيفة في وصف الزجاج والكؤوس بما لم يبقَ بعدهُ غاية للاجادة ويشير الى تفنن الصناع في وضعها . وفقدت صناعة الزجاج ايضاً وانحصرت صنعة البسيط منهُ في دمشق باناس لا ينالون عيشهم الاَّ بشق الانفس وذاكرت احد شيوخ الشعراء من مسيحيي سورية واهل الوجاهة فيها فقال ان الزجاج كان يُصنع ايضاً في بلاد حوران واستشهد لذلك ببيت الاخطل القائل في تشبيهه

كأن طيور الماء في حلباتهِ اباريق اهدتها قيافى لصرخد

قال ويحتمل ان قيافى كانت مدينة قرب صرخد في جبل الدروز يجاد فيها صنع الآنية الزجاجية فشبَّه الشاعر بها وشبَّب

(النقش او الدهان) هو من احسن صنائع دمشق القديمة يكون على الخشب والحجر ومن يدخل قاعة من القاعات القديمة بدمشق يرى مصداق هذا القول يرى الالوان زاهية زاهرة كأنها نقشت الآن وفي دمشق الى اليوم قاعات وابهاء واواوين مضى عليها زهاء مائتي سنة ولا تزال برونقها يخيَّل لك معها ان النقَّاش قد خرج منها الساعة فتُدهش كما يدهش الداخل الى متاحف الآثار المصرية من نقوش بيبان الملوك وبني حسن وسقارة وكتاباتها ورسومها وقد مضى عليها قرابة اربعة آلاف سنة على حين ان النقش المستعمل لعهدنا ينصل لونهُ ويكمد في شهور

(السيوف والخناجر) وهذه من الصنائع التي خُصت بها هذه العاصمة فاشتهرت النصال الدمشقية ولا شهرة الرماح السمهرية والسيوف المشرفية ايام الجاهلية وعرفت بصفاء مائها واخضرار لونها وارهاف حدّها ولطف فرندها يزيدها حلاوة وطلاوة ما يكتب عليها من الآيات والآثار بماء الذهب . والغالب ان صناعتها انقرضت مع ما قرضهُ تيمور من صنائعنا لعهد المئة التاسعة اذ استصحب معهُ من دمشق بعض الاعيان واصحاب الفضل وكل ماهر بفن من النساجين والخياطين وصناع السيوف فكانت المصيبة بذلك على دمشق اعظم من المصيبة بالتخريب فذاك تخريب محسوس وهذا تخريب معنوي مبين . ولقد انتشرت هذه الصناعة والاوربيون لم يعرفوها الاَّ في الحروب الصليبية مع انها على رواية كانت مستعملة قبل الميلاد عند امم ما اشتهروا بجودة صنائعهم

(النحاس) وينسب فيقال النحاس الظاهري وذلك لما يظهر ان الملك الظاهر بيبرس كان من المنشطين لصناعتهِ ايام ملكهِ سورية فنسب اليهِ تحبباً ولم تبرح هذه الصناعة معروفة ولها رواج تباع من السياح والافرنج باثمان رابحة وهي عبارة عن ثريات وجفان وتعاليق ومصابيح وكؤوس ومباخر وقماقم وصحاف وموائد مصنوعة من النحاس الاصفر منقوشة في الغالب احرفاً لا تقرأ مع ان ما صُنع منها في القرون الوسطى كان يكتب عليهِ بالقلم الكوفي ما لهُ معنى في حد ذاتهِ ولما استحوذ الجهل على اهل تلك الصناعة لم يعودوا يعرفون ما ينقشونهُ

(التنزيل) وهو نقش الحديد او الفولاذ بالذهب او الفضة او معدن آخر او شغل الخشب وتنزيل الصدف او خشب الليمون فيهِ. وكان عندنا قديماً من ارقى الصناعات فلما استحالت الاحوال كادت صناعتهُ تفقد بتة حتى جدَّد شبابها منذ بضع سنين وصارت مصنوعاتنا رائجة في اسواق اوربا واميركا تزدان بها قصور الامراء والاغنياء. ونسبت صناعة التنزيل الى دمشق ايضاً فسميت بالافرنجية "داماسكين" لان الافرنج اخذوها عن دمشق. قال المؤرخ هيرودوتس ان مخترعها فلوسيوس من مدينة صاقس وقيل ان الدمشقيين اخترعوها او اوصلوها الى درجة الكمال التي بلغتها عندهم

(النسيج) كانت الاصواف والحرائر والمنسوجات الغزلية بوشيها وحسن طرازها مشهورة في غابر الزمن عند الدماشقة وبمدينتهم عُرفت فصار يقال لها الدماسكو ولما قام قائم الصنائع الفرنجية واخترع احد صناع الانكليز نسيج الشيت كاد يقضي على صناعتنا هذه ولولا رجل اسمهُ عبد المجيد الاصفر من اهل هذه الصناعة واختراعهُ القماش المعروف بالديا لبارت النساجة دفعة واحدة ثم ان رجلاً اسمهُ الروماني تفنن في المنسوجات الحريرية تفنناً عجيباً فلما مات ماتت الصناعة معهُ وتغلبت المنسوجات الاوربية لرخص ثمنها وكثرة تفننهم في تلوينها وتغيير اشكالها وطرازها وبالرغم عما تقدم لم تنفك هذه الصناعة متماسكة احوالها وفيها مرتزق لنحو خمسة عشر الف نسمة من الدمشقيين ويزعمون ان ما يتعلق بها من الصنائع حتى تصلح وتصير اثواباً يقرب من سبعين صنعة وبعض مصنوعاتهم تصرف في بر الشام وبر مصر وبعضها يسافر الى الاناضول والروملي

(الورق) كنت قرأت في بعض الاسفار ان ورق الكتابة كان يصنع بدمشق ولهُ فيها صناع ومكابس صغيرة تقوم مصنوعاتهم بحاجات هذه البلاد وقال سيديليو صنع الورق من الحرير سنة ٦٥٠ ميلادية في سمرقند وبخارى ثم استبدل يوسف بن عمرو سنة ٧٠٦ ميلادية الحرير بالقطن الذي منهُ الورق الدمشقي المتكلم عليهِ مؤرخو اليونان. ورأيت كثيراً

من الكتب المخطوطة قديماً على هذا الورق فلم اميز بينهُ وبين ورق البردي في شيءٍ ان لم يكن ورقنا الطف صقالاً واحسن متانة . واخبرني احد العلماء ان الافرنج ما برحوا متوفرين على كشف سرّ هذه الصناعة كما يحاولون ادراك غيرها. على ان من الورق الاوربي اليوم ما يضاهي بمتانتهِ الورق القديم او اكثر منهُ

(الصباغة) كان للصباغ الدمشقي صيت بعيد في سائر الاقطار لثبوت الوانهِ ولطافة لمعانهِ وكانت اصباغهُ معدنية ونباتية لا غشّ فيها فلما تغلّبت الاصباغ الغربية بطل استعمال القديم منها بل نُسي امرهُ واعتيض عنهُ بالجديد المغشوش . وجودة الاصباغ القديمة كانت السرّ في اشتهار الديباج الدمشقي قديماً حتى اوشكت لطافتهُ ان تجري جري المثل

(الدباغة) كان لدبغ الجلود شأن عظيم بحيث يكفي المحضَّر منهُ لامتهانات دمشق وضاحيتها و يسافر منهُ الى البلاد الاخرى ومنذ شاع استعمال الجلود الافرنجية على اختلاف اجناسها ولمعانها ومتانتها ضعفت تجارة الادم المقروظ وبقي عملها محصوراً بقوم يعمل بمدبوغاتهم احذية للفلاحين واهل الطبقة النازلة وبعض السروج والقرب والقلل

(العطور) كان للطيوب ومستقطرات الزهور شأن خليق بالتسطير فقد ذكر شيخ الربوة ان العطر وغيرهُ كان يستخرج في المزة — هي قرية غربي دمشق بها من صحة الهواء وصفاء الماء وحسن القصور وطيب الثمار ما بقي بعضهُ الى الآن — من زهورها وورودها حتى ان حراقتهُ تلقى على الطرقات وفي دروبها وازقتها كالمزابل فلا يكون لرائحتهِ نظير ويكون الذّ من المسك الى مدة انقضاء الورد . ثم ذكر صفة اخراجهِ في الكركات والانابيق ورسم صورها . قال وغير هذه الكركة كركة اخرى يستخرج منها الماورد وغيرهُ من المياه بلا ماء بوقود الحطب وذلك بعد حشو القراع بالورد وبلسان الثور و بزهر النوفر او البان او زهر النارنج والشقيق والهندبا او بورق القرنفل المرروع بدمشق الى ان قال ويحمل الورد المستخرج بالمزة الى سائر البلاد الجنوبية كالحجاز وما وراء ذلك وكذلك يحمل زهر الورد المزّي الى الهند والى بلاد السند والى الصين والى ما وراء ذلك ويسمى هناك الزهر وبما ارخوهُ انهُ كان لقاضي القضاة الحنفية ولاخيهِ الحريريّ قطعة بارض تسمى شُور الزهر طولها مائة وعشر خطوات وعرضها خمس وسبعون خطوة باع منها عشرين قنطاراً باثنين وعشرين الف درهم وذلك سنة خمس وستين وستمائة وهذا لم يسمع بمثلهِ

وهذه الصناعة كانت معروفة على ما يظهر من كلام شيخ الربوة في القرن الثامن اما الآن فليس في المزة ورد يكفي لهذه العطور والمياه واعتاض معظم اهلها عن الاشتغال بذلك بنسج

الحبال والخيوط من قشر القنب. وقد قام بدمشق في المدة الاخيرة بعض اناس يحسنون تقطير العطر وماء الزهور الآ ان ما يستخرجونهُ يصرف في حاجات المدينة لا سيما المأكولات والمشروبات اما للتطييب فقد جاءت العطور والادهان الافرنجية تنازع البلدية برخص اثمانها واختلاف اجناسها

هذا وكان في الفيحاء صنائع كثيرة ربما يحتقر شأنها البعض ولكن اذا أُنعم النظر يسجل بانها تُعد من موجبات الحضارة والارتقاء مثل صنعة الابر المفقودة الآن بتة. واكثر الصنائع رواجاً واتقاناً عندنا الآن على وجه الاجمال النجارة والنحاتة والبناية والنساجة والحدادة والصياغة والسكافة والحياكة والنحاسة وعمل السروج والاكاف

وقد كان ولا يزال لكل حرفة زعيم او نقيب او شيخ وكان يسمى شيخ الحرف كلها بسلطان الحرافيش ثم كني عنهُ احتشاماً بشيخ مشايخ الحرف والصنائع واليك ما قالهُ صاحب محاسن الشام في وصف ما كان بدمشق من الصنائع :

ومن محاسنها ما يُصنع فيها من القماش وهو النسج على تعداد نقوشهِ وضروبهِ ورسومهِ ومنها عمل القماش الاطلس بكل جنسهِ وانواعهِ ومنها عمل القماش السابوري بجميع الوانهِ وحسن لمعانهِ ومنها عمل القماش المرمزي على اختلاف اشكالها وتباين اوصالها ومنها عمل القماش الابيض القطني المقصور لاحياء القصور واموات القبور. وفيها تعمل صناعة الذهب المسبوك والمضروب والمجرور والمرفوع والممدود والمرصوع وفيها تعمل صناعة القرظية ودباغتها المرضية وفيها تعمل صناعة الزنوط والاقباع (كذا) وتحمل الى البلاد والضياع وفيها تعمل صناعة الحرير بالفتل والدواليب وفيها تعمل صناعة السلاح بما فيهِ من الاعاجيب والاقتراح وفيها تعمل صناعة الموشق والمدهون بما تحار فيهِ النواظر والعيون وفيها تعمل صناعة النحاس من الضرب والتفصيل والنقوش وفيها تعمل الواح الصقال ودهن الواح صغار الكتّاب وحفر القصع وتفصيل القبقاب. قال وغالب ما ذكرناهُ من هذه الصنائع تتبدل عليهِ ايدي الصناع من الواحد بعد الواحد الى ان ينيف على عشرة صناع حتى يتم. واعلم ان هذه الصنائع استخرجتها الحكماء بحكمتها ثم تعلم الناس منهم وبعضهم من بعض وصارت وراثة من الحكماء للعلماء ومن العلماء للمتعلمين ومن الاستاذين للتلامذة ومن التلامذة للصناع هكذا نقلهُ ابن جماعة

«تجارتها»

يشهد العيان ويؤيد الحسّ ان هذا القطر كان فيما غبر ذا تجارة رابحة وعلائق مع البلاد القاصية ناجحة وانهُ كان مركز الاتصال بين الشرق والغرب ودائرة حسن الصلات بين ما

كان يعرف من القارّات فلما دالت الدول وطمع في الامر كل مهوّس فعاث فيهِ العدو الداخلي والخارجي انقضت عليهِ القرون وهو في مهاوي الفتن متسكع وفي مهالك الانحطاط ساقط اذ كان الحكام يعدون اهلهُ آلة لاغراضهم وخلائق لم يخلقوا الاَّ لتتميم شهوات النفوس ورغائب الصدور ولذا لم ترُج التجارة الاَّ في الاحايين عند انبساط ظل الامن وعلى عهد الحكومات المسالمة العادلة وهذا من نادر بل من اندر ما تهيأ للبلاد

وبعد سقوط تدمر اصبحت الفيحاء سوقاً للتجارة بين البلدان ودامت حالها بين ارتفاع وانخفاض وكم قليل من البضائع الافرنجية يجيء كل سنة مع الصرة الحجازية عن طريق الاستانة براً الى ان انتبه الاوربيون في القرن الماضي وفتح الانكليز طريقاً للهند من رأس الرجاء الصالح ثم خرقت ترعة السويس فتحولت التجارة اذ ذاك وانتقل ما بقي منها في دمشق الى بعض مواني سورية وبطل عمل القوافل التي كانت تروح وتغدو بين الشرق الادنى والاقصى وقلَّ عدد الذين كانوا يمرون بالمدينة من الاناضول وغربي آسيا للذهاب الى الحج فصار معظمهم يركب البحر الى البقاع الطاهرة تخفيفاً من وعثاء الاسفار وقطع المفاوز والقفار

فانحصرت التجارة ثمت في الداخلية واصبحت لا تتعدّى حد الامتهانات والتصرفات المحلية وصار لها مواسم قلما تروج في غيرها . ولم تدخل المصنوعات الافرنجية بلادنا بكثرة الاَّ عقيب اختراع السفن البخارية وشروع بعضها في المجيء الى سورية ولكن كانت متقطعة الوصول متباينة الاوقات فلما استقام مجراها ومرساها جرأ الناس على الاتجار وتضاعفت العلائق التجارية بين سورية والاصقاع الفرنجية من حين الى آخر حتى اصبحت اهم المتاجرات بالواردات الافرنجية . وتجارها ولا خشية من الحقيقة خدمة للاوربيين ينالون لقاء اتعابهم اجرة العامل والخادم وما بقي من تجارة الصادرات فاهمهُ المنسوجات القطنية والحريرية والمصنوعات الخشبية والحنطة والزيت والسمن والصوف وعرق السوس والمشمش وبزره والقمر الدين والخروق البالية والبيض والجلود

ولو لم تكن دمشق باب الكعبة ومركز الفيلق السلطاني الخامس ومن اعمالها ١٢١٤ قرية وبلدة لها علائق معها مباشرة او بالواسطة ولولا ما يصرفهُ فيها الواردون اليها كل عام من الحجاج والسياح لسقطت تجارتها الى حضيض لم يسمع بمثلهِ من الكساد والفاقة بل لولا قلة معرفة القوم واستفادة كل من صاحبهِ ما يقوم باودهِ لالفيت الحال اتعس ما يكون . ومما يضحك ما رواهُ صاحب المحاسن ان ما كان يحمل من دمشق الى الديار المصرية في القرن التاسع عشر قافات انفردت بها وهي قصب ذهب . قبع . قرضية . قرطاس . قوس . قبقاب . قراصيا .

قمر الدين من المشمش . قريشة . قنبريس . اما الآن فليس من احصاء يوثق بهِ لمعرفة صادراتها ووارداتها واعتاد بعض القناصل على اخراج احصاءات بذلك كل سنة الا ان ارقامها تخمينية لا يعتمد عليها ولا يركن في التحقيق اليها . انتهى محمد كرد علي

فتح المكسيك

(تابع ما قبله)

سار اسطول كورتس حول خليج المكسيك بعد الفوز المبين الذي وصفناهُ في الجزء الماضي ورأى جماهير الاهالي على الشاطىء متهللين بقدومهِ اليهم حاسبين انهُ اتى للاتجار معهم غير عالمين ما خُبئ لهم في جعبة الزمان حتى اذا بلغ الاسطول جزيرة صغيرة بينها وبين البر مرفأ امين رأى كورتس ان يلقي مرساتهُ فيهِ حاسباً ان الجزيرة تقيهِ عصف الرياح التي تعصف هناك في اواخر الربيع . ولم تكد سفنهُ ترسو في ذلك المرفإ حتى اسرع الاهالي الى قارب صغير مصنوع من شجرة مجوَّفة فنزلوا فيهِ واقتربوا من سفينتهِ وصعدوا اليها بوجه باش ومحياً طلق كمن يقابل صديقاً آتياً من سفر . واتوا معهم بهدايا من الاثمار والازهار وبعض الحلى الذهبية . وحاول كورتس ان يتكلم معهم بواسطة الترجمان فوجد انهُ لا يعرف لغتهم فأُسقط في يدهِ وحار في امرهِ ثم قيل لهُ ان واحدةً من الجواري اللواتي أُهدين اليهِ في تابسكا على ما ذكرنا في الجزء الماضي تعرف لغة هؤلاء الاقوام. وهي مكسيكية الاصل ولدت عند التخوم الجنوبية من بلاد المكسيك وتوفي ابوها في حداثتها وكان من رؤساء بلادهِ ومن ذوي الثروة الطائلة فيها فتزوجت امها برجل آخر وولد لها ابن منهُ فسوَّلت لها نفسها ان تعطي ميراث ابنتها لابنها فصبرت الى ان توفيت فتاة من جواريها فادَّعت انها ابنتها واعطت ابنتها لتاجر من بلاد بعيدة فمضى بها وباعها من رئيس بلاد التابسكو وهذا اهداها الى كورتس على ما تقدم. وكانت هذه الفتاة تعرف لغة المكسيك لانها لغة قومها ثم تعلمت لغة تابسكا مدة اقامتها فيها فصارت تترجم اقوال هؤلاء الرجال للترجمان اغويلار وهو يترجمها لكورتس الى الاسبانية او لغة قشتالة. وسمى الاسبانيون هذه الفتاة مارينا وسندعوها بهذا الاسم في ما يلي وكانت ذكية الفؤاد فتعلمت اللغة الاسبانية حالاً فجعلها كورتس ترجماناً لهُ وحظيت عندهُ فتزوج بها واولدها ابنهُ دون مارتن وكانت على جانب عظيم من الجمال بشوشة الوجه طلقة المحيا كريمة الطباع احبت كورتس وخلَّصتهُ وخلَّصت رجالهُ من مهالك كثيرة لكنها لم تسرَّ بما حلَّ بقومها

بل شاركتهم في مصابهم فاكرمها الفريقان معاً

وعلم كورتس من القوم الذين نزلوا الى سفينتهِ انهم من مملكة المكسيك العظيمة وان بلادهم ضُمّت حديثاً الى تلك المملكة واسم ملكها منتزوما وعاصمتهُ في سهل مرتفع في اواسط البلاد تبعد نحو مئتي ميل عن الساحل وعليهم والٍ من قبلهِ اسمهُ تهتليل يسكن على ٢٤ ميلاً من البحر . واخبرهم كورتس انهُ آتٍ للاتجار معهم وانهُ يودّ ان يرى الوالي . ولما علم منهم ان في بلادهم كثيراً من الذهب صرفهم بالهدايا الكثيرة وهو يحسب انهُ نال ما تمنى

وفي اليوم التالي نزل الى البر برجالهِ حيث بنيت مدينة فرا كروز بعدئذٍ وصارت محط تجارة اوربا والمكسيك . وكانت الارض سهلاً منبسطاً تتخللهُ كثبان الرمال فنصب مدافعهُ عليها وقطع الاشجار والانجم وبنى منها خياماً لرجالهِ وكان خبرهُ قد بلغ الوالي فبعث اليهِ رجالاً يساعدونهُ على بنائها فدقوا اوتادها في الارض ونصبوا حولها الاغصان وغطوها بحصر وشقق من القطن اتوهُ بها

وتقاطر الاهالي من كل البلاد المجاورة لمشاهدة الغرباء وجلبوا معهم كثيراً من الاثمار والازهار والبقول والطيور والاطعمة المختلفة وقليلاً من الحلى الذهبية فاعطوهم بعضها هدية وقايضوهم من البعض الآخر بالادوات الاسبانية حتى امتلأ مخيم الاسبانيين من اهالي المكسيك رجالاً ونساء . وعلم كورتس من بعضهم ان الوالي عازم على زيارتهِ في اليوم التالي . وجاء الوالي كما قالوا بموكب عظيم فاستقبلهُ محفوفاً برجالهِ وقوّاد جيشهِ وكان اليوم عيد الفصح فوقف كاهن كورتس وقام بالخدمة الدينية فاصغى المكسيكيون اليهِ بالاحترام التام ثم قُدِّمت اليهم الخمور الاسبانية وتقدَّم التراجمة فسألوا كورتس عن غرضهِ وعن البلاد التي جاء منها فقال لهم انهُ من رعايا ملك رفيع الشأن واسع السلطان يسكن عبر البحر ويتسلط على مملكة واسعة الارجاء ويخضع لهُ كثيرون من الملوك والامراء وقد بلغهُ ان ملك المكسيك من الملوك العظام فاوفدهُ اليهِ بهدية سنية ورسالة امرهُ ان يسلمهُ اياها يداً ليد . ثم سأل الوالي عن اليوم الذي يسمح لهُ فيهِ بالمثول لدى مولاهُ

فنظر اليهِ الوالي نظر الاستغراب وقال لهُ لم يمضِ عليك سوى يومين في بلادنا فكيف تطمع برؤية ملكنا ولكن ان كان ملكك من العظمة والسؤدد على ماوصفت فلا شبهة في ان مولاي الملك يسرُّ برؤيتك وسأرسل هديتك اليهِ مع رسلي ومتى بلغتني اوامرهُ لا اتأخر عن ابلاغها اليك

ثم امر غلمانهُ فاحضروا الهدية التي جاء بها وهي عشرة احمال من المنسوجات القطنية

الفاخرة وحلل كثيرة من ريش الطيور بديعة النقش والبرقشة تزري بصور امهر المصورين وسلة مملوءة بالحلى الذهبية . فدهش الاسبانيون من هذه الهدية واستدلوا منها على ثروة البلاد وفرط غناها

وقبل كورتس الهدية شاكرًا وامر رجالهُ ان يحضروا الهدية المرسلة الى ملك المكسيك وهي كرسيٌّ كبير جميل النقش وقلنسوة حمراء عليها نشان من الذهب وشيءٌ من الربالات والاساور وحلى من الزجاج ولم يكن الزجاج معروفًا في بلاد المكسيك فظنوهُ حجارة كريمة . ورأى الوالي جنديًا لابسًا خوذة مذهبة فقال انها تشبه خوذة على رأس المهم كوتزلكوتل في العاصمة وانهُ يود ان يراها الملك فقال كورتس انهُ يرسلها الى الملك عسى ان تردَّ اليهِ مملوءة بتبر البلاد حتى يقابل بينهُ وبين الذهب الاسباني . ثم قال للوالي ان الاسبانيين مصابون بداء في قلوبهم لا يشفيهِ الاَّ الذهب ولذلك تراهم يتطلبونهُ في كل مكان . ولم يترك واسطة تقنع الوالي برغبتهِ في الذهب الاَّ استعملها

وبينما كان كورتس يحادث الوالي بواسطة الترجمان رأى واحدًا من رجالهِ مهتمًا بالكتابة على قرطاس من النسيج الصفيق فنظر اليهِ واذا هو يصوّر الاسبانيين باكسيتهم واسلحتهم ويلوّن الصور باحبار مختلفة الالوان وعلم من الوالي انهُ يريد ارسال هذه الصور الى ملكهم فيدرك منها حقيقة الغرباء . فرأى كورتس ان يزيد دهشة الملك فامر فرسانهُ ان يعلوا صهوات خيولهم وبقية جنودهِ ان يتقلدوا اسلحتهم وينتظموا كانهم في القتال ثم بوّقت الابواق وهجم الفرسان والمشاة وداروا حول الوالي ورجالهِ وأُطلقت المدافع فدوى صوتها في القيعان ومرّت قنابلها بين الاشجار تمزقها اربًا فدهش الوالي ورجالهُ وارتعبوا ولم يفت المصور شيءٌ من ذلك فصورهُ كلهُ وشرحهُ حسبما تحتملهُ الكتابة المكسيكية وكانت سفن الاسبانيين راسية امام الشاطىء منشورة الشراع كانها جبال راسخة تكللت هاماتها بالثلوج فصوّرها ايضًا

ويقال انهُ كان بين رجال الوالي رئيسان ناقمان منهُ ومن الملك فادركا غرض كورتس واسرّا اليهِ انهما يريانهِ رسوم البلاد كلها ومواقع الضعف فيها ثم اتياهُ بهذه الرسوم فكانت اكبر مساعد لهُ على تدويخ البلاد . ذكر هذه الرواية واحد من الثقات ولكن لم يؤيدها غيرهُ ولا شبهة في ان كورتس وجد في البلاد كثيرين من الخونة او من الناقمين من ملكها فعاونوهُ عليهِ كما سيجيء

وعاد الوالي من زيارة كورتس بالموكب الذي جاء بهِ بعد ان امر رجالهُ بتقديم ما يلزم كورتس ورجالهُ من الميرة الى ان ترد اوامر الملك من العاصمة

واسم الملك منتزوما كما تقدَّم او مكشيزوما وهو الثاني بهذا الاسم. اقيم ملكاً سنة ١٥٠٢ لما اشتهر بهِ من البسالة والتُّقى لان ملوك المكسيك كانوا جامعين بين السيادة الدينية والدنيوية. ويقال ان معنى اسمهِ بلسانهم الرزين لانهُ كان على جانب عظيم من الرزانة. كان اولاً فارساً مغواراً اشتبك في حروب المملكة وابلى في اعدائها ثم انقطع الى خدمة الهياكل حتى اذا اختاره رؤساء بلادهِ ملكاً عليهم وجدوهُ في الهيكل العظيم هيكل اله الحرب يكنس درجهُ وجاءهُ نسيبهُ ملك تزكوكا يبشرهُ باختيار قومهِ لهُ وقد حُفظت الخطبة التي تلاها على مسمعهِ حينئذٍ ومنها قولهُ "من يرتاب في ان مملكة الازتك قد بلغت اوج مجدها اذ قد نصَّب الله القدير على عرشها ملكاً تملأ حضرتهُ كل ناظر رهبة. سقياً لكِ ايتها الامة لانهُ قام فيكِ ملك تعتمدين عليهِ ابٌ في الضيق اخٌ في الشدَّة ذو نفس أبيَّة تترفع عن ملاذ الحواس ومطاوح الكسل. وانت ايها الشاب المجيد ثق بان الخالق الذي القى على عاتقك هذا العبء الثقيل يقويك على القيام بهِ وانهُ كان جوَّاداً كريماً وسيجزل جودهُ عليك ويحفظك في عرشك اعواماً طوالاً" هذا ما تمناهُ رجال المكسيك لملكهم ولكن الزمان ابو العجب ونوائبهُ لا تصرفها الاماني

وابدى منتزوما في بداءة ملكهِ ما توقعهُ منهُ قومهُ من الحكمة والدهاء فاخضع العصاة واسر منهم خلقاً كثيراً ولما قيد الاسرى ليذبحوا ضحية لمعبودهم كان بين الجموع المزدحمة لرؤيتهم اناس من الاعداء اتوا متنكرين فكُشف امرهم وأُخبر الملك عنهم فلم يقتص منهم بل امر ان يجلسوا في مكان يشاهدون منهُ الاحتفال

ووسَّع نطاق مملكتهِ في السنة الاولى من ملكهِ واصلح مجالس القضاء وكان يجول في الشوارع متخفياً ليقف على احوال رجالهِ واحسن جزاء الامناء منهم. واكثر من بناء الهياكل وتزيينها وجلب الماء الى العاصمة في قنوات جديدة وبنى مستشفى للجنود في مكان طيب الهواء

ثم غرَّهُ نجاحهُ فاحتجب عن الناس واظهر العظمة والجبروت واستخدم اعظم عظماء شعبهِ في اصغر اعمال قصرهِ وصرف كثيرين من رؤساء الجند الذين كانوا في خدمة سلفهِ لانهم ليسوا من اصل رفيع. واراد احكم رجالهِ ان يصرفوهُ عن هذه الغطرسة فلم يستطيعوا ثم زاد غيظهم منهُ بوضعهِ الضرائب الفاحشة عليهم وابتزازهِ الاموال منهم وانفاقها في ملذاتهِ وزخرفة قصورهِ واشتدَّ ظلمهُ في البلدان التي فتحها فخرج شعبها عليهِ حتى اضطر ان يستخدم نصف مملكتهِ لاخضاع النصف الآخر

وتوفي حليفهُ ملك تزكوكا سنة ١٥١٦ وتنازع ولدا الملك من بعدهِ فانقسمت تلك المملكة الى قسمين احدهما محالف لملك المكسيك والآخر مخالف لهُ. وكانت جمهورية تلاسكالا على

اشد العداء لهُ وهي على صغرها قائمة برجال بواسل حفظوا استقلالهم مئتي سنة فلم يستطع التغلب عليها

هذه كانت حالة البلاد يوم جاءها كورتس — ملكها ظالم غشوم والشعب ناقم عليهِ كاره لهُ والحليف منقسم على نفسهِ والعدو متربص الفرص ولم تكن المملكة ضعيفة ولا شعبها ممن يستهان بهِ ولكن اسلحتها كانت دون اسلحة الاسبانيين ونظامها الحربي دون نظامهم وكان ملكها قد ترك قيادة جيوشهِ لقوادهِ وانقطع الى خدمة الهياكل والقيام بالحفلات الدينية

وكان اهالي المكسيك يعتقدون ان معبودهم كوتزلكوتل هجرهم الى حين ووعدهم بالعودة اليهم ثانية وان مجيئهُ صار قريباً وقد حدثت حوادث طبيعية كثيرة منذرة بمجيئهِ فهاجت بحيرة المكسيك وطغت على العاصمة من غير نوء واشتعل برج الهيكل الاكبر من غير نار وظهرت ثلاثة من ذوات الاذناب وبدا من الشرق نور ساطع مستطير انتشر من الافق الى سمت الراس وسُمعت في الهواء اصوات مزعجة كمن يندب وينعي بالخراب وخاف الملك من ذلك واستشار حليفهُ ملك التزكوكا في ما عسى ان ينذر بهِ لانهُ كان منجماً فقال لهُ انهُ ينذر بانقضاء ملكك وخراب مملكتك . وزاد المؤرخون ان اخت الملك بُعثت من قبرها بعد دفنها باربعة ايام وانذرتهُ بسوء المصير اذا بقي على ظلمهِ وجورهِ

ولا شبهة في ان هذه الاقاصيص وامثالها تولدت بعد الفتح او في غضونهِ مما بقي في النفوس من آثار الظلم او بنيت على حوادث طبيعية عادية زاد الوهم فيها مبالغةً ولكن لا يُنكر ان كثيرين من شيوخ المكسيك وحكمائها كانوا قد خوَّفوا ملكهم من سوء العاقبة اذا لم يرعوِ مبينين لهُ ان الظلم وخيم المرتع وعاقبتهُ الدمار فلما وصل غريجلفا القائد الاسباني الى سواحل المكسيك قبل كورتس بسنة اضطرب منتزوما اضطراباً شديداً حاسباً ان آخرتهُ دنت وان صولجان الملك سينتقل من اسرتهِ الى اسرة اخرى . ثم فُرّج عنهُ لما مضى غريجلفا في سبيلهِ لكنهُ بقي موجساً شرًّا فاقام الديادبة على المرتفعات لينذروهُ بمجيء الغرباء حتى اذا جاء كورتس بلغهُ خبر مجيئهِ حالاً وامر والي الولاية التي نزل فيها كورتس ان يرحّب بهِ ففعل كما تقدَّم . ثم لما وصلت اليهِ صور الاسبانيين تجدَّدت مخاوفهُ وعقد مجلساً من مشيريهِ واستدعى اليهِ ملك تزكوكا وملك تلكوبان فاختلفت آراؤهم في الغرباء فمن قائل بوجوب مناوأتهم واخذهم بالحيلة او بالقوة ومن قائل انهم ليسوا بشرًا (لانهم ظنوا الفارس وفرسهُ حيوانًا واحدًا) واذا لم يكونوا بشرًا فالحيلة والقوة لا تجديان نفعاً وان كانوا وفودًا من ملك آخر فليس من العدل محاربتهم ومهما يكن من امرهم فهم ليسوا من قوم كوتزلكوتل (الذي ابنّا قبلاً انهُ رسول المكسيك)

لانهم لو كانوا من قومهِ لما اهانوا ديانتهُ كما فعلوا في تابسكو فليسوا ممَّن ننتظرهم . وكان ملك التزكوكا من المشيرين بمسالمة الاسبانيين والترحيب بهم

فاختار منتزوما طريقاً وسطاً بين الطرفين حاسباً انهُ خير الطرق وهو شرُّها فبعث الى كورتس بافخر الهدايا لكي يقنعهُ بعظمتهِ وحاول جهدهُ ليصرفهُ عن الدنو من عاصمتهِ. فاعرب لهُ عن غناهُ وضعفهِ في وقت واحد

وظلَّ الاهالي يبنون الخيام لرجال كورتس كما امرهم الوالي حتى بنوا لهم اكثر من الف خيمة وجاؤوهم باللحم والسمك وانواع الفاكهة والخضر والبقول واقراصاً مصنوعة من الدقيق واطعمة مطبوخة ومطيبة بالطيوب والافاويه

ولم تمضِ سبعة ايام من حين جاء الوالي حتى اتى وفد الملك الى كورتس مع ان العاصمة تبعد اكثر من مئتي ميل. والوفد رجلان من اشراف المملكة معهما مئة عبد يحملون هدية الملك واحد هذين الرجلين يشبه كورتس شكلاً فاختير لهذا السبب ورأى الاسبانيون فيهِ هذه المشابهة فسموهُ كورتس المكسيك وهذا يدل على ان المصور الذي صوَّر كورتس احسن تصويرهُ حتى استدل المكسيكيون على رجل يشبههُ

ودخل الرسولان خيمة كورتس وامامهما الغلمان بمباخر الطيب فوقفا وسلَّما بخفض اليد الى الارض ورفعها الى الجبهة على جاري عادة المكسيك ثم نشر العبيد حصرًا مكسيكية ووضعوا الهدايا عليها وهي من تروس وخوذ ودروع من الذهب الخالص وعقود واساور من الذهب ايضاً واحذية ومراوح وريش ممزوج باسلاك الذهب والفضة نظمت فيها اللآلئ والحجارة الكريمة وهو مما يوضع في اعلى الخوذ والقلانس. واشكال من الطيور والحيوانات مصنوعة بالذهب والفضة صنعة بديعة وحلل كثيرة من القطن الدقيق كانهُ الحرير في دقتهِ وهي مصبوغة بالوان مختلفة ويتخلل نسجها ريش بديع الالوان . وكان في الهدية الخوذة الاسبانية المشار اليها آنفاً وقد ردَّت مملوءة بالذهب وطبقان كبيران محيط كلٍّ منهما ثلاثون قبضة احدهما من الذهب والآخر من الفضة يمثلان الشمس وعليهما نقوش كثيرة بديعة جدًّا قدِّر ثمن طبق الذهب منهما بخمسين الف جنيه

فابتهج الاسبانيون بهذه الهدية لانها فاقت كل ما كانوا ينتظرون ثم قدم الرسولان رسالة مولاهم فاذا هو يقول فيها انهُ مسرور بربط عرى المودة بينهُ وبين ملك عظيم مثل ملك اسبانيا ويأسف لان بُعد عاصمتهِ عن الشاطئ يمنعهُ من رؤية وفود هذا الملك لاسيما وان الطريق اليها محفوف بالمخاطر فما على الوفود الَّا ان يرجعوا من حيث اتوا حاملين الهدايا التي تدل على

اكرامهِ لهم. فاغتاظ كورتس من منعهِ عن دخول العاصمة لكنهُ اخفى غيظهُ وشكر الوفد وقال ان ما شملني بهِ ملككم من الاكرام زاد رغبتي في التشرف برؤياهُ وصار يستحيل عليَّ ان اعود الى بلادي واقابل مولاي الملك من غير ان احظى بمشاهدة من سافرت ستة آلاف ميل في اشد المخاطر لاجل مشاهدتهِ. وطلب من الوفد ان يحمل رسالتهُ هذه الى الملك ليسمح لهُ بالمثول في حضرتهِ وارسل معهُ هدية صغيرة فيها بعض القمصان الهولندية وزجاجة فلورنسية مذهبة ومشغولة بالمينا . هدية صغيرة جدًّا امام هدية ملك المكسيك الثمينة فلم يسرَّ الوفد بحملها ولا بحمل الرسالة وودع كورتس وهو يؤكد لهُ ان طلبهُ لا يجاب

ونظر الاسبانيون الى هدية ملك المكسيك بعين الدهشة فقال بعضهم هنا الغنى الوافر فهلمَّ بنا اليهِ وقال البعض الآخر ان هذا الغنى يدل على ملك ضخم وقوة فائقة لا قبل لنا بها فعلينا ان نعود الى كوبا ونعرض الامر على الوالي ونعود بجيش اكبر وقوة اعظم . اما كورتس فكان مخلوقًا لاقتحام المخاطر لكنهُ لم يقل شيئًا بل قصد ان يثير النخوة في نفوس رجالهِ اولاً حتى يندفعوا من انفسهم الى اقتحام المخاطر

وكان الساحل وبيئًا كثير الحشرات فمرض ثلاثون من رجال كورتس وماتوا ثم قلَّ مجيء الاهالي اليهِ بالاطعمة وصاروا يغالون بها . ولم يكن المرفأ الذي فيهِ سفنهُ امينًا فبعث سفينتين تفتشان عن مرفإٍ امين. وعاد وفود ملك المكسيك بعد عشرة ايام يحملون هدية أُخرى قُدّر ثمنها بثلاثة آلاف اوقية من الذهب وفيها ثلاثة حجارة كريمة تشبه الزمرد المعرَّق بالابيض ارسلت هدية الى ملك اسبانيا خاصَّة لانها اثمن الجواهر عند اهل المكسيك لكنها لم تكن ثمينة في اوربا . وكان جواب الملك انهُ يرفض بتاتًا مجيئهم الى عاصمتهِ وانهم قد نالوا الآن كل ما تمنوا فوجب عليهم ان يرجعوا من حيث اتوا

ولما عاد وفد ملك المكسيك هجر الاهالي مخيم الاسبانيين ولم يبقَ فيهِ احد منهم وخاف كورتس ان يهجموا عليهِ ليلاً فاستعدَّ لهم لكنهم لم يفعلوا بل اكتفوا بهجرانهِ

ولا شيء اضرُّ بالجنود من قيامهم من غير عمل ولا سيما اذا كان فيهم كثيرون من الرؤساء وكلٌّ منهم يرمي الى غرض وكلهم حاسد لرئيسهم الاكبر . هذا كان شأن جنود كورتس وهو في ساحل المكسيك ولما رأوا ان الاهالي قاطعوهم وانهم حفنة صغيرة في مملكة وسيعة صمَّموا على العودة وكاشفوا كورتس بذلك وهو عالم بما كانوا يضمرون فجعل يمنيهم وبينما هو يفعل ذلك جاءهُ خمسة من الرؤساء لباسهم مختلف عن لباس اهالي المكسيك في اصابعهم خواتم من الذهب وفي انوفهم وآذانهم خُزُم واقراط من الحجارة الكريمة وفتحوا لهُ بابًا جديدًا للامل كما سيجيء

الشاذُّون وفضلهم

من مقالة للعالم انريكو فري الايطالي نشرها في مجلة المجلات الفرنسوية

اذا رأى المرء شيئاً لم يرهُ قبلاً فقد يتوهم انهُ لم يوجد قبل ان رآهُ ويبني على وهمهِ هذا نتائج غريبة في بابها. مثال ذلك ان الميكروبات وُجدت قبل ان اكتشفها باستور بالوف من السنين غير ان معرفتنا بها في هذه الايام ولَّدت فينا الخوف منها حتى صرنا في قلق مستمر من الماء الذي نشربهُ والهواء الذي نتنفسهُ ومن طوابع البريد التي نلصقها على المخاطبات فنبلها بالماء عوضاً عن بلها بالسنتنا كأن الميكروبات صارت اضرَّ بنا بعد ان اكتشفناها مما كانت وهي مجهولة لدينا

والواقع ان تقدُّم علم البكتيريولوجيا وزيادة معرفتنا بالميكروبات واحوالها سيجعلاننا في مأمن منها فقد وجد ان بينها انواعاً مفيدة جدًّا وانهُ يمكن اتقاء الضار منها بالنافع وبالوسائط الهيجينية. ولا بد ان نألف الفكر بانها موجودة دائماً فينا فلا نعود نخشاها لان جسد الانسان لا يخلو منها ابدًا ومرضهُ وصحتهُ يتوقفان على حالة جسمهِ العمومية فاذا كان قويًّا قاوم الميكروبات القتالة وتخلص منها والاَّ اوردتهُ حتفهُ

ويشبه اعتقادنا بالميكروبات بعد اكتشافها ما نعتقدهُ اليوم بميكروبات الهيئة الاجتماعية وهم الذين شذوا عن القياس ككبار المجرمين ونوابغ الرجال بعد الذي كتبهُ عنهم علماء الاخلاق من مورل الى لمبروزو. وهؤُلاء الشاذُّون لم يخلُ منهم مكان ولا زمان لكنَّا كنا اذا قرأنا شيئاً عن نيرون ومذابحهِ الفظيعة او عن غيرهِ من العتاة خلنا ذلك امرًا مخالفاً للمألوف مخالفةَ زيٍّ قديم للازياء الجارية الآن وعللناهُ بقولنا انهُ شذوذ من شواذ الطبيعة. اما الآن وقد درس العلماء احوال هؤُلاء الاشخاص وقابلوهم بجمهور الناس فاتضح لهم وجود نوع من الناس لم يحلموا بهِ قبلاً وتحققوا ان بني آدم قسمان شاذُّون واعتياديون او غير شاذين

اتفق منذ مدة اني زرت الاستاذ لمبروزو في تورين وبينما نحن نبحث في ما كُتب حديثاً في علم الاخلاق اتاهُ تلغراف من جريدة النيويورك هرالد تسألهُ فيهِ ان يوافيها بجواب تلغرافي طويل على السؤَال الآتي وهو "ما هو الانسان الاعتيادي" وتعدهُ باجرة كبيرة عليهِ. وسبب طلبها هذا ان الجرائد الاميركية كانت تكتب اذ ذاك المقالات الطويلة اثناء المحاكمة في حادثة قتل مهمة وتنشر صور القتلة الواردة في كتاب الاستاذ لمبروزو عن "الرجل الجاني" وفي كتابي "عن القتل". ولا بدَّ من ان قراء النيويورك هرالد خاب انتظارهم لما طالعوا

جواب الاستاذ لمبروزو لانهُ عوضاً عن التغني بمدح الانسان الاعتيادي او غير الشاذ وصفهُ وصفاً تافهاً كقولهِ انهُ "يأكل جيداً و يشتغل كثيراً وهو محبٌ لذاتهِ مواظب على اعمالهِ صبور اليف". وما اشبه هذا بما وصف بهِ فكتور هو الرجل العادي فقد قال انهُ ابن العادة عاقل حائز للفضائل التي من الدرجة الوسطى يعيش عيشة راضية لقلة حاجاتهِ

وقد قال مورل في كتابهِ بوجود مثال كامل للانسانية موافق لمعتقداتنا حتى يصحّ ان يقال ان انحطاط طبيعتنا هو نتيجة الابتعاد عن هذا المثال الكامل . اما العلم الحديث فقد اثبت ان الابتعاد عن هذا المثال ليس دائماً دليل الانحطاط بل قد يكون مصحوباً بالارتقاء . وليس للانسان الاعتيادي صفات ذلك المثال الكامل الذي ورد ذكرهُ في كتب الدين بل هو نتيجة الانتخاب الفردي والاجتماعي و يختلف باختلاف احوال المجتمع الذي يعيش فيهِ و يتغير بتغيرهِ . و يصح ان يقال ان الانسان الاعتيادي اشبه بالثياب التي تباع جاهزة فهي تغطي الجسد ولكنها لا تصلح لشخص معلوم . فهو كائن حي ينمو و يتوالد و يورث ما ورثهُ من العقائد الفاسدة ولكنهُ لا يمتاز على من سواهُ بشيءٍ من الاشياء واذا تصفحت كتب التاريخ لم تجد فيها ذكراً لغير الشاذين من الناس كالمجرمين والظالمين او الذين امتازوا على غيرهم بالعلم والفضل اما الرجال الاعتياديون فلا يدري احد من اخبارهم شيئاً واذا صحّ ما قالهُ نابوليون الاول عنهم امكننا ان نشبههم بالمشاة في الجيش الانساني

ولا ريب ان العالم مديون للشواذ بما ادخلوهُ فيهِ من الاصلاحات العظيمة وهم على نوعين النافع والضار و يدخل تحت الاول جميع الذين سعوا في ترقية الهيئة الاجتماعية وتحت الثاني ذوو المطامع الذين لم ينظروا الاَّ الى مصالحهم الذاتية والمعتوهون والمجرمون ونحوهم من الذين اضروا بجسم الاجتماع الانساني ولكنهم قليلون بالنسبة الى النوع الاول

فالعالم مؤَلف من مقدار صغير من النفايات يعيش عليها و يحيط بها جمهور الناس الاعتياديين وفوقهم الشواذ النافعون يديرون اعمالهم و يرفعونهم الى الدرجات العليا . والشاذ النافع هو من كان قليل المقاومة للافكار الحديثة محباً لغيرهِ لهُ غاية يسعى اليها بهمة ونشاط وثبات رغماً عن العقبات التي تلقيها في طريقهِ المعتقدات القديمة التي يتمسك بها العوام تمسكاً شديداً

والنابغة هو الشاذ الذي يرى رأياً جديداً فاذا لم يكن في جو العالم الانساني العناصر اللازمة لنموهِ اضمحل وتلاشى ويقاوم الاعتياديون هذا الرأي الجديد اشد المقاومة غير ان سعي صاحبهِ في سبيل تحقيقهِ وتضحيتهُ كل شيء في ذلك السبيل وتطرفهُ فيهِ كل هذا يضمن لهُ الظفر في الختام رغماً عن الهزء والاضطهاد

ومهما يكن في هذا القول من الغرابة فهو مطابق للواقع . فقد نشر شخص يدعى اراسموس من اهالي روتردام في هولاندا في اوائل القرن السادس عشر رسالة سماها "مدح الجنون" اشتهرت في زمانها كثيرًا . وقد شجبتها مدرسة السربون في باريس حال نشرها اما رومية فامهلتها طويلاً لان البابا ليون العاشر قال لما قرأها "ان في مؤلفها طرفًا من الجنون" ولم يزد على ذلك . قال المؤلف في اهداء الرسالة الى صديقهِ توماس مورس "للجمهور وحدهُ حق الحكم على مؤلفي هذا غير اني ارى اني لم اكن مجنونًا تمامًا حينما الفتهُ في مدح الجنون"

وقد بحث اراسموس في هذا الموضوع من الوجهة الادبية غير ان مؤلفهُ لا يخلو من بعض الامور العلمية وهاك بعض ما جاء فيهِ عن لسان المجنون دفاعًا عن نفسهِ :—

" اذا صح ان الحكمة هي معرفة كيفية التصرُّف في الاشياء فمن يا ترى يصح ان يدعى حكيمًا — ألرجل الذي لشدة تحفظهِ وخشيتهِ لا يجسر ان يشرع في عمل ما او المجنون الذي لا يوقفهُ خطر ينكر وجودهُ او حذر لم يشعر بهِ قط عن الإقدام على الاعمال . الحكيم لا يستفيد من كتب الاقدمين سوى كلمات مركبة اما المجنون فيكتسب الحكمة الحقيقية وسط الاخطار واضطراب الاعمال وقد صدق هوميروس بقولهِ — ان المجنون يتعلم على نفقتهِ الخصوصية

"وفي طريق الانسان الى الاختبار حجرا عثرة اولها الوجل الذي يظلم الافكار ويضيع الوسائل وثانيهما الخوف الذي يكبر المصاعب فيصرف النفس عن مقاصدها العظيمة اما المجنون فلا توقفهُ هاتان العثرتان

" ان الرواقيين (١) انفسهم لم يحتقروا الملذات واذا كانوا قد شجبوها امام الناس فما ذلك الا ليصرفوهم عنها ويحفظوا الطيب منها لانفسهم . وهل يجسر اولئك المراؤن ان ينكروا ان كل يوم من ايام الحياة حزن وشقاء اذا لم يضع الجنون شيئًا من المسرَّة فيهِ. الم يقل سوفوكليس ان الحياة لا تكون سعيدة الأ متى غابت الحكمة (او بعبارة الشاعر العربي ما لذة العيش الأ للمجانين)

"والجنون نوعان اولها ما ترمي بهِ الجن الى الارض فتشتعل الحروب ويسعى الناس وراء المال ويقتل الولد اباهُ ويرتكب الانسان الموبقات. والثاني بخلاف الاول نعمة للجنس البشري يظهر ببهيئة وهمٍ تعشقهُ النفس فيزيل منها الهواجس والشجون فتنهمك في الملذات العقلية والادبية فليس من الحسن ان يسمَّى كل نوع من الانحراف العقلي جنونًا "

(١) وهم طائفة من الفلاسفة يعتقدون انهُ يجب على الانسان ان لا يفرح ولا يحزن

فما رآه ارمموس من الفرق بين الشاذ النافع والشاذ المضر ووصفهُ بعبارة اقرب الى الشعر منها الى غيره قد اثبتهُ العلماء اليوم بالادلة العلمية

والشاذون من النوع المفيد اشبه بالفراش يحومون حول جميع الانوار فاذا اتفق ان النور كان آلاً كاذباً اي كان غرضهم دنيئاً او تقصد بهِ مصلحة ذاتية كان اولئك الشاذون كمن يربي طفلاً لا ترجى لهُ الحياة . ولا يمنع هذا ان الشاذين النافعين هم سبب ارتقاء الحياة الاجتماعية لانا بواسطتهم اكتشفنا ما كان مجهولاً وتحررنا من رقّ الجهل والغباوة

وما ذكرهُ لمبروزو عن " نفع الجرائم " وارتآهُ العالم وركيهم من ان الجنايات هي احد الشروط الصحية للمجتمع الانساني صحيحان ولكن يجب ان يراعى فيهما الفرق بين الجرائم المضرة والنافعة فالاولى اشبه بمرض في الجسم الانساني اما الثانية فلا وعلى نجاح الثانية يتوقف حسبانها من الاعمال الممدوحة او المذمومة فالثورة السياسية او الاجتماعية امر حميد اذا نجحت وامر مذموم اذا حبطت

وماذا نقول في النوابغ ? قال الاستاذ لمبروزو ان النابغة هو من شذَّ عن الحالة الاصلية وهو قول صحيح كاد يقبلهُ الرأي العام لانهُ رآهُ مثبتاً بالدليل العلمي . فالنوابغ اناس شذوا عقلاً وجسماً لكنهم ما برحوا برهاناً قاطعاً على فائدة هذا الشذوذ وشذوذهم عقيم لانهُ لا يولد منهم اناس مثلهم لكن قوتهُ لا تفرغ الاَّ بعد ان يكون قد اضاء مشعلاً من الحقائق المجهولة انار بهِ جمهوراً غفيراً من العامة او من الناس الاعتياديين . ومَن غير الشواذ يغير القديم من التقاليد والعقائد ويزيل الخوف من السلطة والاستعباد لبعض الشواذ المضرين . فعلينا اذاً ان نعيد الى الشواذ حقوقهم المسلوبة وان نغير الرأي العام فيهم كما قد غيرناهُ في الجمال فصرنا نفضل عدم النظام على النظام ونفضل المرأة ذات الجمال الشاذ على ذات الجمال العادي

ويصعب علينا ان نبطل احترام الناس للاعتياديين فهو قديم جداً وقد مضى عليهِ قرون عديدة لم ينقطع فيها الاَّ فترات قليلة حينما قام الشواذ وغالبوا العقائد القديمة وحاولوا نسخها

وقد استنتج امون ولابوج من ابحاثهما في علم الانثروبوسيولوجيا (الذي يستخدم مقياس الراس لمعرفة الارتقاء الاجتماعي) ان الناس الشقر ذوي الرؤُوس المستطيلة هم الواسطة لترقية الجنس البشري ولذلك يستحقون وحدهم ان يتناسلوا . ثم اذ رأيا من ابحاث بروكا ان الانتخاب الاجتماعي يقضي على الشواذ بالموت في حال العزوبية او بالفقر ويسهل التناسل المرضي قالا بوجوب الانتخاب القانوني اي انهما تدبرا ما قالهُ داروين وغلتون وهايكرفت عن صعوبة الاعتناء بالمرضى وذوي العاهات وقالا بمنع تناسل مثل هؤُلاء وبايجاد نسل نوعي مشابه

للمثال الكامل الذي وصفهُ مورل . وفي ذلك ما فيهِ من جعل الناس كلهم اعتياديين ومنع تولد الشذوذ

ولم يرتقِ الانسان من حالة الهمجية عندما كان يسكن الغابات و يصل الى حالهِ الحاضرة الاَّ بفضل الشواذ . وللانحراف عن الاصل وجهان احدهما قبيح ضار والآخر جميل نافع

فلنتخلص من الاعجاب بالانسان الاعتيادي ولنتعود النظر الى الشاذين بلا خوف ولا احتقار ولندافع عن الضارين منهم معاملين اياهم بالشفقة لا بآلات التعذيب التي ورثناها عن القرون الوسطى ولنُعِد الى الشاذين النافعين حقوقهم فقد نفحوا الانسانية بكثير من النعم والمواهب

نسيم برباري

اللغة المكتوبة واللغة المحكية

لا مراء في أنَّ للُغة العربية الفصحى او العربية المكتوبة جانبًا امنع من حمى كليب واعزَّ من جبهة الأَسد فما رمَقها قطُّ واحد بنظرةٍ او رماها بزهرةٍ الاَّ صلاهُ انصارها نارَ حربٍ زبون يهون عندها شرب المنون ولو استطاعوا لقلعوا عينيهِ وقطعوا يديهِ . إذًا فليخفض حضرة القاضي ولمور عن نفسهِ وليقس ما لقيهُ في يومهِ بما اصاب غيرهُ في امسهِ . فيرى في الحال صحة الخبر . ويصغر في عينهِ الخطب على الأَثر ويعلم انهُ لم يكن اوَّل سارٍ غرَّهُ قمر

اشار المقتطف في باب التقريظ والانتقاد من الجزء الماضي الى الكتاب الذي وضعهُ حضرة القاضي ولمور في اللغة الانكليزية وجمع فيهِ اللغة المحكية في الديار المصرية قاصدًا بذلك تسهيل نشر العلوم والمعارف في اللغة العربية (المحكية) وتقريب منالها على الاجانب واشار على الصحف العربية بأَن تأخذ أخذهُ وتنبذ اللغة المكتوبة وتستبدلها بالمحكية حتى اذا عملت باشارتهِ وضافرها على ذلك اهل الحل والعقد قُضي على اللغة المكتوبة ونيل من ضرتها الغاية المطلوبة

فشنَّ عليهِ ارباب الاقلام غارة شعواء وفيَّلوا رأيهُ وعدُّوهُ اسخف الآراء . ولشدة حنقهم منهُ وموجدتهم عليهِ حسبوا انهُ اوَّل مخترق لحجاب العربية المصون وانهم هم اوَّل من حمى ذمارها وذاد عن حياضها . ونسوا او تناسوا أنَّ كثيرين غيرهُ طرقوا قبلهُ هذا الباب واعترضهم حماة اللغة وانصارها مدافعين مناضلين . وسيظلُّ هذا الباب معرَّضًا للقرع والطرق حتى يزول الخلاف بين الضرتين ولا يبقى اثر لهذا الفرق

وكان المقتطف كما أشار في الجزء الماضي اوَّل منبهٍ على قصور اللغة المكتوبة عن الوفاء بحاجة الكتَّاب في هذه الايام ولكونهِ من اشدّ اصحابها غيرةً عليها قضى بوجوب الاحتفاظ بها وأشار بما حضرهُ حينئذٍ من وسائط توسيع نطاقها وتعميم شيوعها في الالسنة مكان اللغة المحكية . وكان هذا العاجز ممن رأوا رأي المقتطف في المناظرة الاولى التي حدثت بين "الممكن" ومناظريهِ منذ احدى وعشرين سنة وفي المناظرة الثانية التي حدثت بعد ذلك بنحو ست سنين بيني وبين حضرة نعمة افندي شديد يافث (١)

ولو أن انصار اللغة المكتوبة نبذوا من اول الامر التطرُّف والمغالاة جانباً وجاروا المقتطف في الاعتدال وأقرُّوا اقرارهُ بنقص اللغة المكتوبة وقصورها عن مجاراة اللغات الاجنبية وقضوا هذه السنين الطويلة في البحث عما ينبغي اجراؤهُ لخدموها خدمةً عظيمةً ولم يتركوا باب التهجُّم عليها مفتوحاً الى الآن . لكنهم كانوا — عفا الله عنهم — كما رأيناهم هذه المرَّة في حملتهم على المستر ولمور يقصرون كلامهم على تسفيهِ رأي من يشير باستخدام اللغة المحكية لانها قاصرة ضيقة فاسدة الخ وزاد بعضهم هذه المرة نغمةً جديدةً في طنبور الدفاع بلغ بها حدَّ الاعجاز وغاية الابداع وهي ان حملة القاضي ولمور على اللغة المكتوبة مبطنةٌ بحملةٍ دينيةٍ يكرُّ بها الصليب على الهلال وما اعظم ما تبلغهُ السخافة من عقول بعض الرجال

اما المقتطف فقد أراهُ الاختبار الطويل ان اللغة المكتوبة لا تزال في حاجةٍ ماسَّةٍ الى ما يسد خللها ويتمم نقصانها وانَّ ما اشار بهِ منذ احدى وعشرين سنة وصدَّقهُ هذا العاجز في حينهِ واشار بهِ غير مرةٍ في جريدة ثمرات الفنون لم يجدِ فتيلاً ولا اروى غليلاً الا وهو شروع الاساتذة والمدرسين في مخاطبة التلامذة باللغة المعربة وتعويدهم النطق بها وعقد مجمع لغوي يحكم في النحت والوضع والتعريب . اما الاول فلأن اكثر الاساتذة لم يكونوا قادرين عليهِ لفقدان هذه الملكة منهم او لان المدارس انفسها لم تساعدهم على اتمامهِ جاعلةً التكلم باحدى اللغات الاجنبية من قوانينها الاساسية او لان التلامذة انفسهم لم يرتاحوا الى هذا الامر الذي لم يروا من ورائهِ جدوى تستحقُّ ما يقتضيهِ من العناء الجزيل والوقت الطويل . وحسبوا وهم مصيبون انَّ مزاولة تحصيل اصعب اللغات الاجنبية اسهل مطلباً وايسر منالاً من محاولة تحصيل ملكة التكلم بالعربية الفصحى . وهب انهم تمكنوا مع طول الايام وملازمة الجدّ والاجتهاد من تذليل الصعاب وامتلكوا ناصية التكلم بالعربية المعربة طبقاً لقواعد صرفها ونحوها ومعانيها وبيانها فهل يجنون من ذلك فائدة توازي اقل منفعةٍ يجدونها في تعلُّم اصغر اللغات الاجنبية شأناً ؟

(١) مقتطف مجلد ١٢ جزء ٢ و ٥

واما الثاني اعني عقد مجمع لغويٍ فالفائدة منهُ مضمونة لا محالة وعليهِ وحدهُ يتوقف خلاص اللغة المكتوبة من براثن اللغة المحكية والاَّ فهي باطشةٌ بها مفترسة لها عاجلاً كان او آجلا ولكنهُ لسوء الحظ لم ينعقد بعد ولن ينعقد ابد الدهر الاَّ اذا استوفى الشرطين اللازمين لهُ وسنأتي على ذكرهما . ومن الغرور ان يتوهم البعض أن اللغة المكتوبة يمكنها اذا استتمت شروطها كلها ان تتغلب على اللغة المحكية وتلاشيها وتحلَّ محلها . ومن علل نفسهُ بهِ فقدم كدم في غير مكدم . وطمع في ما لا مطمع وراءهُ ولا مغنم . وهب أننا ارضعناها لاطفالنا مع اللبن واستطعنا ان نخرّجهم عليها في بيوتنا ومدارسنا وعقدنا لها احسن مجمع لغويٍ لما افاد هذا كلهُ اكثر من صدّ تيار اللغة العامية عن الطموّ عليها وابتلاعها لكنهُ ما كان قطُّ ليطمس معالم اللغة المحكية من الوجود ويدرجها في اكفان عاد وثمود . والفرق بين المكتوب والمحكيّ امرٌ طبيعيٌّ لا بدَّ منهُ في كل لغةٍ من لغات البشر ولا تقدر اعظم قوى العالم على ازالتهِ . قال المقتطف "ولقد كانت العربية المحكية تخالف العربية المكتوبة من عهد ابن خلدون وما قبلهُ و يظهر من ادلةٍ لا محل لبسطها هنا انها كانت تخالف العربية المكتوبة دائماً " وكثيرون من الباحثين في فلسفة اللغة العربية والفرق بين المحكي والمكتوب منها لا يقفون عند هذا الحدّ من الاستنتاج بل يتجاوزونهُ الى ما وراءهُ كثيراً جازمين بان اللغةالعربية الفصحى لم تتعدَّ قط نطاق الكتابة منذ عهد نشأتها الى الآن اي ان العرب حتى في صدر الجاهلية لم يتكلموا بالعربية المنطبقة على الاحكام الاعرابية انطباقاً تاماً بلا زيادةٍ ولا نقصان . نعم ربما لم يكن الفرق بين محكيهم ومكتوبهم عظيماً كما هو في ايامنا هذه لكنهُ كان موجوداً ولو زهيداً كما هو الآن بين المكتوب والمحكي في كلٍ من اللغات الاجنبية

واذا كان هذا الفرق موجوداً في كل لغةٍ فلماذا هو في اللغة العربية اكثر منهُ في غيرها ؟ ماذا يجيب المحامون عن اللغة المكتوبة وانا واحدٌ منهم ؟ واذا صحَّ ان العرب كانوا في القديم يتكلمون اللغةَ المعربة او كان الفرق بين محكيهم ومكتوبهم قليلاً كما هو الارجح فلماذا حصل هذا الفرق او زاد على توالي الايام خلافاً لما ينتظر من انتشار المدارس والمطابع وشيوع الكتب والجرائد ؟ لا سبيل للجواب على هذه الاسئلة كلها ألا بهذا وهو ان اللغة المعربة لا تصلح ان تكون لغة تكلم ولم توضع الاَّ لتكون لغة كتابةٍ وبيان ذلك ان المتكلم من طبعهِ يطلب الاختصار في حديثهِ ما استطاع الى ذلك سبيلاً اقتصاداً في الوقت وابتغاء للبلوغ الى مقصودهِ من اقرب الطرق وأخصر التعابير والكلام المعرب طويلٌ جدًا اولاً بسبب حركات الاعراب وثانياً لعدم امكان الاختصار فيهِ كما في المحكي والكلمة المعربة يقتضي لفظها من

الوقت والمقاطع مضاعف ما يقتضيهِ لفظ كلمة عاميَّةٍ فالحديث الذي يقتضي سردهُ باللغة المحكية نصف ساعةٍ اقتضى بالمكتوبة ساعة على الاقل . إذاً ليس في اللغة المعربة ما في اللغة العامية من الصلاحية للتكلم والمخاطبة ولذا قضى عليها قانون تنازع البقاء ان تجفوها الالسنة والشفاه. وتنبذها الافواه نبذ النواة . وينحصر استعمالها في تسويد بياض القرطاس بمداد الدواة . واذا لم يرق هذا الحكم في عين المعترض وانكر علينا صحتهُ فلا نطالبهُ باكثر من بيان العلة لنشوء اللغة المحكية واظهار السبب لحصول هذا الفرق العظيم بينها وبين المكتوبة فان استطاع اقناعنا بان لذلك سبباً آخر غير أنسبيتها اي كونها اصلح وانسب واسلس واسهل على الشفاه والالسنة من اللغة المكتوبة وافقناهُ على كل ما يدعيهِ بلا استثناء . وزدناهُ ما شاء من الشكر والثناء

ولو جمعنا ما كتب في لغتنا العربية منذ ثلثين سنة فقط عن اللغة المكتوبة واللغة المحكية لشغل مجلَّداً ضخماً يبلغ عدد صفحاتهِ الفاً او يزيد وقد ذهب كلهُ باطلاً وانتهى الكتَّاب في كلامهم على هذا الموضوع الخطير حيث ابتدأوا فلم يقرروا فيهِ حقيقةً ولا فصلوا خطاباً . وعلة ذلك فيما أرى تطرُّف الباحثين من انصار اللغة المكتوبة (واولهم انا) في التحامل على اللغة المحكية استسلاماً للميل والهوى او حرصاً على الاحتفاظ بالقديم او اكتفاء بالنزر القليل من التروي والامعان او خوفاً من التصريح بما يخالف الرأي العام او لغير ذلك من الاسباب الواهنة التي لا تصحُّ ان تُتَّخذ كلها فضلاً عن واحدٍ منها اساساً لبناء اصغر الآراء واقل الاحكام

تطرَّفنا ما شئنا وبالغنا في صلاحية اللغة المعربة لكل مكتوبٍ ومحكيٍّ وغالينا في فساد اللغة المحكية وعدم صلاحيتها لشيء والواقع او الاختبار داحض لزعمنا مناقض لرأينا في الامرين كليهما وغاية ما يتكلَّفهُ من يتعمد إفحامنا أن يقول لنا " اذا كان الامر كما ذكرتم فلماذا لم يعمَّ استعمال الاولى ويبطل استعمال الثانية ؟ ". والباحث العاقل المنزَّه عن الغرض اذا تساهل معنا في المناظرة وسلَّم جدلاً بعدم صلاحية اللغة المحكية — وهي على حالتها الراهنة — لأن تكون لغةً مكتوبةً لا يسعهُ مطلقاً ان يسلم معنا بان اللغة المكتوبة صالحة — في حالتها الحاضرة لان تكون لغةً محكيةً لانها غير كافية للتعبير عن كل ما يبدو لنا من الخواطر والافكار وسبب عدم كفاءتها ليس نقصاً اصلياً او قصوراً طبيعياً فيها بل قلة المعروف او المتداول منها عندنا . ومعلوم ان اللغة التي لا تصلح عند التكلم والتخاطب ان تقضي حاجات التفاهم التي كثيراً ما يستعان على سد الناقص منها باشارات اليدين واعضاء الوجه وغيرها فكيف تصلح ان تقضيها كتابةً وهي مجرَّدة عن كل واسطةٍ تعينها على ذلك

لا ريب في صحة هذه النتيجة وان كبر علينا امرها وأبينا الاعتراف بها . ومن الغريب

اننا قد نسلّم لاول وهلة بصحة النتيجة الاولى التي اثبتناها وهي عدم صلاحية اللغة المكتوبة للتكلم ونأبى التسليم بصحة النتيجة الاخيرة اعني عدم صلاحية اللغة المكتوبة للكتابة وننسى ان النتيجة الاولى لازمة للثانية وناتجة عنها اعني ان عدم صلاحيتها للتكلم ناشيء عن عدم صلاحيتها للكتابة والاّ اي لو انها كانت صالحة للكتابة لصلحت للتكلم لا محالة

ولعلّ بعضنا ولا سيما الذين برزوا منا لمقارعة القاضي ولمور لا يطيب لهم سماع مثل هذا الحديث واهون شيء عليهم ان يتهموني بالانحياز عنهم والانضمام الى انصار اللغة المحكية . ولكن ما قولهم بشهادة ارباب الاقلام انفسهم واية شهادة اخرى غيرها يقبلون اذا رفضوها ولم يصدقوها . فالى جهابذة الكتبة البالغين في صناعة التحرير ابعد غاية وارفع مرتبة نرفع هذه المسألة ونستحلفهم واحداً واحداً بالمسغبة والمتربة وشظف العيش الناتج من شق تلك القصبة أن يجيبونا بصدق وإخلاصٍ على هذا السؤال : هل كتب احدهم مرةً مقالةً او نبذة او كتاباً تصنيفاً او تأليفاً او تعريباً وهو واثق كل الثقة انهُ مثّل لقارئي كتابتهِ صورة المعنى التي رسمها في ذهنهِ تماماً كما يمثلها الكاتب الانكليزي او الفرنسوي او غيرهما من كتّاب اللغات الاجنبية : هل اكمل مما كتبهُ فصلاً بل صفحةً بل سطراً دون ان اخذ بعنان اليراع وثناهُ عن الجري في ميدان الطرس وهبّ يستحثّ ذاكرتهُ ويعصر يافوخهُ طالباً كلمةً اوكلمات يتخذها قالباً لسبك المعنى السائل في دماغهِ على حرارة التصوُّر والتخيُّل ويجعلها صفيحةً ينقل عليها الصورة البديعة المرسومة في الذهن بيد الاجادة والاتقان واذ لا يرى في محفوظهِ من كلمات اللغة المكتوبة ما يشفي الاوام ويفي بالمرام ويخاف ان يستعين بلفظة من لغة العوام لم يحكها ابو زيدٍ ولا رواها ابن هشام يضطرُّ رغم انفهِ الى العدول عن ذلك الرسم البديع الجميل واستبدالهِ بما يوافق اللفظ العربي الفصيح وما اسخف المعاني الخاضعة لاحكام للفظ

ومعلوم ان مواضيع الكتابة اكثر من ان يحيط بها عددٌ او يجمعها احصاء ولكن زهرة ربيعها وعروس مواضيعها وواسطة عقد بديعها هو الوصف . فمن من ساداتنا الكتاب النحارير فرسان الانشاء والتحرير وابطال اليراع المغاوير حاول مرةً وصف شيء مما في القبة الزرقاء او على سطح الغبراء او بين الارض والسماء او في عالم السرّ والخفاء . واستطاع ان يمثلهُ لعين القارىء او لأذن السامع تمثيلاً حقيقياً يستوي فيهِ العين والاثر ويستغني مطالعهُ عن المشاهدة وسامعهُ عن النظر

من منهم اذا دخل مرقصاً او نادي انسٍ او محفل طرب واراد ان يكتب عنهُ بقدر ان يصف باللغة المكتوبة كل ما وقع عليهِ نظرهُ وشاهدتهُ عيناهُ في ذلك المكان من المجالي

والمظاهر والمشاهد والمناظر . وكم يرى في ذاكرتهِ من الكلمات العربية الفصيحة التي ترسم في ذهن القارىء الصورة الحقيقية لما رآهُ في ذلك المشهد على الرجال والنساء من الملابس المتعددة الاشكال والمختلفة الانواع وما في القاعة وعلى " البوفه " و . و . الخ . او يظن ان القارىء يرويهِ السراب و يشبعهُ كشي الضباب ويكفيهِ من الوصف ان يقال لهُ " وكان الرجال قائمين بالملابس الرسمية والسيدات بافخر الحلل واثمن الحلى والقاعة مفروشة باغلى الاثاث وانفس الرياش ومزدانة بالمصابيح والانوار والرياحين والازهار والبوفه حافلة بالذّ الاطعمة واطيب المشروبات " . واذا اقترحنا على ابلغ كاتب عربيّ في هذه الايام ان يصف لنا " اوضة مقعد او مخدع نوم او غرفة طعام وصفاً مدققاً يشمل كل ما فيها من الامتعة والادوات المصنوعة من خشب وزجاج ومعدن وحرير وصوف وقطن وغير ذلك او يصف ثياب سيدة من السيدات وحلاها فهل يستطيع اجابة الاقتراح تماماً دون ان يستعين باللغة المحكية ؟ يبعض كلامهِ بل بكلهِ

جلست يوماً اطارح احد مشاهير العلماء البحث في هذا الموضوع فاعتذر عن قصور كتّابنا بقولهِ " انَّ عدم تعوُّدهم التدقيق في وصف مثل هذه الامور يحول دون مجاراتهم لكتاب الافرنج فيهِ بخلاف غيرهِ مما تعوَّدوا وصفهُ كالجمال مثلاً فانهم بارعون جدًّا في وصف القامة والشعر والعينين والفم والعنق وغير ذلك مما يجيدونهُ غاية الاجادة ويجلُّون في ميدانهِ على كتاب اللغات الاجنبية " . وعندي ان هذا اذا صحَّ فهو بعض السبب لا كلهُ . وهب انهم مارسوهُ حتى اصبح ملكةً راسخةً في اذهانهم فماذا يفيدهم ذلك ما داموا في حاجةٍ الى كلامٍ يعبرون بهِ عن موصوفهم ولا يجدون منهُ ما يجدونهُ عند ارادة التعبير عن اوصاف الجمال

ثم ان حاجتنا الى اللغة المكتوبة ليست مقصورة على الوصف ولا هي محصورة في الادب والمدح والهجاء والتهنئة والرثاء والفخر والحماسة كما نراها هذه الايام في صحف الاخبار وكتب الادب بل تتعدى الى ما هو اهم جدًّا من جميع هذه المذكورات — الى العلوم والصنائع — الى ما لا يحصى من المسميات الطبية والكيماوية والفلسفية والفلكية والهندسية والصناعية والتجارية والزراعية والبخارية والكهربائية وغيرها مما يحتاج الى عشرات الالوف من الكلمات ولا نرى لهُ في لغتنا المكتوبة الآن غير كلمتين فقط وهما " ادوات وآلات "

فالمجمع اللغوي الذي نحتاج اليهِ ينبغي ان يتألف من رجالٍ اكفاء لهذا العمل الخطير يناط كلٌّ منهم باحصاء كلمات فرعٍ من العلوم ونوعٍ من الصناعات بنقلها عن اربابها العاملين فيها ثم ينظر اعضاء المجمع كلهم معاً في كل قسم من هذه الكلمات على حدةٍ فما وجدوا لهُ في

اللغة العربية لفظاً يجيء بمعناه او يقرب منهُ ويسهل تعميمهُ وضعوهُ لهُ واحلوهُ محلهُ وما لم يجدوا لهُ شيئاً من ذلك عربوهُ وادخلوهُ وبعد ما يفرغون من عمل الوضع . التعريب يطبعونهُ ويوزعونهُ ولا يلبث ان يعمّ استعمالهُ وتشمل فائدتهُ

والاَّ فاللغة المكتوبة لا توقى التيار المثلث المندفع عليها من اللغة المحكية واللغة الفرنسوية والانكليزية بمجرد قولنا انها مهبط البلاغة والفصاحة ومجلى الحسن والملاحة وربة الاستعارات والكنايات وشامة في وجنة اللغات . وان اكتفينا بهذا كما هو ظاهر من غارتنا على حضرة القاضي وللمور اصبناها باساءة تمحو كل احساننا اليها . واضعناها من حيث اردنا المحافظة عليها

القاهرة — اسعد داغر

منزلة الشعر من التاريخ

(٢)

جرّنا البحث الى امرىء القيس وهو زعيم الشعراء بلا منازع ومليك البلاغة بلا مضارع ومن شعر عبيد يُعرف ان ابا امرىء القيس كان ملكاً على اسد وان جدّتهُ تدعى ام قطام وانهُ قصد ملوك غسان مستنصرًا على عداهُ . واذا اردنا اثبات ذلك من شعر امرىء القيس وجدنا جميعهُ مع تفصيل اوضح واتم كما ترى في البيتين التاليين

اقرّ حشا امرىء القيس بن حجر　　بنو تيم مصابيح الظلام

وانا الذي عرفت معد فضلهُ　　ونشدت عن حجر ابن ام قطام

قال شارح ديوان امرىء القيس اراد بنشدتُ رفعت ذكر حجر ابن ام قطام وبديهي ان الولد النجيب يرفع من ذكر ابيهِ . فدلّ قولهُ على انهُ ابن حجر ابن ام قطام

واذا اردنا المقابلة بين قولي عبيد وامرىء القيس قلنا

عبيد	امرىء القيس
يدعو خصمهُ مُرَيّ القيس وهو مصغر امرىء القيس	يدعو نفسهُ امرأ القيس وهو ينتسب الى كندة
يقول ان قتيل اسد يدعى حجر ابن ام قطام	يدعو اباهُ حجر ابن ام قطام
يقول ان قتيل قومهِ من كندة	يقول ان بني اسدٍ قتلوا اباهُ

فالرجل الذي يتكلم عنهُ عبيد هو بلا شك امرؤ القيس الشاعر المشهور . ومن ثم نستنتج ان حجرًا كان ملكاً على اسدٍ وانهم خلعوا نيرهُ فكبح جماحهم اولاً ثم شدُّوا عليهِ فقتلوهُ وقام

امرؤُ القيس يطلب بثأرهِ منهم . وانهُ لاذ بالملوك الغسانيين . وهذه حقائق تاريخية لا وجه للريبة بصحتها

قلنا ان امرأ القيس يورد نسبهُ بايضاح واستيفاء ينيفان على ما اوردهُ عبيد وذلك انهُ ينسب اباهُ الى جدهِ في قولهِ راثياً اخوتهُ

ألا يا عين بكّي لي شنينا وبكّي لي الملوك الذاهبينا
ملوك من بني حجر بن عمرو يساقون العشية يقتلونا

ثم انهُ يذكر جدَّ ابيهِ الحارث بن عمرو في قولهِ

أبعدَ الحارث الملك ابن عمرو لهُ ملك العراق الى عمانِ
مجاورة بني شمجى بن جرمٍ هواناً ما أُتيح من الهوانِ

وقد اورد اسم امهِ في قولهِ

ألا هل اتاها والحوادث جمة بأن امرأ القيس ابن تملك بيقرا[1]

ولنا ان نستدلَّ من قولهِ هذا ان العرب كانوا لا يأنفون من الانتساب الى الامهات بل كانوا يفتخرون بالانتساب اليهنَّ كما كانوا يفتخرون بالانتماء الى الآباء . قال بشر بن حازم في امتداح اوس بن حارثة بن لام الطائي (وهو من مشاهير سادات طي ومن كرامائها)

تداركني اوس بن سعدى بنعمةٍ وذاك الذي تومي اليهِ الاصابعُ

وقال زهير بن ابي سلمى المزني في امتداح هرم بن سنان المرّي

لعمر ابيك ما هرم ابن سلمى بملحيٍّ اذا اللؤماء لِيموا

ولنعد الى بحثنا الاول فنقول ان امرأ القيس تطرّق الى ذكر اعمامهِ واخوالهِ فقال

خالي ابن كبشة قد عرفت مكانهُ وابو يزيد ورهطهُ اعمامي

وذكر رحلتهُ الى الغسانيين يمماً القيصر بقولهِ

تذكرتُ اهلي الصالحين وقد اتت على خملا خوص الركاب[2] واوجرا
فلما بدا حوران في الآل دونهم نظرت فلم تنظر بعينك منظرا

وخملا واوجر موضعان يستدل من كلامهِ انهُ مرَّ بهما في سيرهِ من ديارهِ الى حوران . ثم ينتقل الى صف ناقتهُ قائلاً

فدع ذا وسلِّ الهمَّ عنك بجسرةٍ ذمولٍ اذا صام النهار وهجَّرا[3]

(١) يقر ذات معان احدها ملك (٢) الغائرات العيون واحدها اخرص او خوصاء
(٣) الجسرة الناقة الطويلة والذمول السريعة

وبعد ان يصفها بابيات يقول

عليها فتى لم تحمل الارضُ مثلهُ ابرَّ بميثاقٍ واوفى واصبرا
هو المنزِل الالآف من جو ناعطٍ بني اسدٍ حزْنًا من الارضِ اوعرا[٤]
ولو شاء كان الغزو من ارض حميرٍ ولكنهُ عمدًا الى الروم انفرا
لقد انكرتني بعلبكُ واهلها ولابن جريجٍ كان في حمص انكرا
بكى صاحبي لما رأى الدرب دونهُ وايقن انَّا لاحقانِ بقيصرا
فقلتُ لهُ لا تبكِ عيناك انما نحاولُ ملكًا او نموت فنعذرا

وهذا الكلام يطابق ما ادَّعاهُ عبيد من سقوط دولة امرىء القيس واستنصاره بالغسانيين . والخلاف بينهما حادث من توهم عبيد ان لحاق خصمهِ بهم آخر مطلبهِ اما امرؤ القيس فأبان ان مطلبهُ ابعد وشقتهُ اقصى حيث قال : ولكنهُ عمدًا الى الروم انفرا

ولنا من هذه الابيات ادلة تاريخية نذكر منها

(اولاً) ان العرب عرفوا مدينة بعلبكَ بهذا الاسم حينما كانت سورية منضوية الى المملكة الرومانية التي كانت تعرفها رسميًا باسم هيليوبوليس اي مدينة الشمس. وقد ذكر الدكتور لورته في كتابهِ سورية اليوم في الصفحتين ٦١٢ و ٦١٣ ان اسم بعلبك مشتق من بعل بمعنى الاول او الاقوى بين آلهة الفينيقيين وهو يضارع اسم زفس عند اليونانيين وجوبتير عند الرومانيين و بيلوس الكلدانيين وملكارث او هراقليس الصوريين وقد دُعي بعض المرات باسم ساترن او كسرونوس او هليوس اعني الشمس . وفي بابل تكرَّس لهُ اقدم واشهر معبد فيها وعبد متخذًا لهُ صورة الشمس اما في لبنان وانتيلبنان (لبنان الشرقي) فقد كانت عبادتهُ بنوع خاص. وبعلبك مفادها هيكل بعل لان بك او باكي مفادها البيت او الهيكل

ومما اوردناهُ يستنتج ان هيليو بوليس ترجمة بعلبكَ الحرفية فبين الاسمين رابطة معنوية هي وحدة المفاد ولكن هذه الرابطة ليست كلية حتى تصدق على كل مدينة ذات اسماء متعددة

(ثانيًا) من قول امرىء القيس "ولابن جريجٍ كان في حمص انكرا" نستدل على ان هذه المدينة كانت داخلة في سلطة العرب في عهد تملك الدولة الرومانية سورية بدليل اقامة رئيس عظيم عليها من العرب وهو ابن جريج . وقولنا برئاسة ابن جريج استدلال من ان من كان ملكًا لا يكون ضيفًا الاَّ لملكٍ او امير او رئيس ولا ينزل ضيفًا على واحدٍ من غمار الناس ولا سيما اذا كان ذاك الملك مستنصر ملوك كما قال خصمهُ

(٤) الحزن الوعر من الارض

وجموع غسان الملو (م) ك اتيتهم وقد انطوينا

ولو كان المستضاف من زعانف الناس فهل يليق بملك ان ينوه باسمهِ و يستنكر من تقصيرهِ . ونستدل ايضاً على ان ابن جريج من سلالة عربية من اسمهِ او تنويه امرىء القيس بقصورهِ في مزية الحفاوة بضيفهِ التي هي اخص مزايا العرب . ومن ان امرء القيس تزيل جموع ملوك لا تزيل ملك واحد

واذا كان ابن جريج عربياً كما اثبتنا فهو اما ان يكون غسانياً او غير غساني . فان كان غير غساني نعجب من ان المؤرخين لم يذكروا عن قبيلتهِ شيئاً مع انها تملكت او اقامت في مدينة من اهم مدن القطر الشامي ومهما تطرفنا بالتحامل على اولئك الافاضل فلا يمكننا ان نعزو اليهم اهمال حقيقة تاريخية كالتي نحن في صددها

واذا كان ابن جريج غسانياً فكيف جاز ان يحكم الغسانيون مثل حمص وهي مدينة قديمة عظيمة على مقربة منها نهر كبير "نهر العاصي" واراضيها غاية في الخصب وهي حصينة جداً فلا يعبأون بها و يتخذون قصبة ملكهم قرية صغيرة (٥) اشكل على مجلة المشرق تعيين موقعها فتارة تزعم انها في غوطة دمشق وطوراً في حوران واخيراً تحتم انها في جزيرة العرب وهذا التدقيق العجيب الذي يستنتج منهُ ان غوطة دمشق وحوران وبلاد العرب مكان واحد من الغرائب التي لم يسمع بها بعد

لكن يا ترى من يسلم (عدا مجلة المشرق) بان ملوكاً من اصحاب المدارك الراقية يتخذون مقرهم في قرية حقيرة يكون فيها مقامهم كمقام شيوخ القرى (كذا تقول المشرق) ويسلمون المدينة الكبيرة الحصينة الى احد اتباعهم فيتمكن هذا التابع من الخروج عليهم بل من الايقاع بهم متى شاء . أو ليس العقل السليم يحكم انهم ولوا تلك المدينة الكبيرة لتابعهم لانهم اتخذوا لهم مباءتهم مدينة او مدناً اعظم منها وعلى هذا يفضي بنا البحث الى التسليم بان ملوك غسان استقروا في جلق اعني دمشق وذلك لان دولة بني غسان تمتد (على قول المشرق) "من غوطة دمشق الى تدمر" وليس في هذا الاقليم مدينة افضل من حمص في السعة والخصب والمنعة الا دمشق فدمشق عاصمة مملكة الغسانيين . هذا ما ينتج مع مجاراتنا المشرق في تحديد مملكة بني غسان مع انهُ تحديد فاسد واوضح دليل على فسادهِ اجماع المؤرخين على ان جبلة وهي مدينة على شاطىء البحر بين مدينتي اللاذقية وطرابلس من بناء الغسانيين فاذن قد اتصلت مملكتهم بالبحر وهو ما ينكرهُ المشرق بقولهِ ان مملكتهم تمتد من غوطة دمشق الى تدمر

(٥) مجلة المشرق سنة ٣ جزء ٦ و ١٠

(ثالثاً لنا من قول امرىء القيس

" عليها فتى لم تحمل الارض مثلهُ ابر بميثاق واوسف واصبرا "

دليل على ان العرب كانوا يفاخرون بحفظ المواثيق والوفاء بالعهود و يعتبرون الصبر على المشاق من اشرف الفضائل . ومن البديهي ان الميثاق الذي يبرمهُ ملك او امير يقتضي ان يكون حتماً مع امير او رئيس مطاع وهذا مما يستدل بهِ على ان العرب كانوا على جانب عظيم من المدنية التي يفتخر بها ابناء هذا العصر المنير

ولقائل يقول انى يكون للقبائل العربية سهم في المدنية وهم في شغل شاغل من ترادف الغزوات وتتابع الغارات واصلاء نيران الهيجاء على حين نجد المدنية تحول دون ذلك اجيب ان المدنية كانت وما برحت تعتبر الحرب من مستلزمات الحياة فالأمة المصرية كانت في ابان زهوتها العلمية مستغرقة جميع قواها في الحروب وقس عليها سواها كالاشورية والفارسية . اما السبرطيون فكانوا يقضون سحابة الحياة كلها متجندين للقتال . وقد مر على اثينا عصر الفلسفة اعني عصر سقراط وفيثاغورس وافلاطون وهي مشتبكة بالقتال المستمر . وقد رأت رومية عصر شيشرون وفرجيل ابهج عصورها العلمية وهو مملوء بحروب بمبيوس ويوليوس قيصر واقتافيوس واغسطس كما يُعرف كل ذلك بادنى لحظة في تواريخ تلك الامم الشهيرة . فالحرب لم تكن في عرف المدنية قديماً امراً محرماً او مستقبحاً وهي كذلك في عهدنا هذا . واذا رأينا المؤتمرات الدولية تلتئم لسن الشرائع فيما بينها لرفع القتال فذلك لان فن الحرب اضحى متقناً بعداتهِ الهائلة ولا سيما بعد وضع التجند قانوناً مرعي الاجراء ولهذا امسى نشوب القتال عائداً على المتحاربين كليهما بالخسائر فضلاً عن ان الحرب تعدُّ الغالب طعمة لمترصدٍ فرصة ضعفهِ فينقض عليهِ بكل قواهُ

(رابعاً) يستخلص من قول امرىء القيس "هو المنزل الالآن في جو ناعط ..." ان قبائل العرب المتبدية كانت اذا خشيت من بأس العدو لجأت الى حزن وعر او لاذت بقنة جبل واقامت هناك حاذرة من مفاجأة الخصم ولذلك لا ينالها مكروه وقد اعرب عن ذلك بوضوحٍ النابغة الذبياني في قولهِ

وحلت بيوتي في يفاع ممنع يخال بهِ راعي الحمولة طائرا
تزلُّ الوعول العصم[٦] عن قذفاتهِ وتضحي ذراهُ بالسحاب كوافرا
حذاراً على ان لا تنال مقادتي ولا نسوتي حتى يمتن حرائرا

---

(٦) العصم واحدها اعصم الذي في يديهِ بياض

وكانت تحصن خشية من الضواري ايضاً بدليل قول امرىء القيس

لعمري لقوم قد نرى في ديارهم مرابط للامهار والعكر الدثر (٧)

احب الينا من اناس بقنة يروح على آثار شائهم النمر (٨)

فينجم عن ذلك ان العرب حتى البدو منهم كانوا يألفون التحصن في منازلة الاعداء وكانوا يتذرعون به في دفع الطوارىء والضواري

واذا كان هذا شأن العرب البدو والحضريون منهم ذوو معاقل وحصون وآطام وبنو غسان من هؤلاء فكيف يجوز نقول ان ملوكهم اهملوا المواقع الحصينة وسلموها الى حاشيتهم ونزلوا هم مكاناً غير حصين اعني قرية حقيرة في منقطع من الديار النائية

(خامساً) يستدل من قوله . "ولو شاء كان الغزو من ارض حمير . . . . " ان الدولة الحميرية كانت في عصره ذات صولة لكنهُ استنكف من الاستنجاد بها

وقد سبق لنا القول بان بني اسدٍ قتلوا حجراً والد امرىء القيس فاذا رغبنا في الوقوف على ما كان من امر هذا الشاعر البليغ عند ما بلغهُ نعيُ والده استطعنا معرفة ذلك من قولهِ

أرقتُ لبرقٍ بليل اهل يضيء سناهُ باعلى الجبل

اتاني حديث فكذّبتهُ بامرٍ تزعزع منهُ القلل

بقتل بني اسدٍ ربهم الا كلُّ شيءٍ سواهُ جلل (٩)

فاين ربيعة عن ربها واين تميم واين الخول

الا يحضرون لدى بابهِ كما يحضرون اذا ما بذل

وقال ايضاً

تطاول الليل علينا دمُّون (١٠) دمُّون انّا معشرٌ يمانون وانّنا لاهلنا محبون

ونستنتج من ذلك (اولاً) ان امرأ القيس لما بلغهُ نعيُ والده كان في جبل دمون. (ثانياً) ان بني كندة قبيلة يمانية (ثالثاً) صحة ادعاء عبيد ان قومهُ فتكوا بابي امرىء القيس كما صرّح امرؤُ القيس بذلك مراراً كقولهِ

يا لهف هندٍ اذ خطئن كاهلا القاتلين الملك الحلاحلا (١١)

ويتعين لنا من هذا البيت ان قاتل حجر من كاهلٍ وهي عشيرة من بني اسدٍ كما سبق لنا

---

(٧) العكر فوق خمسائة من الابل والدثر الكثير

(٨) الشاء جمع شاة وهي شر المال عندهم كذا يقول شارح ديوان امرىء القيس (٩) جلل هنا بمعنى حقير

(١٠) دمون اسم جبل (١١) السيد الشجاع

القول بذلك. واذا ناسبنا بين ابياتهِ اللامية التي رويناها اي "ارقت لبرقٍ ..." وقولهِ

فلا وابيك ابنة العامريّ (م) لا يدعي القوم اني افرّ
تميم بن مرٍّ واشياعها وكندة حولي جميعًا صُبُرْ (١٢)
اذا ركبوا الخيل واستلأموا تحرّقت الارض واليوم قرّ (١٣)

نستنتج ما يأتي (اولاً) ان امرأ القيس كان يجهل عند ما بلغهُ النعي ان بني تميم مشايعون لبني اسد في نبذ طاعة ابيهِ وفي قتلهِ ثم عرف ذلك بعدئذٍ (ثانيًا) ان كندة باسرها تضامّت حول امرىء القيس لاخذ ثار ابيهِ واذا نظرنا الى قولهِ

تبصرْ خليلي هل ترى من ظعائنٍ سوالك نقبًا بين حزمي شعبْعبِ
علونَ بانطاكية فوق عقمةٍ (١٤) كجرمة نخلٍ او كجنة يثربِ (١٥)

كان لنا ان نستخرج من البيت الثاني امورًا منها (اولاً) ان انطاكية كانت في ايام الشاعر مشهورة بالنسيج (ثانيًا) ان العرب كان لهم علائق تجارية مع مدن القطر الشامي وكانوا يعرفون واردات تلك المدن (ثالثًا) ان يثرب كانت في عصر امرىء القيس مشهورة بجنّاتها حتى انهُ ضرب المثل بها

وفي هذا القدر كفاية من الإلمام بشعر امرىء القيس خاصَّة وسنستشهد بشيء من شعرهِ في خلال الابحاث العامة . على اننا لو اردنا ان نجمع كل ما يمكن استنتاجهُ من شعر امير الشعراء مما يُستدلُّ بهِ على حالة من احوال معاش العرب او على مُلحة من اقوالهم او ملْحَمة من وقائعهم لكان لنا من ذلك رسالة خاصّة لا تقلُّ صفحاتها عن عدد صفحات هذه الرسالة . ولا يغرب عن القارئ الكريم انني كنتُ اجتزئُ ببعض الاستنتاجات من شعرهِ دون الجميع حذرًا من الإطالة المخلّة

امين ظاهر خير الله

(١٢) تميم بدل من القوم والواو في وكندة للحال لا العطف وصبر جمع صابر
(١٣) استلأموا لبسوا اللامة اي الدرع والقر البارد
(١٤) العقمة المرط الاحمر او كل ثوب
(١٥) والبعض يضبطونها بالتاء بدل الثاء

الصحيح من الفراسة

امارات السرور

لا نجد انساناً ولا حيواناً الاَّ وفيهِ عاطفة السرور يعرب عنها على اساليب شتَّى ظاهرة الدلالة لا تخفى على احد اظهرها الضحك وهو الاسلوب الوحيد الذي افاض في وصفهِ القدماء من اصحاب الفراسة كأن ليس للسرور علامة سواهُ . ذكر بعضهم ان ديموقريطوس كان يغرب في الضحك حتى اتسع شدقهُ وبلغ اذنيهِ وبقيت آثار الضحك في وجههِ . وقالوا ان زردشت صاحب ديانة الفرس ولد ضاحكاً وان مَن يغرب في الضحك حتى يتملكهُ السعال فهو ظالم غشوم ومن كانت لهُ شفتان دقيقتان ووجه بشوش يضحك ابتساماً فهو محب للملذات . ومَن كثر ضحكهُ قلَّت الثقة بهِ ومَن كان ضحكهُ قليلاً فهو كريم الطباع وافر الحكمة . الى غير ذلك من الاقوال السخيفة التي ان اصابت مرةً اخطأَت مئة مرة

واول من بحث عن الضحك بحثاً علمياً فسيولوجياً هو الشهير هربرت سبنسر وقد لخصنا الكلام التالي عما كتبهُ في هذا الموضوع قال :

اذا سألت الناس لماذا يضحكون حينما يرون ولداً يمشي لابساً ثياب ابيهِ اجاوبك لاننا نرى تضاداً بين الولد الصغير واللباس الكبير . وهذا الجواب لا يبين سبب الضحك لان الانسان يضحك ايضاً اذا فرح وسرَّ من غير ان يرى شيئاً من التضادّ ولا يبين ايضاً سبب ما يحدث من الحركات في وجه الانسان حينما يضحك . وقس على ذلك سائر الامور التي يظنها الناس سبباً للضحك فانها ليست السبب الفسيولوجي . والسبب الفسيولوجي هو ما اريد بيانهُ

من الافعال ما ليس خاضعاً للارادة كالسعال والعطاس لكنهُ يحدث من سبب مهيج كما اذا علق شيءٌ بالحلق او دخل السعوط الانف . ومنها ما هو خاضع للارادة لكن السبب المهيج يقويهِ كرجفان اليد فانهُ يشتد بالبرد حتى يخرج عن فعل الارادة . ومعلوم ان المؤثر يؤثر في طرف عصب من اعصاب الحس فينقل العصب التأثير الى مركز الجهاز العصبي ثم يُرد على عصب من اعصاب الحركة ويحرك العضو الذي اتصل بهِ المؤثر اي ينتقل التأثير من الاعصاب الى العضلات . ثم ان الفعل العصبي يؤثر في الاوعية الدموية فاذا سمع انسان خبراً مفرحاً او محزناً زادت ضربات قلبهِ . واذا سمع المريض حديثاً سارّاً فقد يحسن هضمهُ للطعام . واذا لم يكن التهيج العصبي شديداً انتقل من عصب الى آخر بسهولة كما يحدث في انتقال الافكار من موضوع الى موضوع آخر

ويرى مما تقدَّم ان التهيج العصبي يسير في ثلاث مسالك اما من عصب الى آخر او من الاعصاب الى العضلات او من الاعصاب الى الاوعية الدموية والغالب انهُ يسير في اثنين منها معاً وقد يسير في واحد او في الثلاثة في وقت واحد ولكن ليس على السواء . فاذا اشتدَّ الخوف على انسان حتى حملهُ على الركض بقي شيء من التهيج العصبي في اعصابهِ وتولدت منهُ الهواجس. واذا مدحتَ انساناً مدحاً ترتاح اليهِ نفسهُ صرف بعض التهيج العصبي في توليد المسرَّة فيهِ والبعض الآخر في توارد الدم الى معدتهِ فتقوى على هضم الطعام

يظهر من ذلك ان التهيج العصبي لا بدَّ وان يسير في طريق ما فاذا كان بعض المسالك مقفلاً في وجههِ سار في البعض الآخر واذا كثُر ما سار منهُ في احد المسالك قلَّ ما سار في غيرهِ . وهذا مما نشاهدهُ كل يوم فاشد الحزن ما لا يصحبهُ شيء من الحركات لان التهيج العصبي ينحصر في الاعصاب فيزيد شعورها واما اذا وجد لهُ منفرجاً باللطم والبكاء قلَّ تأثيرهُ الداخلي . والرجل الذي يخفي غيظهُ يكون محباً للانتقام واما الذي يظهرهُ بالخصام فلا يكظم الغيظ انتقاماً

ولهذا فالحركات العضلية تخفف فعل التأثيرات العصبية . فالغضب يخف كثيرًا اذا مشى الانسان مسرعاً. ومن بُلي بخسارة فادحة هانت عليهِ اذا عاد الى العمل بنشاط . والضد بالضد اي ان التأثيرات العصبية تقلل الحركات العضلية فاذا كان الانسان يمشي وخطر لهُ خاطر شغل بالهُ وقف بغتةً يفكّر فيهِ واذا كان جالساً يحرك رجليهِ ثم خطر لهُ خاطر مؤثر اوقفهما عن الحركة. والافكار تؤثر في الاوعية الدموية وتضعف حركة الدم فيها فاذا اشتدَّ الفرح او الهم على انسان افقدهُ شهية الطعام واذا كان قد اكل اوقفا فعل الهضم . ومثل ذلك الاشغال العقلية

وخلاصة ما تقدم ان التهيج العصبي الذي نشعر بهِ بمشاعرنا الباطنة لا بدَّ وان يتخذ احدى الطرق الثلاث التي ذكرناها قبلاً او اثنتين منها او كلها معاً في وقت واحد وانهُ اذا سُدَّ احداها زاد ما يجري في الاثنتين الاخريين واذا زادت الكمية الواردة منهُ الى احدى هذه الطرق قل ورودها الى غيرها . فانظر كيف يمكن تعليل الضحك على هذا الاسلوب

من البديهي ان الضحك حركة عضلية تنتج عن زيادة الشعور حتى يضطر الى تبديد ما يزيد بحركة عضلية . ومن المؤكد ايضاً ان الضحك ليس دائماً دليل الفرح بل قد ينجم عن التعب العقلي والدغدغة و بعض انواع الالم . واذا ثبت ذلك نرى امامنا حقيقة اخرى وهي انهُ ليس للضحك غرض او غاية ففي اغلب الاحيان تكون الحركات موافقة للتأثيرات التي ولَّدتها مثال ذلك ان الخوف يولد فينا قوة الركض للنجاة اما الضحك فلا نفع منهُ على الاطلاق والغالب

ان ما تشعر بهِ النفس ينتقل من الفكر الى الحركة بواسطة اعضاء النطق كما يظهر الغضب او الرضى بحركات الفكين واللسان والشفتين ولذلك كانت بعض العضلات المحيطة بالفم اول ما يتأثر بالاحساسات المطربة ويتلوها الجهاز التنفسي. وكلنا يعرف كيف يزيد التنفس وخفقان القلب بسبب الاخبار المؤثرة مفرحة كانت او محزنة. ثم اذا زاد التهيج العصبي عما تحملهُ اعضاء الكلام والجهاز التنفسي سار الى الاطراف العليا فيصفق الاولاد بايديهم و يفرك الرجل يديهِ وقد يهز جسمهُ من الامام الى الوراء. واذا زاد التهيج العصبي بعد هذا استلقى على ظهرهِ وفحص برجليهِ. نعم ان ما تقدَّم قد لا يكفي لتعليل جميع حركات الضحك لكنهُ كافٍ لتعليلها اجمالاً وهو يعلل الضحك الناتج عن السرور او الالم ولكنهُ لا ينطبق على ضحك المرء عند مشاهدتهِ التضاد بين الاشياء. وقد قالوا في هذا ان الانسان يضحك لانفراج نفسهِ بغتة من الهم العقلي ولكن لماذا نضحك اذا سمعنا انساناً يعطس بين فترات الموسيقى المطربة حيث لاهمَّ يتعب العقل. وللوصول الى التعليل الحقيقي لهذا الحادث علينا ان نحسب اولاً كمية الشعور في احوال كهذه ثم نرى وجهة انصرافها. مثال ذلك لو فرضنا اننا نشاهد تمثيل رواية في مشهد وقد تتبعناها باهتمام حتى وصلنا الى ما تتوق النفوس اليهِ كاجتماع العاشق ومعشوقهِ بعد طول الفراق وزوال اسباب الجفاء فاللذة التي تشعر بها النفس حينئذٍ لا تريد تركها لانها نتيجة الفرج بعد مشاهدة عذاب الحبيبين. ثم لو فرضنا اننا ونحن ننظر اليهما وقلوبنا تطفح سروراً دخل المشهد جديٌ أليف ونفخ في وجهيهما فان الحضور يضجون بالضحك وهذا الضحك لا يفسرهُ قولنا انهُ نتج عن انفراج هموم النفس لان النفس تكون مسرورة بما تشاهدهُ. والواقع هو ان قسماً كبيراً من الجهاز العصبي كان تحت تأثير شديد وكانت نفوس الحاضرين تنتظر ما سيكون من نهاية الرواية فلو لم يعترضها شيء لسار التأثير العصبي سيرهُ في توليد افكار جديدة لكن دخول الجدي اوقفهُ بغتة فسدَّ مجراهُ ولم يفتح لهُ مجرًى كافياً لمسيرهِ كلهِ لانهُ امرٌ طفيف فسارت تلك الزيادة الى العضلات التي حول الفم ونتج منها ما ندعوهُ ضحكاً

ويؤيد هذا التعليل ما نراهُ احياناً من ان بعض الذين يشاهدون الحوادث المضحكة لا يضحكون لها بل يستاؤُون منها كما لو وقع رجل سمين وهو ماشٍ لثقل جسمهِ فان كثيرين من الذين يرونهُ يهزأُون بهِ و يضحكون ولكن بعضهم لا يضحك لشعورهِ بمصاب الرجل وهذا الشعور استغرق كل ما فيهِ من التأثير العصبي فلم يبقَ منهُ شيء يسير الى عضلات الفم التي تضحك

قال واحد انهُ ذهب ليلة الى مشهد الخيل فكان اللاعبون يقفزون من فوقها ثم اتى المهرّج ليقفز مثلهم فجمع قوتهُ وركض مسرعاً حتى وصل الى محل القفز ثم وقف وجعل يمسح

الغبار عن جسم الفرس زاعماً انهُ بذلك يجعلهُ اوطأ مما هو . فاغرب الحاضرون في الضحك كلهم الاَّ الرجل المشار اليهِ فان التهيج العصبي لم يسر فيهِ الى عضلات الضحك بل ولَّد فيهِ شعوراً جديداً وهو الغضب لاستهزاء اللاعب بالحضور

ومن قابل بين الاسباب التي تولد الضحك والتي لا تولدهُ يجد ان الشعور الذي ينتج عن الثانية يختلف بنوعهِ عن الشعور الذي ينتج عن الاولى ولكن كميتهُ وقوتهُ واحدة . ومن الاسباب التي لا تولّد الضحك رؤية شخص مفلوج ينوء تحت حمل ثقيل وقساوة الوالدين على اولادهم وعقوق البنين لآبائهم وما اشبه . فكل هذه تجعل فينا الغضب والألم لا السرور والانشراح لان الشعور الاول ليس باقل تأثيراً من الثاني

ومن اسباب الضحك ايضاً ان ينتقل الوجدان بدون انتباه من الامور الكبيرة الى الامور الصغيرة اي ان يكون التضادُّ على سلَّم نازل فاذا كان على سلَّم صاعد كان تأثيرهُ ضدَّ ذلك ونتج عنهُ العجب والاندهال كما لو حدث حادث كبير عقب حادث صغير فعوضاً عن تقلّص العضلات تراها تُمدد فيترك الانسان ما يكون بيدهِ ويفتح فاهُ

وما تقدم يساعد على تفسير كثير من الحركات غير الضحك . فكلنا يعلم ان التأثيرات اذا اشتدت تبطل عمل الذاكرة وتعوق قوة النطق مثال ذلك ما يعانيهِ بعض الناس من الاضطراب عند التكلم امام الجمهور وما يبدو على التلامذة من الوجل وقت الامتحان مع انهم يكونون قد استظهروا دروسهم جيداً. فان الخطيب اذا القى خطبتهُ منفرداً سار التهيج العصبي الخفيف في مجرى ضيق لكنهُ كافٍ ولم يكن عليهِ سوى تذكار ما يكون قد اعدَّهُ من الافكار وذلك لا يستلزم قوة عقلية زائدة . ثم اذا داخلهُ الاضطراب امام الجمهور اقتضى هذا الشعور الجديد منفذاً ولما كانت الاعمال العقلية التي يعملها في ذلك الوقت محدودة لا تستغرق كل هذا الشعور سار في مجارٍ اخرى وولَّد افكاراً تختلف عما يكون الخطيب في صددهِ فينسى ما يكون قد اعدهُ للخطابة

ومن هذا القبيل ما يعتادهُ بعض الخطباء من الاتيان ببعض الحركات فمن اعضاء البارلمنت من ينزع نظارتهُ ويلبسها مراراً وهو يتكلم وكثيرٌ من التلامذة لا يستطيعون الكلام امام الاساتذة ما لم يمسكوا قلماً او ورقة وبعضهم يلعب بزر ثوبهِ فاذا قطعت الزر او نزعت القلم من يدهِ وقفت سلسلة افكارهِ لان التهيج العصبي يعود فيزيد عمَّا يلزم للافكار . ولا سبيل لاعادة الافكار كما كانت الاَّ بصرف التهيج العصبي الى العضلات فيخف الضغط على الافكار . انتهى

والضحك غير خاصّ بالانسان فقد ابان داروين ان الشمبانزي يضحك اذا دُغدغ فتبرق عيناهُ ويبسم فمهُ ويتجعَّد جفناهُ قليلاً ويصوت صوتاً يشبه صوت الانسان اذا ضحك . وتفعل الدغدغة مثل ذلك بالارنغ اوتانغ وغيره من انواع القرود العليا والسفلى . والظاهر ان العرب انتبهوا لضحك القرود كما ترى في قول بعضهم

وإذا اشار محدثاً فكأنهُ قرد يقهقه او عجوز تلطمُ

وامارات الضحك ظاهرة في الوجه لا تخفى على احد حتى الطفل الصغير يراها ويميزها ويقلدها ويبتدئ في التبسُّم وينتهي في الاغراب اي المبالغة في الضحك وحينئذٍ تفيض الدموع فتبرق بها العيون او تزيد فتهطل كما تهطل وقت البكاء وفي ذلك يقول الصفي الحلي

طفح السرور عليَّ حتى انهُ من فرط ما قد سرَّني ابكاني

وتشترك اعضاء الفم والوجه كلها في اظهار السرور فيقهقه الضاحك قهقهة يرددها كثيراً وحينما تعجز هذه الاعضاء عن اظهار القوة العصبية كلها تساعدها عضلات التنفُّس والحجاب الحاجز وقد تعجز هذه عن ابداء كل القوة العصبية التي تهيج حينئذٍ فتدعو الى حركة اليدين والرجلين فيصفق الضاحك بيديهِ ويفحص برجليهِ ويشعر كأن خاصرتيهِ تكادان تنبثقان فيمسكهما بيديهِ ويحمر وجههُ وعنقهُ وينتفخ وداجاهُ ويستند الى شيء مخافة الوقوع

وقد تشتدُّ هذه الحركات حتى تتغلَّب على الارادة ويصير الضحك نوباً مزعجة جداً ولاسيما في النساء والاولاد. والنساء اكثر ضحكاً من الرجال والصغار اكثر ضحكاً من البالغين لان النساء والصغار اكثر انفعالاً من الرجال والبالغين واقل ضبطاً لحاساتهم . ويضحك الانسان في الصحة والقوة اكثر مما يضحك في المرض والضعف . ويكثر الضحك ايضاً في حالة البله وفي بعض الامراض العصبية

وعلاقة الضحك بحالة الانسان الادبية اشد من علاقتهِ بحالتهِ العقلية فالمتكبر المعجب بنفسهِ الذي لا يعرف كيف يتصرَّف يضحك قليلاً لكي لا يفرِّط في عزَّة نفسهِ. وكذلك الحسود والشرير يضحكان نادراً لانهما لا يريان ما يسرهما

والضحوك الذي يضحك لاقل سبب ويضحك كثيراً كريم الاخلاق خالٍ من العُجب بنفسهِ. وقد يدرِّب الانسان نفسهُ تدرباً على الامتناع عن الضحك اما لكي لا يقال انهُ خفيف الروح او لكي لا يظهر تجعُّد وجههِ وخلل اسنانهِ . وهذا في النساء اكثر منهُ في الرجال. وقد يدرب نفسهُ على الضحك لتظهر اسنانهُ اذا كانت جميلة

ويضحك الانسان احياناً ضحك التهكم ويسمى الضحك الصفراوي لكن التمييز بين هذا

الضحك وضحك السرور واضح جداً لا يخفى على احد

والفرح والحزن شعوران تبدو علاماتهما على نسق واحد في كل شيء . الفرح يدعو الى البهجة والبسط والاظهار . والحزن يدعو الى الكدر والضيق والاخفاء . افرح فتفتح كوى بيتك وتطلب النور والهواء والحركة . احزن فتقفل كوى بيتك وتطلب الظلمة والسكون والانزواء . انظر الى جماعة اجتمعت في السوق ووقفت ساكتة ساكنة كأن على رؤوسها الطير لا حركة لها ولا اشارة فتعلم حالاً انها رأت شيئاً محزناً ولداً داسهُ الترامواي او رجلاً وقع ميتاً . وانظر الى جماعة اخرى وقفت ترقص وتطرب وتزعق فتعلم انها في فرح في عرس او عيد او ما اشبه

و يظهر الابتسام في الطفل اولاً وعمرهُ اربعون يوماً او خمسون ثم يضحك وعمرهُ ثلاثة اشهر ثم تزيد علامات الفرح فيهِ ظهوراً بين الخامسة والعاشرة فيصير يثب على قدميهِ و يصفق بيديهِ كأنهُ يكاد يطير فرحاً . وهذا الرقص وهذا التصفيق اول مبادىء الموسيقى فهي بنت السرور وهو ابنها والتدرج بسيط من التصفيق باليدين الى النقر على الدف والطبل والصنوج الى سائر آلات الطرب . وقد يظهر السرور الحيواني على اساليب اخرى يشترك فيها الانسان والحيوان الاعجم مما لا محل لبسطهِ

وجملة القول ان السرور الدائم الناتج عن جودة الصحة وراحة البال وقلة الهموم يظهر في بشاشة الوجه وطلاقتهِ و بريق العينين فيقال ان وجه فلان يضحك وان النظر فيهِ يشرح الصدر

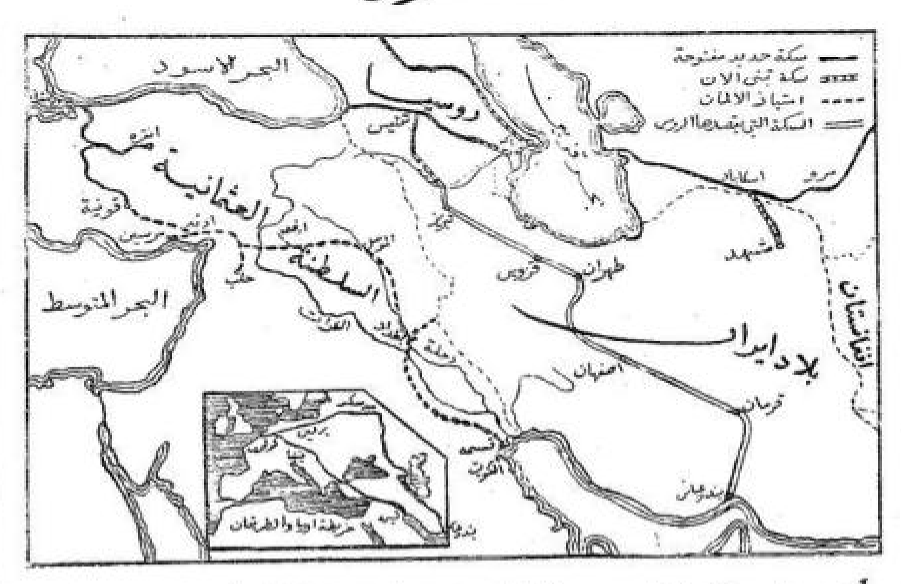
والسرور الذي يأتي بغتةً والنفس غير مستعدة لهُ لا تكفي البشاشة العادية لاظهارهِ فيظهر بالتبسم والضحك والقهقهة والتصفيق والرقص والغناء والطرب

والسرور الناتج عن النجاح وشبع المطامع يظهر بالعُجْب والخيلاء فينفخ الانسان صدرهُ كما ينفش القط شعرهُ ليظهر اكبر مما هو ويخاف الكلب منهُ . و يرفع رأسهُ ويتكلم كلاماً فخيماً مقعراً لكي يراهُ و يسمعهُ كل احد

والسرور الناتج عن اللذة وخفَّة الروح كثير في محبي بطونهم فترى افواههم مفتوحة غالباً كأنهم ينتظرون لقمةً طيبة او قبلة سارّة

وبعض هذه الامارات يبدو ويزول حالاً وبعضها يبقى اثرهُ في الوجه . فالبشاشة والعجب آثارهما ثابتة في الوجه والسرور البغتي والسرور الناتج عن اللذة تبدو اماراتهما وتزول بزوالها . وقد يبقى بعضها اذا تكرر مراراً كثيرة فترى محبي الملاذ جاحظي العينين منتوحي الفم او منكسري الطرف كمن يشمُّ زهرةً طيبة و يسرُّ برائحتها

سكة العراق



أصحيح ان مملكتي الاشوريين والبابليين ستنفضان غبار النسيان وتعود سهول دجلة والفرات الى مجدها السالف بعد ان اخنى عليها الدهر مئات من الاعوام. ولكن لمن تعود تلك البلاد ومن يجني خيراتها أأبناؤها ام الغرباء ولماذا يتناظر الروس والالمان أإحساناً الى الغير يقصدون ام جرَّ المنافع الى نفوسهم . وعلى مَ ينهضُ اهالي المشارق والمغارب ويجنون خيرات ارضهم بايديهم وابناء السلطنة العثمانية والبلاد الايرانية يدعون الغريب ويمهدون له السبيل ليقبض على موارد تجارتهم ومصادر زراعتهم وهل يغترُّ احد بالشروط والمواعيد والقوي يبلع الضعيف والسمك الكبير يأكل الصغير

يقصد الالمان مد سكتهم الحديدية حسب امتيازهم الجديد من قونية في بر الاناطول الى اطنه فحلب فأرفة فالموصل فبغداد ومن ثم الى بحر فارس قرب الكويت كما ترى في الرسم السابق حيث اشرنا الى السكة الالمانية التي يراد انشاؤها بخط منقط فيتصل بحر فارس بالقسطنطينية وفينّا وكولون الى آخر اوربا امام مدينة لندن كما ترى في الرسم الصغير الذي في اسفل الرسم الكبير

واذا تيسر انشاء هذه السكة لالمانيا عمرت البلاد التي تمرُّ فيها واصلحت انهارها فعاد الري

الى ما كان عليهِ بين النهرين في عصر داريوس وقورش والملوك العظام الذين كان لهم في الحضارة القدح المعلى. ولم تكتف بما يكتفي بهِ ولاة تلك البلاد الآن. ولكن هل تصلح حال السكان وتكون الفائدة الكبرى لهم لا لغيرهم وهل اذا هبُّوا من سباتهم بعد ذلك وقام منهم اناس كبار النفوس كبار الهمم وارادوا ان يسعدوا بلادهم ويوسعوا موارد ثروتها يجدون فيها مرتعاً لم يرتع فيهِ الاجنبي قبلهم ومهيعاً يباح لهم السير فيهِ كما يباح لغيرهم. هذا سوَال يعسر حلُّهُ ولا يجدي التكهن فيهِ فالاولى الاغضاء عنهُ والاكتفاء بقول من قال

اذا هبت رياحك فاغتنمها فان الثائرات لها سكونُ
وان نجّب عشارك فاحتلبها فما تدري الفصيل لمن يكونُ

اما السكة التي يريد الروس انشاءها فتمتد من قرب تفليس بين البحر الاسود وبحر قزوين وتخترق بلاد فارس مارَّةً بتبريز وقزوين وطهران وكوم واصفهان وقرمان الى بندر عباس على خليج فارس. وقد اشرنا اليها بخطين متوازيين في الرسم فتتصل بالسكة الممتدة من برلين الى موسكو كما ترى في الشكل الصغير في اسفل الشكل الكبير. وعسى ان لا تمضي سنون كثيرة حتى نرى هاتين السكتين تخترقان بلاد الدولة العلية وبلاد ايران ويتفرَّع منهما فروع كثيرة



قد رأينا بعد الاختبار وجوب فتح هذا الباب ففتحناهُ ترغيباً في المعارف وانهاضاً للهمم وتشحيذاً للاذهان. ولكنَّ العهدة في ما يدرج فيهِ على اصحابهِ فنحن براءٌ منهُ كلهِ. ولا ندرج ما خرج عن موضوع المقتطف ونراعي في الادراج وعدمهِ ما يأتي: (١) المناظر والنظير مشتقان من اصل واحد فمناظرك نظيرك (٢) انما الغرض من المناظرة التوصل الى الحقائق. فاذا كان كاشف اغلاط غيرهِ عظيماً كان المعترف باغلاطهِ اعظم (٣) خير الكلام ما قلَّ ودلَّ. فالمقالات الوافية مع الايجاز تستختار على المطوَّلة

توأمان عجيبان
وعملية جراحية اعجب

جاءت باريس منذ ايام قلائل شركة اميركية واستأجرت مرسحاً من اكبر المراسح تعرض فيهِ شيئاً كثيراً من الحيوانات الكاسرة والمخلوقات العجيبة فزرت هذا المعرض ذات ليلةٍ ورأيت فيهِ من غرائب خلق الانسان والضواري من الحيوان ما يستوقف النظر ويحار فيهِ

الفكر . ومن جملة ما رأيت من نوادر المخلوقات فتاتان توأمتان هنديتان ملتصقتان فاطلت وقوفي عندها لاتمكن من رؤيتهما جيدًا . وسألت المستخدم الملازم لهما ان يريني محل الالتصاق لان لباس الفتاتين كان يحول دون ذلك فاجاب سؤالي ففك بعض ازرار اللباس وحل بعض العُرَى ولما انكشف اديم الجسمين حيث يتصقان وجدتُ الالتصاق بين السرة والاضلاع السفلى التي تدعى الاضلاع الكاذبة في علم التشريح. واذ كان بيني وبين التوأمتين حاجز يحول دون اقترابي منهما لم اتمكن من جس مكان الالتصاق لاعلم ما هي حالتهُ وما اذا كانت الصلة مقتصرة على الجلد او كان هنالك عضو من الاحشاء مشتركًا بين الجسمين . وقد سألت ما عمر هاتين التوأمتين فقيل لي احدى عشرة سنة فلما تأملتهما وجدت ان جسميهما اقل نموًا مما يجب ان يكونا في هذا السن اذا كانا منفصلين ثم وجدت ان احدى الفتاتين اشدّ نحولاً من اختها وان لونها اصفر شاحب فسألت عن سبب ذلك فقيل لي انها معتلة الجسم وتشكو دائمًا المًا في صدرها وتصاب احيانًا بنوب سعالٍ فتحمل اختها السليمة مضض ملازمة الفراش وليس لها غير الصبر حيلة حتى تزول تلك النوب . واحيانًا يعتري هذه الفتاة المعتلّة اسهال حاد فتجر اختها السليمة الى حيث تقضي حاجتها مرارًا عديدة ليلاً ونهارًا . وقد اخبرني المستخدم بامورٍ كثيرةٍ من مثل هذه عن معيشة تينك المظلومتين التي جارت عليهما الطبيعة واسم السليمة منهما راديكا واسم المعتلة دوديكا . ثم كرَّت الايام وانستني راديكا ودوديكا الى ان كنت ذات يوم اقرأ احدى الصحف فوقع نظري على مقالةٍ عنوانها "دوديكا مريضة" فذكرت اذ ذاك التوأمتين وقرأت المقالة بلهفة مشتاق فعلمت ان دوديكا المصدورة قد زادت نحولاً وشحوبًا وتواترت عليها نوب السعال حتى اضنتها وذهبت بصبر شقيقتها المظلومة فأرسلتا الى احد المستشفيات حيث بحث الاطباء في جسم المعتلة فوجدوها مصابة بتدرنٍ رئويٍ وبرتوني "داء السل" وانهُ يخشى ان تصاب شقيقتها بالعدوى . ثم عقد اولئك الاطباء مجلسًا تحت رئاسة الجراح الشهير الدكتور دويّان (Doyen) وبعد البحث والمناقشة قرَّ الرأي على قطع الصلة بين هاتين التوأمتين وفصل راديكا السليمة عن دوديكا المعتلة ولم يقر الرأي على ذلك الاَّ بعد جدالٍ طويل اثبت فيهِ الجراح دويّان بالدليل والبرهان ان العملية ممكنة وانهُ لا يخشى منها على حياة التوأمتين . واخذ على نفسهِ القيام بالعمل في اكلينيكهِ الخاص في اليوم التالي

فوطدتُ النفس على مشاهدة العملية رغمًا عن انقطاعي في باريس لامراض العين دون سواها نظرًا لغرابة تلك العملية وندرتها

وفي الغد وكان الحادي عشر من هذا الشهر وهو الاجل المضروب لعمل العملية هرولت في الساعة المعينة الى اكلينيك الجراح دوبان فوجدت هنالك من الاطباء المختلفي الاجناس والملل والنحل خلقاً عظيماً وكلهم محيطون بسرير العمليات احاطة الجياع بالقصاع . وكان الجراح واقفاً بينهم مشمراً عن ساعديهِ يشرح لهم طريقة العملية . ولما دنت الساعة اتى المساعدون بالتوأمتين ونزعوا ما كان عليهما من اللباس وارقدوهما على السرير وكُلّف اثنان من الاطباء المساعدين بتشميمهما الكلوروفورم . ولما قُرّبت آلتا تشميم الكلوروفورم من انفيهما ذُعرتا فصاحتا واستغاثتا وبكتا وتعانقتا ثم سلمتا امرهما الى الله . ولما فعل الكلوروفورم فعله واصبح التوأمتان في سبات النوم العميق اخذ الجراح مشرطهُ وفي اقل من لمح البصر شق الجلد والنسيج الخلوي على طول الالتصاق فوجد تحت الجلد فصاً من كبد دوديكا ممتداً الى احشاء راديكا وكان ذلك طبقاً لما ظنهُ قبل الشروع في العملية . ثم ترك المشرط واخذ سكيناً كبيراً وقطع ذلك الفص الكبدي بسرعةٍ فانفجر الدم من وعائين شرياني ووريدي فلم يضع الوقت بربطها كما يفعل الجراحون عادةً بل استعمل آلتهُ الخصوصية الضاغطة التي دعاها لانجيوتريب Langiotribe وهي جفت ضاغط كبير تضغط بهِ الاورام الغليظة كورم المبيض وما شاكله بعد قطعها لايقاف النزف دفعةً واحدةً . ولما اوقف النزف ولم يستغرق ذلك اكثر من بضع ثوانٍ قطع جلد الالتصاق من الجهة الخلفية وبذلك تمَّ الانفصال بين ذينك الجسمين اللذين ظلاَّ ملتصقين احد عشر عاماً وبعد ذلك خاط جرح دوديكا وخاط احد مساعديهِ جرح راديكا ووضعا في كلٍّ من الجرحين انبوبة درنغة ثم غطوهما بغبار معقّم

ولم تستغرق العملية اكثر من خمس عشرة دقيقة . اما الالتصاق الذي قطع بما فيهِ الجلد والنسيج الخلوي والكبد فكان طولهُ ١٥ سنتمتراً وعرضهُ ١٠ وسمكهُ ٥ . ولما انتهت العملية وكانت الفتاتان لا تزالان تحت تخدير الكلوروفورم امر الجراح ان لا تبعدا بل ان ترقدا في سرير واحد لكي لا تذعرا اذ ترى كل منهما انها مفردة لانهما ما عرفتا الافتراق منذ خلقتا

ولم اشأ ان اكتب اليكم عن هذه العملية حتى ارى ماذا تكون نتيجتها فبقيت خمسة ايام متتبعاً قراءة الجرائد المهتمة بامرها فكانت كل الاخبار متفقةً على ان حالة راديكا تحسن يوماً فيوماً اما دوديكا التي كانت مسلولة فقد زادتها العملية ضغثاً على ابالة فصارت من رديء الى اردأ وما زال الفناء والحياة يتنازعانها حتى تغلب الفناء ففاضت روحها في الساعة السابعة من صباح يوم امس

مرسيليا في ١٧ فبراير الدكتور ابرهيم شدودي

النمو في الصيف والشتاء

حضرات استاذيَّ الفاضلين منشئي المقتطف الاغر

قد طالعت في الجزء الاخير والصفحة ١١٤٠ من مقتطف السنة الماضية سؤال الامين حسن افندي حسين عن النمو في الصيف والشتاء وراجعت رأي العالم مُلن هنس في الصفحة ١٦٦ من المجلد الثالث عشر الذي تشيرون اليهِ في جوابكم فلم ارتضِ برأيهِ في سبب السمن في الخريف كما ان حضراتكم غير مرتضين بهِ كما يظهر من تعقيبكم على كلامهِ فرأيتُ ان ابدي رأياً في ذلك لعلهُ يفيد بعض البسطاء من قرَّاء المقتطف اذا تكرمتم بادراجهِ فيهِ . اما العلماء الذين يعرفون طبيعة كلٍّ من فصول السنة وتأثيرها في ابدان الاحياء فلا يحتاجون الى ارشادي لمعرفة السبب الحقيقي لسمن الاحياء في فصل الخريف

ان فصل الشتاء قاسٍ على الاحياء فيفتك بها ان لم تحصن بالقوة فالطيور واكثر الحيوانات لا تبيض ولا تلد الاَّ في فصل الربيع اذ تجوز صغارها سنَّ الصغر فتشتد قبل هجوم فصل الشتاء الذي لو اتاها وهي صغيرة لاماتها وكذلك اكثر النباتات تزهر في الربيع فتثمر وتنضج فيهِ او في الصيف قبل حلول عواصف الشتاء وبردهِ وهذه الطبيعة لم تخلق في الاحياء حين خلقت بل كانت الاحياء تنتج في كل وقت من السنة بعضها يعقب بعضاً ولكن لم تبقِ اخطار الشتاء من نتاجها الاَّ الربيعيَّ فبالتكرار صار طبيعةً موروثةً ان لا تُنتج الاحياء الاَّ في الربيع . وعلى هذا المبدإِ كان اجدادنا وهم في حال الهمجية وقبلها يموتون في فصل الشتاء افواجاً ولا يبقى منهم الاَّ من اكتسب صدفةً في فصل الخريف سمناً وقوَّةً يعينانهِ على احتمال قر الشتاء فبالتكرار صارت زيادة السمن في فصل الخريف طبيعةً موروثةً في الاحياء فسبب ذلك في طبيعة فصل الشتاء لا في طبيعة الشمس كما ظنَّ مُلن هنس . على ان هذه الطبيعة لن تبقى في الانسان الى الابد بعد ان صار يتقي اخطار الشتاء بدون احتياج الى زيادة في قوتهِ كما ان انتاجهُ لم يبقَ محصوراً في فصل الربيع . وربما فقدت او ضعفت هذه الطبيعة في امم تقادم عليها عهد التمدن. ولو بحث العلماء في مقدار ظهور هذه الطبيعة في امم مختلفة فلربما عرفوا السابق والاسبق منها الى التمدن

وربما عرفوا بهذا البحث منشأ بعض الامم كهنود اميركا الجنوبية مثلاً فان وجد ان زيادة وزنهم تحصل بين سبتمبر ودسمبر (ايلول وكانون اول) كما وجد ملن هنس فاصلهم من اسيا الشمالية وذلك يوافق المظنون وهو ان اسلافهم اتوا اميركا عن طريق بيرين والاَّ فهم من

اقطار جنوبية ولم يعرف اسلافهم طريق بيرين لان ما بين الشهرين المذكورين يكون في اميركا الجنوبية الربيع فليس هو وقت زيادة السمن. وان خيف ان يكون تبديل الاقليم قد بدَّل طبيعتهم فنتعرض لخطإٍ في الحكم فمقابلتهم بالبيض الذين بينهم والذين في جنوبي افريقية واوستراليا تعصمنا من الخطا السلط الدكتور ابرهيم الصليبي



السماد الكيماوي والمزروعات

نشرت معامل الهودا في اميركا رسالة مختصرة ذكرت فيها ما يلزم من السماد الكيماوي لكل نوع من المزروعات التي تزرع في الاقاليم الحارة كاقليم القطر المصري فلخصنا منها ما يأتي لما فيهِ من الفائدة

﴿ البرسيم الحجازي ﴾ تصلح لهُ الارض العميقة التربة لان لهُ جذرًا اوسط طويلاً واذا كانت الارض طفالية او رملية يضاف اليها عشرون قنطارًا مصريًّا من الجير لكل فدان. واذا كانت الارض ضعيفة قليلة الخصب وظهر ذلك في اصفرار ورق البرسيم يسمد الفدان منها بمئتي رطل من نيترات الصودا. واذا لم تكن الارض قليلة الخصب فلا يزاد مقدار السماد عن مئة رطل للفدان

ولا بدَّ للبرسيم الحجازي من البوتاسا والحامض الفصفوريك وهو يتناول النيتروجين من الهواء ولكنهُ لا يتناولهُ الاَّ اذا كان مقدار البوتاسا والفصفور كافيًا في ارضهِ. ويسمد الفدان بخمسة وسبعين رطلاً من البوتاسا و٥٠ رطلاً من الحامض الفصفوريك اي بما فيهِ ٧٥ رطلاً من الاول و٥٠ رطلاً من الثاني او نحو سبع مئة رطل من السماد الكيماوي لان البوتاسا فيهِ نحو عشرة في المئة والحامض الفصفوريك سبعة في المئة. وقد يستعمل كسب بزر القطن سمادًا نيتروجينيًّا فيمزج بالتراب قبل زرع التقاوي

﴿ الموز ﴾ الموز سريع النمو فلا بدَّ لهُ من ارض شديدة الخصب ليجد فيها الغذاء الكافي لنموهِ السريع ولا بدَّ من ان يكون الماءُ كثيرًا لريهِ. والارض الخفيفة السهلة الرطبة اصلح من غيرها لهُ ولا سيما اذا كانت غنية بالمواد النباتية ويضاف اليها الجير لتحليل المواد

النباتية واذا كانت المواد النباتية كثيرة في الارض فهي في غنىً عن السماد النيتروجيني ويسمد الفدان منها بنحو ٧٠٠ رطل من السماد الذي فيه بوتاسا وحامض فصفوريك. واذا اصفرَّ ورق الموز فذلك دليل على انهُ يحتاج الى النيتروجين فيسمد الفدان منهُ بمئة رطل الى مئتي رطل من نيترات الصودا

﴿ الفول ﴾ الفول من النباتات التي تأخذ النيتروجين من الهواء فيحتاج الى سماد من البوتاسا والفصفور اذا كانت الارض فقيرة بهما واذا زيد نيتروجين الارض كبر نبات الفول وكثر ورقهُ ولكن قلَّ بزرهُ . واذا كانت الارض خفيفة والمواد النباتية قليلة في ترابها فاسمد الفدان منها بمئة رطل من نيترات الصودا او بمئتي رطل من كسب بزر القطن

﴿ البن ﴾ يزرع البن اولاً صفوفاً قريبة بعضها من بعض في ارض طينية خصبة فيها كثير من المواد النباتية البالية وقد تسمد بنيترات الصودا رطل منهُ لكل ما طولهُ مئة قدم من الخطوط التي فيها النبات . وبعد ستة اشهر ينقل النبات الى المزارع التي يراد زرعهُ فيها ولا بدَّ من ان يحفظ التراب حول الجذر حال قلع النبات لزرعهِ ثانية

ويزرع البن في مزارعهِ والبعد بين كل شجرة واخرى ٩ اقدام او نحو ذلك ولا بدَّ من اختيار اقوى الاشجار واكثرها اعتدالاً وتختار الارض الطينية التي يوجد حصى في اسفلها والسماد الصالح للبن هو سماد النيتروجين والبوتاسا والحامض الفصفوريك

ستأتي البقية

السماد النيتروجيني

النيتروجين عنصر لازم لكل الاجسام الحيوانية والنباتية وهو موجود بكثرة في بعض النفايات كنفايات المسالخ من الدم ونحوهِ وفي الجوانو او زبل الطيور البحرية وفي كسب بزر القطن وبزر الخروع . واكثر ما يكون في الاسمدة الكيماوية ومنها نيترات الصودا وكبريتات الامونيا والاول ملح يوجد في بعض الاراضي والثاني من فضلات معامل غاز الضوء وهذان الملحان يذوبان بسهولة فيستفيد النبات منهما حالاً ولاسيما نيترات الصودا فانهُ سهل الذوبان جداً ولذلك لا يضاف منهُ الى الارض الاَّ مقدار قليل كل مرة على حسب حاجة النبات الوقتية والاَّ ذاب كلهُ وذهب من الارض مع ماء الصرف قبل ان تستفيد المزروعات منهُ

اما السماد النيتروجيني الآلي ككسب بزر القطن وفضلات المسالخ فلا ينحل سريعاً ولكنهُ لا تنتظر منهُ الفائدة الاَّ بعد ان يضاف الى الارض بمدة فيضاف اليها قبلما يزرع النبات فيها

ومن المزروعات ما يستمد جانباً كبيراً من نيتروجينهِ من الهواء كالفول والبرسيم فلا يحتاج الى السباخ النيتروجيني وزد على ذلك انهُ اذا حرثت الارض وهو فيها حتى انطمر بترابها كلهُ او بعضهُ زاد خصبها بالنيتروجين الذي اخذهُ من الهواء فينفعل بها فعل السماد النيتروجيني .
واذا اريد ان يزاد نيتروجين الارض بسرعة يضاف اليها قليل من فصفات البوتاسا

واذا تكونت في الارض حموضة من طمر النبات فيها تصلح باضافة الجير اليها وخير من ذلك ان يترك النبات حتى ييبس ثم تحرث الارض ليطمر فيها يابساً

انواع الاسمدة

	اسم السماد	ما فيهِ من النيتروجين	ما فيهِ من الحامض الفصفوريك
الاسمدة النيتروجينية	نيترات الصودا	١٥ الى ١٦ في المئة	
	نيترات الامونيا	١٩ " ٢٢	
	الدم الجاف	١١ " ١٢	٢ الى ٤
	كسب بزر القطن	٦ ١/٢ " ٧ ١/٢	٢
الاسمدة الفصفورية	كارولينا فصفات الصودا		٢ الى ١٥
	فلوريدا " "		١٣ " ١٦
	تنسي " "		١٣ " ١٦
	فحم العظام الذواب		١٦ " ١٧
	دقيق العظام	٢ الى ٤	٥ " ٨
	العظام الذوابة	٢ " ٣	١٣ " ١٥
	جوانو بيرو	٦ " ١٠	٨
الاسمدة البوتاسية	مريات البوتاسا	٥٠	في المئة من البوتاسا
	كبريتات البوتاسا	٥٠ الى ٥٥	" "
	كربونات البوتاسا	١٨	" "
	رماد قشر بزر القطن	٢٠ الى ٣٠	" "
	ملح البارود	٤٣ " ٤٥	" "
	الرماد	٢ " ٨	

	نيتروجين	بوتاسا	حامض فصفوريك
زبل البقر	٣٤	٤٠ في الالف	١٦
« الخيل	٥٨	٥٣	٢٨
« الغنم	٨٣	٦٧	٢٣
« الفراخ	١٦٣	٨٥	١٥٤

تجهيز ارض القطن

نشرت مجلَّة نقابة المزارعين فصلاً مفيدًا في تجهيز ارض القطن خلاصتهُ ان الارض التي تُخدَم لزرع القطن ا.ا ان تكون مزروعةً برسيمًا فيحش او يرعى وتحرث ارضهُ واما تكون الارض قد زرعت ذرةً او غيرها وبوّرت . وحرْث الارض التي كانت مزروعةً برسيمًا اصعب من حرث الارض المبورة ولا سيما اذا استُعمل المحراث البلدي فان المحراث الافرنجي ذا الجناح اصلح من المحراث البلدي لفك الارض لان المحراث البلدي لا يقلب الارض فيبقى البرسيم في القلاقيل التي يرفعها منها وينمو ثانيةً حتى لقد يبقى فيها اخضر بعد الحرثة الثانية واما المحراث الافرنجي ذو الجناح فيقلب الارض قلبًا ويعرّض جذور البرسيم للشمس والهواء فتجف وتيبس ويدفن باقيهِ في الارض فينحل و يصير غذاء للقطن

واذا بعدت الخطوط بعضها عن بعض بالمحراث الافرنجي تكونت بهِ قلاقيل كبيرة ويمنع ذلك بان يعمق الحرث الى عمق ٢٠ سنتمترًا وتقرَّب الخطوط بعضها من بعض حتى تكون على بعد ١٠ سنتمترات الى ١٢ سنتمترًا وحينئذٍ لا يستطيع الفلاَّح ان يحرث اكثر من نصف فدان في النهار

ولا بدَّ من ان يكون المحراث الافرنجي جامعًا لهذه الشروط وهي

اولاً ان يكون خفيفًا حتى يسهل على زوج الثيران جرهُ

ثانيًا ان يكون بسيطًا سهل الاستعمال على الفلاَّح

ثالثًا ان يكون متينًا

رابعًا ان يكون سهل التعمير

خامسًا ان يكون رخيص الثمن

ولم يذكر الكاتب اسم محراث مخصوص لئلاَّ يقال انهُ يقصد اشهارهُ . وحبذا لو ذكر اسم محراث او محراثين او اكثر من المحاريث التي يعلم انها اوفى بالغرض من غيرها اذا كان

واثقاً انها كذلك لان النفع العام لا ينفي بالنفع الخاص ولا بدَّ من ان يهتدي ارباب الزراعة اي افضل المحاريث بعد التجارب العديدة والخسائر الكثيرة فعلى م لا نكفيهم مؤونة الخسارة والتعب ونفيدهم باختبارنا ونرشدهم الى المحراث الذي وجدناهُ اصلح من غيرهِ . اما اذا كان حضرتهُ لا يعرف محراثاً وافياً بالغرض فتلك مسألة اخرى

وقد شاهدنا المحراث الافرنجي تحرث بهِ الاطيان امام المدرسة الزراعية في الجيزة فوجدناهُ يقلب الارض جيداً وحرثهُ عميق حسب المطلوب ولكن زوج الثيران لا يحرث بهِ الاَّ نصف فدان في اليوم وهو سريع العطب . اخبرنا الفلاح الذي كان يفلح بهِ ان سلاحهُ انكسر في اليوم السابق فاضطر ان يركّب لهُ سلاحاً آخر غيرهُ ولو لم تكن الاسلحة موجودة عندهم لامتنع استعمالهُ بعد ذلك . فكيف يتسنى للفلاحين في بلاد الارياف ان يستعملوا محراثاً مثل هذا ولا حدَّاد عندهم ولا نجار

ثم قال الكاتب انهُ يلزم للقطن حرثة عميقة بعد حرثة البور (البرش) ولا بدَّ من ان تكون عميقة جداً لان جذر القطن يغور في الارض ٥٠ او ٦٠ سنتمترًا وذلك يحدث في الاواسي الكبيرة بالمحاريث البخارية اما في الاباعد التي ليس فيها محاريث بخارية او تحرث ارضها بالثيران فلا يصعب تعميق الحرث على المجتهد صاحب الهمَّة وذلك بان تحرث الارض وجهين (فك الارض والتثنية) وتزحفها ثم تحرثها مرة ثالثة وتمر في خط المحراث المحراث النباش او الحفار فالاول يغور في الارض الى عمق ١٥ سنتي والثاني يغور فيها ١٥ سنتي اخرى فيصير العمق ٣٠ سنتي على الاقل

ومن مزايا هذا المحراث ان زوجاً من الثيران متوسط القوة يستطيع الاشتغال بهِ من الصباح الى المساء مع الراحة

ومتى كان الحرث عميقاً يسهل على جذور القطن الغور في الارض وتحمُّل العطش بسبب المناوبات الطويلة فضلاً عن زيادة الغذاء . قال والمحراث الحفَّار الذي يستعملهُ هو من بيت رودساك من المانيا ووكلاؤُهُ في مصر الخواجات برتشنيدر وشركاؤُهُ وهو يحرث نصف فدان في اليوم بدون ان يتعب البهائم

ولا بدَّ لتنعيم الارض من حرثة تكميلية و بعض اصحاب الاباعد يحرثون ارض القطن ست حرثات او اكثر والغرض من كثرة الحرث تكسير القلاقيل وتهوية الارض . و بعض الفلاحين يكسرون القلاقيل بالفاس فيكلفهم الفدان ١٨ غرشاً الى ٣٠ غرشاً واشار باستعمال زحافة كروسكيل والقصابية ذات الاسنان الحديدية واذا كانت زحافة كروسكيل خفيفة

جرها زوج من الثيران بالراحة وكسرت القلاقيل بسهولة وهي تزحف فدانين الى ثلاثة في اليوم

ويوجد آلة يجوز استعمالها بدل المحراث البلدي وهي افيد منهُ في تكسير القلاقيل وتهوية الارض لها خمسة اسنان او سبعة حسب الاحوال والتي بخمسة اسنان مستعملة في ابعادية نوبار باشا بشبرا

وخلاصة القول ان تجهيز ارض القطن يشمل العمليات الآتية

اولاً. البرش بمحراث ذي جناح مع الاقلال من العرض بين الخطوط والاكثار من تعميقها

ثانياً. حرثة ثانية بالمحراث البلدي

ثالثاً. تزحيف الارض بزحافة كروسكيل وحرث وجه ثالث اما بالمحراث ذي الجناح او بالمحراث البلدي بحيث يعقبهُ المحراث الحفار لقلب الطبقة السفلى

رابعاً. كسر القلاقيل بواسطة زحافة كروسكيل الصغيرة والقصابية

فاذا حرثت ارض القطن كذلك وسمّدت بالسباخ المناسب حقَّ ان ينتظر منها محصول من الطبقة الاولى

جوائز المعرض

نال الجائزة الاولى للقمح البحيري الاحمر البرنس عمر باشا طوسن وللقمح الصعيدي الاحمر بوغص باشا نوبار وللقمح المصري الابيض احمد بك دله وابو زيد بك طنطاوي وللقمح الاجنبي الابيض المزروع في مصر محمد بك حسن وبوغص باشا نوبار. وللشعير البلدي مدام اغوبيان باشا وللشعير الاوربي المزروع في مصر مدام اغوبيان ايضاً وللفول البحيري رياض باشا وللفول الصعيدي احمد بك دله وللذرة البلدية البرنس عمر باشا طوسن واحمد بك حمدي وللذرة الاجنبية المزروعة في مصر عمر بك سلطان. وللذرة الرفيعة ابو زيد بك طنطاوي. وللارز السلطاني عبد اللطيف افندي. وللارز السبعيني بوغص باشا نوبار. وللعدس البحيري محمد سعيد الكبير. وللعدس الصعيدي محمد سعيد الحي. وللدخن مدرسة الزراعة. وللفول السوداني البرنس عمر باشا طوسن. ولبزر الكتان ابو زيد بك طنطاوي. وللسمسم الابيض تفتيش الوادي. وللسمسم الاسمر تفتيش الوادي ايضاً. وللحلبة محمد بك راسم. ولتقاوي البرسيم البعلي عمر بك سلطان. ولتقاوي البرسيم المسقاوي ابو زيد طنطاوي. ولتقاوي البرسيم الحجازي بوغص باشا نوبار. وللحمص محمد سعيد الكبير. وللترمس علي السيد. وللبرسيم

الفول بوغص باشا نوبار . ولتقاوي النيل مدرسة الزراعة . وللوبياء حسن شناوي . ولتقاوي البصل محمود الغنيمي

ونال مدالية الفضة المذهبة للقطن الميت عفيف عن مركز طنطا والسنطة مدام اغوبيان وعن مركز شربين والبرلس محمد بدراوي عاشور . وعما يقابل بنها محمد الغنيمي وعن بلبيس دائرة فائقة هانم وعن ههيا والزقازيق دائرة القصر العالي وعن المنصورة وميت سمنود والبحر الصغير المسيو انديزاكي وعن طوخ وقليوب وبنها والقناطر الخيرية والجيزة ابرهيم بك مراد . وعن الميت عفيف في الصعيد رياض باشا وعن العباسي في الغربية محمد بك راسم وفي البحيرة البرنس حسين باشا كامل وفي القليوبية دائرة الخاصة بسترد . وعن النيوفتش في الغربية ابرهيم بك مراد



دليل المسافر

اشرنا الى هذا الكتاب النفيس في المقطم ووعدنا ان نسهب الكلام عليهِ في المقتطف فان مؤَلفهُ الفاضل السيد احمد بك الحسيني المحامي الشهير حقق طول الميل والخطوة والذراع والقدم بالمتر واجزائهِ بعد ان ذكر اختلاف الائمة والكتَّاب فيها مستنداً الى كثير من الكتب والشروح مما يدلُّ على انهُ قضى اياماً يبحث وينقب عن هذه المسألة لعلاقتها بالعبادات ولانها مسألة علمية تستحق ان توفى حقها من التمحيص حتى لا يبقى فيها مظنة ريب

اما طريقة تحقيقهِ ذلك فهي انهُ وجد بالاختبار ان متوسط سير الاقدام المعتدل لا يزيد على مئة خطوة وخطوتين في الدقيقة ولا يزيد اتساع الخطوة فيهِ على ٦٥ سنتمترًا فيكون سير الانسان بالقدم سيرًا معتدلاً ٣٩٧٨ مترًا في الساعة هذا هو سير القدم المعتدل المعتاد. وتحرَّى سير الابل واستقصى ذلك من عدد كثير ممن لهم وقوف وخبرة على مقدار ما يمكن ان تسيرهُ الابل المثقلة بالاحمال في ارض سهلة كما بين القنطرة والعريش فعلم ان البعير لا يسير في مثل هذه الارض اكثر من اربعة آلاف متر في الساعة الواحدة . وهو قريب جدًّا من سير القدم المتقدم ذكرهُ . واحضر ابلاً وسارت امامهُ في اوقات مختلفة فلم يتغير

سيرها عن ذلك فيكون بمجموع ما يسيرهُ المسافر في يومين (٣٢ ساعة بترك ساعتين للراحة) ٨٨٠٠٠ متر . ولذلك فالميل الذي هو جزءٌ من ثمانية واربعين جزءًا من مسافة "القصر" يعدل ١٨٣٣ مترًا وقال المؤلف انهُ مقدَّر قديمًا ١٨٥٥ مترًا وهذا قريب جدًّا من المقدار الذي وجدهُ بالامتحان وان المراد بالباع والذراع الباع الفلكي والذراع الفلكية والذراع ربع الباع وهي ٤٦ سنتمترًا و ٨/٣ فاذا ضربت باربعة آلاف وهي اذرع الميل كان الحاصل ١٨٥٥ مترًا وذلك مقدار الدقيقة الارضية . واذا قيل ان الميل ثلاثة آلاف ذراع كما في عبارة القاموس او اربعة آلاف ذراع فالمراد بالذراع ذراع الاقدمين التي كل ثلاث منها تساوي اربعًا من اذرع المحدثين وهي اثنتان وثلاثون اصبعًا او ٦١ سنتمترًا و ٦/٥ فاذا ضرب طول هذه الذراع في ٣٠٠٠ فالحاصل ١٨٥٥ مترًا وهو عين المقدار السابق . ويصحُّ ذلك ايضًا اذا اعتُبر الميل الفا ذراع او الف ذراع لان في الاول يكون عدد الاميال ٩٦ في مسافة القصر وفي الثاني يكون المراد بالذراع الباع . وكذلك اذا اعتبر ٣٥٠٠ ذراع على ما قالهُ الامام ابن عبدالبر لانهُ يراد بالذراع حينئذٍ الذراع التي وضعها الخليفة المأمون لما قيس لهُ محيط الارض وطولها ٥٣ سنتمترًا كما يستدلُّ على ذلك من طول مقياس النيل الذي نقش بامر الخليفة المتوكل على الله فاذا ضرب ٣٥٠٠ في ٥٣ كان الحاصل ١٨٥٥ مترًا وهو طول الميل على ما تقدم

والحاصل ان الاختلاف نسبي بين قولهم ان البريد فرسخان او اربعة فراسخ والفرسخ ثلاثة اميال او ستة والذراع اربعة وعشرون اصبعًا او اثنتان وثلاثون . فان كان البريد فرسخين والفرسخ ثلاثة اميال كان الميل ستة آلاف ذراع والذراع ٣٢ اصبعًا وان كان الفرسخ ستة اميال كان الميل ثلاثة آلاف ذراع بالذراع المذكورة او اربعة آلاف ذراع باعتبار الذراع ٢٤ اصبعًا وان كان البريد اربعة فراسخ والفرسخ ثلاثة اميال كان كذلك ان اعتبرنا الذراع ٣٢ اصبعًا كان الميل ٣٠٠٠ ذراع وان اعتبرنا الذراع ٢٤ اصبعًا كان الميل ٤٠٠٠ ذراع . واذا كان البريد اربعة فراسخ والفرسخ ٦ اميال كان الميل ٢٠٠٠ ذراع باعتبار الذراع الواحدة ٢٤ اصبعًا واما على اعتبار الميل ٣٥٠٠ ذراع فيكون البريد ٤ فراسخ والفرسخ ٣ اميال والذراع ٥٣ سنتمترًا . والذراع على اعتبارها ٢٤ اصبعًا يكون طولها ٨/٣ ٤٦ س وعلى اعتبارها ٣٢ اصبعًا يكون طولها ٦/٥ ٦١ س وعليهِ فمسافة القصر عند الائمة الثلاثة اربعة برد وهي ٤٨ ميلاً الأَعلى اعتبار الميل ٦٠٠٠ ذراع او ٢٠٠٠ ذراع فعلى الاول تكون المسافة ٢٤ ميلاً وعلى الثاني تكون ٩٦ ميلاً وعلى كل التقادير البرد واحدة والمسافة واحدة لا خلاف في مقدارها وانما الخلاف في تقسيمها

وفي هذا القدر كفاية للدلالة على ما في الكتاب من التحقيق والتدقيق في هذه المسألة وغيرها من المسائل الشرعية التي بحث فيها

وقد وقف على هذا الكتاب جماعة من علماء القطر فقرّظوهُ واثنوا على مؤلفهِ بما هو اهلهُ ونحن نشاركهم في الاعجاب بهمتهِ والثناء على حضرتهِ . وقد زاد تفضلاً فقدَّم الكتاب مجاناً لكل من يطالبهُ وهي اريحية تذكر لتشكر

ثمانية عشر يوماً في صعيد مصر

وهذا كتاب آخر ذكرناهُ في المقطم بالايجاز وهو رحلة القاضي الفاضل السيد محمد مجدي بك من مستشاري محكمة الاستئناف الاهلية وصف فيهِ ما شاهدهُ في رحلتهِ الى الصعيد منذ نحو عشر سنوات واستطرد الى الكلام على تاريخ المصريين وآثارهم فوصف هياكلهم ومدافنهم وشعائر دياناتهم والمدن التي مرّ فيها ذهاباً واياباً وخلاصة تاريخها. وقد ابدع في الوصف حتى كانهُ شاعر يصف صور الخيال لا ناثر يقرر حقائق ما يرى ويسمع واسلوبهُ في الوصف افرنجي وان شئت فقل آري لم تعتدهُ اذن سامي عربي كقولهِ وهو امام مدافن بني حسن

"قمت من فجر الاثنين ١٧ ربيع الثاني سنة ١٣١٠ وابتدأت مع لياحة غوغاء كانت تعلو كلما طلع الصبح فكأنها كانت صوت رعد بعيد تشتت بفرقعة على مسافة قاصية جدًّا امام اشعة الشمس او كأنها صراخ قوم اخذوا على انفسهم اعلان الفجر وبداية النهار باصوات يخافها الليل فيفر امامها بجيشهِ ثم تطلع عليهم الشمس وهم لا يكادون يفقهون قولاً مما يذكرون ويكررون

لما اتضح الصباح خرجت من مضجعي ولحظت القوم بالبر مختلطين بحميرهم قياماً وقعوداً بحيث يصعب مع بعض الضباب تمييزهم على بعد من بعضهم ولولا كلمة البقشيش التي كانت تخرج من افواه اولئك القوم بملئها لظننتهم حضروا في عصبة يطالبوننا بحق سياسي او بأجر عظيم بفهم اننا أُولو امر فيهم ولنا عليهم الحكم تلك الساعة

هو البقشيش تسبّح لهُ بالصعيد رجالهُ ونساؤُهُ وتولد فيهِ الاطفال ناطقة باسمهِ العزيز وهو كمين في صدورهم جميعاً تظهرهُ رؤْية غريب او حضرة امير غير حاكمهم. وكثيرًا ما قرأت عن البقشيش في كتب السياحات في الشرق وكنت اظن ما ورد فيها من قبيل الخرافات او اتوهمهُ مغالاة في القول او التنديد بالشرق وبلادنا ولكنني علمت بعد العيان والتأكيد بنفسي اني قرأت حقًّا وانهُ لم يبالغ كاتب او سائح فيما كتب وذكر في مؤلفهِ وشرح في رحلتهِ بل ما قيل عنهُ كان دون الحقيقة وانهُ اذا ملأَ صفحات سياحتهِ بذكر البقشيش وارباب فلا يخرج عن حد

الاعتدال في وصف ما يشاهده الانسان ويسمعهُ في الصعيد من سكانهِ بخصوص ذلك الامر

هل اقول اني كنت لا امر بما عاينتهُ عن امر البقشيش والنداء بهِ مع اني كنت اخجل في سري من عبارة المطالبة بهِ وفي حالة الطلب واني لا اعلم بما اصف بعض ظروف التماسهِ آناً ومكاناً وقد شاهدت مرة جملة اطفال ينادون بكلمات بقشيش ياخواجه في اثناء قضاء . . . وكانوا بلباس جدهم ابي البشر وهو في جنتهِ وكم رأيت وكم سمعت وما القول وهو الفقر كاد ان يكون كفرًا وفقر النفس الناشيء عن تعاسة الحال والجهل (وهو ضرب من الكفر) امرٌ من فقر اليد فعسى ان يعلن المصري بالجد والعلم والادب كرامتهُ بين الامم فيزهق الفقر من بلاد اظنها لم تخلق في الوجود لحرص عليهِ وحدها

صحصح الصبح وظهر النهار واتضح فاجتمعنا على سماط الخوان وفطرنا ثم تجهزنا لزيارة الآثار الكائنة ببني حسن وما نزلنا الى شاطىء النيل حتى تهافت علينا رجال معهم حميرهم واولادهم وصبيانهم فمن صارخ ومن شاتم ومن مزاحم ومن هاجم ومن باكٍ ومن شاكٍ ومن ومن مما يطول بذكرهِ الشرح وهل انجلى ذلك الحال الا بامر من صاحب الامر (ولكل مقام) وانهُ لشيخ مطاع بين الحمارين أفراد طائفتهِ ولله در سعيد الدليل حيث اشار الى المرشدين بتلك الجهة ان لا محل للصراخ وان الحال داعٍ للسكون

أُعدَّت لنا هناك ركائب حقيقتها حيوانات اشبه بالحمير صورة وهي دونها بكثير في الطول والعرض وما هي الا حمير تلك الجهة ولها فضيلة لا تهمل اذ يأمن راكبها مع صغرها وقصرها من السقوط وضررهِ فانهُ اذا وقع الحمار على الارض كان راكبهُ واقفاً على قدميهِ بلا مشقة ما . وهل حسبت السياحين اغفلوا ذكر حمير بني حسن فقد جعلوا لها كلمات باسطرهم اوجبت لها شهرة أكبر من حجمها ومع ما قيل فيها وما اعيد فهي باقية في تواضعها المتناهي بها الى الوهن تحت سروج بالية في غاية من التلف والوساخة"

وقال بعد وصف ما شاهدهُ في قبور الملوك المعروفة بابواب الملوك

"قف يا ابن آبائي واسمع حديث مفتون بسيرة اجدادك الكرام واصغ لقول مشغول بزيارة قبور القدماء عن الغداء (والجوع كما تعهد قاهر كافر لا يصبر على جزيتهِ والتقسيط ليس من مألوف عادتهِ) فيا اخي لما انتهينا من الفرجة ولم يبقَ في التقريط من الحزام فرجة ومالت الشمس عن فيء الظهر مدَّ الاتباع سماط مائدة بسيطة جدًا من محارم وفوط على اشكال مختلفة ووضعت على الارض امام مدخل باب سيتي الاول فاجتمعنا نحن السيَّاحون وكان بالقرب منا الحمارون وغيرهم وكانوا في شغلهم فاكهين يأكلون ويضحكون ويشربون ويتكرَّعون ويصرخون

ويقولون ما لا اود ذكره ولا يصح قوله وما لا اسم له واولئك هم الذين نعهدهم دائماً في كل وقت وفي كل مكان الاشقياء المسرورين والاذكياء المغبونين والضاحكين المسلوبين والناهين والمستعبدين

اما نحن فبمجرد ما وضعت مواد الخوان فافرجنا عن السردين من حبسهِ المصفح وانتشلنا افرادهُ من رقادهِ الطويل وتجردت السكاكين والشوك وعملت في لحوم طيبة من نسل ايس المقدس وتسابقت حراب الطعام لطعن اجسام الفاخت والديك والطائر الكريم وملء الطاس ولثم الثغر الكاس ودار الحديث وكلهُ الثناء العاطر والمديح الفاخر على قدماء المصريين وملوكهم وكل السياحين صاروا يذكرونهم باحسن الذكر وكنا نقول عن ذلك الكثير حتى لم يكن بيننا الا ذكر اولئك الاماجد فتخيلت اننا جئنا قبورهم في موسم لهم نأكل الضحايا على ابوابهم وندعو خيراً لارواحهم وكأنها صلاة قامت بقربانها من فطيرة على صورة رع (الشمس الكبرى) ومن شريك يمثل تثليث اوزيريس وايزيس وهوروس (العزيز والعزى واللات أوهو) ومن مشروب البلح والعنب والزبيب وياهذا لولا مصافاتي لماء النيل القراح وحده لحسبت ذلك الخيال حقيقة وربما كنت ظننت الوقت عاد الى العتيقة "

وقس على ذلك كثيراً من بديع الوصف وسلسلهِ وبينما القارىء يحاول تصوُّر المناظر التي يصورها له المؤلف بالالفاظ ينتقل من حيث لا يدري الوفا من الاعوام الى عهد القدماء كما ترى في قولهِ بُعَيْد ما تقدم

"الدير البحري — الدير هذا في حالة تخرُّب بحيث لم يبقَ منهُ ومن مبانيهِ الا أجزاء يسيرة جداً ويقول انهُ كان من رسم وصناعة المهندس او المعمار شهوت او شخوت الذي اجتهد كثيراً في اتقان بنائهِ وابداع نقوشهِ بمهارة اوجبت اقبال الملكة هاتاسو عليهِ حتى جعلتهُ رئيساً من المقربين لديها

اما الملكة هاتاسو فهي ابنة الملك طوطمس الاول من زوجتهِ الشرعية التي اسمها احموس وتزوجت باخيها من ابيها من سرية واسمهُ طوطمس الثاني ثم نسب اليها انها قتلتهُ ودعت اخاه من سرية ثانية اسمها إيزيت وأشركتهُ معها في الملك وزوجتهُ بابنتها هاتاسو مراره المولودة لها من اخيها طوطمس الثاني ولكن لم يلبث طوطمس الثالث كثيراً حتى انتقم من الملكة هاتاسو على قتلها اخاهُ طوطمس الثاني وبلغ منهُ الانتقام حدهُ الاقصى حتى طمس كل خاتم او خرطوش باسمها مما كان منقوشاً بهيكلها سابق الذكر "

وقس على ذلك الكتاب كلهُ فانهُ على هذا النسق من الوصف الشعري والشرح التاريخي

وحبذا لو زيد الاعتناء بتنقيح لغتهِ . وهو في مئتين وسبعين صفحة كبيرة موضحة بكثير من الصور والرسوم فنشكر لحضرة القاضي الفاضل اعتناءهُ بكتابة هذه الرحلة ونشرها . وهي تباع في مكاتب مصر الشهيرة وثمنها عشرة غروش

الطب الحديث

لما انشأ حضرة رصيفنا الفاضل الدكتور عيد مجلة طبيب العائلة خفنا انها تقفو خطوات غيرها من المجلات الطبية العربية فتحيا بضع سنوات حياة السقيم من قلة الغذاء ثم تموت فان تلك المجلات لم تمت لضعف في همة اصحابها ولا لنزارة مادتها ولا لعدم الحاجة اليها بل لان عدد القراء الذين يشتركون في المجلات الطبية كان قليلاً فلا يفي ما يدفعونهُ بنفقاتها اما الدكتور عيد فلم يقتصر في طبيب العائلة على ما يطلبهُ الاطباء وخاصة القراء بل عمم مواضيعهُ وبسطها حتى يقرأهُ غير الاطباء وغير الخاصة فكثر الاقبال عليهِ حتى وجد حضرهُ منشئهِ من اقبالهم ما حداهُ الى انشاء مجلة طبية خاصة سماها الطب الحديث وقد قال في مقدمة العدد الاول الذي صدر منها ان مجلة طبيب العائلة " صادفت من الاقبال والرواج ما شدَّد عزائمنا على الثبات في القيام باعباء هذا العمل حتى اتمت سنتها السادسة وهي سائرة الآن في العام السابع وفي ذلك مصداق لما حدثنا بهِ الوجدان من حاجة اهل الوطن العزيز الى نشرة دورية تنبههم الى الطرق الواجبة لحفظ صحتهم وهي الكنز الثمين . وفي اثناء ذلك تواردت علينا الكتب من جمهور القراء وافاضل الزملاء الكرام يستحثون عزيمتنا لانشاء صحيفة تكون موقوفة على الطب وابوابهِ فجاء هذا النداء المتكرر مؤيداً لصوت الضمير الذي كان يناجينا للقيام ايضاً بهذا الامر الهام . غير اننا كنا نتردد بين الاقدام والاحجام لاننا رأينا كثيرين قد سبقوا الى مثل هذا العمل فلم يلاقوا ما يثبتهم في خطتهم او يؤيدهم في مشروعهم فلما رأينا النجاح رائداً لمجلتنا طبيب العائلة والضمير ينادينا والجمهور يشجعنا زال ما كان يدور في خلدنا من التردد واستخرنا الله تعالى على القيام بهذا المشروع الجليل . . . . وانا والحق يقال لا نكتم القراء ما يحول دون مشروعنا هذا من المشاق والصعوبات وما يجول في خواطرنا من الاشفاق عليهِ وضعف الأمل بنجاحهِ لما نراهُ من تقلص ظل اللغة العربية وانتشار التعليم بين الناشئة من الشبان باللغات الافرنجية وتغلب هذه اللغات على لساننا الفصيح خصوصاً في التعليم الطبي "

واماما الآن العدد الاول من هذه المجلة وهو مدبَّج بكثير من المقالات الطبية المفيدة

باقلام جمهور من نخبة الاطباء الاولى في البلاغرا للدكتور سندوث وهي ملخص خطابة تلاها في المجمع العلمي المصري . قال فيها ان البلاغرا مرض مزمن مستوطن غير معدٍ مسبب عن تأثير الذرة الفاسدة يعتري افقر الفلاحين وينشأ عنهُ آفات في النخاع الشوكي والمعدة والامعاء ويؤدي احياناً الى الجنون وينشأ عنهُ ايضاً نقاط جلدي يصيب الاجزاء المعرضة للشمس. ولفظة بلاغرا ايطالية معناها الجلد الخشن ورجح ان فساد الذرة الذي تنتج عنهُ هذه العلة ناشئ عن باشلس تتولد منهُ مادة سامة للانسان ولا يتولد هذا الباشلس في الذرة البلدية التي عليها مدار الغذاء في الوجه القبلي بل في الذرة الشامية او النيلية. وقد تبين من الاحصاءات الاخيرة ان في ايطاليا نحو ٦٠٠٠٠ مصاب بالبلاغرا

ويتلو ذلك مقالة وجيزة في الاغلوكوما المزمنة للدكتور علوي بك وكلام عن الجمعيات والمجلات الطبية للدكتور فورونوف والدكتور توفيه وعن المصل المضاد للتيفويد وعن الليسيتين للدكتور علي زكي الذي اتفق هو واستاذهُ الدكتور ديجريه على تجربته واظهار فوائده الطبية واثبتا انهُ يزيد في الجسم ويقويهِ وينشطهُ ويزيد قابلية الطعام ويثبت الفصفور في المجموع العصبي العظمي . وهو يستعمل الآن في الامراض الدرنية والامراض العصبية والعقلية وفي البول السكري والضعف العام وفي فقد شهية الطعام وضعف الاولاد

ويلي ذلك اخبار طبية مختلفة مما لا يستغني الطبيب عن معرفتهِ اذا شاء ان يبقى مجارياً لهذا العلم الذي تكثر جدده كل يوم . فنشكر لحضرة رصيفنا الفاضل الدكتور عيد على هذه التحفة التي اتحف بها الوطن ونتمنى لها النجاح

رواية هملت

لشكسبير عند الامة الانكليزية المقام الثاني بعد التوراة والانجيل يقتبسون من حكمهِ اكثر مما نقتبس من حكم الجامعة ويتمثلون بابياتهِ اكثر مما نتمثل بابيات المتنبي . كتّابهم وشعراؤهم وخطباؤهم وجمهورهم في احاديثهم رجالاً ونساء يرصعون اقوالهم بالدرر الغوالي المقتبسة من بحر شكسبير شاعرهم الاكبر وفيلسوفهم الاشهر حتى لقد قالوا اخيرًا ان الناظم لهُ باكون الفيلسوف لاشكسبير الممثل. والذين درسوا اللغة الانكليزية منا واطلعوا على آدابها حذوا حذو الانكليز في التمثل باقوال شاعرهم حتى لقد قلنا لسيدة سورية قبل كتابة هذه السطور ان هذا الكتاب رواية هملت مترجمة الى العربية فقالت على الفور Frailty, thy name is woman ثم اخذت تتمثل بابيات اخرى من ابيات هملت ولذلك انتظرنا ان نرى المعاني

المنسوبة الى شكسبير التي ابتكرها واخترعها محفوظة في ما يترجم منهُ الى العربية لكننا قلّما رأينا شيئاً منها. الاَّ ان معرّب هذه الرواية (وهو الكاتب الاديب والشاعر المطبوع طانيوس افندي عبده) ترجمها عن الترجمة الفرنسوية ولا ندري كم حفظ المترجم الفرنسوي من المعاني الاصلية. ثم انهُ اودعها من الشعر الحسن ما لا يقلُّ عن شعر شكسبير رونقاً كقولهِ عن لسان هملت

ابتي اين انت تنظر ما تمّ صار عرساً ذاك الذي كان مأتم
اي فرق بين الكواسر والانسان ان كان قلبهُ ليس يرحم

وقولهِ عن لسان اوليفيا

اصدّقهُ لانَّ الحب يبدو اذا ما هاج في القلب الغراما
وان صدقت اوائلهُ فماذا يضرُّ القلب ان جهل الختاما

ونثر الرواية حسن كنظمها فلنا لمعربها الشكر الجزيل

الاستقلال

انشأ حضرة المحامي الفاضل نجيب افندي شقرا مجلّة انتقادية حقوقية قضائية اجتماعية اقتصادية ادبية فكاهية سماها الاستقلال جعل قيمة الاشتراك فيها ريالاً واحداً في السنة. ومواضيعها كثيرة كما تقدَّم لكنها تبحث فيها كلها كما يظهر من العددين اللذين صدرا منها ففي العدد الثاني وهو امامنا الآن كلام عن تسخير المحامين وعن دِين المجرمين على مذهب الاستاذ لمبروزو وعن نقائص القانون المصري. وعن آداب المجرمين اللغوية. وعن كيف يمكننا ان نربي رجالاً. وعن الشجاعة الادبية. والانتخابات لمجلس حلوان المحلي. وجانب من كتاب في المسؤولية لحضرة صاحب الاستقلال. وكأن حضرتهُ جرى في ما كتبهُ عن الانتخابات على حسب قولهِ في الشجاعة الادبية الشجاع من ابدى رأيهُ حرًّا خالياً من شوائب الغرض. وهو قول صحيح ولكن هذا الشجاع لا يفيد احداً برأيهِ الاَّ اذا كان رأيهُ صواباً. فالشجاع المفيد هو الحصيف الرأي الواسع الاختبار الذي علّمتهُ التجارب ما هو المفيد وما هو غير المفيد فارتأى الرأي الصواب وابدى رأيهُ حرًّا خالياً من شوائب الغرض والاَّ فان كان الرأي فطيرًا او كانت خبرة صاحبهِ قليلة فخير لهُ ان يكتمهُ في صدرهِ لئلا يكون من ابدائهِ ضرر. وقوّاد الامم هم اهل الحنكة والتجارب الذين نجحوا وارشدوا غيرهم في طرق النجاح واختاروا اقل الشرين واخف الضررين لا الذين قاوموا وجالدوا وجاهروا بما اعتقدوهُ صواباً ولو كان بعيداً عن الصواب او كان من المجاهرة بهِ ضرر يفوق الكتمان كثيرًا

هذا واننا نرحّب بمجلّة الاستقلال ونود ان تحرز قصب السبق في بث الآراء الحكيمة ونشر الفوائد العميمة

الشرق المصور

لا مشاحة في ان الصور تزيد المجلات رونقاً وتغني عن الاسهاب في الوصف وترسخ المعاني في الاذهان ولا بدَّ من ان يزيد الاعتماد عليها في مجلاَّتنا العلمية والادبية كما زاد اتقان صناعة الحفر الكهربائي وقلَّت نفقاتهُ . والشرق المصور من المجلاَّت التي جلَّت في هذا المضمار فقد انشأهُ حضرة مديرهِ الفاضل احمد بك كامي الكريدي ليكون مجلة علمية ادبية فنية صناعية وزينهُ بكثير من الصور الشرقية والغربية فافتتح الجزء الاول منهُ برسم الجناب الخديوي واتبعهُ برسم جبل طارق والقناطر الخيرية والمرحوم خليل رفعت باشا وجامع محمد علي في مصر. وفيهِ كلام مسهب عن المدنية الحاضرة وغايتها واصولها وعن مصل شانتمس المضاد للتيفويد وترشيح الماء والمرشحات وخواص الاثمار النافعة صحياً. وورق الشرق جيد وطبعهُ متقن وصورهُ واضحة فندعو لهُ بالنجاح التام

الوهابيَّة The Wahabis

مقالة للقس الفاضل الدكتور زويمر تليت في جمعية فكتوريا الفلسفية في اصل الوهابين وتاريخهم وعقائدهم . ويظهر مما اوردهُ في هذه المقالة ان الوهابية منتشرة في بلاد الهند حيث يسمي اصحابها انفسهم باهل الحديث والفرقة الناجية والموحدين والجاهدين لكن عددهم فيها غير كثير فقد بلغ ٩٢٩٦ نفساً في الاحصاء التي تمَّ منذ عشرين سنة ولعلَّ كثيرين من الوهابيين هناك لا يجاهرون بمعتقدهم لانهُ نسب اليهم الحث على الجهاد ضد الحكومة الانكليزية فلا يعلم عددهم تماماً قال المؤلف انهُ لقي واحداً منهم وسألهُ عن مذهبهِ فقال انهُ سني من الحنابلة وانكر انهُ وهابي لكنهُ لم يلبث ان قال انهُ تابع للامام عبد الوهاب. وهذا شأن الامام عبدالله بن ابي بكر بن قيم الجوزية صاحب كتاب الكافية الشافية في الانتصار للفرقة الناجية فانهُ يقول انهُ حنبلي ولا يقول انهُ وهابي

التنيجة الشرقية

كراسة كبيرة فيها كثير من الفوائد والتقاويم انشأها حضرة الصيدلاني المتفنن يوسف افندي الخوري لسنة ١٩٠٢ ومن الفوائد التي تتضمنها كلام مسهب على البعوض والعدوى . ونصائح صحية لمقاومة الامساك وهيجين المصابين بالبول الزلالي

باب المسائل

فتحنا هذا الباب منذ اول انشاء المقتطف ووعدنا ان نجيب فيهِ مسائل المشتركين التي لا تخرج عن دائرة بحث المقتطف · ويشترط على السائل (١) ان يمضي مسائلهُ باسمهِ والقابهِ ومحل اقامتهِ امضاء واضحاً (٢) اذا لم يرد السائل التصريح باسمهِ عند ادراج سؤالهِ فليذكر ذلك لنا ويعين حروفاً تدرج مكان اسمهِ (٣) اذا لم ندرج السؤال بعد شهرين من ارسالهِ الينا فليكررهُ سائلهُ فان لم ندرجهُ بعد شهر آخر نكون قد اهملناهُ لسبب كافٍ

(١) لذة النوم

كفر طحا . احمد افندي محمد رزق . متى يجد النائم لذة النوم أقبل النوم ام بعدهُ ام في حالة النوم فاذا فرضنا انهُ يجدها قبل النوم فهو متهيِّئ للنوم او في حالة النوم فانهُ لا يدري لذةً حينئذٍ او بعد فانها لذة انقضت

ج سئلنا هذا السؤال قبل الآن فاجبنا عنهُ بما يأتي

"ج اللذة شعور عقلي والعقل يشعر بما يحدث لهُ في الحال وبما سيحدث لهُ وبما حدث وفات . فاذا تذكر لقاء حبيب شعر بلذة وارتياح كما لو كان الحبيب حاضرًا واذا فكَّر بقرب دنوهِ شعر بلذة وارتياح ايضاً . فيمكن للانسان ان يشعر بلذة من مجرد الفكر بانهُ متعب وقد دنا وقت الراحة او بانهُ كان متعباً فنام واستراح اي قبل النوم وبعدهُ . ثم ان الحواس لا تنام كلها دفعةً واحدةً بل تدريجاً فتنام حاسة البصر اولاً ثم حاسة الشم ثم الذوق ثم اللمس ثم السمع اي تستريح من العمل واحدةً بعد اخرى ويشعر الوجدان بهذه الراحة قبل ان ينام . وقد تستيقظ تدريجاً ايضاً اولاً اللمس ثم السمع ثم الذوق الخ . وفي مخادع النفس قوى اخرى تشعر بحالة الجسد من الراحة والتعب وشعورها قد يقيَّد في الذاكرة على صورة غير واضحة فتتذكرهُ بعد ما تستيقظ فاذا تعب الانسان وهو نائم فقد يشعر بهذا التعب وهو نائم ويتذكر هذا الشعور حينما يستيقظ كما اذا اصابتهُ حمى شديدة فشعر انهُ يحرق بالنار او بردٌ فشعر انهُ كان ماشياً على الثلج وهلمَّ جرًّا . وعليهِ فيمكن للانسان ان يشعر بلذة النوم في اثناء النوم وقبلهُ وبعدهُ"

هذا ما قلناهُ منذ ١٥ سنة في المجلد الثاني عشر من المقتطف ولا نرى وجهاً الآن لتغييرهِ

---

(٢) عدوى السل

طنطا . س . د . هل من خوف على انسان عمرهُ ثلاثون سنة من عدوى السل اذا عاشر المسلول

ج نعم ونعرف شخصاً ظهر فيهِ السل بعد ان جاز الاربعين

(٣) الشفاء من السل

ومنها . هل يرجى لهذا المريض شفاء اذا استعمل الوسائط اللازمة ولو كان كهلاً

ج نعم ما دام السل في بداءتهِ اي في الدرجة الاولى او الثانية واما اذا بلغ الدرجة الثالثة فالامل بشفائهِ قليل جدًّا والمرجح ان شفاءهُ بعد ذلك محال ولكنهُ قد يعيش سنين كثيرة كأنهُ سليم لان السل يكون قد وقف عند حد محدود ولم يعد يتجاوزهُ

---

(٤) ممن خاف قايين

المراغنة . قرياقص افندي ميخائيل . جاء في العدد ١٤ من الاصحاح الرابع من سفر التكوين قول قايين بن آدم موجهاً كلامهُ الى الله "قد طردتني اليوم عن وجه الارض ومن وجهك اختفي واكون تائهاً وهارباً في الارض فيكون كل من وجدني يقتلني" فمن كان يقصد قايين بقولهِ "من وجدني" ومَن لا يستعمل الاَّ للعاقل هل خلق الله احداً غير ادم

ج جاء في التفسير الانكليزي المنسوب الى جاميسون وفوست و برون ان قايين اراد اناساً من ابناء آدم وان نسل الانسان كان قد كثر حينئذٍ

(٥) صحة علامات الفراسة

ومنهُ . يزعم البعض ان للانسان علامات طبيعية تدلُّ على صفاتهِ فالشعر في العنق يدل على البخل والجبن وكبر الدماغ يدلُّ على الذكاء فهل لذلك شيءٌ من الصحَّة

ج بعضهُ صحيح وبعضهُ غير صحيح كما ترون في ما كتبناه وما سنكتبهُ في "الصحيح من الفراسة"

(٦) اسباب اللثغة

ومنهُ . هل اللثغة طبيعية في الانسان او توجد لها اسباب طارئة

ج اذا تُرِك الولد يلفظ الحروف كما يشاء ولم يُصلَح لفظهُ فقد يجيءُ في بعض الحروف كالراء والسين مخالفاً للفظ المألوف وهذه هي اللثغة وهي حينئذٍ طبيعية اي تكون مولودة ولكنها تزول بالتمرين والاعتناء . وقد يصاب المرء بمرض كالتيفوس فينهض منهُ والنطق متعذر عليهِ ثم يتمرن على النطق رويدًا رويدًا ولكنهُ يبقى الثغ في الغالب . فاللثغة حدثت هنا من علة عارضة

(٧) شعر الاقرع

ومنهُ هل يمكن انبات شعر الاقرع واذا كان يمكن فما الطريقة لذلك

ج اذا تُرِك القرع حتى يجري مجراه وقع الشعر بهِ وتلفت بصلاتهُ ايضاً ولم يعد نموهُ ممكناً واما اذا عولج باكرًا العلاج المناسب شفي ونبت الشعر ثانيةً

(٨) عيب خلقي

ومنهُ . رأيت غلاماً جفن عينهِ الاعلى مقطوع ثلثهُ تقريباً منذ ولادتهِ فما سبب ذلك

ج تشوُّه خلقي لا يعلم سببهُ

(٩) دواء الامساك

دمنهور . ا . ل احد المشتركين لي قريب صحتهُ جيدة لكنهُ مصاب بالامساك وهذا الامساك حديث ويزول اذا استعمل السنامكي والحلبة والسكر ثم يعود ثانية . وقد جاء في اعلانات المقتطف ان حبوب اب جون ضد الامساك فهل هذه الحبوب تقطع الامساك تماماً فلا يعود يرجع وان كانت لا تقطعهُ فهل يوجد دواء آخر يمنعهُ . وما السبب لحدوث هذا الامساك

ج عرضنا سؤالكم على حضرة الدكتور نقولا نمر صاحب الاعلان المشار اليهِ فاجاب ان حبوب اب جون المشار اليها تقطع الامساك اذا استعملت كما هو معلن عنها وتركيبها ليس خفياً فيستطيع كل طبيب ان يطّلع عليهِ فيقر بفعلها . اما الامساك الذي تشيرون اليهِ فنرجح انهُ مسبب عن بلادة في الكبد وعدم افراز الصفراء الكافية واذا جرَّب قريبكم هذه الحبوب ثبتت لهُ فائدتها

(١٠) السمك واللبن

مصر . جرجس افندي بشارة . ما الضرر من أكل السمك واللبن حتى قيل لا تأكل السمك وتشرب اللبن

ج لا نرى في ذلك ضرراً وقد جرَّب احد المشتركين في المقتطف اكل السمك على انواع مختلفة وشرب اللبن واستمرَّ على ذلك مدة ولم ينلهُ اقل ضرر

(١١) فائدة الخمر

ومنهُ . قيل ان القليل من الخمر يصلح المعدة فاي نوع من الخمر اصلح من غيرهِ وما هو المقدار الصالح منهُ وما هي الاوقات المناسبة لشربهِ

ج اذا اشار الطبيب بشرب الخمر علاجاً وجب عليهِ ان يعين نوعها ومقدارها والاوقات التي تشرب فيها . هذا اذا اريد شرب الخمر علاجاً لتقوية المعدة واما اذا اريد شربها لمجرَّد اللذة فالناس اذواق بعضهم يفضل هذه الخمر وبعضهم تلك والغالب انهم يشربونها مدة تناول الطعام

(١٢) كذب الحواة

ومنهُ . ما هي العزيمة التي يقولها مستخرج الثعابين (الحاوي) حتى بمجرَّد تلاوتها في مكان فيهِ ثعبان يخرج الثعبان ويأتي اليهِ ولربما لا تعتقدون صحتها ناسبين اياها الى الشعوذة كما كنت اعتقدانا منذ اسبوع مضى ولكنني نظرت بعيني حاوياً اخرج ثلاثة ثعابين بمجرد تلاوتها

ج ونحن ايضاً رأينا حاوياً اخرج ثعبانين من مكتبنا ولم نعرف كيف اخرجهما

مع اعتقادنا انهُ خادع . وبعد البحث الطويل على غير طائل اعطيناهُ ريالاً حتى كشف لنا سر صناعتهِ وهو انهُ كان يخبئ الثعابين في طيات ثيابهِ ثم يخرجها من جيبهِ او كمهِ بخفة تفوق الوصف اما الكلام الذي يقولهُ فلا نتذكر الفاظهُ ولكن لا علاقة لهُ باظهار الثعابين وما هو الاَّ من التمويه والتدجيل

مسائل الجامعة

بعث الينا حضرة رصيفنا الكريم منشىء الجامعة بالمسائل التالية وبعث بها ايضاً الى بعض الكتّاب طالباً منهم ان يجيبوهُ عنها كلها او بعضها والمسائل هذه

١ ما رأيكم في الصحافة الحاضرة من مجلات وجرائد وكم واحدة تطالعون منها

٢ ما الواجب صنعهُ في رأيكم لتحسين حالتها وهل لديكم نصيحة خصوصية لها

٣ هل تعتقدون بوجود نهضة ادبية حقيقية في الشرق وهل هي جارية على قاعدة طبيعية مقتضاها الارتقاء تدريجاً

٤ هل لديكم نصيحة خصوصية للشرق والشرقيين وخصوصاً العثمانيين كالدعوة الى ادخال شيء جديد ونبذ شيء قديم

٥ ما رأيكم في مجلة الجامعة بنوع خصوصي وهل لديكم نصيحة خصوصية لها

ولا يسعنا الوقت ان نجيب عن كل مسألة منها بالاسهاب لو استطعنا ذلك ولكننا نقول بالايجاز ان للصحافة الآن شأناً كبيراً في القطر المصري وقد صار جمهور كبير من الامة يعتمد على الجرائد لبث شكواهُ لدى ولاة الامور وصار كثيرون من ولاة الامور يلتفتون الى ما تقولهُ الجرائد فيمتنع صغارهم عن الحيف ويهتمُّ كبارهم برفع الظلامات وهذا نراهُ كل يوم تقريباً. وصار اهل الزراعة وهم اكثر اهالي القطر يعرفون من الجرائد اسعار حاصلاتهم يوماً فيوماً فلا يخدعهم تاجر ولا سمسار . عدا ما في الجرائد من الاخبار والفوائد التي توسّع المعارف وتنوّر العقول . وما في الصحافة من غث يزول بناموس "بقاء الانسب" ولهذا مات كثير من الصحف التي لا محلَّ لها وغيَّر بعضها لهجتهُ حتى تناسب احوال العصر . اما المجلات العلمية والادبية فلا ينكر فوائدها عاقل

ونصيحتنا لرصفائنا اصحاب الجرائد والمجلات ان لا ينشروا شيئاً الاَّ وهم واثقون تمام الثقة انهُ صحيح وان من نشرهِ فائدة ما. فاذا فعلوا ذلك زادت فائدتها اضعافاً. ولا شبهة عندنا ان في الشرق نهضة ادبية حقيقية تظهر جلياً من مقابلة حالهِ الآن بحالهِ منذ مئة عام او مئتي عام وستزيد ارتقاء ولكن ارتقاءها بطيء ولا سيما في الامم المرتبطة بعادات ومعتقدات تصدُّها عن اقتباس العلوم والفنون الحديثة او تصدُّ نساءها على الاقل . ومن المقرر ان

الحكومة لا تستطيع ان تعلّم الامة وترقيها واعتماد الامة على حكومتها من هذا القبيل مجلبة للفشل ولكن الحكومة تستطيع ان تساعد الامة على التعلّم والترقي ويجب عليها ان تساعدها فتنفق على ترجمة الكتب ونشرها وتعليم النابغين من اولاد الفقراء مجاناً ومساعدة الجماعات التي تنشىء المدارس ومكافأة من ينفع بلاده بتأليف او اكتشاف او استنباط. وربما كان خير ما نفعله ان نرسل وفداً الى بلاد اليابان الفتية يبحث عن سر ارتقائها حتى صارت قرينة لانكلترا ثم يعود الينا بالخبر اليقين

وننصح للجامعة ان تثابر على خطتها فلا تدّخر وسعاً في نشر الفوائد



دواء الحمى الملارية

اكتشف المسيو ارمان غوتيه اكتشافاً عظيم الشان وهو ان حقن الدم بقليل من مثيل ارسنات الصودا sodium methylarsenate دواء شافٍ من الحمى الملارية وذكر انهُ عالج تسعة بهذا العلاج فشفوا وكانوا قد اصيبوا بالحمى في افريقية ولم يستفيدوا من الكينا ولو بجرعات كبيرة وفحص دمهم بعد المعالجة فوجد انهُ تنقى من الميكروب (الهماتوزوى) الذي يسبب هذه الحمى. وهذا العلاج يزيل فقر الدم الذي ينشأ عنها ايضاً. ومن رأي المكتشف انهُ يجب استعمال هذا الدواء بدل الكينا في معالجة الحمى الملارية الخبيثة

آثار الاسكندرية

وجد في الشهر الماضي صندوق صغير من الرصاص في الاسكندرية قرب الشاطيء حيث حمامات زورو ابتاعهُ الاستاذ بوتي الاركيولوجي وفتحهُ فوجد فيهِ درجاً قديماً وجنينين مصبرين وفي الدرج عشرون سطراً باليونانية من اواخر القرن الاول بعد المسيح وهو اول درج من البردي وجد في الاسكندرية

ووُجد فيها ايضاً مدافن قديمة خاصة بالجزيرة التي كانت فيها منارة الاسكندرية عليها نقوش بديعة على نسق بيزاي في احدها صور البوارج المصرية ذات الابراج العظيمة التي اقتبس مثالها الرومان في بناء بوارجهم بعدما تغلبوا على كليوباترا

آثار الكرنك

كان المسيو لغرين يرفع الانقاض من هيكل الكرنك لاعادة اعمدتهِ الساقطة فوجد صفيحة من الحجر عليها اسم اوسترتسن الاول من ملوك الدولة الثانية عشرة ثم وجد صفائح اخرى عليها كتابات كثيرة يمتد تاريخها الى اقدم مما وجد في الكرنك بالف سنة والظاهر انها من بقايا قصر لاوسترسن الاول هدمهُ ملوك الرعاة ثم لما قام الملك تحتمس العظيم مهد الارض وهو لا يدري ما فيها وبنى عليها هيكلاً فحفظت هذه الآثار تحتهُ

آثار طيبة

وجد المستر نيوبري في طيبة قصرًا صيفيًا للملك امنهوتب الثالث لم يبقَ منهُ الا اراضي غرفهِ وهي مزدانة بصور كثيرة تمثل اساليب الصيد والوانها بهية كأنها وضعت امس مع انهُ مضى عليها الآن ٣٥٠٠ سنة

بئر الهرم الاكبر

تحت الهرم الاكبر من اهرام الجيزة غرفة كبيرة يوصل اليها من السرداب الموصل الى غرفة الملك ببئر تنزل اولاً عموديًا ثم تميل الى ان تصل اليها على عمق مئتي قدم وقد كثر الردم في هذه البئر وفي مدخل الغرفة حتى صار الوصول الى الغرفة متعذرًا ولم يكن كذلك منذ ثلاث وعشرين سنة حينما زرنا هذا القطر اول مرة لاننا رأينا البعض نزلوا اليها امامنا حينئذٍ . وقد اهتمَّ المستر كوفنتن الآن بازالة الردم من البئر ومدخل هذه الغرفة فصار الوصول اليها سهلاً وأُطلق الهواء في السرداب الموصل الى غرفة الملك والملكة فلم يعد الداخل اليهما يجد مشقة من حرارة الهواء وفسادهِ

طفلة مرضع

كُتب الينا من سورية ان ابنة ولدت في قرية ابل السقي ولها ثديان كبيران يدرّان لبنًا وكلما اجتمع اللبن فيهما اكثرت من البكاء حتى يحلبا فتسكت. ولهذه النادرة امثال لكنها قليلة جدًّا

زلزلة شماخا

اصيبت مدينة شماخا غربي بحر قزبين بزلزلة عنيفة قتلت ٥ آلاف من الاهالي وتركت ثلاثين الفًا بلا مأوى . شعر السكان بالهزة الاولى نصف النهار في الثالث عشر من فبراير ولم تكن الا ثواني قليلة حتى هدمت الكنيسة الارثوذكسية والجوامع وكل المباني العمومية ومئات من بيوت السكان وتوالت الزلازل اياماً . والزلازل كثيرة التردُّد على تلك البلاد لانها كانت بركانية في غابر الزمان

ذهب كلنديك

بلغ الذهب الوارد الى اميركا مستخرجًا من كلنديك في العام الماضي اربعة ملايين

ونصف مليون من الريالات وبلغ ثمن الموادمن مؤونة ونحوها التي أُرسلت الى العمال في تلك البلاد في العام الماضي خمسة ملايين ونصف من الريالات فالخسارة على طلاَّب الذهب مليون من الريالات

تعدُّد الرسائل البرقيَّة

استنبط الاستاذ وليم دران استاذ الطبيعيات في مدرسة كولورادو الجامعة اسلوبًا لارسال ثماني عشرة رسالة برقية على سلك واحد في وقت واحد فترسل عليهِ ذهابًا وايابًا من غير ان يعترض بعضها بعضًا

الاوتوموبيل في روسيا

استخدمت حكومة روسيا الاوتوموبيل لنقل البريد في بلاد القوقاس بدل خيل البريد وانشأت مستودعات للكهربائية على كل عشرة اميال حتى تملأ المركبات بها

الاوتوموبيل والغبار

من رأى الاوتوموبيل جاريًا في طريق الجزيرة او الاهرام والغبار يتطاير من عجلهِ فيسد منافس الفضاء يسرُّ بان جمعية الاوتوموبيل الانكليزية عينت جائزة مئة واربعين جنيهًا لمن يكتشف اسلوبًا يمنع ثوران الغبار من سير الاوتوموبيل . فعسى ان يوفق احد الى هذا الاكتشاف ليزول من الاوتوموبيل ضرر كبير لا يمكن الاغضاء عنهُ

الزجاج في شوارع باريس

عرض بعضهم على مجلس باريس البلدي منذ سنة من الزمان ان يُرصف بعض شوارعها بانواع الزجاج بدل الحجر والاسفلت فرضي المجلس البلدي بذلك مشترطًا انهُ اذا لم يقم الزجاج المدة المفروضة فالذين وضعوهُ ينزعونهُ ويردون رصف الشوارع كما كان . والظاهر ان الزجاج وفى بالغرض المطلوب لان المجلس البلدي نفسهُ اخذ يرصف بعض الشوارع الآن . وكان اكبر اعتراض على الزجاج ان الخيل تزلق عليهِ في ايام المطر ولكن وجد بالاختبار انها لا تزلق عليهِ اكثر مما تزلق على الاسفلت . فاذا وفى بالغرض من كل وجه حقَّ ان يجرَّب في هذه العاصمة وفي الاسكندرية لان لا شيء يفوقهُ في جمال المنظر وسهولة التنظيف

المطر بالكهربائية

حاول الاوربيون والاميركيون مرارًا ايقاع المطر باطلاق المواد المتفرقعة كالبارود والديناميت فلم يفلحوا وقد حُفظ لاهل يابان ان يوقعوا المطر من بخار الهواء بطريقة علمية صحيحة وهي انفاذ الكهربائية الى هواء الجو حتى يتكاثف بها بخار الماء ويقع مطرًا . وقد جرَّبوا ذلك حديثًا فشرعوا في بث المجاري الكهربائية من الساعة الحادية عشرة ليلًا فلم تكن الساعة التاسعة من اليوم التالي حتى

تلبَّدت الغيوم واخذ المطر يهطل فوق الاكمة التي كانت التجارب فيها وتكرَّر وقوعهُ قبل الظهر وبعدهُ الى الساعة التاسعة مساء وانتشر على اميال كثيرة . وفي عزم العلماء الذين جربوا هذه التجربة ان يعيدوا التجارب مراراً حتى تثبت لهم صحتها

بالون سلطان مراكش

امر سلطان مراكش مولاي عبد العزيز فصُنع لهُ بالون من النوع المقيد يسع الف يرد مكعب من الغاز ويحمل ثلاثة انفس ويصعد بهم الى علو الفي قدم اي طول الحبل المقيد بهِ . ولهُ مركبة من افخر المركبات فيها تلفون متصل بالارض وهو يملأ غازاً من انابيب فيها غاز الهيدروجين المكثف . وقد صنع هذا البالون في فرنسا وكلما فُرّغت الانابيب من الغاز اعيدت الى فرنسا لتملأ ثانية . ونخاف ان يكون دهاة الاوربيين جارين في خطة اخوانهم الذين حسَّنوا لاسمعيل باشا الخديوي الاسبق انفاق الاموال الطائلة على مثل هذه الطفائف حتى تقيَّد البلاد بقيود من الذهب ويصير لاوربا الشأن الاكبر فيها بدعوى المحافظة على اموالها ومصالحها

اكبر جائزة لاحسن بالون

عينت شركة اميركية مئتي الف ريال جوائز تعطيها في معرض سنت لويس الذي يُفتح في العام المقبل لمن يصنع احسن بالون يسار فيهِ في الهواء

درجة حرارة الشمس

شرع الاستاذ تشارلس ولسن منذ عشر سنوات في عمل التجارب المختلفة لكي يعرف درجة حرارة الشمس بالتدقيق فوجد انها تعادل ٦٢٠٠ درجة بميزان سنتغراد او ١١١٩٢ درجة بميزان فارنهيت . واذا اضيف الى ذلك مقدار ما يمتصهُ جو الشمس من حرارتها الاصلية فدرجة هذه الحرارة ٦٦٠٠ درجة بميزان سنتغراد لان جو الشمس يمتص منها ٤٠٠ درجة

تلغراف مركوني

لم تبقَ شبهة في نجاح تلغراف مركوني اي التلغراف الذي ترسل بهِ الاشارات الكهربائية من غير اسلاك معدنية وقد وردت الانباء البرقية من اميركا مشيرة الى ان حكومة كندا عرضت على البارلمنت الذي فيها مقاولة عقدتها مع مركوني تعهدت فيها بان تعطيهُ ثمانين الف ريال لينشئ خدمة تلغرافية بين اوربا واميركا بشرط ان لا تزيد اجرة الكلمة على غرشين . فمتى اقتنع رجال الحكومة ورجال الاشغال بفائدة اكتشاف ونفعهِ التجاري فهو مفيد حتماً ولا يبقى مانع يمنع انتشارهُ

فهرس الجزء الثالث من المجلد السابع والعشرين



مجلة علمية صناعية زراعية

لمنشئيها

الدكتور يعقوب صرُّوف والدكتور فارس نمر

AL-MUKTATAF

A MONTHLY ARABIC SCIENTIFIC REVIEW

EDITED BY DR. Y. SARRUF

VOL LXX. No 5

FOUNDED 1876 BY DRS. Y. ŞARRUF & F. NIMR

المقتطف

الجزء الرابع من المجلد السابع والعشرين

١ ابريل (نيسان) سنة ١٩٠٢ — الموافق ٢٢ ذي الحجة سنة ١٣١٩

رجال المال والاعمال



سسل رودس

لا ندري هل يصدر هذا الجزء وصاحب الترجمة في عالم الاحياء يتغلّب جسمهُ على الداء ويحيا الى ان يرى الامن مستتبّاً في جنوبي افريقية والذهب والماس يخرجان من تلك البلاد

بلا معارض ولا ممانع او يصدر بعد ان يذهب في سبيل كل حيّ تاركاً لامتهِ مثالاً في الهمة والاقدام تفاخر بهِ امم العالم وتنسج ابناؤها على منوالهِ مدى الاعوام

ولد في السابع من شهر يوليو (تموز) سنة ١٨٥٣ وابوهُ من خدمة الدين ليس على شيءٍ من الثروة ودرس في مدرسة البلد الذي ولد فيهِ وبدت عليهِ مخايل النجابة في حداثتهِ ففاق اقرانهُ في الدرس واللعب وانجاز الاعمال وكان من الجوائز التي نالها لبراعتهِ نفقة تعليمهِ العلوم اللغوية التي مهّدت لهُ السبيل للدخول الى مدرسة اكسفرد في ما بعد . وهذا امر شائع عند الاوربيين يجيزون النابغين من التلامذة بنفقة تعليمهم حتى اذا كانوا فقراء لم يمنعهم فقرهم عن التعلُّم في المدارس العليا

وكان لهُ اخ اكبر منهُ اسمهُ هربرت كان قد ذهب الى جنوبي افريقية واقام يزرع القطن في بلاد ناتال فمضى اليهِ وبلغ دربان في اواخر سنة ١٨٧٠ وجعل يساعدهُ في اعمال الزراعة المختلفة فطابت لهُ الاقامة في تلك البلاد لما رآهُ من طيب هوائها واتساع المجال فيها لاهل الهمم . ويقال انهُ شرع يحدّث نفسهُ من ذلك الحين بتوسيع نطاق السلطة البريطانية في تلك الارجاء

وكان اهل الخبرة يحسبون ان جنوبي افريقية سيناظر جنوبي الولايات المتحدة الاميركية في زرع القطن وان مستقبلهُ متوقف على ذلك لان غنى مناجمهِ لم يكن معروفاً ولم يكن يخطر على بال احد ان يُكتشف في تلك البلاد اغنى مناجم الذهب والماس فيمتلكها اغنياء انكلترا و يسوقوا الحكومة الانكليزية الى حرب عوان تهلك الالوف قبل ان تُنشر راية الامان

ولما وصل سسل رودس الى تلك البلاد كانت الاشاعات قد تواترت فيها عن وجود حجر كبير من حجارة الماس عند قبيلة من القبائل الافريقية وصدّق كثيرون هذه الاشاعات وضربوا في مجاهل افريقية باحثين عن هذا الحجر ثم عادوا بخفي حنين فقال البعض ان الاشاعة كاذبة فلم يعودوا يعبأون بها وبقي غيرهم مصدقين لها يبحثون عن الحجر كلما مكنتهم الفرص . ومن هؤلاء المصدقين رجل اسمهُ فان نيكرك بقي يضرب بين القبائل وهو يفتش عنهُ الى ان وجدهُ عند ساحر من سحرتهم يستعملهُ عوذة في شفاء الامراض وكان ذلك في اواخر سنة ١٨٦٩ فلما وقعت عينهُ عليهِ قال هذا هو ضالتي المنشودة وطلب من الساحر ان يبيعهُ اياهُ فابى فجعل يزيد لهُ الثمن وهو يزيد اباءهُ واخيرًا عرض عليهِ ان يعطيهُ بدلاً منهُ العربة التي كان يسافر فيها والثيران التي تجرها . فدهش الساحر من هذا الثمن وقال هذا غنى لم اكن احلم بهِ فاعطاهُ الحجر واخذ منهُ العربة والثيران . وعاد فان نيكرك بهِ الى مدينة الرأس

وباعهُ باحد عشر الف جنيه وهو من اجمل حجارة الماس واصفاها ماء سمي بنجم افريقية الجنوبية واشترتهُ كونتس ددلي بثلاثين الف جنيه

ونحو ذلك الوقت رأى احد البوير اولاداً يلعبون بحصى برّاقة فنظر فيها واذا واحد منها ماس فاخذهُ وباعهُ بخمس مئة جنيه . وتكرَّر وجود حجارة الماس حتى لم تبقَ شبهة في انهُ كثير في تلك البلاد ولهُ مناجم فيها فقام مئات من الناس يفتشون عنهُ وهم يحسبون انهم يجدونهُ في مسيل نهر الفال كما يوجد الذهب في مسايل الانهر واخيراً كان بعضهم يفتش عنهُ في بحيرة صغيرة جفَّ الماء منها فوجد كثيراً منهُ في الطين الراسب فيها

وكان على مقربة من هذه البحيرة كوخ لفلاَّح من البوير مبني بالطوب النيء (اللبن المجفف في الشمس) فاتى هؤلاء الرجال اليهِ ليستريحوا فرأوا في جدرانهِ حجارة تلمع فنظروا فيها واذا الجدران مرصعة بالماس لانها كانت مبنية من الطين الراسب في البحيرة

وشاع الخبر حالاً ووصل الى مدينة الراس فتقاطر الناس افواجاً الى تلك البحيرة واقتسموا ارضها بالشبر وكان ذلك سنة ١٨٧٠ .وهناك الآن منجمان من مناجم الماس الاربعة وهما منجم دتوتسبان ومنجم بلتفنتين وهما قليلا الماس . وفي السنة التالية اكتشف منجما ده بيرس وكمبرلي والاخير اصغر هذه المناجم الاربعة واغناها

وبلغت اخبار الماس هربرت رودس كما بلغت غيرهُ فقام مع من قام لطلب الغنى من اقرب ابوابهِ بدلاً من الاعتماد على شجيرات القطن والحرث والزرع والتسميد واخذ نصيباً من قطعة صغيرة في منجم ده بيرس ثم استدعى اخاهُ سسل اليهِ واشركهُ معهُ فوجدا كثيراً من الماس في قطعتهما من اول يوم

وكان الماس يوجد في الحصى الصفراء فتحفر وتسحق ويبسطها صاحب المنجم على مائدة وينقي حجارة الماس منها بيدهِ . وكان سسل رودس في ذلك الحين شاباً في الثامنة عشرة من عمرهِ طويل القامة قليل الكلام لا يعبأ بلبسهِ ومنظرهِ وقد امتاز من ذلك الوقت بذكاء عقلهِ وبانهُ اوسع ادراكاً من الرجال الذين حولهُ من طلاَّب الجواهر وابعدهم نظراً في العواقب وكان يجلس على كرسيهِ ساعةً بعد ساعة وهو يفكّر كأنهُ ينظر في سجلّ المستقبل ويقدّر ما تأول اليهِ تلك البلاد

ولم تطل الايام على هربرت رودس حتى سئم الاقامة في مناجم الماس فترك حصتهُ لاخيهِ وضرب شمالاً الى حيث كُشفت مناجم الذهب يفتش عن المناجم الجديدة ويصطاد الوحوش البرية وبعد نحو خمس سنوات كان في خص من القصب فاحترق بهِ ومات

ولم تمضِ سنتان على سسل رودس حتى ربح من الماس الذي وجده ماسهَّل عليهِ الرجوع الى انكلترا ودخول مدرسة اكسفرد لاتمام دروسهِ فيها وعزم ان يقضي مدة الدرس في المدرسة ويعود وقت اجازة الصيف الى مناجم الماس الى ان ينال الشهادة . ومضت السنة الاولى على سلامة لكنهُ اصيب بزكام شديد في آخرها ايفت بهِ رئتاهُ وظنَّ الاطباء انهُ مصاب بالسل وانهُ لا يشفى منهُ ولو عاد الى افريقية اما هو فعاد اليها وقت الاجازة وبقي فيها يستخرج الماس الى ان حان وقت الدرس فعاد الى المدرسة واستمرَّ يفعل ذلك الى ان اتمَّ دروسهُ ونال الشهادة. وكان يقضي ايام السفر ذهاباً واياباً في الدرس . همَّة عالية تدلُّ على مقدرتهِ الطبيعية والاكتسابية . والظاهر ان هواء افريقية وسفر البحر لاءما صحتهُ فنجا من داء السل كما ان العلوم التي تعلَّمها في اكسفرد وسَّعت عقلهُ واختبارهُ واهَّلتهُ للاعمال العظيمة التي قام بها بعدئذٍ ولمعاشرة العظماء الذين اتصل بهم

واول شيء ادركهُ بزكانة عقلهِ وحسن استدلالهِ ان الماس متولد من اصل بركاني فيستنزف ما يوجد منهُ على وجه الارض قريباً ويصير استخراجهُ من باطنها امراً عسيراً لا يستطيعهُ اصحاب المناجم الصغيرة ما لم يتحدوا معاً ويؤَلفوا شركة كبيرة كثيرة المال لاجل الانفاق على حفر المناجم العميقة . والظاهر ان المستر برناتو الذي كان يستخرج الماس من منجم كمبرلي اتصل بحدسهِ الى النتيجة التي اتَّصل اليها رودس في الوقت نفسهِ

وكانت اراضي المناجم مقسومة اقساماً صغيرة كل قسم منها اقل من عشرة امتار مربعة وكان نصيب سسل رودس واخيهِ ربع قسم منها وكانت حكومة الترنسفال تمنع الانسان الواحد ان يمتلك اكثر من قسم واحد ثم عدَّلت هذا المنع فاجازت للواحد ان يمتلك عشرة اقسام ثم ازالت المنع مطلقاً وكان سسل رودس ينفق ما يكتسبهُ في توسيع ما يمتلكهُ بابتياع اقسام اخرى

ونفد الماس من الحصى الصفراء والناس لا يعلمون انهُ يوجد في غيرها كما استنتج رودس بفراستهِ فجعلوا يبيعون اقسامهم وانصبتهم باثمان بخسة ورودس يشتريها منهم حتى صار لهُ جانب كبير من منجم ده بيرس وصار يسهل عليهِ ان يؤَلف لهُ شركة كبيرة وكان منجم كمبرلي قد سبقهُ الى ذلك وتأَلفت لهُ شركات عديدة افلست حالاً فضاعت فيها اموال كثيرة ورأَى رودس ان الفرصة لا تساعدهُ على تأْليف الشركة التي يريدها وكانت تلك الشركات قد اكثرت من استخراج الماس فزاد على الطلب ورخص ثمنهُ جدًّا حتى صار القيراط منهُ يباع بخمسين غرشاً مع ان نفقات استخراجهِ تبلغ خمسة وسبعين فاشترى كثيراً من الاسهم باثمان بخسة ورأَى ان لا بدَّ من ان يشترك اصحاب منجم ده بيرس ومنجم كمبرلي معاً ويتفقوا على ان لا يستخرجوا من الماس

الأ ما يكفي لاسواق اوربا واميركا حتى لا يزيد المستخرج على المقطوعية فترتفع الاسعار وتعود الى ما كانت عليهِ

ومنجم كمبرلي لا تزيد مساحتهُ على اربعة افدنة ونصف فدان لكنهُ كان يثمَّن باكثر من خمسة ملايين من الجنيهات وكان لالف وستمئة من الشركات والملاَّك الذين يجب استرضاؤهم لجعل رودس يحثهم على الاتفاق معهُ واستمرَّ على ذلك سبع سنوات ولم تأتِ سنة ١٨٨٥ حتى صارت المناجم الاربعة لاقل من مئة من الشركات والملاَّك وكان منجم ده بيرس مقسوماً ٥٩١ قسماً فصار ٥٨٢ منها لسبع شركات و٩ اقسام لثلاثة اشخاص واعظم هذه الشركات السبع شركة ده بيرس انشأها رودس وجعل رأس مالها ٢٠٠٠٠٠ جنيه ثم جعل يزيدهُ ويشتري بهِ اقساماً اخرى حتى صار ٨٥٠ الف جنيه سنة ١٨٨٥ ووزعت هذه الشركة حينئذٍ ٧½ في المئة ربحاً على مساهميها ولم تمضِ سنتان حتى اشترت حصص بقية الشركات والاقسام الباقية فصار منجم ده بيرس كلهُ لها وزاد ربحها رويداً رويداً فوزعت ١٢ في المئة سنة ١٨٨٦ و١٦ في المئة سنة ١٨٨٧ و٢٥ في المئة سنة ١٨٨٨ واشترت حصصاً كثيرة في منجم كمبرلي

وكان سسل رودس المدير لهذه الشركة والمالك لاكثر اسهمها قد اتقن اساليب الحفر واستخراج الماس حتى زاد ربحها الى هذا الحد ولم يعد في امكانهِ ان يزيدها اتقاناً فلم يبقَ امامهُ سبيل للكسب الاَّ اذا اتفق مع اصحاب منجم كمبرلي على رفع ثمن الماس لا سيما وانهُ اغنى من منجم ده بيرس واكثر الماساً منهُ ولا يعسر ان يخرج منهُ كل الماس الذي يمكن بيعهُ في الدنيا فتفلس شركة ده بيرس في سنة او سنتين وهذا ما كان يقصدهُ برناتو صاحب الحصة الكبرى في منجم كمبرلي حتى اذ افلس رودس وشركتهُ اشترى هو منجم ده بيرس وتصرَّف في ثمن الماس على ما يشاء. ولو تمَّ لهُ ذلك وبقي في قيد الحياة لكان الآن اغنى اغنياء الدنيا بلا استثناء ولكن حيلة رودس كانت اوسع من حيلتهِ وحياة رودس اطول من حياتهِ

وعاد رودس الى بلاد الانكليز لهذا الغرض وقابل بيت رتشيلد وقال لهم اني لا اخاف الاَّ من هذا الشاب اليهودي برناتو . وكان برناتو شاباً من فقراء لندن هاجر الى جنوبي افريقية وهو لا يملك شيئاً فاجتهد ودبَّر واقتصد وساعدهُ التوفيق حتى امتلك الجانب الاكبر من منجم كمبرلي وصار هذا المنجم لثلاث شركات الواحدة لهُ والثانية انكليزية متفقة معهُ والثالثة فرنسوية مستقلة عنهُ . فاسرع رودس الى باريس ليشتري هذه الشركة فقبل مديروها ان يبيعوهُ اياها واتفقوا معهُ على الثمن وبلغ برناتو ذلك فبعث اليهم يقول انهُ يدفع لهم ٣٠٠٠٠٠ جنيه زيادة عمَّا دفع رودس فعاد رودس وزاد على ما دفعهُ برناتو وظلاَّ يتزايدان الى ان رسا المزاد على

رودس فاغتاظ برناتو من ذلك وعزم ان يرخِص ثمن الماس حتى يفلس رودس وشركتهُ وجاهر بذلك . والظاهر ان بيت رتشيلد وغيرهُ من المشتركين مع رودس خافوا العاقبة فلم يجاروا برناتو على قصده واخيرًا تألفت شركة كبيرة راس مالها نحو اربعة ملايين من الجنيهات اشترت منجم ده بيرس ومنجم كمبرلي واستأجرت منجم دتوتسبان ومنجم بلتفنتين حتى لا يناظراها واقفلتهما . ولم يكن مال الشركة وهو اربعة ملايين من الجنيهات كافيًا لابتياع الاسهم كلها فاستدانت من بيت رتشيلد نحو تسعة عشر مليون جنيه بربا ٢/١ ٥ في السنة ورفعت ثمن قيراط الماس حالاً من ١٣ شلنًا الى ٢٧ شلنًا ووزعت على حاملي اسهمها مليون جنيه في السنة فارتفع ثمن السهم من خمسة جنيهات الى اربعين جنيهًا . ويقال ان سسل رودس ربح من توحيد هذه الشركات اكثر من مليون من الجنيهات فاذا فرضنا انهُ اشترى اسهمًا بهِ فقط فقد بلغ ثمنها ثمانية ملايين من الجنيهات ومعلوم ان جانبًا كبيرًا من منجم ده بيرس كان لهُ فثروتهُ اكثر من ذلك كثيرًا وهو ينفق اموالهُ على المصالح العمومية ولا ينفق على نفسهِ شيئًا يذكر حتى قيل انهُ مُنع مرةً من الدخول الى معرض كمبرلي لحقارة ملبسهِ

هذا طرف من سيرة هذا الرجل الذي طبَّقت شهرتهُ الافاق واهتمَّ الناس بمرضهِ اهتمامهم بمرض ملك عظيم الشان ولا عجب فهو ملك الذهب والماس ورائد مُلْك واسع الارجاء

البارون روتر

البارون روتر منشئ شركة تلغرافات روتر . ولد في كاسل بالمانيا سنة ١٨١٦ وتوفي ابوهُ وهو في الثالثة عشرة فاضطرَّ ان يقصد خالهُ في بنك غوتنجن ويخدم عندهُ صانعًا فقطع لهُ اجرة ثمانية جنيهات في السنة او ٦٥ غرشًا في الشهر

ولما كان لهُ سبع عشرة سنة من العمر كان يُرسَل الى الذين يودعون البنك دراهمهم لكي يأتي منهم بما يريدون ايداعهُ فاعطاهُ الاستاذ غوس العالم الرياضي ثلاثين ذهبًا فرنسويًا فاخذها منهُ وعدَّها وهو راجع الى البنك فوجد ذهبًا منها مزدوجًا اي مما يساوي اربعين فرنكًا فعاد الى غوس وناداهُ قائلاً انك غلطت في عد النقود يا استاذ . فاغتاظ غوس من ذلك وقال اني لم اغلط بل هي ثلاثون ذهبًا كما عددتها . فقال لهُ نعم انها ثلاثون ذهبًا ولكن واحدًا منها اثنان . وبقي مدةً حتى اقنع غوس ان واحدًا منها مزدوج فهي واحد وثلاثون ذهبًا فرنسويًا . فذهل غوس من امانتهِ وصادقهُ واطلعهُ على سر التلغراف الكهربائي وشرحه لهُ فبقي ذلك في ذهنهِ واستعملهُ لنقل الاخبار فجمع منهُ ثروةً طائلة واشتهر اسمهُ في الخافقين حتى يذكر اسم روتر

الآن في جرائد المسكونة اكثر مما تذكر اسماء ملوك الارض اجمع

وتبحّر في المسائل المالية وعمره عشرون سنة وارتأى رأياً في المالية الروسية بعث به الى وزير المالية في بطرسبرج فاجابهُ الوزير بعد سنة بجواب بعث اليهِ فيهِ ورقة مالية بمئة وخمسين جنيهاً علامة استحسانهِ للرأي الذي ابداه



ولما وُضع التلغراف الكهربائي في فرنسا والمانيا لم يوصل بين التلغرافين لاسباب سياسيَّة فرأى ان يوصل بينهما بحمام الزاجل فاقام هو عند الطرف الواحد وزوجتهُ عند الطرف الآخر وجعلا ينقلان اخبار التجار وغيرهم بواسطة الحمام من جهة الى اخرى ثم ينقلانها بالتلغراف فنجح في ذلك واكتسب منهُ كسباً وافراً. لكن لم يطل الفصل بين التلغرافين فاوصلا ولم يبقَ محل لعملهِ فتركهُ وذهب الى باريس لعلَّهُ يجد فيها عملاً يعمل بهِ فلم يجد. وكان يفكر في انشاء وكالة لجلب الاخبار السياسية ونشرها لكن احوال الحكومات الاوربية لم تكن تأذن بذلك فرأى بعد امعان النظر ان البلاد الانكليزية اصلح من غيرها لهذه الغاية لما فيها من الحرية

للجرائد فمضى اليها ونزل في مدينة لندن سنة ١٨٥١ وتجنَّس بالجنسية الانكليزية وفتح وكالة لنقل الاخبار السياسية والتجارية . وكان اكثر اعتمادهِ على نقل الاخبار لتجار الاروام منهم الى عملائهم في موانئ المشرق ومن العملاء اليهم وعيَّن لهُ وكلاء في الاماكن التي يصل التلغراف اليها وينقطع عندها فكانوا يتلقُّون اخباره التلغرافية وينقلونها مع السعاة الى المكان الذي يبتدئ فيهِ التلغراف ثانية . وغنيٌّ عن البيان انهُ درس احوال التلغراف في كل اوربا حتى يعلم اين يبتدئ والى اين يصل كل خط من خطوطهِ

وواظب على عملهِ هذا بغير انقطاع وكان اذا خرج من مكتبهِ ليأكل لقمة يوصي صانعهُ ان يدعوهُ حالاً كلما اتى زبون جديد . وذات يوم اتى رجل ليتكلم معهُ وكان قد خرج في شغل فاسرع الصانع اليهِ ليدعوهُ فقال لهُ عُدْ حالاً ولا تدعه يخرج قبل رجوعي فقال الصانع لا تخف يا مولاي فاني اقفلت الباب عليهِ حتى لا يخرج في غيابي . فسرَّ بذكائهِ ونجابتهِ فرقَّاهُ وهو الآن من اهم مديري شركة روتر

وحدث في ذلك الحين ان البارون بروتنك من اشراف الروس واغنيائهم هرب من روسيا الى انكلترا لسبب سياسي وخاف ان تستصفي (تحجز) الحكومة الروسيَّة املاكهُ فطلب من روتر ان يمضي الى روسيا ويبيعها لهُ ولم يكن في وسعهِ ان يعطيهُ توكيلاً بالكتابة لان الحكومة الروسيَّة لم تكن تدع احدًا يدخل بورقة الى بلادها ومن وُجد معهُ شيءٌ من ذلك فعقابهُ النفي الى سيبيريا فاعطاهُ خاتمًا قديمًا يخص عائلتهُ فمضى بهذا الخاتم الى بطرس برج واقنع بهِ اقرباءَهُ انهُ آتٍ من قبلهِ فاتمَّ لهُ المهمة التي ارسلهُ فيها

وبعد سنتين عاد الى روسيا وعرض على حكومة الروس مد التلغراف من شرقي روسيا الى بكين عاصمة الصين وسار الى بكين برًّا لهذه الغاية فقطع صحراء غوبي وقضى في هذه الرحلة سنة كاملة لكنهُ لم يوفق الى مد سلك التلغراف حينئذٍ

وبقيت الجرائد تمتنع عن نشر اخبارهِ الى سنة ١٨٥٨ فاقتنعت حينئذٍ ان من نشرها فائدة لها وانشأ وكالة كبيرة لجلب الاخبار التلغرافية من اقطار المسكونة وبيعها للجرائد ثم جعل هذه الوكالة شركة مساهمة سنة ١٨٦٥ وبقي هو مديرًا لها حتى سنة ١٨٧٨ وامتاز بسرعة جلبهِ للاخبار السياسية حتى ان اخبارهُ كانت تسبق اخبار الحكومة الانكليزية وكانت الحكومة تعتمد عليها كأنها اخبار رسمية مرسلة اليها من رجالها

وحاول ان يفعل في برلين ما فعلهُ في لندن فلقي من الحكومة الالمانية اشد المقاومة فشكا امرهُ الى بسمارك وقال لهُ علي مَ تقاومونني هل تجدون في اخباري شيئًا من عدم الصحة

فقال لهُ بسمارك بل نجد انها صحيحة اكثر مما يلزم وهذا سبب اعتراضنا عليها ثم ابان لهُ ان الحكومة لا تسمح الاَّ بنشر ما تريده من الاخبار وانها مستعدة ان تعطيهُ شيئًا عوضًا عما يخسره بالغاء الوكالة من برلين

ومن اعمالهِ المشهورة انهُ التفت الى بلاد ايران فرآها منعمة بالخيرات الطبيعية ولا تحتاج الاَّ الى اناس يستثمرونها فاقنع شاه ايران حتى اعطاهُ امتيازًا يجعل لهُ شأنًا كبيرًا في استثمار خيرات البلاد لكن روسيا اعترضت على ذلك واقنعت الشاه حتى سحب الامتياز. الاَّ ان روترلم يعدل عن طلبهِ واخيرًا اقنع الشاه حتى اعطاهُ امتيازًا آخر بدل الامتياز الاول فحوَّلهُ الى بنك ايران الشاهاني Imperial Bank of Persia

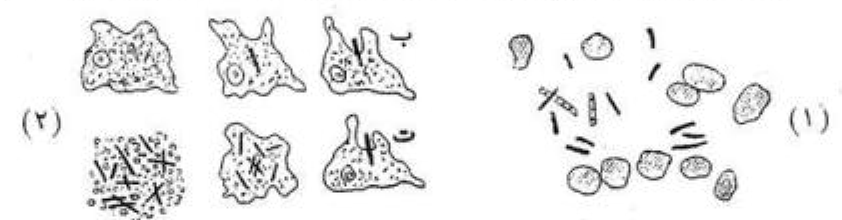
وبقي الى ان ادركتهُ الوفاة سنة ١٨٩٩ يشارك مديري شركتهِ في توسيع نطاقها وادارة اعمالها. وكان قصير القامة نحيف الجسم مدققًا في اعمالهِ اصيل الرأي حازمًا مقدامًا لا يكل من الشغل ولا يعبأ بالمشاق وهذا سرُّ نجاحهِ

السل واستئصالهُ

من طالع المقالات المختلفة التي نشرناها في العام الماضي منقولة عن خطب مشاهير الاطباء التي تليت في مؤتمر السل يظهر لهُ جليًا ان السل من الامراض التي يمكن اتقاؤها ومنع انتشارها . وان خير الوسائل لذلك ان يفهم الجمهور حقيقتهُ وكيفية انتشار عدواهُ . ومن رأي البعض ان تهتم الحكومات بهذا الامر فتنشر المنشورات والوصايا الصحية بلغة يفهمها العامة وتمنع اختلاط المسلولين بالاصحاء وتمنعهم من البصق في الاماكن العمومية وتضطرهم الى البصق في آنية خاصة فيها مواد سامة تميت ميكروب السل الذي في بصاقهم . ومن رأي غيرهم ان تؤلَّف لجان لهذا الغرض عينهِ

لكن الحكومة لا يهتم منها بالمسائل الصحية الاَّ فرع واحد وهو فرع الادارة الصحية . ورجال هذه الادارة لا يفعلون الاَّ حيث يرسلون وفعلهم قليل ضيق النطاق لقلة عددهم . واللوائح والمنشورات لا تفي بالغرض كلهِ لانهُ ليس في طاقة كل حكومة ان تسنَّ القوانين لتنفيذها وهذا شأن اللجان ايضًا فان فعلها محصور في دوائر ضيقة . ويظهر لنا ان الجرائد السيَّارة اقدر من غيرها على اذاعة ما يراد اذاعتهُ من الحقائق عن داء السل وكل الادواء المعدية وتعليم الناس طرق اتقائها وهذا ما نفعلهُ دوامًا في المقتطف وما نقصده في هذه المقالة

كان السل يعدُّ من الامراض التي لا يمكن ان تُتّقى ولا يمكن ان تشفى وانهُ ينتقل بالوراثة من الوالدين الى الاولاد . وظلَّ ذلك اعتقاد الجمهور من العامَّة والخاصَّة حتى سنة ١٨٨٢ حين قام الدكتور كوخ واكتشف ميكروب السل ورأى انهُ موجود في كل المسلولين فقال انهُ سبب السل . وهو اجسام صغيرة جدًّا لا ترى بالعين ولكن ترى بالميكرسكوب وهي مستطيلة كما ترى في الشكل الاول تدخل الحويصلات التي يتألف منها الجسم فتموت او تعيش وتتكاثر فتتلفها كما ترى في الشكل الثاني . وهي كثيرة في رئات المسلولين وفي بصاقهم وفي كل الاعضاء المسلولة ويمكن استخراجها منها وتربيتها في المرق او غيرهِ من المواد المغذية والبحث في طبائعها



وهذا الاكتشاف اعظم كل الاكتشافات الطبية لانهُ ازاح الستار عن حقيقة السل واثبت للناس انهُ من الامراض التي يمكن اتقاؤُها . وتظهر فائدتهُ من ان سُبعَ اهالي اوربا كانوا يموتون بهذا الداء فضلاً عما يقاسونهُ من العذاب قبل موتهم بهِ فاتَّضح الآن انهُ يمكنهم ان يتقوهُ وان الذين يصابون بهِ يمكنهم ان يشفوا منهُ اذا عالجوهُ قبل ان يتمكن منهم . والسبيل الى ذلك اولاً ان يعرف كل احد من الخاصَّة والعامَّة حقيقة السل وكيفية انتشارهِ ووسائل اتقائهِ وثانياً ان تنشأ المصاح والمستشفيات لعلاج المصابين بهِ

اما من حيث الامر الاول فنقول ان ميكروب السل يدخل الجسم مع الهواء او الطعام ويقيم في الرئتين او العظام او المفاصل او نحو ذلك من اعضاء الجسم ويغتذي من انسجة الجسم التي حولهُ ويتلفها فلا تعود الاعضاء التي يستقرُّ فيها قادرة على القيام بوظائفها فتنحرف الصحة وينسلُّ الجسم من المواد السامَّة التي تخرج من ميكروب السل وتنتشر فيهِ

فالسل اذًا مرض معدٍ يتَّصل من المصاب بهِ الى السليم بواسطة الميكروب الخاص بهِ . وكل مسلول مركز تنتشر منهُ العدوى الى ما حولهُ ولا سيما الى الذين يخالطونهُ كثيرًا . وعدوى السل اشد من عدوى الطاعون والتيفويد ولكنها لا تظهر في من تصيبهُ سريعاً بل قد يتأخر ظهورها بضعة اشهر فهو مثل الجذام الذي ينتقل بالعدوى ولكنهُ لا يظهر في من يُعدَى بهِ الَّا بعد سنين كثيرة واكثر ما تنتقل عدوى السل بهِ بصاق المسلولين فان تسعة اعشار المسلولين عدوا بالسل

من بصاق غيرهم . وهذه الحقيقة يجب ان ترسخ في ذهن كل رجل وامرأة وابن وابنة في كل المسكونة . ومتى رسخت في اذهانهم فهم انفسهم يجدون الوسائط اللازمة لاتقاء السل . وكلما سعل المسلول او عطس او تكلم خرج من فمهِ دقائق من البصاق حاوية لميكروب السل فتنتشر في الهواء الذي حوله وقد تدخل افواه الذين امامهُ مباشرة اذا تكلَّم معهم او سعل امامهم او عطس في وجوههم

ثم ان نقط البصاق التي تخرج حاوية ميكروب السل تقع على الثياب والاثاث والارض وتجف وتتطاير ميكروباتها في الهواء وتمتزج بالغبار وتعود الى الارض ثم تثار منها حينما تكنس وتنتشر في الهواء ثانية فيتنفسها الناس وتدخل رئاتهم او يبتلعونها معا يبتلعون من الطعام والشراب

ورب معترض يقول ان كان الامر كذلك وجب ان يُعدَى كل الناس بالسل . والجواب ان ابدان كثيرين من الناس تقاوم هذا الداء وتتغلب عليهِ فلا تعدى بهِ او تعدى بهِ قليلاً ثم تشفى منهُ قبلما يظهر فيها ظهورًا واضحًا ومع ذلك فقد تقدَّم ان سبع اهالي اوربا يموتون بداء السل وفي بعض الاماكن يموت خمس الناس كلهم بهِ وكفى بذلك انتشارًا

ومما يعين ميكروب السل على النمو ويضعف الجسم حتى يصير هذا الميكروب قادرًا عليهِ الازدحام والرطوبة والظلمة وفساد الهواء وضعف القوى الحيوية من كثرة الشغل والهم

ومما يعيق ميكروب السل عن النمو ويقوي الجسم حتى يصير هذا الميكروب عاجزًا عنهُ الهواء النقي ونور الشمس الكثير والاعتدال في الاشغال والاعمال وطرق المعيشة فان هذه الوسائل تمنع السل وتشفي الجسم منهُ لانها تميت ميكروبهُ قبل دخولهِ وتقوي الجسم حتى يتغلَّب عليهِ اذا دخلهُ واذا عدمت ضعف الجسم رويدًا رويدًا ووجد ميكروب السل سبيلاً اليهِ

واذا كان السل يخرج من فم المسلول مع بصاقهِ فالحكمة والحيطة تقتضيان ان لا يُطرح البصاق في كل مكان . وقد تألفت عصبة في باريس لاغراء الناس بالامتناع عن البصق في الاماكن العموميَّة وذلك بنشر المنشورات وتعليق الاعلانات التي تبين مضار البصاق . وقرَّرت جمعية الصحة العمومية في برلين ان تسن الحكومة قانونًا تمنع بهِ الناس من البصق في الاماكن العمومية والمركبات . وقرَّرت لجنة مدارس برلين ان توضع المباصق في كل غرف المدارس لكي يبصق الاساتذة والتلامذة فيها واذا كانوا مصابين بالسعال فعليهم ان يحملوا المباصق اينما ساروا ويجب عليهم حينما يسعلون ان يضعوا منديلاً امام افواههم لكي لا يتطاير النفث في الهواء . وعلقت حكومة الدنمارك اعلانات في كل الاماكن العمومية وفي محطات سكك الحديد ومكاتب البوسطة والمراحيض العمومية توضح فيها للجمهور ضرر البصاق

ووضعت الحكومة الاميركية في بوستن غرامة عشرين جنيهًا على من يبصق في مركبات

سكك الحديد والتراموای ونحوها من الاماكن العمومية وانزلت هذا القصاص اولاً برجلٍ من اصحاب الملايين ثم كرر البصق ثانيةً فحكمت عليهِ بالحبس اربعاً وعشرين ساعةً

ومن الوسائل المتَّبعة في مقاومة الامراض المعدية اعلام ادارة الصحة بكل حادثة منها فاذا اصيب احد بالطاعون مثلاً تُعلَم ادارة الصحة بهِ فتنقلهُ الى مستشفى خاص بالامراض المعدية فتعالجهُ فيهِ وتمنع انتشار العدوى منهُ الى غيرهِ . وقد جرى مثل ذلك في امر السل في اميركا وفي بعض البلدان الاوربية . ويقال ان عدد الوفيات بالسل سيقل في مدينة نيويورك نحو ثلاثة آلاف كل سنة بهذه الوسيلة

واول ما يُعترض بهِ على هذه الوسيلة هو نقل المريض من بيتهِ ومن بين اهلهِ وهذا لا يرضاهُ هو ولا يرضى بهِ اهلهُ . ولكن الحكومة لا تنقل الاَّ المسلول الفقير الذي لا يمكن وضعهُ في غرفة خاصَّة في بيتهِ اما المسلول الذي يمكن وضعهُ في غرفة خاصَّة في بيتهِ حتى لا يتعرض اهلهُ للعدوى منهُ والغرفة مناسبة لشفائهِ من حيث نورها وهواؤها فلا داعي لان تتكلف الحكومة نقلهُ الى مستشفاها وهذا يطلَق على السل كما يطلق على غيرهِ من الامراض المعدية

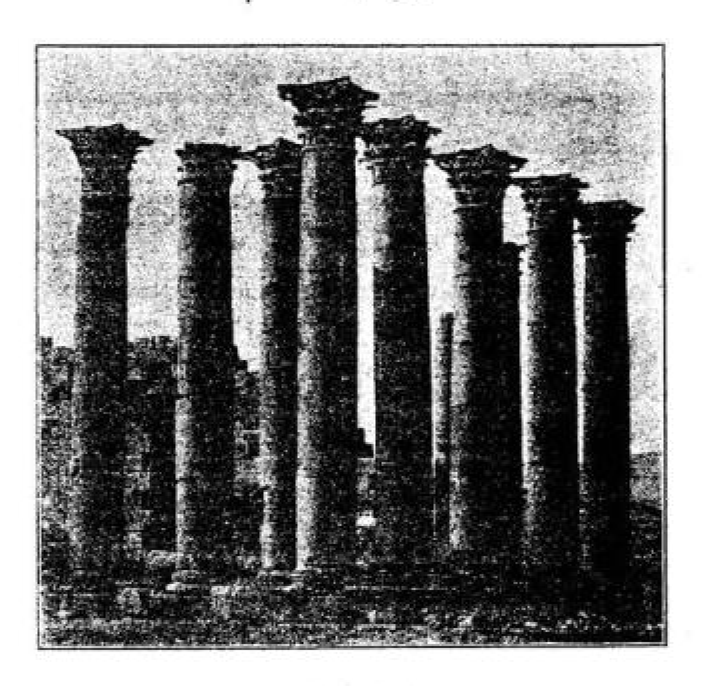
واذا كان المستشفى او المصح في بقعة طيبة الهواء وكان فيهِ التدابير الصحية اللازمة لشفاء هذا الداء وجب على كل مسلول ان يقنع اهلهُ بنقلهِ اليهِ لانهُ يقلل تعبهُ ويقرّب شفاءهُ . وهذا ايضاً من الحقائق التي يجب ان ترسخ في الاذهان لتزول منها خرافة قديمة راسخة فيها وهي ان "المسبتال" باب القبر

ثم اذا أُعلمت الحكومة لم تكتفِ بنقل المريض الى المستشفى او بوضعهِ في غرفة خاصَّة بهِ في بيتهِ بل هي تطهر غرفتهُ بعد خروجهِ منها تطهيراً كافياً حتى يأْمن غيرهُ السكن فيها لان ميكروب السل يلصق بالجدران والاثاث كما ثبت بالامتحان وكما يدل الاخبار من عهد قديم حتى اننا نعرف بيوتاً هُجِرت ولم يعد يسكنها ساكن لظهور السل في الذين سكنوها عقباً بعد عقب . وتطهّر ايضاً امتعتهُ كلها او تحرقها حتى لا يبقى سبيل لانتقال ما لصق بها من الميكروبات الى غيرهِ

فاعلام الحكومة امر واجب الاتباع ولا سيما في المدن التي يسكن كثيرون من اهاليها بيوتاً مأجورة او ينزلون في الفنادق (اللوكاندات) فان من يستأْجر بيتاً لا يبحث غالباً عمَّن كان ساكناً فيهِ قبلهُ وكذلك من ينزل غرفةً في لوكندة لا يسأَل عمَّن كان نازلاً فيها قبلهُ فلا يحلُّ لاصحاب المنازل والفنادق ان يتركوا في بيوتهم ميكروبات داء خبيث مثل داء السل تترصَّد من ينزل فيها وتفتك بهِ بل يجب عليهم ان يعلموا ادارة الصحة حتى تأْتي وتطهر الغرف التي كان فيها المسلولون وتزيل عدوى السل منها

ألا ان الواسطة الكبرى التي يُعتمد عليها لمقاومة هذا الداء الخبيث هي ان يعلم الجمهور كله الحقائق المتقدمة في هذه المقالة حتى ترسخ في اذهانهم ويصيروا يعرفون من انفسهم كيف يتقون السل كما يعرفون كيف يتقون النار والافعى وكيف يمنعون جمرة في ايديهم من حرق بيتهم او بيت غيرهم وانتشار هذه المعرفة بين الجمهور لا يتم في سنة ولا سنتين بل لا بدَّ لهُ من سنوات كثيرة . والجرائد السيارة خير واسطة لانتشارها

خرائب الشام



(١) جرش

بعث الينا احد فضلاء دمشق صوراً فوتوغرافية من تصوير سعاد بك مفتش الصحة في الولاية وكتب الينا معها يقول انها صور بعض الآثار القديمة المبعثرة في بلاد الشام وطلب منا ان نذكر تاريخها او تاريخ المدن التي بقيت منها . فاخترنا الصورة التي صدَّرنا بها هذه المقالة لهذا الجزء وبعثنا بها الى من حفرها حفراً كيماوياً حتى تبقى على رونقها من غير زيادة ولا نقصان وحسبنا من وصفها ما يرى فيها من الاتساق ودقة الصنعة وانها قاوت الدهر نحو الفي سنة

مرّت بها العواصف وهطلت عليها الامطار وترددت عليها الزلازل وانتابها الحرّ والبرد ولكنها بقيت منتصبةً حيث نصبها ابناءُ سورية الاقدمون تحدِّث بمجدهم السالف وتحسر على ما اصاب بلادهم من غيَر الدهر ونوائب الايَّام

هذه الاعمدة من آثار جرش احدى المدن العشرة (ذكابولس) التي كانت شرقي نهر الاردن وهي بيسان (سكيثو بولس) وجرش (جراسا) وام قيس (جدَرا) وخربة السوسية (هبو) وفاهل (بلاَّ) وعمان (فيلادلفيا)وقنوات(قناثا) وبيت الرأس (كابيتولياس) وادون (ديون) وابل (ايلا)

وجرش على ٥٥ ميلاً من القدس شمالاً بشرق بين جبال جلعاد على سفحي اكمتين متقابلتين بينهما نهر كروان وهو احد نواصر نهر اليبوق المعروف الآن بالزرقا٠ ذكرها يوسيفوس المؤرخ وقال ان الملك اسكندر يانيوس قصدها طامعاً بخزائن ثيودوروس فافتتحها عنوةً وكان ذلك سنة ٨٥ قبل الميلاد ٠ ثم دخلها انيوس قائد جيوش اسبيانوس واستباحها نهباً وتخريباً لكنها بقيت رغماً عن ذلك من المدن الكبيرة وكانت من اغنى مدائن فلسطين في القرن الثاني والثالث فبنى فيها انطونينوس بيوس هيكلاً بديعاً للشمس بين سنة ١٣٨ و ١٦١ للميلاد ولا يزال احد عشر عموداً من اعمدة واجهته قائماً وهي المرسومة في صدر هذه المقالة طول العمود منها ٤٥ قدماً او نحو ١٤ متراً وقطره خمس اقدام وكان حول هذا الهيكل ساحة كبيرة يحيط بها صفان من الاعمدة لم يبقَ منها قائماً الاَّ عمودان

ثم اخنى الدهر على هذه المدينة فلم تعُد تذكر الاَّ نادراً ولعلها خربت بزلزلة قبل الاسلام لان فيها آثار كنيسة كبيرة وليس فيها آثار جامع وبقي امرها ضعيفاً الى زمن الصليبيين فدخلتها جنود الملك بلدوين الثاني سنة ١١٢١ وزاد انحطاطها بعد ذلك فذكرها ياقوت الحموي وقال انها خرائب مهجورة

وآثارها الباقية الى الآن من اعظم آثار المدن الشرقية فلا يزال فيها ٢٣٠ عموداً من العمد القائمة بعضها من الطراز الكورنثي وبعضها من غيره وفيها مشهد بثمانية وعشرين صفاً من المقاعد تسع ستة آلاف نفس وهو من اكبر ادلة عظمتها السالفة لان مشهداً يسع ستة آلاف من النفوس يقتضي ان تكون المدينة التي هو فيها فخيمة آهلة بسكانها وهم في رفاهة وبسطة عيش. ومن آثارها ايضاً ستة هياكل كبيرة احدها اعمدة واجهته كورنثية وهو المشار اليهِ آنفاً وبركة كبيرة كانت تمثَّل فيها الحروب البحرية ويؤتى اليها بالماء بقناة كبيرة لا تزال آثارها الى الآن وحمامان وقناطر نصر واروقة كبيرة وكان القسم الداخلي من المدينة مسوراً بسور عظيم محيطهُ نحو ميلين ولعلهُ كان يحيط بالجانب الحصين منها

والبلاد التي انحجت تلك المدينة وانجبت سكانها لم تزل على حالها ولم يتغير ترابها ولا تغير ماؤها ولا هواؤها · والإحالة على القدر والدهر اسلوب من اساليب التعبير لا يقصد به اظهار حقيقة ولا تقرير حكم وانما الذي خرّب المدينة والبلاد كلها فساد الاحكام فانهُ افسد مصالح العباد واخلاقهم فتولاهم الضعف ودبَّ فيهم الفناء فاصبحوا لا ترى الأ منازلهم او خرائبها

اليزا افرت

ايتها النفس الزكية التي غادرت عالم الشقاء · وانتقلت من دار الفناء الى دار البقاء · اوحي اليَّ لكي اقوم ببعض الواجب من وصف اخلاقك الراضية · فلقد طالما كنتِ توحين الى بناتك وتبثين في نفوسهنَّ روح القيام بالواجب في السر والعلانية · نُعيت الى بناتك ومريداتك على غير انتظار بعد بُعد الدار وشط المزار

وكنا قُبيل الموت نستعظمُ النوى فقد صارتِ الصغرى التي كانتِ الكبرى

فشقَّ علينا النعيُ حتى كاد يشقُّ المرائر وما منّا الاّ كلٌ باكية تردّد قول مَن قال

فوا اسفا ان لا اكبَّ مقبلاً لرأسك والصدر الذي مُلئا حزما
وان لا أُلاقي روحكِ الطيب الذي كأنَّ ذكيَّ المسكِ كان لهُ جسما

ولدت فقيدة العلم والادب والفضيلة والمحبة في مدينة ولوبي من ولاية اوهيو باميركا سنة ١٨٤٣ وتعلمت في مدرسة بلدها ثم في مدرسة ليروي الجامعة بنيويورك ونالت الشهادة العلمية سنة ١٨٥٨ وعادت الى مدرسة ولوبي فعلمت فيها اربع سنوات وانتقلت منها الى مدرسة ليروي ثم الى مدرسة كانتون حتى اذا اتقنت فن التعليم وادارة المدارس علماً وعملاً دُعيت الى سورية سنة ١٨٦٨ لتدير مدرسة البنات الاميركية في بيروت · وكان همُّها الاكبر في اول الامر ان تتعلَّم اللغة العربيَّة وتبث النظام والتهذيب في المدرسة · وكانت ذكية الفؤاد رخيمة الصوت رقيقة القلب وقورة المجلس فاحبها تلميذاتها واكرمنها وبذلنَ جهدهنَّ في طاعتها وارضائها وهي لا ترضى بغير الاجتهاد والتأدب وحسن السلوك ولذلك نجحت المدرسة في عهدها ونبغ منها كثيرات من اللواتي تزدان بهنَّ مجالس مصر والشام في هذه الايام زوجات كنَّ وامهات او معلمات ومربيات · واللواتي اقمنَ منهن في بيروت كنَّ ينتظرن زيارتها في بيوتهنَّ انتظار العيد ويحببنها حبَّ الاخت للاخت ويكرمنها اكرام البنت للام

وكان اسلوبها في التعليم اسلوب المساعدة والترغيب حتى يقبل التلميذات على العلم من انفسهنَّ

ويرغبن في الدرس ويستفدن منهُ . ورغَّبت التلميذات في درس العلوم الطبيعية كالطبيعة والفلك والحيوان والنبات مقتصرة على المعارف العامَّة منها . ولها كتاب حسن في علم الفلك النظري وآخر في علم الحساب العقلي وضعتهما كليهما باللغة العربية عدا كتابها في سيرة بولس الرسول

وامتازت بحب التنظيم والترتيب وبتدقيقها في المحافظة على القوانين فكنَّا نرهبها رهبةً شديدة ولا نخالف لها امرًا وهي تبدي لنا الحب والشغف ولكنها لا تتأخر عن قصاص مَن تخالف قوانين المدرسة القصاص المفروض لمخالفتها

وكانت هي نفسها القانون الاكبر والمثال الاوضح للسلوك والترتيب والتهذيب فان حركاتها وسكناتها وكلامها وسكوتها ومشيها وقيامها واكلها وشربها وتنظيم شعرها ولبسها ومقابلتها للناس وترتيب غرفتها وكتبها ومكتبها — كل ذلك كان دروسًا لنا وقدوةً نقتدي بها . ولا انسى سهرها علينا ولا سيما على المريضات منا وترحيبها بتلميذاتها اذا زرنها بعد خروجهنَّ من المدرسة فتضيفهنَّ ويضفنها كاخوات شقيقات وترحب بازواجهنَّ كاخوة واقارب

وعلى وفرة اشغالها كانت تكاتب تلميذاتها البعيدات عنها فتقصُّ عليهنَّ نوادر الاخبار وتسأل عن سلامتهنَّ وسلامة ازواجهنَّ واولادهنَّ وتظهر لاولادهنَّ من المشاشة والحب ما تظهرهُ الجدَّة لاحفادها

ومنذ سبع سنوات استعفت من رئاسة مدرسة بيروت وعادت الى اميركا وآخر كتاب كتبت بهِ اليَّ من هناك وصفت لي فيهِ دار المنقطعين بمدينة شيكاغو وما تجدهُ من السرور في تربيتهم وتهذيبهم فان بعض النساء الغنيات من تلك المدينة انشأْنَ هذه الدار للمنقطعين من الصبيان والبنات وانطنَ ادارتها بها

ثم جاءني من رفيقتها في تعليمنا مسز تيلر التي كانت تعلمنا معها باسم مس لورن كتاب بتاريخ ١٧ فبراير تقول فيهِ ما ترجمتهُ "اتستطيعين ان تصوري دهشتي وحزني حينما بلغني نعي عزيزتنا مس افرت يوم السبت الماضي (٨ فبراير) . مرضت اربعًا وعشرين ساعة بالنزيف الدماغي لم تعِ فيها على شيء ... وقد نعتها اليَّ اختها ... كم من ابنة وامرأة في سورية ومصر يقمن الآن ويطوّبنها . سبعًا وعشرين سنة سعت في خدمة بلادهنَّ جعل الله سعيها مقبولاً لديهِ ونفع بها كل من عرفها"

هذا ما سطرهُ قلمي العاجز ايتها المعلمة الكريمة والصديقة العزيزة من وصف مآثرك . سقى الله ثراك صيب رحمتهِ ونفع بنات المشرق بعلمك وفضلك وعزَّى ذويك وعزانا جميعًا عن فقدك

ياقوت صروف

عروسة النيل

الفصل العاشر

عادت باولين الى غرفتها وقد انهكها التعب واعياها السهر وقلق البال فانطرحت على سريرها وحاولت النوم فلم تغمض اجفانها ثم طلعت الشمس ونفذت اشعتها الغرفة فنهضت لتقفل النوافذ اتقاء حرّها وبينما هي تعالجها ابصرت حيرام يسعى الى ضفّة النهر فوثب الى قارب ودفعهُ عن البرّ فلم تجسر على مناداتهِ لئلاَّ يسمعها من في البيت ولما توسَّط الماء التفت نحو غرفتها فرآها واقفةً عند النافذة فلوَّح بالمجداف اشارة الى نجاح مساعيهِ ففهمت انهُ عابر الى العدوة الشرقية وانهُ يريد النبطي للاتفاق معهُ وارسالهِ في مهمتهِ فاقفلت النوافذ وعادت فاستلقت على سريرها وقد اخذ النعاس منها كل مأخذ فنامت نوماً ثقيلاً افاقت منهُ والشمس في رائعة النهار

وكان اعيان المصريين وكبراؤهم في ذلك العصر يتشبهون باليونان في عاداتهم وآدابهم واحوال معيشتهم حتى انهم كانوا يتكلمون اليونانية في بيوتهم واجتماعاتهم الاَّ اذا ارادوا مخاطبة الخدم والاتباع فبالقبطية لغة البلاد . وكان المقوقس واهل بيتهِ كغيرهم من الاعيان يتكلمون اليونانية حتى ماري حفيدتهُ فقد كانت تحسنها قبل ان تعلمت لغة اجدادها فلما ضمَّ المقوقس باولين الى بيتهِ عنيت بتعليمها الكتابة فسرَّ هو وزوجتهُ لاهتمامها وتعلَّقت بها نفس ماري واحبتها حبًّا شديدًا فلم تعد تفارقها. ولما اشتد النفور بين السيدة نفورس وباولين ابت عليها ان تثابر على تعليم حفيدتها بحجة انها لقَّنتها يومًا ما شيئًا من كتاب صلوات الروم الملكيين وزعمت ان ذلك مفسد لعقيدتها والحقيقة انها احسَّت بانصراف حب ماري عنها الى نسيبتها فاقامها ذلك واقعدها ورأت ان تضع لهُ حدًّا فنهت ماري عن الاجتماع بباولين ولم تعد الاثنتان تتكالمان الاَّ خلسةً حين تأمنان عين الرقيب

فلمَّا افاقت باولين ذلك الصباح عمدت الى شعرها فاصلحتهُ واخذت تتهيأُ للخروج فسمعت قرعاً خفيفاً على الباب ثم دخلت ماري وقد اشرق وجهها الحلو وبرقت عيناها فتقدمت الى باولين وقبَّلت يدها فاكبَّت هذه عليها وقبلت جبينها وشعرها ومسحت خديها ثم قالت لها

— ما بال الغزال مضطربًا

— انهُ الحرّ فقد سمعت المهذبة تقول ان مصر في الصيف جهنم على الارض وقد فارقتها تتقلب كالسمكة على الرمل

— وتخلصت من عناء الدرس على اني ارى آثار الدمع في عينيك فما الذي ابكاكِ

— لو قلتُ لكِ لغضبتِ

— كلاَّ

— لقد حدث اليوم حادث ذو بال في المجلس وبعد ان تفرقت الجماعة تبعت اوريون الى دار التحف فاقبل على القطيف كمن يعدُّ حجارتهُ وبينما هو كذلك وثبتُ على ظهرهِ فذعر ذعرًا شديدًا واضطرب ثم دار اليَّ ولطمني لطمة شديدة فعجبت لقسوتهِ وخشونتهِ بعد لطفهِ وحنوّهِ فبكيت كثيرًا ثم سجنني في دار التحف

— اخطأتِ في ما فعلتِ فعمكِ شاب وليس من اترابكِ فلا يحسن بكِ ان تجاوزي حد اللياقة معهُ ولكن ما الذي تعلمينهُ من امر هذه الكلاب فقد اصابني صداع من نباحها

— هذه كلاب الصيد اطلقوها لاقتفاء اثر من سرق الزمردة من القطيف بعد ان خلَّى نعليهِ في القاعة فجرت الى باب غرفتكِ هذه ثم عادت الى مسكن سائس الخيل وبعد ان دارت فيهِ انطلقت تعدو في شوارع المدينة حتى دخلت بيت غمالائيل حيث فارقتها ولا اعلم بعد أأدركت السارق ام لم تدركهُ

فاصفرَّت باولين لسماعها هذا الخبر وعلمت انهم يطلبون حيرام وانهم يتهمونهُ بسرقة الزمردة وهو بريءٌ منها ولما طال بها التفكير قالت ماري

ألا تظلين حزينة كئيبة فما للآخرين لا يحزنون مثلكِ

— لاني تعيسة وليسوا كذلك فقد قاسيت من الاهوال ما بدَّد الفرح من قلبي وشتت شملهُ واخشى انهم يطلبون حيرام عتيق ابي وهو من خير الناس واشدهم امانة وابعدهم عن السرقة

أوَ تعنين حيرام مربي الخيل صحيح فقد سمعتهم يتساءلون عن السائس الالكن

— اذًا لم اخطئ قصدهم. قالت هذا وجلست على كرسي وغرقت في بحر التاملات وطافت ماري في الغرفة حتى بلغت صندوق باولين المفتوح فرأَت العقد فرفعتهُ وتقلدتهُ وفيما هي كذلك قرعت كاترينا الباب ودخلت فاسرعت الى باولين وقبلتها ثم عطفت الى ماري تحييها ولما رأَت العقد اخذتهُ منها ولبثت تتأمل جمالهُ ودقة صنعتهِ التي كانت لا تزال باديةً فيهِ رغمًا عمَّا خسرهُ من بهائهِ بانتزاع وسطاهُ ثم لبستهُ وتناولت من الصندوق عينهِ مروحة من ريش النعام ووقفت تمثل حركات الاميرات والنبيلات في بلاط الامبراطور وهي تضحك وتمزح كعادتها . ولما فرغت باولين من ضفر شعرها دنت منها وامسكت العقد تريد نزعهُ فعلق موضع الزمردة

منهُ بثوبها فتركتهُ ماري وناولتهُ لباولين فالقتهُ في صندوقها ثم سألت كاترينا عن مكان اوريون فقالت انهما اتيا معاً وانهُ غادرها ليزور رستماً الجريح فقالت باولين

— هلمَّ اذاً الى الفطور ولا تنتظراني فقد ابطئ في النزول فقالت ماري بحقكِ لا تفارقيني فجدّي مريض وجدتي قائمة على خدمتهِ ومركبة كاترينا بانتظارها فاذا ذهبت بقيت وحدي فاجابت باولين اتبعكِ بعد ان ازور الجريحين وتقدمت الى غرفة مانداني وقرعت الباب فاستقبلتها ممرضة من راهبات دير القديسة كاترينا فعلمت منها ان اوريون لم يطل المقام مع رستم فوقفت تفكر في امر حيرام ثم حانت منها التفاتة فرأت في الغرفة المجاورة هاشماً والطبيب فيلبس منهمكين في الحديث وكان الطبيب في الثلاثين طويل القامة اصفر الوجه نحيل البنية ينبعث الذكاء والدعة من عينيهِ وفي عظام خديهِ بروز زائد وليس في ملامح وجههِ مليح سوى جبهتهِ وكأنها في اتساعها وشخوصها قبة نخيمة على بناء حقير

وكان موضوع حديثهما اوريون وكان الطبيب محباً العمل يحتقر الذين يقضون الحياة في البطالة وكرع الملذات ويعتبر العمر شيئاً مقدساً يجب قضاؤهُ في ممارسة الاعمال التي تعود بالنفع على صاحبها وعلى البشرية باسرها فمن فعل غير ذلك اصبح عضواً مؤذياً في جسم الاجتماع يجب اتلافهُ . وكان عالماً بسيرة اوريون واقفاً على ما فعلهُ بمانداني وغيرها من النساء فبات قذى في عينيهِ اما هاشم فكان يرتإي العكس ويزعم ان الحياة حلم اجمل ساعاتهِ الشباب ويعتقد ان من واجبات المرء التلذذ في ربيع العمر هذا الى ان قال ومن العبث معاندة الاقدار فالمقدَّر كائن لا محالة وان اوريون اليوم كسفينة فارغة تديرها الريح انى تشاء لكنهُ سيجلي عن صفات طيبة وطوية صافية وشجاعة غريبة فيما لو عبثت العواصف بسفينتهِ او حلَّت بهِ مصيبة ترتعد لها فرائص غيرهِ . وفيما هما كذلك دخلت باولين عليهما فوقفا وحيياها احسن تحية وكان بين فيلبس وبينها شيء من الصداقة نشأ فيهِ عن سوء معاملة نفورس لها وما ابدتهُ من الانفة والشهامة فانتصر لها وصار يحدثها كلما سنحت لهُ الفرصة ويجلو صدرها بالاخبار فطاب لها كلامهُ والفت فيهِ معزياً لها في كربها فلما جلست دار الحديث على ابيها فاخبر فيلبس هاشماً انها لا تنفك تبحث عنهُ الى ان قال وارى في ذلك خطاءً كبيراً فاجاب التاجر

— اصابت واخطأت فلا يجدر بالمرء ان يستسلم لليأس . فقالت باولين وهذا عين ما اراهُ أوَلست القائل يا فيلبس انك لا تزال ترجّي المريض حتى يقطع الموت حبل الامل فانا اليوم كذلك وسانفق آخر درهم املكهُ في البحث عنهُ رضي انسبائي او ابوا . فقال هاشم

— وأنى يتسنى لكِ ذلك وانتِ فتاة فلا بدَّ لكِ اذاً من معونة رجل ولما كانت مهنتي

نفضي عليَّ بكثرة التجوال والتطواف في البلاد فلو اذنتِ لي لكنت ذلك الرجل فساعدتك في طلب البطل توما

— ذلك لكَ وسأذكر فضلك ما حييت

— سنلقاهُ باذن الله وسأتولّى الامر بنفسي ومتى عثرت عليهِ اعلمتكِ وساذهب اليوم الى الفسطاط لمقابلة عمرو بن العاص فاتكلي يا ابنتي على الله انهُ وليُّ التوفيق

الفصل الحادي عشر

وبعد انصراف التاجر خانها الجلَد وودَّت لو سألتهُ الشفاعة في حيرام فهرولت تريد لحاقهُ فقيل لها انهُ امتطى جوادهُ وعبر الجسر (الكبري) الى الفسطاط واخبرتها احدى الجواري انهم لم يلقوا القبض على حيرام فرأت ان زمن الشفاعة لم يحن ولكنها عزمت على اتخاذ جميع الوسائل لانقاذهِ ولو باعترافها بما رأتهُ تلك الليلة لكنها استحسنت انذار اوريون قبل الايقاع بهِ لعلمها ان ازاحة اللثام عن الجاني يجلب العار على اهل بيتهِ ولانها على كرهها لهُ لم تنسَ ما لابيهِ من الايادي عليها وما كان لطلعتهِ من الوقع في فؤادها ولما حارت في امرها رأت ان تعاود الاجتماع بالطبيب لعلّها تجد في حديثهِ ما يفرج ضيقها فعادت ادراجها الى غرفتي الجريحين فنظرت اليها الممرضة شزرًا وقالت لها "من اذن لك في الدخول الى هذا المكان وماذا تطلبين فيهِ" فاجاب الطبيب وكان منهما بحيث يسمع الكلام فقال "انا اذنت فلا تعترضيها" ثم التفت الى باولين وقال ان الجريحين على ما يرام من التماثل من جراحهما واظنكِ جئت تطلبين اوريون الجميل فقالت

— اعلم انني لا اكترث لاوريون اكثر من اكتراثي لامهِ على ان في نعتك اياهُ "بالجميل" شيئًا لا احب ان اسمعهُ بعد فقد اتيت لاكلمهُ في امرٍ ذي بال

اذًا علامَ عدتِ بعد انصرافك فلو كنتِ مريضة . . . .

— انا والحمد لله في صحة تامة ولكني في حاجة الى ما ينبهني من هذا السبات الذي انا فيهِ

— اذا اردتِ بالصحة المتعارف بها فانتِ منها بحيث تحسدين ولكنكِ لست كذلك في ما اسميهِ صحة الفكر

— وما دليلك على ذلك اخطأٌ صدر مني

— معاذ الله ولكنهُ عدم اعتدادك بالسوى

— ومن تعني بالسوى

— جميع من في هذا البيت والمدينة والعالم فالناس في عينيكِ كالهباء المنثور او هم اقل قيمة منهُ

— ان عالمي في قلبي

— صحيح فالقلب فسيح يسع جميع ما نودعهُ على ان طول اقفالهِ يصدئهُ فاذا حاولنا فتحهُ حينئذٍ عجزنا ولا اخالك تنكرين انك كثيرة التلفت الى الوراء

— وما الذي القاهُ اذا نظرت الى الامام وما دليلك على اني كذلك

— دليلي ما عرفتهُ من طباعكِ واخلاقكِ ووقوفي على بعض ما يدور في خلدكِ فعالمك اليوم يتألف من عيشة الرخاء التي قضيتها في ما سلف من عمرك قبل ان اتيتِ منذ. اتذكرين تلك الصورة التي رأيتها معي حيث احد المردة يجري ورأسهُ ملويٌّ الى الوراء

— نعم اذكرها

— انتِ كذلك فقد قال بعضهم ان الحركة من طبيعة الاشياء فاما ان تتابعي سائر الناس او تجري وعيناك الى الوراء والنتيجة . . .

— انني اعثر واسقط

— لاخوف عليكِ من السقوط فقد منحتكِ الطبيعة من المواهب والاخلاق ما يندر مثلهُ

— وما عليَّ اذا اطلت التلفت الى الوراء ما دام لي فيهِ عزاء

— قد يكون كما تقولين ولكن فاتكِ انكِ بعملكِ هذا تدوسين على ارجل غيرك فتؤذينهم ويسيئون الظن بكِ

— ولو ظلمًا فلا اذكر انني الحقت اذىً باحد

— ولكنكِ فعلتهِ مرارًا غير متعمدة

— تجيز لي ولهم اذًا ان نفترق

— يخال الذين يطلبون العزلة عن بني جنسهم انهم يأتون امرًا عظيمًا ولكنهُ حبُّ الذات يدفعهم الى الدير او الى الكهوف والمغائر لان انفرادهم يحرم المجتمع من اسعافهم ونجدتهم واراكِ ترغبين في العزلة فتكنبن في صدركِ جميع ما لديكِ فقد لقيتِ عناء وشقاء فاتخذتهما طعامًا لنفسك وبئس الطعام السخيف ولا يخفى عليكِ انني مارست احوال هذا الدهر فرأيت المصائب تحيي النفس في بعض الاحايين فتعلّم المصابين ان يرثوا لغيرهم وان يسعوا لتخفيف كربهم والمكروب يجد من اللذة في بعض السرور ما لا يلقاهُ غيرهُ في الكثير منهُ وقليل من الفرح يدخل على قلبهِ الابتهاج والطرب امّا انتِ فلا فائدة لكِ من حزنكِ لانهُ مقفل عليهِ في صدركِ فلو

حسبتِ نفسكِ واحدة من القوم وبذلتِ ما عندكِ من المواهب التي ورثتها عن اسلافكِ العظام وخصكِ بها الله لانعقدت القلوب على حبكِ ولم يعد الناس يرون فيكِ شجرة شائكة يتقون الدنوّ منها ولا اسهب الكلام بعد في هذا الشان فقد كلفني قول ما قلت عناء كبيرًا لاني آثرت غيظك لكني لست بنادم على ما فعلت فقول الحق رأس الواجبات ولكن جزاء المجاهرين بهِ ان يبتعد الناس عنهم حتى الاصدقاء. ولما فرغ من كلامهِ وقفت باولين وبسطت يدها وقد بدا الرضا في وجهها فقال لقد حققتِ آمالي فاقبليني أخًا لكِ وهلمّ الى تلك الجارية الفارسية فاذا قمتِ على تمريضها برئت وعاودتها الحياة والنضارة. فتقدمته الى غرفة مانداني وهناك شرح لها ما يتهدد حياتها من الخطر وما اتخذهُ من الادوية لعلاجها وعلّمها صنع الضمادات ووضعها ومقدار الجرعات وساعاتها وافهمها ان المجروحة تهذي فلا باس من مجاراتها على هذيانها الى ان تفارقها الحمّى ثم غادرها هناك وانصرف

فلما خلت بنفسها اسندت رأسها الى كفها واخذت تقابل بين اوريون وفيلبس ذلك بجمالهِ وبهاء طلعتهِ وشرف حبهِ وهذا بقبح صورتهِ وسلامة طويتهِ واخلاصهِ واجتهادهِ وفضلهِ فقالت في نفسها لقد كذب المثل القائل ان الوجه عنوان القلب والاَّ لكان اوريون فيلبس وفيلبس اوريون. وعلمت انها لقيت في الطبيب صديقًا صدوقًا ثم عادت تفكر في امر حيرام فادركت ان لا بدَّ من وقوع النفرة بينها وبين اوريون ومجافاة اهل بيتهِ اذا هي اصرّت على المجاهرة بالحق في ما تعلمهُ من سرقة الزمرّدة على ان ذلك لم يذهلها عن العناية بالمجروحة بحسب ارشاد الطبيب وجاءت الراهبة الممرضة فوضعت يدها على جبين مانداني ثم قالت لقد فارقتها الحمّى تقريبًا فزال الخطر والحمد لله. فداخل باولين شيء من السرور واحست كأن لها يدًا في شفائها ولما عاد الطبيب ورأى تماثلها سرَّ واثنى على باولين لحسن عنايتها بها وبشرها انها ستتعافى تمامًا ثم طلب اليها ان تبدل الضمادات ففعلت وهو يعجب بمهارتها فلما فرغت قال لقد حذقت الصناعة حتى يخالك الناظر من بناتها فاتركيها الآن نائمة فالنوم افضل دواء لها ولا اظنكِ فطرتِ فاقبلي دعوتي وتناولي الفطور معي فاجابت وجلسا كلٌّ الى خوان صغير وجاء الخدم بالصحاف والكؤوس وبالطير المشوية واللحوم والفاكهة فقالت باولين

هل لك ان تطرفني بشيء من تاريخ حياتك

— حبًّا وكرامة وسترينها حافلة بالمصاعب محفوفة بالمشاق فانا ابن نحويّ يوناني استقدموهُ من اثينا الى الاسكندرية ومات والداي وانا بعد فتى ولم يخلفا لي سوى شيء زهيد من المال استعنت بهِ على متابعة دروسي ثم اتخذت التعليم حرفة فتنقلت في مدارس الاسكندرية واثينا

وقيصرية وانا في ذلك الوقت اعمل في تحضير العقاقير والادوية وادرس الطبّ وكان طعامي في تلك الايام قاصرًا على الخبز والفاكهة وشرابي الماء القراح فلم اذق اللحوم والطير والخمر الاَّ في ما ندر وقد لقيت في سبيلي من العقبات والمشاق ما يفلّ الهمم الماضية على انها لم تثبط عزمي ولا اضعفت مطامعي فثابرت على العمل ولا صديق آنس اليهِ او قريب اعتمدهُ او الجا اليهِ الى ان تمَّ لي ان احصد ثمار ماغرست وانا اليوم صديق هورس ابولو كاهن ايسس وهو شيخ هرم منقطع الى الدرس والبحث وقد اتفق لي ان صادقت نفرًا من خيرة الرجال على اني لم اتوفق الى مصادقة النساء ومن كان وجههُ كوجهي فلا غرو اذا نفرت الحسان منهُ

ـ فانا اول صديقاتك اذًا

— نعم وصديقتي الاولى نادرة المثال وهو ما يعزيني على فشلي في ماضي العمر

— ولكن قُدّر لصداقتنا ان لا تطول ولا سبيل الى معاندة الاقدار

— وكيف ذلك فاني ابذل حياتي في الدفاع عنكِ

— لا تحتاج لجلّ ما يستطيعون ان يفعلوهُ بي طردي من منف

— ومن يجسر على طردكِ

— اولئك الذين لا يزالون يحسبونني اجنبية عنهم فاذا نجحوا كان مثلنا مثل ديونوسيوس القيرواني وابنهِ

وكيف كان ذلك

— جاء في المحفوظ من الروايات ان ديونوسيوس هذا ارسل ابنهُ الى مدرسة في اثينا وشرع ينشيءُ مقالة لهُ في ما يجب على التلميذ فعلهُ وما يلزمهُ اجتنابهُ فملأها بالحكم والامثال وقضى في تحبيرها اربع سنوات ولم يكد يفرغ منها حتى انهى الفتى دروسهُ ولم يعد في حاجة اليها فقد عقدنا عهد الصداقة ونحن نوشك ان نتفرّق

— ولكن ما سبب انفصالكِ عنهم

— ستعلم ذلك قريبًا. فصاح وهو يتميز غيظًا

— من يخال طردكِ من منف امرًا سهلاً فقد خاب فألهُ . قد تتركين يتهم ولكن مختارةً لا مكرهة فتخرجين منهُ عزيزة الجانب موقرة لكني لم احسب انهم يقدمون على هذا الامر. ولم يتمّ عبارتهُ حتى دخل اوريون فلما رآهما كذلك دهش وقال

— اظنني ازعجتكما بدخولي فاجابهُ الطبيب

— كلا

اوريون — ما احلى هذا الاجتماع فهل يتسنَّى لثالث ان يشترك فيهِ

الطبيب — لا حاجة لنا بثالث

اوريون — يسوءُني ان اقاطعكما ولكني آتٍ في مهمة وبعضها خاص بعتيقكِ يا باولين فقالت

— أَعاد حيرام

— قد اعادوهُ وامر ابي بعقد المجلس لمحاكمتهِ فاذا دعوكِ فتهيأي لشهود التحقيق وبودّي لو استطيع اسعاف الرجل

— فاذًا سأُجبَر على ازاحة اللثام عن الفاعل

— طبعًا وانت يا فيلبس فتنحَّ عنَّا فلي كلام اقولهُ لها على انفراد

باولين — قل ما تشاء بحضرتهِ فهو ممن يوثق بهِ

فهزَّ كتفهُ ودار ليعود من حيث اتى فلما بلغ الباب التفت اليها وقال

— لا تدعي الفرصة تفوت فحياة تابعكِ في خطر ولست اطلب منكِ مستحيلاً فترفضين . فاومأت باولين الى الطبيب بالانصراف فصدع باشارتها وبقيت مع اوريون وجهاً لوجه فقال

— ماذا جنيتُ ياباولين حتى بتِّ تجتنبينني كما يجتنب الابرص وعلامَ تبغين الايقاع بي

— لا ابغي الايقاع بك وانما اريد انقاذ تابع امين لي

— وتفعلين ذلك ولو آل الى هلاكي

— اذا اصررتَ على اتهام غيرك بذنب اقترفتهُ فلا تستغرب ذلك مني

— اذًا كنتِ ترقبينني الليلة البارحة

— رأَيتك اتفاقًا وانت خارج من دار التحف

— لا اتولى سؤَالك عن علة وجودك هناك في تلك الساعة من الليل ولا اظنهُ للاجتماع بحبيب افلقيتِ مني غير الصداقة والحب حتى تجاهري بعدائي

— أَوَ لتتهمني بالاجتماع بعاشق ثم تمنُّ عليَّ بحبك وقد خطبت لنفسك اخرى

— ومن اعلمكِ بذلك

— امك

— فهمتُ الآن فهو الذي اثار البغضاء في صدركِ وفاتكِ ان غيرتكِ هذه دليل على حبك لي

— لا تخدعنَّك هذه التآويل فلستُ من الغبيات اللواتي يغويهنَّ كلامك العذب او تفتنهنَّ عطاياك فانا ابنة توما فاذا اراد خطيب غيري ان يطارحني الحب فليعلم ذلك المغرور

ان في النساء من تسخر بهِ نعدْ الى قضاتكِ وكن شاهد زور على حيرام فاطلعهم انا على الحقيقة وسترى من يصدقون . فصاح اوريون وقد كاد الغيظ يخنقهُ

— سيصدقون ابن المقوقس وليتكِ رجلٌ فاجبركِ على طلب الصفح مني . لقد اقترفتُ ذنباً كبيراً وساجني عاقبتهُ ما دامت البغضاء تغلي في صدركِ وغيرتكِ تعمي بصركِ

— لا غيرة ولا بغضاء فمن انت حتى افديك باشد الناس امانةً في خدمتي واكثرهم اخلاصاً لي فليحكم القضاة بيننا

— لكن حكمهم سيخالف حكمكِ فلا تحرجيني وانتهزي هذه الفرصة قبل ان يحل بكِ ما تكرهين

— افأنا اوخذ بذنبك ايضاً

— هل سمعتِ نباح الكلاب الساعة

— نعم سمعتهُ

— فاعلمي اذاً انهم قبضوا على حيرام وبعد ان شممتهُ الكلاب اطلقناها في البيت امام دار التحف فاجتمعت جميعاً على عتبتها وبعد الفحص عثرنا على وقع قدم بثلاث اصابع فاتينا بحيرام واذا في رجلهِ اليمنى ثلاث اصابع فقط وكان في الجانب المقابل اثر آخر علمتُ انهُ وقع قدمك وخلاصة ما يستنتج من ذلك ان اجنبياً طرق البيت في الليل وانسلَّ الى دار التحف فسرق الزمردة فبيكِ كنت مكان القضاة اتغضين عن جميع هذه الحقائق وتؤثرين عليها قول فتاة يعلم الناس انها عدوة ربة البيت وانها تبذل وسعها في انقاذ تابعها

— يا للفظاعة فحيرام لم يسرق زمردتكم وانما هي زمردتي باعها الصيرفي فهل خفي الامر عن عين هاشم حتى لم يستطع ان يفرق بين الاثنتين

— نعم والليالي حبالى يلدن العجائب افأعطيتِ زمردتكِ لحيرام ليبيعها فتستعيني بثمنها على مغادرة منف . اراك صامتةً وهو علامة الايجاب فقد سلمنا انكِ تكرهين امي ولكن ما ذنب ابي وعلامَ تطلبين هلاك الابن

— لا اطلب هلاكك ولا اكره امك ولكن اباك ابى ان يعطيني من مالي ما ابحث بهِ عن والدي المنكود الحظ

فلما اعيتكِ الحيلة عمدتِ الى بيع تلك الزمردة النفيسة ولا ارتاب في ما تقولين فاني تحسبكِ مثال الصدق فاذا كنتِ لا تبغين ايقاع الاذى بي فاتبعي مشورتي واسمعي ما اقول

— قل

— اتدركين ما لشرف المرء من القيمة في عينيهِ او تجهلين ان في افتضاح السرّ عاراً عليَّ لا يُمحى فاذا علم ابي بذنبي مات غمّاً وقهراً وهذا تابعك يريد ان يتابس بالجريمة فهو ساكت لا ينطق حرفاً فشاركيهِ في السكوت واذا اصرّ القضاة على معرفة ما جاء بحيرام اليك في الهزيع الاخير من الليل فتمحلي ما شئتِ من الاعذار كأَن تقولي انهُ سرق الزمردة ليبحث عن سيدهِ المحبوب فاذا اسعفتني بهذا القدر فاني اقسم باعز الاشياء لديَّ وبراس ابي لاطلقنَّ سراحهُ بعد ثلاثة ايام من صدور الحكم واعوضهُ من سجنهِ تعويضاً عظيماً فالتزمي الصمت ولك مني ما قلت

وكان كلامهُ كلام خائف حذر يلتمس شيئاً ولا يدري ما يكون جوابهُ فرقَّت لهُ واثر فيها تذللهُ واستعطافهُ وتبدَّى لها كشجرة يانعة اصابتها صاعقة فشقت جذعها فاذا لم يسرع البستاني فيسندها القتها الريح على الارض. فاطرقت ساعة ثم اجابتهُ الى ما طلب بشرط ان ينقذ حيرام ولمَّا وعدها بذلك اندفعت تخاطبهُ بكلام التوبيخ والتقريع حتى اعماهُ الغيظ وندم على اعترافهِ لها بجريمتهِ فتمكن كرهها في قلبهِ وتمنَّى لو كانت رجلاً فيحاربهُ ويقهرهُ ولكنهُ كتم ما بهِ فلما فرغت من خطابها قال

— ارى انفصالكِ عنا خيراً لنا جميعاً من بقائك فتهيأي الآن للذهاب الى المجلس فالقضاة في انتظارنا

— وانتَ فاحرص على حياة تابعي واذكر وعدك

— اذا قمتِ بوعدكِ فعلت والاَّ فالحرب بيننا . فبرقت عيناها وصاحت

— ليكن كذلك فعندي حجة قاطعة ان الزمردة زمردتي

— ويل لكِ اذا احرجتني

— قال هذا وانصرف من امامها

الفصل الثاني عشر

فارق اوريون باولين وفي صدرهِ منها حزازات فشقَّ عليهِ ان يهون بعد العزّ والرفعة وعجب ان امرأَة تجرأ عليهِ بمثل ذلك الكلام وهو فاتن النساء ومغناطيس قلوبهنَّ تخطر ببالهِ شيءٌ رآهُ في بعض الكتب وفيهِ ان من ارتكب جريمة ودرى بها سواهُ فخيانتهُ وهلاكهُ بين شفتي ذاك فساءهُ ان يكون الواقف على دخيلة امرهِ باولين دون سواها وهي التي كان يخطب ودَّها ويتمنّى قربها ويطلب رضاها فاصبحت الآن الدَّ اعدائهِ على انَّ ما ابدتهُ من امارات الاحتقار والكره لم يخفِ عليهِ حبها لهُ فقال في نفسهِ ان الحبَّ ذو وجهين كالدينار احدهما الانعطاف

الشديد والآخر النفور فهي تريني الساعة الوجه الثاني على ان رنة الذهب لا تخفى ولو خفي نقشهُ واكاد اميز رنَّة الحب في كلامها القارص

وكان الحكم بالاعدام من امتيازات اسلاف المقوقس من يوم كانوا عمّالاً في الاقاليم المصرية في زمن الفراعنة قبل غزوة قمبيز ملك فارس وكانت راية الصلّ لا تزال تخفق على قصور المقوقس في منف وليكوبوليس (اسيوط) والى جنبها علم القديس جرجس قاتل التنين . وظلّ الوالي من اسرة المقوقس صاحب السلطة والحكم بالاعدام وغيرهِ من العقاب على المجرمين من اتباعهِ وسواهم في هاتين المدينتين وما سواهما من الاقاليم التي في عملهِ واثبت الامبراطوران يوستنيانوس وهرقل هذه الامتيازات بما اصدراهُ من الاوامر الملكية بشأنها فلما غزا العرب مصر واستولوا عليها ابقوا على امتيازات واليها كما تقدم

وكان المجلس المكلف بالنظر في القضايا الخاصة بقصر المقوقس مؤلفاً من كبار رجال القصر برئاسة الوالي نفسهِ فاذا غاب اناب عنهُ ابنهُ او غاب عنهُ تولّى الرئاسة نيلس الخازن لما اشتهر بهِ من بُعد النظر والحكمة والخبرة فامر المقوقس ابنهُ اليوم ان يرأس المجلس بنفسهِ ودفع اليهِ خاتمهُ علامة السلطة واوصاهُ بمعاقبة الجاني اشدَّ العقاب تأديباً لهُ وارهاباً لغيرهِ لكن اوريون لم ينسَ وعدهُ لباولين فتوسّل الى ابيهِ ان يخولهُ السلطة التامة في امر الحكم وقال ان هاشماً من ذوي الانصاف واهل المروَّة والاحسان فلا اخالهُ يصرّ على قتل السارق فضلاً عن ان حيرام ليس من اتباع القصر ولكنهُ في خدمة نسيبتنا فسرَّ المقوقس لاعتدال ابنهِ واذن لهُ باعتماد رأْيهِ وتمنى لو يستطيع الحضور في المجلس لكي يراهُ بعينيهِ يتولّى زمام اشرف الاعمال واعظمها فقبّل اوريون يدهُ والكآبة ملء صدرهِ لعلمهِ ان مدح ابيهِ واقع في غير محلهِ ولانهُ لم يجهل هول موقف يتّهم فيهِ بريئاً بجريمتهِ ويحكم عليهِ

ولما دخل المجلس وجد فيهِ مرضع باولين تخاطب نيلس الخازن وهي تبرق وترعد وتقسم ان حيرام بريء وانهُ باع زمردة سيدتهِ لا زمردة القطيف بدليل ان العقد لا يزال في صندوقها وفيهِ مكان الزمردة الى ان قالت او يسرّكم ان تأتوا بابنة توما العظيم الى هذا المجلس كأنها من عامة الناس . فلما سمع اوريون ذلك امر بسجنها موقتاً فذهل نيلس لحدة سيدهِ واضطرب لاضطرابهِ وخال اوريون ان باولين خدعتهُ فلزمت الصمت بحسب وعدها وارسلت مرضعها الى نيلس احذق القضاة وادهاهم فباحت لهُ بالسرّ وسردت لهُ الادلَّة المثبتة براءة حيرام فاشتدّ بهِ الحنق وعزم من تلك الساعة على ردّ كيدها في نحرها فاطرق هنيهة ثم هبَّ من مكانهِ واسرع الى كوخ بوَّاب القصر وكان هذا البواب في شبابهِ حداداً وصانع اقفال فلما شاخ دخل في خدمة

المقوقس وظل يعمل في صناعتهِ كما دعت الحاجة وكان اوريون في صباهُ يتردد اليهِ ويلهو بمساعدتهِ فيفك الاقفال ويصلحها ويصنع صناديق صغيرة من الخشب المحفور ويقدمها هدايا لوالديهِ في عيد ميلادهما وهو العيد الذي كان المصريون القدماء يحتفلون بهِ ويتبادلون فيهِ الهدايا. فلما بلغ الكوخ تناول شيئاً من الادوات فدسَّهُ في جيبهِ ورأى باقة من الزهر كان قد قطفها قبلُ لباولين فحملها ايضاً واسرع الى غرفتها فاقفل الباب وجثا امام صندوقها بعد ان طرح الازهار على مائدة قائلاً اذا ابصروني قلت انني جئت لاعطيها الباقة

ثم عمد الى لوالب مفاصل الصندوق فحلَّها وقلبهُ يخفق خوفاً وجزعاً ويداهُ ترتجفان فلما نزعها رفع الغطاء شيئاً فشيئاً خشية ان ينكسر القفل ومدَّ يدهُ الى الداخل فكان اول ما لمستهُ العقد فاخرجهُ ونزع منهُ موضع الزمردة فاخفاهُ في جيبهِ وبينما هو كذلك خطر لهُ خاطر ارقصهُ فشق ثوبهُ واخرج سلسلة من الذهب متدلية من عنقهِ وفي طرفها حجر كريم نفيس عليهِ نقش قديم من انخر ما صنع الصنَّاع فنزعهُ من مكانهِ ووضعهُ في العقد مكان الزمردة ورد العقد الى الصندوق ثم اطبق الغطاء واعاد المفاصل واللوالب الى مكانها واحتمل الازهار بيدهِ وسار الهوينا الى الباب ففتحهُ واطلَّ منهُ فاذا الجوّ خالٍ فاسرع الى الطبقة السفلى وهو يطفر ابتهاجاً فلقيتهُ مهذبة ماري فحياها ورمى اليها بالباقة فشكرتهُ واكبرت تنازلهُ اما هو فسار الى المجلس فدعاهُ نياس لتبوء كرسيّ الرئاسة ففعل وبعد ان استراح وقف وشرح القضية واتى على البينات التي تصرف التهمة الى تابع باولين وكان كلامهُ متقطعاً والارتباك بادياً عليهِ ولم يخفَ ذلك على القضاة لكنهم نسبوهُ الى حداثة عهدهِ في القضاء ولما فرغ اومأَ الى حيرام وامرهُ ان يدافع عن نفسهِ فتمتم شيئاً ثم قال انهُ بريءٌ من التهمة وان في استطاعة سيدتهِ اظهار براءتهِ للملإ فالتفت اوريون الى القضاة وقال

ان سيدتهُ فتاة عريقة الحسب ولها نسابة بنا فلا يليق بنا ان نمرّغ اسمها في هذه الحمأة على اني سمعت مرضعها تقول شيئاً لنياس قد يؤول الى تبرئة المتهم لكننا نتخذ جميع الوسائل لكشف المخبإ ولما كنتم غير واقفين على تفاصيل المسألة رأيت ان اعلمكم ان سيدة المتهم شديدة التعلق بهِ فهو ومرضعها البقية الباقية لها من بيت ابيها فيحتمل اذاً ان شريفة مثلها تحوّل شيئاً من التهمة اليها لتنقذ تابعاً اميناً مخلصاً في خدمتها افترون اذاً ان ندعو المرضع او تكتفون بما قالتهُ لنياس دفاعاً عن المتهم فاجاب نياس

— لقد سمعتَ بنفسك يا مولاي ما سمعتهُ انا ايضاً ولما كنت لا استطيع اعادة قولها تماماً فليؤتَ بها الى الحضرة فاستحسن الباقون رأيهُ واتي بها فلما سئلت عما تعرفهُ لثبات السرقة قالت

— لقد غالى حيرام في الصمت والحقيقة ان سيدتي لا يهمها من الوجود سوى البحث عن ابيها فلما فرغت دراهمها واعيتها الحيلة امرت عنيقها هذا بنزع زمردة كبيرة من عقد لها وبيعها ففعل وهي الزمردة التي اتهموهُ بسرقتها . فوقع كلامها وقعاً شديدًا في نفوس القضاة ومالوا جميعاً الى تبرئة حيرام ففطن اوريون الى مرادهم فقال

— من العجب العجاب ان يخلق في ساعة واحدة حجر يماثل حجر القطيف بحيث لا يستطيع امهر الصاغة التفريق بينهما وما حكاية هذه العجوز سوى حديث خرافةٍ يقصد بهِ مخادعتنا عملاً بوصية سيدتها التي تريد ذرّ الرماد في عيوننا وتطلب تبرئة تابعها ولو كلفها ذلك عناء كبيرًا هذه هي الحقيقة فهل تصرّين يا امرأة على ما قلتهِ او لكِ كلام آخر تثبتين بهِ صحة دعواكِ . فلما سمعت المرضع كلامهُ وكانت تحسبهُ نصيرًا لسيدتها استشاطت غيظاً فصاحت بهِ

— لقد قلت الصدق وعقد سيدتي في صندوقها وفيهِ مكان الزمردة فهو اصدق شاهد على صحة قولي . فاجاب اوريون

— لم يبقَ مندوحة من دعوة السيدة باولين الى المجلس فسِرْ اليها يا نيلس وليأتوا بذلك الصندوق ايضاً وادِ لها واجب الاحترام كما يليق بمن كان مثلها من الشريفات . فصدع نيلس بالامر وبعد قليل عاد بها وبالصندوق فحياها اوريون واومأ اليها بالجلوس ثم طلب الى نيلس ان يشرح لها سير القضية الى تلك الساعة وان يوقفها على ما يعدهُ القضاة دافعاً لها في عملها هذا وينفهما ان العدالة ستأخذ مجراها . ورأت باولين الشرّ باديًا في عينيهِ ففهمت انهُ سيخلف وعدهُ ظناً منهُ بانها ارسلت المرضع سرًّا لتطلع نيلس وسائر القضاة على كنه الامر فيبرئوا حيرام ويلقوا تبعة السرقة على مرتكبها فوقف نيلس وشرح القضية الى ان قال ونحن جميعاً آذان لاستماع دفاع السيدة النبيلة عن نفسها وعن تابعها ثم ننظر في هذا الصندوق والعقد الذي فيهِ . فاستحوذ القلق على اوريون وعلا وجههُ الاصفرار واحسَّ كأنَّ المجلس بما فيهِ محجوب عن عينيهِ بحجاب من الضباب وعلم ان باولين ستخذل وتفشل في مناوأتها اياهُ لكنهُ تمنّى مخرجاً لهُ من ضيقهِ دون ان يكلفها ذلك العناء وايقن انهُ بفعلتهِ هذه سيخسرها وتنقضي بخسارتها سعادتهُ فلما فرغ الخازن من الكلام رمت باولين مفتاحاً على المائدة وقالت فليفتحوا الصندوق فاسرع بعض الخدم وفتحوهُ فتناولت العقد ورفعتهُ لكنها لم تكد تراهُ حتى طرحتهُ على المائدة وصاحت يا للعار وخارت قواها فتمايلت كالثمل واتكأت على مرضعها لئلاَّ تسقط الى الارض فدنا منها اوريون يريد اسعافها لكنها رشقتهُ بنظرة ملؤُها الغيظ والاحتقار وحرقة القلب فثبت في مكانهِ فعمدت الى كرسيٍ وجلست . واذهل القضاة ما رأوهُ فتقدم قائد الحرس فرفع العقد وشرع يتأملهُ فلما بلغ

وسطاهُ قال هذا لعمري حجر كريم والذي يزيد في قيمتهِ ما عليهِ من النقش فهذا اله الحبّ وتلك الاهة العقل عشيقتهُ تبش في وجههِ ويلوح لي ان السيدة اخطأَت فاخرجت عقداً غير الذي نحن في صددهِ فهل رأَيت يا غمالائيل انفس من هذا. فقاطعهُ اوريون وامرهُ بالصمت ودنا نيلس من باواين وسأَلها عمَّا اذا كان العقد الآخر لا يزال في الصندوق فلم تجبهُ لان الذهول والدهشة اخرساها وحارت باية معجزة تسنَّى لاوريون ان يفعل ما فعل لعلمها ان مفتاح الصندوق مربوط بسلسلتها فشقَّ عليها ان ينتصر الباطل ويدحض الحق فهبَّت من سباتها وعاودها النشاط والقوة فعزمت على الدفاع الى النهاية لكنَّ قلبها أَبى عليها ان ترمي اوريون بالسرقة فتشهرهُ وتعبث بصيتهِ وذكرت وعدها لهُ واحسان ابيهِ اليها فرأَت ان تحفظ الوعد وتقابل احسان الوالد بالعفو عن ابنهِ وكانت تفكر في امرها واوريون ينظر اليها ويحاول الوقوف على ما يدور في خلدها ثم انتبهت الى حيرام وقد شدوا وثاقهُ وربطوهُ الى سارية كما كانوا يفعلون بالمجرمين فخطر لها ان سكوتها قد يؤدي الى هلاك نفس بريئة فاذا خلصت هي فلن يخلص فعاودها عزمها الاول وحوَّلت وجهها عنهُ الى القضاة وقالت

— لقد خُدعتم وانطلت عليكم حيلة يراد بها اذلالي وقمعي فانظروا الى هذا الموثق واحكموا ما اذا كان في وجههِ ما يدلُّ على ارتكاب الجرائم وقد بلوتُ امانتهُ واخلاصهُ بنفسي يوم رماني الدهر بنكباتهِ فانهُ ابى ان يتخلى عني انا المسكينة اليتيمة فترك زوجتهُ وابنهُ وتبعني والآن فاذا اردتم الوقوف على الحقيقة تكلمت والاَّ . . . . فصاح اوريون تكلمي فقالت

— يعلم ابن المقوقس ورئيس هذه الجلسة ان بوسعي الوقوف موقف الشاكي لكنني احجم اكراماً لخاطر ابيهِ الكريم ولاني اعزُّ شأْناً منهُ وهذه الاشارة تكفيهِ امَّا الزمردة فقد اقتلعها حيرام بامري من عقدي امس في الليل وقد رأَى غيري العقد بعد ذلك وشاهد موضع الزمردة فيهِ وبقي العقد على حالهِ الى ما بعد ظهر اليوم حين علَّقت يد جان اثيم هذا الحجر بهِ ولما كان هذا الحجر نفيساً يساوي الالوف فالفاعل ذو ثروة طائلة ولعلَّهُ اغناكم وانت يا غمالائيل فبكم تقدر ثمنهُ . فاجاب

— لم تقع عيني على مثلهِ واني اشتريهِ بوزنتين على اعوازي

فذهل القضاة وداخلهم العجب فقال اوريون

— ان هذا من خوارق المعجزات فقد نمي الينا اخبار عن الكرم حتى خلنا ان هذه الخلة ضاعت ولم يبقَ سوى اسمها فاذا بها اليوم فينا فلعلَّ مارداً هوى الى الارض فاستبدل قطعة من الذهب بحجر كريم كهذا فاخبرينا ايتها السيدة من رأَى العقد

— رأتهُ ماري حفيدة المقوقس

— اتعنين تلك الطفلة التي تكاد تعبدك والتي تطيعك كما يطيع الكلب صاحبهُ

— لم ترهُ وحدها فقد كانت كاترينا ابنة سوسنة هناك ايضاً وهي ليست بطفلة بعد فاطلب اليكم ايها القضاة باسم العدالة ان يؤتى بهذين الشاهدين فتسمع كلاهما فقال اوريون

— اما شهادة ماري فمردودة لانها قاصرة فلا تعتبر شرعاً وفضلاً عن ذلك لحضورها وتخلفها منوطان بجديها ولا ارضى ان يقترن اسم احد من اهل هذا البيت بهذه القضية اما كاترينا فحكمها غير حكم تلك ومن واجبات المحكمة ان تأتي بها وتسمع شهادتها وهانذا ذاهب لادعوها. فارادت باولين ان تستطرد الكلام فمنعها وقال ستقولين ما تشائين بحضرة الشاهدة ولا ريب عندي ان الزمردة اتتكِ من ابيكِ قال هذا ساخرًا فصاحت باولين

— ان شقياً مشاركاً لك في الجريمة دخل غرفتي اثناء غيابي فكسر قفل الصندوق او فتحهُ بمفتاح مصطنع وفعل ما فعل

— لا اسهل من تحقيق ذلك ثم امر ان يرفعوا الصندوق ففعلوا وطلب من احد اعضاء المجلس ان يفحص القفل وكان هذا الرجل فاضلاً صادقاً خبيرًا بالحرف اليدوية والآلات وكان عملهُ في القصر اصلاح الساعات المائية والادوات والموازين والمكاييل وغيرها فامتثل امر اوريون وتفحص القفل فالفاهُ سليماً ثم عمد الى المفتاح فاذا بهِ مما يصعب تقليدهُ فلما فرغ اعلن رأيهُ فحصرت باولين فامر اوريون ان يفصلوا بينها وبين المرضع في غرفتين الى ساعة عودتهِ بكاترينا

واختلط الامر على القضاة لتعاقب هذه الالغاز ولم يكن بينهم من يرتاب بصدق ابن مولاهم واخلاص طويتهِ لكنهم عجبوا كيف لم يستطع على ما لهُ من السلطان على النساء ان يكتسب حب تلك الحسناء فاثار سخطها وهاج بغضاءها وساءهم منها اتهامها اوريون بفتح صندوقها لكن لهجتها وحدتها ومجمل حركاتها اثرت فيهم فانتظروا عودة اوريون بكاترينا قائلين اذا جاءت شهادتها مطابقة لقول باولين كان الحق في جانب هذه وعاودنا التحقيق من باب آخر

وكان الوقت نحو الزوال وقد جلست السيدة نفورس وسوسنة وابنتها كاترينا وماري ومهذبتها في ايوان يطل على البستان والنيل يروحنَ النفوس في النسيم البليل وقد غطين وجوههنَّ بنقب رقيقة ليتقين لذع البعوض واخذن يتعللن بشيء من الشراب المنعش وبينما هنَّ كذلك طلع عليهنَّ اوريون فلما ابصرتهُ قالت امهُ وقد راعها اضطرابهُ

— ما الخبر فقال

— لقد دافعت باولين عن عنيقها دفاع اللبوة عن اشبالها فقالت امهُ

— وغرضها من ذلك تكدير صفائنا فقال

— لا يا اماهُ ولكنّ لها عزماً يفلّ الحديد فاذا ارادت امرًا بذلت النفس والنفيس في طلبهِ وقد ادهشتنا بقوة حجتها وبراعتها في سرد الادلّة حتى لقد يحسدها اعظم المحامين في القسطنطينية على سلامة ذهنها وقد خلبت فصاحتها وجمالها الباب موظفي بيتنا على ان غيرتها المحمودة لن تفيدها مثقال ذرة فالبينات على جريمة حيرام عديدة جليّة ومن جملة ما ادعتهُ ان كاترينا وماري رأتا عقدها بعد ظهر اليوم وابصرتا مكان زمردة مقلوعة منهُ فهل ذلك صحيح فاجابت كاترينا

— لكنها اختطفت العقد منا . فاعترضتها ماري وقالت

— ذلك لاننا تقلدناهُ على غير رضاها . فصاحت امهُ

— وتريد عظمتها الآن ان يؤتى بابنتينا ليؤديا شهادتهما

— نعم يا اماهُ على ان شهادة ماري لا تعتبر شرعاً اذ هي لا تزال قاصرة

— وهب القانون يجيزها فلا اسمح ان يقترن اسمها بهذه القضية . فقالت ماري

— انكم تابون عليّ تأدية الشهادة لئلا اقول الحق فتنتصر باولين فقالت جدتها

— اخرسي فقيادكِ ليس في يدك وما الامر من شؤونكِ وقالت سوسنّة

— يشقّ عليّ ان تقف ابنتي امام هؤلاء القضاة فقالت كاترينا

— لينتظروني ما شاؤوا فلست بذاهبة اليهم فاجاب اوريون

— ذهابك واجب وللحاكم ان تستدعي من تشاء ولها ان تجبرهُ على الحضور فسيري معي ولا تخشي بؤساً ومتى اديتِ الشهادة اعدتكِ الى امكِ . وانتِ ياسوسنّة فلا تبخلي عليّ بها اليوم وسحدثك بعد عودتها بما تلقاهُ من عنايتي. ولم تكن كاترينا لتكره الذهاب مع اوريون والعودة معهُ فرقص قلبها فرحاً واستفزها الحب الى طاعتهِ فنهضت من مكانها وتقدمت اليهِ فتعلقت بها ماري وتوسلت اليهم جميعاً ان يأذنوا لها ايضاً بالذهاب لتأدية شهادتها فارغمتها جدتهاو.بهذبتها على البقاء وهمست تنورس في اذن سوسنة فقالت سيقفان اليوم امام القضاة وعمّا قليل امام الكاهن ان شاء الله

اما اوريون فسار بكاترينا ولم يذهب توًا الى المجلس بل اختار الطريق الابعد دائرًا حول البيت فلما صارا بحيث لا تراهما السيدات امسك يدها وقبلها فلم تزجرهُ على ان الحياء والسرور غلبا عليها وملآ قلبها فقالت آه يا اوريون

— ولكنَّ هذا حقٌ ولو كان قلبك يخفق كقلبي لسمعتهما والدتانا
— لكن فؤادي مضطرم بهواك
— ان ما تقولين صحيح. ثم طفق يشرح هواهُ ويحدثها باحاديث الغرام ويطارحها الحبّ حتى اسكرها وكان المساء حارًّا واريج الازهار يتضوع في البستان والقمر يرسل اشعتهُ من خلال الاوراق فيزيد الموقف بهجة والصدور انشراحاً فاخذ اوريون يدعوها باحب الاسماء وينعتها باجمل النعوت الى ان ثملت فقبَّلها مرارًا وهي تحسب ان السعادة حلَّت عليها وان الطبيعة عنيت بامرها فمهدت لها سبل العيش المنيء والمستقبل السعيد وتمنت لو تدوم تلك الساعة وان ذلك الاجتماع لا ينقضي لكن اوريون لم ينسَ المجلس ولا ذهل عن غرضهِ من صحبتها فتأوه وقال
— اود البقاء هنا وتدعوني الواجبات الى مغادرة هذا الفردوس فهيا بنا يا حبيبة الى المجلس اني يسوءني ان يكون لباولين من الشأن في هذه القضية ما لها ولو كان في وسعي الدفاع عنها لفعلت. واخذ يثير غيرة كاترينا بهذا الكلام ونحوهِ فوصف جمال باولين وشمائلها حتى اثار وجدها فاطمئنت على يدهِ وقالت
— آمنَّا ان باولين ملاك نازل من السماء فقل لي الآن من تحب منَّا نحن الاثنتين واقصر عن اثارة غيرتي. فقال
— اتسأليني وانت تعلمين انها القمر البارد وانك الشمس الحارَّة فلنترك باولين لاحد آلهة اولمبس فانا قانع بحبيبتي كاترينا فهي شريكة حياتي وقسيمتي في افراحها
— ان شاء الله
— لقد اضاؤوا المصابيح في المجلس وكدنا نذهل عمَّا امامنا فهيا بنا. ثم تردد هنيهة وقال اتذكرين العقد الذي رأيتهِ بعد ظهر اليوم
— نعم فقد كان بديع الصنعة لولا ان في وسطهِ قطعة من الذهب مشوهة مكسورة
— يلوح لي انكِ ذهلتِ عن رؤية الحجر الكريم في تلك القطعة
— لم يكن فيها حجر كريم ولا يغرب عنك ان لي دراية بهذه الجواهر فقد خلَّف ابي مجموعة نفيسة منها ستعطيها امي لزوجي
— على ان ذلك لا ينفي خطأكِ في مسألة العقد فقد يحدث انكِ ابصرتِ قفا القطعة المذكورة
— ولكن يا اوريون ....
— اقسمت عليكِ الاَّ تناقضيني فستسلم لآرائكِ اما اليوم فاذا ناقضتني فالعاقبة وخيمة عليَّ ولست ادَّعي العصمة لكني ارتاب في صحة قولكِ فاذا لم تجئ شهادتكِ مطابقة لقولي

كنتُ في عيون القضاة كاذبًا ونحن الآن خطيبان فما يضرُّ احدنا يضرُّ الآخر وما يفيدهُ يفيد ذاك ولا يخفى عليكِ ان القضاة سيجلُّون شهادتك محلاً رفيعًا لما يعلمونهُ من صدقكِ وانكِ خطيبتي وربة هذا البيت في المستقبل فاذا لم تجيبيني الى سؤلي الآن كانت دعوى حبكِ لي فارغة وليس ما اطلبهُ منكِ بالامر العسير فقولي فقط انكِ رأيتِ العقد وابصرتِ فيهِ حجرًا كريمًا منقوشًا عليهِ صورتا الحب والعقل

— اقول هذا للقضاة

— نعم يا ملاكي ولا يليق بكِ ان تردّي اول طلب اطلبهُ منكِ فاذا كان في قلبك شيءٌ من الحبِّ لي فلا تعملي على اذلالي امام باولين

— وماذا يهم الناس أحجر كريم كان في العقد ام قطعة من الذهب

— ستعلمين ذلك في ما بعد

— اريد ان اعرف الآن

— يضيق بي الوقت عن تفصيلهِ وقد عيل صبر القضاة

— سافعل ما تقول واراني ساذوب خجلاً فاسدل نقابي على وجهي فلا يراني القضاة

— مثالكِ مثل النعامة وهانذا افعل

وبعد ان اسدل نقابها كما ارادت سار بها الى غرفة الانتظار وتقدم وحدهُ الى المجلس فاخبر القضاة ان الارملة سوسنَّة اذنت في ارسال ابنتها اليهم تحت رعايتهِ على شرط ان يعيدها اليها بعد تادية شهادتها. ثم امر باحضار باولين ولما خلت كاترينا بنفسها في غرفة الانتظار اخذت الافكار تتقاذفها تخشيت ان يكون ما طلبهُ اوريون منها محض كذب لكنها عادت فقالت ان ذلك مستحيل فاوريون احسن الناس واسلمهم طوية فلا يكلف غيرهُ ارتكاب جرمٍ كهذا ورأَت ان من واجباتها الدفاع عنهُ ووقايتهُ من كل شرّ وخطر ثم ذكرت ما قالهُ من ان التناقض في قوليهما يفضي الى اذلالهِ ويجبرهُ على التسليم لباولين وهو ما كانت تعافهُ لغيرتها من اليونانية بعد ان سمعت منف باسرها تلهج بوصف محاسنها وتعدها خير عروس لابن المقوقس وعلمت ان ليس لها في بنات المدينة مزاحم غيرها فاخذت تلتمس لنفسها الاعذار ردًّا على ما تولد فيها من الريب وظلت كذلك الى ان عاد اوريون فادخلها الى المجلس ولمَّا سئلت عن العقد اجابت انها رأَتهُ عند الظهر وابصرت فيهِ حجرًا كريمًا فأَروها الحجر وسأَلوها عما اذا كان عين الذي رأَتهُ فقالت

— انا اكره هذه النقوش الوثنية ونحن بنات اليعاقبة لا نتحلى بها

فدنت منها باولين وعيناها تقدحان شررًا وقالت

— اشرتِ الساعة الى مذهبك وهو يأمرك بقول الحق فاعلمي ان لشهادتكِ قيمة عظيمة في فصل هذه القضية فتبصَّري في ما تقولين ولا تعتصمي بالكذب . فصاحت بها كاترينا

— ليس الكذب عادتي وقد تعلمت ان اتبصَّر في ما اقول قبل قولهِ فقد كان هذا الحجر في هذا العقد . فصاحت المرضع يا لكِ من شقية . فارتعدت كاترينا واجالت نظرها في انحاء المجلس تلتمس ما تستند اليهِ فاسرع اليها اوريون واجلسها وامر بسجن المرضع عقابًا على شهادة الزور وباطلاق سبيل باولين واعادة صندوقها الى مكانهِ ولما فرغ دنت باولين من الخوان فتناولت العقد وفصلت الحجر عنهُ ثم رمت بهِ الى غالائيل وقالت

— وهبتك هذا الحجر ولعلَّ اللئيم الذي علقهُ في عقدي يستردهُ منك فهذا العقد لامي وهو هدية الامبراطور ثيودوسيوس القديس اليها فلا اطيق ان انجسهُ بهدية لئيم غدَّار ولطرحهُ في النيل اهون عليَّ من ذلك فقد خدعتم ايها القضاة فحيرام من اصدق الناس واخلصهم طوية ولن انسى معروفهُ الى الابد اما هذا واشارت الى اوريون فهو شر ابن لخيراب . فصاح اوريون كفى فقالت

— سمعًا وطاعة على ان ضميرك سيقرأ عليك اضعاف ما تحظر عليَّ قولهُ . ثم دنت منهُ وهمست اليهِ قائلة لقد ابيتُ ان اورد حجتي الكبرى قيامًا بوعدي لك فافعل انت كذلك وانقذ حيرام والَّا فانت اخس الناس واحطهم . فوعدها خيرًا فالتفتت الى كاترينا وقالت امَّا انت ايتها الفتاة فلا اعلم ما يعدهُ لكِ ابن المقوقس من اسباب الشقاء لقاء نصرتكِ لهُ اليوم . ثمَّ انصرفت وقد كاد الغيظ يخنقها وسارت الى غرفة مانداني فجلست بجانبها وهناك انهمرت الدموع من عينيها ورآها الطبيب كذلك فاخذ يعزيها ويطيب قلبها فلما ثابت الى السكينة حدثتهُ بجميع ما جرى لها

اما اوريون وكاترينا فعادا من المجلس كسيفي البال وكلٌّ منهما يفكر في شأنهِ فوجدا سوسنة وحدها بانتظارهما لان نفورس فارقتها لتذهب الى زوجها الذي كان يتقلب على فراش الاوجاع فرافق اوريون الارملة وابنتها الى مركبتهما وعاد الى المجلس فسرد خلاصة القضية على القضاة واتى على ذكر الادلة التي تثبت التهمة على حيرام وبعد ان تداولوا ساعة حكموا على المتهم بالاعدام لخرقهِ حرمة بيت وارتكاب السرقة الَّا نيلس الخازن فانهُ انشق عنهم فامر اوريون بتأجيل انفاذ الحكم . ولما ارفضت الجلسة اختار اسرع جيادهِ فامتطى صهوتهُ ولكزهُ فاندفع الجواد يعدو بهِ في عرض الصحراء

ستأتي البقية

فتح المكسيك

اتَّصل بنا الكلام في الجزء السابق الى ان خمسة من الرؤساء جاءوا كورتس ذات يوم وفتحوا لهُ بابًا للامل بعد ان يئس من الاقامة في تلك البلاد . وكان اثنان منهم يعرفان لسان الازتك فكلمتهم مارينا بهِ فاخبراها انهم من اهالي سمبوالا عاصمة بلاد التوتونك . والتوتونك جيل من سكان المكسيك نزلوا تلك البطاح منذ قرون كثيرة . وكان ملك المكسيك قد دوَّخ بلادهم منذ عهد قريب وضرب عليهم الجزية واذاقهم انواع الذل وبلغ اميرهم ان الاسبانيين جاءوا البلاد وهم لا يهابون سطوة ملكها فبعث بهؤلاء الرجال اليهم يدعوهم الى عاصمتهِ

فاصغى كورتس الى هذا الكلام مسرورًا واتَّضح لهُ حينئذٍ ان البلاد ليست على ما توهم من الاتحاد والائتلاف بل فيها احزاب وضغائن كامنة في الصدور وانهُ ليس بمستبعَد ان يستعين ببعضهم على البعض الآخر فيقوّض اركان ملكهم ولذلك اكرم هؤلاء الوفود وصرفهم بالهدايا الكثيرة ووعدهم بان يزور اميرهم في عاصمتهِ قريبًا

وكان جنودهُ وبعض قوَّادهم قد ملُّوا الاقامة وودُّوا الرجوع الى بلادهم . والمخاصون منهم لوالي كوبا تذمَّروا من ان كورتس تعدَّى الاوامر المعطاة لهُ من الوالي وجرى على مقتضى هواهُ . الَّا ان الباقين قالوا اننا اذا رجعنا الى كوبا خسرنا كل شيء نعم ان كورتس فعل ما فعل غير ملتفت الى اوامر الوالي ولكن ما فعلهُ انما فعلهُ باسم الملك[1] غير طامع بالربح ولا مغضٍ عن كرامة مولاهُ

واخيرًا جاءهُ انصار الوالي وكاشفوهُ بما يضمرون وطلبوا منهُ ان يعود بهم وبالجنود الى كوبا. فقابلهم بالبشاشة والوداعة على غير ما انتظروا وقال لهم انّي افضّل البقاء هنا لاتمام العمل الذي ابتدأنا فيهِ لان ربحنا من معاملة السكان قد ابتدأ الآن ولكن اذا كان الجنود مصرّين على العودة فانا انقاد اليهم وافضل رأيهم على رأيي وآمرُ بعودتهم حالاً . ثم امر ان يكون الجنود

(١) الكلمة الاصلية تدلُّ على الملكين بصيغة الجمع الدالة على المثنى ايضًا وعلى المذكر والمؤنث معًا. فان الملكة ايزابلاَّ ملكة اسبانيا توفيت سنة ١٥٠٤ فانتقل ملك اسبانيا الى ابنتها لكنها كانت مصابة بدخل في عقلها فنودي بها ملكة وبقي زمام الملك في يد ابيها الملك فرديناند الى ان توفي في ٢٣ يناير سنة ١٥١٦ فانتقل الى حفيدهِ تشارلس الخامس امبراطور المانيا ولذلك فاذا قيل الملكون هنا فالاشارة اليهِ والى امهِ واذا قيل الامبراطور فالاشارة اليهِ وكان كورتس يستعمل هذه الكلمة احيانًا بمعنى ملك الملوك تعظيمًا له لدى اهالي المكسيك الذين كانوا يحسبون ملكهم ملك الملوك . وقد اخترنا كلمة ملك لانها تفي بالمراد وهي اخصر في اللفظ

مستعدين للسفر والعودة الى كوبا . فلم يكد امره ينتشر في المعسكر حتى خمدت ثورة الذين كانوا قائمين عليهِ وعدل بعضهم عن رأيهم . وهذا شأن الناس امنع عنهم ما يطلبون فيزيدوا طلباً ولجاجة اجب طلبهم حالاً فلا يبقى له شأن عندهم . اما انصاره فاتخذوا ذلك مندوحة للتذمر والشكوى او التظاهر بهما وجعلوا يقولون انهُ نكث عهده وخان وطنهُ وتألبوا حول خيمتهِ طالبين ان يلغي امره وقالوا له انا اتينا الى هنا لكي نمتلك البلاد ونستوطنها فان لم يكن معك امر من والي كوبا لتفعل ذلك فافعله باسم الملك فانا نحن اكتشفنا هذه البلاد ولم نكتشفها باسم والي كوبا بل باسم الملك وباسمهِ نسكنها ونعمرها ولذلك نطلب منك ان تسرع حالاً في بناء مدينة لنا ولا تضع الوقت في المعاملة والمتاجرة واما الرجوع الى كوبا فلا نسلّم بهِ ابدًا واذا ابيتَ ان تجيبنا الى طلبنا شكوناك الى الملك

فتظاهر بالحيرة كأنهُ لم يكن منتظرًا هذه المجاهرة وهذا العتوّ لكنهُ لم يبدِ الغيظ بل قال ان الامر كذلك فاسمحوا لي حتى ابتصّر فيهِ وغدًا اجيبكم . وجمع الجنود في اليوم التالي وخطب فيهم خطبة وجيزة قال فيها انهُ ما من احد اشد منهُ طاعة لمليكهِ وارغب منهُ في اعلاء اسم اسبانيا بين الممالك فانهُ انفق كل ما يملكه في هذا السبيل واستدان الاموال الطائلة لكي يقوم بنفقات هذه الحملة وكان يرجو ان يستردّ بعض ما انفقهُ من معاملة المكسيكيين ولكن ان كان الجنود مصرين على انشاء مستعمرة فهو يضحي مصلحتهُ لاجل مصلحتهم فينشئ مستعمرة باسم الملك ويعين لها والياً وقاضياً

ثم امر باقامة المدينة في مكان اكتشفوا فيهِ مرفأً اميناً للسفن وعيّن لها والياً رجلاً من خواصهِ ونائباً له رجلاً من انصار والي كوبا حتى يجمع بين الحزبين وعيّن باقي الموظفين من خواصهِ فحلفوا يمين الطاعة للملك وسميت المدينة ڤرا كروس واجتمع الوالي ونائبهُ والقضاة وباقي الموظفين فدخل عليهم حاسرًا وقال لهم لقد انقضت الآن المهمة التي اتيت بها لان سلطة والي كوبا زالت امام سلطة والي المدينة الجديدة فصرت كاحد رعاياكم ولكم ان تأمروني بما تشاؤون. قال ذلك وحنى لهم رأسهُ علامة الخضوع والاكرام وخرج من المجلس . فتذاكروا في الامر هنيهة ثم استدعوه اليهم وقالوا له رأينا بعد التبصر وامعان النظر ان ليس عندنا من هو اقدر منك على قيادة هؤلاء الجنود والاهتمام بمصالح هذه المستعمرة في السلم والحرب ولذلك فباسم الملك نقيمك قائدًا عامًا لهذه المستعمرة وقاضياً لها . وسمحوا له بخمس ما يكسبونهُ من الذهب والفضة غنيمةً كان او تجارةً . فاعطي اعظم سلطة مدنيّة وحربيّة

وجرت هذه الامور على غاية السرعة حتى ذُهل انصار الوالي فلم يجدوا فرصةً للاعتراض

والمقاومة ولكن لما جعل كورتس قائداً عاماً من قبل الملك وزالت كل سلطة للوالي ثار انصار الوالي وقالوا ان في الامر دسيسة واكثروا من الصياح والاعتراض واشتدَّ الجنود بعضهم على بعض وكادت الفتنة تستفحل فبادر كورتس اليهم وقبض على زعمائهم وكبَّلهم بالحديد وبعث بهم الى السفن وارسل فرقة من الجند لتطوف في البلاد المجاورة وتأتي منها بما تجدهُ من الطعام واستمال الباقين بالعطايا والمواعيد . وعاد الجنود الذين ارسلهم ليمتاروا ومعهم كثير من الاثمار والبقول والطيور فلما امتلأَت البطون سكنت ثورة الغضب وزال التذمُّر وعانق الجنود بعضهم بعضاً مسرورين متهللين حتى الزعماء الذين كبِّلهم بالحديد طابت نفوسهم لما امتلأَت بطونهم فثابوا الى السكينة وطلبوا ان يصالحوا كورتس فصالحهم وصالحهم وانقضت الفتنة على سلام وصاروا كلهم من اعز انصارهِ

ولا يسع المرء الاَّ الاعجاب بما ابداهُ هذا الرجل حتى الآن من السياسة والدهاء وحسن النظر في العواقب فانهُ نقل السلطة من والي كوبا خصمهِ العنيد الى ملك اسبانيا ولم يكن هو الناقل لها بل رجال جيشهِ حتى لا يتَّهم بعصيان رئيسهِ وداري خصومهُ وغلبهم بالمعروف وضربهم بيد واستلفاهم بالاخرى حتى انضموا الى حزبهِ وصاروا من انصارهِ وحوَّل غرض هذه الحملة من المتاجرة بالبضائع الى فتح البلدان واستعمارها

ولما زالت الفتنة وسادت السكينة سار برجالهِ وسفنهِ الى المكان الذي عزم على انشاء المدينة فيهِ وكانت البلاد التي مرَّ فيها كثيرة الخصب سهولها فيحاء وآكامها مكتسية حللاً سندسيَّة باشجار باسقة وانهار جارية تمرح الظباء في سهولها وتتناغى الاطيار على ادواحها. والتقوا في الطريق باثني عشر رجلاً ارسلهم امير سمبوالا اليهم ادلةً ليأتوا بهم الى عاصمتهِ فلما دنوا منها رأَوا دلائل الخصب والرفاهة رأَوا الحدائق الغناء والسهول الفيحاء مبسوطة على مدى النظر ثم رأَوا جماهير السكان رجالاً ونساء خرجوا لاستقبالهم ومعهم الازهار والرياحين طاقات واكاليل فقدموها لكورتس ورجالهِ وكلَّلوا رؤُوسهم بها وكان فيهم كثيرات من النساء الشريفات بابهى الحلى وافخر الحلل يتهادين بين جواريهنَّ وعليهنَّ دلائل الرفاهة والنعيم وهنَّ ورجالهنَّ بالعقود والاقراط والخزم وكلها من الذهب الابريز

وسار كورتس ورجالهُ على هذا النمط الى ان وصلوا الى المدينة فوجدوا فيها المباني الفخيمة من الحجر والشيد وخرج الامير لاستقبالهم وهو طويل بدين الجسم فرحَّب بهم واعطاهم هيكلاً مجاوراً لقصرهِ لينزلوا فيهِ وبعث اليهم بكل ما يحتاجون اليهِ من الخبز واللحم والفاكهة واهدى الى كورتس كثيراً من الحلى الذهبية والثياب القطنية. اما كورتس فلم يجانب الحذر ولو رأى

من الاهالي كل تودُّد وترحيب بل اقام الحرَّاس حول جنودهِ ونصب مدافعهُ وسدَّدها على مدخل الهيكل حتى لا يفاجئهُ احد بمكروه وهذا كان شانهُ دائماً حتى وقت السير من مكان الى آخر كان يسير كأنهُ ذاهب الى القتال

وقام في الصباح وسار بخمسين من رجالهِ الى قصر الامير وكان مبنياً على اكمة يوصل اليها بسلم كبيرة من الحجر وترك رجالهُ في دار القصر ودخل ومعهُ رجل واحد ومارينا تترجم لهُ واخبر الامير انهُ آتٍ من قبَل ملك عظيم الشان لكي ينسخ العبادة الوثنية من تلك البلاد ويعلّم الناس عبادة الاله الحقيقي . فاجابهُ الامير ان الهتهم تهبهم النور والمطر وهي اصلح لهم من غيرها وانهُ هو خاضع لملك عظيم الشان عاصمتهُ بعيدة عنهم في بحيرة بين الجبال واذا عصوهُ انتقم منهم واخذ فتيانهم وفتياتهم وقرَّبهم ضحايا لآلهتهِ . فقال لهُ كورتس ان مولاهُ ارسلهُ ليقتصَّ من هذا الملك الظالم ويرفع ظلمهُ عن رعيتهِ وانهُ اذا حالفهُ التوتونك رفع عنهم نير الازتك . فقال الامير ان في بلاد التوتونك ثلاثين مدينة يخرج منها نحو مئة الف مقاتل وبينها وبين بلاد الازتك جمهورية تلسكالا المستقلَّة وانهُ بلغهُ ما فعلهُ الاسبانيون في تبسكا ولكنهُ لا يزال خائفاً من الخروج على الملك منتزوما العظيم لان جنودهُ تنحدر من الجبال كالسيل الجارف فلا تبقي ولا تذر فتأخذهم كلهم اسارى وتقربهم ضحايا

فقال لهُ كورتس ان الاسبانيين لا يخشون بأس الازتك وملكهم وان كل واحد منهم يقاوم جيش من اولئك البرابرة . ثم حاول ان يعرف منهُ ما هي الامم الناقمة على ملك الازتك لكي يعرف عدوَّهُ من صديقهِ ومن يقتل ومن يستحيي. وبمثل هذا الكلام حاول بث الثقة في نفس الامير وودَّعهُ واعداً اياهُ بالعودة ثانيةً للنظر في هذه المهام

وثبت لكورتس حينئذٍ ان في بلاد المكسيك امماً كثيرة خاضعة لملكها رغماً عنها وانها لا تانف من شق عصا الطاعة والانضواء تحت لوائهِ اذا اعلن الحرب على ملك المكسيك . وكاشف رجالهُ بما كان يدور في نفسهِ فوافقوهُ على رأيهِ وخيل لهم ان اعلام اسبانيا صارت تخفق فوق ابراج تلك البلاد

وودَّع كورتس امير سمبوالا في اليوم التالي وسار الى المكان الذي وجدت فيهِ سفنهُ مرفأً اميناً لكي يبني فيهِ مدينة وبعث معهُ الامير اربع مئة حمَّال وهم ينوبون عن دواب الحمل في بلاد المكسيك فحملوا امتعتهُ وامتعة رجالهِ ومرُّوا في بلاد كثيرة الخصب الى ان بلغوا مدينة حصينة مبنيَّة على شاهق وكان امير سمبوالا قد تبعهم في محفَّة يحملها رجالهُ فقابلهم رجال هذه المدينة بالترحاب وحققوا لكورتس ما سمعهُ من امير سمبوالا وبينما هم يتذاكرون اضطرب القوم

وماجوا ثم دخل الساحة حيث كانوا مجتمعين خمسة رجال بثياب فاخرة وشعور لامعة يتبعهم كثير من الخدم والحشم بعضهم يحمل الاسواط وبعضهم المراوح يروّحون بها لاسيادهم. دخلوا الساحة ومرّوا فيها وهم ينظرون الى الاسبانيين شزرًا ولما رآهم شيوخ التوتونك نهضوا لاستقبالهم وساروا وراءهم كأنهم من خدمهم

فبهت كورتس من ذلك وسأل مارينا عن امر هؤلاء الرجال فقالت لهُ هؤلاء من اشراف الازتك اتوا ليجمعوا الجزية لمنتزوما . ثم عاد الشيوخ كاسفي البال وقالوا لكورتس ان هؤلاء الرجال اغتاظوا منا لاننا رحّبنا بالاسبانيين من غير ان نستأذن الملك في ذلك وطلبوا منا فداء عشرين فتًى وعشرين فتاة ليقدموهم ذبائح لآلهتهم . فاظهر كورتس مزيد الغيظ وقال للشيوخ لا تعطوهم شيئًا بل اقبضوا عليهم وكبّلوهم بالاغلال وانا المسؤول عن كل ما تفعلون . فتردّد الشيوخ خوفًا لكنهُ ما زال يحمسهم حتى قبضوا على هؤلاء الرجال وقيّدوهم ولما خيّم الليل بعث وفك قيود اثنين منهم واتى بهما اليهِ سرًّا وقال لهما انهُ آسف على ما فعل شيوخ التوتونك وانهُ يسهّل لهما سبل النجاة ويسعى من الغد في تخليص رفاقهما . وطلب منهما ان يخبرا الملك بذلك ويقولا لهُ ان الاسبانيين من اخلص الناس لهُ ولو عاملهم معاملة لا تليق بما هو مشهور عن كرمهِ لانهُ تركهم يموتون جوعًا في بلاد قاحلة. ثم بعث بهما الى المرفإِ وامر ان تأخذها سفينة من سفنهِ الى مكان آخر وينزلا فيهِ لكي لا يدري التوتونك بهما. ورأى شيوخ التوتونك في الصباح ان اثنين من رجال الازتك فرّا فاغتاظا غيظًا شديدًا وعزما على قتل الثلاثة الباقين وتقديمهم ضحية فقال كورتس اني لا اسمح بقتل احد ضحيةً وانا اضعهم في سفني حيث لا يستطيعون الهرب. فانزلهم الى السفن وارسلهم الى مكان آخر واطلق سبيلهم بعد ان اقنعهم ان ما جرى لهم كان على غير رضاهُ . ولا ندري اين وضع شهامتهُ حينما فعل ذلك

وانتشر الرسل في كل بلاد التوتونك يخبرون الاهالي بما جرى لرجال منتزوما ويطلبون منهم ان لايدفعوا جزية بعد الآن وكان خدَم رجال منتزوما قد هربوا وانتشروا في طول البلاد وعرضها يخبرون بما جرى لاسيادهم فهبَّ رجال التوتونك حاسبين انهم سيستردون استقلالهم القديم واجتمع رؤساؤهم معًا فاشار العقلاء منهم بان يرسلوا وفدًا الى منتزوما يستعطفونهُ ويعتذرون اليهِ عمَّا جرى لرجالهِ لكن الجمهور كان مخالفًا لرأيهم وواثقًا ان الاسبانيين يأخذون بيدهم ليطرحوا عنهم نير الازتك . وبعد جدال طويل قرَّ رأيهم على قبول حماية الاسبانيين والمجاهرة بالاستقلال فحالفوا كورتس محالفة هجوم ودفاع

وقام كورتس بعد ذلك الى المرفإِ وشرع في بناء المدينة وساعدهُ الاهالي فجلبوا لهُ الحجارة

والجير (الكلس) والخشب والطوب ولم تمضِ ايام كثيرة حتى تم بناؤُها وقد سُرَّ الاهالي حاسبين ان كوتزلكوتل رسول المكسيك عاد اليهم حسب وعدهِ لينشر السلام في بلادهم ويغدق عليهم الخيرات. وهم لا يدرون انهم كانوا كالباحث عن حتفهِ بظلفهِ . ساعدهم الاسبانيون على كسر شوكة ملوك الازتك لكنهم خربوا بلادهم وقرضوهم عن وجه البسيطة كما سيجيء

ولم يكد كورتس يتم بناء المدينة حتى جاءَهُ رُسُلٌ من قبل منتزوما ملك المكسيك وذلك انهُ لما قبض شيوخ التوتونك على رجالهِ كما تقدَّم اسرع بعض خدمهم الى العاصمة وقصُّوا على الملك ماجرى لاسيادهم فاستشاط غيظاً وامر حالاً باخذ الاهبة للاقتصاص من التوتونك ومن الاسبانيين ولم يكن الاَّ قليل حتى عاد رجالهُ واخبروهُ ان الاسبانيين هم الذين نجوهم من ايدي التوتونك فزال ما خامر نفسهُ من الغيظ وعادت اوهامهُ اليهِ حاسباً ان الاسبانيين من نسل رسولهم كوتزلكوتل فبعث بهؤُلاء الرسل الى كورتس وفيهم فتيان من اولاد اخوتهِ واربعة من اعظم رجال بلاطهِ وبعث معهم هدية فاخرة من الذهب والحلل المنسوجة بالريش ولما مثل الرسل امام كورتس ابلغوهُ تحية الملك وشكرهُ لهُ على انقاذ رجالهِ واكرامهم ثم قالوا ان جلالتهُ عاتب عليك جدًّا لانك رأَيت نار العصيان تنتشر في البلاد ولم تبذل جهدك في اخمادها. ولكن اكراماً لك سيصبر على العصاة ولا ينتقم منهم ما دامت في البلاد

فرحَّب كورتس بالرسل وبالغ في اظهار قوتهِ امامهم لكي يلقي الرعب في نفوسهم ثم صرفهم بقليل من الهدايا وبعث معهم رسالة الى الملك يقول فيها انهُ عازم على زيارتهِ في بلاطهِ لجلاء ما خامر نفسهُ من الظنون

ولما علم التوتونك بما قالهُ الرسل لكورتس زادت هيبتهُ في نفوسهم لانهم قالوا ان سلطتهُ تفوق التصوُّر حتى يخافها منتزوما العظيم على هذا البعد الشاسع

وبعد قليل طلب امير سمبوالا من كورتس ان يعينهُ على محاربة احدى المدن المجاورة فاسرع الى نصرتهِ واصلح بين المدينتين وعاد الى سمبوالا ودخلها ظافرًا فقدَّم لهُ اميرها ثمانياً من بنات عظمائها ليكنَّ زوجات لقوادهِ وكان معهنَّ كثيرات من الجواري لخدمتهنَّ فسرَّ كورتس بذلك وطلب ان يتنصَّرن اولاً ثم طلب من الامير ان يطرح اصنامهُ ويعتنق الديانة المسيحيَّة فقال لهُ ان آلهتنا كافية لنا ولا نريد ان نبدلها بغيرها . وكان رجال كورتس قد رأَوا اولئك الناس يضحون الضحايا البشرية ويأْكلون لحمها فبلغ منهم الاشمئزاز كل مبلغ وقالوا لا بدَّ لنا من صرفهم عن هذه العبادة القبيحة فلم ينتظروا امرهُ بل هجموا على الهيكل الاكبر وصعدوا على سلمهِ لكي يطرحوا الاصنام منهُ فثارت النخوة في رأْس الامير ورجالهِ فهبُّوا الى سلاحهم وانبث

الكهنة بين الشعب يحمسونهم للدفاع عن دينهم وآلهتهم . فامر كورتس رجالهُ ان يقبضوا على الامير والكهنة واعيان المدينة وقال لهم ان رمى احد من رجالكم سهماً واحداً على رجالي ضربت اعناقكم . واتت مارينا الى الامير تحثهُ على طاعة كورتس وقالت لهُ ان انتم اغضبتموهُ فقد خسرتم حمايتهُ بعد ان اغظتم ملك الازتك ووقعتم بين نارين . فغطى الامير وجههُ بيديهِ وقال اذاً الهتنا تنتقم لنفسها مما يفعلهُ بها هؤلاء الاسبانيون . ولما رأى كورتس منهُ ذلك امر رجالهُ ان يطرحوا الاصنام من الهيكل الاكبر فصعدوا اليهِ واخرجوها منهُ وكانت من الخشب ودحرجوها على سلمهِ والاهالي وقوف يتأوهون ويتحسرون ثم حرقها الاسبانيون امامهم فدهشوا لما رأوها تحرق وهي لا تدافع عن نفسها وانحط شأنها في عيونهم فثابوا الى السكينة

ثم ان الاسبانيين طهَّروا الهيكل ووضعوا فيهِ مذبحاً واقاموا الخدمة الدينية باحتفال عظيم وشاركهم بعض الكهنة في هذا الاحتفال . وسرَّ كورتس بما فعل حاسباً انهُ نصَّر الاهالي وقام بالغرض الاسمى الذي جاء لاجلهِ . ثم عاد الى المدينة التي بناها فوجد ان قد جاءتها سفينة صغيرة فيها اثنا عشر بحرياً وفرسان فضمَّ رجالها الى رجالهِ وعرف منهم انهُ جاء والي كوبا امر من اسبانيا لينشئ مستعمرة في البلاد التي كُشفت حديثاً . فرأى ان لا بدَّ لهُ من ان يرسل الى اسبانيا يخبر الملك عن البلاد التي اكتشفها واتساعها وغناها ويسترضيهِ لكي يعطيهُ ولايتها والَّا بقيت لوالي كوبا وذهب تعبهُ سدًى واضطرَّ ان يخضع لخصم عنيد . ورأى ان خُمس ما وصل الى يدهِ من الغنائم والهدايا لا يكفي لاسترضاء الملك واقناعهِ بغنى البلاد الوافر وعظم الخدمة التي خدمهُ بها فتذاكر مع القواد في هذا الشان وقرَّ قرارهم على ارسال كل ما وصل الى يدهم منها . والقواد اخبروا الجنود واقنعوهم ان الهدية تسترضي الملك فيعفو عمَّا مضى ويبيح لهم ان يمتلكوا البلاد باسمهِ ويغنموا منها ما شاؤوا فاقتفوا كلهم خطوات رئيسهم واعطوا كل ما وصل الى اياديهم من الغنائم والهدايا فبعث بها كورتس الى ملك اسبانيا وبعث معها كتاباً شرح فيهِ ما عملهُ حتى الآن وما ينتظر عملهُ ومناصبة والي كوبا لهُ وطلب من الملك ان يؤيدهُ ويقرّهُ على ولاية البلاد التي اكتشفها لكي تزيد ثقة رجاله بهِ ويقوى على فتح البلاد كلها وامتلاكها باسم الملك . وشفع حكام المدينة كتاب كورتس بكتاب آخر كتبوهُ وايدوا فيهِ كل ما ذكرهُ واطنبوا في مدح شجاعتهِ وتفانيهِ في خدمة مولاهُ وطلبوا من حكومة اسبانيا ان تؤيد ما فعلهُ ولا تصغي الى شيء مما يقولهُ والي كوبا . وكذلك كتب اهالي المدينة وعامة الجند كتاباً ايدوا فيهِ طلب كورتس معربين عن خضوعهم التام للملك

وارسل كورتس الهدية في احسن سفنهِ وائتمن عليها اثنين من خواصهِ وبعث معهما

اربعة من العبيد انقذهم من القتل وكان في السفينة ١٥ بحاراً فسارت تشق عباب المحيط حتى وصلت الى كوبا فرست فيها على ضدّ ما امرها كورتس وبلغ خبرها الوالي فاخذ يهيل الشتائم واللعنات على كاتبهِ وامين خزينتهِ اللذين اقنعاهُ بارسال كورتس في هذه الحملة حتى اذا افرغ بعض ما في قلبهِ من الحقد امر ان تذهب سفينتان للقبض على سفينة كورتس لكن السفينة اقلعت قبل وصولهما اليها وابعدت عنهما فلم تستطيعا لحاقها فزاد غيظ الوالي وكتب الى اسبانيا يستنجد انصارهُ لمقاومة كورتس وجهَّز عمارة اخرى ليرسلها الى بلاد المكسيك حتى توقع بهِ

اما سفينة كورتس فوصلت الى اسبانيا وكان للاخبار التي اذاعتها تأثير في النفوس لا يقل عن التأثير الذي حدث لما عاد كولمبس من كشف اميركا لكن الملك كان على اهبة السفر من اسبانيا الى المانيا حيث انتخب امبراطوراً فلم يسعهُ الوقت للنظر في امر كورتس

وكان في مدينة ڤرا كرُس اناس لم ترقهم افعال كورتس فتآمروا على اخذ سفينة من السفن والهرب بها والعودة الى كوبا واعدوا كل ما يلزم لهم سرًّا ولما حانت الليلة الموعودة للهرب افشى واحد منهم سرَّهم لكورتس فقبض عليهم وحاكمهم وحكم على اثنين منهم بالقتل وعلى واحد بقطع رجليهِ ورأَى من ذلك الحين انهُ ما دامت السفن في المرفإِ لم يأمن خروج بعض رجالهِ عليهِ والهرب بها فادَّعى ان السوس نخر بعضها ولم يعد يصلح لشيءٍ فامر باغراقهِ ثم احتال على اغراق البعض الآخر ولم يبقِ منها الاَّ سفينة واحدة حتى لا يبقى لرجالهِ امل بالعودة من تلك البلاد وكان قد خرج بالجنود الى مدينة سمبوالا فلما بلغهم ما حلَّ بالسفن طارت نفوسهم وعلت جلبتهم وكادوا يجاهرون بالعصيان ويفتكون بهِ اما هو فلم يرعهُ امرهم بل جمعهم وخاطبهم قائلاً انا اغرقنا السفن لان السوس في هذه البلاد قد نخرها فلم تعد تصلح لشيءٍ وان حق لاحد ان يشكو من ذلك فانا احق منكم بالشكوى لان السفن لي والخسارة عليَّ اما انتم فقد ربحتم من اغراقها لان بحارتها ينضمون اليكم ويساعدونكم ولم تخسروا شيئاً لانها لم تكن صالحة لنقلكم من هذه البلاد فحوّلوا نظركم الآن الى الفوز الذي وُعدنا بهِ اما من جهتي فانا عازم ان ابقى هنا ما دام معي واحد منكم وان كان بينكم من هو جبان يخشى اقتحام المخاطر فقد بقيت من السفن سفينة وهي اصلح السفن كلها للسفر فليعُد بها الى كوبا ويخبر اهلها انهُ ترك قائدهُ واخوانهُ لكي يعودوا وحدهم من بلاد الازتك بالاسلاب والغنائم

فحرَّك هذا الكلام نخوتهم ورغبتهم في بلاد المكسيك وكأنهُ رسم امام عيونهم خزائن مشحونة بالذهب تنتظر وصولهم اليها فخجلوا مما فرط منهم وصرخوا كلهم المكسيك المكسيك

الصحيح من الفراسة

امارات الالم والخوف

للالم امارات كما للسرور بعضها ظاهر مشهور كالتنهُّد والبكاء والنحيب والتمطي والتثاؤب والارتعاد والاصفرار والاحمرار والحصر (فقد النطق) وبعضها غير ظاهر او غير مشهور كالقيء والاسهال وانقطاع اللعاب وتصبُّب العرَق والتغالي في الكرم والتفاني في البغض وطلاقة اللسان ونقطُّع الكلام وما اشبه . وقلما تظهر امارة من هذه الامارات وحدها بل يظهر بعضها مع بعض حسب شدَّة الالم واختلاف انواعه وحالة المتألِّم . وهي اما امارات انفعال او امارات فالج او امارات شعور احدثهُ الألم او حدث عنهُ . والاولى اي امارات الانفعال اكثر من غيرها وهي تحدث عند كل الم طفيف او ابتداء بالالم فان المجاري العصبيَّة الداخلية الناتجة عمَّا يسبّب الالم تجري على اعصاب كثيرة فتحرّك العضلات المتصلة بها حركات مختلفة تظهر بانقباض الوجه وارتجاف الاعضاء وانتصاب الشعر والتنهُّد والتأوُّه والبكاء والتهديد والوعيد . ولهذه الحركات غرضان الاول تخليص المراكز العصبيَّة من التهيج العصبي الذي زاد عليها فاتعبها والثاني دفع ما كان سبباً للالم

والثانية اي امارات الفالج يراد بها امارات الدهشة التي تعتري الانسان من الالم الشديد المفاجيء حتى يغمى عليهِ من شدة الالم وقد يفلج او تزهق روحهُ منهُ لكنها لا تبلغ هذا الحد الأ نادرًا والغالب ان الدهشة تقتصر على صفرة الوجه وجفاف اللعاب

والثالثة اي امارات الشعور الذي احدثهُ الالم او حدث الالم عنهُ كثيرة تختلف باختلاف دقة المشاعر ودرجات تأثُّرها فان السبب الواحد من اسباب الالم لا يؤثر في الناس كلهم على حدٍّ سوى ولكن اثرهُ يظهر على اسلوب واحد غالبًا حتى لا يتعذَّر عليك ان تعرف ما اذا كان مصدر الم المتألم وجعاً في ضرسهِ او ضيقاً في حذائهِ او غيظاً من عقوق ابنهِ او من تحامل الناس عليهِ

ويظهر الألم غالبًا بانقباض عضلات الوجه ثم عضلات العنق ثم عضلات الجزع ثم عضلات اليدين ثم عضلات الرجلين . ففي الوجه ينقبض الجفنان العلويان وتنخفض الشفة السفلى ويقطب الجبين وتنخفض زاويتا الفم او ينطبق انطباقاً شديدًا وتنقبض راحتا اليد . الى هنا تكون الامارات امارات الترفُّع والتحمُّل والجلد ثم اذا زاد الألم عن الاحتمال زالت هذه وعقبتها امارات الخوف والاضطراب فينخفض الفك الاسفل وترتعد عضلات اليدين والرجلين

ثم عضلات الوجه والعنق والصدر والبطن وتتشنج حتى اذا زاد الألم نفدت القوة العصبية المحركة للعضلات فانبسطت وانفلجت وتعذر على المرء طبق فيهِ او تحريك قدميهِ او البقاء منتصباً

وهذه الحركات في العضلات تؤثر في التنفس تأثيراً شديدًا فيضطر المرء الى التنهد الشديد المتقطع ويظهر فعلها على اشده بالبكاء وتشترك العضلات التي تفرز الدمع مع العضلات التي تسبب البكاء فيزيد الدمع على ما ينفذ منهُ الموقين الى الانف فينصب على الوجنتين وقد تحمرّ الوجنتان ولا سيما في الصغار ولكن الغالب ان تصفرّا من الخوف الشديد ولذلك يقال حمرة الخجل وصفرة الوجل

وامارات الألم الناتج عن الحزن تختلف غالبًا في الرجال عمَّا هي في النساء فالمرأة تدهش وتبكي والرجل يغضب ويخاصم . المرأة تنكسر وتلجأ الى الدمع والرجل يطبق كفيهِ ويتهدد بهما او يرفعهما الى السماء كأنهُ يقصد مخاصمة الله . المرأة تصلي وتتضرَّع والرجل يجدّف ويتهدد

ويكثر هطول الدمع في الصغار ثم يقلّ رويدًا رويدًا بتقدمهم في السن حتى لقد يبكي الشاب ولا تدمع عيناهُ ويقل البكاء في الشبيبة والكهولة ثم يعود في الشيخوخة والغالب ان دموع الكهل تفيض من عينيهِ من غير ان يبكي كأنهُ يلجم نفسهُ عن البكاء عنوةً

والالم العقلي يؤثر في الوجه تأثير الالم البدني وتظهر اماراتهُ فيهِ كما تظهر امارات الالم البدني فاذا رأى المرء منظرًا قبيحًا او نورًا باهرًا او الوانًا غير متسقة اغمض عينيهِ وانقبضت العضلات التي حولها كأن رؤية ما رأى تؤلمهُ فيغمض عينيهِ لكي لا يراهُ ويحدث مثل ذلك اذا سمع قصةً تدلّ على جهل فاجع ذاتهُ اما ان يغمض عينيهِ ويظهر الاشمئزاز او يغرب في الضحك . فالالم النظري كالالم العقلي يظهر في العين لانها مظهر الصور العقلية

وكما تتألم العين من رؤية المناظر القبيحة تتألم الاذن من سماع الاصوات الحادَّة كصرير الابواب وصريف الانياب . وامارات هذا الالم في الجسم كلهِ مثل امارات الالم من الشعور الداخلي لان اذن الانسان لا تتحرَّك حتى تدلّ على الالم . ويظهر الم المشاعر على اشده اذا تألم الانف من رائحة كريهة فيسدّ منخراهُ اولاً منعًا لدخول الرائحة وترتفع الشفة السفلى وكأنَّ عضلات الوجه كلها تحاول دفع الرائحة القبيحة من دخول الانف كما نفعل اذا احتقرنا شيئًا او انفنا منهُ . وقد اشتقت الأنفة من الانف في العربية والشمم من الشم لما يظهر من العلاقة بين هاتين الصفتين وبين الانف والشم . كذلك اذا اهنتَ رجلاً او نسبتَ اليهِ امرًا يعدهُ دون قدره اظهر الاشمئزاز بحركة معلومة في فيهِ وشفتيهِ كما يفعل لو ذاق طعامًا مرًّا او كريه الطعم . وكلمة اشمئزاز في العربية تطلق على كراهة الكلام المكروه والطعم المكروه والنفور منهما كليهما

ويفعل الخوف بالاعصاب فعل الالم تماماً لان الخائف يخشى على حياتهِ فيتألم ولذلك يصفرُّ ويبرد جلدهُ وينعقد لسانهُ ويخفق فؤادهُ وينتصب شعرهُ واذا زاد خوفهُ فصار رعباً اتسع منخراهُ وجحظت عيناهُ محدقتين بما سبَّب الخوف وقد تلتفتان من جهة الى اخرى على غير هدًى وانقبضت عضلات وجههِ وارتعد بدنهُ كلهُ ثم تنفلج عضلاتهُ فيقف كالصنم ولا تعود عواصر امعائهِ قادرة على ضبط ما فيها

وغنيٌّ عن البيان انهُ اذا ظهرت امارات الالم في الوجه وتكرَّرت يوماً بعد يوم وسنة بعد اخرى سواء كان الالم عقلياً او جسدياً بقيت آثارها فيهِ غضوناً وارتفاعات وكذلك تبقى الآثار في الجسم كلهِ فيصفر ويشحب فيمتاز وجه الحزين والمتألِم والمحتقر لغيرهِ عن وجه المسرور المرتضي الذي لا يزدري الناس لكن هذه الآثار قد لا تبقى في الجسم وقد تعرض له لاسباب اخرى فلا تكون دلالتها صحيحة دائماً

ائتلاف الشعوب

تحدث للامم بواعث فتأتلف ويدعوها تباين المصالح والمقاصد فتختلف كما يتنافر شقيقان صنوان ويتضافر عدوَّان لدودان "ويستصحب الانسان من لا يلائمهُ". ولو ساد السلام قرناً من الدهر بين البشر لضاقت عليهم الارض بما رحبت "ولولا الوئام لهلك الأنام"

ولقد عجب القوم لما جرى من الاتحاد الثنائي في الشهر الماضي بين دولة انكلترا المسيحية ودولة اليابان الوثنية فرأيت ان اعرّب بهذه المناسبة ما نشرهُ احد مشاهير العمرانيين بداعي ما هو جارٍ بين الروس والفرنسيس من حسن الصلات من رسالة نافعة في مجلة "العلم الاجتماعي" الباريسية تفلسف في تقارب الشعوب وتباعدهم فلسفة استند فيها الى التجارب والحوادث فحصر اسبابها في ثلاثة قال ما ترجمتهُ بتصرف :

❖ الاول — الحاجة الى مقاومة عدوّ عام ❖ قلما يثور خصام او صدام بين ثلاثة اشخاص اذ لا يكون الخصوم في كل المعارك الاَّ فريقين . فقد يُبغض زيد عمرًا وبكرًا ويبغض عمرو زيدًا وبكرًا ويبغض بكر عمرًا وزيدًا ولكن اذا حدث حادث بين هؤُلاء الثلاثة يتألب اثنان منهما على الآخر . والاتحاد في العادة يكون بين ضعيفين على قوي . وقد يتفق القويان ليكونا يدًا واحدة على الضعيف وبا من غائلة التعادي بينهما من اجل تقسيم اسلابهِ والاستئثار بحقوقهِ على نحو ما جرى عام ١٨٦٤ عقيب حرب اعلنتها بروسيا والنمسا على الدانمرك قُبَيل معركة سادوفا في بوهيميا

وما يصدق على الخصومات بين الافراد يصدق على الغارات بين الامم . ومن خصائص كل دولة ان توطد دعائم الامن في داخل بلادها وخارجها وتحتفظ بحياة الامة اذا اوشكت ان تكون عرضة لتيار مطامع احدى خصيماتها . تعمل الدولة في تلك الحال ما كان يعمله امرؤ يدافع عن حقيقته . فتنادي باللشارات وبالنجدات وان كانت الممالك لا تتصدع من التهديد تصدع الافراد

يُعطى الحكام في كل أمة أجورهم ليتصامُّوا ما داموا لا يسمعون من الاغيار غير صدى المكارم . فلا يجهزون القوى الحربية التي أُمِروا عليها عند اقل بادرة حتى لا يلقوا الامة جمعاء في أزمة طويلة الاَّ بعد إيقانهم بانهم يجنون من ورائها ثمرة ما

ونقدر الدولة المستباح حماها ان تطلب معونة جاراتها . وذلك بان نقنع احداهنَّ بان عدوَّها هو ايضاً عدوهنَّ حتى اذا حصل هذا الاقناع تتأ لف عصابة لاتقاء ضرر مشترَك . وعلى نسبة تلك المنفرات المتحدة المبادىء والغايات يتولد تآلف بين مَن اتفقوا على بغض شعب معيَّن

ولقد احسن الفلاسفة تفسير هذه الحالة فقالوا ان البغضاء نقيض الولاء وان الانسان قد يسرُّ بشيء ما لعلمه انهُ مخالف لذوق عدوِهِ . مثال ذلك ان الطليان لما اقتتلوا مع الاحباش منذ بضع سنين وقع شيء من الخصام بين الجالية الطليان والبرازيليين في بلاد برازيل فجعل البرازيليون ينادون "ليحيَ منليك ملك الاحباش" . وكذلك التشك في بوهيميا فانهم يمقتون الالمان كل المقت وان لم يحبوا الفرنسيس . فكلما سنحت فرصة هتفوا "لتحيَ فرنسا"

طفح التاريخ بمعاهدات تقوم دليلاً على صحة هذه الدعوى. فقد تآخى الأثينيون والاسبارطيون في وقعة سلامينة صدًّا لهجمات عدوّهم الفارسي المفاجيء . ثم اخذت اسبارطة تعادي اثينا بعد بضع سنين حسداً منها فاجتمع الطيبيون من ثم مع اللاسيدومينيين على معاداة اثينا. ولما ظفرت اسبارطة اتحدت اثينا مع الطيبيين

في كل هذه المحالفات تتجلى لك امارات السلطة العامة وان الرأي العام تبعٌ لما يراهُ القابضون على ازمة السياسة . وقد يسبق الرأي العام احياناً فيصير رجال الحكومة تبعاً لهُ فلا يقولون الاَّ قولهُ ولا ينطقون الاَّ بلسانهِ . وقد يعلو الصوت العام من قوة تبعثهُ الى ذلك فترى في الاحايين تقارباً بين الامم كتقارب اشخاص لم يتعارفوا ولا غرض لهم الاَّ ان حظهم واحد وهم شركاء في الخطر المحدق بهم

جاء في التاريخ الروماني احسن مثال للمحبة التي أُسست على قواعد من شانها التشفي عن بغض مشترَك ألا وهي محالفة رومية ومرسيليا فان كلتيهما كانتا عدوتين للقرطاجنيين . فدام

الاخاء متين العُرى بين هاتين الجمهوريتين بحيث لم تتمكن الكبيرة من ابتلاع الصغيرة الاَّ بانضمام المرسيليين اثناء الحروب المدنية الى حزب القائد پومپينوس

ويحدّث التاريخ ايضاً ان قد دام الاتحاد اعواماً طوالاً بين تركيا وفرنسا خلال الحرب التي نشبت بين المانيا وفرنسا . وفيهِ من العجب ما بلغ حدَّ الغرابة اذ حادت الامتان من أجل هذا التحالف الذي كانت الحال تضطرهما الى ابرامهِ عن التعاليم المقرَّرة وتناستا نفوراً استحكم من نفوس الفريقين باختلاف الدين والاخلاق والجنس

وظهور اعاظم الفاتحين هو على الجملة سبب الاتحاد بين اناس ما كانوا يحلمون بانضمام بعضهم الى بعض فينشأ هذا الاتحاد اذاً لمقاومة الاطماع الكبيرة . مثال ذلك اتحاد المدن اليونانية على الاسكندر . واتحاد العشائر الانكليزية على قيصر . واتحاد الرومانيين والفرنك والغوط على اتيلا . واتحاد اوربا تقريباً على نابوليون ما خلا الدانمرك وبولونيا فانهما ابتا ان تكونا على هذا الفاتح نكايةً باهل اوربا وتشفياً منهم عما ساموهما من خُطَّة خَسْف وقهر

وينتج من هذا القانون المبني على التجارب الصحيحة ان الممالك تتوادُّ على البعد اكثر من توادها على القرب . والمحالفات التي تطول حياتها هي ما عُقِد منها بين الممالك المتنائية . وهذا تاريخ فرنسا مثلاً يشهد ان اسكتلندا واسوج وتركيا صدقن فرنسا الوئام مما دل على ان الخصومات أليفة القرابات والقضايا لا تقام الاَّ بين الجيران . ولكن قد تحدث لهؤلاء الجيران قضايا مع جيران لهم ليسوا جيراننا فمن السهل الاتفاق مع هؤلاء . فقد كانت فرنسا واسكتلندا كغصنين في دَوْحة بغضاً بانكلترا وكذلك كانت اسوج وتركيا بغضاً بالنمسا والمانيا

ومما يدور على الالسنة اليوم في اميركا الجنوبية انهُ سيعقد اتحاد بين فنزويلا وجمهورية اكواتور على كولومبيا الفاصلة بينهما وسيبرم اتحاد آخر موقت بين شيلي والبرازيل على جمهورية الارجنتين التي تفصل بينهما ايضاً

ومن اقوى عوامل الاتحاد بين الروس والفرنسيس ان الاملاك الروسية والاملاك الفرنساوية لا تكاد تتجاور مع كثرة انتشارها على سطح البسيطة . على حين تقرب املاك المانيا من املاك تينك الدولتين فيحدث من جرَّاء ذلك عراك ونزاع . وهذه القاعدة ليست دائمة الاطراد بل هي تابعة للاضطرابات والتغيُّرات التي يدعو اليها السببان اللذان سنتكلم عليهما بعد

عدوة مملكة ما عدوة لصديقة تلك المملكة وان كانتا متباعدتين . لان اصدقاء اصدقائنا اصدقاؤنا واعداء اعدائنا اعداؤنا . ورب جيران متساكنين يتآخون ورب جيران يتخاصمون . بمعنى ان مصلحة الامة تامر بالتحالف تارةً مع هذه وطوراً مع تلك

حدا بالفرنسيس الخوف من الاسرة المالكة في النمسا ان تصالحوا مع الترك وبينهم من العداوة الدينية حوائل ومن الحنق والكره طوائل بل صافوا انكلترا وهي عدوتهم القديمة وبينهم من الحفائظ ما تسودّ لهوله بيض الايام

ولطالما تطلّب الملك فرنسيس الاول عقد تحالف مع انكلترا فلم يتهيأ له ذلك الاَّ على عهد لويس الرابع عشر. وقصارى القول ان القاعدة العامة بين جارين لا يحبهما جار آخر ان يؤاخي اقلهما خطرًا دفاعًا عن حوزتهِ ويتناسى الاحقاد الماضية وما يُتوقع من الخصومة في الآتي

الثاني — قرابة الاجناس ❖ كم من امم تقاربت لا من اصل منشإها بل بالاختلاط الذي حصل ويحصل في كل مملكة ودور من ادوار الناس . ولا سبيل لان نجد في خليط من الناس ساكنين في صعيد واحد أحفادَ احفاد الجد الاول او اجداداً متشاكلين . وهنا اضاع علماء الانسان فلسفتهم فلم يستطيعوا ان يحكموا على الناس من جماجمهم واشكالها . والثابت ان كثيرًا من الشعوب المتباينة متجاورةً كانت او متباعدة يطابع فيها تغلُّبُ بعض الشعوب عليها طابعًا اجتماعيًا لا تنفكُّ تُعرف بهِ . واللغات من اعظم المشاكلات بين الامم . وكلما تكاثرت السياحات بتسهيل المواصلات تظهر هذه المشاكلات متجلية بابهى صورها وتدعو الى مؤاخاة عظيمة مشتركة

ربما تعرَّف الانسان بابن عم لهُ فاحبهُ بمجرد كونهِ ابن عمهِ وبهذا تأسست وحدة ايطاليا . وهذا الاحساس هو الذي أهاب بالأمارات البلقانية الى التنبهِ وبهِ قامت الاتحادات الجرمانية والسلافية واليونانية

ولا تنسَ حماس الهولانديين للبوير وحسن صلات البرتغال والبرازيل وكيف تصالحت اليابان مع الصين بعد حربهما الاخيرة

ولا يفوتنك ايضاً ما يشهدهُ الروس من السهولة بين قبائل التتار التي أُضيفت بلادها اليهم . وفينلندا لا تزال نافرةً منهم لمخالفة هيئتها الاجتماعية للروسيين كل المخالفة . فالقيصر يحيَّا احسن تحيَّة في سهول سمرقند القاحلة الواسعة مما لا يحيَّا بهِ على بضعة اميال من بطرسبرج . ذلك لان الروسيَّ على الحقيقة مغوليٌّ متحضّر . فكأنهُ عند انتقالهِ الى اواسط آسيا دخل دارهُ وحُشر بين جيلهِ وقبيلهِ اذا اردنا ان نتكلم بلسان اجتماعي

ومما يستدعي الاعجاب ويستلفت النظر ما حدث من تآلف المان المانيا بالمان النمسا تآلفاً كان داعية لتسهيل التحالف الثلاثي فان الالمان في بلاد النمسا يؤلفون الطبقة الحاكمة . وحكومة تلك البلاد منجذبة باميالها نحو اهالي بروسيا . بهما تحرجت من هذا الميل ونأت عن

توطيده ولئن كان هذان الشعبان متجاورين فانهما متحابّان . ولا بدَّ ان يعرو هذه الحال قلب وابدال اذا انتهت الرئاسة الى ايدي السلاف والتشك خاصة وبين هذه الشعوب والالمان من النفور المستحكم القديم ما يعلم الباحثون مكانهُ . على ان هذا التبدل ليس كما يتوهم البعض قاب قوسين او ادنى لضعف قوة السلاف من حيث الاجتماع ووقوفهم فيهِ دون خصومهم مع تفرُّق كلمتهم وانشقاقهم على انفسهم والمجر الذين يبغضونهم اقرب الى الالمان منهم اليهم فيما اذا استصرخوا لقتال عدوّ عام

اما ايطاليا فليس لها في النمسا اقل ميل على ما عُلم . وقد دعتها القاعدة الاولى التي ذكرناها آنفاً ان تخطب ودّ المانيا وان لم تجاورها وهي حامية هدتها اليها الطبيعة . فايطاليا منضمة اذاً الى النمسا بالقوة وحكم التبعية كما انك تضطر الى ان تسلّم على من يبنك وبينهُ برودة اذا صادفتهُ عند صديق لك

وما يدعو اليهِ الجنس من التآلف ظهر من حركة الرأي العام التي عقبت الحروب الاخيرة فانك لا ترى امة اوربية تحمَّست حق التحمس لاهل مدغسكر الذين داهمتهم فرنسا ونزلت في عقر دارهم ولا لاجل المراكشيين الذين قاتلهم الاسبانيول ولا للدراويش الذين تغلبت الحملة الانكليزية المصرية عليهم . ولكن تعال اشهد الاميال التي حازها البوير في اوربا كلها بل في انكلترا نفسها

﴿ الثالث — رابطة الافكار ﴾ يقوى نوع هذا التآلف غالبًا في نفوس الشعوب المتحدة في سياستها . وربما اُشربتهُ القلوب إعظاماً للاحساس الديني

لا جرم ان مسائل المصالح تمتزج احياناً في هذه الاميال التي لا غرض فيها . وقد يحدث ان تكون حركة الائتلاف خلقاً بغير تكلف بحيث ينطبق عليها قولهم " ان الطيور على اشكالها تقع" "وشبيهُ الشيء منجذب اليهِ". ويحدث ان يكون المتعاقدون على اخلاص الولاء عن بعد من امم منوعة مؤلفة من المغلوبين على امرهم المقهورين من عدوهم . فلا يأمل الفريق الاول من الثاني الأ ما ترجوهُ الثكلى من الثكلى فانهما تحابان وتتباثان الجوى وتتناجيان في سر هذا التحاب كما يتحاب الاشتراكيون من اي بلد كانوا ويتآخون على اتباع طريقة ما مع اخوانهم في البلدان الاخرى

اذا عُرف هذا ساغ ان نقول انهُ يمكن التأليف بين المتباعدين من الامم باتحاد الدين خصوصاً في الاعصر التي كانت لهُ على العقول السلطة النافذة . ولولا هذا التآلف السامي بذاتهِ لم يجرِ ذاك الاتحاد الذي دعا الى قيام الصليبيين اتحاد لم ينظر فيهِ الى ما بينهم من الخصومات

وتشاجر الاغراض والوف من دواعي التنافر التي تنوسيت وعُمل بما قيل "عند الشدائد تذهب الاحقاد"

ترى من ذلك ان ما يدعو الى اهتمام الاوربيين بالحبشة واظهارهم صورة منليك بمظهر عاهل وامبراطور هو احتفاظ الاحباش بقية من النصرانية وهذا التآلف كان مستحكماً ايضاً قبل اكتشاف بلاد الحبشة ايام كان ينقب عنها الملاّحون البرتغاليون في شواطىء البحر الهندي ولا قائد لهم الا اقاصيص مدخولة مبهمة

ومثل هذا التآلف حصل بين المسلمين على بعد الديار فقد انتشر في تركيا بل بلغ الهند خبر الهزيمة التي قاسى منها المراكشيون البرحَّين فصار المغول اعداء المسيحيين لما تظاهروا بالاسلامية على انك ترى تيمورلنك أنحى على الاتراك انحاء شديداً ومثَّل بهم تمثيلاً . ولا تنسَ ان فرنسا يألفها الكاثوليك المشارقة خصوصاً الموارنة . وما برحت فرنسا حاصلة على بعض النفوذ في الخارج باسم الدين مما يعرفهُ حق المعرفة تاركو الدين من اهل السياسة

ومن انواع التآلف تآلف مبنيٌّ على وحدة الآراء بين الشعوب الحية والشعوب المائتة وبين الحاضر والماضي فقد يتشيع الجمهوري للجمهوريات اليونانية ويتشيع الملكيُّ للمملكة اليونانية بل قد يتشيع اناس لسويسرا بسبب غليوم تل — احد الرجال الذين حرّروها من سلطة النمسا سنة ١٣٠٧ — وقد يتشيع اناس على البندقية بسبب ذلك المجلس السرّي الذي كان مؤلفاً من عشرة اشخاص على عهد جمهورية البندقية القديمة

وقد اثنى انصار الحكومة الديموقراطية المتحمسون على مدينة اسبارطة الديموقراطية مع انها كانت محكومة بملكين والرقيق فيها يعامل اقسى معاملة . وكان اعداء الدين يقدسون سقراط واعوانهُ وقد كان هو ومن افّ لفهُ اكثر تديناً من الحزب الذي كان يطاردهم . واصبح من الظرف ايام الثورة الفرنساوية ان يلعن قيصر ويبارك بومبينوس لان هذا دافع عن الجمهورية الرومانية لانقاذها من طامع الى الحكم المطلق مع ان بومبينوس كان يرأس الطبقة العالية من الرومان وقيصر يرأس جمهور الشعب

هذه خلاصة ما سطَّرهُ الفيلسوف الافرنسي وفيها زبدة الاسباب التي تدعو الى توادّ الامم وتباغضها وتآلف القلوب وتفرّقها

محمد كرد علي

مدام رويه



يعلم قرَّاء المقتطف اسم هذه العالمة الفاضلة والمؤلفة المشهورة ولا سيما الذين قرأُوا ترجمتها في الجزء الثامن من المجلد الثالث والعشرين من المقتطف · وقد نعتها المجلات العلمية في اوائل الشهر الماضي(٦ فبراير) بالغة ثلاثاً وسبعين سنة قضت اكثرها في خدمة العلم والفلسفة. ترجمت كتاب دارون المعروف باصل الانواع الى اللغة الفرنسوية سنة ١٨٦٢ وقدَّمت لهُ مقدمة من ادق ما كُتب باللغة الفرنسوية في هذا العصر من حيث ابداء الآراء الفلسفية وبسطها. وكانت قد عُرفت بالبلاغة وحسن البيان من اشعار نظمتها ونشرتها في المجلات الفرنسوية ومن

رسالة ألَّفتها موضوعها "ماذا يجب ان تكون الكنيسة في البلاد الجمهورية" ومن تعليمها المنطق للنساء في لوسان بسويسرا بعد ان اتمَّت دروسها في السربون وكولاج ده فرانس بباريس. لكن شهرتها بلغت اوج مجدها لما ترجمت كتاب دارون وقدمت له المقدمة المشار اليها ومن ثمَّ تبوأت اعلى مقام بين رجال العلم والفلسفة ثم توسعت في هذه المقدمة فكان منها كتابها المشهور في اصل الانسان والجماعات

ومن كتبها المشهورة كتاب الصلاح والناموس الادبي Le Bien et la Loi Morale المطبوع سنة ١٨٨١ وكتاب نظام العالم La Constitution du Monde المطبوع سنة ١٩٠٠ ردَّت في هذا الكتاب كل ما يُعرَف من نواميس المادة الى حركة الجوهر الفرد على اسلوب فلسفي بديع. وقد زارها ولدنا نجيب صروف سنة ١٨٩٩ ورآها مشتغلة بطابع هذا الكتاب فشرحت له اسلوبهُ شرحاً بيناً وقالت انهُ ثمرة حياتها وغاية ما وصلت اليهِ معارفها وفلسفتها. وكانت الشيخوخة قد اضعفت جسمها وازالت نضارتها ولكنها لم تضعف عزيمتها ولا كدَّرت صفاء عقلها ولا ازالت البشاشة من وجهها

وسنة ١٨٩٥ قام برتلو واولار وربو وريشه ولتورنو ولفسه وهم من اشهر رجال فرنسا وطلبوا لها نشان اللجون دونور قائلين انها عالمة وفيلسوفة نادرة المثال من اللواتي اشتهرنَ في القرن التاسع عشر فاجيب طلبهم سنة ١٩٠٠ وقدَّم لها النشان وزير المعارف المسيو لجيس في وليمة حافلة

وكانت من الشهيرات في الدفاع عن حقوق النساء. وقد ربيت في المذهب الكاثوليكي وقصدت ان تصير راهبةً في صباها لكن اباها صرفها عن ذلك فعادت في خدمة العلم والفلسفة

ظواهر الجو ومذهب ارهنيوس

كل ما في العالم في الارض والسماء غريب عجيب لا يدرَك كنههُ ولكن ما تراهُ العين يوماً بعد يوم تألفهُ ولا تعود النفس تشعر بغرابتهِ واما ما يقلُّ ظهورهُ كالنجوم ذوات الاذناب والمشاعيل التي ترى بارزة من حرف الشمس وقتما يكسفها القمر كسوفاً تاماً واكليل النور الذي يحيط بها حينئذٍ والنور البرجي الذي يرى بعد مغيب الشمس مستطيراً في منطقة البروج والشفق القطبي الذي يصل الى اقليمنا في بعض السنين ويتكرَّر ظهورهُ في نواحي القطبين — كل ذلك وما جرى مجراهُ لم تزل غرابتهُ من النفوس ولا يزال العامة والخاصة يندهشون من رؤيته اما العامة فلما ذكر من غرابتهِ واما الخاصة فلأنهم حاولوا تعليلهُ على طرق شتَّى فلم يصلوا الى

تعليل يشفي الغليل وتسلّم بصحته كل العقول الى ان قام عالم اسوجي منذ سنة من الزمان وعلّل هذه الظواهر تعليلاً يراهُ العلماءِ الآن اقرب كل التعاليل الى الحقيقة

وخلاصة ذلك ان للمادة دقائق اصغر جدًّا مما كان يُعرَف بالجوهر الفرد الجوهر من الهيدروجين يساوي الف دقيقة منها وهي تحمل الكهربائية السالبة وتنبعث بسرعة فائقة من القطب السلبي في انابيب كروكس ومن الاجسام التي تقع عليها اشعة رنتجن ومن الاجسام الحارة كالمعادن الحامية ومن المعادن الباردة اذا وقع عليها النور الذي فوق اللون البنفسجي في اشعة الطيف . واذا مرّت هذه الدقائق في غاز من الغازات احدثت فيهِ دقائق من نوعها كانها تحلها من جواهره والمواد تجمّع وتتكاثف حول هذه الدقائق فيكبر حجمها بها

تعليل ذوات الاذناب

هذه هي الامور التي بنى عليها ارهنيوس العالم الاسوجي تعليلهُ للظواهر الجوية فقال في تعليل ذوات الاذناب ان نور الشمس يشعُّ منها بقوة معلومة وهذه القوة يمكن معرفتها بالحساب وهي ضعيفة لا تؤثر في دفع الاجسام الكبيرة عن سطح الشمس ولكن اذا صغرت الاجسام جدًّا حتى صارت مثل الدقائق المشار اليها صارت قوة دفع النور لها اعظم من قوة جذب الشمس فاذا كان قطر نقطة الماء جزءا من الف جزء من المليمتر وكانت النقطة مكعبة الشكل فيكون ثقلها على سطح الشمس اقل من دفع نور الشمس لها فيدفعها عنها

ومعلوم ان ذوات الاذناب تدور حول الشمس واذنابها مؤلفة من غازات هيدوكربونية وهي تبتعد تارةً عن الشمس وتدنو تارةً منها فاذا كانت دقائقها صغيرة جدًّا حتى يزيد دفع النور لها على جذب الشمس اياها بقيت وراء ذوات الاذناب كأنها مندفعة عن الشمس واذا كانت دقائقها كبيرة حتي يزيد جذب الشمس لها على دفع النور مالت الى جهة الشمس . وقد حسب بعضهم انهُ اذا كان قطر الدقيقة من هذه الدقائق نحو جزء من الف جزء من المليمتر فقوة الدفع مضاعف قوة الجذب واذا كان قطر الدقيقة ستة اجزاء من الف جزء من المليمتر فقوة الجذب ثلاثة اضعاف قوة الدفع

وحينما يقترب ذو الذنب من الشمس تفعل حرارتها الشديدة به فيغلي الهيدروجين الذي فيهِ وتتكاثف الابخرة فيتكوَّن منها نقط صغيرة جدًّا او تندفع منهُ دقائق صغيرة من الكربون كما تندفع من لهب القنديل فاذا كانت هذه الدقائق كبيرة عادت الى المذنب ووقعت عليهِ واذا كانت صغيرة اتجهت نحو الشمس واذا كانت اصغر من ذلك دفعها نور الشمس فمالت الى الجهة الاخرى من المذنب وامتدت في الفضاء . واذا كانت مادة المذنب مختلفة تكوَّن لهُ اذناب

عديدة بعضها ينجذب الى الشمس وبعضها يندفع عنها حسب كبر دقائقها وصغرها

ثم ان السرعة التي تطول بها هذه الاذناب عظيمة جدًّا فقد حسب الفيلسوف اسحق نيوتن ان المذنَّب الذي ظهر سنة ١٦٨٠ طال ذنبهُ في يومين ستين مليون ميل . فاذا كان قطر الدقائق التي يتألف منها هذا الذنب نصف جزء من مليون جزء من المليمتر دفعها نور الشمس ٤٣٠ كيلومترًا في الثانية من الزمان او ٨٦٥٠٠٠ ميل في اقل من ساعة . والمرجح ان في اذناب ذوات الاذناب دقائق كثيرة اصغر من ذلك فاذا كان قطر كل دقيقة منها عشر جزء من مليون جزء من المليمتر قطعت هذه المسافة في نحو اربع دقائق وقطعت في يومين نحو ستماية مليون ميل . وعلى هذا النمط يعلَّل كل ما يظهر في ذوات الاذناب من ابتعاد اذنابها عن الشمس واقترابها منها والسرعة الفائقة في امتدادها

الاكاليل والمشاعيل

حينما تكسف الشمس كسوفًا كليًّا يُرَى حول حرفها السنةٌ حمراء من النار تنبعث ثم تنعطف عليها او تبقى في الفضاء كغيوم طافية في الجو على ابعاد شاسعة اربعين الف ميل او اكثر ويظهر حول حرفها اكاليل من النور الساطع يحيط بها احاطة الهالة بالقمر وتنبعث منهُ اشعة نورانية يبلغ طولها احيانًا اضعاف قطر الشمس . وتعليل ذلك على مذهب ارهنيوس انهُ تنبعث من الشمس ابخرة مختلفة تتكاثف اذا علت عن وجه الشمس وتصير دقائق صغيرة فاذا كان قطرها اكبر مما يلزم لتغلُّب قوة الدفع على قوة الجذب عادت الى سطح الشمس منعطفة عليها واذا كان قطرها اصغر مما يلزم لتغلُّب قوة الجذب على قوة الدفع اندفعت عن الشمس بقوة النور والاولى هي المشاعيل التي تُرَى حول الشمس وقت كسوفها والثانية هي اشعة الاكاليل الذي يحيط بها . وليس من الضروري ان تكون قوة الدفع الاولى التي تدفع هذه المواد عن سطح الشمس عمودية عليهِ ولذلك تصعد هذه المشاعل احيانًا منحرفة وتعود الى سطح الشمس في شكل اهليلجي وما كان قطر دقائقهِ منها بحيث تتساوى فيهِ قوة الجذب وقوة الدفع يبقى منتشرًا كالغيوم حول الشمس

النور البرجي وذنب السرحان

النور البرجي هو النور الذي يرى في دائرة البروج فوق الافق الغربي بُعَيد مغيب الشمس . وذنب السرحان او الفجر الكاذب هو النور الذي يرى في دائرة البروج ايضًا فوق الافق الشرقي قبيل شروق الشمس وكانهما كليهما مخروطان من النور خارجان من الشمس وواصلان الى ابعد من الارض تقدم ان المعادن الحامية يخرج منها دقائق صغيرة منيرة مكهربة بالكهربائية السلبية وعليهِ

لا يبعد ان ينبعث من الشمس دقائق صغيرة منيرة مثل هذه وتندفع عنها بقوة دفع النور لها وتكون كهربائيتها سلبية كما تقدم حتى اذا بلغت جوَّ الارض مثلاً اعطتهُ من كهربائيتها السلبية فدفعها كما هو معلوم من ان جسمين متكهربين بنوع واحد من الكهربائية يتدافعان فتصير الدقائق الواردة من الشمس تصل الى جو الارض وتندفع فينحرف سيرها وتمرُّ على جانبي الارض في شكل هذلولي حتى اذا لاقت اجساماً اخرى في الفضاء وجذبتها اليها كبرت اقطارها وصارت قوة جذب الشمس لها اقوى من قوة الدفع فتعود نحو الشمس . ولو امكننا ان نقف في القمر لرأينا الارض مشمولة بذيلين منيرين احدهما آتٍ من جهة الشمس والآخر متجه نحوها وهما النور البرجي . والارض نفسها تنبعث منها دقائق صغيرة مثل هذه من وقوع نور الشمس الذي فوق البنفسجي عليها فتضاف الى الذيل المتصل بها كأَنَّ حزمةً من النور خارجة منها ومتجهة نحو الشمس

اما القمر فلا ذيل لهُ لان ليس لهُ هواء فالدقائق التي تصل اليهِ من الشمس تنتشر على سطحهِ وتحيط بهِ كالغلالة ولا تندفع عنهُ

الشفق القطبي

اذا ادني قطب مغنطيسي من انبوب كروكس الذي فيهِ الدقائق السلبيَّة المنيرة او الاشعَّة السلبيَّة اتجهت هذه الاشعة نحو المغنطيس وانحنت عليهِ حتى تصير كالحلقة . وقد تقدم ان الدقائق المكهربة بالكهربائية السلبية تندفع من الشمس الى الارض فاذا دنت منها ودخلت طبقات الهواء العليا التي لطافتها اكثر من لطافة الغازات في انابيب كروكس تكهربت هذه بها وانارت وجذبها قطبا الارض المغنطيسيَّان فتكوَّن فيها حلقات ومجارٍ كما تتكون الحلقات والمجاري في انابيب كروكس اذا ادنيت من مغنطيس . ولذلك يكثر حدوث الشفق القطبي اذا كثر الهيجان في الشمس وكثرت الكلف على وجهها . ويكثر حدوثها ايضاً وقتما تكون الارض مقابلة للمنطقة التي يكثر فيها هيجان الشمس اي من مارس الى سبتمبر . وفي الساعات التي يشتد فيها حر الشمس الواصل الى الارض اي من الساعة الثالثة بعد الظهر فصاعداً وترى في الجهات الشمالية والجنوبية اي بقرب الاقطاب المغنطيسيَّة

كهربائية الجو

اذا كانت الدقائق المندفعة من الشمس الى الارض مكهربة بالكهربائية السلبيَّة وجب ان تكهرب الهواء فتتكاثف دقائقهُ المكهربة بالكهربائية السلبيَّة وتنزل نحو سطح الارض بثقلها ويبقى الهواء العالي مكهرباً بالكهربائية الايجابية وهذا ينطبق على الواقع كما يظهر من امتحان كهربائية الهواء

النيازك

اذا كانت الدقائق تندفع من شمسنا ومن غيرها من الشموس على ما تقدَّم فالواصل منها الى الارض شيء قليل جدًّا وما بقي يسير في الفضاء الى ان يلاقي بعضهُ بعضًا فيتجاذب ويتماسك الى ان تكثر الكهربائية على سطح مجموعهِ ولا تعود تسمح بانضمام غيرهِ اليهِ فتنتشر في الفضاء اجسام صغيرة تجذب الارض بعضها حينما تدنو منها فتسرع اليها وتشتعل من السرعة والاحتكاك بالهواء وهي النيازك وقد يصل بعضها الى الارض سليمًا وهي الرجم ويقع بعضها على شموس اخرى وكرات اخرى غير الكرة الارضية كما يقع على الارض والشمس دقائق من تلك الشموس وتلك الكرات فيستمر التبادل بين اجرام الكون

السديم

السديم لطخة بين النجوم كالضباب المنير يظهر من البحث في نورهِ انهُ غازي في الغالب. وقد اشكل امرهُ على العلماء لانهُ ان كانت حرارتهُ شديدة حتى يرسل نورهُ الينا فكيف يحفظ قوامهُ على لطافتهِ ولا يتمزق اربًا لان الجذب بين دقائق الغاز ضعيف جدًّا حتى اذا حمي قليلاً انتشر ولم يستطع ان يحفظ قوامهُ ولكن يمكن ان يعلل اشراق السديم على مذهب ارهنيوس بان نورهُ حادث من وقوع هذه الدقائق عليهِ من الخارج فانها تأتيهِ مكهربة بالكهربائية السلبية فتنفرغ كهربائيتها وينير بها غاز السديم كما ينير الغاز في انابيب كروكس بالمجرى الكهربائي. وبرد السديم غير ضائر لان نور الغاز يشتد باشتداد برودتهِ

هذه خلاصة مذهب ارهنيوس وما يُعلَّل بهِ من ظواهر الجو وحوادث الطبيعة وهو من ابدع المذاهب الحديثة واقربها الى التصديق

دلائل حسن التهذيب

وقفت في مجلة انكليزية تدعى "اديوكاشنل رفيو" على مقالة للاستاذ نيكولاس مرّي بتلر مدرس الفلسفة في كلية كولمبيا فاحببت ترجمتها ونشرها على صفحات المقتطف لما فيها من الفائدة لنا نحن ابناء المشرق وقد تصرفت في الترجمة تصرفًا ظاهرًا فحذفت واضفت على ما لاح لي من مقتضيات المقام — قال الكاتب

قام كومينيس الانكليزي منذ مئتين وخمسين سنة وطلب ان تنشأ مدرسة كلية في لندن يجتمع فيها رجال العلم من كل صوب ويؤَلفون كتابًا يضمنونهُ مجموع حكمة البشر وعلومهم على

اسلوب يلائم حاجات الناس في الحاضر والمستقبل . وكان مشروعهُ هذا جذَّابًا لاهل القرن السابع عشر ولا غرو فقد كان معتقدهم اذ ذاك ان العلوم ليست الأَ كمية من الحقائق او المحفوظات ينبغي على المتعلم استيعابها

ولا يزال هذا المعتقد شائعاً بين اهل هذا القرن الساعين وراء المفيد القاصدية من اقرب ابوابهِ . فكم من مرة يستدلُّ على تهذيب فلان بعدد ما يعرفهُ من اللغات او بتعدد العلوم التي تلقاها في المدرسة وبمقدار ما وعاهُ من الحقائق في ذاكرتهِ ثم يظهر بالاختبار ان مثل هذا الاستدلال باطل وان للتهذيب الحقيقي مظاهر اخرى ابعد مرمى وافضل عائدة

فما هو التهذيب إذَن هل هو ان يعرف الانسان احوال الطبيعة معرفة تامة منظمة فان كان كذلك فكل عالم من المتقدمين والمتأَخرين يكون في مصاف غير المهذبين . او التهذيب ان يكون للانسان ميل خاص للنظر في بدائع الفنون والآداب ويقضي ايامهُ بالتلذذ التصوري كأَنهُ في عالم الخيال لا الاعمال. فان كان كذلك فكثيرون من اهل العلم والعمل ممن قادوا افكار معاصريهم وشخَّصوا المبدأَ الكمالي في زمانهم واظهروا اسمى الصفات العقلية والادبية يعدون من جملة غير المهذبين

ومعلوم ان حشد المعارف يحدق بنا الآن من كل جهة ويذهلنا بوجوه اختلافاتهِ ومراميهِ وعلى كلٍّ ان يتنحى عن الكثير ويختار القليل. فما احرج الموقف وما اصعب الاختيار وما أكثر الذين لا يحسنون التروي فيعون من المعارف ما لا يجرُّون منهُ مغنماً ولا يدفعون بهِ مغرماً فكأَنهم يكتفون بقول الناس عنهم فلان عالم حافظ لا يفوتهُ شاذ ولا ضرب من تخريجات الكلام مع ان واحدهم لا يملك من حطام الدنيا شيئاً يذكر ولا يمكنهُ استخدام محفوظاتهِ التي ينافس بها مع رجال الزمان الطالبين الرزق من ابوابهِ الناحتين الخير من معادنهِ

وعليهِ فمبدأ التعلُّم لقصد حشد المعارف واعتبار كميتها بصرف النظر عن امكانِ استخدامها والانتفاع بها يسقط من نفسهِ ويكون من غايتنا التنقيب عن مبدإٍ آخر في وجهة أُخرى

والمتأَمل في حقائق الحياة المحلل ماجرياتها يرى ان المعارف والفواعل اجمالاً لا تردُ على وتيرة واحدة ولا تؤَثر في العقل تأْثيرًا واحدًا وهي سنَّة الله في خلقهِ بها تحفظ الموازنة بين افراد الهيئة الاجتماعية ويحصل التعاضد والتعاون وتقسيم الاعمال لاختلاف المبادىء والمشارب والافكار والمساعي والنيات

انظر الى آلة نفيسة ترَ ان اجزاءها لا يصح التبادل بينها لان ثمَّ حاجات ورغائب لا تسدُّ ولا تنال بانابة هذا الجزء عن ذاك. ومثل ذلك اوجه التمدُّن العلمية والادبية والفنية والنظامية

والدينية فمع انها تشتبك بعضها ببعض اشتباكاً وتظاهر كأنها غير مستقلة بعضها عن بعض فهي بالحقيقة مستقلة بمعنى انهُ لا يمكن لاحدها ان ينوب مناب الآخر او ان يقوم مقامهُ فينبغي ان يكون لكلٍّ من هذه الاوجه الخمسة علاقة ما في كل تعليم غايتهُ التهذيب . وهذا التعليم متى انتهى الى التثقيف لا تقاس كميتهُ بالناظرِ وتعبيرات علمية او ادبية او فنية او نظامية او دينية بل بما ينتجهُ من الصفات في عقل المدرَّب وسلوكهِ . والى هذه الصفات ينظر المستدل على حسن التهذيب لا الى ظواهر المعرفة ومقدار موعيات الذاكرة او محفوظات الذهن. وتوصلاً الى ذلك اذكر خمسة ادلة لحسن التهذيب

﴿ اولها اتقان استعمال اللغة الوطنية ﴾ . وهذا امر حديث في عالم التهذيب لان اللغات الاوربية الحديثة لم تُعتبر من وسائل التهذيب الاَّ بعدما انتقض حصر وسائط التعليم باللغة اللاتينية عند نهاية الاعصر المتوسطة ففي سنة ١٥٤٩ عضد جاك دي بلاَّي درس اللغة الافرنسية بتصريحهِ " انها ليست مفتقرة كما يظن الكثيرون " ووضع ملكستر بعدهُ بقليل كتاباً في التعليم اضطرَّ ان يبين فيهِ سبب وضعهِ في الانكليزية عوضاً عن اللاتينية — كأن التأليف ينبغي ان يظل محصوراً في اللاتينية

وهكذا كانت الحال في اللغة الالمانية وبقي اثرٌ منها ايضاً حتى قام الامبراطور الحالي وصرح لمجمع برلين المدرسي سنة ١٨٩٠ ان التدريس مفتقر الى اساس وطني وان اساس كل الدروس يجب ان يكون الالمانية كما انهُ يجب على المعلمين ان يمرنوا الصغار ويربوهم لينشأوا المانيين لا روماً ولا رومانًا وان الالمانية يلزم ان تكون المركز الذي يدور حولهُ كل فرع من فروع التعليم وان بروجرام مدارس الحكومة ينبغي ان ينقَّح تنقيحاً يجعل لدرس الالمانية وآدابها المحل الاول

هذا كلام امبراطور المانيا العظيم والالمانية على ما هي عليهِ من التقدم والاعتبار بين لغات اوربا فمن لنا نحن الناطقين بالضاد من حكامنا من ينهض ويصرح للمعلمين وارباب المدارس الاجنبية والوطنية برغبتهِ في تعزيز جانب العربية وانتشالها من حال ضعفها وجعلها لغة حية تنمو كاللغات الاوربية فيرغب في تحصيلها ابناؤها وغيرهم وتنتشر فيها التآليف العديدة المفيدة

وما دامت اللغة محصورة في كتب الادب شعراً ونثراً لا من يضع فيها المؤلفات العلمية والفنية والاجتماعية ويسير بها على مطالب العصر سوى ما تأتي بهِ بعض الجرائد والمجلات فايقن انها قريبة من شفا جرف هارٍ وزمان سقوطها ليس ببعيد

واذا كان اول دليل عند العالم الاوربي على حسن التهذيب جودة استعمال اللغة الوطنية فاين درجة شباننا وطلبة مدارسنا من التهذيب الحقيقي وكلهم قاصرٌ عن التعبير عن افكارهِ بلغتهِ

تعبيرًا تامًا مفهومًا فانهُ اذا اراد احدهم ان يذكر حادثة تاريخية او يشرح مسألة علمية او يصف منظرًا رائعًا تعذَّر عليهِ استعمال اللغة التي ينطق بها لانها غير فصيحة ولم يجد في محفوظاتهِ من الالفاظ والتراكيب ما يفي بالغرض المطلوب

واذا شاء احدهم ترجمة مقالة ما فانهُ يلاقي الامرَّين في التفتيش عن الفاظ واوضاع علمية لغوية تطابق المقصود اذ ليس لهُ ان يشتق صيغة جديدة لما يعرض امامهُ من الالفاظ العلمية الجديدة في اللغات الاوربية الحية او ان يسوق كلمة لغير معناها الحرفي المنقول عن سادتهِ العرب فكأَن القواعد وجدت قبل الالفاظ وكأَن الانكليزية مثلاً او الافرنسية انسب من العربية واقدر على اشتقاق الكلمات اوكأَن اللغة غير خاضعة لناموس النمو شان الصلد الامم اوكأَن في لغة العصور الخوالي ما يسد كل عوز في لغة العصر الحالي ويقوم بكل مطلب

فاليكم ايها اللغويون ارفع صوتي الضعيف واقول لا تضيقوا على الكتَّاب والطلبة الاحداث بكثرة انتقاداتكم ولا تسدوا باب التعريب بل تسامحوا في اوضاع الكلمات واقبلوا من المعرَّب ما كان سهلاً منسجمًا واعلموا ان مفردات اللغة واصطلاحاتها متى تداولتها اقلام الكتاب وتنازعتها عوامل الاستعمال عاش منها جانب وهلك جانب طبقًا لناموس بقاء الانسب المسلط على عالمي النبات والحيوان

اما الدليل الثاني على التهذيب الصحيح فهو حسن السلوك ❖ ألا ترى انهُ يستحيل على الشخص ان يكون حسن السلوك في كل زمان ومكان ما لم يكن مقتنعًا في نفسهِ بفضل هذا الخلق وجمالهِ. فحسن السلوك إِذَن مظهرٌ لما انطوت عليهِ النفس واستحسنهُ العقل فان كان مصنَّعًا فحكمهُ حكم غشاء خارجي يمزقهُ اقل مس لانانية صاحبهِ. ولا يكون الانسان حسن السلوك ما لم يكن في نفسهِ ترفُّع واحترام يقودانهِ الى احترام غيرهِ وخير محك لانسانية الشخص سلوكهُ مع من دونهُ لان سلوكهُ مع المساوين لهُ او مع مَن هم فوقهُ مكيَّف بأَغراض شتى يصعب معها معرفة الحقيقي من الملبَّس

ولكن معلومًا انهُ بقدر ما نظهر لاخواننا من الاحترام والمراعاة والتلطف يحكم علينا فيما اذا كان سلوكنا هذا عرَضًا مفارقًا او خلقًا ناشئًا عن حسن تربية مغروسًا في افكارنا مثمرًا في افعالنا. قال الفيلسوف كَنْت منذ قرن ونيف ان الانسان يحيا بنفسهِ لنفسهِ لا ليكون آلة تحركها ارادة هذا او اميال ذاك وعليهِ فاعمالهُ سواءٌ كانت مختصة بهِ وحدهُ او متعلقة بغيرهِ من الاحياء العاقلة ينبغي ان تعتبر صادرة من حي مطالَب لهُ من الحقوق الاجتماعية ما لغيرهِ . وبديهي ان حسن السلوك مبني على ادراك هذه الحقيقة وكل تهذيب يقصر عن غرس المبدإِ الادبي في

الانسان ولا يحمله على السلوك الحسن الناشيء عنهُ فهو حقير في ذاتهِ ناقص في مرماه

﴿ اما الدليل الثالث على حسن التهذيب فهو قوة التروي والتعوُّد عليهِ ﴾ . قال الكاتب كثيرًا ما عُيِّرنا نحن المحدثين وبالاخص الاميركيين باننا مغفلو ملكة التروي وخصائصها السامية وذلك ناشيءٌ عن اشغالنا الشاغلة ومناحينا المتعددة واعدامنا الابعاد والوقت بالبخار والكهربائية. نرى العالم باسرهِ قريبًا منا وماجرياتهُ ترد الينا بواسطة الجرائد اليومية فيطير فكرنا من منيلا الى بكين ومن بكين الى الترنسفال ومن الترنسفال الى هفانا. تمزقنا العواطف المتضاربة وتشغل افكارنا تصوُّرات شتَّى تتبع بعضها بعضًا بسرعة غريبة نقصر معها عن التروي في اية حقيقة كانت من الحقائق العظمى . هذا ما يوجههُ الينا المنتقدون وحقيق ما هو

قال سقراط ان الحياة بدون النظر الداخلي وفحص النفس لا تعتبر حياة — الحياة التي لا ترى علل ما جرى لها في الماضي ولا تعيِّن غاية لها في المستقبل — الحياة التي لا غرض لها ولا تدرك ما يمر بها باطنًا او ظاهرًا — هذه الحياة هي حياة حيوان لا حياة انسان . وهنا تظهر المقابلة بين العقل المهذب والعقل غير المهذب — لصاحب العقل المهذب فطانة وترو واعتبارات خاصة تحمله ابدًا على العمل في الحالات الجديدة التي ينشرها لديهِ سجلُّ الزمان مقتنعًا بصحة ما يعمل لا يقلع عنهُ الاَّ اذا ظهرت لديهِ ادلة اوضح واكمل تحملهُ على ذلك — لصاحب العقل المهذب اقيسة من الحقائق والحكمة والاختبار البشري يقيس بها كل امر جديد يطرأُ عليهِ وهذه الاقيسة لا تكتسب الاَّ بحسن التأمُّل والتروي . اما العقل غير المهذب فليس الاَّ فريسة لتخيلات الطيَّارة وضحية للتعاليم الملبَّسة

وما اصدق ما قالهُ رنان ان اول شرط لارتقاء العقل هو ان يكون لهُ حرية. وعنى بحرية العقل عتقهُ من سلطة مالا يُعقَل واطلاقهُ ليختار المعقول المطبَّق على المبادىء القويمة اذ لا بدَّ لكل رجل مهذب من جملة مبادىء يعتصم بها ويدرج تقدمهُ عليها . ولا مشاحة ان درس الفلسفة هو الذي يرقي قوة التروي في الانسان الى ان تصبح عادة بحكم الاعادة ومثل ذلك درس آداب اللغة والنظامات السياسية والعلوم الطبيعية من وجه فلسفي

واعلم انك متى اخذت تسأل "كيف" "ولماذا" فانت على طريق العلم والفلسفة وبداءة التروي. والرجل الحقيقي التهذيب يسأل هذين السؤالين على الدوام وتكون النتيجة انهُ يمارس التروي والتبصر في اقوالهِ وافعالهِ

﴿ اما الدليل الرابع على حسن التهذيب فهو قوة النمو ﴾ . من العقول ما يرقى الى درجة معينة ثم يتبلور تجازًا او يجمد ويأبى النمو فيما بعد فيعيش صاحبهُ وكأن عقلهُ في عالم الغيبوبة لا يعمل

من الاعمال الاَّ ما يبقيهِ حيث هو لا حركة ولا تقدُّم ولا قوة جديدة . ولا دافع على الدرس المتواصل والتعليم الذاتي اللذين هما ركنا التهذيب ومجلسا نموهِ

ولا مراء ان العقل النامي المرتقي مدى الحياة هو غاية في الجمال ومدعاة لاعجاب الناس . وهذا ما رفع المستر غلادستون الشهير الى مناصبهِ العديدة واحلَّهُ اخيرًا المكانة الاولى عند امتهِ وجعلهُ جذابًا للشبان محبي الرفعة والجاه وهو مثال ما يفعلهُ كل عقل مدرَّب يصاحبهُ سعة النظر ورحابة الصدر وعمق التروي وبعد المرمى اثمار التهذيب ومظاهر نموهِ

ثم انهُ من الضروري لهذا النمو ان يكون للانسان غرض عام لان التضييق العقلي والادبي يضاد النمو فهو والنمو في حرب مستمرة . ولا ينكر ان جانبًا من التهذيب الحالي هو غير التهذيب الصحيح لانهُ يجعل النمو صعبًا ان لم نقل مستحيلاً . وهذا ما يعترض بهِ على بعض مديري المدارس الاجنبية في بيروت وغيرها وهو انهم يسوقون تعاليمهم وذرائع تهذيبهم للطلبة في وجهة لا تفسح للعقل مجالاً للتروي ولا تعوّدهُ ارجاع المعلولات الى علاتها والاستفهام عن الغامض "بكيف" "ولماذا" بل هم يلقون مواد تعاليمهم في عقول الطلبة لنمو التعصب المذهبي عوضًا عن تربيتهم على التساهل واعتبار الناس كلهم اخوانًا في البشرية يتعاونون معًا في الحياة الدنيا على ترقية الهيئة الانسانية بخدمة بعضهم بعضًا . وعسى ان لا تطول هذه الحال بل يقوم من ابناء الشرق من يضرب على يد كل اجنبي يسعى في ازدياد انشقاقنا وتفرُّق كلمتنا بتشربنا حب التعصُّب والانقسام ويعضد كل من يعمل على تعميم التهذيب الحقيقي وانتشار التعليم القويم

ومن اعداء النمو ايضًا التفرغ الباكر في الحياة لعلم ما فانهُ يحدد مجال المعرفة والمصلحة ويقود الانسان الى التقصير عن ادراك نسبة مصلحتهِ الخاصة الى مصالح غيرهِ . قال الاسقف سبولدن في خطاب لهُ ان الحياة تجلس قوة يرتقي فيهِ الانسان الى درجة الادراك الذاتي ومنها الى درجة معرفة عالم الحق والنظام والمحبة حيث يبطل العمل الناشيء عن الغريزة المحضة ويتسلَّط العقل والضمير على افعال الانسان وتصرفاتهِ . ثم متى ترقَّى هذا التسلط تعمدًا واختيارًا فذلك هو التهذيب او التربية

❖ والدليل الخامس على حسن التهذيب هو المقدرة على العمل ❖ ولقد فات الزمان حينما كانت الغاية الكمالية من التهذيب الانسحاب من العالم ومتعابهِ للاعتزال والتعمق في التأَمُّلات والتخيلات الفارغة واليوم لا يعتبر الرجل حقيقي التهذيب ما لم ينتظم في سلك العمل ويبرهن عن درجة معارفهِ بتشغيل ذهنهِ ولسانهِ ويدهِ ويسعى في تحسين الهيئة التي تضمهُ ثم يترك العالم ارقى مما لقيهُ . فالعمل ثمرة العلم ودليل على حيوية التهذيب . اعمل يا من تدعي العلم وبسطة

المعرفة وسعة الاطلاع وكثرة المحفوظات اعمل اي عمل شئت على شرط ان تتقنهُ وتنفع بهِ . عبّر عما تعرفهُ بطريقة مفيدة ولا تحسّس العمل تحسّساً ولا تكتفِ بالمعارف الوجدانية ولا تتوانَ عن اظهار شيء منها للغير فتكون اشبه برجل على جانب نهر يحاول العبور الى الجانب الآخر وقوة الماء تصدهُ ويرى لديهِ من الاخشاب والادوات ما يستطيع بها صنع رمث يركبهُ ولكنهُ لا يمد لذلك يدًا ويقضي الايام حيث هو . والذي يعلم ان اميركا اكتشفت سنة ١٤٩٢ ويجهل الاحوال التي صاحبت ذلك الاكتشاف ولا يعرف علاقة هذا التاريخ بغيره ولا يدرك السبب في اهميتهِ واستعمالاتهِ فاكتشاف اميركا سنة ١٤٩٢ او سنة ١٢٩٤ عندهُ سيان

هذه الخصائص الخمس (اتقان اللغة الوطنية وحسن السلوك وعادة التروي وقوة النمو والمقدرة على العمل) هي ادلتي على حسن التهذيب وبها يعرف المهذبون وفي ساحتها يلتقي الطبيب باللغوي والطبيعي بالفيلسوف وكلٌّ يعرف ان صاحبهُ عالم مهذَّب مع ان وجوه معارفهم مختلفة ومواقف مراميهم متضاربة ولكنهم متحدون بالاخاء مرتبطون بربط الصفات التي نشأت في عقولهم مما تدربوا عليهِ من العلم والعمل

وليكن معلوماً ان بدون هذه الصفات لا يكون الرجل حقيقيَّ التهذيب ولو مهما اتسعت دائرة معارفهِ بل يكون اشبه شيء بمتحف الآثار المصرية يبدي بدائع الصنائع وهو ميت بذاتهِ . ولا شيءَ يرينا ويري الناس ايضاً اننا اكتشفنا السر في تحصيل التهذيب مثل هذه العادات والصفات التي تنشأ فينا ايام الدرس والتعلُّم وتقوى بمرور السنين واتساع الاختبار

بيروت المدرسة الكلية الاميركية بولس الخولي

مدرس العربية في القسم الاستعدادي

التحف والذخائر

لماذا يدفع هذا الرجل الف جنيه ثمن حجر من الماس يحلّي بهِ اصبعهُ او اصبع زوجتهِ وهو لو شاء لابتاع بهِ الف اردب من الحنطة كفتهُ وكفت زوجتهُ واولادهُ مئة عام . ولماذا يدفع ذاك الفي جنيه ثمن كتاب قديم وهو يُطبع كل يوم وتباع النسخة منهُ ببضعة غروش . ولماذا يدفع ذلك عشرة آلاف جنيه ثمن صورة باعها مصوّرها بمئة جنيه وهو يحسب انهُ جوزي على تصويرها احسن جزاء . ولماذا يدفع الغواة الف جنيه ثمن طابع البريد واصل ثمنهِ غرش او نصف غرش . لماذا هذه المغالاة بالاشياء النادرة مهما كان نوعها صوراً وتماثيل وحجارة كريمة

ومصوغات ومصنوعات وكتباً وطوابع بريد . الغرض الاول الامتياز فان الانسان يتوخّى الامتياز على غيره فاذا بلغ كفافهُ من حطام الدنيا وزاد عليهِ كثيرًا حاول انفاق بعض الزائد في ما يميزهُ على غيرهِ كالرتب والنياشين والحلى والجواهر والمصنوعات النادرة ونحو ذلك مما يعجز غيرهُ عن لحاقهِ فيهِ . وقد لحظ هذا بعض التجار من طلاَّب الكسب فصاروا يتّجرون بهذه الاشياء ويغالون في اثمانها تحيُّلاً حتى يكسبوا من الراغبين فيها . وارباب الثروة الواسعة لا يبالون بانفاق الالوف على ما يزيدهم امتيازًا على غيرهم

وقد اثرى بعض الناس من التنتيش عن التحف النادرة وبيعها للاغنياء باثمان فاحشة من ذلك صورة منسوبة الى المصور الانكليزي غاينسبرو يقال انها صورة جيورجينا دوقة دينشير فقد باعها بيت كرستي الذي يتجر بالصور بعشرة آلاف جنيه سنة ١٨٧٦ فدهش الناس من ذلك حينئذٍ لان هذا الثمن فوق ما كانوا ينتظرون ولم يكونوا قد سمعوا عن صورة بيعت بمثلهِ لكن المستر مورغان الغني الاميركي ابتاع هذه الصورة عينها في الصيف الماضي بثلاثين الف جنيه وابتاع صورة اخرى من تصوير رافائيل بمئة الف جنيه وعرض مئتي الف جنيه على عائلة بورغازي الايطالية ثمن صورة مشهورة من تصوير تشيان فلم تسمح لها حكومة ايطاليا ببيعها ثم اشترتها هي منها بمئة الف جنيه مع القصر الذي هي فيهِ

وهذه الصور كبيرة قد يرى في حجمها ما يشفع ولو قليلاً بغلاء ثمنها ولكن هذه الاثمان الفاحشة تباع بها احيانًا الصور الصغيرة ايضاً فقد اشترى بعض الفرنسويين صورة من لورد ددلي بخمسة وعشرين الف جنيه وهي صغيرة كراحتي اليدين طولها ١٧ سنتمترًا وعرضها كذلك ومزيتها الكبرى انها من تصوير رفائيل المصور المشهور ومن خيرة صورهِ . ومن الصور الصغيرة الثمينة صورة للمصور ميريس طولها ٤٣ سنتمترًا وعرضها ٣٥ بيعت باربعة آلاف ومئة جنيه . وصورة اخرى اكبر منها قليلاً بيعت في المزاد العلني ببلاد الانكليز في السنة الماضية باربعة عشر الفًا وخمسين جنيهاً وطولها اربعة اقدام وثلاث عقد وعرضها ثلاث اقدام وخمس عقد فبلغ ثمن العقدة المربعة منها سبعة جنيهات ومن الصورة التي قبلها سبعة عشر جنيهاً واربع شلنات ومن الصورة الاولى التي باعها لورد ددلي اكثر من خمس مئة جنيه

وقد ذكرنا غير مرة ان الحكومة الانكليزية دفعت ثمن صورة واحدة من تصوير رافائيل سبعين الف جنيه حتى يمتاز متحف الصور الانكليزي بها على غيرهِ من المتاحف وحتى يستفيد المصورون من رؤيتها فيهِ

وقد زاد ثمن الصور القديمة في هذه الاثناء زيادة فاحشة فان صورة من تصوير غاينسبرو

بيعت سنة ١٨٦٧ بثمانمئة واربعين جنيهاً بلغ ثمنها ٣٢٢٥ جنيهاً سنة ١٨٩٦ ولو عرضت الآن للبيع لبلغ ثمنها اكثر من ذلك كثيراً وقد يزيد الثمن في سنة واحدة مثال ذلك ان صورة بيعت سنة ١٨٩٥ بالف وتسعمائة وثلاثة وخمسين جنيهاً ثم بيعت في السنة التالية بالفين وثمانمائة وسبعة وثمانين جنيهاً

والمغالاة بطوابع البريد النادرة اغرب من المغالاة بالصور النادرة ولم يكن احد يهتم بجمعها منذ ثلاثين سنة غير اولاد المدارس اما الآن فصار لها جرائد خاصة وتجارة رابحة . باع رجل انكليزي بالامس طابعاً منها مما صُنع في جزيرة موريتيوس بالف جنيه لكن الذي باعهُ انفق على جلبهِ من موريتيوس نحو تسع مئة جنيه . وقد بيع طابعان من طوابع البريد من تلك الجزيرة بالفي جنيه حسبان انهما وحيدان لم يبقَ منهما غيرها وبيع طابع ثالث بالف وخمسين جنيهاً ولعلهُ اكبر ثمن لطابع واحد من طوابع البريد

وقد يبتاع الانسان تحفةً بثمن غير بخس ثم يجد انها تساوي اضعاف اضعافهِ مثال ذلك ان دوق مرلبرو ابتاع تمثالاً صغيراً باربع مئة جنيه ثم دُفع لهُ ستة آلاف جنيه فلم يبعهُ

ومما يغالَى بهِ ايضاً الاثاث القديم فقد اشترى بعضهم في العام الماضي خزانتين من طراز لويس الخامس عشر بخمسة عشر الف جنيه . وعند دوق ارجيل خزانة مزدوجة من هذا الطراز تساوي اكثر من تسعة آلاف جنيه . وبيع بالامس اربعة آنية خزفية بخمسة آلاف واربع مئة جنيه وشمعدانان صغيران بالف ومئتين وثلاثة وستين جنيهاً ولوح صغير عليهِ صورة البشارة وصورة لويس الثاني عشر والملكة حنَّة على جانبيها بالفي جنيه وهو مصنوع بين سنة ١٤٩٩ و١٥١٣ . وبيعت علاقة (مداليون) صغيرة عليها صورة تشارل غيز كردنال لورين مصنوعة بالمينا على النحاس سنة ١٥٧٤ بالفي جنيه وهي الآن في متحف سوث كنسنتون . وفي هذا المتحف صحفة ثمنها ١١٤٦ جنيهاً وابريق ثمنهُ ٩٩٢ جنيهاً وصندوق صغير ثمنهُ ١٠٠٠ جنيه . ومنذ بضعة اشهر اشترى بعضهم حجة قديمة بثمانية شلنات وظهر لدى البحث ان فيها امضاء غاي فوكس الذي قُتل شنقاً سنة ١٥٠٢ ولا يوجد الاَّ ورقة اخرى ممضاة بامضائهِ وقد قدِّر ثمن هذه الحجة الآن بعشرة آلاف جنيه من حيث هي ورقة ممضاة باسم رجل مشهور ولا يوجد الاَّ ورقة اخرى ممضاة باسمهِ

على هذا الاسلوب يحاول ارباب الثروة الامتياز على غيرهم بابتياع التحف النادرة المثال وتجاريهم دور التحف ومعارض العلم ولو رمت الى غرض آخر اسمى وابقى من الامتياز

البيان العربي والبيان الافرنجي

تمهيد

البيان حياة العلم بلا مراء واقصى ما تنضى اليهِ ركائب الادباء . وغاية ما تجدُّ وراءهُ طلبة الانشاء شعار الفصحاء والبلغاء وسمة مصاقع الخطباء . وحلية المجيد من الشعراء . اذا قيست اليهِ بقية علوم الادب كانت بين يديهِ كالخدم . وكان كالسيد العلَم . فهي باجمعها مسوقة لخدمتهِ مبتذلة في سبيلهِ . اذ ليس شيءٌ منها مقصوداً لذاتهِ بل كلها مقصودة من حيث تتأدَّى بطلابها اليهِ

اما فضلهُ عليها فمن جهة الموضوع والغرض المقصود. والعلوم كما لا يخفى انما تتفاضل بتفاضل مواضيعها وتتفاوت بتفاوت مباحثها . وتعظم بعظم مقاصدها . واما علوُّ مباحث البيان على مباحث سائر علوم الادب فيكاد يحاكي علوَّ الأطواد على البسائط . فاين مبحث الاعلال والادغام مثلاً من مبحث الفصل والوصل واين مبحث تصريف الفعل مع الضمير من مبحث الايجاز والاطناب والمساواة . واين مطالب افعال المقاربة من مطالب التشبيه والاستعارة والكناية واين مبحث الدخيل والمولَّد من مبحث الخروج عن مقتضى الظاهر . لكن تلك مما لاغنى للبيان عنهُ ولا سلامة لهُ بدونها فمنزلة اللغة والنحو من البيان منزلة الكليات الخمس من القول الشارح في انها وسيلة اليهِ وانهُ هو المقصود بالذات ولا سبيل الى تعريف شيءٍ حدًّا او رسمًا الا بها

هذا ولما كان البيان من علوّ الشأن بالموضع الذي اومأتُ اليهِ عنَّ لي ان اعارض بيان العرب ببيان الافرنج فان المعارضة خير ذريعة الى اظهار المحاسن وابداء المعايب ومعرفة الراجح من المرجوح والقوي من الضعيف. فاذا قال قائل مثلاً زيدٌ اطول من عمرٍو وقال آخر بل عمرٌو اطول من زيدٍ كان وجه الحكم ان يجتمع زيد وعمرو ويقف احدهما الى جنب الآخر فحينئذٍ يبدو للعين ايهما الاطول وايهما الاقصر ان لم يكن طولهما متساويًا لكن المعارضة تلك اشبه شيءٍ باجتياز ارض وعرة موحشة لم يمرَّ بها مارٌّ من قبل . ألا وهي بحث جديد لم أرَ فيهِ أثرًا لباحث فاتبعهُ ولا كلامًا لسابق فاستدل بهِ . فمثّل لعينك وحيدًا يسلك وعرًا مخيفًا تعلم ان ذلك ليس بالمطلب السهل المنال . بل هو من اجمح ما يحاول القلم تذليلهُ . يقتضي علمًا يتناول دقيقهُ وجليلهُ ودقة نظرٍ تبين صحيحهُ وعليلهُ . والأ ارتدَّ الهاجم عليهِ بخفي حنين . ولم القحمهُ ثقة باني ابن بجدتهِ والمضطلع بنسج بردتهِ بل شوقًا الى ما وراء الخوض فيهِ من الفائدة وتفكهة للعقول ببحث جديد ذي بال . وقد قسمت الكلام فيهِ الى مطلبين

وخاتمة الاول في ما اتفق فيهِ البيانان والثاني في ما اختلفا فيهِ والخاتمة في كتب البيان العربي

المطلب الاول في ما اتفق فيهِ البيانان

ربما تخال بادئ بدء ان بين هذين البابين اختلافاً بعيد الشقة شاسع المسافة لكن متى تصفحت كتبهما وانعمت النظر في مباحثهما تنقشع عن ذهنك غمامة ذلك الوهم ويظهر لك ان لافرق بينهما الاَّ من حيث اختلاف اللغة حتى تحسبهما شقيقين فرَّق الدهر بينهما طفلين فرُبي احدهما عند العرب والآخر عند الافرنج فنشأ وليس احد منهما يعرف لسان اخيهِ مع ما بينهما من اتحاد المولد وتشابه الطباع وتقارب الملامح

اول ما يتفق فيهِ البيانان ان كليهما يبحث في صور التراكيب من حيث تختلف بها وجوه المعاني وليس في كليهما بحث يتعلق بصحة التركيب وفسادهِ اصلاً بل قد تُرك ذلك كلهُ للنحو عند العرب والافرنج. والثاني ان اكثر الابواب في البيانين واحدة كالتشبيه والمجاز والكناية والتلميح والتكرار واختلاف الترتيب بين المعمولات والحذف وائتلاف اللفظ مع المعنى وائتلاف اللفظ مع اللفظ والطباق والايجاز والاطناب الى غير ذلك مما لا غرض لنا باستقرائهِ في هذا المقام . والثالث ان اصحاب البيانين يحرصون كل الحرص على ائتلاف اللفظ مع المعنى ويحذرون من الجمع بين الجزل والرقيق والجافي والسمح لما في ذلك من التنافر المخل بفصاحة العبارة ويوجبون ان يكون الكلم من وادٍ واحد اما رقيقاً كما في قول الشاعر

اذا ريح الصبا هبت اصيلاً شفت بهبوبها قلباً عليلاً

فالفاظ البيت كلها رقيقة رشيقة واما جزلاً كقول الاخطل في قصيدتهِ المشهورة في مدح عبد الملك بن مروان

فما الفرات اذ جاشت غواربهُ في حافتيهِ وفي اوساطهِ العُشَرُ
وزعزعتهُ رياح الصيف واضطربت فوق الجآجيء من آذيهِ غُدُرُ

والرابع ان الامعان في التصنع والتزويق مرفوض عند العرب والافرنج وقد صرَّح بذلك كلا الفريقين في غير موضع من كتبهم . ومن المعلوم عند اهل البيان ان لا اعتبار لشيء من المحسنات الاَّ بعد موافقة الكلام الفصيح لما يقتضيهِ الامر الواقع والاَّ كانت تلك المحسنات كتعليق الدرّ على اعناق الخنازير كما ورد في بعض كتب البيان العربي . وقد انشأ محاورة طويلة امير المنشئين عند الافرنج السيد فنلون في الانتقاد على من يتعمد النكات البديعية والمحسنات اللفظية وقد اشبع ذلك ذماً في رسالتهِ الى المجمع العلمي الفرنسوي الجليلة الفائدة الرفيعة القدر عند البلغاء والخطباء التي يستظهرها متعلمو الخطابة في اكثر المدارس الافرنجية.

والخامس ان البيانيين من العرب والاعاجم قد اجمعوا على ان مطالعة الخطب المهذبة والقصائد المحبرة ورسم اساليبها ومناهجها في الذاكرة اعون مع الممارسة على تحصيل ملكة البلاغة من دراسة القواعد فقط. وقد صرّح بهذا ضياء الدين بن الاثير في مثل السائر حيث قال اعلم ايها الناظر في كتابي ان مدار علم البيان على حاكم الذوق السليم الذي هو انفع من ذوق التعليم وهذا الكتاب وان كان فيما يلقيه اليك أُستاذاً . واذا سألت عما ينتفع به في فنه قيل هذا . فانّ الدربة والادمان اجدى عليك نفعاً واهدى بصراً وسمعاً . وهما يريانك الخبر عياناً . ويجعلان عسرك من القول امكاناً . وكل جارحة منك قلباً ولساناً . الى ان يقول " وما عليه ان يخلق لك قلباً فان حمل النصال غير مباشرة القتال ". وقال ابن خلدون في الفصل المترجم بعلم الادب " ان المقصود منهُ عند اهل اللسان ثمرتهُ وهي الاجادة في فني المنظوم والمنثور على اساليب العرب ومناحيهم فيجمعون لذلك من كلام العرب ما عساهُ تحصل به الملكة من شعر عالي الطبقة وسجع متساوٍ في الاجادة " الى ان يقول " والمقصود من ذلك كله ان لا يخفى على الناظر فيه شيء من كلام العرب وأساليبهم ومناحي بلاغتهم "

قلت من اراد تقريب المسافة على نفسه في اكتساب ملكة حسن التعبير فسبيلهُ ان يحتذي على أمثلة البلغاء حتى يرتسم لقوالب كلامهم صورٌ في ذاكرته فما يتقضى عليه في مزاولة ذلك الأ القليل حتى يرى على انشائه مسحة البلاغة. وقد اشار الى ذلك عبد الرحمان ابن عيسى الهمذاني في كتابه (الالفاظ الكتابية) حيث قال " لا غنى بالكاتب البليغ ولا الشاعر المفلق ولا الخطيب المصقع عن الاقتداء بالاولين والاقتباس من المتقدمين "

واعلم ان من اخذ نفسهُ بمعارضة الجيد من المنثور والمنظوم فان كان شهماً متوقد الفؤاد لا يلبث ان يعلو في النثر والنظم كعبهُ و يأخذ السبق في حلبة الرهان قلمهُ

والسابع ان العرب مثل الافرنج في تنزيل غير العاقل منزلة العاقل فتخاطبهُ وتنسب اليه ما ينسب للعاقل كما في قول الفارعة

ايا شجر الخابور مالك مورقاً ... كأنكَ لم تجزع على ابن طريف

وكقول المتنبي

واشجع مني كل يوم سلامتي ... وما ثبتت الأ وفي نفسها امرُ

وكقول الحسين بن مطير

أَلما على معنٍ وقولا لقبرهِ ... سقتكَ الغوادي مربعاً ثم مربعا

أيا قبر معن كيف واريتَ جودهُ ... وقد كان منهُ البرُّ والبحرُ مترعا

والثامن ان العرب والافرنج لا يعلّمون البيان الاّ بعد النحو فيتأخر الاول عن الثاني كما يتأخر تفصيل البرد عن نسجهِ

المطلب الثاني في ما يختلفان فيهِ

اوّل ما يختلفان فيهِ ان البيان مقسوم عند الافرنج الى قسمين احدهما علم البلاغة والآخر علم الخطابة والعرب قسموا البيان الى ثلاثة اقسام معان وبيان وبديع واطلقوا على الثلاثة علم البيان وعلى الاوّل والثاني علم البلاغة وجعلوا البديع بقسميهِ المعنوي واللفظي تحسيناً لا يعتبر الاّ بعد رعاية المطابقة المعتبرة في علم المعاني ورعاية وضوح الدلالة المعتبر في علم البيان والاّ كان مستهجناً مرذولاً . وفي عدهم البديع المعنوي كلهُ تحسيناً نظر وسنبحث في هذا بحثاً واسعاً

واما علم الخطابة فلم اعلم عربياً تصدّى للتأليف فيهِ ولذلك ترجم ابن رشد كتاباً في علم الخطابة لارسطوطاليس وقد طُبع في بعض مطابع اوربا العربية ونشرت المطبعة اليسوعية فصولاً منهُ في مجموعة نفيسةٍ موسومةٍ بمقالات علم الأدب . والثاني ان البيان الافرنجي يبحث في مصادر المعاني ومخارجها بحثاً واسعاً ويفتح الابواب لبسطها ويذكر طرقاً تهدي اليها . واما علماء البيان عندنا فلم يتعرَّض احد منهم لعقد فصول في هذا الصدد بل وكلوا بذلك جميعهِ الفطَر والاذواق والاحوال اعتباراً ان رسومهُ واحكامهُ مما تستأثر بتعليمهِ الغرائز وتستبد بتلقينهِ الفطر وتهدي اليهِ قوّة الحس وسلامة الذوق . والثالث ان البيان الافرنجي يذكر طرق تأليف الخطب وتقسيمها واما البيان العربي فلا يذكر في هذا الباب الاّ براعة الاستهلال وبراعة التخلص وبراعة الختام . لكن الشعراء اذا ارادوا المدح بدأُوا بالغزل او النسيب ومتى فرغ الشاعر من نسيبهِ يتخلص الى مدح من يريد مدحهُ فقد يتقدم بيت التخلص ابيات كثيرة كما وقع لحبيب في داليتهِ التي يمدح بها احمد بن دؤاد ومطلعها

ارأيت ايَّ سوالف وخدود عنَّت لنا بين اللوى فزرودِ

فمن هذا المطلع الى بيت التخلص وهو

هيهات منها روضةٌ محمودةٌ حتى تناخَ باحمدَ المحمودِ

ثلاثة عشر بيتاً فما أدري كيف تكون براعة الاستهلال دالة على ما قصدهُ الشاعر من المدح وهي نسيب او غزل . وقد انتقد على الشعراء هذه العادة بعض ولاة الامر منهم عمرو بن العلاء قال يخاطب جماعة من الشعراء قصدوهُ بقصائد مدحوهُ بها فلم يجز منهم الاّ ابا العتاهية "ان احدكم يريد مدحنا فينسب في قصيدتهِ بخمسين بيتاً فما يبلغ مدحنا حتى تذهب حلاوة شعرهِ وتعرى طلاوة رونقهِ وابو العتاهية بدأ بذكرنا وختم بمدحنا فكان المستوجب للجائزة

دونكم ". والرابع ان البيان الافرنجي مترجم عن البيان اللاتيني وهذا مأخوذ عن البيان اليوناني فهو بيان ثلاث أمم وبلاغة ثلاث لغات. ومن ثمَّ فلا يقتصرون في التمثيل لضروبهِ وانواعهِ على ما ورد في اللغة الافرنجية بل يمثلون لها بما يجدونهُ بليغاً في اي لغةٍ فكثيراً ما يأتون بأمثلة للطبقة العالية وغيرها من طبقات الكلام بفصول او آيات من اسفار العهدين و بفقرٍ او خطب من يونانيةٍ او لاتينية فيعدون من النمط العالي نبوَّة بلعام الواردة في سفر العدد ٢٣و٢٤ وتسبحة موسى قبيل وفاتهِ الواردة في سفر التثنية ٣٢ والنبوَّة بخراب اورشليم وانقضاء العالم المذكورة في انجيل متى ٢٤ كما يعدون من ذلك النمط ايضاً وصف هوميروس لمعارك الابطال وفيلبيات ديموستان وكاتيلينيات شيشرون وعظة الخطيب البليغ بوردالو اليسوعي في مبعث المسيح ويستنتج من صنيعهم هذا انهم في الحكم بالبلاغة ينظرون الى المعنى فوق ما ينظرون الى اللفظ

واما البيان العربيُّ فانما استنبطهُ فرسان البلاغة من النظر في كلام العرب الفصحاء ولم يرد في كتبهم مثال لنوع من انواعهِ مأخوذ عن كتاب اعجميّ وكل شواهدهِ من القرآن والشعر

هذا واذا تصفحت ما في العربية من كتب البيان وشروح الدواوين والبديعيات وكتب الأدب وضممت ما تفرق لهم في تضاعيف ذلك من التنبيهات الدقيقة المرشدة الى احكام صناعة الانشاء فلا يكون المطَّلع على البيان الافرنجي اوسع منك علماً بطرق الكتابة واساليبها ولكن ذلك مما لا تصل اليهِ الاَّ بعد الاعوام وهو عند الافرنج مذكور برمتهِ في اصغر كتب البيان فشتان ما حالنا وحالهم من هذه الجهة

الخاتمة في كتب البيان

ان كتب البيان العربيّ على جلالة مقام اصحابها و بلاغة عبارتها تحتاج الى ان يضم اليها فصول في ما يتعلق بمخارج المعاني ومصادرها و بطرق بسطها وتوسيعها وذلك لتظهر للطالب طرق الكتابة وتتبين لهُ اساليبها . ولا يخفى ما في ذلك من الاعانة ولا سيما لذوي القرائح الفاترة على سرعة التوصل الى الغرض المطلوب . واعلم ان بين الكتب المشار اليها من حيث الارشاد الى صناعة الانشاء تفاوتاً بعيد المسافة فالمثل السائر من هذا الوجه انفع من المفتاح ومن تلخيصهِ وان كان دونهُ من حيث نقاوة العبارة وكذا كتاب الصناعتين لابي هلال العسكري وحسن التوسل الى صناعة الترسل . وسأعقد في المفاضلة بين المطبوع من التآليف البيانية العربية فصولاً وافيةً اذ لا شيء أوفى فائدة للأدباء والمتأدبين ولا هدية انفع عند المنشئين من هذه الموازنات

بيروت سعيد الخوري الشرتوني



قد رأينا بعد الاختبار وجوب فتح هذا الباب ففتحناهُ ترغيباً في المعارف وانهاضاً للهمم وتشحيذاً للاذهان . ولكنَّ العهدة في ما يدرج فيهِ على اصحابهِ فنحن براء منهُ كلهِ . ولا ندرج ما خرج عن موضوع المقتطف ونراعي في الادراج وعدمهِ ما يأتي : (١) المناظر والنظير مشتقان من اصل واحد فمناظرك نظيرك (٢) انما الغرض من المناظرة التوصل الى الحقائق . فاذا كان كاشف اغلاط غيرهِ عظيماً كان المعترف باغلاطهِ اعظم (٣) خير الكلام ما قلَّ ودلَّ . فالمقالات الوافية مع الايجاز تستختار على المطوَّلة

السرقة والانتحال

حضرات منشئي المقتطف الاغر الاكرمين

بينما كنت امعن الطرف في رياض مقتطفكم الناضرة عثرت على مقالة في " الانتحال او سرقة الشعر والنثر " كلها سهام جارحات اندفع صاحبها بعد الانتقاد على احد الشعراء الافاضل للحط من كرامة شعراء العرب اجمعين اذ قال " لم ينفرد شعراء العرب في القول بتوارد الخواطر والاجماع عليهِ الاَّ ليسهلوا على المتشاعرين سبيل السرقة " . وهو قول غريب وتحامل عجيب على مثل امرىء القيس وطرفة بن العبد واوس بن حجر وكعب بن زهير والحطيئة وابن الاعرابي وغيرهم من شعراء العرب الذين دانت لهم نواصي القوافي وامتلكوا ازمة الكلام وورد عنهم التوارد الذي ينكر صحتهُ . ذلك ما حدا بي ان اقرر على صفحات مجلتكم حقائق مهمة ودرساً مفيداً فاقول :

يجول خاطر الكاتب في الموضوع فيرى ويتصور صفات هي حقيقة محضة كقولنا عن الماء سيال والقمر سيار او كذب محض كقولنا عن الماء صلب والقمر ثابت او مجاز فيصح احتمالهُ قريب الوقوع كالقول عن السماء قبة زرقاء وعن الشجاع اسد او بعيد التصور كالقول عن الصباح صوارم والليل جحافل او مجاز بعيد الاحتمال كالقول عن الجاني اسد مستبسل . ثم يأخذ بعنان القلم فيقيد تلك الصفات بالالفاظ المناسبة فيجيء الكلام وهو بهذا الاعتبار محض حقيقة او كذب او مجاز منهُ قريب الوقوع ومنهُ بعيد التصور ومنهُ بعيد الاحتمال . ولما كان لكل كاتب نسق خاص يجري عليهِ جاء الكلام اما مختلفاً واما متفقاً

اما الكلام المتفق فاما ان يكون اتفاقهُ لفظاً ومعنًى او معنًى فقط وذلك اما بقصد او بدونهِ . ومواقع اتفاق الكلام لغير قصد هي اولاً تقرير حقيقة لا يعدل عن لفظها ومعناها نحو

ستة واربعة عشر او حقيقة لا يعدل عن معناها كما اتفق لعبد الله بن شرف القيرواني وابن رشيق الارذي بحضرة المعز بن باديس وقد اقترح عليهما نظم قطعتين في صفة الموز فقال الاول

يا حبذا الموز واسعادهُ من قبل ان يمضغهُ الماضغُ
لانَّ الى ان لا مجسَّ لهُ فالفم ملآن بهِ فارغُ
فانهُ لي مأكل طيبٌ وانهُ لي مشربٌ سائغُ

وقال الثاني

موز سريعٌ اكلهُ من قبل مضغ الماضغِ
مأكلة لآكل ومشربٌ لسائغِ
فالفم من لين بهِ ملآن مثل فارغِ

وكما اتفق للقاضي الاعز بن ابي الحسن وابن ظافر في وصف دولاب قال الاول

حبذا ساعة المجرَّة والدو لاب يهدي الى النفوس المسرَّه
فلك دائرٌ يرينا نجوماً كل نجم منها يرينا المجرَّه

وقال الآخر

حكى فلكاً تدور بهِ نجوم تؤثر في سرائرنا مسرَّه
يظل النجم يغرب بعد نجم ويطلع بعد ما تجري المجرَّه

وامثال التوارد من هذا القبيل كثيرة لا يمكن لحضرة المنتقد انكارها على اصحابها. ولو اقترحنا على حضرتهِ النظم في وصف الموز او الدولاب لما فاتهُ معاني تلك الابيات . ومن هذا القبيل اتفاق الشاعر المشهور الشيخ نجيب الحداد وشاعرنا المجيد في صفات القمر الظاهرة لكل ذي عينين وليس من العجيب اتفاق الشاعرين على هذا المعنى او اتفاق الوف من الشعراء بل من المستحيل ان يأتي شاعر على صفات هذا المخلوق البديع ولا يقول انهُ سيَّار يدور حول الارض لا يفارقها تمرُّ بهِ الغيوم فتغطيهِ ثم تنقشع فيظهر وكانهُ آهلٌ بالسكان والمخلوقات الحية الخ من الصفات التي لو صحت نسبة السرقة لمن وصف القمر بها لما سلم منها الأ الاعمى الاصم ولو اردنا ان نفتش عن اول من قال معنى البيت

لنا في كل شهر منك هلٌّ تعرَّف ما تهلُّ بهِ الشهورُ

لعدنا الى ظلمات التاريخ وربما اوصلتنا الى ابينا آدم

ويتفق الكلام اذا كان مجازاً لتصوُّر قرب الوقوع كما جاء في قولي ابن المنجم وابن قلاقس قال الاول

قلت لما دنت لمغربها الشمس ولاح الهلال للنظارِ
اقرض الشرق صنوهُ الغرب دينا راً فاعطاهُ الرهن نصف سوارِ

وقال الآخر

لا تظن الظلام قد اخذ الشمس　　واعطى النهار هذا الهلالا
انما الشرق اقرض الغرب دينا　　راً فاعطاهُ رهنةً خلخالا

فتشبيه الشمس بالدينار والهلال بالخلخال ونصف السوار تصوُّر قريب الوقوع لا ينكر اتفاق شاعرين عليهِ الاَّ من اغلقت دون افكارهِ ابواب التصور لذلك قلما تحسب المواردة في المواقع المذكورة ضرباً من ضروب البديع والعبرة اذا توافق الكلام المجازي مع تصور بعيد الوقوع كما اتفق لابن الاعرابي وحطيئة حيث قالا

مفيد ومتلاف اذا ما اتيتهُ　　تهلل واهتزَّ اهتزاز المهنَّدِ

ونظاير قول امرء القيس وطرفة بن العبد في معلقتيهما قال الاول

وقوفاً بها صحبي عليَّ مطيهم　　يقولون لا تهلك اسًى وتجملِ

وخالفهُ الآخر بان قال في قافيتهِ وتجلدِ

ولما كانت امثال هذه التصورات البعيدة الوقوع معرضة للشك في مواردتها وانتحال اصحابها اشرط ان يكون الشاعران من مقام واحد في التصور والكتابة ولهذا اخطأ من ينسب السرقة الى عمرو بن معدي كرب في قولهِ

اكيشة لو شهدتِ يبطن جب　　وقد لاقى المزبر اخاك عمرا
تظن لبيس ان الليث مثلي　　واقوى همة واشد صبرا
لقد خابت ظنون ليس فيهِ　　واضحى البر خالي منهُ صفرا

وان هذه الاقوال مأخوذة من قول بشر بن عفوان

افاطم لو شهدتِ ببطن خبت　　وقد لاقى المزبر اخاك بشرا

الخ بالنص الواحد . ومما يجدر ذكرهُ ان القصيدة التي انتقدها حضرة المنتقد خالية من كل تصور بعيد يحتمل الشك في مواردتهِ ولولا ذلك لما تجرأ صاحبها على اثباتها على صفحات الرئيس

اما موافقة الكلام المقصود في اللفظ والمعنى او المعنى فقط فتكون من المحسنات اذا جاءت لتضمين واستشهاد ولا بد من الاشارة حينئذٍ عند فقد القرينة . وقد تكون جائزة متى صار المعنى مطروقاً نظير قول اسعدنا

لولا تحدّث عن جهنم زفرتي　　لروت دموعي حادث الطوفان

فهو مأخوذ من قولهِ

ولولا دموعي احرقتني زفرتي　　ولولا زفيري اغرقتني دمعتي

وقد تكون لغير علة سوى الترفع لمقام شاعر آخر فيسمى سرقة او انتحالاً

هذا ما رأيت اثباتهُ عن موافقة الكلام ومواقعهِ الممكنة وضروب البديع المتنوعة فيها

بيروت جبران لبُّس

(المقتطف) ويلي ذلك كلام لا محل لهُ هنا لان غرض صاحب المقالة السابقة تقبيح الانتحال من حيث هو لا الغض من كرامة كاتب بعينهِ والأصحّ ان يقال عن كل كاتب ما قالهُ السيد المسيح لتلامذتهِ من كان منكم بلا خطيئة فليرمها اولاً بحجر. وحبذا لو وضع حضرة الكاتب يدهُ في يد حضرة المنتقد وتضافرا على تقبيح الانتحال من حيث انهُ اعتداء على ما للغير فان من ينظم بيتاً نظم مثلهُ شاعر قبلهُ لا يضرُّ احداً غير نفسهِ اذا فعل ذلك متعمداً السرقة بانحطاط مقامهِ بين الشعراء واما من يأخذ مقالة انشأتها في موضوع ادبي او علمي او صناعي ويدعيها كما فعل بعض الذين جمعوا كتباً من مجلات غيرهم واتجروا بها فهو لصٌّ لانهُ قصد ان يغتني على نفقة غيرهِ

نظر في الانانيَّة

حضرة صاحبي المقتطف الاكرمين

بينما انا اراجع اعداد المقتطف لسنة ١٩٠٠ سررت جدًّا بمقالة صديقي العزيز فارس افندي الخوري "الغيرية" وكذلك سؤَال خليل افندي ثابت وجوابكم لهُ من جهة مخادعة الانسان الحيوان الخ . ولقد عجبت من فرط اللذة العقلية وسموها ولا ريب عندي في انهُ لو ذاقها المتهافتون على الشهوات البدنية لفضلوا الاقلاع عنها الى هذه

ولما كنتم احوط من غيركم علماً باهمية هذه المواضيع تجرأت ولو بقليل اهلية للمثول لديكم ولدى القراء الكرام بهذه السطور

واوَّل شيء اثبتهُ في هذه الرسالة هو استحساني هذا المبدأ في رسالة صديقي الغيرية "ان الفرد غاية نظام الحضارة" وأؤكد ان هذا هو الاساس الصحيح الوحيد في فلسفة العمران لان الهيئة مع سموها وفرط اهميتها لم توجد الا لمصلحة الفرد

ثم ابسط استحساني لهذا المبدإ السبنسري وهو "ان الانانية هي الناموس الاساسي الوحيد الكامن في الطبع البشري" وان شئت فقل الطبع الحيواني لان الناموس العامل في الاثنين هو واحد من هذا القبيل . ولقد انطبقت شواهد الكاتب كل الانطباق على المبادىء الاساسية التي بنى عليها . لاننا نرى مجاري الامور في الصناعة والزراعة والسياسة وغيرها متجهة

بالاستقامة نحو الفردية اما رأساً او بالواسطة لان المنافع العمومية متوزعة على الافراد

على اني رأيت في جوابكم وفي مقالة العزيز فارس افندي موقع نظر وهو الفرق بين الحاصل والمطلوب كما اني رأيت في اعتراض خليل افندي وجوابكم مشاكلة بين الحاصل والواجب

اما قول حضرتكم في ان الايثار ناموس طبيعي . فهو محط نظري . لان الناموس الوحيد الذي يسوس الطبع الحيواني هو حب الذات — الانانية — اما الايثار فهو حاصل غير مقصود بالذات وقد قادت اليهِ الانانية وذلك يتضح من نفس الاساس الذي بنيتم حكمكم عليهِ بقولكم " وفي ما ترونهُ من ايثار الام طفلها عليها سواءٌ كان في الانسان او في العجماوات دليل على ان الايثار ناموس طبيعي " واني افند ذلك من قولكم "طفلها" ان الام تؤْثر طفلها على نفسها . فالايثار واقع ليس على الطفل بل على "ها" من طفلها والضمير راجع اليها . والا فهل يفضل الرجل والمرأة طفل الغير عليهما . لا لا — . فكلام سبنسر اوفى بالغرض من كلامكما اذ قال " ان الغيرية كانت من فجر الحياة لازمة كالانانية والانانية متوقفة عليها كما هي متوقفة على الانانية " فمها قلبت هذا الكلام لا يخرج عن حدود الحكمة والضبط . فان الحيوان نفساني وهو وكل ما فيهِ يدور على حب الذات . وان تبادل المصالح بين افراد النوع انما يدور على محور الذات . فان الحائك لا يعطي الزارع نسيجهُ الا طمعاً بالحبوب التي يضطر اليها لقوام حياتهِ . وقس على ذلك كل المصالح المتبادلة

فلا نقدر ان نثبت الغيرية هنا بان القصاب يفضل غيرهُ على نفسهِ بانهُ يبيعهُ اللحم . لان الانانية قادتهُ الى ذلك . كذلك ايثار الوالدين طفلهما على انفسهما انما هو من باب حب الذات والخلاصة اننا مهما بحثنا في امور الحيوان لا نجد ناموساً يديرهُ الا حب الذات الانانية . وقد اشترك معكما فارس افندي في مقالة الغيرية في هذا المبدإِ اذ خلط بين الحاصل والمطلوب بقولهِ في صفحة ٦٠٥ " ان كل فرد يدفع من قوتهِ جزءًا غير يسير لاجل اقامة النسل اولاً في التوليد " . والمتأمل قليلاً يرى ان التوليد حاصل بفعل الحيوان ولكنهُ غير مقصود منهُ اساسياً . لان عمل الحيوان منساق بدافع اللذة وهو ينفق قسماً من قوتهِ لا حباً بالتوليد بل حبًّا بقضاء شهوتهِ . ولم يكن يعلم ان ذلك يؤدي الى التوليد الا بعد حصولهِ . وهب انهُ عرف ذلك وقصدهُ فهو لا يزال منقاداً اليهِ بالانانية لانهُ يعلم ان التوليد يعود عليهِ بالخير . وهذا عندي من الدلائل على وجود عقل يسوس الطبيعة وهو واحد من ادلة كثيرة اراها واضحة وضوح الصبح لذي عينين وذلك العقل الازلي قرن المنافع بالملذات لاجل حصولها .

فترى الحيوان منساقاً الى الاعمال بدافع الانانية ونتيجة عمله دوام العمران والنظام . فانحب الذات قاد الى انتظام العائلات المدنية وذلك لاجل انتظام العمران . ألا ترى النحل يلامس الازهار رغبةً في حلاوتها ولكنهُ بذلك ينقل اللقاح من ذكور الازهار الى اناثها . افنقدر ان نقول بفضل النحل وغيريتهِ حباً بتوليد الازهار . وعلى هذا النحو ارى عمل التوليد في كل انواع الحيوان ومن جملتها الانسان فتوليدهُ لا يبرهن غيريتهُ على الاطلاق بل كل شيء فيهِ حتى التدين محصور في انانيتهِ . ولقد احسن صاحب الغيرية واي احسان بتوجيههِ الخطاب في صفحة ٥٠٧ وما يليها الى النقطة المركزية في دائرة البحث وهي الفضيلة العملية وقد جمع القواعد العملية في الصفحة ٥١٠ بقولهِ "على الفرد ان يكون (١) قواماً بالقسط (٢) داعياً الى العدل والاستقامة . وعندي ان هذا هو الانسان كلهُ

على انهُ اتسع المجال هنا لخليل افندي ثابت في اعتراضهِ وجوهرهُ اذا كانت الانانية الناموس الوحيد في الطبع الحيواني واذا جاز للانسان مخادعة الحيوان والنبات فلماذا لا يجوز لهُ مخادعة الانسان وقتلهُ في سبيل انانيتهِ . قال ذلك استناداً على ناموس التنازع وبقاء الانسب . ويلوح للمطالع ان ذلك من المشاكل . قال " فاذا صحَّ ما تقدم كان الانسان غير مخيَّر في اكتفاء مطامعهِ وشهواتهِ " وقد أيَّد ذلك في الصفحة ٥٠٩ " ان الانسان غير ممتاز في عين الطبيعة عن الحيوان " وهذا لا ريب فيهِ

ومقياسهُ هو هكذا ١ً الانسان حيوان ٢ً الناموس العام الانانية ٣ً النتيجة انهُ يجوز للانسان مخادعة غيرهِ . وارى ان القسم الاغلب جارٍ في سلوكهِ اليومي على هذا القياس وسبب هذا السقوط هو خلط الحاصل بالواجب . كما خُلِط فيما سبق بين الحاصل والمطلوب . اما ناموس التنازع فحاصلهُ كما استنتج المعترض بدون ريب . ومتى صار ناموس التنازع اساس الآداب لا ارى مانعاً من مخادعتنا غيرنا من البشر . ولكن المسألة ادبية لا طبيعية . والآداب لا تبنى على نواميس الطبيعة لان الطبيعة قد سفلت بالشوق الى ما يخرج بها عن دائرة المصلحة الشخصية . ألا ترى ان السكير والزاني يضران بنفسيهما انقياداً للشهوة وقد صحَّ فيهما قول افلاطون اذا ادبرت الحكمة خدمت العقول الشهوات . " نعم ان الانسان غير مخيَّر " كما قال خليل افندي ولكن ذلك من قبيل الواقع لا من قبيل النافع . وما احسن القول ان الجاهل عدو نفسهِ . اما سؤال حضرتهِ فهو ايُّ انفع لبقاء الانسب . والحاصل ان في الطبيعة نقصاً ادبياً يجعل اختياراتنا محصورة في دائرة الانانية

ان الانسان بسبب فسادهِ استعبد للذة ولكن طبيعة العمران لم تشاركهُ في ذلك السقوط

فلا تزال مؤسسة على الحق . وهذا من مؤيدات قولي بوجود عقل يسوس الطبيعة . فلا تزال الفضيلة انفع من الرذيلة مع ان الثانية اكثر دوراناً في الحياة البشرية

فالاستناد على ناموس التنازع في الادبيات هو في غير محلهِ . لان الطبيعيات موضوع سافل خالٍ من الغاية وهي محصورة "في الواقع" فالطبيعيات ترينا ما هو جارٍ لا ما هو واجب اذ لا غاية في سيرها . فالكواكب تجري في افلاكها مقسورة . وكذا المد والجزر والظواهر الجوية والجذب والدفع وتعاقب الفصول وكذلك ازهار الربيع ومعاة الاغنام وتغريد الاطيار والمزاوجة وكل الاعمال الحيوانية الطبيعية . أما الآداب فمبنية على ما هو اسمى من ذلك مبنية على الغاية وضابطها الواجب . وقد يكون الواجب عسر الوصول اليهِ لكنهُ لا يزال اساس الالتزام . وجواباً لسؤال خليل افندي يقال

ان العقل الذي يسوس الطبيعة عيَّن لكل نوع من المخلوقات غاية ينتهي القصد منهُ بحصولها . فغاية نبات الربيع تتم بحصولهِ وعندئذٍ لاجرم اذا جززناهُ وغاية الاطيار والاسماك والحيوان خدمة الانسان وبخدمتها تتم الغاية بوجودها فيستخدم الحمار والحصان والكلب في حاجاتهِ بحياتها كما يستخدم الطير والخروف والسمك في حاجاتهِ بذبحها . ولكن هل غاية الانسان كذلك . أيوجد صف من الناس خلق لاجل غيرهِ . كلاَّ . فلا يجوز للانسان ان يخادع الانسان بل ان يساعدهُ ويرفق بهِ . نعم اذا تخلَّف احد الافراد باخلاق الحية او الذئب فقد خرج عن دائرة الانسانية فوجب اعدامهُ صيانةً لمصلحة الافراد . وليس كذلك المسابقة في الصنائع . أما ناموس التنازع فغايتهُ بقاء الانسب . ولكن لو جعلناهُ اساساً في الادبيات آل الى انقراض الجنس او شقاوتهِ . لانهُ متى ساغ لكلٍّ مخادعة اخيهِ انتفت الامنية وانفرط عقد الاجتماع واندثرت آثار الآداب وتلاشي النوع . ولو كان التنازع العامل الوحيد في البشر لكانت هذه النتيجة هي الحاصل الوحيد . لكن العقل الذي يسوس الطبيعة لهُ مفاعيل اجمالية وفي سير الطبيعة المعوج لاتخرج عن احكام ذلك العقل . وفي نهاية الحوادث البشرية يظهر كمال ذلك العقل

الخلاصة

١ً الانانية هي الناموس الوحيد في الطبع ٢ً الغيرية ضرورية لاجل حفظ الانانية . ٣ً ناموس البقاء يظهر ما هو واقع . ٤ً الآداب مبنية على ما هو واجب ٥ً ذلك الواجب انفع لبقاء الانسب ٦ً هذا عمل الغاية النظام

(المقتطف) وردت الينا هذه الرسالة في العام الماضي بغير امضاء وربما كان فيها

ورقة أخرى ممضاة ضاعت منها فاخذنا نبحث عن كاتبها لكي ننشرها تحت اسمهِ وكتبنا الى جهات مختلفة نسأل عنهُ فلم نهتدِ اليهِ فرأينا ان ننشرها هنا حرصاً على ما فيها وعسى ان يطلع كاتبها عليها وعلى هذه السطور فيكرم علينا باسمهِ فننوه بهِ في جزء تالٍ . اما الآراء الفلسفية الواردة فيها فسنعود اليها في فرصة اخرى وحسبنا الآن ان نقول ان ما اعترض عليهِ من قولنا وقول صاحب الغيرية هو للفيلسوف هربرت سبنسر نفسهِ

عائشة الباعونية

حضرات الادباء الافاضل اصحاب المقطم والمقتطف الاغر

بعد تقديم واجبات الاحترام واهدائكم اعطر التحية وازكى السلام بينما نحن نبحث بمكتبتنا عن سفر نفيس اذ عثرنا على كتاب عنوانهُ مفتاح الفرج في مدح عالي الدرج فاخذنا نطالع فيهِ ونقلب صفحاتهِ حتى وجدنا ابياتاً من الشعر الرقيق المسجع منسوبة لمن تدعى عائشة الباعونية وفيها نظن انها كانت تزاحم شعراء عصرها المجيدين في فن القريض مثل المتنبي والبحتري وابي تمام وغيرهم فمن قولها في البديعيات الشعرية كالطباق :

هانَ السهاد غراماً فيهِ اقلقني شوقي وعزَّ الكرى وجداً فلم انمِ

وكالتصدير نحو :

لم يا عذولي وشاهد حسنهم فاذا شاهدتهُ واستطعتَ اللوم بعدُ لم

وكالقلب نحو :

ابن انل عرفن فرّع لنا نبأً من الملام وحشيهِ بوصفهم

وكقولها واستوطنوا السر مني وهو منزلهم ولا افوه بهِ يوماً لغيرهم

وكل بيت من هذه الابيات يشهد بطول باعها وسعة اطلاعها ومبلغ تقدمها في فن الادب ولها ابيات اخرى متينة النظم رقيقة الالفاظ خالية من التنافر والتعقيد وكل ما يخل بفصاحة شعرها وبليغ قريضها

ولما كان الشعر نفثة روحانية تمتزج باجزاء النفوس ولا تشعر بهِ غير النفوس الزكية اختارت الحقيقة بيتاً من الشعر لتشرق منهُ على الكون بانوارها الباهرة رأينا في شعر الفاضلة عائشة الباعونية تلك النفثة الروحانية وشاهدنا الحقيقة تشرق من ابياتها والمحاسن البديعية تنجلي في منظوماتها ولا بد انها ضارعت فحول معاصريها من الشعراء الذين تحلى بهم جيد القريض واخرجوهُ من ظلمات الخفاء الى انوار الظهور لذلك اطلنا البحث في الكتب التي عندنا

فلم نعثر على تاريخ حياتها بل غاية ما وقفنا عليه هو عهد منظوماتها وبما اننا نعهد فيكم سعة الاطلاع اتيناكم بهذه السطور راجين افادتنا عن تاريخ هذه الفاضلة وهل لها مؤلفات مطبوعة او بديعيات مدونة في غير الكتاب الذي عندنا ولا بأس من نشر هذه العبارة برمتها في مقتطفكم الاغر لعلنا نجد من يدلنا على تاريخ ضالتنا المنشودة وفي الختام تفضلوا بقبول فائق احتراماتي الودية

سليم صادق

بكفر كلا الباب

(المقتطف) جاء في دائرة المعارف انها "بنت يوسف بن احمد بن نصر الباعوني . اديبة فاضلة وكاتبة عاقلة توفيت في القرن العاشر للهجرة وكانت من نوابغ زمانها علماً وادباً حتى لقد فضلوها بين المولَّدين على الخنساء بين الجاهليين ووصفها عبد الغني النابلسي وغيره من العلماء فاطروا علمها وادبها . حضرت الفقه والنحو والعروض على جملة من مشايخ عصرها مثل جمال الحق اسمعيل الحوراني واخذ عنها كثير من العلماء . وقد الفت وصنفت نظماً ونثراً الا انها كانت اميل الى النظم منهُ الى النثر ومن تآليفها مولد جليل للنبي (صلعم) ولها ديوان شعر بديع في المدائح النبوية ولها نظم كثير غيره فمن ذلك قولها في الغزل

كانما الخال تحت القرط في عنق بدا لنا في محيا جل من خلقا

نجم غدا بعمود الصبح مستتراً خلف الثريا قبيل الشمس فاحترقا

وانما معظم شهرتها ببديعيتها المشهورة التي سارت بذكرها الركبان ولها عليها شرح بديع سمتهُ بالفتح المبين في مدح الامين نظمتها على منوال بديعية تقي الدين بن حجة مع عدم تسمية النوع الا قليلاً حفظاً لانسجام النظم . وقد شرحتها ايضاً بشرح آخر مختصر . والبديعية المذكورة في ١٢٨ بيتاً مطلعها :

في حسن مطلع اقماري بذي سلمِ اصبحت في زمرة العشاق كالعلمِ

وختامها :

مدحت مجدك والاخلاص ملتزمي فيهِ وحسن امتداحي فيهِ مختتمي "

ونقلت لها صاحبة الدر المنثور قولها في جسر الشريعة لما بناهُ الملك الظاهر برقوق وهو

بنى سلطاننا برقوق جسراً باسر والانام لهُ مطيعه

مجازاً في الحقيقة للبرايا وامراً بالمرور على الشريعه

وقد قالت الدائرة انها توفيت في القرن العاشر وجرت على ذلك صاحبة الدر المنثور لكن البيتين المتقدمين يدلان على انها كانت في عهد السلطان برقوق وكان الملك الظاهر برقوق

في القرن الثامن وتوفي في العام الاول من القرن التاسع ولم تطل مدة ولديهِ الأ اذا كانت قد نظمتهما بعد عهدهِ بمئة عام

باب تدبير المنزل

قد فتحنا هذا الباب لكي ندرج فيهِ كل ما يهم اهل البيت معرفتهُ من تربية الاولاد وتدبير الطعام واللباس والشراب والمسكن والزينة ونحو ذلك مما يعود بالنفع على كل عائلة

الطفل لدى الولادة

ترى في احصاء الوفيات فرقاً كبيرًا بين المدن الشرقية والغربية فبينما يكون متوسط الوفيات في القاهرة مثلاً ثلاثين او اربعين في الالف سنويًّا يكون في لندن وباريس نحو عشرين في الالف . بل ترى فرقاً كبيرًا في المدن الشرقية بين احياء الوطنيين والاجانب ففي احياء الوطنيين يكون متوسط الوفيات ثلاثين او اربعين او اكثر واما في احياء الاجانب فيكون عشرين او خمساً وعشرين في الالف واذا دققت النظر وجدت ان الزيادة ليس في من يموتون شباناً وكهولاً بل في من يموتون اطفالاً ولولا زيادة المواليد بين الوطنيين عليها بين الاجانب لما كنا نرى عدد السكان في ازدياد كما هو الآن

وكثرة وفيات الاطفال ناتج بعضها عن كثرة من يولد منهم لان كثرتهم في بيوت الفقراء تقلل حيل الوالدين في الاعتناء بهم وبعضها عن جهل طرق العناية والوقاية من الامراض . وقد تألفت جمعية من السيدات الانكليزيات سعت في تاليف كراريس صغيرة ونشرها بثمن بخس تعلّم النساء بها كيف يعتنين باطفالهنَّ وبيوتهنَّ وبانفسهنَّ . وادرجت في احداها النصائح التالية للوالدات من حيث الاعتناء باطفال وهي

(١) يجب ان لا يعرَّض الطفل للبرد حينما يولد بل يلفّ بلفائف دافئة حتى لا يشعر جسمهُ باختلاف كثير بين حرارة المكان الذي كان فيهِ والمكان الذي خرج اليهِ

(٢) يفرك بقليل من السمن النقي او الشحم النقي في ابطيهِ وحقويهِ وطيات جلدهِ تسهيلاً لنزع المادة الجبنية التي يولد وجسمهُ مغطًّى بها كثيرًا او قليلاً

(٣) يغسل بعد ذلك بالماء الفاتر وقليل من الصابون النقي . ويجب ان يسرع في غسلهِ

ما امكن حتى لا يبرد جسمهُ وان يكون ذلك في غرفة مقفلة الكوى حتى لا يتعرَّض لمجرى الهواء وتغسل عيناه جيدًا من العماص وكل ما يلصق بهما قبل غسل بدنهِ ومتى غسل بدنهُ يحترس لئلاَّ يدخل الماء الذي غُسل بهِ بدنهُ في عينيهِ . والاسفنجة او الخرقة التي يغسل بها مرةً لا يغسل بها مرةً اخرى الاَّ بعد تنظيفها وتجفيفها

(٤) يحسن بالمرأة ان تغسل طفلها بعد ذلك مرتين كل يوم مرةً في الصباح ومرةً في المساء بماء فاتر حرارتهُ كحرارة جسمهِ تضعهُ في اناء الماء وتفركهُ بخرقة ناعمة جدًّا بعد ان ترغي عليها قليلاً من الصابون الجيد ثم تنشفهُ بمنشفة ناعمة وتفرك بدنهُ بها جيدًا حتى تدب الحرارة فيهِ

(٥) لا بدَّ من تقميط الطفل حينما يولد بقماط من الصوف الناعم يلف حول بطنهِ حتى يحفظ حبل سرتهِ في مكانهِ الى ان ينقطع ويجب ان تكون حافات القماط ذات هدب ليّن لئلاَّ تجرح جلد الطفل

(٦) من العادات الضارة ان يضغط على يافوخ الطفل وان يعصر ثدياه حتى يخرج اللبن منهما فيجب الابتعاد عنهما كليهما

(٧) اذا ظهر تسميط في الطفل اي شيء من التقرُّح في فخذيهِ او تحت ابطيهِ او بين طيات لحمهِ يذر على مكان التسميط قليل من النشا الناعم جدًّا اي يوضع هذا النشا في خرقة رقيقة ناعمة حتى ينخل النشا منها ويضرب بها مكان التسميط فينخل النشا عليها ناعمًا

مكتب الزوجة

يقرأُ هذا الباب كثيرات من السيدات اللواتي بيوتهنَّ كبيرة ولربة البيت منهنَّ غرفة للنامة وغرفة بجانبها تجلس فيها وتستقبل صديقاتها وفي هذه الغرفة تضع مكتبها حيث تكتب مكاتيبها واوراقها والغالب ان تضع فوق المكتب خزانة صغيرة للكتب التي تقرأُها ويكون فيهِ ادراج لمكاتيبها والنقود التي توفرها من مصروف بيتها ولكن ما كلُّ ربة بيت من قارئات المقتطف يكون لها غرفة استقبال خاصة فتضطر ان تضع مكتبًا صغيرًا في الغرفة التي تنام فيها ولو في زاوية منها . والطاولة البسيطة تفي بذلك بشرط ان تدهن دهانًا مناسبًا . ويحسن ان تسترها من الاسفل بستارين على جانبي كرسيها تضع داخلهما ما لا تريد اظهارهُ كالاحذية ونحوها

متى رأى الاولاد امهم تقرأُ وتكتب منذ طوليتهم شبوا راغبين في القراءة والكتابة والعلم والتهذيب ونمت فيهم هذه الرغبة بتقدمهم في السن

خلع الثياب

سمعنا امرأة تمدح ابنها وتقول انهُ على غاية الترتيب لانهُ يخلع ثيابهُ في المساء ويطويها ويضعها بعضها فوق بعض . والمدح في محلهِ من حيث الترتيب ولكنهُ ليس في محلهِ من حيث الصحة ولو عرفت امهُ ان ترك الثياب منشورة مدة الليل خير للصحة من طيها ووضعها بعضها فوق بعض لعلمتهُ ذلك وكان يفعل امرًا آخر مفيدًا وربما في وقت واحد وهو ان ينشر ثيابهُ على كرسي امام شباك مفتوح ويقلب الجواب وينشرها على كرسي آخر حتى يحركها الهواء الليل كلهُ فانهُ يزيل ما فيها من الغازات ويطهرها على نوع ما . واذا خلعت المراة ثياب السهرة او الزيارة وجب عليها ان لا تعلقها في خزانتها حالاً بل ان تنشرها على كرسي ساعة او ساعتين الى ان يجف عرقها عنها وتزول الغازات منها بتخلل الهواء النقي لها ثم تعلقها في خزانتها .

غسل شعر الرأس

اذا كان الماء قاسيًا لا يرغي فيهِ الصابون بسهولة تضاف اليهِ ملعقة من البورق ويغسل الشعر بهِ وبالصابون ثم يغسل بالماء وحدهُ مرارًا حتى يزول منهُ كل اثر للصابون وينشف بمناشف كثيرة ويترك مسدولاً على الظهر ساعة او ساعتين حتى يجف واذا كان غزيرًا وعسر تنشيفهُ يلف بنشفة كبيرة حتى يصير بها كالعامة على الراس ولا يحسن غسل شعر الراس والنوم قبلما يجف ولا يحسن ايضًا جدل الشعر او عقصهُ وهو رطب لئلاَّ يعفن

قصاص الاطفال

لا تزال العادة المتبعة عندنا ان يقاص الاولاد بالضرب وكل حكيم منا يقول لا تمنع العصا عن ابنك لكن العلم والاختبار يدلاَّن على ان الضرب بالعصا مضر وتحصل الفائدة المطلوبة من القصاص الذي لا يضرُّ الطفل وهو ان تتغاضى عنهُ وتتظاهر بانك لم ترهُ او لم تلتفت اليهِ حينما يذنب بل تتركهُ الى فرصة اخرى وتذكر لهُ ذنبهُ وتبين لهُ ضررهُ واذا كان لا بدَّ من قصاصهِ فقاصهُ بمنعهِ من اكل الحلوى مثلاً مرةً ما او من اللعب في ساعة معينة

الاعتناء بالشعر

الشعر آية الجمال ولا تلام المرأة اذا اعتنت بشعرها بل تلام اذا اهملت الاعتناء بهِ . ومن اول طرق الاعتناء غسل الراس بالماء الفاتر او البارد قليلاً مرةً او مرتين في الاسبوع ثم

تنشيفهُ بنشفة كبيرة ويحسن ان يدهن مرةً او مرتين في الاسبوع بالسوائل التي توصف لتقوية الشعر

ولا بدَّ من ان يكون المشط كامل الاسنان صقيلها والاَّ قطَّع الشعر تقطيعاً او اقتلعهُ من اصلهِ وكذلك يجب ان تكون فرشاة الشعر ناعمة لينة لا تعلق بهِ ولا تقتلعهُ

زيت الزيتون النقي المطيب بمادة عطرية من اجود ما يكون لتقوية الشعر فيفرك الراس بقليل منهُ مرةً في الاسبوع اي يفرك الشعر وجلد الراس جيدًا ويزال الزائد منهُ بفركهِ بنشفة. واذا كان الشعر كثير الجفاف فلا بأْس بفركهِ بالزيت مرتين او ثلاثًا في الاسبوع

اذا ارادت المرأَة ان يبقى شعرها غزيرًا وجب عليها ان تقص رأْسهُ ولا تدعهُ يطول كثيرًا لانهُ اذا طال عن وسطها فالغالب انهُ يضعف ويسقط بعضهُ فيخف. وهذه الاحكام كلها تصدق على شعر اللحية والشاربين كما تصدق على شعر الراس

الصلع الباكر

يظهر الصلع احيانًا في صغار السن فيجب ان تفحص فروة الراس ببلورة كبيرة مما يكبّر صور الاجسام فاذا ظهر ان الوبر موجود في جلدة الراس تعالج بالعلاج التالي وهو اوقية من الذرّاح واربعون اوقية من السبيرتو واوقية من زهر الكبريت وثماني اواقٍ من الغليسرين يوضع قليل من هذا المزيج على جلدة الراس حيث ظهر الصلع وتفرك بهِ جيدًا ويترك عليها ولا بدَّ قبل وضعهِ عليها من غسلها بماءٍ حارٍ وتنشيفها جيدًا ومتى ابتدأَ الشعر ينمو يدهن بالدهان التالي بدل الدهان الاول وهو مركب من ٣/١ اوقية من ماء الامونيا و ١٠ اواقٍ من السبيرتو وربع اوقية من زهر الكبريت ونصف اوقية من الذراح واوقيتين من الغليسرين و ٤/١ اوقية من فصفات الجير ونصف اوقية من صبغة السنكونا. واذا ظهر ان هذا الدهان يهيج جلدة الراس كثيرًا يضاف اليهِ مقدارهُ من الماء والغليسرين

تسكير الاثمار

انتقِ الاثمار الجيدة من الكمثرى ونحوهِ واسلقها قليلاً في ماءٍ نقي وضعها في شراب ثخين جدًّا واتركها فيهِ يومين ثم صفِّ الشراب عنها فتجدهُ قد سال كثيرًا بعد ان كان كثيفًا فاغلهِ حتى يكثف واعد الاثمار اليهِ وسخنها فيهِ واتركها اربعة ايام وهي فيهِ وكرّر تسخين الشراب وردّ الاثمار اليهِ حتى لا يعود يسيل فانزع الاثمار منهُ وجففها في الشمس او فوق نار خفيفة جدًّا ويحسن ان تذر عليها سكرًا ناعمًا حتى يسرع جفافها ثم توضع في العلب المعدَّة لها فيتبلور السكر عليها بعد ذلك

باب التقريظ والانتقاد

فيصل التفرقة بين الاسلام والزندقة

لحجة الاسلام ابي حامد الغزالي

نشكر لحضرة الفاضل مصطفى افندي القباني سعيهُ في طبعهِ الكتب القديمة ونشرها . ولكن ما كل الكتب مما يحسن نشره في هذا العصر الذي تراعى فيهِ حرمة الاديان ويكتفى باقل الضررين . ويظهر لنا ان هذا الكتاب مما يحسن العدول عن نشرهِ والاَّ فحذف بعض فصولهِ او فقراتهِ قبل نشرهِ كقولهِ في الصفحة ١٩ وما يليها " ان اليهودي والنصراني كافران وكذا البرهمي والدهري وان الكفر حكم شرعي معناهُ اباحة الدم والحكم بالخلود في النار " فان الحكم بان اليهود والنصارى والبراهمة والدهريين كفرة دمهم مباح ليس مما ترضى حكومة اسلامية بنشرهِ في هذا العصر ولا هو مما لا بدَّ من نشرهِ في هذا الكتاب بل هو مما يمكن الاستغناء عنهُ فيهِ وتبقى فصول الكتاب على حالها من حيث سوق الادلَّة والنتائج

الانصاف

للامام ابي محمد عبد الله البطليوسي وقد اعتنى بتصحيحهِ وشرح اياتهِ وضبط كلماتهِ اللغوية حضرة الفاضل احمد افندي عمر المحمصاني الازهري

قال المصحح في ترجمة المؤلف انهُ كان اماماً في علوم اللغة والادب سكن مدينة بلنسية من جزيرة الاندلس وكان حسن التعليم جيد التفهيم ولهُ نظم حسن ومولدهُ سنة ٤٤٤ بمدينة بطليوس ومن مؤلفاتهِ كتاب المثلث وكتاب الاقتضاب في شرح ادب الكتَّاب لابن قتيبة . وكتاب شرح الموطإ وشرح ديوان المتنبي وكتاب الانصاف هذا

وموضوع هذا الكتاب كما قال المؤلف اسباب الخلاف الواقع بين الامَّة حتى صار من فقهائها المالكي والشافعي والحنفي والاوزاعي ومن ذوي مقالاتهم الجبري والقدري والمشبه والجهمي ومن شيعتهم الزيدي والرافضي والسبئي . ثم قال ان الخلاف عرَضَ من ثمانية اوجه الاول اشتراك الالفاظ والمعاني والثاني الحقيقة والمجاز والثالث الافراد والتركيب والرابع الخصوص والعموم والخامس الرواية والنقل والسادس الاجتهاد في ما لا نصَّ فيهِ والسابع الناسخ والمنسوخ

والثامن الاباحة والتوسُّع . ثم فصَّل هذه الاوجه تفصيلاً مسهباً الاَّ الاخيرين فانهُ لم يفصلهما كما فصَّل سائر الابواب بل ادمجهما في صفحة واحدة

الجراد والنمل الابيض والبعوض

LOCUSTS, WHITE ANTS & MOSQUITOS.

مقالات نشرتها حكومة السودان باللغة الانكليزية بعد ان انتدبت من بحث بحثاً دقيقاً عن هذه الحشرات في بلادها فذكرت فيها طبائع كلٍّ منها والوسائل الفعَّالة لاهلاكها. ومما يفيد ذكرهُ من الوسائل المستعملة لاهلاك الجراد المرض الفطري الذي اشرنا اليهِ غير مرة في صفحات المقتطف وقد نجح استعمالهُ في استراليا وهاك الطريقة التي يستعمل بها هناك "يربى هذا الفطر في المعمل البيولوجي على الجلاتين ويرسل الى العمال في انابيب صغيرة من انابيب الكشف . ويغلي العامل ماء يملأ كاساً ويتركهُ حتى يفتر ثم يمزجهُ بالفطر الذي في انبوب الكشف ويضيف اليهِ ملعقة صغيرة من السكَّر وقطعاً صغاراً من الفلين بعد ان يضعها في ماء غالٍ . ويغطي الكاس ويتركها ٢٤ ساعة فيتولَّد مادة غروية على قطع الفلين . ويمسك بعض الجراد الحي بشبكة ويدهنهُ بما في الكاس ويتركهُ حتى يطير وينشر العدوى بين بقية الجراد . وقد وجد في استراليا ان الكاس الواحدة تكفي لتلطيخ الف جرادة بجراثيم العدوى فلا بدَّ من انها تعدي الوفاً والوف الوف من الجراد

مرشد مأموري الضبطية القضائية

في ضبط الوقائع الجنائية

وضع هذا الكتاب حضرة الفاضل محمد افندي صبري عضو النيابة بمحكمة الزقازيق وقال في مقدمتهِ انهُ لما رأى رجال الضبطية القضائية وعمد البلاد يعهد اليهم بتحقيق بعض القضايا الجنائية ولم يرَ في ايديهم كتاباً في كيفية التحقيق يستعينون بارشادهِ ويهتدون بمنارهِ الى السلوك في هذه الطرق المتعبة والسبل الملتوية وضع لهم هذا الكتاب المختصر القريب التناول . جمعهُ من بعض الشروح الفرنسوية واضاف الى ذلك بعض الوقائع الجنائية وما لا بدَّ منهُ من قانون العقوبات

والكتاب حسن التبويب واضح البيان لا غنى لمأموري الضبطيَّة القضائية عنهُ فنشكر لحضرة مؤلفهِ شكراً جزيلاً

الواسطة ورفع الملام

للامام ابن تيميّة المتوفى سنة ٧٢٨ هجرية. ذكر المؤلف في الكتاب الاول اي الواسطة بين الخلق والحق مسألة قال فيها ان رجلين تناظرا فقال احدهما لا بدَّ لنا من واسطة بيننا وبين الله فانَّا لا نقدر ان نصل اليهِ بغير ذلك ثم وضع هذه الرسالة في الجواب عنها وخلاصة جوابهِ انهُ اذا اريد بالواسطة تبليغ امر الله الى العباد فذلك حق . واذا اريد بالواسطة انهُ لا بدَّ من واسطة في جلب المنافع ودفع المضار مثل ان يكون واسطة في رزق العباد ونصرهم وهداهم يسألونهُ ذلك ويرجون اليهِ فهذا من اعظم الشرك الذي كفَّر الله بهِ المشركين . واثبت هاتين القضيتين بآيات كثيرة واحاديث عديدة وحسب الحلف بغير الله شركاً لقول الرسول "مَن حلف بغير الله فقد اشرك"

الآن من يقرأُ الكتاب الثاني الموسوم برفع الملام عن الائمة الاعلام يحسب ان مؤلفاً اخر الَّف هذا للدفاع عن الذين يحللون بعض الاحكام الشرعية كامتناع الانبياء وزيارة اضرحتهم لان الفاعل لذلك اما مجتهد او مقلد وكلاهما خارج عن العقوبة. ولكنهُ اذا اتمَّ الكتاب الثاني وجد ان المؤلف يحتم باتباع الكتاب كلهِ والسنة كلها

المصوَّر

المصور اول جريدة عربية ظهرت بصور ملونة ولو طبعت صورها في هذا القطر لحقَّ لنا ان نفاخر بها اكثر الجرائد المصورة في المسكونة لكن صورها تطبع على الورق في باريس على ما يظهر ثم يرسل الورق الى مصر لتطبع الجريدة عليهِ . هذا من حيث صورها اما موضوعها فسياسي ادبي وقال حضرة منشئها ان مذهبهُ في السياسة ان لا يميل مع غاية ولا ينطق عن هوًى بل يقول الحق في كل حال وقدَّم على ذلك قولهُ " ان صعود فرنسا في سلَّم القوَّة والنفوذ يعادل نزول انكلترا في هذه السلَّم نفسها" واتبعهُ بقولهِ "ولكن ما تنعل بالانكليز والشغل دينهم والكسب عبادتهم" تفسيرًا لقولهِ ان مدام كولمان الانكليزية اشترت الفتاتين الهنديتين الملتصقتين واتت بهما الى اوربا " ولسوء حظهما ان هواء اوربا والصفة التي كانتا تعيشان فيها تحت ولاية تلك السيدة الانكليزية كانا عكس ما يلزم لمزاجهما "

ولو سألت الانكليز كيف ملكتم ما ملكتم من المسكونة لاجابوك اننا ملكنا اكثرهُ باغراء الناسِ سكانهُ ببغضنا وايغار صدورهم علينا حتى يستحكم الجفاء بينهم وبيننا ونلجأُ الى القوة. وطبع المصور متقن مثل صورهِ ولغتهُ فصيحة وهو مدبج بقلم منشئهِ الاديب خليل افندي زينيه

التربية

هو خلاصة من نفثات ادباء الفرنسيس لخصهُ الى العربية الاديب الفاضل الياس افندي مارون مدلج وفيهِ كلام موجز في كثير من المباحث العلمية والادبية كالهضم والنوم والعقل وفي اخره فصل صحي كبير الفائدة لحضرة الدكتور امين افندي الجميل · وفوائد الكتاب كثيرة وحبذا لو ترك حضرة معربهِ الكلمات اللغوية كقولهِ في الكلام على الاعتناء بالاسنان "انك ان رضخت باسنانك الجوز و اللوز اوغير ذلك من نوى الاثمار اوهشمتَ الخبز هتمت ميناء اسنانك ومتى انكسرت فانك لتهمم عبثاً جمع اشتاتها وجبر صدعها" · وقد فسَّر هذه الكلمات في الحاشية ولكن استعمال المألوف اولى في الكتب التي يراد بها تعميم الفوائد

الابريز

في لغتي العرب والانكليز

هو ترجمان لتعلّم اللغة الانكليزية يمتاز على اكثر التراجمة المشهورة بان كلماتهِ الانكليزية مكتوبة بحروف عربية ايضاً · يبتدئ بفصول المفردات وينتهي بمذاكرات ومحاورات وقد طبع في المطبعة الادبية في بيروت على نفقة نخله افندي قلفاط وسليم افندي مبداني وهو يباع في الاسكندرية عند الخواجه جرجي غرزوزي وثمنهُ ثلاثة فرنكات

التأسيس في المقاييس

مجموعة مفيدة في المقاييس والموازين المستعملة في القطر المصري الفها حضرة ابرهيم افندي رحمي مدرس الرياضيات بمدرسة قويسنا التابعة لجمعيَّة المساعي المشكورة ووضع فيها قواعد بسيطة للتحويل ومسائل كثيرة للتمرين فنثني على همتهِ ونتمنَّى ان ينتفع الطلبة بها

الدروس العروضية

كتاب وجيز في فن العروض الفهُ حضرة الاديب مصطفى بن محمد سليم الغلاييني البيروتي. وضعهُ على طريقة السؤَال والجواب وألحق كل درس منهُ بمسائل كثيرة لتمرين الطلبة وعلق عليهِ حواشي لايضاح الغامض وشرح المبهم والتوسع في ما لا داعي للتوسع فيهِ في المتن فنثني على حضرتهِ ونتمنى لكتابهِ الانتشار التام

حاضر المصريين

او سر تأخرهم

يرد علينا كل شهر كتب مختلفة لننتقدها او لنقرظها وقلّما نجد فيها كتاباً الّفهُ صاحبهُ تأليفاً اوصنَّفهُ تصنيفاً مثل هذا الكتاب فقد عانى مؤلفه الاديب محمد افندي عمر اشد المشاق في جمعهِ وتحبيرهِ لكن هذه المزية الظاهرة لا تذكر في جنب مزية اخرى تحل هذا الكتاب في المحل الاول بين الكتب المؤلفة في العربية والمترجمة اليها فانهُ يبحث في اهم المواضيع الاجتماعية عند ابناء هذا القطر اي في سر تأخرهم . والغرض من هذا البحث اظهار العيوب كما يراها المؤلف وتقبيحها حتى يقلع الناس عنها ويداويها الفضلاء بما يرون لها من الدواء. فهو خادم امين لامتهِ لم يضن في خدمتها بتعب ولم يدخر وسعاً . وطالما رأيناه في غضون السنتين الماضيتين يسأل ويبحث ويفتش وينقب ويقترح ويستعين ويستوضح ويسترشد الى ان تيسَّر لهُ جمع ثلثمئة صفحة مشحونة بحقائق تنقبض لها النفوس وتتفطر منها المرائر ولكنها لا تخلو من بوارق الامل ودلائل الرجاء وقدَّم لها مقدمة وجيزة خلاصتها الإخلاص قال فيها

"وضعت كتابي هذا على مثال كتاب (سرّ تقدم الانكليز السكسونيين) المعرب بقلم سعادة العالم القانوني الفاضل احمد فتحي زغلول بك رئيس محكمة مصر الابتدائية الاهلية . ولكنهُ مع الاسف يشرح سرّ تأخر المصريين لا تقدمهم. وغاية ما أودّ ممن يطالع هذا الكتاب ان لا ينظر اليهِ بعين الاستغراب لِما حواهُ من كشف المخبآت ورفع الستار عن المعايب التي في جسم الامة وتؤدي بها الى الهلاك بل ارجوهُ ان يكون على ثقة باني ما كشفت ذاك الستار الّا حبًّا بأُمتي وشفقةً عليها لا شماتة. علّنا اذا عُرِف الداء سارعنا الى اخذ الدواء قبل استفحال الخطب فنندم حين لا ينفع الندم

اذا انت لم تخبر طبيبك بالذي يسوءك أبعدتَ الدواء عن السقمِ

اردت بجمع هذه الادواء التي تضرُّ بصحة امتي ان احث البقية الصالحة من الامة فتهب من غفلتها وتلم شعثها وترأب صدعها وتسد خللها وتبحث عن دواء نافع وبلسم شافٍ تداوي تلك الادواء التي اثقلتنا ونحن عنها غافلون . هذا ما قصدت وانما الاعمال بالنيات ولكل امرىءٍ ما نوى "

وقسم مباحث الكتاب الى ثلاثة اقسام الاوّل الكلام على اغنياء الامّة والثاني الكلام على اواسطها والثالث الكلام على فقرائها . فتكلَّم في القسم الاول على إسراف الاغنياء في

اعراسهم واهمالهم تربية اولادهم واستغراق هؤلاء الاولاد في الدَّين والاسراف واضاعتهم ما ورثوهُ من آبائهم وخراب بيوت الاغنياء بسبب ذلك . وقد ابان في هذا الفصل انهُ خرب في غضون السنوات الخمس الماضية من بيوت الاغنياء ١٠٠ بيت في القاهرة و٤٢ بيتاً في الاسكندرية و١٤٥ بيتاً في الوجه البحري و٧٦ بيتاً في الوجه القبلي والجملة ٣٦٣ . ومن قرأ الفصل المعقود للكلام على سلوك ابناء الاغنياء بعد موت آبائهم لم يعجب من خراب بيوتهم. والكلام على هذه الادواء تظهر عليهِ صفة الاخلاص التام وهو مشفوع دائماً بالكلام على العلاج المناسب لها

والكلام على القسم الثاني اطول واكثر فصولاً لان الامم باواسطها وقد تكلم فيهِ على الجامع الازهر والازهريين كلاماً مسهباً لا يخلو من التقريع كلامَ مَن يشعر بالم فلا يسعهُ الاَّ الشكوى منهُ والتذمُّر . وانتقل من الكلام عليهِ الى الكلام على العلماء والمحاكم الشرعية والمدارس والجمعيات والاستخدام والمعايش المختلفة كالتجارة والصناعة والزراعة والكتابة واطال في الكلام على الجرائد والكتب والمدارس وبيَّن ما فيها كلها من الحسنات والسيآت وعاد الى الكلام على الاسراف واحسن في تسميتهِ بميزانية الهدم في الامَّة وقال فيهِ انهُ كان للوطنيين في القاهرة ١٦٦١ مكاناً من اماكن الملاهي كالخمامير والقهاوي وذلك قبل سنة ١٨٩١ وكان للاوربيين حينئذٍ ٧٥٥ مكاناً ثم حدث بعد ذلك ٥٠٥٠ مكاناً للوطنيين و١٩٨٩ للاجانب فصار مجموع الملاهي من قهاوي وخمارات ٩٤٧٥ في القاهرة وحدها فاذا فرضنا ان كل مكان منها يبيع بنصف جنيه لا غير يومياً فهي تبيع في السنة بمليون وسبعماية وثلاثين الف جنيه ثم لو فرضنا ان عدد سائر الحانات والقهاوي في جميع القطر كعددها في القاهرة فقط يكون مقدار ما يُصرف في القهاوي والحانات على الخمر والرقص وما اشبه ثلاثة ملايين واربعماية وستين الف جنيه . ثم لو زدنا على هذا ما ينفقهُ الشبان الجهلاء الذين يرثون من المال ما لا يحصى مقدارهُ ويبذرونهُ في اماكن المقامرة المستورة وغير المستورة لضوعف المبلغ ولما اثبت ذلك قال " اي مصري عاقل لا يتفطر قلبهُ اسىً على امَّة هذا مبلغ حالتها في التبذير واي انسان لا يتحسَّر على مالٍ ينفق بلا نفع ادبي يعود على البلاد وتربية ابنائها وكيف يؤمَّل حفظ كيان امَّة بغير الثروة وهي حياة الممالك او يؤمل لها مستقبل حسن وغاية شبانها وكهولها التبذير والاسراف "

والقسم الثالث في فقراء الامَّة فتكلم فيهِ على زواجهم وعيشتهم الزوجية واهمالهم اولادهم والحرف التي يحترفونها واوهامهم وادمانهم للمسكرات والحشيش وكثرة الجنون الناتجة عن الحشيش والمسكرات وكيفية معالجة مرضاهم وما ينفقون على مآتمهم من النفقات الطائلة والاوقاف

الاسلامية الموقوفة عليهم وفيها خاتمة الكتاب

ولا يسع المنصف الاَّ الاعجاب بهمَّة هذا الشاب الذي استهدف لسهام الانتقاد والتعنيف لكي يبين ما يراهُ عيباً في امتهِ وبلادهِ ويظهر مواقع الضعف والمرض باجلي بيان حتى يتعهدها فضلاء الامَّة بالعلاج الشافي

وقد وقف حضرة الاصولي الفاضل احمد فتحي بك زغلول رئيس محكمة مصر الاهلية الابتدائية على هذا الكتاب فقدَّم لهُ مقدمة بليغة اجاد فيها وافاد قال

"تصفحت هذا المؤلف الجديد فاذا هو قد الَمَّ بالمطلوب ووفى البحث حقهُ فتكلم عن اخلاق الطبقات الثلاث التي تتأَلف منها امتنا المصرية وعن عاداتها وحالها في كل مجتمعاتها بما ابان العلة وشخص الداء وارجع جميع الادواء الى اصول الاخلاق وبرهن على ان العمل انما هو الموصل الى السعادة

"الحق احق بالاتباع والضرر انما هو في تمويه الحقيقة بما يسمونهُ تسترًا والنصح ان كان مرًّا ربما حلت عاقبتهُ وحمدت غايتهُ على انهُ ان كانت النصيحة بالتي هي احسن فلا يضيع فيها الصدق بالاخبار عن الواقعيات وقد يكون الواقع اشد ما يكون سماعهُ على النفوس فلابد اذن من أن يتحرى الناصح الحق ويبين العيب ويدعو الى التنصل منهُ والتنحي عنهُ ولا بد من ان البذرة تنبت متى وُضعت في ارض صالحة واستكملت الشروط وكل النفوس صالحة لتلقي النصيحة ولا ينقصها الاَّ ان يكون زارعها مستجمعاً لشروط القبول ومتى صلحت النية فكل عمل صدر عن صاحبها فهو وان كان صعباً يكون مقبولاً

"كان يسرني كثيرًا ان انتقد على هذا الكتاب في موضوعهِ فاقول ان هذا العيب الذي ذكرهُ مؤلفهُ في الصنف الفلاني غير موجود ونسبتهُ اليهِ غير صحيحة غير اني آسف اسفاً شديدًا لما رأيتهُ من ان صاحب الكتاب لم يذكر عيباً في طبقة ولم يندد بعادة ولم يعير بخصلة ولم يتعرَّض الى خلة الاَّ وجدتهُ بعد التدقيق مصيباً فيما قال صادقاً فيما نسب بل رأيتهُ مستعملاً الرقة في البيان والتلطف في المقال"

ولا نزيد على ما قالهُ حضرة القاضي الفاضل وانما نشارك حضرتهُ في حث الناس على الانتفاع بهذا الكتاب وفي الثناء الوافر على مؤلفهِ .

والكتاب مطبوع طبعاً واضحاً على ورق جيد وثمنهُ ٢٠ غرشاً صاغاً وهو يطلب من ادارة المقتطف ومن كل المكاتب الشهيرة في العاصمة

باب المسائل

فتحنا هذا الباب منذ اول انشاء المقتطف ووعدنا ان نجيب فيهِ مسائل المشتركين التي لا تخرج عن دائرة بحث المقتطف. ويشترط على السائل (١) ان يمضي مسائله باسمهِ والقابهِ ومحل اقامتهِ امضاءً واضحاً (٢) اذا لم يرد السائل التصريح باسمهِ عند ادراج سؤَالهِ فليذكر ذلك لنا ويعين حروفاً تدرج مكان اسمهِ (٣) اذا لم ندرج السؤَال بعد شهرين من ارسالهِ الينا فليكررهُ سائلهُ فان لم ندرجهُ بعد شهر آخر نكون قد اهملناهُ لسبب كافٍ

(١) تكسير الفونوغراف

القناطر الخيرية. نسيم افندي فهمي معاون المحطة. بلغني من صديق اثق بروايتهِ ان سائحاً قدم مصر وطلب من احد الحانوتية ان يضع لهُ آلة فونوغراف في قبر ميت دُفن حديثاً فيعطيهُ مئة جنيه واعطاهُ عشرة جنيهات منها مقدماً ووعدهُ باعطاء التسعين في الصباح التالي فوضع الحانوتي آلة الفونوغراف في القبر ثم افتقدها في الصباح فوجدها مكسَّرة ومطحونة طحناً فمن الذي كسَّرها

ج ان كان صديقكم صادقاً وروايتهُ صحيحة فالمرجح عندنا ان الحانوتي هو الذي كسرها لانهُ فهم قصد صاحبها فاراد ان يحبطهُ

(٢) احسن مجلة علمية انكليزية

ومنهُ. ما هي احسن مجلة علميَّة تاريخيَّة ادبيَّة صحيَّة باللغة الانكليزية تفيد مطالعتها المصريين

ج اننا لا نعرف مجلة انكليزية جامعة هذه الاوصاف كلها لان المجلات العلمية الانكليزية كثيرة فالتي تبحث في العلوم الطبيعية مثلاً لا تبحث في التاريخ والتي تبحث في التاريخ لا تبحث في الصحة والمجلات الادبية قلما تنشر شيئاً من المقالات الطبيعية والصحية. وعندهم مجلات خاصَّة لكل فرع من فروع العلوم كالجيولوجيا والاركيولوجيا والكيمياء والنبات والحيوان والطب والصحَّة ولذلك لا نظن انهُ توجد مجلَّة واحدة تفي بمرادكم

(٣) القامة والعلم

ام درمان. عبد الاحد افندي ناسي. طالعت في بعض الجرائد مقالة ادَّعى صاحبها ان اكثر النوابغ في العلم والفلسفة والسياسة بل كلهم من قصار القامة واورد اسماء بعض المشاهير مثل الاسكندر الكبير وبولس الرسول ونبوليون الاول فهل ذلك صحيح

ج ان كان ذلك صحيحاً فيكون لان القصار اكثر عدداً من الطوال. ويظهر لنا ان الذين اشتهروا من طوال القامة لا يقلُّون عدداً عن الذين اشتهروا من قصار القامة في ما نعلم الآن احصاء المشهورين ليس

بالامر السهل ولا نظن ان احداً استطاعهُ حتى الآن لكي يصحّ ان يبنى عليهِ حكم. وقد عين المجمع العلمي البريطاني لجنة للبحث في طول الناس وثقلهم في بلاد الانكليز فوجدت ان سكان الضياع اطول قامة واثقل جسماً من سكان المدن وان اعضاء الجمعية العلمية الملكية وهم اشهر علماء الانكليز من اطول الناس ومتوسط طول الواحد منهم خمس اقدام انكليزية وتسع عقد وثلاثة ارباع العقدة وان متوسط طول المجرمين اقل من متوسط طول الشعب الانكليزي بعقدتين والمجانين قصار مثل المجرمين ولكنهم اثقل منهم

(٤) حرارة مياه الآبار

ومنهُ . ان مياه الآبار تكون باردة في الصيف وحارَّة في الشتاء وقد عللتم ذلك في بعض اعداد المقتطف الماضية بانهُ ليس في طبيعة الماء نفسهِ بل هو من ملامسة الجسم للهواء الكروي المتغير بتغير الطقس ولكن مياه الآبار في السودان يشعر بها حارَّة صيفاً وشتاء على حدٍ سوى فما سبب ذلك

ج ان تعليلنا للشعور ببرد المياه صيفاً وحرها شتاء هو ان جسم الانسان يبرد في الشتاء فيشعر بالمياه حارَّة بالنسبة اليهِ او بالنسبة الى الهواء الذي يلامسهُ ويسخن في الصيف فيشعر بالمياه باردة بالنسبة اليهِ او الى الهواء الذي يلامسهُ . ومعلوم ان هذا الحكم يراد بهِ مياه الآبار العميقة التي لا تؤثر فيها تقلبات الهواء فاذا لم تكن عميقة أثَّر فيها الهواء فبرَّدها شتاء وسخنها صيفاً فلا يعود الجسم يرى فرقاً كبيراً بينها وبين الهواء الملامس لهُ. اما الشعور بها في السودان حارَّة في الشتاء فسببهُ ما تقدم واما الشعور بها حارَّة في الصيف ايضاً فسببهُ غير ظاهر ولعلكم مخطئون فاعيدوا نظركم في الصيف التالي وقت اشتداد الحر واخرجوا الماء من بئر وغطسوا يدكم فيهِ حالاً قبلما يسخنهُ الهواء فانكم تشعرون بهِ ابرد من الهواء والاَّ فاخبرونا واخبرونا ايضاً في اي ساعة من النهار اخرجتم الماء ووضعتم يدكم فيهِ وكم هو عمق البئر

(٥) عدد المتكلمين بالعربية

ومنهُ . وجدت في بعض الكتب الانكليزية المؤلفة حديثاً ان عدد المتكلمين بالعربية يبلغ سبعين مليوناً من النفوس فهل ذلك صحيح واين هم

ج المرجح عندنا الآن ان عددهم ليس اكثر من ستين مليوناً هكذا

في القطر المصري	نحو	١٠ ملايين
في تونس والجزائر	«	٠٦ «
في مراكش وطرابلس	«	١٠ «
في السودان وبقية افريقية	«	١٨ مليوناً
في جزيرة العرب	«	١٢ «
في الشام والعراق	«	٤ ملايين
والجملة		٦٠ مليوناً

(٦) عدد سكان تركيا

ومنهُ . كم عدد سكان تركيا حالاً

ج نحو ٤٠ مليونًا . البلدان التي تحكمها مباشرة عدد سكانها نحو ٢٥ مليونًا والبلاد التي لها عليها السيادة فقط وهي مصر والبلغار والبوصنه والهرسك وكريت وصاموس عدد سكانها ١٥ مليونًا والجملة اربعون مليونًا وقد رأينا ان نبسط ذلك في الجدول الآتي ليسهل الرجوع اليهِ

في اوربا	٦ ٠٨٦ ٣٠٠
في اسيا	١٧ ٥٤٥ ٣٠٠
في افريقية	١ ٣٠٠ ٠٠٠
في مصر	٩ ٧٣٤ ٤٠٥
في البلغار والروملي الشرقية	٣ ٣١٠ ٧١٣
في البوصنه والهرسك	١ ٥٦٨ ٠٩٢
في كريت	٧ ٣٠١ ٢٧٣
في صاموس	٠٥٤ ٨٣٠
والجملة	٣٩ ٩٠٠ ٩١٣

(٧) باثولوجية فان ديك

ومنهُ . هل يطبع كتاب الباثولوجية للدكتور فان ديك الآن او لا وما هي الاسباب الاصلية لمنع طبعهِ ونشرهِ

ج طبع اولاً ونفدت نسخهُ ثم بلغنا ان حضرة رصيفنا الفاضل الدكتور اسكندر بارودي محرر الطبيب شرع في اعادة طبعهِ

(٨) سبب الاغماء

ومنهُ . ان بعض الناس يغمى عليهم اذا رأوا عملية جراحيَّة تعمل امامهم فما سبب ذلك

ج السبب المباشر للاغماء قلة ورود الدم الى الدماغ فلا يعود الدماغ يغتذي اغتذاء كافيًا فيضعف شعورهُ او يزول وتضعف قوتهُ على تحريك اعضاء الجسم . والفاعل في تقليل ورود الدم الى الدماغ هو ان المنظر الذي يراهُ من يغمى عليهِ يؤثر في اعصابهِ وهي تؤثر في قلبهِ كأن الاعصاب تضطرب كثيرًا فيشعر القلب بذلك ويمنع دمهُ خوفًا من التفريط فيهِ او يحاول ارسالهُ بكثرة فتضيق الاوعية الدموية عنهُ وتنقبض

---

(٩) علاج البهق

الاسكندرية . ف . ل . كيف يعالج البهق المعروف بالفرنسوية باسم vitiligo

ج ذكر الدكتور فان ديك انهُ يعالج بالاطعمة الجيدة والسكن في هواء نقي والالتفات الى صحَّة العليل العامَّة . وبمستحضرات الزرنيخ ولا سيما سيَّال يوديد الزرنيخ والزيبق اي محلول دونوفان . ومن افضل العلاجات في هذه العلة المستعصية الفصفور يعطى منهُ نحو ٢٠/١ من القمحة او اكثر او اقل حسب عمر العليل واحتمالهِ اياهُ ثلاث مرات كل يوم فبهِ يتحسَّن حالهُ ويخف البهق ان لم يشفَ تمامًا . ولاجل اصلاح الهضم يتناول العليل مساهل ملحيَّة . ولا بدَّ من ان تعتمدوا على طبيب يعالج عليلكم ويرى فعل العلاج بها

(١٠) علم الاشياء

الاسكندرية . محمد افندي كامل مراد . ما هو علم الاشياء وما فائدتهُ

ج هو وصف بسيط للاشياء التي يراها الصغار فهم يرون القهوة مثلاً ولا يعرفون من اين تاتي ولا ماذا يعمل لها حتى تصير قهوة فيجدون في كتاب علم الاشياء ان على مقربة من مدينة مخا في بلاد العرب شجرًا صغيرًا يحمل بزورًا تجمع حينما تنضج وهي البن ثم يحمَّص هذا البن ويدق ويغلى الماء ويوضع البن المدقوق فيهِ فتصير منهُ القهوة . ويرون الحديد ولا يعلمون كيف يستخرج فيجدون في علم الاشياء وصفاً مسهباً بسيطاً لقطع الحجارة التي فيها الحديد ووضعها في الاتانين مع الحجارة الجيرية ونحوها حتى يصهر الحديد ويسيل منها الى غير ذلك من المعارف العمومية التي تنير الاذهان

(١١) تحويل التواريخ

امبابه . سمعان افندي عوض . ما هو اقوم سبيل لتحويل التاريخ القبطي الى التاريخ الميلادي والهجري وبالعكس فان الوسائل المتبعة وعرة الدرك وتحار في استجلاء كنهها العقول

ج اسهل سبيل ان تفتشوا عن هذه التواريخ في نتيجة (روزنامه) بسيطة مثل الكتاب الذي وضعهُ المرحوم مختار باشا المصري في المقارنة بين التواريخ الهجرية والسنين الافرنكية والقبطية فاننا نعتمد عليهِ لا على القواعد الحسابية

(١٣) مقارنة تاريخ بتاريخ

ومنهُ . ماذا كان اليوم الثالث عشر من رمضان سنة ١٢٩٤ بالتاريخ القبطي والميلادي

ج تجدون في الكتاب المشار اليهِ آنفاً ان شهر رمضان ابتدأ تلك السنة في اليوم الخامس من ايام النسيء سنة ١٥٩٣ وفي التاسع من سبتمبر سنة ١٨٧٧ . فاليوم الثالث عشر من رمضان هو الثاني عشر من توت سنة ١٥٩٤ والحادي والعشرون من سبتمبر سنة ١٨٧٧

---

(١٢) الكابوس

مصر . ا . ا . ما هو الكابوس ومن اي شيء يحصل

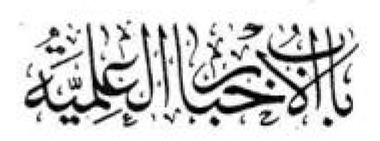
ج اجبنا عن هذا السؤَال في الجزء الماضي

---

(١٤) الهالوك

الفيوم . فيليب افندي عفري ما هو دواء الهالوك الذي ينبت بين الفول فيتلفهُ

ج يمنع ظهورهُ في الارض بزرعها حنطة او شعيرًا او نحو ذلك من المزروعات التي لا ينبت معها ثم تزرع فولاً بعدها . واذا نبت مع الفول يقلع ويحرق عند اول ظهورهِ قبلما تتولَّد بزورهُ لانها كثيرة يقع بعضها حين قلعهِ



الكرم الشرقي والكرم الغربي

مضى على جمعية العروة الوثقى والجرائد المصرية اشهرٌ تنادي السكان وتستنهض الهمم لجمع مالٍ تنشأُ بهِ مدرسة صناعية في الاسكندرية فلم يزد المجموع حتى الآن على اثني عشر الف جنيه. وفي غضون ذلك قام كارنجي الغني الاميركي ووهب بلادهُ عشرة ملايين ريال كما ذكرنا في الجزء الثاني (تساوي مليونين من الجنيهات المصرية) فوق هباتهِ الكثيرة لها وللبلاد الانكليزية وهي تبلغ ملايين كثيرة من الجنيهات

وقد اطّلعنا الآن على صورة الهبة او العقد الشرعي الذي وهب بهِ هذا المال الطائل فاحببنا تلخيصها ليرى اغنياءُ المشرق كيف يعدّ اغنياءُ المغرب انفسهم وكلاءَ على اموالهم وكيف يقفونها على خدمة بلادهم قال

انا اندراوس كارنجي من نيويورك ارى انهُ يجب عليَّ ويسرُّني جدًّا بعد اعتزالي الاشغال ان اتصرَّف بثروتي كمؤتمن عليها تصرُّفًا ينتفع بهِ غيري ولما كنت واثقًا ان من الطرق الفضلى للتصرُّف بهذه الثروة ان اقف بعضها على ما يسهّل وسائل العلم والبحث في بلادي وان الرجال الذين رضوا ان يقوموا بشروط هذا الوقف هم كفءٌ للقيام بها لذلك انطت بهم كنظار على دار كارنجي العلمية في وشنطون عشرة ملايين من الريالات سندات في شركة الصلب (الفولاذ) بالولايات المتحدة التي فائدتها خمسة في المئة سنويًّا (ثم ذكر اسماء هؤلاء النظار وقال)

وينفق ريع هذا الوقف اولاً على ما يلزم لنفقات هؤلاء النظار التي يدعو اليها قيامهم بشروط الوقف وثانيًا على ما يلزم للاغراض التي ساذكرها. ولهم الحق المطلق في التصرُّف بهذه السندات حسبما يخوّلهم قانون البلاد وان يبيعوها على انفراد او في المزاد العلني بالثمن والشروط التي يختارونها وان يشتروا برباها ما يشاؤون مما لهُ ريع ولهم ان يبدلوا ما يشترونهُ بشيءٍ آخر اذا شاؤوا وهم غير مسؤُولين عن سلامة هذه السندات ولا عن سلامة شيءٍ مما يبدلونها بهِ او يبدلون ريعها بهِ ولا عمّا يحصل من الهبوط في قيمتها ولا عن امانة الذين تودع عندهم. وكل ما اعتمد عليهِ هو ما اثق بهِ من امانة هؤلاء النظار والذين يعينونهم خلفًا عنهم واخولهم الحق بتعيين الموظفين اللازمين لادارة الاعمال التي يقتضيها هذا الوقف حسبما يرون وبتعيين الرواتب لهم "

ثم ذكر الاغراض التي يريد ان ينفق ريع هذا المال عليها وهي

(١) مساعدة الذين يبحثون المباحث العلمية المبتكرة

(٢) اكتشاف الرجال الذين لهم مواهب خصوصية للنجاح في عمل من الاعمال سواء كانوا في المدارس او في غير المدارس ومساعدتهم على اتمام الاعمال التي لهم ميل خاص اليها

(٣) تكثير الوسائل التي تسهّل على الطلاَّب تلقيّ العلوم العالية

(٤) مساعدة المدارس العليا واساتذتها على امتحان القضايا العلمية

(٥) مساعدة طلبة العلم في مدينة وشنطون على نيل اعظم الفوائد من المعارض والمكاتب والمعامل والمراصد ومدارس تربية السمك ومدارس زرع الغابات وما اشبه

(٦) طبع نتائج المباحث العلميَّة ونشرها باسرع ما يمكن

ويحق للنظار اذا اتفق ثلثاهم ان يغيروا الاساليب التي ينفق فيها ريع هذا الوقف بشرط ان يبقى الغرض من انفاقها مساعدة الولايات المتحدة الاميركية على السبق في ميادين الاكتشافات العلميَّة واستخدام قوى الطبيعة لخير الانسان

وريع هذا الوقف الآن مئة الف جنيه في السنة . وفي الولايات المتحدة وقف آخر من هذا النوع اصلهُ مئة الف الف جنيه لاغير ينفق ريعها على المباحث العلمية ونشر الكتب فيها وتكاد فوائدهُ تفوق الوصف فكم تكون الفوائد اذا كان الريع وحدهُ مئة الف جنيه او اكثر في السنة . بمثل ذلك ترتقي البلدان الاوربية والاميركية ويزيد الفرق بينها وبيننا

هبة بعد هبة

ذكرنا غير مرة ان الاستاذ بهرنغ نال جائزة نوبل وهي ٨٤٠٠ جنيه وقد قرأنا الآن انهُ وهبها لقسم امتحان الادوية في مدرسة مربرج الجامعة لكي تستمر على امتحان المصل الذي اكتشفهُ وكأَن لسان حالهِ يقول

يجود علينا الخيّرون بمالهم
ونحن بمال الخيّرين نجودُ

سبب انتشار الجذام

ذهب العالم هتشنصن الى جنوبي افريقية ليبحث عن سبب انتشار الجذام هناك فوجد ان السبب الاكبر لانتشارهِ اكل السمك المقدد الفاسد وقال انهُ وجد ادلَّة قاطعة ايضاً على ان هذا الداء ينتقل من شخص الى آخر لا بالتنفس ولا بالتلقيح بل بتلوُّث طعام السليم من ايدي المجذوم . واشار بان تتولَّى الحكومة امر المراقبة على تمليح السمك وتنشر المنشورات البسيطة التي يتعلَّم منها الناس ان الجذام معدٍ وتنشيء مستشفى خاصاً تجمع فيهِ كل المجذمين وتمنع اتصالهم بغيرهم

هبة علمية اخرى

توفي ولد للمستر هرلد مكرمك من شيكاغو بالحمّى القرمزية فوهب هو وزوجتهُ مليون ريال لانشاء مدرسة للامراض المعدية

التصوير الشمسي الملوَّن

لما اجتمعت اكادمية العلوم في كنكتيكت باميركا في ١٢ فبراير الماضي عرض الاستاذ فرل صوراً كثيرة ملونة بالوان طبيعية أُخذت عن الطبيعة مباشرة على اسلوب جديد استنبطهُ المستر هيت فرل . وقد بعثت الينا احدى السيدات من المانيا صورة فوتوغرافية فيها نساء ثيابهم ملونة بالوان مختلفة ظهرت فيها الوان وجوههم وشعورهم وثيابهم كما ترى عن بُعد ولذلك فالتصوير الشمسي الملوَّن صار من الممكنات ولو لم يشع استعمالهُ حتى الآن

سسل رودس

ورد نعي هذا الرجل العظيم في السادس والعشرين من الشهر بعد ما طبعنا ترجمتهُ في صدر هذا الجزء في باب رجال المال والاعمال ناظرين اليهِ من حيث جمعهُ للمال وادارتهُ للاعمال كما هو غرضنا من الترجمات في ذلك الباب لاننا نعدُّ الاقتصار على ذكر رجال العلم تقصيراً في نشر ما يفيد نشرهُ جمهور القراء وفي حث الامة على السير في سبل النجاح

وقد وردت الينا الجرائد الاوربية بعد ذلك وفيها لمع من ترجمة حالهِ ووصف اعمالهِ ومما قيل فيها انهُ لم يكن نجيباً في دروسهِ ولا كان كثير المواظبة على حضور الدروس وقد وُبّخ على ذلك مراراً فقال ان غايتي الكبرى من الدرس ان اجوز الامتحان وساجوزهُ بجازهُ ونال الشهادة وعاد الى عملهِ في مناجم الماس فوحَّدها كما تقدَّم في ترجمتهِ وغرضهُ الاول والاخير ان يغتني ويستعمل غناهُ لجعل جنوبي افريقية بلاداً انكليزية يسكنها الشعب الانكليزي . وقد لامهُ بعض رجال السياسة على اشتغالهِ بالمسائل المالية بعد انتظامهِ في سلكهم اما هو فلم يكن يرى رأيهم بل كان يحسب النجاح في جمع المال ضرورياً للنجاح في السياسة . ومن اقوالهِ المأثورة لانفع للآراء العظيمة ما لم يكن عند صاحبها مال كافٍ لاخراجها من القوة الى الفعل . ويقال انهُ علَّم الناس علماً جديدًا في فائدة المال

ولم يكتفِ بانفاق جانب كبير من ثروتهِ على تنفيذ مقاصدهِ السياسية بل جعل غيرهُ من كبار الماليين يساعدونهُ في ذلك حتى صار من اغراضهم الاولى انشاء جمهورية كبيرة في جنوبي افريقية خاضعة للسيادة الانكليزية وصاروا يسرُّون بذلك ويتفكهون بالسعي لتحقيقهِ كما يتفكَّه غيرهم بالصيد والقنص . وآلت مناجم كمبرلي وده بيرس اليهِ والى اثنين معهُ واراد هؤلاء الثلاثة ان يشتركوا معاً في شركة واحدة فقبل بكل الشروط التي اشترطها الاثنان ثم اشترط هو

ان يسمح لهُ بانفاق ربع منجم ده بيرس على امتلاك البلدان الشمالية ونشر الراية الانكليزية فيها فاعترض الرجلان عليهِ قائلين ان هذا الشرط ليس من الشغل التجاري في شيء فقال اني اعدهُ من الشغل التجاري ولا اتفق معكما ما لم تقبلا بهِ وبقي الثلاثة يتذاكرون ويتجادلون الى الصباح وهو مصرٌّ على طلبهِ واخيرًا اذعنا اليهِ. وبهذا الشرط تمكَّن من امتلاك رودسيا ومن الدفاع عن كمبرلي وقت حصارها. ولما حدثت غارة جايمسن اتُّهم بانهُ اشار بها لاجل المضاربة فانكر ذلك وقال انهُ لم يضارب قط ولن يضارب ابدًا. وبحث بعضهم عن حقيقة هذا الامر في البورصات فوجدوا انهُ قال الحق اي انهُ لم يضارب قط

وكان يثق تمام الثقة بان الراية الانكليزية ستنتشر يومًا ما في افريقية من رأس الرجاء جنوبًا الى الخرطوم شمالاً حتى انهُ لما دعاهُ غوردون باشا ليرافقهُ الى السودان سنة ١٨٨٤ بعث اليهِ بالجواب تلغرافيًّا يقول سأُلاقيك يومًا ما في الخرطوم ولكنني اصل اليها من الجنوب لا من الشمال

ويقال انهُ لما نشبت الحرب الافريقية لم يشترك فيها ولم يلجأ الى كمبرلي الاَّ لان اكثر عمالهِ كانوا فيها فلم يرَ من الشهامة ان يتركهم ويفر هاربًا بل دخلها وحاصر معهم فيها وافادهم بآرائهِ وافعالهِ واغرى البوير بوضع جانب كبير من قوتهم حولها وبسببهِ تحوَّل كرونجي الى تلك الجهة فأُسر هو ورجالهُ ومالت كفة النصر الى جهة الانكليز. لكن طولُ مدة الحصار والتعب الشديد اثَّرا في صحتهِ فعاد اليهِ ضعف القلب الذي مات بهِ . وكان اصدقاؤُهُ يرجون ان الراحة تعيد اليهِ صحتهُ فيعيش الى ان يرى اعمالهُ مكللة بالنجاح التام لكنهُ لمَّا كان في مصر في الشتاء الماضي كان يشكو كثيرًا من مرض قلبهِ وكتب الى صديق لهُ يقول ان ضغط قلبهِ اشتدَّ على رئتيهِ وزادت آلامهُ ودنا أَجلهُ

وقد مات عزبًا ولم يكن لهُ غرض من الحياة غير ان يفتح جنوبي افريقية للانكليز لكي يتمتعوا بهوائهِ الطيب ويستثمروا خيراتهِ الكثيرة ثم يحمل الراية البريطانية الى زمبيسي ومنها الى اوغندا والنيل فيصل النفوذ البريطاني من القاهرة الى الكاب وتمد في هذه البلاد الوسيعة سكك الحديد واسلاك التلغراف

السر جون افانس والتحف المصرية

قدم السر جون افانس الى القطر المصري واشتدَّت عليهِ وطأَة الروماتزم فالتجأَ الى حلوان واقام في فندقها الى ان شفي ثم عاد في اواخر الشهر الى اوربا وقد ابتاع وهو في القاهرة نقودًا رومانيةً ذهبية وجدت في هذا القطر حديثًا وبينها دينار لم يكشف دينار مثلهُ حتى الآن والذين باعوهُ هذه الدنانير ابتاعوا مئات منها من الذين وجدوها بنحو خمسة آلاف جنيه

وبعثوا باكثرها الى اوربا . والظاهر ان الحكومة المصرية لم تدرِ بذلك تخرجت هذه الدنانير من بلادها . ولو اباحت للناس ان يمتلكوا ما يكتشفون من هذه التحف القديمة واشترتها منهم بالثمن الذي يشتريها بهِ غيرها لبقيت في البلاد ولم يخرج منها الاَّ ما يوجد مثلهُ في دار التحف المصرية . اما مصادرة المكتشفات على الوجه المتَّبع الآن فيدعو المكتشفين الى اخفائها وبيعها للاجانب فتخرج من البلاد وفي ذلك من الخسارة المادية قدر ما فيهِ من الخسارة الادبية لان بقاء التحف النادرة في هذا القطر يغري كثيرين بزيارتهِ وهم ينفقون الاموال الطائلة في هذه الزيارة فتربح البلاد منهم اكثر مما تنفق حكومتها على ابتياع هذه التحف

خسوف القمر

يخسف القمر خسوفاً كلياً في الثانية والعشرين من ابريل فيشرق مخسوفاً بالظليل فان اول مماسة الظليل لهُ الساعة ٥ والدقيقة ٥٠ وهو يشرق الساعة ٦ والدقيقة ١٨ ثم تبتدئ مماسة الظل الساعة السابعة ويحجب ظلُّ الارض القمر كلهُ الساعة ٨ والدقيقة ١٠ ويبقى محجوباً ساعة و ٢٥ دقيقة ثم يأخذ ينجلي ويتم خروجهُ من مخروط الظل الساعة ١٠ والدقيقة ٤٥ ومن مخروط الظليل الساعة ١١ والدقيقة ٥٥.

الكرَم والتعليم

فرضت نظارة المعارف المصرية اجرة على التعليم يستكثرها الفقير ولو استقلَّها الغني ولذلك صار يتعذَّر على كثيرين من الفتيان الذين كان من نصيبهم ان يولدوا من اباء فقراء ان يدخلوا مدارس الحكومة ويتعلموا فيها . الاَّ ان هذا التضييق على اولاد الفقراء فتح باباً واسعاً للاظهار كرَم الكرماء ولاسيما الذين ولدوا فقراء فاغتنوا بان يقتفوا خطوات كارنجي المثري الاميركي فان المال الذي وهبهُ لمدارس سكتلندا مسقط رأسهِ دُفع من ريعهِ في اواخر العام الماضي نحو ٢٣ الف جنيه اجور تعليم ٢٤٤١ تلميذاً . فمن لنا باثنين او ثلاثة من الاغنياء المحبين لوطنهم يوقفون جانباً من اموالهم ينفق ريعهُ اجرة تعليم التلامذة الفقراء في مدارس الحكومة او غيرها من المدارس العالية بدلاً عن ايقافها على الفقراء من غير تمييز فيزيد بها كسلهم واعتمادهم على غيرهم

الملح وعمر الارض

بحث الاستاذ ديوى عن مقدار الملح الذي يصل الى البحر من مياه الانهر فوجد انهُ اقل مما حسبهُ السرجون مري . وجرى على اسلوب الاستاذ جولي في تقدير عمر الارض من مقدار ما تجرفهُ الانهار منها سنوياً فوجد ان عمرها نحو ٢٤ مليون سنة كما حسبهُ لورد كلفن

تذكار الدكتور بلس

اهتمّ تلامذة استاذنا الدكتور بلس وغيرهم من الفضلاء بانشاء تذكار لهُ على اثر استعفائهِ من رئاسة المدرسة الكلية الاميركية في بيروت فاجتمع جماعة منهم في ادارة المقتطف واقرُّوا على استحسان هذا العمل وعلى جمع مال بالاكتتاب يصنع لهُ بهِ تمثال يوضع في المدرسة الكلية وفتحت قائمة الاكتتاب فاكتتب الحضور فيها وستبقى مفتوحة الى آخر ابريل ثم تنشر اسماءُ المكتتبين وما اكتتبوا بهِ في المقطم . وعُيِّنت لجنة لتتفق مع لجنة بيروت على تنفيذ ما قرَّ القرار عليهِ

تذكار مس اقرت

يجد القارئ في هذا الجزء ترجمة هذه السيدة الفاضلة بقلم مدام صروف . وقد اجتمع كثيرات من تلميذاتها في هذه العاصمة في منزل حضرة السيدة سعدى سابا وقرَّ قرارهنَّ على تصويرها صورة زيتية واهداء الصورة الى مدرسة البنات في بيروت وانطنَ حضرة سليم افندي حداد المصور المشهور بتصويرها

ديمون وخلل بالونه

ذكرت الجرائد اليومية ما اصاب بالون سنتوس ديمون السادس الذي كاد يغرق بهِ في بحر الروم امام موناكو وقد كتب بعضهم الى جريدة التيمس بعد ذلك يبين ان المسيو ديمون استفاد من هذه الحادثة لانهُ اكتشف خللاً في بالونهِ يسهل عليهِ اصلاحهُ فان بالونهُ طويل كالسيكار الافرنجي ويسير منبسطاً رأسهُ الى الامام وذنبهُ الى الوراء ولكن الريح عصفت بهِ حينئذٍ وكانت ترفع رأسهُ مرةً وذنبهُ اخرى حتى يكاد يقف عمودياً فاخرج ديمون بعض الغاز منهُ ليثقل وينخفض فتقلَّص الطرف الذي فيهِ دفتهُ ولم تعد الدفَّة تعمل عملها فوقع في البحر وكاد ديمون يغرق لولا مبادرة الزوارق اليهِ لتخليصهِ . وقد اتضح من ذلك ان لابدَّ للبالون من اجنحة تمنع ارتفاعهُ وانخفاضهُ على هذه الصورة وان الشكل الكروي او الكمثري اقل خطراً من الشكل المستطيل

نفقات المعارض

بلغت النفقات التي انفقت على انشاء معرض بفلو الاخير في اميركا تسعة ملايين ريال وعلى انشاء معرض باريس عشرة ملايين ريال وعلى انشاء معرض شيكاغو ١٨ مليون ريال وستبلغ على انشاء معرض سنت لويس باميركا الذي يراد فتحهُ في العام المقبل ٣٠ مليون ريال

طفل نابغة

كان للاستاذ كوكرل الاميركي طفل نابغة اكتشف حشرات غير معروفة اضيفت الى التاريخ الطبيعي وعمرهُ ثماني سنوات لكن المنيَّة عجَّلت عليهِ فاصيب بالدفثيريا ومات

مجمع ترقية العلوم البريطاني

يجتمع اجتماعهُ الثاني والسبعين في مدينة بلفست من ١٠ الى ١٧ سبتمبر برئاسة الاستاذ جمس دوَر الكيماوي

تلغراف مركوني

ذكرنا في جزء يناير ان الاشارات الكهربائية نقلت بتلغراف مركوني من اوربا الى اميركا مسافة ٢٠٩٩ ميلاً وقد قال مركوني بعد ذلك انهُ اذا كان عندهُ آلة قوية لتوليد الكهربائية الكافية نقل الاشارات الكهربائية حول كرة الارض فتخرج منها وتلف حول الارض وتعود اليها والاعمدة التي تنصب لذلك لا يقتضي ان يكون ارتفاعها اكثر من مئتي قدم وكروية الارض لا تمنع نقل الاشارات. وسرقة هذه الاشارات بآلة أُخرى امر غير مستحيل لذاتهِ ولكن لا يخشى ان احدًا يتكلف نفقات باهظة لكي يسرق خبرًا قد لا يستفيد منهُ شيئًا

النمل الزارع

ذكر داروِن واللورد أفبري وكثيرون غيرهم من الثقات ان نوعاً من النمل يزرع الحبوب ويحصدها . وقد جاء في مجلة العلوم الطبيعية الاميركية الآن ان الاستاذ هويلر بحث عن هذا الامر فوجد ان هذا النمل يخرج الحبوب من قريتهِ اذا تبللت ويخفيها في التلال التي حولها فتنبت من نفسها ثم هو يغتذي من البزور التي تكون في هذا النبات فيظهر كأنهُ زرع الحبوب لكي يستغلها

صحراء طرابلس الغرب

طاف المستر ددصن الرحالة الانكليزي في صحراء طرابلس الغرب ووصل الى غابة الاشجار المتحجرة المعروفة بغابة مرزوق فوجد انها تمتد اميالاً كثيرًا وفيها كثير من الاشجار الكبيرة والصغيرة والاصداف البحرية ومحيط بعض اشجارها سبع اقدام . واحاطت العواصف الكهربائية مرةً بهِ وبرجالهِ فصار الشرر يتطاير من رماحهم وبنادقهم واحاطت برؤُوسها هالات من النور الكهربائي

بالون سبيلو

استنبط المسيو سبيلو الباريسي بالونًا جديدًا يقال انهُ يدار كما يشاء راكبهُ واهم ما يمتاز بهِ على غيرهِ من البالونات ان فيهِ اناء هواء حارّ واناء هواء بارد فاذا اراد ان يعلو البالون بهِ اطلق فيهِ الهواء الحار فتمدَّد الغاز الذي فيهِ وخف وصعد واذا اراد ان يهبط اطلق فيهِ الهواء البارد فتقلَّص غازهُ وثقل وهبط

تلغراف سلابي

ذكرنا غير مرة ان الاستاذ سلابي الالماني استنبط اسلوبًا جديدًا من تلغراف مركوني بالاشتراك مع الكونت اركو وقد قرأنا في الجرائد الاخيرة ان هذا التلغراف اخذ يشيع

في المانيا واقرَّت نظارة الحربية الالمانية على انشاء مراكز لهُ حول كل الشطوط الالمانية وقد وُضعت آلاتهُ في ٣٢ من البوارج الالمانية وستوضع في غيرها

تلغراف مركوني في السودان

طلب مركوني ان يُسمح لهُ باستعمال تلغرافهِ في بلاد السودان حيث لم تمدّ اسلاك التلغراف حتى الآن والمظنون ان مالية السودان لا تسمح بذلك ولكن اذا قلَّت نفقات آلاتهِ وزاد اتقانها فلا يبعد ان يجاب طلبهُ

التلفون بين القاهرة والاسكندريَّة

مدَّت خطوط التلفون بين القاهرة والاسكندرية وامتُحنت فسُمع الكلام واضحاً. ولا يبعد ان تمدَّ يوماً ما بين القاهرة وكل بنادر القطر ومراكزهِ ولا سيما اذا امكن الاستغناء عن الاسلاك المعدنية باستعمال تموجات هرتس الكهربائية

اكبر باخرة اميركية

أُنزل الى البحر في العشرين من شهر فبراير الماضي اكبر باخرة اميركية واسمها كرونلند. طولها ٥٨٠ قدماً ومحمولها ١٢٠٠٠ طن وسرعتها ١٧ ميلاً بحريًّا في الساعة وهي تسع ٣٤٣ راكبًا في الدرجة الاولى و ١٩٤ راكبًا في الدرجة الثانية و ١٠٠٠ راكب في الدرجة الثالثة

الآثار السامية

يقال ان مدرسة هارفرد الجامعة باميركا عازمة ان ترسل بعض العلماء للبحث عن الآثار السامية في مصر وبابل واشور وفلسطين فلتبشر انها تجد هذه البلدان طافحةً بالآثار السامية الصامتة والناطقة

زبدة استراليا

شرع سكان استراليا يصدرون الزبدة الى اوربا سنة ١٨٨٩ فاصدروا حينئذٍ ٣٦٩ طنًّا بلغ ثمنها ٥١ الف جنيه واصدروا في السنة التالية ٧٥٩ طنًّا ثمنها ١٠٠ الف جنيه وزاد الصادر رويدًا رويدًا حتى بلغ سنة ١٩٠٠ اكثر من ١٧ الف طن ثمنها اكثر من مليون وستمئة الف جنيه . وبلغ الصادر في السنوات العشر نحو ٨٠ الف طن وثمنهُ نحو ثمانية ملايين من الجنيهات . والناس الذين عمَّروا استراليا واستثمروها واخرجوا منها هذه الخيرات لا يعسر عليهم ان يعمّروا السودان وقلب افريقية ويرسلوا خيراتها الى اوربا واميركا ونحن ننظر اليهم مندهشين وايادينا في جيوبنا

القطب الجنوبي

خطب الرحَّالة بوركرفنك النروجي بالامس عن رحلتهِ الى جهات القطب الجنوبي فقال ان حالة الهواء هناك تشبه حالتهُ في جهات القطب الشمالي من حيث اشتداد البرد فهبط الترمومتر الى الدرجة ٧٢ تحت الصفر في شهر

يوليو ويتغلب هبوب الرياح الجنوبية الشديدة البرد ويتبعها وقوع الثلج · والارض التي اكتشفها بركانية وهي شاخصة من البحر الى علو خمسة آلاف قدم اوستة آلاف قدم · وقد بلغ الدرجة ٧٩ والدقيقة ٨٦ من العرض الجنوبي ورأى هناك جبالاً كبيرة من الجليد جارية في البحر وشاهد انفصال جبل منها عن جليد البر فلما انحدر الى البحر ماج البحر موجاً عظيماً جداً وكان هو واقفاً على البر فعلت الامواج وكادت تغرقهُ

وفي تلك الاصقاع كثير من حيوان الفقمة وطائر البنغوين · وهذا الطائر يشعر بهبوب الرياح الجنوبية قبلما تهب فيدير رأسهُ الى الجنوب والأعشب بريشهِ · ويظهر الشفق القطبي هناك كما يظهر في الجهات الشمالية · ورأى جبال الجليد تجري في البحر على ضد هبوب الريح وعلى ضد التيارات السطحية دلالة على انها مسوقة بتيار عميق في البحر · وقد سار الى تلك الاصقاع من استراليا بالسفينة المسماة بالصليب الجنوبي ونزل على جزيرة فيها مع تسعة من رفاقهِ ثم رجعت السفينة اليهم سنة ١٩٠٠ وعادت بهم الى استراليا

احذية الكلاب

من البدع الجديدة عند الاوربيين والاميركيين عمل الاحذية للكلاب فقد صنعوها من الكاوتشوك وهم يحذون الكلب بها حتى لا يؤلمهُ حرُّ الارض و بردها ولا تعبهُ صخورها وحجارتها

مستشفى زجاجي للسل

سينشأ مستشفى في فيلادلفيا باميركا لمعالجة المسلولين غرفهُ كلها من الزجاج يقيم المسلول في غرفة منها ويأتيهِ الهواء نقيًّا وممزوجاً بالاوزون فلا يتنفس سواهُ . والمظنون ان هذه المعالجة تكفي لشفاء السل

الكهربائية لسكك الحديد

عزمت حكومة اسوج على ترك البخار في سككها الحديدية واستعمال الكهربائية بدلاً منهُ وهي تولدها من الشلالات الكثيرة في بلادها فعسى ان تقتدي الحكومة المصرية بها فتولد الكهربائية من خزان اصوان بعد اتمامهِ وتستعملها للسكك الحديدية ولو بين الشلال وحلفا وبين الشلال ولقصر

دقيق اللبن

استنبط الدكتور اكنبرج اسلوبًا يصير يصير بهِ اللبن دقيقاً ناعماً كالطحين ويحفظ كذلك من غير ان يحمض او يختمر ثم اذا وضع في الماء ذاب فيهِ وعاد كاللبن العادي ويقال ان نفقات جعلهِ دقيقاً غير كثيرة فيباع الرطل منهُ بنحو ثلاثة غروش ولكن تصنع منهُ ارطال كثيرة من اللبن السائل

فهرس الجزء الرابع من المجلد السابع والعشرين



مجلة علمية صناعية زراعية

لمنشئيها

الدكتور يعقوب صرّوف والدكتور فارس نمر

AL-MUKTATAF

A MONTHLY ARABIC SCIENTIFIC REVIEW

EDITED BY DR. Y. SARRUF

VOL. LXX. No 5

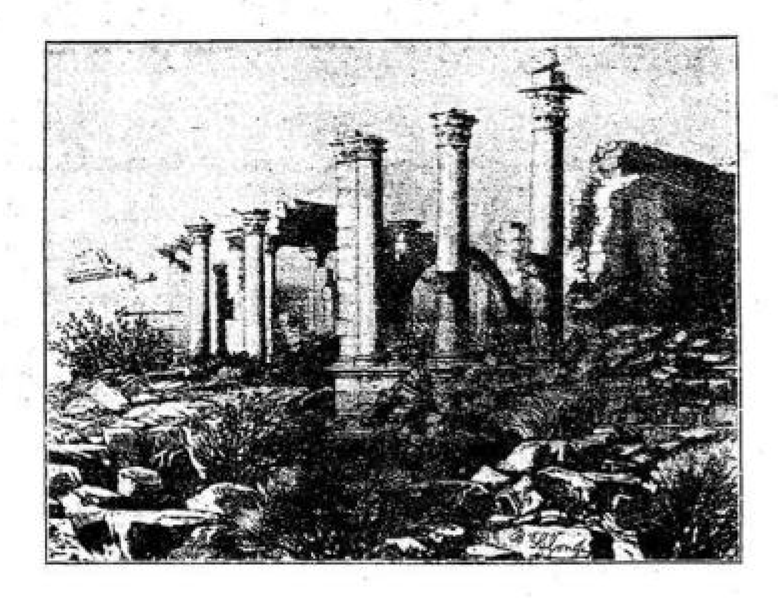
FOUNDED 1876 BY DRS. Y. ṢARRUF & F. NIMR

المقتطف

الجزء الخامس من المجلد السابع والعشرين

١ مايو (ايار) سنة ١٩٠٢ — الموافق ٢٢ محرم سنة ١٣٢٠

خرائب الشام



(٢) قنوات

قال لنا اديب كان المقتطف ينشر بالامس المقالات الضافية عن عمران دمشق فلم يكد يأتي على آخرها حتى شرعتم تنشرون المقالات عن خرائب الشام كلهِ فما اسرع هذا الانقلاب. والظاهر ان القائل لم يقرأ مقالات العمران ولو قرأها لرأى انها ومقالات الخرائب من باب واحد لان أكثر ما فيها وصف للخراب الذي حلَّ بعاصمة الشام وما حولها من الارباض لا لعمران

نشأ فيها وانتشر منها . وكيف تعمر بلاد كان سكانها بين عشرة ملايين وعشرين مليونًا وهم لا يبلغون الآن مليونين . وكان اولئك الملايين يعيشون بالسعة والرخاء والمليونان اضطر كثيرون منهم ان ينتشروا في الخافقين طلبًا للرزق وبلادهم كانت تقري اضعاف اضعافهم . ولكن

ستمضي مع الايام كلُّ غريبةٍ وتحدث ايام تنسّي المعايبا

هذا ولنعد الى الكلام على خرائب الشام فنقول: ذكرنا في الجزء الماضي خرائب جرش من المدن العشر التي كانت شرقي الاردن ونحن ذاكرون الآن خرائب قنوات وهي مدينة اخرى من تلك المدائن وقد اخترنا ان ننقل وصفها عمّا كتبهُ الدكتور القس بورتر في كتابهِ المعروف بمدن باشان العظمة Giant Cities of Bashan لانهُ ابلغ ما قرأناهُ في هذا الموضوع قال

بلغنا اكمة تطلُّ على قنوات فرأينا عن اليسار واديًا عميقًا وعلى جانبهِ الغربي خرائب المدينة القديمة وسورها يتبع الشواهق مسافة ميل ثم ينعطف متعرّجًا فيكتنف ارضًا عرضها نصف ميل فيها القصور والهياكل والكنائس والمشاهد وما ماثلها من المباني الفخيمة قائمة بعضها بازاء بعض على نسق بديع يدهش الابصار . ووراء السور في اسفل الوادي وعلى الجبال المحيطة بهِ — في القنن الشاهقة وبين حراج البلوط اعمدة رفيعة وابراج مشيدة ومدافن عالية

جاء في سفر العدد (من اسفار موسى الخمسة) انهُ لما كان بنو اسرائيل شرقي الاردن "ذهب نوبح واخذ قناة وقراها ودعاها نوبح باسمهِ" هذه هي قناة نفسها سماها اليونان قناثا والعرب قنوات بلغت اوج مجدها في عهد الرومان وكانت من اعظم المدن شرقي الاردن ثم لما انتشرت الديانة المسيحية تنصّر اهلها وحوّلوا هياكلها كنائس لكنها خربت بعد الفتح الاسلامي وقُتل سكانها او هجروها فلم يعنَ المسلمون بجعل كنائسها مساجد كما فعلوا في غيرها من مدن الشام

مضى يومنا وجانب من اليوم التالي ونحن ننتقل من خرابة الى خرابة فرأينا ان الجانب الاعلى من المدينة كان لعلية سكانها هناك قصر فخيم وثلاثة هياكل وميدان لسباق الخيل مزدان بكثير من التماثيل . لم ارَ في مدينة أُخرى من مدن فلسطين تماثيل قدر ما رأيتُ في هذه المدينة لكنها كلها مشوَّهة او مقطعة الاوصال وبينها تماثيل اسود وفهود وكلاب ورأيت هناك رأسًا عظيمًا للالهة عشتاروث امام هيكل صغير والهلال فوق جبينها ومن ثمَّ سميت بعشتاروث قرنايم اي ذات القرنين. جاء في سفر التكوين ان ملوك المشرق ضربوا الرفائيين في عشتاروث قرنايم فلعلهم ضربوهم في هذه المدينة عينها. وامام القصر ساحة فسيحة تحتها صهريج كبير سقفهُ معقود كانت المياه تجري اليهِ بقناة منحوتة في جانب الوادي فيجتمع فيهِ منها ما يكفي المدينة فصل الصيف وغربي المدينة على ربع ميل منها هيكل جميل يحيط بهِ رواق من العمد الكورنثية وهو

قائم على اكمة صناعية وقد سقط اكثر هذه الاعمدة وتصدَّعت جدران الهيكل ولكن بقي منها ومنهُ ما يكفي للدلالة على عظمتهِ السابقة

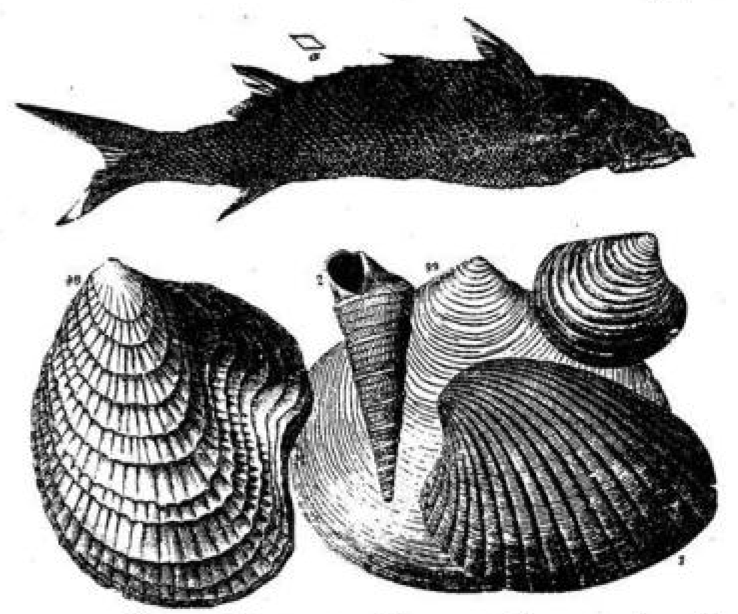
وبكَّرنا في الصباح ونزلنا بطن الوادي لنرى ما فيهِ من الخرائب وصعدنا على شاهق مرتفع في الجانب الآخر منهُ فرأينا هناك برجاً مستديراً وآثار سور كبير وظهر لنا كأن بطن الوادي كان رياضاً ومنتزهات لاننا رأينا فيهِ الماشي المدرَّجة والفساقي المنسقة وكرامي التماثيل وهيكلاً صغيراً ومشهداً سادجاً مقاعدهُ منحوتة في الصخر وفوق دكتهِ كتابة يونانية كبيرة الحروف يقال فيها ان مرقص لوسياس بناهُ على نفقتهِ ووهبهُ لابناء وطنهِ . ويصعد من هذا المشهد بسلم منحوت في الصخر الى البرج المستدير فصعدنا اليهِ ورأينا ما وفى بتعبنا وقيامنا الباكر وهو ضخم الحجارة قديم البناء لم يبقَ منهُ الاَّ ما ارتفاعهُ عشرون قدماً وعلى مقربة منهُ بقايا قصر مبني بحجارة كبيرة منحوتة واغلاق ابوابهِ وكواهُ من الحجر كلها وهي كثيرة النقش عليها اكاليل بازرة من الازهار والاثمار . لكن الذي ادهشنا ليس القصر وما فيهِ بل منظر البلاد الذي شاهدناهُ منهُ . جلستُ على حجر هناك واجلتُ طرفي في ما ارى امامي فاذا هو من ابدع ما وقعت عليهِ عيني . وقفت على قنن لبنان وشاهدت من كثير منها مشاهد اعظم من هذا وارهب وعلى رأس قلعة تدمر فرأيت تحتي من الخرائب والاطلال والانقاض مالا مثيل لهُ ههنا في العظمة والفخامة. وتطلعت من اعلى جدران هيكل الشمس في بعلبك فرأيت ادلةً اعظم من هذه على مقدرة الانسان ومهارتهِ ولكنني لم ارَ قبل الآن مكاناً رصَّعتهُ الطبيعة والصناعة ووشاهُ التخريب والتدمير بثوب اجمل من هذا او يضاهيهِ

ما هو شواهق لبنان وقننهُ المعممة بالثلج ولاهيا كل بعلبك وجدرانها الضخمة الحجارة واعمدتها التي تناطح السحاب ولااطلال تدمر وما فيها من الصفَّاح والعمد المتراكمة في ذلك القفر الاجرد بل هو تلال ووهاد وحراج وادغال وشراهق وصوامع واطلال دوارس نبتت عليها الطحالب وتعرشت بها اللبالب وحولها بلوط باشان مخضر الورق ملتف الافنان . كل ما رأيتهُ قبل الآن من خرائب الشام مدفون في التراب او مطروح على الدمن وهو على اتساق اساطينهِ وجمال تيجانها وزخرفة افاريزهِ وتفرُّع افنانها لا يقابل باديرة بلاد الانكليز وقلاع نهر الرين من حيث الوضع الطبيعي ولكن الامر على غير ذلك بين تلال باشان فان نضارة الاشجار تغطي صدوع المباني وتظهر جمال بنيانها وعساليج اللبلاب تطوق اعناق العمدان وتكلل هامات تيجانها . انتهى

وحسبنا الصورة التي في صدر هذه النبذة وهذا الوصف للدلالة على ما كانت عليهِ مدن الشام وماصارت اليهِ في هذه الايام

اعظم اكتشاف جيولوجي

ابى القطر المصري الأَّ ان يكون الاول في ما كُشف من آثار اعظم الحيوانات البرّية كما انهُ الاول في ما كشف من آثار الانسان . فقد كُشف فيهِ من المتحجرات ما لا يضاهيهِ شيءٌ في مقدارهِ وفائدتهِ العلمية الأَّ المتحجرات التي اكتشفها الاستاذ مارتش الاميركي في الولايات الاميركية



وقبل الخوض في وصف ما كشف حديثاً في هذا القطر نتكلم على مسألتين مهمتين الاولى حقيقة المتحجرات والثانية فائدتها العلمية

يراد بالمتحجرات ما يُرى في الارض وصخورها من الاصداف والحلازين وعظام الحيوانات وسوق الاشجار كما ترى في صورة السمكة وصور الاصداف المرسومة هنا وقد صارت كلها حجارة صلبة او هشة حسب نوع الصخور التي توجد فيها. وقلَّ من رأى هذه المتحجرات ولم يسأل عن اصلها او يبحث عن كيفية تشكلها باشكال الحيوانات او النباتات. ولقد كان هذا شأن العقلاء في السؤال والبحث من قديم الزمان فنتج عن ابحاث المتأخرين منهم علم البلينتولوجيا اي علم الموجودات القديمة واول رجل رأى هذه المتحجرات واهتدى بزكانتهِ الى معرفة اصلها ووصلت اقوالهُ الينا هو

الفيلسوف زنوفانيس اليوناني الذي نشأ قبل المسيح بنحو خمس مئة سنة فقد قال ان الارض كانت طيناً يغمره ماء البحر ثم نضب الماء عنها فبقيت الاسماك والاصداف مدفونة فيها. وتلاه هيرودوتس ابو التاريخ الذي نشأ بعده بنحو نصف قرن فانهُ وجد اصدافاً في تلال مصر وصحراء لبيبة فاستدلَّ منها ان البحر كان غامراً لهذه الاقطار. وقال ارسطو الذي نشأ في اواسط القرن الرابع قبل المسيح "كان وقت لم يكن فيهِ شيء من الانهار الجارية الآن وسيأتي وقت تنضب فيهِ مياهها كما ان مياه البحر دأبها غمر بعض الاراضي والانحسار عن غيرها والبر والبحر متناوبان فتارة يكون هذا هنا وذاك هناك وتارة يكون هذا هناك وذاك هنا

واخذ العرب علومهم عن اليونان او عن الذين اخذوا عن اليونان من الرومان والسريان ولم يزيدوا عليها من هذا القبيل او حرَّفوها بعض التحريف. ذكر القزويني كيفية تولُّد السهول والجبال ووجود المتحجرات فيها نقلاً عنهم فقال " اذا امتزج الماء بالطين وكان في الطين لزوجة واثَّرت فيهِ حرارة الشمس مدة طويلة صار حجراً كما ترى النار اذا اثَّرت في اللَّبِن (الطوب) صلَّبتها وجعلتها آجراً فزعموا ان تولد الجبال من اجتماع الماء والطين وتأثير الشمس واما سبب ارتفاعها وشخوصها فجاز ان يكون بسبب زلزلة فيها خسف فتنخفض بعض الارض وترتفع بعضها وجاز ان يكون بسبب ان الرياح تنقل التراب من مكان الى مكان فتحدث تلال ووهاد ثم يتحجر بسبب ما قلنا وذكر صاحب المجسطي ان كل ستة وثلاثين الف سنة تنتقل اوجات الكواكب وتدور في البروج الاثني عشر دورة واحدة فاذا انتقلت من الشمال الى الجنوب اختلفت مسامتات الكواكب ومطارح شعاعاتها على بقاع الارض فيختلف بها الليل والنهار والشتاء والصيف والحر والبرد وتتغير ارباع الارض فيصير العمران خراباً والخراب عمراناً والبراري بحاراً والبحار براري والسهول جبالاً والجبال سهولاً فان الجبال من شدة اشراق الشمس عليها بطول الزمان تنشف رطوبتها وتزداد يبساً وجفافاً وتتكسَّر فتصير احجاراً او رمالاً ثم ان السيول تحملها الى بطون الانهار ومنها الى البحار فتنبسط في قعرها سافاً بعد ساف بطول الزمان وتتلبَّد بعضها فوق بعض فيحصل في البحار جبال وتلال كما يتلبَّد من هبوب الرياح دعاص الرمل ولذلك قد يوجد في جوف الاحجار اذا كسرت صدفة او عظم وذلك بسبب اختلاط طين هذا الموضع بالصدف والعظم "

انتهى قول القزويني وهو شبيه بما قالهُ الفلاسفة الاقدمون واقرب الى الحقيقة مما قالهُ الفلاسفة الاوربيون الذين جاؤوا بعدهم الى ان قام فركستورو الطبيب الايطالي في اوائل القرن السادس عشر وقال ان المتحجرات آثار حيوانات عاشت على الارض في ادوار مختلفة وانها ليست

من طوفان نوح واثبت ذلك بادلة نعدُّها اليوم قاطعة ولو لم يرعها الناس سمعاً في زمانهِ

لكن بقي علماء اوربا يقولون ان المتحجرات باقية في الارض من طوفان نوح او انها متولدة فيها تولُّدًا بقوة طبيعية الى الربع الاخير من القرن الثامن عشر حين تملَّص العقل من سلطة الوهم وخلع نير التقليد فلاحت تباشير العلم الصحيح وعُرفت حقيقة هذا المتحجرات ونسبتها الى الحيوانات العائشة والى الحيوانات البائدة وأُخذت دليلاً على ما اصاب الحيوان والنبات من التغيرات مدى العصور الكثيرة التي مرَّت على الارض وهذه هي الفائدة العلمية التي نتجت عنها

هذا والمتحجرات التي رآها هيرودتس ابو التاريخ في القطر المصري منذ نحو اربعة وعشرين قرنًا رآها الوف والوف الوف من الناس قبلهُ وبعدهُ وترى امثالها الآن في كل البقاع بل ان جانبًا كبيرًا من حجارة الاهرام مؤلف منها ولم يكن لها شأن كبير لشيوعها ولذلك لم تهتم الحكومة المصرية بانشاء دار لها تجمع فيها امثلتها لدرسها والبحث فيها

ومنذ مدة وجيزة كان العالم شوينفوث الالماني يمسح الارض في جهات الفيوم فرأى مكانًا كثير الحفر والنقر فظنَّ بفراستهِ ان فيهِ آثار حيوانات قديمة من المتحجرات قياسًا على ما كشف في اماكن مثل هذه في بلدان أُخرى. ولا نظن انهُ توقَّع ان تكشف فيها آثار من اعظم ما كشف من آثار الحيوان حتى الآن . وقد اشرنا الى هذه الآثار في شهر نوفمبر الماضي حيث قلنا

"حار العلماء في كيفية تولُّد ذوات الخرطوم من الحيوانات كالفيل المعروف الآن والفيل المنقرض المعروف بالمستودن فان الاحافير الجيولوجية التي كشفت الى الآن تدل على ان هذه الحيوانات وجدت بغتةً في اواسط عصر الميوسين من العصور الجيولوجية ولم تكشف احافير حيوانات اخرى تصل بينها وبين غيرها من الحيوانات التي قبلها لكن الدكتور اندرُس وجد بين المتحجرات التي وجدت في الفيوم من القطر المصري احافير حيوان فقري مثل المستودن في الطبقات السفلى من عصر الميوسين المعروفة بالاوليغوسين وهو يخالف عن المستودن باسنانهِ ووجد في المتحجرات التي وجدت تحتها آثار حيوان مثل هذا ولكنهُ من ذوات الحافر. وهذا الاكتشاف من اهم الاكتشافات الجيولوجية الحديثة لانهُ يظهر كيفية تولد الافيال بكشف احافير اسلافها"

وحالما رأت الحكومة المصرية انهُ كُشف في بلادها مثل هذه الآثار التي لها شأن كبير لدى العلماء اجابت طلب الكبتن ليونس مدير قسم المساحة وانشأت دارًا للتحف الجيولوجية في حديقة نظارة الاشغال العمومية . وقد زرنا هذه الدار مرتين فرأينا فيها الكبتن ليونس والدكتور اندرس المشار اليهِ آنفًا وهو جيولوجي دار التحف البريطاني ونظرنا جميع المتحجرات التي كشفت في الفيوم وأُتي بها الى العاصمة وشرحها لنا الدكتور اندرس شرحًا وافيًا

ومن يدخل دار هذه التحف الآن يجد فيها آثار حيوانات كثيرة من ذلك آثار الحيوان الذي يشبه الفيل وآثار حيوان يشبه الكركدن وآثار نوع من التمساح ونوع من السلاحف البرية ونوع من الوبر وانواع اخرى لم نتبيَّنها جيدًا او لم تبقَ صورتها في ذهننا

اما الحيوان الذي يشبه الفيل فمزيتهُ الكبرى ان الفيل المعروف الآن يمتاز بكثرة الحدبات في اسنانهِ حتى كأَن السن الواحدة منها اسنان كثيرة وقد يكون في السن الواحدة اربع وعشرون حدبةً او حرفًا عرضيًا بارزًا منها فتظهر كانها اثنتي عشرة سنًا مما له حدبتان ولذلك لا يكون في كل جهة من كل فك من فكي الفيل الآن واحدة كبيرة وسن اخرى بجانبها حتى اذا بريت الاولى ووقعت كبرت الثانية وقامت مقامها . وعدد هذه الحدبات او الحروف قليل في الافيال القديمة اسلاف الافيال المعروفة الآن وهو نحو اربع عشرة حدبةً كأَن السن مؤَلفة من سبع اسنان . ولا بدَّ من ان عدد هذه الحدبات كان اقل من ذلك كثيرًا في اقدم انواع الافيال حتى نصل الى الحيوانات الثدوية الاخرى التي تفرَّع الفيل منها ولكن لم يكشف شيء من ذلك الى الآن فان آثار الفيل التي وُجدت في الفيوم تصل بينهُ وبين الحيوانات الاخرى التي ليس في اسنانها حدبات كثيرة فان في كل جانب من فكيهِ بضع اسنان لا سن واحدة ذات حدبات كثيرة وبقية عظام هذا الحيوان تدل على انهُ كان ضخمًا جدًّا مثل الفيل المعروف الآن او اكبر منهُ . ولا بدَّ من ان تجمع العظام التي كشفت ويؤَلف منها حيوان كامل فنرسم صورتهُ حينئذٍ ونوفيهِ حقهُ من الوصف

والحيوان الآخر الذي لهُ الشأن الاكبر بين هذه المكتشفات هو نوع يشبه الكركدن سماهُ المستر بيدنل الجيولوجي مكتشفهُ ارسينويثريوم Arsinoitherium نسبة الى الملكة ارسينوي التي تسمَّت الفيوم باسمها في عهد البطالسة . هذا اسم الجنس وجعل النوع الخاص بهذا الحيوان زتلي Zitteli نسبة الى العالم الجيولوجي الالماني الذي كان اول باحث في جيولوجية القطر المصري

واغرب ما في هذا الحيوان رأسهُ فانهُ على ضخامتهِ مسلَّح بقرنين شقيقين كأَنهما برجان مشيدان فاذا نُظر اليهِ من جانب واحد ظهر القرنان كأَنهما قرن واحد كما ترى في الصفحة الاولى من صفحات الرسوم الثلاث التي في صدر هذا الجزء فان فيها صورة الفك الأعلى ونتوء كبير بارز منهُ ووراء هذا النتوء نتوءان صغيران كما ترى عند اسفلهِ . واذا نُظر الى هذا النتوء من الامام ظهر انهُ يعلو اولاً كأَنهُ نتوءٌ واحد اسطواني الشكل ثم ينشق الى شعبتين او قرنين عظيمين كما ترى في الصفحة الثانية من صفحات الصور. وأَحد هذين القرنين مكسور والاخر سالم. وطول

الرأس ٧٥ سنتمترًا وعرضهُ ٢٤ سنتمترًا وقطر هذا النتوء من اسفلهِ ٢٤ سنتمترًا كعرض عظم الرأس ثم يتسع قليلاً ويتفرَّع فرعين كما ترى في الصفحة الثانية . والرأس ضيق كرأس الفرس كما ترى في الصفحة الثالثة والاسنان سبع في كل جانب من جانبي الفك والظاهر انهُ كان في مقدَّم الفك قاطعان من القواطع الامامية

وقد كان كفل هذا الحيوان كبيرًا واسعًا جدًّا يظهر من عظامهِ التي كشفت ان اتساعهُ كان نحو متر ونصف . قال المستر بيدنل مكتشفهُ ان شكل اسنانهِ يدلُّ على انهُ من اسلاف الكركدن ولكن النتوء البارز من رأسهِ يجعلهُ شبيهًا بالدينوثريوم الذي كشفت آثارهُ في اميركا الشمالية . والفرق كبير بين قرنيهِ وقرن الكركدن لان هذا ليس بينهُ وبين الجمجمة اتصال عظمي . ويظهر كأنَّ هذين القرنين العظيمين كانا مقرَّبين لقرنين طويلين كقرني الجاموس او بقر الوحش او لقرنين قصيرين كقرني الزرافة

واننا بفارغ الصبر ننتظر ان يتم جمع ما كشف من هذه المتحجرات وما يمكن ان يكشف منها وجمع اجزائها بعضها مع بعض ليعلَم منها شكل الحيوانات التي هي من بقاياها

وآثار التمساح التي وجدت في الفيوم تدلُّ على تمساح قديم طويل الفكين دقيقهما قال لنا الدكتور اندرس انهُ يشبه التمساح الدقيق الفكين الموجود الآن في بورنيو ويكاد فكاهُ يشبهان منقار الطائر الدقيق المنقار وهو المعروف علميًّا باسم Garialis gangetica ومن المحتمل ان التمساح الذي كشفت آثارهُ في الفيوم اقرب الى التمساح الذي يوجد في غربي افريقية C. cataphractus منهُ الى تمساح الهند لان فكيهِ ليسا مفرطي الطول كفكي تمساح الهند

والوبر حيوان صغير كالارنب ولكن آثار الحيوان الذي كشف في الفيوم من نوعهِ تدلُّ على انهُ كان اكبر كثيرًا مما هو الآن

واول ما تقع عليهِ عين الداخل الى المعرض الجيولوجي سلحفاة كبيرة جدًّا من السلاحف البرية تذكّر الرائي بسلاحف غلاباغ التي وصفها الشهير داروين . وسنأتي على وصف هذه المتحجرات كلها بالتفصيل في جزء تالٍ

والظاهر ان النيل او نهرًا آخر من الانهار القديمة كان يصبُّ في حوض الفيوم قبلما تكوَّن القطر المصري ويجرف اليهِ ما يغرق فيهِ من الحيوانات او ما تجرفهُ السيول اليهِ منها فامتزجت رممها بالطين وحلَّ فيها التحوُّل المعروف اي ذابت الدقائق الآلية من عظامها وحلَّ محلها دقائق جيرية ورملية فتحجرت وطمرتها الرمال بعد ان نضب الماء فحفظت الى هذا العهد بعد ان بقيت في مقرها الوفًا والوف الف من الاعوام

ارباب المال والاعمال



المستر جوزف روبنصن

كنا نظن المستر ركفلر الغني الاميركي الذي اوردنا ترجمتهُ في الجزء الثالث اغنى اغنياء المسكونة فاتصل بنا حديثاً ان المستر روبنصن اغني منهُ لان ما يمتلكهُ في مناجم جنوبي افريقية يبلغ ثمانين مليوناً من الجنيهات اي مضاعف ما يمتلكهُ كارنجي الشهير

ولد هذا الرجل في مستعمرة الراس وشرع في التجارة وعمرهُ ١٦ سنة وجعل يربي الخيل والغنم والبقر ويشتري الصوف ويرسلهُ الى انكلترا . اي انهُ عني بالتجارة وتربية المواشي في السن الذي يقضيهِ اكثر الشبان في الدرس او في اللهو فنجح في عملهِ نجاحاً كبيراً شأن كل مجتهد مقتصد

وحدث في تلك الاثناء الحادث الذي قدّر لهُ ان يغير تلك البلاد تغييراً تاماً ويغني الوفاً ويفقر الوفاً ويضرم نار هذه الحرب التي لا تزال مستعرة في جنوبي افريقية نعني بهِ

اكتشاف الماس فيها فقد ذكرنا في الجزء الماضي ان فلاحًا اسمهُ نيكرك صدَّق انهُ يوجد حجر كبير من الماس عند بعض القبائل الافريقية وظلَّ يتطلبهُ الى ان وجدهُ في اواخر سنة ١٨٦٩ والظاهر ان نيكرك صدق هذا الخبر بعد ما وُجد حجر من الماس في بيتهِ فقد قيل ان صيادًا اسمهُ اوريلي كان يضرب في البلاد يصيد الحيوانات ويجمع ريش النعام نزل ذات ليلة ضيفًا عليهِ وكان ساكنًا في ولاية اورنج الحرَّة قرب نهر الفال فرأى ابنتهُ تلعب ببعض الحصى فجلس ينظر اليها ورأى بين الحصى حصاة ملساء لامعة فمسكها وجعل يتأملها فقال لهُ نيكرك انها من الصوان الذي يؤخذ منهُ القدَّاح فقال اوريلي انها ليست من الصوان في شيء . ثم طلب منهُ في الصباح ان يبيعهُ اياهُ فضحك نيكرك من ذلك وقال لهُ أأبيعك حجرًا لا قيمة لهُ خذهُ من غير ثمن فقال اوريلي اني اظنهُ حجرًا ثمينًا فان كان كذلك اعطيتك نصف الثمن الذي ابيعهُ بهِ

واخذهُ وعاد بهِ الى مدينة كولسبرج ودخل فندقًا وجعل يخدش بهِ زجاج الشبابيك فوجدهُ صلبًا يخدش الزجاج فضحك عليهِ الحضور واخذ واحد منهم قطعة صوان وخدش بها الزجاج فخدشتهُ كما خدشهُ هذا الحجر ولما رأى اوريلي ذلك رماهُ من الشباك ولكن بقي في نفسهِ شيء منهُ فعاد اليهِ بعد ساعتين والتقطهُ واراهُ لاناس كثيرين فكانوا يضحكون عليهِ ويقولون انهُ نوع من الصوان او دب الملح فيرميهِ ثم يعود فيلتقطهُ واخيرًا بعث بهِ الى مدينة الراس فرآهُ احد تجار الجواهر وقال انهُ حجر ماس فاشتراهُ والي مدينة الراس بخمس مئة جنيه . وعاد اوريلي الى نيكرك واعطاهُ مئتين وخمسين جنيهًا منها وطلب من ابنتهِ ان تريهُ المكان الذي التقطت الحجر منهُ فارتهُ اياهُ فوجد فيهِ حجارة اخرى صغيرة من الماس

ولما قبض نيكرك المئتين والخمسين جنيهًا خطر ببالهِ ما سمعهُ عن حجر عند بعض القبائل الافريقية فقام لساعتهِ وجعل يبحث عنهُ الى ان وجدهُ فاشتراهُ ثم باعهُ باحد عشر الف جنيه على ما ذكرنا في الجزء الماضي في ترجمة سسل رودس

وبلغ المستر روبنصن هذا الخبر فحدثتهُ نفسهُ بان خزائن الثروة مدفونة عند نهر الفال فقام لساعتهِ واخذ معهُ بعض رجالهِ وعرَباتهِ وسار الى نهر الفال وترك رجالهُ ومركباتهِ على ضفة النهر وركب جوادًا وعبر الى الضفة الاخرى فوصلها بعد عناء شديد لان النهر كان في زمن فيضانهِ . وكان اهالي البلاد قد عرفوا عن وجود الماس في بلادهم وانهُ غالي الثمن وجعلوا يجمعونهُ ويبيعونهُ فرأى مع واحد منهم حجرًا كبيرًا فعرض ان يشتريهُ منهُ بعشرة جنيهات فابى فدفع اليهِ اثني عشر جنيهًا فابى ايضًا فقال لهُ ما لنا وللجنيهات بكم عنزٍ تعطيني هذا الحجر فابرقت اسرَّة

الرجل وقال بعشرين عنزة فعاد روبنصن وعبر النهر وبعث رجالهُ يشترون لهُ كل ما يجدونهُ من المعزى . وفي اليوم التالي اشترى الحجر بعشرين عنزة ولا يزال هذا الحجر عندهُ وهو اساس ثروتهِ وقد رأينا صورتهُ وهو كبير مثل الحجارة التي يباع الحجر منها بخمسة آلاف جنيه او اكثر وكان ثمن المعزى التي اشتراهُ بها سبعة جنيهات ونصف

وكان عندهُ الف وخمسمئة رأس من البقر فاتى بها كلها ليقايض عليها بالماس . وكان لهُ شريك فبعث اليهِ اثنين من رجالهِ اركبهما على اسرع خيلهِ وطلب منهُ ان يشتري لهُ كل ما يمكنهُ مشتراهُ من العربات ويسرع بها اليهِ فجعل الاهالي يفتشون لهُ عن حجارة الماس وهو يشتريها منهم بالبقر والعربات واشترى منهم ايضاً ارضاً مساحتها عشرون الف فدان على ضفتي نهر الفال ولم يمضِ عليهِ شهر ونصف حتى وجد فيها من الماس ما ثمنهُ عشرة آلاف جنيه

(٣) وعرضت لهُ مشاكل كثيرة فلم تقوَ عليهِ ووقع في ورطات عديدة ثم نجا منها من ذلك انهُ سمع ذات ليلة صياحاً شديداً على جانب النهر المقابل فظن ان البرابرة قادمون عليهِ فقبض على بندقيتهِ وجلس وراء شجرة وفعل رجالهُ مثلهُ وزاد الصياح والجلبة ثم عبر النهر جم غفير من الاهالي البرابرة ودنوا منهُ واذاهم رجال من قبائل البشمن راكبون على الثيران السوداء ومعهم شيخهم واسمهُ سودا فقال انهُ جاء روبنصن بحجارة نادرة المثال وفك صرة كبيرة في الصباح واخرج منها حجارة من الماس المسوس لا تساوي ثلاثة جنيهات ولم يستطع ان يعرفهُ عنهُ الاَّ بعد عناء شديد

وصنع مرةً طوفاً من البراميل الفارغة ليقطع عليهِ نهر الفال وجلس عليهِ ومعهُ جماعة من رجالهِ . ولما وصل الى وسط النهر افلت برميلان من البراميل فغرق الطوف وغرق رجالهُ ولم يكن احد منهم يعرف السباحة الاَّ هو ورجل آخر لكنهُ نجا ونجَّى رجالهُ كلهم

وكما اغتنى هو وجمع الالوف من الجنيهات اغتنى الاهالي بما اعطاهم اياهُ من الثيران والعربات ثم صاروا يقبلون الثمن نقوداً ويشترون بهِ ثياباً وحلَى وصاروا يتركون العمل ويشتري الواحد منهم عشرين زوجةً ويجلس يأكل ويشرب وهنَّ قائمات على خدمتهِ

وبلغهُ ذات يوم ان امرأة من البوير وجدت حجارة من الماس في بيتها فاسرع اليها ووجد عندها ستة حجارة صغيرة فاشتراها منها ودلتهُ على المكان الذي التقطتها منهُ فوجد فيهِ ماساً كثيراً وهو منجم دتوتسبان واخبرتهُ هذه المرأة ان جارة لها وجدت حجارة ماس في ارضها فاسرع اليها واشترى الحجارة واشترى المكان الذي وجدتها فيهِ وهو المعروف الآن بمنجم بلتفنتين . وكان هذا المنجم كثير الماس حينما كشفهُ حتى ان كل عامل كان يستخرج منهُ في

يومهِ ما يساوي اربعمئة جنيه . ثم اكتشف منجم ده بيرس صدفةً . فهو المكتشف لثلاثة من مناجم الماس الاربعة

وكانت فتاة جالسة في ظل شجرة ترسم رسوماً على الرمل بطرف شمسيتها فرأت حجراً كبيراً من الماس ثم اتضح ان المكان كثير الماس وهو منجم كمبرلي المشهور وحالما كُشف اشترى روبنصن جانباً كبيراً منهُ . وجاءهُ رجل ذات يوم وقال لهُ اني استطيع ان اشتري نصف حصة من حصصك فان وجدتَ لي واحداً يشتري النصف الآخر فانا اشتغل الحصة كلها واعطيهِ نصف ربحها فقال لهُ روبنصن ادفع نصف الثمن ويبقى النصف الآخر لي فدفع واشتغل في الحصة وحدهُ فاستخرج منها في الشهر الاول ما ثمنهُ اربعة آلاف جنيه وجاء روبنصن بالفي جنيه منها فوهبهُ روبنصن النصف الآخر وهو الآن من كبار الاغنياء

وعظم شان روبنصن بتعاظم ثروتهِ فجُعل محافظاً لمدينة كمبرلي وعضواً في مجلس المعادن وعضواً في مجلس الشورى بمدينة الراس . وجاءهُ سنة ١٨٨٦ تلغراف من الرجل الذي وهبهُ نصف حصة يقول فيهِ "كشفت ارض على ثلاثين ميلاً من بريتوريا فيها ذهب واظنها تستحق عنايتك ومجيئك حالاً اليها"

فقام حالاً واتى الى حيث وُجد الذهب واشترى الارض التي فيها منجم لنجلاغيات بسبعة آلاف جنيه والارض التي فيها منجم روبنصن باثني عشر الف وخمس مئة جنيه وجعل يحفر هذه المناجم ويشتري الاراضي المجاورة حتى اشترى ارضاً طولها ثلاثين ميلاً وهناك مناجم وتوترستراند وهي اكبر مناجم الذهب واعمقها واغناها ويُظَن انهُ لا يمكن استنزاف ذهبها كلهِ قبل ثمانين سنة

وضحك بهِ كثيرون في اول الامر قائلين انهُ جمع ثروة طائلة من مناجم الماس وهو يبذرها الآن في مناجم الذهب وقال واحد منهم ما لكم ولهذا الحمار فقد اشترى حقلاً من الكرنب بسبعة آلاف جنيه . لكن حقل الكرنب هذا هو منجم لنجلاغيات ولم يلبثوا ان رأوا نجاحهُ وارتقاءهُ دفعةً واحدة الى الدرجة العليا بين ارباب الثروة ومستثمري الاموال . ومن رأيهِ ان في جنوب افريقية ثروة وافرة لم يحلم بمثلها احد وان استخراجها سيزيد زيادة كثيرة حالما يستتبّ الامن في تلك البلاد

وفي سيرة هذا الرجل ما في سيرة غيرهِ من ارباب الثروة من دلائل الهمة والاقدام والحزم واستخفاف المصاعب وحسن النظر في العواقب . ولا ينكر انهُ وقع لهُ من الفرص ما يندر وقوعهُ لغيرهِ ولكن الذين وقعت لهم هذه الفرص معهُ كانوا يضحكون بهِ ويتهكمون عليهِ ففوزهُ دليل على ما امتاز بهِ عليهم من علو الهمة وحسن النظر في العواقب

حاضر المصريين

"او سرّ تأخرهم"

يشكو ناقدو الكتب الافرنجية اليوم لا سيما الانكليزية منها كثرة ما يطبع منها وينشر حتى غصّت بها المكاتب وضاقت مخازن باعتها اما نحن فليس لنا ما نتذمر منهُ من هذا القبيل لقلة ما يطبع في بلادنا من الكتب لكن شكوانا امرُّ من شكواهم ذلك ان اكثر ما ينشر عندنا تافهٌ لا يستحق القراءة وبعضهُ مضرٌّ مخلٌّ بالآداب يستوجب صاحبه العقاب وقلّ ان يصدر كتاب فيهِ ما يروي الغليل ويشرح الصدر سواء كان في العلميات او في الادبيات

في مصر اليوم حركة خواطر نشأت بعد هذه النهضة الاخيرة التي تكاد تحيي ميت الآمال فانَّ بعض الفضلاء الذين يعرفون مكمن الادواء اخذوا يبحثون عن اسلوب تحل بهِ بعض مشاكل عمران هذه البلاد بعد ان اتسعت موارد ثروتها وزاد اتصالها بالبلدان الاجنبية واختلاط اهلها باهل تلك البلدان واشتراك مصالح الفريقين وبعد ان كثر عدد المتعلمين من الناشئة المصرية فبذل هؤلاء الافاضل جزءا كبيراً من وقتهم في درس الحالة الحاضرة ومافيها من العلل ونظروا في السبل التي سار فيها هذا العمران والمراحل التي اجتازها وما دهمهُ من النوازل والمصايب وردَّهُ على عقبيهِ ثم عكفوا على تشخيص الداء ووصف الدواء ونشروا آراءهم في كتب ومقالات وقصائد اخصّ منها بالذكر كتاب سرّ تقدم الانكليز السكسونيين وكتابي تحرير المرأة والمرأة الجديدة فتلقى القوم هذه الكتب وتلك المقالات وما نشرته الجرائد والمجلات في شأنها وبينهم القادح والمادح والمسلّم والمشاغب وانبرى الكتّاب لانتقاد ما فيها على الوجوه التي يعرفها قراء الجرائد المصرية مما لا حاجة بنا لاعادتهِ في هذا المقام

وقد ظهر في هذا الشهر كتاب جدّي خليق بالقراءة والتفكير حاول فيهِ صاحبهُ ان يزيح الغطاء عن سرّ تأخر المصريين . والذين يعرفون المؤلف يعرفون منهُ شاباً رزيناً قليل الكلام كثير التأمل والدرس محباً للاستفادة بعيداً عن المزاح بين ضلوعهِ نفس تميل الى التقدم في السبل المشروعة ومن كان كذلك فأخلق بكتابتهِ ان تكون في المواضيع الجدية المفيدة .

يريد المؤلف ان يبسط حالة المصريين الحاضرة في طبقاتهم الثلاث وان يمثلهم لعيونهم كما هم في طباعهم واخلاقهم واميالهم وعاداتهم واساليب معيشتهم والاسباب العاملة في انحطاطهم وما عرض لهم من اسباب النجاح وما يجب اصلاحهُ من احوالهم ففعل ذلك دون ان يخشى في قولهِ لومة لائم لاعتقادهِ ان ما يقولهُ هو الحق كما يتجلى لعينيهِ بعد اختبارهِ مواقع

الضعف والشدَّة في بلادهِ . ولو كان من علماء السيولوجيا لانتظرنا منهُ ان يمهّد لكتابهِ سبيل البحث كأن يأتي على ذكر نواميس العمران وشرائعهِ العامة ثم يستطرق منها الى ما في هذا القطر من الخصوصيات في الاقليم وتشعب الاديان واشكال الحكومات التي تولتهُ واختلاف اغراضها وتباين غاياتها وما كان لذلك من الاثر في نفوس اهلهِ وسكانهِ الى ان يتخلص الى التخصيص كما فعل لكنَّ الرجل ليس كذلك (ولا اظنهُ من ناقلي الشهادة الابتدائية او الثانوية ! !) فهو كما قلت في وصفهِ مُنح عيناً نقاوة ونيرة وقلباً يتلهب غيرةً ووطنية فقرأ في سفر بلادهِ ما قرأ ثم نقدهُ فميَّز الصحيح من الفاسد وحضَّ على التمسك بالاول والاستزادة منهُ وترك الثاني واستبدالهِ بما هو اصلح لبقاء الامَّة وفلاحها مشيرًا الى طرق الاصلاح واتخذ لذلك اسلوباً بسيطاً يفهمهُ الجميع وكأن الكتاب من اولهِ الى آخرهِ رواية تمثل حالة الأُمة لا ينقصها سوى حديث او حكاية كما يفعل بالروايات التاريخية كبار كتابها

اما الصورة التي رسمها فليست مما يسرُّ الناظرين فقد بدت باشدّ الالوان سوادًا وارتدت رداء ضافياً من القباحة وسوء المنظر فاذا كانت هذه الصورة مطابقة للواقع — واودُّ ألَّا تكون — فالامر اسوأُ مما نظنُّ والرجل مصيبٌ في استصراخهِ الامة وافاضلها للهبوب من سبات الغفلة والاهتمام بامورها

والكتاب يخصُّ كلَّ طبقة من الطبقات الثلاث بمرض او اكثر من امراض العمران ثم يصف الدواء تارة موجزًا وطورًا بالاسهاب ثم يردُّ هذه الامراض الى اصل واحد وهو الجهل الفاشي في التربية البيتية والمدرسيَّة وافتقار البلاد الى المعدَّات التي تضمن حسن تلك التربية واستمرارها في المرء بعد تركهِ حضن امهِ ومغادرتهِ المدرسة التي يتلقى علومهُ فيها . امَّا الجهل فلا سبيل الى انكارهِ واما التعليم الذي يدفع شرَّهُ عن البلاد ففي حالةٍ سيئة وقد احسن المؤلف في حضهِ ابناء وطنهِ على الاهتمام بامر المدارس غير معتمدين على الحكومة لكني ارى ان الزمان الذي يتمناهُ لم يحن بعد فهذا مشروع مدرسة محمد علي الصناعية ليس في البلاد من ينكر فضلهُ ونفع المدرسة ومع ان القائمين بهِ لم يدخروا وسعاً في تشويق الناس الى اسعافهِ وبذل المال اعانةً لهُ ومع ان الجرائد تنشر هبات القوم من انحاء مصر كافةً ومع ان المتموّلين في هذا القطر يعدُّون بالالوف فلم يزد المال المجموع عن عشرة آلاف جنيه جزء كبير منها من الاجانب ومثر واحد في اميركا او اوربا يزور مدرسة فيرى فيها نقصاً او حاجة فتنزهُ الاريحية ويجود بمثل هذا المقدار وباضعافهِ ولا تطنطن جرائد بلادهِ بكرمهِ قدر طنطنة جرائدنا بسخاء من يبذل مئة جنيه !

انظر الى اساليب التربية والتعليم المتبعة في الشرق على الوجه الذي بينهُ المؤلف في الطبقات

الثلاث فلا يغرب عنك سر ما تراه من التأخر والانحطاط بل يأخذك العجب كيف ان هذا الانحطاط لم يبلغ اوطأ الدركات ثم قابل بين الذين نشأوا على هذا النمط وبين اخوانهم الذين اتيحت لهم اسباب التربية والتعليم الصحيحين في هذه البلاد او في البلاد الاجنبية تعلم ان في الشرقيين من الاستعداد الفطري ما يؤهلهم لأن يكونوا رجالاً كباراً اذا غرست فيهم ابان الطفولية والصبوة بزور العلم الصحيح والفضيلة والآداب . أليس من المحزنات ان يكون ذلك في وسعنا وان يكون مناله قريباً منا بشرط ان نسعى اليه ثم نحول عنه وجوهنا ونسير في الجهة الاخرى . أو نعجب بعد هذا كله ان صارت البلاد طعمة للاجانب فكانت تجارتها وصناعتها بايديهم ونأسف لان الضعف داخلها وان القوة احاطت بها احاطة السوار بالمعصم أنسينا ان القوة اساس النجاح وان لا قوة مع الجهل وان الضعيف عبد للقوي

فكتاب حاضر المصريين صورة عامة لحالة البلاد يراها الواحد فتنقبض نفسه وما من شرقي محب لشرقه الا ويتمنى ان تتبدل الوان هذه الصورة بما هو ازهى ومناظرها بما هو اجمل والسبيل الوحيد الى ذلك التربية الصحيحة والتعليم المفيد وما خرج عنهما فوسائل لها بعض الفعل ولكنها لا تفي بالغاية المطلوبة . اقول هذا وانا اعلم ان بعض من له اليد في الامر لا يرون هذا الرأي زعماً منهم ان تعليم الفلاحين يعود عليهم بالضرر وهي دعوى لا سبيل لاثباتها والادلة على فسادها متوفرة ولضرر مع العلم خير منه مع الجهل

وكأن المؤلف لم يترك باباً للوقوف على الحقائق الا قرعه يدلك على ذلك ما في الكتاب من الاحصاء في الكتب والجرائد والمطابع والمدارس والمتعلمين والمتملات والبيوت التي خربت بفضل تبذير اولادها والجنايات الى آخر ما اشتمل عليه من هذا القبيل واعجب منه اشاراته في عرض الكلام الى ما جاء في الجرائد المصرية والمجلات ونحوه — حتى الاعلانات في الجامع الازهر — من الاقوال التي لها ارتباط بمباحثه مما يدل على انه كان في اثناء تأليفه لا يغفل عن تقييد الشوارد التي تزيد حجته اثباتاً وكلامه وضوحاً وجلاء

على اني رأيته يكثر من الاشارة الى ما للتمدن الافرنجي من الاثر في هذه البلاد وكأنه يلوم الافرنج على تلقينا عنهم ما تلقيناه من العادات والاخلاق التي لا تصلح لنا ولا تفيدنا كما انها لا تصلح لهم ولا تفيدهم على ان الافرنج ليسوا بملومين على اقتباسنا عنهم ما اقتبسناه وان يكونوا ملومين في تمسكهم بتلك العادات والاخلاق فمثلنا ومثلهم مثل من يذهب الى السوق ليبتاع حاجة فيرى اصناف البضائع معروضة امامه بين جيد ورديء فاذا انتقى الرديء فلومه على نفسه اذ لم يكن هنالك من اجبره على اختيار صنف دون آخر على أن عذر المؤلف في

ذلك غيرتهُ المحمودة والتزامهُ الايجاز في الكلام في بعض المواضع والاَّ فقد رأيناهُ في غيرها ينصح ابناء بلادهِ كي يتحدَّوا الاوربيين في التحلي بالفضائل والمعارف ويهتموا اهتمامهم باسعاد بلادهم والاهتمام بنجاح اهلها

امَّا الصفة التي تتمثل في الكتاب باجلى بيان فشجاعة صاحبهِ تلك الشجاعة الادبية التي تذلُّ امامها الكواسر وتطأطئ لها الرؤوس فقد جاهر بحقائق لا يروق نشرها فريقاً كبيراً من الناس ولم يلبسها التدليس ولا التمويه ولا خفَّف طعمها الحادَّ بالمدح الفارغ بل نادى بها من على السطح آسفاً نادباً مظهراً عيوباً فاضحة مرشداً الى الدواء الشافي لكلٍ منها عالماً ان تقدم بلادهِ وتمدنها انما هما اكبر العوامل على حفظ كيانها وبقاء اهلها بين الشعوب المتمدنة . رأى الوف الاموال تنفق جزافاً في المقامرة والسكر والفواحش وشاهد الذكاء يختنق في المهد وابصر القلوب تفسد في الطفولية والصبوة ونظر الجهل ضارباً اطنابهُ في دور العلم وحجب الغباوة مسدولة على البلاد فاضاء مصباحهُ ورفع عقيرتهُ وبذل جهدهُ وانجز ما عندهُ واتمَّ واجباً تقضيهِ عليهِ الانسانية والوطنية لا يبتغي اجراً ولا يطلب شكراً ولا ينتظر من كتابهِ ربحاً فقد سمعتهُ يقول اذا بعت جميع ما سيطبع من نسخ هذا الكتاب فستبلغ اجرتي على تأليفهِ نحو مليم واحد عن الساعة الواحدة

وليتهُ بسط الكلام في الفصلين الخاصين بالتجارة والزراعة غير مقتصر على البحث العامّ فيأتي كلامهُ فيهما مرشداً يرجع اليهِ الذين يودُّون التخلص من ربقة الاستخدام المقيم وهم فئة كبيرة من الشبان المتعلمين ولبعضهم شيء من المال يستطيعون معهُ ان يرفسوا الاستخدام ويلتمسوا العيشة المستقلَّة في ما فيهِ فائدتهم ونفع البلاد

ولو لم يكن في فمي ماء لزدت على ما قالهُ في شأن التعليم في مصر والمدارس التي فيها على اختلاف صبغاتها ومشاربها ولكنني اعيد الآن ما قلتهُ في مجلس ضمَّ نفراً من الاغنياء وعصبة من الادباء " ان من العار على مصر بما فيها من الاغنياء والاموال ان تلجأ الى البلاد الاجنبية لتعليم اولادها العلوم وان لا يكون فيها مدرسة واحدة جامعة على الاقل تكفي ابناءها مشقة التغرُّب التماساً لتحصيل المعارف حيث يتلقونها على نمط لا يفي بحاجات بلادهم بل بحاجات البلاد التي يدرسون فيها "

ومع انني اتمنى للكتاب انتشاراً يليق باهميتهِ وفائدتهِ واهتمام صاحبهِ في وضعهِ فانني اخشى ان يكون سرُّ تأخر مؤلفهِ الماديّ لان المجاهرة بالحق لا تكسب صاحبها سوى عداوة الخلق لا سيما ما كان منهُ مجرَّداً عن المدح والتملُّق واذا لم ينتشر هذا الكتاب فذلك من اكبر الادلَّة على تأخرنا وعدم اكتراثنا لما فيهِ فائدتنا وتقدمنا

خليل ثابت

الماسونية في فرنسا

اطّلعنا على مقالة مسهبة في هذا الموضوع في مجلة القرن التاسع عشر الانكليزية قال كاتبها ما خلاصتهُ

وُضعت اسس الماسونية في انكلترا سنة ١٧١٧ فلم تتغيّر تغيرًا يذكر من ذلك الحين وقد اتّصلت بها العائلة المالكة منذ اكثر من مئة عام وانتظم في سلكها امراء الانكليز وشرفاؤهم. واعضاؤها من اشد الناس ولاء لحكومتهم وليس لهم غرض سياسي من جمعيتهم . والحال على ضدّ ذلك في فرنسا فقد دخلتها الماسونية سنة ١٧٢١ ادخلها اليها الانكليز فتقلّبت احوالها فيها بتقلُّب السياسة وراوحت بين مطالب العلم ومطالب الدين وغرضها الآن سياسي جمهوري مقاوم للاحزاب الاكليريكيّة

وللماسون في انكلترا ٢٩٠٠ محفل عدا المقامات الكبرى وهم فيها يعدُّون بمئات الالوف . واما ماسون فرنسا فلا يزيدون على ثلاثين الفًا ولا تقابل ثروة محافلهم بثروة المحافل الانكليزية ولهم مع ذلك شأن في سياسة بلادهم اعظم جدًّا من شأن الماسون الانكليز في سياسة انكلترا

وارتقى شأن الماسونية في فرنسا في عهد نبوليون الاول ثم انحطَّ كثيرًا حتى ان نبوليون الثالث اضطرّهم الى قبول رئيس اختارهُ لهم . وصار رجال البوليس يدخلون المحافل الماسونية ويرون ما يجري فيها من الرسوم كأنها تحت سيطرتهم. ثم عظم شأن الماسونية في فرنسا منذ عشرين سنة الى الآن وهي اليوم من اعظم دعائم الجمهورية الفرنسوية ولا يستطيع موظف في الحكومة ان يمدَّ اليها يدًا

وتقسم الماسونية في فرنسا الآن الى اربعة اقسام كبيرة وهي مجمع الرموز الاكبر والشرق الاعظم ومجلس الرموز الاسكتسيَّة الاعظم ومحفل فرنسا الاعظم . والقسمان الاولان خاصّان بالماسونية الفرنسوية والاخيران جاريان مجرى الماسونية الانكليزية. وكلُّ فريق منهما بمثابة مجلس النوّاب ومجلس الشيوخ اي ان الشرق الاعظم ومحفل فرنسا الاعظم بمثابة مجلس النواب. ومجمع الرموز الاكبر ومجلس الرموز الاسكتسي بمثابة مجلس الشيوخ .والشرق الاعظم والمجمع الاكبر قديمان واما المحفل الاكبر فحديث انشئ سنة ١٨٩٤ والفرق بينهُ وبين الشرق الاعظم انهُ يبيح لاعضائهِ الاعتراف بوجود الخالق في محافلهم واما الشرق الاعظم فلا يذكر فيهِ اسم الخالق وكلاهما محروم من كنيسة رومية مثل غيرهما من المحافل الماسونية في كل المسكونة والشرق الاعظم على جانب عظيم من الغنى والنفوذ . لهُ دار فسيحة في قلب باريس وعندهُ

اموال طائلة معدَّة للدفاع عن الماسونية تقدَّر بملايين الفرنكات. واما المحفل الأكبر ففقير بالنسبة اليهِ والمحافل التابعة للاول ٤٠٠ فيها ٢٢٠٠٠ عضو والمحافل التابعة للثاني ١١٠ فيها ٥٠٠٠ عضو

قلنا ان نبوليون الثالث شدَّد المراقبة على الماسونية ومما فعلهُ انهُ امر بتعيين المرشال مكماهون رئيساً للشرق الاعظم ولم يكن منتظماً في الماسونية فانتظم في سلكها حالاً واخذ درجاتها الثلاث في اسبوع من الزمان وكان غرض نبوليون ان يقاوم بهِ الماسونية اما هو فرغب فيها وصار من اعظم انصارها وحمل نبوليون على اعادة حقوق الشرق الاعظم اليهِ واهتمَّ بامورهِ المالية حتى وضعها على اسس وطيدة

وقد اخذ الشرق الاعظم في ابطال الرموز الماسونية حتى لم يبقَ منها شيء وصارت المحافل مثل الاندية العلمية والادبية يجتمع فيها العلماء والفلاسفة ورجال السياسة لكنها لا تدقق التدقيق الكافي في انتخاب اعضائها . ولم يبقَ شيء من اسرارها مكتوماً الاَّ كلمة السر التي يمتاز بها الماسوني عن الاجنبي اذا اراد دخول محفل غير محفلهِ وهذه تتغير كل مدة

ومن الامور الجديدة في الماسونية الفرنسوية انتظام النساء في المحافل مع رجالهم او اولادهم. لكن الشرق الاعظم والمحفل الاعظم لم يوافقا على ذلك حتى الآن ولا منعاهُ بل حسبا انهُ يستحق الامتحان ولا يبعد ان يوافقا عليهِ وتزيد قوة الماسونية وفائدتها بانتظام النساء فيها مع رجالهم

وقد اخذت المحافل الماسونية تبحث في كثير من المسائل العمومية كأنها اندية علميَّة ففي لائحة المواضيع التي عُرضت للبحث في ٦ دسمبر الماضي وفي ١٣ منهُ ما يأتي "سبب قلَّة السكان في فرنسا" . "نسبة الماسونية الى الاحزاب السياسية" . "واجبات اصحاب المعامل نحو عمالهم" . "أتستطيع الماسونية ان تمنع الحروب الاوربيَّة" . "العلاقة بين ارتقاء الوطنية وبين حقوق الانسان" . واختار بعض محافل باريس جماعة من العلماء لتلاوة الخطب في المواضيع الفلسفية والطبيعيَّة كعلم الدين . والمادة والحركة . وتولُّد العوالم . واصل الحياة . ويهتمُّ رئيس المحفل الاعظم الآن بتقليل نفقات الدعاوى على المتداعين وفي انشاء شركة لضمانة الحياة تكون اقل نفقات من غيرها ونحو ذلك من الاعمال التي تعود بالنفع على جمهور الماسون

وقد اثَّرت الجرائد الفرنسوية في نفوس الماسون في فرنسا بما تنشرهُ من نسبة كل الفضائل الى البوير في هذه الحرب وكل الرذائل الى الانكليز وهم لا يطالعون غير جرائد بلادهم فحملوا على لوم الانكليز مثل غيرهم من ابناء وطنهم وتظهر خلاصة آرائهم في ما اقرَّ عليهِ احد محافلهم وهو "من حيث ان الحرب اشد بليَّة تحمَّلها نوع الانسان ولا يزال يتحملها متألماً منها . ومن حيث انها تثير ادنى اخلاق الانسان تحت رداء الشرف والشجاعة ومحبة الوطن ونحو ذلك من

الاخلاق الكريمة . ومن حيث انهُ يحق لكل الناس ان يعيشوا احرارًا اينما كانوا . ومن حيث ان حرية الامم والافراد لا حدَّ لها الاَّ عند حرية الغير . ومن حيث ان حرب الانكليز والبوير تدلُّ الدلائل على انها ستدوم الى ان تنقرض امَّة احترمت حريَّة غيرها ولم تتهدَّد حرية الانكليز لا في اوربا ولا في املاكهم الخارجة عن اوربا . ومن حيث ان الماسونية اخوية عامَّة لا تقدر ان تحصر اميالها الانسانية في امة واحدة او شعب واحد . ومن حيث ان الماسون اكثر عددًا في انكلترا ممَّا هم في اية بلاد أُخرى . فهذا المحفل يتوسل الى الماسون الانكليز بحق الانسانية ولمصلحة انكلترا العظمى ان يبذلوا اقصى جهدهم في اقناع حكومتهم بابطال هذه الحرب التي اقفر بها جنوب افريقية والتي ستكون لطخة سوداء على مجد الامَّة العظيمة التي كانت مهد الحرية وبقيت مقرها الوحيد في اوربا سنين كثيرة "

ثم لما شاع ان وفيات اولاد البوير كثرت في الملاجىء الانكليزية اعترض المحفل الاعظم على ذلك وبعث الى محفل سويسرا ليرفع اعتراضهُ الى المحافل الانكليزية فاجابها ملك الانكليز " ان البوير الذين في الملاجىء غير مقيدين بالبقاء فيها ولهم الحرية المطلقة ليذهبوا اين شاؤوا وقد اضطرَّ الانكليز اضطرارًا ان يقيموا هذه الملاجىء لنساء البوير واولادهم لما رأوا ان رجالهم تركوهم لا طعام ولا مأوى " . فلما نُشر هذا الجواب كفَّت الجرائد الفرنسوية عن الانتقاد والتقريع

الاَّ ان الهمَّ الاكبر لماسون فرنسا سياسة بلادهم والفوارق الدينية لا تفرق بينهم فينتظم في سلكهم الكاثوليكي والبروتستانتي واليهودي والمعطّل على حدٍ سوى بشرط ان يكون جمهوريًّا واما اذا كان ملكيًّا فلا يقبلونهُ بينهم مهما كان مذهبهُ كان محافلهم اقسام من مجلس النواب من حزب الوسط وحزب الشمال بعضهم جمهوري معتدل وبعضهم جمهوري متطرّف وبعضهم اشتراكي وكلهم خصم للبرنس فكتور نبوليون ولدوق اورليان . ولا يقبلون طالبًا ما لم يثبت لهم انهُ جمهوري ويحسبون انهم والملكيون على طرفي نقيض ويقيمون دليلاً على فساد الحكم الملكي والامبراطوري ما فعلهُ نبوليون الثالث من سوّق فرنسا الى ميدان الحرب الفرنسوية الالمانية لمطامعهِ الشخصيَّة . اما الجمهورية فلا تستطيع ان تسوق امَّة الى حرب ما لم يكن اكثر نوَّاب الامَّة راضين بذلك فالماسونية الفرنسوية من الوسائط الفعالة لحفظ السلام في اوربا

وتُتهم الماسونية الفرنسوية بانها معادية للدين وهذه التهمة باطلة والحقيقة انها تقاوم الكنيسة الرومانية في انتصارها للملكيَّة لا غير ولكنها لا تقاوم البروتستانت ولا اليهود ولا غيرهم من اصحاب المذاهب الاخرى لانهم لا ينتصرون للملكيَّة . ورئيسها الحالي كان قسًّا في الكنيسة

المصلحة من كنائس البروتستانت . ثم ان البروتستانت الذين فيها على شدة تمسكهم بديانتهم لا يمتنعون عن الاجتماع مع المعطلين واللاادريين وذلك دليل قاطع على ان محافل الماسونية في فرنسا صارت مجتمعات سياسية تبحث في المسائل السياسية والاجتماعية لا غير وهمها الاكبر الاحتفاظ بالحكومة الجمهورية ولا تتعرَّض للمسائل الدينية مطلقاً

ماذا تود ان تكون

اقترح محرر مجلَّة لندن على بعض المشاهير اقتراحاً غريباً في بابهِ سأَل كلاًّ منهم ماذا تودُّ ان تكون لو لم تكن كما انت . فوردت عليهِ الاجوبة التالية

اجاب السر هنري ارفنغ وهو اشهر الممثلين الآن في البلاد الانكليزية وللتمثيل مقام رفيع عندهم حتى لم يأْنف من ذكرهِ اولاً . " اني اود ان اكون محرر مجلَّة لندن واكون مثلهُ قادراً على ابتكار المواضيع الجديدة لتسلية الناس وازالة السآمة من نفوسهم "

وقد عقَّب المحرّر على هذا الجواب قائلاً انهُ اذا حرر السر هنري ارفنغ هذه المجلَّة فاقت مجلات العصر ولكنهُ لو علم مقدار المتاعب والمشاق التي شيَّبت رأس المحرر وغضَّنت جبينهُ لعدل عن هذه الامنيَّة

واجابت مس ايرين فانبرو وهي من الممثلات ايضاً " انني اود ان لا اكون شيئاً "

واجاب المستر لويس وولر وهو من كبار الممثلين " اني اود ان اكون من اصحاب الملايين "

واجاب المستر سسل رالي منشىء الروايات التمثيليَّة " اود ان اكون رئيس اساقفة كنتربري او مساعداً لمحرر مجلَّة لندن ". وعقَّب المحرر على ذلك قائلاً اما منصب رئيس اساقفة كنتربري فيستحق ان تطمح اليهِ الانظار ويعصب لهُ الريق والمستر رالي يقوم باعبائهِ حتماً واما اذا استبدلَّ حرفتهُ بالحرفة الثانية فلا بدَّ لهُ من ان يندم

واجاب المستر كلمنت سكوت منتقد الروايات والتمثيل "اود ان اكون فلاَّحاً امتلك ابعدية لاني مغرم بحب الطبيعة والهواء النقي واحبُّ ان اعبد الله في الفضاء يا لها من عيشة راضية بين الطيور اذ يستريح المرء حينما تستريح الطبيعة . اني اعتقد بتقمص الارواح وارجو ان اصير من خدَمة الدين حينما اولد ثانية بعد الوف وملايين من السنين "

واجاب المستر برناند محرر جريدة بنتش الهزلية الانتقادية قائلاً " لا اعلم حقيقةً ماذا اودُّ ان اكون ومع ذلك اود ان اكون واحداً من اصحاب الملايين أيًّا كان "

واجاب الجنرال غرفث وهو من رجال السيف والقلم المعدودين "لا اريد ان اكون غير ما انا فان حالتي الحاضرة هي غاية ما كنتُ اتمنَّاهُ في صباي وددت ان اصير جنديًّا فصرتُ وان أُعدَّ في مصاف الكتَّاب فعُدِدْتُ ولو بدأْت الحياة من جديد لتمنيَّتُ ان اسير في الخطة التي سرت فيها اولاً"

واجاب الجنرال السر افلن وود "لو لم اكن جنرالاً لوددت ان اكون بورجيًا"

واجاب السر فرنسيس جون رئيس محكمة الاحوال الشخصية في المحكمة العليا "لو لم اكن قاضيًا لوددت ان اكون قاضيًا ولكن سؤالكم يقضي على المرء ان يختار حرفةً غير حرفتهِ فان كان الامر كذلك فاودُّ ان اكون موظفًا ملكيًا في حكومة الهند"

واجاب المحامي الشهور السر ادورد كلارك "ان حرفتي تسرُّني وانا راضٍ بها ولا خبرة لي بغيرها"

واجاب المستر مكس بمبرتن وهو من كبار المحررين "ان اصلاح المسودات يثقل عليَّ احيانًا حتى اود ان اكون واحدًا من اصحاب الاملاك الذين يعيشون في الارياف . واني افضل ذلك على ان اكون رئيس اساقفة كنتربري"

واجاب المستر هربرت ڤثيان "اتمنَّى احيانًا ان اكون رئيس اساقفة كنتربري واحيانًا ان اكون رئيس النظار ولو خُيِّرت لاخترت ان اكون الاثنين معًا فاجمع بين السلطتين الدينية والدنيوية وافضِّل على ذلك ان اكون ملك مملكة صغيرة مستقلة اهلها على تمام الولاء لملكهم"

واجاب كثيرون من القسوس وخدمة الدين اجوبة متفقة في انهم لا يودون ان يبدلوا حرفتهم بغيرها الاَّ واحدًا منهم فانهُ قال لو لم يكن من نصيبي ان اكون قسيسًا لوددت ان اكون محاميًا

وقال السر روبرت اندرسن رئيس مجلس تحقيق الجنايات "كنت في صباي ميالاً الى ان اكون محاميًا ولو لم أُغرَ بخدمة الحكومة اغراء لصرتُ محاميًا ومع ذلك فاني افضل الآن خدمة الدين على المحاماة"

وقال المسيو بول بلوه الكاتب المشهور "لو خُيِّرت لاخترت ان اكون محاميًا ولو لم يكن لي والدان علماني واعتنيا بي لوددت ان اكون نجارًا"

وقال السر هري جنستن الرحَّالة المشهور مكتشف حيوان الاكابي في قلب افريقية "اني اخترت عملي اختيارًا بعد التروي وانعام النظر ولو اعطيتُ نفسي هواها لقضيتُ جانبًا من عمري في التصوير ودرس طبائع الحيوان والنبات"

هؤُلاء من الذين رضوا ان تنشر اسماؤُهم اما الذين لم يرضوا ان تنشر فمنهم محرر جريدة

اسبوعية ومجلة شهرية قال " لو لم اكن صحافياً لوددت ان اكون سمساراً في البورصة "

ومؤلف كتاب سنوي مشهور قال " اعطني خمسة آلاف جنيه في السنة فاترك لك المدينة ومَن فيها واعتزل في بلد من بلاد الارياف واسكن كوخاً صغيراً بعيداً عن جلبة الناس"

وقال محرر آخر اميركي " اود ان اكون رحّالة اطوف في المسكونة وادرس طبائع اهلها واخلاقهم"

هذا واماني الانسان الواحد تختلف باختلاف احوالهِ من الراحة والتعب والصحة والمرض والنجاح والفشل فتجدهُ تارةً راضياً بحرفتهِ قانعاً بها لا يودّ ابدالها بغيرها وتارةً كارهاً لها مفضلاً كل حرفة عليها . فلو طُرح السؤال المتقدم على هؤلاء الناس في اوقات أُخرى لاجابوا عنهُ اجوبة تقرب من اجوبتهم هذه او تبعد عنها حسب الحالة التي يكونون فيها حينما يطرح السؤال عليهم الاّ تمني الثروة فانهُ دائم ولو لم يجاهر كثيرون بهِ

المرأة الشرقية

وعلة تأخرها

اطلعت في جريدة الديلي ميل الانكليزية على مقالةٍ لسفير الصين في الولايات المتحدة عنوانها " لماذا اعجب بالنساء الاميركيات " وتحت العنوان هذا الجواب " لانهنَّ دائماً مشغولات " فلخصتها في ما يلي . قال السفير :

" لا اكتم القارئ أنَّ المرأة الاميركية لها عندي منزلة رفيعة أَنظرُ اليها بعين الاعجاب والاحترام وقد أَسعدني الحظُّ بأن قضيت نحو خمس سنين سفيراً للصين في وشنطون عاصمة الولايات المتحدة فحضرت اجتماعاتٍ عديدةً لقيتُ فيها عدداً كثيراً من النساء الاميركيات فجالستهنَّ وعاشرتهنَّ وسبرتُ غور احوالهنَّ وعرفتُ كثيراً من امورهنَّ المنزلية والاجتماعية . ولم يكن اختباري لهنَّ مقصوراً على ما شاهدتهُ منهنَّ في المحافل التي جمعتني بهنَّ في وشنطون لانني جولت كثيراً في أنحاء اميركا وخطبت خطباً متعددة في مدارسها الكلية وانديتها التجارية ومحافلها الادبية وزرت ما لا يحصى من بيوتها ومنازلها حتى احطتُ علماً بعوائد الشعب واخلاق الامة وجميع احوال السكّان

فمّا شاقني من المرأة الاميركية اعتمادها على نفسها واستقلالها بالعناية بجميع شؤونها في السفر . فقد صحبت كثيراتٍ منهنَّ في سفراتي الطويلة وكنتُ أُعجب بكلٍّ منهنَّ حين أَراها منصرفةً بنفسها الى قضاء حاجات السفر المتنوعة وتجشم مشاقهِ المختلفة كأَنها رجل عبر

اسفار فكانت تبتاع تذكرة سكة الحديد وتعتني بما معها من الاثقال وتهتمّ بان تجد لنفسها مجلساً في القطار حيث تجلس وتنشر بين يديها جريدةً او تفتح كتاباً وتكبّ على المطالعة براحةٍ واطمئنانٍ ورصانةٍ ووقارٍ كأنها في بيتها او كأنها قضت حياتها في السياحات والاسفار. وكانت بهذا كلهِ مجلى الاستقلال الذاتي ومظهرًا لتلك الصفة الشريفة التي يمتاز بها الشعب الاميركي وهي الاعتماد على النفس. ولست مرتاباً في انك لو كلفتَ المرأة الاميركية ان تقدم في الغد على سياحةٍ حول الارض وتباشرها وحدها غير مصحوبةٍ برفيقٍ او معينٍ لاقدمَتْ عليها في الحال دون توقُّفٍ ولا امهال

ومن الصفات العقلية التي امتازت بها امرأة العالم الجديد وفاقت بها غيرها من نساء البلدان المتمدنة سرعة الفهم. فقد راقني ما لقيتهُ فيها من توقُّد الذهن وسرعة الخاطر لانك عند ما تطارحها الحديث بامرٍ تراها في الحال ادركت مغزاهُ مهما كان عويص المبنى غامض الفحوى. وقد عنيت بالبحث عن علة هذه النباهة الفائقة فلم استطع لها تعليلاً ولا وجدت الى معرفة سببها سبيلاً. وهذه الصفة يمتاز بها الشعب الاميركي عموماً لكنها في المرأة الاميركية بالغة حدها من النماء والارتقاء

وبينها وبين اختها الصينية فرق عظيمٌ جدًّا من حيث التركيب الطبيعي وللأُولى ما ليس للثانية من جمال البنية وقوتها وصحتها. ولا يصعب على الباحث ان يعرف علة هذا الفرق فانَّ المرأة الاميركية مشغوفة بالرياضة في الخلاء ولها على المشي طاقةٌ ليست لغيرها من بنات حوَّاء. وهي قادرة ان تقضي ساعاتٍ في ممارسة جميع انواع الرياضة البدنية التي لا تعرفها نساء الشرق وليس لها اسماءُ في احدى لغاتهِ. وليس في اميركا من عائقٍ او مانعٍ يعوق حركات المرأة. وما يستحيل عليها في البلدان الاجنبية ميسور لها في الولايات المتحدة. فتأتي كل ما تستطيعهُ اختها الانكليزية وتزيد عليهِ. وفي انكلترا يُضرَب المثل بشدة اقتدار النساء على المشي وشيوع ممارستهنَّ لجميع الالعاب البدنية ولذا ترى الفتاة الانكليزية مشهورة بقوتها الجسدية. لكنني وجدت الفتاة الاميركية مثلها في ذلك ان لم اقل اشدَّ منها واقوى. وما اشدَّ احتياج المرأة الشرقية عموماً والصينية خصوصاً الى هذه القوة

ومما لاحظتهُ ايضاً أنَّ قليلات من النساء الاميركيات متعرضات لنتائج البطالة الوخيمة فهنَّ على الدوام مشغولات ولا بدَّ لكلٍّ منهنَّ ان تجد عملاً يَشغل ذهنها. وبعد ما تفرغ من قضاء اعمالها المنزلية ولا ترى في نفسها ارتياحاً الى الخروج لممارسة بعض الرياضات البدنية تسمو بها همَّتها وتدفعها الاريحية الى اتيان عملٍ من الاعمال الخيرية او الاشتغال بشانٍ من

الشؤون الدينية او الاشتراك في امر من الامور الاجتماعية . وليس لدمها مجال لان يقف في عروقها جامداً جمود الماء الآسن في احد المستنقعات . وفي هذا ما فيهِ من الفائدة العظمى لجهاز التنفس والمنفعة الكبرى لصحة الجسد المتوقفة عليها صحة العقل . انظر الى المرأة الاميركية وهي تمشي ترها جاريةً بخفةٍ ونشاطٍ تقصر عنهما كل امرأةٍ أخرى تحت السماء . ولقد طالما شاهدت الفتيات الاميركيات في ابرد ايام الشتاء رائحات في الشوارع وغاديات وقرس الزمهرير يدمي منهنَّ الخدود وجمر الصقيع يحرق الآذان وهنَّ غير مباليات بهذا ولا بذاك بل سائرات على قدم الارتياح والانتعاش يستنشقنَ الهواء النقي المقوي للابدان

واذا جالستها رأيتَ منها جليساً لا يُمَلُّ حديثهُ ووجدتها خزانة علوم وذخيرة آداب وفنون لأنها فوق ما تعلَّمتهُ في المدارس البسيطة والكلية لا تكفُّ عن مطالعات الروايات الجديدة والمجلات الشهرية والجرائد اليومية فتحدثك عن المعاهدات السياسية والحوادث المحلية والاخبار الخارجية الواردة من عواصم اوربا ومن جنوب افريقية والشرق الادنى والاقصى وغيرها من مشارق الارض ومغاربها . ولعلَّ ذلك ناتج عن كثرة مخالطتها للرجال ليس في بيتها فقط بل في الولائم والحفلات وغيرها من الاجتماعات العمومية فترى مبلغ الرجال من معرفة هذه الامور وتميل الى مباراتهم ومشاكلتهم وتأنف ان تظهر بينهم بمظهر البلادة والخمول

وقد أراني الاختبار الطويل انها تفوق في الحديث كثيرات من اترابها ومن يحدّث فتاةً اميركية يرَ نفسهُ منصرفاً لبحث عقليّ لا لحديثٍ يراد بهِ التسلية والفكاهة اذ يجدها تتكلم عن الحياة بتروٍ وتدبُّرٍ وحذقٍ وذكاء ونباهة شأنٍ وسعة اطلاعٍ شيمة الحكيم الخبير . واذا دار الحديث على الرجال او على الامور المتعلقة بالهيئة الاجتماعية صرَّحت برأيها في ذلك كلهِ بلا لجاجة او التباس . واذا استطاعت وافقتك على افكارك والاَّ جاهرت بافكارها الخاصة على اسلوبٍ شائقٍ فلا يسعك الاَّ الاعجاب بها وان كنت بعض الاحيان لا تراها صحيحة . واذا احتاجت في حديثها الى الجدل والاحتجاج اتت ذلك على احسن منوال وفاقت فيهِ ابرع الرجال . فليس عجيباً والحالة هذه أنَّ كثيرات من النساء الاميركيات بلغنَ بواسطة اقلامهنَّ شهرةً مستطيرةً وجمعنَ ثروةً كثيرة . فانهنَّ يكتبنَ كما يتكلمنَ بسهولةٍ رائقةٍ وفصاحةٍ شائقة وبلاغة فائقة . ومع شدة رغبتها في العلوم والمعارف لا تهمل العناية بملابسها واستكمالها الشروط التي تقتضيها الازياء المستفيضة في العالم الغربي . ولهذا ترى حتى المتوسطة الحال اذا خرجت من بيتها لزيارة او عيادة او تنزهٍ لبست احسن ملبسٍ تجلَّت فيهِ الكياسة وتمثَّلت سلامة الذوق وحسن التناول

ويعجبني منها ايضاً إخلاصها وصدق عاطفتها واستقامة مباديها . ولا يغرب عن ذهن المطالع اني في كلامي على المرأة الاميركية لا أُريد بها نوعاً قائماً بنفسهِ بل اقصد جنساً مركباً خليطاً من كل الانواع . فهي آخذة بثبات الفتاة الانكليزية واستقامتها ورشاقة الفرنسوية وانتعاشها وجمال الاسبانية ورخامة صوت الايطالية ورصانة الالمانية . وبالاختصار اقول انها جامعة لمحاسن جميع النساء الاوربيات . وحاصلة على اجل المزايا واجمل الصفات . اه

ولما فرغتُ من تعريب ما تقدم عرض لي خاطرٌ كانهُ من بقية تلك "الهواجس او الوساوس" المعلومة فملكتُ الخاطرَ العارضَ قياد افكاري واوغلت في التأمُّل والافتكار . واذ قد نقلتُ الى القراء ما ارتآهُ السفير الصينيّ في المرأة الاميركية أحببتُ ايضاً أن اطلعهم على خلاصة ما جالَ في خاطري غير جاهلٍ اني مخالفٌ فيهِ لرأي الكثيرين منهم ولهذا اعرضهُ على مَن شاء منهم أن يتكرم بانتقادهِ او يودّ المناظرة فيهِ توصُّلاً الى الحقيقة فاقول

خطر ببالي حينئذٍ أنَّ كتَّابنا وخطباءنا ملأوا صفحات المجلات واعمدة الصحف والجرائد وأوقروا المسامع والآذان بما كتبوهُ تأليفاً وتعريباً وفاهوا بهِ على المنابر وفي صدور المجالس بخصوص المرأة الغربية الاوربية والاميركية ولا نزال نرى مجال الكلام عليها ذا سعةٍ سواءٌ كان مما تكتبهُ هي نفسها او مما يصفها بهِ ابن جنسها او يرويهِ عنها الشرقيُّ المستوطن بلادها او السائح في أرضها . وهذا كلهُ على اختلافِ مصادرهِ وتنوُّع مواضيعهِ يتلقاهُ المطالعُ او السامع بمزيد البشاشة والارتياح وبعجب بتقدم فتاة الغرب كل الإعجاب وقد يدهشهُ الامرُ ويداخلهُ في صحتهِ بعض الشكّ والارتياب

هذا ما نراهُ كل يومٍ تقريباً لكننا لسوء الحظّ لم نرَ احد كتَّابنا او خطبائنا او الاجانب المستوطنين بلادنا او السائحين فيها اتخذ المرأة الشرقية لمقالتهِ او خطبتهِ موضوعاً استمال الابصار والآذان ونال عند قارئيهِ او سامعيهِ ما ينالهُ الكلام على المرأة الغربية من الاعجاب والاستحسان . وأكثر ما جاء في كلام كتَّابنا وخطبائنا عليها اما هجاءٌ سداهُ التحامل ولحمتهُ الافتراء يمثل المرأة الشرقية أحطّ شاناً من كلّ بنات حواء او مدح حاكهُ التملُّق ونمقهُ الرياء . يصوّرُ فتاة الشرق فريدة عقد النساء او ملكاً هبط من السماء . وكلاهما اضرَّا بها ضررًا بليغاً فلم تعدْ تقبل نصحاً ولا ارشاداً لانها تعوَّدت المدح والاطراء حتى صارت تعدُّ كل كلامٍ يساق اليها وهو خالٍ من تعظيمها وتبجيلها ذمّاً فاضحاً وهجاء فادحاً

واذا اتقى الله كاتبٌ منَّا وأراد أن يغرّر بنفسهِ ويقرّر بعض الحقائق عن المرأة الشرقية وتوخَّى الانصاف والاعتدال في كتابتهِ وتنكَّب التدليس والمجاملة كان نصيبهُ نصيب من تقدَّمهُ

في هذا الطريق ولقيَ من حملات المرأة نفسها وهجمات اعداء الحقيقة وادعياء الدفاع عن حقوق المرأة صدمات تقلقل الجبال فضلاً عن الرجال

ومما تقدَّم يرى القارئ ان الذين كتبوا منا في المرأة الشرقية هم في نظر المرأة وانصارها فريقان فريق سخَّر يراعهُ لكتابة ما هبط عليهِ من سماء ميلها وهواها فأمن سخطها وغنم رضاها وفريق تنقصها ما شاء وحطَّها الى أدنى من منزلتها عند التحرير فكان من المغضوب عليهم . اما الذين لزموا في ما كتبوهُ عنها خطة الاعتدال فهم معدودون في حكمها من الفريق الثاني فلا يطمعون ان يفيدوها شيئاً بما يكتبونهُ عنها ولا يؤملون ان يربحوا من خدمتهم الادبية لها سوى الوعيد والتهديد

فاقل ضرر اتاهُ الفريقان المتقدم ذكرهما انهما اضاعا مزية الخدمة التي تحرَّى كتابنا المعتدلون ان يقوموا بها وحرما المرأة الانتفاع بما قرَّروهُ عنها من الحقائق المفيدة . اذًا املنا ضعيفٌ جدًّا باستفادة المرأة الشرقية مما تخطهُ عنها اقلام كتَّابنا ولهذا تراهم الآن منصرفين في توخي فائدتها الى جهةٍ اخرى وهي الكلام على ما بلغت اليهِ معرفتهم من صفات المرأة الغربية واخلاقها وعوائدها وكل ما يتعلَّق بنشأتها الحديثة ونهضتها الجديدة لعلَّ فتاتنا الشرقية ترى في ذلك ما يشوقها الى التمثل بها . ومع استصوابي لهذه الطريقة واعترافي بانها افضل من الطريقة المتقدم ذكرها وتعويلي عليها في هذه المقالة ارى عند زيادة التأمل والافتكار انها لسوء الحظ غير وافية بالمرام ولا ضامنة للغاية المقصودة منها وهذه حقيقة مكدرة كان من الواجب اغفالها والسكوت عنها لولا اننا ابتدأنا بحمد الله نألف تقرير الحقائق المحزنة ولعلَّ هذه احسن خطوةٍ خطوناها في طريق الاصلاح

اما وجه الريب في حصول الفائدة المطلوبة من تشويق المرأة الشرقية الى الاقتداء بالغربية بواسطة اطلاعها على ما نكتبهُ لها عنها فهو ان المحتاجات من نسائنا الى الإصلاح اكثرهنَّ لا يعرفنَ القراءة فلا يستفدن شيئاً مما يُكتب لهنَّ في هذا الموضوع . واما القليلات منهنَّ اللواتي تعلَّمنَ في المدارس ويستطعن ان يقرأن ويدركن كل ما يراد من الكلام في هذا الشأن فجانبٌ عظيمٌ منهنَّ لا يطالعنَ ما نكتبهُ لهنَّ اما لعدم استطاعتهنَّ التفرُّغ للمطالعة او لانهنَّ يرين في مطالعة الصحف العربية حطَّةً لشأن تمدنهنَّ الجديد او لانهن لا يجدن انفسهنَّ في حاجةٍ الى زيادة ما تعلمنهُ في المدرسة او لغير ذلك من الاسباب وبين الباقيات مَن هنَّ بالحقيقة غير محتاجاتٍ كثيرًا الى الوقوف على كلّ ما نكتبهُ لانهنَّ حاصلات على مقدار عظيم من الاستنارة والتهذيب ولا تمكنهنَّ الاحوال من المزيد

وعلى القارىء ان ينظر بعد كل هذا الاسقاط والتجريد والاستثناء ليرى كم يبلغ عدد النساء الشرقيات اللواتي يطالعن ما يكتبهُ لهنَّ كتَّابنا ولعلهُ اذا اضاف الى كل ما تقدم من الاعتبارات ما يجنيهِ رجالنا حتى على تلك البقية القليلة من المطالعات لكُتُبنا ومجلاتنا وجرائدنا لا يلبث ان يعتقد اعتقادي من جهة هذا الامر ويحكم معي بان عدد القارئات المستفيدات قلَّما يتجاوز المئات وقد يعجب المطالع من تعريفي بجناية رجالنا على نسائنا لانهُ لم يخطر ببالهِ ان لرجالنا يداً في تأخر نسائنا الحالي . اما انا فاقول لهُ إن رجالنا هم علة تأخر المرأة الشرقية وآفة مجاراتها للمرأة الغربية في طريق التقدم والارتقاء ولا اقصد برجالنا ذلك الفريق الكبير الكثير العدد الباقي نظير اكثر نسائنا على حال الفطرة والسذاجة فان هؤلاء براء من هذا الذنب مع اشتراكهم فيهِ لانهم لا يستطيعون ان يدركوا اهمية حصول المرأة على شيء هم انفسهم لهُ فاقدون . واذا كانوا يعدُّون تعليم الرجل نكراً فلا بدع ان حسبوا تعليم المرأة ضلالاً وكفراً وقضوا بان يسدل على نهاها حجاب اكثف من حجاب محياها ولكنَّ الذنب كلَّ الذنب على اخدان النشأة الحديثة واخوان النهضة الجديدة — على الذين تخرَّجوا منا في المدارس الكبرى وارضعوا لبان العلوم والمعارف وجاروا الاوربيين في درس لغاتهم واقتباس شيء كثير من عاداتهم ومصطلحاتهم — على الذين جالوا منا في عواصم البلدان الغربية وامهات مدنها او طالعوا كثيراً مما كتب عن تمدُّن الافرنج وسرّ ارتقائهم وتقدمهم — عليك انت ايها القارئ وعليَّ انا وعلى كل فرد من فريق الكتَّاب وجمهور القراء . نحن علة تأخر نسائنا وعلينا تبعة قصور المرأة الشرقية عن مجاراة المرأة الغربية

لا يُنكر ان فريقاً منَّا في مصر والشام بلغوا في سلَّم الارتقاء الحديث درجةً رفعتهم عن كثيرين من باقي مواطنيهم ولكن ماذا كان من امر ارتقائهم هذا ؟ هل زاد زيادة تنطبق على ناموس التقدم والارتقاء ؟ هل تكاثر عدد المرتقين منا منذ نحو نصف قرن كما كان ينبغي وكما نرى الحال في تاريخ ارتقاء الامم الغربية ؟ ولماذا وقفنا في سلَّم الارتقاء فلم يزدد عددنا كما يجب ولا ارتفعت درجتنا كما ينبغي بل كدنا نكون الآن من حيث درجتنا وعددنا كما كنَّا منذ عشرات من السنين ؟ هذه اسئلة يجيب عليها كل منا بما يحضرهُ من الاجوبة والاسباب . اما أنا فأجيب — ولو خالفت كثيرين من الباحثين — بقولي ان علَّة ذلك كوننا قد خالفنا في ارتقائنا السنَّة التي درج عليها غيرنا من الامم المرتقية لاننا نهضنا للتقدم ونحن اشبه بالمسافر بلا زاد والمحارب بلا سلاح اي اننا اعددنا ارجلنا للعروج في سلم الارتقاء وحدنا — رجالاً بلا نساء . لم نهتمَّ بان نصعد معنا مثل عددنا او مثل نصفهِ على الاقلِ من فتياتنا بل تركناهنَّ

حيث كنا وصعدنا وحدنا حتى اذا بلغنا الدرجة التي نحن فيها الآن نظرنا الى اسفل — الى الدوجات التي اجتزناها — فاذا هي خالية او غير مزدحمة باقدام غيرنا من ابناء جنسنا المقتدين بنا في الصعود والارتقاء ورأينا عند اسفل السلم على الدرجة الاولى والثانية بعض الفتيان والفتيات واقفين او يحاولون الصعود لكنهم لا يبلغون الدرجة الثالثة والرابعة الا رأيناهم خاروا عزماً وضاقوا ذرعاً وهبطوا الى حيث كانوا او هووا الى اسفل وقليلون منهم الذين استطاعوا الوصول الينا. وما دمنا كنا نقربياً رجالاً والنساء اللواتي يننا لا يتجاوزن الاصابع عداً والذين يا خذون أخذنا قليلون فلا غرو ان لم يزدد عددنا ولا ارتفعت درجتنا بل ليس عجيباً أن نقص نا بدل الزيادة وهبطنا عوضاً عن الارتفاع

وهذا الخطأ الذي ارتكبناهُ في البداءة لم نعترف بهِ ونعمد الى اصلاحهِ بل اصررنا على ارتكابهِ الى الآن وبيان ذلك اننا عند ما نلتفت الى المرأة الشرقية ونراها احط من رجلها في سلم الارتقاء لا نشعر بالضرر العظيم الذي اصابنا من جرَّاء ذلك ونطاعها على حقيقة الامر بلسان الرقة ونمد لها يد التنشيط والترغيب حتى تقوى على الصعود وتبلغ الدرجة التي وقفنا عندها وتضافرنا على الصعود الى ما بعدها . لم نفعل شيئاً من هذا كلهِ بل انصرف فريق منا نحو لومها على ضعفها وانحطاطها واغفلها فريق آخر عاداً اياها غير اهل لان يعنى بشأنها ولا فائدة من تكلف اصلاحها ولذا لم يعد يروق لهُ غير مسامرة النساء الاوربيات اللواتي هنَّ من درجتهِ في التمدن والارتقاء وادَّعى فريق ثالث ان لا حاجة الى ارتقائها ومجاراتها لنا في سبيل التمدن الحديث عاداً تهذيبها رأياً فائلاً او سيفاً في يد أحمق . ولو جمعت احد اصحاب هذه الافكار بعض السيدات لرأيت منهُ ما شئت من المضحكات المبكيات فانهُ اذا رأى انهنَّ من المتعلمات الصاعدات بعض درجات في سلم الارتقاء حكم لهنَّ بانهنَّ ارقى شأناً من الاوربيات وحتم بوجوب تعليم النساء وذمَّ الرجال الذين يعارضون في هذا الامر العظيم الاهمية . واذا حضر مجلساً آخر ضم بعض السيدات الاميات صوَّب رأيهنَّ في تجنُّب العلم واضراره وبالغ في ذمّ العاكفات على تحصيلهِ وتخطئة الرجال الذين يحثون النساء على سلوك سبيلهِ . واذا رام خطبة فتاة غضَّ النظر عن مبلغها من العلم والادب وقصره على ما عندها من المال وعليها من الجمال

واغربُ من هذا وذاك انك اذا قرأت لاحدى نسائنا او لاحد انصارهنَّ من الرجال دفاعاً عن المرأة الشرقية رأيتهُ كلهُ على اسلوبٍ واحدٍ لا يتعدى ثلاثة امور الاول هضم الرجال لحقوق المرأة والثاني الاستشهاد على فضل النساء واقتدارهنَّ على مجاراة الرجال بالنساء الغربيات والثالث الاستشهاد باللواتي نبغنَ من نسائنا في العصور الخوالي وهذا الاخير يمثّل دفاعنا عن

قصورنا في جميع الامور التي نحن في اشد الاحتياج اليها في هذه الايام . فاذا اردنا ذودًا او دفاعًا عمَّا نُرمى بهِ اليوم من القصور عن مجاراة اهل العالم المتمدن في اللغة والنساء وكرم الاغنياء وبسالة الرجال وعدل الحكام وغير ذلك من معدات الحضارة ومناقب الامم المرتقية أخذنا نطابل ونزمّر بمشاهير فصحاء العرب وبلغائهم ونوابغ نسائهم وسخاء حاتمهم وشجاعة عنترهم وحلم معنهم وعدل خلفائهم ولم نستطع لسوء الحظ ان نستشهد باثرٍ حيٍ يحسن ذكرهُ ويطيب نشرهُ

وعندي أنَّ المرأة الشرقية كاللغة العربية في حاجةٍ شديدةٍ الى الترقية والاصلاح . وتبعة قصور كلٍ منهما علينا نحن الرجال . وقبلما نحاول رفع الحجاب عن وجه المرأة الشرقية علينا ان نزفعهُ عن هذه الحقيقة المهمة ونعترف باننا نحن مقصرون في ترقية فتاة الشرق ونكف عن لومها وتحقيرها من جهة وعن تملقها ومداهنتها من جهة أُخرى ونصرح لها على رؤُوس الاشهاد اننا نفضل علمها وتهذيبها وادبها وكمالها على زينتها وحلاها ومالها وجمالها . فان فعلنا هذا فتحنا باب الارتقاء والاَّ فامّ المشرق صائرة الى الفناء

اسعد داغر

السعي والارتزاق

قرأت في كتاب نزهة الناظرين للشيخ تقي الدين عبد الملك البابي خطيب الجامع الاموي الشهير بالشيخ عُبَيْد الضرير فصلاً جمع من الآيات الكتابية والاحاديث النبوية واقوال السلف الصالح ما يجب ان يستظهرهُ كل احد ويعمل بهِ وهاكم بعض هذه الآيات والاحاديث والاقوال

اذا قضيت الصلاة فانتشروا في الارض وابتغوا من فضل الله . آية

لان يحتطب احدكم حزمة على ظهرهِ خيرٌ لهُ من ان يسأَل احدًا فيعطيهُ او يمنعهُ . حديث رواهُ البخاري ومسلم

ما اكل احد طعامًا قط خيرًا من عمل يدهِ . حديث رواهُ البخاري

التاجر الصدوق مع النبيين والصديقين والشهداء والصالحين . حديث

مَن طلب الدنيا حلالاً تعففًا عن المسئلة وسعيًا على عيالهِ وتعطفًا على جارهِ لقي الله ووجههُ كالقمر ليلة البدر . حديث روي مرفوعًا وموقوفًا على الصحابة

طلبُ الحلال جهادٌ وان الله يحب العبد المحترف . حديث

من امسى كالاً من عمل يدهِ امسى مغفوراً لهُ . حديث

كان اصحاب رسول الله يتجرون في البر والبحر ويعملون في نخلهم والقدوة بهم . قالهُ ابن عباس

لو توكلتم على الله حقَّ توكلهِ لرزقكم كما يرزق الطير تغدو خماصاً وتروح بطاناً . حديث معناهُ تذهب اول النهار خماصاً ضامرة البطون من الجوع وترجع آخرهُ ممتلئة . قال الامام احمد ليس في هذا الحديث دلالة على القعود عن الكسب بل فيهِ ما يدلُّ على طلب الرزق وانما اراد والله اعلم لو توكلوا على الله في ذهابهم ومجيئهم وتصرُّفهم وعلموا ان الخير بيدهِ ومن عندهِ لم ينصرفوا الاَّ سالمين غانمين كالطير تغدو خماصاً وتروح بطاناً . وفي الشعب للبيهقي ان عُمَر رضي الله عنهُ لقي ناساً من اهل اليمن فقال ما انتم قالوا متوكلون فقال كذبتم انتم متَّكلون انما المتوكل رجل القى حبةً في التراب وتوكل على رب الارباب . وقال ابو سليمان الداراني من ائمة الصوفية ليس العبادة عندنا ان تصفَّ قدميك وغيرك يتعب لك ولكن ابدأ برغيفيك فاحرزهما ثم تعبَّدْ . ورُوي ان الاوزاعي لقي ابرهيم بن ادهم وعلى عنقهِ حزمة حطب فقال لهُ الى متى هذا يا ابا اسحق اخوانك يكفونك فقال دعني عن هذا يا ابا عمرو فانهُ بلغني انهُ مَن وقف موقف مذلة في طلب الحلال وجبت لهُ الجنَّة

لو بسط الله الرزق لعبادهِ لبغَوْا في الارض . آية . قال شقيق بن ابرهيم في تفسيرها لو ان الله تعالى رزق العباد من غير كسب لتفرغوا فتفاسدوا ولكن شغلهم بالكسب حتى لا يتفرغوا للفساد

ما من مسلم يغرس غرساً او يزرع زرعاً فيأ كل منهُ انسان او طير او بهيم الاَّ كانت لهُ صَدَقة . حديث

خير تجارتكم البز وخير صنائعكم الخرز (الخياطة) . حديث

لو إتَّجرَ اهل الجنَّة لاتجروا في البز ولو اتجر اهل النار لاتجروا في الصَّرْف . حديث

وآخرون يضربون في الارض يبتغون من فضل الله . اية يعني المسافرين للتجارة

قيل لعبد الرحمن بن عوف الصحابي ما سبب يسارك قال ثلاث ما رددتُ ربحاً قط ولا طُلِب مني حيوان فاخَّرت بيعهُ ولا بعت بنسيئة (ديناً)

وكان عليٌّ رضي الله عنهُ يدور في سوق الكوفة ويقول معاشر التجّار خذوا الحق واعطوا الحق تسلموا لا تردّوا قليل الربح فتحرموا كثيرهُ . انتهى

وقرأتُ في الجامع الصغير للسيوطي

اطيب الكسب عمل الرجل بيدهِ وكل بيع مبرور . رواهُ الامام احمد والطبراني والحاكم

ان الله يحب العبد المحترف . رواهُ الطبراني

البلاد بلاد الله والعباد عباد الله فحيثما اصبتَ خيرًا فاقم . رواهُ الامام احمد

خير الكسب كسْبُ يد العامل اذا نصح . رواهُ الامام احمد والنصح اتقان العمل

اطلبوا الرزق من خبايا الارض . رواهُ بن عدي والطبراني والبيهقي

اذا صليتم الفجر فلا تناموا عن طلب ارزاقكم . رواهُ الطبراني

خير لهو المؤمن السباحة وخير لهو المرأة الغزل . رواهُ ابن عدي

عمل الابرار من الرجال الخياطة وعمل الابرار من النساء المغزل

ولقد احسن الوزير خير الدين باشا التونسي في ما ذكرهُ في مقدمة كتابهِ اقوم المسالك في احوال الممالك حيث قال

" ان الباعث الاصلي في تاليف الكتاب امران احدهما اغراء ذوي الغيرة والحزم من رجال السياسة والعلم بالتماس ما يمكنهم من الوسائل الموصلة الى حسن حال الامة الاسلامية وتنمية اسباب تمدنها بمثل توسيع دوائر العلوم والعرفان وتمهيد طرق الثروة من الزراعة والتجارة وترويج سائر الصناعات ونفي اسباب البطالة واساس جميع ذلك حسن الامارة المتولد منهُ الامن المتولد منهُ الامل المتولد منهُ اتقان العمل المشاهد من الممالك الاورباوية بالعيان وليس بعدهُ بيان

ثانيهما تحذير ذوي الغفلات من عوام المسلمين عن تماديهم في الاعراض عمَّا يحمد من سيرة الغير الموافقة لشرعنا بمجرد ما انتقش في عقولهم من ان جميع ما عليهِ غير المسلم من السير والتراتيب ينبغي ان يهجر وتآليفهم في ذلك يجب ان تنبذ ولا تذكر حتى انهم يشددون الانكار على من يستحسن شيئًا منها . وهذا على اطلاقهِ خطأٌ محض فان الامر اذا كان صادرًا من غيرنا وكان صوابًا موافقًا للادلَّة لا سيما اذا كنا عليهِ وأُخذ من ايدينا فلا وجه لانكارهِ واهمالهِ بل الواجب الحرص على استرجاعهِ واستعمالهِ . وكل متمسك بديانة وان كان يرى غيرهُ ضالاًّ في ديانتهِ فذلك لا يمنعهُ من الاقتداء بهِ فيما يستحسن في نفسهِ من اعمالهِ المتعلقة بالمصالح الدينوية كما تفعلهُ الامة الافرنجية فانهم ما زالوا يقتدون بغيرهم في كل ما يرونهُ حسنًا من اعمالهِ حتى بلغوا الى ما هو مشاهد . وشأن الناقد البصير تمييز الحق بسبار النظر فليس بالرجال يعرف الحق بل بالحق تعرف الرجال والحكمة ضالة المؤمن

لما اشار سلمان الفارسي رضي الله عنهُ على رسول الله صلى الله عليهِ وسلم بان عادة الفرس ان يطوقوا مدنهم بخندق حين يحاصرهم العدو اتقاء من هجومهِ عليهم اخذ رسول الله صلى الله

عليهِ وسلم برأيهِ وحفر خندقاً للمدينة في غزوة الاحزاب عمل فيهِ بنفسهِ ترغيباً للمسلمين . وقال سيدنا علي كرم الله وجههُ لا تنظر الى من قال وانظر الى ما قال

"واذا ساغ للسلف الصالح اخذ مثل المنطق من غير اهل ملتهم وترجمتهُ من لغة اليونان لما رأوهُ من الآلات النافعة حتى قال الغزالي من لا معرفة لهُ بالمنطق لا يوثق بعلمهِ فاي مانع لنا من اخذ بعض المعارف التي نرى انفسنا محتاجين اليها غاية الاحتياج في دفع المكايد وجلب الفوائد . وفي سنن المهتدين للشيخ المواق المالكي ما نصهُ ان ما نهينا عنهُ من اعمال غيرنا هو ما كان على خلاف مقتضى شرعنا اما ما فعلوهُ على وفق الندب او الايجاب او الاباحة فانا لا نتركهُ لاجل تعاطيهم اياهُ لان الشرع لم ينهَ عن التشبه بمن يفعل ما اذن الله فيهِ . وفي حاشية العلامة بن عابدين الحنفي ما نصهُ صورة المشابهة فيما تعلق بهِ صلاح العباد لا تضر . على انا اذا تأملنا في حالة هؤلاء المنكرين لما يستحسن من اعمال الافرنج نجدهم يمتنعون من مجاراتهم في ما ينتج من التنظيمات ونتائجها ولا يمتنعون منها في ما يضرهم" . الى ان قال

"ومما يحسن سوقهُ هنا قول بعض المؤلفين من الاوربلويين ان الممالك التي لا تنسج على منوال مجاوريها في ما يستحدثونهُ من الآلات الحربية والتراتيب العسكرية توشك ان تكون غنيمة لهم ومما يؤيد ما قرأناهُ قولهُ صلى الله عليهِ وسلم لعاصم بن ثابت من حديث مَن قاتل فليقاتِل كما يقاتَل. ويوضح معناهُ ما تضمنتهُ وصية الصديق لخالد بن الوليد رضي الله تعالى عنهما حين بعثهُ لقتال المرتدين فقال يا خالد عليك بتقوى الله والرفق بمن معك الى ان قال والخوف عند اهل اليمامة فاذا دخلت بلادهم فالحذر الحذر ثم اذا لاقيت القوم فقاتلهم بالسلاح الذي يقاتلونك بهِ السهم للسهم والرمح للرمح والسيف للسيف. قلت ولو ادرك هذا الزمان لابدل ذلك بمدفع الششخان ومكحلة الابرة والسفينة المدرعة ونحوها من المخترعات التي تتوقف عليها المقاومة

وبناء على ذلك يقال هنا هل يمكننا اليوم الحصول على الاستعداد المشار اليهِ بدون تقدم في المعارف واسباب العمران المشاهد عند غيرنا وهل يتيسر ذلك التقدم بدون اجراء تنظيمات سياسية تناسب التنظيمات التي نشاهدها عند غيرنا في التأسس على دعامة العدل والحرية اللذين هما اصلان في جميع الممالك" الى ان قال "وفي الحديث العدل عزّ الدين وبهِ صلاح السلطان وافاد ما معناهُ لا يمكن الاصلاح الاَّ بالعدل وتقدم المعارف".

فعسى ان يرى قرَّاء المقتطف الكرام في هذه الآيات القرآنية والاحاديث النبوية والاقوال المأثورة ما يعلي في عيونهم منزلة العمل والكسب والاقتداء بالاوربيين في ما يُعدُّ من اسباب تقدمهم علينا وسبقهم لنا والله الهادي الى الصواب

احد المشتركين

عروسة النيل

الفصل الثالث عشر

ولمّا فرغت باولين من وصف المحاكمة وما اقرَّ عليهِ القضاة من اعدام حيرام اخذ الغيظ من الطبيب كل مأخذ وقال لا خير لكِ في البقاء في هذا البيت فهو مغارة لصوص وملجا شهود الزور. وبينما هو يتكلم افاق رستم المجوسي وطلب ان يرى سيده فقيل لهُ انهُ برح منف الى الفسطاط ولا يعود الى الغد فجلس في سريرهِ واخذ يشتم الطبيب بالفارسية ويلعنهُ بصوت جهوريّ ردَّدت صداهُ انحاء البيت فدنا فيلبس منهُ يريد تغيير ضماد جرحهِ فامسكهُ رستم بذراعيهِ وحاول جذبهُ الى الارض وهو يزأر كالاسد فنادى فيلبس الممرضة وامرها باستدعاء اثنين من العبيد ثم القى يديهِ على كتفي المريض ودفعهُ عنهُ بعنفٍ فطرحهُ على السرير وقبض على اصابع يديهِ وضغطها شديدًا حتى اعادهُ الى مكانهِ وكانت باولين في خلال ذلك تتأمل الاثنين وهي تعجب بقوة الطبيب وثبات جأشهِ على دمامتهِ ونحولهِ وقلبها يخفق لئلاَّ يتغلب عليهِ ذلك الجبَّار فيصرعهُ فلمَّا انحلَّت عزائمهُ وثاب الى السكينة ناداها فيلبس والتمس منها ان تأتيهُ بحبل او نحوهِ ليشدَّ وثاقهُ فنزعت قناعها وحلَّت نطاقها وعقدتهما ثم اعانت الطبيب على ربط يديهِ. وعادت الممرضة بالعبدين فامرهما فيلبس بملازمتهِ ومنعهِ عن الوثوب من سريرهِ ثم فتح صندوق الادوية واشار الى زجاجة فيهِ فتناولتها باولين وسكبت منها جرعة مزجتها بغيرها بحسب ارشادهِ وسكبتها في فم المريض ولم يلبث الدواء ان فعل فعلهُ حتى قام فيلبس فغسل الجرح وابدل الضماد وافاقت مانداني على الجلبة وبدا الخوف والاضطراب في وجهها فاخذت تسأل الممرضة عن الكلب العقور فاسرعت اليها باولين تلاطفها وتسكن مخاوفها الى ان عاودتها السكينة والراحة وسارت تجيب اسئلتهم جواب عاقل فاستدلَّ الطبيب من ذلك على ان الجنون فارقها وكان كلامها عذبًا لطيفًا شجيًّا فنبهت باولين الطبيب اليهِ فقال

— ليس في العالم مكان تتجلى فيهِ طبيعة المرء على اتمها كفراش السقام فقد هجمت هذه الفتاة في ساعة جنونها على ابن المقوقس تريد قتلهُ لكنَّ المرض ازاح اللثام عن رقتها ولطفها الاصليين اما رستم فجبار عنيد لكنهُ شهم صافي النية

— وما دليلك على شهامتهِ وصفاء نيتهِ

— لقد دافع عن نفسهِ دفاع الابطال لكنهُ لم يخدشني ولا حاول عضي كما يفعل الجبناء ولو لم تشدي وثاقهُ لتغلَّب عليَّ

— لا إخال ذلك ممكناً فانت شديد العضل على نحولك

— لا فضل لاحد في قوتهِ البدنية ومن وُلد من ابوين سليمين وكان نقيّ الدم سليم العظم كامل البنية وروّض اعضاءهُ كما فعلتُ في شبابي ولم ينفق قواهُ في المعاصي ظلَّ قويًّا حياتهُ بطولها على انَّ صراعنا الآن اضعف يديَّ وارخى مفاصلي وكاس خمرٍ تنعشني وتردّ قوتي اليَّ.

فاسرعت باولين الى الغرفة الملاصقة واتت بزجاجة خمرٍ وملأَت كاساً وناولتهُ فشربها دفعةً واحدة ثم سكبت كاساً اخرى وناولتهُ واذا بنفورس داخلة عليهما وذلك انها كانت قائمة على خدمة زوجها فسمعت الجلبة فسأَلت عن الخبر فقيل لها انَّ باولين والطبيب في غرفة الضيوف فاسرعت اليها وسارت توًّا الى الممرضة فسأَلتها بالايجاز عمَّا تعرفهُ ثم عطفت الى غرفة الجلوس فرأَت الطبيب والكاس في يدهِ وباولين امامهُ فبدا الغيظ في وجهها وامرت باولين بالانصراف الى غرفتها قائلة يكفيكِ اليوم ما اتيتهِ من الافعال المغايرة للحشمة واللياقة فقد تجاوزنا عنها جميعاً فكان الاجدر بكِ ان تلتمسي العزلة في مخدعكِ وتطلبي الصفح من العزة الالهية عن ذنوبك لا ان تقفي هنا تسقي الخمر لهذا الرجل . فامتقعت باولين وساءَها ما اتُّهمت بهِ فاجابت

— لا يخفى عليَّ غرضكِ من طردي فلم يكفكِ ان اوغرت صدر زوجكِ عليَّ وهو نسيبي وسندي حتى اتهمتني بافظع التهم الآن فطردي من هذا المكان الخاص بالمرضى بمثابة طردي من بيتكِ الذي اصبح جهنماً لي بفضل دسائسكِ ودسائس ابنك . فصاحت نفورس

— انا وابني افهذا جزاء المحسنين فقد اتخذناها لقيطة وآويناها شريدة وعاملناها كابنةٍ لنا وما ادَّخرنا وسعاً في العناية بها وانفقنا عليها المبالغ الطائلة وهي الآن . . . . . فاجابت باولين

— اما الآن فاني اعلن كفتاة في سن الرشد حرة التصرف انني سابرح هذا البيت غداً ولو أَدى ذلك بي الى التسوُّل ففيهِ لقيت صنوف الاهانة وفيهِ حكم عليَّ وعلى تابعي ظلماً وفيهِ سيقتل بريء . فقالت نفورس

— وفيهِ لقيت خير المعاملة ولم تنالي العقاب الذي تستحقين بعد ان ادخلت لصًّا اليهِ وصرحتِ على رؤُوس الاشهاد ان ابن خالكِ ومضيفكِ وحاميكِ قاضٍ ظالم

— نعم ولا ازال اقول ما قلت فقد تجاوز حدَّهُ في الظلم واغرى تلك الفتاة التي دبرتها عروساً لهُ على شهادة الزور وعندي امور كثيرة تدل على جنايتهِ ولكن اعتباري لزوجكِ يمنعني عن افشائها حفظاً لكرامتكم. فقالت نفورس

— هل سمعتم يا قوم فقد اصبح الجاني شاكياً يمنُّ علينا بالرحمة والعفو ولكني سأُرغمك على الافصاح عمَّا تضمرين

— اذا لم تسكني حدة لهجتك فستضطر حفيدتك الى المجاهرة بالحق على الملإ فضحكت منفورس وقالت

— الم يكفك انك اتخذت غرفة المرضى حانة حتى عملت على ايقاع الاذى والعار باهل هذا البيت الصالح فاذهبي الى حيث تشائين فاذا لقيتك بعد ظهر الغد في البيت طردتك منهُ جبرًا فنفسي تعاف رؤيتك وقد اصبحتِ ينبوع مصايب وشقاء لنا فاذهبي لاني اخاف على مابقي لنا من الجواهر . اما انت يا فيلبس فزوجي في حاجة شديدة اليك وانت اعلم الناس بسخائهِ فالاجدر بك ان تتروَّى وتتبصر في ما تفعلهُ. فقاطعها الطبيب وقال بترفع

— لقد جهلتِ طبعي او تجاهلتهِ فزوجك عندي في المقام الاسمى ومتى دعاني الى خدمتهِ فاني البي الدعوة لكنني لن ادخل غير مدعوٍ الى بيت يداس فيهِ الحق وتهان الطهارة. تفرسي فيَّ فقد نجَّس ابنك مجلس القضاء ودم حيرام البريء على رأسهِ فاحرصي على زمرداتك ماشئت فباولين لن تمسَّها وشهامتها وكرم محتدها يمنعانها عن ان تبوح باسم السارق الذي يجب ان يزج في اعماق السجون فاعلمي الآن ان خطابك هذا قطع جميع ما بيننا من الصداقة وقد مرت منذ الساعة لا اريد ان ارى وجهك الاَّ بجانب سرير زوجك حين يدعوني اليهِ

فنزل كلامهُ عليها كالصاعقة لانها كانت من اشدّ الناس احترامًا لهُ لعلمها بحسن طويتهِ وسعة معارفهِ فضلاً عن لزومهِ لزوجها وكونهِ انقذ حفيدتها من الموت فشقَّ عليها ان تخسر صداقتهُ لها وخدمتهُ الجزيلة الفائدة لأهل بيتها واحسَّت بما كان يمازج كلامهُ من الاحتقار لها والانتصار لباولين فتنازعها الغيظ والقهر وجرت الدموع من عينيها ثم قالت

— أفأنت ايضًا يا فيلبس تولي وجهك عني بعد الذي شهدتهُ من اخلاصي لاهل بيتي وعنايتي بهم زوجة صادقة امينة مقيمة على ولاء زوجها في السرَّاء والضراء وامًّا حنونًا لا تشغلها الملاهي والملذات عن واجباتها وسيدة تعتني بعبيدها واتباعها فهل تبدلتُ اليوم الى هذا الحدّ حتى تقول فيَّ ما قلتَ وتضنَّ عليَّ بصداقتك لاجل هذه الفتاة فاجاب الطبيب

— ان فيكِ داء عياء وهو هذه البغضاء التي دخلت قلبكِ كاصٍّ وجرت في عروقك فافسدت دمكِ ودفعتك الى اساءة هذه المسكينة المثقلة بالاحزان فكنتِ في عملك هذا كمن يلقي العثرات في سبيل اعمى ليوقعهُ فاذا كان لكلامي شيءٌ من التأثير فيكِ فاسأليها الصفح عما اصابت منكِ من الاضطهاد

وكانت باولين ترقب الطبيب اثناء كلامهِ فلما فرغ وقفت لتدنو من زوجة خالها اما هذه فقد كان في صدرها شبه عاصف فشعرت انها اساءت الى باولين مدة اقامتها في بيتهم وخامرها

أرب في سارق الزمردة وادركت انها تسرّ زوجها سروراً عظيماً اذا استطاعت اقناعها بالبقاء عندهم لكنها ذكرت ما نالها وابنها من كبرياء باولين ورأت من الذلّ ان تنزل نفسها منزلة المخطيء امام فتاة وبينما هي كذلك سمعت رنّة الطاس الفضي اشارة الى ان زوجها يدعوها اليهِ فتقدمت الى باولين وقالت بصوت خافت

— هذه يدي وقد كان من الواجب عليَّ ان احسن اليكِ لكنكِ رفضتِ حبي ويشهد الله انني كنت قد اعتمدت على اتخاذكِ ابنة لي ولكن ما فات فقد فات. فقبضت باولين على يدها قبضة كاره ثم قالت

— سنفترق اذاً على صفاء فائذني لي غداً ان اودع خالي وماري

— علامَ تبغين الذهاب فبقاؤكِ معنا احبّ الامور لديَّ الآن ولا اظن خالك يسمح بذهابكِ لما تعلمينهُ من حبهِ لكِ

— لقد كان لي بمثابة اب وبودّي لو استطعتُ ملازمتهُ الى النهاية ولكني قد عزمت على الذهاب

— ولو توسّل خالك اليكِ كما اتوسل

— لن يغيّر ذلك شيئاً من عزمي

— ولكن اين تجدين منزلاً لائقاً بكِ تنزلينهُ . فاجاب الطبيب

— سأنظر في ذلك وارى ايتها السيدة ان انفصالها عنكم خيرٌ لكم جميعاً لكني لا ازال آمل انها تبقى في منف ولا تصرّ على مغادرتها

ولمَ لا تبقى في بيتنا فنفتح سفراً جديداً من الحياة. فهزّت باولين رأسها ثم سمعوا رنة الطاس الفضي بقرع ثالثةً فاسرعت نفورس الى زوجها ولما غابت تنفست باولين طويلاً وقالت

— حمداً لله الذي ختم على شفتيَّ فلم ابح بنعلة ابنها وارى فيَّ الآن نشاطاً جديداً بعد ان عزمت على مفارقتها وترك منف . فقال الطبيب

— اتتركين منف ايضاً

— نعم واذهب الى سورية او بلاد اليونان فابتعد عن هذه المرأة وابنها

— وماذا يحلّ بصديقكِ هذا

— سأذكر فضلك مدى العمر ولا انساه . فضحك وقال

— وهب النبطي عثر على ايكِ فاين يلقاكِ

فبهتت ولم تحر جواباً فاغتنم فيلبس فرصة ذهولها واخذ يسرد لها الادلة على وجوب بقائها في

منف الى ان قال واول واجب عليك السعي في اطلاق سراح مرضعك ثم رسم لها خطة تجري عليها دلّت على حكمته ودرايته وبعد حديث طويل سلّمت بالبقاء الموقت حتى تنجو المرضع ويعود النبطي . فاخبرها انهُ دبّر لها مسكناً لائقاً في بيت يوناني صديق لهُ وهو رجل كريم الاصل حسن السمعة ثم ودعها يريد الانصراف فقالت

— غداً تبتدئ حياتي الجديدة وستكون بفضلك خيراً من القديمة ان شاءالله

الفصل الرابع عشر

وفي صباح الغد جلست ماري حفيدة المقوقس ومهذبتها تحت جميزة في البستان التماساً للبرودة وشرعت تكتب على لوحها الوصايا العشر نقلاً عن كتاب يوناني ولم يطل بهما المقام حتى تغلّب الحر وأريج الازهار على المهذبة فنعست ونامت وانقطعت ماري عن الكتابة وجرت الدموع من عينيها كالمطر فصارت تارة تحدق في الفضاء وتارة تعمد الى لوحها فتكتب عليهِ اسم باولين وتتبعهُ باحبّ النعوت اليها وبينما هي كذلك طلعت عليها كاترينا وعلى وجهها امارات الغم وهي تسحب رجليها سحباً فلما دنت من ماري حيّتها فلم ترد التحية بل احنت رأسها فقالت كاترينا

— سمعتُ ان جدّك في حالة الخطر

— أصحيح ما تقولين . قالت هذا وعاودت الكتابة

— نعم واوريون لا يفارقهُ وقد بلغني ان باولين ستترك بيتكم ايضاً

فأومأت ماري بالايجاب وعاودت البكاء

— اراكِ تصدين عني كأني ارتكبت وزراً فافعلي ما تشائين ولكني لا اصبر على هذه الفظاظة . وحينئذٍ افاقت المهذبة فسمعت قولها فعنفت ماري ووبختها قائلة

— اكذا تعاملين السيدات اللواتي اكرمنكِ

— واين السيدات

— الا تبصرين فما هذه الغلظة واين الآداب اليونانية التي تلقيتها فكاترينا سيدة لا طفلة مثلك فاطلبي الصفح منها

— أنا . ثم نهضت من مكانها وقالت لسنا من اليونان فاعلمي انني لا اطيقها ولا ارغب في مكالمتها . فصرخت المهذبة

— المجنونة انتِ ثم ارادت القبض عليها فجرت ماري امامها وجرت كاترينا وراءها حتى ادركتها فامسكت يديها وقالت

— لولا انك ابنة صغيرة لضربتكِ فقالت ماري الاولى بكِ ان تدفني نفسك في التراب نعم ان عمري عشر سنوات لكني افضل السجن مع حيرام على فعل ما فعلتِ امس . فاصفرّت كاترينا وقالت

— او تستطيع طفلة مثلك ان تدرك هذه الامور

— تعيرينني بالصغر كأنك نخلة باسقة فبعد سنتين اصير اطول منك

فاستشاطت كاترينا غيظاً ورفعت يدها فلطمتها لطمة عنيفة . اما ماري فوقفت جامدة كالصنم ثم دارت ومشت على مهل نحو الجميزة وكاترينا ترقبها وقد اغرورقت عيناها بالدموع وعلمت ان ماري مصيبة في ما قالتهُ وادركت انها اعتدت عليها فتبعتها من بعيد كما تتبع الجارية سيدتها حتى بلغتا الجميزة فدعتها باسمها فلم تجب فدنت منها ولمست كتفها وقالت بلطف سامحيني فقد اضعتُ رشدي وانتِ تعلمين ان قصري من الله فاجابت ماري

— لقد غضبت فلطمتني ولو فعلتِ ذلك امس مثلاً لضحكت او لضربتكِ كما ضربتني اما اليوم فقد شعرتُ كأن عبداً اسود وضع يدهُ على وجهي فلستِ اليوم ما كنتِ قبلاً فقد تغيرت مشيتك وتبدلت هيئة وجهك ولم يعد كلامكِ عذباً وفارقكِ الظرف واللطف والسبب انكِ اخطأت امس خطية كبيرة

— فقالت كاترينا لا تجوري في حكمكِ عليَّ يا حبيبتي فقد يحدث انني لم اصرّح امام القضاة بجميع ما اعرفهُ ولكن اوريون خطيبي هو الذي ......

— اقتادكِ الى الكذب فانظري اليهِ اليوم فقد كان طول عمرهِ فرحاً مسروراً وهو الآن مثلكِ غمّاً وكآبةً . وحينئذٍ قاطعتها مهذبتها وامرتها ان تعود الى دروسها فامتثلت وبينما هي كذلك دنت منها كاترينا وهمست في اذنها قائلة ان اوريون لا يكذب ولست اتذكر تماماً ما اذا كان العقد خلواً من الحجر الكريم او لا. فالتفتت اليها ماري وقالت بالقبطية

— الا تتذكرين الم تري العقد كما رأيتهُ او لم يعلق مكان الزمردة منهُ في ثوبكِ فقد كذبتِ حين أديتِ شهادتك في المجلس تعالي واقرأي الوصايا العشر التي انزلها الله على موسى اقرأي لا تشهد على قريبك شهادة زور وقد قال لي القس ان شهادة الزور خطية مميتة لا تغفر الاّ بالتوبة ومع انك تعلمين ذلك كلهُ فقد تجرأتِ على شهادة الزور فجررت الويل والنقمة على الابرياء . فصبغ الحياء وجه كاترينا وقالت

— اللوم كل اللوم على اوريون فهو الذي بذل اقتناعي ولما رأيت باولين اعتراني غيظ شديد حتى اوشكت ان اقتلها

— أتقتلين باولين بعد ان كنت تدّعين حبها

— نعم فقد كنت احبها ولكني رأيتها في المجلس مثال الكبرياء والعظمة على انك لا تفهمين هذه الامور

— وعلامَ تتهمينني بالبلادة الى هذا الحدّ فانتِ تحبين اوريون ولما خشيت ان تغلبك باولين بجمالها اخذتك الغيرة ولا يخفى عليكِ انني واقفة على اخبار اوريون واعلم ان جميع النساء مفتونات بهِ ولهذا قطعوا اذني ماندالي وقد حدثتني الجواري بحديثهِ في القسطنطينية ولو شاءت باولين ان تستميلهُ اليها لكفّ عن النظر اليك فشهادتك الزور ستؤول الى قتل حيرام والى انفصال باولين عنّا فلا اعود اراها ابداً ابداً ابداً وهذا ما يكاد يسحق قلبي. قالت ذلك واجهشت بالبكاء والعويل فانخنت كاترينا وطوقتها بذراعيها وقالت وهي تبكي

— سامحيني يا حبيبتي ماري فقد قاسيت عذاباً اليماً من جرّاء عملي على ان شيئاً غريباً غشي بصري امس فاقتادني اوريون الى الاثم وانا اجهل غرضهُ لكني احبهُ وانا خطيبتهُ اما الآن فساحاول ان اسلوهُ واترهب في احد الاديرة او اطرح نفسي في النيل لكني لن اتزوجهُ بعد الذي جرى ويشهد الله انني مع ذلك احبهُ حباً شديداً

وبينما هما كذلك جاءت باولين ووراءها نفر من الاتباع يحملون امتعتها فرأت ذلك المنظر المؤثر وسمعت كلام كاترينا فادركت ما جرى بينهما ولمَّا لم تشأ ان تسترق السمع نادت ماري باسمها فاسرعت هذه اليها وارتمت عليها وهي تبكي فقبّلت باولين وجهها وشعرها ثم بكت وقالت الوداع يا حبيبتي فقد قضي عليَّ ان اغادر هذا البيت فلا يبرح اسمي وحبي من بالك واعلمي انني اشد الناس صداقة لك . فتوسلت ماري اليها ان لا تفارقها وان لا تتخلى عنها وبكت بكاء مرّاً. فعجبت باولين لاخلاصها وشدّة حبها ثم حيَّت المهذبة ولمَّا ارادت ان تودع كاترينا انطرحت هذه عند قدميها واخذت تبكي وتقبل يديها وتطلب اليها ان تتجاوز عن اساءتها ثم اعترفت بذنبها فانهضتها باولين وقبلتها قائلة ليس الذنب ذنبكِ وقد غفرت لكِ . ولما بلغت السفينة اذا باوريون وفي يدهِ باقة من الازهار وكان قد حاول لقاءها مرتين ذلك النهار فلم يفلح فتقدم اليها وقال لا خوف على حيرام فلن يمسّ بسوءٍ ثم طلب اليها ان تأذن لهُ بكلمتين فابت ان تجيبهُ وسارت تريد السفينة فمدَّ ذراعهُ ليسندها فتناولت يد الطبيب ونزلت فتبعها الى السفينة وقال لها

— ان تعيساً يطلب منكِ الرحمة فقد اعتراني الجنون امس وانا احبُّكِ

— لا تزد عليَّ فكلامك يسوءني

— ولكنَّ ذهابك يحزن ابي وهو كما تعلمين مريض مثقل أليس لكِ كلام انقلهُ اليهِ

— ساجد رسولاً غيرك

— وهب انهُ سألنا عن سبب انفصالكِ عنا

— امك وفيلبس يخبرانهِ

— ولكنهُ وصيُّكِ واموالك في يديهِ

— لا خوف عليها من الضياع

— ولكن قد يحلُّ بهِ المكروه لا سمح الله

— حينئذٍ اطلب اعادة اموالي على يد وصيّ آخر

فاشتد باوربون الحنق ورمى بالازهار الى النهر ثم وثب الى الشاطىء فدنت منهُ ماري وقالت لا تحزن يا عمَّاه فانا اعلم ما بك

— وما ذاك

— اخطأْتَ انت وكاترينا خطأً كبيرًا بشهادتكما امس

— واين كاترينا الآن

— سمعتها تقول انها تحبك كثيرًا ولكنها لا تستطيع مقابلتك اليوم فقد اخذ الحزن منها كل ما خذ

— لكنها في غنى عن تكليف نفسها هذه المشقة وذلك الحزن فالذنب ذنبي وعاقبتهُ عليَّ فعودي يا حبيبتي الى دروسك ثم قبَّلها ومشى في البستان حتى بلغ شجرة كبيرة فاسند ظهرهُ اليها واخذ يعيد في مخيلتهِ حوادث ذينك اليومين فتنازعتهُ الافكار والاحزان واشتدَّ بهِ القلق فاسف على خسارة الفتاة التي احبها وندم على ما فرط منهُ مما ادَّى الى انفصالها عنهم الى ان قال في نفسهِ لقد اخطأتُ في تسليمي قيادي لامي وعقد خطبتي على كاترينا وقد عزمت الآن على وضع حدّ لهذا الاثم وسانطرح على قدمي باولين واقصُّ عليها قصتي فاعترف بذنبي ومتى اقتنع لها صدق طويتي واخلاصي وعلمت بانني فعلتُ ما فعلتُ غير متعمد واني اتهمتها بمشاركة السارق في ساعة ضياع رشدي رضيت عني وعاودها حبي وحينئذٍ تعود اليَّ تلك الصفات التي ورثتها عن اسلافي على اتمها وتصبح حياتي ذات قيمة في عينيَّ ولا تعود حلمًا وان مجرَّد تفكري بها يسمو بآمالي ومطالبي فماذا يكون شاني اذا احبتني وقبلتني زوجًا لها

وبعد ان قضى ساعة كذلك سار الى البيت فلقي القهرمان وعلم منهُ بانَّ اباهُ نائم وانَّ علامات الانحلال بادية في وجههِ كما سبق الطبيب فانبأهم فامرهُ بارسال مركبتهِ واسرع جيادهِ لتاتي بفيلبس

الفصل الخامس عشر

ولما وصلت باولين والطبيب الى مسكنها الجديد واستقرَّ بهما المقام عرَّفها باهل البيت ثم سار بها الى الغرف الخاصة بها لتراها فاعجبتها نظافة المكان وحسن ترتيبهِ ولم يكن الأكلمح البصر حتى جاء رسولان يطلبانهِ وكان احدهما فتى عربياً من الفسطاط اتاهُ بكتاب من هاشم ينبئهُ فيهِ بانهُ مسافر الى جدَّة للاعتناء بابنٍ مريض ويوصيهِ خيرًا بالشيخ قافلتهِ ومع الكتاب صرَّة مملؤة دنانير اما الرسول الآخر فكان من بيت الوالي يدعوهُ الى الاسراع الى المقوقس فلبى الدعوة وركب المركبة فسارت بهِ الخيل تنهب الارض حتى اذا دخل على العليل ورأى وجههُ علم أنَّ اجلهُ قد دنا وكانت السكتة قد عقدت لسانهُ فانهضهُ وامر الممرضة بان تضع خرقاً مبلولة بالماء على رأسهِ وعنقهِ ثم فصدهُ وبعد هنيهة افاق وفتح عينيهِ وقال بصوت خافت ناولني حبتين يا فيلبس ففعل وبعد ان بلعهما اغمض عينيهِ ثم عاد ففتحهما وقال يا اوريون لقد جاءت الساعة فادعُ المطران ليزودني بالاسرار المقدسة فخرج اوريون الى القاعة وكان المطران ورجال الكهنوت بالانتظار فيها فدخلوا وصلُّوا عليهِ ثم ناولوهُ الخبز فلم يستطع بلعهُ فتناولهُ اوريون بدلاً منهُ فقال المقوقس

— لكن الله معك يا ابني ثم طلب الاسرار ثانية فناولوهُ اياها بجرع الخمر وابتلع شيئًا من الخبز فاخذ المطران يخاطبهُ بكلام التعزية ويستتيبهُ ويسألهُ المغفرة لاعدائهِ فاجاب غفرت لهم جميعًا حتى الملكيين قاتلي ابني وبطريرك كنيستي

وعاد فيلبس الى عنايتهِ بهِ وبعد ساعةٍ رفع رأسهُ وقال

— انزع خاتمي يا اوريون والبسهُ وادعُ ماري وباولين فاودعهما فاجابت زوجتهُ

—لقد ارسلنا من يأتي بماري اما باولين فقد تركت البيت بعد ما جرى امس وقد كلفتني ان ابلغك سلامها وشكرها لك . فسكت ثم قال كيف اذنتم لها في الانصراف فهي اشرف النساء واجملهن لقد اخطأتم في ما فعلتم . فطلب اوريون الى الطبيب والممرضة ان يتنحيا عنهم فلما خرجا قال

— صدقت يا ابي فباولين اجمل النساء واشرفهن فهل توافق على زواجي بها

— نعم يا ابني فبركتي عليكما ولو سلَّمتُ قيادها الى خالها لانقضى الامر على ماشاء . . . . انها دافعت عن تابعها دفاع الابطال . . . لم لم تأتوا بها

— ارادت ان تودعك فالفيناك نائمًا ولم نشأ ان نزعجك

ان قضية الزمردة عجلت في ذهابها ولكنها غير ملومة لخيرام فعل ما فعل بدون علمها على أن طيب عنصرها ... وتعلقها بوالدها .... وانتِ يا نفورس يا رفيقة العمر .... شكراً لكِ على عنايتك بي وحبك لي .... لا تغيظي باولين بعد .... باركي اقترانهما . فبكت زوجتهُ وقالت

— سافعل ما تريد ولكن ما نفعل بمعتقدنا وايماننا وكاترينا المسكينة

— كاترينا ... ابني يتزوج حما ... حما ... الماء . ثم جمع قواه وقال بصوت ضعيف انا جريج بن المقوقس العظيم واسلافي واولادي كأشجار النخل والجميز فهل نطعِّم هذه الاشجار بورق الحنطة اذًا اي انحطاط يحلّ بنسلنا لكن باولين ارزة لبنان ....

— ولكن ما العمل وهي ملكيَّة

— نعم نعم حافظوا على معتقدنا ولكن باولين ارزة لبنان . . . . ثم اعياه النطق فالقى رأسهُ على الوسادة ودعوا الطبيب اليهِ فاسرع وسقاهُ شراباً منعشاً فافاق وقال

— لقد عبقت رائحة المسك في البيت رائحة ملاك الموت وبعد هنيهة قال كمن يخاطب نفسهُ نعم ان الروم ظلموا شعبي فاضطهدوهم وداسوهم امَّا العرب فاهل عدل واحسان وفضلاً عن ذلك فلم يكن ردُّهم عن البلاد في طاقتي آه لقد بردت رجلاي وانا احبُّ البرد وانت يا اوريون لحافظ على مذهبك ودينك ولا يغرنَّك حب العظمة والمجد على اطراحهِ واعتناق غيرهِ امَّا باولين . . . . سرْ في الطريق الذي تختارهُ لنفسك وقد تركتُ لك ثروة طائلة وكنت لك ابًا حنونًا ولأمك زوجًا امينًا وفوق ذلك كلهِ فقد كنتُ قاضيًا عادلاً ويشهد الله عليَّ انني لم احد عن الحق بحسب ما بلغتهُ مداركي القاصرة فكان الغني والفقير في عينيَّ سواءٌ . ثم انقطع عن الكلام واستلقى على فراشهِ وحينئذٍ ادخلوا ماري حفيدتهُ فركعت امامهُ وقبلت يديهِ وهي تبكي ثم صاحت

— لا تفارقنا يا جدَّاهُ وابقَ معنا

— اوَّاهُ يا حبيبتي لقد كنت اودّ ذلك من صميم قلبي لاقوم على العناية بكِ ولكن نفذ المقدور وانا الآن على عتبة القبر

— لا لا فانا اصلّي ويستجيب الله صلاتي فيشفيك

— هذا امر الله فهل جئتِ يا باولين فقلبي يحدثني انها انفصلت عن بيتنا مغتاظة . فقالت

— انَّ هنالك امرًا يجب ان تطلَّع عليهِ يا جدَّاهُ فباولين لم تكذب لكنها اعترفت بالحق وليس حيرام السارق فان العقد الذي رأيتهُ ورأتهُ كاترينا كان خلوًا من ذلك الحجر الكريم

ولكن كاترينا شهدت شهادة زور وحكم القضاة على حيرام اعتمادًا على شهادتها ولا ادري ما الذي فعلهُ هذا المسكين حتى اغضب اوريون فاصرَّ على معاقبتهِ والذي اعلمهُ ان باولين وحيرام بريئان ممَّا اتهما بهِ

وكان اوريون اثناء كلامها راكعًا بجانب السرير وعباراتها تقع في نفسهِ كطعنات الخناجر فحدثتهُ نفسهُ غير مرَّة ان يدفعها من مكانها ويسدَّ فاها لكن الدهشة والغيظ قيَّدا يديهِ فلما فرغت التفت اليهِ ابوهُ وقال

— فقد حكمت محكمتنا حكمًا جائرًا اذًا فمن سرق الزمردة الملك . . . . القطيف . . . . الزمرّدة . وكانَّ صاعقة انقضَّت على اوريون في تلك الساعة فوقف وقال

— نعم يا ابتاه انا فعلت وقد جرَّ عليَّ عملي هذا سلسلة من المصايب والاحزان لا اعلم اين تنتهي حلقاتها على انهُ سيكون آخر ذنوبي. وكان يتكلم والبكاء يقطع الفاظهُ فجلس المقوقس وقد عاد اليهِ بعض قوتهِ وصاح

— انت السارق لقد نجست محكمتنا وجلبت العار على سلالتنا فاغرب عني فانت لص وقاضٍ ظالم وشاهد زور . أنسل مينا يرتكب وزرًا كهذا . فلو كانت يداي شديدتين آ . . ثم اشتدَّ بهِ النزع فانطرح على السرير وهو يردّد كلمة "لئيم" وسمعت حشرجة في صدرهِ ثم فاضت روحهُ . فارتعد اوريون من هول ما جرى وحاول ان يوقظهُ ليعترف لهُ بتوبتهِ وينال غفرانهُ ثم دخل الطبيب فوضع يدهُ على قلب المقوقس والتفت الى من حولهُ وقال هوذا رجل بارٌّ قد فارق ارض الاحياء

فشهق اوريون وانطرح على الارض وجثت امهُ بجانبهِ لتعزيهُ وتنوح معهُ امَّا هو فلم يكن ليتعزَّى

الفصل السادس عشر

كان الطبيب قد سبق فانذر باولين بدنوّ اجل المقوقس فلما جاء الرسول يدعوهُ الى القصر قلقت وخشيت ان تتمَّ نبوتهُ لانها كانت تحبُّ خالها حبًّا شديدًا وترجو لهُ طول العمر والسعادة. ورحَّب بها اهل المنزل وقابلوها بالرعاية والاكرام وكانت هيئة البيت تدلُّ على يسار صاحبهِ والبستان على شدة عنايتهِ بالازهار والاشجار وبينما هي تمشي فيهِ وقعت عينها على البستاني فاذا هو احدب ومعهُ نفر من الاولاد يساعدونهُ وكلهم مشوَّه الخلقة ما بين احدب واعرج وكسيح

وكان البيت على مقربة من دير القديسة سيسيليا وهو الدير الوحيد لراهبات الروم الملكيين الذي ابقى عليهِ المصريون بعد غزوة العرب وذلك لان راهباتهِ اشتهرن بحسن عنايتهنَّ بذوي

الاسقام ومهارتهنَّ في التمريض هذا فضلاً عن الضريبة العظيمة التي كان الدير يؤديها الى مجلس منف ومع شدة كره المقوقس للملكيين لم يرَ بدًّا من الاحتفاظ بهِ للاسباب التي اشرنا اليها ولئلاَّ تنتقل املاكهُ وامواله الى العرب اذا أُقفل . وظلَّت الحال على هذا المنوال الى ان تربَّع بنيامين في دست البطريركية الاسكندرية فاراد الايقاع بالراهبات والاستيلاء على الدير وامواله فعارضهُ المقوقس فكان ذلك من اسباب النفور الذي تعاظم بينهما

في ذلك المساء سمعت باولين الراهبات ينشدن ترانيم الجنازة الشجية فظنت ان احداهنَّ انتقلت من دار الفناء الى دار البقاء لكنها ما عتمت ان سمعت النوح على الطريق والجسر (الكبري) ورأَت النساء يسرنَ زرافات نائحات معولات فخطر لها اذ ذاك ان مثل هذه المناحة العامَّة لا تكون الاَّ للمقوقس فارتعدت لهذا الخاطر واغرورقت عيناها بالدموع حزنًا على خالها وادركت ما كان لهُ من المنزلة الرفيعة في قلوب قومهِ حين ابصرت النساء يذرين التراب على وجوههنَّ ورؤُوسهنَّ والرجال يقرعون صدورهم وكأَن الدهشة عرت المدينة فلا ترى سوى وجوه كاسفة وعيون دامعة ولا تسمع سوى عبارات الاسف والرثاء وبعد ساعةٍ عاد الطبيب فاطلعها على الخبر اليقين الى ان قال وقد حدث حادث تبينتُ منهُ ان اوريون هذا ليس كما نظنهُ ففيهِ صفات طيبة

— اذًا لقد خدعك ايضًا

— ذلك يصعب عليهِ ولكن لا يخفى عليكِ ان غرفة الموت من اقدس الاماكن ففيها تحلُّ الرهبة وتسود الخشية ومن يرَ ملاك الموت ماثلاً امامهُ يخلع عن وجههِ النقاب الذي يحجبهُ عادة فيبدو تحتهُ ما انطوى عليهِ من طيب الاخلاق وخبثها

— وهذا ما بدَّل رأيك في اوريون فقد رأيت فيهِ تلك الساعة ما غيَّر ظنك في اللص وشاهد الزور والقاضي الجائر

— لا تركبي مطية المبالغة كما تفعل النساء فلم اقل ان ابن المقوقس ملاك لكنهُ اعرب اليوم عن قلب طيب وشعائر رقيقة وانا اعتبر هذين ولا ريب عندي في انهُ كان محبًا لابيهِ هذا مع اعترافي بانهُ قد يأتي اكبر المنكرات نفقد الفيتهُ بعد موت ابيهِ في اضطراب وجزع لا يحدثان في المرء ولا يبدوان فيهِ الاَّ اذا فقد احبَّ الناس اليهِ . فقالت باولين

— هذا كلهُ تصنُّع . فقال

— وما غرضهُ من التصنع حيث لا يشاهدهُ احدكلاَّ بل هو على كثرة ذنوبهِ مملوءٌ بالحب لابويهِ وهو ما يدفعني الى التصديق بانهُ لا يخلو من الشهامة وطيب الاخلاق . وبينما هما يتحدثان

دخل عليهما احد خدم البيت فاخبر باولين ان بالباب امرأة تطلب مقابلتها واذا بالمرضع داخلة فاسرعت الى باولين وضمّتها الى صدرها وقبلتها وهي تبكي من الفرح ثم حدثتها بحديثها فقالت انهم احسنوا معاملتها في سجنها وان اوريون اخرجها منهُ اليوم معززة مكرمة فرأت في وجههِ سيماء الحزن وآثار البكاء والكآبة واستتلت الكلام الى حيرام فقالت ان اوريون اطلقهُ ايضاً من سجنهِ واجزل لهُ العطية واعادهُ وابنهُ الى دمشق بعد ان اركبهما جوادين كريمين ثم اخبرت سيدتها ان نيلس الخازن اتى معها وانهُ يريد محادثتها فامرتها باولين بدعوتهِ ولمَّا خلا المكان قال فيلبس

— لي كلمة اقولها لكِ فهل تسمعينها

— هات

— ان الحياة ليست مادبة ادبها القدر لنا لنتلذذ بها لكنها واجب ينبغي ان نقوم بهِ بكل جهدنا وعلى كل واحد ان يمحن قواهُ ومواهبهُ ويستعملها لنفع الناس فاذا فعل احسَّ بفرح ونشاط يكسبانهِ راحة الضمير فلا يعود يبالي بالموت فاذا ادرك اوريون ذلك ونشط الى القيام بالواجبات التي أُلقيت اليوم على عاتقهِ حق لهُ علينا التوقير والاكرام فقد انكسرت سفينتهُ اليوم كما قال التاجر العربي فلنرَ ما يكون من امرهِ . فقالت باولين

— ليت لهُ مرشدًا مثلك يعينهُ امَّا انا فقد فصلتهُ اعمالهُ السيئة عني فلا سبيل الى مصالحتنا ولا اراني ارثي لهُ بعد الذي رأيتهُ منهُ فشكرًا لك على ما بذلتهُ من المساعي في تدبير هذا المنزل حيث القى الراحة والسكينة

وعند ما قالت ذلك تنفَّس الصعداء وحاول ان يبوح لها بحبهِ فصرفتهُ عن هذا الموضوع قائلة اني اتخذتك صديقاً كريماً والصداقة اثمن من كل شيء واسابقى على صداقتك ما بقيت لي الحياة

وعند ذلك عادت المرضع ومعها نيلس الخازن فوضع بين يديها مبلغاً كبيرًا من المال وقال امرني سيدي اوريون ان آتيك بهذا المال عملاً بوصية ابيهِ فتقضي بهِ حاجاتكِ الآن امَّا ما بقي من ثروتكِ وهو الجزء الاوفر فسيعاد اليكِ بالحساب المدقَّق بعد دفن المقوقس. فذهلت باولين لما سمعت ذلك واستاء الطبيب فقد كان يخالها فقيرة معدمة فسرهُ ان يقوم على العناية بها والاهتمام بامرها فتبين لهُ انها تفوقهُ ثروة وغنًى كما تفضلهُ حسباً ونسباً . ولما فرغ نيلس من مهمتهِ حيَّاها وانصرف وتبعهُ فيلبس وبقيت باولين في البيت ومعها مرضعها وقد كادت تطير فرحاً لعودتها الى خدمة سيدتها

ستأتي البقية

الصحيح من الفراسة

امارات الحب

كما ان اللذة والالم القطبان اللذان يدور عليهما شعور الانسان كذلك الحب والبغض هما القطبان اللذان تدور عليهما اهواؤُهُ . وحالما تثور في النفس عاطفة الحب ترى المرء قدمال الى المحبوب ويبتدئ ظهور هذا الميل فيهِ بالالتفات وينتهي بالاقتراب والاتصال واظهار البهجة والسرور . وقد لا ينطق بكلمة ولا يبدي الاَّ اشارات طفيفة لكنها تكون ابلغ من كل كلام كما قيل

حواجبنا تقضي الحوائج بيننا فنحن سكوتٌ والهوى يتكلَّمُ

والحب قوَّة في النفس تدفعها الى الخارج وتحملها على الامتزاج بنفس من تحبُّهُ والتمثل بهِ حتى لقد قال كثيرون انهُ اذا طالت الالفة بين الزوج والزوجة تشابها في شكليهما واخلاقهما . وقيل انهُ كان من عادة فردرك الكبير ملك بروسيا ان يضع امامهُ تمثال يوليوس قيصر وهو يقول ان مجرَّد النظر اليهِ يحرّك فيَّ الميل للتمثُّل بهِ . وهذا التمثُّل فطريٌّ في النفس يظهر فيها من غير تصنُّع ألا ترى ان الام تتظاهر بالبكاء امام ولدها فلا يسعهُ الاَّ ان يبكي تمثُّلاً بها من غير ان يرى للبكاء سبباً آخر

وتظهر امارات المحبة في حركات العينين والشفتين واليدين والراس والجسم كلهِ . ومن علاماتها المصافحة والمعانقة والتقبيل والتبسُّم والضحك والبكاء والتمايل والركوع والغناء والترنم وما اشبه

وبعض هذه الامارات غير خاص بالانسان بل يبدو على الحيوان لاظهار محبتهِ فانهُ يدنو من محبوبهِ ويتحسَّسهُ ويشمهُ ويعانقهُ ويلتصق بهِ ويظهر البهجة والمسرَّة

قلنا ان اول امارات المحبة الميل الى المحبوب ثم لمسهُ باليد او بالفم . اما اللمس باليد في المصافحة على انواعها فيكاد يكون شائعاً في كل المسكونة حتى انَّ الذين لا يتصافحون يفهمون معنى المصافحة . واما اللمس بالفم اي التقبيل فغير شائع شيوعاً تاماً خلافاً لما يظنُّ لاوَّل وهلة بل يقال انهُ لم يكن معروفاً عند الفوجيين سكان الطرف الجنوبي من اميركا الجنوبية والموريس سكان زيلندا الجديدة واهالي تهيتي والبابوان والاستراليين والصومال والاسكيمو واليابانيين القدماء . والامم التي تستعملهُ لا تجري فيهِ على وتيرة واحدة فترى الرجال عندنا يحيون بعضهم بعضاً بالمصافحة والمعانقة وبالتقبيل احياناً والنساء يحيي بعضهن بعضاً بالتقبيل دائماً ولكن الرجال

والنساء يتطارحون التحية عن بعد او يتصافحون مصافحة. وكانت العادة في اوربا ان يقبّل الرجال ايدي النساء وفي بلاد الشام ان يقبلوا رؤوسهنَّ وهنَّ يقبلنَ ايدي الرجال . وقد رأينا لثم الفم شائعاً عند الفرنسويين بين الرجال والنساء ولو لم يكونوا اقارب

ومن الغريب ان التحية تكون بالشم عند بعض الناس او بملامسة الانوف. قال الاستاذ مونتغزا ان رجلاً من اهالي جاوى جادلهُ في امر التقبيل حاسباً ان مس الانف بالانف ادعى الى اظهار المحبة من مس الشفتين بالشفتين لان الانف يشم نفَس المحبوب فتمتزج النفسان معاً. ومن المعروف عندنا ان الامهات لا يكتفين بتقبيل اولادهنَّ بل يشممنهم و يستنشقن رائحتهم عن بعد ويبدين من السرور على اثر ذلك ما يبديهِ محب الخمرة من شمهِ رائحتها

والمصافحة من ابسط امارات المحبة او الصداقة وهي شائعة في كل البلدان والذين لا يستعملونها يفهمون معناها كالذين يستعملونها . وتتلوها المعانقة وفيها من التودد اكثر مما في المصافحة لاتصال المتعانقين معاً في جانب كبير من جسميهما وقد يتوالى العناق على الجانبين فيضع الواحد رأسهُ على الجانب الايمن من عنق صاحبهِ ثم على الجانب الايسر فيصير الاتصال بينهما على اتمهِ. ويتلو المعانقة التقبيل وكأنهُ اشدُّ منها دلالة على المحبة لان الشفتين جامعتان بين جلد ظاهر الجسم وجلد باطنهِ فضلاً عمَّا فيهما من شدَّة الشعور كأنَّ الشعور بهما شامل الشعور الداخلي والخارجي معاً. واللثم اي تقبيل الفم للفم اكثر شيوعاً عند الاوربيين ومن جرى مجراهم من تقبيل الفم لليدين او للوجنتين . والفرق كبير بين اللاثم والملثوم في اظهار المحبة فالاول هو المظهر لها المعرب عنها واما الثاني فقد يشاركهُ في حبهِ وقد لا يشاركهُ بل يكون كالصنم الجميل الذي تلثمهُ وهو لا يشعر بشيءٍ

وقد يكون التقبيل علامة الاحترام والاكرام لا غير كما في تقبيل ايادي الشيوخ واهداب العظماء واستلام الآثار الدينية اي تقبيلها

واذا كان الانسان محباً فلا بدَّ من ان يظهر ذلك في وجههِ فتبدو عليهِ امارات السرور والرضى وهذا كل ما يستدلُّ بهِ من ملامح الوجه على خُلق المحبة مع ما ذكر من الاشارات البادية. والناس سواءٌ في ذلك كبار الفم وصغارهُ طوال الانف وقصارهُ واسعو الجبين وضيقوهُ دقاق الحواجب وعراضها وما القول بان فلانة تحبُّ زوجها لانها واسعة الفم او دقيقة الحاجبين وفلانة لا تحبهُ لانها صغيرة الفم او عريضة الحاجبين الاَّ من قبيل الخرافات القديمة المبنية على الحدس والتخمين او على الاستقراء الناقص . وان كان في ذلك شيءٌ صحيح فهو قليل جداً ولا تزال اسبابهُ غامضة والاستدلال بهِ والقياس عليهِ لا يخلوان من الخطإ ولا يحسن اغراء

الناس باتخاذهِ دليلاً في معاملاتهم لئلاَّ يقود الى الخطاء والبغضاء

امارات البغض

البغض نقيض الحب ونسبتهُ اليهِ نسبة اللذة الى الالم وهو امرٌ لابدَّ منهُ اذا توفَّرت اسبابهُ لان الانسان لا بد من ان يبغض ما يضرُّهُ ويؤلمهُ

وقد ذكر المتكلمون في الفراسة من الاقدمين اوصافاً كثيرة زعموا انهُ يستدلُّ بها على مَن طبعهُ البغض كما ذكروا اوصافاً أُخرى يُستدَلُّ بها على مَن طبعهُ الحبُّ فاغفلنا ذكرها كلها لانها غير صحيحة ولا يخلو ذكرها من ضرر ولو ابنّا خطأها لان الاحكام الفاسدة اعلق بالاذهان من الاحكام الصحيحة . وان كان فيها شيء صحيح فهو غير محدود حتى يسهل الاستدلال عليهِ ودلالتهُ غير مضطردة حتى يصحَّ الاخذ بها

واظهر امارات البغض النفور من الشيء المبغوض او الذي يسبّب الالم . ويظهر هذا النفور على اساليب شتَّى كدفع الراس الى الوراء ومد اليدين الى الامام بغتةً كمن يدفع شيئاً عنهُ بهما او يتقي ضرراً واغاض العينين ورفع الشفتين الى الاعلى ونغ المنخرين وتقطيب الحاجبين وحملقة العينين والكشر عن الانياب وصرير الاسنان وفتح الفم وقبض الكفين كمن يحاول ان يلكم بهما وتحريك اليدين حركات التهديد ورفس الارض بالقدمين والشخير والنخير والامتجاف والبصق وارتعاد الشفتين وعض الكف واكل الاظافر وضحك التهكُّم واصفرار الوجه او احمراره وانتفاش الشعر وانتفاخ المنخرين

ويختلف الناس في ما يبدو عليهم من امارات البغض باختلاف ما يرونهُ من كراهة الشيء المكروه او المبغوض وباختلاف شعورهم بهِ ومقدرتهم على ضبط انفسهم فيظهرون اولاً الكراهة او الاشمئزاز ثم يتدرجون الى اظهار النفور . والبغض مقصور على العقلاء والكراهة شاملة لهم ولغيرهم فيقال ان الانسان يكره الرائحة الخبيثة ولكن لا يقال انهُ يبغضها بل يقال انهُ يبغض عدوهُ والساعي في مضرتهِ

وقد قضت رسوم الحضارة على الانسان ان يكظم غيظهُ ويخفي دلائل بغضتهِ فتراهُ يقف متألماً يرى ما يبغض ويضطر ان يلجم نفسهُ عن اظهار بغضهِ على صورة جلية فيكتفي باظهار الكراهة والاشمئزاز ولو خلسةً . تكون في مجلس فيدخلهُ رجل يكرههُ جمهور كبير من الحضور فترى واحداً منهم يحاول الخروج لكي لا تقع عينهُ عليهِ وآخر يقلب شفتيهِ وآخر ينفض رأسهُ واكثرهم يظهر التململ والضجر من دخولهِ بينهم . الم في النفس تحاول اخفاءهُ فيتقطب لهُ الحاجبان كما يتقطبان وقت الشعور بالالم الجسماني وتنقلب لهُ الشفاه انقلابها من الشعور بالالم

الداخلي وتغمض العينان كما تغمضان عند الالم ثم تجحظان اذا اشتد البغض كما تجحظان اذا اشتد الالم وفي كل ذلك دليل على ان البغض من قبيل الالم كما ان الحب من قبيل اللذة. وقد يطبق الانسان فاهُ اذا رأى ما يكرههُ او يبغضهُ كأنَّ فاهُ يشارك بقية عضلاته في الانقباض لمقاومة الشيء المكروه ولكن الغالب ان يفتح فاهُ قليلاً ويبدي نابيهِ او نابًا واحدًا منهما كأنهُ مدفوع الى ذلك بخلق موروث فيهِ من حين كان نوع الانسان يدافع عن نفسهِ بانيابهِ ولهذا يلجا الصغار الى العض دائمًا. وكذلك المتوحشون والمنحطون في سلَّم البشرية يقبضون على خصومهم ويوسعونهم عضًّا

هذا تعليل دارون لاظهار الاسنان وقت الغيظ وعلَّلهُ مونتغزا بان المرء يشعر بتغلبهِ على خصمهِ فيتبسَّم لذلك تبسُّم المسرور ولهذا لا يضحك الفضلاء اذا غضبوا لانهم لا يسرُّون بقهر خصومهم واما الاشرار والقساة فيسرون ويضحكون حقيقةً كأنهم يحاولون ان يقنعوا خصمهم انهم اعز جانبًا من ان يخافوهُ. واذا كان البغض مقرونًا بالكراهة بصق الانسان على خصمهِ. والبصق عادة قديمة يأتيها الانسان عفوًا حتى الشمبانزي من انواع القرود يبصق على خصمهِ واللاما وهو حيوان اميركي شبيه بالجمل يبصق على من يغيظهُ

واذا عجز المرء عن الاضرار بمن يبغضهُ انصرفت قوتهُ الى الاضرار بنفسهِ فترى الولد اذا اغتاظ غيظًا شديدًا ولم يستطع ان يظهر غيظهُ في من حولهُ عضَّ شفتيهِ ويديهِ ومزَّق ثيابهُ ونتف شعرهُ او كسَّر ما تصل اليهِ يدهُ من الآنية

والغيظ يؤثر في دورة الدم فيزيد خفقان القلب ويضطرب بهِ التنفس وهذا سبب ما يحدث في الوجه من الاحمرار وتنفس الصعداء. واذا بلغ البغض اشدهُ عاد الدم ففارق الوجه بغتة وانتفخ المنخران وجحظت العينان وانقبضت الاعضاء كلها كأنها تحاول ان تمزق نفسها حتى لقد يحدث ان الغيظ يقتل صاحبهُ

كالنار تأكل نفسها ان لم تجد ما تأكله

وهنا يدخل الحسد لانهُ الم وبغض نفسيَّان يخفيهما صاحبهما فلا يستطيعان الا الظهور. ويدخل الاحتقار والازدراء والرعب والقسوة والشراسة. واكثر ما تظهر امارات الشراسة في الوجه حول الفم لان الاولين كانوا يقتلون الحيوان ليأكلوهُ فصارت عضلات الفم تهيج كلما رأى الانسان حيوانًا يُقتل او يذبح وصار الوجه يدل على القسوة والشراسة كما يدل على اللين والبشاشة ولهذا ترى وجوه بعض الناس وبعض الشعوب فيها سمات البشاشة والهشاشة واللين والدعة او فيها امارات الغيظ والبغض والكراهة والشراسة

الميكروب المنير

يتذكَّر الذين زاروا معرض باريس انهم رأَوا في قصر البصريات قناني مملوءة سائلاً ينير في الظلام من نفسهِ وقد قيل لهم ان في هذا السائل انواعاً من الميكروبات المنيرة . ويتذكر الذين اقاموا بقرب البحر ان مياههُ تنير في بعض الليالي ولا سيما اذا ماجت وتنفَّست امواجها او اذا سار فيها قارب كأَن تحريك مياه البحر يثير شيئاً منيراً فيهِ

والباحثون عمَّا ينير في ماء البحر وعمَّا ينير في القناني التي عُرضت في معرض باريس يعلمون ان ما ينير هنا هو غير ما ينير هناك . فالذي ينير في ماء البحر حيوانات مائية صغيرة اكثرها من النوع المعروف باسم سراج الليل Noctiluca وهو حيوان كروي الشكل قطرهُ ٠٫٥ من العقدة لهُ اهداب يحركها فينتقل بها من مكان الى آخر واما الذي ينير في القناني المشار اليها فانواع من الميكروبات الصغيرة جدًّا وهي مختلفة عدوا منها الى الآن نحو خمسة وعشرين نوعاً

ولا يُعلَم كيف يتولَّد النور من هذه الميكروبات ولكن يعلم انهُ لا يتولَّد ما لم يكن للاكسجين اتصال بها وان تولُّدهُ غير مصحوب بحرارة خلافاً لكل الانوار الصناعية . والحيوانات البحرية التي تنير لا يظهر نورها الاَّ اذا تحرَّكت وتهيجت اما الميكروبات المنيرة فلا يُعلم حتى الآن هل يقتضي اظهار نورها ان تحرَّك وتهيَّج ولكن يعلم انها لا تنير اذا انقطع الاكسجين عنها . وهي تعيش في السوائل المغذية اذا كان فيها شيء من الملح ويظهر نورها على اتمهِ اذا اضيف الى السائل المغذي ٢٫٦ في المئة من ملح الطعام و ٠٫٠٧٥ في المئة من كلوريد المغنيسيوم و ٠٫٣ في المئة كلوريد البوتاسيوم

ولا بدَّ من تجديد الاكسجين في السائل دواماً لانهُ ينفد سريعاً . وهو يجدَّد اما بادخالهِ الى السائل فيشتدُّ النور حينئذٍ ويبقى شديداً واما بتحريك السائل من وقت الى آخر حتى يمتزج بهِ الهواء

والميكروبات المنيرة التي توجد في الاقاليم الباردة تبقى حيَّة ولو هبطت الحرارة الى الصفر ويبلغ نورها وتكاثرها اشدهما اذا بلغت الحرارة ١٥ درجة فوق الصفر . واما الميكروبات التي توجد في الاقاليم الباردة فتعيش ولو بلغت الحرارة ٣٧ درجة فوق الصفر

واذا حُلّل نور هذه الميكروبات بالسبكتروسكوب ظهر طيفها ضيقاً جدًّا مالئاً فسحة اللون الازرق والاخضر من الوان طيف الشمس ولكنهُ كافٍ للتأْثير في الواح التصوير الشمسي فتصور بهِ في الظلام ولا سيما اذا كانت جديدة . واذا عتقت قلَّ نورها كثيراً ولم يعد يظهر جيداً في الصور الفوتوغرافية الاَّ في اطرافها حيث تتصل بالسائل

ولما اكتشفت الميكروبات المنيرة عقدت الآمال بانها ستكون انوار المستقبل فتنير ظلمة الليل دواماً من غير نفقة الا النفقات الاولى التي تستحضر بها لكن من يقرأ السطور المتقدمة يجد ان لا بدَّ لها من سائل تغتذي بهِ ومن املاح تضاف اليهِ ومن اكسجين ينفذ اليها فقد تكون نفقاتها اعظم من نفقات نور الغاز والنور الكهربائي على ضعف نورها ولذلك ستبقى من الغرائب العلمية الى ان تكتشف طريقة اخرى تجعلها عملية

تجارة القطر المصري

صدر تقرير الجمارك المصرية عن العام الماضي وقد انعمنا النظر فيهِ فلخصنا منهُ المقالة التالية

بلغت قيمة الصادرات من القطر المصري في العام الماضي ٠٨٨ ٧٣٠ ١٥ جنيهاً مصرياً يضاف اليها بضائع صدرت منهُ بعد ورودها اليهِ وقيمتها ٣٢٦ ٢٤٧ جنيهاً وثمن السكاير التي صدرت منهُ وهو ٨٧٦ ٤٢٣

وبلغت قيمة الواردات اليه ٩٣٨ ٢٤٤ ١٥ وقيمة البضائع التي وردت اليهِ مارَّة الى بلاد أخرى ٥٣٨ ٢٢١ ١ جنيهاً فقيمة الصادرات والوردات كلها ٧٦٦ ٨٦٧ ٣٢ اي نحو ٣٣ مليوناً من الجنيهات المصرية

ولو كانت هذه التجارة الواسعة في يد ابناء البلاد لحقَّ ان ننظر اليها من باب تجاري لنرى كم ربح القطر منها لكنها ليست في يدهم او ليس في يدهم منها الاَّ جزء صغير فلا نلتفت اليها من باب تجاري بل من باب زراعي وعمراني فنبحث اولاً في صادراتنا وثانياً في وارداتنا وثالثاً عن البلدان التي نتعامل معها

(١) صادرات القطر المصري

لا يخفى ان اهم صادرات القطر المصري القطن وبزرتهُ فان قيمة الصادر منهما في السنة تبلغ نحو ١٥ مليوناً من الجنيهات. وما بقي من الصادرات فدون ذلك كثيراً اوفرهُ قيمة السكَّر ويصدر منهُ في السنة ما قيمتهُ نحو نصف مليون من الجنيهات ثم الفول وثمن الصادر منهُ نحو ربع مليون من الجنيهات ويأتي بعد ذلك البصل والبيض والجلد . وقد زادت قيمة الصادر من الصمغ العربي بعد فتح السودان فبلغت في العام الماضي نحو ربع مليون من الجنيهات . وهاك جدولاً ذكرنا فيهِ قيمة اهم صادرات القطر المصري في العام الماضي ومتوسط الصادر من

سنة ١٨٩٤ الى سنة ١٨٩٨ ومن سنة ١٨٨٩ الى سنة ١٨٩٣ ومن سنة ١٨٨٤ الى سنة ١٨٨٨ وذلك بالجنيهات المصرية

	١٩٠١	١٨٩٤ الى ١٨٩٨	١٨٨٩ الى ١٨٩٣	١٨٨٤ الى ١٨٨٨
القطن	١١ ٨٣٣ ٢٧١	٨ ٩٩٩ ١٦٠	٨ ٦٣٤ ٥٥٥	٧ ٤٨٦ ١٦٨
البزرة	٠١ ٩٤٠ ٢٤٠	١ ٣٨٥ ٣٩٩	١ ٦٢٨ ٦٣٣	١ ٣٥٤ ٤٠٦
السكَّر	٠٠ ٥٤٣ ٢٤٥	٠٦٠٩ ١٣٠	٠ ٥٧٤ ٧٤٥	٠ ٤٨٨ ٠٢٣
الفول	٠٠ ٣٦٠ ٥٠٨	٤٥٧ ٢٦٤	٦٦٩ ٣٧٧	٥٧٦ ٢٤٠
الصمغ	٠ ٢٥٤ ٧٨٦	٣ ٩٤٠	٨٤٨	٠٥٠ ٢٨٦
البصل	١٢٩ ٩٢٦	١٥٣ ٨٧٦	٩٧ ١٥٨	٣٣ ٤٠٢
البيض	٨٠ ٩٩٠	٢٣ ٢٧٥	—	—
الارز	٧٤ ٥٦٢	١٠١ ٧٧٤	٩٨ ٤٣٥	١٢٣ ٦٥٥
الجلد الفطير	٦٠ ٠٢٣	٥١ ٩٨٨	٤٥ ٠٠١	٦٣ ١٢٢
الكتان	٣١ ٨٥٨	٥١ ٤٤٠	٤٦ ٧٥٣	٥٩ ٨٩٥
الطماطم	٢٧ ٢٦٣	١٦ ٠٣٣	١٨ ٧٧٠	—
الحناء	٢٥ ٤٥٦	١٤ ٠٠٧	١٥ ٠٢١	١٧ ٠٦٧
ريش النعام	٢٤ ٦٢٢	٠٩ ١٣٨	٠٣ ٠٧٩	٠٧ ٠٠٢
العدس	٢١ ٩٠٩	١٥ ٥٠١	٣٥ ٥٢٢	٣٣ ٨٢٦
الدبيغ	٢١ ٣٠٢	٣٠ ٤٦٤	٤٢ ٥٧٦	٥٢ ٦٥٥

هذه اهم الصادرات الآن وكان يصدر من الحنطة ما قيمتهُ نحو ربع مليون جنيه في السنة والصادر منها الآن قليل جدًّا تقل قيمتهُ عن قيمة الوارد. ويظهر من هذا الجدول باجلى بيان ان كل اعتماد القطر المصري في معاملاتهِ مع غيرهِ من البلدان هو على الحاصلات الزراعية لانهُ لا يصدر منهُ شيء لهُ قيمة صناعية الاَّ السكاير والسكَّر والجلد المدبوغ والقيمة الصناعية فيها لا تزيد على مئتي الف جنيه

وقد يظن لاول وهلة ان القطن اثمن كل حاصلات القطر المصري لا يدانيهِ شيء آخر من الحاصلات كما لا يدانيهِ شيء آخر من الصادرات . وهذا وهم لان العشرة الملايين سكان القطر المصري يأكلون في السنة من القمح والذرة ما يساوي عشرين مليونًا من الجنيهات وهذا المقدار الكبير من القمح والذرة يستغل كلهُ تقريبًا من القطر فالبلاد تكفي نفسها

من حيث الطعام ولا يبقى عليها الاَّ ان تزرع شيئاً تدفع من ثمنهِ الاموال الاميرية وربا الدين المصري وثمن الثياب وبعض الحاجيات والكماليات وهو ما تُصدِر غلتهُ وتقبض ثمنهُ ويبلغ نحو خمسة عشر مليوناً من الجنيهات

ويظهر من امعان النظر في الجدول السابق ان قيمة القطن زادت منذ عشر سنوات الى الآن نحو ثلاثة ملايين من الجنيهات . والظاهر ان هذه الزيادة ثابتة لا يخشى ان تزول لانها مبنيَّة على اتساع زراعة القطن وزيادة الحاصل منهُ اكثر مما هي مبنيَّة على سعرهِ لان كمية القطن نفسها زادت مليوناً ونصف مليون من القناطير وهي تُطلَب كلها الآن فاذا نقصت عن هذا الحد ارتفع السعر ارتفاعاً يوازي النقص او يزيد عليهِ

والسكر يأتي بعد القطن وبزرتهِ ولو كان دونهما كثيراً . والظاهر ان الصادر منهُ باقٍ على حالة واحدة تقريباً منذ عشرين سنة الى الآن الوزن نحو خمسين الف طن والثمن نحو خمس مئة الف جنيه

والفول يتلو السكر وقد بلغت قيمة الصادر منهُ في العام الماضي ٢٦٠ الف جنيه وكانت منذ عشر سنوات نحو خمس مئة الف جنيه ولا اعتماد عليهِ لان غلتهُ تختلف سنة بعد سنة في مقدارها فيتناول الفرقُ ما يزيد من غلتهِ على مقطوعية القطر

ويأتي بعدهُ في الجدول المتقدم الصمغ العربي وقد زاد الصادر منهُ في العام الماضي زيادة فاحشة فبلغت قيمتهُ ٢٥٤ الف جنيه ولم تبلغ في العام الذي قبلهُ مئة الف جنيه . وكان الصادر منهُ اقل من ذلك كثيراً قبل ثورة السودان[1] وقبل استنباط المواد الكيماوية التي تقوم مقامهُ فلا ينتظر ان تبقى تجارتهُ على هذا الحد من الرواج في الاعوام التالية لان السعر الذي هبط اليهِ الآن لم يعد يفي بنفقات جمعهِ ونقلهِ من داخلية بلاد السودان الى مراكز التجارة. وهو ليس من حاصلات القطر المصري

والبصل تجارتهُ حديثة وغير مأمونة لانهُ يتلف اذا طال عليهِ السفر ويباع بثمن بخس اذا تأخر وصولهُ الى انكلترا عن وصول البصل الاسباني . والبيض تجارتهُ آخذة في النمو يصدر منهُ في السنة نحو سبعين مليون بيضة ثمنها نحو ثمانين الف جنيه واذا لم تزد بل اكل الناس بيض دجاجهم فلا خسارة على القطر لان البيض من اكثر الاطعمة غذاء بالنسبة الى ثمنهِ والناس تحتاجون الى الاطعمة المغذية لان قواهم العقلية والجسدية متوقفة عليها

(١) يظهر من تقرير الكولونل ستورت ان الصادر من الصمغ بلغ ١٢٠٦٤٦ قنطاراً سنة ١٨٨٠ و١٥٠٨٦١ قنطاراً سنة ١٨٨١ . وقد بلغ في العام الماضي ١٦٧٠٠٠ قنطار

الواردات

نشرنا في الجدول التالي قيمة اهم الواردات الى القطر المصري في العام الماضي ومتوسطها السنوي من سنة ١٨٩٤ الى سنة ١٨٩٨ ومن سنة ١٨٨٩ الى سنة ١٨٩٣ ومن سنة ١٨٨٤ الى سنة ١٨٨٨ وذلك بالجنيه المصري

	١٩٠١	١٨٩٤ الى ١٨٩٨	١٨٨٨ الى ١٨٩٣	١٨٨٤ الى ١٨٨٨
المنسوجات القطنية	٢٤١٤ ٧٥٩	١ ٥٤٩ ٥٩٠	١ ٤٠٥ ١٠٣	١٤١٩ ٠٧٨
الفحم الحجري	١٠٥٤ ٧٧٧	٤٨٠ ١٩٤	٤٨٥ ٧٢٦	٤٣٠ ٢٠٦
الدقيق	٥٢٢ ٨٩٧	٢٩٣ ٧٢٣	١٠٦ ٨٠٢	١٠٥ ٩١٦
الارز	٣٢٦ ١٩٥	١٢٣ ٠٥٠	١٤١ ٨٤٥	١٢٥ ٥٧٠
المسكرات	٢٥٠ ٨٦٤	٢٠٠ ١١٩	٢٢٧ ٨٠٠	٢١٨ ٢١٦
غزل القطن	٢٤٥ ٩٥٢	١٦٦ ٨٠٠	١٥٨ ٧٣٦	١٣٩ ٥٨٢
النيل	٢٢٥ ٦٩٠	١٨٧ ٢٣٩	٢٠٠ ٠٨٦	٢٣٣ ٧٧٩
البترول	١٩٦ ١٠٠	١٦٢ ١٩٥	١٤٩ ٧٢٠	١٤٤ ١١٤
البن	١٩٣ ٤٢١	٢٤٧ ٦١٣	٢٧٤ ٤٦٧	٢٣٢ ٣٨٠
اكياس فارغة	١٥١ ٩٣٦	١١٥ ١٣٥	١٢٥ ٩٤١	٨٨ ٣٧٥
الحرير	١٤١ ١٠٧	١٠٨ ٨٠٨	١٣٨ ٣٣٨	١٣٩ ٢٦٧
زيت البزور	١١٥ ٤٥٣	٥٢ ٩٣٥	٦٠ ٥٠٥	٦٣ ٨٢٣
السمنتو	١١٠ ١٦٥	٢٦ ٣١٦	١٧ ٢٣١	—
القمح	١١٠ ٣٧٤	٧١ ١٧٠	١١٤ ٢٥٠	١٠٣ ٠٥٠
الجبن	١٠٧ ٤٨٦	٧١ ١٣٦	٦٤ ٧٤	٦٨ ٤١٣
فحم الحطب	٩٨ ٤٤٨	٧٣ ٧٣٩	٧٤ ٦٦٨	٧٢ ٦٧١
الصابون	٩٧ ٥١٣	٨٩ ٤٤٦	٩٣ ٢٠٩	١١٦ ٩٨٩
زيت الزيتون	٧٨ ٥٩٧	٧٥ ٠٨٦	٨٨ ٤٨٤	٨٢ ٣٧٣
الزبدة	٧٧ ١٩٥	٤٧ ٩٠٨	٤٧ ١٨٧	٦٢ ٣٥٥
السكر	٧٦ ٩٨٠	٢٦ ٦٩٩	٤٧ ٥١٥	٩٥ ٦٦٤
السمسم	٧٠ ٣٥٩	٤٣ ٨٣٤	٢١ ١٤٦	١٥ ٩٧٤

هذه اهم الواردات واكثرها ثمناً وهي اما معدنية او صناعية او زراعية . اما المعدنية

كالفحم الحجري وقد بلغ ثمن الوارد منهُ في العام الماضي اكثر من مليون جنيه والحديد وبلغ ثمن الوارد منهُ في العام الماضي ٧٥٢ الف جنيه وفي العام الذي قبلهُ ٩١٨الف جنيه والنحاس وثمن الوارد منهُ ١٨٢ الف جنيه فمَّا لاغنى لنا عن جلبهِ من الخارج وقس على ذلك ما يصنع من المعادن كالآلات التجارية ويبلغ ثمنها في السنة نحو خمس مئة الف جنيه . والصناعية بعضها لا بدَّ من جلبهِ من الخارج وهو ما ليست موادهُ الاصلية عندنا وما يقتضي قوة رخيصة لعملهِ. واما ما موادهُ الاصلية عندنا كالمنسوجات القطنية وما يمكن ان تصير موادهُ عندنا كالمنسوجات الحريرية والكتانية والصوفية فلابدَّ من بذل الهمَّة في ادخال صناعتهِ الى القطر . ولا عبرة بما فعلتهُ الحكومة حديثاً وهو ضرب ضريبة على المنسوجات البلدية اذا صُنعت في المعامل توازي رسم الجرك لان الحكومة لا تستطيع ان تصرَّ على عملها هذا اذا تبيَّنت منهُ ضرراً للبلاد . ومن هذا القبيل الصابون فان موادهُ الاصلية صارت موجودة في القطر بعد استخراج الزيت من بزر القطن ولا يبعد ان يكثر عمل الصابون فيهِ حتى يكتفي بصابونهِ ويكفي بلاد السودان ايضاً ومن هذا القبيل الجبن والزبدة

اما الواردات الزراعية فقلَّما يوجد منها شيء لا يمكن استغلالهُ في هذا القطر بالسهولة الأ النيلة والبن واما الدقيق والحرير والحنطة والسكر والسمسم فيجب ان يزرع منها في القطر ما يفي بحاجة اهلهِ على الاقل

البلدان التي نتعامل معها

نأتي الآن الى البلدان التي نتجر معها اي البلدان التي تشتري صادراتنا ونشتري منها وارداتنا لنعلم مقدار علاقتنا التجارية مع كلٍّ منها . وننظر اولاً الى الصادرات فاذا قسمناها الى الف قسم حسب ثمنها رأينا الممالك المختلفة التي تتعامل معنا تأخذ منها على النسبة التالية

انكلترا واملاكها	٥١٧	في الالف من الصادر
روسيا	١١١	« « « «
فرنسا والجزائر	٠٨٠	« « « «
اميركا	٠٦٥	« « « «
المانيا	٠٥٠	« « « «
النمسا والمجر	٠٤٠	« « « «
سويسرا	٠٣٧	« « « «
ايطاليا	٠٣٥	« « « «

اسبانيا	٠٢٩	في الالف من الصادر
تركيا	٠٢٠	» » » » »
الصين والشرق الاقصى	٠٠٧	» » » »
البلجيك	٠٠٥	» » » »

فانكلترا تشتري منا اكثر من نصف صادراتنا اي ما تزيد قيمتهُ على ثمانية ملايين من الجنيهات . وتتلوها روسيا فتشتري منا نحو عشر صادراتنا او ما قيمتهُ مليون وسبع مئة الف جنيه. ثم فرنسا وتشتري منا ثمانية في المئة من صادراتنا او ما قيمتهُ نحو مليون وثلثمئة الف جنيه وبعدها الولايات المتحدة الاميركية وهي تشتري منا ما قيمتهُ مليون جنيه والمانيا وهي تشتري ما قيمتهُ نحو ثمانية الف جنيه وهلمَّ جرًّا . فالمعاملة الكبرى هي الآن بيننا وبين بلاد الانكليز وقد كانت كذلك قبل الاحتلال الانكليزي بل كانت اكثر مما هي الآن. وهي كذلك من حيث الوارد الى هذا القطر لكنها ليست على نسبة الصادر تماماً كما ترى في هذا الجدول وقد ذكرنا فيهِ ما يرد من كل مملكة من الممالك التالية بالنسبة الى قيمة الواردات كلها

انكلترا واملاكها	٤٣٢	في الالف من الوارد
تركيا	١٤٧	» » » » »
فرنسا والجزاير	٩٣	» » » » »
النمسا والمجر	٦٩	» » » » »
ايطاليا	٥٣	» » » » »
روسيا	٤٠	» » » » »
المانيا	٣٥	» » » » »
بلجكا	٣٤	» » » » »
اميركا	٢١	» » » » »
اليونان	١٠	» » » » »
الصين والشرق الاقصى	٠٩	» » » » »
سويسرا	٠٣	» » » » »
اسبانيا	٠١	» » » » »

فانكلترا تشتري منا اكثر مما نشتري منها وتركيا تشتري منا قدر سبع ما نشتريهِ منها وفرنسا تشتري منا قدر تسعة اعشار ما نشتريهِ منها والنمسا تشتري منا قدر ثلثي ما نشتريهِ

منها وايطاليا تشتري منا قدر ثلثي ما نشتريهِ منها ايضاً وروسيا تشتري منا نحو ثلاثة اضعاف ما نشتريهِ منها وهلمَّ جرًّا. فعمدتنا الكبرى في بيع صادراتنا ومشترى وارداتنا على انكلترا واكثر اعتمادنا في تجارتنا وزراعتنا على القطن فمن ثمنهِ ندفع الاموال الاميرية وربا دين الحكومة ولولاهُ ولولا معامل انكلترا لساءت حالنا وتغيرت شؤُوننا تغيرًا كبيرًا

مخترعات النساء

قال احد الكتبة المشهورين يمكن عقل المرأة ان يصل الى ما وصل اليهِ عقل الرجل ويزيد عليهِ اذا ارادت . وفي عدد المخترعات التي سجلتها النساء دليل على صحة هذا القول فانها كلها تشهد بان قوة الاستنباط في المرأة مثلها هي في الرجل او هي فيها اشد منها فيهِ. ولما كانت المرأة الاميركية رائدة بنات جنسها في الجهاد في ميدان الحياة كان اكثر اختراعات النساء في اميركا وكان الاميركيون اول من اهتم بحصر عدد ما اخترعهُ نساؤهم

وقد عرضت منذ بضع سنوات امثلة لمخترعات النساء في معرض اتلنتا وكلها غريبة في بابها ذات فائدة لا تنكر ناطقة بما انطوت عليهِ النساء من المهارة التي لم يكن احد يعتقد بوجودها فيهنَّ قبلاً . وكانت القوانين تمنع النساء من تسجيل اختراعاتهنَّ فلذلك لم يُعلَم منها قبل سنة ١٨٦٠ الاَّ عشرة اختراعات او اثنا عشر اختراعاً . ثم اذ تيسر لهنَّ الانتفاع بنتاج عقولهنَّ اقبلن على الاختراع ايَّ اقبال فبلغ ما سُجّل من مخترعاتهنَّ في العشرين سنة الماضية ما يعد بالمئات

واول اختراع لنساء اميركا كان سنة ١٨٠٥ وهو آلة لنسج القش مع الحرير او القطن اخترعتهُ ماري كيس. والثاني كان سنة ١٨١٥ وهو كورست اخترعتهُ ماري برش . واخترعت امرأة اخرى آلة لعمل الكعك سنة ١٨١٩ واخرى مواد لحفظ الالوان سنة ١٨٤٠ وسنة ١٨٤١ اخترعت امرأة كورستاً جديدًا ولا بدَّ ان ماري برش التي اخترعت الكورست الاول سنة ١٨١٥ ربحت منهُ ارباحاً وافرة اذ بقيت بضاعتها نحواً من ست وعشرين سنة بلا مناظر. وسنة ١٨٤٥ اخترعت سارة ماثر تلسكوباً ترى فيهِ المواد تحت الماء . وسنة ١٨٤٩ اخترعت ماري ودورد كرسياً يهز وتعلق بهِ مروحة . وسنة ١٨٥٨ اخترعت سوسان تيلر قلماً للكتابة يوضع الحبر فيهِ . وزادت الاختراعات بعد سنة ١٨٦٠ زيادة عظيمة فاخترعت سارة سمث آلة لحصد القمح وحش الحشيش واستنبطت غيرها اسلوباً جديدًا لتنقية المعادن من الكبريت

ومجلات لقاطرات السكك الحديدية ولرفع الرماد منها وادوية لاحياء الشعر وآلات لعمل السجاير وتصرَّفت احداهنَّ في استعمال الالعاب النارية واستعملتها للاشارات ليلاً

واكثر مخترعات النساء الحديثة مختص بالاثاث وآلات الكتابة والنسج والالعاب وآلات الموسيقى والآلات الزراعية والادوات البيتية وما اشبه

ومن مخترعات النساء التي عرضت امثلتها في معرض اتلنتا آلات كهربائية وآلات لعمل عرى الازرار في لحظة عين ونوع من القرميد تتداخل الواحدة منهُ بالاخرى فتستغني عن الجير والمونة والبناء بهِ متين كما لو كان بالحديد . وآلة لتقطير المياه

واكثر مخترعات النساء ربحاً هو ما كان متعلقاً بالعاب الاولاد ولهنَّ مهارة عظيمة في اختراع الالعاب وكثير من مخترعاتهنَّ هذه قد سجل باسماء الرجال فلم يبقَ ذكر للمرأة التي كانت اول من اشار بهِ

وقد جاء في المثل الاميركي ان الاختراع غذاء لصاحبهِ فلذلك تراهم يتسابقون اليهِ متشبهين باديسون وبل وغيرهما من الذين جمعوا الملايين بمخترعاتهم وترى المدارس تهتم بتعليم العلوم الطبيعية والكيماوية والميكانيكية وصار التعليم في اميركا آلة للفائدة العملية

وفي فرنسا كثيرات من المخترعات غير ان اكثر ما اخترعنهُ آلات للزينة مما يدل على تفننهنَّ في المسائل التي للذوق علاقة كبيرة بها

فمن اختراعاتهنَّ مشط تنزل منهُ الزيوت العطرية على جلد الراس وغلاف للسجاير من ورق الورد المكبوس ومسواك عطري الطعم مانع للفساد . وزهرية بهيئة فراشة وآلة لمنع سرقة اكياس الدراهم من الجيوب وآلة يكتب بها الانسان وهي في جيبهِ سواءٌ كان ماشياً او راكباً في مركبة او على حصان . ولعلَّ النساء اخترعن العاب الاولاد التي تمشي وتصوت وتحرك رؤُوسها

وفي فرنسا كثير من المخترعات الميكانيكية سُجل باسماء صاحبات المعامل التي تُعمل فيها ولكن المرجح ان الفضل في اختراعها للرجال العاملين في تلك المعامل

ولو ذكر التاريخ اسماء الذين اتقنوا العجن والخبز والطبخ والغزل والنسج والصبغ والغسل من قديم الزمان لوجدنا بينها اسماء كثيرات من النساء لا سيما وان حيلة المرأة كانت في العصور الغابرة عصور السذاجة والهمجية اوسع منها الآن بل كانت اوسع من حيلة الرجل في ما يتعلق بتدبير المنزل ولوازم المعيشة كما ان حيلتهُ كانت اوسع من حيلتها في ما يتعلق بالحرب والجلاد والغزو والنهب

نسيم برباري

منزلة الشعر من التاريخ

﴿٣﴾

نظرة في ديوان حاتم الطائي

اذا تصفحنا ديوان حاتم الطائي وجدناهُ يخاطب الحارث بن عمرو ملك العرب بقوله

فككتَ عديًا كلَّها من اسارها فأفضلْ وشفّعني بقيس بن جحدرِ
ابوهُ ابي والامهاتُ امهاتنا فأنعمْ فدتك النفس اهلي ومعشري

ويُستخلص من ذلك ان هذا الملك غزا عشائر من قبيلة واحدة وقد اورد حاتم اسماءها كما رأيت وادَّعى ان احدى تلك العشائر وهي عشيرة قيس بن جحدر ذات صلة نسبية مع عشيرتهِ اقرب من سواها . فدلنا ذلك على انهُ من عشيرة لم يذكر اسمها في هذا المقام وذلك لان الملك لم يوقع بها فاذا اردنا معرفة اسم عشيرتهِ نجدهُ واردًا في قولهِ

بنو ثُعَل قومي فما انا مدَّعٍ سواهم الى قوم ولا انا مُسنَدُ[1]

ومما يُوجد من اقوال هذا الشاعر حجة تاريخية قولهُ

وما زلتُ اسعى بين نابٍ ودارة بلحيان حتى خفتُ ان انتصرا

فانهُ دليل على وجود النصرانية بين العرب وقد ذكر ان القوم المنبثين بين نابٍ ودارة من النصارى . والمشهور عن حاتم انهُ كان نصرانيًا ولعلهُ تنصّر بعد ذلك . وسواءٌ ثبت تنصُّرهُ او لم يثبت فان لنا من قولهِ دلالة واضحة على انهُ كان اليفًا للنصارى

واذا تفقّدنا مغازي هذا المضياف الكريم حيث قال

ان كنتِ كارهةً معيشتنا هاتي فحلّي في بني بدر
الضاربين لدى اعنَّتهم والطاعنين وخيلهم تجري
والخالطين نحيتهم بنضارهم وذوي الغنى منهم بذي الفقر

نجد في بيتهِ الاول دليلاً على ان العربي كان اذا شكا من عيشهِ شظفًا فارق عشيرتهُ فاقام في ديار غير ديار قومهِ مجاورًا عشيرة غير عشيرتهِ ونستدلُّ من ذلك على ان العرب مع احتفاظهم على العصبية واعتنائهم بحفظ الانساب اتمَّ عناية وتوثقهم بوشائج القربى أكرم توثق كان آحادهم يفارقون احياءهم وعشائرهم اذا ضامهم ضيق مرتزق

ونجد في بيتهِ الثاني تمثيل احدى هيئات القتال المعدودة اظهر الدلائل على البأس

(١) المسند الدَّعي او المدفوع من قوم الى قوم

والبراعة في فن الحرب عند العرب وهي الضرب بالسيوف وقد تزاحمت الفرسان والطعن بالذوابل وقد اوسعوا الكرّ في حومة الميدان . وقد ألمّ زهير بن ابي سلمى بهيئات القتال فذكرها على الترتيب هكذا

يطعنهم ما ارتموا حتّى اذا اطّعنوا   ضارب حتى اذا ما ضاربوا اعتنقا

وهذا نصٌّ صريح بان الرماية من معدَّات القتال وان انتشاب الوغى يُبدأُ بترامي السهام والقومان في ابتعاد ثم بالرماح عن قرب ثم بالنصال في المصادمة فبالاعتناق بالايدي وقد تقصَّفت الذوابل وتكسَّرت المناصل وليس بعد ذلك الاَّ ورود كاس الحمام

ولم يكن شأن الرماية بالامر اليسير يدلُّك على ذلك تمرُّنهم عليها منذ الصغر أخذًا عن الحذّاق فيها قال معن بن اوس المزني

اعلّمهُ الرماية كل يومٍ   فلما اشتدَّ ساعدهُ رماني

ومع كون السهام والرماح من عدد الهيجاء فالمنزلة العلياء للسيوف قال ضرار بن الأزور

عشية لا تغني الرماحُ مكانها   ولا النبلُ الاَّ المشرفيُّ المصمَّمُ (١)

ولنرجع الى بحثنا في شعر حاتم فنقول انَّ قولهُ

الخالطين نحيتهم بنضارهم   وذوي الغنى منهم بذي الفقرِ

يستفادُ منهُ ان العرب (او قبيلة الممدوح) كانوا ينزلون الوضيع منهم وهو المعبَّر عنهُ بالنحيت بمنزلة الرفيع الذي دعاهُ بالنضار . والنحيت ما نُحِتَ وليس بجيد والنضار الاسل تعمل منهُ القداح . وكذلك تتساوى عندهم مرتبة الفقير برتبة الغني فلا ميزة بينهما الاَّ بالشجاعة وكرامة الفعال وشريف الخلال كما اوضح ذلك عروة بن الورد العبسي بقوله

ما بالثراء يسود كلُّ مسوَّدٍ   مثرٍ ولكن بالفعال يسودُ

واحتياز الوضيع منزلة الرفيع امرٌ دالٌّ على بلوغ المعدلة من احكامهم مكانة لا يتمتَّع بها الاَّ الشعب السامي المدارك الراقي اعلى ذرى الكرامة فكان نظامُ الأمة العربية في زمنها الجاهلي يفوق نظام الشعوب اليونانية في عهد عظمائها ومشترعيها كليكورغورس الذي كانت شريعتهُ تضع امتيازات عديدة بين طبقات رجالها مخوّلة ذوي الثروة حقوقاً خاصَّة . وكذلك نجد دستور الامة الرومانية غير منصف فانهُ لم يساوِ بين سوقتها واشرافها في الحقوق العامَّة ولطالما نشبت نيران الخصومة في منتدياتها وبين احزابها لاستئثار الاماثل بحقوق منعوها عن العامة بغياً واعتسافاً عن محجَّة العدالة فنستدلُّ من ذلك على ان الامة العربية كانت تجري

(١) صمَّ السيف مضى في العظم فقطعهُ فهو سيف مصمّم

سنن الانصاف جريا لا نظير له في تاريخ الامم الأُخر

ولا خلاف ان الانصاف ناجم الأَنفة وعزة النفس بدليل ما هو معلوم من أن الاميال منصرفة الى الاستبداد فحيثما تكون تلك الاميال مكفوفة العيان لا شك بوجود يد قابضة على زمامها قال المتنبي

والظلم من شيم النفوس فان تجد ذا عفة فلعلة لا يظلم

واذا ثبت لنا القول ان اندفاع الاقبال على الظلم وامتناع القبول بالاظطلام ناجم عن علة كان لنا ان نقول ان تلك العلة هي انفة عموم القوم من الصغار ورفضهم الانقياد للزعماء على وجه الاستعباد وتفويض امورهم الى ذوي الرأي لا على وجه الاستبداد . والمحصل من ذلك ان العرب القدماء كانوا في مقدمة الأُمم في عزة النفس ومنعة الجانب

ولربما تراءى للقارىء بداءة بدء ان في كلامي تناقضاً وتضارباً حيث يرى في ما اوردته من شعر عبيد بن الابرص ان ملوك العرب كانوا يحكمون حكماً استبدادياً وفي ما اوردته من شعر حاتم انهم كانوا غير مستبدين . والجواب ان العرب كانوا قبائل ولكل قبيلة نهج وكما ان الشعوب اليونانية كانت مختلفة الاحكام فحكومة اثينا جمهورية وحكومة سبارته ملكية وكلتا الحكومتين يونانيتان كذلك كانت قبائل العرب ليست في حال واحدة من حيث الانقياد لرؤسائها

وقد كان حاتم الطائي كريم العرب المضروب به الامثال ولهذا يلم بالضيافة في شعره كثيراً كقوله

وابرز قدري بالفضاء قليلها يُرى غير مضنون بها وكثيرها
وليس على ناري حجاب يكنها لمستوبص ليلاً ولكن انيرها[1]

وكقوله

ولا استري قدري اذا ما طبختها عليَّ اذن ما تطبخين حرام
ولكن بهذاك اليفاع فأوقدي بجزل اذا اوقدت لا بضرام[2]

علمنا مبلغ الكرم في نفوس جاهلية العرب وعرفنا مقدار ما كانوا يحتفزون لاكرام الضيف حتى انهم كانوا يوقدون النيران لاجل الاهتداء الى منازلهم متخيرين مواقعها في يفاع من الارض كما سبق الشاهد او في رأس جبل كما قال حماس بن ثامل

ومستنبح في لج ليل دعوته بمشبوبة في رأس صمد مقابل

واذا اضفنا الى اقوال حاتم السابق ايرادها بعض ما قاله عروة بن الورد العبسي في القرى كقوله

(١) استوبص من وبص اي لمع (٢) الجزل الغليظ من الحطب والضرام دقيق الحطب . وفي القافية اقواء

فراشي فراش الضيف والبيت بيتهُ ولم يُلهني عنهُ غزالٌ مقنَّعُ [١]
احدِّثهُ ان الحديث من القِرى وتعلم نفسي انهُ سوف يهجع [٢]

استخرجنا من ذلك ان العرب كانوا يعدون محادثة الضيف بالبشاشة من واجبات القرى. وكانوا يجلسون لمسامرة ضيوفهم حتى يرين [٣] على عيونهم الكرى غير متشاغلين عن الضيفان بالانقطاع الى معاشرة العيال . وان الضيف ينزل بيت مضيفهِ آخذاً ملء الحرية كانهُ بيتهُ

وربما تخيَّل لبعض المطالعين ان في قول عروة " احدثهُ ان الحديث من القرى " ما يستفاد منهُ ان بعض العرب كانوا يعمدون الى مشاغلة الضيف بحديثهم حتى يغلب عليهِ النعاس فيهجع ولا يقدمون لهُ طعاماً عادّين الحديث معهُ قرى فادفع هذا الوهم بما يقول حاتم

ولا أُزرّف ضيفي ان تأوَّبني ولا اراني لهُ ما ليس بالداني [٤]

وزرّف الرجل لضيفهِ أكثر الكلام لهُ فشاغلهُ . وهذا نصٌّ على ان التزريف كان عندهم معيباً وانهم كانوا يسرعون اولاً الى اعداد الطعام ثم بعد ان يتناول الضيف كفايتهُ يأخذون في محادثتهِ . ولا يستقيم لنا فهمُ ذلك الاَّ متى جمعنا بين الاقوال السابقة وتعمَّدنا وجهاً تزيل بهِ الاشكال ويتقوَّم بهِ كل ما ورد

ونقتصر على هذا القدر في الضيافة ونتطرَّق الى ابحاث اخرى من شعر حاتم فقد ورد لهُ من ابيات

ولا يُلطَم ابن العمّ وسط بيوتنا ولا نتصبَّى عرسَهُ حين يغفلُ

وهو دليل ان العرب كانوا يتزوَّجون من الاباعد لكي لا تضوي [٥] انسالهم ولتنجب ابناؤهم وان اخوة زوجاتهم واقرباءهنَّ كانوا ينزلون بين مصاهريهم فتُكرَم وفادتهم وتصان أعراضهم

ولا غرو اذا عددنا التزوُّج من الاباعد دليل الملاحظة الدقيقة في حفظ النوع والانتباه التام لتوفير وسائل النموّ والاعتناء في حفظ الصحة وكل ذلك لا يكون الاَّ عند الامم الحائزة على حظ وافر من سموّ المدارك . واقلُّ ما يُثنى عليهِ انهُ خير من تمدن بعض الممالك الآخذة في الاضمحلال لاطلاقها عنان الشهوات واغفالها وسائل نموّ الأمة

ولم يتفرَّد حاتم بذكر الزواج من الاباعد فانَّ حكمة هذا المبدإ القويم كانت مشهورة عند قبائل عديدة وشواهدها في كلامهم كثيرة فمنها قول عروة بن الورد العبسي

هم عيَّروني ان امي غريبة وهل في كريم ماجدٍ ما يُعيَّرُ

---

(١) غزال مقنع اي حسناء (٢) يهجع ينام (٣) يغلب (٤) تأوبهُ اتاهُ ليلاً
(٥) ضوى نحف وهزل وفي الحديث اغتربوا ولا تضووا اي تزوجوا في الاجنبيات ولا تتزوجوا في العمومة

وقوله ايضاً

اعيرتموني ان امي تريعة وهل ينجبن في القوم غير الترائع

وفي هذا الكلام امران الاول الزيجة من الاباعد وقد ذكر عروة ان المنجبات هن الغريبات والثاني تعييرهم عروة بان امهُ غريبة وهذا امرٌ لو حققنا باطنهُ لوجدنا وجه الشكوى منهُ منحرفاً عن وجهة الحقيقة وانما عيب لأن امهُ من قبيلة غير محمودة الفعال ونستدلُّ على ذلك من قوله

ومالي من عارٍ أخال علمتهُ سوى انَّ اخوالي اذا نُسِبوا نهدُ

اذا ما اردتُ المجد قصَّر مجدهم فاعيا عليَّ ان يناسبني المجدُ

فياليتهم لم يضربوا فيَّ ضربةً واني عبدٌ فيهم وابي عبدُ

ثعالبُ في الحرب العوان فان تبخ وتنضرج الجلَّى فانهم اسدُ[1]

ونستنتج من ذلك ان العرب كانوا يميزون بين القبائل فيقدمون بعضاً على بعض ويفاضلون بين احسابهم فيجل شأن الكريم النبعتين على الكريم النبعة الواحدة . وقد ذكر عروة الوجه الذي بنت عليهِ القبائل حكم المفاضلة قائلاً انهُ الشجاعة كما يستخلص ذلك من البيت الرابع .

ويؤيد قول عروة في تكريم الانساب قول عنترة العبسي المشهور

اني امرؤٌ من خير عبس منصباً شطري واحمي سائري بالمنصلِ

وكذلك ما صرَّح بهِ يزيد بن الحكم الكلابي في تفضيل الامهات حيث قال

مَسِسْنا من الآباء شيئاً وكلنا الى نَسَبٍ في قومهِ غير واضعِ[2]

فلما بلغنا الامهات وجدتمُ بني عمكم كانوا كرام المضاجعِ

ويتحصل من ذلك ان العرب كانوا يعترفون بصحة نسب المولود من أبٍ شريف وأمٍ ليست من فرع شريف وهو انصاف لم يكن بعض الامم القديمة يدركونهُ على تقدمهم في المدنية كالامة الرومانية مثلاً التي نجد البند الخامس من اللوح الثاني عشر من الالواح المسطور عليها شريعتها ينصٍ صريحاً " انهُ لا يجوز للشرفاء ان يتزوَّجوا من العوام " بل ان هذه السنة لم تزل حتى الآن عند بعض امم عصرنا المتمدن وهو امرٌ ظاهر البطلان لأن الناس اجمعهم من اصلٍ واحدٍ فانَّى نجد بينهم تفاوتاً في النوعية الاَّ من الميزة بالآداب ومحاسن الاخلاق

فاعتراف العرب بان العقود التي تنشأ بين مختلفين مكانةً صحيحةٌ جائزة وبأنَّ ثمرتها نسل شرعي يرفع هذه الأمة الى اسمى درجات الحكمة

امين ظاهر خير الله

---

(١) اراد بانهم ثعالب اي رواغون كناية عن الذلة و باخت الحرب خمدت وانطفأت

(٢) يقال مست بك رحم فلان اذا كان بينكما قرابة

وصية سسل رودس

بعد ثلاث سنوات او اربع يصير في مدرسة اكسفرد الجامعة ٢٥٠ تلميذاً من البلدان الانكليزية والولايات الاميركية يدرسون العلوم والفنون معاً كاخوة في بيت واحد يعطى لكلّ منهم ثلثمئة جنيه في السنة لينفق منها على نفسهِ وعلى تعليمهِ فجملة ما يعطى لهؤلاء التلامذة خمسة وسبعون الف جنيه في السنة وهي ريع مليوني جنيه او اكثر اوصى بها سسل رودس لتعليم ابناء اللغة الانكليزية وتهذيبهم . اوصى بها الرجل الذي مضى الى جنوبي افريقية منذ ثلاثين سنة فتًى لا يكاد يملك شيئاً فخدمهُ سعدهُ حتى صار من اصحاب الملايين ورأى فائدة العلم في توسيع نطاق العمل وتعميم مدار الفوائد اذا حازهُ مَن يُولد وبهِ ميل فطري الى قيادة الناس وعمل الاعمال الكبيرة فاراد ان يسير شبان امتهِ في الخطة التي سار فيها واختصر لهم الطريق حتى لا يضطروا ان يسافروا من بلاد الى اخرى سنة بعد سنة لكي يكتسبوا ما يقوم بنفقات تعليمهم كما كان يفعل هو

والاسلوب الذي اشترط ان يُعمَل بهِ في وصيتهِ يدلُّ على انهُ يعلم حق العلم ما هو الاساس الذي يبنى عليهِ عز الممالك وكيف يكون البلوغ اليهِ فقد اشترط ان لا يُقتصر في اختيار التلامذة على النابغين في الدروس منهم بل اوجب ان يكونوا حائزين للاوصاف التالية : اولاً ان يكونوا عارفين علوم الادب ثانياً ان يكونوا مولعين بالالعاب الرياضية التي تقوي الجسم كلعب الكرة ونحوهِ . ثالثاً ان يكونوا معروفين بكرم الاخلاق كالصدق والشجاعة والاستبسال في قضاء الواجب والرفق بالضعيف والعطف على المسكين . رابعاً ان يكونوا ميالين الى القيادة والارشاد لان مَن بدت فيهِ هذه الصفة صغيراً سهل عليهِ الارتقاء الى المناصب العالية التي يقود فيها غيرهُ

هذه هي الاوصاف التي اشترط وجودها في التلامذة الذين يتعلمون على نفقتهِ اي من ريع الاموال التي اوصى بها لهذه الغاية . وقال انهُ يجب ان لا يُنظَر الى ما بينهم من الفوارق الجنسيَّة والمذهبيَّة فكل شبان الامَّة الانكليزية اهالي انكلترا واخوانهم في اميركا والمستعمرات الانكليزية وكل الذين تجنَّسوا بالجنسيَّة الانكليزية سواء في اختيار التلامذة منهم

ولسسل رودس صديق حميم بين مشاهير الكتَّاب وهو المستر ستد منشئ مجلَّة المجلات الانكليزية وقد انشأ هذا الكاتب مقالة مسهبة منذ نحو ثلاث سنوات في وصف سسل رودس ومذهبهِ السياسي نشرها في شهر اكتوبر سنة ١٨٩٩ ثم اعاد نشرها الآن قائلاً ان سسل رودس اطَّلع عليها ولم يعترض على شيء مما ذكر فيها لا سرًّا ولا جهراً فكأنهُ اقرَّ على صحتها

فاعاد المستر ستد نشرها الآن وهي مسهبة مفادها ان سسل رودس ينكر صحة الوحي على ما جاء في التوراة ولكنهُ يعتقد بوجود الله او بامكان وجودهِ ولو كان هذا الامكان ٥٠ في المئة وبأن احوال الخلق تدلُّ على ان خالقهُ قصد بهِ ان يرتقي رويداً رويداً حتى يسود العدل والسلم والحرية وان من يبذل جهدهُ في اعلاء منار العدل والسلم والحرية في هذه الدنيا يكون قد سعى السعي الذي يرضاه الخالق ويسرُّ بهِ وان الامَّة التي تدلُّ الدلائل كلها على انها سائرة في هذا السبيل اي سبيل اعلاء منار العدل والسلم والحرية هي الامَّة الانكليزية كأَن العناية الالهية اقامتها لذلك فيجب على كل احد ان يساعدها في عملها ويسعى الى نشر رايتها في الخافقين . وان كبار الماليين من اقدر الناس على ذلك فيجب ان تؤلف عصبة منهم تنفق الاموال الطائلة في هذا السبيل فيرتقي نوع الانسان الارتقاء الذي يقتضيهِ مذهب النشوء ويكون ذلك على مقتضى مشيئة الخالق. وهاك ترجمة ما قالهُ المستر ستد عن لسان سسل رودس " اذا كان الله موجوداً وكان لعملي اقل اعتبار في عينيهِ فلا بدَّ من انهُ يريد ان اعمل ما يعملهُ هو. وحيث ان الدلائل كلها تدلُّ على انهُ يدبّر امر الامَّة التي تتكلم اللغة الانكليزية كأَنها آلة اختارها لنشر راية العدل والحرية والسلم في الدنيا فالامر واضح انهُ يريد ان ابذل جهدي في مساعدة هذه الامَّة اي ان اوسع الاملاك البريطانية في افريقية بحسب طاقتي واسعى جهدي في كل مكان الى توثيق عرى الاتحاد بين الشعوب المتكلمة باللغة الانكليزية "

والظاهر ان الذي اثَّر في نفسهِ اعظم تأثير عبارة اطَّلع عليها وهو في مدرسة اكسفرد من قول ارسطو وهي " الفضيلة اسمى ما تسمى اليهِ النفس التي تطلب الغرض الاسمى في الحياة الكاملة "

وقد شبه المستر ستد سسل رودس بلويلا منشيء الطغمة اليسوعية فقال انهُ وضع نصب عينيهِ حفظ الامَّة الانكليزية ونشر رايتها في الخافقين كما وضع لويلا نصب عينيهِ حفظ الكنيسة الكاثوليكية ونشر تعاليمها في المسكونة

وقد كتب سسل رودس الى المستر ستد في اواخر سنة ١٨٩٠ كتاباً مسهباً وطلب اليهِ ان ينقحهُ وينشرهُ فنشرهُ الآن على علاَّتهِ من غير تنقيح وهاك بعض ما جاء فيهِ

"لا تنسَ ان الآلة التي اصلُ بها الى غرضي كما ابنتهُ لك هو جمعية منشأة على اسلوب جمعية اليسوعيين من حيث نظامُها . والاسلوب العملي لاجرائهِ دستور منقول عن دستور الولايات المتحدة الاميركية للاستقلال الاداري الذي اشير بهِ لكل قسم من اقسام البلدان الانكليزية حتى تتوزع ادارتها ولا تبقى محصورة في مجلس النواب لان مجلساً واحداً يعجز عن ادارة خمس المسكونة . وان مسألة العمل والعمَّال من المسائل المعضلة التي لا بدَّ من حلها ولكن مسألة

فتح الاسواق للمصنوعات اهم لنا من مسألة العمَّال لان ربح ما يستعملهُ الانكليز من مصنوعاتهم يقوم بمعيشة ستة ملايين فقط منهم فلا يتعيَّش الباقون الاَّ اذا انتشرت مصنوعاتهم في اقطار المسكونة

"وقد اتحدت الممالك كلها واميركا في مقدمتها على مقاطعتنا بضرب الضرائب على مصنوعاتنا فلا بدَّ لنا من ان نكيل لها بالكيل الذي كالت لنا الى ان ترجع عن غيها واخيرًا تنتهي هذه الحرب باتحادنا مع اميركا فيستتب السلام في العالم كلهِ وتؤلف جمعيَّة مثل جمعية الجزويت اعضاؤها اصحاب الملايين الكثيرة الذين غرضهم ان يعملوا شيئًا كبيرًا في الدنيا وان يخلصوا من الهمّ الذي يتعبهم دوامًا وهو اختيار من يتركون لهُ ثروتهم من اقاربهم الكسالى فيخلصون من هذه المشكلة ويستعملون ثروتهم في ما يسرُّهم ويفيد غيرهم

"هذه هي الامنيَّة التي اتمناها واخاف ان اموت قبل البلوغ اليها كما يخاف مَن اكتشف اكتشافًا ان يموت قبل تسجيلهِ . وقد سُمّيت البلاد الجديدة من الترنسفال الى جنوبي طنجنيكا باسمي لكي ابقى خالدًا بعد موتي فسرَّني ذلك لعلهُ يعرب عن امنيتي التي من شأْنها ابطال الحروب كلها في مستقبل الايام ونشر لغة واحدة في كل المسكونة اذ يهتم ارباب الاموال الوافرة وارباب العقول الثاقبة بهذا الغرض

"لو امكننا ان نتحد الآن مع الولايات المتحدة لاستطعنا ان نبطل الحروب من المسكونة ويكون لنا مجلس نواب واحد يجتمع خمس سنوات في وشنطون وخمس سنوات في اميركا ولا يتم هذا الامر الاَّ بجمعية سرية تستولي على موارد الثروة كلها وتستخدمها لهذا الغرض"

والكتاب طويل جدًّا وهو على هذا النسق من بسط الاماني والآراء على صورة مشوشة كأن ذهن كاتبهِ مملوء منها فيعجز عن التعبير عنها لكن غرضهُ ظاهر منها ظهور الشمس من وراء الضباب . وقد توفي كما انبأ من غير ان ينال ما تمنَّى ومن غير ان يرى ما يدل على قرب منالهِ . وكأَنهُ ادرك ذلك قبل وفاتهِ فاختار الاسلوب الذي اشار اليهِ في وصيتهِ لكي يعلّم الوفًا من اذكياء العقول وكبار النفوس حتى يحذوا حذوهُ ويسعوا في تحقيق امانيهِ

قال المستر ستد بعد ما نشر هذا الكتاب برمتهِ وعقَّب عليهِ "ان مَثَل سسل رودس في وفاتهِ قبلما تحقق امنيتهُ مَثَل النبي داود اذ كان عازمًا ان يبني الهيكل فاعدَّ لهُ المواد اللازمة وترك بناءهُ لابنهِ فعسى ان يقوم بعد رودس من يحذو حذوهُ ويتم العمل الذي شرع فيهِ"

اما نحن فقد نشرنا ما نشرناهُ من ترجمة هذا الرجل وآرائهِ لا لمجرَّد العلم بها بل ليرى ابناء المشرق سرًّا من اسرار تقدُّم الاوربيين علينا وسبقهم لنا في ميدان الحضارة وهو تنافس ارباب الثروة منهم في ما يعلي شأْن اممهم واوطانهم

المالية المصرية

صدر تقرير اللورد كرومر عن احوال القطر المصري في السنة الماضية وهو يترجم الآن ويطبع في المقطم وسنطبعهُ على حدة بقطع المقتطف لكي يسهل تجليده معهُ . وادلُّ ما فيهِ على تقدم هذا القطر منذ اثنتي عشرة سنة الى الآن ازدياد ايراد الحكومة المصرية مع تجاوزها عن كثير من الضرائب حتى توفَّرت لديها الاموال وصارت تقدم على الاعمال العظيمة الكبيرة الفائدة كانشاء الخزان في اصوان واسيوط حتى تأمن البلاد طائلة الشرق والغرق ويتسع نطاق الاراضي الزراعية . وتديين الاموال للفلاحين بالربا القليل حتى ينجوا من يد المرابي الذي كان يمتص دمهم ويبتز ثمرة اتعابهم

والنجاح المالي ليس كل النجاح ولكنهُ اساس لكل نجاح سواهُ في ادارة الممالك والامم فمتى وفرت الاموال في بلاد استتبَّ الامن فيها واطمأنت الافكار وسهل نشر العلوم والفنون وهذه الحقيقة يعرفها كبار رجال السياسة والباحثون عن دعائم العمران. فلا يستتبُّ الامن في بلاد ولا ترتقي فيها العلوم والفنون الاَّ اذا وفر المال في خزينة حكومتها وبين ايادي اهلها فحينئذٍ تشبع البطون والنفوس وتستخدم فضول المال في الكماليات وفي جملتها انشاء المدارس العلمية والصناعية والزراعية . وهاك ما ذكرهُ اللورد كرومر في خاتمة كلامهِ عن الحالة المالية في هذا القطر

خلاصة الحالة المالية

ان خلاصة القول عن حالة المالية المصرية في ٣١ دسمبر سنة ١٩٠١ هي كما يأتي

ان الايرادات ومبلغ ٢١٦٠٠٠ جنيه مصري الذي منحهُ صندوق الدين بلغت ١٢١٦٠٠٠٠ ج . م وهذا اعظم ما بلغت اليهِ الايرادات

اما المصروفات فانها بعد بذل ٦٤٠٠٠ ج. م لاستهلاك الدين ودفع ١٤٠٨٠٠٠ ج . م للمال الاحتياطي العمومي ووفر التحويل بلغت ١١٣٩٦٠٠٠ ج.م وعليهِ كانت زيادة الايرادات على المصروفات ٧٦٧٠٠٠ ج.م

وبلغ المال الاحتياطي العمومي ٣٧٩٥٠٠٠ ج . م في ٣١ دسمبر سنة ١٩٠١ من ذلك ٢٨٣٩٠٠٠ ج.م مخصصة للصرف في المستقبل وبلغ. المال الاحتياطي الخصوصي في ذلك التاريخ ١٢٨٧٠٠٠ ج . م منها ٥٦٧٠٠٠ ج . م مخصصة للصرف في المستقبل . واما قيمة الوفر الذي نتج من تحويل الدين الممتاز الى ٣١ دسمبر سنة ١٩٠١

فبلغت ٤٤٨٥٠٠٠ ج . م . وبلغ الدين المصري ١٠٣٢٦٥٠٠٠ جنيهاً انكليزياً منها ٨٢٦٥٠٠٠ جنيهاً في يد صندوق الدين والباقي ٩٥٠٠٠٠٠٠ في ايادي الناس

وتقدَّر ايرادات سنة ١٩٠٢ بمبلغ ١١٠٦٠٠٠٠ ج . م والمصروفات بمبلغ ١٠٨٥٠٠٠٠ ج . م فزيادة الايرادات ٢١٠٠٠٠ ج . م والمرجح انها تكون اكثر من ذلك

وبلغ ما تحملتهُ الخزينة المصرية لينفق على حكومة السودان الملكية والعسكرية في سنة ١٩٠١ ٤١٧٠٠٠ ج . م ويقدَّر ما تتحملهُ سنة ١٩٠٢ بمبلغ ٣٩٠٠٠٠ ج . م

واحسن خصائص المالية المصرية هي (١) ان الايراد يزداد ازدياداً مستمراً فيها (٢) ان المصروف يزداد على نسبة هي اقل من ازدياد الايراد . وهاك جدولاً يتضمن بيان الايرادات منذ سنة ١٨٩٠ :—

السنة	ج . م	السنة	ج . م
١٨٩٠	١٠٢٣٧٠٠٠	١٨٩١	١٠٥٣٩٠٠٠
١٨٩٢	١٠٢٩٧٠٠٠	١٨٩٣	١٠٢٤٢٠٠٠
١٨٩٤	١٠١٦١٠٠٠	١٨٩٥	١٠٤٣١٠٠٠
١٨٩٦	١٠٦٩٤٠٠٠	١٨٩٧	١١٠٩٣٠٠٠
١٨٩٨	١١١٣٢٠٠٠	١٨٩٩	١١٢٠٠٠٠٠
١٩٠٠	١١٤٤٧٠٠٠	١٩٠١	١١٩٤٤٠٠٠

وخففت الضرائب في اثناء هذه الاثنتي عشرة سنة مبلغ ١٤٠٨٠٠٠ ج . م في السنة . وخفض رسم الملح ٤٠ في المئة ورسم البوستة ٥٠ في المئة وكذلك رسم التلغراف وخفضت اجور السكة الحديد كثيراً ولم تزد الرسوم على شيء الأعلى الدخان فقد كان رسم الكيلو منهُ ١٤ غرشاً صاغاً فصار ٢٠ غرشاً صاغاً

ومع ذلك كلهِ زاد الايراد ونما حتى بلغت زيادتهُ في آخر تلك السنين الاثنتي عشرة ١٧٠٧٠٠٠ ج . م عما كان عليه في اولها . وهذا يقوي الآمال بدوام النجاح في الاستقبال

اما المصروفات فكانت في الاثنتي عشرة سنة المذكورة كما يأتي

السنة	ج . م	السنة	ج . م
١٨٩٠	٩٥٩٠٠٠٠	١٨٩١	٩٦٠٧٠٠٠
١٨٩٢	٩٥٥٢٠٠٠	١٨٩٣	٩٥٥٥٠٠٠
١٨٩٤	٩٤٧٠٠٠٠	١٨٩٥	٩٤٢١٠٠٠
١٨٩٦	٩٦٠٥٠٠٠	١٨٩٧	٩٧٠٩٠٠٠
١٨٩٨	٩٨٠٠٠٠٠	١٨٩٩	٩٩٢٩٠٠٠
١٩٠٠	٩٨٩٥٠٠٠	١٩٠١	٩٩٢٤٠٠٠ (١)

ومن هذا يظهر ان المصروفات التي كانت في السنة الاولى من هذه الاثنتي عشرة سنة ٩٥٩٠٠٠٠ ج . م زادت الى ٩٩٢٤٠٠٠ ج . م في السنة الاخيرة منها فكانت زيادة المصروفات اذاً ٣٣٤٠٠٠ ج . م فقط . وهذه الزيادة اقل من زيادة مصروفات السكة الحديد التي لا بدَّ من ازديادها طبعاً بازدياد ايرادات تلك المصلحة ففي سنة ١٨٩٠ كانت مصروفات السكة الحديد ٦١٠٠٠٠ ج . م وبلغت ١٠٥٧٠٠٠ ج . م في سنة ١٩٠١ فزادت في آخر الاثنتي عشرة سنة ٤٤٧٠٠٠ ج . م وهذا يزيد ١١٣٠٠٠ ج . م عن زيادة مصروفات المصالح كلها كما ذكرنا آنفاً

وقد جرى من التحسين والاصلاح في كل ديوان ومصلحة من دواوين الحكومة ومصالحها ما اقتضى مصروفات عظيمة في أثناء تلك المدة . ثم اقتضى اخيراً ان تحمل الخزينة المصرية عبئاً ثقيلاً هو مصروفات السودان . ومع هذا تيسر بحسن التدبير انقاص المصروفات بالاقتصاد في جهة بقدر ما تزيد في الاخرى . غير ان حب الاقتصاد في المصروف لم يقلل شيئاً من كفاءة المصالح التي جرى الاقتصاد فيها لادارة الاعمال والاشغال المنوطة بها بل اني أقول انها زادت كفاءة لذلك بسهر نظارة المالية وعدم تساهلها في زيادة المصروفات بالاسراف والتبذير

---

(١) يخرج من هذا ٦٤٠٠٠٠ ج . م المدفوع لاستهلاك الدين و ١١٤٣٠٠٠ ج . م للمال الاحتياطي العمومي و ٢٦٥٠٠٠ ج . م لوفر التحويل

فتح المكسيك

تركنا كورتس في الجزء الماضي وهو يستعدُّ للزحف على عاصمة المكسيك فلما اتمَّ استعدادهُ زحف برجالهِ وهم اربع مئة من المشاة وخمسة عشر من الفرسان واخذ معهُ سبعة مدافع واعطاهُ امير سمبوالا ١٣٠٠ محارب و ١٠٠٠ حمَّال واخذ اربعين من رؤَساء البلاد لكي يرشدوهُ في الطريق ويشيروا علي اهالي البلاد بمسالمتهِ. وترك في مدينة فرا كروس رجلاً يعتمد عليهِ من خواصهِ مع حامية من الاسبانيين . وخطب في رجالهِ قبل ان شرعوا في الزحف خطبة بليغة شبههم فيها بالرومانيين القدماءِ الذين دوَّخوا المسكونة وعمَّروها حتى اذا اتم خطبتهُ صرخوا قائلين لك علينا الطاعة التامة وسنبقى معك في السرَّاء والضرَّاء ولما قالوا ذلك ودَّع امير سمبوالا ورجالهُ وسار وكان ذلك في السادس عشر من اغسطس سنة ١٥١٩

مضى اليوم الاول وهم في ارض الفانلاَّ والكاكو والقرمز ارض الطيوب والافاوية ارض الاثمار والازهار والصيد والقنص حيث ارج النسيم يعطر الارجاء وتزاويق الطيور توشي الفضاء . وبلغوا مدينة زَلَبا في اليوم التالي ومنها العقار الذي سُمّي باسمها (جلَبا) فاطلُّوا على بلاد واسعة المدى كثيرة الدساكر والقرى تكتنفها الرياض والغياض وتتخللها الانهار والغدران

وفي اليوم الرابع وصلوا الى مدينة حصينة مبنية على صخر شاهق فاضافهم اهلها ورحَّبوا بهم وقاموا في اليوم التالي وساروا في وادٍ ضيق وعصفت عليهم رياح باردة من الجبال المجاورة معها مطر وثلج فكاد البرد يهرأهم لكن ثيابهم المحشوَّة بالقطن وقتهم منهُ واما الهنود الذين معهم فمات كثيرون منهم من شدة البرد وبعد ثلاثة ايام انفسحت امامهم البلاد واعتدل الهواء وكانوا قد علوا سبعة آلاف قدم عن سطح البحر فرأوا حقولاً كثيرة الزرع يحيط بها الصبر وتكثر فيها الذرة ووصلوا بغتةً الى مدينة كبيرة اكبر من سمبوالا واكثر منها سكانًا فيها ثلاثة عشر هيكلاً كبيرًا ولما رأى كورتس اميرها سأَلهُ هل انت من الخاضعين لمنتزوما فاجابهُ متعجبًا ومَن في الدنيا ليس خاضعًا لهُ . فقال كورتس انا لست من الخاضعين لهُ ثم بيَّن لهُ الغرض الذي جاء لاجلهِ وقال اني خاضع لملك يخضع لهُ ملوك كثيرة كلٌّ منهم مثل منتزوما . فجعل هذا الامير يطنب في عظمة مولاهُ وقال انهُ يخضع لهُ ثلاثون اميرًا عندكل منهم مئة الف مقاتل يؤدون اليهِ الجزية وجنودهُ كثيرة تاسر اكثر من عشرين الف اسير كل سنة ليقدّموا ذبائح لمعبوداتهِ . وعاصمتهُ في بحيرة في وسط وادٍ كبير والبحيرة مملوءة بسفنهِ ويوصل اليها على جسر طولهُ عدة اميال بعضهُ من الخشب يرفع فلا يعود الوصول اليها ممكنًا

وطلب منهُ كورتس ان يعطيهُ شيئًا من الذهب الذي عنده ليرسلهُ الى ملك اسبانيا هدية فقال اني لااستطيع ما لم يأمرني منتزوما فان امرني فانا وما املك بين يديك

وعجب الاهالي من خيل الاسبانيين وكلابهم وملابسهم وجعلت مريانا تطنب في بسالتهم ومهارتهم وما نالهم من الاكرام من منتزوما نفسهِ فاثر ذلك فيهم واهدى اميرهم الى كورتس بعض الحلى والجواري واراد كورتس ان يقنعهُ ليقلع عن عبادتهِ الوثنية ويعتنق الديانة المسيحية فلم يرَ منهُ اذنًا صاغية واراد ان يأمر رجالهُ لكي يفعلوا هنا ما فعلوا في سمبوالا ولو حاول ذلك لاوقع بهم الاهالي لكن القس الذي معهُ ادرك بفطنتهِ ما تؤول اليهِ هذه الغيرة فنهاهُ عن ان يفعل في هذه المدينة ما فعلهُ في سمبوالا قائلاً ان نحن نصبنا الصليب هنا من غير ان نُعلِم الاهالي عرَّضناه للاهانة فنجني قومهُ من المنكة

وهنا التبس الامر على كورتس لان اهل المدينة اشاروا عليهِ ان يسير في طريق شلولا قائلين ان سكانها اهل دعة ومسالمة . وكان اهل سمبوالا قد اشاروا عليهِ ان لا يسير في بلاد شلولا لان اهاليها خونة خداعون بل في طريق تلسكالا الجمهورية المستقلة لان اهاليها كرام الاخلاق يترفعون عن الخيانة كما انهم ابطال بواسل . واخيرًا اختار طريق تلسكالا وارسل الى اهاليها وفدًا من اهالي سمبوالا يستميحهم المرور في بلادهم وبعث مع الوفد هدية قلنسوة من الجوخ الاحمر وسيفًا وقوسًا وكتب اليهم يخبرهم انهُ معجب ببسالتهم ومقاومتهم لملك المكسيك الذي جاء لاذلالهِ وكان يعلم ان الاهالي يعجزون عن قراءة هذه الرسالة ولكنهُ اراد ان يظهر لهم انهُ بالغ من العمران شأوًا ابعد من شأوهم واخبر الوفد بمعنى الرسالة حتى لا تفوت فائدتها

وبقي في المكان الذي كان فيهِ ثلاثة ايام بعد ذهاب الوفد ثم سار برجالهِ وراءه وهم في انتظام كانهم سائرون الى القتال وهذا كان دأبهم دائمًا في الحل والترحال . ولم يجدّوا السير لانهم كانوا ينتظرون عود الوفد قبل الدخول في بلاد تلسكالا وبينما هم سائرون على هذا النمط وصلوا الى سور منيع ارتفاعهُ عشر اقدام وعرضهُ عشرون قدمًا ولهُ مترسة يقف وراءها المقاتلون وليس لهُ الا باب واحد في وسطهِ يدور فيهِ الداخل بين سورين كنصفي دائرة احدهما معطوف على الآخر والطريق بينهما عشر خطوات لا غير والسائر فيهِ يكون تحت رحمة الذين على السور وطول السور اكثر من ستة اميال ويتصل من طرفيهِ بجبلين شاهقين لا يمكن الارتقاء اليهما وحجارتهُ كبيرة ضخمة محكمة البناء وهو الحد الفاصل بين بلاد تلسكالا وبلاد المكسيك فلما وصلوا اليهِ وقفوا مبهوتين وقالوا في نفوسهم ان وراء السور امة قوية مثلهُ الا ان الباب كان مفتوحًا ولم يكن هناك احد من الحامية فعبروهُ آمنين ووطئوا ارض الجمهورية

واهالي تلسكالا من قبائل الازتك نزلوا البلاد في اواخر القرن الثاني عشر وجعلوا مقرَّهم على السواحل الغربيَّة من بحيرة تزكوكو واشتدَّت الخصومات بينهم وبين القبائل النازلة حولهم ونشبت الحروب فكان الفوز فيها لهم لكنهم ملُّوا الاقامة في بلاد لم يروا فيها الاَّ نيران الحرب فرحلوا منها وداروا حول مدينة شلولا ونزلوا في سفح جبال تلسكالا وهم اهل فلاحة وزراعة وحرب وجلاد وهناك اودية خصيبة ومعاقل حصينة فطابت لهم الاقامة فيها فزرعوا الارض وعمَّروا المدن وشيَّدوا الحصون . وانقسموا بعد حين الى اربعة اقسام لكل قسم امير خاص لكنهم بقوا متحالفين في السلم والحرب واقاموا لهم مجلس شورى مؤلفًا من امرائهم الاربعة والرؤساء الذين تحتهم وظلوا على ذلك الى حين دخل الاسبانيون بلادهم

وكان لهم غرام بالالعاب الرياضيَّة والفعال الحربية فكانوا يجيزون رجال البأس الجوائز الحسان ويسيرون بابطالهم في مواكب عظيمة وينشدون الاناشيد في مدحهم وينصبون لهم الانصاب والتماثيل كانهم اهل رومية القدماء . وكذلك كان اكرامهم لمن نفع بلاده برأي حكيم او بتجارة رابحة

وكانت بلادهم كثيرة الخصب كما تقدَّم واسمها يدلُّ عليها لان معنى تلسكالا في لغتهم بلاد الخبز وكانوا يتجرون بخيراتها مع البلدان المجاورة واتقنوا الصنائع المعروفة عندهم كالحياكة والصياغة والبناء وعمل الاسلحة

ولما عظم شأن الازتك ودانت لهم البلاد المجاورة كبُر عليهم ان تبقى جمهورية تلسكالا مستقلة عنهم غير خاضعة لهم فطلبوا من اهاليها دفع الجزية اسوةً بغيرهم من الامم المجاورة فقالوا اننا لم ندفع جزية لاحد لا نحن ولا اسلافنا ولن ندفعها ابد الدهر وسنحتفظ باستقلالنا الذي ورثناهُ من آبائنا كما احتفظوا هم بهِ . فغزاهم ملك المكسيك واستعرت نيران الحرب فكان الفوز لهم ومن ثم رسخت العداوة بين هاتين الامتين وكثرت الحروب وصار التلسكاليون يربُّون اطفالهم من المهد على بغض المكسيكيين ومقاطعتهم وكانت بلادهم حصينة من كل جهة الاَّ من الجهة الشرقية حيث كان يوصل اليها من وادٍ كبير اتساعهُ ستة اميال فبنوا فيهِ السور المشار اليهِ آنفًا . وانضمَّ اليهم شعب آخر كان معاديًا لاهالي المكسيك اسمهُ الاتومي فاقاموا منهُ الحامية على ذلك السور

ولما رقي منتزوما الى عرش الملك ودانت لهُ الامم وعاد رجالهُ بالاسرى والغنائم من كل بلاد وطئتها اقدامهم حدثتهُ نفسهُ ان يضرب جمهورية تلسكالا الضربة القاضية فبعث عليها جيشًا ضخمًا امَّر عليهِ ابنهُ فالتقوا بهِ وقتلوهُ واثخنوا في جيشهِ ولما بلغ منتزوما ذلك ارغى وازبد

وامر بتعبئة الجيوش من كل الاقاليم وسار بهم على بلاد تلسكالا فانهال عليها كالسيل العرم واضطرَّ التلسكاليون ان يعتصموا في جبالهم ومعاقلهم ومرَّت السنون وهم مفصولون عن الساحل وعن كل البلاد المجاورة لهم لا يصل اليهم شيء من الملح والكاكاو حتى فسدت اذواقهم ولم يعودوا يدخلون الملح في طعامهم وهذا كان شانهم حينما دخل الاسبانيون بلادهم

ولما دخل الاسبانيون بلاد المكسيك لم يوجس التلسكاليون شرًّا ولكن لما بعث اليهم كورتس يطلب منهم ان يسمحوا لهُ بالمرور في بلادهم استغربوا طلبهُ وجمعوا مجالس شوراهم واخذوا ينظرون في هذا الطلب فقال بعضهم ان الاسبانيين هم القوم الموعودون الذين يُنتَظر مجيئهم حسبما تشير اليهِ التقاليد القديمة وسواءٌ كانوا كذلك او لم يكونوا فهم اعداء للمكسيكيين وعدو عدونا صديقنا . وقال البعض الآخر ان هؤُلاء الغرباء لا يمكن ان يكونوا اصدقاء لنا لان دينهم مخالف لديننا وحيثما مرُّوا كسَّروا الاصنام وخرَّبوا الهياكل ولا دليل على انهم معادون لمنتزوما بل هم مصادقون لهُ على ما يظهر لانهم رحَّبوا برسلهِ وقبلوا هديتهُ وارسلوا اليهِ هدية بدلاً منها

والقول الاخير كان قول امير كبير السن واسع الخبرة من الامراء الاربعة الذين لهم الرئاسة العامة ويقال انهُ كان قد ناهز المئة ولهُ ابن كان قائدًا على جيش كبير من التلسكاليين والاتومي وكان مرابطاً قرب التخوم الشرقية فاشار ابوهُ ان يهاجم الاسبانيين بجيشهِ فان فاز عليهم انتهى الاشكال وان فازوا عليهِ قال مجلس الامَّة ان القائد فعل ما فعل من تلقاء نفسهِ والامَّة غير مطالَبة بفعلهِ . فرضي باقي الامراء بهذا الرأي واشاروا بابقاء الوفد عندهم بحجة مساعدتهِ لهم في اقامة بعض الشعائر الدينية

وفي غضون ذلك وصل الاسبانيون الى السور فلم يجدوا الحامية عندهُ كما تقدَّم فدخلوا بابهُ واوغلوا في البلاد وكورتس في مقدمتهم مع شرذمة من رجالهِ ولم يوغل طويلاً حتى لقيهُ جماعة من التلسكاليين وهم مسلحون بالسيوف والتروس فلما رأوهُ هربوا من وجههِ فناداهم فلم يقفوا فجدَّ وراءهم فزادوا عدوًا لكنهم لم يكونوا اسرع من الخيل فادركهم حالاً ولما رأوا منهُ ذلك داروا اليهِ واستلُّوا سيوفهم واخذوا يدافعون عن انفسهم ببسالة ومهارة ولم يكن الاَّ قليل حتى اقبل الوف من التلسكاليين وهم منوّقون السهام وشاهرون السيوف ورآهم كورتس مقبلين فامر واحدًا من فرسانهِ ان يعود حالاً ويستحث بقية جنودهِ وشاغل التلسكاليين وهم يهجمون عليهِ هجمات صادقات ويحاولون نزع الرماح من ايدي رجالهِ وانزال الفرسان عن خيولهم فانزلوا فارسًا واثخنوهُ بالجراح حتى مات وقتلوا فرسين فكبر ذلك على كورتس لان الخيل عضدهُ الاكبر

وكان معتمدًا على خوف الاسبانيين منها وتوهمهم انها مما لا يمكن مقابلتهُ والتغلب عليهِ فاذا علموا ان التلسكاليين قتلوا اثنين منها زالت رهبتها من نفوسهم . واقبل بقية رجال كورتس وانصارهُ حالاً واشتبك القتال وفعلت بنادقهم ومدافعهم فعلاً ذريعاً بالتلسكاليين فذعروا من صوت البارود وخارت عزائمهم لما رأوا القنابل تحصد رجالهم حصدًا وتمزقهم اربًا فجمعوا صفوفهم وارتدوا بنظام حربي وسرَّ الاسبانيون بذلك فلم يسيروا وراءهم بل لمُّوا شعثهم وساروا في طريقهم وبعد قليل التقوا برسولين من قبل الجمهورية ومعهما اثنان من الوفد الذي اوفدهُ كورتس اولاً ودنا الرسولان من كورتس وقالا ان ما حدث من هجوم الجنود على رجالهِ لم يكن برأي رجال الحكومة وانهم آسفون على ما جرى وسيقابلونهُ بالترحاب في عاصمتهم . فتظاهر بانهُ صدَّق قولهم وسار معهم الى ان بلغ نهرًا يجري في وسط مرج نضر فنزل في المرج وانتشر رجالهُ في المزارع المجاورة يفتشون عن الطعام فوجدوا نوعاً من التين فجمعوهُ وحيوانات اليفة كالكلب فقبضوا عليها وذبحوها واكلوها

وكان الاهالي الذين ساروا مع كورتس لنجدتهِ قد بلغوا ثلاثة آلاف نفس فقام في الصباح واستأنف السير بعد ان امر رجالهُ ان لا ينفصل احد منهم عن رفاقهِ وان لا يتخلوا عن رماحهم بوجه من الوجوه. ولم يسيروا طويلاً حتى عاد الرسولان الآخران من الوفد الاول وقالا انهما فرَّا فرارًا لانهما رأيا التلسكاليين عازمين على الفتك بهما وان جنودهم تجتمع الآن بسرعة لكي تمنع مرور الاسبانيين في البلاد. وبعد قليل التقوا بنحو الف من التلسكاليين وهم بالسلاح الكامل فامر كورتس الترجمان ان يقول لهم انهُ مسالم لهم لم يأتِ لمحاربتهم بل للمرور في بلادهم فاجابوهُ برمي السهام والمزاريق فاغتاظ الاسبانيون من ذلك والمهم وقع النبال فهجموا عليهم ونشب القتال بين الفريقين وثبت التلسكاليون في مواقفهم مدة ثم ارتدوا بنظام حربي والاسبانيون وراءهم الى ان بلغوا مضيقاً من الارض كثير الحزون لا يمكن جر المدافع فيهِ فاسرعوا لكي يخلصوا منهُ واذا جانبا المضيق يموجان بجنود التلسكاليين وقدَّر كورتس ان عددهم لا يقل عن مئة الف مقاتل لكن غيرهُ قدَّر عددهم ثلاثين الفاً . ولما وقعت عينهم على الاسبانيين صرخوا صراخ الحرب وطبَّلوا بالطبول وهجموا عليهم كالسيل الجارف . فانضمَّ فرسان الاسبانيين بعضهم الى بعض حتى صاروا كالبناء المرصوص وصرخ فيهم كورتس يحمسهم ويشدد عزائمهم فاندفعوا على التلسكاليين بضرب صادق وطعن خارق والتلسكاليون لا يتوخون قتل الاسبانيين بل آخذهم اسرى ليقربوهم ضحايا الى معبوداتهم ولولا ذلك ما ابقوا على احد منهم فانزلوا فارساً عن فرسهِ وقطعوا الفرس اربًا وحالوا اخذ الفارس حيًّا فحاول

عشرة من رفاقهِ تخليصهُ من يدهم وفازوا بذلك بعد ان اثخنتهم الجراح وهو نفسهُ كان قد جرح جراحاً بالغة فمات منها في اليوم التالي وقطع التلسكاليون حصانهُ اربًا كما تقدم وارسلوا قطعهُ الى تلسكالا . وفعل الاهالي الذين كانوا مع كورتس فعال الابطال لانهم قالوا اننا مقتولون على كل حال اذا كان الفوز للتلسكاليين. وظل الاسبانيون يقتحمون غمرات الردى الى ان خرجوا من المضيق فانفسح لهم ولبنادقهم ومدافعهم المجال . ولما سمع التلسكاليون صوت المدافع والبنادق ورأوا الدخان يخرج من افواهها والموت الاحمر يقذف منها ارتاعوا وتشوش نظامهم وزادهم تشويشاً اضطرارهم الى حمل كل قتيل وجريح من رجالهم على ما تقتضيهِ شرائع بلادهم . وقُتل ثمانية من كبار قوادهم ولما رأى ذلك قائدهم الاعظم وهو ابن الرئيس الشيخ الذي تقدمت الاشارة اليهِ امر رجالهُ بالرجوع القهقرى فرجعوا رويدًا رويدًا حسب نظامهم الحربي واكتفى كورتس بذلك فلم يجدَّ في اثرهم بل جمع جرحاهُ وسار بهم الهوينا الى ان بلغ اكمة تشرف على ما حولها فنزل فيها . وقد قام في نفسهِ ان التلسكاليين ابطال بواسل لا يصطلى لهم بنار ولا بدَّ لهُ من محالفتهم لانهم يكونون اكبر عضد لهُ في فتح بلاد المكسيك وتقويض دعائم ملكها

البطريرك بطرس الجريجيري

اذا ذُكر رجال المشرق الذين ارتقوا بجدهم حتى بلغوا اعلى منصب بين اقرانهم ووصلوا اليهِ بالانتخاب لا بالصنيعة وافادوا ابناء وطنهم قبل وصولهم اليهِ وبعدهُ فغبطة البطريرك بطرس الجريجيري في مقدمتهم . وقد عرفناهُ قساً ومطراناً وبطريركاً ولنا معهُ احاديث مستفيضة لم يخرج فيها عن مصلحة طائفتهِ كأن لا غرض لهُ من الحياة سواها

ولد في مدينة زحلة بجبل لبنان سنة ١٨٤١ ودرس فيها وفي مدرسة اليسوعيين في غزير وسيم قساً سنة ١٨٦٢ وجُعل مدرساً في المدرسة البطريركية في بيروت سنة ١٨٦٦ ثم أُسندت ادارتها اليهِ سنة ١٨٦٩ فعكف على درس العربية والفرنسوية وزادت رغبتهُ في تلقي العلوم فقصد مدينة بلوى من اعمال فرنسا سنة ١٨٧٤ ودخل مدرستها الكهنوتية الكبرى ودرس فيها الفلسفة واللاهوت ومبادئ اللغة اليونانية واللاتينية واتقن درس الفرنسوية حتى صار يستطيع القاء الخطب فيها فطاف في انحاء فرنسا وكان يعلم ان الحاجة ماسة في بلادهِ الى المدارس والى ما يقوم بنفقاتها فاقنع المحسنين بكلامهِ وخطبهِ حتى مدوا اليهِ يد المساعدة فعاد الى سورية سنة ١٨٧٨ وجعل ينشئ المدارس فيها فانشأ ٤٢ مدرسة للصبيان والبنات كان فيها ٥٦

من المعلمين والمعلمات وثلاثة آلاف من التلامذة والتلميذات وانشأ ايضاً جمعيتين خيريتين لمؤاساة الفقراء وجمعية علمية ادبية لتهذيب الشبان وتعليمهم فن الخطابة

وسنة ١٨٨٦ سيم مطراناً على بانياس ولم يكن في تلك الابرشية حينئذٍ سوى ١٥٠٠ نفس من الروم الكاثوليك فانشأ فيها ثلاثاً وعشرين مدرسة ورمم الكنائس القديمة فاجمع الاهلون على حبهِ واكرامهِ من ابناء طائفتهِ ومن غيرها وقد سمعنا قسوس الروم والبروتستانت يعجبون بهمتهِ ويثنون على تقواهُ

وزار اوربا سنة ١٨٨٧ وقابل قداسة البابا مراراً ومرَّ على تونس والجزائر بدعوة من الكردينال لافيجري ثم عاد الى ابرشيتهِ وبنى في جديدة مرجعون كنيسة كبيرة على نفقة قداسة البابا وبنى بجانبها داراً للاسقفية وانشأ مدرسة زراعيةً للايتام واشترى لها ارضاً فسيحة غرس فيها انواعاً كثيرة من الاشجار جلبها من فرنسا وغيرها فاثمرت اثماراً نادرة المثال يباع منها للاهالي وينفق ثمنها في سبيل البر وتعليم الايتام والفقراء

ثم عاد الى اوربا سنة ١٨٩٣ ووصل الى انكلترا بدعوة من الكردينال فون الانكليزي وقد سمعناهُ بعد ذلك يثني على هذا الكردينال ويدافع عنهُ دفاع الاصدقاء لمَّا وقع الخلاف بين الكردينال وبين الاستاذ سنت جورج ميفارت على ما ابنا في الصفحة ٣٧٨ من المجلد الرابع والعشرين من المقتطف لكنهُ لم يكن متطرفاً في دفاعهِ ولا كان متساهلاً للذين ينتقدون معتقدات لا يعلمون اسانيدها

وكان كلما رحل رحلةً الى اوربا يعود منها بهمة جديدة وخيرات وفيرة لنفع ابناء وطنهِ فيبني المدارس والكنائس وهو يرمي الى غرض نبيل كاشفنا بهِ وهو مطران ثم جاهر بهِ مراراً بعد ارتقائهِ الى كرسي البطريركيَّة وهو ان يعيد الاتحاد بين الروم الشرقيين والغربيين

ولما توفي البطريرك غريغوريوس يوسف سنة ١٨٩٧ وقع الاختيار على صاحب الترجمة بطريركاً خلفاً عنهُ بعد مجادلات طويلة وكان ذلك في ٢٤ فبراير سنة ١٨٩٨ وشمل السرور ابناء طائفتهِ وجميع الذين يعرفونهُ . وزار رومية في العام التالي فاستقبلهُ قداسة البابا واقفاً وعانقهُ واجلسهُ على كرسي امامهُ واكرم وفادتهُ واهدى اليهِ حين وداعهِ سلسلة من الذهب وعصاً رعائية مرصعة بالحجارة الكريمة تذكاراً لزيارتهِ . وقدم من ايطاليا الى القطر المصري واقام فيهِ مدةً فرحَّب بهِ ابناء طائفتهِ وغير طائفتهِ واظهروا لهُ من الاكرام ما يفوق الوصف لكثرة ما بلغهم عن فضلهِ وتفانيهِ في مصلحة ابناء وطنهِ

ثم زار الاستانة العلية فوصلها في ٧ مايو سنة ١٨٩٩ ومثل بين يدي الحضرة السلطانية

في ١٩ مايو وخطب خطبة انيقة تليق بالمقام فاجابتهُ الحضرة السلطانية بما ترجمتهُ " اني مسرور من ارتقائك الى هذا المنصب العالي عن استحقاق لاني اتوسم فيك الصلاح والصحة والمقدرة على العمل فاتأمل انك تقوم احسن قيام بالوظيفة الموكولة اليك عن اهلية واستحقاق"

وزار باريس سنة ١٩٠٠ والتقينا بغبطتهِ هناك وكأن الحكومة الفرنسوية كانت عازمة ان تمنع مساعدتها المالية من الطائفة الكاثوليكية وهو يسعى في اقناعها بالعدول عن ذلك . وكان يودُّ التقرُّب من رجال انكلترا خدمةً لابناء طائفتهِ في هذا القطر ولو فسح الله لهُ في الاجل ولو كانت الاحوال في بلاد الشام على ما يرام لجنت هذه الديار من ثمار اتعابهِ اضعاف ما جنت

ومنذ بضعة اشهر تواترت الانباء البرقية انهُ مصاب بداء عضال انتهى بوفاتهِ فتوفي الى رحمة ربهِ في الرابع والعشرين من شهر ابريل

وكان طويل القامة مهيب الطلعة وقور المجلس اذا همَّهُ موضوع زاد تهيُّج القوة العصبية في دماغهِ فاوقع في نطقهِ شيئاً من التلجلج والاَّ فكلامهُ فصيح وعبارتهُ بليغة . وسيبقى مذكوراً بما انشأهُ من المدارس والكنائس وبسعيهِ المتواصل في خير ابناء طائفتهِ



تلوين النحاس الاصفر

يصقل النحاس الاصفر اولاً ثم يوضع في مزيج من الامزجة التالية فيصير لهُ اللون الخاص بهِ كما ترى

(١) اذب ١٢٠ قمحة من كبريتات النحاس و ٣٠ قمحة من هيبوكلورات الامونيا في رطلين من الماء وضع النحاس الاصفر فيهِ فيتلوَّن بلون ضارب الى الخضرة

(٢) اذب ١٢٠ قمحة من كلورات البوتاسا و ١٥٠ قمحة من كبريتات النحاس في رطلين من الماء وضع النحاس الاصفر فيهِ فيصير لونهُ من البرتقالي الى القرفلي

(٣) اذب ٤٣٥ قمحة من كبريتات النحاس و ٣٠٠ قمحة من كبريتيد الصودا و ١٥٠ قمحة من زبدة الطرطير في رطل ماء وغطس النحاس الاصفر فيهِ فيضرب لونهُ اولاً الى الحمرة ثم الى البنفسجية فالزرقة

(٤) او اضف الى المذوب الاخير ٣٠٠ قمحة من مذوب كبريتات الحديد النشادري و ٣٠٠ قمحة من هيبوسلفيت الصودا فيصير لون النحاس برتقاليًّا ثم احمر ثم ازرق حسب طول اقامتهِ . وهذا السائل يلوّن الفضة الواناً جميلة ايضاً

(٥) اذب ٧٥ قمحة من كلورات البوتاسا و ٣٠ قمحة من كربونات النكل و ٧٥ قمحة من ملح النكل في عشرة اواقي من الماء وضع النحاس في المذوب واغلهِ على النار فيسمرُّ لونهُ اولاً ثم يصير احمر نارياً

(٦) اذب ٧٥ قمحة من كلورات البوتاسا و ١٥٠ قمحة من ملح النكل في عشر اواقي من الماء فيصير لون النحاس اسمر جميلاً

(٧) اذب ٧٥ قمحة من كبريتات الزرنيخ الاصفر و ١٥٠ قمحة من ملح النشادر المتبلور في عشر اواقي من الماء وضع النحاس الاصفر فيهِ فيحمر اولاً ثم يزرق ثم يبيض

(٨) اذب ٧٥ قمحة من زبدة الطرطير و ٧٥ قمحة من كبريتات النحاس في ١٠ اواقي من الماء وضع النحاس الاصفر في المذوب ثم اضف اليهِ ٢٢٥ قمحة من هيبوسلفيت الصودا مذابة في ٥ اواقي من الماء فينفصل الكبريت من المذوب ويصير سطح النحاس متموجاً كعنق الحمام

الصفيح المبلور

شاع منذ بضع عشرة سنة نوع من الصفيح ملوَّن بالوان مختلفة احمر او اخضر او اصفر او ازرق تحتها اشكال هندسيَّة كأنها سطوح البلورات وهذا الصفيح كثير الاستعمال لتغطية الصناديق . وللاوربيين والاميركيين اساليب مختلفة في عملهِ منها

(١) تنظف الواح الصفيح الجيد بالحامض النيتريك المخفف او الحامض النيترومورياتيك المخفف ثم تغسل بالماء وبعد ذلك تغطَّس في ماء الذهب (مزيج من الحامض النيتريك والحامض الهيدروكلوريك) مخففاً بثلاثة امثالهِ من الماء ومسخَّناً الى الدرجة ١٨٠ بميزان فارنهيت وتنزع منهُ وتترك برهة وجيزة في الهواء ويصبُّ عليها ماء كثير . ويكرَّر هذا العمل اذا اقتضت الحال حتى يظهر التبلور على الالواح جليًّا وتغسل بعد ذلك بماء سخن وتترك في الهواء حتى تجف وتدهن بعد ذلك بفرنيش اللك الملوَّن بلون من الالوان اذا اريد تلوينها . وتزيد البلورات ظهوراً باستعمال مذوب التنين سخناً او مذوَّب الصودا الكاوي

(٢) سخّن الالواح قليلاً وغطسها في الحامض النيترومورياتيك المخفف الجرم منهُ بجرمين من الماء واتركها فيهِ حتى تظهر البلورات الكبيرة عليها وانزعها منهُ حالاً وغطسها في كمية كبيرة

من الماء البارد ثم في ماء غالٍ ومتى خرجت منهُ تنشف حالاً وحينئذٍ تدهن بفرنيش اللاك

(٣) حينما تلبس الواح الحديد بالقصدير تخرج حالاً من مغطس القصدير والقصدير سائل عليها وتعرَّض لمجارٍ شديدة من الهواء البارد بضع دقائق فيتبلور القصدير ثم تدهن بفرنيش اللاك او الكوبال

(٤) سخن الواح الصفيح وضعها فوق اناء كبير فيهِ ماء بارد وادهنها باسفنجة مبلولة بسائل مؤلف من اربعة اجزاء من الحامض الكبريتيك وجزئين من الماء المقطر وفيهِ جزء من ملح الطعام او ملح النشادر وحينما تظهر البلورات عليها تغطَّس في الماء وتغسل بالريش او بالقطن ويحترس لئلاَّ تنزع البلورات عنها . ثم تجفف على نار خفيفة وتدهن بمذوب اللاك . واذا لم يغطَّس اللوح كلهُ في الماء بل رُشَّ الماء عليهِ رشّاً تنوَّعت البلورات عليهِ ويحدث مثل ذلك اذا نُفخ عليهِ الهواء البارد بالانابيب

(٥) امزج اربع اواقي من الحامض الكبريتيك باوقيتين او ثلاث من الماء واوقية وربع من الملح وسخن لوح الصفيح وادهنهُ بالمزيج واغسلهُ جيدًا بماء نقي وجففهُ وادهنهُ بفرنيش دمار

(٦) افضل الطرق لعمل هذه الالواح ان يصنع مغطس القصدير من ٢٠٠ جزء من القصدير النقي و ٣ اجزاء من النحاس الاحمر وجزء من الزرنيخ ومتى لبس اللوح قصديرًا يعالج بالطرق التالية اولاً يغطَّس في مذوَّب البوتاسا الكاوي ويغسل . ثانياً يغطَّس في ماء الذهب (الحامض النيتروهيدروكلوريك) المخفف ويغسل . ثالثًا يغطَّس في مذوَّب البوتاسا الكاوي ويغسل . رابعًا يجاز في الحامض النيتريك بسرعة ويغسل . خامساً يجاز في مذوب البوتاسا الكاوي ويغسل سادساً يغطس في ماء الذهب ويغسل سابعاً يغطس في مذوب البوتاسا الكاوي ويغسل بماء سخن ثم يدهن بفرنيش الكوبال المذاب في السبيرتو

مطبعة البالوظة

انقع اوقية من الجلاتين في ماء بارد كافٍ لغمرها واتركها فيهِ الليل كلهُ الى الصباح فيمتص الجلاتين الماء وينتفخ . وحضِّر حماماً من الماء والملح باذابة اوقيتين من الملح في رطل من الماء وضع ست اواقي او سبع من الغليسرين الجيد في الاناء الداخلي من الحمَّام المائي وهو مثل الاناء الذي يذاب فيهِ الغراء وسخنها في الحمام المائي الى الدرجة ٢٠٠ بميزان فارنهيت وانزع الجلاتين من الماء وضعهُ في الغليسرين وابقهِ على النار في الحمَّام المائي ساعة من الزمان وانت تحركهُ من وقت الى آخر محترساً من تولُّد فقاقيع الهواء فيهِ . ثم اضف اليهِ عشرين نقطة من زيت كبش

القرنفل لكي يوقى من الانحلال . وتكون قد صنعت اناء واسعاً من الصفيح فصب المزيج فيهِ وضعهُ افقياً في مكان بارد واقياً اياهُ من الغبار واتركهُ فيهِ خمس ساعات على الاقل . وحينما تريد استعمالهُ مرّ على وجهِ اسفنجة مبلولة واتركهُ حتى يجف من نفسهِ قبلما تلصق الورق المكتوب بهِ ولا بدَّ من ان يكون الحبر جافاً على الورق قبل الصاقهِ بالبالوظة

ومتى اكملت طبع النسخ المطلوبة واردت غسل البالوظة مما بقي عليها من الحبر فامسحها باسفنجة مبلولة بالماء البارد هذا اذا اردت استعمالها حالاً واما اذا لم ترد استعمالها حالاً فلا داعي لغسلها لانها تشرب الحبر كلهُ بعد ثلاثة ايام او اربعة فلا يعود يؤثر في ما يطبع عليها . واذا تلف وجه البالوظة من كثرة الاستعمال تسخَّن على حمَّام مائي حتى تكاد تسيل وتترك حتى تبرد فيرجع سطحها الى استوائهِ

بابُ تدبير المنزل

قد فتحنا هذا الباب لكي ندرج فيهِ كل ما يهم اهل البيت معرفتهُ من تربية الاولاد وتدبير الطعام واللباس والشراب والمسكن والزينة ونحو ذلك مما يعود بالنفع على كل عائلة

جمال الوجه

جمال الوجه واعتدال القوام يكونان بالارث لا بالصناعة فهما امران طبيعيَّان لا صناعيَّان ولكن لا شبهة في ان كثيرين من الناس يعيشون عيشة تزيد جمالهم واعتدالهم وتبقيهما الى سن الشيخوخة . وكذلك من يولد ووجههُ غير جميل وقامتهُ غير معتدلة يستطيع ان يعيش عيشة تكسبهُ شيئاً من جمال الوجه واعتدال القوام فيزول ما كان بهِ من قبح المنظر

ومن المحقق ان تسعة اعشار الناس الذين يعيشون عيشة الاعتدال ويقيمون جانباً كبيراً من الوقت في الهواء النقي يصير لون وجوههم جميلاً حسبما يسمح بهِ جلدهم لانهُ اذا كان الجلد سميكاً بالطبع لا يشف عمَّا فيهِ من الدم فلا سبيل لاظهار اللون الدموي فيهِ . وبالضد من ذلك الناس الذين يسرفون في قواهم الحيويَّة ويقيمون جانباً كبيراً من الوقت في اماكن مظلمة فاسدة الهواء فان اللون الدموي يزول من وجوههم ويبدل بلون اصفر ضارب الى الزرقة ولو كان جلدهم رقيقاً

وقد وضع بعضهم النصائح التالية حتى اذا جرى الانسان عليها حُفظ جمال وجهِهِ اذا كان جميلاً او قامت مقامهُ ملامح الصحة والطلاقة فاكسبتهُ جمالاً لا ينقص عن الجمال الطبيعي وهي

اولاً لا تغسل وجهك الاَّ بالماء الذي يرغي فيهِ الصابون بسهولة ويحسن ان تضيف الى الماء قليلاً من النخالة (الرضّة) او دقيق الحنطة

ثانياً لا تغسل وجهك بماء بارد جدًّا ولا بماء حارّ جدًّا . وافضل المياه لغسل الوجه الماء الفاتر الاَّ اذا كان في الوجه حبوب الصبا ونحوها فيحسن غسلهُ حينئذٍ بماء حار

ثالثاً اذا كان جلد وجهك رقيقاً وكان شعورهُ شديدًا فلا يحسن ان تغسلهُ بالصابون واذا لم يكن كذلك فاغسلهُ بهِ ولكن يجب ان لا يكون الصابون كثير المادة القلوية اي ان الصابون الذي ينظف الثياب سريعاً لا يصلح لغسل الوجه ولو كان يصلح لغسل اليدين لان جلد اليدين اقوى من جلد الوجه على احتمال المادة القلوية

رابعاً يحسن فرك الوجه وقت غسلهِ بخرقة كبيرة لينة تخاط كالكيس وتدخل الكف فيها لكي ينظف الوجه جيدًا ويتحرك الدم في اوعيتهِ واذا كان فيهِ شيءٌ من حبوب الصبا فالفرك الشديد يجعلها تلتهب وتحمرّ فلا بدَّ من نزع المادة الشحمية منها يوماً بعد يوم بعصرها ويحسن عصر كل جزء من اجزاء الوجه مرةً كل اسبوع بين الابهام والسبَّابة حتى يخرج منهُ ما فيهِ من المواد الدهنية والاَّ تكاثرت فيهِ حول الانف والفم والتهبت

وضع النقود في الفم والميكروبات

وضع النقود في الفم عادة سمجة يأتيها الاولاد ولا يُردعون عنها فيعتادونها ومنها ضرر كبير لان النقود التي تتداولها ايدي الناس يعلق بها كثير من ميكروبات الامراض . ومن رأي احد العلماء ان اكثر امراض الحلق التي يصاب بها الاولاد ناتج عن وضع النقود في الفم

وكما تلصق الميكروبات بالنقود المعدنية تلصق ايضاً بعملة الورق التي شاع استعمالها حديثاً في هذه البلاد ولاسيما لكثرة ما تتداولها الايدي قبلما تتلف . وقد امتحن بعضهم ورقة من ورق بنك انكلترا بان غسلها بالماء واضاف قليلاً من هذا الماء الى الجلاتين الذي تربى فيهِ الميكروبات فوجد فيهِ ميكروبات كثيرة تعدُّ بالالوف

ازالة الحبر عن البسط

اللبن يزيل الحبر عن البسط قبل ان يجف فاذا جف فصبَّ عليهِ قليلاً من زيت البتروليوم فيدخل بين الياف البساط ويرفع قشرة الحبر عنهُ فتزول بفرشاة وقليل من الماء والصابون

الثياب الطويلة الاذيال

عاد النساء الى تطويل اذيال ثيابهنَّ فصرن يمشين في الشوارع واذيالهنَّ تجرُّ وراءهنَّ فتجمع كثيرًا من التراب والغبار وما يمازجه من ميكروبات الامراض

اخذ احد العلماء عقدة مربعة من ذيل فسطان كان يجرُّ على الارض. ووضعها في ١٥٠ نقطة من الماء النقي المعقَّم ثم وضع نقطة من هذا الماء في الجلاتين المعقَّم الذي تُربَّى فيهِ الميكروبات فتولَّد فيهِ ٥٣٦ مستعمرة من الميكروبات فلو استعمل الماء كلهُ لتولَّد فيهِ ٢٦٨٠٠ مستعمرة وكل مستعمرة تدل على وجود جرثومة حيَّة من جراثيم الميكروبات فقد كان في العقدة المربعة من ذلك الذيل ٢٦٨٠٠ ميكروب . فان كانت مساحة الذيل الذي يكنس الارض اربع مئة عقدة لصق بهِ اكثر من عشرة ملايين ميكروب عدا ما يثور في الغبار وتتنفسهُ المارَّة او يحملهُ الهواء الى مساكن الناس اما الميكروبات التي يتفق ان تعلق باذيال الثياب فاشدّها ضررًا ميكروب السل وميكروب الدفتيريا وميكروب ذات الرئة فلا يعجب السيدات اذا دخلت هذه الامراض المعدية بيوتهنَّ ولم يعرفنَ سببًا لدخولها لانهنَّ قد يكنَّ هنَّ السبب

منع الصدإ وازالتهُ

كثيرًا ما تتعب ربَّة البيت من الصدإ الذي يعلو ما عندها من الآلات والادوات كالمفاتيح والمقارض وآلات الخياطة وما اشبه . ويكثر تولُّد الصدإ في الاماكن الرطبة الهواء ولا سيما اذا كانت قريبة من البحر اي في هوائها كثير من ذرات الملح فلا يمنع الصدأ عنها الاَّ بمنع الهواء من الوصول اليها وذلك اما بدهنها بمادة تحجب الهواء عنها ولا تتحد بها كالشمع او زيت الكتان المغلي او مزيج من الشحم والجير واما بلفها لفًّا محكمًا بورق مدهون بالزيت او بالشمع

وينزع الصدأ عن الحديد بفركهِ بغبار السنباذج او بدهنهِ بالزيت وترك الزيت عليهِ ثلاث ساعات ثم فركهِ جيدًا بخرقة ناشفة او بخرقة مغطوطة بالكلس الناعم غير المطفإ . وغبار السنباذج الناعم وحدهُ او ممزوجًا بالصابون خير من غيرهِ لنزع الصدإ

علاج الاغماء

اذا أُغمي على احد فضعهُ على ظهرهِ امام شباك او باب مفتوح حتى يهب الهواء على وجههِ فالغالب انهُ يستفيق من نفسهِ من غير واسطة اخرى واذا كان طوقهُ ضيقًا وثيابهُ مزرورة فحلَّها لكي يسهل عليهِ التنفس . ويحسن ان ترش وجههُ بالماء البارد وتدهن يديهِ وصدرهُ بهِ وان تشممهُ رائحة الكافور او الامونيا وحالما يصير يستطيع ان يبلع اسقهِ قليلاً من الماء

باب التقريظ والانتقاد

الحضرة الانسيَّة في الرحلة القدسيَّة

هو رحلة امام عصره الشيخ عبد الغني النابلسي كتبها في وصف سياحته من دمشق الى القدس سنة ١١٠١ للهجرة اي منذ نحو مئتين وعشرين سنة ومما جاء فيها وصف المدرسة السلطانية في القدس الشريف وهو

"وحين أقبلنا على المدرسة المذكورة . رأينا باباً مرتفعاً عظيماً مصنوعاً من الاحجار المنحوتة الملونة المحفورة . وعليهِ رواق المدرسة مبني بالاعمدة الرخام والاحجار الكبار العظام . والعقد المقبي العالي وكمال الرونق والبهجة كالكوكب المتلألي . حتى صعدنا نحو خمسين درجة من الدرجات الكبار المبنية بالمنحوت من الاحجار . وهو درج ملفوف مشترك مع دار المنار . وفي اثناء الدرج شبابيك كبار من النحاس مطلات على الحرم ينظر الصاعد فيها الى الناس . ثم دخلنا من فوق ذلك الدرج الى عمارة وذلك على مقدار النصف من درج المنارة . فعبرنا الى مكان واسع الفضا مزخرف الجوانب بالاحجار المنحوتة اذا طلعت عليهِ الشمس اضا . يطل عليهِ اربعة شبابيك من شبابيك المدرسة معقودة من النحاس الاصفر يروق في ذلك المنظر . ثم عبرنا من باب آخر مصنوع من الاحجار المنحوتة . والزخارف والكتابات التي تظل العيون فيها مبهوتة . فوجدنا ممشىً صغيراً مبلطاً بالرخام والدقيق الملوَّن من الاحجار العظام . وهناك جهتان مشتملتان على بابين احدهما على اليمين ولآخر على الشمال . فالذي على الشمال يتوصل منهُ الى مطبخ وبيت طهارة وما يحتاج اليهِ من الاحوال . فاخذنا من ذلك جهة اليمين . فوجدنا باباً بمصراعين لطيفين . فدخلنا منهُ الى ميدان من الطف الميادين مفروش جميعهُ بالسماقي الملوَّن على الالوان . والرخام الابيض والدقي من الحجارة التي تزين المكان . مسقوف بالسقوف العجمية المدهونة التي تحير الاذهان . فاذا هي قاعة متقنة البنيان محكمة الاركان . تشتمل على اربعة ايوانات . وهي مسقوفة بالسقوف العجمية التي هي بانواع الدهان والاطلية مزخرفات . وجميع جدرانها من داخلها معمولة بالرخام والحجر السماقي الخام . وانواع الفصوص والاحجار الدقاق فارضها تحاكي حيطانها في زيادة البهجة والاشراق . وارضية الايوانات الاربع مفروشة ايضاً بالسماقي والرخام وانواع الاحجار الملوَّنة والفصوص المكوَّنة . فايوانان منها كبيران واسعان

متقابلان · احدهما أكبر من الآخر واوسع وهو القبلي وفيهِ المحراب العظيم البنيان المتقن غاية الاتقان · وايوانان صغيران متقابلان احدهما اصغر من الآخر. فالصغير منهما لهُ شباكان مطلان على الساحة العلوية التي ذكرناها آنفاً · والايوان الآخر الذي يقابلهُ منفتح الصدر لماع فيهِ عامودان من الرخام الابيض ولهُ شعيرة مبنية من الاحجار الملوّنة في ارتفاع ذراع · وذلك مطل على الحرم الشريف وصحن الصخرة العالي المنيف · وارتفاع سقوف الايوانات والمدرسة يسامت تلك المنارة وكل ذلك معمر اكمل العمارة. وفي الايوان القبلي من الشرق ثلاثة شبابيك كبار معقودة من النحاس الاصفر نزهة للابصار. مطلات على الحرم وصحن الصخرة. وفي جهتهِ القبلية اربعة شبابيك كبار ايضاً كذلك واحد منها يطل على الحرم الشريف من جهة القبلة · والثلاثة مطلة على دهليز المدرسة وتلك الظلة . وشباكان من الجهة الغربية على تلك الساحة المذكورة السماوية · وفي الايوان الشمالي شباكان كبيران من الجهة الشرقية · مطلان على الحرم وسطح الصخرة وشباكان كذلك · من الجهة الشمالية مطلان على الحرم وهاتيك المسالك · ومن جهة الغرب شباكان ايضاً مطلان على بيت لطيف لصيق المطبخ المذكور فيما تقدم · وعلى الجملة والتفصيل فهي مدرسة عظيمة ذات قدر جليل وهي من بناء السلطان الملك الاشرف قايتباي الشركسي · وقد ذكر الشيخ محمد ابن الشيخ يوسف الباعوني في التاريخ المنظوم الذي ذيلنا عليهِ بذكر الدولة العثمانية · وجرينا على اسلوبهِ المعلوم عند ترجمة السلطان الاشرف قايتباي وذكر مالهُ من الخيرات والعماير. فقال وعمَّر السلطان ايضاً مدرسة في المسجد الاقصى غدت مؤسسة في غاية الاتقان والاحكام بزخرف الطرز وبالرخام"

وحبذا لو ذكر الامام عدد تلامذة تلك المدرسة وعدد اساتذتها وانواع العلوم التي يتعلمونها والكتب التي يقرأُونها فان ذلك اولى بالذكر من وصف المباني وزخرفتها

وقد عني بطبع هذه الرحلة حضرة الاديب ديمتري افندي نقولا على نفقة حضرة الوجيه ابرهيم افندي عبد المسيح صاحب جريدة الاخلاص

تقويم المؤيد

ظهر تقويم المؤيد عن سنة ١٣٢٠ هجرية لحضرة مؤلفهِ الكاتب الفاضل محمد افندي مسعود وهو على نسق ما تقدَّمهُ من التقاويم جامع لكثير من الفوائد العلميَّة والادبيَّة والتاريخيَّة حتى كأنهُ مجلة علميَّة . وقد جلِّد تجليدًا حسناً موسوماً بماء الفضة

تاريخ

حرب الدولة العثمانيَّة مع اليونان

اتحفنا حضرة الكاتب المحقق حقي بك العظم بسفر جليل فصَّل فيهِ وقائع حرب الدولة العثمانيَّة مع اليونان وقال انهُ اقتطفهُ من خمس كتب تركية وكتاب انكليزي وكتاب فرنسوي وضعت في وصف هذه الحرب . وقدَّم لهُ مقدمة مسهبة ابان فيها سبب خروج اليونان على الدولة العلية على رأيهِ وهو اختلاف الدين واللغة . ولو كان اختلاف الدين واللغة كل السبب في خروج الخاضعين لدولة عليها ما خضعت امة لدولة تخالفها ديناً ولغةً . ولو كان عدم الاختلاف في الدين واللغة موجباً لبقاء الدول على كيانها ما تمزَّقت دولة من دول العرب القديمة . لكن الباحث في تاريخ العمران يرى لتمزُّق الدول وخروج الرعايا عليها اسباباً أُخرى اقوى من اختلاف الدين واللغة بيَّنها ابن خلدون الفيلسوف العمراني العربي في مقدمتهِ بالاسهاب فلتراجع فيها

ثم ان المؤَلف نسب ثورة اليونان الاولى الى مفاسد الاوربيين الذين زرعوا بزور الفتن بين اهل المورة وهذا من الاقوال التي يصعب اثباتها بالدليل وخير من الاعتماد عليها البحث عن الاسباب الحقيقية التي تثير ثائرة السكان لازالتها

لما هاجت الخواطر في القطر المصري منذ بضع سنوات خشي البعض من قيام الثورة فيهِ فخاطب بعضهم جناب اللورد كرومر في ذلك فضحك وقال لا خوف من الثورة الاَّ اذا جاع الناس وفسدت الاحكام وكثرت المظالم اما الآن فالدلائل كلها تدلُّ على ان الناس شباعى والاحكام آخذة في الصلاح والمظالم آخذة في الزوال ولذلك لا يمكن ان تحدث في البلاد ثورة. اسأَلوا اصحاب الاطيان وارباب الاموال والمتاجر فما دام هؤُلاء آمنين على اموالهم فهم راضون بالحالة الراهنة لا يطلبون تغييرها والاعتماد عليهم لا على سواهم

الاَّ ان الكاتب لا يغضي عن كل مواقع الضعف بل كثيرًا ما يشير اليها اشارة الصديق المخلص لان صديقك مَن صدقك كقولهِ في الكلام على جنود الدولة العلية " والبنادق المسلَّح بها الجيش العثماني هي من طراز هانري مارتيني وموزر السريعة الطلقات ولكن بكل أسف لم نرَ في الحرب التي نحن بصددها الاَّ لواء واحدًا مسلحًا من بنادق موزر فلماذا اشترت الدولة هذه البنادق وصرفت عليها مئات الالوف من الجنيهات أَلحفظها في مخزن ماجقه الحربي في الاستانة فاذا كانت الدولة لم تستفد في الحرب من تلك البنادق التي هي بالحقيقة اصلح واحسن من بنادق هانري مارتيني ومرماها ابعد فمتى تستفيد منها . وقس على ذلك كلامهُ عن القوة البحرية .

وفصول الكتاب عن الحرب نفسها مسهبة مشحونة بالادلة على بسالة الجنود العثمانية ومهارة قوادها في فنون الحرب فنثني على حضرة مؤلفهِ اطيب ثناء

كتاب القواعد الالمانية

(Hartmann, Kleine deutsche Sprachlehre für Araber.)

اتانا من بيت يوليوس كروس بهيدلبرج Julius Groos, Heidelberg نسخة من هذا الكتاب وقد وضعهُ الدكتور هرتمن ليسهّل على ابناء اللغة العربية تعلُّم اللغة الالمانية . ويقول العارفون باللغة الالمانيَّة والعربيَّة انهُ من احسن الكتب لهذا الغرض فنشير على طلاَّب اللغة الالمانيَّة باقتنائهِ

تأسيس النظار

في المسائل التي اختلف فيها الفقهاء ابو حنيفة ومحمد وابو يوسف ومالك ومحمد بن الحسن والحسن بن زياد وزفر وابن ابي ليلى والشافعي لمؤلفهِ الامام ابي زيد عبدالله بن عمر الدبوسي الحنفي المتوفَّى في بخارى سنة ٤٣٠ للهجرة . ويليهِ رسالة الامام الكرخي في الاصول التي عليها مدار فروع الحنفيَّة مع شواهدها ونظائرها للامام ابي حفص عمر النسفي . وقد طبع في بيروت على نفقة حضرة مصطفى افندي القباني الدمشقي ومحمد افندي الخانجي الحلبي

تقويم ادارة المساحة

اصدرت ادارة عموم المساحة تقويماً لسنة ١٣٢٠ الهجرية اثبتت فيهِ تواريخ الايام بالحساب الهجري والافرنجي والقبطي والرومي والعبري واوقات شروق الشمس وغروبها واوجه القمر ومطالع الكواكب لكل شهر من شهور السنة

وفي هذا التقويم فوائد جمَّة غير ما تقدم ممَّا تمسُّ الحاجة الى معرفتهِ كالاوقات التي توزع فيها فوائد الديون المصرية والاوقات التي تحصَّل فيها الاموال الاميرية من مديريات القطر والتي يكون فيها امتحان الطلبة

ويلي ذلك دليل عام عن وكلاء الدول في القطر المصري ومكاتب تلفونات الحكومة والمحاكم المختلفة . واحوال الجو في العام الماضي الى غير ذلك من الفوائد الكثيرة وثمن النسخة منهُ ٢٥ مليماً

باب المسائل

فتحنا هذا الباب منذ اوّل انشاء المقتطف ووعدنا ان نجيب فيهِ مسائل المشتركين التي لا تخرج عن دائرة بحث المقتطف. ويشترط على السائل (١) ان يمضي مسائلهُ باسمهِ والقابهِ ومحل اقامتهِ امضاء واضحاً (٢) اذا لم يرد السائل التصريح باسمهِ عند ادراج سؤالهِ فليذكر ذلك لنا ويعين حروفاً تدرج مكان اسمهِ (٣) اذا لم ندرج السؤال بعد شهرين من ارسالهِ الينا فليكررهُ سائلهُ فان لم ندرجهُ بعد شهر آخر نكون قد اهملناهُ لسبب كافٍ

(١) الماسونية ومبرّاتها

مصر . احد المشتركين . كثيرًا ما نسمع عن الجمعيَّة الماسونية ان غايتها الرأفة بالمسكين والارملة واليتيم ولكننا لم نسمع بمدرسة للماسون ولا بمستشفى ولا باجزاخانة فاين المال الذي يجمعونهُ ويدعون انهم يوزعونهُ في طرق البر واين المساعدات الادبيَّة والمادية التي تقوم بها الجمعيَّة الماسونية

ج ان اكثر ما ينفقهُ الماسون هو على فقرائهم فاذا افتقر اخٌ منهم او توفي ساعدوهُ او ساعدوا عيالهُ على قدر طاقتهم ولهم في بعض البلدان مدارس خيرية ينفقون عليها فالماسون في بلاد الانكليز مثلاً انفقوا في العام الماضي نحو ثلاثين الف جنيه على ملاجيء الارامل والايتام ونحو ٢٦ الف جنيه على مدرسة خيرية للصبيان ونحو ٢٨ الف جنيه على مدرسة خيرية للبنات وهذا متوسط نفقاتهم السنوية على هذه الملاجيء وهاتين المدرستين

والماسونية في القطر المصري تنفق على مثل هذه الاغراض ونفقاتها ليست قليلة بالنسبة الى عدد اعضائها والغرض الاهم من الماسونية ليس التصدُّق على الفقراء لان اعضاءها مشتركون في جمعيات اخرى خيرية تتصدَّق على الفقراء بل مساعدة اعضائها بعضهم لبعض وهذا يفعلهُ كثيرون منهم

(٢) اساس الماسونية

ومنهُ . يقال ان اساس الجمعية الماسونية على هذه الكلمات الثلاث الحرية والمساواة والاخاء لكننا نرى بين اعضائها اناساً لا يفهمون معنى هذه الكلمات فكيف قبلوا في عضويتها

ج ان كان قولكم صحيحًا فتكون الجمعيَّة قد اخطأَت في قبولهم وهي غير معصومة عن الخطإِ ولو كانت تلام لانها لم تجرِ التحري الواجب في اختيار اعضائها

(٣) كراهة الماسونية

ومنهُ . لماذا نرى خدمة الدين من جميع المذاهب يقاومون هذه الجمعية مع انها اخوية مبنيَّة على المحبة ومساعدة القريب

ج حبذا لو وجهتم سؤالكم هذا الى الذين يقاومون الماسون وسألتموهم عن سبب مقاومتهم لهم . ونحن واثقون تمام الثقة ان سبب هذه المقاومة سياسي لاديني والاَّ فالماسونية اقرب الجمعيات كلها الى معاضدة ائمة الدين وغاية ما تتمناه ان يأتي الزمن الذي ينظر فيهِ الناس الى الجوهر ويتركون العرض فيبتعدون عن كل اسباب العداء والشحناء

---

(٤) تحريك الطاولة

مصر . توفيق افندي كلداني . لا بدَّ من ان انكم سمعتم عن الطاولات المتحركة فقد كنت بالامس عند جماعة من الاصدقاء فاحضروا طاولة صغيرة ليس فيها مسامير وبعد ان وضع اربعة من الحاضرين ايديهم عليها بضع دقائق جعلت تتحرك من نفسها فيسألها الحاضرون ما شاؤُوا فتجاوبهم برفع احدى ارجلها على مرات معدودة مثلاً اذا سألها احد عن راتبهِ تجاوبهُ برفع رجلها مرات بقدر الراتب . وحركة الطاولة طبيعية كما شاهدتها انا وغيري ولا تتحرك الاَّ اذا طُلب منها ذلك فنرجوكم ان تفيدونا عن حقيقتها او عن سر هذه الحركة وبماذا تعللونها وما هي العلاقة بين فكر السائل وجواب الطاولة ؟

ج كان بين الذين وضعوا ايديهم عليها رجل حرَّكها كذلك إمَّا عمدًا او عن غير عمد . أما التحريك عمدًا فمعلوم واما التحريك عن غير عمد فكيفيتهُ ان بعض الناس يؤَثر فيهم ما يفكرون بهِ تأثيرًا يجعلهم يحركون ايديهم وارجلهم ونحو ذلك من اعضائهم حركات تطابق المراد وهم غير قاصدين ذلك ولا شاعرين بهِ . واكثر ما يكون هذا في النساء وصغار السن وعصبيي المزاج فاذا اخفى ولدٌ شيئًا وطلب منك ان تعرف اين اخفاهُ ورآك اخطأت في حزرك فذهبت الى غير المكان الذي اخفاهُ فانهُ يشير اليك بوجههِ وعينيهِ وحاجبيهِ اشارات كثيرة تدل على انك مخطئ . واذا رآك اهتديت الى المكان الذي اخفاهُ فيهِ وانت ذاهب اليهِ توًّا اشار ايضًا بوجههِ وعينيهِ وحاجبيهِ اشارات الاصابة كانهُ يكلمك بكلام مسموع انك مخطئ في الاول ومصيب في الثاني وهو يفعل ذلك عن غير قصد ومن غير ان يشعر بهِ

وقد اثبت الاستاذ فاراداي بالامتحان ان الذين يضعون ايديهم على الطاولة هم الذين يحركونها فانهُ صنع آلة تدل على حركات ايديهم ولو كانوا غير شاعرين بها

---

(٥) حادثة ناورين

القاهرة . احمد افندي عبد الرحيم المورالي . كم كان عدد السفن العثمانية والمصرية ورجالها التي غدرت بها اساطيل الدول الثلاث الروس والانكليز والفرنسيس ودمرتها في مياه ناورين في ثغور اليونان سنة ١٨٢٧

ج جاء في تاريخ طمسن ان السفن التركية والمصرية كانت ٧٩ سفينة وكان فيها ٢٢٤٠ مدفعاً . واما السفن المتحدة فكانت ٢٦ سفينة فقط وكان فيها ١٣٢٤ مدفعاً ولكن كان فيها عشر بوارج واما السفن التركية والمصرية فلم يكن فيها سوى ثلاث بوارج وكان اكثر الرجال الذين في هذه غير مدربين على الحروب البحرية واما رجال السفن المتحدة فكانوا مدربين عليها . ويظهر من هذا التاريخ وغيره ان تلك الواقعة لم تحدث غدرًا وان السفن العثمانية هي التي ابتدأت باطلاق النار فان فرقاطة انكليزية ارسلت قاربًا من قواربها الى القائد العثماني تطلب منه ان يأمر بابعاد ست حرّاقات كانت واقفة في مدخل المرفإ فاطلقت السفن التركية النار عليه خطأً وقتلت الملازم فتزروى وكثيرين من البحّارة فظنت بقية السفن العثمانية ان الحرب ابتدأت وجعلت تطلق القنابل على السفن المتحدة وكانت الموسيقى الانكليزية تعزف على ظهر السفينة " اسيا " سفينة امير البحر الانكليزي حينما ابتدأ اطلاق المدافع عليها وكاد يغرقها

(٦) البادئ بها

ومنه . مَن من الدول الثلاث اقترحت امر هذا التدمير

ج ذكرنا في جواب السؤال السابق ان الواقعة ابتدأت خطأً ولكن الفريقين كانا مستعدين لها على ما يظهر وكلٌّ منهما ينتظر ان لا يكون هو البادئ . ويظهر من القرائن ان الروس كانوا اشدَّ رغبة من غيرهم في تدمير العمارة التركية ليخلو لهم الجو في البحر الاسود ولكن الدول الثلاث كانت مرتبطة بمعاهدة لندن وهي لا تجيز لها ذلك ولم ترَ اساطيلها سبيلاً لمنع الاساطيل العثمانية مما كانت تفعله في جزائر اليونان الاّ بحصرها في خليج ناورين

---

(٧) مطبعة البالوظة

الاسكندرية . احمد افندي كامل مراد . كيف تعمل مطبعة البالوظة بالتوضيح

ج تجدون ذلك في هذا الجزء في باب الصناعة

---

(٨) اولاد آدم

المراغا . قرياقص افندي ميخائيل . قلتم في جواب سؤالي المدرج في الجزء الثالث ان قايين اراد بقوله كل مَن وجدني يقتلني " اناساً من ابناء آدم وان نسل آدم كان قد كثر حينئذٍ " ولكن جاء في العدد ٢٥ من الاصحاح الرابع من سفر التكوين ان حواء ولدت ابناً دعت اسمهُ شيثاً قائلة ان الله وضع لي نسلاً آخر عوضاً عن هابيل لان قايين كان قد قتلهُ . ومن هنا يعلم انهُ لم يولد لآدم ولد الاّ بعد قتل هابيل فكيف ذلك

ج ان العبارة التي اجبناكم بها ليست

كامناً في جسمكم تعاودكم اعراضهُ حيناً بعد آخر وهذا اكبر دليل على ان المعالجة لم تتم فيكم فلا بد لكم من تعاطي الدواء مدة طويلة ربما تمتد الى اكثر من سنة . وتعاطي يودور البوتاس وحدهُ ليس بكافٍ لشفاء هذا الداء ولا بد من الرجوع الى تعاطي الزيبق مع اليودور . اما تعاطيكم الحديد البرافية فلا يخلو من الفائدة لتقوية الجسم تقوية عمومية ولكن الافضل ان تأخذوا الحديد مركباً مع الزيبق كما في حبوب ضد الزهري تركيب معمل اب جون ثلاث حبات من هذه الحبوب كل يوم مدة اسبوعين ثم تنقطعوا عنها في الاسبوع الثالث وتأخذوا فيهِ حبوب يودور البوتاس وتعودوا اليها في الاسبوعين الرابع والخامس وهكذا الى ان يشفى المرض تماماً . ويجب ان تمتنعوا عن الزواج قبل الشفاء التام

اما الدلك بالزيبق فلا يعوَّل عليهِ ولا يستحسن اذا استطاع العليل اخذ الزيبق من الداخل

(١٦) تقوية الدم

ومنهُ . انني استعملت كثيراً من الادوية المقوية للدم وخصوصاً الحديد وحسن التغذية ولكن صحتي لم تزل على غاية الضعف فهل من وسيلة اخرى تقوي جسمي غير الادوية وهل من فائدة للدواء المسمى كورديال

ج لا شبهة في ان الحديد من افضل المقويات الدموية ولكن يفضل ان يعطى مركباً مع ادوية اخرى تزيد فائدتهُ وتقلل ضرر الامساك الناتج عن استعمالهِ وحدهُ فاذا اخذتم حبوب الحديد المركبة مع الصبرين ترون منها نتيجة حسنة جداً وهي مركبة من الحديد وكربونات البوتاس وخلاصة جوز القيء والصبرين والحمض الزرنيخوس ولكل من هذه العقاقير فوائد تضم الى الفائدة العائدة من الحديد وحدهُ فتتم بذلك الفائدة العامة المطلوبة ولا بدَّ من الانتباه الشديد الى الرياضة البدنية واستنشاق الهواء النقي وملاحظة الغذاء وجميع الوسائط الهيجينية . اما الدواء المسمى كورديال فهو نوع من الادوية المجهولة التركيب فلا يشير بهِ طبيب ما لم يعرف تركيبهُ

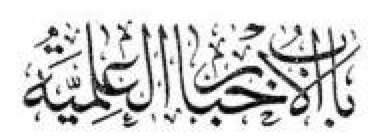
---

(١٧) دخول الوباء مصر

كفر طما . احمد افندي محمد زرفت .

قال احد الثقاة عن دخول الوباء الى مصر انهُ يدخلها في كل سنة اولها ثالا مثلثة فهل لذلك من صحة

ج مقتضى هذا القول ان يدخل الوباء مصر مرة كل عشر سنوات مثلاً ١٢٠٣ و١٢١٣ و١٢٢٣ و١٢٣٣ و١٢٤٣ الخ والواقع ليس كذلك كما لا يخفى . اما سؤالكم عما قيل في كتاب الاغاني فاخبرونا في اي جزء واي صفحة ورد ما تشيرون لكي ننظر فيهِ وكذلك اخبرونا اين قرأتم عن ذكر اعمال هرقل الاثني عشر



هبات اميركيةٌ جديدة

وهب المستر جون ركفلر مدرسة شيكاغو الجامعة مليونًا وربع مليون من الريالات في غضون السنة المدرسية الحالية . ووعد مدرسة هارفرد الطبية بمليون ريال اذا وهبها غيرهُ ٧٦٥ الف ريال فلم يمضِ اسبوعان على وعدهِ هذا حتى وهبها البعض ٨٢١ الف ريال فاستحقت هبة ركفلر حالاً . ووهبت مسز هنتنجتن هذه المدرسة ٢٥٠ الف ريال لتنشئ بها داراً للبحث الباثولوجي والبكتيريولوجي تذكاراً لزوجها ووهبها المستر ستلمن مئة الف ريال . ووهب المستر ركفلر مدرسة كولمبيا الجامعة ٢٥٠ الف ريال على شرط ان يهبها غيرهُ ٢٥٠ الف ريال أخرى . واوصى المستر جورج سمث باربعمئة وخمسين الف ريال لمدرسة هارفرد الجامعة واوصى لها المستر بلنجس بمئة الف ريال والمستر هويلوك بمئة الف ريال وهذا الاخير اوصى بمئة الف ريال لمدرسة كلارك الجامعة . واوصى المستر بلنجس بمئة الف ريال لمدرسة مستشوستس الصناعية وبمئة الف ريال لمتحف بوستن . ووهب المستر كارنجي مدرسة وستر الجامعة مئة الف ريال ووهبها المستر سفرنس خمسين الف ريال

ولا يكاد يمرُّ اسبوع الاَّ وتنشر جريدة العلم الاميركية خبر هبات جديدة يهبها اغنياء اميركا لمدارسها

حرارة الشمس

بعث الاستاذ تشارلس ولسن الى الجمعيةَ العلمية يقول انهُ وجد بالبحث المدقق ان حرارة الشمس تبلغ ٦٢٠٠ درجة بميزان سنتغراد والمرجح ان جو الشمس قد امتص منها نحو اربع مئة درجة فكانت على سطح الشمس ٦٦٠٠ درجة

فكتوريا نينزا

اتمَّ الانكليز مسح بحيرة فكتوريا نينزا او مسح نصفها الخاص بهم بعد ان اشتغلوا بذلك ثلاثة عشر شهراً فوجدوا فيها كثيراً من الجزائر الكبيرة والصغيرة وكلها آهلة بالسكان وبعضها مزدحم بهم ازدحاماً وطول القسم الذي للانكليز من الشرق الى الغرب ١٣٥ ميلاً وعرضهُ من الشمال الى الجنوب ٩٠ ميلاً ما عدا الخليج الشرقي وطولهُ اربعون ميلاً . والعواصف شديدة في هذه البحيرة وفي بعض جزائرها سكان متوحشون جدًّا

قطع الصحراء بالبالون

يهتم بعض الفرنسويين الآن بعمل بالون كبير يقطعون بهِ صحراء افريقية من تونس الى النيجر معتمدين على الرياح الشمالية الشرقية ويكون في هذا البالون حوض كبير من الماء يصبُّ بعض الماء منهُ اذا اريد تخفيفهُ ويكون فيهِ حبل طويل من الاسلاك المعدنية يجرُّ وراءهُ حتى يبقى متصلاً بالارض وكأن الغرض منهُ قطع الصحراء على بعد قليل فوق الارض

الوحوش والموسيقى

امتُحن فعل الموسيقى بالوحوش في بستان الحيوانات بالمانيا وكانت الآلة الكمنجة فالاسود خافت من صوتها واشبالها طربت ومالت الى الرقص والضباع اضطربت والقرود استغربت والذئاب سُرَّت وظهرت كأنها تطلب المزيد والنمور لم تعبأ بشيءٍ

آلة كهربائية شمسية

اشار بعضهم ان تصنع آلة لتوليد الكهربائية بالحرارة على مبدإ الترموبيل اي يكون فيها رصيف من معدنين مختلفين لتولد منها الكهربائية اذا احميت من احد طرفيها وان توضع في مكان تقع عليها فيهِ اشعة الشمس فتسخن وتتولد منها الكهربائية حتى اذا كانت قوة الكهربائية جزئين في المئة من قوة حرارة الشمس تكون كافية لادارة الآلات

محراث غتلنج

اخترع المستر غتلنج مخترع المدفع الكثير الطلقات محراثاً بخارياً يقوم مقام ثلاثين زوجاً من المواشي واذا اشعل فيهِ الغازولين لا تزيد نفقاتهُ على ريالين في اليوم ويمكن ان يحرث الارض ويزرعها في وقت واحد وقد أُلفت شركة في مدينة سنت لويس باميركا لعمل هذا المحراث

تخدير النبات

استنبط احد علماء الالمان عقاراً اذا حقن بهِ النبات قرب جذورهِ خدر وتوقف نموهُ ولم يعد يتأثر من حرٍّ ولا من برد فيبقى حيًّا ولكنهُ لا يكبر بل يبقى على حالهِ. ولم يكشف سرُّ هذا العقار حتى الآن

النفع من النفاية

لما كان المسيو سنتوس ديمون يمتحن بالونهُ السادس في موناكو قام عليهِ اهل البلد وادَّعوا انهُ سمَّ البحر امام مدينتهم بما طرحهُ فيهِ من فضلات المواد الكيماوية التي استخرج الغاز منها ومنعوهُ من طرحها فيهِ ايضاً لئلا تميت السمك وبعد البحث المدقق ظهر ان هذه الفضلات كانت تنحل بماء البحر فيرسب فيهِ منها اكسيد الحديد وهو نافع للسمك ولا ضرر منهُ على الاطلاق ولما ثبت لهم ذلك اباحوا لهُ ان يطرح في البحر ما يشاء من هذه النفايات

سكان مصر الاقدمون

لا تنتهي غرائب هذا القطر فبينا كنَّا نحسب المكتشفات الجيولوجية التي كشفت في صحراء الفيوم ووصفناها في هذا الجزء اعظم ما يمكن ان يكشف فيهِ علمنا انهُ كشفت في جرجا مقبرة قديمة فيها بقايا اناس سكنوا هذا القطر في ازمان مختلفة مدة ثمانية آلاف سنة على الاقل . وهي اجسام حُفظت من البلى بسبب جفاف الهواء ولم يزل الشعر في بعضها والاظافر والعضلات والاعصاب والدماغ ظاهرة كلها وفي جثتين منها بقيت الاعين وعدسياتها ظاهرة ايضاً يسهل تمييزها ولو كانت قد جفَّت جفافاً تاماً . ومن هذه الجثث ما هو قديم جدًّا كما تقدَّم ومنها ما هو حديث بالنسبة اليهِ من عهد الدول الخمس عشرة الاول من الدول المصرية ومنها ما هو احدث منهُ من عهد البطالسة والرومانيين. اكتشف هذه المقبرة الدكتور ريزنر من مدرسة كليفورنيا الجامعة باميركا وبحث فيها الدكتور اليوت سمث استاذ التشريح في مدرسة قصر العيني الطبيَّة بحثاً تشريحيًّا وسيطبع تقرير مسهب عنها في مطبعة لبسك بالمانيا موضَّح بالصور الكثيرة فنأتي على خلاصتهِ حين نشرهِ

اقدم كتابة

يقال ان اقدم كتابة عثر عليها الباحثون عن العاديَّات حتى الآن كتابة صورية على قطعة من الخزف وجدت في خرائب مدينة نبور يمتد تاريخها الى سنة ٤٥٠٠ قبل التاريخ المسيحي

حفظ الزبدة بالصمغ العربي

بيَّن المسيو اميل مليستر البلجي ان الصمغ العربي يحفظ الزبدة من الفساد وذلك بان يذاب في الماء ويضاف اليها قليل منهُ وتمزج بهِ جيدًا . فاذا شاع استعمال الصمغ العربي لحفظ الاطعمة من الفساد عاد ثمنهُ الى الارتفاع بعد هبوطهِ

اطول خطوط التلفون

باريس مركز خطوط التلفون الطويلة فانها ممتدة منها الى لندن وهمبرج وبرلين وتورين وميلان . وطول الخط من باريس الى برلين ٦٣٥ ميلاً وهو اطولها ومن باريس الى همبرج نحو ذلك ومن باريس الى تورين ٣٧٥ ميلاً ومن باريس الى ميلان ٤٧٠ ميلاً . والخط من برلين الى كولون طولهُ ٣٧٥ ميلاً فاذا اراد احد ان يتكلم من باريس الى كولون تكلم بطريق برلين واتصل الخطان فصار منهما خط واحد طولهُ الف ميل

السبق للتوحش

استنبط احد الاميركيين اسلوباً للف الحبال حتى تكون كبَّة واحدة اسطوانية لا تنحل من نفسها وسجَّل استنباطهُ هذا ثم ظهر ان في دار التحف المجموعة من اقطار المسكونة كبَّتين

من الحبال ملفوفتين وهما مما صنعهُ اهالي فيجي ولفوهُ منذ سنين كثيرة وعليهِ فهذا الاستنباط قديم سبق اليهِ اهالي فيجي المتوحشون . ولما درى ديوان الامتياز بذلك نزع الامتياز من المستنبط الاميركي لان غيرهُ سبقهُ الى هذا الاستنباط

باب الاختراع

قالت السينتفك اميركان ان نفايات المسالخ صارت الآن تساوي ثمن اللحم بعد ان كانت اقذار يُنفَق المال على التخلُّص منها . وان الفضلات الحامضة التي تخرج من زيت البترول وقت تنقيتهِ صارت الآن تفي بكل النفقات اللازمة لتنقيتهِ والفضل في ذلك لاهل الاختراع والاكتشاف . ولا يزال الباب مفتوحاً لاختراعات كثيرة تغني اصحابها مثل اختراع مادة تقوم مقام جلد الاحذية ومادة تقوم مقام الصمغ الهندي وهلمَّ جرًّا

مخترع عيدان الفصفور

ثبت الآن ثبوتاً ينفي الريب ان مخترع عيدان الفصفور صيدلاني انكليزي اسمهُ جون ووكر اخترعها اولاً سنة ١٨٢٧ ولم يسجل اختراعهُ وكان يبيع الصندوق الصغير بسبعة غروش ويصنع مزيج الفصفور بيدهِ

ربح المخترعين

قالت جريدة السينتفك اميركان ان الذي اكتشف طريقة اغلاء السكَّر في الفراغ وقت تنقيتهِ اكتسب من هذا الاكتشاف ما بين اربعين وخمسين الف جنيه كل سنة مدة الامتياز والذين صنعوا الشماسي اولاً ربحوا منها مليونين من الجنيهات . والذي استنبط اللعبة المعروفة باسم جون جلبن ربح منها عشرين الف جنيه كل سنة مدة امتيازهِ والذي خطر لهُ وضع قمع الصمغ الهندي على طرف اقلام الرصاص ربح من ذلك عشرين الف جنيه كل سنة . والذي صنع قطعة النحاس التي توضع على كعوب الاحذية باع منها في سنة واحدة ١٤٣ مليون قطعة ربح منها ٢٣٠ الف جنيه

الخسوف الكلي

خسف القمر خسوفاً كليًّا في ٢٣ ابريل الماضي كما انبأنا في الجزء الرابع فطلع مخسوفاً بالظليل لكنهُ كان مشرقاً على جاري عادتهِ وابتدأ الخسوف الحقيقي اي اول دخول القمر في ظل الارض الساعة السابعة وتم الخسوف الكلي الساعة الثامنة والدقيقة العاشرة لكن القمر بقي ظاهرًا كأنهُ محجوب بالضباب لا غير وطرفهُ الغربي الجنوبي يكاد يكون منيرًا وابتدأ الانجلاء الساعة التاسعة والدقيقة ٣٥ وتمَّ الساعة ١٠ والدقيقة ٤٥ اي خرج القمر كلهُ من مخروط ظل الارض . وقد طبَّل بعض العامة وجلبوا على جاري عادتهم ولكن يظهر انهم فعلوا ذلك على سبيل اللعب والهزل لا خوفاً على القمر كما كان يفعل اسلافهم

كسوف الشمس.

ستكسف الشمس كسوفًا جزئيًا في السابع من هذا الشهر (مايو) لا يظهر في القطر المصري

حروف مطابع الصين

يشكو جامعو الحروف العربية من كثرة اشكالها لانك تجد في الصندوق الواحد من صناديق الحروف اكثر من الف بيت للجنس الواحد من الحروف فان لحرف الميم مثلاً خمسة عشر نوعًا وهي م مم م ﻣ ﻤ ـم ـمـ ... ولكن شكوانا لا تذكر في جنب شكوى الصينيين فان الصندوق الذي يسع الحروف الصينية يكون فيهِ احد عشر الف بيت لانواع العلامات المختلفة التي تتركب منها الكتابة الصينية واذا عرضت امام مرتب الحروف كلمة ليس لها علامة عندهُ اضطرَّ ان يصنع لها العلامة المناسبة لها فلا عجب اذا كانت كتابة الصينيين من جملة العوائق التي تعيق تقدمهم واقتباسهم العلوم الحديثة

سبك الحديد بالكهربائية

كنا كلما نظرنا في امر مناجم الحديد في جبل لبنان نأسف لانهُ ليس فيهِ فحم حجري صالح لسبك الحديد منها ولا فيهِ وقود كافٍ لذلك مع ان مناجم الحديد التي فيهِ تعدُّ من اغنى المناجم بكثرة حديدها . اما الآن فيظهر لنا ان هذه المسأَلة يمكن حلُّها على اسهل سبيل وذلك ان على مقربة من مناجم الحديد ينابيع غزيرة الماء كنبع صنين ونبع العسل ونبع اللبن ومياهها تنحدر في بعض الاماكن من ارتفاع شاهق فيمكن توليد قوة منها تقدَّر بمئات من الاحصنة والقوة تحوَّل الى كهربائية بسهولة والكهربائية تستخرج الحديد من مناجمهِ بما يعرف بالاتاتين الكهربائية فقد جاء في جريدة صدى المعادن والتعدين Echo des Mines et de la Métallurgie انهُ اقيمت ثلاثة اتاتين كهربائية في شمالي ايطاليا قوة كلٍّ منها خمس مئة حصان لاستخراج الحديد . وتبلغ نفقات استخراج الطن من الحديد بهذه الاتاتين ١٨ فرنكًا لا غير

البترول بدل الفحم الحجري

استُعمل البترول بدل الفحم الحجري في بعض السفن التجارية منذ بضع سنوات ولكن السفن التي تقطع الاوقيانوس الكبير لم تستعملهُ الى الآن فقد استعملتهُ الباخرة موركس وسارت بهِ من سنقافورة في اقصى المشرق الى مدينة لندن مارَّةً برأس الرجاء الصالح فقطعت مسافة ١١٨٣٠ ميلاً او نحو اثني عشر الف ميل وكانت تحرق كل يوم نحو ثمانية عشر طنًّا ولو استعملت الفحم الحجري لاضطرَّت ان تحرق كل يوم نحو اربعة وعشرين اوخمسة وعشرين طنًّا من فحم ولش او من ثلاثين الى اثنين وثلاثين طنًّا من الفحم اليابانيّ . فمن

استعمال البترول اقتصاد كبير في الوزن والحجم فوق الاقتصاد في العمل

الاسيتيلين

لا يزال استعمال الاسيتيلين لانارة البيوت غير خالٍ من الخطر فقد شاهدنا الآن صورة بيتين كبيرين انفجر الاسيتيلين فيهما فخربهما وقتل بعض سكانهما ولكن يقال ان الاسلوب الذي استنبطهُ الخواجات كلود وهس منذ بضع سنوات وهو اذابة الاسيتيلين بالاسيتون يزيل خطرهُ او يقللهُ كثيرًا

سباق الاوتوموبيل

ستتسابق مركبات الاوتوموبيل في اواخر شهر يونيو المقبل بين باريس وفينا فتقوم من باريس في ١٧ يونيو وينتظر ان تصل الى فينا قبل ٢٩ يونيو . ثم تُعرَض المركبات في فينَّا وتعطى الجوائز للسوابق منها . وقد دعت حكومة البوسنه والهرسك اصحاب هذه المركبات لزيارتها بعد ما تصل الى فينا

الصناعة الفرنسوية والاميركية

المشهور ان الصناعة الفرنسوية اكثر اتقانًا من كل صناعة غيرها لكن الفرنسويين يعرفون مواقع الضعف في صناعتهم ويعرفون ان الاميركيين سبقوهم في اتقان المصنوعات وترخيص ثمنها ولذلك عزموا ان ينشئوا لهم مدرسة صناعية في قلب اميركا في مدينة فيلادلفيا يذهب شبانهم اليها ويتعلمون فيها الاساليب الاميركية لعمل المصنوعات على انواعها

اوتوموبيل سلطان مراكش

اطلعنا على صورة الاوتوموبيل الذي صنع لسلطان مراكش وصورتهِ جالسًا فيهِ وهو يسير بالغازولين وفيهِ آلة لتبريد الهواء ويقال ان لون دهانهِ اخضر وانهُ مفروش من الداخل بافخر انوع الحرير

صورة المسيح

في كنيسة تورين الكبرى كفن قديم يقال انهُ كفن السيد المسيح نُقل من المشرق الى اوربا في القرن الرابع عشر وعليهِ صورتان يقال انهما صورتا وجه المسيح وظهرهِ وانهما ارتسمتا فيهِ من مجرَّد لفهِ بهِ . وقد صُوّر هذا الكفن حديثًا تصويرًا فوتوغرافيًّا وظهر الرسمان في صورتهِ ووقعت صورة في يد المسيو فنيون فرأَى بعد امعان النظر ان الرسمين اللذين في الكفن لا يمكن ان يرسما فيهِ الاَّ بطريقة مثل طريقة التصوير الشمسي ثم جرَّب تجارب كثيرة ليرى ما هي المواد التي اذا دُهن بها النسيج ترسم عليهِ صورة ما يُلَفُّ بهِ فوجد انهُ اذا دهن نسيج بالمر كما دهن كفن المسيح فالابخرة التي تصعد من الجسد تؤثر في المر وتولد فيهِ صورة مثل الصور الفوتوغرافية

هذا ومن المقرَّر الآن ان كل جسم اتَّصل بسطح يمكن التأْثير فيهِ فوتوغرافيًّا مثل سطح

الواح الجلاتين الحساس اثّر فيهِ كما يؤثّر نور الشمس ولو كانا في الظلام الدامس ومذوب المر من هذا القبيل فيمكن ان يتأكسد باتصال جسم الميت بهِ وترتسم عليهِ صورتهُ كما ترتسم الصور على الالواح الفوتوغرافية فمن المحتمل علميًّا ان تكون هاتان الصورتان حقيقتين

اتحاد شركات البواخر

اهم الحوادث التي حدثت في الشهر الماضي اتحاد كثير من شركات البواخر التي تسير بين اوربا واميركا وهذا الاتحاد سيغني الذين دبَّروهُ ويقلل نفقات الادارة ولكنهُ يضيف الاموال التي تعطى لمدبريهِ ومديري الشركات الى رأس المال فيقل الربح الذي يوزَّع على المساهمين فاذا كان رأس المال الذي يوزع عليهِ الربح الآن مليونين من الجنيهات واخذ مدبر هذا الاتحاد واصحاب الشركات مليونًا آخر حتى اتموا هذا الاتحاد فلا بدَّ من ان يوزع الربح بعد الآن على ثلاثة ملايين لا على مليونين فيقل ما يصيب السهم الواحد اكثر مما يقتصد بتوحيد الادارة ولذلك فكبار علماء الاقتصاد لا ينظرون الى هذا الاتحاد بعين الرضى لانهُ يغني اناسًا قليلين على نفقة جمهور كبير من الناس

الاهتمام بداء السرطان

اهتمَّ الانكليز في هذه الاثناء اهتمامًا عظيمًا بداء السرطان ووعد البعض باعطاء مئة الف جنيه لينفق ريعها على البحث عن اسبابهِ وطرق علاجهِ ويحتمل ان هذا المال يزاد كثيرًا ويقسم اقسامًا ينفق قسم منها كل سنة الى ان يوصل البحث الى السبب الحقيقي الذي ينتج عنهُ هذا الداء الخبيث لمنعهِ قبل حدوثهِ والى العلاج الذي يشفيهِ بعد حدوثهِ

احوال الجو في الشهر الماضي

اعلى درجة وصلت اليها الحراوة في القطر المصري في الشهر الماضي (ابريل) ٤٢ في اصوان في ١٧ و ١٨ منهُ واوطأ درجة ٨ في الجيزة في الرابع والخامس والثالث والعشرين واعلى درجة وصلت اليها الحرارة في السودان ٥٩ في الدويم في ٢٤ الشهر واوطأ درجة ١٢ في وادي حلفا في اول الشهر. ومن ١٧ ابريل الى آخر الشهر كان اعلى درجات الحرارة في الدويم من ٥١ الى ٥٣ ثم وقعت الامطار هناك في الثلاثين من الشهر

حديقة الحيوانات في الجيزة

أُضيف الى حديقة الحيوانات في الجيزة في الشهر الماضي ٢٧ حيوانًا من ذلك ذكر من نوع الادكس وهو من اندر انواع بقر الوحش ولعلَّهُ الحيوان الوحيد الموجود الآن في حدائق الحيوانات أُتي بهِ من دنقله واهداهُ البكباشي هدمن. وأُروية من دنقله ايضًا اهداها الميرالاي مكرل بك . وقنفذة ذات فبَّرة من كردفان اهداها البكباشي قيصر الحاج

وقرد سوداني اهداه الدكتور بتر وقرد هندي اهداه المستر الفرد دايل . واشترت ادارة الحديقة فهدًا ونمرًا من السودان وبعض الغزلان والمعزى البرية

العلم والمتفرقعات

ممَّا يذكر بالاسف الشديد ان العلم يستعبد احيانًا كثيرة للمصالح الزمنيَّة . ولا يظهر ان هذه الحال تتغير في المستقبل القريب بل قد ظهر من حرب الترنسفال ان الامَّة الانكليزية التي كان رجالها عمومًا وعلماؤها خصوصًا يقبحون الحروب وينادون بوجوب ابطالها صارت تشغل علماءها بالبحث عن المتفرقعات المهلكة وكتم ما يُعرَف عنها ولو كان فيهِ حقائق علمية لكي تستأثر باستعمالها فتزيد حولاً وطولاً . فقد كُتب الى حكومتها من جنوبي افريقية ان الكُرْدَيْت الذي يستعمل الآن في المدافع بدل البارود لانهُ اشد منهُ فعلاً يتلف حديد المدافع ولا يؤْمن جانبهُ لانهُ قد يتفرقع على غير انتظار فانتدبت لجنة من اكبر علمائها للبحث عن ذلك وهم اللورد رَيْلي والسر اندرو نوبل والسر وليم كروكس والسر روبرتس اوستن واسماؤُهم كلهم مشهورة عند قرَّاء المقتطف . فبحثت هذه اللجنة بحثًا مدققًا فوجدت ان الكردَيْت يتلف حديد المدافع كما قيل ولا يسهل حفظهُ في اقاليم مختلفة ثم اشارت باستعمال مادة اخرى شديدة الفعل مثلهُ وخالية من عيوبهِ وتركيب هذه المادة سرٌّ مكتوم مثل تركيب الكردَيْت . وسيقر القرار على ابقاء هذه اللجنة للبحث على المتفرقعات فتستبدل خدمة العلم بخدمة الحرب . ولكن يقال انهُ لاشيء يبطل الحرب مثل اتقان آلات الحرب حتى يرى الناس ان لا قبَل لهم بمقابلتها فيضطر الضعيف ان يسلم للقوي من غير قتال

ضرر طوابع البريد

اثبتت جريدة اللانست الطبية ان بعض الناس اصيبوا بامراض عضالة كتسمم الدم ونحوهِ من بلهم طوابع البريد بالسنتهم

استئصال الجرذان

رأَت ادارة الصحة في المانيا ان لا بدَّ من استئصال الجرذان من البلاد كلها لكي تأْمن غائلة الامراض التي تنتشر بواسطتها وقد انتدبت الدكتور كوخ لاستئصال الجرذان من كل الموانئ الشرقية

المستشفى المدرسي

أُنشئَ مستشفى في شيكاغو باميركا يعالج فيهِ اولاد الاغنياء الضعاف البنية بالغذاء والرياضة حتى تقوى ابدانهم ويزول ما بهم من الضعف العصبي

المدفع الكهربائي

حاول كثيرون قبل الآن عمل مدفع كهربائي تدفع قنابلهُ بالكهربائية لا بالبارود

فلم يفلحوا ولكن جاء في السينتفك اميركان ان استاذاً نروجياً صنع مدفعاً كهربائياً مغنطيسياً وجربهُ في مدينة كرستيانا عاصمة نروج فوفق بالغرض وكانت قنبلتهُ تندفع منهُ من غير بارود ومن غير صوت ولا يسمع لها صوت الاَّ حينما تصيب الغرض. وكان وزن القنبلة رطلاً فقط والغرض لوح من الخشب فخرقتهُ خرقاً ويقال ان المخترع يستطيع ان يطلق القنبلة التي وزنها الف رطل ويقذفها الى ابعد ما تصل اليهِ بقوة البارود فاذا صحَّ ذلك كان من اقوى المغيرات لاحوال الحروب

اسرع سكك الحديد

يراد انشاء سكة حديدية جديدة بين مدينة ادنبرج ومدينة غلاسكو يقطعها القطار في ٣٩ دقيقة والمسافة ٤٩ ميلاً فتكون سرعتهُ ١١٧ ميلاً في الساعة

بالون سفرو

يظهر ان البرازيليين سينالون قصب السبق على كل الامم في عمل البالون فقد قام رجل برازيلي آخر في باريس اسمهُ سفرو وصنع بالوناً اصلح من بالون سنتوس ديمون من كل وجه لان مركبتهُ متصلة بكيسهِ اتصالاً متيناً كأنهما قطعة واحدة وطول البالون ٩٣ قدماً وعرضهُ الاطول ٣٨ قدماً وهو كثيري الشكل يسع سبعين الف قدم مكعبة من الغاز ويستطيع ان يحمل نفسهُ ويحمل ايضاً ٣٥٠٠ رطل ولهُ في وسطهِ ثغرة يستقرُّ فيها الجزء الاعلى من المركبة وطول المركبة ٤٦ قدماً وعرضها ثلاث اقدام وفيها آلتان بخاريتان صغيرتان في طرفيها وتحيط بالكيس والمركبة قدد من نسيج متين تمسكهما معاً. ويملأُ كيس هذا البالون بغاز الهيدروجين

اشعة رنتجن والسل

ورد في تلغراف من شيكاغو انهُ قد ثبت بالتجربة ان اشعة رنتجن تقتل الجرثومة الحويصلية في البيضة فلا تفرخ بعد ذلك. وان المجربين يستنتجون ان الشفاء من السل والسرطان بهذه الاشعة يكون دائماً لا وقتياً

الكهربائية ودماغ الانسان

ظهر بالامتحان ان المجاري الكهربائية تؤَثر في دقائق الدماغ تأْثيرًا يسمع لهُ صوت احياناً ويقال ان ذلك هو سبب ما يشعر بهِ البعض من الخفقان وقتما يرون وميض البرق

حجم الراس وقوَّة العقل

بحث الدكتور كارل بيرصن عن النسبة بين حجم الراس وقوة العقل في تلامذة مدرسة كامبردج الجامعة فوجد انهُ لا يمكن الاستدلال على قوة العقل من حجم الراس اي ان اصحاب العقول الكبيرة تكون رؤُوسهم كبيرة او صغيرة على حدٍ سوى وكذلك اصحاب العقول المعتدلة تكون رؤُوسهم كبيرة او صغيرة

ديون حكومات اوربا

اذا قسم دين الحكومات المختلفة على عدد النفوس فيها خصَّ النفس في كلٍّ منها ما ترى في هذا الجدول

	جنيه	شلن
في البرتغال	٣١	١٢
« فرنسا	٣٠	١٧
« اسبانيا	٢٠	٦
« هولندا	١٨	١١
« بريطانيا	١٦	١٣
« ايطاليا	١٥	١١
« بلجكا	١٥	١١
« اليونان	١٢	١٧
« المجر	١١	٥
« مصر	٩	١٤
« رومانيا	٩	١٣
« السرب	٦	١٥
« روسيا	٦	٣
« تركيا	٦	١
« اميركا	٥	١٨
« النمسا	٥	١٥
« نروج	٤	١٩
« الدنمارك	٤	١٦
« اسوج	٣	١٣
« البلغار	٢	١٥
« المانيا	٢	٢
في اليابان	١	٣
« سويسرا	١	٢

وعليهِ فاثقل دين الحكومة على السكان في بلاد البرتغال وفرنسا واسبانيا واخفهُ في سويسرا واليابان والمانيا ولكن لا بدَّ من اعتبار ثروة السكان ايضاً لان الشعب الكثير الثروة لا يستثقل الدين كالشعب القليل الثروة

بوارج الدول

عند الدول الحربية الآن من البوارج التي من الدرجة الاولى والبوارج التي من الدرجة الثانية والجوالات المدرعة والجوَّالات الكبيرة الموقية ما ترى في هذا الجدول وقد عبَّرنا عن البوارج بحرف ب وعن الجوَّالات المدرعة بحرف جم وعن الجوَّالات الموقية الكبيرة بالحروف جمك

	ب ١	ب ٢	جم	جمك
بريطانيا	٢١	١٢	٦	٢٠
فرنسا	٥	٧	٨	٣
روسيا	٢	١٥	٢	٢
المانيا	٦	٤	٢	٠
اميركا	٥	٤	٠	٤
اليابان	٤	٢	٦	٠
ايطاليا	٠	٣	٧	٢

ويُرَى من ذلك ان عند بريطانيا من البوارج الكبيرة التي من الطبقة الاولى ٢١ بارجة وعند سائر الدول البحرية ٢٢ بارجة .

وعند بريطانيا من الجوَّالات الكبيرة الموقية ٢٠ جوَّالة وعند سائر الدول ١١ جوَّالة . اما البوارج التي من الدرجة الثانية فعند روسيا منها اكثر مما عند انكلترا وكذلك الجوَّالات المدرعة عند فرنسا منها اكثر مما عند انكلترا . ثم ان انكلترا تبني الآن ست بوارج من الدرجة الاولى وثماني جوَّالات مدرعة

الانتقاد او التحليل

سألنا سائل كريم عن كيف نترجم higher criticism. فاجبناهُ في باب المسائل في هذا الجزء اننا جرينا على ترجمة هاتين الكلمة بكلمة الانتقاد او الانتقاد المحص ونرى الآن اننا لو استعملنا كلمة تحليل لهذا المعنى لكانت اقرب الى المراد لان الغرض من هذا الانتقاد البحث عن كتب التوراة من حيث تأليفها وتاريخها وصحة ما جاء فيها وقد غالى علماء الالمان في هذا الموضوع وتابعهم بعض الانكليز والاميركيين . وكتب القس تشين في جزء يناير من مجلة القرن التاسع عشر مقالة مسهبة مبنية على كتاب للعالم ونكلر الالماني قال فيها ان ابرهيم واسحق ويعقوب اسماء معبودات قمرية وضعها الذين كانوا يعبدون القمر وان سارة زوجة ابرهيم هي ابنة القمر ولذلك فهي اخت ابرهيم وان معنى اسم لابان حمي يعقوب القمر ومعنى ليا وراحيل الهلال والبدر ومعنى دينة ابنة ليا الزهرة وهي واخوتها الستة اسماء ايام الاسبوع . ويوسف معبود شمسي وكذلك داود وشاول اسمان لمعبود قمري وهلم جرا من المزاعم التي يصح ان يطلق عليها اسم التحليل او التضليل

هدايا البابا

تقدَّر قيمة الهدايا التي أُهديت الى قداسة البابا في عيد يوبيله بمليونين من الجنيهات ومنها الماسة الكبيرة التي اهداها اليهِ الرئيس كروجر وثمنها ثمانمئة الف جنيه وهي اكبر ماسة في الدنيا ومنها خاتم من جلالة السلطان ثمنهُ عشرون الف جنيه

السل والنور الازرق

جاء في احدى الجرائد النمسوية ان ميكروب السل الرئوي يموت بالنور الازرق في نصف ساعة فيجمع النور الكهربائي الساطع بعدسيةٍ زرقاء على صدر المسلول فتخترقهُ اشعة النور الازرق حالاً وتمر على ميكروب السل في رئتيهِ وتقتلهُ . ولم يذكر في هذه الجريدة فعل النور الازرق بخليات الجسم لعلها تقتلها كما تقتل ميكروب السل فيكون ضررها اعظم من نفعها

القطن المصري

بلغ الوارد الى الاسكندرية من القطن المصري حتى آخر ابريل ٦٤٤٥٠٩٥ قنطارًا يقابلها في العام الماضي ٥٠٥٩٢٥١ قنطارًا فقد ثبت الآن ان الموسم الاخير بلغ ستة ملايين ونصف مليون من القناطير

فهرس الجزء الخامس من المجلد السابع والعشرين



مجلة علمية صناعية زراعية

لمنشئيها

الدكتور يعقوب صرُّوف والدكتور فارس نمر

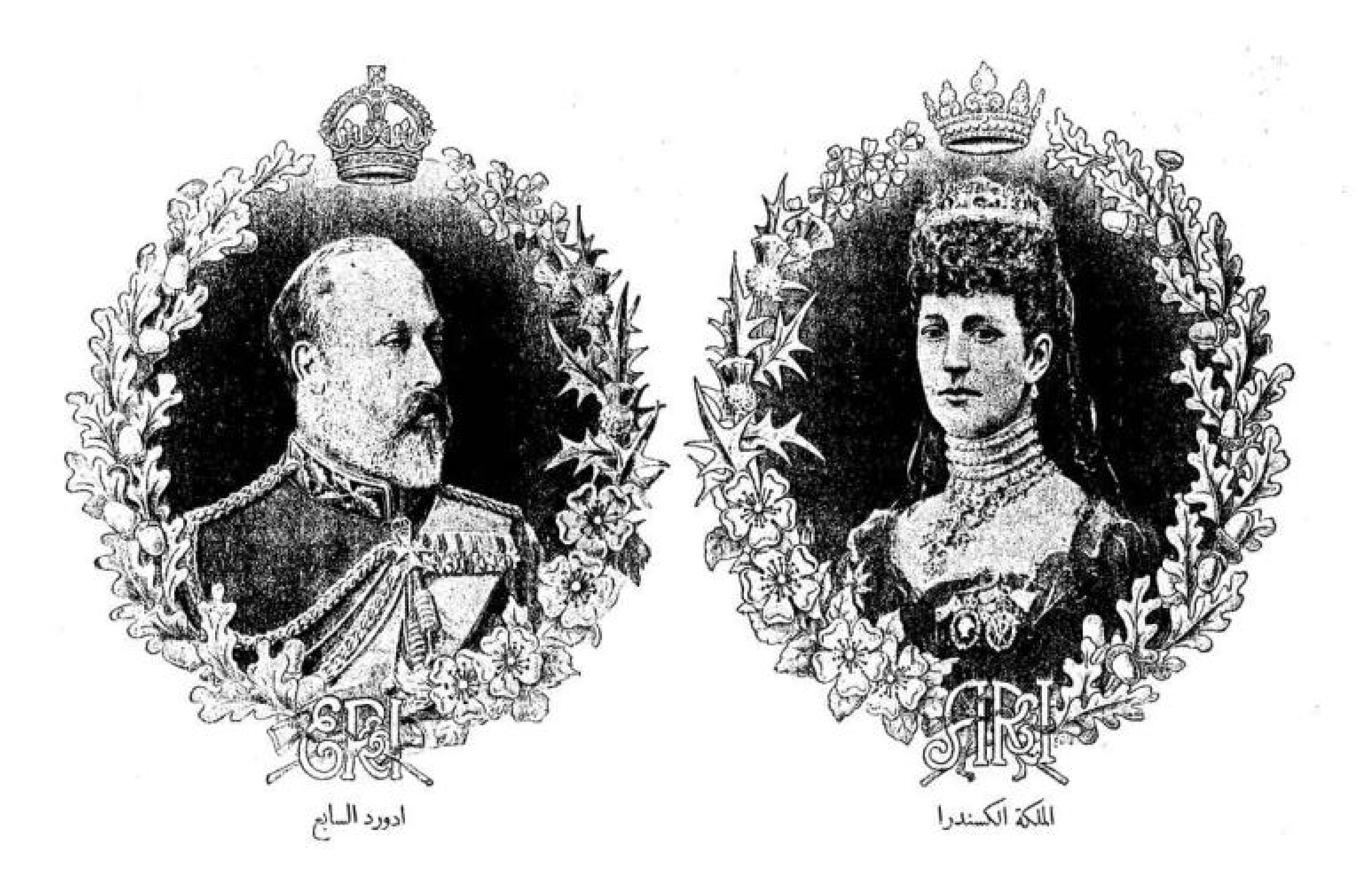
AL-MUKTATAF

A MONTHLY ARABIC SCIENTIFIC REVIEW

EDITED BY DR. Y. SARRUF

VOL LXX. No 5

FOUNDED 1876 BY DRS. Y. ṢARRUF & F. NIMR



الملكة الكسندرا

ادورد السابع

المقتطف

الجزء السادس من المجلد السابع والعشرين

١ يونيو (حزيران) سنة ١٩٠٢ — الموافق ٢٤ صفر سنة ١٣٢٠

تتويج ملك الانكليز

يصل هذا الجزء الى القراء ومدينة لندن اكبر عواصم الدنيا قائمة قاعدة استعداداً لتتويج ملكها ولا بدَّ من ان تنشر الجرائد اليومية وصف ما يجري من الاحتفال وقت التتويج فرأينا ان نمهد لهُ تمهيداً وجيزاً في هذا الجزء ذاكرين بعض ما تفيد معرفتهُ من هذا القبيل فنقول

ولد الملك ادورد السابع في قصر بكنهام في التاسع من نوفمبر سنة ١٨٤١ فهو كهل الآن في الحادية والستين من عمرهِ ودرس في مدرسة اكسفرد الجامعة وفي مدرسة كمبردج ومدرسة ادنبرج الجامعة ونال من كلٍّ منها لقب دكتور في الشرائع المدنية وأُعطي هذا اللقب من مدرسة دبلن ومن مدرسة كلكتا. والذين طالعوا خطبهُ في المقتطف في بعض الحفلات العلمية كالحفلة باستلام تمثال هكسلي والحفلة بانشاء التذكار للسرجون لوز رأوا فيها ما يشفُّ عن رغبة صحيحة في العلم وميل طبيعي الى اكرام اهلهِ كأنهُ ورث ذلك عن المرحوم والدهِ ويقول المحققون ان لهُ مشاركة في كل العلوم والفنون على انواعها

واقترن سنة ١٨٦٣ بالبرنسيس الكسندرا ابنة ملك الدنمارك ولهما الآن ابن وحيد وهو برنس اوف ويلس وثلاث بنات اثنتان منهما متزوجتان وواحدة عزباء

ويتوَّج ملوك الانكليز في كنيسة وستمنستر. وهي من افخم كنائس الانكليز واقدمها بناها الملك ادورد المعترف سنة ١٠٥٠ وكان قد نذر ان يزور قبر بطرس الرسول في رومية ثم منعهُ رجالهُ عن ذلك فبنى هذه الكنيسة غربي لندن بدلاً من زيارة رومية وتمَّ بناؤُها سنة ١٠٦٥ وهي اول كنيسة مصلَّبة في مدينة لندن

وتتويج الملوك حديث في اوربا ابتدأ سنة ٨٠٠ للميلاد حينما توَّج البابا ليون الثالث الملك

تشارلمان واول مَن تُوّج من ملوك الانكليز في وستمنستر هو وليم الظافر توج في ٢٥ دسمبر سنة ١٠٦٦ ثم توج فيهِ سائر الملوك الذين جاءوا بعده كما ترى في هذا الجدول

تتويج وليم الظافر سنة ١٠٦٦	تتويج هنري السابع سنة ١٤٨٥
« وليم روفس « ١٠٨٦	« « الثامن « ١٥٠٩
« هنري الاول « ١١٠٠	« ادورد السادس « ١٥٤٧
« اسطفانوس « ١١٣٥	« ماري « ١٥٥٣
« هنري الثاني « ١١٥٤	« اليصابات « ١٥٥٩
« البرنس هنري « ١١٧٠	« جمس الاول « ١٦٠٣
« ركاردس الاول « ١١٨٩	« تشارلس الاول « ١٦١٦
« يوحنا « ١١٩٩	تعيين كرومول حامياً « ١٦٥٧
« هنري الثالث « ١٢٢٠	تتويج تشارلس الثاني « ١٦٦١
« ادورد الاول « ١٢٧٤	« جمس الثاني « ١٦٨٥
« « الثاني « ١٢٩٦	« وليم وماري « ١٦٨٩
« « الثالث « ١٣٢٧	« حنة « ١٧٠٢
« رتشرد الثاني « ١٣٧٧	« جورج الاول « ١٧١٤
« هنري الرابع « ١٣٩٩	« جورج الثاني « ١٧٢٧
« هنري الخامس « ١٤١٣	« جورج الثالث « ١٧٦١
« « السادس « ١٤٢٩	« جورج الرابع « ١٨٢١
« ادورد الرابع « ١٤٦١	« وليم الرابع « ١٨٣١
« رتشرد الثالث « ١٤٨٣	« فكتوريا « ١٨٣٨

فقد تتوَّج في هذه الكنيسة كل ملوك الانكليز وملكاتهم من حين انشائها الى الآن وتتوَّج فيها ايضاً نساء ملوكهم من عهد الملك وليم وماري سنة ١٦٨٩ ومن ثم وضعت كرسي للملكة بجانب كرسي الملك

ولا تقتصر هذه الكنيسة على انها الهيكل الذي يتوج فيهِ الملوك بل هي ايضاً المدفن الذي دفن فيهِ ملوك الانكليز وكثيرون من عظمائهم من الوزراء مثل فوكس وبامرستون وغلادستون والعلماء مثل نيوتن وستانهوب وهرشل والشعراء مثل شكسبير وملتون وبوب والاطباء مثل هنتر ودافي ويَنغ

وهي من اكبر الكنائس كما تقدَّم طولها من الخارج مع ما يتصل بها ٥٣٠ قدماً وارتفاع البرج الغربي من برجيها ٢٢٥ قدماً وطول الرواق الاوسط من اروقتها ١٦٦ قدماً وعرضهُ ٣٠ قدماً وارتفاعهُ ١٠١

وفي صباح يوم التتويج يسير الملك والملكة بموكب حافل جدًّا الى هذه الكنيسة فيدخلانها والمرتلون يرتلون فصلاً من مزامير داود حيث قيل فرحتُ بالقائلين لي الى بيت الرب نذهب هناك استوت الكراسي للقضاء كراسي بيت داود اسألوا سلامة اورشليم ليسترح محبوكِ ليكن سلام في ابراجكِ راحة في قصوركِ. ويجلسان في كرسيهما ويتقدَّم رئيس اساقفة كنتربري ويلتفت الى الجهات الاربع ويخاطب الجمع قائلاً ايها السادة اني اقدم اليكم الملك ادورد السابع ملك هذه المملكة الذي لا ريب فيهِ فهل تشاؤون ان تخضعوا لهُ. فينادي الجميع قائلين ليحيَ الملك ادورد ويرتلون الترنيمة الوطنية ويكون احد الاساقفة حاملاً التوراة والكاس والصحفة فيضعها على المذبح ويُبسَط للملك بساط مزركش بالذهب على درج المذبح فيتقدم ويركع عليهِ ويقدم تقدمتهُ الاولى وهي بساط مذهب وشذرة من الذهب وزنها رطل ويه لي رئيس الاساقفة ويعظ اسقف لندن ويقسم الملك يمين الطاعة لدستور المملكة على هذه الصورة

رئيس الاساقفة — أتعِدُ وتقسم ان تحكم شعب الممالك المتحدة بريطاليا العظمى وارلندا والاملاك التابعة لها حسب القوانين التي اقرَّ عليها مجلس النوَّاب وحسب شرائع البلاد وعاداتها

الملك — نعم اعد بذلك

رئيس الاساقفة — اتبذل كل جهدك في اجراء القانون بالعدل والرحمة في كل احكامك

الملك — نعم

ثم يسألهُ رئيس الاساقفة عمَّا اذا كان يبذل جهدهُ في الاحتفاظ بحقوق الكنيسة الانكليزية . ولا ندري هل يطلب منهُ ما طلب من امهِ او يوجز فيهِ حسبما طلب اصحاب الكنائس الاخرى

ثم ينهض عن كرسيهِ ويمشي وسيف المملكة محمول امامهُ حتى يصل الى المذبح فيركع ويضع يدهُ على الانجيل ويقول اني اقوم بما وعدتُ بهِ الآن فليساعدني الله . ويمضي صورة اليمين ويعود الى كرسيهِ ويطلب رئيس الاساقفة من الله قائلاً اللهمَّ الاب القدوس الذي بالمسح بالزيت جعل الملوك والكهنة والانبياء يعلّمون شعبك اسرائيل ويحكمونهم بارك وقدس خادمك ادورد الذي سيمسح الآن بالزيت ويكرَّس ملكاً لهذه المملكة . قوِّهِ بالروح القدس المعزي وثبتهُ بروحك الملكي روح الحكمة والولاية روح المشورة والقوة روح المعرفة والصلاح واملأهُ يارب



صورة الملكة فكتوريا وهي تقسم على التوراة وقت تتويجها

بروح الخوف الطاهر من الآن والى الابد آمين

ويقوم الملك ويتقدم الى المذبح ثانية محفوفاً باعوانهِ ويلبس حلّة من الارجوان وينتقل من هناك الى كرسي الملك ويجلس عليهِ ويحمل اربعة مظلّة فوق رأسهِ ويصبُّ رئيس الاساقفة قليلاً من الزيت المقدَّس في ملعقة ويمسح بها قمّة رأسهِ وراحتي يديهِ وهو يقول انك تُمسح ملكاً كما مُسح الملوك والكهنة والانبياء . وكما مسح صادوق الكاهن وناثان النبي سليمان ملكاً كذلك تمسح انتَ وتبارَك وتكرَّس لهذا الشعب الذي اعطاك الرب الهك لتملك

ثم يقدَّم لهُ المهازان وسيف المملكة فيرد المهمازين الى المذبح ويعطي السيف الى من يضعهُ في الخزانة ويقدَّم لهُ سيف آخر فيعطيهِ الى رئيس الاساقفة فيضعهُ هذا على المذبح ويطلب من الله الطلبة الآتية

اسمع طلباتنا يارب واعضد خادمك الملك ادورد لكي لا يتقلّد السيف عبثاً بل يستعملهُ كخادم لله لارهاب عمّال الشر وقصاصهم وحماية عمّال الخير ومساعدتهم . ثم يأخذ السيف من على المذبح ويمشي معهُ الاساقفة فيسلّمهُ للملك قائلاً خُذ هذا السيف الملكي الذي أُتي بهِ اليك من مذبح الله وسلّمك اياهُ اساقفة الله وخدامهُ. فاجرِ بهِ العدل وامنع نمو الشر وارحم الارامل والايتام وجدّد ما حلّ بهِ الخراب واحفظ ما تجدَّد واصلح ما اختلّ وثبّت ما هو صالح لكي تتمجَّد في كل فضيلة

ويعيد الملك السيف الى المذبح ثم تقدَّم لهُ الحلة الملكية والكرة ويخاطَب هكذا : خذ هذه الحلة وهذه الكرة وليملأك الرب الهك بالمعرفة والحكمة والعظمة والقوة وليلبسك ثوب البر ورداء الخلاص

ثم يلبسهُ رئيس الاساقفة خاتم الملك ويضع في يمنهِ صولجاناً وعلى رأسهِ صليب قائلاً اقبض على صولجان الملك رمز السلطة والعدل. ويضع في يسارهِ صولجاناً آخر على رأسهِ حمامة قائلاً هذا قضيب الانصاف والرحمة والله الذي منهُ كل مشيئة طاهرة وكل مشورة صالحة يرشدك ويعينك في القيام بالمهام المنوطة بك كن رحوماً ولكن لا تكن مبيحاً واعدل ولكن لا تنسَ الرحمة احكم بالعدل ووبخ بالانصاف ولا تراعِ وجوه الناس . حط المتكبّر وارفع المتواضع وقاصّ الشرير واحمِ البار وقُد شعبك في الطريق الذي يجب ان يسيروا فيهِ واقتدِ بمثال من قال عنهُ النبي داود احببتَ البر وابغضت الاثم قضيب استقامة قضيب ملكك

وحينئذٍ يقف رئيس الاساقفة امام المذبح ويمسك تاج القديس ادورد بيدهِ ويقول اللهمَّ الذي يتوّج عبيدهُ الامناء بالرحمة والمحبة انظر الى عبدك هذا ادورد الملك الذي حتى

رأسهُ امام عظمتك المقدسة وكما تضع على رأسهِ اليوم تاجاً من الذهب الابريز افض نعمتك السموية على قلبهِ وكللهُ بكل الفضائل السامية التي يزدان بها المنصب العالي الذي رفعتهُ اليهِ

وياتي دِيَن وستمنستر بالتاج فيأخذهُ رئيس الاساقفة منهُ ويضعهُ على رأس الملك. وتركع الملكة امام الملك فيضع تاجاً على رأسها ثم يجلس على عرشهِ وتجلس هي على عرشها بجانبهِ وحينئذٍ يضع امراءُ المملكة وعظماؤها تيجانهم على رؤُوسهم

ثم يقدم رئيس الاساقفة نسخة من التوراة الى الملك ويطلب منهُ ان يرتشد بارشادها وينصحهُ نصائح أُخرى ويقسم لهُ يمين الطاعة قائلاً انا فلان رئيس اساقفة كنتربري (ويعيد هذا الكلام سائر الاساقفة ذاكراً كلٌّ منهم اسمهُ) اكون اميناً مخلصاً لك ايها الملك ولخلفائك الملوك والملكات. ويتلوهُ وليُّ عهدهِ واخوهُ وسائر الامراء ثم الاعيان من رتبة دوق ومركيز وارل وفيكونت وبارون ويرفعون تيجانهم عن رؤُوسهم حينما يلمسون يدهُ

ويتلو ذلك الاشتراك بالاسرار ثم يخرج الملك والملكة ويعودان الى قصرهما وتاجاهما على رأسيهما ولا يلبسان التاج قبل تتويجهما رسميًّا

واكثر حفلة التتويج ديني كانها حفلة دينية محضة مثل سيامة اسقف او قسيس ويقول كثيرون من الانكليز ان لملكهم صفة دينية يكتسبها بهذا التتويج او التكريس ولهم في ذلك مجادلات كثيرة

والكرسي الذي يجلس عليهِ الملك وقت تتويجهِ قديم من عهد الملك ادورد المعترف تحتهُ حجر يقال انهُ الحجر الذي نام عليهِ يعقوب ابو الاسباط في برية لوز نُقل الى اسبانيا اولاً ثم الى ارلندا وكان ملوك ارلندا يجلسون عليهِ حين تتويجهم. ونقل من ارلندا الى اسكتلاندا سنة ٣٣٠ قبل الميلاد ونقلهُ الملك ادورد الاول الى لندن سنة ١٢٩٠. وقيل بل هذا الحجر من مصر وهو شبيه بالحجر الذي قطع منهُ عمود السواري في الاسكندرية. والكرسي من خشب السنديان قائم على اربعة اسود رابضة واعلى ظهرهِ مثلث فيهِ نتوات بارزة منهُ

ولامراء الانكليز تقاليد قديمة يجرون عليها في هذا الاحتفال فواحد منهم يدعي ان لهُ الحق ان يسقي الملك خمرًا في كاس من الذهب ويأخذ الكاس اجرتهُ وواحد يدعي ان بهِ يناط حمل المنديل الذي يمسح بهِ الملك يديهِ قبلما يأكل وواحد انهُ يأتي الملك بصقرين قبل يوم تتويجهِ ونحو ذلك من المزايا التي يتوارثها امراء الانكليز خلفاً عن سلف

اما نظام الموكب في سيرهِ الى كنيسة وستمنستر فعلى ما كان وقت الاحتفال في تتويج الملكة فكتوريا هكذا

فرقة من الحرس الخاص (لَيف غاردز) . مركبات وكلاء الدول وسفرائهم حسب اقدميتهم .
اثنتا عشرة مركبة ملكية يجر كلاًّ منها ستة جياد وفي كل منها اربعة من رجال البلاط .
فرقة من الحرس الخاص (لَيف غاردز) وفرقة من الفرسان واركان الحرب ثلاثة ثلاثة ثم
اركان حرب الملك واناس آخرون من حاشيتهِ وبطانتهِ وستة من جيادهِ يقودها اثنا عشر من
السيَّاس ورجال غيرهم من قواد الجيش

ثم مركبة الملك والملكة يجرها ثمانية من الجياد المطهمة ووراءها قواد آخرون وفرق من الحرس وكبار رجال البلاط ورؤساء الاساقفة والامراء اعضاء العائلة المالكة وهم بالارجوان الملكي وتيجانهم محمولة امامهم وكذلك العائلة المالكة وهلمَّ جرًّا الى آخر الموكب

ولبس اعيان الانكليز للتيجان وقت تتويج ملكهم عادة قديمة فان كل واحد من الاعيان رجالاً ونساء من رتبة دوق الى رتبة بارون (لورد) يلبس تاجاً خاصًّا برتبتهِ حينما يوضع التاج على رأس الملك . وحبُّ التحلي قديم في نوع الانسان لان الحلى قبل الحلل كما ابنَّا غير مرة اي ان الناس كانوا يلبسون الحلى قبلما صاروا يلبسون الثياب ولا يخفى ان الرجال قلَّلوا من استعمال الحلى الآن ولكن النساء اكثرن من استعمالها ولذلك بقي حبها في نوع الانسان فلا عجب ان اتجهت عناية اعيان الانكليز في هذه الايام الى عمل التيجان الجديدة واصلاح القديمة لا سيما وان تسعة اعشارهم لم يلبسوا تاجاً قط لطول الزمن الذي عاشتهُ ملكتهم ولانهم لا يلبسون التاج الاَّ في تتويج الملوك او اذا رقوا الى درجة الاعيان حديثاً . والنساء منهم وقعنَ في حيرة ولا حيرة الضب لان الزي المتَّبع الآن في عقص الشعر لا يسهل معهُ وضع التاج فوقهُ ولا يسع المكان غلماناً يوضعون التيجان على رؤُوس سيداتهم كما كانوا يفعلون قبلاً فطلبنَ ان يؤذن لهنَّ في وضع تيجانهنَّ قبل المجيء الى حفلة التتويج لان وضعها يقتضي عناية خاصَّة امام المرآة او يد الماشطات ولا يبعد ان يجاب طلبهنَّ او طلب بعضهنَّ

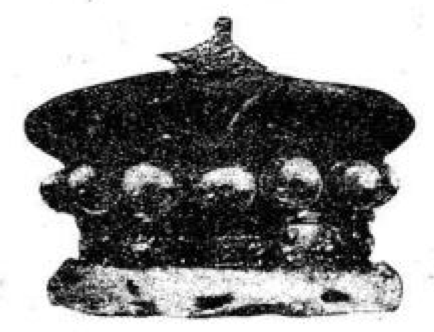
اما تاريخ تتويج الاعيان فمختلف فيهِ قال بعضهم ان الملك هنري الثالث اول من سمح بلبس التاج للذين في رتبة الارل وهنري الثامن اول من سمح بهِ للذين في رتبة الفيكونت وتشارلس الثاني للذين في رتبة البارون . وقال آخر ان السر روبرت سسل ارل سلسبري اول من لبس التاج وذلك سنة ١٦٠٢ في تتويج الملك جمس الاول وقال غيرهُ بل ان لبس التاج للذين في رتبة الارل سُمح بهِ في عهد الملك ادورد الثالث

ولما سُمح بلبس التيجان للاعيان كانوا يتأنقون فيها حسبما يشاؤُون فيلبس الارل تاجاً مثل تاج الدوق او افخر منهُ اذا شاء لكن الملك تشارلس الثاني ميَّز بين تيجان الاعيان وحدَّد لكل

فريق منهم تاجاً خاصاً بهِ ولم يتغيَّر ما حدَّدهُ بعد ذلك الاَّ تغيرًا طفيفاً فبقيت تيجان الاعيان على حالٍ واحدة منذ نحو ٣٥٠ سنة الى الآن

وقد يُظن لاول وهلة ان التاج من هذه التيجان حلية غالية الثمن لما هو مشهور عن غنى الانكليز. وليست الحال كذلك لان التاج منها قلما يكون ثمنهُ اكثر من عشرين جنيهاً وتاج البارون مثل تاج الدوق من هذا القبيل. والتيجان كلها مصوغة دوائرها من الفضة المذهبة والقبعة التي فيها من المخمل الاحمر مبطنة بالفرو ولا يسمح بترصيعها باللؤلؤ او بالحجارة الكريمة على الاطلاق. ويفرق بينها هكذا:


تاج الارل


تاج الفيكونت

في تاج البارون ست كرات فضيَّة على دائرهِ. وفي تاج الفيكونت ست عشرة كرة وفي تاج الارل ست كرات عالية بينها ست اوراق ذهبيَّة تماثل ورق التوت النباتي (الستروبري). وفي تاج المركيز اربع كرات واربع اوراق وفي تاج الدوك ثماني اوراق لا غير. اما تاج الملك والملكة فمن الذهب الابريز كثير الجواهر الثمينة وقد كان في تاج الملكة فكتوريا من الحجارة الكريمة ما ثمنهُ ثلاثة عشر الف جنيه

قال احد الكتَّاب في مجلَّة لندن ان كثيرين من اعيان الانكليز يلبسون تيجان اسلافهم وقت التتويج وقد جربوها فلم يجدوها صغيرة بل وجدوا اكثرها كبيرًا دلالة على ان رؤوسهم مثل رؤوس اسلافهم او اصغر منها فان كان العقل يكبر بكبر الدماغ ويصغر بصغرهِ فلم تكبر عقول الاعيان بنوع عام بل بقيت على حالها او صغرت لكن الحكم على العقل من جرم الدماغ غير مثبت كما اتضح بالاستقراء على ما ابنَّا في الجزء الماضي

نشأة اوربا المدنية

وما ادراك ما هي نشأة اوربا . هي تلك النهضة العجيبة التي علا في جو التاريخ الحديث منارها فبلغت شأوًا رفيعاً عديم المثال في ما سبق . حتى اصبحت قابضةً على ازمَّة السيادة في عالم السياسة والادب والصناعة والتجارة والدين وفي كل دوائر الاجتماع الانساني مع انها اصغر القارات اتساعاً واوطأها جبالاً واقصرها انهارًا واقلها مواردًا للسعة واحدثها عهدًا في العمران

واذا ارسلنا النظر في صفحات التاريخ المعروف نرى ان الاوليَّة في السيادة والارتقاء كانت لافريقية في وادي نيلها حيث نشأت المدنيَّة وتصدَّرت افريقية في مجالسها نحوًا من الف سنة على ما يقال . وتلاها في عرش السيادة المدنيَّة اسيا في وادي الفرات حيث نشأت الدول الاشورية فالبابلية فالمادية فالفارسية نحوًا من الف سنة ولكنها مع اتساع دائرة سلطانها لم تبلغ شأو العظمة المصرية في الادبيات وفروعها

وسنة ٣٣٢ قبل التاريخ المسيحي رفعت اوربا اخمصها وداست كبرياء اسيا وسلبت منها صولجان الرئاسة وذلك في معركة اربيلا التي فيها احرز الاسكندر فوزًا مبيناً على داريوس الفارسي وظلت اوربا الشرقية الجنوبية حامية الميدان في سوق المدنية والآداب نحوًا من الف سنة . ولا نشطُّ عن الصواب اذا قلنا بتفوُّق الامَّة اليونانية في هذه الفترة على الامَّة المصرية وعلى كل الامم السالفة في كل اركان الحضارة والآداب

ثم نشأت في الجنوب الغربي من اسيا قوَّة جديدة عجيبة هي قوَّة العصبية الاسلامية وهذه ايضاً كان لها دور مهم ونازعت اوربا الرئاسة المدنية والادبية وغلبتها في الاثنتين فنشرت الويتها بسرعة غريبة على شطوط البحر المتوسط الشرقية والجنوبية اعني انها امتلكت غربي اسيا وشمالي افريقية . وعبرت بوغاز جبل طارق وامتدت في الجنوب الغربي من اوربا المعروف ببلاد اسبانيا . ولا زالت حتى بلغت جبال البرينز الفاصلة بين اسبانيا وفرنسا . وعبرتها قاصدة امتلاك فرنسا وسائر اوربا ولكنها ارتدت من هنالك راجعة بعد ان اسست في بلاد الاندلس (اسبانيا) ملكاً اثيلاً فدارت حول اوربا وهاجمتها من الجانب الشرقي الجنوبي فافتتحت القسطنطينية ومكدونيا وبلغاريا والفلاخ والسرب والبوسنه والهرسك حتى بلغت اسوار فينا عاصمة النمسا ومن هناك ارتدت ايضاً

وحينئذٍ انبلجت انوار النشأة الاوربية وبزغت اشعَّة التاريخ الحديث الذي فيه اصبحت

اوربا مالكة اعنَّة السيادة العمومية من غير منازع . ولا نعلم الى متى يكون هذا الانفراد لها ومن سيخلفها في ميدان السيادة

وليس من غرضي الآن النظر في التمدن الاوربي من حيث هو ولا في اسباب الانحطاط المدني في اسيا. انما اقصد البحث في اسباب النشأة الاوربية الحديثة على قدر ما يمكن من الاختصار وادعو تلك الاسباب اركاناً . وهي حرية بالبحث عنها والتمعن فيها نظراً لما في ذلك من اللذة العقلية والفائدة العملية

والبحث عن العلل من غريزيات الطبع البشري . فانك اذا رأيت شجرة كبيرة الحجم غليظة الساق طويلة الفروع زاهية زاهرة تعلم ان وراء تلك النضارة الخارجية جذوراً عميقة متشعبة قد انبثت في التراب الى اعماق متباينة استمدت منهُ الغذاء وارسلتهُ في قنوات داخلية معينة لهذا العمل حسب حكمة باريء الوجود . وان تلك القوة هي علة ما ترى في الشجرة من العظمة والنضارة

والتمدن الاوربي او المدنية الاوربية تلك الشجرة العظيمة الطويلة الاغصان الناضرة الزاهرة التي يتآوى في اظلالها اكثر من اربعمئة مليون اغصانها القوات السياسية واوراقها القراطيس المالية وازهارها الآداب والفنون واثمارها الحياة المدنية المنتظمة لا بدَّ لها من جذور عميقة منبثة في تربة التاريخ قد استمدت لها القوة للخصب والنماء . وسأتحرى البحث في تربة التاريخ لاكتشاف الاسباب المعدة والمتممة بحسب تفاوتها بعداً عن ظهور النشأة الحديثة وتأثيرها فيها

الركن الاوَّل المدارس

اريد بها المدارس التي أُنشئت في اوربا حسب نظام مخصوص لتكون موارد الآداب والفنون وقد قصدها جماعات الدارسين حيناً بعد حين واستقوا من سواقيها مياه الحياة الادبية الصافية . ولربما تكون المدارس من اعمق الجذور في شجرة النشأة الاوربية واعظمها تأثيراً فيها لانها ضاربة في اعماق التاريخ الى قلب القرون المظلمة . فان مجمع طليطلة المنعقد سنة ٥٨٦ لاغراض دينيَّة قد حثَّ على انشائها . ولكنها لم تبرز الى حيز الوجود او تندرج في سلك الانتظام الى عهد شارلمان امبراطور الدولة الرومانية الغربيَّة التي انقسمت بعد وفاتهِ الى فرنسا وايطاليا والمانيا فلمَّا ابتغى شارلمان ترقية داخلية مملكتهِ عمد الى انشاء المدارس وتعزيز جانبها لانهُ رأى بثاقب رأيهِ انها من خير الوسائل لبلوغ الارب . وذلك يوضح لنا انهُ كان في ذلك الامبراطور عقل واسع وقلب حكيم يعز وجودهما في غيرهِ من العظماء في اجيال التاريخ الماضية وبهذا الاعتبار كان شارلمان الكوكب الساطع في ليل الاجيال المظلمة يشعُّ على روابي اوربا انوار المعارف الادبية . وقد ساعد شارلمان في عملهِ المبرور هذا الاسقف الكوين البريطاني

والاسقف اكلبنصس الارلاندي لكن نُسِبَ العمل اليهِ وحده لما لا تخفى على اللبيب معرفتهُ. وفي كل الحوادث التاريخية نقف على حوادث عظيمة نُسبت الى بعض محدثيها دون الذين لهم اليد الطولى في ايجادها . وليس ذلك من اغراض بحثنا هذا

ومع ان شارلمان اسَّس المدارس لم تبلغ في ايامهِ ارق ذرى مجدها بل بلغت ذلك بالنمو التدريجي الذي هو المنهج الطبيعي في كل ذوات الحياة ولم تبلغ الشأو الرفيع حتى بعد وفات منشئها بثلاثة قرون وكان عصرها الذهبي القرن الثالث عشر والرابع عشر كما سيجيءُ

ومات شارلمان وانقسمت دولتهُ وحبط مشروعهُ الثيوكراتيكي (المشروع الثيوكراتيكي عبارة عن انشاء مملكة تعم جميع العالم تحت رئاسة الله) لكن عملهُ لم يمت ومشروعهُ الادبي لم يحبط بل انتج اكثر مما قصد منهُ اذ لم ينحصر فعلهُ في فرنسا وجيرانها بل عم اوربا جمعاء وانتشر منها الى كل العالم . ففي سنة ١١٠٩ مسيحية أُنشئت مدرسة كمبردج وسنة ١١١٩ مدرسة بولونيا وسنة ١١٤٩ مدرسة اكسفرد وما زالت المدارس تنشأُ واحدة فواحدة حتى بلغت في القرن الرابع عشر نحو ٦٤ مدرسة جامعة في اوربا (اتب جامعة اخذتهُ المدارس سنة ١٢١٥ من البابا انوشنسيوس ا منها ١٥ في فرنسا و ١١ في ايطاليا و ١٥ في المانيا و١٢ في انكلترا والبقية في بقية اقسام اوربا

وكان فن اللاهوت عمدة العلوم المدرسيَّة كما كان اللاهوتيون عمدة الاساتذة في المدارس والعلوم السبعة التي كانت تعتبر يومئذٍ انها دائرة المعارف وهي النحو والبيان والمنطق والحساب والهندسة والفلك والموسيقى كانت توابع لعلم اللاهوت تدور حولهُ كما تدور السيارات حول الشمس وتستمد منهُ نورها وحرارتها اما علم الطب والكيمياء فكانا في حيّز الخفاء وجل مباحثهما خرافيٌّ عقيم

وفي اواخر القرن الثالث عشر اتسعت دائرة العلوم بادخال مبادئ جديدة الى باحات المدارس . ومن ثمَّ انقسم اساتذة المدارس سنة ١٢٨١ الى ثلاثة اقسام هم اللاهوتيون والاطباء والفقهاء . ولا زالت دوائر البحث تتسع وتوسّع معها دائرة العقل الانساني الى ايام باكون الفيلسوف الانكليزي ومن ثم نشأت المبادئ الطبيعية ودخلت المدارس في طور جديد هو طورها الحالي الذي نراها فيهِ

وكل ناقدٍ خبير يستطيع ان يدرك لاول وهلة تأثير المدارس في اعداد اوربا للنهضة الحديثة . فقد انارت العقول والاذهان وشحذتها وثقفتها وشحنتها من جوهر الحقائق النفيسة . واحيت الهمم العالية وبثت في صدور البرابرة الالمانيين المبادئ الادبية السامية . فجهزت اوربا

برجال العقول — رجال العمل — رجال الحزم — رجال الافكار — الذين لهم اليد الطولى في احياء معالم الفضيلة اذ اوروا زناد الفكرة فاضرموا نيران المعارف الجليلة وشمروا عن ساعد الجد وراء الاعمال الخطيرة ومن اهمها الاكتشافات العلمية والاختراعات . كاسلاك البرق وآلات البخار وما يبنى عليها مما لا يسعنا المقام ذكرهُ من الاعمال المفيدة التي توَّجت اوربا بتيجان الفخر والظفر . وكل ذلك او اعظمهُ على الاقل كان من اعمال طلبة المدارس الذين رفعوا اوربا برؤُوس اقلامهم السيَّالة في اعين جميع الامم وقرنوا ذكرها بالفخر والاجلال في سائر الاقطار والامصار واحلوها المحل السامي في كل الدوائر المدنيَّة . فاضحت اوربا القارة الصغيرة موردًا في كل الكرة الارضية يقصدها الظامئون الى مياه العلوم والآداب

ولا ريب في ان المدارس منار الانسانية وعنوان المدنيَّة جامعة اشتات الاذهان وعماد السيادة والارتقاء . قارنة العلم بالعمل . فاينما حلَّت المدارس حلَّت السعود والمفاخر وايان علا منارها تبرَّج وجه الزمان حتى اننا بكل حقٍ نقيس مدنيَّة كل قوم بمدارسهم وعلومهم والحال الحاضرة خير شاهد لصدق ما اقول

الركن الثاني . السيادة والفروسية

السيادة او النظام الاقطاعي المسمَّى عند الاوربيين بالفيودلازم هي نوع خاص من الهيئة الاجتماعية نشأَت في اوربا على اثر انحلال عضد الامبراطورية الشارلمانية . على ان ذلك النظام لم يبلغ شأوهُ الاَّ بين القرن الحادي عشر والقرن الثالث عشر الذي خُتم بسقوط ذلك النظام سقوطًا قانونيًا على انهُ استمرَّ في بعض الاقسام الاوربية بعد ذلك طويلاً

وماهية ذلك النظام هي ان الملك كان رئيس البلاد تحت سيادة الباري سبحانهُ . لكنهُ كان ملكًا بالاسم والرسم فقط والملك الحقيقي او الملوك الحقيقيون في البلاد هم السادة الذين كانوا ملاَّك الاراضي وارباب السلطان المطلق عليها وعلى العاملين فيها . وكانوا يقاطعون خدامهم عليها وكان اولئك الخدم ارقاء لاسيادهم يبيعونهم ويشترونهم مع الاراضي كما تباع الابقار والدواب التابعة لها

وحين يدخل اولئك المقاطعون او بالحري الارقاء الفلاَّحون في خدمة سيدهم كانوا يحلفون يمين الطاعة لهُ كما كان يحلف اسيادهم يمين الطاعة للملك متعهدين بالقيام بخدمة سيدهم كل حياتهم والمحاماة عن حياتهِ واملاكهِ الى آخر نقطة من دمهم . فكان السيد يبني قصرهُ في وسط اراضيهِ فيسكن في الطبقة العليا ويترك السفلى وما يحيط بها لسكن العبيد الذين هم الفلاحون مع الابقار والخيول وبقية الحيوانات الداجنة

وبهذا الاعتبار كان الملك يمثل الشمس والسادة حوله كالسيارات والفلاحون حول اسيادهم كالاقمار حول سياراتها

اما الفروسية فهي جمعية فرسان غايتها المحاماة عن حقوق الكنيسة والمظلوم والقاصر ومع ان هذه الجمعية نشأت قبل شارلمان فقد كانت مرتبطة بالنظام الاقطاعي حتى قال احد المؤرخين ان الفيود لازم ام الفروسية وقائدتها فقامت بحياتها وماتت بموتها نظراً لارتباط المقصد بينهما وتبادل المصلحة كما يتبيّن ذلك من نظامها وهو على ما ياتي

كان يعد الولد دنيئاً بموجب شرائع الفروسية الى الحادية عشرة من عمره ومنها الى الحادية والعشرين يحسب شريفاً وفي ذلك السن (الحادية والعشرين) يسوغ له ان يدخل طغمة الفرسان على الاسلوب الآتي : في يوم تعينهُ الطغمة وفي حضرة اعضائها وجمهور غفير يركع طالب الفروسية تحت السيف ويسمع عظة دينية حماسيَّة وبعد استماعها يقدم متعهداً بتكريس نفسهِ للدفاع عن الكنيسة والضعيف وعندها يأخذ السيف ويقبلهُ ويلبسهُ فيحسب فارساً . والامر واضح ان الفرسان كانوا ساعد السيادة وعمادها الذي عليهِ ترتكز وبهِ يُشد ازرها . كما كانت السيادة مورد الخصب والسعة للفرسان ومنها يستمدون قوتهم وامجادهم . والخلاصة ان النظامين كانا مرتبطين معاً . وقد نمت السيادة وبنموها نمت الفروسية واتسع نظامها . وكلاهما انتهى بانتهاء الحملات الصليبية واخليا الميدان للملكية التي كانت تنمو على التوالي وحيث نمت وتقوَّت شوكتها كانت تضعف السيادة والفروسية حتى تلاشتا اخيراً

ومع ان النظام السيادي والفروسية قد زالا باكراً فلا يسع المنصف ان يتخذ ذلك دليلاً على عدم تعلقهما بالنهضة المدنيَّة الحديثة . بل ارى ان نفس زوالهما هو الدليل على علاقتهما بتلك النهضة لانهما بموتهما اعطيا مكانهما وقوتهما لعامل آخر بعمل باسمهما وقوتهما فاحدث النتائج التي نحيا الآن بعدها . وكما ان الجذور لا يُتخذ اختفاؤها دليلاً على عدم علاقتها بالشجرة كذلك نظام السيادة والفروسية لا يحسب انقضاؤها دليلاً على عدم علاقتهما بالنشأة الاوربية . لانهُ من المؤكد ان هذه النشأة هي نشأة ادبية مدنية فكل ما ساعد على ترقية هاتين النقطتين او احداهما فهو من اركان تلك النشأة بلا امتراء . واي خبير في تاريخ اوربا يستطيع ان ينكر المساعدة الكبرى التي امدَّت بها هاتان الجمعيتان الهيئة الاجتماعية الاوربية . فانهما كانتا حاضنتين للاستقلال الشخصي ومرضعتين روح المروءة والشهامة . فربَّتا المؤاساة والايثار . وكل عاقل يستطيع ان يدرك اهميَّة الاستقلال الشخصي في النشأة الاوربية . ذلك المبدإ السامي — مبدإ النخوة والحمية — مبدإ الشرف والشهامة — حياة العمل — حياة الاجتماع —

روح الفضل الذي ما سكن قلباً الاَّ قدَّسهُ واعدهُ لحلول اجلى عرائس المدنية والآداب . فكل بلاد ساد فيها روح الاستقلال الشخصي والمروَّة والشهامة لا يقوى عليها مانع يمنعها عن الارتقاء

ولا يخفى على الفطن ان اعتماد الانسان على نفسهِ بعد الله هو اس النجاح الحقيقي وان استعمال القوَّة الشخصية هو حياة المدنيَّة وغذاء تلك الحياة . فقد عاشت الهيئة الادبية في ظل السيادة والفروسية فسلمت بذلك من نوازل الخشونة البربريَّة لان هذا النظام كان حاجزاً حصيناً ضدَّها . وحفظت مركزها في الهيئة الاجتماعية واضحت وسيلة لاعلاء شأن اوربا في القرون التالية . واذا كنَّا نحسب رفعة المرأة اكبر مساعد بل اكبر العوامل في احداث النشأة الاوربية فالفضل في رفعتها وصيانة حقوقها عائد على نوع ما الى نظام الفروسية الذي كان في القرون المظلمة عمادها الوحيد . وعليهِ فقد كانت الفروسية حلقة متوسطة بين الهمجيَّة والمدنية او البرزخ الذي عليهِ مرَّت قبائل اوربا من طور الهمجية الى طور التهذيب ودماثة الاخلاق

الركن الثالث الحروب الصليبيَّة

هي اشهر الحوادث في التاريخ المتوسط واغرب الاعمال في التاريخ العام . وقد شغلت هذه الحوادث اقلام كثيرين من فلاسفة المؤرخين والكتَّاب في القرون الحديثة . فمدحها البعض وذمَّها آخرون على انهُ ليس من غرض هذه المقالة مدحها ولا ذمَّها بل تبيان علاقتها بالنشأة الاوربيَّة الحديثة

الحروب الصليبيَّة نتيجة عوامل عديدة متنوّعة وهي نقطة اجتماع مجارٍ كثيرة من حوادث التاريخ . منها التعصُّب الديني والبغض العميق المتأصّل بين اهل المشرق واهل المغرب الناشئ عن تنازع البقاء فقد انتشرت الديانة المسيحيَّة في العالم ونشرت معها الادعاء بانها صاحبة السيادة الدينيَّة وقد نجحت في دعواها اذ قلبت التمدن الروماني والديانة الوثنيَّة التي كانت مقترنة بهِ وحلَّت محلهما وصارت ديانة اكثر العالم المعروف حينئذٍ اي جنوبي اوربا وغربيها وشمالي افريقية وغربي اسيا والشمال الغربي منها . ولكن بعد ظهورها بنحو ستمئة سنة ظهرت الديانة الاسلامية مدعية السيادة الدينية كالمسيحية ومدعية ايضاً مدَّعًى آخر لم تجاهر بهِ المسيحيَّة وهو حق استلام السياسة العامَّة . ومع ان الديانة المسيحيَّة لم يكن قبضها على ازمَّة السياسة من مبادئها الاساسيَّة بل حصلت عليهِ من جملة التوفيقات الملائمة لرفع كلمتها وانتشارها عزَّ عليها ان تتساهل للاسلام بتسليم صولجان الملك . ولما احسَّت انهُ تنازعها السلطة على العالم المتمدن ورأت رأي العين بريق الاسنَّة والنصال تحت راية الاسلام وان بنودهُ واعلامهُ تخفق في بلاد فبلاد حتى حلَّ الجانب الاعظم من العالم المتمدّن اوجست خيفة منهُ وقد زاد الطين بلَّة ان

الدم البربري كان لم يزل حامياً في عروق القبائل الطوطونيَّة ونظام الفرسان زاد شبان اوربا عتوًّا وعنفوانًا حتى اذا طرقت مسامعهم الاخبار المكدّرة عن اخوانهم في الشرق من وطنيين وزوّار ودوت في انحاء اوربا اصوات الاستغاثة بالسنة الرهبان والرؤساء الروحيين هاجت اوربا وماجت وشهرت على الشرق والاسلام حربًا عوانًا غرضها الاول استخلاص الارض المقدسة من ايدي المسلمين فجيِّشت الجيوش وشنت الغارات وكرَّت على المدن السورية من انطاكية الى اورشليم كرات متوالية الواحدة بعد الاخرى تلقتها جنود المسلمين بالهمة العلياء والغيرة الشماء والتحمت بين الفريقين المعارك الدموية زهاء المئتين من الاعوام . وماذا كانت النتيجة ؟ الانفصال التام بين اوربا واسيا على ان تلك النتيجة انما كانت ظاهرية وقتية اما النتائج الكبرى التي فازت بها اوربا فهي اولاً انتقال آثار الآداب والفنون اليها من المشرق . وذلك يتبين من ملاحظة حالي اوربا مدنيًّا قبل هذه الحملات وبعدها. فاذا راجعنا اسماء الكتّاب الاوربيين في القرون الثلاثة التاسع والعاشر والحادي عشر يندر ان نجد بينهم من يستحق لقب عالم او فيلسوف في الوقت الذي كان العرش العباسي في دار السلام (مدينة بغداد) مكتنفاً بحلقات الشعراء والمترجمين ومزدانًا بكواكب الفلاسفة والمؤلفين الذين وجدت العلوم اليونانية ملجأً لها في صدورهم ومغانيهم في زمن فتوّة اوربا وهمجيتها . ولكن بعد الحروب الصليبية زاد عدد المشاهير الذين نبغوا في كل ممالك اوربا فقد عاش فن الشعر والتمثيل في فرنسا وبريطانيا والمانيا. ودخلت مدارسها طورًا جديدًا وبزغت في تلك الاقطار انوار المعارف المنبعثة عن قرائح الفلاسفة . ومن المقرَّر ان ذلك لم يحصل بالصدفة العمياء لان الصدفة اسم لا مسمى لهُ في تاريخ الاجتماع البشري . ولم يكن ذلك لمجرَّد نموٍّ بسيط في المدارس الاوربية الشارلمانية . ولم تكن المدارس الاوربية لتبلغ ما بلغتهُ في القرن السادس عشر لو لا اتصالها بعالم المعارف الشرقي واطلاع رجال العلم في اوربا على افكار اسلافهم اليونان من جديد . وقد حملهم ذلك على نقلها الى بلادهم ولغاتهم لان روح الشهامة الذي جرى في نفوسهم مجرى دمائهم في عروقهم ابى ان يسمح لهم ان يرضوا بالخذلان في عالم الفضل الادبي . فترجموا وصنفوا وقابلوا والفوا ونقحوا حتى اصلحوا مدارسهم ومعارفهم وابلغوها ارقى الذرى

ومن المعلوم ان الحملات الصليبية لم تقتصر على جرّ الفوارس الى سواحل اسيا بل كانت مصحوبة بكثيرين من الباحثين والمنتقدين الذين كان جل قصدهم وغاية مناهم الوقوف على اسرار الارتقاء في المشرق . وكان همهم في استلاب تيجان الفخر الادبي من اسيا ليس باقل من رغبة اخوانهم المجتهدين في استخلاص بيت المقدس من ايدي المسلمين. فكان اذا تماس اوربا

باسيا في تلك الفترة نقطة تمغنط ادبي نقل الى اوربا من اسيا كهربائية الافكار فاهتزت الباب رجالها وجرت في ميدان الحياة الادبية بقوة جديدة

وقد خدمت الحملات الصليبية اوربا من وجه آخر غير ما تقدم وهو انها صدّت عنها غارات الاتراك ريثما تمكّنت من جمع قوتها وتهذيبها ولولا ذلك لنشر لواءهم في فينا وبرلين وباريس ولندن ورومية وكانت حالة تلك المدن الآن اشبه بحالة دمشق وطهران وهرات والقاهرة وتونس قبل الربع الاخير من القرن الماضي وكانت ممالك الرين اشقى حالاً من وادي الفرات والنيجر في هذه الايام. ولكن لما برزت قوّة اوربا التي كانت مستترة عن اعين الفاتحين واندفقت كتائب الفرسان من قلب فرنسا والمانيا الى سواحل اسيا اندفاق السيل العرم ودوت في اسماع مناظريهم في الشرق اصوات الطبول وحمحمة الخيول وقعقعة السيوف وخفقت في سهول الاناضول وسورية الاعلام الصليبية وشاهد المشرق من اوربا ما لم يكن منهُ في حسبان اذ رأى كثيرين من الامراء والملوك قد غادروا القصور والعروش تاركين النعيم ليكونوا قوادًا ومجاهدين في تلك الحملات اقشعرّت ابدان ابنائهِ وسكتوا عن النفع المطلوب واضحى الصلح والتخلص من كرّات اوربا ضالتهم المنشودة والمغنم الذي يجرون وراءهُ . وبعد ما انقضت تلك الحملات بمدّة مئتي سنة لمّا عاودت الاتراك النخوة وهمّوا بشن الغارة على اوربا كانت استعداداتها قد تكاملت وكلمتها قد توحّدت واحساساتها قد تمازجت بما احدثتهُ هذه الحملات في اعضائها من التآلف والتواد فاستطاعت ان تصد هجماتهم عن اسوار ڤينا كما ردّت سابقاً الاعراب عن حدود فرنسا

وكان الحين قد حان لنمو الفرع القوطي في اسبانيا وتقويتهِ فتمكّن من اخراج العرب من الاقطار الاندلسية كافةً وبذلك امنت جبال بيرانيز وسهول بيدامونت شر الغزوات . وتفرّغت افكار ساكني تلك الاقطار للاكتشافات الجغرافية التي جرّت لاوربا اسنى المفاخر . وكانت قد امتلأت افكار الاوربيين من التصورات الحديثة فاتسعت عقولهم وسمت مداركهم حتى صار يشار اليهم بالبنان وقبضوا بيد حديدية على زمام الفضل الادبي في القرن الثالث عشر قرن العلوم والغرائب والفرسان والابطال القرن الذي حبل بالنهضة الاوربية الحديثة

(ستأتي البقية) خادم الانسانية

عروسة النيل

الفصل السابع عشر

لجأ اوريون الى مخدعهِ يلتمس العزلة فيهِ ويبتغي السكينة في خلوتهِ لكن همومهُ لازمتهُ فتنازعتهُ عوامل الاضطراب وتقاذفهُ القلق والجزع وتمثل الشقاء لعينيهِ وامتلأ قلبهُ يأساً وكأن لعنة ابيهِ حلّت عليهِ فلا تتزحزح عنهُ وسدى وحاول النوم فلم تغمض عيناهُ وكيف تغمض عينا من غادرهُ القدر فريسة للهمّ والغمّ غضب الحبيب ولعنة الوالد وفرط الحزن وارتكاب الاثم.

فاخذ يمشي في غرفتهِ ذهاباً واياباً ثم خلع رداءهُ واستلقى على سريرهِ وهو يتنهد من اعماق فؤادهِ تنهد الحزين التعيس وانار القمر الغرفة فستر عينيهِ لئلاً تقعا على ما يكره رؤيتهُ فيزيد عذابهُ واشتدَّ بهِ اليأس فحدثتهُ نفسهُ ان يتناول سيفاً ماضياً ويقتل نفسهُ فيستريح من تعاستهِ ثم انفتح الباب فرأى شبحاً ابيض يدنو منهُ فجمد الدم في عروقهِ لكنهُ لم يلبث ان استعرف القادم فاذا هو ماري ابنة اخيهِ فصاح بها مغتاظاً

— ماذا تطلبين فانتفضت الفتاة وجمدت في مكانها ثم مدّت ذراعيها كالمستغيث وقالت

— سمعتك تتأوّه وعلمت اني علة شقائك فلم استطع النوم فاتيت . . . . .

— فعودي الآن الى غرفتكِ ونامي فلن تسمعي صوتي بعد . اما هي فهزت رأسها وقالت وهي تبكي

— لا اعود حتى تغفر لي ثم اسرعت اليهِ وطوقت عنقهُ بذراعيها وقبلت خديهِ وجبينهُ فاحس بشعور غريب وكأن نفورهُ زال باسرهِ فدمعت عيناهُ وذهل عن حزنهِ وشقائهِ وظلاّ كذلك بضع دقائق ثم امسك يدها وقال

— ولكنك محمومة يا ماري والبرد يؤذيكِ . ثم لفّها بردائهِ والعبرات تجري على خديهِ وقال سكني روعكِ الآن وعودي الى مخدعكِ اما انا فسأتجلّد واتمالك نفسي ولست اجهل انك لم تبغي اذيتي فيما فعلتِ ولست بناقم منكِ

— لا استطيع النوم يا عمّاهُ حتى ابوح لك بجميع ما في نفسي . فاعلم اني فعلت ما فعلت لا لقصد الايقاع بك ولكن انقاذاً لباولين وانت ادرى مني بحب جدي لها وبما كان لها من المنزلة الرفيعة في عينيهِ فشق عليَّ ان يموت وهو يحسبها سارقة كاذبة وخيل لي ان السكوت في مثل تلك الساعة جريمة لا تغتفر ويشهد عليَّ مخلصي ان غايتي الوحيدة كانت تبرئتها ولو سكت لمت

— احسنتِ في ما فعلتِ فعمك غريق فلا يخاف من البلل واما باولين فملاك طاهر فقد ظهر حقها وانفضحت براءتها ولما كان حبي لها يفوق الوصف فقد سامحتك عن طيبة نفس وساحبك اضعاف حبي قبل فانا في حاجة الى الاحباء والاَّ باتت حياتي عبئاً ثقيلاً عليَّ فقد كلفتني حماقتي خسارة اعزّ الناس اليَّ فافهمي ما قلت وقبليني وعودي فارقدي. فقالت ماري

— اتحب باولين هذا الحبَّ المفرط وكاترينا

— تجاوزي عنهما واستفيدي من امري حكمة فقد ارتكبت في ساعة طيشٍ اثماً واردت اخفاءهُ فارتكبت اثماً آخر وآخر حتى صارت هذه الآثام جبلاً انقلب عليَّ فسحقني وصرت اتعس الناس بعد ان كنت من اسعدهم وتعكر صفاء عيشي وخسرت باولين ولو اقترنت بها يا ماري لكان عمكِ الآن اسعد خلق الله ولكن لا سبيل الى ردّ ما فات فاذهبي الآن ومتى كبرتِ يسهل عليكِ ادراك هذه الامور

— لقد ادركتها تماماً فاذا كنت تحب باولين كما تقول فعلامَ لا تميل اليك وانت جميل محبوب وفي طاقتك ان تقوم باعمال عظيمة فباولين تحبك اذًا . . . . اتغضب اذا قلت

— قولي

— لو درت باولين بما تقاسيهِ من الشقاء وايقنتْ انك طيب السريرة لم ترتكب الاثم سوى مرة واحدة لغفرت لك ذنبك ويلوح لي انا الطفلة الجاهلة ان مثالك مع جدّي مثل الابن الشاطر المذكور في الانجيل فقد افترقتما على غيظ

— ولكنهُ لعنني

— كلاَّ فانا احفظ جميع ما قالهُ فقد اشار الى فعلتك السيئة وفاه بتلك الكلمات المخيفة وامرك بالانصراف من وجههِ

— وما الفرق بين الملعون والمطرود

— بينهما فرق كبير فقد اصاب في غيظهِ واسفهِ لكنَّ الابن الشاطر صار اعزَّ ابني ابيهِ اليهِ فذبح لهُ العجل المسمَّن وغفر لهُ وسيغفر لك جدّي في السماء وتغفر لك باولين فانا اعرف الناس بها وسترى صحة قولي نعم ان كاترينا تحبك ولكنها طفلة مثلي فاذا كلمتها برفق واعطيتها هدية سنية تعزَّت نعم انها تستحق العقاب على شهادة الزور ولكن قصاصها اخفُّ من قصاصك على كل حال

فوقعت كلمات تلك الفتاة الطاهرة في قلب عمها وقوع الندى على العشب اليابس فانعشتهُ وردَّت اليهِ بعض الحياة والعزم ولما انفصلت عنهُ اخذ يردّد اقوالها لنفسهِ ويعجب بها

الفصل الثامن عشر

كان تحنيط الجثث وحرقها محظورين على اهل ذلك الزمان بامر الملوك ورجال الدين وكان على اهل الميت ان يسرعوا في دفنهِ الاّ الشرفاء والاعيان فان جثثهم تطيَّب وتعرض في احدى الكنائس التي بناها الميت او انفق عليها من مالهِ وكان المقوقس قد اوصى بدفن جثتهِ في كنيسة ماري يوحنا في الاسكندرية مدفن ابيهِ لكن حمام الزاجل الذي نقل خبر وفاتهِ الى البطريرك عاد ينقل امرهُ الى المطران بدفن المتوفى في مدفن امرتهِ في منف لاسباب يصعب معها العمل بوصيتهِ

وبعد وفاتهِ بيومين احتفلت المدينة بدفنهِ وكان موكب الجنازة مهيبًا مشي فيهِ اهل منف ووفود البلاد كأن على رؤوسهم الطير وجاء عمرو بن العاص واعوانهُ من الفسطاط فشهدوا الحفلة دلالة على ما كان للفقيد من المنزلة في عيونهم ولما عبروا الجسر ساروا ببطء تحف بهم الهيبة والوقار فاتجهت اليهم الانظار وكان لملابسهم وخوذهم ودروعهم وجيادهم اعظم اثر في الموكب ولما فرغوا من الجنازة استحثوا جيادهم وعادوا من حيث اتوا كأنهم السهام اطلقها الرامي وحجبهم الغبار عن ابصار الجمهور فلم يسمع سوى قرقعة حوافر خيولهم وكلهم امراة في مجدهم ومنعتهم لا تستطيع اعظم الممالك على ردّ غاراتهم

ووقف اوريون الى جانب عمرو فطوقتهما الجماعة ورمقتهما الابصار معجبة بهما هذا بطول قامتهِ وهيبتهِ وسكينتهِ وذاك بجمالهِ وشبابهِ وحسنهِ وكان عمرو محدقًا الى ما امامهُ لا يلتفت يسرة ولا يمنة كأنهُ طود من الرواسي امَّا اوريون فكان ينظر الى من في الموكب حتى اذا ما وقع نظرهُ على باولين انقشع بعض الهم عن جبينهِ لكنَّ سمات الغيظ لم تمحَ ولم تخفَ علة غيظهِ على عمرو واهل منف بعد ان رأوا ما رأوا من عدم اكتراث رجال الدين لوفاة ابيهِ وعميدهم وقلة من شهد الجنازة منهم اذ لم يمشِ امام مركبة الميت سوى المطران وكاهن واحد ونفر من المرغين

ولمَّا بلغوا المدفن انزلوا الجثة وفاه المطران بتأبين وجيز وعقبهُ المرغون فجاء ترنيمهم ضعيفًا خافتًا لكنهم لم يكادوا يفرغون حتى ارتفعت اصوات ذلك الحشد الغفير واشتركوا في ترنيم ترنيمة الجنازة حتى دوى السهل باصوات الالوف ولم تسمع مدافن منف في الدهر الغابر رثاء كالذي رثى بهِ المصريون المقوقس ولم يخف على عين عمرو النقادة تقصير رجال الدين فقال بصوت جهوري

— اراهم يطلبون ان يكفّر الميت عمَّا فعلهُ الحيُّ بالاتفاق معنا حبًا بمصلحة بلادهِ وخيرها. فاجاب اوريون

— ذلك امر البطريرك ولكن ورحمة ابي ان يوماً يقفل فيهِ بنيامين ابواب السماء في وجه افضل الخلق ليكوننَّ يوم شؤْم عليهِ . فقال عمرو

— اما نحن فمفاتيح الجنة في قبضات سيوفنا فجئني يوم السبت فلي كلام معك وتعال نحو غروب الشمس فاذا لم تجدني فانتظرني ريثما اعود ولمَّا قال ذلك وضع يدهُ على عنق جوادهِ فتقدم اوربون يريد اسعافهُ فسبقهُ عمرو وامتطى صهوة الجواد كأنهُ فتىً ثم اشار الى اتباعهِ بالانصراف

وكانت باولين واقفة مع السيدة نفورس في باب المدفن وهما بحيث تسمعان ما دار بين الرجلين فقرأَت في وجه اوربون ما راعها وكأن وفاة ابيهِ وما تلاها من الحوادث بدلتهُ تبديلاً فلما فرغوا امسكت بيد نفورس وسارت بها الى المركبة وعادت ومرضعها الى البيت وكانت اثناء الطريق تفكر في جميع ما رأَت وسمعت ولم تفارقها صورة اوربون وقد وقف امام المدفن ورفع ذراعهُ الى السماء واطبق يدهُ واقسم قسمهُ وعلمت انهُ رآها ولم تنسَ ما اورثتها تلك النظرة من خفقان القلب فحارت في امرها ولم تهتدِ الى الخطة التي تجري عليها في المستقبل فكانت تارة تقرُّ على الابتعاد عنهُ وطوراً تحنُّ اليهِ وترثو لحالهِ فترى من الواجب عليها ان تأخذ بيدهِ وتدلهُ على السبيل الذي يجب عليهِ سلوكهُ وظلَّت كذلك وهي لاهية عن حديث المرضع حتى وصلت الى البيت فشاقتها سكينتهُ وشعرت بالراحة منذ وطأَت عتبتهُ فرأَت ان سعادتها لا تتمّ فيهِ ما لم تقطع يدها جميع ما يربطها باوربون واهل بيتهِ فعزمت ان تنقطع عن التفكير بهِ وان تطرح عنها ما دار في نفسها من الميل اليهِ او عنهُ

وكان البيت الذي اختارتهُ جامعاً لاسباب الراحة وهناء العيش والسكينة تلك السكينة التي طالما اشتهتها ايام إقامتها في بيت خالها وزادها تعلقاً بهِ قربهُ من دير الراهبات وكون رئيسة الدير صديقة لوالديها عرفتهما في القسطنطينية وحافظت على ولائهما طول حياتها فلما لقيت ابنتهما في منف عنيت بامرها كأنها ابنتها

وكان اهل البيت آية في اللطف وكرم الاخلاق فافرغوا عليها الرعاية والاكرام وكان روفينس شيخاً وقوراً كلل الشيب هامتهُ لكن ثلج المشيب لم يبلغ صدرهُ ولا برَّد عواطفهُ فظلَّ طروباً رقيق المعشر كريم الفؤَاد وديعاً كالطفل جريئاً لا يخشى في الحق لومة لائم وهو على ايسارهِ يحب العمل يكره البطالة وزوجتهُ نحيلة القوام صفراء الوجنتين على وجهها مسحة من جمال شبابها محبة لزوجها قائمة على خدمتهِ تستسهل الصعب في سبيل مرضاتهِ وتنفق قواها في استكمال معدَّات راحتهِ حتى قال الطبيب انها تبحث عن قشةٍ في طريقهِ فترفعها من مكانها لئلاَّ تعوق سيرهُ

ورزقا ابنة وحيدة اسمها هيلانة مليحة الشكل هيفاء القوام بعينين زرقاوين وشعر طويل ذهبي فهذه اذ رأت امها تبذل جهدها في خدمة ابيها وان لا عمل لها في البيت حسبت وجودها فيهِ مما لا فائدة منهُ فعزمت على التخلي عن العالم والترهب في الدير المجاور هذا على شدة حبها لابويها واستعدادها لبذل حياتها في مرضاتهما امَّا ابوها فاعترضها في ذلك بقولهِ ان اجلهُ قريب فلا بدَّ من رفيقة لزوجتهِ تتعهدها بالعناية والحبّ بعد وفاتهِ فلمَّا جاءت باولين الى بيتهم تعلقت بها نفس هيلانة ورأت فيها مثالاً للكمال والجمال واللطف فصارت تقضي معظم وقتها في عشرتها والباقي في مساعدتها على العناية بالجريحين اي رستم والفتاة مانداني فان الطبيب ارتأى نقلهما من بيت المقوقس بعد وفاتهِ لصعوبة تمريضهما فيهِ فخاطب روفينس بشانهما وفاوضهُ في تقدير الاجرة ونحوها فاجاب الآخر

— اهلاً وسهلاً بهما واذا رغبت باولين في البقاء معنا فلتبقَ على الرحب والسعة على شرط ان تنفصل ساعة تريد ذلك او نريدهُ اذ قد يحدث ان يعسر الاتفاق بين مثلها وامثالنا لتفاوت اقدارنا اما مسألة الاجور فتولَّ تعيينها ولا تخجل فاذا صدق ظني فالسيدة باولين تفضل ان تقوم بدفع نفقاتها على ان يمنَّ عليها امثالنا بها وهي على ما تعرف من عزَّة النفس ومتى ادَّى المرء نصيبهُ من نفقات البيت احسَّ انهُ واحد من اهلهِ

فسرَّ الطبيب لكلامهِ ونقلهُ الى باولين فارتاحت اليهِ ولم يطل بها المقام حتى تحققت صحة قول الشيخ

الفصل التاسع عشر

وبعد ان تناولت باولين طعام العشاء في مساء يوم الجنازة نهضت تريد البستان فرافقها روفينس وهيلانة اليهِ وكانت الشمس قد اوشكت ان تغيب وهي ترشق اشعتها على الازهار والاوراق فتزيدها رواء وبهاء فجلسوا الى جانب ساقية (ناعورة) يديرها ثور وحمار فينصب ماؤُها في صهريج ويجري منهُ في جداول متفرقة في انحاء البستان وفاح اريج الازهار فضوَّع الهواء واستولت السكينة فلم يعد يسمع سوى ترنيم الراهبات في الدير فدارت هيلانة الى مصدر الصوت واصغت اليهِ فاشار ابوها الى باولين وقال

— هناك كنزها وقلبها ولعلهُ خير الامور لها ولكنَّ الله لا يشاء ان يتخلى الولد عن والديهِ

— صدقت ولا شيء يمنعني عن الترهب سوى املي بلقيا ابي فان نفسي تتوق الى سكينة الدير كما تتوق نفس هيلانة اليها وقد كنت قبل نزولي في بيتكم تعيسة حزينة فلمَّا اتيتكم خفَّ بعض ما بي من الهمّ وساقني هنا ما طلبتهُ هناك واشارت الى بيت الوالي ثم قالت تأمل ابنتك

فهي في موقفها مثال الطهارة تنبعث منهُ التقوى والفضيلة ولولا خشيتي ان ازعجها لشاركتها في صلواتها قالت هذا وسارت الى طرف البستان الآخر وتبعها روفينس حتى بلغا السياج فانصت شيئاً ثم قال

— اراهم يحاولون ثغر السياج ايضاً فقد فاجأتُ امس احد العبيد متلبساً بالفعل فخالت الاشواك دون قبضي عليهِ وأرى اليوم غيرهُ فانظريني ريثما اذهب فآتي بسوطي

ولما غاب عن بصرها سمعت من يناديها باسمها فالتفتت الى السياج وابصرت وجه فتاة مطلاً بين الاغصان المشتبكة فعرفت ان القادمة كاترينا فقالت هذه

اتأذنين لي في الدخول فلي شيء اقولهُ لك فاومأت باولين بالايجاب فانسلَّت كاترينا اليها واسرعت لتحييها ثم جمدت مكانها وارخت يديها فدنت منها باولين وقبلتها وقالت

— علامَ لا تدخلين من الباب فهوذا روفينس عائد بسوطهِ ثم دارت الى الشيخ وقالت قف فانَّ المعتدي يطلبني ولا يبغيك ولعلَّك تعرف هذه الفتاة فهي جارتك

— اتعرفينني يا فتاة

— نعم فقد رايتك مئة مرة

— ولكنك تجاهلتِني فخرقت سياجي ولم تشائي الدخول من الباب كما يفعل المعارف فسألتها باولين

— افلا تعرفين هيلانة

— طالما وددت مكالمتها ولكنَّ امي .... فقال روفينس

— وهل ترى امك فينا عيباً فتحظر عليكِ مكالمتنا

— لاسمح الله ولكن لكل امرءٍ شأن فهي لا تكاد تعرفك اذ يندر ان تراك في الكنيسة .....

— تحسبت انا من الطغاة الفجرة فقولي لها انها اثمت في ظنها فاذا كنتِ من صديقات باولين وتريدين زيارتها فتعالي من الباب لا من السياج وسترين اننا قوم لنا ما يلهينا عن الشر من العطف على العجزة والبشر ذوي العاهات وخير خدمة يخدم بها المرء باريهُ سعية في تخفيف مصائب مخلوقاتهِ فقولي هذا لامك وتعالي ما شئتِ ثم ضحك وانصرف في طريقهِ فقالت كاترينا

— لقد عرفت هذا الشيخ واهل بيتهِ واعلم كيف يقضون اوقاتهم وطالما راقبتهم من برج بيتنا لكن لا تعرفين طبع امي فاذا ابغضت احداً فلا سبيل الى ازالة كرهها وليت هيلانة صديقتي

— اذاً لكانت صداقتها من خير الامور لك وقد حان لكِ ان تعاشري من هم اكبر من ماري فقالت كاترينا

— بربك لا تقولي فيها سوءًا فهي متفردة في الاستقامة والفهم على صغر سنها ثم تنهدت وبكت بكاء مرًّا واجهشت في العويل حتى لم تستطع النطق فامسكتها باولين وسارت بها الى جميزة فاجلستها الى جانبها وطوقتها بذراعها وهي تلطف حزنها بكلامها العذب وظلتا كذلك نحوًا من الزمن نشرت فيه الظلمة جناحيها على الارض فرأت باولين ان تعود الى البيت لكنها لم تشأ ان تخلي عن تلك التعيسة وتوسلت كاترينا اليها ان تبقى معها وتصغي الى كلامها فاضطرت الى البقاء واندفعت كاترينا تحدثها بما جرى لها فاخبرتها عمَّا كان اوريون يبديه من الميل اليها وعن تحوله عن حبها ثم اسهبت في وصف تعلقها به وشدة غيرتها من باولين تلك الغيرة التي اعمت بصيرتها فشهدت شهادة زور حتى نبهتها ماري الى اثمها ففتحت عينيها ورأت الهاوية فاغرة فاها امامها الى ان قالت ولما مات المقوقس ذهبت امي الى بيتهم فرافقتها وطلبت ماري فقيل لي انها مريضة فخرجت الى القاعة التمس النسيم البارد فسمعت امي تصخب وتصيح ورأيت من الحكمة ان ابتعد عن مكانها فسرت الى الجزء المشرف على النيل وهناك عثرت باوريون وقد لبس السواد والقى رأسهُ بين يديهِ فلم يحسّ بقدومي وكان على شدة الحرّ يرتجف كمن اخذتهُ البرداءِ فرثيت لحالهِ ودنوت منهُ اعزيهِ فهبَّ واقفًا كمن لسعتهُ افعى فرأيت على وجههِ صفرة الموت وفي ملامحهِ امارات اليأس والجزع الشديدين فارتعت وانعقد لساني ثم انتفض ودنا مني فوضع يديهِ على كتفيَّ وحدّق بي طويلاً فاذا عيناهُ حمراوان كالدم وبعد هنيهة تنهد من اعماق فؤادهِ وقال

— لقد اسأتُ اليكِ يا كاترينا بحملتك على الاشتراك معي في جرمي مستعينًا عليكِ بسلامة قلبكِ وحسن نيتكِ على أنَّ حمل الاثم الذي ارتكبناهُ سقط على عاتقي فكان الجزاء مثة ضعف الجريمة قال هذا وغطى وجههُ بيديهِ وعاد فجلس مكانهُ ثم وقف وصاح قائلاً اغفري لي اذا استطعتِ ذلك فدنوت منهُ اريد تسكين بعض ما بهِ فدفعني عنهُ بلطفٍ وقال لقد حان لنا ان نفسخ خطبتنا فلستِ احبكِ كما تستحقين ولكني احبُّ فتاة اخرى حبًّا شديدًا وهي اول مَن احببت وآخر من احبُّ ولقد اتيت امرًا فظيعًا ولكني افضل احتمال غيظك والآلام المبرّحة على المثابرة على خطبتنا فاخدعكِ واخدع نفسي ثم قبَّل جبيني كانهُ ابي وانصرف الى البستان

وحينئذٍ طلعت امي ووجهها احمر كالدم فامسكت بيدي وجرَّتني الى المركبة وهي تقول يا للوقاحة والخديعة فمن لي بما يخفف وطأة مصيبتك يا وحيدتي فقد ضحوكِ على مذابح مطامعهم فاجبتها لقد علمت يا اماهُ بالامر ولن يصعب عليَّ احتمالهُ وفي الغد اتانا نيلس خازن بيتهم وفي يدهِ حق من الذهب الابريز المرصع بالفيروز واللآلي كان المقوقس قد اوصى بهِ لي فابت

امي اخذهُ وطلبت اليهِ ان يعيدهُ الى السيدة نفورس وقد سمعتها تقول ان في نيتها مغادرة منف فتقضي بقية عمرها في القسطنطينية او غيرها من مدن الروم وهكذا خسرت صداقة ماري وعشرتها فتصوري تعاستي وشقائي فاذا لم تاخذي بيدي بقيت وحيدة في منف لا صديق لي ولا انيس فلا تتخلي عني

— ساعطف عليكِ فصادقي هيلانة

— حبذا الصداقة صداقتها لو تأذن فيها امي. ثم اخذت تشكو امرها وما لاقتهُ من امها واوريون وظلت الفتاتان كذلك حتى احست باولين بالبرد ورأت القمر قد تكبد السماء فقالت هيا بنا فقد كاد الليل ينتصف فهبت كاترينا مذعورة وودعتها قائلة ساعود من حيث اتيت وستؤنبني امي على خروجي

— لن تذهبي من السياج وسآتي بروفينس فترافقكِ الى بيتكِ ونطلع امكِ على علة تأخركِ

— بربكِ لا تفعلي فهي لا تطيقك ولا تطيقهم وقد حظرت عليَّ زيارتك . قالت ذلك وعادت الى السياج فاخترقتهُ

وعادت باولين الى غرفتها وهي تفكر في حديث كاترينا وكلام اوريون فتحن لرؤيتهِ ثم تنثني فتنفر من ذلك وترى من الذل ان تستند الى اليد التي لطمتها وبينما هي كذلك ران الكرى على اجفانها فنامت ونحو الصبح رأت اوريون في رؤيا رأتهُ يدنو منها راكبًا على جواد ادهم كالليل وقد ارتدى ثياب الحداد وبدا النحول والاصفرار في وجههِ فارادت الفرار منهُ فلم تستطع حراكًا وحينئذٍ مدَّ يدهُ وانتشلها ثم اردفها وراءهُ وتقدم بجوادهِ يريد النهر فاجتاز الضفة وغاص في الماء فاخذت تتوسل اليهِ ان يعود وهو لا يجيب ثم اخذ الماء يعلوهما فطوقت عنقهُ بذراعيها وللحال تبدلت صفرتهُ بالاحمرار هذا والماء يعلو حتى غمرها الى اكتافهما وهما ساكتان تخطر لها ان تسألهُ عما اذا كانت هي "الفتاة الاخرى" التي اشار اليها في حديثهِ مع كاترينا ولكن الامواج دهمتهما وعصفت الريح وهوى الجواد الى الاعماق وسمعت اوريون يقول "انها انتِ" ثم فصلتهما الامواج فشرعت تغرق ومدَّت يديها تطلبهُ وحينئذٍ افاقت وجبينها يتفصد عرقًا فاذا بالمرضع واقفة بجانب سريرها فقالت لها

— ماذا دهاك الليلة فقد سمعتكِ الساعة تدعين اوريون دعوة الخائف ثم عدتِ فدعوتهِ دعوة المحب المشوق

الفصل العشرون

ونحو الظهيرة دخلت باولين وهيلانة غرفتي الجريحين لتغيير الضمادات كالعادة وكانت باولين

ذاهلة عمّا حولها تفكر في حلمها وتحسب لهُ الف حساب وعلمت ان اوريون سيأتي لزيارتها فعزمت عزماً اكيدًا على رفض مقابلتهِ وامرت مرضعها بان تنوب عنها ونحو الساعة الثالثة بعد الظهر اشتدَّ بها القلق فاخذت تطوف في انحاء البيت فسمعت وقع حوافر فاطلّت من احدى النوافذ لترى من القادم فابصرت فارساً يعدو بجوادهِ فحسبتهُ من اصدقاء روفينس لكنهُ لم يلبث ان ترجل حتى عرفتهُ انهُ كاتب اوريون فاستشاطت غيظاً ظناً منها بانهُ اوسلهُ بمالها وعدَّت ذلك اهانة لها ثم جاء روفينس وبيدهِ كتاب فقال لم ياتِ اوريون بل ارسل هذا الكتاب اليكِ والرسول ينتظر الردّ فاخذت الكتاب واسرعت الى غرفتها وفضتهُ فاذا فيهِ ما نصهُ

" من اوريون بن جريج المقوقس الى نسيبتهِ ابنة توما الدمشقي سلام

" كتابي هذا اليكِ حاولت كتابتهُ غير مرة فاخفقت وفيهِ اطلب نعمة واقترح اقتراحاً فاستحلفكِ باسم الرجل الذي احبكِ كابنة وتمناكِ عروساً لابنهِ ان تقرإِي ما يكتبهُ اتعس الناس اليكِ فتهبيني النعمة التي اطلبها باسم ابي

" ولست اخاطبكِ خطاب محبّ لحبيبتهِ خطاب رجل لا يهوى سوى امرأة واحدة على الارض اذلّها وخاصمها كما يخاصم الدُّ اعدائهِ فاني ساحبكِ ما دام في صدري عرق ينبض ولست بناسٍ انني خسرت ثقتكِ وحسن ظنكِ بي واعلم يقيناً انني عدمت الفرح والسرور وساعدمها الى الابد الاَّ اذا قيض الله لي بالنجاة فاتمَّ احدى معجزاتهِ في قلبكِ فقد استبدل ابي البركة باللعنة فلعن ابنهُ الذي نجّس مجلس القضاء فاخذ بثاركِ وبدد شمل الفرح من قلبي "

ولما انتهت باولين الى هذه العبارة امتقعت وادركت مغزى كلام كاترينا وفهمت علّة تعاستهِ وحزنهِ وعجبت لخالها كيف يلعن ابنهُ على حبهِ وحنوّهِ وعطفهِ وودّت لو تقف على تفصيل الامر ثم عاودت القراءة

" وقد اتيت اليكِ الآن كما انا رجل كسير القلب يمنعهُ صغر سنّهِ عن الاستسلام لليأس وتنهض بهِ همتهُ التي ورثها عن اجدادهِ الى طلب المجد تشبهاً بهم فاتوسل اليكِ ان تأذني لي بلقياكِ مرة واحدة فاذا فعلتِ فثقي انني لا افوه بلفظة تشفّ عمّا في قلبي من الوجد الذي يكاد يقتلني

" اما اموالكِ فمن الواجب اعادتها اليكِ مع ربحها الذي اثمرتهُ بعناية ابي ولا يخفى عليكِ ان العناية بالاموال في هذه الايام محفوفة بالمصاعب لان البلاد في قلق مستمرّ فلا يحسن ان تدفني هذه الاموال كما يفعل بعض القوم كما انهُ لا يحسن ان تبتاعي بها عقارات لأَن مقامك في مصر غير مضمون وقد تحتاجين الى هذه الاموال في ساعة يستحيل الحصول عليها بالسرعة

المطلوبة ولا اشير عليك بوضعها في مصارف الاسكندرية فقد ضاعت الثقة المالية بها وهي تفلس الواحد بعد الآخر ولما كانت هذه الاعمال خارجة عن شؤون النساء فانا اقترح ان يوكل النظر فيها الى لجنة مؤلفة من فيلبس وروفينس ونيلس خازننا الذي تعرفين امانتهُ وان تجتمع هذه اللجنة غداً في بيت روفينس ولك ان تشهدي الاجتماع بنفسك اذا شئتِ فاذا اتفقنا على خطةٍ فالتمس ان تمنِّي عليَّ بمقابلتكِ بضع دقائق اعيد فيها اليكِ شيئاً لهُ عندكِ قدر عظيم ثم تمنحينني غفرانكِ فاني في حاجة اليهِ فاذا قرأتِ هذا الكتاب فجودي بلفظة "نعم" ينقلها كاتبي اليَّ فآتيكِ في الساعة الثانية بعد الظهر والآن فنيلس يحمل اليكِ اليوم مالكِ وليحفظك الله ويلهمكِ الرحمة والعفو"

وكانت باولين اثناء قراءتها تنقبض نفسها مرة فتعمد الى تمزيق الرسالة ثم تحجم وتستطرد القراءة فلما فرغت من تلاوتها شرعت تفكر في رقة التعبير واهتمام اوربون بالها فوقفت امام النافذة برهة ثم دعت هيلانة واوصتها بالعناية بالجريحين فلحظت هذه اضطرابها وصارتها فسألتها عن الخبر فقبلتها باولين وتحولت الى غرفتها حيث اعادت قراءة الرسالة فرأت في تضاعيف سطورها بينات حبهِ الصادق ونيتهِ الخالصة فتحركت عواطفها ورقَّت لهُ وشعرت كأنَّ في قلبها دافعاً يدفعها اليهِ ولكنها ابت ان تدعو ذلك الشعور حبّاً فقالت في نفسها هذا تأويل حلمي الليلة فلن يأخذني الفارس معهُ الى النهر فنغرق معاً ولكني سارفعهُ الى قمة المجد وادلُّهُ على اشرف خطة في الحياة فيتبعها ثم عمدت الى صندوقها ففتحتهُ وتناولت ادوات الكتابة وجلست تريد ان تكتب اليهِ لكن عواطفها تغلبت عليها فجمدت قريحتها فنزلت الى الدار حيث كان الكاتب نائماً فايقظتهُ وكلفتهُ ان يقول لسيدهِ "نعم" ثم خطر ببالها انها لم تطلع روفينس والطبيب على اقتراح اوريون فعادت ادراجها اليهما واخبرتهما فاجابا بالايجاب

الفصل الحادي والعشرون

وفي العشية جلس روفينس واهل بيتهِ وفيلبس وباولين في البستان يتنشقون الهواء الرطب ويقضون السهرة بالاحاديث والنكات وكان البدر يمطر نورهُ على الاشباح فيكسوها حلة من الفضة والنسيم البليل يهب من الشمال فيزيد الليل بهجة والصدور انشراحاً فاقترح روفينس ان يظلوا ساهرين ليرقبوا خسوف القمر تلك الليلة فارتاح الجميع الى اقتراحهِ واخذ الرجلان يبحثان في الخسوف وكلاهما يأسف على ما تفعلهُ الكنيسة من استرسالها الى متابعة العامة في تصديق الخرافات حتى باتت تحسب امثال هذه الظواهر مما يتشاءم بهِ فعمد رجالها الى اتخاذ الحفلات والمواكب ورفع التضرعات الى الله ليدرأ شرها عن البلاد فقال روفينس

— ان تفسير الحوادث الطبيعية التي تحدث طبقاً لنواميس ازلية والتي يمكن تعيين زمان وقوعها بالضبط قبل حلولهِ واتخاذها دليلاً على غضب الله من باب التجديف كأنما عقاب الانسان وثوابهُ مرتبطان بسير الشمس والقمر فقد نمي اليَّ ان المطران والكهنة سيسيرون في طليعة الموكب مرغبين مبتهلين ليحملوا الشعب بتعلمهم هذا على الايقان بان حادثة طبيعية بسيطة لها معنًى خارج عنها . فقال الطبيب

— واذا ازداد المذنب الذي اكتشفهُ مربيَّ وضوحاً وجلاء وانتشر ذنبهُ في الفضاء فهناك الطامَّة الكبرى والمصيبة العظمى فتهلع قلوبهم وتجزع افئدتهم فقد رأيتهم اليوم كالمجانين فقالت هيلانة

— لكنَّ المذنب نذير الحرب والقحط والجوع والوباء وقالت باولين

— وهذا ما كنت اعتقدهُ فاجاب الطبيب

— وهو خطأ وعندنا الف دليل على فسادهِ ومن الاثم حمل العامَّة على الاعتقاد بهذه الخزعبلات ولا يخفى عليكما ان اضطراب الافكار وانخفاض النيل من اعظم الاسباب العاملة في تفشي الاوبئة وسترى ياروفينس صحة قولي يوم نعدُّ مرضانا بالمئات فاجاب الشيخ

— انا رهين اشارتك

ودار الحديث على الامراض والاوبئة وشدَّة اعتناء روفينس بذوي العاهات ثم نهض فيلبس لخيامهِ وانصرف الى احد مرضاهُ وبقي روفينس يحدث بما اتفق لهُ من النكات والطرف والنوادر في اسفارهِ ثم اشار الى ميلهِ الاصلي الى علم الجراحة فاخبر باولين عمَّا اتفق من الوقت في الدرس والبحث بينما كان يشتغل في علم البيان الى ان قال وترك لي عمي ثروة طائلة امنت معها جانب الفقر فتخليت عن صناعتي وعمدت الى التطبيب ثم رافقت جنود الروم الى حرب الفرس كجراح فانكسر حقي وقاسيت ما يقاسيهِ الجرحى من الآلام التي لا تطاق فزاد عزمي ثباتاً على تخفيف مصائب اخواني واسعاف ذوي العاهات بمعرفتي واموالي ولما بدا لي قصوري في الصناعة دخلت المدرسة حيث عرفت فيلبس وهو بعد فتًى وانا رجل وهناك ابتدأت صداقتنا وهو الذي رغَّبني في سكنى منف . ثم اطنب في مدح الطبيب وابدى شدة اعجابهِ بذكائهِ وهمتهِ وقال انهُ على صغر سنهِ يفوق الشيوخ حكمة وتعقلاً

ولما فرغ من حديثهِ قبضت باولين على يدهِ وقالت لو كنت رجلاً لشاركتك في اعمالك ومع ذلك فقد سمعت فيلبس يقول ان في طاقة المرأة الاهتمام بمثل هذه الاعمال وقد لقيت في بيتكم سعادة لم اكن لاحلم بها منذ شهرين فلتكن زوجتك لي امًّا وكن انت لي بمقام ابي فتهلل الشيخ فرحاً وقال

— على الرحب والسعة فانت ابنتنا فكوني اختاً لهيلانة وعليها ان تقتدي بك ثم قال
— ارفعن ابصاركنَّ الى العلاء فقد ابتدأ الخسوف وهوذا "ست" بصورة الدب يبتلع عين هورس بحسب زعم المصريين القدماء ألا ترين الظل يحجب سطح القمر فقد كان القدماء عند ابتداء الخسوف يقرعون الطبول وينفخون في الزمور ويضجون ويصرخون لعلَّهم يطردون الخبيث الذي يبتلع القمر وكان آخر ما جرى من هذا القبيل في مصر منذ اربع مئة سنة لكن المسيحيين اليوم يحطون منزلتهم فيتمثلون بعبدة الاصنام ولست اذكر بلاداً نصرانية دخلتها الاَّ رأيتهم يفعلون ما يفعله اصحابنا اليوم نعم ان ديننا نقض اديان الاقدمين لكن خرافاتهم علقت بنا فاندست في حفلاتنا. هلمَّ انظرنَ الموكب فهم يعولون كأنَّ الدب يبتلع القمر فعلاً او كأنَّ العالم سينقضي ففي قلوبهم مرض والذين يلبسونهم لباس الخوف هم في ضلال مبين

(ستأتي البقية)

الصحيح من الفراسة

الكبرياء

ان الاخلاق القديمة المغروسة في طبع الانسان اي التي مارسها اسلافهُ منذ الوف من السنين كالحب والبغض واللذة والالم والتكبر والتواضع اظهرُ فيهِ من الاخلاق الحديثة التي تخلَّق بها منذ قرون قليلة كالتديُّن والتشكيك والكرم والبخل ولذلك تُرَى ملامح الاخلاق الاولى واضحة في الوجه واما الاخلاق الثانية كالكرم والبخل فلا يظهر لها ملامح خاصة بها

والكبرياء من الاخلاق القديمة ومن اكثرها ظهوراً تجدها في الطفل والشيخ والمتمدن والمتوحش وملامحها واضحة لا تخفى على احد ولا تلتبس بغيرها ولذلك فمن اسهل الامور تقليد المتكبر المتعجرف وتمثيل صورتهِ في الحجر والقرطاس

والقدماء من اهل الفراسة استدلوا على الكبرياء كما استدلوا على غيرها من الاخلاق بشكل الاعضاء كاستعلاء العينين وارتفاع الحاجبين واتساع القدمين وحمرة الوجنتين . لكنهم لم يقتصروا على ذلك بل اعتدُّوا ايضاً بالحركات التي عليها المعوَّل الاكبر في الفراسة الصحيحة لان حركات المتكبر لا تخفى على احد ولا يسهل عليهِ اخفاؤُها . وهي على ثلاثة انواع امارات الكبرياء مع الرضى وامارات الكبرياء مع القهر وامارات الكبرياء مع الرياء وهذه الاخيرة هي الامارات التي دمثتها التربية فلم تعد خشونتها ظاهرة . ومن النوع الاول ما يأتي

رفع الحاجبين
رفع الرأس
رفع العنق
نصب القامة
النظر الى الاعلى او الى الافق
ابراز الشفة السفلى
اطباق الفم بشدة
بسط الذراعين
رفعهما فوق الرأس
وضع الكفين على الفخذين ومرفقاها بارزان الى اليمين والى اليسار
مشية الخوزلى او البخترة
تصعيد الانفاس كأنَّهُ بتعب
التبسم والضحك

هذه امارات الكبرياء مع الرضى اما امارات الكبرياء مع القهر فمنها
خفض الحاجبين
غض الطرف
اطراق الرأس وحنو القامة
اظهار التبرم كمن يذوق شيئاً مرًّا
الميل الى الاختفاء
ومن امارات النوع الثالث
خفض الراس
ابراق العينين
اظهار الاعتذار او الشكر والتوسُّل
البكاء والضحك دواليك
زم الشفتين
اضطراب الصوت

ويراد بهذه الحركات تكبير الجسم وتفخيمهُ في النوع الاول منها وتصغيرهُ وتحقيرهُ في النوعين الثاني والثالث . ومن اوضح الادلَّة على معنى الكبرياء وسائر الالفاظ الواردة بمعناها اشتقاق هذه الالفاظ فالكبرياء والكبَر والكِبْر والكبير من اصل واحد والعظَمة والعِظَم والعظيم من اصل واحد . والخيلاء من الخيال والوهم لان صاحبها يوهم غيرهُ . والعُجْب من العَجب او السرور بالنفس • والزهو والتيه والبخترة من حركات الانسان المتكبر المعجب بنفسهِ وهلمَّ جرًّا

وتجد المتكبر يبدي هذه الاشارات ويتكلَّم غالبًا بالفاظ مفخَّمة وصوت عالٍ . ولما كان ترفُّعهُ يستدعي خفض غيرهِ فتراهُ يزدري غيرهُ ويتبسم تبسُّم الازدراء . وهذا التبسُّم واضح تبرز فيهِ الشفة السفلى . ومعلوم ان خُلُقاً راسخاً في النفس وتدعو الحال الى اظهارهِ دواماً في الوجه والقامة لا بدَّ ان يبقى اثرهُ فيهما ولذلك لا تخفى هيئة المتكبر ولو لم يُظهر امارات الكبرياء بل يقال ان سيماء وجههِ تظهر كبرياءهُ ولو كان نائماً

الَّا ان الاخلاق المتصلة بالكبرياء ليست كلها من المعايب بل كثير منها من المحامد كالأَنَفة والشمم والترفُّع عن الدنايا وحب السيادة والقيادة . وهذه المناقب تبدو بنوع خاص في كثير من ابناء العظماء الذين ورثوا السيادة كابرًا عن كابر . وقد تظهر في لناس انسابهم

القريبة وضيعة لكنها من قبيل العود الى الاصل اي ان اجداد اجدادهم كانوا من اهل السودد ثم اخنى عليهم الدهر فافقرهم واذلهم لكنهُ لم يقوَ على نزع جراثيم السيادة من عروقهم فنمت فيهم حالما توفَّرت لها اسباب النماء

ومن اساليب الكبرياء العُجْب وهو افتخار الانسان بجمالهِ او بغناهُ او بحسن بزتهِ او بنحو ذلك من المزايا الطبيعية والعادات المكتسبة وقد مثَّل المصورون العجب بالمرآة كأنَّ المعجب بنفسهِ يضع مرآة امام عينيهِ ليرى فيها صورتهُ دواماً . ويقترن العجب بالغنج والدلال فتظهر هذه الاوصاف في الحيوان كما تظهر في الانسان

وما برقشة الطيور وهديل الحمام وزقاء الديوك وزمار النعام الأ من قبيل الغنج والعُجْب والدلال وقد يقترن العُجب بالقحة وينتفي منهُ الظرف واللطف فيصير عجرفة ووقاحة ودعوى عريضة . قال الاستاذ منتغزا لقد لقيت ملوك اوربا وشيوخ بعض القبائل في اميركا فرأيت من عجرفة هؤلاء وانتفاخهم ما لم ارَ لهُ مثيلاً في قصر من قصور الملوك . والتهذيب الصحيح يذهب دلائل الكبرياء ومعاشرة الناس تدعو الى خفض جناحها لان المتكبر يرى كثيرين مثلهُ ينازعونهُ السيادة والدعوى فيضطر ان يخفض لهم جناحهُ لكي يخفضوا لهُ جناحهم وبذلك تدمَّثت الاخلاق رويداً رويداً . ثم ان المتكبر مكروه مبتعَد عنهُ فاما ان يغيّر طباعهُ او يبعد ويقلى فيضعف نسلهُ او ينقرض ولذلك تجد ان العمران قد هتم انياب التوحُّش وقلَّم اظفار الخشونة ودمَّث اخلاق الجمهور

العيون الصناعية

واستنباط بديع فيها

لم تكن العيون الصناعية عند اول ظهورها مثلما هي عليهِ الآن من الاتقان بل كانت غليظة الصنع ثقيلة الوزن بعيدة الوانها عن الوان العيون الطبيعية . غير انها ما زالت تتدرج في الاتقان شيئاً فشيئاً وتنتقل رويداً رويداً من حسن الى احسن حتى اصبحت على ما هي عليهِ الآن من دقة الصنعة وخفة الوزن وجمال الالوان التي كادت تحاكي الالوان الطبيعية . ولكن مع كل ما وصلت اليهِ من التحسين لا يزال يعتورها شيء من العيوب ولا تزال في حاجة الى الاصلاح . ومن عيوب العيون الصناعية الحالية عيبان كبيران اولها عدم حركتها متى وضعت في المحجر الخالي من المقلة او ضعف تلك الحركة بالنسبة الى حركة العين الطبيعية السليمة

المجاورة لها مما يشوّه منظر الوجه ويستلفت النظر الذي اعتاد ان يرى العينين الطبيعيتين تتحركان معاً حركةً واحدةً متناسبةً . وثانيهما ما تسببهُ العين الصناعية من الألم والاذى للحجر الموضوعة فيهِ اذا كان حجمها غير مناسب لذلك الحجر او اذا كان شكل حوافيها التي ترتكز على الملتحمة المبطنة للحجر لا ينطبق على شكل تعرجات تلك الملتحمة . وهذا العيب الثاني قد يكون احياناً كثيرةً سبباً للعيب الاول اي ان العين الصناعية اذا كان حجمها وشكلها غير مناسبين للحجر الموضوعة فيهِ حجماً وشكلاً فضلاً عن انها تهيج ذلك الحجر وتؤلمهُ فهي لا تتبع فيهِ حركة العين الطبيعية المجاورة لها كما سنوضح ذلك فيما يلي

العيب الاول : عدم حركة العين الصناعية او ضعف تلك الحركة بالنسبة الى حركة العين الطبيعية المجاورة

لهذا العيب سببان إما عدم صلاحية العين الصناعية للحجر الموضوعة فيهِ كما ذكرنا وهو سبب مشترك بين هذا العيب والعيب الثاني الذي سنتكلم عليهِ وإما زوال الحركة من الاجزاء الرخوة المبطنة للحجر بعد استئصال العين . وقد استدرك الجراحون ولا سيما الرمديون منهم هذا السبب منذ استنباط العيون الصناعية وهو عهد غير بعيد وصاروا يقللون ما امكن من استئصال العين ويعوضون عنهُ ببتر جزئها الامامي وابقاء جزئها الخلفي حتى ترتكز عليهِ العضلات وتحركهُ وتحرك العين الصناعية التي توضع عليهِ . وكادت عملية استئصال العين تتلاشى في ايامنا هذه لولا وجود بعض الامراض التي لا يرجى شفاؤها الَّا بهذه العملية ومن هذه الامراض التهاب العين الفلغموني والاغليكوم المزمن المؤلم والنزفي والاورام الخبيثة الى غير ذلك مما لا حاجة الى الكلام عنهُ هنا . ولم يكتفِ رمديو اليوم بتجنب عملية الاستئصال في غير الامراض الخبيثة التي ذكرنا بعضها بل انهم نوّعوا طريقة الاستئصال متى دعت الحاجة اليهِ . وذلك انهم عوضاً عن استئصال المقلة وجزء كبير من الملتحمة والعضلات المجاورة لها كما كان يفعل الجراحون قبلاً صاروا لا يستئصلون سوى المقلة مجردةً ويحافظون على كل العضلات والاجزاء الرخوة المحيطة بها لكي يتكوَّن من هذه الاجزاء بعد التحامها كتلة متحركة ترتكز العين الصناعية عليها وتحرك معها . فيجب على كل رمدي وجراح اتباع هذه الطريقة في استئصال العين اذا دعتهُ الضرورة اليهِ ما خلا اورام العين الخبيثة الممتدة التي تستلزم حتماً استئصال هذا العضو وكل ما يجاورهُ ويحيط بهِ من العضلات والاجزاء الرخوة مما لا سبيل بعدهُ الى استعمال العين الصناعية إلَّا بكل صعوبة

العيب الثاني : ما ينتج من الألم والاذى عن استعمال العين الصناعية للحجر الموضوعة فيهِ

وللعين الطبيعية السليمة المجاورة

هذا هو العيب الاكبر الذي بنينا عليهِ مقالتنا ونريد استلفات النظر اليهِ بنوع خصوصي. وهو العقدة التي لم يهتدَ الى حلها الاَّ منذ شهور قليلة . ولا يزال الاصلاح الناتج عن هذه العقدة في مهد ظهورهِ ولم ينتشر بعد خبرهُ لان مكتشف هذا الاصلاح وهو الدكتور دوميك (Domek) الرمدي لم ينشر بعد في الجرائد الطبية الاَّ بعض التلميح عن هذا الاستنباط ولكنهُ سيوفيهِ حقهُ من الشرح في المجمع الرمدي المنعقد الآن في باريس . غير ان هذا الاستنباط رغماً عن حداثة عهدهِ قد افاد كثيرين من مستعملي العيون الصناعية الذين علموا بهِ واستشاروا مبدعهُ . اما العامل المجتهد الذي اصلح العين الصناعية طبقاً لاستنباط الدكتور دوميك فلا يزال مفرداً وهو صانع عيون زجاجية في باريس يدعى المسيو جيرون (Giron)

﴿استنباط الدكتور دوميك﴾ : لا يخفى ان كثيرين من مستعملي العيون الصناعية يشكون دواماً الماً يلازمهم ما زالت العين الصناعية في المحجر ولا يجدون بعض الراحة الاَّ متى نزعوا تلك العين ليلاً للرقاد . وهذا الالم ناتج عن احتكاك حافات العين الصناعية بالملتحمة وما تحتها من الاجزاء الرخوة الضامرة الباقية من العين المفقودة وسبب هذا الاحتكاك الذي يهيج الملتحمة ويلهبها ويؤلمها ويؤذي احياناً العين السليمة المجاورة هو عدم التناسب بين شكل العين الصناعية والمحجر الموضوعة فيهِ . ومعلوم ان العادة المتبعة حتى الآن في انتقاء العين الصناعية هي ان مستعمل العين الصناعية اذا اراد شراء عين يذهب الى احد بائعي العيون فينتقي لهُ هذا عيناً تقارب عينهُ الطبيعية حجماً وشكلاً ولوناً ما امكن ويضع لهُ تلك العين في محجرهِ ويقول لهُ اذهب بسلام . هذه هي الطريقة المستعملة في ايامنا حتى في باريس نفسها حيث يوجد الدكتور دوميك والعامل جيرون وذلك لأَن العارفين باستنباط دوميك قليلون والقادمين على استشارة هذا الرمدي اقلّ وقلَّ من مستعملي العيون الصناعية من لا يشكو الألم من استعمال العين التي ينتقيها لهُ البائعون . وذلك لان اشكال طيَّات الملتحمة التي ترتكز عليها العين الصناعية تختلف باختلاف المحاجر والاشخاص ولا يخفى ان حافات العيون الصناعية التي ترتكز على الملتحمة مستقيمة الشكل كلها على حدٍّ سوى بحيث ان العين الصناعية متى وضعت في المحجر لا تجد الملتحمة من حافاتها زوائد تملأ ما فيها من الانخفاضات وانخفاضات تملأ ما فيها من المرتفعات ولذلك قلما تثبت العين الصناعية في المحجر وبسبب ضغط حافاتها على المرتفعات من طيات الملتحمة تلتهب هذه وتؤلم صاحبها . ولهذا السبب نفسهِ لا تتبع العين الصناعية حركة الملتحمة المرتكزة عليها وهو العيب الاول الذي ذكرناهُ

وليت عدم التناسب بين العين الصناعية والملتحمة التي ترتكز عليها يقتصر على احداث ذينك العيبين وهما عدم الحركة والألم ولكنهُ بسبب الالتهاب الذي يحدثهُ في المحجر قد تتأثر العين السليمة بالمجاورة وربما افضى ذلك الى التهابها وفقدها وهناك الطامَّة الكبرى والبليَّة العظمى اذ ليس العمى بالامر السهل كما لا يخفى على كل ذي بصيرة. ولطالما سمع الرمديون شكوى مستعملي العيون الصناعية ولم يهتدِ رمديٌّ منهم الى ايجاد طريقة تخفف الالم وتمنع الاذى عن اولئك المنكودي الحظ حتى قدَّرَ للدكتور دوميك الرمدي أن يستنبط التحسين الذي نحن بصددهِ وذلك ان هذا الرمدي لما تحقَّق ان علة التهاب الملتحمة والاضرار الناتجة عنهُ هي عدم التناسب بين العين الصناعية والمحجر الموضوعة فيهِ رأى ان يصنع لكل محجر قالباً تُصنع العين الزجاجية على قدهِ وشكلهِ كما تُصنع قوالب الفم واللثة لعمل الاسنان الصناعية . وقد استعمل مواد كثيرة لصنع قوالب المحجر كالكاوتشوك والشمع وغيرهما فلم يفلح غير ان ذلك لم يثنِ من عزمهِ فما زال يتبع التجربة بالاخرى حتى اهتدى الى مادةٍ تفي بالغرض المقصود وتلك المادة هي البارافين Parafine

معلوم ان البارافين يكون جامدًا في الحرارة الجوية ولكنهُ يسيل اذا أُحمي او وضع في ماء غالٍ ويبقى لخفتهِ عائماً على سطح الماء واذا ترك على هذه الحالة حتى يبرد ينتقل من السيولة الى الجمودة تدريجاًلان الماء الغالي يبرد ببطء كما لا يخفى بحيث انهُ يمكن استعمال البارافين وهو بين بين اي في حالة الليونة . فمتى برد الماء الغالي حتى يصبح البارافين الذي على سطحهِ بحالة الليونة تؤخذ كتلة صغيرة منهُ وتوضع في المحجر وبعد اطباق الجفنين عليها تضغط بالاصابع ضغطاًخفيفاً حتى تتخذ شكل المحجر وتعاريج الملتحمة من ارتفاعات وانخفاضات ثم تترك في المحجر بضع دقائق حتى تجمد لان حرارة الجسم غير كافية لابقائها في حالة الليونة . وعند ما تجمد يمكن اخراجها من المحجر بسهولة فتصير اذ ذاك القالب الذي تصنع العين الزجاجية على شكلهِ وقدهِ

فبعد ان يصنع الدكتور دوميك قالب المحجر على هذه الكيفية يبعث بهِ الى المسيو جيرون وهذا يصنع العين الزجاجية على شكلهِ تماماً ويلونها بالوان تشبه الوان العين الطبيعية تماماًبعد مشاهدة المريض الذي لاجلهِ تصنع العين . فبهذه الطريقة ترتكز العين الصناعية ارتكازًا محكمًا على ملتحمة المحجر الذي صنعت لاجلهِ بحيث تبيت تحدبات حوافيها في منخفضات الملتحمة المقابلة لها وتبيت تحدبات الملتحمة في منخفضاتها . وهكذا يزول الاحتكاك المؤلم والالتهاب الذي ينتج عنهُ في الملتحمة وتتبع العين الصناعية حركة تلك الملتحمة وبالتالي حركة العين السليمة بحيث انهُ اذا كان لون العين الصناعية يشبه لون العين الطبيعية تماماً كما يصنعهُ المسيو جيرون

يتعذر احياناً حتى على الرمدي نفسهِ التمييز بين العين الصناعية والعين الطبيعية لاول وهلة

وقد اسعدني الحظ وعرفت صانع العيون المسيو جيرون بواسطة استاذي الدكتور ابادي ولما زرت محل هذا العامل النشيط مع بعض نزلاء باريس من المنقطعين لدرس امراض العين وجدنا هناك خلقاً كثيراً من مستعملي العيون الصناعية وقد ارانا المسيو جيرون طريقة صنع القوالب التي اخذها عن الدكتور دوميك وسمح لكلٍ منا عمل بعض قوالب لمحاجر المرضى الذين كانوا عندهُ حتى اذا عاد كلٌ منا الى بلادهِ يمكنهُ عمل قوالب متقنة للمحتاجين الى عيون صناعية متقنة وارسالها الى محل جيرون في باريس لتصنع العيون على قدها وشكلها وتلون بلون يشبه لون العين السليمة اذ يلزم ان ترسل مع كل قالب عين زجاجية يشبه لونها لون العين السليمة ويكون قاعدةً لتلوين العين المطلوبة

وقد ارانا المسيو جيرون عدة عيونٍ زجاجية صنعت على هذه الطريقة الحديثة ووضع امامنا عيوناً لبعض الناس صنعها لهم طبقاً لقوالب محاجرهم والوان عيونهم الطبيعية فالفيت تلك العيون الزجاجية تحاكي العيون الطبيعية لوناً وحجماً وحركةً فاثنينا على ذلك الصانع النشيط وشكرنا لهُ ثم انصرفنا ونحن نقول ما اقدر الانسان

باريس الدكتور

شدودي

معرض شقاء

يا صاحِ ما هذا الذي انا راءِ	أُدنُ اقترِبْ مني وقِفْ بازائي
عيني ترى شيئاً من الاشياء	أخفاهُ عني حاجبُ الظلماء
حدِّق اليهِ معي وقل لي يا ترى	ماذا فاني بتُّ فيهِ محيَّرا
شيءٌ هنا ملقًى على وجهِ الثرى	ومن الظلام مدثَّرٌ بغطاء
ما لي أراكَ مشرَّدًا ومروَّعًا	والرشدُ خانك عهدَ ودِّك ما رعى
أمن الجمادِ تظنُّ ذا متفرعاً	ام أصلهُ حيٌّ من الاحياء
أنظر معي أفليس ذلك معبدًا	للدين مبنيًّا هنا ومشيدا
ذا بابهُ وامامهُ هذا غدا	ملقًى فما هو سرُّ ذا الإلقاء

الليل داجٍ والدجنَّة تُطبِقُ والجو يقصف بالرعود ويبرقُ

والارض من وقع الصواعق تقلقُ مهتزَّةٌ من مطلقِ الارجاء
والريحُ باردةٌ تهبّ وتعصفُ والزمهريرَ على الجوانح تقذفُ
ولقرسها الانسانُ اذ يستهدفُ يهتزُّ منتفضاً كذي برُداء
والودق سحٌّ من السما يتدفقُ حتى تكاد الارض فيهِ تغرقُ
لو انهُ لمكاننا يتطرقُ لطغى واغرقنا مسيل الماء
لكنْ موقفنا رصيفٌ مرتفعٌ نوقى بهِ خطر السيول المندفعْ
وبطنفهِ الامطار عنَّا تمتنع من فوقُ بل من سائر الانحاء

انصتْ فما هذا الذي انا اسمعُ صوت كصوتِ الطفل اذ يتوجعُ
ان كان طفلاً فهو نزعاً ينزعُ برداً وجوعاً او من الاعياء
أسرعْ اليهِ معي نقدمْ بالعجل من قبل ان ينتاشهُ منَّا الاجلْ
ودع السؤال الآن عنهُ لا تسلْ أنضيع فرصتنا بالاستقصاء
أمددْ يديك كذي عمًى متلمسا متنسّماً متوسّماً متوجسا
وانشط اليهِ عساك تدركهُ عسى قبلي فتنقذهُ من البأساء
هوذا يدي لمستهُ قبلك فاقترب واسمعهُ يا اسفي عليهِ ينتحب
وانظرهُ منتفضاً يقف ويضطرب افلا نجود عليهِ بالإدفاء
خذهُ لاخلعَ جبَّتي والفَّهُ فيها فيوقى قرس بردٍ شفَّهُ
حتى اذا ما الدفءُ حالاً حفَّهُ أمنَ الردى متمتعاً ببقاء
واستر محياهُ بمنديل على عجلٍ فلا ينتابهُ مطرٌ ولا
حسناً فعلتَ فبي انطلق مستعجلاً حالاً بلا ريث ولا ابطاء
هيَّا تقدمني وسر بي مُدلجا واخبط لي تحت الدجنةِ منهجا
وبذاك آمنُ مرطماً اومزلجا والطفل يسلم من اقلِّ إذاء
دُرعن شمالكِ واتخذ ذا الشارعا لك مسلكاً وامامي اعدُ مسارعا
وبباب هذا البيتِ قف بي قارعا فيهبَّ مَن فيهِ من الاغفاء

فتحت لنا امرأةٌ بقلبٍ مضطربْ اكل الوجى اكلاً عليهِ وقد شرب
خاطبتُها في ما لديَّ فلم تجب للخوف واقتصرت على الايماء

قد راعها والليلُ اسحم حالكُ والخوفُ فيهِ كل قلبٍ مالكُ
قرعٌ شديدٌ صادع متداركٌ وطروق سارٍ في الظلام فجائي

لكنها لمَّا رأتني مَن انا ودرت لماذا الآن جئت الى هنا
عذرت وقالت طب فقل نلتَ المنى فانا لهذا الداء خير دواء

مدَّت ذراعيها ومني سلَّمت طفلاً اليهِ خُطى المنون تقدَّمت
كشفت محياهُ وفيهِ توسمت ما قطُّ لم تنظرهُ مقلةُ راء

حُسنٌ تقول غزالة ذا ام قمر وطهارة فتقول ما هـذا بشر
وملامح دلت على اعلى الخطر ومخايلٌ لنباهةٍ وذكاء

عطفت عليـهِ فقبلتهُ اربعا وبكت فابكتني جوًى وتوجعًا
ثم انصرفتُ الى مبيتي مسرعا وجرى الرفيق معي يسير ورائي

لا يطمع القرَّاء اني باسم من اودعتها ذا الطفل اجهر بالعلن
والطفل ايضًا والمكان مع الزمن مكتومة عن معشر القراء

واهمُّ من هذا واجدر بالخبر ان يدركوا عمَّا جرى بعض الاثر
هل مات ذا المسكين مثل المنتظر ام زارهُ طيف الحياة النائي

ما مات بل خلعت عليهِ يدُ القضا عمرًا ولو كان المخيَّر ما ارتضى
بل ودَّ لو أنَّ الفناء تعرَّضا لوجودهِ وكساهُ ثوبَ فناء

والمرء هذا ليس في امكانهِ ابدًا ولا المقدور طوع بنانهِ
فليثنِ عنهُ اذًا عنانَ لسانهِ خوفَ الغواية او من الاغواء

مرَّت على الطفل السنون وقد نما مترعرعًا متدرجًا متقدما
جاز الصبا وعلى الشبيبة سلَّما متوقعًا فيهـا انمَّ هناء

ربَّتهُ تلك المراةُ الفضلى على سنن الفضيلة منَّةً وتفضلا
وامامهُ قد سهلت سبل العلى حتى يحلِّقَ في ذرى العلياء

لما رأتهُ مستعدًّا للعمل تحييهِ انفاس الشبيبة والأمل
قالت لهُ سِرْ شاعك التوفيق وال اسعاد في الأصباح والأمساء

من بعد اعوام مضيت مع السحر وحدي لاقضيَ ما على بالي خطر

فاخذتُ أُطلِقُ خارج البلد النظر في كل ما حولي من الاشياء
واذا بقرب النهر اذني تسمعُ شكوى فتى متظلمًا يتوجعُ
فوقفت حيث سمعتُ ما يتصدع منهُ فوادُ الصخرة الصماء
يبكي وينحب قائلاً متذمرًا من ذا يخبرني بذنبي يا ترى
اني نُبذتُ ولم اجد بين الورى احدًا اوى لي راثيًا لبلائي
بل كلهم طرًّا عليَّ تألبوا وتنكَّبوا قربي معًا وتجنبوا
حتى كأني عقرب او اجربُ او فيَّ داء اخبثُ الادواء
حيث التفتُّ ارى وجوهًا باسره عني تشيحُ وبي افتنانًا ساخره
وارى عيون الكل نحوي ناظره ابدًا بملء المزء والازراء
شنُّوا عليَّ غارة التحقير ما رقُّوا لدمع سال من عيني دما
حتى غدا بيَ الازدراء محكَّمًا وعلى المدى مستعرضًا تلقائي
فاذا مشيتُ رأيتهُ يمشي معي واذا اضطجعت رأيتهُ في مضجعي
هو ملء عيني كيف كنتُ ومسمعي وهو المسبب نغصتي وشقائي
لم اجنِ ذنبًا والبرية تشهدُ فعلى مَ أُنبذُ كالاثيم واطرَدُ
هل إنَّ ذنبي أنَّني متفردُ بين الورى بمناقبي الغرَّاء

ثم انبرى يبكي ويشكو نحسهُ وعصى تجلُّدهُ وطاوع يأسهُ
ودنا الى الشاطي ليلقيَ نفسهُ منهُ ويخلص من بني حواء
فسقطت منقضًا عليهِ وحطتهُ وعن ارتكاب الانتحار ثبطتهُ
وبكل ما ادريهِ عنهُ احطتهُ علمًا بلا كتمٍ ولا إخفاء
حتى فرغتُ فقال لي ظهر السبب ولذاك لا يبقى محلٌّ للعجب
فاذًا انا . إبنٌ لقيط لا نسب لي مثلما لبقيَّة الابناء
لا أُمَّ لي تُدرى ولا اب يُعرَف ولذا القبُ باللقيط وأُوصفُ
افبعد هذا في البريةِ منصفُ كلا وربِّ القبةِ الزرقاء
ماذا دعاك الى التقاطي يا ترى اذ كنتُ مطروحًا على وجه الثرى
لو متُّ حينئذٍ لكنتُ بلا مرا في راحةٍ من هذه البرحاء
والآن عن تغريق نفسي عقتني والى النجاة من المهالك سقتني

فسقيتني غصص الاسى واذقتني في المرتين مرارة الكأباء

يا أرضُ لي آستمعي وانتِ أياسما أصغي فاصرخ شاكيًا متظلما
اشكو وما شكواي من طير السما او من وحوش الغاب والصحراء
شكوايَ من جور آبن آدم وحدهُ فالظلمُ بات اعزَّ شيءٍ عندهُ
ولقد تجاوز في التحامل حدَّهُ فالكلُّ فرعون بلا استثناء
وابي وامي شرُّ مخلوق سلك طرق الغواية مطلقًا تحت الفلك
فكلاهما والليل مشتدُّ الغسق بي طوَّحا وتعمَّدا ايذائي
كم مشبهٍ لهما بهذا الفعل بل كم من لقيط قبلنا لُقطَ ارتحل
ولئن يَعِشْ لخيانةٍ موت فهل بين الورى اشق من اللقطاء

القاهرة اسعد داغر

اسباب الوراثة

من الاوصاف ما يرثهُ الفرد من والديهِ ويورثهُ لاولادهِ دوامًا ككل مميزات الجنس مثل السلسلة الفقرية واليدين والرجلين والشعر في ذوات الاربع ومثل السلسلة الفقرية والجناحين والرجلين والريش في الطيور . وككل مميزات النوع مثل انتصاب القامة وسائر الاوصاف التي يمتاز بها نوع الانسان عن غيرهِ من انواع الحيوان. ويقارب ذلك مميزات الشعوب كمميزات الزنوج والهنود والصينيين واليهود والعرب

ويوجد عدا هذه الاوصاف التي يرثها الفرد من والديهِ دوامًا ويورثها لاولادهِ اوصاف اخرى قد يرثها من والديهِ وقد لا يرثها وقد يورثها لاولادهِ وقد لا يورثها ككل المزايا التي تمتاز بها العائلة الواحدة عن العائلة الاخرى مثل طول العمر وطول القامة والميل الى السمَن او النحافة والميل الى الصلَع وككثير من الاوصاف العقلية

ثم انهُ يوجد نوع ثالث من الاوصاف التي لا يرثها المرء من والديهِ ولكنهُ يكتسبها اكتسابًا في حياتهِ بواسطة التربية او التعليم او التمرُّن او الاقليم . فهذه اختلف العلماء في هل يمكن ان تنتقل بالوراثة او لا . وبعد جدال طويل قرَّ القرار على ان العوارض التي تعرض فجأةً لا تنتقل بالوراثة فاذا قُطعت يد انسان لا يولد اولادهُ مقطوعي الايدي واما الصفات التي تسببها

الاحوال الخارجية بفعل تدريجي فقد تنتقل بالوراثة. حتى قال بعضهم ان ارتقاء الشعوب يتوقف على سن الزواج فالذين يكثر فيهم التزوّج باكرًا قبلما تبلغ اجسامهم وعقولهم مبلغها من النمو والارتقاء لا يرتقون مثل الذين لا يتزوجون الاّ بعد ان تبلغ اجسامهم وعقولهم حدها من الارتقاء فان اولاد هؤلاء يولدون وقد ورثوا التقدم العقلي والادبي الذي اكتسبهُ اباؤهم واما اولاد اولئك فيستحيل عليهم ان يرثوا ما اكتسبهُ آباؤهم بعد ولادتهم من النمو الجسدي والعقلي ولذلك اشار غير واحد من الباحثين بان يؤخر الزواج الى ان يبلغ الرجال والنساء تمام نموهم الجسدي والعقلي فيرث اولادهم ذلك منهم ويسرع ارتقاء الامة كلها والاّ مالت الى الانحطاط

. وقد ذكرنا غير مرة ما وجدهُ الشهير غلتون من مقدار ما يرثهُ الفرد من والديهِ واسلافهِ وهو انهُ يرث النصف من والديهِ والربع من اجدادهِ والثمن من آبائهم ونصف الثمن من اجدادهم والباقي وهو نصف الثمن من كل اسلافهم فوق اجدادهم

فالمورث الاول الاب والام . والثاني الجدَّان والجدتان اي ابو الاب وامهُ وابو الام وامها . والمورث الثالث آباء الجدين والجدتين وامهات الجدين والجدتين وهلمَّ جرًّا. فيرث المرء نصف اوصافهِ الطبيعيَّة من والديهِ والنصف الآخر من بقية اسلافهِ . فاذا زاد طول والديهِ عن متوسط طول اسلافهِ عشرة سنتمترات فلا ينتظر ان يرث كل هذه الزيادة منهما بل نصفها فيكون اقصر منهما خمسة سنتمترات واطول من متوسط اسلافهِ خمسة سنتمترات واذا نقص طول والديهِ عن متوسط طول اسلافهِ عشرة سنتيمترات فلا ينتظار ان يرث كل قصرها بل نصفهُ فيكون اطول منهما خمسة سنتيمترات وقس على ذلك الاوصاف العقلية والادبيَّة. فاذا فاق والداهُ اسلافهما علمًا وفضلاً اوجهلاً ونقصاً فلا ينتظر ان يكون مثلهما. وهذا الحكم اجمالي كما لا يخفى لا يتمشَّى على كل احد بل قد يكون لهُ شذوذ كثيرة فقد يولد المرء من والدين فاقا اسلافهما طولاً ثم يزيد طولهُ على طولها وقد يولد من والدين فاقا اسلافهما عقلاً ثم يزيد عقلهُ على عقلهما لكن هذا قليل والحكم الاول هو الغالب ولولا ذلك لزاد العقلاء عقلاً والجهلاء جهلاً والفضلاء فضلاً والاشرار شرًّا وانقسم البشر انواعاًمتباينة. لكن ناموس الوراثة يعدّل ذلك ويمنع ازدياد الفرق بين طوائف الناس

وقد استقصى العلاَّمة غلتون تاريخ مئة من المشاهير يبحث عن اسلافهم واولادهم فوجد الشهرة تنقل في آبائهم واولادهم على نسبة واحدة تقريباً فانهُ اشتهر ٣١ من آبائهم و ١٧ من اجدادهم و ٣ من آباء اجدادهم . واشتهر ٤٨ من اولادهم و ١٤ من احفادهم و ٣ من اولاد احفادهم

وقد طال بحث العلماء عن كيفية انتقال الصفات من الوالدين الى نسلهما وعن الحامل لها. فالحيوانات والنباتات الدنيا التي تتوالد وتتكاثر بالانقسام يكون كل جزء منها حاوياً صفات الاصل كلهِ كما ان القطعة من الرخام حاوية صفات الحجر الكبير الذي قطعت منهُ . والنباتات العليا التي تزهر وتثمر وتتكاثر ببزرها قد تتكاثر بالانقسام ايضاً فاذا قطعت قضيباً من الورد وزرعتهُ نبتت منهُ جذور واغصان واوراق وازهار مثل الاصل الذي قُطع منهُ كأنَّ فيهِ دقائق مستعدة لتصير جذوراً ودقائق مستعدة لتصير اغصاناً او اوراقاً او ازهاراً . ومن النباتات والحيوانات الدنيا انواع تسبح في الماء يمتزج الذكر والانثى منها معاً ويصيران فرداً واحداً ثم يكبر وينقسم اقساماً كثيرة وهذه هي طريقة تكاثرها . واما الحيوانات العليا فلا تتكاثر بالانقسام بل بالتولد من جسمين صغيرين احدهما من الاب والآخر من الام يجتمعان معاً ويتولد منهما الحيوان الجديد . وفي كل جسم من هذين الجسمين الصغيرين دقائق كثيرة بعضها للتغذية وبعضها للانتقال وبعضها لغير ذلك من الافعال اللازمة للحياة والنمو . وقد اختلف العلماء في ما هو الداعي الذي دعا الى تولد الفرد الواحد من اثنين من اب وام في اكثر انواع الحيوان وبعض انواع النبات وظهر لهم الآن ان الجرثومة الآتية من الانثى قد تنمو وحدها في بعض الاحوال من غير ان تمتزج بالجرثومة الآتية من الذكر والجرثومة الآتية من الذكر قد تنمو وحدها في بعض الاحوال من غير ان تمتزج بها الجرثومة الآتية من الانثى وثبت الامران بالامتحان اي ثبت تولُّد الحيوان من غير تلقيح

ويتضح من ذلك ان جرثومة الذكر وجرثومة الانثى اي النطفة والبيضة مشاركة في تكوين المولود الجديد وانهُ يرث من ابيهِ ومن امهِ معاً . والذي يرثهُ من كلٍّ منهما يصل اليهِ محمولاً بالجرثومتين اللتين يتولَّد من امتزاجهما

ترى الفيل على ضخامة جسمهِ يتولَّد من جرثومتين صغيرتين الواحدة منهما تُرى بالعين كاصغر ما يكون والثانية لا ترى بالعين لصغرها ومع ذلك تكونان حاويتين كل صفات ابيهِ وامهِ . واغرب من ذلك ان هذه الصفات لا تكون في الجرثومة كلها بل في جزء صغير منها فان العالم بوفري اتى ببيض حيوان بحري من النوع المعروف بقنفذ البحر وقطع البيضة منهُ قطعتين ابقى النواة في قطعة منهما ولقح الاخرى بلقاح ذكر من نوع آخر من قنفذ البحر فتلقحت ونما منها حيوان نوعهُ مثل نوع الذكر كأنَّ خلوَّها من النواة ازال منها صفات نوعها ولذلك فصفات النوع تكون في النواة . وصفات الاب تنتقل الى نسلهِ بواسطة النواة التي تكون في النطفة وصفات الام تنتقل الى نسلها بواسطة النواة التي تكون في البيضة

ولدى تدقيق البحث يظهر ان الحامل لصفات كل من الوالدين ليس النواة نفسها بل خيوط دقيقة تدخلها من البيضة والنطفة ومتى تلقحت البيضة وامتزجت نواتها بنواة النطفة تدعو الحال الى خروج جانب من هذه الخيوط من المزيج وبقاء الجانب الاخر فيهِ فيمتزج معاً وتتكون منهُ اعضاء الجنين المتولد منها . فجانب منهُ آتٍ من امهِ وجانب آتٍ من ابيهِ. ولعلَّ تولد الذكر والانثى متوقف على ما يتفق بقاؤهُ في النواة من هذه الخيوط فاذا اتفق بقاء جراثيم الاعضاء المميزة للذكر كان المولود ذكرًا واذا اتَّفق بقاء جراثيم الاعضاء المميزة للانثى كان المولود انثى وقد لا يحدث ذلك اتفاقًا بل يتبع ناموساً مقرَّرًا كأَن تكثر في النواة خيوط ابلغ الفريقين فاذا كانت النطفة ابلغ من البيضة فالمولود ذكر واذا كانت البيضة ابلغ من النطفة فالمولود انثى

ثم اذا كانت نواة البيضة صغيرة جدًّا حتى لا تكاد ترى بالعين لصغرها ونواة النطفة اصغر منها جدًّا حتى لا ترى الاَّ بالميكرسكوب الكبير فكيف تحوي كل منهما جراثيم آتية من كل عضوٍ من اعضاء الوالدين وكم يكون مقدار هذه الجراثيم في الصغر . ولا بدَّ من ان تكون كل جرثومة منها مؤَلفة من دقائق كثيرة اصغر منها جدًّا فالى اي حد نصل . هنا يقف العقل مدهوشاً لان وسائط القياس التي ندركها بالنظر واللمس تقصر كثيرًا عن الوصول الى حد الدقائق الصغيرة التي تتأَلف منها الاجسام فقد قسموا المتر الى الف قسم سمَّوا كل قسم منها مليمترًا وقسموا المليمتر الى الف قسم سمَّوا كل قسم منها ميكرونًا ثم قسموا الميكرون الى الف قسم سمَّوا كل قسم منها ميكروملاً حتى يستطيعوا ان يقيسوا الجواهر الصغيرة التي تتأَلف منها الاجسام وبعد ان وقفوا عند الجوهر الكيماوي وسموهُ بالجوهر الفرد اي الجزء الذي لا يتجزأُ لظنهم انهُ اصغر جزء يمكن الوصول اليهِ اكتشفوا الآن انهُ مؤلف من نحو الف جزء سموها الشوارد ions لانها تشرد او تتيه من القطب السلبي فاذا كان في السنتيمتر المكعَّب من الهيدروجين عشرون مليون مليون مليون من الجواهر الفردة وفي كل جوهر منها الف من هذه الشوارد ففي السنتيمتر المكعب عشرون الف مليون مليون مليون شاردة . والعين لا تتبيَّن الجسم الصغير اذا كان حجمهُ اقل من جزء من عشرين الف جزء من السنتيمتر المكعب فيكون في اصغر جسم تراهُ العين مليون مليون مليون شاردة من الشوارد فلا عجب اذا كان في جسم كل انسان عائش على وجه البسيطة الآن وفي كل دقيقة من دقائق جسمهِ ملايين كثيرة من الجراثيم الواصلة اليهِ من اسلافهِ واسلاف اسلافهم وبذلك تتضح اصول الوراثة الطبيعية وغرائبها

فتح المكسيك

(تابع ما قبله)

ذكرنا في الجزء الماضي ما اصاب كورتس من التلسكاليين قبل ان اضطرَّهم الى الهزيمة وما وقع في نفسهِ منهم. وفي اليوم التالي لمَّ شعث رجالهِ وحاول ان يسترضي التلسكاليين بكل واسطة لينجو من شرهم ويستعين بهم على اهالي المكسيك فبعث اليهم اثنين من اعظم الشيوخ الذين اسرهم في اليوم السابق عارضاً عليهم الصلح وطالباً منهم ان يسمحوا لهُ بالمرور في بلادهم لا غير. وخاف ان يغرَّهم الغرور اذا هو ابدى الضعف فاختار شرذمة من نخبة فرسانهِ وسار بها ضارباً في البلاد غازياً ومخرباً وعاد بالغنائم والاسرى لكنهُ عامل الاسرى بالرفق واقنعهم انهُ اضطرَّ ان يغزو بلادهم اضطراراً لان حكومتهم بادأتهُ بالعدوان . ولما عاد الى معسكرهِ وجد الرسولين قد عادا اليهِ فقالا انهما التقيا بقائدهما الذي هُزِم بالامس ومعهُ خمسون الف مقاتل وهو متربص لكورتس ولا بدَّ من ان يوقع بهِ لان جمهورية تلسكالا عزمت عزماً اكيداً ان لا تدعهُ يمر في بلادها

فاسقط في يد الاسبانيين وخافوا خوفاً شديداً وايقنوا بالهلكة فاعترفوا للكاهن على جاري عادة المسيحيين قبل الموت وتناولوا القربان مودعين الحياة

وعزم كورتس ان لا ينتظر هجوم التلسكاليين عليهِ بل يهجم هو عليهم لكي يبث الشجاعة في نفوس رجالهِ ويوقع الرعب في نفوس رجالهم . فجمع رجالهُ في الصباح وشدَّد عزائمهم واوصاهم ان يطعنوا التلسكاليين في وجوههم واوصى رجال المدافع والبنادق ان لا يكفوا عن اطلاق النيران وان يبقوا كلهم مجتمعين معاً حتى لا يتمكن العدو من اختراق صفوفهم

وكان التلسكاليون نازلين في سهل فسيح وقوادهم بالخوذ الذهبية والحلل الريشية وسنان رماحهم وحرابهم من النحاس الصقيل ينعكس عنها نور الشمس فيبهر النظر وفي مقدمتهم ما لا يحصى من الاعلام والبنود وبينها علم اللقلق الابيض شعار القائد العام وفوقهُ علم النسر الذهبي شعار الجمهورية والرؤَساء كلهم بالمضرَّبات المحشوة قطناً سمكها اصبعان او ثلاث لكي تقيهم رشق السهام والاغنياء منهم لابسون فوقها دروعاً من الذهب او الفضة وفي ارجلهم احذية من الجلد اطرافها من الذهب وعلى اكتافهم اردية من ريش الطيور منسوجة على اشكال بديعة وعلى رؤُوسهم خوذ تشبه رؤُوس الضواري فوقها ريش يتمايل في الهواء وفي ايديهم تروس من

الخشب مصفحة بالجلد الصفيق او من القصب مضرَّبة بالقطن عليها دهان صفيق وصور مختلفة حسب قبائلهم ومراتبهم

اما اسلحتهم فالمقلاع والقوس والسهم والحربة والمزراق وكانوا من امهر الناس برمي النبال يرمي الواحد منهم نبلتين او ثلاثاً في وقت واحد . وعندهم حراب مربوطة بحبال يرشقها الرامي ويبقى الحبل في يدهِ وكان معهم بدل السيوف عصي فيها قطع من الصوان الحاد قال واحد انهُ رأى رجلاً منهم ضرب بها فرساً فبرى رقبتهُ برياً

ولما اقبل الاسبانيون عليهم صرخوا صراخ الحرب وبادروهم برشق النبال اما الاسبانيون فظلوا سائرين الى ان صاروا على مرمى الرصاص فوقفوا ونصبوا مدافعهم وبنادقهم وجعلوا يقذفون بها نار الهلاك فتحصد التلسكاليين حصداً . ودهش التلسكاليون في اول الامر ووقفوا مرتاعين من صوت البارود ودخانهِ ومن الفعل الذريع الذي كانت قنابلهُ تفعلهُ بهم ثم صرخوا صراخ الحرب وهجموا على الاسبانيين كالسيل الجارف ودفعوهم امامهم كما تدفع الريح العصافة . وناداهم كورتس يشجعهم ويحثهم على الثبات فضاع صوتهُ بين صرخات الهاجمين وايقن الاسبانيون بالهلاك سواءٌ ثبتوا او هربوا ففضلوا الثبات واعملوا سيوفهم ورماحهم في مقدمة التلسكاليين وبقيت المدافع والبنادق تحصد جناحيهم واتجه التلسكاليون كلهم نحو الاسبانيين فوقع فيهم التشويش لكثرة عددهم وصار بعضهم يتعثَّر ببعض وانقضَّ كورتس عليهم بفرسانهِ فزادهم اضطراباً وتشويشاً . ومع مهارتهم في فن الحرب لم يكونوا يعرفون كيفية توزيع الجيش والتربُّص والهجوم فرقاً فرقاً فلما اشتركوا كلهم في الهجوم صدَّت مقدمتهم فعل قلبهم وساقتهم وصار اقل اضطراب يؤَثر فيهم كلهم فاصابهم ما اصاب الفرس مع الاسكندر المكدوني

وبينما كان الاسبانيون يحاولون الثبات والدلائل كلها تدلُّ على ان التلسكاليين لا بدَّ ان يفنوهم عن آخرهم ولو قتل بدل الرجل منهم عشرة وقع خلاف بين قائد التلسكاليين وامير من الامراء الذين معهُ فرمى القائد الامير بالجبن ودعاهُ الامير الى المبارزة ولما لم يجبهُ الى طلبهِ خرج الامير برجالهِ وهم عشرة آلاف مقاتل واقنع اميراً آخر ان يحذو حذوهُ. ورأى القائد ان نصف جنودهِ تركوهُ فضعفت عزيمتهُ ولكنهُ لم يفشل بل عاد ونظَّم جنودهُ وبقي يساجل الاسبانيين اربع ساعات ولما وجد انهُ لم ينل منهم قدر ما نالوا منهُ عاد عنهم مخذولاً واكتفى كورتس بذلك فلم يسر وراءهُ واسرع الى جمع قتلاهُ ودفنهم لئلاَّ يراهم التلسكاليون فيعلموا ان الاسبانيين يموتون مثل غيرهم من البشر

وجُرِح كثيرون من الاسبانيين لكنهم سرُّوا بفوزهم فطابت نفوسهم وايقنوا انهم وان

كانوا جنة فلن يقف امامهم احد من اهالي تلك البلاد ما دام عندهم مدافع وبنادق وخيول
ورأى كورتس ان قد حانت الفرصة الآن لعرض الصلح على التلسكاليين بعد ان قهر جنودهم فاوفد اليهم بعض الشيوخ في هذا الشان فاجتمع مجلس شوراهم وتشاوروا في الامر وكانت حجة الراغبين في الصلح ما بان لهم من شهامة كورتس في معاملة الاسرى فقالوا هذا رجل تحسن مصادقتهُ لكن حجة الراغبين في الحرب كادت تقوى على حجتهم واخيرًا استدعوا الكهنة وسألوهم عمَّا اذا كان الاسبانيون بشرًا او آلهة. فتشاور الكهنة في ما بينهم ثم قالوا ان الاسبانيين ليسوا آلهة ولكنهم من اولاد الشمس وقوتهم من قوتها فاذا غابت الشمس عنهم ضعف امرهم وسهل تبييتهم . والمظنون ان هؤلاء الكهنة لم يقولوا هذا القول عن سخافة بل عن احتيال لانهم يعلمون فائدة التبييت اي الهجوم على العدو ليلاً. وقرَّ القرار على تبييت الاسبانيين وكتم الخبر لكي لا يأخذوا اهبتهم الاَّ ان الليلة كانت مقمرة وكان الاسبانيون على تمام التيقظ ينامون باسلحتهم وخيولهم مربوطة بجانبهم فنهضوا حالاً وهجموا على العدو وهو آتٍ عليهم خلسةً وكأن ظلمة الليل وضعف نور القمر كثَّرا عدد الاسبانيين وكبَّرا اجسام خيولهم فرآهم التلسكاليون اكثر ممَّا كانوا عددًا واكبر اجسامًا فرشقوا ما بيدهم من النبال وارکنوا الى الفرار وتبعهم فرسان الاسبانيين واوقعوا بهم وذبحوا منهم خلقًا كثيرًا

وعاد كورتس في الصباح فارسل الى عاصمة التلسكاليين يدعوهم الى الصلح واعدًا اياهم انهُ ينسى كل ما مضى ويتخذهم اصدقاء واذا لم يجيبوهُ الى طلبهِ دخل عاصمتهم عنوةً وخرَّب كل بيت فيها وقتل كل نفس بحد السيف . وامر الرسل ان يحملوا كتابةً في اليد الواحدة وسهمًا في اليد الاخرى فرحَّب بهم نوَّاب التلسكاليين هذه المرَّة لانهم اقتنعوا الآن ان لا قبل لهم بمناوأة الاسبانيين واختاروا اربعة من امرائهم وارسلوهم الى كورتس ليقولوا لهُ انهم يرحّبون بهِ في عاصمتهم ويسمحون لهُ بالمرور في بلادهم ولكي يعتذروا لهُ عمَّا مضى ويعاهدوهُ عهد الصداقة وطلبوا منهم ان يمروا اولاً بقائد الجيش ويخبروهُ بما قرَّ عليهِ رأي مجلس الشورى فلما قابلوهُ واخبروهُ بما هم آتون لاجلهِ ابى ان يسمع لهم قائلاً ان هؤلاء الناس بشر مثلنا ولا بدَّ لنا من ان نقهرهم اخيرًا

ولما ارسل كورتس الرسل الى التلسكاليين سار بنفر من رجالهِ يغزو القرى المجاورة فاذا قابلهُ اهل قرية بالمسالمة تركهم وشانهم واذا قاوموهُ اوقع بهم ونهب ما عندهم وعاد في المساء فرأى الفتنة قد استحكمت من رجالهِ فاتوهُ وكلموهُ لا كما يكلم المرؤوس رئيسهُ بل كما يكلم الصديق صديقهُ وشكوا اليهِ ما يلاقونهُ من الشدَّة وقالوا انهُ لم يبقَ احد منا الاَّ اثخنتهُ الجراح

ونحن عائشون عيشة نحسد فيها البهائم لان البهائم تتعب في النهار وتستريح في الليل واما نحن فنتعب نهارًا وليلاً تعباً يفوق الطاقة وان كنا ضقنا ذرعاً بهذه الجمهورية الصغيرة فكيف نرجو ان نتغلّب على مملكة المكسيك الكبيرة

فقال لهم اني اعلم انكم تجشمتم من المشاق ما لم يتجشمهُ قبلكم اليونان والرومان ولذلك سيكون فوزكم امجد من فوزهم . ثم اخذ يطريء بسالتهم واقدامهم وقال لهم لا تنسوا ان يد الله القدير معنا وهو الذي يحارب حروبنا والنصر منهُ يؤتيهِ من يشاء . وانهُ هو لم يحجم عما حمَّلهم اياهُ بل قاسمهم المشاق كلها وكان النصر حليفاً لهم دائماً فاذا ارتدوا مخذولين الآن بعد ان قهروا عدوهم فالحجارة نفسها تهزأ بهم وتتهكم عليهم وتعيرهم الضعف والجبن . ورجوعهم لا ينجيهم من التلسكاليين فانهم يجدون في اثرهم ويصطادونهم صيدًا كما يصطادون الوحوش ويقدمونهم ضحايا لاصنامهم . وينقلب عليهم الذين حالفوهم من التوتنك ارضاء للمكسيكيين ويجهزون عليهم

فلم يقنعهم هذا الكلام بل قالوا ان واقعة اخرى مثل هذه تقضي عليهم وان وصل احد منهم الى بلاد المكسيك فيكون لكي يُذبح هناك . ولما ضاقت حجة كورتس استشهد بشعر لهُ وقع عظيم في نفوس الاسبانيين معناهُ ان الموت في القتال خير من حياة الذل فردَّد قولهُ الحضور وكأ نهُ كان طلسماً على نفوس الكثيرين منهم اما زعماؤهم فخرجوا يلعنون الساعة التي رافقوهُ فيها

وفي الصباح التالي اقبل على محلة الاسبانيين نفر من التلسكاليين بالحلل البيضاء علامة السلم ومعهم شيء من الهدايا من الطعام والحلي وقالوا انهم آتون من قائد التلسكاليين فانهُ ملَّ من الحرب ويود ان يصطلح مع كورتس وسيأتي بنفسهِ لهذه الغاية فسرَّ الاسبانيون بهذا الخبر الاَّ مريانا زوجة كورتس فانها اوجست خيفة من هؤلاء الرسل وقالت انهم جواسيس واطلعت كورتس على ما خامر نفسها فقبض على البعض منهم واستنطقهم على انفراد فثبت لهُ انهم من جواسيس القائد ارسلهم ليتجسَّس احوال الاسبانيين قبل الهجوم عليهم وعزم ان يجعلهم عبرةً لغيرهم فقطع ايديهم وارسلهم الى معسكر التلسكاليين وقال لهم انهُ مستعد ان يفعل كذلك بكل واحد منهم سواء اتوهُ نهارًا او ليلاً فارتاع قائدهم من هذا المنظر وثار رجالهُ قائلين انهم لا يحاربون عدوًّا يعرف اسرارهم وما يخامر نفوسهم فسمح لوفود مجلس الشورى ان يمضوا الى كورتس ويكلموهُ في امر الصلح وتبعهم هو بنفر من رجالهِ لابسين الاردية البيضاء والصفراء علامة السلم

وكان هذا القائد طويل القامة عريض المنكبين مجدول العضل كبير الراس مهيب الطلعة .

دخل على كورتس وسلَّم سلامهم العادي وهو لمس الارض باليد ورفعها الى الرأس وكان الغلمان بين يديهِ يوقدون الطيب في المباخر وتكلم فقال انني انا اقمت هذه الحرب وانا المسؤول عنها وقد فعلت ذلك لا لسابق عداوة بيني وبينكم بل لانني رأيتكم آتين مع انصار ملك المكسيك وهو عدونا فحسبت انكم تماثلون لهُ علينا فابى حبي لوطني ان يسمح لي بتركِكم تطأُون بلادي وتعبثون باستقلالها وقد قهرتموني المرَّة بعد الاخرى وهذا يدلني على انكم الرجال الذين نقول تقاليدنا انهم سيأتون من المشرق ويمتلكون البلاد . ثم ودَّ ان يعدلوا ولا يعبثوا بحرية تلك الجمهورية وقال انهُ آتٍ باسم اهل بلادهِ ليقدم طاعتهم للاسبانيين واكَّد انهم يجدونهم صادقين في السلم كما وجدوهم صادقين في الحرب

فسُرَّ كورتس من منظر هذا القائد واعجب بانفتهِ وشجاعتهِ لكنهُ لامهُ لانهُ لم يثق بكلامهِ من اول الامر وقال لهُ انكم ان ثبتم على وعدكم ولم تخفروا لنا ذمةً ولم تنكثوا عهداً وجدتمونا من اصدق الاصدقاء

ثم قدَّم القائد لكورتس هديةً من الحلى الذهبية والثياب الريشية واعتذر عن قلتها وبخسها بفقر التلسكاليين وقال انهُ لم يقدمها الاَّ علامة لشكرهم واكرامهم فقبل كورتس اعتذارهُ وقال انها عندهُ خير من بيت مملوءٍ ذهباً

وبينما هم يتكلمون اتى وفود من قبل ملك المكسيك بهدايا نفيسة يحملها مئتان من الغلمان فيها ثلاثة آلاف اوقية من شذور الذهب والحلى الذهبية ومئات من الحلل المطرزة بالريش فانهُ كان يرقب سير كورتس في البلاد بعين الساهر الوجل وكانت رسلهُ تأتيهِ باخبارهِ يوميًّا حتى اذا دخل بلاد تلسكالا حمد الله قائلاً ان منيَّة الاسبانيين قادتهم الى تلك البلاد ثم لما بلغهُ انهم واقعوا التلسكاليين وقهروهم لم يبقَ ريب في نفسهِ انهم الغرباء الذين انبأت التقاليد عنهم وانهم آتون لنزع الملك من يدهِ فاراد ان يبعدهم عنهُ بكل جهدهِ ولكنهُ ركب في ذلك متن الحماقة وحاول ابعادهم بالواسطة التي تظهر ضعفهُ وتزيد رغبتهم في الذهاب اليهِ وهي الهدايا النفيسة من الذهب ولما اعرب وفودهُ عن رغبتهِ قالوا ان الملك يخشى ان تزوروا بلادهُ فينالكم مكروهٌ من رجالهِ لكثرتهم ولانهُ اذا ثارت ثائرتهم تعذر عليهِ قمعهم فقال كورتس نحن قادرون على حماية انفسنا ولا يستطيع احد ان يوقع بنا ضررًا وما ذهابنا الى عاصمتهِ الاَّ طاعة لامر ملكنا الذي ارسلنا لهذه الغاية . فقال احد الوفود ان ملكنا يدفع الجزية الى ملككم اذا كان ذلك يرضيكم ويفي بمراد ملككم من غير ان تزوروا عاصمتنا فزاد طمع كورتس بذلك وزادت جرأتهُ

وفرح التلسكاليون على كورتس حتى مضى الى عاصمتهم وخرجت المدينة كلها لاستقبالهِ رجالاً ونساء وهم بابهى الحلى وافخر الحلل كأنهم في عيد من اعيادهم وزينوا بيوتهم باكاليل الازهار وقلائد الريحان. ودخل كورتس المدينة ومعهُ البعض من وفود المكسيك وكان قد صرف البعض الآخر ليعودوا ويخبروا الملك بما رأوا وظلَّ سائرًا الى ان وصل الى قصر الرئيس الشيخ ابي القائد الذي حاربهُ وكان كفيف البصر فخرج لاستقبالهِ الى باب قصرهِ ورحَّب بهِ وادخلهُ الى القصر واولم لهُ ولرجالهِ وليمة فاخرة واعدَّ لهم منازل رحبة ينزلون فيها

وكتب كورتس الى ملك اسبانيا يشبهُ لهُ تلسكالا بغرناطة وقال انها اوسع منها واحصن واكثر سكانًا . والغالب ان كورتس بالغ في وصفهِ لان مباني غرناطة من اجمل مباني الدنيا ولا شيء في تلسكالا يقابل بها ولكن يظهر مما ذكرهُ بعض الكتَّاب الاسبانيين عرضًا ان عمران تلك البلاد كان في درجة عالية فقد ذكروا دكاكين الحلاقين وحمامات البخار وحمامات الماء السخن ونظام الشرطة (البوليس) وذلك كلهُ لا يكون الاَّ في المدن الراقية درجة عالية من العمران

واراد رؤساء المدينة ان يمكّنوا عرى الاتحاد بينهم وبين الاسبانيين بالزيجة فاشاروا على كورتس ورجالهِ ان يتزوَّجوا من بناتهم فابى كورتس الاَّ ان يتنصَّر السكان كلهم قبل ذلك واخذ يشرح لهم اصول الديانة المسيحية فقالوا لهُ لا شبهة عندنا ان الهكم اله قوي ونحن نود ان نكرمهُ مع آلهتنا اما آلهتنا فلا يسوغ لنا تركها بعد ان حمتنا السنين الطوال . واراد كورتس ان يستعمل العنف فنهاهُ الاب اوليمدو عن ذلك لانهُ خاف العاقبة وقال لهُ لا نفع من نزع الاصنام من الهيا كل ما لم تنزع من القلوب اولاً . واخيرًا رضي كورتس ان يسمحوا لهُ بنصب الصليب في احد المعابد واقامة الخدمة الدينية فيهِ وتعميد الفتيات اللواتي اختارهنَّ زوجات لرجالهِ ومنهنَّ ابنة ذلك الرئيس الشيخ تزوج بها القائد الفرادو وسميت دونا لويزا وتزوج اولادها في اشرف عيال قسطالة وكان الفرادو من نخبة الفرسان واجملهم منظرًا ابيض الوجه اشقر الشعر فاحبهُ التلسكاليون ولقبوهُ بالشمس لجمال طلعتهِ

وبينما كان الاسبانيون في مدينة تلسكالا ارسل ملك المكسيك يدعوهم اليهِ وارسل اليهم هدية فاخرة من الذهب وتوسَّل اليهم ان لا يحالفوا التلسكاليين ولا يمروا في بلادهم بل يمروا في بلاد شلولا . واعترض اهالي تلسكالا على ذلك واوجسوا شرًّا ونصحوا لكورتس ان لا يأتمن منتزوما ولا اهل شلولا لانهم اهل غدر فابى ان يبدو عليهِ شيء من الخوف واصرَّ على المسير الى عاصمة المكسيك مارًّا بمدينة شلولا

خرائب الشام

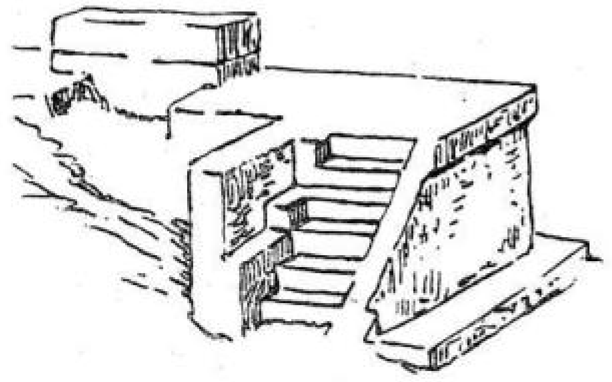
قلعة بعلبك وما كُشف فيها حديثاً

ايهِ آثار بعلبكَّ سلامٌ بعد طول النوى وبعد المزارِ
ووقيتِ العفاء من عرَصات مقويات أو أهّلٍ بالفخارِ
خرَبٌ حارت البرية فيها فتنة السامعين والنظارِ
معجزات من البناء كبارٌ لاناسٍ ملء الزمان كبارِ
زادها الشيب حرمةً وجلالاً توّجتها بهِ يد الاعصارِ
معبدٌ للاسرار قام ولكن صنعةٌ كان أعظمَ الاسرارِ
مثّل القومُ كلَّ شيءٍ عجيب فيهِ تمثيلَ حكمةٍ واقتدارِ
صنعوا من جمادهِ ثمراً يجـ ـنى ولكن بالعقل والابصار
وضروباً من كل زهرٍ أنيق لم تفتها نضارة الازهارِ
وشموساً مضيئة وشعاعاً باهرات لكنها من حجارِ
وطيوراً ذواهباً آيباتٍ خالدات الغدوّ والابكارِ
وأسوداً يخشى التحفّز منها ويروع السكوتُ كالتزآرِ
عابسات الوجوه غير غضاب باديات الانياب غير ضوارِ
في عرانينها دخانٌ مثارٌ وبالحاظها سيول شرارِ
تلك آياتهم وما برحت في كل آنٍ روائع الزوّارِ
ضمها كلها بديع نظام دق حتى كأنها في انتثارِ
في مقام للحسن يعبد بعد العـ ـقل فيهِ والعقل بعد الباري
أهل فينيقيا سلام عليكم يوم تفنى بقية الادهارِ
لكمُ الارض خالدين عليها بعظيم الاعمال والآثارِ
خضتم البحر يوم كان عصياً لم يسخّرْ لقوة من بخارِ
غير صعب تخليد ذكرٍ على الار ض لمن خلدوهُ فوق البحار
شيدوها للشمس دار صلاةٍ وأتمّ الاغريق حلي الدارِ

هذا ما نظمهُ الشاعر العصري خليل افندي المطران من قصيدة عامرة الابيات وصف

فيها تلك الخرائب ابدع وصف وذهب فيها ما ذهب اليهِ غيره من ان الفينيقيين بنوا قلعة بعلبك او الدكة الكبيرة ذات الحجارة الضخمة ثم شاد اليونان الهيكل الكبير فوقها والهيكل الصغير الى جانبهِ. وقد نُقض هذا المذهب الآن وثبت ان الروم هم الذين بنوا الدكة والهيكلين

ولقد رأينا في ما شاده الاوربيون في ايطاليا وفرنسا وما بقي من آثار المصريين في هذا القطر ابنية تقارب ابنية بعلبك فخامة وتزيد عليها جمالاً ولكن ليس فيها بناء يملأ العين دهشة والقلب سروراً ثم يحرك عواطف النفس حتى تذرف الدموع الموامل مثل اطلال بعلبك[1]. الفخامة في كبر الحجارة والاعمدة واتساع البناء وعظمة كل ما فيهِ والجمال في بداعة النقش واتساق الاجزاء واحكامها بعضها مع بعض على ما فيها من الفخامة ولكن الذي يحرك الشجا ويقبض النفس بعد انبساطها ويفيض الدموع من المآقي فعل الدهر وابنائهِ في تخريب تلك المباني



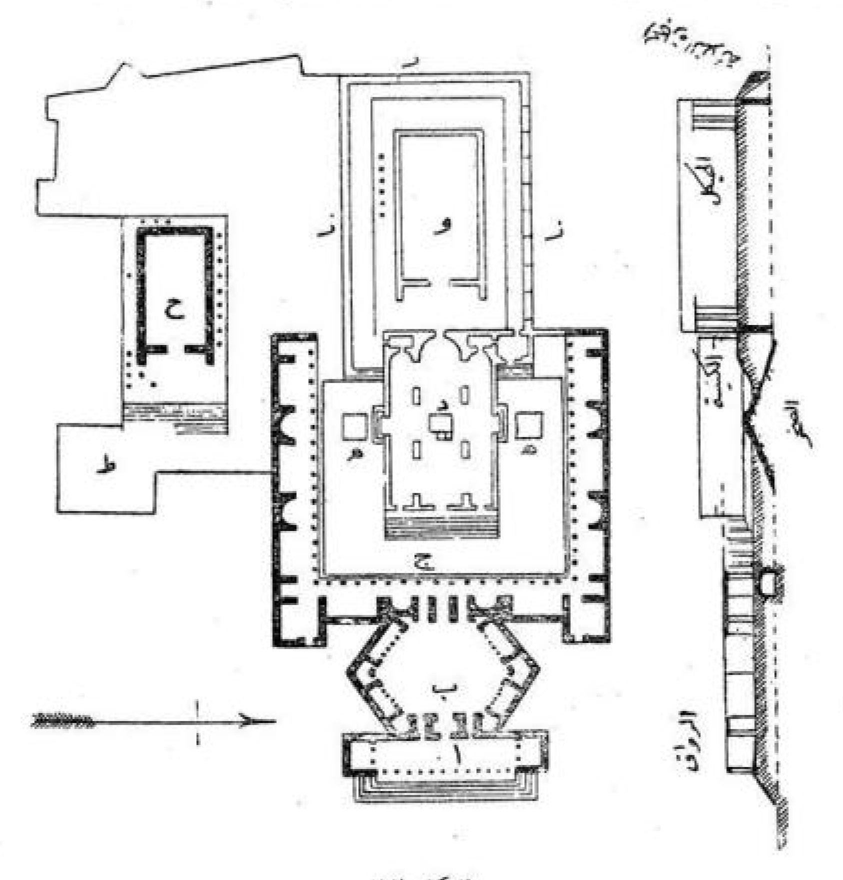
الشكل الاول

وتدميرها . أوَ يصدّق احد ان الولاة كانوا يكسرون العمود الذي تتخذ دولة من دول الارض بنصب مثلهِ في ساحة عاصمتها لكي يستخرجوا منهُ قطعة من الحديد تربط بين اجزائهِ . هكذا كان حال بعلبك حينما زرناها اولاً منذ خمس وعشرين سنة وقد كتبنا في وصفها حينئذٍ كتابة لا بأس باعادة بعضها الآن وشفعهِ بما عُلم بعد ذلك ووصف ما اكتشفهُ الالمانيون حديثاً اتماماً للفائدة فنقول

بَعْلَبَكّ ويسميها اليونان هليوبوليس اي مدينة الشمس خرائب في الطرف الشمالي من

(1) قال العلامة رو بنصن انها تفوق في اتساعها ودقة صنعها كل بناء في اوربا وافريقية وغربي اسيا فهي مثل مباني اسيا في دقة الصنعة ولكنها تفوقها في الفخامة والاتساع ومثل مباني مصر في الفخامة والاتساع ولكنها تفوقها في دقة الصناعة وجمالها

سهل البقاع عند سفح لبنان الشرقي حيث الارتفاع عن سطح البحر نحو ٤٥٠٠ قدم. قال بعضهم ان معنى اسمها مدينة بعل حاسبين بلك مثل باكي المصرية ومعناها مدينة ولعل ذلك سبب تسميتها هليوبوليس اي مدينة الشمس لان المعبود بعل يراد به الشمس . ويرجح البعض ان معناها بعل البقاع فان معنى بقاع بالعبرانية والفينيقية مثل معنى بقاع العربية اي السهل بين جبلين

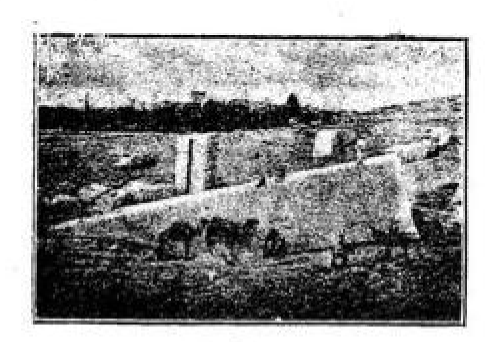


الشكل الثاني

والظاهر ان سكان سورية الاقدمين رأوا صخراً مرتفعاً في طرف سهل البقاع يطل على ما حوله من البلاد الخصبة وتجري بقربه مياه غزيرة فنحتوا فيه مذبحاً للشمس التي كانوا يعبدونها. وقد بقي هذا المذبح الى يومنا هذا وصورتهُ مرسومة في الشكل الاول يصعد اليه بدرج منحوت في الصخر . هناك كان يجتمع قدماء السوريين ويذبحون الذبائح للشمس ويشكرونها على الخيرات

الكثيرة التي انتجتها ارضهم بفضل نورها وحرها. وكأنهم علموا ما يعلمهُ حكماء هذا العصر وهو ان كل قوة في الارض وما عليها للحركة والنماء آتية من نور الشمس وحرارتها لكنهم اخطأُوا في شكرهم للشمس نفسها لا لمبدعها

والظاهر ان هذا المعبد والبقعة التي هو فيها راقا للروم الذين فتحوا بلاد الشام وامتلكوها فاقاموا حولهُ دكة كبيرة حتى يتسع لهم المجال لبناء هيكل كبير ثم بنوا هيكلين فاتموا الصغير منهما وقبلما اتموا الكبير انتشرت الديانة المسيحية واعتنقها قياصرة الروم ومنعوا عبادة الاصنام وبنوا كنيسة في دار الهيكل الكبير وحوَّلوا الصغير كنيسة اخرى وجاء العرب بعدهم فجعلوا المكان قلعة وبنوا من انقاضهِ حصناً كما سيجيء



الشكل الثالث

ليلتفت القارىء الى الشكل الثاني فيرى على يمينهِ شكلاً مقطوعاً في وسطهِ رسم الصخر الذي نحت منهُ المذبح الاول وحول هذا الصخر اقيمت الدكة التي بني الهيكل عليها اخيراً — اقيمت حتى توازي اعلى المذبح وجُعل في اطرافها اقبية كبيرة وثيقة البناء اقيمت جدران الهيكل واعمدتهُ على جدرانها ثم بني حولها سور من الحجارة الضخمة لكي يسندها ويمنع تقوض اركانها . وفي الجانب الغربي من هذا السور الحجارة الثلاثة المشهورة طول اكبرها ٦٣ قدماً وطول ثانيهِ ٦٢ قدماً و٣/١ قدم وطول الثالث ٦٢ قدماً وعلو كلٍّ منها ١٣ قدماً وقد قطعت على الراجح من محجر يبعد عنها نحو ربع ساعة حيث لا يزال حجر طولهُ ٧١ قدماً وعلوهُ ١٤ قدماً وعرضهُ ١٣ قدماً يسمَّى حجر الحبلى وهو المرسوم في الشكل الثالث والى جانبهِ وفوقهُ رجال وجملان وثلاثة حمير ليظهر كبر حجمهِ بالنسبة اليها

وفي الجانب الشمالي من هذا السور تسعة حجارة كبيرة طول كل منها ٣ قدماً وكان

الجانب الجنوبي معموراً فكشف وفيهِ حجارة كبيرة مثل هذه . وارتفاع الدكة خمسون قدماً وعليها بنى الرومان هيكلهم الكبير ثم بنى المسيحيون كنيستهم في دارهِ ويتضح ذلك جلياً من النظر الى الشكل الثاني وتتبع ما يلي من الشرح

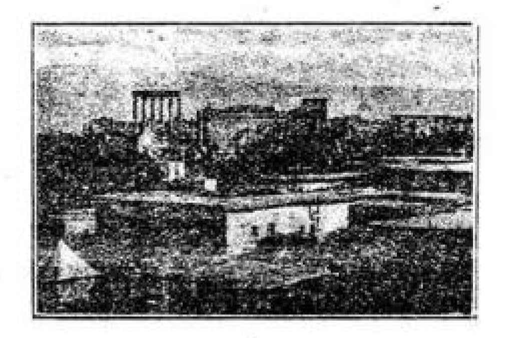
مَن يدخل الهيكل من الجهة الشرقية حيث الحرف ا يجد هناك رواقاً كبيراً طولهُ ١٨٠ قدماً وعرضهُ ٢٧ قدماً في كل طرف من طرفيهِ برج وكان امام هذا الرواق من الجهة الشرقية درج يصعد بهِ اليهِ لانهُ يرتفع عن سطح الارض التي امامهُ عشرين قدماً ولم يبقَ شيء من هذا الدرج الآن وكان فوق الدرج اثنا عشر عموداً لم يبقَ منها الا قواعدها وعلى قاعدتين منها كتابة لاتينيَّة قرأها السائحان وود ودوكنس منذ مئة وخمسين سنة مفادها ان الهيكل الكبير بناهُ انطونيوس بيوس وجوليا دومنا (في اواسط القرن الثاني) . والبرجان اللذان على طرفي هذا الرواق مبنيان بحجارة كبيرة طول بعضها ٢٤ قدماً وهي مزخرفة بالنقوش من الداخل والخارج وامام كلٍّ منهما باب يوصل منهُ الى الاقبية التي في الدكة

وغربي الرواق البهو المسدَّس المدلول عليهِ بالحرف ب يوصل اليهِ بباب اتساعهُ ١٧ قدماً وعلى جانبيهِ بابان آخران اتساع كل منهما عشر اقدام وعرض المسدَّس من الشرق الى الغرب نحو ١٩٠ قدماً وطولهُ من الزاوية الشمالية الى الزاوية الجنوبيَّة نحو ٢٥٠ قدماً وعلى دائرهِ اربع مقاصير قائمة الزوايا امام كلٍّ منها اربعة اعمدة ومقاصير اخرى بينها . ونقوش هذا المسدَّس وزخارفهُ تدهش الابصار وهي خربة متصدعة فكيف بها وقتما كانت عامرة سالمة

ويوصل من المسدَّس الى دار الهيكل وهي المربع الكبير المدلول عليهِ بالحرف ج . وبين المسدَّس والدار باب كبير عرضهُ خمسون قدماً على جانبيهِ بابان صغيران عرض كلٍّ منهما عشر اقدام وطول الدار من الشرق الى الغرب ٤٤٠ قدماً وعرضها من الشمال الى الجنوب ٣٧٠ قدماً وحولها مقاصير ومحاريب للعبادة ونصب التماثيل وكان على دائرها اعمدة تحيط بها كما ترى في الرسم وفي المقاصير محاريب كثيرة في طبقتين الواحدة فوق الاخرى لنصب التماثيل وبين المحراب والمحراب عمود او اكثر من الشكل الكورنثي البديع الصنعة واشكال المحاريب مختلفة فبعضها مقوَّس وبعضها صدفي وبعضها مقطوع من اعلاهُ والظاهر ان الاعمدة التي كانت امام هذه المقاصير والمحاريب كانت من المرمر السماقي المصري لان بعضها لا يزال مطروحاً هناك وقطر الواحد منها نحو ثلاث اقدام

لما زرنا بعلبك منذ خمس وعشرين سنة كانت هذه الدار مملوءة بالانقاض لا يعرف ما كان قائماً فيها وقد قلنا حينئذٍ " ان في وسطها قطعة مربعة من الارض ارفع من ارضها يسيراً

عليها اثر البناء والظاهر انها كانت هيكلاً او نحوه ". وهناك كان اكثر نقب الباحثين من الالمان بامر امبراطور المانيا فوجدوا آثار كنيسة قديمة طولها من الشرق الى الغرب نحو ٢٣٠ قدماً وعرضها من الشمال الى الجنوب ١٢٠ قدماً كما ترى في الشكل الثاني وكان في وسطها حيث الحرف د مذبح كبير طوله نحو ٢٨ قدماً والى جانبهِ الشرقي المذبح القديم المنحوت في الصخر والى يمينهِ ويسارهِ حيث الحرفان هـ هـ حوضان كبيران لغسل الذبائح او للتطهير جوانبهما كثيرة النقوش والزخرفة فيها الاكاليل وقلائد الازهار ورؤُوس البشر والثيران والالهة والحيتان والظاهر انهما اقدم من الكنيسة . والكنيسة تشبه في شكلها وبنائها كنيسة الامبراطور قسطنطين في القدس الشريف والظاهر انها بنيت معها في زمن واحد وان العرب هدموها ان لم تكن قد هُدمت بزلزلة وبنوا مكانها حمّاماً



الشكل الرابع

وغربي الكنيسة الهيكل الكبير حيث هيكل الشمس او هيكل جميع الآلهة وهو قائم على الدكة الصناعية المشار اليها آنفاً وفي جدران سورها الحجارة الكبيرة حيث الحرف ر وحجارة اصغر منها حيث الحرفان ز ز وقد كان هذا الهيكل من اكبر هياكل المسكونة واجملها ولكن لم يبقَ منهُ الآن الاّ ستة اعمدة قائمة تناطح السحاب صبرت على نائبات النوازل وعصت على غائلات الزلازل وهي النقط السوداء في الرسم الى الجهة الجنوبية من الهيكل وهي اول ما يظهر من بعلبك عن بعد كما ترى في الشكل الرابع . وكان طول هذا الهيكل ٢٩٠ قدماً وعرضهُ ١٦٠ قدماً يحيط بهِ اربعة وخمسون عموداً لم يبقَ منها قائماً غير هذه الستة علو كلٍ منها ٦٢ قدماً وفوقهُ افريز ارتفاعهُ ١٤ قدماً ونقوش هذا الافريز وتيجان الاعمدة مما يعجز عن وصفهِ قلم البليغ واعجب من ذلك تحكيم وضعها على ضخامة جرمها وعظيم ثقلها والارتفاع الشاهق الذي رفعت اليهِ

والعمود ثلث قطع متصلة بعضها ببعض اتصالاً متيناً بقطعة او قطعتين من الحديد وهو الذي جني عليها فكسرت لكي يؤخذ

هذا من حيث الهيكل الكبير اما الهيكل الصغير فهو المدلول عليهِ بالحرف ح في الشكل الثاني الى الجنوب من الهيكل الكبير ولم يزل قائماً وهو من الطراز الكورنثي مثل الهيكل الكبير طوله مع رواق الاعمدة الذي حوله ٢٢٥ قدماً وعرضهُ ١٢٠ قدماً وطول البناء من غير الاعمدة ١٦٠ قدماً وعرضهُ ٨٥ قدماً وكان يرقى اليهِ من جهتهِ الشرقية بسلّم فيها ٣٠ درجة بقيت الى عهد السائح دلاروك الذي زارهُ سنة ١٦٨٨ . والاعمدة التي حولهُ ١٥ من الشمال و١٥ من الجنوب وثمانية من الغرب وكان في الشرق صفان من الاعمدة الداخلي منهما مضلَّع وقطر كل عمود من اعمدتهِ ست اقدام وعقدتان وطولهُ ٤٦ قدماً وقد سقط اكثرها ولم يبقَ منها الآن قائماً الاَّ ما تدلُّ عليهِ النقط في الرسم والعمود الجنوبي منها سقط منذ امد بعيد واستند الى الجدار ولا يزال كذلك حتى الآن ولا تزال الاعمدة الشمالية قائمة وكذلك السقف الذي بينها وبين جدار الهيكل بما فيهِ من نقوش الازهار واوراق الاشجار والتماثيل الجميلة الصورة . وباب هذا الهيكل من عجائب المباني بنقوشهِ وعتبتهُ ثلاثة حجارة كبيرة انقضَّ الاوسط منها حتى كاد يسقط فدعم ببناء قبيح المنظر ازالهُ الباحثون الالمانيون الآن وردُّوا الحجر الى وضعهِ الاول

وعند الحرف ط البناء العربي وهو حسَن في غير هذا المكان لكنهُ قبيح هنا بالنسبة الى ما حولهُ والظاهر ان الباحثين سيزيلونهُ ويزيلون كل بناء جدَّ هناك بعد بناء الرومان

وقد بنيت بعلبك في اوائل التاريخ المسيحي وكانت في القرن الرابع من اعظم معاهد الديانة الوثنيَّة هيكلها الكبير لعبادة الشمس او جميع الالهة وهيكلها الصغير لعبادة المشتري وضربت فيها النقود وعليها صورة الهيكلين . وكان لعبادة الشمس الشان العظيم في سورية ولكهنتها المقام الرفيع حتى ان الامبراطور سبتيموس سَورس تزوج جوليادومنا ابنة كاهن الشمس في حمص ومعلوم ان هليوجبلوس الحمصي كاهن الشمس صار امبراطوراً لرومية وقرن السوريون عبادة الزهرة بعبادة الشمس وكانوا يأتون بعلبك لهذه الغاية لان فيها هيكلاً صغيراً للزهرة وهو من اجمل المباني القديمة وسنعود الى وصفهِ في وقت آخر ولذلك كان اهالي بعلبك في اشد الحمس الديني حتى انهم قتلوا جلاسينوس الممثل سنة ٢٩٧ للميلاد لانهُ تنصَّر وابى ان يمثل في المشهد

ثم لما قوي شأن النصرانية في عهد الملك قسطنطين خرب هيكل الزهرة في افقا بجبل لبنان وأمرَ ان يقلع اهالي بعلبك عن فظائع الديانة الوثنية لان النساء والبنات كن يعرضنَ للبغاء في عبادة الزهرة وان يرغَبوا في اعتناق الديانة المسيحية وبني كنيستهُ المشار اليها آنفاً في دار الهيكل

الكبير او حوَّل الهيكل كنيسة وسام لها اسقفاً وشمامسة ولكن بقيت عبادة الاصنام في المدينة لانها كانت ارسخ من ان تزول سريعاً

ثم لما قام الامبراطور يوليان المرتد سنة ٣٦١ اعاد الديانة الوثنية الى عزها الاول وفتك اهلها بالمسيحيين فتكاً ذريعاً في بعلبك وقتلوا الراهب كيرلُّس الذي كسر اصنامهم وقطعوهُ ارباً واكلوا كبدهُ ونفي المسيحيون من الاسكندرية الى بعلبك حيث لا يجدون مسيحيين غيرهم يهتمون بامرهم

وقام الامبراطور ثيودوسيوس الكبير سنة ٣٧٩ فلم يكتفِ بما فعلهُ قسطنطين من اقفال هياكل الاصنام بل خرَّبها تخريباً وحوَّل هيكل الشمس في بعلبك الى كنيسة والظاهر ان دعائم الوثنية تقوَّضت من بعلبك من ذلك الحين

ولما فتح ابو عبيدة بن الجراح دمشق وقصد مدينة حمص مرَّ على بعلبك ولما قرب منها التقى بقافلة عظيمة فيها جمع من الناس معهم البغال والدواب وعليها من انواع التجارات اكثرها من السكَّر والفستق والتين فغنمها . وحاصر بعلبك فصالحهُ اهلها على الفي اوقية من الذهب والفي اوقية من الفضَّة والفي ثوب من الديباج وخمسة آلاف سيف وعلى ان يدفعوا خراج الارض تلك السنة ويؤدوا الجزية كل عام لكنهم شرطوا على ابي عبيدة ان لا يدخل عاملهُ المدينة وتم الصلح على ذلك واستعمل ابو عبيدة على المدينة رافع بن عبدالله السهمي وضمَّ اليهِ تسعمائة فارس فاقام خارج المدينة وجعل يغزو البلاد المجاورة و يعود بالغنائم ويبيعها من اهل المدينة فانسوا اليهِ وادخلوهُ مدينتهم فحصَّن هيكلها ومن ثم صار قلعة للمسلمين

وفتح القرامطة بعلبك سنة ٢٩ للهجرة وقتلوا اهلها ولم يبقوا منهم الاَّ القليل . ثم تناوبتها الحروب والزلازل والسيول وايدي التدمير والتخريب كما تناوبت غيرها من مدائن الشام فلم تبقَ منها الاَّ آثار عظمتها السالفة

وزارها بلون السائح الفرنسوي سنة ١٥٤٨ فرأى هيكلها الكبير لا يزال قلعة وكانت اعمدتهُ القائمة تسعة ثم وقع منها ثلاثة بالزلزلة التي حدثت سنة ١٧٥٩ وكانت اعمدة الهيكل الصغير القائمة ٢٩ فوقع منها تسعة وتخلخل الحجر الاوسط من عتب بابهِ . والدهر يفجع بعد العين بالأَثر

وقد نقلنا الشكل الاوَّل والثاني من اشكال هذه المقالة عن نبذة كتبها الدكتور الفرد باس في نشرة جمعية النقب في فلسطين

اكبر الخادعات

تروي بستاناً وتسمده وتحرثهُ وتزرع فيهِ اجود انواع النبات فينبت معها اعشاب سامَّة تزيد عليها نماء وزكاء . وهذا شأن العمران فانهُ لم يتلف بزور الشر مع كل ما استعمل من الوسائل لاتلافها بل زاد العقول استعداداً لنموها ولذلك فاهل الخداع من الاوربيين والاميركيين امهر من كل احد في اكل الحقوق واختلاس الاموال

ولبعض الجرائد الاوربية عناية خاصَّة بكشف اخاديع الخادعين ولا سيما الجريدة الانكليزية المعروفة بالتت بتس والجريدة الفرنسوية المعروفة بالماتن . وقد نشرت هذه الاخيرة الآن خبر خادعة اسمها مدام امبر تواطأت هي وشركاؤُها على اختلاس ستين او سبعين مليوناً من الفرنكات وهاك بعض ما نُشر عنها في الجرائد الانكليزية والفرنسوية

كان اسم هذه المرأَة قبل ان تزوجت تريز دورنياك ولما كانت في الثامنة عشرة من عمرها كانت مسافرة بسكة الحديد ذات يوم فسمعت انيناً من المركبة الملاصقة لمركبتها فبادرت اليها ورأَت فيها شيخاً يئنُّ متألماً ففكت طوق رقبتهِ وبذلت جهدها في تخفيف آلامهِ الى ان بلغ القطار باريس وكان الرجل قد خفَّ ما الم بهِ فسأَلها عن اسمها وقال لها ان اسمهُ روبرت هنري كروفرد ومضى في سبيلهِ وكان ذلك سنة ١٨٧٤ او ١٨٧٥

وسنة ١٨٧٦ تزوجت هذه الفتاة بالمسيو فردرك امبر ابن وزير الحقانية ونائب رئيس مجلس الشيوخ وبلغها في السنة التالية ان روبرت هنري كروفرد المار ذكرهُ مات واوصى لها بمئة مليون فرنك وكتب وصيتهُ في نيس في ٦ سبتمبر سنة ١٨٧٧ . وبعد بضعة ايام جاءها اخوان قالا انهما ابنا اخ كروفرد المتوفى وانهُ اوصى لها بمئة مليون فرنك ووصيتهُ مؤَرخة في ٦ سبتمبر سنة ١٨٧٧ لكلٍّ منهما الثلث والثلث الثالث لاخت مدام امبر ان تزوجت باحدهما ويشترط على الثلاثة ان يدفعوا لمدام امبر ثلاثين الف فرنك كل شهر اي ٣٦٠ الف فرنك في السنة

وقال هذان الشابان لمدام امبر انهما غنيان جدًّا يمتلكان خمس مئة مليون فرنك او عشرين مليوناً من الجنيهات فلا حاجة بهما للمال الذي تركهُ عمهما وغاية ما يطلبان ان تبقى هذه الاموال لعائلة كروفرد ولذلك طلبا منها ان تبقي الاموال عندها وهي اوراق مالية فتقطع منها كوبونات كل سنة بمقدار المال المقطوع لها وهو ٣٦٠ الف فرنك وتحفظ الاصل

الى ان تكبر اختها وتقترن بواحد منهما فوضعت الاوراق في خزانة حديدية في بيتها ولم تكن تفتحها الاَّ مرة في الشهر لقطع كوبون بثلاثين الف فرنك

قال مكاتب التيمس ووقع الخلاف بين مدام امبر وبين هذين الشابين على هذه التركة فرُفعت الدعوى الى المحاكم وطال فيها الاخذ والرد وحمي وطيس الدفاع من الطرفين وانبسط مجال المرافعات واشتد نضال المحامين في المحاكم الابتدائية والاستئنافيَّة حتى بلغوا محكمة النقض والابرام ولا يبرحون في كرّ وفرّ واحجام واقدام واظنهم لا ينتهون منها مدى الايام

ولا يسع المقام تفصيل المداعاة وبسط المرافعات التي عرضت في شأنها وقد ناءت بها اعمدة الصحف وضاقت عنها صفحات الجرائد على رحبها ولكنني اشير الى امر يحير الالباب وهو انك لا تجد احدًا يقول انهُ رأى في حياته اوعرف الموصي او ابني اخيهِ ولا ترى احدًا يعرف وطن الموصي ولا احوال ابني اخيهِ ولا مقتنياتهما ولا وكلاءها ولا البنوك التي تعاملهما ومع ذلك ترى ذينك المدعيين الوهميين يحرران الصكوك ويوقعان البلاغات والعرائض ويعملان كل ما يعملهُ المدعون ولو كانا مجهولي الحقيقة والعلاقات . ولما فُتش عنهما رسميًّا في نمرة ١٢٠٢ بشارع برود واي في نيويورك تبيَّن ان المكان الذي قيل انهما يسكنانهِ بيت علوي مفروش ومعد للاجرة ولم يسكنهُ احد قط ممن يسمى باسميهما . ولما بحثوا على مسكن الموصي تبين ان المحل الذي ادَّعوهُ لسكناهُ هو حديقة لا بيت فيها

واغمض من هذا وذاك ان مدام امبر الوارثة الاولى ادعت ان في خزانتها الحديديَّة مئة مليون فرنك نقودًا واوراقًا مالية وهي التركة المذكورة وقد اودعت عندها برضى الفريق الآخر الوهمي اعني اختها وابني اخي الموصي على شرط انها لا تمس شيئًا منها ولا تفتحها والاَّ اضاعت كل حقوقها في الدعوى والغريب ان الناس صدقوا ادعاءها واعتمادًا على تصديقهم جعلت تستدين الملايين العديدة ربًا فاحش فوجدت ارباب الاموال فاتحين لها خزائنهم لتأخذ منها ما شاءت فاشترت منزلاً فخيمًا في باريس وقصرًا باذخًا وعملت اعمالاً كثيرة من الاعمال المالية العظيمة واستدانت من محل جيرار وشركائهِ ستة ملايين ومئتي الف فرنك ومن المسيو لفيفر اربعة ملايين ومئتي الف فرنك ومن البنك العقاري مليونًا وخمسين الف فرنك ومن الجمعيَّة العموميَّة ستة مئة الف فرنك ومن البنك الصناعي كذلك ومن بنك فرنسا مئتي الف فرنك ومن شركات اخرى واصحاب معامل وعقارات اموالاً طائلة حتى بلغ كل ما استدانتهُ ٣٢ مليون فرنك في رواية و٥٢ مليون فرنك في رواية اخرى

ولما تقاضاها الدائنون ما لهم ولم توفهم اشتد الخطب على احدهم جيرار وهو صاحب السهم

الاكبر وافضى بهِ الامر الى الانتحار فرفع مدير حساباتهِ الدعوى عليها فصدر حكم المحكمة عليها بدفع مليونين وخمس مئة الف فرنك وبتسليم ما في خزانة الحديد . على ان مدام امبر اتفقت مع دائنيها على وجهٍ ارضى الفريقين ومنع من فتح الخزانة والتفتيش لكن كيفية الاتفاق ظلت مجهولة ولم يعلم بها احدٌ . ويقال ان المحامي عنها امدها بمليونين وخمس مئة الف فرنك من مالهِ

ثم ان المسيو دت رئيس محكمة السين المدنية اجاب طلب المسيو مورل احد الدائنين وبالاتفاق مع المحامي عن مدام امبر اوعز الى رئيس قلم التسجيل ان يذهب مع مأمور آخر من هذا القلم الساعة ١ بعد ظهر يوم الجمعة الواقع في ٩ الجاري ويفتحا الصندوق وينظرا هل فيهِ مئة مليون الفرنك التي اوصى بها كروفورد ام الدعوى كاذبة ومبنيَّة على الغش والخداع

ولم تحن الساعة الاولى بعد ظهر يوم الجمعة الاَّ كان الناس مجتمعين يزحمون بعضهم بعضاً امام منزل مدام امبر ثم جاء المعينون من قبل المحكمة لفتح الخزانة الحديدية . ولما دخلوا المنزل لم يجدوا فيهِ احداً وظهر بعد البحث ان مدام امبر وزوجها واختها وبقيَّة شركائها ركنوا الى الفرار منذ اسبوع . فجيء بحدادين فكسروا الخزانة ولم يجدوا فيها سوى علبة فارغة وظروف قديمة فكان ذلك خاتمة هذه الحيلة التي بقيت عشرين سنة وربما بقيت سنين عديدة طي الخفاء والكتمان لو لم تهتك سرها جريدة الماتن . ومهما يكن في هذه المسألة من الغرابة فاغرب ما فيها ان قوماً من نخبة اصحاب البنوك وارباب المعامل الكبرى والشركات المشهورة في باريس يؤخذون بمثل هذه الترهات ويقعون في احبولة حيلة تسلبهم خمسين مليون فرنك. وآخر ما علمناهُ من امر اصحاب تلك الحيلة انهم فروا من منزلهم يوم الخميس في ٨ الجاري قاصدين انكلترا

ثم ان الحكومة الفرنسوية أَخذت توالي البحث والتنقيب وتقبض على كل من توجه اليهِ تهمة او شبهة توصلاً الى الوقوف على سرّ تلك الخديعة فقبضت في ١٠ الجاري على المسيو دومون احد موظفي قلم التسجيل سابقاً في روان وفتشت منزلهُ بباريز فعثرت فيهِ على اوراقٍ كثيرة . وقبضت ايضاً على المسيو بارمنتير وكيل هنري وروبرت كروفورد الوهميين ووجدت في خزانة قرينتهِ كثيراً من الاوراق واصدرت الاوامر بالقبض على المسيو امبر وزوجتهِ وشقيقتها ويظن انهم غادروا باريز في ليل ٧ الجاري ومعهم مبلغ عظيم من النقود . وقد ظن في بادىء الامر انهم ركبوا باخرة المانية من شربورج الى اميركا لكن ذلك لم يتحقق

اما سبب القبض على المسيو دومون والمسيو بارمنتير فلانهما شهدا للجمهور بصحة ما ادعتهُ مدام امبر من وجود مئة مليون فرنك في خزانتها فكانا علة انخداع الناس بهذه الحيلة وكان في باريز شركة تدعى "رنت فياجير" (الدين مدى العمر) يديرها اخوة مدام امبرت وتؤيدها

جريدة الكروى المشهورة ويدعي اصحابها ان راس مالها عشرة ملايين فرنك فهذه أُقفلت بامرٍ قضائيّ . ويظهر ان اصحابها كانوا من اكبر مروّجي تلك الحيلة . وقد طُلب مديروها فلم يوجد لهم أثر ومما تبين أخيرًا ان هذه الشركة كانت تقبل الودائع المالية وتدفع لاصحابها الربا من اصل راس المال والذين ذهبوا ضحايا خديعتها يعدون بالالوف

وقالت الدايلي مايل ان مدام امبر كانت تسكن قصرًا فاخرًا في شارع الغراندارمه بباريس فيهِ افخر الاثاث والرياش وكان عندها من الصور والحلى ما تقدَّر قيمتهُ بالالوف الكثيرة ويزورها جلّة القوم وفي جملتهم المرحوم فلكس فور رئيس الجمهورية السابق وكل زعماء الحزب الوطني ويقال ان عندها صورًا فوتوغرافية اذا نشرت اعادت ذكر بناما وفضائحها . ولما بلغت اختها سن الرشد وجازتهُ لانها الآن في الاربعين من عمرها ابت ان تتزوّج باحد الاخوين وظلت مدام امبر تستدين المال من المغرورين بحيلها مدعية انها لا تستطيع ان تنفق من المئة مليون فرنك التي في خزانتها ما لم تتزوّج اختها باحد الاخوين او تثبت التركة لها وقد الفت شركة للتأمين على الحياة وجعلت تشتري بالاموال التي يدفعها اليها المؤمنون على حياتهم سندات من سندات الدين الفرنسوي وتقطع الكوبون منها وتصرفهُ فتوهم الناس انها تصرف من كوبون السندات التي في خزانتها واذا طالبها مداين وألحّ في الطلب وفتهُ دينهُ كلهُ او بعضهُ مما تستدينهُ من غيرهِ

وآخر ما وصلنا من اخبار هذه الحادثة الغريبة ان حكومة باريز قبضت على رجل ثالث لهُ علاقة بها وهو المسيو لنجلوى احد موظفي قلم التسجيل سابقًا وقهرمان مدام امبر . وقد دافع عن نفسهِ بقولهِ انهُ لم يشترك في الخديعة والاحتيال بل كان مغرورًا مخدوعًا وقال ان مدام امبر ارتهُ من كوبونات الرنت الفرنساوي ما تبلغ قيمتهُ مليوني فرنك في السنة فصدقها كما صدقها كثيرون غيرهُ واقتنع بغناها واخذ يقنع الآخرين وقد خسر بسببها مالاً طائلاً . وكان المسيو لنجلوى مديرًا لشركة العقارات والمنقولات العمومية التي هي الآن تحت التصفية وقضى عشر سنين عائشًا عيشة كبار المتمولين في الاسراف والتأنق في المأكل والملبس ويروى عنهُ انهُ باغرائهِ استدانت مدام امبر من رجلين خمسة ملايين فرنك فهو والحالة هذه معدودٌ من جملة شركائها في المخاتلة والمخادعة

وجاء في احدى الجرائد ان المسيو بارمنتيه وكيل هنري وروبرت كروفورد الوهميين كتب بعد ما قُبض عليهِ كتابًا قال فيهِ انهُ بريءٌ من كل ما اتهم بهِ وان التحقيق سوف يظهر ذلك للعيان وان الماكر الكبير " والنصاب " العظيم الذي رسم لارباب هذه الحيلة خطة الخداع هو المسيو امبر الكبير ناظر الحقانيَّة في عهد وزارة المسيو دي فراسينه فجرى ابنهُ وزوجتهُ على

خطئهِ وعملاً بمشورتهِ. ويقال انهُ اول من اختلق خبر هذا الارث وتذرع بهِ الى السلب والنهب فانهُ ذهب يوماً الى تورسان ونزل ضيفاً على طبيب لا يعرفهُ الاَّ قليلاً فرحب بهِ واكرم مثواهُ وفي صباح يوم من الايام جاءَتهُ المكاتيب فقرأها مسروراً واخبر الطبيب ان ابنهُ ورث ميراثاً عظيماً ثم قصَّ عليهِ خبر الميراث فقال ان غنياً بورتغالياً من اصحاب الملايين العديدة مرَّ بتولوز منذ عشرين عاماً فتعرف بمحاة ابنهِ واحبها وتبنى ابنتيها واوصى لهما باموال لا تحصى وكتب وصيتهُ بقلم من الرصاص فنازعهما اقاربهُ فيها فعرضت المسأَلة على الحاكم وهو يحتاج الآن الى مال طائل لينفق على هذه القضيَّة ثم طلب ان يقرضهُ ستين الف فرنك فنقدهُ اياها في الحال وكان ذلك فاتحة الاحتيال

نازلة مرتنيك

مرتنيك جزيرة من جزائر الهند الغربيَّة على مقربة من الطرف الشمالي الشرقي من اميركا الجنوبيَّة مساحتها ٣٨١ ميلاً وعدد سكانها نحو مئتي الف نفس اكتشفها الاسبانيون سنة ١٤٩٣ وضمها الفرنسويون الى مستعمراتهم سنة ١٦٣٥ وحكومتها منتظمة كغيرها من المستعمرات الفرنسوية لها حاكم عام ومجلس ادارة ومجالس بلدية ونائبان في مجلس النواب الفرنسوي ونائب في مجلس الشيوخ . فيها مدينتان كبيرتان سن بير وفوردفرانس كان في الاولى نحو ٢٦ الفاً من السكان عدا من يكون في السفن الراسية في مرفإها وفي الثانية ١٧ الفاً وفي الجزيرة مدرسة للحقوق وثلاث مدارس ثانوية ومدرسة للعلمين و ١٥٢ مدرسة ابتدائية و ٧٥ مدرسة خصوصيَّة ويزرع فيها قصب السكر والبن والكاكاو والتبغ والقطن والحبوب على انواعها وتبلغ قيمة الصادرات منها ٢٧ مليون فرنك وقيمة الواردات اليها ٢٥ مليون فرنك فمتوسط تجارتها الخارجية ثلاثة اضعاف متوسط التجارة في القطر المصري بالنسبة الى عدد السكان . وتمر بها البواخر الفرنسوية والانكليزية والاميركيَّة في مواعيد معلومة ويتصل بها سلكان من اسلاك التلغراف البحري يتصل بهما بالمسكونة كلها اي ان سكان هذه الجزيرة كانوا في رغد ونعيم في كل ما يخضع لعقل الانسان ويدهِ. ولكن في الارض قوى تفوق مقدرة الانسان ولا تخضع لهُ وهي الزلازل والبراكين والزوابع والعواصف واعظمها هولاً واشدها فتكاً القوى البركانية التي تقذف الحمم وذوب المعادن من جوف الارض وتصبها على وجهها فلا تبقي ولا تذر

في هذه الجزيرة بركان قديم اسمهُ بيلي علوهُ ٤٤٢٩ قدماً تطمئن النفس لرؤيتهِ وترتاح

العين بمشاهدة ما يحيط بهِ من الحراج وما يكلل هامتهُ من السحب بنيت مدينة سن بير عند سفحهِ ويليها جزائر كثيرة منتظمة في شكل هلال . والظاهر ان الحوض الذي تحيط بهِ لم يصل الى حدهِ من الخسوف فزاد خسوفاً في هذه الاثناء وضغط على ما تحتهُ مما في جوف الارض من المواد الحامية فحاولت النفوذ من اقرب منفس اليها والجبال النارية منافس الارض فخرجت من جبل بيلي هذا ومن جبل سوفريَر في جزيرة سنت فنسنت

وجزيرة سنت فنسنت للانكليز وعدد سكانها نحو ٤٥ الف نفس اكثرهم من السود عاصمتها كنستون فيها نحو خمسة آلاف نفس ويزرع في الجزيرة قصب السكر والكاكاو والطيوب والاروروط والحبوب المختلفة وحراجها كثيرة الاشجار وفيها بركان سوفريَر ارتفاعهُ اربعة آلاف قدم وهي معرَّضة لنوازل البراكين والزوابع والزلازل حتى بات اهلها افقر رعايا الانكليز حالاً وقد ثارت عليها زوبعة سنة ١٨٩٨ فدمرتها تدميراً وظل المحسنون يجمعون لها الصدقات الى عهد قريب

اما الحوادث الطبيعيَّة المنذرة بهذا الثوران وهذا الدمار فكما يأتي

في التاسع عشر من ابريل حدثت زلزلة في تلك الجهات تدل على حدوث اضطراب في طبقات الارض التي تحتها

في ٢٣ ابريل ابتدأ ظهور الدخان من جبل بيلي

في ٣ مايو ظهرت الحمم في كاسهِ وصارت تنير ليلاً

في ٤ مايو قذف الرماد وغطَّى بهِ البلاد المجاورة

في ٥ مايو جرت منهُ الحمم ممزوجة بالطين ومرَّت في طريقها على معمل سكَّر فاكتنفتهُ وقتلت من فيهِ وهم ٢٣ نفساً . ولما وصلت الى البحر انحسر ماؤُهُ من وجهها وارتدَّ مسافة مئة متر ثم عاد موجة عظيمة جدًّا

في ٦ مايو نشر مأمور الحكومة الفرنسوية نشرة يقول فيها ان لا خوف من ثوران البركان لكي تطمئن النفوس ولا يهرع السكان الى المهاجرة دفعةً واحدة فاخطأ في ذلك خطأ لم يكن يعلم مقدار عاقبتهِ فقضى هو وعائلتهُ مع من قضى من اهل المدينة

في ٨ مايو الساعة ٨ صباحاً امطر هذا البركان على سن بير والسفن التي في مرفإها ناراً وحمماً وحجارة ظلَّت تهطل عليها ربع ساعة فطمرتها وحرقتها واماتت كل من فيها وحرقت السفن التي في مرفإها ولم ينجُ منها الا سفينة واحدة كما سيجيء وبلغت الحجارة المقذوفة منهُ مدينة فورده فرانس وهي على ١٢ ميلاً من سن بير وكانت بحجم الجوز

وخمد الثوران في العاشر من الشهر وبعثت شركة روتر من جزيرة سنتا لوسيا (وهي بين

جزيرة مرتنيك وجزيرة سنت فنسنت) تقول

ابتدأ ثوران البركان في ٥ مايو فخرج منهُ نهر من الحمم المشتعلة وجرى في مجرى غدير جاف الى ان بلغ البحر مسافة خمسة اميال في ثلاث دقائق فحسر ماؤهُ من امامها ٣٠٠ قدم ثم ارتد بموجة عظيمة غمرت الشاطئ ولكنها لم تضرَّ كثيرًا وفي اليوم التالي انقطعت المواصلات التلغرافية بين مرتنيك وسنت فنسنت . وفي الثامن من الشهر وصلت الباخرة رودام الى سنتا لوسيا وهي مغطاة بالرماد وحبالها مقطعة وشراعها ممزق ومحروق وقال قبطانها انهُ وصل سن بير الساعة الثامنة وكان الصباح صافيًا بعد زوبعة ثارت في الليل وجاءهُ وكيل الباخرة في قارب ليكلمهُ فالتفت واذا سحابة كبيرة من الدخان والنار تسرع نحو المدينة والمرفإ وللحال اكتنفت المدينة بغلالة من النار وجعلت النيران تنصب على السفن الراسية في المرفإ فوثب الوكيل الى الباخرة وكان البخار لا يزال في آلتها فقطع القبطان مرساتها وادار آلتها هاربًا بها وكان مطر النيران قد بلغها وحرق اكثر بحارتها فبقوا على ظهرها مع الحمم (وكان عددهم اربعين فسلم منهم اثنا عشر) وظلّت الحمم تنهال على الباخرة وهي هاربة مسافة ستة اميال . واصاب القبطان حروق كثيرة ولكنهُ بقي حيًّا وكذلك الوكيل حرق حروقًا شديدة وهو الشخص الوحيد الذي نجا من اهل المدينة بعد انصباب النيران عليها (ونجا رجل من المجرمين وُجد في السجن حيًّا). واحترقت السفن التي كانت في مرفإها وغرقت

وارسلت من فور ده فرانس في العاشر من الشهر تقول انهُ في الساعة الثامنة من اليوم الثامن اظلم الجو وحسر ماء البحر من ستين الى تسعين قدمًا وصارت الحجارة تنهال كالمطر وهي بحجم الجوز ودامت كذلك ربع ساعة

ويظهر من الاخبار التي وردت بعد ذلك انهُ قضي بهذه النازلة ثلاثون الفًا على الاقل وهم سكان المدينة والضواحي وبحارة السفن الراسية في مرفإها ولم ينجُ من هذه السفن الاَّ الباخرة الانكليزية رودام المتقدم ذكرها ولم تفلت من مخالب الموت الاَّ بعد ان احترق ٢٨ من بحارتها وحرق ربانها حروقًا اليمة . وهرع الطراد سوشه الفرنسوي الى محل النازلة فدنا منها الساعة ٢ بعد الظهر وعاد حالاً باخبار الشؤم بعد ان التقط ثلاثين نفسًا من مكان قريب منها مات منهم ١٦ بعد ذلك من حروقهم اما المدينة فلم يمكنهُ دخولها ثم عاد فانقذ كثيرين من اهالي البلاد المجاورة ولا سيما بلدة برشر وهي على خمسة اميال من سن بير وعاونتهُ ثلاث سفن أُخرى فانقذت كلها اربعة آلاف نفس . ولما انقطع انهيال الحمم على سن بير ودخلها اهل النجدة ليروا ما حلَّ بها وجدوا ان القضاء باغت سكانها فقتلهم حالاً واكثرهم مكبٌّ على وجههِ او واضع يدهُ على فيهِ

خوف الاختناق او جالس في مكانهِ كانهُ اصيب بصاعقة . وقد احترقت المدينة كلها وهدمت مبانيها او تمزقت تمزقاً حتى الاشجار قلعت من الارض وانقلبت اعلاها اسفلها واسفلها اعلاها ولم يسلم الأ ساعة المدينة فانها وقفت على الساعة ٢/١ ٧ وبقيت كذلك لتدل على زمن ابتداء النازلة بالتدقيق وحرق بيت التلغراف ورميت بعض آلاتهِ مسافة مئة متر

وكان في اقبية البنك ما قيمتهُ مليونا فرنك من النقود فبقيت سالمة لم يمسها ضرر كانَّ المال ابقى من الارواح . ولم يوجد من الجثث السليمة التي يمكن دفنها الأ الفا جثة

وجاءنا روتر في ٢٢ مايو عند كتابة هذه السطور بان بركان يلي ثار ثوراناً جديدًا فاق ثوران ٨ مايو في الشدَّة وقذف الصخور الكبيرة على خرائب سان بيَر فعفى آثارها والرعب مستحوذ على جزيرة سنت فنسنت ايضاً لان بركانها عاد الى الثوران

وحالة جزيرة سنت فنسنت ليست اصلح من حالة مرتنيك فان بركانها السوفرير ثار ايضاً حينما ابتدأ البركان يلي بالثوران وبلغت الحجارة المقذوفة منهُ مدينة كنستون وهي على ١٢ ميلاً منهُ وانثغرت فيهِ ثلاث فوهات جديدة في السابع من الشهر جرى منها ستة انهر من الحمم وكأن جوف البركان كان يتمخَّض ويدعق صعقان تصمُّ الآذان ودام ذلك الى صباح الجمعة (في الثامن من مايو) وارتفعت منهُ سحابة كثيفة مشحونة بالمواد المعدنية الى علو ثمانية اميال فاظلم بها الجو حتى امسى النهار ليلاً حالكاً ولما وقعت الحجارة والحمم تكاثفت الابخرة وهطلت مطرًا اسود وكانت البروق تومض من خلال السحب كحراب من نار فاحترقت المزارع وتغطت الارض بالحمم واحترق كل ما فيها من نبات اخضر ومات كل حي هناك وبلغ من قتل بها من الناس حينئذٍ نحو الفي نفس

والمظنون الآن ان السكان يهجرون هاتين الجزيرتين الى ان يخمد بركاناها وينقطعا عن الثوران سنين كثيرة

ولا مثيل لنازلة سن بير الأ نازلة بمباي وهركولانيوم اللتين دمَّرهما بركان بزوف سنة ٧٩ للميلاد بعد ان كان قد خمد منذ سنين كثيرة وزرع الناس جوانبهُ بالاشجار والكروم وبنوا تينك المدينتين عند سفحهِ . ومن البراكين التي ثارت حديثاً بعد ان خمدت سنين كثيرة بركان كراكاتوى بين جاوى وسومترا فانهُ ثار سنة ١٨٨٣ بعد ان خمد مئتي سنة ورفع ثلثي الجزيرة التي هو فيها من اصولها ومساحتها ١٣ ميلاً مربعاً ورمى بها في الجو فماج البحر موجاً عظيماً غمر شاطىء جاوى وسومترا وخرب ثلثمئة قرية وقتل ستة وثلاثين الف نفس وسمع صوت هذا الانفجار على ثلاثة آلاف ميل وانتشرت المواد المقذوفة من هذا البركان في الجو ودارت حول

الارض كلها وبقيت ثلاث سنوات تمتص نور الشمس فتزيد حمرتهُ عند الغروب

اما بركان بيلي فلم يمضِ عليهِ خامدًا الاَّ خمسون سنة لانهُ ثار آخر مرة سنة ١٨٥١ وقد انذر هذه النوبة بالثوران بما سبق ثورانهُ من الزلازل ولكنَّ الزلازل كثيرة في جزيرة مرتنيك وما يليها من الجزائر فقد حدث فيها منذ ست وعشرين سنة الى الآن ١٤٨ هزة ولذلك الف الناس زلازلها ولم يعودوا يعبأُون بها الى ان فاجأَهم القدر المحتوم

اما هول المصاب في مرتنيك وسنت فنسنت وتأْثيرهُ في النفوس فما لا يعبر عنهُ القلم وقد بادر الملوك والعظماء والفضلاء في كل مكان الى مساعدة الاحياء بالمال فتكرَّم جلالة السلطان بعشرين الف فرنك وملك انكلترا بخمسة وعشرين الف فرنك وكذلك امبراطور المانيا ورئيس جمهورية فرنسا وفاقت الحكومة الاميركية غيرها في الكرم

النيران في القطر المصري

كان الشهر الماضي شهر شؤْم وبؤْس على اماكن كثيرة في هذا القطر كما كان على جزيرة مرتنيك وجزيرة سنت فنسنت ولو لم يذهب فيهِ من النفوس عشر معشار ما ذهب في تينك الجزيرتين ولا تلف من الاموال والمقتنيات ما يقابل بما تلف هناك . الاَّ ان المصيبة كانت فادحة حركت ارق عواطف الشفقة والحنان فتألفت اللجان الخيرية لاغاثة المنكوبين ومساعدة المصابين ولا تزال تتنافس في هذا العمل المبرور . وقد اشبعت الجرائد اليومية المقال في وصف هذه النيران فنجتزي بما يذكر عنها في باب التاريخ فنقول

ميت غمر — شبت فيها النار في ١ مايو فاحرقت ٥٤٨ منزلاً و ٩٧ شادرًا ودكانًا وحانةً وقهوة واماتت ٦١ نفسًا وبلغ عدد المصابين بحروق وجروح اكثر من ١٠٠ وقدرت الخسارة بنحو ٢٥٠ الف جنيه

العزيزية — شبَّت فيها النار بعد ظهر ١ مايو فدمرت ٣٠ منزلاً تدميرًا واحرقت اثاث نحو ١٧٠ منزلاً وبلغ عدد الذين توفوا بها ١٦ نفسًا والجرحى ٦

اشليم بمركز قويسنا — شبَّت فيها النار في ١٠ منهُ فاماتت ١١ نفسًا واصابت ٢٠ نفسًا بحروق ودمرت ١٣٠ بيتًا

بطينة ومحلة زيات — شبَّت النار في بطينة في ١٠ منهُ والتهمت نحو ثلثيها . وفي محلة زياد دمرت عشرة بيوت

نكلا العنب — شبّت فيها النار في ١٠ منهُ ايضاً فاماتت ستة من الكهول والاطفال

عنابر الدائرة السنية في مزلقان خزام في لقصر — شبت فيها النار ليل ٨ من الشهر وبلغت قيمة ما حرقتهُ ٥٠ الف جنيه

ناحية سروه — في ١٤ منهُ دمرت النار كل منازلها واخرج ٧ جثث من تحت الردم

القنايات — في ١٤ منهُ احرقت النار ٢٥٠ مسكناً ولم يمت احد

ظهر شرب (مينا القمح) — في ١٢ منهُ احرقت النار ١١٧ منزلاً وفي شبرا العنب دمرت ٣٥ منزلاً

منية شنشنا عياش — في ١٢ منهُ احرقت ٧٠ بيتاً

السنبلاوين — في ١٢ منهُ احرقت ٤٨٤ منزلاً وحانوتاً وقدرت الخسائر بستين الف جنيه

سرس الليانة (بمركز منوف) — في ١٢ منهُ دمرت النار ٢٤٧ منزلاً واماتت ١٢ نفساً

عنابر بولاق — في ١١ منهُ احرقت ٣٥ مركبة للركاب وقسماً من الورشة وقدرت الخسارة بنحو سبعين الف جنيه

وكان شهر مايو شديد الحر في بعض ايامهِ كثير العواصف فساعد النيران على الشبوب والانتشار ولا يعلم سبب آخر لتعدد النيران الاَّ ان يكون الاهالي قد اخذوا يوقدون المصابيح ليلاً اكثر من ذي قبل ومصابيحهم من البترول ولا زجاج يمنع اتصال لهبها بما حولهُ. او يكون قد شاع في الارياف نوع من الثقاب (عيدان الكبريت) سريع الالتهاب يشتعل لاقل احتكاك والفلاح يضع عيدان الثقاب اينما اتفق وقد قال لنا البعض من اصحاب وابورات الحلج انهم قلَّما حلجوا قطناً ولم يروا فيهِ عيدان الثقاب. فخليق بالحكومة المصرية والحالة هذه ان تبحث عن سبب كثرة النيران وعمَّا اشرنا اليهِ وهو استعمال المصابيح من غير مداخن واستعمال عيدان من الثقاب سريعة الاشتعال فان كان ذلك صحيحاً بذلت جهدها في تلافيهِ حفظاً للارواح والاموال

والشكوى كثيرة من وضع الفلاحين حطبهم على سطوح بيوتهم واكثرهُ من عيدان القطن والذرة وما اشبهُ ممَّا يسهل اشتعالهُ ولا سيما اذا اشتدَّ الحرُّ عليهِ. والظاهر ان الحكومة منعت وضع الحطب على السطوح بقرارات ادارية ولكن صعب عليها تنفيذها. ويظهر لنا ان ترك الحطب في الغيط لا يخلو من الضرر لانهُ يكون ملجأً للحشرات تختبئ فيهِ وتضرُّ بالزراعة. وسيبقى الخطر من اشتعال النار الى ان يتعلَّم الناس اتقاءها

رجال المال والاعمال



توماس اديصُن

لم نذكر من رجال المال والاعمال مَن يرد اسمهُ في المجلات العلمية اكثر مما يرد اسم اديصُن ولذلك فقرَّاء المقتطف يعرفون كثيراً من امر هذا الرجل كمخترع كبير وقد لا يعرفون انهُ من الرجال الذين اكتسبوا الاموال الطائلة بما بنوهُ على اسس العلم من الاعمال

ولد اديصُن سنة ١٨٤٧ من والدين فقيرين وكان نشيطاً من حداثتهِ ولكنهُ لم يكن مغرماً بالدرس ولما صار عمرهُ اربع عشرة سنة استخدمهُ مدير احدى الجرائد لبيع جريدتهِ في سكة حديدية . ولا يزال يتذكر تلك الايام ويباهي بها ويخبر اصحاب الجرائد عمَّا لاقاهُ فيها . وهو كثير الابتذال من هذا القبيل ولذلك ترى الاحاديث المنقولة عنهُ في الجرائد كثيرة جدًّا يستغرب قارئها كيف يجد هذا الرجل فرصة لمحادثة الناس وهو دائم الاشتغال باكبر المكتشفات والمخترعات . ولا يكتفي بذلك بل هو كثير المزاح زارهُ احد مكاتبي الجرائد حديثاً وحيَّاهُ وشكر الله على جودة صحتهِ فقال لهُ اديصن نعم ان صحتي جيدة وهي اجود مما تظن لان عمري الآن ٩٩٨ سنة وسابلغ الفاً وخمس مئة سنة من العمر قبل اواسط الصيف المقبل من فضل ارباب الجرائد وما نسبوهُ اليَّ من غرائب الاعمال التي لا يعملها المرء الاَّ في المئات الكثيرة من السنين

ولكنك اذا حدثتهُ عن حداثتهِ ترك المزل واخذ يقصُّ عليك ما كان يلاقيهِ وهو يبيع الجرائد والكتب والفول السوداني وانواع الملبَّس ويسير في القطار من مكان الى آخر لهذا الغرض . ولم يكن يخطر ببالهِ حينئذٍ ولا ببال احد من الناس انهُ يكون مخترعاً في مستقبل

الايام . قال "ان بيع الفول السوداني كان فيهِ من المهارة ما ليس في غيرهِ فاننا كنا نحمل سلّة كبيرة فيها من هذا الفول وكيلةً صغيرة نكيل بها للمشتري والمهارة في وضعهِ في الكيلة فاننا كنا نضرب الكيلة في الفول ضربًا فتظهر مملوءة بهِ والحال انهُ يكون نصفها فقط وتحتهُ فارغ . وينشر المشتري منديلهُ فنفرغ لهُ الكيلة بالاعتناء التام كانها مملوءة مهزوزة . ولا انسى اني كنت مرة احاول افراغ الكيلة فهبط الفول فيها وظهر انهُ لا يملأُ نصفها فعدت بالخيبة والخجل ولكنني انتقلت الى قطار آخر وبعت كل ما معي حتى السلّة التي كان الفول فيها . ودخلت مرةً أُخرى القطار وكان في مركبة منهُ اثنان تظهر عليهما هيئة الرفاهة والنعيم وكان في سلتي فول سوداني وتفاح وتين وما اشبه فعرضتها عليهما فقالا لا نريد شيئًا من ذلك فقلت لهما اتريدان كتبًا وجرائد لاجلب لكما فقالا لا بل نريد ان نقي غيرنا ايضًا من سوء المضم الجسدي والعقلي وتناولا السلّة من يدي وطرحا ما فيها من شباك القطار فوقفت مدهوشًا واخذت ازعق باعلى صوتي وهرع مَن في المركبة لمشاهدتي والرجلان يضحكان ويقولان في حنجرتهِ مرض الى ان وصلنا الى المحطة فانزلاني من القطار واعطياني ريالاً حتى سكت"

ولما نشبت الحرب الاهلية في اميركا وراجت الجرائد اقنع محرري جريدة ان يطبعوا لهُ الف نسخة زيادة عمّا يطبعون عادةً لكي يبيعها في قطارات سكة الحديد ثم انشأ جريدة صغيرة لبيعها للركاب واتبعها بجريدة هزلية وجعل ينتقد هذا ويتهكم على ذاك والناس يحتملون هزلهُ بالصبر مرةً والضجر اخرى الى ان اغتاظ واحد منهُ ورماهُ في النهر حتى كاد يغرقهُ ومن ثم توالت عليهِ النوائب واخيرًا قلب زجاجة فيها فصفور وكاد يحرق القطار فحجز على مطبعتهِ وكل ما يمتلك وامسى لا يملك شيئًا

وحدث بعد ذلك انهُ رأى ولدًا يكاد يدوسهُ القطار فاسرع اليهِ وانقذهُ وكان ابو هذا الولد من مستخدمي التلغراف في سكة الحديد فاراد ان يكافئهُ في صنيعهِ فعلمهُ كيفية استعمال آلات التلغراف فتعلَّم ذلك حالاً ودرس كل ما وصلت اليهِ يدهُ في علم الكهربائية والتلغراف وخدم في مصلحة التلغراف المتعلقة بسكة الحديد لكنهُ لم يحسن عملاً فكاد يهدم قطرًا بقطر واستدعاهُ المدير وجعل يوبخهُ وقال لهُ لا بدَّ من ارسالك الى السجن وبينما هو يكلمهُ مغتاظًا دخل اثنان من الكبراء فغيَّر صوتهُ ولم يعد يلتفت اليهِ فخرج وهرب ثم مضى الى بوستن ماشيًا فوصلها في اربعة ايام . ولما صار عمرهُ احدى وعشرين سنة اتى مدينة نيويورك وهو لا يملك شيئًا

وكان يمشي ذات يوم في شوارع نيويورك فرأى الناس مجتمعين في مكتب التلغراف وحولهُ فسأل عن سبب اجتماعهم وعلم ان آلة التلغراف وقفت عن العمل فدخل وقال انهُ يصلحها

فاستغرب الحضور امرهُ لكنهُ اثبت قولهُ بالامتحان واصلح الآلة في بضع دقائق واثبت مهارتهُ في هذا الفن فجُعل كهربائياً لمكاتب التلغراف وقطع لهُ راتب ستين جنيهاً في الشهر فذهل عن نفسهِ لانهُ لم يكن ينتظر ان ينال مثل هذا الراتب في حياتهِ وكان شغلهُ قليلاً لا يشغل كل وقتهِ فجعل يبحث ويجرب الى ان استنبط آلة لطبع الاشارات التلغرافية ثم استنبط استنباطات أُخرى اشترتها كلها منهُ شركة التلغراف بثمانية آلاف جنيه . وقد قال في صدد ذلك ما ترجمتهُ

لقد بلغ من ذهولي حينما ذكر لي هذا المبلغ اني لم اصدق اذني وخطر ببالي ان في الامر حيلة عليَّ ثم امضيت شروط البيع وأُعطيت تحويلاً بالقيمة على بنك فهرعت اليهِ ولم اكن دخلت البنك من قبل ولما قدمت الحوالة الى الصراف قطَّب جبينهُ وتكلَّم كلاماً لم افهمهُ لاني كدت اكون اطرش فاعاد الكلام ولما لم افهم منهُ شيئاً قلت في نفسي اني مخدوع لا محالة ولو اتاني احد واشترى الحوالة مني حينئذٍ بعشرة جنيهات لبعتهُ اياها . ودرت من هناك وسألت احد الكتبة ما يقول هذا الصراف فصرخ في اذني قائلاً انهُ طلب منك ان تثبت لهُ شخصيتك فتعال معي ثم ادخلني وقال انهُ يعرفني ولما قبضت المبلغ ذهبت من ساعتي واشتريت بهِ كل الادوات اللازمة للبحث والتنقيب في آلات الكهربائية

ومن ثم اخذ يجري سريعاً في ميدان الاختراع والاستنباط وجعلت الثروة تنهال عليهِ جزاء مخترعاتهِ. وبنى داراً كبيرة للامتحان انفق عليها الاموال الطائلة لان المال يثمر المال اذا اقترن بالحزم والتدبير. اما حزمهُ واجتهادهُ فمَّا يفوق الوصف. قيل انهُ لما كان يجرب التجارب لعمل القنديل الكهربائي من خيوط الفحم بقي في معملهِ اربعة ايام بلياليها لا ينام ولا يستريح قائلاً إما النجاح وإما الموت لكنهُ نجح وصنع القنديل الكهربائي الذي نكتب في ضوئهِ هذه السطور الآن. ولا تسَلْ عن الشهرة التي حازها بهذا الاستنباط والاموال الطائلة التي ربحها منهُ

ثم استنبط الفونوغراف اتفاقاً فانهُ كان يتكلم بالتلفون فشعر باهتزاز القلم الدقيق المتصل بهِ فادنى منهُ ورقة وهو يلفظ الكلمة " هلو " فاثر فيها واجرى الورقة امام القلم فسمع كلمة " هلو " منهُ. ثم صنع الفونوغراف واتقنهُ كما هو معلوم ولكن بعد تعب يقصر القلم عن وصفهِ

قال بعضهم وقد زار اديصن حديثاً انهُ اذا كان في بيتهِ فهو مجمع اللطف والبشاشة واذا كان في المعمل غاص في الاعمال حتى صار جزءا منها . زرتهُ في معملهِ فأُدخلت اولاً الى غرفة فسيحة فيها كتبهُ وهي من اوسع المكاتب العلمية في المسكونة فيها خزائن الكتب وبينها كراسي ومساند حتى يسهل على المطالع الجلوس حيثما شاء وفوق الكتب صور مشاهير رجال العلم والشهادات التي نالها من المعارض المختلفة وصور كثير من الآلات

وبينما كنت انظر في بعض الرسوم فتح الباب ودخل اديصن وهو ربعة عريض المنكبين شائب الشعر محلوق الوجه يظهر ان عمرهُ من خمسين الى ستين سنة (عمرهُ ٥٤ سنة) فتقدم اليَّ مسرعاً وصافحني وجلس على كرسي امامي وحينما كنت اكلمهُ كان يضع يدهُ وراء اذنهِ ليجمع تموجات الصوت بها وقال لي اني اطرش فانهُ لما كان عمري ١٢ سنة رفعني رجل باذنيَّ فمزّق طبلتيهما ولكن الطرش لم يضرني ولو امكنني ان اشفى منهُ ما اخترت الشفاء لانهُ ساعدني على حصر افكاري في ما افكر بهِ فنفعهُ نفع اكيد . ثم اني لا اخسر كثيراً بعدم سمعي ما يقولهُ اكثر الناس واني اسمع جيداً في معامل الآلات وحيثما تكثر الضوضاء وقد صارت الضوضاء من لوازم العمران في هذه الايام ولذلك فانا في الغالب غير اطرش

وهاك بعض ما اجابني بهِ عمّا سألتهُ عنهُ

اني اشرع في العمل قبل الساعة السابعة بعشرين دقيقة فاطالع اولاً جرائد الصباح لاقف على الاخبار الى ان يحين وقت الفطور فافطر مع اولادي وامضي الى المعمل فاصلهُ الساعة الثامنة ويكون لديَّ غالباً من اربعين الى سبعين من الاشغال التي لا بدَّ لي من ان اهتمَّ بها . وفي كل ليلة اكتب قائمة الاشغال التي يلزمني الاهتمام بها في اليوم التالي مما يتعلق بمخترعاتي المختلفة . وعندي الآن اكثر من مئة وخمسين عاملاً في معملي ولديَّ في كل يوم اربعون او خمسون تجربة من التجارب العلمية العملية في الكيمياء والكهربائية والنور والحرارة وعلم الآلات والمعادن والنور والقوة ولا بدَّ من اجرائها فاوزعها على العمّال عندي في ساعتين من الزمان واشتغل باصعبها او بما لهُ عندي الشأن الاكبر منها

فسألتهُ ما هي اصعب مسألة اشتغلت بها . فقال مسألة النور الكهربائي فانني لما شرعت في حلها لم يكن يُعرف شيء عن النور الكهربائي مما تلزم معرفتهُ . ولما حاولت استعمال هذا النور رأيت امامي مصاعب كثيرة يجب التغلُّب عليها اشدها جعلهُ رخيصاً من باب تجاري . فان تصوُّر الاختراع سهل على نوع ما واخراجهُ من القوة الى الفعل علمياً قد يكون سهلاً ايضاً ولكن الصعوبة في اخراجهِ من القوة الى الفعل عملياً تجارياً حتى يشيع استعمالهُ ويربح منهُ عاملهُ . والغرض الذي ارمي اليهِ ان اجعل مخترعاتي رابحة من باب تجاري

وسألتهُ مَن تراهُ احق العلماء بالاعجاب . فاجاب فراداي فانهُ اكبر العلماء المجرّبين وانا نفسي صانع مجرّب وقد قضيت عمري في تطبيق العلم على العمل والغالب ان العلماء يقتصرون على العلم المجرَّد . وممَّن اعجب بهم ايضاً لورد كلفن فانهُ عالم وعامل معاً

وسألتهُ اي الامور يسلّيك اكثر من غيرهِ فتبسَّم وقال اني اتسلّى بمطالعة الكتب الكيماوية

والذُّ شيءٍ عندي التجارب الكيماوية

فسألتهُ عمَّا اذا كان يسرُّ بالذهاب الى مشاهد التمثيل . فقال نعم اني احب التمثيل المتقن وتعجبني ساره برنارد وهي عندي امهر الممثلين والممثلات فاني افهم كل ما تقول ولو لم اسمع كلمة منهُ . فسألتهُ عمَّا اذا كان يحب الصيد . فقال اني لا اعبأُ بهِ ولكنني احبُّ ان اضرب في الحراج وافضل ركوب الاتوموبيل على ركوب الخيل

وأُتي حينئذٍ بغدائهِ لانهُ يتغدى في المعمل وهو قليل من الخبز واللحم وفنجان من الشاي فاكلهُ في خمس دقائق . ثم قام وطاف في المعمل وتفقد الاعمال الجارية فيهِ عملاً عملاً وكانهُ كان يرى كل ما فيهِ في وقت واحد

والمعمل ثلاث طبقات في السفلى منها المكتبة المشار اليها آنفاً والآلات الثقيلة كالمطارق والمخارط وفي الثانية تمتحن الادوات التي تصنع في المعمل وهناك غرف للفونوغراف وغرف للآلات الموسيقية وغرف للبطريات وغرف للآلات الكهربائية . وفي الثالثة اماكن الرسم وبعض التجارب العملية . والتجارب الكيماوية التي منها خطر مكان منفصل عن المعمل تجرَّب فيهِ

وفي المعمل آلة ترشُّ الماء من نفسها لاطفاء النار اذا اشتعلت فيهِ . وقد قال لي ان هذه الآلة وقت معملهُ من الاحتراق مراراً كثيرة . وكان يقف امام كل فرع من فروع الاعمال الجارية فيهِ يصلح آلة او يشير بامر وكانهُ لا يملُّ ولا يتعب ولا يفوتهُ شيءٌ مما يعمل في معملهِ

وقُبيل الساعة السادسة جاءت زوجتهُ راكبة اوتوموبيلاً وقالت لهُ حان الوقت للذهاب الى البيت فتبسَّم وقال لي لولاها لبقيت في المعمل نهاراً وليلاً ولكنها تضطرُّني الى الخروج منهُ كل يوم الساعة السادسة غير اني لا اترك الشغل في البيت لانني اقرأ جرائد المساء واكتب ما يجب عملهُ في اليوم التالي وابقى كذلك الى نصف الليل . ثم ركب المركبة معها وحيَّاني مودعاً " انتهى

هذه صورة مجملة لرجل من اكبر المخترعين في هذا العصر يظهر منها باجلى بيان ان بعض المخترعات يأتي اتفاقاً ولكن اكثرها لا يأتي الاَّ بعد البحث الدقيق والتعب الكثير وكلها لا تصير عمليَّة يربح منها عاملها الاَّ بعد اشد التعب والمشقة . ولا بدَّ من التأهُّب لها بالدرس الكثير والوقوف على المبادئ العلمية التي تبنى عليها . وكل ذلك على كثرتهِ وصعوبتهِ ميسور حتى للولد الذي يبيع الجرائد والفول السوداني في مركبات سكك الحديد

ابتدأت حياة اديصن العمليَّة بتعلُّمهِ استعمال آلات التلغراف ولو كان خاملاً مثل اكثر الذين يكتفون باللقمة لبقي عاملاً في بيت التلغراف الى الآن يأخذ ريالاً او ريالين في اليوم

لكنهُ لم يكن كذلك بل قرأ كل ما وصلت اليهِ يدهُ مما يبحث عن الكهربائية والتلغراف حتى فهم اسرار صناعتهِ تمام الفهم فلما عرضت لهُ آلة مختلّة اصلحها حالاً واعرب عن علم وفهم في هذا الموضوع وعن مهارة في تركيب الآلات وتفكيكها. والباحثون عن عامل بارع مثلهُ ليستخدموهُ اكثر من العمّال البارعين الباحثين عمن يستخدمهم ولذلك رحّب بهِ اصحاب شركة التلغراف واستخدموهُ باجرة طائلة لم يحلم بها لا برًّا بهِ ولا شفقةً عليهِ بل طلبًا للربح من علمهِ ومهارتهِ . ولو كان مثل اكثر العمال الذين يكتفون بما يملأ بطونهم لا همّة لهُ ولا مطمع لاكتفى بما نال والقى عصا البحث والتنقيب لكنهُ لم يكن كذلك فاستخدم الراتب الذي نالهُ لابتياع الكتب والادوات اللازمة لزيادة البحث والاستنباط ولما باع مستنبطاتهِ بثمانية آلاف جنيه وقبض المال بعد ان كاد ييأس منهُ لو كان مثل اكثر الناس لتزوج واقتنى مركبة ومدّ رجليهِ على بساط الراحة لكنهُ لم يفعل شيئًا من ذلك بل انشأ بهذه النقود كلها معملاً صناعيًا كيماويًا اي انهُ زرعها في مزرعة العلم والعمل كما يزرع البذار (التقاوي) في الارض لكي تثمر الخيرات الكثيرة او استعملها رأس مال واتجر بها فربح الالوف والملايين واكتسب ثروة طائلة وشهرة واسعة وافاد نوع الانسان فوائد لا تقدَّر. بائع الجرائد والفول السوداني يشار اليهِ الآن بالبنان ويذكر اسمهُ فوق اسماء الوزراء والملوك . ولا نعلم مقدار ثروتهِ ولكن يقال ان ثمن قصرهِ الذي يسكنهُ اكثر من خمسين الف جنيه ولهُ قصر آخر يمضي اليهِ وقت اشتداد البرد . فليكن ما ذكرناهُ عنهُ مثالاً لشباننا الذين يحسبون انهم اهل النجاح وهم يكتفون بما يملأ بطونهم ويستر عريهم

وقد جاءنا كثيرون من اخواننا الشرقيين مرارًا وهم يظنون انهم اكتشفوا اكتشافات كبيرة النفع او اخترعوا اشياء لم يسبقهم غيرهم اليها وكنا ننظر في ما يحسبون انهم اكتشفوهُ او اخترعوهُ فلا نجد فيهِ ما لهُ اصل علمي صحيح الاَّ نادرًا . وكنا نريهم مواقع الضعف او نشير عليهم بدرس الاصول العلمية التي يبنى عليها ما يطلبونهُ فلا نجد منهم في الغالب الاَّ الملامة لاننا لم نشدد عزائمهم ونشهد لهم بصحة شيء نعتقد خطأهُ . فعسى ان يروا في سيرة اديصن وسير غيرهِ من المخترعين ما يحقق لهم النصيحة التي ننصح لهم بها دوامًا وهي ان يدرسوا مبادئ العلوم التي يبنى عليها ما يظنون انهم اخترعوهُ او اكتشفوهُ والاَّ فنجاحهم بعيد ان لم يكن مستحيلاً

وكان القول الشائع ان طالب علم وطالب مال لا يجتمعان لكن هذا القول لم يعد يقبل على اطلاقهِ بل صار الناس يطلبون العلم بالمال والمال بالعلم وقد نجحوا في ذلك نجاحًا لا شبهة فيهِ



قد رأينا بعد الاختبار وجوب فتح هذا الباب ففتحناهُ ترغيباً في المعارف وانهاضاً للهمم وتشحيذاً للاذهان . ولكنَّ العهدة في ما يدرج فيهِ على اصحابهِ فنحن براءٌ منهُ كلهِ . ولا ندرج ما خرج عن موضوع المقتطف ونراعي في الادراج وعدمهِ ما يأتي : (١) المناظر والنظير مشتقَّان من اصل واحد فمناظرك نظيرك (٢) انما الغرض من المناظرة التوصل الى الحقائق . فاذا كان كاشف اغلاط غيرهِ عظيماً كان المعترف باغلاطهِ اعظم (٣) خير الكلام ما قلَّ ودلَّ . فالمقالات الوافية مع الايجاز تُستختار على المطوَّلة

الماسونية في فرنسا

اعتراض

حضرة العالمين الفاضلين منشئي مجلة المقتطف

اثبتما في مقتطف مايو الماضي خلاصة رسالة في هذا الموضوع نشرتها مجلة القرن التاسع عشر وقد عثرت في الجزء التاريخي من ذلك الملخص على مزاعم ليست من الصحة في شيء فرأيت ان احول الانظار اليها وافندها مستنداً الى ما جاء في كتب الثقات من مؤرخي الماسونية

قال كاتب الرسالة " ان نبوليون الثالث اضطرَّ الماسون الى قبول رئيس اختارهُ لهم وصار رجال البوليس يدخلون المحافل الماسونية ويرون ما يجري فيها من الرسوم كأنها تحت سيطرتهم وانهُ امر بتعيين المرشال مكماهون رئيساً اعظم للشرق الاعظم " اما الاول فصحيح واما الثاني والثالث فخطأ في التحقيق والنقل وتحرير الخبر ان البرنس مورات (ابن مورات مرشال فرنسا وملك نابولي) انتخب رئيساً اعظم ظناً من الماسون ان انتخابهُ يعود بالفائدة على الماسونية فسلك سلوكاً مغايراً لسنن العشيرة وانحطت الماسونية ومحافلها في عهدهِ حتى ضاق الماسون ذرعاً بهِ فلما اوشك زمان رئاستهِ ان ينتهي ودنا ميعاد الانتخاب لمسند الرئاسة العظمى رشحوا البرنس جيروم نبوليون ورضي هذا بالترشيح فقامت قيامة مورات واتباعهُ وصاروا ينشرون الدكريتات بحل المحافل وشجب اعضائها وكثر القال والقيل فاصدر الامبراطور امراً عالياً عيَّن فيهِ المرشال مجنان (١) لا مكماهون رئيساً اعظم وحدث في اثناء المشاحنات التي دارت بين مورات واضدادهِ ان هذا اصدر اوامر بشجب كثيرين من زعماء العشيرة فحنق الماسون من هذا الامر

(١) (المقتطف) الاصل مجنان وليس مكماهون وقد وقع الخطأ في الطبع العربي لا في الاصل الانكليزي

واخذوا يوالون الاجتماعات في دار الشرق الاعظم لمقاومة اوامره وفي احد هذه الاجتماعات دخل عليهم احد انصار مورات وطلب اليهم ان يحلوا الجلسة عملاً بامر الرئيس الاعظم وقال اذا لم تفعلوا استعنت بالبوليس ثم خرج وعاد بجماعة من البوليس فلما درى الماسون بقدومهم خرجوا الى مدخل الدار واقنعوا البوليس ان يرتدّ عن المكان وبعد مجادلات ومحاورات عاد البوليس من حيث اتى وعاد الماسون الى الدار وكان ذلك في مايو سنة ١٨٦١

وفي اكتوبر من السنة عينها اصدر ناظر البوليس امرًا يمنع فيهِ مجلس الاستاذ الاعظم والماسون عامة من الاجتماع لانتخاب رئيس اعظم بحجة ان هذا المنع ضروري لحفظ الامن ويطلب تأجيل الاجتماع الى شهر مايو من السنة التي تليها [٢] وكان ذلك جميعاً قبل تعيين مجنان وفيما سوى هاتين الحادثتين فلم يتعرض البوليس لشؤون الماسونية قط في عهد نابليون الثالث

ثم ان مجنان نال درجات الماسونية في يوم واحد لا في اسبوع من الزمان كما قال الكاتب وكانت ثلاثاً وثلاثين لا ثلاثاً [٣] فقط كما قال الكاتب والذي رقاهُ اليها احد انصار مورات وهو الرجل الذي استنصر البوليس لحلّ جلسة الشرق الاعظم كما تقدم وكان مجنان يجهل الرسوم الماسونية فلما درى بالخطإِ الذي حدث امر بشجب الفاعل ومحاكمتهِ وحطهِ عن وظيفتهِ ودرجتهِ [٤]

اما قول الكاتب ان الانكليز ادخلوا الماسونية الى فرنسا وتعيينهُ زمان ادخالها اليها بقولهِ انهُ كان سنة ١٧٢١ فامر لم يحقق بعد والكتّاب على خلاف في تعيين الزمان وهم منقسمون بين ١٧٢١ و ١٧٢٥ و ١٧٢٧ و ١٧٣٦ [٥] واكثرهم على ان دخولها كان في هذه السنة الاخيرة. ولعلّ الكاتب يستند الى رواية للند [٦] الفلكي الفرنساوي ولولا خشية التطويل لاضفت الى هذا الاعتراض ملخّص تلك الرواية واتيت على الادلة التي تثبت فسادها

وانما اقول فيها ما قالهُ فندل المؤرخ الجرماني المشهور ان روايات للند وغيرها من هذا الباب اقاويل متضاربة

خليل ثابت

اسيوط في ٢٤ مايو ١٩٠٢

---

(٢) فندل صفحة ٤٧١

(٣) (المقتطف) لم يذكر الكاتب عدد الدرجات ولكن المترجم حسب ان الشرق الاعظم يقتصر على الدرجات الثلاث فقال انها ثلاث

(٤) جولد مجلد ٥ صفحة ١٨٨

(٥) جولد وفندل

(٦) Lalande مدبر مرصد باريس وُلد سنة ١١٢٣ وتوفي سنة ١٨٠٧ وهو اول من كتب عن الماسونية في فرنسا على ما يظن وذلك في بضع صفحات من " Encyclopédie "

اختلاف الاديان

حضرة منشئي المقتطف الفاضلين

طالعت في الجزء الرابع من المجلد السابع والعشرين من المقتطف انتقادكم على كتاب فيصل التفرقة للغزالي . ونحن نوافق حضرتكم على عدم استحسان نشر بعض فقرات من هذا الكتاب في هذا العصر الذي تراعى فيهِ حرمة الاديان كما تفضلتم وذلك مثل قولهِ "ان اليهودي والنصراني كافران وكذا البرهمي والدهري" وان كان ذلك نتيجة لازمة لكل دين من الاديان الثلثة. لكننا نخالفكم في توجيهِ اللوم للمسلمين وحدهم فان النصارى ايضاً يصرّحون بتكفير المسلمين بل بتكفير بعضهم البعض في كتبهم الدينية التي تطبع وتنشر بين ظهرانينا ونكتفي هنا بذكر كتاب واحد منها (معتدل اللهجة خلوهِ من الشتائم واللعنات) وهو الكتاب المعنون بخلاصة اللاهوت الادبي المطبوع في المطبعة العمومية في بيروت سنة ١٨٨٢ م فقد جاء في المجلد الثاني منهُ صحيفة ٩٧٨ تحت عنوان الدفنة الكنائسية ما نصهُ

س ١ من ينبغي حرمانهم الدفنة الكنائسية

ج ان الناموس العام يوجب حرمان الآتي ذكرهم

١ اي كافر كان سواء كان وثنياً او يهودياً او مسلماً

٢ الخالع الذي يغادر الايمان المسيحي . ويندرج في هذا الحكم كل شرير يكتب صحفاً يقرر بها الاتيسموس (مذهب جحود وجود الله) او الديسموس (مذهب الجاحدين الوحي مع انهم يقرون بوجود الله) او البنتيسموس (مذهب القائلين ان الله انما هو العالم بمعنى جنس كلي شامل كل الموجودات) او ينوه بكلام يدل على جحود الوحي المسيحي

٣ "الهرطوقي" المجاهر بضلالهِ وكذا من يجاهر بالميل الى هرطقة ويحامي عنها الخ

وختم ذلك بقولهِ تنبيه ينبغي عند تكريس المقبرة ان يترك منها قسم متطرف بلا تكريس لتدفن فيهِ الاطفال الذين يموتون بلا عماد والكفرة الذين يسكنون بين المسيحيين وكل من يحرَم الدفنة الكنائسية وليس من الضرورة ان يكون هذا القسم مفصولاً عن المقبرة بحائط او سياج او حفرة عميقة بل يكفي فيهِ ان يكون مميزاً بعلامة ما (انتهى)

فحبذا لو نصح الفريقان بالكف عن طبع ونشر مثل هذه الفقرات مراعاةً للزمان والمكان وتوطيداً للحب والوئام اللذين هما اقصى امالنا وغاية مشتهانا والسلام

دمشق احد المشتركين

(المقتطف) لقد اصاب حضرة الامام الفاضل في ما كتب . فان غاية ما يتمناهُ كل راغب في خير ابناء نوعهِ متألم مما اصابهم من التمزيق والتشتيت ان يحسب جميع الناس بعضهم بعضاً اخوة وان يسعوا في ما يزيل اسباب الشقاق ويمكّن عرى الوفاق ونحن نلوم كل الذين يكفّرون غيرهم مهما كان مذهبهم

باب الزراعة

زرع القطن المصري في اميركا

قرأنا منذ مدة ان الاميركيين امتحنوا زرع القطن المصري في بلادهم وان المستر لستر دوي كتب رسالةً في هذا الموضوع . وقد اطلعنا على هذه الرسالة الآن وها نحن موردون خلاصتها هنا افادة للقراء . ولاطمئنان الذين يخشون ان تقاوي القطن المصري تزرع في اميركا فيصير قطنها مثل قطننا ويقوم مقامهُ قال الكاتب :

ان القطن المصري من اهم ما يرد الى الولايات المتحدة الاميركية من ذوات الالياف وشعرتهُ متوسطة في طولها بين القطن الاپلند وقطن السي ايلند وهي دقيقة ولكن مزيتها الكبرى في متانتها ومرونتها واستعدادها للتجعُّد فتشتبك الشعرات بعضها ببعض حينما تغزل ويكون منها خيط متين جدًّا ولو كان دقيقاً جدًّا . واذا كان القطن المصري في حالة جيدة فلهُ لمعان جميل وملمس زيتي ناعم . والآلات التي تستعمل لتحضير قطن الاپلند وغزلهِ لا تصلح لتحضير القطن المصري وغزلهِ . وينسج من القطن المصري منسوجات لا تنسج من القطن الاپلند ولا من السي ايلند ولذلك لا يخشى من انهُ يناظر القطن الاميركي رأساً . واكثر ما يُستعمل فيهِ الجوارب الدقيقة الغالية الثمن ونحو ذلك مما يحبك حبكاً ويستعمل ايضاً للمزج مع الحرير والصوف ولغزل الخيوط الدقيقة التي تصنع منها الدانتلا

وقد زاد الوارد من القطن المصري الى اميركا من ٢٠٠٠٠٠ رطل سنة ١٨٨٤ الى اكثر من ٤٣٠٠٠٠٠٠ رطل سنة ١٨٩٦ ثم هبط قليلاً بسبب قلة المحصول في القطر المصري . وهاك مقدار ما ورد منهُ الى الولايات المتحدة الاميركية في السنوات العشر الماضية مع ثمن الوارد

سنة	قنطار	ريال
١٨٩٠	٢٩٤٧٧	٤٦٠٠٥٣٥
١٨٩١	١٠١٨٦٣	١٣٧٦ ٢٥٨
١٨٩٢	١٦٧٦٣٧	١٨٥٦ ٨٨٥
١٨٩٣	٢٨١٢١٣	٢٩٢٤ ٧٢٢
١٨٩٤	١٨٣٣٨٩	١٩٣٠ ٩٨٧
١٨٩٥	٢٩٩٣١٣	٢٧٩٨ ٢٧٢
١٨٩٦	٤٣٥٧٤٨	٥١٢٩ ٢٥٦
١٨٩٧	٣٧٣٢٣٢	٤٢٧٧ ٦١٨
١٨٩٨	٣٨١٦٥١	٣٥٥٥ ٧٠٨
١٨٩٩	٣٧٥٠٦١	٣٧١٢ ٢٢٤

وقد ذكر في هذا الجدول القطن الوارد الى اميركا من مصر رأساً وثمنهُ في الاسكندرية ولا شبهة في انهُ يرد ايضاً الى اميركا كثير من القطن المصري آتياً بطريق بلدان أُخرى. واسعارهُ في اميركا اغلى من اسعارهِ في الموانئ التي يرد منها[1]. وسيبقى الطلب على القطن المصري كثيراً او يزيد عمَّا هو الآن عليهِ بسبب اتساع صناعة المحبوكات وزيادة الطلب على المنسوجات التي لا بدَّ لها من القطن المصري

والاراضي التي يظن انهُ يمكن زرع القطن المصري فيها في اميركا ضيقة ولا دليل على ان محصول هذا القطن يزيد على مقطوعيتهِ. وهو يزرع في القطر المصري في مساحة لا تزيد على عشرة آلاف ميل مربع او نحو ثلث ولاية كارولينا الجنوبيَّة

وقد جُلبت التقاوي من القطن المصري الى اميركا اول مرة سنة ١٨٦٧ لامتحان زراعتها فيها. وفي تقرير ديوان الزراعة لسنة ١٨٦٧ و ١٨٧١ كلام عن اكثر من خمسين تجربة جُرّبت في كل الولايات من كارولينا الجنوبيَّة الى تكساس والاباما ولم ينجح من هذه التجارب الاَّ تجربتان في جنوبي لويزيانا. وظهر ان القطن المصري يحتمل العطش ونوعهُ جيد جدًّا والزمن اللازم لهُ من حين زرعهِ الى ان يبلغ جيدًا اطول مما يسمح بهِ اقليم اميركا الاَّ في اقصى الجنوب. وتكبر شجيراتهُ ولا تسطو عليها الحشرات كما تسطو على القطن الاميركي وجوزهُ قليل

(١) (المقتطف) بلغ الصادر من القطن المصري الى اميركا هذا العام حتى ٢٣ مايو ٧٠٢٨٠ قنطاراً يقابل ذلك ٢٤٢١٦٨ في العام الماضي

صغير واكثره لا يفقع قبلما يشتد البرد وتجلد الارض ولذلك لا تبلغ غلة الفدان منهُ اكثر من ثلث غلة الفدان من القطن الاميركي الابلند

ولما نشر هذا التقرير لم تعد الحكومة تهتم بامتحان زرع القطن المصري في اميركا وظلت على ذلك عشرين سنة . وفي سنة ١٨٩٢ وما بعدها جلب ديوان الزراعة تقاوي ثلاثة انواع من القطن المصري وهي الميت عفيف والباميا والعباسي ووزَّعها على كل دور الامتحان في الجهات التي يزرع القطن فيها وعلى بعض ارباب الزراعة . فدلَّ تقرير الذين زرعوها على الفشل التام حتى ان اكثر الذين زرعوا هذا القطن لم يحفظوا من تقاويهِ الى السنة التالية لما ظهر لهم من قلة نموهِ ولهِ فحسبوا ان اعادة التجارب اضاعة للوقت والنفقات . غير ان الجهات الجنوبية القريبة من خليج المكسيك فصل الصيف فيها طويل فلا يبعد ان يصير محصول القطن المصري جيدًا فيها اذا تكرَّر زرعهُ مرتين او ثلاثًا لان التجارب هنا بتقاوي القطن المصري وفي مصر بتقاوي القطن الاميركي تدلُّ على ان تكرير زرع التقاوي الواحدة في البلاد الواحدة حتى تتعود اقليمها يحسّن محصولها . والعلّة الكبرى لعدم نجاح القطن المصري في اكثر اميركا قصر فصل الصيف فيها . وفي الاماكن الحارَّة الطويلة الصيف عدم تعوُّد هذا القطن على اقليمها فانهُ زرع في مكان من ولاية تكساس ست سنوات متوالية فجاء قطنهُ جيدًا جدًّا

وسنة ١٨٩٥ زاوج المستر وتورث القطن الميت عفيفي بنوع من القطن الاميركي وزرع التقاوي الناتجة من هذه المزاوجة فوجد قطنها مثل القطن المصري او يفوقهُ لان لوزاتهِ اكبر من لوز الميت عفيف وعددها اكثر ونضجها ابكر

ثم شرح الكاتب انواع القطن المصري الميت عفيف والباميا والعباسي واليانوفتش واستطرد الى ذكر الاشموني والزفيري والحمولي والسي ايلند والقليني والزفتاوي . وبيَّن كيفية زرع القطن في القطر المصري وقابل بين الارض الزراعية في هذا القطر وبينها في اميركا من حيث تركيبهما الكيماوي واظهر ان المواد التي لا تذرب في الماء هي اكثر في الاطيان الاميركية منها في الاطيان المصرية والمواد الجمادية المغذية للنبات اكثر في الاطيان المصرية منها في الاطيان الاميركية ويظهر ذلك بنوع خاص في الجير والصودا والبوتاسا والحامض الفصفوريك . والمواد الآلية اقل في الاطيان الاميركية منها في الاطيان المصرية فتربة القطر المصري اخصب من تربة اميركا ولكن السماد يقوم مقام الخصب الطبيعي

وقابل بعد ذلك بين حرارة القطر المصري وحرارة الاماكن التي يزرع فيها القطن باميركا فوجد انهُ توجد فيها اماكن متوسط حرارتها مثل متوسط حرارة القطر المصري تقريبًا . ثم قابل

بين الهواء عندنا وفي اميركا وقال انهُ اجف في القطر المصري مما هو في اميركا وقد نُسِب الى جفافهِ امتياز القطن المصري على غيرهِ لكن الكاتب قال ان ذلك لا يخلو من المبالغة . اما الفرق الكبير بين البلادين ففي مقدار المطر فانهُ قلما يقع شيء من المطر في القطر المصري في الوقت الذي يكون القطن نامياً فيهِ . اما الولايات المتحدة ففيها اماكن قليلة المطر ويظهر من التجارب المتقدمة ان كثرة المطر لم تضرّ بالقطن المصري الذي زرع في اميركا

واستخلص من ذلك انهُ اذا اريد زرع القطن المصري في اميركا فلا يرجى نجاحهُ الاَّ في ساحل خليج المكسيك حيث يعسر ريُّهُ فيكون معرَّضاً لرحمة المطر او في الجنوب الغربي حيث يسهل ريهُ ولكن يعسر زرعهُ. ففي الاماكن الاولى زراعة القطن شائعة والاجور رخيصة وفي الاماكن الثانية لم يعتد الناس زرع القطن والاجور غالية. فلا سبيل لنجاح القطن المصري في اميركا الاَّ بايجاد نوع جديد منهُ يحتمل تغيُّرات الهواء في سواحل خليج المكسيك حيث لا يسهل ري الارض بل تعتمد على المطر او باستنباط طرق جديدة تقل بها نفقات زراعة القطن حتى يزرع في الاماكن الجنوبية الغربيَّة حيث يمكن الاعتماد على الري وحيث الاجور غالية . ولا بدَّ في الحالين من الاستمرار على انتقاء التقاوي حتى يبقى نوع القطن جيدًا

هذه خلاصة ما كتبهُ الكاتب الاميركي ويظهر منها جيدًا انهُ لا خوف من ان تكثر زراعة القطن المصري في اميركا ولا من ان توجد بلاد تنطبق احوالها الارضية والجوية على احوال القطر المصري حتى يكون قطنها مثل قطنهِ وحسبنا دليلاً قريباً على ذلك ان الوجه القبلي ولاسيما المديريات الوسطى اشبه بالوجه البحري من كل بلاد اخرى بهِ في التربة والري والحرارة والرطوبة ومع ذلك لا يكون قطنهُ مثل قطن الوجه البحري فلا خوف من ان تقوم بلاد اخرى وتناظر القطر المصري في المستقبل القريب

السباخ البلدي

كتب المستر فودن مقالة مسهبة في السباخ البلدي نشرت في مجلة الجمعيَّة الزراعية بيَّن فيها اموراً حريَّة بالذكر وهي

اولاً ان زبل الغنم اجود من زبل البقر وزبل الخيل لان فيهِ من النيتروجين والفصفور اكثر مما فيهما كما ترى في هذا الجدول

	نيتروجين	حامض فصفوريك	قلويات
زبل الغنم	٧٥	٦٠	٣٠
زبل البقر	٣٠	٢٥	١٠
زبل الخيل	٥٠	٣٥	٣٠

هذا من حيث المواد البرازية الجامدة اما المواد السائلة اي بول المواشي ففيها من المواد المغذية للنبات اكثر مما في الزبل الجامد كما ترى في هذا الجدول

	نيتروجين	حامض فصفوريك	قلويات
بول الغنم	١٤٠	٥	٢٠٠
« البقر	٠٨٠	اثر	١٤٠
« الخيل	١٢٠	٠	١٥٠

لكن المواشي يختلف مقدار زبلها فالبقر اكثر زبلاً من الخيل والغنم . ويختلف مقدار بولها بحسب شربها للماء فاذا كثر شربها كثر بولها ايضاً وقلّت المواد المغذية فيهِ . ويظهر من ذلك كلهِ ان زبل الغنم اجود انواع الزبل ويتلوهُ زبل الخيل ثم زبل البقر

ويضاف الى الزبل تراب فرشة للبهائم فيمتص البول حتى لا يضيع شيء منهُ وتكون كومة السباخ مؤلفة من الزبل والبول والتراب الذي يمتص هذا البول . والتبن اجود من التراب فرشة للمواشي

ثانياً . ان السباخ الذي ينتج من الثور الواحد على مدار السنة يبلغ نحو ٢٢٠ قنطاراً فيها قنطار من النيتروجين

ثالثاً . ان الزبل اذا ترك مكشوفاً للهواء ضاع منهُ جانب كبير من فائدتهِ فالواجب تغطيتهُ بالتراب الذي مزج بمواد نباتية

رابعاً . ان استعمال الزبل حالاً بعد اخراجهِ من دوّار المواشي خير من تركهِ حتى يختمر لان الاختمار يتم في الارض كما يتم في كومة السباخ ولا يخسر الزبل شيئاً من فائدتهِ

خامساً . ان الزبل الجديد يسرع النمو فيصلح للذرة والقمح ولا يصلح للقطن ولكن يصلح لهُ السماد القديم لانهُ يحتاج الى النمو التدريجي

سادساً . ان تسبيخ الارض بمقادير قليلة من السباخ دفعات متوالية خير من تسبيخها بمقادير كبيرة دفعةً واحدة

سابعاً . افضل الطرق لتسبيخ الارض ان يوزع السباخ فيها وتحرث حالاً

غلة القطن هذا العام

بلغ الوارد من القطن الى الاسكندرية حتى ٢٣ مايو ٤٢٩ ٤٥٨ ٦ قنطاراً يقابل ذلك في العام الماضي ٣٧١ ٢٣٨ ٥ قنطاراً وبلغ الوارد من البزرة ٢٠٣ ٨٤٧ ٣ ارادب يقابل ذلك في العام الماضي ٥٢٩ ١٦٨ ٣

باب التقريظ والانتقاد

اسرار البلاغة
في علم البيان

اهدى الينا حضرة العالم الفاضل السيد محمد رشيد رضا منشىء مجلة "المنار الاسلامي" نسخة من كتاب اسرار البلاغة في علم البيان لمؤلفهِ الامام عبد القاهر الجرجاني بعد ان طبعهُ وصححهُ وعلّق حواشيهُ بما عهد في حضرتهِ من الكفاءة

وقد تصفحنا بعض فصولهِ في ما تيسر لنا من الوقت فرأينا اصدق وصف ينطبق عليهِ ما قالهُ احد فضلاء الاساتذة الذين حضروا درسهُ في الازهر الشريف على حضرة العلاَّمة المفضال الشيخ محمد عبده مفتي الديار المصرية وهو "اننا قد اكتشفنا في هذه الليلة معنى علم البيان"

والحق يقال ان الكتاب جامع لجميع اسرار البلاغة على ما عرفها العرب وعرَّفوها بهِ . ففي الفصل الاول بحث مستفيض في التجنيس وانواعهِ ثم الاستعارة وتقسيمها الى مفيدة وغير مفيدة وبيان طرق التشبيه وضروب الاستعارة والتشبيه والتمثيل والفرق بينهما ومما قيل في ذلك :

"اعلم ان التشبيه عام والتمثيل اخص منهُ فكلُّ تمثيل تشبيه وليس كلُّ تشبيه تمثيلاً فانت تقول في قول قيس بن الخطيم

وقد لاح في الصبح الثريا لمن رأى ... كعنقود ملاَّحية حين نوَّرا

انهُ تشبيه حسن ولا تقول هو تمثيل وكذلك تقول : ابن المعتز حسن التشبيهات بديعها لانك تعني تشبيههُ المبصرات بعضها ببعض وكل ما لا يوجد التشبيه فيهِ من طريق التأول كقولهِ

كأن عيون النرجس الغضِّ حولها ... مداهن دُرٍّ حشوهنَّ عقيقُ

وقولهِ

قد انقضت دولة الصيام وقد ... بشر سقم الهلال بالعيدِ
يتلو الثريَّا كفاغرٍ شرهٍ ... يفتح فاهُ لأكل عنقودِ

وكلُّ ما لا يصح ان يسمى تمثيلاً فلفظ المثل لا يستعمل فيهِ ايضاً فلا يقال : ابن المعتز حسن الامثال تريد بهِ نحو الابيات التي قدمتها وانما يقال صالح بن عبد القدوس كثير الامثال في شعرهِ يراد نحو قولهِ

وان مَن ادبتهُ في الصبا كالعود يسقى الماء في غرسهِ
حتى تراهُ مورقاً ناضراً بعد الذي ابصرت من يبسهِ"

ويتلو ذلك فصل طويل في الموازنة بين التشبيه والتمثيل جمع فاوعى . ثم فصل في الفرق بين الاستعارة والتمثيل قال فيهِ " ان الاستعارة يجب ان تفيد حكماً زائداً على المراد بالتمثيل اذ لو كان مرادنا بالاستعارة هو المراد بالتمثيل لوجب ان يصح اطلاقها في كل شيء يقال فيهِ انهُ تمثيل ومثَل والقول فيها انها دلالة على حكم ثبت للفظ وهو نقلهُ عن الاصل اللغوي واجراؤهُ على ما لم يوضع لهُ...... فالتشبيه ليس هو الاستعارة ولكن الاستعارة كانت من اجل التشبيه وهو كالغرض فيها او كالعلة والسبب في فعلها " ثم فصَّل في الفرق بين التشبيه والاستعارة

وهناك فصل لطيف في الاخذ والسرقة افتتحهُ بقولهِ " اعلم ان الحكم على الشاعر بانهُ اخذ من غيرهِ وسرق واقتدى بمن تقدم وسبق لا يخلو من ان يكون في المعنى صريحاً او في صيغة تتعلق بالعبارة " ثم قسم المعاني الى قسمين عقلي وتخييلي وذكر ما تحتهما من الانواع فقال تحت التخييلي " وكذلك قول من قال " خير الشعر اكذبهُ " فهذا مرادهُ لان الشعر لا يكتسب من حيث هو شعر فضلاً ونقصاً وانحطاطاً وارتفاعاً . فكم جوَّاد بخلهُ الشعر وبخيل سخَّاهُ وشجاع وسمهُ بالجبن وجبان ساوى بهِ الليث . . . . واما من قال في معارضة هذا القول " خير الشعر اصدقهُ " فقد يجوز ان يراد بهِ ان خير الشعر ما دلَّ على حكمة يقبلها العقل وادب يجب بهِ الفضل كما قيل كان زهير لا يمدح الرجل الاَّ بما فيهِ فمن قال خيرهُ اصدقهُ كان ترك الانحراف والمبالغة والتجوز الى التحقيق والتصحيح احبَّ اليهِ وآثرَ عندهُ ومن قال اكذبهُ ذهب الى ان الصنعة انما يمدُّ باعها وينشر شعاعها ويتسع ميدانها وتتفرع افنانها حيث يعتمد الاتساع التخييل ويدعي الحقيقة فيما اصلهُ التقريب والتمثيل

الى ان يقول " وكيف دار الامر فانهم لم يقولوا خير الشعر اكذبهُ وهم يريدون كلاماً غفلاً ساذجاً يكذب فيهِ صاحبهُ ويفرط نحو ان يصف الحارس باوصاف الخليفة ويقول للبائس المسكين انك امير العراقين ولكن ما فيهِ صنعة يتعمل لها وتدقيق في المعاني يحتاج معهُ الى فطنة لطيفة وفهم ثاقب وغوص شديد "

ومذهب ناشر هذا الكتاب ان الجرجاني واضع علم البيان وان اسرار البلاغة اول كتاب وضع فيهِ قال " كتب قبل عبد القاهر في مسائل من البيان بعض البلغاء كالجاحظ وابن دريد وقدامة الكاتب ولكنهم لم يبلغوا في ما بنوهُ ان جعلوهُ فنّاً مرفوع القواعد مفتح الابواب كما فعل عبد القاهر بعدهم فهو واضع علم البلاغة كما صرَّح بهِ بعض علمائها وان لم يذكر لهُ هذه المنقبة

المؤرخون الذين رأينا ترجمتهُ في كتبهم" وخالف ابن خلدون في نسبتهِ وضع علم البيان الى السكاكي وقال "ان السكاكي كان عيالاً على عبد القادر تلا تلوهُ واخذ عنهُ مع المخالفة في شيء من الترتيب والتبويب". والكتاب مطبوع طبعاً حسناً بحرف واضح لكنهُ كثير الغلط المطبعي. وهو من المطوَّلات التي يرجع اليها طلبة علم البيان فنثني على حضرة الاستاذ الفاضل الذي تولى طبعهُ ونشرهُ بعد ان صححهُ وعلق حواشيهُ

مجموعة
حقوقيَّة طبيَّة هندسيَّة

ألَّف متخرجو المدرسة الخديوية جمعيَّة عمليَّة غايتها "احياء المجتمعات التي بها النجاة من العيشة الافراديَّة السائدة في بلادنا" واصدروا منذ مدة قصيرة المجموعة التي نحن بصددها وهي تتضمن الخطب التي القاها بعض اعضائها في خلال السنة الماضية فلما تصفحناها وجدناها حافلة بالمواضيع الحديثة والمقالات المفيدة. فمنها مقالة مسهبة في التربية والتاريخ لكاتبها الاديب علي افندي ماهر بمدرسة الحقوق الخديويَّة أبان فيها ان التربية الوطنية او السياسية قديمة العهد في التاريخ والحاجة اليها ماسَّة في كل مكان وزمان لان لها اشد العلاقة بالوطن والاستقلال وصور الحكومات والمبادىء القويمة التي اسست عليها من حرية ومساواة واخاء. وتكلم على الوطن فقال "ان ارق شعور واجمل احساس يثير في النفس حمية تحلُّ بالقلب هزة وتنزل بهِ خفقاناً هو حبُّ الوطن" واستطرد الى ذكر الواجبات نحو الوطن والانانية والاستقلال الداخلي والسيادة الاهلية وما تحتهما من الاقسام وصور الحكومات المختلفة والحرية والمساواة والاخاء وانواعها فأجاد وافاد

ومنها مقالة في اشعة رنتجن لحضرة الاديب عبد الرحمن افندي عمر احد طلبة مدرسة الطب أبان فيها اهمية "آخر الاكتشافات العظيمة في القرن التاسع عشر" فبحث اولاً في الكهربائية واستعمالها ثم انتقل الى الكلام على اشعة رنتجن وطريقة اكتشافها واستعمالها في الفوتوغرافيا الحديثة والطب

ويلي ذلك مقالة في التكافل والتضامن لحضرة الاديب محمد حلمي افندي عيسى بمدرسة الحقوق الخديويَّة ذكر فيها اصل التكافل ومنشأهُ واقوال بعض الفلاسفة فيهِ وردَّ الآخرين عليهم مثل جان جاك روسو وابن خلدون وغيرهما من الفلاسفة المتقدمين والمتأخرين ثم ذكر اركان التضامن والتكافل وقسمها الى قسمين تكافل عاملي وتكافل اجتماعي

ومقالة في التنويم المغنطيسي واستحضار الارواح لحضرة الاديب محمد افندي شكري بمدرسة الطب اتى فيها على تاريخ التنويم المغنطيسي وطرق المعالجة بهِ وآراء الاطباء فيهِ

واخرى في لوازم الحياة الاصلية لحضرة الاديب محمود افندي ماهر بمدرسة الطب ذكر منها الهواء النقي والاكل والشرب والحرارة والنظافة والنور والحركة والرياضة البدنية والراحة

وآخرها مقالة عنوانها شهران بسويسرا لحضرة علي افندي ماهر بمدرسة الحقوق الخديوية بعث بها من سويسرا ووصف فيها احوال المعيشة هناك وما شاهد من المناظر الطبيعيَّة البديعة وآثار القرون الوسطى والمجتمعات الحديثة والحكومة وسائر ما يتعلق بالبلاد حتى جاءت رسالة تنيف على اربعين صفحة كلها فوائد واخبار

والخلاصة ان اعضاء الجمعية الكرام لم يكتفوا بحصر فوائدها فيهم بل راموا نشرها بين اخوانهم من المتكلمين بالعربية ففعلوا واحسنوا . وغاية ما نتمناهُ لهذه الجمعيَّة المفيدة ان تزيد نموًّا وارتقاء لما فيها من الفائدة للوطن

الدنيا في باريس

كثيرون من الناس لا يسرون بالروايات ولا يميلون الى مطالعتها لانهم لا يميلون طبعاً الى الحكايات الخيالية التي لا اساس من الصحة لها ولو كان فيها ما فيها من الفكاهة واسباب اللذة العقلية فيستعيضون منها قراءة القصص والوقائع الحقيقيَّة كالتواريخ والرحلات . ومن الرحلات التي كان لها وقع عظيم عند القراء رحلة الكاتب المحقق عزتلو احمد زكي بك سكرتير ثاني مجلس النظار الى معرض باريس العام سنة ١٩٠٠ وقد سمَّاها "الدنيا في باريس" وزينها بصور ابنية المعرض ورسوم ما فيهِ من غرائب المشاهد والمناظر كمنظر سقوط القنطرة المعلقة في الهواء ومنظر عموم المعرض من جهات مختلفة وقنطرة اسكندر الثالث والرصيف المتحرك والقصر العثماني وغير ذلك من القصور

وبينما نحن نطالع ما كتب عن معروضات القصر الالماني استوقف نظرنا ما ورد فيهِ عن تجارة الكتب في الكلام على احتكار المانيا لطبع الكتب العربية وهذا نصهُ

"ومما امتازت بهِ الطباعة الالمانية انها احتكرت تقريباً الكتب الشرقية ونحن اعرف الناس بان هؤلاء القوم ينقرون عن آثار اسلافنا التي لا نكاد حتى الآن نسمع بها او نتصور وجودها وهم يطابعونها و يستفيدون منها مالاً وعلماً وفضلاً . . . . نعم فقد طبع الالمان اهم كتب ائمتنا في التاريخ والجغرافية والادب وسائر العلوم ثم تجيء بعض مطابعنا فتسرق عنهم ولا تخجل

من عدم نسبة الفضل اليهم في هذا الباب . ويا ليت اصحاب المطابع في مصر يعادلونهم في صحة الطبع ودقة التصحيح وتقريب التناول وتسهيل المأخذ بل ان الكتاب المطبوع اولاً في المانيا ثم في مصر بعد عشرات من السنين لا يزال يساوي في القيمة حسًّا ومعنًى عشرة امثال تلك المذيانات التي يطبعونها في مصر" ثم ذكر جدولاً يتضمن اسماء اكثر من خمسين كتابًا قال عنها في راس الجدول انها "كتب عربية نفيسة طبعوها ونحن لا نعلم ولا ندري"

ولا تخلو صفحة في هذا الكتاب من فائدة يحسن حفظها او انتقاد يجب الانتباه لهُ ولقد احسنت مجلة طبيب العائلة في اعادة طبعهِ ونشرهِ

الغادة السورية في الديار الاميركية

اسم رواية غرامية ادبية انتقادية اهداها الينا حضرة مؤلفها الاديب قيصر افندي ابرهيم معلوف صاحب جريدة البرازيل ورئيس تحريرها. وهي تبحث في حالة الابنة الشرقية والاحكام العدلية وتصف حالة المهاجر السوري في البرازيل وقد نشرت تباعًا في اعداد جريدة البرازيل ثم في كتاب على حدة فنثني على حضرة صاحبها اطيب الثناء

كنز الجوهر في تاريخ الازهر

كتاب نفيس الَّفهُ حضرة الاستاذ الفاضل الشيخ سليمان رصد الحنفي . وهو يشتمل على تاريخ الجامع الازهر في مقدمة وخمسة مقاصد تكلم فيها على ابتداء الاسلام والدولة التي اسست الازهر والتجديدات التي عرضت عليهِ ومشتملاتهِ ومشيختهِ ومشاهيرهِ في هذا العصر والحوادث التي حدثت فيهِ وعادات اهلهِ . ويلي ذلك خاتمة فيها الاحصائيات من اول جعلهِ مدرسة الى اليوم الحاضر واحصائيات المدرسين والطلبة في عموم القطر المصري . فنشكر لحضرة المؤلف اعتناءهُ في جمع هذا الكتاب ونشرهِ

الامومة عند العرب

رسالة نقلها عن الالمانية الى العربية حضرة العالم المحقق بندلي صليبا الجوزي وطبعها في قازان من اعمال الروس بحروف عربية من الطراز القديم وغرض المؤلف منها ان يثبت الامومة عند العرب اي انتساب الاولاد الى امهاتهم لان ناموس الزواج المتبع الآن لم يكن مرعيًّا عندهم تمام الرعية بل كان الزواج من نوع المتعة . وظاهر ذلك مخالف لما هو شائع من حفظ العرب لانسابها ولكنهُ موافقٌ من بعض الوجوه لما فصَّلهُ البخاري في صحيحهِ في ذكرهِ انواع الزواج عند العرب

باب المسائل

فتحنا هذا الباب منذ اول انشاء المقتطف ووعدنا ان نجيب فيهِ مسائل المشتركين التي لا تخرج عن دائرة بحث المقتطف . ويشترط على السائل (١) ان يمضي مسائلهُ باسمهِ والقابهِ ومحل اقامتهِ امضاء واضحاً (٢) اذا لم يرد السائل التصريح باسمهِ عند ادراج سؤالهِ فليذكر ذلك لنا ويعين حروفاً تدرج مكان اسمهِ (٣) اذا لم ندرج السؤال بعد شهرين من ارسالهِ الينا فليكررهُ سائلهُ فان لم ندرجهُ بعد شهر آخر نكون قد اهملناهُ لسبب كافٍ

(١) سمك الآبار الارتوازية

اتياي البارود . محمود افندي العلواني

بينما كنت اطالع في مجموعة قديمة من الجرائد وقع نظري على مقالة في جريدة الاهرام الصادرة في ١٥ تموز سنة ١٨٨٠ عنوانها صحراء افريقية والآبار الارتوازية وفيها ان اسماكاً حيَّة تامة الخلقة كانت تخرج من مياهها المنفجرة من اغوار عميقة وكانت درجة حرارة الماء ٧٦ فارنهيت فما سبب وجودها وكيف يمكن ان تعيش هناك من غير هواء ولا اكسجين

ج ان صحَّ ذلك فيكون في واحة من الواحات العالية بركة فيها سمك وهي متَّصلة بالمكان الذي حُفِرَت فيهِ البئر الارتوازية فلما حفرت خرج الماء بسمكهِ منها . وقد يوجد السمك في الكهوف الغائرة في جوف الارض اذا كان فيها برك ماء لان ماء هذه البرك يكون متصلاً بنهر او غدير والسمك يصعد في الماء الى منبعهِ ولا سيما اذا كان في منبعهِ بحيرة فيبيض فيها ويولد ثم ينزل مع الماء الى حيث يصبُّ في بحر او بحيرة

(٢) مطر الفيران

ومنهُ . نظرت في العدد ١٤٢٩ من جريدة البصير الصادرة في ٢٦ مايو ان السماء امطرت قسطنطينية وضواحيها فيراناً وجرذاناً غطت وجه الارض فكيف يكون ذلك

ج اذا هبَّت الريح اعصاراً ومرَّ الاعصار على ارض مُنبت بالفيران والجرذان حملها عن الارض ثم لا يلبث ان يقع منهُ مطر غزير في مكان آخر فيقع معهُ ما حملهُ من الفيران والجرذان . وقد يمرُّ الاعصار على بحيرة فيحمل جانباً من مائها وسمكها ويلقيهما في مكان آخر فيظهر كأن السماء امطرت سمكاً

---

(٣) زيت الزيتون والبترول

القاهرة . الخواجه نقولا غبريل . امتزج زيت الزيتون بزيت البترول فما هي الواسطة لتفريقهما وتنقية زيت الزيتون من البترول

ج البترول طيار وزيت الزيتون ثابت فضعوا المزيج على نار خفيفة جدًّا او فوق حمام مائي زمناً طويلاً فالراجح عندنا ان البترول

يطير كلهُ . ويحسن ان يضاف الى المزيج ماء في الاناء الذي يسخَّن فيهِ حتى يبقى الماه في الاسفل ولا ترتفع درجة الحرارة عن درجة الغليان اما فصل الزيت عن الماء اخيرًا فسهل بمبزل يوضع بين الزيت والماء واذا لم يفصل البترول عن الزيت فلا يتلف الزيت لانهُ يستعمل لتزييت الآلات

---

(٤) مشتركو التيمس

باهيا بالبرازيل. الخواجه الياس مارون. اختلفت انا واحد الاصحاب في عدد مشتركي جريدة التيمس الانكليزية فقال ان مشتركيها لا يزيدون على عشرين الفًا وقلت بل انهم يزيدون كثيرًا نظرًا لاهميتها فما رأيكم في ذلك

ج وضع عدد مشتركي التيمس في قاموس الجرائد الذي نشرهُ هبرد سنة ١٨٨٢ مئة الف ومن المحتمل انهم لم يزيدوا كثيرًا منذ عشرين سنة الى الآن لانهُ أُنشئت جرائد كثيرة يومية ارخص من التيمس كثيرًا ولكن لا يحتمل انهم نقصوا كثيرًا لانهُ لا يزال للتيمس المقام الاول بين جرائد الدنيا اليومية . وعدد القادرين على الاشتراك فيها من الانكليز يزيد عامًا بعد عام

(٥) العقدة

ومنها انا مع انكارنا صحة السحر نرى البعض يستعملون العقدة وينجحون فكيف ذلك

ج ان الروايات التي من هذا القبيل ليست مما يمكن البحث فيهِ بحثًا علميًا ولذلك تبقى في معرض الشك . ولما كانت الامور المنسوبة الى السحر التي يمكن البحث فيها بحثًا علميًا قد ثبت فسادها فنحكم قياسًا عليها بفساد ما يروى عن العقدة ايضًا ونفتش عن سبب آخر لها فنجدهُ طبيعيًا . غير انهُ اذا تغلَّب الوهم على انسان واعتقد انهُ معقود فقد يغلبهُ وهمهُ ويُعقد حقيقةً

(٦) الخمر والماء

ومنهُ . يقال ان لا شيء انفع للشرب من الماء الزلال وان الخمرة تجلب المضرَّة فما رأيكم في ذلك اوَ لا يجوز استعمال الخمر عند مناولة الطعام

ج اذا اريد الشرب لارواء العطش وتذويب الطعام فالماء خير ما يشرب ولا داعي لشرب الخمر الاَّ اذا اشار بها الطبيب دواء

---

(٧) تلغراف مركوني في الحرب

القناطر الخيرية . نسيم افندي فهمي . ايقوم تلغراف مركوني مقام حمام الزاجل اثناء الحصار

ج نعم اذا كانت آلاتهُ موجودة عند الذين يريدون ان يتخاطبوا بهِ

(٨) تكبير المقتطف

ومنهُ . لقد تكرمت الحكومة فاجابت طلب صاحب السعادة سابا باشا وجعلت اجرة

ثقل المجلات مليماً واحداً مهما كبر حجمها فعلى مَ لم تكبروا لنا حجم المقتطف

ج لقد كبرناهُ على اثر ذلك فجعلناهُ ١٣ ملزمة وكان في العام الماضي ١٢ ملزمة . وتكبير حجم المقتطف يتوقف على زيادة عدد المشتركين فاذا كنتم انتم وغيركم تجتهدون حتى يتضاعف عدد المشتركين فنحن نضاعف حجم المقتطف . اما ملخص تاريخ العام الماضي شهراً شهراً فلم نهملهُ ولكننا لم نجد حتى الآن وقتاً كافياً لجمعهِ

(٩) عمل الشيطان

ميخائيل افندي حنا باشكاتب محطة كفر الزيات . كيف تعللون تأثير روح الشيطان في الانسان أليس عملهُ الشيطاني ناتجاً عن قوة طبيعية في النفس او عن مؤثر خارجي

ج ان الناس الذين قيل ان بهم مساً من الشيطان وبحث في امرهم علماء هذا العصر وجدوا فيهم مرضاً عصبياً في ادمغتهم ومن ثمَّ صار الجنون يعدُّ الآن من الامراض العصبية التي لها اسباب طبيعية . والذين يأخذون بقياس التمثيل يقولون ان كل المجانين من هذا القبيل والذين لا يأخذون بهِ يقولون اننا ولو بحثنا في احوال مئة الف مجنون ووجدنا جنونهم مرضاً عصبياً طبيعياً يشفى بالعلاج احياناً كثيرة فلا يؤخذ ذلك دليلاً على ان المجانين الذين جُنوا منذ الف سنة او الفي سنة لم يكن جنونهم ناتجاً عن فعل الشيطان بهم . لا سيما وان لدينا نصوصاً كتابية صريحة على فعل الشيطان . والذين يقولون هذا القول لا سبيل لنفي قولهم ولكن يظهر لنا ان الاعتقاد بفعل الشياطين آخذ في الضعف حتى بين علماء الاديان

(١٠) احضار الارواح

ومنهُ . اوضحوا لنا حقيقة احضار الارواح

ج لا يمكننا ان نوضح لكم حقيقة شيءٍ لا صحة لهُ فقد ادَّعى كثيرون انهم يحضرون الارواح وحاولوا احضارها امامنا حتى في مدينة باريس فلم يحضروا شيئاً وكنا نضحك عليهم احياناً فننقر على ارجل المائدة باقدامنا فيزعمون ان الارواح حضرت واجابت طلبهم . وهؤلاء غير خادعين في الغالب بل مخدوعون يتوهمون اموراً ويصدقون وهمهم كأنهُ حقيقة

(١١) حقيقة السحر

ومنهُ . هل السحر حقيقي وهل يوجد سحرة صادقون

ج لقد كتبنا فصولاً مسهبة في فساد السحر اي في فساد ما يدعيهِ بعض الناس من انهم يستخدمون الشيطان لقضاء بعض الاغراض او انهم يؤثرون في الناس تأثيراً طبيعياً من غير ان يوصلوا اليهم التأثير بواسطة من الوسائط التي تنتقل بها القوى الطبيعية . ونعني بذلك انهُ لا دليل على ان الانسان يستطيع ان يجلس في بيتهِ مثلاً ويستدعي الشيطان

ويقول لهُ اذهب واقلع قطن فلان او احرق مخزن فلان او اكشف لنا السارق الذي سرق البيت الفلاني . ولو وُجد انسان يستطيع ان يفعل هذا الفعل لاستاجرهُ الناس بالالوف من الجنيهات لكي يرشدهم الى الجناة او لأمر الشيطان ان يرشدهُ الى مناجم الذهب والماس فيصير من اغنى اهل الارض بدلاً من ان يتضوَّر جوعاً كما يتضوَّر اكثر السحرة

اما التأثير في الناس من غير واسطة توصلهُ اليهم فمثل ان يدَّعي انسان انهُ يكتب ورقة لزيد فتؤَثر الكتابة فيهِ حتى يحب فلانة او يبغض فلانة فانهُ لو كانت الكتابات تقضي الاغراض لاعتمد عليها الناس دون سواها من الوسائل فيكتبون ورقة تجعل كارنجي يوزع عليهم ثروتهُ وركفلر يعطيهم اموالهُ وسسل رودس يوصي لهم بما يمتلك بدلاً من ان يتعبوا ويشقوا في طلب الرزق . واغرب من شيوع هذه الاوهام تصديق الناس لها وهم يرون ان الخبز لا يؤكل الاَّ بعرق الجبين والاعمال لا تعمل الاَّ بالجهد والتعب

الاَّ ان المؤثرات لا تكون كلها مادية ظاهرة بل منها ما تكون مادية خفية فقد يسمع المرء كلمة فيبكي ويتعجب او يقع مغمى عليهِ كما اذا قلت لهُ قتل ابوك او قتل ابنك فان الصوت الذي تتلفظ بهِ لا يكفي لتحريك ريشة ولكن المعنى الذي يتضمنهُ يدخل تخادع الناس ويحرك اعصابها فتظهر افعالها المخزونة فيها كما يظهر فعل البارود من وقوع الشرارة عليهِ . فاذا رأى الناس اموراً غريبة لم يروا اسبابها فليس بمستبعد ان ينسبوها الى قوة سحرية اذا لم يكونوا من المطَّلعين على مباحث رجال العلم في هذه المواضيع او اذا كان لهم بضاعة تروج باثبات السحر

(١٣) الاختيار والاضطرار

ومنهُ . يقال ان الانسان مسيَّر لا مخيَّر فهل الله تعالى يقدِّر على السارق السرقة وعلى القاتل القتل او الانسان مخيَّر في مثل هذه الاعمال

ج يقول قوم ان الانسان حرُّ الارادة في اعمالهِ كما ابنا في مقالة مسهبة موضوعها هل الانسان حرُّ الارادة وفي مقالة اخرى موضوعها الاختيار والاضطرار ولذلك يحق عليهِ العقاب اذا اخطأ ويقول قوم انهُ مضطر غير مخير وهم يعنون بذلك ان الاعمال كلها سلسلة من المقدمات والنتائج مرتبطة بعضها ببعض ارتباط العلة بالمعلول فاذا قتل قاتل فالاحوال التي كان فيها من حيث بنية جسمهِ وتركيب عقلهِ واحوال المكان والزمان وكل الملابسات الاخرى تضطر القاتل الى القتل ولا يستطيع ان يمنع ذلك . وقد رجحنا مذهب الاختيار على الاضطرار كما يظهر لكم بالمراجعة

---

(١٤) علاج القرع

المراغا . قرياقص افندي ميخائيل . ما

هو العلاج الذي يشفي من القرع اذا عولج بهِ باكرًا

ج تنقع القشرة التي تكون على الراس بزيت الزيتون ولبخ بزر الكتان حتى تصير تنفصل بسهولة ثم يغسل الراس بالصابون وينظف منهُ بالماء وينزع الشعر المريض بملقط شعرة شعرة ويحترس لكي ينزع الشعر كلهُ من بصلاتهِ ويدهن الراس بعد ذلك بمادة تميت الاحياء الصغيرة لان القرع مسبب عن مادة فطرية حية ومن احسن المواد لذلك الحامض الكربوليك تمزج ثلاثة دراهم منهُ بثلاثة دراهم من الغليسرين وثلاثة دراهم من الماء النقي ويدهن الراس بهذا المزيج مرة كل يوم

ومن المواد التي تميت هذه الفطر مرهم السليماني هكذا

سليماني من عشر قمحات الى عشرين

مرهم بسيط اوقية

وهذا العلاج يستعمل في اول المعالجة وهو سام فيجب الحذر منهُ

ومتى ماتت المواد الفطرية يستعمل دهون خفيف الفعل وتزداد خفتهُ رويدًا رويدًا حتى يكتفي بالزيت كواقٍ لجلد الراس من الهواء . ولا بدَّ من تغذية جسم المصاب بالاطعمة المغذية كاللبن والزبدة والمخاخ والادوية المقوية كالحديد وزيت السمك . ومعالجة القرع معروفة عند كل الاطباء فيجب ان تعتمدوا عليهم

(١٤) خط العلماء

ومنهُ . يزعم بعضهم ان كل مَن كان عالمًا فخطهُ من الكتابة رديء فهل في ذلك شيء من الصحة

ج اذا اريد بالعالم مَن يقتصر على درس كتب اللغة والدين فهذا القول صحيح غالبًا لان هذه العلوم لا تكفي للكسب واذا اريد بالعالم مَن يتعلَّم هذه العلوم وغيرها وتكون علومهُ وسيلة يتدرَّج بها الى ما هو عملي لا غاية يقف عندها فالقول غير صحيح والمتعلّم اقدر من غير المتعلم على الكسب اذا تساوت وسائطهما الاخرى ولولا ذلك ما زادت رغبة الناس في التعلُّم والتعليم

---

(١٥) اتلاف الخلد

اسكلة طرابلس. اسعد افندي بوج (؟) عندنا كثير من حيوان الخلد وهو يتلف المزروعات فما هي الطريقة لابادتهِ

ج ان طعام الخلد من المواد الحيوانية كالديدان والحلازين والفيران لا من المواد النباتية فلا ندري كيف تقولون انهُ يتلف المزروعات . والحقيقة انهُ يفيد المزروعات لانهُ يأكل الحشرات التي تتلفها فلا تفتشوا عن واسطة لقتلهِ

(١٦) تفضيض البلور

ومنهُ . ما هي الواسطة التي يتفضض بها البلور فيصير مرايا

ج كانت المرايا تصنع من القصدير والزيبق . يبسط ورق القصدير على مائدة مستوية ويذرّ عليهِ الزيبق حتى يغطيهُ فيصير الزيبق والقصدير ملغماً ثم يوضع لوح الزجاج على لوح القصدير رويداً رويداً ويضغط عليهِ حتى يلصق بهِ فيصير مرآة . اما الآن فتصنع بترسيب الفضة عليها هكذا : يذاب درهم من نيترات الفضة في مئة درهم من الماء النقي ثم يضاف اليهِ قدر درهم من ماء النشادر وبعده درهم من مذوب حامض الطرطير ويهز جيدًا وينظف لوح الزجاج ويوضع على الرمل افقياً ويصب عليهِ هذا المزيج فيرسب منهُ قشرة من الفضة على لوح الزجاج وتغسل جيداً بوضعها في الماء من غير ان تمس باليد ثم يصب عليها ڤرنيش . وقد نشرنا نبذاً كثيرة عن عمل المرايا في المجلدات الماضية وبعضها وصف ما عملناه بيدنا

باب الاخبار العلمية

فوائد البراكين

مصائب قوم عند قوم فوائدُ

مهما المّ بهذا الكون من الملمات والكوارث ومهما نزل بهِ من النوازل والحوادث فجماعة العلماء يحوّلونهُ الى منافع وفوائد جارين في ذلك مجرى من قال ان المصائب بركات متنكرة . فقد كتب العالم وليم لُكير رسالة الى جريدة ناتشر الانكليزية موضوعها ثوران جبل بيلي والغبار قال فيها ان هبوب عواصف الغبار الذي يرافق ثوران البراكين مهمٌّ جدًّا في علم الظواهر الجوية لانهُ يدلنا على حركات المجاري الهوائية في اعالي الجوّ وعلى سطح الارض . فقد ظهر من بعض التقارير التي كتبت عن ثوران بركان بيلي في ٨ مايو ان الغبار الذي قذفهُ البركان ملأ ظهر الباخرة الانكليزية اسك وهي على بعد خمسة اميال عن البرّ وتكاثف حتى احلولك الظلام فلم يعد ركاب السفينة يرون شيئًا مما حولهم

واذا كان ثوران البركان شديدًا حتى يقذف بالغبار الى علوّ عظيم ويصل الى مجاري الهواء العلوية فقد يدور مع المجاري حول الارض من الشرق الى الغرب فيشعر بهِ في كل مكان يمرُّ بهِ كما جرى عند ثوران بركان كراكاتوى

انفجار بالون سفرو

ذكرت التلغرافات اليومية خبر انفجار البالون الذي ذكرناهُ في الجزء الماضي وكان سفرو راكبًا فيهِ هو ورجل آخر فقتلا . وقد

فصّلت الجرائد العلمية ذلك فقالت ان موتهما نشأ عن سقوطهما من علو اكثر من الف قدم ولكنها اختلفت في سبب الانفجار فقالت انهُ لا يعرف ما اذا كان الانفجار قد نشأ عن احتراق غاز الهيدروجين الذي يملأ البلون بواسطة الآلة التي تدير البلون وتتصل بهِ من الاسفل او ان قسماً من الآلة حمي فاشعل غلاف الغاز . وهي ترجح السبب الاول بدليل ان البلون صعد في الهواء بسرعة عظيمة فادى ذلك الى افلات بعض الغاز بسبب قلة ضغط الهواء ثم الى احتراقهِ وحدوث الانفجار لاسيما وان الآلة التي تدير البلون كانت على بعد متر فقط من الغلاف

الزلازل

قال الدكتور كنكاني الايطالي في اجتماع جمعية الزلازل الايطالية ان المدة التي تمرُّ بين زلزلة كبيرة واخرى تختلف بين ٩٣ و ٢/١ ١١٤ سنة فيكون المتوسط ١٠١٫٩ من السنة وانهُ قد حدث في ايطاليا في العشر السنوات الاخيرة نحو ٣٣٦١ هزة ما عدا الهزات التي لم يشعر بها بل دلت آلات قياس الزلازل عليها . وان معظمها وقع في شهري يناير ومارس في الخمس السنوات الاخيرة اما الساعات التي يكون فيها وقوع الزلازل على اقلهِ فمن الساعة الخامسة الى الثامنة بعد الظهر وعلى اكثرهِ في الساعة الاولى بعد نصف الليل .

ويقال بالاجمال ان نسبة الزلازل التي تحدث ليلاً الى التي تحدث نهاراً كنسبة ١٫٥ الى ١

البالون لقياس الحرارة

طيّرت البلونات من اماكن مختلفة في اوربا صباح السادس من فبراير الماضي لقياس درجة الحرارة في الاعالي ومعرفة نسبتها الى حرارة سطح الارض فكانت كما يأتي

ستراسبرج . كانت درجة الحرارة على سطح الارض ٠٫٩ بميزان سنتغراد فبلغت ٣٩٫٧ على علو ٨٢٩٠ متراً . ولما اخذ البلون بالصعود كانت ٠٫١ فصارت ٦٫٨ على علو ٣٦٠٠ متر

برلين . كانت ٤٫٤° على سطح الارض فبلغت ١٢٫٩ على علو ٣٦٣٥ متراً

فينا . كانت ٨٫٦ على سطح الارض فصارت ١٢٫٠ على علو ٣٧٦٠

وطيَّر المستر روتش طيارة من مرصد بلوهل في الولايات المتحدة فوجد اقلَّ الحرارة ١٦٫٠ درجة على علو ١٢٤٢

تركة سسل رودس

يذكر القراء ان سسل رودس اوصى بقسم من تركتهِ لينفق على تعليم بعض اولاد المستعمرات الانكليزية في انكلترا . وقد اعلن السر الفرد جونس مدير احدى الشركات البحرية العظيمة انهُ يسمح للتلاميذ الذين يسافرون من جاميكا وكندا الى انكلترا

لركوب بواخر شركتهِ مجاناً ذهاباً واياباً مدة سني دروسهم وقال في ختام اعلانهِ "ولي الامل ان مديري شركات البواخر التي تمخر بين انكلترا والمستعمرات الاخرى يحذون حذوي حتى تعمَّ هذه المساعدة ويصبح تلامذة المستعمرات كلها متساوين في هذا الامر"

الكسافا

الكسافا نبات لهُ جذور غليظة تستخرج منها التبيوكا وقد يبلغ وزن الجذر او الثؤلول ثلاثين رطلاً وهو يجود في الاقاليم الحارَّة والفدان المزروع كسافا يستخرج منهُ من المادة النشوية اكثر مما يستخرج منهُ لو زرع باي نبات آخر فان غلة الفدان منهُ تبلغ نحو مئة وثمانين قنطاراً مصرياً واذا زرع علفاً للمواشي فمنهُ نفع كبير وربح كثير

اوجه القمر والعواصف

كان القدماء يعتقدون ان للاجرام السموية علاقة شديدة باحوال الارض الطبيعية وحركات ما عليها من حيوان ونبات حتى انهم كانوا ينسبون كلَّ ما يطرأُ على الارض والبشر من التغيرات الى حركات الاجرام في افلاكها . فاذا ظهر نجم مذنب انبأُوا بوقوع البلايا والمحن كالحروب والمجاعات وغالوا في ذلك حتى اعتقدوا ان لكلّ انسان نجماً يدير حركاتهِ وسكناتهِ وبقي ذلك شائعاً الى القرن الماضي . على ان علم الفلك الحديث دحض كل هذه الخزعبلات واثبت ان لا علاقة للارض الاَّ بالشمس والقمر فانها تستمدُّ من الشمس نورها وحرَّها وهي احدى السيارات التي تدور حولها . واما القمر فانهُ يدور حول الارض في دورانها حول الشمس وهو الجرم الوحيد الذي لهُ بعض العلاقة بما يطرأُ على الارض من التغيرات الطبيعيَّة كالمدّ والجزر وتقلبات الهواء وحدوث العواصف والزوابع كما ثبت لكثيرين من مديري المراصد. فقد كتب المستر مكدوول الى جريدة ناتشر الانكليزية يقول انهُ ظهر من الارصاد الفلكية في مرصد جرينوتش مدة الثلاث عشرة سنة الاخيرة ان للزوابع والعواصف علاقة بتغير اوجه القمر وثبت من تقارير بعض المراصد عن الظواهر الجوية ان الزوابع والعواصف تكون اكثر عدداً عند ما يكون القمر هلالاً مما هي عليهِ عند ما يكون بدراً . وكتب المسيو فنتوسا من مدريد يقول ان نتيجة ارصادهِ من سنة ١٨٨٢ الى ١٩٠١ تؤيد الحقيقة المتقدمة فان العواصف تكون في الهلال ١٣٢ وفي الربع الاول ١٠٤ وفي البدر ٩٩ وفي الربع الاخير ١٢٠

مهلك الغوَّاصات

لم تكد الغوَّاصات تنزل في البحر حتى اهتمت مدرسة البحرية في بلاد الانكليز بايجاد طريقة لاتلافها دفعاً لشرها عن المدرعات

فاستنبطت قارباً يمتد منهُ عمود طويل جداً يعلق في طرفهِ طربيد ويطلق منهُ فيتلف الغوّاصة على عشرة امتار منهُ ولا يصاب هو ولا عمودهُ باذى

عائشة تيمور

توفيت هذه السيدة الفاضلة والشاعرة المشهورة صاحبة ديوان حلبة الطراز في ٢٥ مايو وشيعت جنازتها بعد ظهر ذلك اليوم وسننشر ترجمتها بقلم احدى السيدات العارفات بها

سير الماء وتطهير الترع

كتب بعضهم رسالة بيَّن فيها ان الماء الجاري في مجرى غير مستقيم الجانبين يميل الى النحر في الجانب المقعَّر وترسيب المواد التي يأكلها على الجانب المحدَّب فاذا جُعل جانباهُ مستقيمين متوازيين لم يعد يأكل من احدهما ويرسب الموادفي الآخر فتقل نفقات التطهير وتزول الخسارة من جرف الارض من الجانب المقعَّر

اصلاح عدسية العين

كثيرًا ما يطرأ على عدسيات آلات التصوير الشمسي خللٌ كالانحراف الكروي مثلاً او تكون الفتحة التي تدخلها اشعة النور واسعة فلا ترتسم صور الاشباح واضحة على لوح الزجاج فيصلح المصورون ذلك الخلل بتضييق الفتحة المذكورة فترتسم صورة الشبح المراد تصويرهُ واضحة

وما يقال عن آلات التصوير هذه يقال عن العيون البشرية ايضاً فان العدسية البلورية يقلُّ تحدبها كلما تقدم الانسان في العمر فلا تعود صور المرئيات ترتسم على الشبكية بل خلفها فلا تظهر الاشباح جلية . وعليهِ فما يصح على آلة التصوير يلزم ان يصحَّ ايضاً على العين فاذا ضيّقت عين مَن ضعف بصرهُ بسبب التقدم في السن وجب ان يتحسن بصرهُ وقد ايدت التجارب هذا الاستنتاج وذلك بان تؤخذ صفيحة رقيقة من المعدن وتثقب ثقباً دقيقاً قطرهُ ٥٠/١ من العقدة وتقرب من العين . وقد جرَّب بعضهم هذه الطريقة وهو من الذين يستعملون النظارات المحدبة للقراءة فقال انهُ جرَّب الصفيحة المذكورة فاستطاع قراءة الحروف الصغيرة بسهولة وهي على بعد اربع عقد عن عينيهِ وجرَّبها ايضاً في عدة شيوخ فنجحت فيهم كلهم

ربح الصناعة الاميركية

لما انضمت شركات عمل الفولاذ (الصلب) في اميركا الى شركة واحدة وزيد رأس مالها حتى بلغ ٢٢٩ مليون جنيه حسب كثيرون ان ربحها سيقلُّ كثيرًا بسبب ما زيد على رأس المال لكن ظهر من حسابها عن العام الماضي انها صنعت من الصلب ما قيمتهُ ٤٥٩ مليون ريال تطرح منها نفقات العمل والعمال وهي ٣٤٣ مليون ريال فيبقى ١١٦ مليون

ريال يحفظ منها نحو ٢٤ مليون ريال مقابل "هرش" العدد فالباقي ٩٢ مليون ريال يوزع ربحاً ومعلوم ان رأس المال ٢٢٩ مليون جنيه او نحو ١١١١ مليون ريال فيكون الربح اكثر من ٨ في المئة . ولا خوف من ان يقل العمل في هذه المعامل لان عندها من الطلبات الآن ما لا تستطيع اتمامهُ في سنة كاملة . هكذا تكون المعامل وهكذا تكون همم الرجال

اسرع قطار

اسرع قطار عرف الى الآن قطار يسير في الولايات المتحدة الاميركية فانهُ قطع مسافة ١٤٫٨ الميل في تسع دقائق فيكون متوسط سرعتهِ اكثر من ٩٨ ميلاً في الساعة

زلزلة جواتمالا

زلزلت الارض زلزالاً شديدًا في جواتمالا باميركا الجنوبية خربت بها جميع المدن والقرى والزراعات التي في القسم المخصب من البلاد ولكن لم تفقد بها نفوس كثيرة . وسبب الزلزلة ثوران بركان في تلك الجهات اسمهُ بركان تشنجو

استعمال البترول للوقود

يرى بعض الخبيرين من الانكليز انهُ لا يمضي زمن طويل حتى يحل زيت البترول محلّ الفحم الحجري . والذي يعجّل في ذلك غلاء اسعار الفحم واكتشاف آبار كثيرة لزيت البترول فقد اكتشفت بئر منهُ في بورنيو بلغ ما اصدر منها الى الخارج مئة الف طنٍ او اكثر

وزيت البترول مستعمل للوقود الآن عند اعظم الشركات البحرية فان شركة البواخر الالمانية تستعملهُ في بواخرها وشركة همبرغ واميركا بنت اربع بواخر جديدة واستعملتهُ فيها بدلاً من الفحم فنجحت نجاحاً يذكر . وشركة لويد الالمانية الشمالية وغيرها من الشركات العظيمة حذت حذوها ايضاً

اما مزايا زيت البترول على الفحم فهي اولاً . الاقتصاد في العمل فانهُ حيث يحرق الفحم يضطرون من حين الى آخر ان ينزعوا ما اجتمع من الرماد ويلقونهُ في البحر وذلك يقتضي وقتاً . ثم ان استعمال الزيت يغنيهم عن الوقادين ولا يحتاج معهُ الاَّ الى رجل يراقب الماء في المراجل لان تقديم الزيت للوقود يتمُّ بواسطة آلة تتحرك من نفسها

ثانياً . الاقتصاد في العمَّال اذ يستغنى بهِ عن الذين يستخدمون لتنظيف البواخر من الفحم وآثارهِ

ثالثاً . لا يذهب شيء سدًى عند احتراق الزيت كالدخان الذي يحدث من احتراق الفحم بل ان كلَّ دقيقة من دقائقهِ تحترق وتساعد على توليد البخار

رابعاً . الاقتصاد في المكان اذ يمكن في البواخر ان يخزن الزيت في اماكن لا تصلح لخزن الفحم ولا لشيء آخر فيستعمل المكان المعدّ لخزن الفحم في البواخر الآن لوضع الشحن والبضائع . وحيث يخزن الزيت لا يتكون

سادساً . ثم ان طن الزيت يقتضي فسحة ٣٥ قدماً وطن الفحم ٤٤ قدماً . وقد ظهر من التجارب ان رطل الزيت يبخر نحو ١٩ رطلاً من الماء على حين ان طن الفحم يبخر ١٥ رطلاً فقط

خامساً . ان الزيت اصلح للوقود في المعامل من الفحم لانهُ اجمع للحرارة منهُ

وهناك مزايا اخرى للزيت منها انهُ احفظ للراجل من العطب ولا يتصاعد منهُ دخان يعمي الابصار مثل دخان الفحم ولا شرار يتعرض بهِ الشحن لخطر الاحتراق ولا غبار يسوّد ما على ظهر البواخر من البضاعة

سرعة التلغراف

اخترع احد العلماء آلة لتلغراف مركوني يمكن ارسال خمس مئة كلمة بها في الدقيقة ولا ينفق من القوة على ذلك اكثر من ٢٥ في المئة زيادة عن الآلات العادية

اكبر السراطين

أُتي الى معرض التاريخ الطبيعي في اميركا بسرطان عنكبوتي ياباني طولهُ اذا بسط ساعديهِ ١٢ قدماً وهو اكبر سرطان رُئي حتى الآن . ومن غرائب هذا السرطان انهُ يقتلع من البحر نتفاً من الاسفنج وبلها بلعابهِ وهو غروي ويلصقها ببدنهِ فيتغير شكلهُ ويتعذر تمييزهُ عما حولهُ وهو يفعل ذلك تنكراً !

وأُتي الى هذا المعرض ايضاً بكركند يقال انهُ اكبر ما وُجد من نوعهِ حتى الآن طولهُ نحو متر وثقلهُ ٣٤ رطلاً

نقل القوة بالكهربائية

شاع الآن تحويل القوة المائية الميكانيكية الى كهربائية ونقلها الى اماكن بعيدة وردها الى قوة ميكانيكية ففي اسبانيا آلتان قوة احداهما ٤٠٠٠ حصان وقوة الاخرى ٦٠٠٠ حصان نقلت الاولى مسافة ٢٨ ميلاً والثانية مسافة ٥٠ ميلاً وفي فرنسا آلة قوتها ٧٠٠٠ حصان تنقل مسافة ٣٢ ميلاً ويراد الآن اقامة آلة على نهر سلينا في شمالي ايطاليا قوتها ١٣٠٠٠ حصان ونقلها مسافة ٥٦ ميلاً

كتب البابليين القديمة

كشفت اربع مئة صفيحة من صفائح الاجر البابلية في مكان اسمهُ نشان الاسود يظهر مما هو مكتوب فيها انها كانت كتباً للتعليم بعضها قاموس في اللغة البابلية وبعضها نشيد ينشد في احتفال المعبود ماردك

اكبر بالون حربي

عزمت نظارة الحربيَّة الانكليزية على عمل بالون حربي طولهُ ١٨٠ قدماً وقطرهُ الاطول ٧٢ قدماً ويكون فيهِ آلة بخارية قوتها ١٣٥ حصاناً وهو يسع ١٥٦ الف قدم مكعبة من غاز الهيدروجين فقوتهُ الرافعة تساوي مئة قنطار مصري ويتصل بهِ سطح بمقام جناح الطائر طولهُ ١٢٠ قدماً والمظنون ان هذا

البالون يسير في الهواء بسرعة ٢٠ ميلاً في الساعة

آلة لحلب البقر

استنبط بعضهم آلة صغيرة لحلب البقر بقرة بقرة وهي اناء فيهِ مفرغة للهواء يتصل بها انبوب كاوتشوك لهُ اربعة كؤوس توضع على حلمات ضرع البقرة. والآلة مصنوعة على اسلوب حتى تمتص اللبن من الضرع ولا تضرُّ بهِ ولا بالحلمات

اسود الاسيتيلين

اسود الاسيتيلين مادة سوداء كالهباب الذي يستعمل في عمل الدهان الاسود والحبر الاسود وتفضل عليهِ لان ليس فيها مادة دهنية ولكن طريقة عملها تجعلها غالية الثمن فاذا وجدت طريقة تقل بها نفقات استحضارها قامت مقام الهباب

وصية سسل رودس

اثبت المستر ستد صاحب مجلة المجلات الانكليزية ان سسل رودس جعلهُ اوَّلاً وصيًّا على كل امواله يتصرَّف فيها كيف شاء لانهُ رآهُ الرجل الذي يفهم مقاصدهُ ويستطيع ان يعمل بها بعدهُ . ثم غيَّر وصيتهُ واشرك مع ستد آخرين . ولما حمل ستد حملاتهِ المنكرة على الذين حسب انهم اضرموا نار حرب الترنسفال غيَّر رودس وصيتهُ واخرج اسم ستد من عداد الاوصياء لاعتقادهِ انهُ لا يتفق معهم لكنهُ بقي حتى مماتهِ يعد نفسهُ واللورد ملنر من تلامذة ستد

جرأة سسل رودس

مُلئت جرائد الانكليز ومجلاتهم في الشهر الماضي من الكلام على سسل رودس وممَّا ذكرتهُ بعضها انهُ لما زار امبراطور المانيا منذ مدة قال لهُ " اني اشكرك على التلغراف الذي بعثت بهِ الى كروجر فاني كنت آتيًا الى انكلترا وانا احسب انهم سيجلدونني كولد مذنب ولكن لما تكرَّمت بارسال التلغراف الى كروجر جلدوك انت بدلاً مني "

وروت ايضاً انهُ لما وضع امبراطور المانيا شروط سكة الحديد التي يراد مدها في جنوبي افريقية لتصل بالسكة المصرية قرأها على رودس وقال لهُ اظنك راضٍ بهذه الشروط فقال رودس كلاَّ الاَّ اذا كنت اود ان اعلن افلاسي فاستغرب الامبراطور ذلك وقال لهُ ماذا تعني فقال انكم وضعتم في الشروط شرطاً مؤداهُ انهُ اذا اعتدى احد على الخط فحكومتكم تدافع عنهُ وانا ادفع النفقات فهب انكم ارسلتم جيشاً عرمرماً الى هناك واضطررتموني الى دفع نفقاتهِ فاني اضطر ان اعلن افلاسي حالاً . فضحك الامبراطور وحدَّد النفقات التي يلتزم رودس بها باربعين الف جنيه على الاكثر فرضي رودس بذلك

وقال لهُ الامبراطور اني ارجو ان يتم

انشاء الخط في سنتين او ثلاث فقال رودس اما انا فلا اظن ذلك ممكناً لان الالمان الذين في افريقية من اكسل الناس واضعفهم همةً وانا متأكد انهم لا يتمون هذا الخط في سنين كثيرة

فان كانت هذه الروايات صحيحة فاما ان يكون رودس من نوادر الرجال في حرية اللسان او يكون مالهُ الكثير جرّأَهُ على هذا الكلام وانطقهُ بهذه الصراحة

اخلاق سسل رودس

يظهر مما قرأناهُ عن هذا الرجل باقلام اصدقائهِ وغيرهم وما رووهُ عنهُ من النوادر وما اقتبسوهُ من اقوالهِ وخطبهِ وكتبهِ انهُ كان شفوقاً على ابناء نوعهِ بحسب التديُّن الحقيقي المقبول عند الله السعي في اصلاح شأْن الناس وكان يكرم خدمة الدين ويحابهم كثيراً اذا رأى انهم اختاروا هذا السبيل لكي يبذلوا كل قواهم لافادة نوع الانسان. وانهُ انما ربط المال الطائل للتلامذة الذين يتعلمون على نفقتهِ لكي يستطيعوا ان يعاشروا الناس الذين من الطبقات العليا وهم يتعلمون حتى لا تفوتهم فائدة

ولما صارت ادارة مناجم الماس الى يدهِ غرس الحدائق والبساتين لاجل نزهة العمال وبنى لهم البيوت وانشأ المكاتب والاندية العلمية والادبية لكي تصلح حالهم ويجدوا لذة في الحياة

واشترى اثمن الجياد واجود انواع المعزى ورباها في جنوبي افريقية لكي يكثر نسلها فيهِ وانفق الاموال الطائلة على اعمال الري وكانت يدهُ مفتوحة دائماً لاصدقائهِ وغيرهم ينفق بسخاء حاتمي . قال احد الكتَّاب وانا نفسي اعرف مئات بل الوفاً من الشبان ابتدأُوا في الحياة وهم لا يملكون شيئاً فساعدهم بمالهِ حتى نجحوا . واعرف مئات من النساء ساعدهنَّ بسخائهِ . ولما عاد من بلاد المتابيل وكان في ضيقة مالية على نوع ما انفق في ثلاثة ايام سبعة عشر الف جنيه لمساعدة المعوزين

وكان يقوم باكرًا الساعة السادسة صباحاً ويركب في مزارعهِ الى الساعة التاسعة ويعود وينطر ويشتغل الى وقت الغداء فيأكل قليلاً ويعود الى الشغل حتى العشاء ويقضي الوقت بعد العشاء في الكلام مع زوارهِ في مهام الامور

وكانت نفقاتهُ على نفسهِ قليلة جدًّا لا تكاد تكون شيئاً مذكورًا واذا كان مسافرًا دعا كل مَن يجدهُ في طريقهِ للاكل معهُ . وكان يكره كل انسان الأَ الكسلان المعتمد على غيرهِ لانهُ كان يقول يجب على كل انسان ان يتعب ويكدح . وقد خسر معادن الذهب كلها اهتماماً منهُ باحد اصدقائهِ فانها عُرضت عليهِ بثمن بخس جدًّا وخُيّر في ابتياعها ولو ابتاعها لكانت ثروتهُ تقدَّر الآن بمئات الملايين من الجنيهات لكن بلغهُ حينئذٍ ان واحدًا من اصدقائهِ مريض

في كمبرلي فقام لساعتهِ وركب ليذهب اليهِ فقال لهُ وكيلهُ لا يمكن ان تذهب الآن قبلما ننتهي من مسألة المعادن فقال لا بدَّ لي من الذهاب الى صديقي فارسل اليَّ تلغرافًا الى كمبرلي . وسار لساعتهِ راكبًا ثلثمئة ميل وارسل اليهِ وكيلهُ تلغرافات كثيرة فلم يعبأ بها لانهُ كان جالسًا امام سرير صديقهِ والمرجح انهُ لم يفتحها ولو فتحها واجاب بالايجاب لمات عن ثروة لا مثيل لها في المسكونة

تهوية المنازل

اثبت احد العلماء سنة ١٨٧٨ ان الهواء ينفذ جدران غرفة مقفلة بسرعة تتوقف غالبًا على ما بين الهواء الداخلي والخارجي من الفرق في الحرارة بشرط ان يكون الهواء الخارجيُّ اوطأ حرارة . ووجد ايضًا انهُ اذا كان ثخن الجدران اعتياديًا وكانت حرارة الهواء الخارجي اوطأ من حرارة هواء الغرفة باربع عشرة درجة بقياس سنتغراد تغير ١٤/٠ من هواء الغرفة عن كل درجة في الساعة وبعبارة اخرى تغيَّر هواء الغرفة كلهُ في مدة ساعة بمرور الهواء داخل في الجدران

وابان غيرهُ من عهد قريب انهُ اذا كانت سعة الغرفة ٦٠ يردًا مكعبًا وكانت جدرانها من الحجر ولكنها مغطاة بالورق من الداخل تغير الهواء بمعدل ٤٠/٠ من حجمهِ عن كل درجة في الساعة . واذا كان الورق مدهونًا بالزيت والفرنيش قلَّ اختراق الهواء للجدران وبعكس ذلك اذا لم يلصق على الجدران ورق ولا غيرهُ فان الهواء يتخللها بسهولة . وعليهِ فكلما كانت جدران المنزل ساذجة سهل نفوذ الهواء فيها . وكلما زاد الفرق بين حرارة الهواء الخارجي والداخلي اسرعت تهوية المنزل على هذه الطريقة

لا بدَّ من سيد

كتب مارك توين الكاتب الشهير في مجلة اميركا الشمالية يقول انه لا بدَّ للناس من سيد يكرمونهُ (وذلك على اثر زيارة البرنس هنري البروسي للولايات المتحدة الاميركية وما لقيهُ فيها من التجلة والاكرام) وكلهم من الامير الكبير الى الصعلوك الحقير متساوون في حب الامتياز والتباهي ولذلك يودون التقرُّب من الملوك والعظماء لان فيهِ امتيازًا لهم على غيرهم بل هم يرغبون في الامتياز ولو كان باكرام الحيوانات البكماء لهم. والتفت الى الاميركيين وقال انهم يدَّعون انهُ لا يهمهم التقرُّب من الملوك والعظماء ولكن الذي لا يود ان تصوَّر صورتهُ مع البرنس هنري مثلاً لم يولد حتى الآن

المرأة التركية

انشأت السيدة ماري بترك رئيسة مدرسة النساء الاميركية في الاستانة مقالة في مجلة اميركا الجنوبية عن نساء الاتراك قالت فيها انهنَّ جارين النهضة العلمية الحديثة مجاراة حقيقية

والمرأة التي تراها في السوق والنقاب على وجهها والاغا ماشٍ وراءها قد يكون عقلها مشتغلاً بموضوع علمي تكتب فيه مقالة لاحدى الجرائد او بموضوع سياسي او اجتماعي . وكثيرات من نساء الاتراك جعلنَ يتعاطين الاعمال المختلفة ومنهنَّ من ترافع عن نفسها في مجالس القضاء . ومنذ سنوات قليلة انشأ رجل مجلة للنساء كانت مكتوبة باقلامهنَّ . وقد انشأت امرأة مقالات علمية متتابعة في احدى الجرائد اليومية منذ عهد قريب والَّفت امرأة اخرى كتاباً في علم التعليم وشرعت امرأة ثالثة في كتابة تفسير للقرآن . وبعض هؤلاء النساء شرعنَ يتعلمن بعد ان تزوجنَ . وللنساء التركيات ميل الى درس اللغات الاجنبية فيتعلمنَ لغتهنَّ ولغتين او ثلاثاً من اللغات الاوربية

ماس غربي افريقية

صدر من الماس من مدينة الراس في العام الماضي ما ثمنهُ ٤٩٣٠١٠٤ جنيهات اي نحو خمسة ملايين من الجنيهات

ما تعلمهُ حرب البوير

نشرت مجلة ادنبرج مقالة موضوعها ما تعلمهُ الحرب بيَّنت فيها ان حرب البوير الحالية اثبتت الحقائق التالية وهي

اولاً فائدة البنادق البعيدة المرمى في صد العدو المهاجم

ثانياً فائدة الخنادق في الدفاع

ثالثاً عدم نفع الهجوم على عدو متحصن في الخنادق

رابعاً عدم نفع المدافع اذا أُطلقت على عدو متحصن في الخنادق

خامساً فائدة الواقيات التي تستعمل لوقاية الجيش وهو هاجم على عدو مسلَّح ببنادق بعيدة المرمى

سادساً ترجيح فائدة الخنادق في الهجوم ايضاً

ضرر الحشرات

كتب بعضهم في مجلة المعاصر ان الحشرات تتلف من زارعة حشيشة الدينار في بلاد الهند ما قيمتهُ ٩١ مليون جنيه في السنة وان داء اوراق البن يتلف في جزيرة سيلان في السنة ما قيمتهُ ١٥ مليون جنيه وداء العفن يتلف من الحنطة في استراليا ما قيمتهُ ثلاثة ملايين من الجنيهات . الا ان الحكومات المتمدنة باذلة جهدها في مقاومة فعل الحشرات ونحوها مما يضرُّ بالزراعة وتقوية ما يفيدها والحكومة الاميركية في مقدَّمتهنَّ لانها تنفق نحو مئة الف جنيه في السنة في هذا السبيل

تغيُّر الثقل

من المسلمات ان ثقل الاجسام لا يتغير ما دامت في مكان واحد بالنسبة الى الارض

لكن احد العلماء بيَّن انهُ اذا اذيب كبريتات النحاس في الماء تغيَّر وزنهُ قليلاً . وقد اعترض اللورد ريلي على ذلك وحاول اثبات فسادهِ بادلَّة علمية . فردَّ عليهِ احد العلماء قائلاً انهُ اذا اثبتت التجارب تغيُّر الوزن فالادلة العلمية او القواعد العلمية التي تنفي ذلك تصير من المسلمات التي يعتقد الناس صحتها اعتقادًا ولو لم تنطبق على الواقع. والظاهر ان بقاء الوزن على حالهِ وبقاء القوة على حالها لا يؤْخذان على اطلاقهما بل هما تقريبيَّان يصدقان الى حد محدود لا يبلغ جزءًا من مليون جزء من الوزن والقوة

نازلة مرتنيك

وصفنا هذه النازلة في مقالة خاصَّة في هذا الجزء وجاءتنا المجلات العلميَّة بعد كتابة ما كتبناهُ بذكر ما حدث بعد ذلك وهو

في ١٨ مايو ثار بركان السوفرير في سنت فنسنت بين الساعة ٨ ١/٢ مساء ونصف الليل وخرجت منهُ اصوات كالرعد القاصف وكانت البروق متصلة فوق قمتهِ

١٩ مايو ثار بركان بيلي ثورانًا عظيمًا وخرجت منهُ حمم اكثر ممَّا خرج منهُ في ٨ مايو لما طمر مدينة سن بير وجرت الحمم منهُ في النهر الكبير وخرَّبت المباني والمزارع التي لم تخربها قبلاً

٢٠ مايو قذف هذا البركان طينًا وحجارة حامية غطَّى بها اكثر جزيرة مرتنيك وانتشر القتام فوق مدينة فور ده فرانس وكانت البروق تتراسل فيهِ

٢١ مايو عاد بركان بيلي الى الثوران

٢٢ » جرت الحمم من الفوهة الجديدة في شماليهِ نهرًا واسعًا حتى بلغت البحر

٢٤ عادت الحمم والطين تجري منهُ في الجهة الشمالية فجرفت ما بقي من مدينة باس بوانت وانثغر في جانبهِ ثغرة جديدة . وكانت الحمم لا تزال تجري من السوفرير. وامطرت السماء مطرًا دمويًّا في مدينة همبرج وماحولها باوربا وثبت ان احمرارهُ ناتج عن وجود حشرات صغيرة فيهِ والمظنون ان الغبار البركاني المقذوف من بركان مرتنيك دفعها امامهُ فامتزج بها ماء المطر

٢٥ مايو خمد بركان بيلي قليلاً ولم يعد يقذف الاَّ الرماد وقد غطى بهِ الجزيرة في اقصى الشمال . ووقع ثلج رمادي اللون في سويسرا ظهر ان فيهِ رمادًا

٢٧ مايو عاد ثوران بيلي فاشتدَّ وامطر رمادًا وحجارةً على شمالي الجزيرة واطبق الجو بالسحب الكهربائية

والمرجح الآن ان سكان سن بير مات اكثرهم اختناقًا بغاز الحامض الهيدروكلوريك الناتج من انحلال ملح ماء البحر فان ماء البحر يغور في الارض فيصل الى اماكن شديدة الحمو فيسخن ويتبخر وينحلُّ ويسبّب ثوران

البراكين. والذين قتلهم بركان السوفرير قتلهم برماده الحامي او بالصواعق التي كانت تتردد في ابخرته. اما النار التي اكتنفت مدينة سن بير في الثامن من الشهر فسببها ان ماء البحيرة التي كانت في جبل بيلي غار في جوف البركان وقتما انفجر فانحل من شدة الحرارة الى غازيه واشتعل وانقذف لهبهُ مع ما انقذف من البركان فغمر المدينة

والظاهر ان الحيوانات ادركت اقتراب الثوران قبل حدوثهِ فغادرت الجبل كلها لانها شعرت باضطراب الارض ولو كان ضعيفًا وسمعت الاصوات التي في باطن الجبل

وقد اتضح الآن ما ظنناه من سبب هذا الثوران وهو ان ارض الحوض الذي تحيط بهِ سلسلة الجزائر التي منها مرتنيك وسنت فنسنت خسفت وبلغ انخسافها نحو ٦٠٠ قدم في بعض الاماكن ومعلوم ان الضغط الناتج من ذلك يدفع المواد الحارة التي في باطن الارض فتطلب لها منفذًا ما. والجبال كلها منافذ لانها تكونت بفعل بركاني فنفذت من جبل بيلي والسوفرير وساعدها على ذلك ان ماء البحر دخل باطن الارض لما انخسفت فمددته الحرارة وصعد مع المواد التي اندفعت منها. والظاهر ان هذا الانخساف مرتبط بالزلزلة التي حدثت في التاسع عشر من ابريل واماتت خلقًا كثيرًا في تلك الجهات

ويقدر الآن عدد الذين اماتهم ثوران بيلي بار بعين الفًا وعدد الذين اماتهم ثوران السوفرير بالفين فقط

مقام سسل رودس

كتبت مجلة العلم العام الاميركية فصلاً وجيزًا عن وصية سسل رودس فضلتهُ فيهِ على نبوليون وبسمارك فقالت انهُ يشبه نبوليون وبسمارك في انهُ جمع في شخصهِ الصفات التي يسود بها المرء على غيرهِ وانهُ كان مثلهما يسير في وجهتهِ غير مكترث لشيءٍ ولكن نبوليون ضحَّى كل شيءٍ لاجل مطامعهِ الذاتية وبسمارك قصر اهتمامهُ على ما يعظم بهِ شأن مولاهُ واما رودس فبذل النفس والنفيس في انشاء مملكة قاصرًا همهُ على المملكة البريطانية ثم على شعب الانجلوسكسون ثم على الامم الالمانية ثم على العالم. ولقد كان من اهل الاماني ولكنهُ اثبت للملإ ان امانيهُ تصير حقائق ومن المرجح ان تتحقق كل الامور التي اوقف ثروتهُ لها

قانون الاستحقاق

يظهر لمن يطالع وصية سسل رودس الاخيرة انهُ جعل قانون الاستحقاق لنيل المال الذي اوصى بهِ لتعليم التلامذة في مدرسة اكسفرد غير ما تجري عليهِ المدارس الآن فانهُ بنى استحقاق التلميذ اولاً على معارفهِ العلمية والادبية

وثانيًا. على مهارتهِ في الالعاب الرياضية او محبتهِ لها

وثالثاً . على اخلاقهِ الادبية كالصدق والشجاعة والقيام بالواجب والرفق بالضعيف وايثار الغير على النفس

ورابعاً . ظهور صفات فيهِ تدل على انهُ مخلوق ليقود غيره ويهتم بامر اخوانهِ التلامذة

واذا كانت العلامات التي تعطى لهُ مئة فيعطى على الشرط الاول ٣٠ وعلى الثاني ٢٠ وعلى الثالث ٣٠ وعلى الرابع ٢٠ . وعلامات الشرط الاول تكون بالامتحان والشرط الثاني باقتراع اخوانهِ التلامذة والثالث باقتراع المرشحين معهُ للانتخاب والرابع باقتراع اساتذتهِ فجعل حق التلامذة مثل حق الاساتذة في اختيارهِ

رخص المعيشة في الصين

كتب بعضهم في مجلة كاسير عن احوال الصين والصينيين قال ان العامل الفقير في بلاد الصين يأكل في السنة كلها ما يساوي ١١ شلناً او اقل من ٥٤ غرشاً بسبب رخص المعيشة هناك وان العامل منهم يكتفي بغرش واحد في النهار. ولذلك نستغرب كيف تروج عندهم البضائع الاوربيَّة وكيف لا يناظرون الاوربيين في ميدان الصناعة . ومن رأي كاتب هذه المقالة انهُ يستحيل على دول اوربا ان تمتلك بلاد الصين او تقسمها وعلى الشركات الاوربيَّة ان تنجح فيها وتربح منها لان الصينيين لا يسلمون بذلك وليس من السهل ابتزاز شيء منهم

رئيس ولايات اميركا

يرد على رئيس ولايات اميركا ١٢٠٠ رسالة كل يوم . وهو يقابل كل من يطلب مقابلتهُ عن يد احد اعضاء مجلس الشيوخ او احد النواب في اربعة ايام من الاسبوع من الساعة العاشرة صباحاً الى الثانية بعد الظهر . ويقال ان ذلك يشغل جانباً كبيراً من وقتهِ ويصرفهُ عن مهام البلاد ولا بدَّ من سن قانون يعفيهِ من هذه المقابلات

الاستاذ كورني

الاستاذ كورني استاذ الطبيعيات في مدرسة البوليتكنيك بفرنسا من اشهر اساتذة العلوم الطبيعيَّة ولد سنة ١٨٤١ ودرس في هذه المدرسة واختير استاذاً فيها سنة ١٨٦٧ وعمرهُ ٢٦ سنة فبقي في هذا المنصب الى حين وفاتهِ وقد اشتغل اولاً بقياس سرعة النور فقاس سرعتهُ بالتدقيق ومنح جائزة لاكاز وجُعل عضواً في اكادمية العلوم ثم جعل يشتغل بالحل الطيفي وقاس طول امواج اشعة الهيدروجين ومقدار امتصاص الهواء لاشعة النور ولما كثر احمرار الشفق والفجر في اواخر سنة ١٨٨٣ اثبت ان ذلك حادث من تشرُّف النور بدقائق الغبار المنتشرة في الهواء آتية من ثوران بركان كراكاتوى

واشتغل بالسمعيات كما اشتغل بالبصريَّات ثم بالكهربائية ونقل القوة بها. وكان الانكليز

يكرمونهُ كما يكرمهُ الفرنسويون واستدعوهُ لتقديم الخطبة المعروفة بخطبة ريد في مدرسة كمبردج وقد ترجمنا هذه الخطبة ونشرناها في الجزء التاسع من المجلد الثالث والعشرين من المقتطف الصادر في غرة ابريل سنة ١٨٩٩ . وكانت وفاتهُ في اواسط شهر ابريل الماضي

بطرية اديصن

قال المستر اديصن انهُ تمكن من عمل بطرية للمركبات التي تسير بها مسافات طويلة . وقد جربت مركبة منها فسارت ٦٢ ميلاً في طريق وعرة . وجربت مرة أُخرى فسارت ٨٥ ميلاً في طريق اعتيادية

اما البطرية فقد وصفها لاحد زائريهِ فقال ان في معظم البطريات المستعملة الآن ثقيل جدًّا . والواحدة منها لا تسير اكثر من خمسين ميلاً بلا تجديد قوتها وهذا يقتضي عدة ساعات اما بطريتي فمؤلفة من الواح صغيرة مصنوعة من النكل والصلب (الفولاذ) مغموسة في محلول قلوي . وعلوُّها ١٢ عقدة وطولها ٦ عقد وعرضها ٤ تقرب من حجم البطريات المستعملة الآن غير ان خفة الواحها تمكنني من ان استخرج قوة حصان واحد من ثقل ٥٣ رطلاً . وهي تسيّر المركبة مئة ميل بلا تجديد قوتها. ثم اذا اريد تجديدها اقتضى ذلك وقتاً قصيرًا . وتُفني عدة مركبات قبلما تفنى

معادن اميركا

بلغت قيمة الذهب الذي استخرج من الولايات المتحدة الاميركية في العام الماضي ٨٠٢١٨٨٠٠ ريال اي اكثر من ١٦ مليون جنيه وقيمة الفضة ٣٥ ٧٩٢ ٢٠٠ اي اكثر من سبعة ملايين من الجنيهات وبلغ مقدار الحديد الذي استخرج منها نحو ١٧ مليون طن

عاقبة الثوران

ظنَّ البعض ان جزيرة مرتنيك ستغور في قاع البحر على اثر ثوران بركانها لكن الدلائل كلها تدل على انها ستزيد ارتفاعاً واتساعاً واذا خمد بركانها ومرَّت عليهِ السنون خامدًا فلا يبعد ان يعود اليها الناس ويسكنونها كما سكنوها قبلاً

تأْثير الثوران البعيد

لما ثار بركان بيلي اثَّر ثورانهُ في اماكن كثيرة بعيدة عن مرتنيك ففي جزيرة دومينيكا شمالي مرتنيك كانت بحيرة ماؤُها سخن في درجة الغليان طولها ٣٠٠ قدم وعرضها ٢٠٠ قدم فغارت مياهها في ١١ مايو ولم يبقَ لها اثر وفي اليوم التالي اشتدَّت حرارة الينابيع الحارَّة في جزيرة جمايكا . وبدت من بركان كوليما في بلاد المكسيك علامات الثوران في ١٢ مايو وزلزلت الارض في كليفورنيا في ١٨ منهُ

فهرس الجزء السادس من المجلد السابع والعشرين



مجلة علمية صناعية زراعية

لمنشئيها

الدكتور يعقوب صرّوف والدكتور فارس نمر

AL-MUKTATAF

A MONTHLY ARABIC SCIENTIFIC REVIEW

EDITED BY DR. Y. SARRUF

VOL. LXX. No 5

FOUNDED 1876 BY DRS. Y. ṢARRUF & F. NIMR

المقتطف

الجزء السابع من المجلد السابع والعشرين

١ يوليو (تموز) سنة ١٩٠٢ — الموافق ٢٥ ربيع الاول سنة ١٣٢٠

السلم في بلاد البوير



اللورد كتشنر



اللورد ربرتس

سلَّم البوير للانكليز في اليوم الاخير من شهر مايو (ايار) وقد ثبت لهم انهم لا يستطيعون مناوأة امَّة لا نسبة بينهم وبينها في المال ولا في عدد الرجال وان اعتمادهم على غِيَر الدهر ان تقلب لخصومهم ظهر المجنّ اضغاث احلام. واتخذهم بمواعيد المغرّرين بهم ضعف في الرأي واستناد على الاوهام. ورأوا من الامَّة التي تحاربهم شهامة وكرم اخلاق وعلموا ان اللاجئين اليها يكرمون والمستظلين بظلها لا يضامون. فالقوا سلاحهم عن طيب نفس ورضوا بشروط التسليم ورحبوا بالحكومة الجديدة التي رأوا ان لا بدَّ لهم منها جارين على قول الحكماء اذا لم يكن لك ما تريد فارد ما يكون. فكانوا ابطالاً بواسل في الحرب دهاةً متبصرين في السلم يعرفون كيف يناهضون عدوهم وكيف يصافونهُ. ولو قبلوا هذا السلم على ضغن ولأموا جرح نفوسهم على غثم

كما فعل غيرهم من امم المشرق ما نالهم من هذه الحرب غير الصغار بعد خراب الديار . اما وقد قالوا للانكليز حاربنا كم ما ظننا الحرب حزماً وسالمنا كم لما رأينا السلم غنماً والدنيا مصالح وسنخلص لكم الولاء كما يخلصهُ ابناؤكم الادنون فلا يبعد ان نراهم بعد اعوام قليلة ممتزجين بالامة الانكليزية امتزاج الراح بالماء لهم ما لها وعليهم ما عليها يحسبون عزها عزهم وصولتها صولتهم فيمون تحت رايتها ويفلحون ويكون ابطالهم سيفها الصقيل . ولو فازوا بالاستقلال التام ما امكنهم ان ينشئوا لانفسهم دولة لها عشر صولة دولتهم الجديدة . واكبر ما يُعترض بهِ على الحرب الماضية ما فقدتهُ الامتان من المال والرجال اما المال فغادٍ ورائح ولا يضيع مال ينتقل من يد زيد الى يد عمرو من ابناء الامَّة الواحدة . فما انفقتهُ الحكومة الانكليزية على الحرب بقي اكثرهُ في يد ابنائها . واما الرجال فجراح الذين فقدوهم اليمة ولكن الزمان يبرئها ونكبة الامة بهم كبيرة ولكنها لا تقاس بنكبات الدهر ففي عشر دقائق قتل بركان يبلي اضعاف مَن قُتل في هذه الحرب ولذلك شمل السرور الامتين المتحاربتين يوم وضعت الحرب اوزارها وشاركهما فيهِ اكثر امم الارض . اما شروط التسليم فهي هذه منقولة عن المقطم الصادر في ١٠ يونيو

المادة الاولى . يسلم البوير الباقون في ساحة القتال اسلحتهم وكل مدافعهم وبنادقهم وذخائرهم ويمتنعون عن المقاومة لسلطة جلالة الملك ادورد السابع ويعترفون بانهُ ملكهم الشرعي . اما كيفية هذا التسليم وطرقهُ فيُتفق عليها بين اللورد كتشنر والقواد بوثا ودلاري ودي وت

المادة الثانية . كل البوير الذين هم خارج حدود الترنسفال ومستعمرة اورنج واسرى الحرب الذين هم خارج جنوب افريقية يردون الى اوطانهم اذا قبلوا شروط الرعوية لجلالة الملك ادورد السابع ويكون ردهم اليها تدريجاً حالما تسمح بذلك وسائط النقل وتضمن لهم وسائط اعالتهم

المادة الثالثة . البوير الذين يسلمون او يرجعون على مقتضى هذه الشروط لا يعدمون حريتهم الشخصية ولا املاكهم

المادة الرابعة . لا تقام دعاوى مدنية ولا جنائية على البوير الذين يسلمون او يرجعون على الوجه المتقدم ذكرهُ وهذا العفو لا يشمل الذين ارتكبوا اموراً مخالفة لاصول الحرب المرعية التي ابلغها القائد العام الى قواد البوير والتي تُنظَر في مجالس عسكرية بعد انتهاء الحرب

المادة الخامسة . تعلَّم اللغة الهولندية في المدارس العمومية في الترنسفال واورنج حيث يشاء الوالدون تعليمها وتستعمل في المحاكم حيث يكون استعمالها اصلح للقضاء بالعدل بين المتقاضين

المادة السادسة . يرخص باقتناء البنادق للذين يحتاجون اليها ليحموا انفسهم في مستعمرة اورنج على شرط ان يحصلوا على رخصة بذلك طبقاً للقانون

المادة السابعة . تستبدل الحكومة العرفية (الادارة العسكرية) في الترنسفال وفي اورنج باقرب ما يمكن بحكومة مدنية ثم تعطيان حكومة نيابية توطئة للاستقلال الاداري (الاستقلال في الشؤون الداخلية) حالما تسمح الاحوال بذلك

المادة الثامنة . لا يفصل في مسألة اعطاء حقوق الانتخاب للوطنيين الاَّ بعد تقرير الاستقلال الاداري

المادة التاسعة . لا تضرب ضرائب خصوصية على العقارات في الترنسفال وفي مستعمرة اورنج لسد نفقات الحرب

المادة العاشرة . تعين لجنة يشترك فيها اهالي البلاد في كل قضاء من اقضية الترنسفال ومستعمرة اورنج برئاسة رجل من اهل القضاء او موظف آخر حالما تسمح الاحوال بذلك لرد الاهالي الى اوطانهم ومساكنهم واعطائهم ما يلزم من الطعام والمأوى والمواشي والبذار (التقاوي) والآلات وغيرها مما لا غنى عنهُ للذين باتوا غير قادرين على اقتناء شيء من ذلك بسبب الخسارة التي خسروها في الحرب

وستضع حكومة جلالة الملك ثلاثة ملايين جنيه تحت امر تلك اللجان للغاية التي تقدم ذكرها . ثم ان السندات التي كتبتها جمهوريتا جنوب افريقية طبقاً لقانون سنة ١٩٠٠ وجميع الوصولات التي اعطاها ضباط الجمهوريتين السابقتين المحاربون او اعطيت بامرهم تعرض على لجنة قضائية تعينها الحكومة فاذا رأت هذه اللجنة ان تلك السندات والوصولات اعطيت على اشياء ذات قيمة تحسبها اللجان التي تقدم ذكرها من الاوراق المثبتة للخسارة الحربية التي خسرها من أُعطيت لهُ والاَّ فلا

هذا وحكومة جلالة الملك مستعدة لاقراض البوير لمثل هذه الغاية ايضاً اموالاً بلا ربا مدة سنتين وتستردها منهم بعد عدة سنوات بربا ٣ في المئة وذلك عدا الثلاثة الملايين الجنيه التي تعطى لهم هبة ولا يحق لاحد من الاجانب او من العصاة ان يتمتع باحكام هذه المادة

وقد وقَّع هذه الشروط اللورد كتشنر واللورد ملنر بالنيابة عن الحكومة البريطانية وعشرة من مندوبي البوير ستة منهم بالنيابة عن الترنسفال وهم شلك برجر وريتز والقواد لويس بوثا ودلاري ولوقماير وكروغ واربعة بالنيابة عن اورنج وهم القواد دي وت بالاصالة عن نفسهِ والنيابة عن ستين رئيس جمهوريتها السابق وبربنر واوليفيه والقاضي هرتزوج

وادار الانكليز رحى هذه الحرب بقوادهم المشهورين نخص منهم بالذكر اللورد روبرتس واللورد كتشنر اما اللورد روبرتس فاستلم القيادة العامة حينما رأى الانكليز ان خصمهم اقوى

مما قدّروا وانهُ لا بدّ لهم من ان يرموهُ باعظم رجالهم الذين اذخروهم لنوائب الدهر . ثم تبينوا ان جنديتهم تستدعي الاصلاح من مركزها فاعادوا اللورد ربرتس الى بلاد الانكليز ليتولّى ادارة الجنود العامّة وابقوا اللورد كتشنر في ساحة الوغى فذلّل الصعاب ومهّد العقاب ولقي الاعداء بعزم يفل الحديد الى ان فاز فوزًا مبينًا فضمّ الى بلادهِ بلادًا وافرة الغنى والى امتهِ امةً تهابها اسود الشرى

وكان عدد جنود البوير في بدء القتال نحو خمسين الفًا وعندهم من الميرة ما كفاهم هذا الزمن المديد . وبلادهم بعيدة الاطراف وعرة المسالك وهم وحدهم العارفون بمجاهلها ومكامنها وبقي منهم في ساحة القتال وقت التسليم نحو تسعة عشر الفًا . وكانهم حسبوا ان نوائب الدهر قد تقضي على الانكليز بمصالحتهم إما بثورة تحدث في ممالكهم حينما تنقل جنودهم منها او بمغاضبة الدول الاوربية لهم او بما بدا من طمعها ببلاد الصين . لكن خاب فالهم واتحدت انكلترا واليابان اتحادًا يضمن سلامة الشرق الاقصى وظلّت دول اوربا معها على الموالاة والمصافاة حتى اذا لم يبقَ في قوس الرجاء منزع رأى قوّاد البوير ان لا بدَّ لهم من القبول بشروط التسليم المعروضة عليهم فاجتمعوا في بريتوريا مع اللورد ملنر واللورد كتشنر في اوائل شهر مايو الماضي وظلوا في اخذ ورد الى ان اقتنعوا واقنعوا رجالهم بالقبول فامضيت الشروط على ما تقدّم وكان التسليم يجري على هذا النمط : يذهب قائد البوير مع قائد انكليزي اي حيث يكون جنود البوير ثم يسبقهُ اليهم ويكلمهم في الامر ويقنعهم ان التسليم صار اسلم لهم عاقبة وان كل ما فيهِ انما هو انتقالهم من حكومة الى اخرى ويكتب اسماء ضباطهم . فيسألونهُ عن كل ما يخطر لهم وهو يجيبهم الى ان يقتنعوا بصحة قولهِ ثم ينشدون نشيدًا دينيًا ويعظهم قسيسهم عظة دينية وحينئذٍ يصل القائد الانكليزي فيخطب فيهم خطبة وجيزة ترحيبًا بهم فيشكرونهُ ويمرُّون امامهُ وهم يطرحون ما معهم من البنادق والميرة وكثيرون منهم لا يملكون انفسهم عن البكاء حينما يلقون بنادقهم من ايديهم لكنهُ البكاء عند وداع إلف عزيز لا على فقد حق او حلول مكروه . ويكون القائد الانكليزي قد اعدَّ لهم الطعام فيسيرون اليهِ ويأكلون امَّا ضباطهم فيعطيهم اذنًا لتبقى اسلحتهم معهم . ويشرع رجال البوير حينئذٍ يسألون عن عيالهم وعمَّا اذا كان يجوز لهم الاجتماع بهم حالاً وتعطى كل عائلة خيمة ومؤُونة عشرة ايام

ويظهر مما يروى عن رؤَساء البوير ومما قرأْناهُ من خطبهم ومنشوراتهم ان غرضهم الاكبر الآن ان يميلوا بقلوب شعبهم الى مراضاة الانكليز ومصافاتهم حاسبين انهُ اذا تمَّ لهم ذلك فالانكليز لا يعاملونهم معاملة امَّة مغلوبة مقهورة بل معاملة امَّة انضمَّت اليهم وصارت منهم

لها ما لهم وعليها ما عليهم وهذا هو الفوز الاكبر فيستفيد البوير والانكليز معاً لان البلاد واسعة وخيراتها كثيرة تكفي اهلها ومن يهاجر اليها ومتى تساوى السكان في الحقوق المدنية يبقى السبق لذوي الهمم العالية

وقد انصف الانكليز البوير وتراهم يطنبون بيسالتهم كما خاطبوا فريقاً منهم في امر التسليم ويقولون لهُ ان الملك نفسهُ قد ارسل يحييكم ويثني على بسالتكم فتبرق اسرَّتهم ويدعون لهُ بالنصر وتكبر نفوسهم بعد صغرها ويستسهلون التسليم الى مَن يقدرهم قدرهم

ولما تمَّ التسليم بعث اللورد كتشنر الى قواد البوير الثلاثة بوثا ودلاري ودوت تلغرافاً يقول فيهِ : لقد تمَّ الآن تسليم الاسلحة في الترنسفال وكولونية نهر الاورنج ولذلك اردت ان اعلن على رؤوس الاشهاد ما رأيتهُ من الهمة والدراية في تسهيلكم عمل رجالي فبهمتكم ونصائحكم قبل رجالكم تغيير الحكومة عن طيب نفس وأؤكد لكم ان الولاء الذي اظهرهُ رجالكم قد سرَّ جلالة الملك سروراً عظيماً وحوَّل اليكم قلوب الامة الانكليزية التي ترحّب بكم كاخوان لها في الرعوية واثق اننا قد ابتدأنا الآن بعصر تعيش فيهِ كل الامم القاطنة جنوبي افريقية على تمام الوفاق والوئام

وغنيٌّ عن البيان ان هذه الحرب التي انفق عليها الانكليز اكثر من مئتي مليون جنيه عادت عليهم بربح سياسي يفوق المال الذي انفقوهُ اضعافاً مضاعفة فاثبتوا لممالك اوربا واسيا ان مستعمراتهم اعضاء حيَّة منهم متَّصلة اعصابها بالراس تتألم لالمهِ وتستريح براحتهِ وتعاونهُ بالمال والرجال وانهم يستطيعون ان يرموا خصمهم باكثر من مئتي الف من الجنود ولو كان في اقصى المعمور من غير ان تُقلق حامياتهم او تفرغ خزائنهم . ثم هم لم يغلبوا بلاداً ويتركوا اهلها خصوماً لهم يخشى شرُّهم ويُتوقَّع انتقاضهم دواماً بل اصطنعوهم بالمعروف بعد ان كسروا شوكتهم . وهم موطِّنون النية الآن على ان يمتعوهم بالحقوق المدنية التي يتمتع بها اخوانهم من اهالي المستعمرات الانكليزية فيكون شأنهم مثل شأن اهالي بلاد الراس ومثل اهالي استراليا وكندا

وقد كتبنا في اليوم الاخير من شهر مايو سنة ١٩٠٠ ما نصهُ "وستضمُّ تلك البلاد الى الممالك الانكليزية فاذا رضي اهاليها بما قُدِّر لهم وامتزجوا بالانكليز عن طيب نفس شاركوهم في كل الحقوق والامتيازات ولم يعد ابناؤهم يفرقون عن ابناء الانكليز كما لا يفرق بين ابناء الشعوب المختلفة المؤلفة منها الامة الانكليزية" (انظر المقتطف الصفحة ٥٥٦ الصادر في يونيو سنة ١٩٠٠) ولم يخطر ببالنا حينئذٍ ان هذا القول يحقق حكماً بعد سنتين كاملتين تمضى شروط الصلح في اليوم الاخير من شهر مايو سنة ١٩٠٢ والامور مرهونة باوقاتها

السيد عبد الرحمن الكواكبي



الرجال ثلاثة شريرٌ ضررهُ اكثر من نفعهِ فهو عضو فاسد في جسم العمران لا يؤسف على انفصالهِ منهُ . وخامل لا يرجى خيرهُ ولا يخشى ضيرهُ يحيا لنفسهِ حياة حيوانية او نباتية يصح ان يقال فيهِ ان عاش او مات على حدٍ سوى . وفاضل نفعهُ اكثر من ضررهِ او هو خير بلا شر ونفع بلا ضر وهذا الفريق ليس قليلاً ولكنهُ متفاوت الدرجات . والذين بلغوا من الفضل والكمال مبلغاً كبيراً حتى صاروا نفعاً محضاً لابناء نوعهم قليل عددهم لكنهم ملح الارض ويظهر لنا اننا فقدنا واحداً منهم في خلال هذا الشهر رجلاً سيماء الفضل في وجههِ ودلائل سعة العلم ونبالة الغاية في حديثهِ لم تتح لنا معاشرتهُ الاَّ برهة وجيزة لكن الفضل لا يخفى والقرائن لا تستتر وقد شقَّ علينا فقدهُ لاننا نعدُّ خسارة البلاد الشرقية بهِ عظيمة وطلبنا من احد مريديهِ ان يتحف المقتطف ببعض ما يعلمهُ من امرهِ عسى ان تنبه قراءتهُ بعض النفوس الزكية تتناول العمل

الذي تركهُ وتسج على منوالهِ فكتب الينا الفصل التالي وكأَنهُ نطق بلساننا في وصفهِ وزاد اموراً لا نعرفها من تاريخهِ قال

" قال احد اساطين العلماء المعاصرين وقد جرى في حضرتهِ ذكر النهضة الاسلامية الحاضرة : ارى في هذه الشجرة الجرداء بعض اوراق خضر وما ادري هل هي بقايا القوة القديمة او هي دلالة على حياة جديدة

هذا ما قالهُ العالم المشار اليهِ وسواء صحَّ حكمهُ على هذه الاوراق او لم يصحَّ ففقيد هذا الشهر السيد عبد الرحمن الكواكبي هو ولا شك احد تلك الاوراق بل تلك الاغصان الخضراء التي كان يرجى منها ان تمتد وتلتفَّ لولا ان صُوِّحت قبل اوانها

صاحب الترجمة كان كبيراً في عقلهِ كبيراً في همتهِ كبيراً في علمهِ ولد في حلب سنة ١٢٦٥ هـ من اسرة عريقة في العلم مشهورة بالسيادة من سلالة السيد ابرهيم الصفوي الذي هاجر من اردبيل قبل اربعمائة سنة وكان من اهل الامارة وزعماء الناس . ولما كان في السادسة من عمرهِ اخذتهُ عمتهُ من والدهِ الى بلدها انطاكية وكفلتهُ نحو ثماني سنين فاحسنت كفالتهُ وكانت من النابغات في الدهاء وحسن التربية والعقل فاخذ عنها الفقيد ما ظهرت عليهِ اماراتهُ بعدُ بابهى المظاهر ولما رجع الى حلب يافعاً سلَّمهُ والدهُ الى اساتذة عصرهِ فدرس علوم الادب والشريعة وبرَّز فيها على اقرانهِ واجازوهُ بما لقنهُ عنهم الاَّ انهُ لم يكتفِ بتلك العلوم وسمت بهِ الهمة الى مطالعة ما يتعلق بعلم الاجتماع من تاريخ وفلسفة ثم درس العلم الطبيعي والرياضي على اساتذة خاصة فنال من كل ذلك حظاً وافراً

ولم يكد يبلغ الثانية والعشرين من عمرهِ حتى اصبح فريد مصرهِ وما زال الزمن يحنكهُ وعشرة الرجال تنفعهُ حتى حرر جريدة " الفرات " واصدر في اثناء ذلك جريدة " الشهباء " أُقفلت بعد حين ثم وسدت اليهِ وظائف عديدة في خدمة الحكومة فقام باعبائها كلها قيام الرجل البصير الذي لا يرغب الاَّ في ادخال الاصلاح حيث حلَّ . ولهُ في ذلك آثار يعرفها ابناء وطنهِ كاصلاحاتهِ في المحكمة الشرعية والمجلس البلدي وغرفة التجارة والزراعة والصناعة وادارة حصر الدخان وغيرها من الوظائف الكثيرة الكبيرة

بيد انهُ كان من طبع الفقيد ان يقول الحق ولو على نفسهِ ومن كان هذا حالهُ يقاسي الامرَّين ولا يهدأ لهُ بال فكان ينصح بعضهم بالرجوع عن الجور والعسف فحنقوا عليهِ من جراء ذلك وتواطأ بعض العمال مع الاعيان عليهِ وساموهُ من ضروب التنكيل الواناً فصبر على ما اصابهُ مما يصيب في العادة المنوَّرين العقلاء في البلاد الشرقية

حتى اذا ضاق صدرهُ من النكبات خرج من بلدهِ فجاء مصر ثم ساح سياحتين عظيمتين الى بلاد العرب وشرق افريقية وبعض بلاد الهند اتى منهما بفوائد جليلة ليتهُ توفق الى تدوينها وقد نشر في مصر كتابين مبتكرين وهما "ام القرى" "وطبائع الاستبداد" وكلاهما يدلان على فضل الرجل وعقلهِ شخّص فيهما امراض الشرق تشخيص حكيم بصير بمزاج المريض واعراض اسقامهِ ووصف لهُ ما ارتآهُ من الادوية الناجعة فاجاد وافاد

امَّا صفات الفقيد فكانت من احسن ما ينبغي ان يكون عليهِ رجال النهضات فما عُرِف بنكر ولا توانى في امر بدأ فيهِ ولا تضجر ولا تملل. وكان رحب الصدر خلاَّباً للالباب اذا ضمّك واياهُ نادٍ لا تريد فراقهُ من بعد. فكان يخاطب الناس على قدر عقولهم فهو سياسي محنك مع الساسة وعمراني اجتماعي مع علماء العمران وعالم ديني مع علماء الدين وتاجر مع التجار وزارع مع الزراع وصانع مع الصنّاع وعامل مع العمال وكبير مع الكبراء بحيث كان الناظر اليهِ لاول وهلة يقرأ في جبهتهِ امارات العقل والخبرة الطويلة والعلم الوافر

وقد صادفنا الحظ فاجتمعنا بهِ مراراً رأيناهُ فيها من العظماء الذين لا يتيسر لبلادنا ان ينبغ امثالهم فيها كل حين وشهدنا منهُ رجلاً واسع المادة بعيد غور العقل يتكلم عن روية ولا ينطق عن هوى عليهِ سيماء الكآبة مما مُني بهِ. واكد لنا احد المتعلقين بهِ انهُ كان لا يجاريهِ مجارٍ في الوقوف على احوال الشرق واماراتهِ وحكامهِ قديمها وحديثها وكان اعرف العارفين بتاريخ العثمانيين وتراجم رجالهم المعاصرين والغابرين

ولما كان في حلب حاول اموراً كثيرة لم يجب طلبهُ فيها منها طلب امتياز بانشاء مرفإٍ في السويدية ميناء انطاكية وخط حديدي من السويدية الى حلب وجر مياه نهر الساجور قرب مدينة عينتاب الى حلب فتعمر بذلك اراضٍ كانت قاحلة جرداء وجر عين البليعة من ارمناز الى ادلب ليحيي القضاءان وكان احدهما غامراً بالمياه والآخر لا مياه فيهِ وانارة حلب وبيره جك ومرعش وادرنه بالكهربائية بواسطة قوة انحدار الماء في نهر العاصي قرب دركوش في محل اسمهُ المضيق في جسر الشغور. ونال امتياز معدن ارغني من اعمال ولاية حلب استخرج فلزهُ ثلاث سنوات ونحو ذلك من الآثار التي تدل على كبر همتهِ وعلو نفسهِ

وبالجملة فالفقيد يعدُّ من كبار رجال النهضة الحديثة في هذه الديار الاَّ ان المحيط لم يساعدهُ والاجل لم يمهلهُ حتى يتم مقاصدهُ السياسية والدينية على ان النغمة التي ضرب عليها قد اسمعت بعض الناس ولو لم يهبط مصر لكان دفن مع من دفن في تلك البلاد ولم يعرف عقلهُ ولا فضلهُ رحمهُ الله رحمة واسعة. وعزى فيهِ الفضيلة والعمل"

نشأة اوربا المدنية

الركن الرابع . افتتاح القسطنطينية

ان مدير الاكوان الذي بيدهِ النصر يؤتيهِ من يشاء وهو على كل شيء قدير قيَّض فتح القسطنطينية للسلطان محمد الفاتح سنة ١٤٥٣ . وهذه الحادثة هي النقطة التاريخية الكبرى الفارقة بين التاريخ المتوسط وبين التاريخ الحديث . وفي تلك النقطة بلغ الاسلام اوج مجدهِ ونال الارب من عرش الروم فقلبهُ ولكن بعد ان تهدَّد هرقل باكثر من تسعمئة سنة كما نالت النصرانية اربها سابقاً من العرش الروماني فقلبتهُ بلا حَرب ولا قتال . على ان هذا الفوز تأخر عن وقتهِ ولم يعد في الامكان ان يحسب مقدَّمة لغزو اوربَّا كما يظهر من تواريخ القرون الثلاثة التي تلت افتتاح القسطنطينية . وعوضاً عن ان يلاشي الاسلامُ الديانة المسيحية من اوربَّا كما لاشاها من افريقية او يضعفها الى حد الموت كما في اسيا فقد خدمها خدمةً جليلة حتى كان افتتاح القسطنطينية من اعظم الفوائد لاوربَّا والنصرانية

فقد كان لذلك الفتح دوي هائل في عواصم اوربَّا طنَّت بهِ اسماع الامراء والملوك فاستنهض همتهم وجمع اشتات قوتهم لصد من حسبتهُ اوربَّا العدو الالد لها

وخدم ذلك الفتح اوربَّا من وجه آخر اذ امدَّها بصفوف المتأدّبين ارباب البحث والطلب الذين شق عليهم ان يبقوا في بلادهم بعد خضوعها للغريب عنهم جنساً ومذهباً فضربوا في الديار الغربيَّة حاملين معهم الاسفار والرقوق المحبوبة مباحث ذلك العصر وآثار العصور الخوالي وانبثُّوا في اقطار اوربا وبثوا فيها تلك الافكار انبثاث الاشعة النورانيَّة في الواح الزجاج فتشعشعت منها انوار المحبة والبهاء . وبذلك امتاز فتح القسطنطينيَّة عن الحملات الصليبيَّة لان تلك حملت لاوربا بعض الافكار ولكن هذا حمل اليها رجال الافكار انفسهم . وكان تقاطر تلك الجماهير الى قلب اوربا محرّكاً لاحساسات الاخاء وساتراً آثار الاحقاد والضغائن بين اللاتين واليونان . فزاد ذلك الحركة العقليَّة قوَّة وانتشاراً . وصارت اوربا غنية باركان النشأة وادركت ما كانت تحلم بهِ اخواتها من قارَّات الدنيا في غابر الازمان

الركن الخامس . اختراع الطباعة

الطباعة يد المدنية والمعارف بها تنتشر العلوم والفنون بسرعة وسهولة لا يمكننا بدونها . فكل بلاد خلت من المطابع والمطبوعات يتعذَّر عليها السير الحثيث في مضمار الادب . ويتضح ذلك من النظر في سياحة المعارف قبل استنباط آلة الطبع وبعدهُ . فكم كان يعسر على

الباحثين تحصيل العلوم قبل وجود المطابع اذ كانوا يلتزمون ان يجوبوا الآفاق للاطلاع على مستودعات الافكار المذخورة في المكاتب الشهيرة كمكتبة الاسكندرية ومكتبة الفاتيكان وغيرها . كان الباحثون يقصدونها من اقاصي اوربا كما يقصد الاثريون في ايامنا خرائب بابل وطيبة وطروادة من اوربا واميركا ليفتشوا عن حجرٍ مكتوب او عمود منقوش او قطعة قرميد رسمت عليها رسوم تضيف الى التاريخ القديم بعض الحقائق المجهولة

وكم كانت النساخة صعبة وما أكثر النفقات التي تستلزمها. فان مؤلفات رجل واحد شهير قد تستغرق حياةً كاملة للحصول على نسخة كاملة منها فكم يلزم من التعب والوقت والنفقات والاعتناء للحصول على نسخ عديدة من مؤلفات كثيرين وهذا آل الى انحصار المعارف في قليلين من اصحاب المواهب وعجز الكثيرون عن ادراكها

وسنة ١٤٣٨ توفَّق يوحنَّا غوتنبرغ الى اختراع آلة الطبع فظهرت لاهل ذلك العصر من اغرب الغرائب حتى نسبوها لاعمال الجان لما رأوهُ في النسخ العديدة من الاتفاق في عدد الصفحات والسطور وترتيبها والوان حبرها فامسكوا حاملها ولم يتركوهُ حتى اطلعهم على سرها وبيَّن لهم انهُ لا مدخل للجان والشياطين فيها

وكان اوَّل المطبوعات نسخة من الانجيل طبعت في مدينة ليبسك من اعمال المانيا فبادر الناس الى مطالعتها ولم يمضِ وقت طويل حتى ملأَت المطبوعات الاقطار الادبية وانتشرت بواسطتها الافكار الشريفة بأكثر سرعة وسهولة . وازدانت البلدان الاوربية بما لا يحصى من انواع الكتب والجرائد المفيدة التي يحمل منها يومياً من مملكة الى مملكة قناطير مقنطرة واستطاع الانسان ان يشارك العالم الواسع بافكاره وهو جالس في بيتهِ ويسيح في كل الاقطار وفي كل عصور التاريخ ويقف على كل المبادئ والآراء التي في العالم

ووفت الطباعة بما يحتاج اليهِ العالم لاجل النشأة الجديدة لان الافكار الشريفة لا يحتاج الاَّ الانتشار لكي تسود فالطباعة سيف المدنية الصقيل الذي بهِ بترت وتين الجهالات وقيود الخشونة التي كبَّلت ايدي العمران عن ان يأتي بما فيهِ سعادة النوع الانساني . فانحلَّت الوثق التي كانت تربط ايدي مشاهير العاملين في الدنيا وتمكَّنوا من الخدم الجليلة التي كان المجتمع البشري في شديد الافتقار اليها . وكانت امريكا محجوبةً يومئذٍ بحجب الخفاء عن اعين العالم المتمدّن وآسيا ترسف في قيود الاستبداد وافريقية مكتنفة بغياهب الظلمات والمظالم التي تحول بينها وبين الحياة الادبيَّة فانحصر تأثير المطابع في اوربا وفي القسم الغربي منها على الخصوص الذي هو مهد النشأة الحديثة

الركن السادس . الاكتشافات البحرية

دخلت بحرية اوربا وقت الحروب الصليبية في طور جديد لم يعهدهُ العالم من قبل . فان مراكب الفينيقيين القدماء والسفن الرومانية التي كانت سيدة البحار قلَّما جاوزت شطوط البحر المتوسط وشرقي الاتلانتيك وطرف البحر الاحمر . امَّا في القرن الرابع عشر فسارت سفن اوربا من اقاصي الشمال واخذت تشق عباب الاوقيانوس الهندي والباسفيك حتى بلغت الاقاصي المجهولة وكانت الاولية في هذا المضمار للبرتوغاليين والهولنديين وتلاهم الاسبان والفرنسيس فالانكليز فالطليان . وكانت بداءة الحركات البحرية التجوال حول الشطوط الافريقية فاكتشفوا راس الرجاء الصالح ومنهُ انتهج الطريق البحري الى هندستان فصارت سفن اوربا تسير الى الاقسام الشرقية من قارَّة اسيا دائرة حول افريقية

وبعد ذلك عنَّ لكولمبوس الايطالي ان يقصد الهند من طريق بحريّ جديد من غير ان يدور حول افريقية وايقن انهُ اذا سار غربًا يصل الهند . ولمَّا عرض رأيهُ على غيرهِ صادف ما يصادفهُ كل مكتشف من الصعوبات والموانع حتى اتاح لهُ الحظ التوصُّل الى ملكة اسبانيا فمدَّت اليهِ يد المساعدة وسار قاصدًا بلاد الهند فساقتهُ يد العناية الى جزائر الانتيل وكان ذلك في سنة ١٤٩٢ فسميت جزائر الهند حسبان انها من هندستان . ثم لما تبين انها ليست كذلك سميت جزائر الهند الغربية تمييزًا لها عن هندستان التي تدعى الهند الشرقية . واخذت المراكب تتقاطر من اوربا الى تلك الاقطار وذلك بعد رجوع كولمبوس واذاعتهِ اخبار الاكتشاف . وتوالت الاكتشافات حتى كشفت اميركا الشمالية واميركا الجنوبية وجزائرها . وكان ذلك من انفع العوامل في احداث النهضة الاوربية كما يتضح ممَّا يأتي

ولما قبضت اوربا على ازمة امريكا ساقت اليها مراكبها مشحونة بالرجال والجنود لامتلاك الكنوز واحراز المعادن الذهبية والفضية المذخورة فيها . فدخلوا براريها الواسعة ورقوا جبالها العالية ومخروا في انهارها العظيمة وجنوا اثمارها وغلالها واستخرجوا معادنها الثمينة . وتقاطرت الاقوام الاوربية اليها جماعات للاستعمار والمتاجرة والتمتع بحرّية الافكار

ومن المحقق ان اكتشاف امركا آل الى زيادة الرغبة في الاسفار البحرية فاكتشف كثير من الجزائر وكشفت بقيَّة اقسام اسيا اعني الصين واليابان وكوريا واوستراليا وغينيا الجديدة وجزائر الباسفيك . فكمل رسم خريطة الارض واتسعت دائرة التجارة وزادت حركة الصناعة وكثرت المعدات البحرية بفنونها من حربية وهندسية وميكانيكيَّة لاجل حماية المتاجر والمستعمرات فتمكنت اوربا من احراز الثروة الطائلة والشهرة الذائعة وبسطت حمايتها على اكثر اقسام المعمور

واذا شئت ان تعرف نسبة الامم الاوربية الى النشأة الجديدة فيمكنك ان تجعل نسبة بين بحريتها ومقامها لان البحرية هي سر الرفعة في هذه الاعصر كما قال امبراطور المانيا الحالي "ان مستقبل الامبراطورية الالمانية يتوقف على بحريتها". وقد سبقهُ الى ادراك هذه الحقيقة الدولية بطرس الاكبر قيصر الروس من مدة مئتي سنة. فمضى من بلادهِ الى هولندا وانكلترا حيث اتقن صناعة بناء السفن وارسل بعثة من شبان بلادهِ لنقل ذلك السر الذي يتوقف عليهِ اساس الفوز العظيم في سيادة الامة. ولو كانت لروسيا قوة بريطانيا البحرية لما سبقتها هذه الى نشر رايتها فوق اربعمئة مليون في اقسام مختلفة في الكرة الارضية

وخلاصة الكلام ان اكتشاف اميركا حرَّك اوربا وفتح لها بابًا واسعًا للعمل في اقليم حسن التربة صالح لمغروسات الفكر يثمر اثمارًا وافرة للعاملين فيهِ وذلك رفع اوربا رفعة لم تكن تحلم بها الامم التي عاشت في الاعصر السالفة

الركن السابع. الاصلاح الديني

ان الاختلاف في هذا الموضوع كاهميتهِ في التاريخ البشري. فانك بينما ترى البعض يحسبونهُ اعظم بركات العالم الادبي واقوى العوامل في احداث النشأة الاوربية الحديثة ترى غيرهم يعدهُ من المنات الهينات التي لا علاقة لها بحوادث العمران المعاصرة والتالية. على ان منشأ الاختلاف المذكور انما هو التعصب المذهبي وليس ذلك من اغراضنا هنا ولا ريب في ان الجانب الاكبر من الكتّاب والمحققين من الراي الاول

على ان النظر الفلسفي في ماجريات الامور لا يمنعنا من انتقاد الاصلاح الديني ووزنهِ بميزان العقل لاكتشاف نتائجهِ الادبية في ساحة العمران. وقد يقال ان الاصلاح المذكور انشأ مذهب البروتستانت فقط وليس الامر كذلك لان حركتهُ لم تكن دينية محضة بل كانت نتيجة عوامل عديدة سياسية وادبية ودينية. ولو كانت مجرَّد انتباه ديني للزم ان تتأخر نتائجهُ وتقتصر على التأثير في الافراد سنة فسنة. ولكننا نراها قلبت الممالك والامم صفقة واحدة وليس ذلك من التأثيرات الدينية المحضة

على اني بقولي هذا لا انكر ما لتلك الحادثة من الصفة الدينية الجليلة ولولا هذه الصفة ما نهض البلاط الفاتيكاني لمعارضتها وألف الاحزاب والجمعيات والكتب واقام الواعظين والمجادلين لمعارضتها ومناصبتها في كل الاقاليم

فالحادثة اذًا مركَّبة ونتائجها كذلك. واذا نظرنا اليها من الجهة الدينية لا نرى انها علة لتلك النهضة بل ثمرة لها ونسبتها الى النهضة الدينية كنسبة اكتشاف اميركا الى الاسفار

البحرية . فان اكتشاف اميركا لم يكن علَّة الاسفار البحرية بل نتيجتها ولكنهُ مع ذلك فتح لتلك الاسفار مجالاً جديداً حتى انها لم تكن قبلهُ تحسب ذات اهمية بالنسبة الى ما صارت اليهِ

وعليَّ الآن ان ابين علاقة ذلك الحادث العظيم الذي هو الاصلاح الديني بالنشأة الاوربية فاقول

ان الحياة الادبية مقرونة بالتحقيق على الدوام فهي تستلزم البحث والتنقيب وتطلب حرية الفكر والضمير . واذا كنا نحسب حرية الفكر البشري من ذرائع التقدم المدني فيحق لنا اعتبار الاصلاح اعتباراً فائقاً من هذا القبيل لانهُ اذا لم يكن قد خدم اوربا بشيء على الاطلاق فقد قام بهذه الخدمة على الاقل وهي تحرير العقل البشري . وهذا كل ما يحتاج اليهِ العقل للاتيان بغرائب اعمالهِ

ولقد كان من رأي العلامة الفيلسوف كيزو الفرنسوي الشهير ان الاصلاح بمثابة ثورة العقل البشري ضد العبوديَّة الفكريَّة وان الاصلاح البروتستانتي كان مظهراً من مظاهر تلك الثورة . ويتضح ذلك من ان مبدأ الاصلاح الديني يحتوي جوهريًّا على هذه القاعدة الاساسية وهي انهُ يحق لكل انسان ان يحكم في صحة ما يعتقدهُ

فمبدأ حرية الفكر هذا الذي ناضل عنهُ الاصلاح هو مبدأُ الانسانية والاجتماع البشري والحياة المدنية

ويظهر تأثير الاصلاح الديني في العمران من وجهين

الاوَّل . من المقابلة بين احوال اوربا قبل الاصلاح وبعدهُ فانك تجد الفرق العظيم بين الحالين في الادبيَّات والماديَّات على انواعها

والثاني . من المقابلة بين الممالك التي قبلت الاصلاح والممالك التي رفضتهُ فانك تجد الفرق العظيم بين النمسا والمانيا وبين اسبانيا وبريطانيا وبين الولايات المتحدة واية جمهورية كانت في اميركا

فحرية الفكر البشري التي يفتخر بها التاريخ الحديث هي اولى ثمرات الاصلاح

وترقية الحياة الادبية والاجتماعية هي ثانية تلك الثمرات

وانتباه الامم جمعاء للاصلاح الديني هو ثالث تلك الثمرات

والقيام لنشر المبادىء الادبية في دائرة واسعة يصح ان يحسب في عداد تلك الثمرات ايضاً

وكثرة التآليف والجمعيات والمدارس والجرائد من الامور التي تقدمت في عصر الاصلاح

خلاصة ما تقدم

الركن الاول . المدارس . امدَّ اوربا برجال الحياة العقلية تخدموها بالتآليف والاكتشافات

الركن الثاني . الفروسية . امدها برجال الشهامة وروح الاستقلال الشخصي تخدموها بانفسهم

الركن الثالث الحروب الصليبية . نقلت الى اوربا مفاخر الشرق وصدت عنها ويلاته

الركن الرابع . فتح القسطنطينية . جمع احساسات الاوربيين وزاد عدد الافاضل المهاجرين اليها تخدمها بترقية العلوم

الركن الخامس . الطباعة اوقدت سراج الآداب في اوربا وسهلت انتشار المعارف فيها . تخدمتها بنمو المعارف

الركن السادس . الاكتشافات البحرية . زادت حركة الصناعة والتجارة . ومنحت حرية الافكار ملجأ . تخدمتها بالمال والعلم

الركن السابع . الاصلاح الديني . امدّ اوربا برجال الافكار الحرة والنظامات الجديدة وايقظ روح البحث والاصلاح في كل مكان وهذه الاركان السبعة متناسبة كما يأتي

الاركان الثلاثة الاولى متصلة بعضها ببعض لان المدارس ايقظت روح الادراك في الناس والفروسية روح الشهامة وقد اجتمع الاثنان في الحملات الصليبية

والاركان الثلاثة الاخيرة متصلة ايضاً لان الاصلاح منح اوربا حرية الفكر والطباعة ساعدت في سرعة نشر هذه الحرية وامركا كانت ملجأ المهاجرين بسببها

اما فتح القسطنطينية فقد كان الحلقة المتوسطة بين هذه وبين تلك وهو الفارق بين التاريخ المتوسط والحديث وبهِ دخلت اوربا في طور جديد واستعد العالم لمستقبل عظيم

(خادم للانسانية)

نظام الملك والمدرسة النظامية

يرى الناظر في ماضي الشرق العربي ان قد قام فيهِ رجال عظام اتوا بجلائل الاعمال وامتازوا بشرائف الخصال فاشار التاريخ الى بعضهم واغفل ذكر الآخرين . وممن استحق ان يذكر بالمحمدة على المدى نظام الملك احد وزراء الدولة السلجوقية التركية المتوفَّى سنة ٤٨٥ هـ (١٠٩٢ مسيحية) وهو من افراد رجال الشرق يندر ان ينتج لدولة مثلهُ في قرن او قرنين . ويؤْخذ مما قالهُ العماد الكاتب الاصفهاني في تاريخ دولة آل سلجوق ان علامة نظام الملك كانت " الحمد لله على نعمهِ " وانهُ كان مؤيدًا موفقًا والدهماء ساكنة في ايامهِ واهل الدين والعلم والفضائل راتعون في انعامهِ . قال وفي ايامهِ نشأ للناس اولاد نجباء وتوفر على تهذيب الابناء

الآباء ليحضروهم في مجلسهِ ويحظوا بتقريبهِ فانهُ كان يرشح كل احد لمنصب يصلح لهُ بمقدار ما يرى فيهِ من الرشد والفضل ومن وجد في بلدة قد تميز وتبحر في العلم بنى لهُ مدرسة ووقف عليها وقفاً وجعل فيها دار كتب

وظهر من تدبيرهِ في سياسة الممالك ما قالهُ سليمان بن عبد الملك عجبت لهؤلاء الاعاجم ملكوا الف سنة فلم يحتاجوا الينا ساعة وملكنا مائة سنة لم نستغنِ عنهم ساعة . قال العماد وفي عصرهِ نشأ طبقات الكتّاب الجياد وفرعوا المناصب وولوا المراتب ولم يزل بابهُ مجمع الفضلاء وملجأ العلماء وكان ناقداً بصيراً ينقب عن احوال كل منهم ويسأل عن تصرفاتهِ وخبرتهِ ومعرفتهِ فمن تفرس فيهِ صلاحية الولاية ولاهُ ومن رأى الانتفاع بعلمهِ اغناهُ ورتب لهُ ما يكفيهِ من جدواهُ حتى ينقطع الى افادة العلم ونشرهِ وربما سيرهُ الى اقليم خالٍ من العلم ليحلي بهِ عاطلهُ ويحيي بهِ حقهُ ويميت باطلهُ

تولى الوزارة والملك قد اختلّ نظامهُ والدين قد تبدلت احكامهُ في اواخر دولة الديلم واوائل دولة الترك وقد خربت الممالك بين إقبال هذه وإدبار تلك. واقفرت البلاد واقوت واستولت الايدي العادية عليها فاعاد الملك الى النظام والدين الى القوام وعمّر الولايات والى العمارات. وكانت العادة جارية بجباية الاموال من البلاد وصرفها الى الاجناد ولم يكن لاحد من قبل إقطاع فرأى نظام الملك ان الاموال لا تحصل من البلاد لاختلالها ففرّقها على الاجناد إقطاعاً فتوفرت دواعيهم على عمارتها وعادت في اقصر مدة الى احسن حالة . وكان للسلطان نساء يدلون بنسبهِ ويدلون بسببهِ ويستطيلون بانهم ذوو قرابتهِ فقصر ايديهم وساس جمهورهم بتدبيرهِ وربما قرر لواحد من الجند الف دينار في السنة فوجه نصفهُ على بلدٍ من الروم ونصفهُ على وجهٍ في اقصى خراسان وصاحب القرار راضٍ وتوقيعهُ مأمون التعويق فقسم الملك الذي حازهُ السيف بقلمهِ احسن تقسيم. وكان ينظر في الاوقاف والمصالح ويرتب عليها الامناء ويشدد في امرها ويخوّف من وزرها ويرغب في اجرها ويكلها الى الأمنة ولا يدعها مأكلة للخونة

ووظف على ملوك الاطراف وعلى اقاليم الممالك والامصار حمولاً لخزانة السلطان يحملونها وخدماً عن عصمة ولايتهم يوصلونها وقرر موالاة الخدمات للحضرة والوصول بالعساكر الجمة حتى ملأ الخزائن بالذخائر والملأ بالعساكر . ونشأ لهُ اولاد كبروا في دولتهِ فاعلى رتبهم . ثم انهُ لمَّا وفر الاموال على الخزانة والعسكر وجعل فيها لارباب العلوم واصحاب الحقوق حقوقاً ورسوماً وصيّر احسان السلطان بين اهل العلم ميراثاً يأخذونهُ بقدر الفرائض ويأمنون بهِ من النوائب والعوارض فلا جرم تذللت لهُ المصاعب وتيسرت لهُ المطالب

هذا هو الرجل الشرقي العظيم وامثالهُ قلائل في كل دولة وملة . ومن الاسف ان اهل المشرق نسوهُ مع مَن نسوا من عظائهم

***

اختلفت الروايات في اول مدرسةعُرفت في الاسلام فردَّ قوم تاريخها الى زمن الامويين وانكر فريق ذلك وقال انها لم تُعهد الاَّ بعدهم بزمن طويل . وما اظن ما قالهُ كثيرون مثل اغست لوبون في كتابهِ حضارة العرب من ان العرب لما دخلوا دمشق كثرت المدارس في كل مكان فارتقى العرب من التلمذة الى المشيخة وزهت العلوم كل الزهو ما اظن ذلك الاَّ قولاً مبالغًا فيهِ وكلامًا أُلقي على عواهنهِ لان العرب كانوا في القرن الاول ونصف الثاني بصدد الفتح ولم تكن الحضارة الرومية والفارسية انتقلت اليهم وتسلسلت فيهم او صفا جو سياستهم ليتفرغوا للعلم واعمال العمران

فالمدارس في الاسلام لم تعهد اذًا الاَّ في القرن الثالث كما يستفاد من قول المؤرخين الثقات . قال وستنفيلد الالماني في كتابهِ تاريخ آداب اللغة العربية انهُ كان في كل الجوامع مدارس ابتدائية في الصدر الاول تعلم مبادىء القراءة والكتابة والقرآن والنحو ثم شيَّد الخلفاء مدارس في بغداد والبصرة وبخارى ودمشق وسمرقند حتى صير بعضهم المدارس مجامع علماء. وقال بروكلن الالماني في كتابهِ تاريخ آداب اللغة العربية ان كسرى انوشروان أسس في جنديسابور سنة ٢٥٠ م مدرسة للحكمة والطب بقيت الى اوائل زمن العباسيين وان المأمون أسس بيت الحكمة في بغداد لتعليم علم اليونان

ويظهر من هذا ان مدرسة الازهر أُسست بعد ما اسسهُ المأمون اي في وائل القرن الرابع كما ان الحاكم بامر الله اسس دار العلوم في مصر وان المدارس الخاصة بتعليم الطبيعة والطب كانت غير المدارس المعدَّة لتعليم العلوم اللسانية والدينية

كان نظام الملك اول مؤسس للمدارس على النحو المعروف لتعليم العلم خاصة وهو الذي قرر المعاليم للطلبة والمشاهرات للاساتذة ولهُ من الآثار الكثيرة في العراق وخراسان ما حسن ذكرهُ وأثرهُ . والمدرسة النظامية التي أسسها في بغداد واسطة عقد حسناتهِ ودرة تاج نخارهِ أسسها كلية عظيمة تقرأُ فيها علوم الدين والدنيا ووسَّد امر تدريسها الى اعاظم العلماء في عصرهِ مثل ابي القاسم الدبوسي وابي عبدالله الطبري وابي محمد الشيرازي وابي حامد الغزالي وضياء الدين السهروردي وابي القاسم القشيري وابي منصور الوزان وابي اسحق الشيرازي ومئات غيرهم ممن خدموا الاسلام بعلمهم وعملهم

والظاهر ان عمر المدرسة النظامية لم يطل كثيرًا شأن الاخيار في الاعمار فقد طرأ عليها الحريق مرات الاَّ انها أُعيدت الى حالتها السابقة . سألت الاستاذ الفاضل الزهاوي من علماء بغداد عما آل اليهِ امر هذه المدرسة اليوم فكتب اليَّ يقول : كانت النظامية واقعة في وسط الجانب الشرقي من دجلة وهي اليوم معدومة لم يبقَ منها عين ولا أثر الاَّ قاعدة المنارة وهي مطبخ لبيت احد اليهود واما ارضها فقسم كبير من محلات اليهود يحتوي على شوارع وبيوت كثيرة لهم . وكان اول خرابها منذ نحو اربعمائة سنة وعدد غرفها التي كانت مُعدَّة للطلاب والمعلمين لكل قسم من اقسام العلوم ثلثمائة وخمس وستون غرفة بعدد ايام السنة هذا عدا قاعات التدريس ومحافل المطارحات العلمية ومحلات الطبخ واماكن الراحة ومنتزهها الواسع البديع ومصلاَّها الكبير وهي شقيقة المدرسة المستنصرية في بغداد التي حولت منذ عهد غير بعيد الى جمرك والمنسوبة للمستنصر بالله وهي في الرصافة على ضفة دجلة ولم تزل الى يومنا هذا رفيعة البنيان مشيدة الاركان

هذا ما لقفتهُ من احوال النظامية اعظم كليات المسلمين وعسى ان يوفق بعض كتابنا للوقوف على تفصيل اوفى بالغرض مثل نظام الدروس فيها واحوالها وغير ذلك . وربما يعجب المتأمل مما جرى للعاديات والآثار في الشرق وكيف انها لم تقوَ على صروف الدهر في حين ان الغرب على همجية ابنائهِ في القرون الوسطى لم يبرح محتفظًا بجميع آثارهِ وهذه بولونيا فان فيها اقدم كلية باوربا قائمة على امتن الدعائم . ولا علة لذلك فيما احسب الاَّ ان معظم حكام الشرق جبلة لا يريدون ان يشاهدوا آثار اسلافهم ويشق عليهم الاَّ ان يستأثروا دونهم بالصيت البعيد فكلما ولي احدهم لا يأتي من العمل اكثر من طمس اسم سلفهِ ليحل محلهُ اسمهُ ولو قدر الملوك السالفون ان يهدموا الاهرام وغيرها من الآثار الباقية على الادهار لما قصروا ساعة وعلى العكس في الغرب فان المتأخر يصلح ما بدأ بهِ المتقدم وهكذا حتى يستقيم الحال فسبحان من كتب على الشرق ان يُمنى بآثارهِ ورجالهِ وعلى الغرب ان يحيا بهما

***

وبعد تسطير ما تقدم ورد اليَّ ما تفضل وكتبهُ الاستاذ الفاضل المحقق محمود شكري افندي الآلوسي البغدادي قال فيهِ :

النظامية اقدم مدرسة في مدينة دار السلام واول بيت وضع للعلم في بلاد الاسلام كانت في جانب الرصافة وهو الجانب الشرقي من بغداد بناها ابو علي الحسن بن علي بن اسحق ابن عباس الملقب بنظام الملك قوام الدين الطوسي وكان ابتداء تأسيسها على ما ذكرهُ ابو

الحسن محمد بن هلال الصافي في تاريخهِ في ذي الحجة سنة سبع وخمسين واربعمائة والانتهاء من عمارتها سنة تسع وخمسين واربعمائة وفتحت يوم السبت عاشر ذي القعدة من تلك السنة .
كان هذا الوزير من ابناء الفلاحين واشتغل بالحديث والفقه وسائر العلوم ثم اتصل بخدمة علي بن شاذان المعتمد عليهِ في مدينة بلخ وكان يكتب لهُ فكان يصادرهُ في كل سنة فهرب منهُ وقصد داود بن ميكائيل السلجوقي والد السلطان الب ارسلان ملك ما وراء النهر وخراسان وكثير من الانحاء فظهر لهُ منهُ النصح والمحبة فسلمهُ الى ولدهِ الب ارسلان وقال لهُ اتخذهُ والداً ولا تخالفهُ في ما يشير بهِ فلما ملك الب ارسلان وازدحم اولادهُ على الملك وطد المملكة لولدهِ ملك شاه فصار الامر كلهُ لنظام الملك وليس للسلطان الا التخت والصيد واقام على ذلك عشرين سنة . بنى المجالس والربط والمساجد وبنى المدرسة النظامية في نيسابور والمدرسة النظامية في هراة وهو اول مرة انشأ المدارس فاقتدى بهِ الناس والمدرسة النظامية التي انشأها في بغداد من اعظم آثارهِ ومبراتهِ

كانت النظامية في بغداد منقطعة القرين كأنها روضة من رياض الجنة قصدها افاضل اهل العصر وفقهاؤهم والمجتهدون منهم والمقلدون والادباء وسائر اهل العلم والفضل على اختلاف طبقاتهم ومشاربهم حتى كان من يدخلها يسمع دوياً كدويّ النحل ويرى عدداً وافراً من الطلاب وقد خصَّ كلٌّ منهم من ذوي الحاجات ومن تردد اليها لاقامة دروس العلم على اختلاف فنونهِ وظائف وجرايات تكفيهم امر طعامهم ولباسهم وضروريات معاشهم

ثم افاض الاستاذ المشار اليهِ في وصف المدرسة وتعداد بعض من درسوا فيها مع تراجمهم وما قيل في رثاء المدرسة مما تضيق عنهُ هذه العجالة وتخرجنا عن الموضوع قال في وصفها انها كانت مستطيلة البناء واسعة الفناء فيها محل معد للدروس ومصلًّى فسيح وحجر كثيرة للطلاب ومواضع تخص رؤساء العلم والمدرسين واخرى لادخار الذخائر . كانت ذات طبقتين من البناء مرفوعة الجدران عقدت في اطرافها اروقة وطاقات مستديرة الشكل تنتهي الى ذلك البنيان المشيد وقد فرشت ساحتها بالمرمر الذي كان اشدَّ ملاسة من راحة الفتاة وصفحة المرآة وقد قطع ذلك الحجر على الشكل المربع لزيادة إحكام بعضهِ ببعض وكانت فيها خزانة كتب اشتملت على تصانيف الائمة الماضين وعلوم الاولين والآخرين جمعت من الآفاق بطائل الاموال واذن لاهل العلم في ان يتناوبوها متى شاؤوا

ولا يظن من سمع بما كانت عليهِ بغداد ايام الدولة العباسية ان وصفاً من اوصافها او اثراً من آثارها قد بقي الى هذه الايام بل لم يبقَ منها الا بعض الاسماء والاعلام

درست الاَّ بقايا اسطر سمح الدهر بها ثم محاها

وكذلك النظامية لم ندرك نحن ولا آباؤُنا حجرًا من احجارها ومن رأى محلها اليوم اخذتهُ الحيرة وذهب بهِ العجب كل مذهب . . . . انتهى محمد كردعلي

[المقتطف] اطلعنا على الرثاء الذي اشار اليهِ حضرة الكاتب وهو لاحد ادباء بغداد وفضلائها ومما قالهُ فيهِ

قوَّضَ الدهر بالخراب عمادي ورمتني يداهُ بالانكادِ
كم انادي وليس لي من مجيبٍ واخراباهُ جهرةً كم انادي
طالما رفرفت من العلم رايا ت تخار مني على بغدادِ
طالما طاولت ذرى القمم الشمّ م حصوني بفضلها المستجادِ
كنت في العلم روضة باكرت از هارها الغر بالعهاد الغوادي
كم رنت بي مناظر العلم حتى كنتُ منها بها مكان السوادِ
والغزاليّ سائلٌ وابا اسحقَ م عمّا حويتُ من ارشادِ
قد رمتني صواعق الدهر فاهتدّ م بنائي وصرتُ بعض الوهادِ

والمرثاة طويلة مفجعة ولكن ما نفع الرثاء وماجدوى البكاء وليس في الزوراء رجال تنهض بهم هممهم الى مناصبة الافساد ومجاذبة الاصلاح

توما ريت واسعاد المجرمين

سبقت منا الاشارة في مقالة (اصلاح السجون) الى عزمنا على الحاقها بتتمتها (اسعاد المجرمين) . وقد انصرف الهمّ مذ ذلك الحين الى مسائل اخرى لم تكن في البال حتى وقع الينا لايامٍ قليلة كلامٌ من احد الالباء الاكارم في حديثٍ عن منافع التاريخ قال فيهِ "ان اشدّ ما أرى بلادنا في حاجةٍ اليهِ اليوم من ابواب التاريخ هو تراجم مشاهير الارض الذين قاموا في مختلف البلدان فرفعوا منار الانسانية في كشف حقيقةٍ او اصلاح حال " فانهض هذا القول همتنا ونبهنا الى انجاز ما وعدنا بهِ في تلك المقالة آسفين على الامهال وقلنا هو خيرٌ على كل حال من الاهمال — :

مهما يكن من امر النجاح في اصلاح حال سكان السجون وهم وراء تلك الاسوار فلا يزالون في حاجةٍ الى ذرائع توصلهم بما انقطع من ثقة الناس بهم بعد قضاء ايام العقاب .

ثم ينطلق السجين وينطلق معهُ الامل محتدماً في النشاط متشوقاً الى العمل ولكنهُ متى شاهد الوجوه منقبضة منهُ معرضة عنهُ والبوليس واقف له بالمرصاد يحذّر القوم من امرهِ وينذرهم بشرّهِ فأحرِ بتلك الحال ان تعيدهُ الى مواقف اليأس

كان في مقدمة الذين نبهتهم الاقدار الى هذا البؤس الشديد ووطنوا النفس على دفعهِ وتلافيهِ توما رَيت رجل قام في اوائل القرن المنصرم من صنّاع مانشستر المساكين واندفع في ذلك المسعى الجليل اندفاعاً يعزُّ فيهِ المثيل كما سترى

لم يكن هذا الرجل من ذوي الخطط والمراتب ولا من اهل الوجاهة في هيئة الاجتماع او من ارباب الثروة فتبلغهُ المرام انما كانت سعتهُ في قلبٍ يسع بلايا السجين المسكين وصدرٍ رحب بكل ذليلٍ . وما نشأ من عشاق الصحف والاسفار ولا أَلِفَ معاهد العلم او وقف في مشاهد العرفان مما يدلك على ان مجرّد حشو الدماغ بقضايا معدودة من العلوم لا تكفل للدارس ترقي نفسهِ مراقي الكمالات الانسانية انما رضع من امهِ لبان الصلاح والاحسان غذيت بهِ نفسهُ فبلغت طورها من القوة والنماء

الاَّ انهُ بعد وفاة والدتهِ الصالحة تُرك صبياً وحيداً فأُلقي الى ايدي الزمان أُلعوبة تصرفهُ حدثانهُ كالكرة امام الصولجان حتى ذاق منها الحلوَ والمرَّ . ولما لقي من عشرائهِ الصنّاع ما ما يعهد فيهم من احوال السفالة والشرّ لم تعد نفسهُ تطيق تلك الموبقات فتنبَّه ما كمن فيها من بذار تلك التربية الصالحة القديمة حتى هاجت في صدرهِ هوائج النخوة وشرف الذات فتنكَّب عن مسالك اولئك الرفاق وعدل الى لقاء اهل الادب والصلاح

ولما بلغ اشدَّهُ دخل صانعاً في احد مسابك مانشستر باجرة خمسة شلينات في الاسبوع ولما كان من شبان الثبات والنزاهة والاقدام أَبت نفسهُ الاَّ الجد ومصارعة الايام حتى اصبح في ذلك المسبك المقدم المعوَّل عليهِ

واول غرض مالت نفسهُ النبيلة اليهِ اسعاد اهل الجرائم والذنوب ومعاونتهم على وجود العمل الشريف وذلك من ابعد المطامع منالاً واقربها الى المستحيل واشدُّ ما يحمل النفس على اليأس والقنوط . فان المجرم حين انتهاء مدة سجنهِ لا يتأتى لهُ العود الى محلهِ السابق الاَّ في النادر وذلك لما قام في نفوس مستخدميهِ من اعتقاد رسوخ الشرّ فيهِ فضلاً عمَّا زادهُ السجن من رذائلهِ ولكن الحازم الهمام لا يزيدهُ بعد المطلب الاَّ اقداماً بدل الاحجام

وكانت فاتحة اعمالهِ الخيريَّة في اسعاد المجرمين ان أَتى المسبك ذات يوم رجل كان قد أُخذ ببعض الجرائم ولما سئل رَيت عنهُ لم يكن يعلم من امرهِ شيئاً الاَّ انهُ في خلال ساعات

العمل استطلع طلع حالهِ فتحقق الشبهة فيهِ . غير ان الرجل ابدى في حكاية حالهِ اصدق علائم الندامة والاسف ووعد بدموع الحزن الاَّ يعود الى سابق شرّهِ وان يمحو ما لطخ بهِ من آثار الخزي والعار . فنقل رِت الواقع الى ارباب المسبك ووضع عشرين جنيهاً ضمانةً على دوام استقامتهِ في الاستقبال فقرَّروا تثبيتهُ في المعمل

غير انهُ لما عُدَّ العمال غداة ذلك اليوم لم يكن ذلك الشقيُّ المسيء بينهم وذلك لانهُ لم يكن قد بلغهُ قرار ارجاعهِ الى المعمل فأُرسل الى مبيتهِ رسول فلم يجدهُ اذ كان قد حزم امتعتهُ وراح يهيم على وجههِ في عرض الارض . وبعد ان علم رِت بوجهة انطلاقهِ انطلق يعدو وراءهُ فادركهُ على امد عدة اميال من مانشستر وشاهدهُ جالساً على قارعة الطريق منكسر القلب كئيب النفس كاسف البال منقطع الامل من دنياهُ فرفعهُ بيمينهِ وبشَّرهُ بقرار ارجاعهِ الى عملهِ فانتعشت قواهُ وعاش رجاؤهُ فعادا معاً ودخلا الى المعمل وقد برهنت الايام على صدق وعدهِ وخلوص توبتهِ وندامتهِ

فهذه الحادثة قوَّت آمال رِت وشدَّدت عزائمهُ في مسعاهُ الكريم وايدت لهُ ما تفعل المؤاساة والانعطاف في انتشال امثال هذا المجرم من اعماق التعاسة والذل الى ساحة العمل وبحبوحة الامل . وكان يقول ان من الخطإِ الفاحش قطع الامل من ارتداد هؤلاء اليائسين التعساء . وان الاخلق بكلّ من يدعي الصلاح ان يمدَّ اليهم يمين المعونة والاسعاد ويأخذهم باسباب الشفقة والحنان حتى يعودوا الى ميدان النشاط والراحة والاطمئنان . وما زالت هذه المسائل تحوم على خاطرهِ وتجول في صدرهِ حتى صارت غرض حياتهِ الاقصى

وكان ساكناً في جوار احد السجون فكان يطلب اولاً الدخول الى المجرمين فلم يكن ينال الاَّ الصدَّ والردَّ . وبعد ان لبث على ذلك زمناً غير يسير بلغهُ اتفاقاً ان والد احد زملائهِ في المسبك بوَّاب في السجن فتوسط لهُ في ادراك مبتغاهُ وأُذن لهُ في ملازمة الحضور الى احدى الحفلات الدينية ايام الآحاد . على انهُ لم يكن يؤذن لهُ الى تلك الساعة في ان ينفرد باحد المساجين ولكنهُ صبر على مضض الانتظار صبر الكرام

وبينما كان عائداً من السجن يوماً من ايام الآحاد استوقفهُ الخادم الدينيُّ مدير ذلك الاجتماع وطلب منهُ عملاً لاحد السجناء الذين انتهت مدة عقابهم وهم في مزيد الرغبة في العمل . فاجابهُ ريت بالايجاب ووعدهُ ببذل المجهود في ما سأل ونال عملاً لذلك البائس الذليل

فاباح لهُ الحاكم حينئذٍ الدخول الى السجون ومحادثة ايّ شاء من المجرمين فاخذ ريت يبذل لهم النصح والارشاد ويراسل اهاليهم في منازلهم مبدياً ادلَّة الصداقة والاحسان . وكان

يترقَّب المتهمين يوم اطلاقهم ويتعمَّد ملاقاتهم ويعود بهم الى منازلهم ويردهم الى عيالهم ويحسن اليهم بما استطاع من اجرتهِ اليوميَّة ثم يسعى جهده في ان يقودهم الى ابواب العمل وسبل الرزق الحلال

ولم تكن مساعيهِ تخيب في غالب الامر لانهُ اكتسب ثقة اصحاب الاعمال بامانتهِ وصدقهِ وحكمتهِ فكانوا يلبُّون طلبهُ باستخدام من يشاء من المجرمين المرتدين حتى انهُ كان يبذل الضمانات المالية المجموعة من اجورهِ الاسبوعية حين الاقتضاء

ولبث بضعة اعوام على هذا المسعى وهو لا يفارق مسبكهُ عاملاً مجتهدًا بما استطاع من الهدوِ وتواضع النفس بتحامي الاشتهار والافتخار حتى وجد اعمالاً لمئات من اولئك المجرمين البائسين

حكى اصدقاؤهُ عنهُ ان احد المجرمين بعد ان قضى مدة عقابهِ في الاشغال الشاقة أُطلق سراحهُ واصحبهُ احد القسوس برقيم توصية واعيد الى مانشستر فلم يُصب اولاً لهُ عملاً سوى الكناسة في الطريق ولكن رِيت سعى فرقاهُ الى عمل مصلح في الطريق وبعد ان ابدى من حسن المسلك ما ابدى ادخلهُ بعض مدارس الليل وغيرها فاظهر من مناقب المروَّة والرغبة في التعلم والتحصيل ما اهلَّهُ الى رتبة معلم حتى نال لدى رئيس المدرسة احسن الحظوى والالتفات وما زال يرقى بالجد والاقدام حتى سيم قسيساً

وبعد ان اقام رِيت على مثل هذه المفاخر والمآثر الكريمة اعواماً مالت اليهِ ابصار ذوي المكانات العليا من الحكام ودار ذكرهُ في المجالس والتقريرات الرسمية ومما جاء عنهُ لاحدهم في تقرير سنوي عن (حال المجرمين) قولهُ "... ولكي اظهر الحدَّ الذي بلغهُ احسان هذا الرجل الصالح المسكين والنجاح التي تكلَّلت بهِ مساعيهِ اقرر انهُ لم ينقص متوسط من اصلحهم من المجرمين بفضلهِ واحسانهِ عن ستة وتسعين في المئة ومما يثير الخاطر بهجة وحبوراً ان نرى تلك الثقة التي فاز بها هذا الانسان من قبل المجرمين الاشقياء ولم تكن الاَّ جزاء اسلوبهِ الصالح الساذج الابوي العاري عن كل ما يشوبهُ من شوائب العجب والمنّ والافتخار"

ولم تقتصر مساعيهِ على وجود الاعمال لاولئك الاذلاَّء المساكين بل انهُ كان يقرض من لم يصب عملاً ما نالت يدهُ من المال او يسعى في اكتتاب سري بين بعض اصدقائهِ مساعدة لبعضهم على التزوج وطلب الارزاق فبلغ عدد من انجدهم في هذا السبيل نحو الالف حتى ان بعض هؤلاء المجرمين كانوا يبذلون لهُ المساعدة في اعمالهِ الخيرية إما بتهيئة اعمالٍ لاخوانهم او باكتتاب مالي على ما اسلفنا ذكرهُ . وقد كان يرد لهُ من بعض اولئك المجرمين النازحين مساعدات مصحوبة برسائل الشكر والحب من ذلك رسالة وجيزة وردتهُ من احدهم يقول

فيها ان ما احرزتهُ من مطالب النجاح لم يكن اساسهُ الأَ حبك الوالدي وعونك الذي لن تمحي آثارهُ ولن ينسى تذكارهُ . الى آخر ما هنالك من عبارات الشكر والوداد

والذي يقضي على القارىء بأعجب العجاب من امر هذا المحسن العظيم انهُ لم يكن ينقطع عن عملهِ اليومي مع كل هذه الاعمال العظيمة الشاغلة فكان ينهض الى مسبكهِ الساعة ٥ صباحاً ولا يفارقهُ قبل الساعة ٦ ليلاً حتى لم يكن يبقى لهُ لاجل القيام بتلك الاعمال الخيرية سوى ما بقي من ساعات مسائهِ وايام العطلة والآحاد فكان يُشاهَد في السجن والملاجىء يعزي المسجونين ويؤاسي المجرمين وبقي على عملهِ هذا المبرور الى الثالثة والستين من العمر حين مالت شمس حياتهِ الى المغيب وهو لم يدخر شيئاً من المال وما زاد عن قوتهِ اليومي كان ينفقهُ في وجوه الخير على ما مرَّ في سياق الكلام حتى كان في كثير من الايام يلمُّ بهِ العوز والضيق اذ كان من مبدإِهِ أَن لا يدخر فلساً الى غدهِ امساكاً عن معوزٍ في يومهِ

ومن غرائب حالهِ انهُ لما علمت الحكومة الانكليزية قيمة خدمهِ هذه وفضلهِ على البلاد عرضت عليهِ رتبة مفتش على السجون براتب ٨٠٠ جنيه سنويًّا فرفض المنصب والتقدمة جميعاً قائلاً " اذا صرتُ مأموراً للحكومة اخشى ان تقعد بي الهمَّة عن تلك المهمَّة فلا اعود مساعد المجرمين وخليل البائسين "

على ان اهل مانشستر حين رأوا منهُ هذه الشهامة النادرة المثال نهضت بهم عواطف الشكر وعينوا لهُ سنويًّا ١٨٢ جنيهاً جمعوها بالاشتراك ولم يكن المبلغ الأَعشر العشر مما اقتصدتهُ بمساعيهِ خزينة البلاد . وكان ممن عرف لهُ قدر هذا الجليل والصنع الجميل احد المصورين فاهدى اليهِ رسماً كتب عليهِ (السامري الصالح) وقد نصب هذا الرسم في منتدى مانشستر العام على ان ريت لم يقف عند هذا الحد بل ازداد همة واقداماً فاخذ يطوف البلاد نظير هوَرد يزور السجون ويتفقد الملاجىء ومدارس الفقراء الصناعية وسائر الامكنة المتعلقة بمقاصدهِ الخيرية . وكان من اجلّ رغائبهِ ان يهذب اولاد المساكين ويربيهم على العمل الشريف فيرد عنهم آفات البطالة وما تجرهُ من البلايا والويلات فيقلل بذلك عدد المجرمين . فقامت بمساعيهِ مدارس الفقراء ولم يأل جهداً حتى جعل التعليم فيها الزامياً بقين ان هذا الالزام من افعل الذرائع في تخفيف الجرائم وتقليل الفقر

وما عدا هذه المدارس فقد انشأ مدارس صناعية وبنوكاً لاقتصاد المجرمين ومعامل خيرية لتشغيلهم . وعلى الجملة فحيثما رأت عينهُ وجهاً للخير سعت قدمهُ نحوهُ ومدَّت اليهِ يدهُ . ولم تفتر همتهُ حتى بلغ الخامسة والثمانين فبلغ الضعف منهُ غاية الحدّ وقضى في الرابع عشر من ابريل

(نيسان) سنة ١٨٧٥

هذا ولا نعلم ما يقول اهل الانانية في مثل هذا البطل الغيري الكريم والمحسن الخيري العظيم ولا ندري اي ناموس خرق في شرعهم غير ناموس (الانانية) هادم العمران وعار الانسانية فلم يبقَ الّا ان يقولوا لعلهُ انانيٌّ ايضاً رام سدّ عاطفة طمعاً بمدح الضمير. قلنا ان كان لمثل هذه الانانية هذا الاثر في النفع العام فهي خيرٌ من انانية محصورة في الذات وليس لها من اثرٍ غير اماتة العواطف والانسانية وتوبيخ الضمير

متري قندلفت

اشارات الخطابة

قال شيشرون الخطيب الاشارات لغة الجسم وبدونها يفقد الخطيب المصقع قوتهُ ويبارى بمن هو اضعف منهُ ولكن كما ان بعض النساء العاطلات (الخاليات من الزينة) يظهرن ابرع جمالاً منهنَّ مزيناتٍ كذلك بعض الخطباء نُعجب بهم ولو لم يُتبِعوا كلامهم بشيءٍ من الاشارات

وقد وجدت الاشارات قبلما وجدت الالفاظ واللغة ودليلنا على ذلك ان الاطفال يدلُّون على مقاصدهم بها قبل معرفتهم اسماء الاشياء . قال احد معلمي الخطابة المشاهير اذا شئت ان تحسن تعلُّم الاشارات الخطابيَّة فلاحظ حركات الشيوخ وصغار الاولاد في احاديثهم وتقلَّدها في خطبك . وكان المصريون يرمزون الى كلمة لغة في كتاباتهم الهيروغليفية بصورة يد موضوعة تحت لسان وربما قصدوا بذلك وجوب مرافقة الكلام بالاشارات

وقفة الخطيب . لتكن المسافة بين رجليك عشرة سنتمترات وليكن وضعهما بحيث انك اذا اخّرت الرجل المتقدمة على الخط الذي هي ممتدَّة فيهِ يلتقي الكعبان ويكوّنان زاوية انفراجها ٤٥ درجة ليكن معظم ثقل الجسم على القدم المتقدمة كلها اي على كعبها واصابعها معاً

وجّه نظرك الى الحاضرين امامك ولا تجمّد رأسك او كتفيك او جذعك لئلاَّ تظهر متكبرًا او متصنعًا فالناس لا تحبُّ سماع من هو معتدّ بنفسهِ مترفعٌ عنهم

بعد ما تقف في مكانك مرَّ بنظرك على الحضور ثم وجههُ الى ابعد فريق منهم واستعدَّ للانحناء اذا كان لهُ داعٍ

الانحناء . جرت العادة في المجتمعات العلمية والادبية ان يحني المتكلم رأسهُ امام الحضور قبل الشروع في الخطابة واذا كان في المجتمع شخص ممتاز لهُ علاقة شديدة بتلك الحفلة كحاكم او رئيس مدرسة فعلى الخطيب ان يحني مرتين مرة لهُ ومرة لبقية الحضور وان يراعي الامور الآتية

لا تحنِ بسرعة ولتكن عيناك متجهتين الى الحضور لا الى الارض

لا تهزَّ يديك ولا تُرخهما ولا تحنِ عنقك فقط او جذعك بل ليشترك رأسك وعنقك وجذعك في هذه الاشارة وابرز كتفيك قليلاً

حركات الرأس . عند اظهار الخجل والحزن والتذلُّل والتواضع اخفض رأسك . وفي الكبر والخيلاء ارفعهُ وأمِلهُ قليلاً الى احد الجانبين

الايجاب والمصادقة يدلُّ عليهما باشارتهما المعهودة اي باحناء الرأس الى الامام

الرفض والانكار يدلُّ عليهما برفع الرأس الى خلف

التعب والتوقف وعدم الجرأة يدل عليهما بإمالة الرأس الى احد الجانبين

في التأمُّل والملاحظة يُمال الراس الى الامام

عند الاستماع والانتباه تحوَّل الاذن الى الامام وتوضع اليد خلفها

حركات العينين . تستطيع العينان اجمل الاشارات واقواها والخطيب الذي لا يستخدم عينيهِ في الخطابة لا يستطيع ان يبثَّ تلك المغناطيسية التي تصدر عن المتكلِّم البارع وتؤثر في قلوب الحاضرين

العينان تبكيان في مواقف الحزن وترتنعان في الابتهال وتبرقان وتلمعان عند الغضب وتحوَّلان عن الشيء المستهزإ بهِ

في اظهار التوجُّع والحزن والعار تنظر العينان الى الارض او تحوَّلان الى جانب او تستران باليد

في الشكّ والخوف توجَّهان الى جهات مختلفة

في التمعُّن والافتكار والتبصُّر تنظران الى الفضاء

اشارات اليد والذراع . في اليد والساعد والذراع اثنان وثلاثون عظماً تحرّكها ست واربعون عضلة. وعلم التشريح والفسيولوجيا يعلّماننا ان الانسان يستطيع اتيان الاشارات الجميلة بسهولة ولذلك فاذا اردت ان تكون خطيباً متقناً للاشارات فلا تكن متصنعاً اومتكلفاً

على الخطيب ان يستعد للاشارة قبل ابدائها ببضع ثوانٍ وذلك بتحريك اليد من مكانها الطبيعي على هيئة قوس وكلَّما كان الفكر عظيماً وخطيراً وجب ان تكون القوس واسعة كبيرة . وهذه الاشارات تصير طبيعية بالممارسة

يشير الخطيب باصبعهِ عند ارادة العدّ او تحليل المسائل او انتخاب الاشياء وعليهِ فالاشارة تكون الى ما يراهُ ويعرفهُ لا الى ما يريدهُ او يشعر بهِ

يشار ايضاً بالاصبع حينما يراد توجيه الانتباه الى الاشخاص والاشياء الموصوفة والبراهين المسرودة

يشار بالكف مطبقة في موقف الحجر والمنع والاغتصاب او حينما يقصد الخطيب حث السامعين او اكراههم على اتمام بعض الامور

وضع الكف في الكف على شكل صليب يدل على ان الامر المراد تقريره او البحث فيهِ سهل البرهان وبسيط على العقل

في الالم والتأسف توضع اليد على الراس او يضغط بها

في الحزن العظيم والالم الشديد تشبك الاصابع وتفرك الكفان

في اظهار المحبة او عرضها توضع اليد على القلب

في التحبب والتودد والتشوق تمد الذراعان وتبسط الكفان كأنهُ يراد استقبال الصديق او الحبيب

يدل على القبلة بوضع اليد على الشفتين وطرحها الى الامام

تحرك اليد وتتاوج حين الفرح وتأتي باشارات وحركات غير قياسية في النفور والاشمئزاز والكراهة

الاشارات المستعملة دلالةً على عواطف النفس وانفعالاتها الشديدة كالغضب والخوف والتأسف والتحرق تسرع اليد في رسمها وهي تكون على هيئة زوايا وخطوط مستقيمة لا على هيئة اقواس وخطوط منحنية . وبعد تتميم الحركة المقصودة تبقى اليد برهة وجيزة على وضعها ثم تعاد الى مكانها الطبيعي بلا تصنع فلا تلامس الثياب على الصدر ولا على الفخذ

وليس من الضرورة ان يبدأ بكل حركة او اشارة واليد على هذا الوضع لانهُ متى كان الكلام شديداً مؤثراً وجب على الخطيب ان يبدي الاشارات المركبة اي ان ينتقل من اشارة الى اخرى حالاً وان يستعمل كلتا يديهِ في مثل هذه الاحوال وليحذر ابداء الاشارات كلها بيدٍ واحدة بل ليجعل يديهِ تتناوبان الاشارة اذا لم يكن ثمة داعٍ لاستعمالها كلتيهما

حركات الجذع والجسم . يدل على العزيمة والشجاعة بانتصاب الجسم وعلى الكبر والخيلاء بميل الجذع والرأس الى الوراء وعلى الاتضاع والاحترام والاكرام بميلهِ الى الامام كثيراً او قليلاً

حركات الرجلين . يدل على الجراءة والعناد بتثبيت القدمين وانتصاب الساقين . وعلى الرغبة والشجاعة بامالة الرجلين قليلاً الى الامام . وليكن مركز ثقل الجسم في هذه الحال ما بين القدمين

في الخوف والاشمئزاز تؤخر الرجلان متعثرة الواحدة بالاخرى
في الرعب الشديد تتهيآن للهرب والركض
في الامر الشديد والالزام والاكراه تضرب الارض بالقدم شديدًا

ملاحظات عمومية

(١) على الخطيب ان يغيّر وقفتهُ في اثناء الكلام كما تغير المعنى او ابتدأ بموضوع جديد وذلك بأن يؤخر الرجل المتقدمة او يقدم الرجل المتأخرة ولا يحوّل نظرهُ عن السامعين . واذا كان في الموضوع تغيير ظاهر وجب ان يسكت بضع ثوانٍ بعد تغيير مركزهِ ثم يستأنف الكلام

(٢) عليهِ ان لا يأتي باشارة او حركة في كلامهِ ان لم يكن هناك داعٍ يدعو اليها كتأكيد كلمة او عبارة او اشارة وغير ذلك مما ورد ذكرهُ ولا يظنّ ان كثرة الحركات والاشارات تزيد الكلام تأثيرًا بل بالعكس

(٣) ان المتكلم الذي لا يستطيع تحريك سامعيهِ واجتذاب اصغائهم وانتباههم اليهِ بتكييف صوتهِ لا يعدُّ خطيباً . ولذلك يحسن بالمبتدىء ان يتمرن على القاء خطبهِ بلا اشارات بعض الاحيان باذلاً جهدهُ في تكييف صوتهِ على حسب ما يقتضيهِ المعنى

وكما ان الانسان لا يستطيع تعلُّم الموسيقى والغناء والرقص بمجرد حفظ القوانين والقواعد كذلك لا يصير خطيباً الّا بطول الممارسة والتمرُّن

هذه بعض الاشارات والقواعد التي اصطلح عليها مشاهير الخطباء . وقد اخذتها من احسن ما كتب وعلِّم في هذا الفنّ فعلى الراغبين في الخطابة الميالين اليها ان يتبعوها فهي تسهل لهم الابتداء وتكفل حسن الانتهاء

بيروت . المدرسة الكلية اسكندر عجمي

[المقتطف] نشرنا في الجزء الخامس من السنة الثامنة الصادر في فبراير سنة ١٨٨٤ خلاصة خطبة في الخطابة لحضرة انطون افندي شحيبر يحسن بالقراء الكرام ان يطالعوها وبالشبان منهم خاصةً الذين يودون ان يكون لهم في الخطابة شان ان يكرروا مطالعتها مع مطالعة هذه المقالة والجمع بين فوائد الاثنتين اي بين ما قيل عن مبنى الخُطب وما قيل عن اشارات الخطباء

العمل والراحة

قال تنسون الشاعر الانكليزي المشهور "خمسون سنة في اوربا خير من دهر في الصين" وعند الصينيين مثلٌ وهو "يومٌ واحدٌ مثل ثلاثة ايام" يريدون بذلك انك اذا عرفت كيف تغتنم الفرص لاتمام عمل ما فيوم واحد يساوي ثلاثة. وقال السر ولتر سكوت في احدى قصائده ما معناهُ "ساعة من حياة مجيدة تساوي عمرًا بلا اسم ولا شهرة"

ويرى الباحث المدقق ان الناس على اختلاف طبقاتهم وعصورهم ومعارفهم اتفقوا على هذه الحقيقة وهي ان الانسان قد يستطيع اتيان الاعمال العظيمة باجهاد قواه في اوقات قصيرة وان الدقائق والساعات كالناس متفاوتة في الرتبة والمنزلة

الحيوان — ضرب الناس الامثال منذ القدم بجد بعض انواع الحيوان وكسل الآخر فمن ذلك جدُّ النملة وكسل الصرصور وسعي السلحفاة ونوم الارنب وحكايتهما معروفة . ولكن العلم والبحث يثبتان ان الانسان غالى في اتهام بعض الحيوانات بالاكثار من الحركة . فان اجراء الهرّة لا تقضي اكثر وقتها في الحركة كما يظنُّ . وصغار الاولاد لا يقضون اكثر يومهم في اللعب كما هو المشاهد بل يقضي الفريقان جانبًا كبيرًا من وقتهما في الراحة والسكينة

ثم ان هناك حيوانات ليلية قيل انها لا تنقطع عن العمل ليلاً ولا نهارًا منها حشرة مكرسكوبية قال الدكتور هوج والدكتور ايكنس انها تعمل على الدوام وليس لها فترة تنقطع فيها عن العمل مثل الحيوانات العليا . وبعبارة اخرى انها لا تكلُّ ولا تنام . لكن هذا الحكم يصدق عليها اذا وافقتها الاحوال وهذا لا يتسنى لها فيمرُّ بها دور راحة تنقطع فيهِ عن العمل انقطاعًا الزاميًا ناشئًا عن عدم ملاءمة الاحوال الخارجية لها

وكلما ارتقينا في سلَّم الحيوان رأينا تفاوتًا بين الحيوانات في مدد عملها وراحتها فالاسماك وذوات الفقرات الدنيا تنام مدات طويلة ثم تعود الى الحركة والعمل بجدٍّ ونشاط وكذلك الاسد والنمر والفيل والجمل والفرس وسائر انواع الحيوان تنام ثم تستيقظ قوية نشيطة الى العمل. وكلما طالت مدة يقظة الحيوان وحركتهِ طالت مدة نومهِ وراحتهِ

ومن الحيوانات ما يقضي جانبًا كبيرًا من عمرهِ في سبات عميق تتوقف مدتهُ على الاقليم والنوع . ولا يعلم مقدار ما يفعلهُ هذا السبات بقوى الحيوان العقلية والبدنية حال يقظتهِ وحركتهِ ولكن لما كان السبات عاملاً من العوامل في الانتخاب الطبيعي وبقاء الانسب فذلك دليل على انهُ لم يكن خاليًا من النفع للحيوان . وما يقال عن العجماوات التي تنام طويلاً

يقال عن الانسان الذي يفعل فعلها مثل بعض فلاحي روسيا الذين ينامون اكثر فصل الشتاء اقتصادًا في النفقة

الطفل — من المعلوم ان الطفل مغرم باللعب واجهاد قواهُ البدنية الى درجة الاعياء وكذلك اجهاد قواهُ العقلية عند ما يبدا بالتكلم في محاولة النطق وشدة الاصغاء وتقلّد حركات من حولهُ وسكناتهم حتى اذا كلَّ وملَّ ثاب الى السكينة والراحة . وعليهِ فهو يقضي معظم الوقت قبل دخول المدرسة في اللعب والرياضة ما عدا اوقات الاكل والنوم . فكأنهُ مسوق الى ذلك بقوة تدفعهُ الى اجهاد قواهُ غاية الاجهاد

يستنتج مما تقدم ان المدرسة تضر الطفل بطول مدة الدرس والعمل قبل الظهر وبعدهُ فيجدر بالمدرسين ان يغتنموا الفرص القصيرة التي تكون قوى الطفل فيها متهيأة للشغل والعمل ليطبعوا فيها ما يريدون طبعهُ في ذهنهِ ولا نظن انهُ يلزم المعلّم اكثر من ساعة لتعليم الطفل وتثقيفهِ في حالة نموّهِ . ولذلك قام كثيرون في جميع انحاء العالم يقولون بوجوب تقليل ساعات الدرس . وذلك عين الصواب ان صحَّ ما يقال من ان دقائق قليلة وقوى الطفل على اشدّها انتباهًا اوفر نفعًا من بقية نهارهِ

ومن خصوصيات الاطفال سرعة انتقالهم من الحركة الى السكون ومن الذكاء والنباهة الى الخمول والبلادة ولو في الظاهر ومن العمل الى البطالة عقليًّا وبدنيًّا والضد بالضد . فقد يتفق كثيرًا ان المعلّم يحاول تعليم الاولاد شيئًا يقولونهُ في الاحتفالات العمومية ويبذل المجهود في ذلك فلا ينجح لما يراهُ فيهم من الاهمال وعدم الانتباه والخمول في الظاهر حتى يستولي الياس عليهِ ولكن اذا جاءت الساعة الموعودة اظهروا من الذكاء والنجابة ما يحيّرهُ ويقضي عليهِ بالعجب والدهشة

المرأة — جاء في المثل الانكليزي ان المرأة لا تتمّ عملها . وفي هذا ما فيهِ من الاجحاف بحقها فقد قال احد العلماء ان الاعمال التي تستوجب ساعدًا شديد العضل لاتمامها انما هي منوطة بالرجل واما العناية بالاولاد وسائر ما يتعلق بتدبير المنزل من الاعمال التي يكون انفاق القوى فيها اطول مدّة واقل شدّة فمنوطة بالمرأة . واما بين المتوحشين فان اعمال المرأة تشبه اعمال الرجل من حيث مشقة العمل وطول زمن الراحة وسرعة الانتقال من حال الى حال

واما سرعة انتقال المرأة من حال الى حال فظاهر من سرعة ادراكها وشدة بداهتها . فاذا عرض للرجل والمرأة امرٌ اشكل عليهما حلّهُ او وقعا في حيرة وارتباك فالغالب ان المرأة تجد مناصًا لها منهُ قبل الرجل . وفي التاريخ حوادث كثيرة تمكنت المرأة فيها من تخليص ذويها ببداهتها وتفننها في استنباط الحيلة

على ان قسماً كبيرًا من عمل المرأة في البلاد المتمدنة ليلي كالرقص والمسامرة والتمثيل في الملاهي والمراقص ونحو ذلك مما يعدُّ عمل النهار بازائهِ راحةً لا تعباً ومما فاقت الرجل فيهِ

النابغة — لقد كثر كلام الناس على النوابغ فالتفتوا الى الموهبة العقلية التي يمتازون بها من حيث علاقتها بالاعمال التي عملوها فقالوا ان الموهبة مظهر من مظاهر النشاط وانها ليست الاَّ العمل والاجتهاد او هي مقدرة الانسان على العمل الشاق . وانما جعلهم يعتقدون هذا الاعتقاد ما يرونهُ من ان النوابغ مضطرون الى العمل الشاق ليعيشوا والى العمل الطويل لينالوا الشهرة وتظهر مواهبهم . ولكن النوابغ الحقيقيين يتمون اعمالهم العظيمة باجهاد قواهم في مدات قصيرة لا بالعمل المستمر ولا بالتعب الطويل

ومن الغريب ان النابغة يمتاز بقابليتهِ للانتقال بسرعة البرق من حال الى حال كأنهُ يجمع بين الاضداد فينتقل من درجة سيولة القريحة الى جمودها في اقل من لمح البصر ومن الحكمة والذكاء الى الجهل والبلاهة ومن الاجتهاد في اقصى درجاتهِ الى الخمول في ادنى دركاتهِ حتى كتب احدهم كتاباً في بلاهة النوابغ. وليست البلاهة في النوابغ الاَّ امرًا طبيعيًّا وما من نارٍ الاَّ وتخبو بعد ذكائها . فقد قال بعضهم اذا بطل الالهام للنابغة عاد رجلاً مثل سائر الناس ان لم نقل اقلَّ منهم . واعظم نوابغ الشعراء نظموا ارك انواع الشعر

المجرم — قال بعض العلماء ان المجرم كثير الكسل الاَّ انهُ قد تمرُّ بهِ دقائق ينشط فيها للعمل فيأتي اعظم الجرائم والمنكرات كالسكر والخلاعة والصخب . قال احد النشالين لعالم من العلماء اذا عرضت لنا التجربة لا يستطيع احدٌ منَّا ان يكبح جماح نفسهِ فلا بدَّ لنا من السرقة . وعند ما يرتكب المجرمون جرائمهم يظهرون اقداماً عظيماً وانفعالاً قويًّا واحتيالاً غريباً ثم لا يلبثون ان يعودوا الى الخمول والسكون مدة طويلة

المتوحش — المتوحش يكره العمل بشهادة السياح والفلاسفة ثم ان علماء اللغات زكُّوا هذه الشهادة بان ابانوا ان الكلمات المستعملة للعمل في كثير من اللغات كالعبرانية واليونانية واللاتينية والفرنسوية والايطالية انما تعني التعب والمشقة . ومن رأي بعض العلماء ان اعتياد العمل من مبتكرات الانسان المتمدن . على ان الشعوب المتوحشة تعمل اعمالاً كثيرة وان تكن البواعث التي تحملها على العمل ليست نفس البواعث التي تحمل الامم المتمدنة عليهِ . وليس كرهها للعمل ناشئاً عن التعب البدني بدليل انها تعمل بعض اعمالها كبعض انواع الرقص مثلاً حتى تكلَّ فتنقطع عنهُ من فرط التعب والاعياء . بل هو ناشيء عن اجهاد الفكر والارادة . فكره المتوحش للعمل مصدرهُ عقليٌّ لا بدنيٌّ وهو يجد بالرقص وما اشبههُ من الحركات وسيلة سهلة

لانفاق القوة العصبية المذخورة في دماغهِ من غير ان ينزعج

هذا وقد كتب احد العلماء كتاباً في وصف بعض القبائل المتوحشة . ومما قال فيهم انهم جامعون للاضداد فهم اسرع الناس في قضاء الاعمال وابطأهم وهم اقواهم واضعفهم واميلهم الى الحرب والينهم عريكة . وانتقالهم من حالة الى ضدها يتم باسرع من وميض البرق . واذا جلسوا للراحة بعد العمل طالت مدة استراحتهم كثيراً . فانهم يطاردون الغزال مثلاً ساعات متوالية ويغزون القبائل المجاورة لهم اياماً متتابعة ومع ذلك فالمعروف عنهم وعن نسائهم واولادهم انهم يقضون معظم اوقاتهم مستلقين على ظهورهم متمرغين في التراب . فاذا قيس عملهم بالساعات وجب ان تقاس راحتهم بالايام

الجنس — لا يبعد ان يكون لكل شعب من الشعوب اوقات ينتقل فيها من العمل الى البطالة ومن البطالة الى العمل ويصح ذلك بنوع خاص اذا فرضنا ان للشعوب صفات ذاتية تقابل المواهب التي يمتاز بها النوابغ . فقد قال احد علماء الانكليز في الكلام على نوابغ الامة الانكليزية ان لظهورهم وانقطاعهم ادواراً كما يظهر من توزيعهم في القرون وانصاف القرون . فعصور التاريخ كعصر الملكة اليصابات وعصر الملكة فكتوريا في تاريخ الانكليز وعصر القيصر اوغسطس في تاريخ الرومان وعصر بركليس في تاريخ اليونان وما اشبهها من العصور في تواريخ الامم الاخرى كلها ادلة على وجود النوابغ في فترات قصيرة على حين ان العصور المظلمة طويلة المدة ولم يقم فيها نابغة . ألا ترى ان ثورات اوربا المختلفة وحوادثها السياسية العظيمة والاختراعات والاكتشافات حدثت في عصر بركليس عند اليونان القدماء وعصر اليصابات وفكتوريا عند الانكليز وفي هذا العصر عند الاميركيين وعليهِ ففي الشعوب كما في الافراد تتمّ عظام الاعمال في اقلّ الاوقات . يتم في سنة ما لا يتم في قرن

يظهر مما تقدم ان اجهاد القوى لاتمام الاعمال في مدات قصيرة واتباع ذلك بمدات اطول للراحة خير نظام يمكن اتباعهُ في الاعمال كما اثبت الاختبار والادلة الكثيرة في طرق ترويض الانسان والحيوان وتقصير اوقات الدرس الى نصف ما هي عليهِ وانقاص ساعات العمل للعمال ومستخدمي المحلات التجارية . وقد أبان بعضهم ان ساعتين من العمل البدني او العقلي في اليوم تكفيان الناس اذا امكن توزيع نتائجهما عليهم بالقسط بعد ما تمّ من الاتقان في الآلات التي تغني عن يد الانسان والسهولة في طرق النقل. وما قيل في الاعمال البدنية يقال في الاشغال العقلية ايضاً . وهذا ما لابدَّ ان يتمَّ في مستقبل الايام

(ملخصة من مقالة للدكتور الكسندر فرنسيس تشمبرلن في مجلة العلم العام الاميركية)

الصحيح من الفراسة

امارات الخوف

محبة الذات خلق راسخ في النفس لكن ليس لها علامة ظاهرة تدلُّ عليها فلا يستطيع المصور مهما كان ماهراً ان يصوّر انساناً صورة تدل على انهُ محب لنفسهِ . الاّ ان مُحبَّ نفسهِ اذا رأى ما يسرّها ابتهج او اظهر العُجْب والخيلاء واذا رأى ما يخشى منهُ عليها اظهر الخوف والاحجام او الجرأة والإقدام . وللخوف والاحجام والجرأة والإقدام امارات تدلُّ عليها كما تقدم.

اما محبة الذات المطويَّة تحتها فلا امارات لها لانها من القوى المتجهة الى داخل الانسان فلا علامة لها في ظاهرهِ ولكنها حالما تُهيَّج تهيج الرَّيْب في النفس وهو الدرجة الاولى من الخوف. فاذا رأى الانسان او الحيوان ما يخشى منهُ عليهِ ارتاب فيهِ اولاً ثم خاف واحجم او تجاسر واقدم . وامارات الرَّيْب ضعيفة تظهر بارتفاع الحاجبين والشفة العليا وتضييق الفم وتغضُّن الجبين. واذا اراد المرتاب ان يعرب لغيرهِ عن ريبهِ من غير كلام بالغ في هذه الاشارات وهزّ كتفيهِ او يديهِ ووضع سبَّابتهُ على خدهِ او على جانب انفهِ او تحت جفنهِ الاسفل وجذب عينهُ بها قليلاً ويبدو منهُ حينئذٍ صوت يختلف باختلاف الشعوب ويُدرَك معناهُ عندهم بسهولة. هذه الاشارات ما سببهُ واضح كرفع الحاجبين فانهُ ناتج عن المبالغة في فتح العينين كأن الانسان يحاول ان يمعن نظرهُ في ما هو مرتاب منهُ لكي يتبيَّنهُ جيداً ومنها ما سببهُ غير واضح كوضع السبابة على الخد

ويصير الريبُ ملكةً في النفس فتبدو ملامحهُ في الوجه وتكون على اشدها في المجنون المصاب بجنون الاضطهاد اي الذي قام في نفسهِ ان الناس يضطهدونهُ ويحاولون الايقاع بهِ فتراهُ ينظر الى ما حولهُ نظر الخائف المستريب حاجباهُ مرتفعان او احدهما مرتفع والآخر منخفض وعيناهُ مضطربتان ينظر يمنةً ويسرةً وهو زامٌّ شفتيهِ ينغض رأسهُ حيناً بعد حين ثم يقف كأنهُ يتنصت لاصوات لا يسمعها غيرهُ . وهذا مرض كما لا يخفى ولكن في الاصحاء علامات اخرى تدلُّ على الريب كفقد الطلاقة من الوجه والميل الى الخصام والى الخجل

وقد افاض اهل الفراسة في وصف ما حسبوهُ ادلةً على الخوف والجبن كنعومة الشعر مستدلين على ذلك بنعومة صوف الغنم وشعر المعزى وكنعومة الجلد وانحناء القامة ونحافة عضلات الساقين واصفرار الوجه وضعف العينين واسوداد الحدقتين الى غير ذلك من المزاعم والسخائف التي يغني ذكرها عن اثبات فسادها

امارات التعقّل والتفكير

افاض اهل الفراسة في وصفهم دلائل العقل والذكاء . وفي الارجوزة العربية المشهورة في القيافة كلام كثير من هذا القبيل فما جاء فيها عن الجبين

كل جبين بارز معتدلِ فهو دليل العقل عند الأوَّلِ

وعن الانف والاستوا ودقةٌ في الارنبةْ ثم ارتفاع الانف نعم الموهبةْ

دلائل للعقل ثم النبعِ وجودة الفهم وحسن الطبعِ

وعن الاذن وكل مستديرة رقيقةْ وهي خلف الراس كالملصوقةْ

دلالة على الذكا والعقلِ وخفّة النفس وحسن النعلِ

وعن الشفة والشفة الرقيقة الحمراء مع صغر الفم هي الحسناء

وهي دلالةٌ لحسن العقلِ وحسن اخلاق وحسن فعلِ

وعن اللحية وكل كوسج فذو كياسه وذو فطانة وذو فراسه

وعن الشعر والشعر فالاجود منهُ الاوسطُ في قلّة وكثرة لا المفرطُ

وفي خشونة وفي جعوده فبذه صفاتهُ المحموده

هذا دليل العقل والذكاء وجودة التدبير والآراء

وفي الوجه والشحم في الوجوه باعتدال علامة للعقل في الرجالِ

وفي الصدر واجمعوا ان وسيع الصدر كثير روح وطويل عمرِ

وانهُ ايضاً دليل قطعي لجودة الفهم وحسن الطابعِ

وفي البطن والبطن منهُ ان خلا من شعرِ دليل فهم وصواب فكرِ

وفي الاصابع قالوا وطولٌ في اصابع اليدِ ينبئ عن صحة خلق الكبدِ

وجودة في العقل ثم الطبعِ وشرطها اللين وحسن الوضعِ

ولو نقلنا ما ذكرهُ هذا الراجز من دلائل الحمق والبله في الاعضاء المذكورة لقامت علينا قيامة القرّاء وحق لهم ذلك لانهُ يصدق على اكثر الناس . لكنّ ما ذكرهُ من الوجهين فاسد على حدّ سوى تتفق صحتهُ في بعض الناس ولا تتفق في غيرهم لانهُ ليس من ارتباط سببي بينهُ وبين العقل فقد تجتمع جودة العقل مع دقة الشفة وقد تجتمع مع غلظها كما تجتمع مع استدارة الاذن ومع طولها ومع طول القامة ومع قصرها

ولم يبحث احد من اهل الفراسة بحثاً استقرائيًّا واسعاً حتى يصحّ لهم ان يبنوا مثل الاحكام المتقدمة وانما استدلوا على صحة احكامهم بملاحظات قليلة جدًّا لا يمكن ان يبنى عليها حكم

او باستدلالات تضحك الاطفال كالاستدلال بنعومة الشعر على الجبن من نعومة صوف الغنم وبطول الاذن على الجهل من مشابهتها لاذن البهائم . قال الراجز ولم يجد

والاذن الكبيرة المقدار دلالة للطول في الاعمارِ

لكنها للشبه بالبهائم للجهل جاءت اصدق العلائم

ومما يحسن سرده في هذا المقام ان النابغين من علماء العرب ادركوا فساد ذلك قال صاحب كشف الظنون في كلامه على قيافة البشر انها تدرك بالحدس والتخمين لا بالاستدلال واليقين. وقد انتبه بعضهم الى الفراسة الصحيحة المدلول عليها باعمال الانسان واحواله وهيئاته. فقد جاء في كتاب لطائف المنن والاخلاق للسيد عبد الوهاب الشعراني قوله " والعلماء في ذلك كتب كثيرة لكن غالب فراستهم من حيث رؤية اعضاء الجسد الظاهرة . وهذه الفراسة انما هي من حيث الاعمال والاحوال والهيآت " الى ان قال " كل من رأيتموهُ كثير الصمت والتكر والطأنينة في الحركة وحفظ العين من فضول النظر الى اثبات البصيرة في وجوه الناس لغير غرض فهو دليل على قوة عقله وفهمه وغير ذلك يكون من صفات المجاذيب ارباب الاحوال والمجانين. ومن رأيتموهُ يقرمط انفهُ مع عبوسة وجهه فهو دليل على قيام نفسه وعدم انقيادها وتنعيا بكلامكم" الخ ويحتمل ان يكون كثيرٌ مما ذكرهُ خطا لكنهُ كان على الصواب في الاستدلال على احوال النفس بالاشارات والحركات البادية في الوجه

هذا ولنعد الى ما يقولهُ اهل الفراسة الصحيحة قالوا :

من حين تأخذ دقائق الدماغ تفعل فعلها الذي نسميه فكرًا لا تتوقف عن هذا الفعل توقفًا تامًا الاَّ بانصرام حبل الحياة والمرجح انها تفعل في النوم كما تفعل في اليقظة ولو نسيناحينما نستيقظ ما كنَّا نفكر به ونحن نيام . وهذا التفكير المستمر تبدو آثارهُ في الوجه ولو كانت طفيفةً جدًّا قلما ينتبه لها وبها يمتاز وجه الحي عن وجه الميت . واكثرها في ابراق العينين وحركات عضلات الوجه فاذا لم يبدُ شيءٌ من هذه الملامح في الوجه قيل ان صاحبهُ بليد خامل . واذا اريد التدقيق ظهر ان اكثر معاني الوجه العقلية محصور في بقعة ضيقة بين الحاجبين وفي وسط الجبين حتى سمَّى دارون العضلات التي تقطب الحاجبين عضلات التفكير . ومن رأيه ان تقطيب الحاجبين يحصل اولاً من تعب الفكر وقد يكون فيه رُجعة الى ما كان اسلاف الانسان يأتونهُ وقت التحديق الى الاشياء مخافة ان يكون فيها عدو مقبل عليهم فصاروا يقطبون حواجبهم كلما امعنوا نظرهم

وخالفهُ الاستاذ منتغزا في ذلك وقال ان مجرد الاهتمام بالامر يدعونا الى الميل اليه بحماسةً

من الحواس الظاهرة او الباطنة ولا سيما اذا كان مما يرى او يسمع فاذا كان مما يرى وهمنا امره تراانا نميل اليهِ بكليتنا فتنحني ونحدق فيهِ كأنّ عضلات العنق والجذع كلها تحاول تقريب العين منهُ لكي لا يفوتها نظره واذا كان مما يسمع ملنا اليهِ ايضاً بكليتنا واذا كنا نسمع باذن اكثر مما نسمع بالاخرى املنا اليهِ الاذن الشديدة السمع ووضعنا الكف وراءها لكي نجمع تموُّجات الهواء. ونستطيع ان نهيج حاسة الذوق والشم واللمس لكن لا يبدو منها من الامارات الدالَّة على تهيجها كما يبدو اذا تهيج النظر والسمع . واذا كان المهيّج للحواس داخلياً في بدن الانسان اوفي مراكز شعوره العقلي انتبه له كما ينتبه الى المهيجات الخارجيَّة فترى المصاب بالسوداء المعتقد ان في قلبهِ نبضاناً شديداً او في امعائهِ حركات غير عادية يصغي الى نبضان قلبهِ اوحركات امعائهِ اصغاء الخائف الوجل كأنهُ يصغي الى وقع اقدام عدو قادم عليهِ او اصغاء الفيلسوف المفكر في اعوص المسائل الحكميَّة

واذا اشتدَّ تفكير الانسان انصرفت قوتهُ كلها الى نفسهِ اي الى باطن دماغهِ فشخص ولم يعد يبدي حركة وظهر كأنهُ غاب عن الوجود . واذا زاد التفكير شدةً زاد انصراف القوة عن عضلات الوجه حتى لم تعُد تقبض الفكين فينفتح الفم ويتدلَّى الفك الاسفل وتظهر على الوجه امارات البلادة والبله .ولكن اذا انحلَّ رباط التفكير ولو بكلمة يقولها الانسان عادت الحركة الى الوجه والى سائر الاعضاء التي نشير بها ونحن نتكلم

ولابدَّ من الاشارات وقت الكلام واذا منعت الخطيب عن الاشارات وهو يخطب يضيق نفَسهُ حتى يكاد يختنق وبعض الناس لايستطيعون الكلام ما لم يحركوا ايديهم وارجلهم معاً . وهذه الحركات غير الحركات التي يراد بها تنبيه الاعصاب كفرك الجبين وحك الراس ونتف العثنون واللعب باللحية. والظاهر ان ادمغة الناس مختلفة من هذا القبيل فالبعض يتنبَّه دماغهم بفرك الجبين والبعض بحك الراس والبعض بنتف العثنون كما كان يفعل الحريري صاحب المقامات فقال فيهِ الشاعر

شيخ لنا من ربيعة الفرسِ ينتفُ عثنونهُ من الهوَسِ

والعثنون شعر الذقن كما في لحية الكوسج . والبعض بالمشي والبعض بالركوب والبعض باللعب بالسبحة والظاهر ان للعادة الفعل الاكبر في ذلك

ثم ان اوضاع الانسان وحركات رأسهِ ووجههِ تختلف باختلاف الشغل العقلي الذي يشغله فاذا كان يفكر في امر ظهرت على وجههِ علامات الذهول المشار اليها آنفاً واذا كان يريد ان يتذكر شيئاً غاب عنهُ ذكره شخص ببصرهِ الى الاعلى او الى الاسفل واغمض عينيهِ وفرك

جبينهُ براحة يدهِ او لطمهُ لطماً وهذه الحركات تعين الذاكرة بتهييج دقائق الدماغ

واذا شرع يتكلم اخذ جسمهُ كلهُ يساعدهُ على الكلام ويعبّر عما في نفسهِ باشارات يفهمها الناظر اليهِ وقد يراها ابلغ من كلامهِ . وما من خطيب الاَّ ولهُ اشارات يستعين بها على ابلاغ معانيهِ الى اذهان السامعين واذا لم تكن الاشارات منطبقة على المعاني او اذا كانت مناقضة لها كما اذا حفظ الخطيب خطبتهُ غيباً من غير ان يفقه معناها فجاءت اشارتهُ في غير محلها اشمأَزَّ منهُ السامعون او اغربوا في الضحك

لم نغرب قط في الضحك قدر ما اغربنا مرةً اذ سمعنا احد الظرفاء يقلد تلامذة المدارس وقد استظهروا قصيدة تنيسن المشهورة التي نظمها في وصف فرسان الانكليز وقت هجمتهم المشهورة في حرب القرم فانهُ كان ينطق بها كتلميذ حفظها غيباً وحفظ الاشارات التي يشار بها معها . وصار يتلو البيت وينسى ان يبدي الاشارة معهُ فيشير بها بعدهُ وقد يخطئ فيشير بعكس المراد ثم يصلح خطأَهُ فيقول مثلاً امام ويشير بيديهِ الى الوراء ثم يظهر عليهِ كانهُ انتبه لخطاءهِ فيشير الى الامام وقد اغرب كل الذين سمعوهُ في الضحك كما اغربنا

والفصحاء الطلقو اللسان تتبع اشاراتهم كلماتهم كأنها جزء منها واما اهل الحصر والعي فتتقدَّم اشاراتهم على كلماتهم كأنهم يستخرجون بها الكلام من افواههم استخراجاً

واهل القرائح الوقَّادة ترى نور القريحة يتلألأ في عيونهم يبدو فيهم حينما تهيج قريحتهم ولو حاولوا سترهُ وتظهر آثارهُ في ما ينظمونهُ ويصورونهُ سواءٌ كان بالكلام او بالالوان فينفعل بنفوس القارئين والناظرين . تقرأُ مرثاةً مفجعة نظمها الراثي ودموعهُ تمحو طروسهُ فلا تستطيع الاَّ ان تشاركهُ في البكاء والتوجع . وترى صورة جميلة فتتعشقها كما تعشقها المصوّر

لكن هذه الامارات لا تبدو على وجه النابغة دائماً بل حينما تهيج قريحتهُ وفي ما سوى ذلك يكون كسائر الناس او تظهر عليهِ سمات البلادة والبله كأنَّ مصباح القريحة شديد الاتقاد فيحرّق زيتهُ سريعاً وينطفئ الى ان يوضع فيهِ زيت جديد . وليس هذا القول من قبيل التمثيل بل هو حقيقة لان القوة الآتية من الدم الى الدماغ تنفد سريعاً اذا أُفرط في استعمالها فتكل الاعصاب وتطلب الراحة الى ان يتوفَّر لها الغذاء

ويقال بنوع عام ان للنوابغ ولكل المشتغلين اشغالاً عقلية امارات واضحة ولكنها لا تبدو في وجوههم الاَّ وهم يفكرون وقلَّما يرسخ منها في الوجه الاَّ غضون الجبين وهي غير خاصة بهم ولا دائمة فيهم

انتقاء الالفاظ

دخلت مرَّةً علي جماعة من المتحككين بالادب فرأيتهم يهتزُّون طربًا ويكبرون استغرابًا وعجبًا فما استقرَّ بي المجلس حتى عرفت الذي استفزَّ عواطفهم واستخفَّ حواسَّهم فقام بها وقعد وهو انهم كانوا يتلون قصيدة الاخطل في وصف حمار الوحش ويعجبون لما فيها من البلاغة حاسبين معرفتها معترك الفصاحة وجلَّ ما يُراد من حسن البيان . واذ استطلعتهم جهة الحسن فيها لم يكن لديهم ما يقولون الاَّ ان بلاغتها قائمة بما فيها من الالفاظ المُغلقة حتى ان علماء هذا الزمان لا يستطيعون فهمها بدون الاستعانة بالمعاجم الضخمة . فقلت لهم رويدكم يا قوم فهي ليست على ما تزعمون من البلاغة ونظمُ مثلها ليس بالعمل الشاقّ وان كانت البلاغة تقوم عندكم بالغرابة فاذا شئتم نظمتُ لكم الآن على البحر والقافية الفاظًا لا يفهمها احدٌ منكم فقالوا هاتِ ان كنت من فرسان هذا الميدان لنلقي اليك مقاليد الكلام وحسن البيان فقلت على البديهة :

سحَّالـــ أُغربةٍ رفَّت سواجلهُ وداعلة كروفُ الدهرِ فاندعلا
يحبو علي خُصُفٍ والبَثقُ غايتهُ كانهُ من بلُّوم المستفار شلا

فصاحوا بي مهلاً لنكتب هذه الآيات الباهرة كي لا تضيع فائدتها واخرج بعضهم قلمًا وقرطاسًا فانكبُّوا على التدوين واندفعت في الاملاء الى ان امليتُ عليهم اكثر من عشرين بيتًا من هذا النوع . وبعد ان اوسعوني اطراءً واعجابًا وآنستُ منهم الدعة والسكون قلت لهم اتحسبون ما اخذتم عني الآن بليغًا ؟ قالوا كيف لا نحسبهُ كذلك ونحن لم نفهم منهُ شيئًا . قلت ولا انا فهمت منهُ شيئًا قالوا وكيف ذلك قلت لانهُ ليس فيهِ شيءٌ يفهم وما هو الاَّ الفاظ مرتجلة لا معنى لها ومثلي معكم مثل ذلك الطبيب الذي جاءهُ رجلٌ فقال : اصلحك الله اكلت من لحوم هذه الجوازل وطسيت طسَّةً فاصابني وجع بين الوابلة وداية العنق فلم يزل ينمو ويربو حتى خالط الخابل والشراسيف فهل عندك دواءٌ . قال الطبيب نعم خذ خربقًا وسلفقًا وشربقًا فزهزهقهُ واغسله بماء روب واشربهُ . فقال المريض لم افهمك قال الطبيب ما افهمتك الاَّ كما افهمتني . وانتم لم تفهموا من ابيات الاخطل اكثر مما فهمتم من اياتي فلا ترجعوا عن مدح ما كتبتم لاجل امر معنويّ لا يهمكم قالوا قد فهمنا ما تريد وانك لا تنوي الاَّ تنبيهنا الى معاني الكلام دون الفاظهِ قلت نعم انني اريد بعض ما ذكرتم لان اللغة ليست الاَّ وسطًا شفافًا بين الافكار تمرُّ فيها المعاني وتنقل بواسطتها من المتكلم الى السامع كما تمرُّ اشعَّة النور في الزجاج وتصل الى العين وبنقاوة الزجاج مما يوقف الاشعة ويحول دون نفوذها تزيد صور الاشباح

وضوحاً وجلاء . فاللغة نتيجة الفكر والغرض منها التفاهم ونقل ما يدور في وجدان زيدٍ الى وجدان عمرو وهذا هو المقصد الاول من وضعها ولاجل هذه الغاية تكيَّفت في الانسان اعضاء الصوت واجزاء الفم تكيُّفاً تدريجيًا الى ان بلغت مبلغًا تستطيع معهُ الافصاح عما يتولد في العقل من المعاني باصواتٍ ومقاطع اصطلح عليها البشر لتدلّ على ما يريدون من الصور . فالنطق في الانسان نشأ مع عقلهِ وكما زاد الدماغ اتساعاً زاد اللسان بياناً . ومثلكم بالالفاظ التي لا تفهمون معناها مثل من ينظر الى الاشباح من وراء برقع كثيف لا يرى الاَّ ذلك البرقع وبها لا يدرك غرض التفاهم المطلوب من اللغة والذي هو اوَّل اغراضها . فقال احدهم : إذَنْ لا شيءَ من الاهمية للالفاظ في حسن البيان قلت ان غاية اللغة غاية معنويَّة لا غاية لفظيَّة وايّ لفظٍ اتفق المتفاهمان على دلالتهِ يصير حريًا بتلك الدلالة بينهما وهي تكون مصاحبة لهُ ايَّان برز . على انهُ مهما كانت المعاني اصليَّة في غاية اللغة ومهما كان للصناعة المعنويَّة في الانشاء من الاهمية الكبرى فللاَلفاظ شأن ليس بالقليل في تحسين تلك المعاني وتحبيب صورها للعاطفة العقلية وسبب ذلك على ما ارى هو ان الاوضاع اللفظية تتحد بالمعاني التي وضعت لاجلها وتصبح من جملة خواصها وصفاتها والصور العقلية تجمل بجمال صفاتها وتقبح بقبحها . فكما ان السماء جميلة بنجومها واتساعها ولونها الازرق كذلك هي جميلة باسمها الرقيق اللين الذي ينطق بهِ الفم وتسمعهُ الاذن ويتلقاهُ العقل بدون ادنى تبرّم او استكراه وعند ما تمرُّ صورتها في خاطرنا تمرُّ مصحوبة باسمها فلو كان ذلك الاسم كريهاً على السمع ونابياً عن الطبع لحطَّ من قدر جمالها ونقص من بهائها وكمالها . لذلك يتحتم على الكاتب والشاعر والخطيب ان يختار لمعانيهِ احبَّ الالفاظ الى الاذن واقربها الى الفهم

قال آخر : اذا كان الامر كذلك وكلمة واحدة تفي بالمعنى الواحد فلماذا عُني واضعو اللغة بوضع المترادفات الكثيرة للدلالة على المعنى الواحدة

قلت : ان اولئك الواضعين كانوا متفرقي الكلمة ومشتتي المساكن فلم يتيسَّر لهم ان يؤلفوا وهم في حال الهمجيَّة والبداوة مجمعاً لغويًا يتكفل اعضاؤُهُ بوضع الفاظٍ مرتجلة او كلمات مشتقة للمعاني التي تحدث بين القبائل فصارت كل فصيلة من فصائلهم تضيف الى الاوضاع الاساسية اوضاعاً جديدة تمسُّ الحاجة اليها وتجريها على ألسنة افرادها بينما غيرها من الفصائل المجاورة كانت تضع لتلك المعاني نفسها الفاظاً غير تلك وهذا احد الاسباب التي اوجدت المترادفات في كلِّ لغةٍ من لغات العالم . وقد يمكن ان القبيلة الواحدة وضعت للمعنى الواحد اكثر من لفظةٍ او ان تلك الالفاظ كان بينها يوم وضعها فروق دقيقة نسيها الخلف حتى اصبحت اليوم بمعنى واحد .

نعم ان وجود هذه المترادفات لمّا يُربك الكاتب ويضعهُ موضع الحيرة في ايها يختار لجملتهِ الاَّ ان صاحب الذوق السليم يميّز بين مليحها وقبيحها ويدرك بحسن اختبارهِ ايّ المترادفات اليق لعبارتهِ واقوم بحاجتهِ مع مراعاة المقام من جهة الانفعال والسكينة. مثال ذلك السيف والصارم فانهما بمعنى واحد الاَّ ان السيف يفيد معنى الآلة في جميع حالاتها مغمدًا ومسلولاً والصارم باشتقاقهِ من الصرم يفيد معنى القطع فلا يليق استعمالهُ الاَّ اذا اريد الاشارة الى فعلهِ فلا يقال بدل تقلّد سيفهُ وخرج مثلاً تقلّد صارمهُ وخرج بل يقال "فرّجت جيشهم بالصارم الذكر". وينظر ايضًا الى عدد الحروف ليختار اكثرها حروفًا في مقامات الانفعال والشدّة كالجحفل الجرار بدل الجيش في قولهِ

خلّوا لنا ماء الفُراتِ الجاري او فاثبتوا لجحفلٍ جرّارِ

اذ الموقف يستدعي التهويل والتعظيم وكلما امتدَّ الصوت وتمكنت مخارج الحروف كان التعبير اوفى بالغرض واكفل للغاية. والجيش احسن من الجحفل في قولنا لمّ بقايا الجيش وتساندبهم. في الكلام المصحوب بالسكينة والهدوّ تختار الالفاظ القصيرة والرقيقة على الطويلة الجزلة. ومثل ذلك قول المتنبي

امعفّر الليث الهزبرِ بسوطهِ لمن ادّخرت الصارم المصقولا

فبما ان المقام يقتضي الفخامة والمبالغة استعمل معفّرًا بدل جادل والليث الهزبر بدل الليث وحدها وادّخر بدل ذخر والصارم المصقول بدل السيف. كذلك اذا كان لاحدى المترادفات معانٍ كثيرة لا يجوز انتقاؤها للعبارة تخلصًا من الالتباس فلا يقبل استعمال الخال بدل البرق الاَّ اذا قامت على هذه الدلالة قرينة قاطعة كأن يقال اومض الخال. ومن ذلك ترى ان المترادفات لم توضع بدون حاجة اليها ولا يمكن الاستغناء عنها في اللغة انما يجب على الكاتب ان يفهم معانيها فهمًا دقيقًا ويراعي ما ينبهُ لفظ كلٍّ منها من العواطف فلا يجيء في كلامهِ الاَّ بما كان راسخًا في محلهِ آتيًا على آخر الدلالة

قال آخر. قرأت في كتاب طبع حديثًا ان افصح الالفاظ ما كان كثير الاستعمال ويفهمهُ الخاصة والعامة وان فصاحة اللفظ تقاس بعدد الذين يفهمونهُ. فماذا تقول في ذلك

قلت: لا انكر ان اللفظ المفهوم هو افصح من المجهول واجدر منهُ بالاستعمال الاَّ انني اكرهُ ان يجرّنا هذا القول الى ترجيح المبتذل فقد نبّه اكثر علماء البيان على ان اللفظ الذي مضغتهُ افواه العامة وكثر دورانهُ على ألسنتهم في المقامات الدنيئة يختار تركهُ والتجانف عنهُ توفرًا على البلاغة اذ هو تمجهُ النفوس وتلفظهُ العقول لانهُ قد اذالتهُ كثرة الاستعمال واهانهُ الابتذال.

قرأت مرة ان احد ادباء الانكليز عرض مقالة على كاتب بليغ وطلب منهُ انتقادها فقال الكاتب كلها جميلة بليغة الأ ان عبارة Buchered to make a Roman holiday لم استحسنها قال الاديب " اعجب من عدم استحسانك اياها على ما هي عليهِ من البلاغة والشهرة والشيوع" فقال الكاتب " نعم هي بليغة ولكن بعد ان تسمع ثمانية عشر الف مرَّة تصير مملولة " كذلك نقول نحن عن العبارات التي اولع بها الكتَّاب مثل كالشمس في رابعة النهار . لا يختلف فيهِ اثنان . ان اصبت فرمية من غير رام . الصفح من شيم الكرام . زاد الطين بلة . تفرَّقوا ايدي سبا . حدّث ولا حرج . ضرب الجهل اطنابهُ وكثير غيرها نعم ان هذه العبارات حسنة الوضع وافية بالغرض غير انها صارت مسؤومة مملولة ولنا في غيرها غنية عنها. ولا يوجد في اللغة كلام يصحّ فيهِ قول الشاعر

مشرقٌ في جوانب السمع لا يُخـــلقهُ عودهُ على المستعيدِ

او قول الآخر

وهو المشبّعُ بالمسامع ان مضى وهو المضاعف حسنهُ إن كرّرا

اذ هو مبالغة في وصف الكلام الممدوح تدعو اليهِ الصناعة ولا يخرج عن حد قول الآخر

أَعِدْ ذكرَ نعمانٍ لنا انَّ ذكرهُ هو المسك ما كرَّرتهُ يتضوَّعُ

بيد ان اعصاب الشمّ اذا طال عليها استنشاق المسك تألفهُ ولا تعود تشعر لهُ برائحة كما اذا وضعت وردة على خيشومك واطلت شمَّها . وامر المسك ينطبق على الالفاظ والعبارات فكلّ قول يكثر تكرارهُ على السمع يألفهُ العقل ولا يعود يحس معهُ بالمعنى الذي وضع اللفظ لاجلهِ. نحن نكتب لآحاد الناس "جناب الاجل الامجد" ولا نشعر معها بشيء من الجلال والمجد امَّا لو ترجمناها الى الانكليزية وقلنا The most majestic and the most glorious او الى الافرنسيَّة وقلنا Le plus majestueux et le plus glorieux لاهتزت عند لفظها اعصابنا وارتعدت فرائصنا وشعرنا اننا نخاطب الخالق جلَّ شأنهُ . وهذا نشاهدهُ ونشعر بهِ عند ما نسمع واعظاً فصيحاً يخطب بلغة اجنبية نفهمها فاننا ننفعل من كلامهِ ونشعر بتأثرٍ جديد واذا نقلنا اقوالهُ الى لغتنا لا نجد فيها اكثر من كلمات مبتذلة ومعانٍ كثيراً ما طُرِقت فلا تمرُّ منّا الاَّ على قلوبٍ جامدة ونفوسٍ باردة . وهذا الفرق ما نشأ الاَّ من الابتذال وكثرة الاستعمال وعندنا ان الجليل اعظم من الاجل والماجد اكبر من الامجد وهو مخالف للوضع ولذلك لا محل بعدُ للريب ان الالفاظ التي لاكتها افواه العامة في المواضع الدنيئة يختار اجتنابها كما يختار اجتناب الغريب النافر

فقال حَسْبُكَ عن الابتذال واذكر لنا شيئًا عن الغريب النافر فهو الذي اوصلنا الى ما نحن فيهِ

قلت: هما عيبان اختار إفرادهما رغبةً بمعاير الكلام عن الامتزاج . فالغريب هو ما ندر ورودهُ في ادبيَّات السلف وقل استعمالهُ حتى يكاد المطالع لا يعثر عليهِ الاَّ في المعاجم الكبيرة والالفاظ الغريبة قد تكون رقيقة او جزلة تسمعها الاذن وتُسيغها بدون تكلُّف وخالية من كل ردَّةٍ يكرهها الذوق الاَّ ان ذلك لا يُغني عنها شيئًا اذا لم تكن قد وردت مرَّات كثيرة في مقالات البلغاء . ولا يُلام احدٌ اذا جهل دلالة مثلها لانهُ لا يكلَّف محترفو حرفة الادب ان يدرسوا المعاني الاَّ اذا عثروا على الفاظها في تضاعيف كتب الادب واردةً في عباراتٍ يلذُّ بها القارئ . والالفاظ الغريبة والقليلة الاستعمال كانت في الجاهلية والاسلام كما هي اليوم ولم يكن يستعملها الاَّ المتقعورون المتحذلقون ادلاءً بانهم يعرفون ما يجهلهُ غيرهم او لغرضٍ آخر تبعث اليهِ الاحوال . هذه الايات التي اشتهرت ببلاغتها وفصاحة الفاظها لم يكن فيها شيءٌ يذكر من مثل هاتيك الموادّ الغريبة عندنا منها شعر السموأل واكثر ابيات الحماسة المأثورة في الحافظات وشعر زهير بن ابي سلمى وعمر بن كلثوم وعنترة العبسي وفي المخضرمين كلام الصحابة كخطب الخلفاء الراشدين ومن عاصرهم ممن تكلم بلغة قريش وهم افصح العرب . يمثلهم لنا امام البلغاء وسيّد الخطباء الامام علي بن ابي طالب الذي ادرك الجاهلية وعرف الداء على السنة اهلها وميز بين الحسن والقبيح منها فلم يورد من الغريب الاَّ القليل وكلُّ شعرهِ مثل قولهِ

الناس من جهة التمثال اكفاء	ابوهمُ آدمٌ والامُّ حوَّاء
فان يكن لهمُ في اصلهم شرفٌ	يفاخرون بهِ فالطينُ والماء
ما الفضل الاَّ لاهل العلم انهمُ	على الهدى لمن استهدى ادلاَّء
فخذ لنفسك علمًا كي تعيشَ بهِ	فالناس موتى واهل العلم احياء

وجلُّ نثرهِ على هذا الحذ: "لا تطولنَّ احتجابك عن رعيتك فان احتجاب الولاة عن الرعية شعبة من الضيق وقلة علم بالامور والاحتجاب منهم يقطع عنهم علم ما احتجبوا دونهُ فيصغر عندهم الكبير و يعظم الصغير ويقبح الحسن ويحسن القبيح ويشاب الحق بالباطل" وفي التهديد كقولهِ لمعاوية "وذكرت انهُ ليس لي ولاصحابي الاَّ السيف فلقد اضحكت بعد استعبار متى الفيت بني عبد المطلب عن الاعداء ناكلين وبالسيوف مخوَّفين فسيطلبك من تطلب ويقرب منك ما تستبعد وانا مرقل نحوك في جحفل من المهاجرين والانصار والتابعين لهم باحسان شديد زحامهم ساطع قتامهم متسربلين سربال الموت احبُّ اللقاء اليهم لقاء ربهم قد صحبتهم ذريةٌ بدريَّة وسيوفٌ هاشمية عرفت مواقع نصالها وما هي من الظالمين ببعيد" ولا يحتجُّ بما اوردهُ

من بعض الالفاظ الغريبة في كلامهِ فان هذا منهُ ما وضعهُ غيره ُ ونسبة اليومنة ما دفعتهُ اليهِ كثرة المادَّة وغزارة المعرفة في الفاظ العرب وهو قليل جدًّا في جنب ما له ُ من الكلام السلس واللفظ الرقيق الجزل . وليس الامر كما يظنُّ لاوَّل نظرةٍ ان الغريب اليوم كان مألوفًا عندهم لانهُ لو كان كذلك لاستعملهُ كلُّ شعرائهم وخطبائهم . وعلى هذا المنوال نسج الكتاب البلغاء مثل ابن المقفع وعبد الحميد والصاحب وابن العميد والصابي وابي بكر الخوارزمي وبديع الزمان وابن الاثير وابن خلدون والمسعودي وغيرهم ولا عبرة بما جاء في بعض الكتب اللغويَّة كمقامات الحريري من الالفاظ الغريبة التي لا نألفها اليوم فغرض صاحبها كان ان يجمع كتابًا يقيّد فيهِ شوارد اللغة فالكتب التي من هذا النوع هي معاجم تجمع فيها الكلمات لا كتب ادبية يستن بسنتها ويجرى على خطتها . وان ورود اللفظة مرَّتين او ثلثًا في كلام اساطين البلاغة لا يكفي لتجويز استعمالها وهذا مما يجب الانتباه اليهِ عند الانشاء فلا يوَرَد الاَّ ما كان بين المتأدبين . وقع لي مرَّةً ان رايت في خطب الامام عليٍ قوله ُ يهرّون بعضهم بمعنى يكرهون فعلقت في ذهني واستعملتها اذ عرض لها موقع في مقالةٍ قدمتها للمقتطف فآخذني بها صاحبهُ العلامة الفاضل وكتب اليَّ يقول انهُ لا مزيَّة لهذه اللفظة على مرادفتها كره الاَّ بان هرَّ مجهولة متروكة وكره مفهومة شائعةُ وانهُ يستحسن الاعتياض عن تلك بهذه حرصًا على راحة القراء وكفايتهم موُّونة الحملقة في المعاجم.هذا ما يغرّر بالكتاب اليوم وينشطهم على الخام الغريب في عباراتهم حاسبين ان كل ما يستعملهُ بلغاء السلف لا يكون غريبًا وان كان فهو ثقيل محمودٌ

اما النافر فاريد بهِ ما تكرهه الاذن ويتبرم بهِ اللسان سواءٌ فهم معناهُ او لم يفهم فان فُهِم معناهُ كان فيهِ عيبٌ واحد وان لم يفهم اجتمع عليهِ حشف وسوء كيلة عيب الغرابة وعيب النفور مثل اطلخمَّ في قول ابي تمّام

قد قلت لما اطلخمَّ الامر وانبعثت   عشواء تالية غبسًا دهاريسا

اطلخمَّ بمعنى اسودَّ والعشواء الظلماء والدهاريس الدواهي وكل البيت غريب نافر ولا يخرج منهُ معنى جليل هذا مع ان صاحبهُ يقول

ومالكَ بالغريب يدٌ ولكن   تعاطيك الغريبَ من الغريب

فهو ينهي عن المنكر ثم يرتكبهُ . ومن هذا القبيل لفظة العطبول في بيت المتنبي يخاطب حبيبهُ ويشير الى الشمس

مثلها انتِ لوَّحتني وأسقمتِ   وزادت ابها كما العُطبولِ

وزاد عمر بن ابي ربيعة عليها ياء فزادها غلاظةً خصوصًا لانهُ جاء بها في معرض رثاء نظمهُ

لامرأة المختار التي قتلها مصعب بن الزبير

ان من اعظم المصائب عندي قتلَ حوراء غادةٍ عيطبولِ
كُتبَ القتل والقتال علينا وعلى الغانيات جرُّ الذيولِ

واغلظ منها قول المتنبي بدل نخرت

جَفَخَتْ وهم لا يجفخون بها بهم شيمٌ على الحسب الاغر دلائلُ

سمع اعرابيٌّ ابا المكنون النحويَّ يجأر في دعاء الاستسقاء ويقول " اللهمَّ اسقنا غيثًا مريعًا مجلجلاً مسحنفرًا سحًّا مسفوحًا دِراكًا لِكاكًا طبقًا غدقًا متفجرًا " فقال يا خليفة نوح هذا الطوفان وربِّ الكعبة دعني حتى آوي الى جبلٍ يعصمني من الماء . وسمعهُ يقول في يوم برد هذا يوم بلَّة عصبصب بارد هلوف فارتعد وقال هذا والله مما يزيدني بردًا . وقال ابو الاسود الدؤلي لابي علقمة ما حال ابنك قال اخذتهُ الحمَّى فطبختهُ طبخًا ورضختهُ رضخًا فتركتهُ ترخًا فطلَّق زوجتهُ فتزوَّجت بعدهُ وحظيت وبظيت . قال فما بظيت قال لهُ حرف من الغريب لم يبلغك بعد فقال يا ابن اخي كل حرفٍ لا يعرفهُ عمُّك فاسترهُ كما تستر السنَّور فرثها . ولا يشفع للكلمة الغليظة كون معناها مفهومًا فهو قد يكون معروفًا عند القارىءِ وتبقى اللفظة مع ذلك خشنة مكروهة من ذلك قولهم اشمخرَّ واسبطرَّ وابذعرَّ والحيزبون والنقاخ والدرديس والعطوس ومئات غيرها من الالفاظ الشائعة بمعانيها والمكروهة بالفاظها وما احسن ما قالهُ صفيّ الدين الحلي

انما الحيزبون والدرديسُ والطخا والنقاخ والعلطبيسُ
لغة تنفر المسامع منها حين تروى وتشمئزُّ النفوسُ
وقبيحٌ ان يُتبع النافر الوحـــشيُّ منها ويترك المأنوسُ
انمـا هذه القلوب حديدٌ ورقيق الالفاظ مغناطيسُ

هذا وامثال الغريب النافر في ما انتهى الينا من اساطير السلف اكثر من ان يحصى ولا يستعملهُ الآن الاَّ من جفتهُ الرقَّة ونَدَّت عنهُ سلامة الذوق

قال آخر . ان كان الامر كما تقول وجب ان تطرح جميع الالفاظ التي هي من هذا القبيل وهي تقرب من ربع اوضاع اللغة او تزيد فلماذا وضعت اولاً ثمَّ ما هي الغاية من حفظها اليوم ؟

قلت ان الالفاظ التي تسميها غريبة او نافرة او وحشية قد يعرض لها مواقع يعرفها اصحاب الذوق فتقبل على ما فيها من العيوب . يمجها الذوق وينبو عنها الطبع في عبارة لا تليق بها او في سياق معنى لا يناسبها ثم يطرب لها هذا وذاك اذا وردت في المواقع التي تليق بها وهذا لا يقتصر على الالفاظ الوحشيَّة والغريبة بل يتخطاها الى جميع الفاظ اللغة . تستحسن في محلٍ

وتستهجن في آخر ولاجل الاستئناس نورد بعض الشواهد في هذا الوجه :

قال بشر يصف مصرح الاسد واجاد

فخرَّ مضرَّجاً بدمٍ كأني هدمت لهُ بناءً مشمخرّا

اذ لا بأس باللفظة الوحشية اذا استعملت في وصف قتال الوحوش فهي هناك تصادف محلها وتنزل منزلها وما اكرهها في مواقف التأدب ومقامات الكمال والسلاسة مثلما جاءت في كتاب لاحد المتفيهقين "لازال نائلكم مسبطرّا وسعدكم مشمخرّا" وهي غير لائقة في في ما وردت من كلام الخطيب ابن نباتة "اقمطرّ وبالها واشمخرّ نكالها" ومن ذلك لفظة البعير في قول المتنبي

يا طفلة الكفّ عبلة الساعدْ على البعير المقلّد الواخد

زيدي اذى مهجتي ازدكِ هوًى فاجهلُ الناسِ عاشقٌ حاقد

فان البعير مع هذا المعنى الرقيق واللفظ الرشيق جعل عجز البيت الاول بعيريًّا وقد وقعت موقعها في قول العباس بن مرداس

لقد عظم البعير بغير لبٍّ ولم يستغنِ بالعِظَم البعيرُ

واغلظ من كل ذلك قول المتنبي في احدى عيون قصائدهِ

لا تجزني بضنًى في بعدها بقرٌ تجزي دموعيَ مسكوبًا بمسكوبِ

فان كنايتهُ بالبقر عن الغيد الحسان يذكّر القارئ بالعجول والثيران ومع ان الطبع قد مجّها في هذا البيت فهو يطرب لها في بيتهِ القائل

عليَّ نحتُ القوافي من معادنها وما عليَّ اذا لم تفهمِ البقرُ

ومنهُ ان بشّارًا سمع قول كثيّر

الا انما ليلى عصا خيزرانةٍ اذا غمزوها بالاكفّ تلينُ

فقال قاتل الله ابا صخرٍ يزعم انها عصا ثم يزعم انها خيزرانة ولو قال عصا مخٍّ او عصا زُبْد لكان قد هجن مع ذكر العصا هلاَّ قال كما قلت :

ودعجاء المحاجر من معدٍّ كأنَّ حديثها ثمرُ الجنانِ

اذا قامت لحاجتها تثنَّت كأنَّ قوامها من خيزرانِ

وليس لفظ العصا مكروهًا بنفسهِ وانما الموقع جعلها كذلك وانظر ما الطفها في قولهِ

اذا جاء موسى والقى العصا فقد بَطَلَ السحرُ والساحرُ

ومع ان بشارًا اظهر سلامة ذوقهِ في انتقاد بيت كثير نراهُ قد هجن اكثر منهُ في قولهِ

انما عظم سليمى حبتي قصب السكّر لاعظم الجمل
وإذا ادنيت منها بصلاً غلب المسكُ على ريح البصل

وهذا من عجيب التناقض انك كرهت البصل في بيت بشارًا ولست تكرههُ في بيت ابن الوردي

انما الورد من الشوك ولا ينبتُ النرجسُ الاَّ من بصل

ومن هذا الباب قول اسماء بنت عبد الله ترثي زوجها

ابكي عليكَ ياعروس الاعراس يا ثعلبًا في بيتهِ للايناس

انظر ما اقبح الثعلب للدلالة على الوداعة وهو احسن من الغزال اذا جاء في محلهِ اللائق بهِ كقول محمود سامي باشا يصف كلب الصيد

يكاد يفوق البرق شدًا اذا انبرت لهُ بنت ماء او تعرَّض ثعلبُ

ومنهُ ايضًا قول ابن سناء الملك من قصيدة

صليني وهذا الحسن باقٍ فربما يُعزَّل بيت الحسنِ منهُ ويُكنَسُ

فكتب اليهِ القاضي الفاضل يقول "القصيدة فائقة في حسنها بديعة في فنها الاَّ ان بيت يعزَّل ويكنَس اردتُ ان اكنسهُ منها لان لفظة الكنس غير لائقة بمكانها" وهذا نقد صحيح لان تصوُّر وضع المِكنَسة على الوجه الجميل قبيحٌ ومكروه . وقد عبَّر المتنبي عن هذا المعنى بالطف الكلام حيث قال

زوّدينا من حسن وجهك ما دا مَ فحسنُ الوجوه حالٌ تحولُ
وصلينا نصلكِ في هذه الدنيـــا فانَّ المُقام فيها قليلُ

وقد المَّ بهِ شكسبير شاعر الانكليز فهجَّن مثل هُجنة ابن سناء الملك فقال بلسان فنيس تخاطب ادونيس : انتهز الفرصة ولا تدعها تُفلِت . الحسن لا يجوز ان يضيع فالازهار التي لا تجمع في اوقاتها تَعفَنُ وتفنى في زمن قليل" فهو يؤاخذ على ذكر العفن في هذا المقام

ومما يذكر في هذا الباب قول محمود سامي باشا

نلينُ وان كنا اشدَّاء للهوى ونغضب من شروى نقيرٍ فنشتدُّ

اذ انَّ تعليق الغضب على مقدار شروى نقير مخالف للرزانة والتعقُّل ومع ان هذا المعنى جليل نفيس فقد افسدتهُ اللفظة وانظر ما احلاهُ واجلَّهُ في قول الآخر

نبارز ابطال الوغى فنبيدهم ويقتلنا في السلم لحظ الكواعبِ
وليست سهام الحرب تفني نفوسنا ولكن سهامٌ فوِّقت بالحواجبِ

واحلى منهُ قول الآخر

نحن قومٌ تُذيبنا الاعين النجـــلُ على اننا نذيبُ الحديدا

وترانا لدى الكريهـة احرا رًا وفي السلم للحسان عبيدا

ومما يجمل ذكرهُ تحت هذا الفرع اقحام اللفظة في مكانٍ لا يصلح لها ولا تصلح لهُ وذلك ان كثيرين من المتسلقين على حرفة الادب تعلق في اذهانهم بعض الالفاظ التي يسمعونها من المتضلعين ويحسبونها فصيحة وجديرة بالاستعمال فيحتالون عليها في كلامهم وينصبون لها الاشراك ليستنبطوا لها محلاً متقلقلاً في عباراتهم ويقحموها اليهِ ولو كانت ليست منهُ ولا هو منها . من ذلك ما جرى بمسمعٍ مني وهو ان واعظاً قرأ رسالة الحجاج الى المهلّب التي يختمها بقولهِ " والاّ اشرعت اليكَ صدر الرمح " وجواب المهلب مختوماً بقولهُ " فان فعلتَ قلبت لك ظهر المجنّ " فاستحسن العبارتين وظن ان استعمالها في الصلاة يثبت لهُ طول الباع فوقف امام الجماعة مصلّياً وقال بعد الحمد " اللهمَّ اغفر لنا ذنوبنا الكثيرة فاننا قد اشرعنا اليك صدر الرمح وقلبنا لك ظهر المجنّ فلا تعاملنا الاّ برحمتك الخ " وهذا يشبه ما يحكى ان احدهم واسمهُ طنوس رأى خاتم رجل اسمهُ حسن منقوشاً عليهِ " ظني بالله حسن " فراقتهُ العبارة واحبَّ ان يقلدها فنقش على خاتمهِ " ظني بالله طنوس " . وتبوئة الالفاظ مراتب لا تليق بها كثير في ادبيات العرب ونجد منها العشرات والمئات في المنقول عن فحول الشعراء واكابر الكتّاب على رسوخ قدمهم في الانشاء وعلو كعبهم في الادب ووقوع مثل من ذكرنا في هذه المناقد يحقق لنا ان الكمال صفة الهيَّة لا قِبَل للبشر بها (ستأتي البقية) فارس الخوري

الانتحار الديني في روسيا

اذاعت الجرائد الاوربية منذ بضع سنوات ان في جنوبي روسيا شيعة دينية تفرض على اعضائها الانتحار . فتوجه الاستاذ سيجورسكي مدرس علم الامراض العقلية والعصبية في كلية كيف بروسيا لتحقيق ما شاع وذاع عنها وكتب على اثر ذلك كتاباً عنوانهُ " وبأ الموت الاختياري والانتحار في مزارع ترنوفا " نقتطف منهُ ما يأتي لما فيهِ من الفكاهة والغرابة ودواعي الضحك والبكاء . قال

موطن هذه الشيعة وادي نهر دنيستر الخصيب في مزارع تحفُّ بقرية ترنوفا التي تخص عائلة كوفالوف . وكانت هذه العائلة من المنشقين . ولها مزرعة فيها بناء اتخذهُ المنشقون ملجأً يلجأ اليهِ كلُّ من كان منهم مريضاً او على سفر او عاجزًا او مضطهدًا منذ نحو قرن . وظاهر

من هيئة بنائهِ ان سكانهُ طلبوا الاختفاء فيهِ خوفاً على انفسهم من الاضطهاد ففتحوا لهُ المداخل والمخارج الى جميع الجهات تسهيلاً للهرب عند احداق الخطر. وهم لا يخرجون منهُ الا منفردين وخروجهم يكون ليلاً . وليس لهم ما يعملون سوى اقامة الصلوات وقراءة الكتب والتحدث بالاحاديث الدينية

وفي خريف سنة ١٨٩٦ اخذ منهم الهياج مأخذهُ لسبب غير معروف وكانت امرأة اسمها مادام كوفالوف رئيسة على المزرعة حينئذٍ وامرأة اخرى اسمها فتاليا رئيسة على البناء اما الاولى فكانت متقدمة في السنّ ساذجة محسنة . واما الثانية فكانت شديدة الهمة كثيرة الزهد . كانت تقرأ الكتب الدينية وتتحدث هي وبعض اصحابها عن الاضطهاد والحروب والخدمة العسكرية الالزامية ونهاية العالم ومما كانت تقولهُ ان المنشقين سينفون او يسجنون . فتمَّ الاتفاق بين اعضاء هذه الجماعة انهم اذا سجنوا ينقطعون عن الاكل ويلوذون بالصيام حتى يموتوا جوعاً . ولكن خطر ببالهم امر اولادهم وزادت هواجسهم حينما اخذوا يفكرون في مصيرهم بعد موتهم واستولى عليهم القلق واليأس عندما جعلوا يفكرون ان الحكومة تكرههم على المعمودية في كنيستها

وبعد عيد الميلاد شاع ان الحكومة ستشرع في احصاء الاهالي وكتابة اسمائهم وجمع الشبان للخدمة العسكرية فقالت فيتاليا ان الحرب قريبة وان المسيح الدجال سيظهر وان الاكتتاب المذكور ختم الدجال فخيرٌ لهم ان يموتوا بالجوع الاختياري وينجوا من جميع هذه الاضطهادات والمخاوف . فاقترحت بنت عمرها ثلاث عشرة سنة ان يختار الدفن على غيرهِ من وسائل الموت وانما اقترحت ذلك بايعاز من فيتاليا وقالت انهم في السجن يعذبوننا ويقتلوننا فخيرٌ لنا ان نُدفن احياء . فاستحسنت امها ذلك واستحسنتهُ ايضاً كنَّة ما دام كوفالوف وضمت طفلها الى صدرها وقالت اني لا استطيع تركهُ للهلاك بل افضل انزالهُ معي الى القبر . الاَّ ان زوجها واسمهُ ثيودور كوفالوف خالف الجميع في هذا الرأي . وكانت فيتاليا تقول انهُ بقدر ما في المطر من القطرات كذلك في جهنم من العذاب لغير المؤمنين . اما المؤمنون فيقاسون العذاب يومين او ثلاثة في قبورهم ثم يدخلون السماء

وكان بعض اعضاء هذه الشيعة يخامرهم الريب في امر الانتحار . ولكنهم عدوا الموت الاختياري شيئاً آخر . فان تاريخ اسلافهم واجدادهم مملوء باخبار الموت حرقاً وغرقاً ودفناً وكانوا احياناً يقدمون على الموت جماعات لينجوا من الاضطهاد واكراه الحكومة لهم على حفظ قوانينها واحكامها . فلما وقف رجال الاحصاء بباب مسكنهم دفعوا اليهم ورقة فيها ما يأتي

نحن مسيحيون ولا يؤذن لنا ان نقتبس بدعاً جديدة ولا نرضى بكتابة اسمائنا ومساكننا المرة بعد المرة

وليلة الثالث والعشرين من دسمبر أُقيمت الصلوات ولبس الذين يستعدون للدفن ثياب الموت المختصة بشيعتهم ودخلوا القبر وهم تسعة رجل عمرهُ ٤٥ سنة وامرأتهُ وعمرها ٤٠ وابنتهُ وعمرها ١٣ وزوجة ثيودور كوفالف وعمرها ٢٢ وولدان لها عمر الواحد ٣ سنوات والآخر طفل رضيع. وامرأة عمرها ٣٥ وشيخ عمرهُ ٧٠ . ثم تقدَّم الرجل المذكور اولاً ووقف بباب القبر من داخل ووقف ثيودور كوفالف ببابهِ من الخارج وسدَّاه بالحجارة والتراب وهو قبر ضيق طولهُ ١٢ قدماً وعرضهُ كذلك وارتفاعهُ من وسطهِ خمس اقدام ونصف قدم . وكان مع المدفونين شموع وكتب دينيَّة وصور قديسين

وجرى الدفن الثاني ليلة ٢٧ دیسمبر في حفرة تبعد ميلاً عن المدفن الاول. فحفرت حفرة اخرى في احدى زوايا الحفرة الكبيرة ودفن فيها ستة اشخاص بينهم ثلاثة اولاد عمر الواحد ٧ سنوات والثاني اربع والثالث اثنتان . واختلف رجل وامرأتهُ في اللحاق بهم فاخذ ابنتهُ وعمرها سنتان ودخل الحفرة بها ليدفنها معهُ

وفي الخامس من فبراير قبضت الحكومة على فيتاليا وستة اشخاص آخرين لانهم رفضوا الخضوع لقوانين الاحصاء والاكتتاب واودعتهم السجن فابوا ان يأكلوا او يشربوا قائلين ان دينهم يطلب منهم تحصيل عيشهم بعرق جبينهم . واستمروا كذلك اربعة ايام ولو لم تطلق الحكومة سراحهم لظلوا كذلك حتى ماتوا جوعاً

وليلة ١٢ فبراير جرى الدفن الثالث وكان المدفونون اربع نساء وقد توسلن الى ثيودور المذكور ان يحفر القبر لهنَّ فاجابهنَّ الى ما طلبنَ وانزل اختهُ الى القبر ايضاً لان ما المَّ بها من الضعف اثر السجن اضعفها عن النزول وحدها . ثم شرع يهيل التراب على اقدامهنَّ اولاً ثم ابدانهنَّ فرؤوسهنَّ وجعل يدوسهُ بقدميهِ . وقال فيما بعد انهُ لم يسمع صراخ استغاثة منهنَّ وهو يدفنهنَّ

ولما تمَّ الدفن الثالث حزنت ما دام كوفالف على ما جرى وخامرتها الريب والشكوك وشعرت بجسامة عملها واما فيتاليا فشعرت انهُ يجب ان تموت هي ايضاً مجدةً وكانت تهتم باقناع مادام كوفالف ان تموت معها وتخشى صور الموت واشكالهُ كلها ما عدا الموت جوعاً . فعينت يوم ٢١ فبراير لتدفن فيهِ ثم أُخر الدفن الى ٢٨ فبراير . فحفر ثيودور واخوهُ ديمتري مدفناً لها وللذين عزموا على الموت معها وهم مادام كوفالف وابنها ديمتري حافر القبر لنفسهِ والباحث عن

حنقهِ بظلفهِ وفيتاليا وصديقان حميان لها ثم سدَّ القبر فتمَّ الدفن الرابع وبلغ بهِ مجموع الذين دفنوا ٢٥ نفساً ،

ويظهر مما تقدم ان لتيودور كوفالف اليد الطولى في ما جرى فانهُ دفن امرأتهُ واولادهُ واختهُ وامهُ واخاهُ بيديهِ عملاً بامر فيتاليا وكانت قد اوصتهُ قبل دفنها ان لا ياكل ولا يشرب بل ينتظر انقضاء العالم بعد يوم او يومين فعمل بالوصية اربعة ايام ولكنهُ لما رأى انهُ لم تقم حرب ولا جاءهُ احد ليقتادهُ الى السجن ولا انقضى العالم خالف الوصية وأكل

ولما انتشر خبر ما جرى وسئل عنهُ قال انهم لم يكونوا يظنون انهم يخطئون في طاعة فيتاليا لانها كانت تصوم وتصلي وتقرأ الكتب الدينية وسأل قائلاً لم يهدنا احد الى طريق الحق والصواب

فيرى القارئ من حكاية هذه الشيعة ان الانتحار ليس من مبادئها الدينية كما شاع وان العلاقة الدينية بهِ ضعيفة . بل ان عملها هذا تقليدي سببهُ معيشتها في العزلة والانفراد والجهل المطبق فنشأ اعضاؤها كثيري المخاوف والاوهام فقادهم جهلهم الى اتباع طرق غريبة لمقاومة الاعداء والاخطار الوهمية وهذا كلهُ يقود الى التعصب الديني في افظع حالاتهِ . واذا انقاد رجل بضعف ارادتهِ وتسليمهِ الاعمى ليكون آلة صماء في ايدي الذين بلغ بهم تعصبهم درجة الجنون فلا عجب اذا فعل ما هو اغرب من ذلك

عروسة النيل

الفصل الثاني والعشرون

لم تكن توبة كاترينا خالصة فإنَّ الغيرة اعمت بصيرتها وحرقت فؤادها فاصبحت يتنازعها عاملا الحب والكره ويعبثان بها فتارةً تحن الى لقاء باولين وتارة تصدّ عنها وراجعت ما دار بينهما من الحديث في البستان فعدّت سكوت باولين حينئذٍ واجوبتها الموجزة دليلاً على توثيق عرى الوداد والحب بينها وبين اوريون فارادت تحقق الامر بنفسها بحيث لا يبقى ثمَّ مجال للريب

وكان لها منذ الطفولية حليف في جميع اعمالها وصديق تعتمدهُ في قضاء مهماتها وهو انوبيس اخوها في الرضاع وابن مرضعها وكان هذا الفتى نشيطاً مجتهدًا فاقام مع والدتهِ في بيت سوسنة الارملة حتى شبَّ فدبّرت لهُ هذه عملاً في ادارة خزينة المقوقس وكان شغفاً بتربية حمام الزاجل يستخدمهُ في نقل الرسائل فاذنوا لهُ ان يقيم برجاً للحمام على سطح الخزينة وكانت ماري وكاترينا تتكاتبان والحمام ينقل مكاتيبهما فلما مرضت الاولى انقطعت المكاتبة بينهما

وفي صباح احد الايام بعث انو بيس ينبئها بانهم سيدفعون الى باولين ما لها وان اوربون سيذهب بنفسهِ اليها لهذا الغرض فرأت ان تنتهز الفرصة للوقوف على ما يدور بينهما علّها تستدل بهِ على حقيقة امرها واقرَّت على خطة معينة واتخذت التدابير لمعرفة ساعة ذهابهِ اليها وفي الصباح التالي جاء خادمها برقعة نقلها الحمام فاذا بها من انو بيس يخبرها بقرب خروج اوربون في مهمتهِ

فشقَّ على كاترينا ان يكون ذهابهُ في تلك الساعة لأن بنيامين بطريرك الاسكندرية جاء الى الفسطاط وعزم على زيارة منف ذلك النهار وكانت والدتها قد دعتهُ الى الغداء في بيتها تبركاً فقبل الدعوة وانهمك اهل البيت في اعداد الوليمة وتنميق المنزل وزينتهِ احتفاء بالزائر الكريم امَّا كاترينا فامرتها امها بتردي افخر حللها وبملازمة غرفتها الى ساعة وصول البطريرك فتنزل لاستقبالهِ حاملة باقة من الازهار فاسرعت الى غرفتها وقالت في نفسها "من الآن للظهر ساعتان فاذا جاء اوربون الى بيت روفينس ولبث هناك نصف ساعة تمكنت من رؤيتهِ واستطلاع امرها وعدت فارتديت ثيابي وقابلت البطريرك" فاحتذت حذاء مطرَّزًا وامرت خادمتيها بانتظارها الى ان تعود ثم غادرتهما وذهبت الى مرتفع في البستان يشرف على بيت روفينس ولم يطل بها المقام حتى ابصرت اوربون قادماً في مركبة امهِ فوقفت المركبة امام مدخل البيت فترجل وتبعهُ خازنهُ ثم رأت العبيد يخرجون من المركبة اكياساً كثيرة ثقيلة وكان اوربون وحدهُ قبلة ناظرها فلم تكترث للباقين ولم تحفل باكياس الذهب وبدا لها ابن المقوقس في ثوب الحداد كاجمل ما رأتهُ ولما خطر ببالها ان هذا الفتى الجميل احبها وقبَّلها وكاد يكون زوجها حتى سلبتها اياهُ أُخرى ملأ الوجد فؤادها واشتدَّ بها الحنين اليهِ وغلت البغضاء في صدرها فجلست تتأملهُ حتى غاب في البيت وقد فتن جمالهُ لبها واطار الجوى صوابها فهمَّت بلحاقهِ لتطرح نفسها بينهُ وبين باولين وتفصلهما فلا يلتقيان .

واشتدَّ الهجير فقصفت ورقة كبيرة ووضعتها على رأسها اتقاء الحرّ ولم تأتِ بمظلةٍ لئلاَّ يعلَم مكانها ولما طال بها المقام وخشيت ان يأتي البطريرك فيفاجئها على غير استعداد هرعت الى غرفتها وامرت خادمتيها بالاسراع في الباسها ثم طلبت الى احداها ان تعدَّ باقة من الورود فتضعها في الغرفة الى ساعة يأتي البطريرك وعادت الى مكمنها وفي يدها بعض حلاها لتلبسها هناك ولم تكد تصل الى المرتفع حتى رأت نيلس خارجاً من البيت وامامهُ العبيد يحملون الاكياس فيضعونها في المركبة فقالت في نفسها فهمت الآن فقد ردَّت اموالها اليهِ وكلفتهُ العناية بها وعادت المياه الى مجاريها ثم صرفت باسنانها ووقفت ترقب ما يتلو فنظرت احد خدم قصر الوالي

يقود جواد اوريون الادهم فوقف به امام المنزل وحينئذٍ خرجت باولين الى البستان وتبعها اوريون وقد صبغ الدم وجههُ وبدا الفرح في عينيهِ وهو ينظر الى باولين نظرة المشوق المفتون فودَّت كاترينا لو انها افعى فتلسعهما وتمحق سعادتهما وسرورهما . وتماشى الاثنان في البستان حتى صارا على مقربة منها فاكبَّت تسترق السمع وتصغي الى ما يدور بينهما من الكلام فسمعت اوريون يقول

— غمرتني بفضلكِ حتى اراني استحي ان اطلب منكِ معروفاً آخر ولكنك تعلمين ثقل الضربة التي اصابتني بفضل ماري وتعرفين ان ما حدا بها الى عملها هذا انما كان حسن طويتها وصفاء نيتها وشدة ميلها اليكِ

— وتريد ان اعنى بها الآن فعلى الرحب والسعة بشرط ان تأتي بها الى هذا البيت فاني لن ادخل بيتكم ابدًا

— ولكن مرضها يحول دون نقلها وقد اهملتها امي اهمالاً اثَّر في اعماق قلبها

— وكيف تستطيع امك ان تسيء الى حبيبتها

— لا اراكِ تجهلين شدة حبها لابي فقد هدَّ موتهُ ركنها ومحق سعادتها فلا تقع عينها على ماري الاَّ ويخطر ببالها ذلك المنظر الرهيب الذي تجلَّى امامها قبل وفاتهِ فترى في البنت التعيسة علَّة شقاء البيت

— اذًا ارسلها اليَّ فستلقى من عناية اهل هذا البيت بها ما يشفيها

— شكرًا لكِ وساطلب الى امي لتأذن لنا في ذلك فماري وحيدة الآن بعد ان حظرت سوسنة على ابنتها زيارتنا ثم دار الحديث على كاترينا وماري فقالت باولين ومن الغريب ان كاترينا على صغر سنها وخفة روحها قد تبدلت في هذين اليومين فصارت رضية الخلق كريمة العواطف وعندي ان ما اصابها القى حملاً ثقيلاً على عاتقها

— ولكن حزنها لا يطول فهي بالفطرة مملوءة نشاطاً وخفة ويلوح لي ان اكبر اوزاري في ذلك اليوم المشوم ظهوري امامها بمظهر المحب العاشق ولا ارى لي عذرًا يبرئني من هذا الذنب سوى انني فعلت ما فعلت اكرامًا لامي وحسبي ما قلت في هذا الشان وما اصابني من جرائهِ امَّا اليوم فساجري في سبيل الحياة حثيثًا والى يميني المرأة التي تحبني والتي ستكون زوجتي ولما قال ذلك دارا في جهة اخرى وابتعدا عن كاترينا امَّا هذه فعلمت من حديثهما ما ارادت الوقوف عليهِ وادركت ان ما تخشاهُ وقع وان اوريون لا يعبأُ بها فاخذت ترتجف واحست بثقل في قلبها وغلت في صدرها الغيرة والغيظ فتمنت الموت ثم عزمت على العودة الى البيت فاذا بالحبيبين عائدان فتربعت مكانها لعلها تسمع بعض حديثهما

الفصل الثالث والعشرون

كانت الغاية من مجيء اوريون ونيلس الى بيت روفينس البحث عن الخطة المثلى للتصرف باموال باولين فبعد ان عقدت الجلسة واقروا على خطة انصرف الخازن بالمال وانفرد اوريون بنسيبتهِ وفي فؤاد كل منهما ما فيهِ من الوجد والهيام ولما صارا وحدهما خرَّ اوريون على ركبتيهِ وطلب مغفرتها فذكَّرتهُ بكتابهِ وبوعدهِ الذي وعد لكن قلبها ابى ان يطيعها وتحركت عوامل الحب في صدرها واذ ارادت كتم ما بها لجأت الى الحديث فسألتهُ عما يعني بردّ الوديعة الثمينة التي اشار اليها في عرض رسالتهِ فنهض وابرز من جيبهِ حقًّا صغيرًا وفتحهُ واخرج منهُ زمردة ثم ناولها اياها وقال

— هذه زمردتكِ نخذيها وهبيني صفحكِ وثقتكِ بي عوضاً منها . فلما رأت الزمردة اجفلت وبدت الدهشة والسرور في وجهها وانبعث الفرح من عينيها وظلت كذلك بضع دقائق ثم تناولت الزمردة وقالت

— ان الزمردة في يدي الآن فاحذر ايها الغبيّ

— لا مكان للحذر فهذه ليست هبة مني ولكنها زمردتكِ اعدتها اليكِ وقد صدقتِ فيما قلتهِ فاني والزمردة في يديك نخذيها واحفظيها الى يوم تصير مصلحتنا واحدة

— لمصلحتك المقام الاول عندي حفظاً لولاء ابيكِ فقد جلبت عليك لعنةً وصار من واجباتي اسعافك على التملص من ثقل تلك اللعنة فاذا اصغيت الى نصيحتي فقد استطيع ان افعل ذلك

— بربك قولي ما تشائين

— فقالت الى البستان فهواه هذه الغرفة يكاد يخنقني . ثم مشت فتبعها وهي تعيد على مسمعهِ ما قالهُ فيلبس ثم قالت ان الحياة عمل وواجب يجب ان نقوم بها . فقال انها لكذلك وسأتخذ هذا القول شعارًا لي بعد ان فهت بهِ . ان الحكم والامثال لا تجعل المرء حكيماً وقد تلقينا شيئاً كثيرًا منها في المدارس ولكن لا فائدة منها اذا لم نقترن بعزم شديد وسعي اكيد توصلاً الى الغاية منها اما انا فعزمي سيبلغ بي الى الغرض المطلوب فاني ارى كوكبًا لامعاً يقودني اليها

— حبكِ هو الكوكب وسائق بهِ

— اتثقين .... اتبعثين بي بعض الامل

— نعم وسارى فيكَ انت عدوي ومضطهدي خير الاصدقاء واعزهم الى قلبي

ثم عاودا المشي فاخبرها انهُ ذاهب في الغد الى الفسطاط ليلقى عمرًا واخذ يشرح لها الخطة

التي رسمها لنفسهِ ووصف ما ينوي فعلهُ من بذل قواهُ في خير بلادهِ سواءٌ كان في خدمة الخليفة او منقطعاً الى اعمالهِ وشؤُونهِ الخاصة . وسأَلتهُ باولين عما صار اليهِ امر الزمردة التي انتزعها من القطيف فحاول ان يخفي الحقيقة عنها ولكنهُ لم يلبث ان افاق من ذهولهِ فصاح

— لقد كذبتُ في ما قلتهُ فاني ارسلت ذلك الحجر الكريم الى القسطنطينية لاصوغهُ حليةً لفتاة اخرى كنت اميل اليها على انني لم افقه معنى الحب حتى رأيتكِ

— فقالت ليمحَ ذكر ذلك اليوم المشوم من اذهاننا ولما قالت هذا ودعها وانصرف

اما كاترينا فتربصت مكانها حتى خرج وحينئذٍ سمعت من يدعوها باسمها فنهضت ورمت باولين بنظرة كالسهم فلما صارت الى البيت وبختها امها على غيابها وعدم استعدادها لمقابلة البطريرك فبكت من القهر ثم قالت لا استطيع مقابلتهُ فاني اكاد اموت من وجع الراس وسألزم غرفتي لعلي استريح

الفصل الرابع والعشرون

وبعد ظهر الغد امتطى اوريون خير جيادهِ وعبر الكبري « الجسر » الى الفسطاط يطلب لقاء عمروٍ فسار على مهلٍ وهو يعجب لما طرأ على تلك البقاع من التبديل والتغيير فبعد ان كانت حقولاً ومزارع اصبحت مدينة كبيرة فيها البيوت والجوامع والمخازن وجميعها على الزيّ العربي كانما هي جزءٌ من بلاد العرب نقلوهُ الى مصر فسار في الشوارع الغاصة بالباعة والتجار والعمال حتى وصل الى بيت عمرو فقيل لهُ ان القائد خرج الى الصيد وانهُ سيستقبلهُ في الحصن وكان هذا الحصن قائماً على هضبة يشرف على الفسطاط والنيل والسهل فصعد اليهِ وسأَل عن عمرو فانبأُوهُ بانهُ لا يعود قبل العتمة ثم دعاهُ البواب الى الجلوس في رواق مفروش بالرخام فاستاء لهذه المعاملة ورأى فيها حطة من قدرهِ بعد ان كان القوم يحتفون بهِ كالامراء فشقَّ عليهِ ان يكون كعامة الناس وكاد يكشف امرهُ للبواب لكنهُ احجم وجلس في مكانهِ واخذ يتأمل ما امامهُ من المناظر فاكبر خصب البلاد وجودة تربتها واخذ يردد في خاطرهِ ما قالهُ شاعر اليونان في النيل وما تمناهُ قيصر من اكتشاف منابع ذلك النهر العظيم مصدر حياة مصر التي كانت تحسب اهراء رومية والقسطنطينية ايام عزها وسؤددها . وطفق ينظر في الوسائل التي تمكنهُ من اعادة البلاد الى سابق مجدها وعظمتها وترد لاهلها السلطة التي خسروها والاستقلال الذي لابدَّ منهُ للنمو والتقدم وبينما هو غارق في افكارهِ سمع وقع اقدام ورأى الغلمان يحملون المصابيح وهم يدنون اليهِ فظن انهم اتوا يدعونهُ الى سيدهم لكنهُ لم يلبث ان رأى عمرًا وراءهم وقد جاء ليرحب بضيفهِ الكريم وبعد ان حياهُ اعتذر اليهِ عن ابطائهِ في

العودة وشدد النكير على الخدم لانهُ لم يفتحوا لهُ احدى المقاصير ثم اخذ يحدّث اوريون عما اصاب في يومهِ من الصيد وقال جرحتُ اسدًا فلم اقتلهُ وقد فرَّ في الادغال فلم نعثر بهِ على اني سأطلبهُ حتى اجدهُ وكان كلامهُ باليونانية تعلمها ايام كان شيخًا للقوافل العربية التي كانت تأتي الى الاسكندرية . ثم دعاهُ الى البيت وهو يبالغ في اكرامهِ والترحيب بهِ حتى بلغا الغرفة فالفيا السماط ممدودًا فدعا عمرو اوريون للاكل وجلس الاثنان ومعهما عبادة وكيل عمرو وهو جبار اسود فقال عمرو هذا عبادة وكيلي ولما كان لا يعرف اليونانية فسأترجم بينكما . ومن خبر عبادة هذا انهُ ولد عبدًا فاتصل بهمتهِ وشجاعتهِ ودهائهِ الى مقامهِ الرفيع . فاخذ اوريون يتأملهُ وقد اعترتهُ الدهشة اما هو فكان مطرق الراس الاَّ اذا اراد الكلام فيخاطب عمرًا ويحدج اوريون بنظرات ملؤها الكراهة

وبالغ عمرو في ملاطفة ضيفهِ فسألهُ عن مقامهِ في القسطنطينية وعمَّا حدث لهُ فيها فاندفع اوريون يشرح لهُ ذلك بالتفصيل فالتفت عبادة الى عمرو وقال

— عجبت لك تأذن لهذا الثرثارة ان يقلقنا باحاديثهِ الفارغة ولا تفاتحهُ بشأن ما دعوتهُ لاجلهِ

فاجابهُ عمرو اخطأت فالمرء يكون على احسن ما هو عليهِ اذا انفسح لهُ مجال الكلام وكان امامهُ من يصغي الى حديثهِ ولحديث هذا الفتى طلاوة وفائدة ثم دار الى اوريون وقال

— اتاني البطريرك اليوم فرأيت منهُ كرهًا لابيك فما سبب هذا العداء . فشرع اوريون يحدثهُ بالاسباب التي دفعت البطريرك الى المجاهرة بتلك البغضاء وقال ان بنيامين يريد ان يتبرأ في عيون النصرانية من تهمة تسليمهِ بلاد نصرانيَّة الى العرب المسلمين فلم يرَ خيرًا من الصاق التهمة بابي

فاجاب عمرو . فهمت ما تقول— وعاد اوريون فاخبرهُ ان كيل العدوان طفح يوم اراد البطريرك ان يضع يدهُ على دير الراهبات ويوقع بهنَّ طمعًا بمقتنياتهِ مستندًا الى تأويل بعض العبارات الواردة في صكوك الدير مع ان العبارات المذكورة في غاية من الجلاء والوضوح فاعترضهُ ابي وكفَّ اذاهُ عن الدير . وحينئذٍ تبادل عمرو وعبادة النظرات وقال الاول

— وانت افتريد ان تستسلم للبطريرك وتنسى الاهانة التي اهانك بها بعد وفاة ابيك

— كلا

— وانَّى تستطيع ردَّ كيدهِ في نحرهِ وانت نصراني وفي يدهِ سعادة روحك وشقاؤها فاطرق اوريون وقال ذلك ما اجهلهُ فمدَّ عمرو يدهُ وقبض على ذراعهِ وقال

— ولا اراك مدركهُ وهبك احرزت الوسائط المطلوبة فلا قِبَل لك بالانتفاع بها واعلم ان ايذاء المرأة والطير المحلقة في الجوّ لاسهل من ايذاء رجال الدين فاحذر واذا شئت ان تثأر اباك دللتك على وسيلة تبلغك امنيتك على اسهل سبيل . فصاح اوريون

— وما هي

— فقال عمرو كن واحدًا منا

— فقال اوريون ولكنني منكم وهذا ما جئت لاجلهِ فسيفي ومالي رهن اشارة حكام بلادي اعني بهم انت ومولاي الخليفة

فقال عمرو احسنت فلا اله الاَّ الله فالحكم الحنا وليس من يستطيع ان ينكر ان نبينا صلى الله عليهِ وسلَّم جاء بالهدى ودين الحق وكان خاتمة النبيين الاَّ الذين ختم الله على قلوبهم فقد اعترف ابوك ....

— ابي

— اعترف باننا اكثر غيرةً وحميَّةً واشدّ ايمانًا وايقانًا بديننا من قومهِ فاذا اسلمت فلن يستطيع البطريرك مسَّك بسوءٍ على الارض ولا نزع سعادتك ونعيم ابيك في الجنة فهاتِ يدك. امَّا اوريون فشخصت عيناهُ واعتراهُ ذهول فقال

— ايها القائد العظيم ليس هذا مغزى كلامي فاشرف الاعمال عندي واعظمها قدرًا في عينيَّ خدمة الخليفة ولكني لا استطيع جحد ايماني

— اذًا فسيدوسك البطريرك. قال هذا والتفت الى عبادة واخذ يكلمهُ بالعربية فقال اوريون

— بربك يا مولاي اصغَ الى ما اقولهُ . ان اسلامي يعود عليَّ بفوائد جمَّة على ان الثبات في الدين الذي ستطالبني بهِ يوم اعتنق الاسلام يمنعني عن ترك دين اسلافي

— حتى يجبرك الكهنة على تركهِ

فقال اوريون من يجبرني نعم ان البطريرك عدوي الالدّ لكني فقدت ابي واؤمن بلقائهِ في الآخرة

فقال عمرو وانا اعتقد بالخلود ايضًا فان في الآخرة جنة واحدة وجحيمًا واحدًا كما ان في الكون الهًا واحدًا فقط

وكان عبادة اثناء الحديث يهزأ باوريون حتى اثار ثائر غيظهِ فدار عمرو اليهِ ووبخهُ على سخريتهِ فنشأ بينهما جدال طويل ورأى اوريون ان يكتم ما بهِ لحرج الموقف واحسَّ عمرو بما كان يخالج فؤادهُ فالتفت اليهِ وقال

— ان عبادة حكيم وقد اثار كلامهُ فيَّ بعض الشبهة فان نصرانياً في مقامك وسنك لا يأبى المجد والسعادة في الدنيا طمعاً بسعادة موهومة في جنتهِ في الآخرة فاذا ابى واطَّرح المجد والغنى ونزع من قلبهِ حبَّ النزوع الى العلاء واخذ الثأر فلا بدَّ من سبب وراء الأكمة فهدِّئ روعك وثق انني اهتم بك واحميك من كل ضرّ اذا اعربت عما يخامرك وبحت بعلَّة ابائك وايقن ان سرَّك سيبقى مدفوناً في صدري فلا يذاع فانا أكبر منك سنّاً واكثر منك خبرة باحوال هذا الدهر وقد كنت صديقاً لابيك من قبلك

فقال اوريون لا افوه بكلمة امام هذا الرجل فقد سمعتك تقول انهُ لا يفهم اليونانية ولكني رأيتهُ يتلقف كل لفظةٍ انطق بها وقد حملتهُ جرأتهُ على الهزء بي

فقال عمرو انهُ وكيلي وهو بطل باسل امين فاذا صرت منا صارت طاعتهُ واجبة عليك واعلم يا فتى انني دعوتك لالقي عليك شروطاً لا لاتلقاها منك وقد اذنت لك في الدخول الى هنا فلا تنسَ اني نائب الخليفة مولاك ومولاي

فقال اوريون . اذاً فائذن لي في الانصراف فان قلبي وشفتيَّ مختوم عليهما في حضرة هذا الرجل وقلبي يحدثني بانهُ عدوي

فقال عمرو . احذر ان يصير كذلك . فحيَّا اوريون يريد الانصراف ولم يخفَ على عمرو ما فعل عبادة واحسَّ بما يدور في خلد الفتى فانقلب من الشدة الى اللين والحَّ عليهِ في البقاء وقضاء الليل في منزلهِ فشكرهُ واستأذن في الانصراف وخرج فتبعهُ عمرو حتى اذا صارا بحيث لا يسمعهما عبادة قبض على يد اوريون وقال

— احذر هذا الرجل فلم يفتني انك سبرت غورهُ وعجمت عودهُ فابديتَ شجاعة وطيشاً امَّا انا فاتمنى لك الخير

— اني موقن بذلك واما الآن وقد صرنا وحدنا فاعلم يا مولاي ان ابي قبل ان اسلم الروح غضب عليَّ وابى ان يمنحني بركتهُ الابوية . قال هذا وشرق بريقهِ ثم استطرد الكلام فقال وقد فعل ذلك لذنب اقترفتهُ دفعني الى ارتكابهِ نزق الشبيبة فلما مات فكَّرت في حياتي فالفيتها لا فائدة منها فجئت اليك على امل ان ينفتح امامي باب يوصلني الى الاعمال العظيمة التي اتمنى ان اقوم بها . فقاطعهُ عمرو وقال

— ستجد مني عوناً لك على نيل بغيتك وقد ذكَّرتني طلعتك يا فتىً بابن لي ضلَّ وكفَّر عن ضلالهِ بسفك دمهِ فمات شهيدًا في ساحة الوغى فعُد الآن الى بيتك وسالقاك بعدها انما احذر هذا الرجل فهو ناقم منك واذا لقيتهُ فاخفض من كبريائك . فودعهُ اوريون بعد ان شكرهُ

وانصرف في سبيلهِ وعاد عمرو الى مخدعهِ ورفع الستارة فاذا عبادة وراءها على قيد بضع اذرع فتميز غيظاً وقال

— اتسترق السمع فيالك من رجل عجيب بطل شديد البأس في الوغى وحكيم داهية في المشورة واسد حردان في جسم انسان فاذكر مقامك وما صرت اليهِ ولا تعد فترتكب من الافعال المغايرة ما يذكرني باصلك الوضيع الذي رفعتك منهُ فقد اسأت الى ذاك الفتى

— اهذا جزاء الخدمة الصادقة وهذا ما يقولهُ المسلم لاخيهِ لاجل كافر

— لقد نلت اضعاف ما تستحق جزاء خدمتك وقد اتخذتك وكيلاً لي لدهائك وشدة بأسك ولم افعل ذلك الاَّ تأييداً لصولة الاسلام وعلام تكره هذا الفتى ولم يمسَّك بسوءٍ فانت ترى فيهِ مقوقساً آخر وتأبى الاَّ ان تكون ذلك المقوقس

— وهل عليَّ في ذلك من حرج فانا بعدك احكم القوم واعقلهم واشدهم نجدة

— صحيح ما قلت ولكن عمل المقوقس لا يتولاهُ سوى مصري قبطي فالفطنة تقضي بذلك وهو امر الخليفة

— وهل امر الخليفة ان تظل اموال هذا الفتى الطائلة في يدهِ

— لقد عرفت سرَّك الآن فقد راقك ما عند المقوقس من المال وما لهُ من العقارات والمقتنيات والعبيد والاماء والخيل ألصوصٌ نحن يا عبادة أوَليس من الحرام ان نشتهي ما لغيرنا

— فمن استخرج الكنوز المخبأة تحت فسقيَّة بطرس القبطي وقتلهُ

— انا — على اني فعلت ذلك لا بعث المال الى المدينة وكان بطرس قد خبأها قبل ان قتلناهُ اما المقوقس وابنهُ فاعترفا بجميع ما عندهما الى آخر دينار ودفعا الجزية عنهُ تماماً فمقتنياتهما لهما لا ينازعهما فيها منازع ولن تفوز بدرهم منها فدع ابن المقوقس وشأنهُ ولا تحرجني وانصرف الآن وهيئ ما ترتأيهِ في قسمة العقارات فتشرحهُ غداً في المجلس فاذا استحسنتهُ عملتُ بهِ . ولما قال ذلك انصرف وبقي عبادة وحدهُ يحرق الارَّم حتى دخل العبيد فرفعوا فضلات الطعام

الفصل الخامس والعشرون

خرج اوريون من الفسطاط وهو يثني على عمرو بن العاص ويتنظر بينهُ وبين امراء الروم فاكبر ما بين الفريقين من الفروق التي كانت علة انتصار المسلمين على حكام مصر وتمثل لهُ عمرو بكرم اخلاقهِ وحدة ذهنهِ وانفتهِ وشهامتهِ كتمثال من تماثيل اليونان الجميلة . وبدا امراء الروم لعينيهِ كتماثيل اقزام مشوهة وضعوها الى جانب ذاك فظهر الطباق بينها على اتمهِ

وكان الليل مقمراً والنسيم بليلاً والنهر كصدرة من زرد الفضة فشرح ذلك المنظر صدرهُ

وعاودتهُ احلامهُ وتمنى لو ينفسح لهُ مجال العمل فيبدي همتهُ وعزمهُ ويظهر للملإ قاطبة ما بين جنبيهِ من الاخلاق الطيبة والصفات الحسنة وكأن فرحهُ اطار النوم من عينيهِ فثنى رأس جوادهِ الى بيت روفينس ولما دنا منهُ رأى نورًا في احدى غرف الطبقة العليا ولم يكن يعلم مكان غرفة باولين من البيت فوقف ينظر الى النافذة المفتوحة فابصر امرأة فتعرفها فاذا بها المرضع اطلَّت بعد ان سمعت وقع الحوافر لعلها تعرف من القادم وبينما اوربون واقف ابصر رجلاً في الغرفة فاستغرب ذلك وحدق بباصرتيهِ الى الرجل فاذا هو فيلبس فخشي ان تكون باولين مريضة وان الطبيب والمرضع معها يداويانها على انهُ لم يلبث ان رأى باولين نفسها تدنو من الطبيب وقد مدَّت ذراعيها اليهِ فوقع اوربون في حيرة شديدة وتنازعهُ القلق والغيرة فقد كان يعلم ان الطبيب صديق حميم لحبيبتهِ لكنهُ خشي ان الصداقة تحولت حبًّا واخذ يعيد لنفسهِ بعض ما شاهدهُ من امارات الحب في فيلبس فشقَّ عليهِ ان يخسر باولين واخذ يعلل نفسهُ بان وجود فيلبس معها في تلك الساعة يمكن تأويلهُ لكن الغيرة ملأَت فؤَادهُ وسدًى حاول نزعها فلم يستطع ذلك فلكز جوادهُ لكزة عنيفة فطار بهِ حتى كاد يسقط عن ظهرهِ وبعد ساعةٍ عاد نحو بيتهِ فالفى السائس بانتظارهِ فدفع اليهِ زمام الجواد وترجل فمشى على مهلٍ وفيما هو كذلك ابصر فيلبس عائدًا من بيت روفينس وهو يتنهَّد من كبد حرَّى فجاوز اوربون كأنهُ لم يرَهُ ثم دخل الى احد البيوت المجاورة وعقب دخولهُ نوح وعويل في البيت فعلم اوربون ان عليلاً فيهِ مات وعاد فيلبس فخرج من البيت وسار يتعثَّر كالنشوان الى بيتهِ وهو قصر قديم كانت فيهِ نظارة ماليَّة مصر فلما دوخ العرب البلاد نقلوا المالية الى الفسطاط والحقوا اعمال منف الماليَّة بادارة خزينة المقوقس ففرغ القصر ورأى مجلس منف ان ينتفع بريعهِ فاجروهُ وكان في من استأجرهُ فيلبس ومربيهِ ابولون الشيخ فلما دخل فيلبس تلك الليلة وجد ابولون امام مائدةٍ عليها كثير من الرقاع والطروس والدفاتر وهو ينظر فيها فجاءهُ وجلس صامتًا فالتفت اليهِ ابولون فقرأ في وجههِ ما دلهُ على اضطرابهِ وحزنهِ فعاود العمل كأنهُ لم يحفل بما رآهُ

ومن خبر هذا الشيخ انهُ وُلد في جزيرة انس الوجود بجوار هيكل ايسس الفخيم حيث ظلَّت عبادة الاصنام شائعة الى ما بعد مولدهِ رغمًا عن اوامر الامبراطرة القاضية بمنعها وطالما سيَّروا الجيوش لقتال الوثنيين هناك فلم تثبت جنودهم امام قبائل البدو التي كانت تدين بعبادة ايسس منتشرةً بين النيل والبحر الاحمر وكان والد ابولون هذا من كهنة ذلك الهيكل فشبَّ الفتى على دين آبائهِ حتى دهمتهم حملة من جيش الروم فاصابت منهم وشتتت شملهم ومزقتهم كل ممزق وغنمت الهيكل واحتلت الجزيرة فلم ينجُ سوى بعض الكهنة وبينهم اهل بيت ابولون ففرَّ هؤلاء

الى انطاكية ولم يطل مقامهم فيها حتى اوغر مطرانها صدر الوالي عليهم فارسل اليهم الجند فاعتقلهم الا ابولون واباه فانهما فرّا وحملا معهما كنوز ايسس فاتيا الاسكندرية وظلاّ فيها حتى توفي الاب فانتقل ابولون الى منف واقام فيها يقضي اوقاته في الدرس والتنقيب محافظاً على شعائر دينهِ فاذا اراد التخلي عن عزلتهِ اجتمع بالمنجمين والعرّافين والكيماويين الذين كانوا يشتغلون في تحويل المعادن الرخيصة الى ذهب ولم يلبث هؤلاء جميعاً ان اكتشفوا منزلته في العلم ومبلغ معرفتهِ وحكمتهِ فذاع خبره بينهم وانتشر صيتهُ في مصر حتى بلغ العرب في الفسطاط فلما اراد عمرو بن العاص تعيين القبلة كلفهُ ذلك فصدع بامرهِ وعين القبلة واعتمدها المسلمون

واعتراه مرض فاتوا اليهِ بفيلبس وكان هذا لا يزال حديث السن قريب الشهرة فافرغ جهده في علاجهِ ومداواتهِ حتى برئ واعجب ابولون بسعة معارفهِ وحذقهِ وفطنتهِ فعطف عليهِ وتعلّق بهِ وكأن كنز المحبة الذي كان مقفلاً عليهِ في فؤادهِ انفتح وافرغ ما فيهِ على فيلبس فاطلعهُ على ماضي سيرتهِ وخلاصة معتقدهِ وعينهُ وريثاً لامواله مشترطاً عليهِ ان يقيم معهُ الى يوم وفاتهِ فرضي الطبيب وسكن الاثنان في بيت واحد وكان الشيخ اذ ذاك يشتغل في وضع كتاب في اللغة الهيروغليفية فطلب من فيلبس ان يشاركه في تأليفهِ لقلة علمهِ باليونانية ولسعة اطلاع هذا فاشتركا في المعيشة والمسكن والعمل على اختلاف مشربيهما وتفاوت سنيهما فقد كان ابولون يناهز السبعين وقد صلع رأسهُ وتغضن جبينهُ واحدودب ظهرهُ الا ان عينيهِ لم تزالا ينبعث منهما الذكاء والحدّة والانفة وظلّ محافظاً على عقائدهِ وطقوس مذهبهِ يقيم الصلوات في اوقاتها ويكثر من الاغتسال ولا يلبس سوى الكتّان الابيض ولا يأكل من اللحوم سوى لحم الطير والبقول وكان شديد الكره لليونان وللاعيان لزعمهِ ان ما قاساه من الاضطهاد وما ذاقهُ واهلهُ من الجور كان علتهُ هؤلاء

وكان فيلبس لا يكتم عنهُ امراً ولو فعل لانتزع سره منهُ بفطنتهِ ودهائهِ فلما لقي باولين وتيمهُ حبها اخذ يصفها ويطنب في مدحها ويتغنى بصفاتها الى ان وقعت النفرة بينها وبين ابن المقوقس وقام فيلبس على العناية بها فاطلعهُ على ما جرى ولحظ الشيخ ما كان يخامرهُ من الميل الى التزوج بها فقال

— تدبَّر ما تقول وما تفعل فان هؤلاء الشرفاء لمن اقسى الناس قلباً وابعدهم عن الرحمة والمعروف واولادهم مثلهم فهم ينظرون الينا لا كاقران بل كمن هم ادنى منهم مقاماً وجبلة فافقه كلامي ان ابنة توما هذه تبش اليوم في وجهك لحاجتها اليك فاذا ما انقضى اليوم وجاء الغد طرحتك كما اطرح جلد الببر من تحت قدمي يوم ينقضي الشتاء وتبدو طلائع الربيع اما قولك

ان النفور مستحكم بينها وبين ابن المقوقس فذاك سحابة صيف فلا يلبثان ان يصطلحا واعلم ان الحب والبغض طرفا عصاً فيمكن قلبها ساعة تريد ولمَّا كان هؤُلاء القوم من طبقة واحدة ودم واحد فهم يتجاذبون كما يتجاذب الحديد والمغنطيس

لكنَّ هذه النصائح ونحوها من التقريع والتوبيخ كانت كالكتابة على صفحات الماء فانها لم تثنِ عزم فيلبس فلم يقطع الرجاء وظلَّ في صدره بقية من الامل حتى بعد ان ابت باولين عليهِ خطابها كمحب كما تقدم الى ان كان يوم الاجتماع في بيت روفينس للنظر في شؤُونها المالية فتبين لهُ ان ابنة توما لم تعد تكره اوريون بل كان فرحها بوجودهِ معها ظاهرًا في جميع حركاتها وكلامها فرأى حينئذٍ ان ابولون كان مصيبًا في ما قالهُ فضاق صدرهُ وعيل صبرهُ ولم يستطع تأويل ما فعلتهُ تلك الحسناء وعجز عن استطلاع طلعها فانها ظلَّت تبالغ في اكرامهِ والاحتفاء بهِ فعاودهُ بعض الامل ولما ذهبا لعيادة الجريحين في تلك الليلة التي راح فيها اوريون الى الفسطاط هزَّهُ الوجد فافاض في وصف حبهِ لها وشدة تعلقهِ بها فلقي منها اعراضًا عن حبهِ وتمسكًا بصداقتهِ قطعا املهُ وضيعا رشدهُ وفي اثناء كلامهِ معها رآهما اوريون كما تقدم فعاد فيلبس من بيت روفينس لا يلوي على شيءٍ حتى اذا ما وصل الى منزلهِ استلقى على مقعد في غرفة ابولون وقد بدا الحزن والخيبة في وجههِ فطرح الشيخ طروسهُ على المائدة وقال

— اذًا لقد تمَّ تمثيل الرواية واظنها مأساة فقال فيلبس لا تكون مأساة وانا في قيد الحياة

— لكنك مجروح الفؤَاد وجرحك دامٍ فلومك على نفسك فقد حذرنا الثعلب من الفخ وكان في طاقتهِ امس ان يبتعد عنهُ فابى وهو اليوم يلعن حماقتهُ ويندب سوءَ حظهِ اتريد ان اصف لك ما حدث ان الشريفة حافظت على ولائك ايام حاجتها اليك حتى اذا ما طاب لها المقام ووضعت يدها على اموالها الفتك عنها واستعاضت من الطبيب المسكين بادونس الفتان كما يغيب نور القمر ساعة تطلع الشمس . اصحيح ما قلت ام كذب

— ليتهُ كان كذبًا ثم وقف فيلبس وقال

— ايها الصديق الصدوق قد اتخذتني ابنًا لك ولقيت فيك ابًا بدلاً من والدي الذي مات في صباي فعطفت عليَّ وغمرتني بحبك وفضلك فاعلم انهُ لم يبقَ لي سوى باب واحد للفرج فقد عزمت على فراقك وهجران هذه المدينة فاطلب البعد عن باولين فقد ذقت في عشرتها خلاصة السعادة ثم نالني منها عذابٌ لا يذكر في جنبهِ عذاب جهنم فانا ذاهبٌ لا محالة الاَّ اذا استطعتَ ان تشفي ما بي من الوجد او تحولهُ الى حب اخوي . فلما سمع ابولون هذا الكلام ورأى اضطراب صديقهِ وشدة حزنهِ صاح باعلى صوتهِ

— أتقول جدًّا ام اتصلت بك الحماقة الى هذا الحدّ ألم يكفك ما اصابك من العذاب بفضل هذه . . . أفأدركت الآن علة تحذيري اياك من الاشراف والشريفات أتحسب انها تعتد برجل فاضل وتقابل معروفهُ بالشكر وامانتهُ في خدمتها بالثناء أيسرك ان تقضي على سعادة شيخ فانٍ وتمحق هناءهُ لاجل ابنة توما وحبيبها فاين عقلك واين حكمتك وما الفائدة من علمك وفضلك اذا قضيت ايامك في النوح والعويل كما تفعل النساء فتربص في مكانك وساعلمك كيف تكبح جماح وجدٍ يحط من كرامتك وقدرك

— علمني فقد سألتك ذلك فانا لم اخلق لابكي ربوع الاحبة وانوح على اطلالهم وهاءنذا مستعد لمجاهدة هذا الهوى ومصارعتهِ ولكنني القيم عليها وعلى اموالها ووظيفتي هذه تقضي عليَّ برؤيتها كل يوم واخشى ان يصرعني الهوى فلا اقوى عليهِ فاهلك نفسًا وجسدًا وارى ان منف لا تسعنا نحن الاثنين

— اذًا فلا تبق حضرتها في منف

— وماذا تعني

— ان منف في حاجة شديدة اليك وهي في غنىً عن السيدة الشريفة على اني ارى الفجر يكاد ينشق فهيَّا بنا الى مضجعينا وكم من عقدة اعيا الحكماء حلها في الليل فاهتدوا اليهِ بنور النهار ولعلَّ الالاهة توحي اليَّ اسلوبًا لحلّ هذا المشكل فاتكل عليَّ ولا تقل بعد انك تريد فراقي فتترك صديقك الشيخ وحدهُ فانا اعرف الناس بشهامتك فاذهب الآن وحاول ان تنام عساك ان تستريح وقد ينسيك شقاءك ما تراهُ من شقاء مرضاك وعذابهم وكثير ما هم. ثم سار كل الى مخدعهِ فلما انفرد ابولون وقف يناجي نفسهُ فقال

— ألا ان حشر اثنتي عشرة فتاة في جهنم اولى من ان يخسر العالم رجلاً كنفيلبس وقد عجمت عودكِ ايتها السيدة ووقفت على ما يدور في خلدكِ فانت تحسبين الطبيب غير كفءٍ لك فنبذتهِ عنك نبذ النواة واتخذت اوريون وللناس فيما يعشقون مذاهب فما قولك اذا تداخل ابولون في هذا الشأن فانظريني قليلاً ريثما ادبّر الامر بنفسي فقد نلت مطالبي جميعًا في حلبة العلم وليست حياة الحكيم سوى الانتفاع بالمعرفة ولا يصعب على ابولون ان يطبق علمهُ على ماجريات الحياة ولو مرَّةً قبل موتهِ ولا ريب ايتها الحسناء في انك تحمدين مقامكِ مع حبيبكِ في منف لكنك ستضطرين الى تركها لاجل الرجل الذي القيتهِ عنك وثقي ايتها الشريفة انني سارغمك على ذلك (ستأتي البقيَّة)

محمد علي باشا

للدول الاوربيَّة قناصل في الشرق يهتمون بمصالح قومهم المقيمين فيهِ ويخبرون رجال حكومتهم عمَّا يحدث في البلاد التي هم فيها اوعمَّا يتَّصل بهم خبره′ . والغالب انهم يكتبون عن علم وروية ودولهم تعتمد على اخبارهم وتبني سياستها عليها . وقناصل الانكليز في الطبقة الاولى بين قناصل الدول الاوربية من حيث جمع الاخبار وصدق الرواية وصحة الحكم ومنهم رجل اسمهُ المستر جون باركر اقام في سورية والعراق والقطر المصري قنصلاً لدولتهِ في اوائل القرن الماضي واواخر الذي قبله′ . وقد نشر ابنهُ تاريخ اعمالهِ في مجلدين فيهما كثير من المكاتيب الرسمية التي كتبها الى رجال دولتهِ وغير الرسمية التي كتبها الى اصدقائهِ وذوي قرباه′ وتظهر منها احوال البلاد التي كان فيها ظهورًا خالياً من شوائب الغرض لاسيما وانهُ كان مشهورًا باستقامتهِ وشهامتهِ ودقة نظرهِ وقلَّة مجاملتهِ

ولما كثر ذكر محمد علي باشا في هذه الايام رجعنا الى هذا الكتاب لنرى ما قاله′ صاحبهُ عما كان يراه′ بعينيهِ ويسمعهُ باذنيهِ فالتقطنا منهُ الفقرات التالية وكانت متفرقة في بعض مكاتيبهِ التي كتبها وهو في هذا القطر وسننشرها الآن حسب تواريخها ولا نعقب عليها بشيءٍ من عندنا بل نترك الحكم فيها للقارىء اللبيب وهو يستنتج منها ما شاء

جُعل المستر باركر قنصلاً في الاسكندرية بعد ان كان قنصلاً في حلب فقام من حلب الى السويدية وانتظر الى ان جاءتهُ بارجة انكليزية في ٩ اكتوبر سنة ١٨٢٦ فحملتهُ هو وعائلتهُ ومرت في طريقها على بيروت وصيداء وبلغ الاسكندرية في ٢٥ اكتوبر . وكانت الاسكندرية حينئذٍ صغيرة حقيرة لم يكن فيها الاَّ مركبتان مركبة محمد علي ومركبة صهرهِ محرَّم بك

وفي ٢٥ نوفمبر كتب الى وكيل نظارة الخارجية في لندن كتاباً طويلاً ورد فيهِ الكلام التالي عن محمد علي باشا

"يسرُّني ان اخبركم انهُ في مقابلتي الاولى للوالي [1] لاقدم لهُ اوراقي الرسمية قابلني سموه′ باللطف والاكرام . ولكي لا ينهض لي حين دخولي ولا يقابلني جالساً كما قابل قنصل سردينيا الجنرال وقنصل النمسا الجنرال اتى الغرفة التي أُدخلت اليها من غرفة أُخرى وهذا اكرام خاص .

(1) الكلمة الانكليزية Viceroy ومعناها نائب الملك وهو لقب خديوي مصر حتى الآن باللغة الانكليزية وقد استحسنا ترجمتها بالوالي لان هذا كان لقب والي مصر قبل ان اعطي لقب خديوي

فاخبرتهُ ان ملك الانكليز تكرّم وعينني قنصلاً لدى سموهِ في الاسكندرية ثم سلم ترجماني براءة تعييني الى بوغص يوسف ترجمان سموهِ فامر الباشا بردها الى ترجماني من غير ان يفتحها. وجعل يحدثني كأني احد معارفهِ واخبرني عن اربع فرقاطات تبنى لهُ الآن في مرسيليا ولغورن وسترسل اليهِ في الربيع القادم وقال ان الاروام لم يوقعوا بسفينة من سفنهِ حتى الآن . ومدح سلفي المستر لي وقال انهُ كان على جانب عظيم من التعقُّل مستدلاً على ذلك بانهُ لم يكن يعترضهُ في شيء ولا يخالف لهُ حكماً لانهُ لا يحكم الاَّ بالحق والعدل ورغب في ان اكون مثلهُ فاتفق مع سموهِ كما كان المستر لي متفقاً معهُ . ودامت المقابلة اكثر من نصف ساعة قصَّ عليَّ فيها القصة التالية قال ولدتُ في قرية من بلاد الارناؤوط وكان لابي عشرة اولاد غيري ماتوا كلهم الآن ولكنهم لمَّا كانوا احياء لم يكن احد منهم يخالفني في شيء . وقد تركت بلدي قبلما بلغت سن الرشد ولكن كان اهل بلدي يستشيرونني في كل امر واتيت الى هذه البلاد وانا لا املك شيئاً ولما كنت في رتبة بكباشي جاء مورّد الخيام ليعطي كلاً من البكباشية خيمة وكانوا كلهم اقدم مني ويحق لهم التقدُّم عليَّ لكن مورد الخيام قال لهم نحوا كلكم لان هذا الشاب محمد علي مقدَّم عليكم فاعطاني خيمتي اولاً . وارتقيت رويداً رويداً بمعونة الله الى ان بلغت هذا الحد. قال ذلك وانتصب في مجلسهِ ونظر من شباك الى جانبهِ يطل على بحيرة مريوط . ثم نظر الى البراءة في يد الترجمان وقال نعم بلغت هذا الحد وليس لي معلم

وكتب اليهِ بُعيد ذلك يقول : اخَّر الوالي سفرهُ الى القاهرة حتى امس بسبب ما حدث من التأخر في اعداد الاسطول وقد أَعدَّ وسار في العشرين من الشهر قاصداً المورة بقيادة صهرهِ محرم بك وهو ثمانٍ وسبعون قطعةً ثلاثون منها بوارج حربية واربع حراريق و١٦ من مراكب النقل التركية و٢٨ من مراكب النقل الاوربية اكثرها رافع للعلم النمسوي . وفيها الميرة للجنود ونحو ٨٠٠٠٠٠ او ٩٠٠٠٠٠ ريال اسبانيولي

وكتب في ٢٥ مايو سنة ١٨٢٧ يقول : الوالي مشغول الآن باصلاح بارجتين كبيرتين وخمس عشرة فرقاطة ارسلها الباب العالي الى هنا لاصلاحها . وعند سموهِ نحو ثلاثين فرقاطة وكورفت خاصة بهِ . وهو يمتحن الآن السفن التي جاءتهُ حديثاً من لغورن ومرسيليا

وكتب الى قنصل ازمير في ١٩ جون سنة ١٨٢٩ يقول : ماذا يستفيد الفرنسويون من صداقة الباشا . ليُظهر ما شاء من الصداقة لهم اما نحن فيهمنا ان يخشى بأسنا وهذا هو مبدأ سياستنا . ضع الخوف من انكلترا في كفة الميزان الواحدة وكل صداقتهِ لفرنسا وتملقهِ لها وتزلفهِ اليها في الكفة الاخرى وانظر ايهما ارجح

وكتب الى لورد بردهو (الذي صار دوق نورثمبرلند) في ٢٠ يوليو سنة ١٨٢٧ يقول : وصل اربعة آلاف جندي من القاهرة وهم في العدَّة الكاملة والانتظام التام ومعهم جوقتان من الموسيقى العسكرية معهما ثلاثون من آلات النفخ وكلهم من اولاد العرب يتخرّبهم اي فيلق كان من الفيالق الانكليزية والمظنون ان الاسطول ينقلهم الى المورة في الاسبوعين التاليين

وقال في كتاب كتبهُ حينئذٍ الى صديق لهُ ان هواء الاسكندرية على غاية الجودة والمقام فيها طيب ولكن حال الافرنج فيها اسوأُ ما يكون في بلاد الترك لان القناصل اطمعوا الباشا بهم وهم الآن تحت رحمتهِ

وخاف سكان الاسكندرية ان تنشب الحرب بين تركيا والدول الاوربية بسبب المورة فتضطر مصر ان تحارب مع تركيا فكتب في ٢٤ يوليو يقول : لاخوف من ذلك لان محمد علي يبقى على الحياد حينئذٍ لئلاَّ تتلف عمارتهُ البحرية وهي اعز شيءٍ لديهِ وعليها اعتمادهُ اذا اراد ان يبقى في ولاية هذه البلاد

ثم اتلفت عمارات الدول الاوربية العمارة التركية والعمارة المصرية في العشرين من اكتوبر كما هو معلوم . وبلغ الخبر محمد علي فرضخ لاحكام القدَر وقابلهُ المستر باركر حينئذٍ وقال لهُ ان الاتراك هم الذين اطلقوا القنابل اولاً ولولا ذلك ما حدث شيءٌ مما حدث فقال لهُ كلاَّ بل ان ماحدث مقدور لا يمكن ردهُ

وكتب الى السر ادورد كودرنجتون امير الاسطول الانكليزي في البحر المتوسط في ٢٨ نوفمبر يقول : وصلني كتابكم المؤرخ من نفارين في ٢٥ اكتوبر وعليهِ اجيب ان سمو الوالي بلغهُ خبر تخريب عمارتهِ ولم يحدث لنا شيءٌ مما كنا نخشى وقوعهُ وفي الثاني من هذا الشهر انتشر الخبر في الاسكندرية ولكن لم يبدُ من الاهالي اقل شيءٍ من علامات الغيظ والانتقام . وقد ابدى سمو الوالي الصبر ورحب الصدر في هذه النازلة . وحينما كان يقرأ خبرها كان يتوقف مراراً ويقول لقد انبأتهم بذلك وانذرتهم بهذهِ العاقبة لانني اعلم من هم الاروام . وقبل ان يتم قراءة التقرير ارسل واستدعى الكونت دواسنفيل قومندان الفرقاطة الفرنسوية لافستال وأكَّد لهُ ان تخريب عمارتهِ لا يغير مودتهُ للرعايا الفرنسويين ولا لغيرهم من الاوربيين المقيمين في بلادهِ الذين يحسبهم اهلاً لعنايتهِ وحمايتهِ كيفما تقلبت الاحوال

وفي اليوم التالي قابلت سموهُ فقابلني متعطفاً بلطف يزيد على المعتاد وأكَّد لي ما قالهُ سابقاً وهو انهُ اذا نشبت الحرب بيننا وبين الباب العالي فالانكليز الذين في القطر المصري يبقون متمتعين بالحماية والرعاية ولا ينالهم اقل اذى. ثم قال اني اشتهرت بالعدل والحرية ولا بدَّ لي من الاحتفاظ بهذه الشهرة

وقلت لهُ ان السلطان انذر اوربا بقتل كل النصارى في مملكتهِ اذا تلفت عمارتهُ فلم يقل لي لا تصدق هذا الكلام بل قال "انهُ ان كان السلطان يفعل هذا الامر المنكر فلا يكون مسلماً بل يكون كافراً بشريعتنا لانها تأمرنا امراً صريحاً بحفظ ذمة النصارى القاطنين في بلادنا"

ويظهر لي انهُ يترقب الفرص الآن حتى اذا نشبت الحرب بين الباب العالي ودول اوربا يجد سبيلاً للبقاء على الحياد لكنهُ لا يترك التأهب وعندهُ الآن نحو خمسة آلاف او ستة آلاف من فرسان البدو والمال قليل في خزانتهِ لكثرة ما انفق على حرب المورة ولانهُ جاء على البلاد سنتا قحط وزد على ذلك كثرة النفقات التي انفقها على معاملهِ ومرفإ الاسكندرية والقصور الفخيمة التي تفوق قصور الاستانة مع ان ايرادهُ لا يزيد في سني الخصب على اربعة ملايين من الجنيهات ولذلك لا ادري من اين يأتي بالمال لهذه النفقات

قال جامع الكتاب ولم يكن المستر باركر يدري ان محمد علي يتَّجر بحاصلات البلاد فيها ويربح منها ربحاً وافراً فلما علم ذلك كتب في ٣٠ مايو سنة ١٨٢٧ يقول: قبلما اتيت هذا القطر كنت احسب ان سموهُ يرسل الحاصلات الى اوربا لتباع فيها كما يفعل التجار فيكتب الى عميلهِ مثلاً اني مرسل اليك كذا وكذا بالة من القطن بالسفينة الفلانية وطيهُ ورقة الشحن فاستلم البضاعة بموجبها وادفع اجرة الشحن وبع البضاعة بالثمن الأحسن وابقِ صافي الثمن تحت امري. وظننت انهُ يمكنني ان اقنع بوغوص ليرسل بعض القطن الى اخي في جنوى لكنني وجدت الامر على غير ذلك فان الباشا عرف بالاختبار ان التجار يخونونهُ اذا ائتمنهم ولذلك فالطريقة الفضلى لهُ ان يأتي بالقطن الى الاسكندرية ويبيعهُ بالمزاد لمن يرسو عليهِ اعلى سعر ويكون الثمن نقداً. ثم صار يحتاج الى النقود قبل اوان الموسم لكثرة ما تقتضيهِ مشروعاتهُ من النفقات فصار يقول للتجار اني اقدم لكم بعد ثلاثة اشهر او اربعة او خمسة او ستة كذا بالة من القطن واطلب منكم الآن تسعة اعشار الثمن نقداً واتعهد بارسال القطن الى عملائكم في اوربا. وقد بلغ من تناظر التجار بعضهم مع بعض ان اوصل بيت فرنسوي منهم ثمن القنطار الى ثلاثة عشر ريالاً يدفع نصفها او ثلثيها سلفاً والباقي عند التسليم. ويقول الذين ذاكرتهم في هذا الموضوع من اصدقائي ان هذا الثمن فاحش وفيهِ غبن كثير على المشتري. واذا بعث الباشا بالقطن الى التاجر وعلم انهُ يبقى لهُ عندهُ جانب من الثمن طلب منهُ ان يرسل اليهِ بعض الآلات الثمينة او نحو ذلك مما يفوق ثمنهُ الجانب الباقي من ثمن القطن حتى يكون مديوناً لا دائناً حاسباً ان حماقة تجار اوربا تجعلهم يرسلون ما يطلبهُ منهم لكي لا يخسروا معاملتهُ

وكتب الى اخيهِ في ٢٥ دسمبر سنة ١٨٢٧ يقول: "رجعت الآن من رشيد وقد ذهبت اليها

في النيل مع جماعة متنزهاً . اول شيء وقع عليهِ نظري شجرات من الصفصاف راقني منظرها جداً حتى كدت اطرح نفسي تحتها. ثم زاد المنظر جمالاً وبهجةً الى ان وصلت الى ابي الانهار ودخلت السفينة فسارت بنا والنسيم يسوقها والتيار جارٍ معها وانا اشعر بسرور وارتياح لم اشعر بمثلهما في حياتي الى ان تعطرت الارجاء برائحة النارنج فعلمنا اننا صرنا على مقربة من رشيد . والتفت الى الشاطئ واذا انا بجبل من بالات القطن فيهِ الف وخمسماية بالة وبجبل آخر من اكياس الفول جبل شاهق يصعد عليهِ السيَّاح فيطلُّون على المدينة والبلاد المجاورة . هذه احدى عجائب مصر . ورأيت اربعين آلة لضرب الارز وقشرهِ ومعملين بديعين لنسج القطن ومعملاً فاخراً لعمل الطرابيش المغربيَّة لم يستطع الاوربيون ان يناظروهُ . وفي هذه المعامل ثلاثة آلاف او اربعة آلاف عامل لا يساعدهم احد من الاوربيين "

وعادت بقية الاسطول العثماني الى مصر في اوائل سنة ١٨٢٨ فكتب المستر باركر يقول: "عاد محرَّم بك ومعهُ عشرون الفاً منهم ٥٥٠٠ من اسرى الاروام والباقون بحارة. والسفن التي عادت ٤٧ وتقسم هكذا

السفن المصرية	عدد	السفن التركية	عدد
فرقاطة فيها ٦٠ مدفعاً	١	بارجة	١
كورفت	٥	فرقاطة فيها ٤٤ مدفعاً	٤
ابريق حربي	١١	كورفت	٤
سفن نقل	٢١		٩
	٣٨		

وبلغني ان عند ابرهيم باشا من الميرة ما يكفيهِ ثلاثة اشهر او اربعة. وكان اكثر الاسرى من الفتيان والفتيات فوزعوا على بيوت الكبراء في الاسكندرية والقاهرة ووعد محمد علي بردهم الى اهلهم لكنني اشك في مقدرتهِ على انجاز هذا الوعد "

والحَّت الدول المحالفة على ابرهيم باشا ان يترك المورة ويمضي الى الروملي فكتب الى ابيهِ يستشيرهُ في الامر وجاء السر ادورد كوردنجتون امير البحر الى الاسكندرية لهذا الغرض وبعد جدال طويل امضى محمد علي المعاهدة التي بموجبها خرجت الجنود المصرية من المورة وكان للمستر باركر اليد الطولى في ذلك . ثم اشتغل في افتداء الاسرى فلم يقبل منهم بالعتق الاَّ اربع مئة واما الباقون ففضَّلوا البقاء في مصر

وعاد ابرهيم باشا الى مصر فكتب المستر باكر في ١٣ اكتوبر سنة ١٨٢٨ يقول : "عاد

ابرهيم باشا وكل جنوده تصحبهم البارجة الانكليزية دارتموث وبارجة اخرى اوربية ومع ابرهيم باشا خمسة عشر الفاً وهم والخمسة الآلاف الذين رجعوا قبلاً نصف الجيش الذي ذهب الى المورة وعاد معهم اربع مئة من نساء الاروام متزوجات برجال منهم"

وكتب الى احد اصدقائهِ في ١٧ يناير سنة ١٨٢٩ يقول :

" اني انا والمسيو دروفتي (قنصل فرنسا) راضيان بالحالة الحاضرة لا شيء يقلقنا ولكن المسيو يزاني قنصل روسيا الجنرال أُمر بالرحيل عن هذه الديار منذ بضعة ايام مع ان الباشا كان قد سمح لهُ بالبقاء فيها بغير صفتهِ الرسمية . ويقال ان سبب ذلك اوامر جديدة وردت من الاستانة ولكن من المؤكد انهُ اغاظ الباشا منذ ايام فانهُ زارهُ يوم الجمعة ودخل مجلسهُ من غير استئذان وكان غاصاً بالعلماء ونقدم وجلس الى جانبهِ فوق صهرهِ محرَّم بك . ولما خرج سأل بعض الحضور مَن هذا الرجل فقال الباشا بيداهتهِ المشهورة انهُ قنصل روسيا الذي عزمت ان اخرجهُ من بلادي"

وكتب في ٥ مايو يقول : "وردت الاوامر بتعييني قنصلاً جنرالاً في القطر المصري وكتب اليَّ لورد ابردين يقول لقد سررت جدًّا بما بدا منك من سداد الراي في حل المشاكل السياسية التي ظهرت حديثاً وانت في منصب النيابة عن القنصل الجنرال فعرضت اسمك على جلالة الملك لتعيينك في هذا المنصب فتكرَّم جلالتهُ واجاب طلبي "

وكتب في ٦ مايو سنة ١٨٢٩ يقول : "لا يزال ابرهيم باشا يؤخر السفر بجنودهِ لاعانة السلطان على الروس واخيرًا رضي السلطان ان يأخذ من محمد علي مليون ريال بدل هذه الاعانة"

وكتب في غرة سبتمبر سنة ١٨٢٩ يقول : "ان الباشا باذل اقصى جهدهِ في تحصين الثغور البحرية لانهُ يحسب ان السلطان سيعود اليهِ ويناقشهُ الحساب بعد فراغهِ من حرب الروس . وعندهُ الآن خمسون الفاً من الجنود المنظمة وخمسة عشر الفاً من البدو وهو قادر على مناوأة السلطان من حيث عدد الجنود وتنظيمها ولكن سلطة السلطان الدينية وان تكن قد ضعفت كثيرًا لاتزال ترهبهُ. وقد سمعنا الآن بمقدمات الصلح بين الاتراك والروس . ثم كتب يقول : طغى النيل سنة ١٨٢٩ فاتلف من المزروعات ما يقدَّر بثلاثة ملايين من الريالات ولذلك تأخر محمد علي عن مساعدة السلطان على دفع القسط الاول من غرامة الحرب لروسيا ولكنهُ لم يتأخر عن التأهب مخافة من ان يقصدهُ السلطان بمكروه . وغاظهُ عقد الصلح بين الدولة والروس لانهُ اراح السلطان. وقد انزل في الاسبوع الماضي فرقاطة محمولها خمسون مدفعاً بناها لهُ رجل تركي امي لا يقرأُ ولا يكتب . وعندهُ رجل فرنسوي اسمهُ ده سريسي وهو

الذي يبني سفينةً عادةً وقد بنى له الآن بارجة محمولها ١١٠ مدافع ولا يزال يبني ثلاث بوارج اخرى عدا الفرقاطات والكورفتات

وكتب الى القنصل الجنرال في الاستانة في ١٤ نوفمبر سنة ١٨٢٩ يقول: "طلب السلطان اسطولهُ واسطول محمد علي ومبلغاً طائلاً من المال فارسل اليهِ الاسطول الاول والمال الذي طلبهُ واما الاسطول الثاني (اي اسطول محمد علي) فلم يرسلهُ لعلمهِ ان بقاءهُ في ولاية هذه البلاد متوقف على اسطولهِ. واسطول السلطان مؤلف من ثماني عشرة سفينة فيها بارجة وفرقاطة لا تصلان الى الاستانة والبقية وهي خمس فرقاطات وعشرة كورفتات في حالة صالحة. اما المال المطلوب فهو خمس مئة الف ريال ولولا الضرر الذي حلَّ بالقطر بسبب فيضان النيل لارسل مبلغاً اكبر من هذا وانى ارى رأيك وهو ان وقوع العداء بينهُ وبين السلطان ليس من مصلحتهما. ومحمد علي يبذل كل مرتخصٍ وغالٍ ليبقى على ما هو عليهِ لانهُ حائز تمام الاستقلال فعلاً"

وكتب في ١٦ مارس سنة ١٨٣٠ يقول: "ان دولتهُ طلبت منهُ ان يخابر محمد علي في مهمةٍ سريةٍ ذات شأن كبير وان محمد علي ابى ان يساعد الفرنسويين على اخذ بلاد الجزائر واغتاظ من اغارتهم عليها قائلاً انهم سيمتلكون كل ساحل افريقية الشمالي ويصيرون في جواري وهذا يسوءني جداً. ولم تبقَ شبهة في انهُ ينوي الاغارة على بلاد الشام لان الاستعداد لذلك قائم على ساق وقدم"

وكتب في اول ابريل يقول: "في الرابع والعشرين من الشهر الماضي تكلَّم ابرهيم باشا مع ضباط جيشهِ وبيَّن لهم عزمهُ على مناوأة الدولة كأنهُ يريد ان يؤثر في عقولهم استعداداً لهذا الحادث الجلل حتى اذا حدث لا يستعظمونهُ ومما قالهُ لهم "ماذا انتفعت انا او انتفعتم انتم من السلطان لو طلبنا منهُ شربة ماء لمنعها عنَّا ونحن كلنا قد اكلنا خبز محمد علي وربينا عندهُ كاولادهِ وبفضلهِ وكرمهِ وصلنا الى ما وصلنا اليهِ انا وانتم . مصر لهُ اخذها بسيفهِ ولذلك لا نعرف لنا حاكماً غيرهُ""

ومن الاغلاط الشائعة ما يزعمهُ البعض من ان ابرهيم باشا ليس ابن محمد علي بل هو مملوكهُ ولكن كل من يرى الاثنين يجد الشبه التام بينهما ولا سيما في قصر الذراعين . وسبب هذا الغلط ان محمد علي كان يظهر الحب لابنهِ طوسن اكثر مما يظهرهُ لابرهيم. ثم ان رتبة ابرهيم باشا اعلى من رتبة ابيهِ لانهُ امير الحرمين وتتلوها رتبة امير الشام او امير الحج ثم رتبة امير بغداد ثم رتبة امير مصر وهي رتبة ابيهِ"

«ستأتي البقية»

باب الزراعة

مناظرونا في الزراعة

من اكبر مناظرينا في الزراعة اهالي الجزائر الاميركية المعروفة بالهند الغربيَّة فان بلادهم حارَّة مثل بلادنا ويزرعون كثيرًا من المزروعات التي تزرع في القطر المصري ولا سيما قصب السكَّر . وقد اهتمت الحكومة الانكليزية حديثًا اهتمامًا عظيمًا بانشاء مجلس زراعي لهم اناطت رئاستهُ بالدكتور موريس . وقد اطلعنا على خطبة لهُ اشار فيها الى اعمال هذا المجلس في العام الماضي ومنها عقد المؤتمرات الزراعية السنوية التي يشترك فيها ارباب الزراعة ويتداولون في ما يعود عليهم بالفائدة . وقد طالعنا مداولات هذه المجالس فوجدنا فيها دلائل العلم والبحث والتنقيب والرغبة في نشر الفوائد الزراعيَّة ووددنا ان نرى المداولات في اجتماع جمعيتنا الزراعية جارية هذا المجرى وغير مقتصرة على كليات يقولها الرئيس وتقرير يقدمهُ الكاتب والبحث في مسألة او مسألتين من المسائل الادارية . والظاهر ان ارباب الزراعة في تلك البلاد يحضرون المؤتمر الزراعي بقصد الافادة او الاستفادة فيفسح لهم المجال في اجتماعات متوالية يجتمعها الاعضاء ويتلون فيها خطبًا وتقارير مبنيَّة على بحثهم واختبارهم

ومما اشار اليهِ الخطيب تقارير اللجان التي عينت للبحث في بعض المسائل الهامَّة كمسألة التقاوي ومسألة السماد ومسألة الاثمار التي تصدر من البلاد ثم فصَّل بعد هذا الاجمال مسألة زرع قصب السكَّر وما جرى من الاهتمام بتكثير سكرهِ ودفع الحشرات عنهُ وقال انهُ يرجو ان يزيد السكر في القصب اربعين او خمسين في المئة . والتفت بعدها الى الكاكاو والاروروط والبطاطة الحلوة والبصل وتربية النحل وانتقل الى التعليم الزراعي وتقديم الخطب الزراعية لمعلمي المدارس الابتدائية حتى يتعلموا منها مبادئ هذا العلم ويعلموها لتلامذتهم . ووصف المدارس الزراعية في سنت فنسنت وسنتا لوسيا ودومينيكا . ولا ندري كيف يكون حالها الآن بعد الثوران البركاني الذي اصاب تلك الجزائر

وانتقل الى الكلام على دور الامتحان الزراعي والمعارض الزراعية والمطبوعات الزراعية التي طبعت ونشرت في مواضيع مختلفة

ويظهر لنا من مطالعة هذه الخطبة ان الهمة التي تبذل في تلك الجزائر الصغيرة القليلة

السكان تفوق الهمة التي تبذل في القطر المصري فعسى ان يقتدي ولاة الامر في هذا القطر بما يفعلهُ غيرهم في تلك الجزائر النائية ويهتموا بادخال التعليم الزراعي في كل المدارس الثانوية والابتدائية لشدَّة الحاجة اليهِ

الاراضي الزراعيَّة في القطر المصري

يزيد نطاق الاراضي الزراعية في القطر المصري عاماً بعد عام كما ترى في الجدول التالي لكن هذه الزيادة لا تجري على نسبة واحدة في كل المديريات لانها مختلفة في مساحاتها وفي اتساع الاراضي البور فيها وفي ما بلغها من ماء الري حتى الآن وقد اقتصرنا على ذكر المساحة كل خمس سنوات من سنة ١٨٨١ الى سنة ١٩٠١

المديرية او المحافظة	سنة ١٨٨١ فدن	سنة ١٨٨٦ فدن	سنة ١٨٩١ فدن	سنة ١٨٩٦ فدن	سنة ١٩٠١ فدن
القليوبية	١٨٥٦٧٧	١٨٥٦٢٨	١٨٦٦٠٨	١٩٣١٨٥	١٩٤٨١٩
الشرقية	٤٢٠٥١٢	٤٣٠١٦١	٥٣٥٠٧٦	٥٣١٤١١	٥٣٥٩٤٣
الدقهلية	٤٥٣٦١٧	٤٥٩٧١١	٤٧٦١٨٨	٤٩٢٨٣٦	٥٠٣٠٩٦
الغربية	٨١٢٨٨٦	٨٣٣٢٠٦	٨٣٧٧٩٨	٩٣٦٦٤٠	٩٧٥٢٨٧
المنوفية	٣٣٨٨٩٣	٣٤١٧٤٧	٣٥٠١٧٥	٣٥٢٢٠٩	٣٥٢٥١٩
البحيرة	٣٩٨١٢٧	٤٦٥١١٤	٤٩٥٠٩١	٥٦٨١٢٩	٦٩٣٥٩٦
الجيزة	١٧٥٤٩٦	١٧٦٦٥٨	١٨٠١١١	١٧٨٧٣٨	١٨٢٢٢١
بني سويف	٢٢٧١٤٢	٢٢٩٥٢٤	٢٣٤٥٦٣	٢٣٦٠٩٩	٢٣٦٩٣٦
الفيوم	١٩٤٠٠٩	٢١٨٨٦٥	٢٢٩٧١٨	٢٦٨٥٧٤	٢٩٤٤٧٢
المنيا	٣٦٨٦١٤	٣٨٧٥٦٩	٣٨٨٣٥٩	٣٩٥٣٠٧	٣٩٥٢٧٣
اسيوط	٤١٣٢٤٥	٤١٥٢٢٣	٤١٦٨٩٣	٤١٤٩٢١	٤١٧٤٣٥
جرجا	٣٢٠٤٣٦	٣٢٢٠٤٢	٣٢٥٩٨٤	٣٢٣٠٧٩	٣٢٥٤٤٠
قنا	٢٧٣٢٠٠	٢٧٤٣٠١	٣٣٩١٥٧	٣٣٩٩٨٠	٣٤٣٥٣٧
اصوان	١٣٣٥٦٢	١٤٠٥٩٤	٧٠٧٩٥	٧٣٠٠١	٧٠٨٢٥
السويس				٦٩٨	٢٩٠٦
القنال					٥٥٦٥
الجملة	٤٧١٤٤٠٦	٤٨٨٠٣٤٣	٤٩٦٦٥١٦	٥٣٠٥٨٠٧	٥٥٢٩٨٧٠

يرى مما تقدم ان نطاق الاراضي الزراعية زاد في كل المديريات الا في اصوان وان هذه الزيادة بلغت في البحيرة ثلثمئة الف فدان وفي الغربية مئة وستين الف فدان وفي الشرقية اكثر من مئة الف فدان وفي الفيوم مئة الف فدان وفي قنا سبعين الف فدان وفي الدقهلية خمسين الف فدان وجملة الزيادة اكثر من ثمانمئة الف فدان في عشرين سنة عدا الزيادة في اصلاح الارض الزراعية نفسها

مرض القطن

نشرت الغازت مقالة في هذا الموضوع لحضرة المستر فلتشر من اساتذة مدرسة الزراعة وقد ترجمناها عنها لتعميم نفعها

سبب المرض

رأى كاتب هذه المقالة عند زرع القطن هذه السنة ان كثيرًا من البزور لم تخرج نباتًا فوق وجه الارض . وبعد البحث ظهر ان ذلك لم ينشأ عن رداءة التقاوي بل انها حالما تفرخ كان يسطو عليها احد نوعين من النباتات الفطرية فيقتلها وهذان النوعان احدهما من الفصيلة المعروفة عند علماء النبات باسم (Oomycetes) وهو من النباتات الفطرية الدنيا والآخر من النباتات الفطرية العليا . وكلامنا الآن على النوع الثاني

شرع الكاتب في استنبات هذا النوع من الفطر استنباتًا صناعيًا ليدرس طبيعتهُ حتى يسهل علاجهُ . ثم بعد زرع القطن في اراضي مدرسة الزراعة رأى ان بعض النباتات اخذت تذبل وتموت او تتكسر على مساواة سطح الارض . فأخذ بعضها وفحص واستنبت من حين الى آخر بالطرق المعروفة فوجد كل مرة ان السبب في موتها وجود النباتات الفطرية المذكورة

وفي ٩ يونيو الحالي احضر دولة البرنس ابرهيم باشا حلمي الى مدرسة الزراعة عينات من هذه الشجيرات المصابة من اطيان دائرة القصر العالي في كفر الحمام ففحصها الكاتب تحت المكرسكوب فوجدها مصابة بالمرض نفسهِ ثم زار هذه الاطيان باشارة دولة البرنس حسين باشا كامل وقدر ان الخسارة التي تنال موسم هذه السنة تبلغ ١٠ في المئة بسبب المرض وان المرض تقدم تقدمًا سريعًا عما كان عليهِ في السنة الماضية . وبعد الفحص المدقق ثبت لهُ ما يأتي

(١) ان المرض دخل هذه البلاد على المرجح من اميركا مع تقاوي القطن السي ايلند وذلك منذ ثماني سنوات

(٢) ان ما يزرع من القطن في بقعة معلومة ويصاب بالمرض يصاب ايضًا سنة بعد سنة وذلك مما يدلُّ على ان التربة نفسها مصابة

ثم ان اعراض المرض الخارجية تطابق اعراض المرض الاميركي المسمى بما معناه جرح الوظيف وكذلك اوصاف نمو الفطر لكن الاميركيين عجزوا عن مشاهدة بزور هذا الفطر ولذلك لا يمكن الحكم ان المشابهة تامة بينهُ وبين الفطر المصري

اعراضهُ

اعراض هذا المرض اما ذبول نبات القطن كلهِ ذبولاً سريعاً وموتهُ بعد ثلاثة ايام او انحناؤهُ عند مساواة سطح الارض . ولكن يجب الانتباه الى معرفة ما اذا كان هذا العرض الاخير ناشئاً عن المرض الذي نحن بصددهِ او عن الدودة التي تنخر سوق القطن . فان الدودة تنخر ثلماً يحيط بساق النبات على علو ٥ او ٦ سنتمترات عن سطح الارض على الغالب فتنكسر الساق بسهولة من جرى ذلك . ثم ان وجود النخر الذي تنخرهُ دودة القطن ووجود مفرزاتها علامة فارقة لها عن النبات الفطري وفي كلتا الحالين المذكورتين آنفاً اي موت النبات وانحنائهِ تنتفخ ساقهُ فوق مساواة سطح الارض او تحتها اي فوق المكان المصاب او تحتهُ او فيهما كليهما. فيدق القسم الذي بينهما كثيراً حتى يسهل كسرهُ . واذا فحص ظهر انهُ مشمول بخيوط من النبات الفطري تبرز منهُ على زوايا قائمة وعليها دقائق صغيرة من التراب

اما اقسام النبات التي فوق المكان المصاب وتحتهُ فتظهر صحيحة سليمة الاَّ اذا كان المرض شديداً فتصير الجذور مطاطة كالجلد . واما المكان المصاب فيكمد لونهُ واذا قطعت الساق طولاً ظهر ان المرض ممتدٌ الى الانسجة الداخلية وان لون القسم الذي تحت الارض من الساق اخضر زيتوني . ويرى في المكان المصاب على الغالب جرح ملتئم كل الالتئام او بعضهُ ومن ذلك اشتق الاسم الاميركي مرض الوظيف لان المكان المصاب يصير كالوظيف وهو المكان الدقيق من قائمة الحيوان بين الحافر والساق وسبب الالتئام محاولة النبات ان يتخلَّص من المادة الفطرية بتكوين نسيج ذي جدران كثيفة من داخلهِ

طباعهُ

(١) اشدُّ ما يصاب القطن بهذا الفطر عند مساواة وجه الارض

(٢) يمكن ان تصيب خيوطهُ النبات السليم فتضرَّ بهِ

(٣) اذا وضعت هذه الخيوط في الماء انتشرت بسرعة وامتدت ٤ او ٥ سنتمترات في ١٢ ساعة

(٤) يتولد هذا الفطر من نوعين من البزور على الاقل تكون في نسيج النبات

(٥) احد هذين النوعين مغلَّف بجدار خلوي كثيف وهو من النوع المسمى بالجراثيم الساكنة لانهُ يستطيع ان يبقى في التربة بلا عمل مدة طويلة ثم يتولَّد ويصير نباتاً جديداً

(٦) تصيب هذه الجراثيم نسيج النبات الذي هو مصدر نموهِ وعليهِ فاذا كانت شديدة الوطأة توقف نموُّ النبات

علاجهُ

علاج هذا المرض على نوعين اما واقٍ واما شافٍ . فاما العلاجات الشافية فقلما تؤثر في النباتات السنوية كالقطن ولكن يمكن تجريب الآتية منها

(١) ضع ترابًا كثيرًا حول الشجيرات حتى تمنع ما اضعفهُ المرض منها عن الانحناء والسقوط

(٢) عند ريها ابقِ التربة المباشرة لسوق الشجيرات جافَّةً لان هذه النباتات الفطرية قلما تنبت او لا تنبت ابدًا في التربة الجافَّة

(٣) سمِّد التربة بمزيج من نيترات الصودا واعلى الفوصفات على نسبة ١٠٠ رطل من الاول و ٤٠٠ من الثاني لكل فدان . والغرض من ذلك تعجيل نموّ القطن وتمكينهُ من طرد النبات الفطري . غير ان معظم النفع يأتي من العلاجات الواقية وهي

(١) يجب ان لا تنقل حطب القطن المصاب من غيط الى آخر خشية نقل العدوى ويجب الحذر من القاء شيء منهُ في الترع

(٢) يجب ايضًا منعًا لانتشار العدوى في الغيط الواحد ان تحرق القطن المصاب في ارضهِ ويترك معهُ كثير من التراب حينما يقلع لكي تهلك الجراثيم التي في الجذر وقسم كبير من الجراثيم التي في التراب حولها . ويجب ان لا ينقل شيء من تراب الارض المصابة الى الارض السليمة بالتقصيب ونحوهِ

(٣) منعًا لبقاء المرض من سنة الى سنة يجب ان تحرق النباتات التي تموت بالمرض حالاً قبل ان تجف وتيبس ويصير انتقال العدوى سهلاً

(٤) يجب ان تكون مدة تعاقب زرع الارض طويلة على قدر الامكان (اي لا يكرر زرع القطن فيها الاَّ كل ثلاث سنوات او اربع)

(٥) يحسن القاء فضلات معامل الغاز في الارض بعد قلع سوق القطن

(٦) يحسن ان تغمس التقاوي في بعض السوائل الكيماوية التي تميت بزور الفطر قبل زرعها

(٧) يجب ان لا يزرع الاَّ التقاوي القوية في الاراضي المصابة

زرع الغابات في مصر

نرى من نظارة المالية ونظارة الاشغال العمومية اهتمامًا كبيرًا بحمل الناس على الاكثار

من زرع الاشجار حتى تكثر الحراج او الغابات في هذا القطر . وقد اطلعنا على شروط عقدتاها حديثاً مع رجل انكليزي على ان يزرع الف فدان من سبعة آلاف فدان فيحق لهُ ان يشتري ما يصلحهُ منها بثمن بخس واشترطت ان يزرع الالف الفدان شجراً او سيسلاً وهو نبات يشبه الصبر او دم العفريت يستخرج من اوراقهِ الياف متينة لعمل الحبال ونحوها

وقد اعتني المستر فلوير مدير التلغراف المصري بزرع الغابات على جانب خط سكة الحديد بين القناطر الخيرية والخطاطبة فترى هناك الوفاً والوف الوف من اشجار الصنوبر بعضها لا يزال صغيراً جداً وبعضها بلغ ارتفاعهُ عدة امتار وما لا يحصى من نبات السيسل. واقتدى بهِ بعض المزارعين قرب الخطاطبة فاقاموا مظلَّة كبيرة تغطي مساحة واسعة من الارض زرعوا تحتها بزور الاشجار المختلفة لكي ينقلوها حالما تكبر وتصير تحتمل ان تزرع وحدها

السماد والقمح

الشائع ان السماد يفيد القمح تارةً ويضرهُ اخرى . والغالب انهُ ينميهِ كثيراً ولكن هذا النمو يقتصر على السوق والاوراق ولا يتناول الحب بل كثيراً ما يهيف القمح اذا كثر خصب ارضهِ ويأتي من غير حب او يكون حبهُ صغيراً جداً . ولكن يظهر من تجارب ارباب الزراعة انهُ اذا كان السماد نيترات الصودا واعلى فصفات الصودا زاد الخصب وزاد الحب ايضاً اما نيترات الصودا فلا يستعمل الاَّ متى كبر نبات القمح لكي تمنع جذورهُ فقدان النيترات بماء التصافي

اما الفصفات الاعلى فيسمد الفدان بثلاثة قناطير منهُ تنشر على سطح الارض قبل البذر وحينما يعلو القمح ويصير ارتفاعهُ عشرة سنتيمترات او ١٥ سنتيمتراً عن سطح الارض يمكن ان يضاف اليهِ قنطار ونصف من نيترات الصودا مخلوطة بمقدار كافٍ من التراب الناعم لكي يسهل توزيعها في الارض واذا سمدت ارض القمح بالفصفات الاعلى والنيترات تكون كلفة الفدان مئة غرش . واذا سمدت بالنيترات فقط واستعمل منهُ قنطاران فالكلفة ٨٠ او ٨٥ غرشاً وهو مبلغ زهيد يعوَّض باكثر من ذلك من زيادة المحصول . واذا زرع القمح بعد القطن او الذرة التي اضيف اليها سباخ بلدي فيكون التسميد بنيترات الصودا كافياً واذا كانت الذرة مسبخة بسباخ كفري وزرع القمح بعدها فيفيدهُ التسميد بالفصفات الاعلى . ومن المقرر ان نيترات الصودا يفيد الحبوب كالقمح والشعير

وتظهر من الصورتين المقابلتين نتيجة التجارب التي جُرِّبت في مصر اظهاراً لتأثير نيترات الصودا في القمح ففي الصورة العليا القمح البوهي مسمَّداً بنيترات الصودا وغير مسمَّد فالمسمَّد هو الحزمة الكبيرة في يسار الصورة وغير المسمَّد الحزمة الصغيرة في يمينها وقد سمد الفدان بقنطار



ذرة مسمدة بالفصفات الاعلى ونيترات الصودا انظر صفحه ٦٩١

ونصف من نيترات الصودا ثمنها ٦٥ غرشاً فزاد القمح ٦ كيلات والتبن حملين وبلغ ثمن هذه الزيادة ١١ غروش ولم تستهلك كل فائدة السماد من الارض

وفي الصورة السفلى القمح المندي وقد زاد حبهُ وتبنهُ كما زاد القمح البوهي. ولا بدَّ من اضافة نيترات الصودا الى الارض قبلما يعلو النبات كثيرًا والاَّ وقع السماد على اوراقهِ وسوقهِ ولا يحصل النفع التام منهُ الاَّ اذا وصل كلهُ الى الارض. ويجب ان يضاف هذا السماد حينما تجف الارض وقبل ان تروى الرية الاولى ويستحسن ان يكون التسميد باكرًا حتى اذا وقع المطر على السماد غارمعهُ في الارض

ونيترات الصودا تفيد الشعير كما تفيد القمح فيسمد الفدان منهُ بقنطارين من نيترات الصودا ويمكن ان يسمَّد بكبريتات النشادر. ويحسن ان يضاف الى السماد قليل من الفصفات الاعلى اذا كانت الارض ضعيفة جدًّا

تسميد الذرة

الذرة من اكثر المزروعات استفادة بالسماد كما لا يخفى وهي النبات الوحيد الذي يسمد دوامًا في هذا القطر. وعيدان الذرة كبيرة وحبها كثير ونموها سريع فتحتاج الى غذاء كثير واذا لم تجد ما يكفيها في الارض لم تنمُ كثيرًا ولا نتج منها غير حب قليل

والمستعمل في القطر المصري السباخ البلدي والسباخ الكفري واذا كان السباخ الكفري جيدًا ففائدتهُ للذرة اكبر من فائدة السباخ البلدي وقد ظهر من تجارب الجمعيَّة الزراعية في اراضيها بالجيزة انهُ اذا زرعت الذرة بعد القمح فستون حملاً من السماد الكفري تقوم مقام مئة وعشرين حملاً من السباخ البلدي وهذا يدل على ان الذرة تطلب ان يضاف الى الارض مادة نيتروجينيَّة تذوب فيها بسهولة اما اذا زرعت الذرة بعد البرسيم فالسباخ البلدي لا تقلُّ فائدتهُ كثيرًا عن السباخ الكفري. ثم ان السباخ البلدي يفيد الارض اكثر من السباخ الكفري اي يبقى فيها من الغذاء للنبات بعد الذرة اكثر ممَّا يبقى فيها لو سمدت بالسباخ الكفري و يظهر ذلك اذا زرعت قمحًا بعد الذرة

والتسميد بالفصفات الاعلى يفيد جدًّا في كثير من الاطيان. ويكون التسميد بهِ قبل وضع البذار فيها اذا كانت مزروعة قمحًا قبل ذلك. ثم يسمد الفدان بقنطارين من نيترات الصودا حينما تعلو الذرة عن سطح الارض. والقمح الذي يزرع بعد الذرة المسمدة بالسباخ البلدي يجود اكثر من القمح الذي يزرع بعد الذرة المسمدة بالسباخ الكفري اذا تساوت بقية الاحوال

وترى في الصورة المقابلة صورة غيط من الذرة المسمدة بالفصفات الاعلى ونيترات الصودا وقف رجل فيهِ وامسك بيدهِ مقياسًا كتبت عليهِ الامتار فبلغ ارتفاع الذرة ثلاثة امتار وعرانيس هذه الذرة كبيرة جدًّا وفي العود منها عرنوسان او اكثر



قد رأينا بعد الاختبار وجوب فتح هذا الباب ففتحناهُ ترغيباً في المعارف وانهاضاً للهمم وتشحيذاً للاذهان . ولكنَّ العهدة في ما يدرج فيهِ على اصحابهِ فنحن براءُ منهُ كلهِ . ولا ندرج ما خرج عن موضوع المقتطف ونراعي في الادراج وعدمهِ ما يأتي: (١) المناظر والنظير مشتقَّان من اصل واحد فمناظرك نظيرك (٢) انما الغرض من المناظرة التوصل الى الحقائق . فاذا كان كاشف اغلاط غيرهِ عظيماً كان المعترف باغلاطهِ اعظم (٣) خير الكلام ما قلَّ ودلَّ . فالمقالات الوافية مع الايجاز تستجار على المطوَّلة

عائشة تيمور

مضى على بنات المشرق قرون لم تنبغ منهنَّ شاعرة او كاتبة الاَّ في ما ندر . ولقد كانت نسبة النساء الى الرجال في حلبة الادب قليلة دائماً ولكنها لم تكد تنقطع الاَّ في القرون الاخيرة وهذا غير ما كانت عليهِ الحال في عز الممالك الاسلامية وغير ما هي عليهِ الآن في الممالك الاوربية ولذلك كنتُ اعجب بالشاعرة المصرية المرحومة عائشة عصمت بنت المرحوم اسمعيل باشا تيمور وانا في بلاد الشام حتى اذا وصلت هذه الديار قصدت زيارتها فرأيت منها دعة وعزة نفس وذكاء وسعة اطلاع وتبصرًا وسرعة خاطر. سألتها عن كيف تيسر لها اخذ علوم اللغة والادب مع تعذر مطالبها وتشعُّب مسالكها فقالت لي كان المرحوم ابي يا تيني بجلة المشائخ فآخذ العلم عنهم من وراء الحجاب وكلما اجتمعوا في مجلسهِ وتذاكروا في مسائل العلم جلست وراء حجابي اسمع اقوالهم ومذاكراتهم واكثرت من المطالعة في كتب العلم ودواوين الشعراء من عرب وفرس الى ان صارت لي ملكة اللغة ونظمت ما نظمت من القصائد والمقاطيع واراني مع ذلك متطفلة على موائد الادب وما ارتشافي من كؤوس الادباء الاَّ ارواء للنفس التي من علي الخالق بها

وقد ترددت عليها بعد ذلك فاطلعتني على كثير من منظوماتها وبعض ما كتبتهُ سجعاً او ترسُّلاً وعلى منظومات لها باللغة الفارسية

وكنت اراها ساذجة في لبسها لم ارَ عليها حلياً ولا حللاً كأنها تحسب ان حلة الادب تغني عن حلي الذهب

ومن يقف على ديوانها المسمى حلبة الطراز يتبين لهُ من خلال السطور انها كانت واسعة الاطلاع على الشعر العربي حافظة لكثير منهُ . وقد رأيت ان اورد بعض ابيات لها في مواضيع

مختلفة ليرى القراء مبلغ ما وصلت اليهِ في فنّ الادب وما حازتهُ من صناعة النظم . من ذلك قصيدتها المشهورة بمطلعها وهو

يد العفاف اصون عزّ حجابي وبعصمتي اسمو على اترابي

ومنها وقد اجادت

فجعلتُ مرآتي جبين دفاتري وجعلت من نقش المداد خضابي

كم زخرفت وجنات طرسي انملي بعذار خطّ او اهاب شباب

ومنها ما عاقني خجلي عن العليا ولا سدل الخمار بلمتي ونقابي

وقالت في طب الهوى

يا من اتى للجسم يبرئ سقمهُ ويظن جالينوس بعض عبيدهِ

افنيت بالطب الذي تهذي بهِ اممًا وقربت الردى يبعيدهِ

وزعمت انك انت قد جددتهُ ولقد اضعتَ قديمهُ بجديدهِ

وقالت في اثناء رمد

فدًا للعين مني كل عينٍ وما في الكون من ذهب وعينٍ

يقلب في دثار السقم جسمي كأني فوق جمر الحرتين

تخالفت الاساة بطول وعدٍ يعللني ويأسٌ فيهِ حيني

وعهدي بامياه حياة نفسي فمالي قد ظمئتُ بماء عيني

ابيتُ ومؤنسي الخفاش ليلاً وحالي معهُ شر الحالتين

ينافرني الضيا فافرُّ منهُ كأنَّ الضوء يطلبني بديني

وقد عفت الاساةَ وعدت ارجو طبيب الكون رب المشرقين

وقالت وقد شفيت من رمد

سفينة العين قد فازت من الغرقِ واشرقت تزدهي من ساحل الحدقِ

ومنها تخاطب النور

اهلاً بنور عيونٍ راقَ لي وصفا من بعد يأسي وطول الخوف والفرقِ

بايّ قولٍ احييهِ وعزتهُ عزت منالاً فلم تدرك لمستبقِ

ومن محاسن شعرها ما قالتهُ لاغراض خاصة كقولها وقد كتبت بهِ الى احد اولادها

قلبي بيعدك لم يحمد محاورتي وفرّ نحو حبيب في حشاهُ ربي

قل لي بطلعتك الغرا وعزتها واحكم كما ترتضي متعتَ بالاربِ

من غير قلبٍ ابقى روح عائشة لا والذي زان هذا المجد بالادب

وقولها وقد عاودها الرمد

فوا اسفي على انسان عيني غدا في سجن سقمٍ واعتقالِ
حياتي بعد بعدك لا اراها سوى سكرات نزعات ثقالِ
امسُّ الكتب من شغفي عليها وابلى حسرة من سوء حالي
تمسُّ المصحف الاسمى يميني وقد وضعت على قلبي شمالي
وانشدهُ لآيك طال شوقي ومالي غيرها عزٌّ ومالي

ولها في فن المواليا ادوار غاية في الرقة منها قولها

ان جزت بالركب يا حادي المطايا عود للّي شذاهم لدى اهل المحبة عود
وانظر متيم صبحْ من هجرهم كالعود وارحم عليل الهوى واردد عليهِ روحه
ما لهُ سواهم بطبه من يجود و يعود

وقولها وهو مما يتغنى بهِ اهل مصر والشام

لمستشار الغرام قدمت اعراضي اني لحكم المحاسن متبع راضي
جمالك اللي محا رسمي واعراضي طايع اوامر لحاظه ان عدل او جار
قل لي دخيلك على اسباب اعراضي

ومثل ذلك قولها

الله اكبر دعاني الحب للتعذيب وكلما ازداد الق في العذاب تعذيب
يا لائمي فيهْ تأمل كم ترى تهذيب مناقب الحب مسطورة على الوجنات
ختامها المسك مستغني عن التهذيب

هذا وان كان شعرها المنظوم يشف عن اطلاع واسع وحفظ كثير لان اكثر المعاني التي طرقتها مطروق من قبلها اوردهُ كبار الشعراء على اساليب شتى فائقة في البلاغة والتنميق الّا ان ما نظمتهُ في بعض المواضيع الخاصة وما قالتهُ من المواليا والادوار يدلُّ على قريحة وقادة وخاطر سريع ونفس زكية تتمثل لها المعاني الشعرية فلا يلبث خاطرها ان يحضر الكلمات موزونة الالفاظ محكمة القوافي ولو سمحت لها عادات المشرق بمطارحة الشعراء ومساجلة العلماء ولو تعلمت لغة اوربية واطلعت على ما قالهُ غيرها من شعراء اوربا لابقت من آثارها اضعاف ما ابقتهُ في حلبة الطراز. وحبذا لو عني اولادها بتنقيح ديوانها واعادة طبعهِ واضافوا اليهِ ما نظمتهُ بعد نشرهِ مع ترجمة مسهبة لحالها عسى ان يقتدي كثيرات من ربَّات الحجاب بها احدى قارئات المقتطف

كريمة قوم

اراكم تذكرون في المقتطف بعض النساء الشهيرات في العلم او الانشاء او الموسيقى او السياسة . الاَّ ان نجاح الامم لايتوقَّف على هؤُلاء النوادر بل يشترك فيهِ غيرهنَّ من اللواتي اشتهرن بمكارم الاخلاق حتى صرن قدوة لبنات نوعهنَّ وقوَّين ما ورثنهُ من الرَّكانة والدعة والشفقة حتى تقوى هذه الاخلاق في اولادهنَّ وبذلك ينتفع نوع الانسان اكثر ممَّا ينتفع من كتاب وُضع في التربية او رسالة أُلِفت في الاخلاق. واني التمس لكم عذرًا على اغفالكم ترجمات هؤُلاء النساء لقلَّة ما يعرف عنهنَّ . الاَّ انني اعرف سيدة توفاها الله في هذه الاثناء تشهد سيرتها انها كانت خير قدوة يقتدى بها وهي المرحومة السيدة انجلينا صيفي قرينة جناب الوجيه الخواجا ويصا بقطر ابنة الخواجه سلامة الصيفي كبير عائلة الصيفي من اشهر عائلات اسيوط وجرجا القديمة

لاسبيل لي لاعرف كيف تربَّت الفقيدة ولا ما هي الاخلاق التي ورثتها عن والديها ولكنني اعرف كما يعرف كل الذين عاشروها انها كانت رضية الخلق منكرة ذاتها الى حد يفوق الوصف فلم تغضب احدًا مدى حياتها لا سيدًا ولا خادمًا ولا قريبًا ولاغريبًا ولذلك اجمع خدمها على حبها وكل الذين عرفوها على اكرامها عدا ما كانت تلقى من اهل بيتها من الحب والاكرام . والخلق الرضي خير الاخلاق وبهِ تصير الارض سماء والحياة سعادة . وكل نجاح غير مصحوب بخلق رضي لا يزيل غصص الحياة ولا يحلِّي مرارتها. والصحة نفسها من غير خلق رضي تلقي صاحبها في المشاكل والغموم

هذا هو الخلق الاول الذي اشتهرت بهِ. والخلق الثاني عقلي وهو شدَّة ذكائها واصالة رأْيها فان ذويها كانوا يستشيرونها في امورهم فتشور عليهم بالرأي الصواب. والذكاء هو من الاخلاق التي تشتهر بها النساء عادةً لكنهُ كان فيها على اشدهِ

وكانت مع ذكاء عقلها وطيب اخلاقها كريمة رقيقة القلب تتصدق على الفقراء سرًّا وجهرًا وتجود بكل ما تصل اليهِ يدها من النقود وكان الفقراء يعدُّونها امًّا شفوقة فلما توفاها الله سار النساء المسكينات وراء نعشها يبكينها بدموع سخينة ويندبنَ خسارتهنَّ بموتها

واذا اتَّصف الانسان بقوة العقل ورضى الاخلاق ورقة القلب لا يبقى بينهُ وبين الكمال الذي نطمع بالحصول عليهِ في هذه الدنيا الاَّ ان يكون حسن التديُّن شديد الثقة بخالقهِ يقابل متاعب الحياة بايمان وطيد حاسبًا ان زمان تجربتهِ قصير وانهُ ينال راحة ابدية بعد الموت وهذا كان شأن الفقيدة الفاضلة . مرضت منذ عشرين عامًا مرضًا عضالًا قال الاطباء انها لا تشفى منهُ

فاخذ اولادها يبكون وينوحون اما هي فكانت تعتقد حينئذٍ ان اجلها طويل فلامتهم على بكائهم وحقق الله اعتقادها فشفيت بعد قليل

ثم اصيبت بالداء الاخير الذي توفيت بهِ داء السرطان الذي عجز الاطباء حتى الآن عن اكتشاف دواء شافٍ لهُ فعلمت ان اجلها قد دنا وصارت تطلب من الله ان يسرع انتقالها اليهِ فلبى طلبها وذهبت مبكيةً من زوجها واولادها واصهارها وكل الذين عرفوها

لم تؤلف فقيدتنا كتبًا في علم الحساب والفلك والطبيعيات ولا اكتشفت اكتشافات علمية ذات شأن ولا اشتهرت في الاندية العلمية والادبية مثل بعض اللواتي ورد ذكرهنَّ في المقتطف ولكنها امتازت بهذه الاخلاق الفاضلة وافادت ابناء نوعها بقدوتها وصدقاتها وربت اولادًا رجالاً ونساء تفتخر بهم الهيئة الاجتماعية الشرقية وهذا ما حدا بي الى كتابة هذه السطور لتنشر في مجلة المقتطف . وقد كانت وفاتها في الثالث من شهر يونيو الجاري

اسيوط احد المشتركين

العصبي

العصبي كلمة اصطلح عليها السيدات للدلالة على كل ضعف عصبي مهما كان سببهُ ومهما كانت اعراضهُ

والضعف العصبي شائع جدًّا بين نساء المدن وهو قليل بين نساء الارياف اللواتي يساعدنَ رجالهنَّ في اعمال الزراعة المختلفة لا لانهنَّ لا يشتغلن اشغالاً تتعب اعصابهنَّ وتضعفها بل لان اعصابهنَّ قوية تحتمل التعب من غير الم وهي مثل سائر اعضائهنَّ من هذا القبيل فكما ان المرأَة المدنية المترفهة لا تستطيع ان تمشي نصف ساعة من غير ان تشعر بتعب شديد والمرأَة الفلاَّحة تمشي خمس ساعات ولا تشعر بالتعب كذلك المرأَة المدنية المرفهة تتعب اعصابها لاقل عمل والمرأَة القروية الفلاَّحة لا تشعر اعصابها بالتعب ولو اشتغلت ساعات متوالية

ويظهر التعب العصبي في ان ضربات القلب لا تعود منتظمة والتنفس يصير قصيرًا ولا يعود العقل ينصبُّ على موضوع واحد بسهولة ويكثر القلق والالم بعد الاكل . وما اشبه من الاعراض التي تشكو منها النساء المصابات بالضعف العصبي

وتعود دقائق الاعصاب الى حالها الطبيعية من الصحة والقوة بالراحة والغذاء الجيد وهي تنال هذه الراحة وهذا الغذاء مدة النوم ولكن اذا اشتدَّ الضعف العصبي امتنع النوم او قلَّ كثيرًا فلم تعد دقائق الاعصاب تستريح الراحة الكافية

واذا بلغ الضعف العصبي هذا المبلغ حتى قلَّ النوم وزاد القلق صارت المرأة تستصعب الاعمال التي كانت تستسهلها وتنفر مما كانت تسرُّ بهِ . واخيرًا تضطر ان تنقطع عن كل اعمالها رغمًا عنها بسبب ضعف اعصابها ولا تشفى من هذا الضعف الاَّ اذا استراحت راحة تامَّة مدة طويلة واعتنت بصحتها وغذائها اعتناء خاصًا

واسباب الضعف العصبي كثيرة اولها الميل الوراثي فاذا كان احد الوالدين ضعيف الاعصاب او كانا كلاهما ضعيفي الاعصاب فالغالب ان اولادهما يكونون ميَّالين الى الضعف العصبي او يكون الميل فيهم الى الضعف العصبي اشد مما هو في المولودين من آباء لا مرض عصبي فيهم . وكذلك اذا كان احد الوالدين او كلاهما من مدمني المسكرات او من المصابين بالسل او بالزهري فان اولادهم يكونون معرَّضين لضعف الاعصاب اي تكون اعصابهم ضعيفة من اصلها لا تحتمل التعب الشديد والشغل الكثير وقوة التجديد فيهم ضعيفة فاذا تلفت دقائق اعصابهم من كثرة العمل لم تبدل بدقائق جديدة بسهولة

والسبب الثاني الصدمات الشديدة وهذه الصدمات قد تكون فجائية فتضعف الاعصاب كأنها تمزقها او تمزّق بعضها كما ترى في الامثلة التالية

(١) كان رجل كهل سائرًا هو وزوجتهُ في سكة الحديد فاصيب القطار بحادث قتل بهِ بعض الركاب وجرح بعضهم اما الرجل وزوجتهُ فظهر انهما لم يصابا بمكروه وخرجا من القطار ودخلا منزلاً ليستريحا فيهِ وناما ليلتهما ونهض الرجل في الصباح ولبس ثيابهُ وخرج من الغرفة لينزل الى الطبقة السفلى ويأمر الخدم بتهيئة الفطور لهُ ولزوجتهِ لكنهُ جلس على اعلى السلَّم وجعل يبكي كالطفل ثم تبين ان اعصابهُ ايفت فصار يخشى من كل فراغ يراهُ امامهُ على اثر الصدمة التي اصابتهُ وقت اصطدام القطار

(٢) امرأة كانت مسافرة في بلاد النمسا فدخل القطار بها سربًا مظلمًا بغتةً فتأثرت اعصابها من جراء ذلك واعتلَّت صحتها وداعت شركة سكة الحديد مدعية انهُ لو كانت المركبات منارة ما اصابها ذلك الخلل فحكم القضاة انها محقة في طلبها وحكموا لها باربع مئة جنيه تعويضًا ومعاش سنوي مدى حياتها

(٣) رجل كان مسافرًا في بلاد الانكليز فحادت المركبة التي كان فيها عن الخط لكنهُ لم يشعر بشيء على ما ظهر لهُ في اول الامر ثم وجد في اليوم التالي انهُ مصاب بضعف عصبي شديد ولا يستطيع ان يسافر في قطار سريع ولا سبب لذلك الاَّ الصدمة العصبيَّة التي حدثت لهُ

ثم اذا كان الضغط على الاعصاب متدرّجًا فهو حاصل في الغالب من كثرة الاشتغال ولاسيما

اذا كان الشغل في موضوع لا يلتذّ بهِ الانسان

ومن هذا القبيل قلق البال سواءٌ كان بسبب عدم النجاح في الاشغال او بسبب الحب اوبنحو ذلك من الاسباب فانهُ كلّهُ يضعف الاعصاب وينهكها

والشغل الكثير لا يتعب الناس كلهم على حدٍّ سوى فبعض الناس يشتغلون ساعات كثيرة كل يوم ولا يتعبون كما يتعب غيرهم ولو اشتغل ساعات قليلة لان اعصابهم تستردّ قوّتها حالاً حتى انهم اذا ناموا دقائق قليلة نهضوا وقد انتعشت قواهم كما تنتعش قوى غيرهم بنوم ساعات عديدة

قيل ان بلزاك الكاتب الفرنسوي الشهير كان يشتغل ثماني عشرة ساعة متوالية كل يوم لا يستريح فيها الاَّ دقائق قليلة لتناول الطعام وكان طعامهُ حينئذٍ فنجاناً من القهوة ويقال انهُ كتب رواية من رواياتهِ في جلسة واحدة

والشغل الكثير لا يضرُّ الانسان ما دام في سن الشباب وعنفوان القوَّة ولكن اذا اكتهل او شاخ فنهُ ضرر كثير ويظهر ضررهُ اولاً بالقلق وسوء الهضم واضطراب فعل القلب وفقد الذاكرة كأن من يسرع في حياتهِ يسرع في صرم حبلها وعليهِ ألَّف بلزاك ٨٥ رواية في عشرين سنة لكنهُ مات في السنة الخمسين من عمرهِ

وقد شاع الآن مع تعليم البنات اغراؤُهن بنيل الشهادات العليا التي تقتضي الدرس الكثير فينهكنَ قواهنَّ العقلية والبدنية في الدرس والسهر والصوم ويخرجنَ من هذا الميدان بالشهادات المدرسيَّة ولكنهنَّ يضعن صحَّة ابدانهنَّ وقوَّة عقولهنَّ

ولا يقف الشرُّ عند هذا الحد بل ان كثيرات من المصابات بالضعف العصبي يحاولنَ شفاءهُ بما يوجب الضعف الدائم ولو سكَّن الالم الوقتي كالمسكرات والمخدرات ولا سيما المورفين والكوكايين وقد عدَّ السيدات اللواتي يتعاطين المورفين حقناً تحت الجلد في مدينة باريس منذ عشر سنوات فوجد عددهنَّ مئة الف وهذا من شر آفات التمدن الحديث . ويتلوهُ في الضرر الاكثار من شرب الشاي والقهوة لتسكين الاعصاب

وعلاج الضعف العصبي على نوعين واقٍ وشافٍ امَّا العلاج الواقي فينتَبَه لهُ من الصغر في اولاد المعرضين للضعف العصبي فيقلَّل درسهم ويعوَّدون ترويض ابدانهم في الخلاء ترويضاً معتدلاً لان الترويض المتعب ينهك الاعصاب كالشغل العقلي الشاق . ولا بدَّ لهم من النوم الكثير ثماني ساعات في اليوم على الاقل

امَّا العلاج الشافي فيقوم بحسن التغذية وتكثير النوم فتغذى المرأة المصابة بالضعف العصبي

بشرب اللبن الكثير وأكل الخبز المبلول بهِ وتمنع عن السهر وتعفى من مقابلة الزوار وترسل الى مزرعة او ابعدية بعيدة عن المدن وتطعم الطعام المغذي وتمنع من الاشغال العقليَّة على قدر الامكان وهذا قد لا يغني عن معالجة الاطباء

البَخَر

البَخَر من اقبح الادواء ولو لم تكن عواقبهُ وخيمة . وسببهُ الاصلي في بنية الانسان ولكن لهُ اسباب اخرى مهيئة وهي ضعف الغشاء المخاطي الذي يبطن الفم والحلق والمعدة فانهُ اذا كان هذا الغشاء ضعيفاً لم يطرح الدقائق التي تنحلُّ منهُ بسهولة لتجديد غيرها . وبقاء الطعام في المعدة غير مهضوم . ويعالج بتنظيف الفم جيدًا من فضلات الطعام واصلاح الهضم باخذ مسهل خفيف مثل درهمين او ثلاثة من الملح الانكليزي مذابة في ملعقتين من ماء الكافور ويحسن ان تذاب ١٥ قمحة من كلورات البوتاسا في ثمانية دراهم من الماء وتؤْخذ جرعتين في النهار

مدرسة طرابلس الشام الاميركية

مرَّ على هذه المدرسة اكثر من ربع قرن وهي تقدم الى الوطن العزيز في كل ربيع طاقة من المتهذبات تتزين بهنَّ سورية ومصر زينة دائمة . وقد احتفلت حسب عادتها هذا العام بمنح الشهادات . فوفد المدعوون من كل النواحي الى محفلها مساء الثاني من ايار (مايو) . ولما استوى بهم المجلس ساد السكون وتحركت النفوس طرباً عند سماع نغم بعيد منعش كان يدنو رويدًا رويدًا حتى انتهى الى باب المحفل فظهرت تلميذات المدرسة على ترتيب بديع يترنمنَ وهنَّ سائرات . ووراءهنَّ المنتهيات بملابسهنَّ البيضاء وبعد ان أُفتتح الاحتفال بالصلاة القت المنتهيات خطبهنَّ وهنَّ الاوانس اسما زرعوني استهلت بقصيدة وخطبت في "الفن المهمل" ولورنا لاذقاني في "الادب" . وفكتوريا كاتسفليس في "اليد الفاضلة" . وزكية غراب في "التمدن الحقيقي" . ومرثا عطية في "كتاب عجيب" . واسما صبيعه في "ساحة الحرب" وختمت خطبتها بالوداع المؤثر . وتلاهنَّ القس الفاضل وليم ادي بخطاب نفيس موضوعهُ اقتدار الشخص الواحد . ثم وزعت رئيسة المدرسة الشهادات وختم الاحتفال بترنيمة وداعية

ومساء الاحد التالي غصَّ المحفل بالمدعوين لاستماع العظة البكلورية التي قدمها استاذ المدرسة جرجس افندي الخوري ومضمونها ارشادات للمنتهيات في حياتهنَّ المستقبلة وخرج الناس يدعون بنجاح بيوت العلم

نجيب خوري

ثابت بن قرة الحراني

حضرة الفاضلين منشئَي المقتطف الاغر

بينما كنت اطالع في مذكرة رياضية فرنسوية شاملة لكثير من قوانين الحساب والجبر والهندسة وحساب المثلثات والميكانيكالديبوي (J. Dupuis) وجدت القانونين الآتيين

$$2^{n}\ (3.2^{n}-1)\ (3.2^{n-1}-1)$$

$$2^{n}\ (9.2^{2n-1}-1).$$

قال المؤلف ان واضعهما هو الرياضي العربي الشهير ثابت بن قره الذي عاش في اواخر القرن التاسع وانهما منقولان الى الفرنسوية عن كتاب لهُ في علم الحساب . وحيث لم اعلم للآن ان لهذا الرياضي العربي مؤلفات مطبوعة ولا كتب رياضية مترجمة عنهُ فقد حررت لحضرتكم هذه السطور على امل ان تمنوا علي بعد البحث الدقيق بذكر هذه المؤلفات لاسيما ما كان منها متعلقاً بنوع خصوصي بالري وفن العمارة وكيفية اقتنائها وذلك في العدد المقبل من مجلتكم الغراء هذا ولكم مني جزيل السلام ووافر الشكر سلفاً

مصطفى بهجت هدايت

مهندس بقسم مشروعات الري بالمنيا

(المقتطف) لثابت بن قرة الحراني الفلسفي كتب كثيرة تعدُّ بالمئات لا كتاب منها في المكتبة الخديوية ولا نتذكر الآن اننا رأينا كتاباً منها ولكننا لا نظن ان فيها كتباً في فن الري والعمارة . وقد ذكر ابن ابي اصيبعه ترجمة ثابت ابن قرة في كتابهِ عيون الانبا ولا بأس بنشر بعضها هنا ليعلم مقدار اجتهاد الاولين قبل ان شغلوا بما لا طائل تحتهُ قال

ابو الحسن ثابت بن قرة الحراني كان من الصابئة المقيمين بحران ويقال الصابئون وثابت هذا هو ثابت بن قرة بن مروان بن ثابت بن كرايا بن ابراهيم بن كرايا بن مارينوس بن سالايونوس وكان صيرفياً بحران ثم استصحبهُ محمد بن موسى لما انصرف من بلد الروم لانهُ رآهُ فصيحاً وقيل انهُ قرأ على محمد بن موسى فتعلم في دارهِ فوجب حقهُ عليهِ فوصلهُ بالمعتضد وادخلهُ في جملة المنجمين وهو اصل ما تجدَّد للصابئة من الرئاسة في مدينة السلام وبحضرة الخلفاء. ولم يكن في زمن ثابت بن قرة من يماثلهُ في صناعة الطب ولا في غيرهِ من جميع اجزاء الفلسفة ولهُ تصانيف مشهورة بالجودة وكذلك جاء جماعة كثيرة من ذريتهِ ومن اهلهِ يقاربونهُ فيما كان عليهِ من حسن التخرج والتمهر في العلوم . ولثابت ارصاد حسان للشمس تولاها ببغداد وجمعها في كتاب بين فيهِ مذهبهُ في سنة الشمس وما ادركهُ بالرصد في موضع اوجها ومقدار

سنيها وكمية حركاتها وصورة تعديلها . وكان جيد النقل الى العربي حسن العبارة وكان قوي المعرفة باللغة السريانية وغيرها . وقال ثابت بن سنان بن ثابت بن قرة ان الموفق لما غضب على ابنهِ ابي العباس المعتضد بالله حبسهُ في دار اسمعيل بن بلبل وكان احمد الحاجب موكلاً بهِ وتقدم اسمعيل بن بلبل الى ثابت بن قرة بان يدخل الى ابي العباس ويؤنسهُ وكان عبدالله بن اسلم ملازماً لابي العباس فأنس ابو العباس بثابت بن قرة أُنساً كثيراً وكان ثابت يدخل اليهِ الى الحبس في كل يوم ثلاث مرات يحادثهُ ويسليهِ ويعرفهُ احوال الفلاسفة وامر الهندسة والنجوم وغير ذلك فشغف بهِ ولطف منهُ محلهُ فلما خرج من حبسهِ قال لبدر غلامهِ يا بدر اي رجل افدنا بعدك فقال من هو يا سيدي فقال ثابت بن قرة . ولما تقلد الخلافة اقطعهُ ضياعاً جليلة وكان يجلسهُ بين يديهِ كثيراً بحضرة الخاص والعام ويكون بدر الامير قائماً والوزير وهو جالس بين يدي الخليفة . قال ابو اسحق الصابىء الكاتب ان ثابتاً كان يمشي مع المعتضد في الفردوس وهو بستان في دار الخليفة . للرياضة وكان المعتضد قد اتكأ على يد ثابت وهما يتماشيان ثم نتر المعتضد يدهُ من يد ثابت بشدَّة ففزع ثابت فان المعتضد كان مهيباً جدًّا فلما نتر يدهُ من يد ثابت قال لهُ يا أبا الحسن (وكان في الخلوات يكنيهِ وفي الملإ يسميهِ) سهوت ووضعتُ يدي على يدك واستندت عليها وليس هكذا يجب ان يكون فان العلماء يعلون ولا يُعلون

وكان مولد ثابت بن قرَّة في سنة احدى عشرة ومائتين بحرَّان في يوم الخميس الحادي والعشرين من صفر وتوفي سنه ثمان وثمانين ومائتين ولهُ من العمر سبع وسبعون سنة . وقال ثابت بن سنان بن ثابت بن قرَّة كانت بين ابي احمد يحيى بن علي بن يحيي بن المنجم النديم وبين جدي ابي الحسن ثابت بن قرَّة رحمهُ الله مودَّة اكيدة ولما مات جدّي في سنة ثمانٍ وثمانين ومائتين رثاهُ ابو احمد بابيات هذه هي

ألا كل شيء ما خلا الله مائتُ	ومن يغترب يرجَ ومن مات فائتُ
ارى من مضى عنَّا وخيَّم عندنا	كسفر ثووا ارضاً فسارٍ وبائت
نعينا العلوم الفلسفيَّات كلها	خبا نورها اذ قيل قد مات ثابت
واصبح اهلوها حيارى لفقدهِ	وزال به ركن من العلم ثابت
وكانوا اذا ضلوا هداهم لنهجها	خبير بفصل الحكم للحق ناكت
ولما اتاهُ الموت لم يغنِ طبهُ	ولا ناطق مما حواهُ وصامت
ولا امتعتهُ بالغنى بغتة الردى	ألا رب رزق قابل وهو فائت
فلو انهُ يسطاع للموت مدفع	لدافعهُ عنهُ حماة مصالت

ثقاة من الاخوان يصفون ودَّهُ وليس لما يقضي بهِ الله لافت
ابا حسن لا تبعدنْ وكلنا لهلكك مفجوعٌ لهُ الحزن كابت
أآمل ان تجلي عن الحق شبهة وشخصك مقبورٌ وصوتك خافت
وقد كان يسرو حسن تبيينك العمى وكلٌّ قؤول حين تنطق ساكت
كأنك مسئولاً من البحر غارف ومستبدئاً نطقاً من الصخر ناحت
فلم يتفقدني من العلم واحد هراق اناء العلم بعدك كابت
وكم من محب قد افدت وانهُ لغيرك ممن رام شأوك هافت
تهذبت حتى لم يكن لك مبغض ولا لك لمَّا اغتالك الموت شامت
وبرّزت حتى لم يكن لكَ دافعٌ عن الفضل الأكاذب القول باهت
مضى عَلَم العلم الذي كان مقنعاً فلم يبقَ الأَّ مخطئٌ متهافت

وكان من تلامذة ثابت بن قرة عيسى بن اسيد النصراني وكان ثابت يقدمهُ ويفضلهُ وقد نقل عيسى بن اسيد من السرياني الى العربي بحضرة ثابت ويوجد لهُ كتاب جوابات ثابت لمسائل عيسى بن اسيد

ولابي الحسن ثابت بن قرة الحراني من الكتب كتاب في سبب كون الجبال . مسائلهُ الطبية . كتاب في النبض . كتاب وجع المفاصل والنقرس . جوامع كتاب باريمينياس . جوامع كتاب انالوطيقا الاولى . اختصار المنطق. نوادر محفوظة من طوبيقا. كتاب في السبب الذي من اجلهِ جعلت مياه البحر مالحة. اختصار كتاب مابعد الطبيعة. مسائلهُ المشوّقة الى العلوم. كتاب في اغاليط السوفسطائيين. كتاب في مراتب العلوم. كتاب في الرد على من قال ان النفس مزاج. جوامع كتاب الادوية المفردة لجالينوس . جوامع كتاب المرة السوداء لجالينوس. جوامع كتاب سوء المزاج المختلف لجالينوس. جوامع كتاب الامراض الحادة لجالينوس. جوامع كتاب الكثرة لجالينوس. جوامع كتاب تشريح الرحم لجالينوس. جوامع كتاب جالينوس في المولودين لسبعة اشهر. جوامع ما قالهُ جالينوس في كتابهِ في تشريف صناعة الطب . كتاب اصناف الامراض كتاب تسهيل المجسطي. كتاب المدخل الى المجسطي. كتاب كبير في تسهيل المجسطي لم يتم وهو اجود كتبهِ في ذلك. كتاب في الوقفات التي في السكون الذي بين حركتي الشريان المتضادتين مقالتان (صنف هذا الكتاب سريانياً لانهُ اومأ فيهِ الى الردّ على الكندي ونقلهُ الى العربي تلميذ لهُ يعرف بعيسى بن اسيد النصراني واصلح ثابت العربي وذكر قوم ان الناقل لهذا الكتاب حبيش بن الحسن الاعسم وذلك غلط وقد ردَّ ابو احمد الحسين بن اسحق بن

ابرهيم المعروف بابن كرنيب على ثابت في هذا الكتاب بعد وفاة ثابت بما لا فائدة فيهِ ولا طائل وهذا الكتاب انفذهُ لما صنفهُ الى اسحق بن حنين فاستحسنهُ استحساناً عظيماً وكتب في آخرهِ بخطهِ يقرظ ابا الحسن ثابتا ويدعو لهُ ويصفهُ). جوامع كتاب القصد لجالينوس. جوامع تفسير جالينوس لكتاب ابقراط في الاهوية والمياه والبلدان . مقالة كتاب في العمل بالكرة. كتاب في الحصى المتولد في الكلى والمثانة. كتاب في البياض الذي يظهر في البدن. كتاب في مسألة الطبيب للمريض . كتاب في سوء المزاج المختلف . كتاب في تدبير الامراض الحادة. رسالة في الجدري والحصبة. اختصار كتاب النبض الصغير لجالينوس . كتاب في قطع الاسطوانة . كتاب في الموسيقى. رسالة الى علي بن يحيي المنجم فيما امر باثباتهِ من ابواب علم الموسيقى. رسالة الى بعض اخوانهِ في جواب ما سألهُ عنهُ من امور الموسيقى. كتاب في اعمال ومسائل اذا وقع خط مستقيم على خطين . مقالة اخرى لهُ في ذلك . كتاب في المثلث القائم الزاوية . كتاب في الاعداد المتحابة . كتاب في الشكل القطاع . كتاب في حركة الفلك . كناشةُ المعروف بالذخيرة الفهُ لولدهِ سنان بن ثابت . جوابهُ لرسالة احمد بن الطيب اليهِ . كتاب في التصرف في اشكال القياس . كتاب في تركيب الافلاك وخلقتها وعددها وعدد حركات الجهات لها والكواكب فيها ومبلغ سيرها والجهات التي تتحرك اليها . كتاب في جوامع المسكونة . كتاب القرسطيون . رسالة في مذهب الصابئين ودياناتهم. كتاب في قسمة الارض. كتاب في الهيئة . كتاب في الاخلاق . كتاب في مقدّمات اقليدس. كتاب في اشكال اقليدس . كتاب في اشكال المجسطي . كتاب في استخراج المسائل الهندسية . كتاب رؤية الاهلة بالجنوب . كتاب رؤية الاهلة من الجداول . رسالة في سنة الشمس. رسالة في الحجة المنسوبة الى سقراط. كتاب في ابطاء الحركة في فلك البروج وسرعتها وتوسطها بحسب الموضع الذي يكون فيهِ من الفلك الخارج المركز. جواب ما سئل عنهُ عن البقراطيين وكم مبلغ عددهم. مقالة في عمل شكل مجسم ذي اربع عشرة قاعدة تحيط بهِ كرة معلومة. مقالة في الصفرة العارضة للبدن وعدد اصنافها واسبابها وعلاجها . مقالة في وجع المفاصل . مقالة في صفة كون الجنين . كتاب في علم ما في التقويم بالممتحن . كتاب في الاظلال . كتاب في وصف القرص . كتاب في تدبير الصحة . كتاب في محنة حساب النجوم . كتاب تفسير الاربعة . جوامع كتاب النبض الكبير لجالينوس. كتاب الخاصة في تشريف صناعة الطب وترتيب اهلها وتعزيز المنقوصين منهم بالنفوس والاخبار ان صناعة الطب اجلّ الصناعات كتب بهِ الى الوزير ابي القاسم عبيدالله بن سليمان . رسالة في كيف ينبغي ان يسلك الى نيل المطلوب من المعاني الهندسية . ذكر آثار

ظهرت في الجو واحوال كانت في الهواء مما رصد بنو موسى وابو الحسن ثابت بن قرة. اختصار كتاب جالينوس في قوى الاغذية . ثلاث مقالات مسائل عيسى بن اسيد لثابت بن قرة واجوبتها لثابت. كتاب البصر والبصيرة في علم العين وعللها ومداواتها. المدخل الى كتاب اقليدس وهو في غاية الجودة. كتاب المدخل الى المنطق . اختصار كتاب حيلة البرء لجالينوس. شرح السماع الطبيعي مات وما تممهُ . كتاب في المربع وقطره . كتاب فيما يظهر في القمر من آثار الكسوف وعلاماته. كتاب في علة كسوف الشمس والقمر عمل اكثره ومات وما تممهُ. كتاب الى ابنهِ سنان في الحث على تعلم الطب والحكمة. جوابان عن كتابي محمد بن موسى بن شاكر اليهِ في امر الزمان . كتاب في مساحة الاشكال المسطحة وسائر البسط والاشكال. كتاب في ان سبيل الاثقال التي تعلق على عمود واحد منفصلة هو سبيلها اذا جعلت ثقلاً واحداً مبثوثاً في جميع العمود على تساوٍ. كتاب في طبائع الكواكب وتأثيراتها. مختصر في الاصول من علم الاخلاق . كتاب في آلات الساعات التي تسمى رخامات. كتاب في ايضاح الوجه الذي ذكر بطليموس ان بهِ استخرج من تقدمهُ مسيرات القمر الدورية وهي المستوية . كتاب في صفة استواء الوزن واختلافهِ وشرائط ذلك . جوامع كتاب نيقوماخس في الارثماطيقي . مقالتان اشكال لهُ في الحيل . جوامع المقالة الاولى من الاربع لبطليموس . جوابهُ عن مسائل سألهُ عنها ابو سهل النوبختي . كتاب في قطع المخروط المكافي . كتاب في مساحة الاجسام المكافية . كتاب في مراتب قراءة العلوم. اختصار كتاب ايام البحران لجالينوس . ثلاث مقالات اختصار كتاب الاسطقسات لجالينوس . كتاب في اشكال الخطوط التي يمر عليها ظل المقياس . مقالة في الهندسة الفها لاسمعيل بن بلبل . جوامع كتاب جالينوس في الادوية المنقية . جوامع كتاب الاعضاء الآلمة لجالينوس . كتاب في العروض . كتاب فيما اغفلهُ ثاون في حساب كسوف الشمس والقمر . مقالة في حساب خسوف الشمس والقمر . كتاب في الانواء ما وجد من كتابهِ في النفس . مقالة في النظر في امر النفس . كتاب في الطريق الى اكتساب الفضيلة . كتاب في النسبة المؤلفة . رسالة في العدد الوفق . رسالة في تولد النار بين حجرين . كتاب في العمل بالمحجن وترجمتهُ ما استدركهُ على حبش في المحجن. كتاب في مساحة قطع الخطوط . كتاب في آلة الزمر . كتب عدةٌ لهُ في الارصاد عربي وسرياني كتاب في تشريح بعض الطيور واظنهُ مالك الحزين . كتاب في اجناس ما تقسم بهِ الادوية صنف بالسرياني . كتاب في اجناس ما تنقسم اليهِ الادوية بالسرياني . كتاب في اجناس ما توزن بهِ الادوية بالسرياني . كتاب في هجاء السرياني واعرابهِ. مقالة في تصحيح مسائل الجبر بالبراهين الهندسية. اصلاحهُ

للمقالة الاولى من كتاب ابلونيوس في قطع النسب المحدودة وهذا الكتاب مقالتان اصلح ثابت الاولى اصلاحاً جيدًا وشرحها واوضحها وفسرها والثانية لم يصلحها وهي غير مفهومة . مختصر في علم النجوم . مختصر في علم الهندسة . جوابات عن مسائل سأله عنها المعتضد كلام في السياسة . جواب لهُ عن سبب الخلاف بين زيج بطليموس وبين الممتحن . جوابات لهُ عن عدة مسائل سأل عنها سند بن علي . رسالة في حل رموز كتاب السياسة لافلاطن . اختصار القاطيغورياس "

والغريب من امر هذه الكتب اننا لم نجد منها كتاباً في المكتبة الخديوية وهي من اوسع المكاتب العربية فهل فقدت كلها او تفرَّقت في مكاتب المشرق او نقلت الى مكاتب اوربا . ويظهر من اسمائها ان علماء المشرق كانوا في صدر الاسلام يترجمون كتب الفلسفة والعلوم الرياضية والهندسية والقطوع المخروطية ويشرحونها ويعلمونها في مدارسهم وعلماء المشرق الآن لا يفهمونها لو قرأُوها

اغنى اغنياء الدنيا

حضرة الاستاذين الفاضلين منشئي المقتطف

قلتم في الجزء الخامس من المقتطف تحت عنوان ارباب المال والاعمال انكم كنتم تظنون ان المستر ركفلر الاميركي هو اغنى اغنياء الدنيا ثم اتضح لكم ان المستر روبنصن الانكليزي اغنى منهُ ولما كنت قد اطلعت اخيرًا على احصاء جديد في هذا الموضوع احببت ان اطلع قراء المقتطف عليهِ فاقول : ان اغنى اغنياء الدنيا حقيقة كان لي هنغ تشنغ السياسي الصيني الشهير الذي كان يمتلك ١٢٠ مليونًا من الجنيهات اكتسبها من مزارعهِ الواسعة وحقولهِ الكبيرة ثم يليهِ في الثروة المستر بيت الانكليزي الذي يمتلك نصف مناجم افريقية الجنوبية وتبلغ ثروتهُ ١٠٠ مليون من الجنيهات ويليهما في ذلك المستر روبنصن الانكليزي وتبلغ ثروتهُ ٨٠ مليونًا من الجنيهات ثم المستر ركفلر الاميركي صاحب معامل زيت البترول ويمتلك ٦٠ مليونًا ثم البرنس ديميدوف الروسي والمستر كارنجي الاميركي وثروة كل منهما ٤٠ مليونًا ثم المستر مورغان والمستر فاندربلت والمستر وليم ركفلر وكل منهم يمتلك من ٢٥ الى ٣٠ مليونًا

حلوان

عبد الحميد فهيم

(المقتطف) حبذا لو ذكر حضرة الكاتب المكان الذي وجد فيهِ هذا الاحصاء ان كان غير تقويم المؤيد

باب المسائل

فتحنا هذا الباب منذ اوّل انشاء المقتطف ووعدنا ان نجيب فيهِ مسائل المشتركين التي لا تخرج عن دائرة بحث المقتطف ٠ ويشترط على السائل (١) ان يمضي مسألته باسمهِ والقابهِ ومحل اقامتهِ امضاء واضحاً (٢) اذا لم يرد السائل التصريح باسمهِ عند ادراج سؤالهِ فليذكر ذلك لنا ويعين حروفاً تدرج مكان اسمهِ (٣) اذا لم ندرج السؤال بعد شهرين من ارسالهِ الينا فليكرّرهُ سائلهُ فان لم ندرجهُ بعد شهر آخر نكون قد اهملناهُ لسبب كافٍ

(١) العنب والرمان والورد من البزر

الفيوم . اديب افندي حنا . زرعت بزر العنب والرمَّان والورد فنبت وصار طول نباتهِ عشرة سنتمترات فهل يكبر ويزهر ويثمر

ج انهُ يكبر ويزهر ويثمر ولكن ثمر العنب يكون صغيرًا في الغالب وهو ما يسمَّى بالعنب البري ويحتمل ان ينبت من بعضهِ دوالي عنبها جيد ولكن ذلك نادر ولا بدَّ من تطعيم دوالي البزر بنوع جيد من العنب حتى يصير عنبها جيدًا . اما الورد فالغالب انهُ يأتي مثل اصلهِ وكذلك الرمَّان

(٢) التنويم المغنطيسي

المنيا . يعقوب افندي دوغان . هل التنويم المغنطيسي (الهبنوتزم) صحيح وهل يمكن للمنوّم ان يؤثر في المنوَّم ويطلع منهُ على اسرارهِ واذا كان ذلك ممكنًا فلماذا لا تستعملهُ الحكومات لكشف الاسرار التي تهمها معرفتها

ج التنويم المغنطيسي او الاستهواء صحيح اي ان بعض الناس ينامون اذا حدَّقوا بنظرهم الى شيء لامع امامهم او اذا وقف امامهم شخص واشار اليهم اشارات متكررة على نسق واحد او اذا اعتادوا هذا النوم واعتقدوا ان هذا الشخص اتى لتنويمهم . الَّا ان عدد الذين ينامون كذلك قليل نحو خمسة في المئة من مجموع الناس وهم في الغالب من ضعاف الاعصاب . ويستطيع المنوّم ان يؤثر في المنوَّم بان يأمره بقولهِ افعل كذا فيفعل او لا تفعل كذا فلا يفعل واذا طلب منهُ ان يفشي لهُ سرًّا من اسرارهِ فالغالب انهُ يفشيهِ لهُ ولكن ارادة المنوَّم تكون ضعيفة جدًّا فيتأثر من سؤال المنوّم ويجيبهُ حسبما يقتضيهِ السؤال ولو كان الجواب غير صحيح . ولا تستعمل الحكومات التنويم لكشف الاسرار مع ان بعضها قصد ذلك مرةً لان الذين ينامون النوم المغنطيسي قلال جدًّا كما تقدم ولانهم قد يجيبون على هوى السائل لا على ما يطابق الحقيقة . ويتوهم البعض ان المنوّم يكتشف اسرار غيرهِ وهذا خطأ والحقيقة انهُ يفشي اسرار نفسهِ واما اسرار غيرهِ فان لم يكن يعرفها فالتنويم لا يجعلهُ يعرفها

(٣) شروط السلم

الزقازيق . امين افندي ابرهيم . هل نشرت شروط صلح البوير مع الانكليز وما هي

ج الأَولى ان يقال شروط تسليم البوير للانكليز وقد نشرناها في صدر هذا الجزء

(٤) كتاب الفلسفة العقلية

ومنهُ . ما احسن كتاب وضع في الفلسفة العصرية باللغة العربية وفي اي مكان يباع

ج الظاهر انكم تريدون الفلسفة العقلية واذا كان الامر كذلك فلا نعرف كتاباً فيها باللغة العربية احسن من الكتاب الذي وضعهُ استاذنا الدكتور دانيال بلس رئيس المدرسة الكلية وهو يباع في المطبعة الاميركية في بيروت

---

(٥) البلغم والمدخنون

مصر . الخواجه نجيب جرجوره . ان اكثر شاربي الدخان مصابون بالسعال ويشتد على بعضهم ذلك صباحاً ويتبع السعال بصاق مصحوب بالبلغم فهل هذا البلغم مسبب عن شرب الدخان او هو شيء موجود والتدخين يفيد الانسان باخراجهِ منهُ

ج من المعلوم ان التدخين يسبّب نزلة صدرية احياناً والتهاباً في غشاء الحلق المخاطي وذلك يدعو الى افراز البلغم وافرازهُ فعل حيوي لدفع اذى جسم غريب عن الجسم فانهُ اذا وقع على الغشاء المخاطي جسم صغير غريب يهيجهُ افرز المخاط لكي يغلفهُ بهِ ويمنع ضررهُ. فافراز المخاط فعل قسري لدفع الاذى عن الجسم

(٦) رائحة عقب السيكارة

ومنهُ . حينما يرمى عقب السيجارة ويبقى مشتعلاً يصعد من دخانهِ رائحة كريهة حتى ان المدخنين انفسهم لا يحتملونها مع انها وهي في يدهم قبل القائها لا يكون لها هذه الرائحة فما سبب ذلك

ج لقد بالغتم في كراهة الرائحة التي تصعد من عقب السيكارة والذي نراهُ ان رائحتها تكون شديدة لان جانباً كبيرًا من النيكوتين ونحوهِ من المواد التي تخرج منها وهي مشتعلة يجتمع في عقبها حتى اذا وصلت النار اليهِ ولم يعد لهُ مجتمع آخر يصعد في الهواء ولم نكن نظن ان شاربي التبغ يكرهون رائحتهُ. اما اشتداد الرائحة اذا رمي العقب على الارض فان صحَّ فسببهُ ان الاشتعال البطيء يزيد تولُّد بعض الغازات والاشتعال السريع يحرقها فلا تظهر لها رائحة

(٧) جمال الانكليز

ومنهُ . نرى اكثر شبّان الانكليز ذوي وجوه جميلة وقوام معتدل وليس نساؤُهم كذلك اي ان اكثرهنَّ غير حسان المنظر وهنَّ نحيلات الجسم فهل لذلك من سبب طبيعي

ج المشهور ان نساء الانكليز اجمل الاوربيّات منظرًا . امَّا من حيث اعتدال قامة

الرجال وتشرب لونهم حمرةً فسببهُ ان الرجال اضخم عظمًا وعضلاً من النساء وان رجال الانكليز بنوع خاص يكثرون الرياضة البدنية فتكبر عضلاتهم ويتطهر دمهم وتقوى دورتهم الدموية فتتشرَّب وجوههم حمرةً ولا يستطيع نساؤُهم ان يجارينهم في الرياضات البدنية العنيفة لاسباب طبيعية . وجمال الشعب الانكليزي آخذ في الازدياد كما يظهر من المقابلة بين صور الحسان منهُ منذ مئتي سنة وصورهنَّ الآن لأن ما يكتسبهُ الرجال من اعتدال القامة وطهارة الدم يورثونهُ لنسلهم ذكورًا واناثًا

(٨) قِدَم الانسان

صدفا . ناشد افندي جبرائيل . ذكرتم في الجزء الذي صدر في شهر مايو تحت عنوان "سكان مصر الاقدمون" ما ملخصهُ انهُ كشف في جرجا مقبرة قديمة فيها بقايا اناس سكنوا هذا القطر في ازمان مختلفة تزيد على ثمانية آلاف سنة . وذكرتم ايضًا تحت عنوان اقدم كتابة ما ملخصهُ انهُ وجدت كتابة صوريَّة عثر عليها الباحثون على قطعة من الخزف وجدت في خرائب مدينة نبور يمتد تاريخها الى ٤٥٠٠ سنة قبل التاريخ المسيحي. وقد قرأْت في احدى المجلات ان الصينيين يبنون عمودًا كل الف سنة وانهم بنوا الى الآن ٧٢ عمودًا اي انهم شرعوا في بنائها منذ ٧٢ الف سنة . وفي التوراة ان من الخليقة الى مجيء المسيح ٤٠٠٤ سنين فقط فكيف ذلك

ج لا يقال في التوراة ان من الخليقة الى مجيء المسيح ٤٠٠٤ سنين بل هذا حساب لبعض الناس اعتقدوا صحتهُ زمنًا وكتبوهُ على حواشي التوراة امَّا الآن فلم يعودوا يعتقدون صحتهُ على ما يظهر لانهم لم يعودوا يطبعونهُ في النسخ المطبوعة حديثًا من التوراة . امَّا كون الانسان وجد على الارض منذ اكثر من ستة آلاف سنة فالادلة عليهِ كثيرة مقنعة . ولكن ما قرأْتموهُ عن اعمدة الصين لا صحة لهُ

(٩) بسمارك

ومنهُ . هل يمكن ان تدرجوا لنا تاريخ حياة بسمارك في صفحات المقتطف

ج قد ادرجنا تاريخ حياتهِ بما يمكن من الاسهاب في المجلد الثاني والعشرين من المقتطف

(١٠) مرض دود القز

برج صافيتا ميخائيل افندي بشور . اخبرني احد الافاضل العارفين بامراض دود القز ان سبب التيبُّس في الدود نوع من الفطر يقع عليهِ فينبت بعد ان يمدَّ الياقًا داخلهُ فما هي معلوماتكم عن ذلك

ج تجدون في المجلد التاسع من المقتطف كلامًا مسهبًا عن دود القز وامراضهِ وصور هذا الفطر في بدن الدود

(١١) التقمص

مصر. الخواجه ميخائيل بساراني واولاده. اطلعنا في مقتطف الشهر الحالي على اقتراح لحضرة محرر مجلة لندن تحت عنوان ماذا تود ان تكون ولدى تصفحنا المقالة المذكورة وجدنا ردًّا للمستر كلمنت سكوت يظهر منهُ انهُ يعتقد بتقمص الارواح وعليهِ نود ان توضحوا لنا ماهو التقمص وهل تعتقدون صحتهُ

ج تقمص الارواح اعتقاد قديم جدًّا اعتقدهُ كثيرون من الناس منذ عهد قديم وهو اعتقاد البراهمة والبوذيين الآن وكثير من امم افريقية واميركا . وخلاصتهُ ان نفس الانسان تحل بعد موتهِ في جسم طفل يولد حديثًا اوفي جسم حيوان من الحيوانات او نبات من النباتات حسبما تستحقهُ من السعادة والشقاء. ويقول البوذيون ان بوذا نفسهُ تقمص ٥٥٠ مرةً قبلما ولد اخيرًا فصار ملكًا وعبدًا وقردًا وفيلاً وطيرًا وسمكةً وضفدعًا ونوعًا من الشجر. واعتقد المصريون الاقدمون بالتقمص وكذلك اليونان وينسب عندهم الى فيثاغورس. وشاع التقمص عند طائفة من اليهود من قديم الزمان واعتقدهُ بعض الفلاسفة الاوربيين وشاهدنا اناسًا من الذين يعتقدونهُ في اوربا الآن يجادلوننا طويلاً قالت لنا سيدة منهم ان كانت النفوس لا تتقمص فمن اين تأتي النفوس الى الاجنَّة فقلنا لها هل كان عدد الناس في غابر الازمان كما هو الآن فقالت لا بل كانوا اقل فقلنا لها من اين اتت النفوس الذين زادوا . فحُصرت عن الجواب . اما نحن فلا نعتقد صحةَ هذا المذهب

(١٢) البراكين

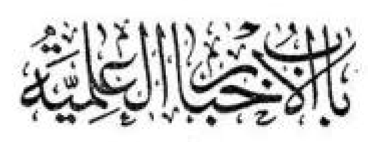
ومنهُ . يقولون ان البراكين التي في العالم كلهِ نحو الف بركان ثلثها ثائر فما هو سببها وسبب ثورانها وخمودها ثم عودها الى الثوران

ج ان باطن الارض حارٌّ جدًّا كما يظهر من التعمق في جوفها وكان المظنون انهُ مصهور ايضًا ولكن ثبت من بعض الادلة الطبيعية انهُ جامد غير مصهور ولكن فيهِ بقعًا قليلة مصهورة تتصل بالبراكين والبراكين منافس لها فاذا خسفت الارض على مقربة منها بسبب تقلصها المستمر او بسبب الضغط انضغطت المواد المصهورة وخرجت منها وكذلك اذا وصل اليها ماء البحر من شق في ارضهِ تمدَّد تمددًا شديدًا بفعل الحرارة وخرج منها ومعهُ المواد التي يجدها في طريقهِ حتى اذا زال السبب عاد البركان الى الخمود . وسنعود الى وصف البراكين في الجزء التالي

(١٣) التلفون المقيد

ومنهُ . اذا كلم تاجر في مصر تاجرًا في الاسكندرية بالتلفون واشترى منهُ مئة قنطار من صنف بسعر اتفقا عليهِ واصلاً الى محطة القاهرة ثم ارتفع ثمن ذلك الصنف قبلما ارسلهُ فانكر انهُ باعهُ بالثمن المذكور فكيف يثبت على المنكر انهُ باع بذلك الثمن

ج لا يمكن اثبات ذلك بالتلفون ولكن يمكن ان يضاف الى التلفون نوع من الفونوغراف ترسم فيهِ اشارات الكلمات كما ترسم في الفونوغراف فتبقى كصك مكتوب على المتكلم وهي اثبت دلالةً من الصكوك المكتوبة لانهُ لا يمكن تقليدهُ تماماً بل يحفظ بهِ كلام المتكلم وصوتهُ تماماً غير اننا لا نرجو تحقيق ذلك من شركة التلفون عندنا . وقد رأينا هذا النوع من التلفون في معرض باريس ووصفناهُ في حينهِ واستعمالهُ آخذ في الشيوع



البراكين الساكنة والثائرة

نرى في عهدنا الحوادث العظيمة من تاريخية وطبيعية فلا نستعظمها قدر ما نستعظم الحوادث العظيمة التي جرت في العصور الخالية وان كانت دون حوادث عصرنا عظمة وتاثيراً ويعيش في ايامنا اعاظم الفلاسفة وكبار الرجال فلا نشعر بهم ولا نقدرهم قدرهم بل نحسبهم دون من سلفهم وان كانوا في الحقيقة فوقهم. هذه فاجعة مرتنيك فانها اودت باربعين الف نسمة على حين غرة فلم يكن مجالٌ لأحد للهرب ولكننا لا نستكبر امرها قدر ما نستكبر نازلة هركولانيوم وبومباي المشهورة مع انهُ كان للكثيرين من اهلهما فرصة للنجاة فنجوا

ومع تعدد مصائب البراكين نرى الناس قليلي العبرة بها عديمي الاكتراث لها فنراهم يأْوون الى البراكين ويبنون لهم بيوتاً على جوانبها فيسكنونها آمنين مطمئنين. فان جبل بيلي الذي ثار اخيراً ثار قبلُ بخمسين سنة فاهلك واباد ثم عاد فخمد فجعل الناس يعودون اليهِ ويسكنون حولهُ

وليس جبل بيلي الوحيد من هذا القبيل فان الارض ملآنة بالبراكين بعضها خامد وبعضها ثائرٌ وبعضها بينَ بينَ. ففي بلاد المكسيك براكين عديدة كانت في ما سلف ثائرة ولكنها عادت فسكنت ومضى عليها زمن طويل وهي كذلك . ويقال بالاجمال انهُ اذا مرَّت مئة سنة على بركان وما تمخَّض ولا نقيأً عدوهُ ساكناً

وبركان اتنا في صقلية ما زال يثور من وقت الى آخر منذ ٣٠٠ الف سنة على الاقل وفي الالفي السنة الماضية ثار على معدَّل اربع مرات كلَّ قرن اومرة كل ٢٥ سنة

وفي الاوقيانوس المحيط وخصوصاً الاقاليم الاستوائية الواقعة فيهِ كثير من البراكين نذكر منها براكين جزائر فيجي ونيوهبريدس ولادرون

والاصدقاء وهواي وغيرها منها ما هو ساكن ومنها ما هو ثائر . وبين جزائر الهند الغربية عشر جزائر ذات براكين منها مرتينيك المشهورة بالفاجعة الاخيرة

وعندنا في البلدان الواقعة في بحر الروم وحوله بركان يزوف في ايطاليا واتنا في صقلية وبراكين اخرى ساكنة في اسبانيا وفرنسا والمانيا وغيرها . وقرب بلاد اليونان خمس جزائر ذات براكين . وجبل اراراط كان بركاناً في العصور الخالية . وفي جبال لبنان ومصر وحذاء البحر الاحمر مخروطات بركانية كثيرة . وفي جزيرة جاوى خمسون بركاناً منها ٢٥ بركاناً خامداً وهكذا جزائر سومطرة وبورنيو والقديسة هيلانة وكناري وايسلاندا وغيرها . وفي اميركا الجنوبية وجزائر فيلبين كثير من البراكين

واقرب البراكين الثائرة الينا يزوف وقد ثار سنة ١٧٧٩ وقذف بالرماد الى علو عشرة آلاف قدم في الجوّ وكان في اول العصر المسيحي خامدًا مغطّى بالكروم والاشجار ذات الاثمار من قنتهِ الى اسفلهِ فثار في اواخر القرن الاول ودمر هركولانيوم وبومباي ثم ثار بعد ذلك بنحو الف سنة اي سنة ١٠٣٦ . وفي سنة ١٦٣١ ثار ايضاً فدمَّر المدن التي كانت مبنية عند سفحهِ . ومع ذلك كلهِ ترى الناس يطمئنون اليهِ لا يعتبرون بما مضى ولا يحسبون حساباً لما يضمرهُ المستقبل

وسنة ١٨١٥ ثار بركان طمبورو في جزيرة سمباوى فاقلق بلاد جاوى كلها وقدَّر الشهير هرشل انهُ لو جمع الرماد الذي قذفهُ حينئذٍ لتكوَّن منهُ جبل اكبر من جبل بلانك باوربا ثلاثة اضعاف وبقيت تلك الجزيرة متوشحة بالظلام والقتام اياماً كثيرة وكانت صعقات الجبل تسمع في جزيرة سيلان وهي على الف ميل منها

وثار بركان ريكجانس سنة ١٧٨٣ وقذف من الحمم ما يبلغ مقدارهُ واحداً وعشرين ميلاً مكعباً . وثار بركان كيلوس سنة ١٨٤٠ فخرج منهُ نهر من الحمم طولهُ اربعون ميلاً ولو جمعت المواد التي جرت منهُ في ارض مساحتها ميل لعلت عليها ٨٠٠ قدم

ولما ثار بركان كوسكوينا في نيكارجوى سنة ١٨٣٥ سمع قصفهُ في جزيرة جاميكا على بعد ٨٠٠ ميل . وجبل سوفريير الثائر الآن في جزيرة سنت فنسنت ثار سنة ١٧١٨ وسنة ١٨١٢ . ولما ثار سنة ١٨١٢ سمع اهالي جزائر برباد وس صوتهُ جليًا وهم على بعد ٨٠ ميلاً عنهُ فظنوهُ صوت مدافع الاساطيل الفرنسوية والالمانية بسبب شدتهِ وغطى الجزيرة حينئذٍ برمادهِ لكن الناس نسوا ذلك حينما خمد وعمَّروها ثانية

انفجار بالون سفيرو

فصَّلت الجرائد العلمية انفجار بالون سفيرو

الذي ذكرنا خبرهُ في الجزء الماضي فقالت انهُ صنعهُ في معمل باريس اسمهُ معمل لاشامبر حيث صنعت بالونات سنتوس ديمون قبلهُ وكان شكلهُ على شكل سيجارة وسعتهُ ثمانون الف قدم مكعبة من الغاز فملأهُ بغاز الهيدروجين قبل ركوبهِ بعدة ايام وجرّبهُ فاعجبهُ وكان الجوُّ غائماً والريح شديدة فبات ينتظر انقلاب الحال حتى يتمكن من ركوبهِ والصعود بهِ الى الاعالي

وفي مساء ١١ مايو الماضي صحا الجوُّ وانقشعت الغيوم فاستعدَّ ذلك الليل لركوبهِ. وفي فجر اليوم التالي ركبهُ هو وآخر معهُ فصعد بهما الى الجوّ بسرعة عظيمة وكانا يرميان ما فيهِ من اكياس الرمل لكي يخف حتى اذا بلغ بهما علوَّ الف قدم وذلك بعد صعودهِ بربع ساعة الفجر فرأَى المشاهدون على الارض لساناً من اللهب امتدَّ من البالون ورأَوا بعدهُ دخاناً ابيض ثم سمعوا صوتاً قويًّا ثم احاط اللهب بالبالون فاحترق وسقط في شارع دومان . اما سفيرو فقد قال الذين شاهدوا سقوطهُ انهُ مات حالما سقط الى الارض واندقَّ لحمهُ بعظامهِ . واما رفيقهُ فمات احتراقاً في الهواء قبل وصولهِ الى الارض

وسفيرو هذا برازيليٌّ وعائلتهُ من اغنى العائلات في البرازيل واوجهها وقد درس في الكليات الكبيرة وعين عضواً في مجلس نواب البرازيل سنة ١٨٩٣ وبقي عضواً الى يوم موتهِ

مباني المحدثين

نعجب بمباني اسلافنا شديد الاعجاب لاننا نرى الفرق عظيماً جدًّا بينها وبين مبانينا فبيوت السكان ومعابدهم في لقصر وادفو وبعلبك بالنسبة الى هياكل الاقدمين فيها كنسبة الطفل الصغير الى الجبار الكبير او كنسبة الكوخ الحقير الى افخم القصور ولكن من يجُل في عواصم اوربا واميركا يزُل من نفسهِ اكثر ما يراهُ من الاعجاب بمباني الاقدمين . فاننا نضرب المثل باعمدة بعلبك والكرنك ولكن العمود من اعمدة بعلبك مؤلف من ثلاثة حجارة عدا قاعدتهِ وتاجهِ . والعمود من اعمدة الكرنك مؤلف من حجارة كثيرة اما في عواصم اوربا واميركا فتجد اعمدة تكاد تماثلها طولاً وثخناً وهي حجر واحد . وقد اطلعنا الآن على صورة بناء يبنى في مدينة نيويورك باميركا اعمدتهُ مضلَّعة بتيجان كورنثية وهي من حجر الغرانيت الصلب طول العمود منها ٣٦ قدماً وقطرهُ اربع اقدام وعقدتان وثقلهُ اربعون طنًّا وهو حجر واحد وفوقهُ تاج ارتفاعهُ ست اقدام مصنوع من قطعة ثقلها ١٩ طنًّا وتحتهُ قاعدة علوها قدمان وثقلها ٦ اطنان وهذه الاعمدة ممتدة على واجهة البناء كلهِ

مضار المثلوجات

نريد بالمثلوجات كلَّ مادة يستعمل الثلج لتجميدها او تبريدها كالدندرمة (البوزه)

وغيرها من المشروبات المبرّدة . فقد اقبل الصيف بهجيرهِ وكثر عملها في المنازل الخصوصية والمحلات العمومية تخفيفاً للحرّ

على ان لها مضارّ لا يصلح السكوت عنها وخصوصاً ما عمل منها بالقشدة واللبن وغيرهما من المواد القابلة للفساد الناقلة لجراثيم الامراض والعدوى فقد يشربها الانسان وهي مشوبة بالجراثيم من حيث لا يدري ان السمّ في الدسم فيذهب ضحية لذتهِ

ومما يذكر في هذا الصدد ان الجريدة الطبية الانكليزية كتبت مقالة في هذا الموضوع قالت فيها ان الدكتور كلين فحص شيئاً من الكريما والماء الذي تغسل بهِ آنيتها فحصاً بكتيريولوجياً فوجدهما مملوءين بالوف الجراثيم. وذكرت ان عشرين نفساً في انتورب بالبلجيك اكلوا الكريما فظهرت فيهم اعراض السمّ

وهناك سبب آخر للضرّ لا يجوز الاغضاء عنهُ فقد تكون القشدة واللبن وغيرهما من المواد التي تصنع المثلوجات منها سليمة من كل شائبة ومع ذلك يصاب كثيرون بالامراض على اثر اكلها بتداول الكاسات والملاعق من يد الى يد ومما يجب التنبيه اليهِ ان التجميد لا يميت الجراثيم المرضية كما قد يظن الكثيرون بل يعوقها عن العمل وقتياً ولكنها لا تلبث ان تصير شرًّا من ذي قبل اذا ارتفعت درجة الحرارة حولها في الوسط الذي تسبح فيهِ . فيجب من ثمَّ الانتباه الى غسل الآنية والملاعق جيدًا عند استعمالها

مركوني والتلغراف

قال مركوني مخترع التلغراف الذي لا سلك لهُ انهُ اخترع اداة كهربائية شديدة التأثر بالامواج الكهربائية يقرأ بها ثلثون كلمة في الدقيقة بتلغرافهِ وان سبع عشرة باخرة من بواخر الاوقيانوس الاتلنتيكي واربعين بارجة من البوارج البريطانية تقتني الآن عدتهُ التلغرافية وتعوّل عليها وان باخرتين من تلك البواخر تكسب كلٌّ منهما ٦٠ جنيهاً من ركابها في كل سفرة من سفراتها بين اوربا واميركا بارسالها رسائلهم التلغرافية من وسط البحر الى ذويهم في اوربا واميركا

وقد جعل ركاب البواخر الماخرة بين اوربا واميركا يستعملون التلغراف الذي لا سلك لهُ واسطة للتسلية بين ركاب باخرة واخرى . ففي اوائل هذا الشهر كانت باخرتان سائرتين من اوربا الى اميركا و بينهما مسافة سبعين ميلاً فتخاطب ركابهما بالتلغراف الذي لا سلك لهُ على ان يلعبوا الشطرنج معاً فجلس رجل انكليزي في الباخرة المسماة "كمبانيا" امام رقعة الشطرنج ونقل عليها بيذقاً من البياذق واخبر بعض الراكبين في الباخرة الاولى " فيلا دلفيا " بما فعل باشارة برقية فنقل هذا قطعة على الرقعة التي امامهُ واخبرهُ كذلك. وقضى اللاعبون خمس ساعات وهم يلعبون ثم انقطعت المواصلات البرقية بين الباخرتين

الابرة الكهربائية والمعادن

اخترع المستر اديصن ابرة كهربائية تدلُّ على الفلز في باطن الارض بميلها عن وضعها الاصلي وتعين مكان الفلز بالتدقيق بمقدار ميلها وقد ارسل جماعة الى الجهات التي تكثر فيها مناجم النكل في كندا ليجربوها فيها

المال والوقت

اخذ كثيرون من مشاهير رجال الاعمال يستعملون مركبات الاوتوموبيل للركوب بين منازلهم ومحلات اشغالهم للاقتصاد في الوقت وزيادة الدخل . منهم رجل اميركي من اصحاب الملايين فانهُ يقطع المسافة بين منزلهِ ومكتبهِ وطولها ١٤ ميلاً مرتين في اليوم باحدى وعشرين دقيقة وقد قال ان ما يكسبهُ من الوقت بذلك يساوي نصف مليون ريال سنوياً على القليل . فتأمل الفرق بين قوم يستريحون وينامون ويأكلون ليعيشوا وقوم يعيشون ليستريحوا وينامو ويأكلوا

خرائب بومباي

نشرت جريدة السينتفك اميركان صورة خرائب بومباي كما هي عليهِ الآن وقالت ان المدينة خربت بزلزلة سنة ٦٣ للميلاد ثم جددت مبانيها العمومية على نسق واحد وقبل ان يتم بناؤها فاجأها البركان فطمرها بالحمم والوحل وهطل بعدهُ مطر غزير فلم يحترق ما فيها من الخشب بل فحم ولم يزد عدد من قتل بها على الفي نفس اي نصف عشر الذين قتلوا في مرتينيك

ترعة نكارجوى والبراكين

بحثت الحكومة الاميركية منذ مدة قصيرة في مشروع حفر ترعة تصل الاوقيانوس الاتلنتيكي بالمحيط وفي المكان الذي تختارهُ لذلك فعزمت ان تشتري امتياز ترعة بناما من الشركة الفرنسوية صاحبة الشان . ولكن قام بين الاميركيين قوم يفضلون ترعة نكارجوى عليها لاسباب لا حاجة الى بيانها فاقتنعت الحكومة بذلك وعولت على مشترى ارض الترعة من حكومة نكارجوى وفتح ترعة هناك . فلما حدثت فاجعة مرتينيك ودوى خبرها في جميع الاصقاع ووصل اثرها الى الجزر والبلاد المجاورة لها ومنها ارض بناما ونكارجوى، قام العلماء يبحثون مسألة الترعتين من جديد ويحذرون ويقولون ان الواجب على الحكومة ان تختار لفتح الترعة مكاناً يدلُّ تاريخهُ الماضي وطبيعة ارضهِ على انهُ غير معرَّض لنُوب الزلازل واعراض الحوادث البركانية . اما برزخ بناما فغاية ما يقال عنهُ انهُ لم يطرأ عليهِ طارىءٌ مفاجىءٌ البتة منذ ظهر الانسان على وجه هذه البسيطة وانهُ لا اثر لفعل البراكين فيهِ والبراكين نفسها ساكنةً كانت او ثائرة الأَعلى بعد ١٨٠ ميلاً عنهُ . واما نكارجوى فقد عرفها الانسان مركزاً

دائماً للهزات والزلازل وعلى طول طريقها سلسلة من البراكين ظهر من الدلائل الكثيرة ان بعضها يقمر شراً جسيماً . يكفي شاهداً على صحة ذلك بركان كوسكوينا الواقع الى الشمال الغربي من نكارجوى فانهُ ثار منذ اربع وستين سنة وقذف من فيهِ بالرماد والحمم مدة يومين كاملين وقد قدر احد العلماء انهُ كان يقذف كلَّ ست دقائق منها ما يساوي كلَّ ما يمكن حفرهُ من ترعة نكارجوى من التراب والاحجار . وسمع صوتهُ الى بعد الف ميل ووقع من رمادهِ على بعد ١٤٠٠ ميل منهُ . وبعد ذلك بسبع سنوات حدثت زلزلة هائلة دمرت مدينة ريفاس تدميراً وهي على بعد خمسة اميال فقط عن مكان الترعة

ويقال ان الحكومة الاميركية لا بدَّ ان تتدبر هذه الاعتراضات وتنظر فيها قبل بتّ حكمها في المسألة

وقد جاءت التلغرافات بعد كتابة هذه السطور تنبئ باختيار الحكومة الاميركية طريق بناما

دود الحرير في ايطاليا

اشتد البرد وكثر سقوط الثلج في اقاليم ايطاليا الشمالية الشرقية فافضى ذلك الى موت دود الحرير كلهِ والى افلاس كثيرين من الفلاحين بسبب ذلك

الكهربائية والحياة

اول انسان انتبه الى الفعل الكهربائي في الكهرباء اذا فُركت نسبهُ الى قوة حيوية . ثم لما انتبه كلفني الى ما سماهُ بالكهربائية الحيوانية قال بوجود ارتباط بين الكهربائية والحياة او الفعل الحيوي . ولا يزال هذا الخاطر يخطر على بال العلماء ولكنهم لم يجدوا سبيلاً الى تحقيقهِ الا الآن . فقد ذكرنا غير مرة ان بيض السمك الذي لم يُلقَّح ينمو ويتولد منهُ سمك اذا وضع في ماء فيهِ بعض المواد الكيماوية اي ان البيض يحيا وينمو على غير ما عُرف بالاستقراء لان الاستقراء اثبت انهُ لا يتولَّد حيٌّ من الاحياء المرتقية الا من ذكر وانثى . ثم ظهر الآن ان نمو البيضة كذلك ناتج عن فعل كهربائي فان المادة الكيماوية التي تكون في السائل تؤثر في البيضة تأثيراً كهربائياً يجعل الجرثومة تتحرك وتغتذي وتنقسم اي تظهر فيها الحياة وتسير في طريق النمو والتكامل . كأن الدقائق التي تتألف منها الجرثومة تكون منفصلة بعضها عن بعض بقوة كهربائية فانها تكون مكهربة بالكهربائية الايجابية ويكون السائل الذي هي فيهِ مكهرباً بالكهربائية السلبية فتبقى دقائق الجرثومة منتشرة في السائل فاذا ازيلت كهربائيتها انضمت بعضها الى بعض وهبطت الى اسفل السائل او طفت على وجههِ . وتزال كهربائيتها

امَّا بمجرًى كهربائي يعدّلها او بدقائق مكهربة بالكهربائية السلبية (شوارد) تنتشر بينها . واذا كانت دقائق الجرثومة مكهربة كهربائية سلبية فيتم اجتماعها بمجرًى من الكهربائية الايجابية او شوارد مكهربة بالكهربائية الايجابية

ويظهر ممَّا تقدَّم ان كثيرًا من ظواهر الحياة في الجسم الحي يعلَّل بان الافعال الكيماوية الطبيعية تولّد قوة كهربائية في الشوارد التي في الجسم وهذه تولد قوة حيوية في دقائق الجسم

الاميركيون في كوبا

شرع الاميركيون منذ احتلوا كوبا في اصلاح مدينة هفانا عاصمتها فاخربوا العشش والاكواخ القديمة التي كانت مستنبتات لجراثيم الكوليرا ورمموا شوارعها التالفة ومصارفها بعد ان كانت لا تصلح لشيءٍ وطهروا منازل الاهالي رغمًا عمَّا لقوا من الاعتراض والمقاومة ونظموا مستشفياتها التي كانت شرًّا من عششها ونظفوها فصارت صالحة للتمريض بعد ان كان لا يخرج منها اكثر من ٣٠ في المئة من المرضى الذين يدخلونها . وقد كانت الحمَّى الصفراوية تفتك باهلها فتكًا ذريعًا ففي سنة ١٨٩٦ مات بها ١٢٦٢ نفسًا منهم وكان متوسط الذين يموتون بها في الاحدى عشرة سنة السابقة للاحتلال الاميركي ٤٤٠ نفسًا في السنة فلم يمت بها السنة الماضية ٥ انفس . وعليهِ صارت هفانا بفضل الاصلاح الجديد جنة زاهرة بعد ان كانت قرارة اقذار

صهر الكوارتز

يفضَّل الكوارتز على الزجاج في صنع بعض الادوات منهُ وخصوصًا الادوات الدقيقة اللازمة للتجارب الطبيعيَّة التي تستخدم معها الحرارة الشديدة. ولكنهُ قلما يستخدم في تلك الاعمال لصعوبة صهرهِ . غير ان احد علماء الاميركيين اهتدى اخيرًا الى صهرهِ بالاتون الكهربائي . اما وجه افضليتهِ على الزجاج فهو انهُ يمكن تغطيسهُ في الماء البارد بعد ان يحمى الى اعلى درجة يمكن احماؤُهُ اليها ولا يتشقق خلافًا للزجاج كما هو المشهور

رحلة زجاجة

كتب رجل من الينويس وهي ولاية من الولايات المتحدة الاميركية الوسطى كتابًا وضعهُ في زجاجة ثم سدَّها والقاها في نهر ماكنو وكان ذلك في ٢٧ يناير سنة ١٩٠٠ . ومنذ مدة قصيرة وجدها رجل في كليفورنيا وهي احدى الولايات المتحدة الاميركية الغربية على ساحل الاوقيانوس المحيط ففتحها وقرأ الكتاب المذكور وفيهِ يطلب صاحبهُ ممن يجد الزجاجة أن يخبرهُ بزمان وجودها ومكانهِ . فبعث اليهِ يخبرهُ بذلك . اما كيفية وصول الزجاجة الى كليفورنيا فهي انها جرت مع نهر ماكنو حتى ملتقاهُ بنهر الينويس ثم الى نهر

مسيسبي الشهير فجرت فيهِ جنوباً حتى خليج المكسيك ودخلت الاوقيانوس الاتلنتيكي فتقاذفتها تياراتهُ وحملتها جنوباً على محاذاة الساحل الشرقي من اميركا الجنوبية وارتدَّت بها غرباً حول رأس هورن وهو اقصى الطرف الجنوبي من اميركا الجنوبية ثم شمالاً في المحيط على محاذاة الساحل الغربي من اميركا الجنوبية الى ان بلغت كليفورنيا في اميركا الشمالية . فقطعت بذلك مسافة عشرة آلاف ميل ولم تؤَثر فيها تيارات اليمّ العظيم

سائل جديد للنور والحرارة

روت جرائد مونيخ بالمانيا ان رجلاً كيماويًّا في همبرج اكتشف مادَّة سائلة اذا اضيفت الى الماء القراح تكوَّن من ذلك سائل لا يستطيع احد ان يميزهُ عن زيت البترول ويمكن استعمالهُ لتوليد النور والحرارة واذا اشعل في المصابيح العادية ذات الفتائل كان نورهُ ابيض ومضاعف نور البترول في الشدة وهو غير قابل الالتهاب السريع كالبترول . ويقال ان شركة انكليزية تألفت في لندن لفحصهِ. وحتى الآن لم نقرأ ما يثبت هذا الخبر

الزجاج اللين

يقال ان المصريين القدماء كانوا يعرفون طريقة عمل الزجاج اللين ثم جهلت من بعدهم ولم يهتدِ احدٌ اليها . وقد ذكرت السينتفك اميركان نقلاً عن جرائد اميركا اليومية ان رجلاً من صنَّاع مداخن المصابيح اهتدى الى عمل الزجاج اللين ويقال انهُ يمكن صنع آنية الطبخ منهُ

منع تصادم السفن

اخترع رجل روسي آلة لمنع تصادم السفن في البحر توضع امام السفن في سيرها وتدلُّ على وجود العوائق في سبلها طافية كانت او راسية كالصخور وعلى الطريق التي يجب على السفن ان تسير فيها عند وجود العوائق المذكورة

انهر الماء الغالي

جعل الماء يجري سخناً غالياً في انهر مرتنيك وزاد مقدارهُ حتى صار ثلاثة اضعاف ما كان قبل الثوران

المغالاة بالصور

لما صوَّر المصور مِلله صورتهُ انجلس باعها بالف فرنك . ثم بيعت بالمزاد العلني بخمس مئة الف فرنك اشتراها رجل اميركي ثم استردها رجل فرنسوي فدفع ثمنها مليون فرنك

تجارة افريقية

اما الآن وقد وضعت الحرب اوزارها في جنوب افريقية ومدَّ السلام رواقهُ فوقها فقد عاد الناس يهتمون بحركة الاعمال والاشغال فيها من تجارية وصناعية وغيرها. فان الترنسفال

كانت قبل الحرب من البلاد التي كثرت المهاجرة اليها كالولايات المتحدة في اميركا الشمالية والبرازيل في الجنوبية وما ذلك الاَّ لكثرة الاعمال فيها بسبب مناجمها الذهبية المشهورة فلما شهرت الحرب وقف دولاب الاعمال مدة ٣٠ شهرًا ودار دولاب سفك الدماء والآن عادت المياه الى مجاريها وما الدهر الاَّ منجونًا باهلهِ

وقد سمعنا بالامس بعضهم يحدثون النفس بالسفر الى تلك البلاد سعيًا في الكسب وطلب الرزق . ولما كان كثيرون يحبون الاطلاع على حالة افريقية التجارية عمومًا رأينا ان نلخص ما ورد في التقرير الاحصائي الذي اصدرهُ مكتب الخزينة في الولايات المتحدة الاميركية

فقد جاء فيهِ ان تجارة افريقية كلها تبلغ ٧٠٠ مليون ريال منها ٤٢٩ مليونًا ثمن الواردات. وثلاثة ارباع هذه الواردات يدخل افريقية من موانيها الشمالية والجنوبية ومعظمها يستهلك في البلدان الشمالية والجنوبية ولما كانت هذه البلدان اما خاضعة لانكلترا كبلاد الراس او تحت ادارتها كمصر فمعظم التجارة طبعًا في يد انكلترا

ومن الواردات المذكورة ١٥٧٥٧٥٠٠٠ ريال تدخل املاك انكلترا و ٩٢٠٠٤٠٠٠ املاك فرنسا و ٧٧٧٨٧٠٠٠ املاك تركيا و ٢٠٧٩٥٠٠٠ املاك البرتوغال و ٨٣٣٦٠٠٠ املاك المانيا و ٤٧٢٢٠٠٠ املاك ولاية الكونغو الحرة . وقد بلغ ثمن ما اصدرتهُ الولايات المتحدة الى الاملاك المذكورة في السنة الماضية ٥ في المئة من مجموع الواردات او ٢٥٥٤٢٦١٨ ريالاً وكان ٦٣٧٧٨٤٢ ريالاً سنة ١٨٩٥ والسبب في هذه الزيادة كثرة طلب الآلات للتعدين في جنوب افريقية فان ارباب المناجم يوصون المعامل الاميركية بصنع الآلات اللازمة لهم اقتصادًا في الوقت والمال. واشهر ما في جنوب افريقية مناجم الماس والذهب فيخرج من مناجم الماس في كمبرلي ٩٨ في المئة من الماس الذي يباع الآن في اسواق المسكونة مع انها لم تكن تعرف قبل سنة ١٨٦٧ ويقدَّر ثمن الماس الذي اخرج منها حتى الآن ٣٥٠ مليون ريال قبل جلائهِ وسبع مئة مليون ريال بعد جلائهِ وامر مناجم الذهب اغرب من ذلك فانهُ اخرج منها سنة ١٨٨٤ ما يساوي عشرة آلاف جنيه وسنة ١٨٨٨ ما يساوي مليون جنيه و سنة ١٨٩٠ ما يساوي مليوني جنيه وزاد المستخرج بسرعة حتى بلغ ما استخرج منها سنة ١٨٩٩ احد عشر مليونًا من الجنيهات و بلغ المستخرج من مناجم الرندمن حين اكتشافها سنة ١٨٨٤ الى سنة ١٨٩٨ ستين مليونًا من الجنيهات والمظنون ان هناك من الذهب ما يساوي سبع مئة مليون من الجنيهات

تتويج ملك الانكليز

كانت الامة الانكليزية قائمة قاعدة في هذا الشهر تستعدُّ للاحتفال بتتويج ملكها تتويجاً لم تسمع بمثلهِ اذن ولم يخطر على بال انسان فدعت اساطين الامم واساطيلها من اقصاء الارض الى اقصائها للاشتراك فيهِ وبينا هي نائمةٌ عن الزمان وطوارق الحدثان اذ رمقها الزمان بعينهِ التي لا تنام فاصابت منها الرأس واعتلَّت بذلك سائر الاعضاء

عيَّنت اليوم السادس والعشرين من هذا الشهر للاحتفال بتتويج ادورد السابع ملكاً لبريطانيا العظمى وامبراطوراً للهند ولكن لم تكد الشمس تبلغ المدار الصيفي وتنزل برج السرطان حتى اصيب الملك بنترق في النسيج الخلوي حول المعى المعروف بالاعور من التهاب الزائدة الدودية فاقتضى الامر عملية جراحية لهُ اذ لم يعد يقوى على احتمال حفلات التتويج فتبدلت افراح الامة اتراحاً وشاركتها في ذلك سائر امم الارض ونزعت معالم الزينة ومعداتها . وقام بهذه العملية اللورد لستر الجراح الشهير ومعهُ نخبة من جرّاحي الانكليز نخص بالذكر منهم الجراح تريفس المشهور بهذه العملية . ويظهر من التلغرافات ان الالتهاب انحصر في مكانهِ وجلالة الملك يتماثل الى الصحة وقد زال الخطر عن حياتهِ

اكرام العلماء

يرى القارىء في باب المراسلة في هذا الجزء كلاماً مسهباً عن ثابت بن قرة الفيلسوف الصابىء الحرّاني . والصابئة شيعة دينية ضعيفة الشأن جدًّا لكن ضعف قومهِ لم يكن ليحط من منزلتهِ في العصر الذي كان عصر العلم والعرفان في الممالك العربية فان الخليفة كان يجل قدرهُ ويجلسهُ بين يديهِ ووزيرهُ قائم. ويقول لهُ ان العلم يعلو ولا يُعلَى عليهِ. ولما مات رثاهُ شعراء عصرهِ ولم يلتفتوا الى انهُ من الصابئة كأَن الفوارق الدينية لم يكن لها اقل شأن في ذلك العصر بل كان الشأن الاكبر للعلم والفضل . ولا غرو اذا افلح قوم جروا على هذه الخطة واخفق قوم جروا على ضدها

تجارة السمانى والبيض

بلغت قيمة ما اصدر التجار في هذا القطر من السمانى الى الاقطار الاخرى ١٣٧٩٤ جنيهاً مصريًّا سنة ١٨٩٨ و ١٥٠٥٤ جنيهاً مصريًّا سنة ١٨٩٩ و ١٣٩٣٧ جنيهاً مصريًّا سنة ١٩٠٠ و ١٩٢٦٨ جنيهاً مصريًّا سنة ١٩٠١

وبلغت قيمة ما اصدروا من البيض ٣٤١٧٧ جنيهاً مصريًّا سنة ١٨٩٨ و٤٣٢٤٤ سنة ١٨٩٩ و١٠٢٨٠٩ سنة ١٩٠٠ و٨٠٩٩٠ سنة ١٩٠١

فهرس الجزء السابع من المجلد السابع والعشرين



مجلة علمية صناعية زراعية

لمنشئيها

الدكتور يعقوب صرّوف والدكتور فارس نمر

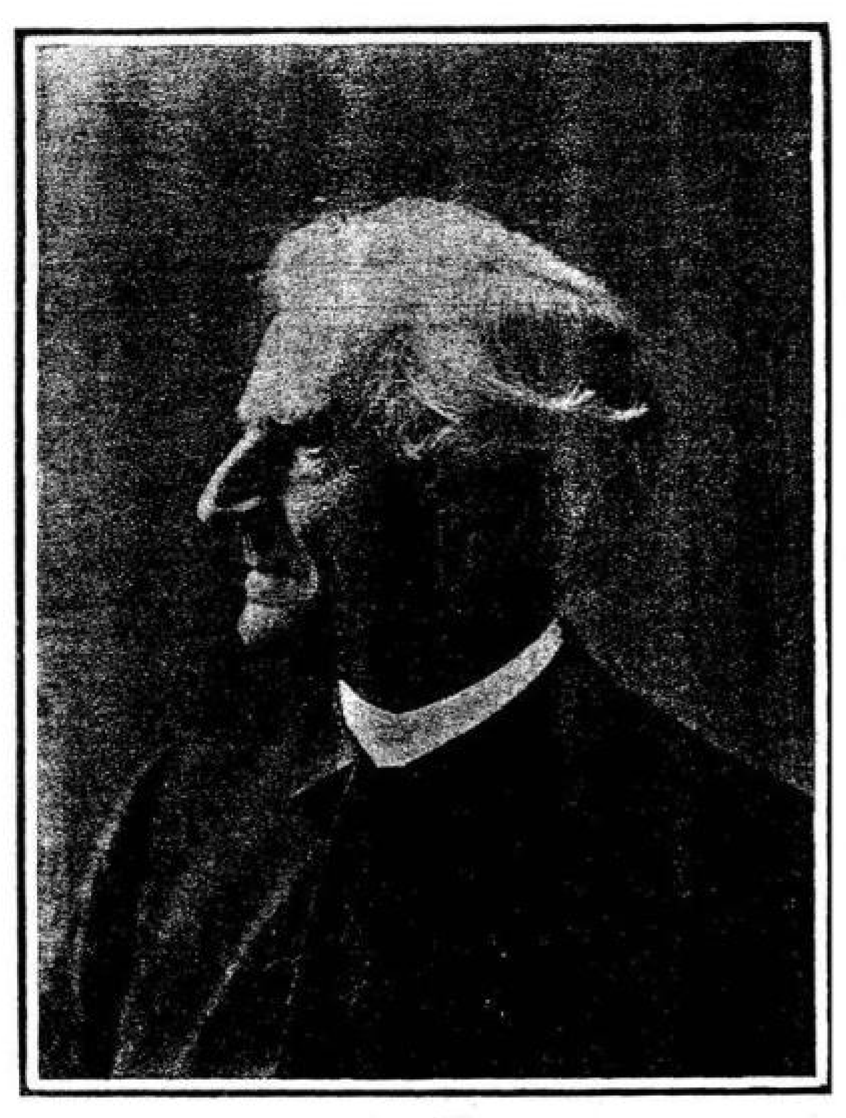
AL-MUKTATAF

A MONTHLY ARABIC SCIENTIFIC REVIEW

EDITED BY DR. Y. SARRUF

VOL. LXX. No 5

FOUNDED 1876 BY DRS. Y. ṢARRUF & F. NIMR



الدكتور بلس
رئيس المدرسة الكلية السورية الاول

المقتطف

الجزء الثامن من المجلد السابع والعشرين

١ اغسطس (آب) سنة ١٩٠٢ — الموافق ٢٦ ربيع الثاني سنة ١٣٢٠

الدكتور بلس

رئيس المدرسة الكلية السورية الاول

للامم كما للافراد ادوار يستيقظون فيها بعد السبات وينهضون للعمل بعد الخمول. ولقد كان زمن هذه النهضة في بلاد الشام منذ اربعين عاماً بعد الحادث الكارث الذي سُفكت فيهِ دماء الابرياء وخربت المنازل وشتّت الشمل

"وللشر إقلاع وللهم فرجة ولِلخير بعد المونسات عوائدُ"

وكانت فاتحة النهضة انشاء المدارس الكبيرة فامّها الطلبة من كل فجّ رغبةً في اكتساب العلم والتذرُّع بهِ الى العمل. انشأ المرحوم المعلم بطرس البستاني المدرسة الوطنية في بيروت وانشأت طائفة الروم الارثوذكس مدرستها الكبرى في سوق الغرب والطائفة الدرزية المدرسة الداودية في عبيه عدا المدارس الكثيرة التي انشأها قبيل ذلك المرسلون الفرنسويون في جهات مختلفة من جبل لبنان وعدا مدرستي البنات في بيروت مدرسة مسز طمسن الانكليزية والمدرسة الاميركية اللتين أُنشئتا ليجد شبان النهضة الجديدة زوجات متعلمات يجارينهم في ميدانها فلا تكون عقيمة من حيث عمران البيوت وتربية الجيل التالي

وكأن دماء الابرياء التي اريقت في لبنان ودمشق ووادي التيم في الحادث الذي اشرنا اليهِ آنفاً. والاموال التي جاد بها المحسنون من اهالي اوربا واميركا لتنفق على الذين نكبوا في تلك النكبة. والغيرة التي غارتها دول اوربا على توطيد الامن في ربوع الشام. والهمة التي بذلها ولاة الامور لانجاح البلاد واسعاد العباد من عهد فؤَاد باشا وداود باشا — كلّ ذلك ولَّد في النفوس رغبةً شديدة في طلب العلم واقنع روَّاد المعارف ان سعيهم لا يذهب سدًى فحلَّت على البلاد

روح جديدة روح التعلم والتعليم وصار الرجال يتركون اعمالهم وحرفهم بعد ان زاولوها سنوات ويدخلون المدارس يطلبون العلم مع صغار الطلبة. وصارت مطارحات الناس ومذاكراتهم في حل المسائل اللغوية والرياضية ومجتمعاتهم لاستماع الخطب العلمية والادبية

ولم يكد الطلبة يحرزون مبادئ العلوم حتى اتجهت همة القس الفاضل الدكتور بلس احد المرسلين الاميركيين في جبل لبنان الى انشاء مدرسة كلية تعلّم العلوم العليا وتعد الطلبة لتعلّم العلوم الفنية كالطب والصيدلة والهندسة والشريعة وتكون مثل المدارس الكلية في اوربا واميركا فخاطب اخوانهُ المرسلين في هذا الشأن ولا بدَّ من ان يكون قد وجد بينهم المرغِّب والمزهّد لاختلاف عقول الناس ومذاهبهم والظاهر انهم اتفقوا اخيرًا على استحسان العمل وانتدبوهُ لجمع المال لهُ من اوربا واميركا لان عملاً مثل هذا يقتضي مالاً طائلاً لا يمكن جمعهُ من بلاد شرقية

كان الدكتور بلس حينئذٍ كهلاً في الاربعين من عمرهِ فانهُ ولد في السابع عشر من اغسطس سنة ١٨٢٣ ولم يتسنَّ لهُ طلب العلم فتًى فطلبهُ شابًا ونال الشهادة البكلورية من مدرسة امهرست الجامعة وعمرهُ ٢٩ سنة ثم درس علم اللاهوت واجيز لهُ فيهِ وعمرهُ اثنتان وثلاثون سنة . وكأنهُ لما رأى الشبان السوريين بعدئذٍ يتركون اعمالهم وينقطعون لطلب العلم مثلهُ ودَّ ان يرتووا منهُ كما ارتوى هو

واقترن تلك السنة بزوجتهِ الفاضلة التي يحسبها تلامذة المدرسة الكلية امًّا لهم كما يحسبون زوجها ابًا وهي اكبر عضد لهُ في اشغالهِ والروح التي توحي اليهِ من وراء الستار

وقصد بيروت سنة ١٨٥٥ في سفينة شراعية فوصلها في العام التالي واقام في عبيه وسوق الغرب يتعلم العربية ويعلم ويبشر الى ان خطر لهُ انشاء المدرسة الكلية على ما تقدَّم فعاد الى اميركا يحثُّ الاغنياء والفضلاء على الجود بالمال لهذا العمل المبرور . وقدَّر لهُ الله ان سمع خطبتهُ الاولى رجل كريم من اهل اليسار فاستوضح غرضهُ بالتفصيل وكان من اول المكتتبين بالمبالغ الطائلة ومن اكبر القائمين بانشاء هذه المدرسة وممَّن لهم اليد الطولى في حث اخوانهم الاغنياء على المشاركة في هذا العمل

والنوادر التي سمعناها منهُ عن مقابلة الناس لهُ وهو يعرض عليهم الغرض الذي يتوخاهُ ويحثهم على الاخذ بيدهِ تدلُّ على انهُ اعرف الناس باخلاق الناس وكثيرًا ما كان يقصد رجلاً مشهورًا بالبخل فينال منهُ اكثر ممَّا ينال من رجل مشهور بالكرم . وبعد عناء كثير لايعلمهُ الا الذين سألوا الناس ولو لاشرف الغايات وانبلها جمعَ المال الكافي وتألف مجلس في اميركا

ائتُمن عليهِ وصدرت الرخصة الرسميَّة من حكومة نيويورك بانشاء المدرسة الكلية في بيروت فعاد الى سورية ونشر لائحة العلوم التي يراد تعليمها في هذه المدرسة لحالما اطلع عليها كاتب هذه السطور وكان من طلبة العلم في مدرسة عبيه والدكتور بلس مصطاف فيها تاق الى مقابلتهِ فقابلهُ بالبشاشة والهشاشة ووعدهُ خيرًا . ولما فتحت ابواب المدرسة في اوائل اكتوبر ضاف التلامذة الاوَّلين في بيتهِ الى ان اعدت معدات المنامة فيها . وكنَّا ستة عشر طالبًا لا غير اكثرنا شبان تعلَّموا وعلَّموا قبل افتتاح المدرسة فقام على تعليمنا هو والشيخ ناصيف اليازجي والمعلم اسعد الشدودي والمستر فريزر الاسكتلندي والمسيو شارليه بازيه الفرنسوي . وكنَّا نأكل في المدرسة الوطنيَّة ونتعلم وننام في دار صغيرة مأجورة . وفي العام التالي انشئ الفرع الطبي وجاء الدكتور ڤان ديك والدكتور ورتبات والدكتور بوست للتعليم فيهِ وفي القسم العلمي ايضًا . ولما وقفنا لاستلام الدبلوما في آخر السنة الرابعة كنَّا خمسة لا غير كاتب هذه السطور واربعة من اخوانهِ والباقون توفوا او انتقلوا الى القسم الطبي او تركوا الدرس لاسباب أُخرى

وقد مرَّ على المدرسة الكلية الآن ٣٣ سنة فانتقلت من تلك الدار الصغيرة المأجورة الى مبانٍ رحبة فخيمة خاصة بها تكاد تكون بلدًا في رأس بيروت وزاد عدد الطلبة من ستة عشر الى اكثر من ستمئة . وللدكتور بلس اليد الطولى في هذا النمو والاتساع فبسعيهِ جُمع اكثر المال الذي بنيت بهِ مباني المدرسة المختلفة والمال الذي يُنفق ريعهُ على اساتذتها . وباهتمامهِ بنيت تلك المباني ولم ينفق عليها الاَّ اقل ممَّا ينفق على مثلها في مدينة بيروت . هذا من حيث جسم المدرسة امَّا روحها اي تعليم التلامذة وتثقيف عقولهم وتهذيب اخلاقهم وتكبير نفوسهم وجعلهم رجالاً يعتمدون على جدهم وتعتمد بلادهم عليهم فهو الشيء الاهم ولهُ فيهِ ايضًا اليد الطولى

اما من حيث التعليم بالذات فرؤساء المدارس لا يعلمون الاَّ قليلاً لان اكثر عملهم اداري وقد كان الدكتور بلس يدرّس بعض العلوم الرياضية في اول الامر ثم جعل يدرّس الفلسفة العقلية والادبية واخيرًا اقتصر على تدريس الفلسفة الادبية . وطريقتهُ في التدريس بسيطة وهي توضيح الموضوع بالامثلة الحسية المنتزعة من اعمال الناس وترك التلامذة يستنتجون كليات العلم لانفسهم . ويلي ذلك او يتقدم عليهِ الاهتمام بانتقاء المدرسين واطلاق الحرية لهم فاذا رأى مدرّسًا قائمًا بما يجب عليهِ اطلق لهُ الحرية التامَّة ولم يعترضهُ في شيء لا في التدريس ولا في ما يراهُ لازمًا من ادارة التلامذة فكأَن كل مدرّس مستقلٌ بنفسهِ في ما خُصَّ بهِ تدريسهُ . واما اذا وجدهُ غير كفء للتدريس فلا اسهل من ابدالهِ بغيرهِ ولذلك فاكثر الذين درَّسوا في المدرسة الكلية بذلوا جهدهم في انجاح تلامذتهم غير مقيَّدين بالقوانين المدرسية التي تغل

بدي المدرّس في الغالب وتجعلهُ يهتم بالعرض لا بالجوهر . فالمدرّس الذي لهُ اسلوب حسن للتدريس يفلح في عملهِ والذي ليس لهُ اسلوب حسن لا يفلح ولو حوّطتهُ بالف قاعدة وقانون

ومع اطلاقهِ الحرية للمدرسين وتركهم من غير سيطرة لم يكن يغفل عمَّا يبدو من التلامذة من امارات الذكاء والخمول والاجتهاد والكسل فينقي المدرسة من الخاملين الكسالى باسقاطهم او بمنع المساعدة المدرسيَّة عنهم حتى يتركوها من انفسهم واما الذكي المجتهد فيزيد رغبتهُ واجتهادهُ بكلمة يقولها لهُ في محلها ولا يطري ولا يكرر المدح عالماً ان الشيء اذا قلَّ عزَّ . اختار احد تلامذتهِ لتدريس الفلسفة الطبيعيَّة واتفق بعد سنة من الزمان ان سألهُ ذلك المدرّس قائلاً ما جعلك تختارني لهذا المنصب فقال لهُ رأيتك وانت تلميذ تصنع آلةً تمثل مطحنة باركر فعلمت انك تميل الى العلوم الطبيعية الامتحانية ومن كان لهُ ميل طبيعي الى علم من العلوم افلح فيهِ متى تيسرت لهُ وسائلهُ فحفظت المثال الذي صنعتهُ وبقي اسمك وفعلك في ذهني حتى اذا احتاجت المدرسة الى من يدرّس فيها الطبيعيات اخترتك لهذا المنصب

نأتي الآن الى تهذيب الاخلاق وهو عندنا اهم من تثقيف العقول وسبيلهُ اليهِ الوعظ والارشاد في ايَّام الآحاد وتدريس الآداب الدينية لكل التلامذة ولو مرةً في الاسبوع والسهر المستمر على سيرتهم داخل المدرسة وخارجها . وطريقتهُ في ذلك كلهِ مثل طريقتهِ في التعليم والادارة اي الارشاد والمراقبة من غير اكراه ولا تشديد حتى يشعر التلميذ انهُ مقود الى الخير من نفسهِ لا بزمام ولا بشكيمة . فاذا وعظ ذكر الحقائق واوضحها بالامثال ولم يكثر من التوبيخ والتقريع واذا علَّم القواعد الدينيَّة لم يستخف باعتراضات التلامذة ولا زجرهم اذا ابدوا ما في نفوسهم من الشكوك بل عاملهم في ذلك كأنهُ واحد منهم وكانهُ هو واياهم من طلبة الحق على حدٍ سوى ولذلك لا نظن ان احداً من تلامذتهِ يقدر ان يقول عنهُ انهُ ضغط على افكارهِ يوماً من الايام

وكثيراً ما كان يخرج في الليالي ويطوف في ازقَّة المدينة فاذا رأى تلميذاً خارج المدرسة في غير الوقت الذي يسمح لهُ فيهِ بالخروج نظر اليهِ نظرةً يشعر التلميذ منها بخطاءِ وبأن عين رئيسهِ غير غافلة عنهُ فيعود بالخجل من نفسهِ والندم على ما فعل الاَّ اذا كان معوجاً لا يرجى تقويمهُ . وهذا كان شأنهُ دائماً كلما رأى تلميذاً اخلَّ بما يجب عليهِ فانهُ كان يريهِ خطأهُ من طرف خفي حتى يستحي منهُ ويرجع عنهُ من نفسهِ

استدعى احد التلامذة المنتهين مرةً وقال لهُ شكاك الناظر اليَّ انك لم تطعهُ فاستغربتُ

ذلك منك لانني لم اسمع عليك شكوى قبل الآن . فقال التلميذ يقول المثل العربي ان شئت ان تُطاع فسَلْ مايستطاع ومن ثم تعلم لماذا لم اطع الناظر . فتبسَّم وقال لهُ كفى. ولم يتم الناظر السنة . واضطرت فرقة (صف) منتهية ان تخرج من المدرسة لامر ما وابى البوَّاب ان يفتح لها الباب ولم يكن الرئيس في المدرسة لتستأذنهُ ولم يسمع البواب لاحتجاجها فاخذت المفتاح منهُ غصباً وفتحت الباب وخرجت . ورُفع الامر الى الرئيس فقال ان البواب محق لانهُ غير مأذون في فتح الباب لاحد في ذلك الوقت والفرقة محقة في خروجها لانني ابنت لها من اول السنة اني اعتمد على حريتها وشرفها ولكنها اخطأت في اخذ المفتاح من البواب ويجب ان تعتذر اليهِ عن ذلك . فاعتذرت وانتهى المشكل

اما تكبير النفوس وهو الامر الاهم حتماً ولاسيما في بلاد المشرق حيث صغرت النفوس بامرٍ عليها من ازمنة الاستبداد فلا نظنُّ ان احداً يفوقهُ فيهِ او يضارعهُ . دخل غرفة الدرس العمومي مرة وكان التلامذة كلهم مجتمعين فيها وقال لهم ارسل الوزير الفلاني يقول انهُ آتٍ الآن لزيارة المدرسة ولو جاء رئيس اميركا اوملكة انكلترا لقلت لكم لا تقفوا بل ابقوا مكبين على دروسكم كما انتم الآن ولكن لا بدَّ من مراعاة احوال الزمان والمكان فاذا لم تقفوا لهذا الوزير عدَّ ذلك اهانة مقصودة فارجو ان تنهضوا حال دخولهِ وانا ادخل معهُ واشير اليكم لتجلسوا فاجلسوا . فشعر كل واحد منا كأن ما على عاتقهِ من احمال الاستبداد حُلَّت عراهُ فزال الضغط عن نفسهِ وحاولت الاتساع والانتشار . وحدث بعد ذلك بسنوات كثيرة ان اتى امبراطور برازيل الى بيروت وزار المدرسة الكلية ودخل غرف التدريس التي كنا ندرس فيها فوقف لهُ التلامذة اجلالاً من تلقاء انفسهم فاشار اليهم بكلتا يديهِ ليجلسوا ثم قال ان العلم اشرف من كل شريف فلا تكرموا احداً عليهِ . وكأنهُ اعاد على مسامعنا كلام الرئيس الذي سمعناهُ في صبانا . ما اعظم الفرق بين نفوس تلامذة يسمعون هذا الكلام ونفوس تلامذة تديرهم ايدي المدرسين كانهم جماد لا ارادة فيهِ ولا حياة

وكل ما سمعناهُ من كلام الدكتور بلس مع تلامذتهِ وما رأيناهُ من معاملتهِ لهم الأ في حادثة واحدة[1] يدلُّ على انهُ يتوخى الامر الذي اشرنا اليهِ آنفاً وهو تكبير نفوس التلامذة وجعلهم يشعرون انهم رجال يجب عليهم ان يعتمدوا على انفسهم

ومن اقوم السبل التي طرقها لهذه الغاية وساعدتهُ فيها زوجتهُ الفاضلة دعوتهُ التلامذة الى

(١) والحادثة التي اشرنا اليها ثورة التلامذة التي ترتبت على استعفاء بعض الاساتذة . والمسألة لم تنجلِ غوامضها الا بعد حدوثها وبعد ان سبق السيف العذل

يتهِ من وقت الى آخر لكي يقابلوا كبار السيّاح وكرام الزوّار فيعرّفهم بعضهم ببعض ويقدم لهم ما يقدَّم في مثل هذه الاجتماعات من الشاي والقهوة كأَنهم والزوّار واهل البيت في منزلة واحدة فيجلس التلميذ مع امير البحر او مع القنصل الجنرال على مقعد واحد ويتناولان الشاي عن طبق واحد ويتحادثان ويتسامران كانهما صديقان متماثلان ويمرُّ الرئيس فيكلم التلميذ كما يكلم غيرهُ من زوّارهِ وتمر زوجتهُ فتحذو حذوهُ . هذه الدعوات غير كثيرة ولكنها اذا حدثت مرة في السنة تكفي لتبثَّ في نفس التلميذ روح الترفُّع والاستقلال وتضرم في قلبهِ الحب لرئيسهِ والرغبة في ارضائهِ

واهتمامهُ بالتلامذة وهم في المدرسة لا ينقطع بعد خروجهم منها فيكاتبهم ويكاتبونهُ . وهم يقلّون من مكاتبتهِ طبعاً لعلمهم بكثرة اشغالهِ ولكننا لا نظن ان احداً كتب اليهِ فلم يجبهُ حالاً . ولا يخلو كتاب لهُ من نكتة او ملحة فلا يشعر التلميذ انهُ من رئيس الى مرؤوس . وقد منحهُ الله ذاكرة قوية فيتذكَّر كل تلامذتهِ ولو لم يقيموا في المدرسة الاَّ وقتاً قصيرًا وقد يتذكر اسماءهم ايضاً واذا قابلهم بعد غربة طويلة عانقهم كما يعانق الاب ابنهُ على خلاف عادة الغربيين

وقد استعفى الآن من رئاسة المدرسة الكلية فاختير ابنهُ الدكتور هورد بلس رئيساً لها بدلاً منهُ كما ذكرنا قبلاً ورأى تلامذتهُ وغيرهم من وجهاء السوريين ان يقدموا لهُ تذكارًا علامةً شكر لهُ . واول من جمع كلمتهم على هذا الامر الاستاذ الفاضل الدكتور ورتبات فجمع تلامذتهُ وغيرهم من الوجهاء في سورية مبلغاً من المال صنعوا منهُ وساماً كبيرًا من الذهب قلدوهُ بهِ في احتفال حافل في التاسع عشر من شهر يونيو الماضي وقد كتبوا على احد وجهيهِ بالعربية ما يأتي " الى الدكتور دانيال بلس زعيم موسسي المدرسة الكلية السورية الانجيلية في بيروت واول رئيس تولى رئاستها من سنة ١٨٦٦ الى ١٩٠٢ . انشأهُ فريق من متخرجي المدرسة وسواهم تذكارًا لجميلهِ وفضلهِ عند تقاعدهِ عن الرئاسة في ١٩ حزيران سنة ١٩٠٢ " ونقش على الوجه الآخر فحوى ذلك بالانكليزية وفي اعلاهُ صورة ارزة من ارز لبنان وهي شعار المدرسة وصنعوا آنية من الفضة قدموها الى زوجتهِ واعطوهُ ما بقي نقودًا وخطبوا الخطب الحسان عددوا فيها فواضلهُ . وطُلب من تلامذتهِ المقيمين في القطر المصري ان يشاركوا اخوانهم السوريين فاجتمعوا في ادارة المقتطف وقرروا عمل تمثال لهُ ينصب في دائرة المدرسة ويكتب عليهِ "تذكار للدكتور دانيال بلس رئيس المدرسة الكلية السورية الانجيلية الاول من تلامذتهِ" وجمعوا المال اللازم لذلك . وما اهتمام تلامذتهِ بتقديم علامة الشكر لهُ الاَّ ثمرة من ثمار الاخلاق النبيلة التي اهتم بانمائها في نفوسهم

وهو طويل القامة نحيف الجسم شديد العضل برّاق العينين غزير شعر الراس بلغ الثمانين ولا يزال يمشي منتصباً ويركب فرسهُ ساعات متوالية كالشبان. فسح الله لهُ في الاجل واراهُ من ثمار اعمالهِ ما يملأُ قلبهُ سروراً

وما غرضنا من نشر ما نشرناهُ عنهُ الاَّ ان يكون مرشدًا لرؤساء المدارس حتى يقتدوا بهِ ويحذوا حذوهُ في تثقيف عقول التلامذة وتهذيب اخلاقهم وتكبير نفوسهم فينشأوا رجالاً يُعتمد عليهم وتنتفع بهم بلادهم. اما النهضة العلمية الادبية التي اشرنا اليها في صدر هذه المقالة فاستمرَّت عشرين سنة ثم خبت نارها بما ذُرَّ عليها من رماد المراقبة والتضييق وصار الشبان يهجرون البلاد حالما يتمون دروسهم الاَّ نفرًا قليلاً منهم ولله الامر

الله والعلم

اسرُّ الى المقتطف هذه الكلمة الفانية على هذه الدنيا الفانية واسألهُ ان يذيعها تمجيدًا لله وتنويهاً بالعلم الذي هو آية ملكهِ ورسولهُ الذي لا يموت في العالمين

ولئن وعظ الاسكندر الناس ساعة مماتهِ اضعاف وعظهم في حياتهِ ففي مرض الملك ادورد وهو يضطلع بالدولة التي يحسر الطرف في مواكبها ما فيهِ للنفوس مزدجر وما جمع الله فيهِ العبر

لِمَن ذلك المُلك الذي عزَّ جانبهُ ... لقد وعظ الاملاكَ والناسَ صاحبهُ
أَمُلْكُ أيا ادْوَرْدُ والمُلك للذي ... يغار عليهِ والذي هو واهبهُ
اراد بهِ امرًا فجلَّت صدورهُ ... فأتبعهُ لطفًا فجلَّتْ عواقبهُ
رمى واستردَّ السهمَ والخلقُ غافلٌ ... فهل ينقيهِ خلقهُ او يراقبهُ
أيبطلُ عيد الدهر من أجل دُمَّلٍ ... وتخبو مجاليهِ وتُطوى مواكبهُ
ويرجعُ بالقلب الكسير وفودهُ ... وفيهم مصابيح الورى وكواكبهُ
وتسمو يدُ الدهر ارتجالاً بيأسها ... الى طنب (الاقواس) والنصر ضاربهُ
ويستغفر الشعب الفخورُ لربهِ ... ويجمع من ذيل المخيلةِ ساحبهُ
ويحجب ربُّ العيد ساعةَ عيدهِ ... وتنقص من اطرافهنَّ مآدبهُ
ألا هكذا الدنيا وذلك ودُّها ... فهلاَّ تأنى في الاماني خاطبهُ
اعدَّ لها ادوردُ اعيادَ تاجهِ ... وما في حساب الله ما هو حاسبهُ
مشت في الثرى انباؤُها فتساءلت ... مشارقهُ عن امرها ومغاربهُ

وكاثر في البر الحصى من يجوبهُ   وكاثر موج البحر في البحر راكبهْ

الى موكبٍ لم تخرج الارضُ مثلهُ   ولن يتهادى فوقها ما يقاربهْ

اذا سار فيهِ سارت الناس خلفهُ   وسوَّت مقادير الملوك ركائبهْ

تحيطُ بهِ كالنمل في البر خيلهُ   وتملا آفاقَ البحارِ مراكبهْ

نظامُ المجالي والمواكبِ حلّهُ   زمانٌ وشيكٌ ريبهُ ونوائبهْ

فبينا سبيل القوم أمنٌ الى المنى   اذا هو خوفٌ في الظنونِ مذاهبهْ

اذا نبأُ الاعياد في كل مسمعٍ   تجوبُ الثرى شرقاً وغرباً جوائبهْ

رجاءٌ فلم يلبث تخوفٌ فلم يدم   سلِ الدهرَ ايَّ الحادثين عجائبهْ

فياليتَ شعري اين كانت جنودهُ   وكيف تراخت في الفداء قواضبهْ

وردَّت على اعقابهنَّ سفينهُ   وما ردَّها في البحر يوماً محاربهْ

وكيف افاتتهُ الحوادث طلبةً   وما عودتهُ ان تفوت رغائبهْ

لكَ المُلكُ يا من خصَّ بالعزّ ذاتهُ   ومن فوق آراب الملوك مآربهْ

فلا عرشَ الاَّ انت وارث عزّهِ   ولا تاجَ الاَّ انت بالحق كاسبهْ

وآمنتُ بالعلم الذي منكَ نورهُ   ومنكَ ايادِيهِ ومنكَ مناقبهْ

تؤمّنُ من خوفٍ بهِ كلَّ غالبٍ   على امرهِ في الارض والداء غالبهْ

سلوا صاحبَ الملكين هل ملكَ القوى   وأُسْدُ الشرى تعنو لهُ وتحاربهْ

وهل دفعَ الداءَ العضالَ وزيرهُ   وهل حجبَ البابَ الممنعَ حاجبهْ

وهل قدّمتْ إلاَّ دعاءً شعوبهُ   وساعفَ إلاَّ بالصلاةِ أقاربهْ

هنالك كان العلمُ يبلي بلاءهُ   وكان سلاحُ العلم تغني تجاربهْ

كريم الظبي لا يقربُ الشرَّ حدهُ   وفي غيرهِ شرُّ الورى ومعاطبهْ

اذا مرَّ نحو المرء كان حياتهُ   كاصبع عيسى نحو ميت يخاطبهْ

وأيسرُ من جرح الصدود فعالهُ   وأسهل من سيف اللحاظِ مضاربهْ

عجيبٌ يرجي "مشرطاً" او يهابهُ   مَن الغربُ راجيهِ مَن الشرق هائبهْ

فلو تُفتدى بالبيض والسمر مديةٌ   لألقت قناها في البلاد كتائبهْ

ولو ان فوق العلم تاجاً لتوّجوا   طبيباً لهُ بالامس كان يصاحبهْ

فآمنت بالله الذي عز شأنهُ   وآمنت بالعلم الذي عزَّ طالبهْ

مصر   احمد شوقي

انتقاء الالفاظ

(تابع ما قبلهُ)

عندئذٍ قال واحدٌ من الحاضرين سمعت بيتين مُدح بهما احد الامراء من راعٍ وصفهُ فيهما بحفظ العهود والكرم والصبر على الشدائد وصحَّة العزيمة في مقارعتها ولعلهما بقبح التعبير فيهما يدخلان في هذا الباب والبيتان هما

وانت ككلبٍ بحفظ الودادِ وانت كدلوٍ كثير الزروبِ
وتصبر في الخطب صبر الحمارِ وتشبه تيساً بقرع الخطوبِ

قال آخر ان هذه المعاني جميلة والغاية حسنة محمودة الاَّ ان وضع الممدوح بين الكلب والحمار والتيس يخيّل انهُ بغلٌ او بعير

ثم قال آخر وكان مشتغلاً بالتقليب في ديوان المتنبي : ها قد عثرت على البيت الذي تمثلت بهِ للمتنبي وهو امعفّر الليث الخ فلماذا قلت الليث المصور على انها هنا الليث المزّبر وهكذا كنت احفظها الاَّ انني لم أرد الاعتراض الاَّ بعد التحقيق

قلت نعم ان الاصل كما تقول الاَّ ان كراهتي لهذه اللفظة جعلتني استبدلها بالمصور وامثال هذه اللفظة لا يروق استعمالها مهما حفّت بالقرائن والدلائل التي يقصد بها صرف المعنى عمَّا يذهب اليهِ الذهن عند سماعهِ

والالفاظ المقرونة عند العامَّة بمعنى قبيح غير قليلة في اللغة على حين ان معانيها اللغوية لا غبار عليها وهي يحظر ايرادها في الكلام في اكثر المعارض وان تُسومح بها في البعض الآخر

فقال ماذا تريد بالمعارض قلت اريد ماهية السامعين والقراء قال او يوجب ذلك فرقاً قلت نعم قد يختلف تقدير الكلام باختلاف ذوق السامع وطبقتهِ من العلم وتذكر الحادثة يوم وقف رواة الشعراء في باب السيدة سكينة بنت الحسين اذ قالت لراوية جرير أليس صاحبك الذي يقول

طرقتك صائدة القلوب وليس ذا وقت الزيارة فارجعي بسلامِ
وايُّ ساعةٍ احلى من الزيارة بالطروق قبَّح الله صاحبك وقبح شعرهُ فهلاَّ قال

طرقتك صائدة القلوب وانَّ ذا وقت الزيارة فادخلي بسلامِ

ثمَّ لما وقف الشعراء في باب عُمَر بن عبد العزيز يستأذنون وجد لكل واحدٍ منهم عيوباً

ومنعهم عن ان يطأُوا لهُ بساطاً الى ان وصل الى جرير فقال أليس هو القائل طرقتك الخ ادخلوهُ عليَّ فانهُ عفيف القلب واللسان . فتأمل كيف لاجل البيت الواحد قد أُكرم صاحبهُ مرَّة واهين اخرى فمن الناس من يطرب للفظ تمجُّهُ اذن الآخر ولا تسيغهُ . فقال ذكر البيانيون ايضاً ان المعاضلة مكروهة في الكلام وعنوا بها تراكب الحروف من شكل واحد في العبارة ومثلوا عليها بابيات كثيرة مثل بيت المتنبي

تقلقلت بالهم الذي قلقل القوى قلاقل همٍّ كلهنَّ قلاقلُ

الأ انهم لم يضعوا فارقاً بين الحروف التي يكرهُ تكرارها وعندي ان الحروف الرقيقة اذا كُررت لا باس بها بل هي تزيد الكلام رونقاً وطلاوة مثل "بسم القدوس نستفتح وباسعادهِ نستنجح مبجية سيدنا السلطان حرست نفسهُ الخ" ومثل حرف الحاء في قولنا "ويحمي حوزة الحق الصحيح" وهو من البديع اللفظي المحبوب

قلت لا ارى كما ترى في هذا الامر لان تكرار الحرف الواحد وان كان رقيقاً يسهل التلفظ بهِ يشغل السامع بالصناعة اللفظية ويصرف ذهنهُ عن المعنى فضلاً عن انهُ يكون في تكرار الحرف الواحد التزام يشوش المعنى ويجعلهُ في كثير من المواقع ركيكاً سخيفاً واللسان يستثقل تكرار الحرف الواحد مهما كان ذلك الحرف رقيقاً مثل بيت اعشى قيس

وقد غدوتُ الى الحانوت يتبعني شاوٍ مِشَلٌّ شلولٌ شُلشُلٌ شوِلُ

قال احد الحاضرين : لو كان ما ذكرتم عن الالفاظ عيوباً لما وقع بهِ نوابغ الكتاب والشعراء وانا اقول ان كل ما تمثلتم بهِ من اقوالهم وحسبتموهُ عليهم هفوات لهُ عندهم مسوّغات لولاها ما ارتكبوهُ

قلت ان تمحل الاعذار لهم ليس بالامر الشاقّ غير ان ذلك لا يتفق مع الحقيقة ولا يخرج عن حد التمويه ومغالطة النفس وقالت الحكماء لكل عالم هفوة والكمال صفة الهيَّة لا يستطيع الانسان بلوغها . قال احد العلماء "تلخيص المعاني رفق والاستعانة بالغريب عجز والتشادق في غير اهل البادية نقص" وان التحذلق دليل الضعف والتقصير في شأو الفصاحة لان معناها الظهور والبيان لا الغموض والخفاء وكل من اغرب في كلامهِ يخرج عن حدها وانت لو راجعت كتب الادب وتعهدت العبارات الحاوية الغريب منها لوجدت اكثر معانيها ركيكة مبتذلة لا شيء فيها من التخيلات السامية والمرامي البعيدة . وغالب ما اطلعت عليهِ من العبارات او الابيات المشوَّهة بالغريب وجدت المعاني فيهِ تافهة والفكر مملولاً سقيماً واليك بعض الامثال نوردها استئناساً قال امرؤُ القيس واغرب

مسحٌ اذا بالسابحات على الونى أثرنَ الغبار بالكديدِ المركَّلِ

ومعناهُ ان الجواد الذي يصفهُ لا يتعب كسائر الخيل وهذا المعنى المبذول الصغير لا يتحصل منهُ الأَّ بعد اعنات الروية والتكهن الكثير كما يتضح بالمراجعة . ومثلهُ قول طرفة

فمرّت كهاة ذات خيفٍ جلالةٌ عقيلة شيخٍ كالوبيل يلنددِ

يعني مرت ناقة سمينة ضرعها ذو جلد تخصُّ شيخًا عدوًّا يشبه العصا وهو معنى ركيك بارد وابرد منهُ قولهُ

أمونٌ كالواح الاران نصأتها على لاحب كأنهُ ظهر برجدِ

وتحرير المعنى اني ضربت ناقتي بالعصا . فاكثر الكلام المغلق لا يكون وراءهُ معنى كبير لان من كانت معانيهِ سخيفة وافكارهُ ضعيفة يحاول اغلاقها والتعمية فيها بالفاظٍ ثقيلة وكلام غريب ليستر الركاكة كالذي يسترعيوب جسدهِ بثيابهِ ليحجبها عن الابصار اما من كان معناهُ ساميًا جليلاً فيلجّ في ايضاحهِ باسهل العبارات ويرغب في بسطهِ باسلس الكلام حتى لا يفوت فهمهُ ايًّا كان من القراء ولذلك ترى جميع الابيات الحكمية التي ارسلت امثالاً والقطع التي التقطتها الآذان واحتوتها الاذهان من منثورٍ ومنظوم لا شيء فيها من الغريب النافر بل جميع الفاظها طيبة سائغة

وهذا الحكم يتمشى على المأثور عن فصحاء الجاهلية كما يتمشى على المحفوظ من كتابات بلغاء الاسلام . ومن العجيب انك عند ما تراجع القصائد الطويلة لشعراء الجاهلية تجد منها الابيات المأثورة لحكمتها والمحفوظة لبلاغتها كانها واحات مخصبة تحيط بها الرمضاء مثل قولهِ في لامية العرب

لعمرك ما في الارض ضيق على امرىء سعى راغبًا او راهبًا وهو يعقلُ

ولي دونكم اهلون سِيدٌ عملّسٌ وارقطُ زهلولٌ وعرفاء جيألُ

كأنَّ البيتين ليسا من لغة واحدة . وكثير من ابيات القصيدة على حدّ البيت الثاني الاَّ اننا لا نرى الكتّاب والخطباء قديمًا وحديثًا يتمثلون الاَّ بما كان منها على حدّ البيت الاول من شرف المعنى ورقّة اللفظ

قال احدهم : سمعت من بعض الاصحاب ان الافرنج اليوم لا يفهمون الكتب المكتوبة في لغتهم منذ خمس مئة سنة فهل ذلك صحيح وما سببهُ

قلت : نعم ان ذلك صحيح انما تلك الكتب التي أُلِّفت منذ خمس مئة سنة والتي تشير اليها ليست مكتوبة في لغتهم بل في لغة اسلافهم الذين عاشوا في ذلك العهد وقد تغيّرت

وتبدلت احوالها حتى صارت لغة اليوم بعيدة عن لغة ذلك الزمان وهم لا يحسبون انفسهم مقيدين بما استعمله اسلافهم من الكلام وعندهم ان كل جيل له الخيار في الالفاظ التي انتهت اليهِ من الجيل الذي سبقهُ ان ينتقي منها ما يحتاج اليهِ وينبذ ما لا يروق لهُ استعمالهُ وكل لفظ مرَّ عليهِ نحو خمسين سنة وهو خارج عن استعمال الكتَّاب المشهود لهم بحسن الذوق يصير حريًّا بان يحسب مهجورًا خارجًا من دائرة اللغة وحجتهم ان عدم استعمال الكلمة دليل على الاستغناء عنها اما بفقدان الاحوال التي كانت تدعو اليها واما بالاستعاضة عنها بما هو خير منها للدلالة واذ ذاك لا يجوز الرجوع اليها الا عند رجوع الاحوال التي وضعت لاجلها مشفوعةً بشهادة كاتب بليغ موثوق بحسن اختيارهِ

وكل لفظةٍ هجرها الكتَّاب البلغاء مئة سنة ولم يوردوها في كتاباتهم لا يبقى لها حق بالاستعمال بعد هذه المدة فما قولك بالالفاظ الثقيلة النافرة الوحشية التي مرَّ عليها اكثر من الف سنة ولم ترد في سطور كاتب بليغ وان وردت فلاغراضٍ بيانية بعيدة عما نحن فيهِ افنحسبها بعدُ من لغتنا ام نرمي بها عرض الحائط ونحذفها من معجم الاستعمال. كثير من الاسماء التي نجدها اليوم في الامهات بادت مسمياتها او تبدلت احوالها والاغراض منها واطلق عليها اسماء جديدة معروفة بها فايراد مثل هذه الكلمات في كتابات اليوم داعٍ الى التشويش وقاضٍ على المعنى بالتقلقل

فقال آخر: قرأت ان ابا زيد الانصاري كان مرَّةً واقفاً بالقرب من اولادٍ يلعبون وكلما سمع منهم لفظةً جديدة يسأَلهم عما يريدون بها ليحتفظ بمعناها فمرَّ بهِ شيخ جليل ورآهُ على هذه الحال مكبًّا على الالتقاط فقال لهُ "أعن هؤلاء المجانين تأخذ اللغة" فماذا تستنتج من هذه القصَّة؟

قلت اما استنتجتَ انت منها شيئاً قال كلاَّ قلت اما انا فاحسب قولهُ هذا دليلاً على ان لغة الاولاد والرعاع كانت غير اللغة البليغة التي تحكى في المواضع الجدية وان العرب كان لهم ايام جاهليتهم لغة عاميَّة مثلنا لنا اليوم يتكلمها اطفالهم وجهلاؤهم ويتسلَّى بها كبراؤهم في اوقات المزاح. مثال ذلك: ينقل عنهم انهم قالوا للكاذب مكذبان وهذه الصيغة نادرة في كلامهم الفصيح والذي اظنهُ ان الاولاد كانوا عند ما يكذب احدهم لا يكتفون بان يقولوا لهُ كاذب او كذاب فاضافوا الى المادة الاصلية حروفاً تطول بها الكلمة ويمتدُّ الصوت عند ما يقولون لهُ "يا مكذبان"

ويحتمل ايضاً ان ولداً واحداً قالها مرَّةً عفواً فسمعها منهُ ابو زيد او الاصمعي اوغيرهما

من الذين تحرّوا جمع اللغة ودوّنها بين لقطهِ حاسباً اياها غنيمة ثمينة . عند الانكليز اليوم لغة يسمونها Slang يحكيها ادباؤهم في اوقات المزاح وفيها يستعملون الالفاظ لغير معانيها التي وضعت لها في اللغة او يجيئون بالفاظ جديدة مرتجلة يفهمونها من بعضهم بما يعهدونهُ من القرائن والاحوال السابقة بين المتخاطبين واظن ان الالفاظ القبيحة والمستهجنة في لغتنا أُخذت من مصادر كهذه وجامعوها كانوا يتسابقون ليأتي واحدهم بشيء جديد لم يسمعهُ غيرهُ فكانوا ميالين لقبول كل ما سمعوا على علاتهِ . ويؤيد صحة هذا الرأي ما نراهُ في اللغة من كثرة الكلمات البذيئة مما يتعلق بما لا يستحسن التصريح بذكرهِ والراجح ان الشبان او غيرهم كانوا اذا ارادوا هاتيك المعاني يأنفون من استعمال الالفاظ الصريحة الموضوعة لها فيكنون عنها بكلمات يهون التلفظ بها مستخدمة في معانٍ غير التي يريدون انما يفهمون المراد منها بالامائر والاشارات ولو لا كراهة التطويل في هذا الباب لكنت اجيء عليهِ بالادلة والشواهد مما هو جارٍ في هذه الايام عند العرب والافرنج . فيتحصل معنا انهُ ليس كل ما جاء في المعاجم عربيًّا فصيحًا بل كثير منهُ لقط من غير مظانّ الالفاظ واللغة اليوم مفتقرة الى التعديل بالحذف كما هي مفتقرة الى الاضافة وعسى علماء اللغة يشتغلون بوضع معجم جديد يطرحون منهُ كل ما يرونهُ من هذا القبيل وهو اكثر من ربع المنتهي الينا

ثم قال آخر : لا باس بهذه الشروط التي تذكرونها لحسن الالفاظ فاقل فوائدها انها ترشد الكاتب وتنير ذهنهُ الى ما يحسن استعمالهُ غير اني احسب القواعد والضوابط غير وافية بالغرض ولا يمكننا ان نضع دليلاً يهدي الكاتب في جميع المواقف الى الكلمات اللائقة ويدفعهُ عن المكروهة ولا ارى احسن من قول ابن الاثير في هذا المعنى (ثم جاء بالمثل السائر وقرأ) اعلم ان مدار علم البيان هو حاكم الذوق السليم الذي هو انفع من ذوق التعليم وهذا التعليم وان كان في ما يلقيهِ اليك استاذا واذا سألت عما ينتفع بهِ في فنهِ قيل لك هذا فان الدربة والادمان اجدى عليك نفعاً واهدى بصرًا وسمعاً وهما يريانك الخبر عياناً ويجعلان عسرك في القول امكاناً وكل جارحة منك قلباً ولساناً فخذ من هذا الكتاب ما اعطاك واستنبط بادمانك ما اخطاك وما مثلي في ما مهدتهُ لك من هذه الطريق الأَ كمثل من طبع لك سيفاً ووضعهُ في يمينك لتقاتل بهِ وليس عليهِ ان يخلق لك قلباً فان حمل النصال غير مباشرة القتال

وانما يبلغ الانسان غايتهُ ما كلُّ ماشيةٍ بالرحل شملالُ

قلت هذه حقيقة لا يرتاب في صحتها فقد قالوا " اختيار المرء قطعة من عقلهِ " وذكر احدهم عدة اشياء تدلُّ على عقول اصحابها منها ان الكلام يدلُّ على عقل المتكلم وقال الشاعر

قد عرفناك باختيارك اذكا ن دليلاً على اللبيب اختياره

وصاحب الذوق السليم والفطرة البيانية اذا كان لهُ معرفة بالالفاظ ووقوف على معانيها الصحيحة يكون الكلام لديهِ مثل الخاريق بايدي اللاعبين يصرفهُ كيف شاء وشاءت البلاغة فيجيء بالالفاظ في مواضعها المستحكمة وتظهر لك في جملها ارسى من الجبال بحيث لا يمكن تبديلها بما هو احسن منها. تراهُ اذا افتخر يجيء بالالفاظ الجزلة الفخيمة التي تشعر معها بالقوة وتنبه في فكرك مراكز الشدَّة واذا تغزل يسمعك الكلام الرقيق اللطيف الذي يسترق عواطفك وينفرد بخيالاتك صاعداً بها الى مثال الجمال واذا رثى يورد من الالفاظ ذات الرنات الشجية ما يسكب نفسك ويهيج حزنك واورد لك مثالاً من شعر محمود سامي باشا قال مفتخراً

سواي بتحنان الاغاريد يطربُ وغيريَ باللذاتِ يلهو ويعجبُ
وما انا ممَّن تأسر الخمرُ لبَّهُ ويملك سمعيهِ اليراعُ المثقَّب
ولكن اخوهمَّ إذا ما ترجَّحت بهِ سورةٌ نحو العلا راح يدأبُ
نفى النوم عن عينيهِ نفس ابيَّة لها بين اطراف الاسنة مطلبُ
بعيد مناط الهمّ فالغرب مشرقٌ اذا ما رمى عينيهِ والشرق مغربُ
لهُ غدواتٌ يتبع الوحش ظلَّها وتغدو على آثارها الطير تنصب
ومن تكن العلياء همة نفسهِ فكلُّ الذي يلقاهُ فيها محبَّبُ
اذا انا لم اعطِ المكارم حقها فلا عزَّني خالٌ ولا ضمني ابُ
ولا حملت درعي كميتٌ طمرَّةٌ ولا دار في كفي سنان مذرَّب
خلقت عيوفاً لا ارى لابن حرَّةٍ لديَّ يداً اغضي لها حين يغضبُ
فلست لامرٍ لم يكن متوقعاً ولست على شيءٍ مضى اتعتَّبُ
اسير على نهج يرى الناس غيرهُ لكل امرىءٍ في ما يحاول مذهبُ
وبحر من الهيجاء خضتُ غماجهُ ولا عاصم الاَّ الصفيح المشطَّبُ
تظلُّ بهِ حمر المنايا وسودها حواسر في الوانها تتقلبُ
توسطتهُ والخيل بالخيل تلتقي وبيض الظبى في الهام تبدو وتغربُ
فما زلت حتى بيَّن الكرُّ موقفي لدى ساعةٍ فيها العقول تغيبُ

الى آخر القصيدة على هذا النمط من سموّ المعاني وحسن التعبير وفخامة الالفاظ. وقد اختار لمعانيهِ من الكلمات اجزل ما يوجد في اللغة فجاء كلامهُ غاية في الفصاحة ومطمحاً في البلاغة. ثم انظر كيف تختلف الفاظهُ وتتبدل حروفهُ عند ما يختلف الموضوع قال يصف الحمام

فما راعنا الاَّ حفيف حمائمٍ لها بين اطراف الغصون هديرُ
نواعم لا يعرفن بؤْس معيشةٍ ولا دائرات الدهر كيف تدورُ
كأَنَّ على اعطافها من حبيكها تمائمَ لم تعقد لهنَّ سيورُ
خوارج من ايكٍ دواخل غيرهِ زهاهنَّ ظلٌّ سابغٌ وغديرُ
اذا غازلتها الشمس رفَّت كأنما على صفحتيها سندسٌ وحريرُ

فهو في هذا المقام يمثل لك الحمام باطلى الالفاظ وارقها وهذا التلاعب والتنقل في انتقاء الكلام بحسب مقتضى المعاني هو حدُّ الجمال ومنتهى حسن البيان

فقال كنت مرَّة في مجلس مع فريق من الادباء فعرض لي جملة استعملت فيها كلمة الاكفاء فانتقض عليَّ بعضهم بان هذه اللفظة من الغريب الذي لا يروق استعمالهُ أليس في قولهِ هذا مبالغة وتطرف في ما هو الغريب ؟

قلتُ ان الفريق الذين كنتَ معهم ليسوا من الادباء لانهم لو كانوا شمُّوا رائحة اللغة ما اعترضوا على الاكفاء وهذا هو الطرف الآخر من الركاكات التي وصلنا اليها وقد كاد الداء بها يصير عضالاً لولا ان قام اليهِ فريقٌ من ادباء هذا الجيل الذين عمروا ديار اللغة بعد عنائها. ونحن الآن في زمانٍ تضيق بهِ الدنيا على محترف حرفة الادب ولا رجاء يتعلَّل بهِ طالب اللغة للارتزاق ومهما اكثر الاديب من تقييد شواردها واصطياد اوابدها وحشد في عقلهِ من العبارات البليغة والكلام الفصيح تبق سبل الاجتراح ضيقة عليهِ ومنافذ التعيُّش مسدودة في وجههِ . ولذلك ترى غالب طالبي العلم راغبين عن هذه الخطة منهُ ضانين باوقاتهم عن بذلها في قراءة كتب الادب وحفظ الكلام الفصيح . تجد اكثر شبان هذا الزمان الذين تخرَّجوا في المدارس العالية قد صرفوا جلَّ اهتمامهم في تحصيل اللغات الاجنبية ودرس آداب لغة الافرنج فيشبون على الذوق الاوروبي لا يعرفون من العربية الاَّ ما كان مبذولاً من الكلام الذي يقرأُونهُ في الصحف اليومية او يسمعونهُ من امثالهم فاذا عرض لهم يوماً ان سمعوا او قرأُوا كلاماً لا يفهمونهُ رموا كاتبهُ بالتحذلق والتقعُّر وحسبوهُ من غريب الالفاظ التي يحظر استعمالها . ولو اقتصر الكتاب على ايراد ما يعرف امثال هؤُلاء من الالفاظ لضاقت عليهم دائرة اللغة وتعذرت مسالك التعبير . وداء الركاكة هذا اشدُّ من داء التحذلق وافشى منهُ في هذا الزمان وارى الكلام فيهِ جديرًا بالافاضة فاقف عنهُ الآن راجياً ان اعود اليهِ في فرصة اخرى

فارس الخوري

محمد علي باشا

(تابع ما قبلهُ)

كتب المستر باركر في اول يونيو سنة ١٨٣٠ الى القنصل الجنرال لدولتهِ في الاستانة العلية يقول :

قال محمد علي في ديوانهِ بالامس انهُ ينتظر مجيء الاسطول العثماني عليهِ لان السلطان طلب منهُ مرافئ مصر الثلاثة. وانهُ هو اي محمد علي غير عازم على تسليم هذه المرافئ بل هو قادر على حمايتها . ولا ادري هل نُقل اليهِ هذا الخبر حقيقة من الاستانة او هو ذكرهُ من عندهِ ليسبر غور رجالهِ لانهُ لم تمضِ الاَّ ايام قليلة منذ جاءهُ فرمان التثبيت من الباب العالي لهُ ولابنهِ

وكتب قبل ذلك في ١٨ مايو يقول :

ان الاستعداد للحرب قائم على ساق وقدم مع ان فرمان التثبيت جاء الى الباشا والى ابنهِ يوم عيد الاضحى في الاسبوع الماضي

وكتب الى امير البحر ملكلم في الثالث من شهر يوليو يقول :

اخبرني الباشا منذ بضعة ايام ان عمق مدخل المرفإ سبع وعشرون قدماً وان اكبر البوارج الحربيَّة لا تحتاج الى اكثر من خمس وعشرين قدماً ولذلك لم يجد صعوبة في ادخال اكبر بوارجهِ الى المرفإ واخراجها منهُ اذا كان البحر رهواً ثم قال لي : "اني لا اقتنع بشيء ما لم اختبرهُ بنفسي ولا احكم باستحالة شيء ما لم ارَ بالاختبار انهُ غير ممكن ألا ترى ان امير البحر برون الفرنسوي كان يمكنهُ ان يدخل المرفأ بسفنهِ كلها حتى الاوربون ولكن قيل لهُ ان الماء في المدخل غير كاف فصدَّق هذا القول وذهب الى ابي قير فاتلفتم عمارتهُ". وثق ايها الاميرال ان مقدرة محمد علي تفوق الوصف وقد بنيت حكمي هذا على ما عرفتهُ بنفسي من الاحاديث التي حدثني بها على انفراد . (وكان المستر باكر عارفاً باللغة العربيَّة متقناً لها)

وكتب اليهِ قبيل ذلك يقول :

لا بدَّ من ان يكون قد بلغك مجيء المسيو له بارون دتيلور الى هنا ومعهُ هدايا كثيرة الى الباشا لكي يطلب مسلَّتي لقصر باسم مدينة باريس وقد سمح لهُ الباشا باخذها ولما اطلعني على ذلك قال لي ولكنني ابقيت مسلَّة الكرنك للانكليز وهي اجمل المسلات كلها

وبقي المسيو له بارون نحو شهرين قبلما اذن لهُ في مقابلة الباشا واخيرًا نال منهُ ما جاء

لاجلهِ وجاءت سفينة الدرومدير منذ شهر ومحمولها الف طن لكي تنقل احدى المسلتين

وفي السادس والعشرين من الشهر الماضي اتى برتو افندي وزير الخارجيَّة الاسبق فقابلهُ الباشا بالاكرام الواجب لمقامهِ. والغرض من مجيئهِ اقناع الباشا برضى السلطان عنهُ واخذ الجزية وما يعطيهِ اياهُ الباشا هبة "بخشيش". وكان بوغص يكلمني عنهُ بالامس فقال لي انهُ من نوابغ رجال الاستانة

ثم كتب في ٤ سبتمبر يقول: عاد برتو افندي الى الاستانة ومعهُ خمسون الف ريال هبة لهُ وخمس مئة الف ريال للسلطان من اجل ولاية كريت التي انعم بها على الباشا. والباشا يستعدُّ الآن لارسال خمسة آلاف جندي الى كريت وسيتبعها بخمسة آلاف جندي أُخرى وانا واثق انهُ يجعل الاروام يلقون سلاحهم من غير حرب ثم يحسن معاملتهم حتى لا يندموا على ما فعلوا

وقد شرع في بناء بارجة اخرى محمولها ١١٠ مدافع وسمَّاها مدينة الاسكندرية وذبحت جاموسة يوم تسميتها على جاري العادة

وكتب في ٧ سبتمبر الى لورد بردو يقول: لقد سرَّ الباشا سرورًا عظيمًا بولاية كريت وهو يتكلَّم الآن عمَّا ينويهِ لها من الاصلاح فهو عازم ان يقيم فيها المنائر (الفنارات) والترسانات ويزرع الحراج لكي يبني من اشجارها السفن ويتجر بخشبها ومن غرضهِ ان ينشئ مجلسًا في الجزيرة يدخل فيهِ شيوخ الاروام ومن كلامهِ لي في هذا الصدد قولهُ "وسترى ان حالهم تكون اصلح في حكمي منها في حكم بلادهم الجديد" والمرجح عندي ان الاخبار يؤيد قولهُ

وكتب الى لورد بردو في اول يوليو سنة ١٨٣٠ يقول: ان الباشا مهتمٌّ جدًّا ليعرف ما آلت اليهِ حملة فرنسا على بلاد الجزائر ويحسب ان الداي سيقاومهم ببسالة وعندهُ ان فرنسا لا تستطيع الاستيلاء على الجزائر في اقل من سنة من الزمان

ومنذ ايام قال في ديوانهِ قولاً اهتمَّ لهُ الناس اهتمامًا عظيمًا وهو "انهُ وردت اليَّ اخبار سرية من الاستانة مفادها ان السلطان عازم على الايقاع بي ولكن الله اكبر وسنرى على من تدور الدائرة". ثم امر ان يؤتى بالف رجل لانشاء طابية امام قصرهِ في راس التين وارسل واستدعى ابرهيم باشا وامرهُ ان يستعرض جنودهُ ويبني الطوابي وامر شيندي المهندس ببناء ابراج التلغراف[1] من الاسكندرية الى دمياط لارسال الاخبار وصارت السفن تخرج للاستطلاع كل يوم فقلق اهالي الاسكندرية وصاروا يتوقعون ابتداء القتال كل يوم ولكن

(١) يراد بابراج التلغراف هنا الابراج التي كانت تبنى وتنقل الاخبار بها من برج الى آخر بواسطة النيران او الاعلام

لم تمضِ ثمانية ايام حتى ثبت ان السلطان غير ناوٍ شيئاً مما قالهُ الباشا وان غرض الباشا من ذلك اقناع السلطان انهُ على تمام الاهبة لمقاومتهِ

وكتب الى لورد بردو في ١٠ فبراير سنة ١٨٣١ يقول: أُنزلت بارجة من بوارج الباشا الكبرى في ٣ يناير فشمل السرور جميع الناس وكان الباشا في مصر فأُرسل خبر نزولها اليهِ بالتلغراف واسم هذه البارجة محمد علي ومحمولها ١١٠ مدافع وهي مصفحة بالنحاس. وعندهُ بارجتان مثلها اسمهما ابرهيم والاسكندرية وبارجة اخرى محمولها ٨٠ مدفعاً وسيشرع في بناء بارجة محمولها ١٣٦ مدفعاً وستكون اكبر بوارج الدنيا اي انها تكون اكبر من بارجة تبنى الآن في الاستانة بنحو قدم او قدمين. وقد تم انشاء الترسانة وجُلب اليها الماء من المحمودية وانشئت الشون الكبيرة لوضع الحبوب والبضائع

لما اتيت الى مصر سنة ١٨٢٦ كنت اسمع كل احد يقول ان الباشا لا يستطيع ان يبقى ستة اشهر اخرى ما لم يجرّ الخراب على نفسهِ لانهُ شارع في اعمال كبيرة لا يستطيعها لقلَّة المال لديهِ ولا بدَّ لهُ من ان يتركها ولكنهُ اتمها وعمل اعمالاً اخرى اعظم منها اضعافاً مضاعفة. والحقيقة اننا لا نعلم مقدرتهُ المالية ولا بدَّ من انها كافية لكل الاعمال التي باشرها. وفي اليوم التالي لانزال البارجة محمد علي أُنزل الى البحر كورفت جميل محمولهُ ٢٦ مدفعاً يراد ارسالهُ هدية الى السلطان

وكتب في ١٦ مارس سنة ١٨٣١ يقول: "وضع الخشب لبناء البارجة الكبيرة التي محمولها ١٣٦ مدفعاً وطول جسر قاعدتها مئتا قدم وعرض ضهرها نحو ستين قدماً. وقد بلغ قطن الباشا هذا العام ١٥٠ الف بالة ففاق محصول الاعوام السالفة وعندهُ زراعة واسعة من الخشخاش لاستخراج الافيون وهي على غاية النمو. والمقدار القليل من الافيون الذي استخرجهُ في العام الماضي كان جيداً جداً. وقد نجحت زراعة شجر التوت ايضاً لتربية دود الحرير ولا بدَّ من ان تصير مصر من البلدان التي تصدر الحرير. ولا يزال الايطاليون يديرون معامل السكَّر والروم. والمدبغة في رشيد تدبغ من الجلود ما يكفي احذية الجنود والبحَّارة كلهم اي قدر ما يصنع للجنود الانكليزية"

وانتشرت الكوليرا في مصر سنة ١٨٣١ ومات بها ٣٠٠٠ من الجنود ونحو ٩٠٠ من البحارة وكان اخو المستر باركر وكيلاً لهُ في القاهرة فهرب الى دمياط وكتب اليهِ المستر باركر من الاسكندرية في ١١ سبتمبر يقول دلَّ التلغراف اليوم على ان عدد الوفيات في القاهرة كان امس ٤٩ اما هنا فالتقرير الرسمي عن وفيات الثامن والتاسع والعاشر والحادي عشر من الشهر هو

٤٤و٥٦ و٣٨ و٤٠ وقد ثبتت لي الآن ان الكوليرا تعدي باللمس وان الفصد علاج لها. ونصيحتي لك ان تعتني بامر معدتك وامعائك واذا أُصبت ان تفصد حالاً ولا شبهة عندي ان ابنتي نجت بذلك من الموت

وكتب اليهِ قبل ذلك في ٥ اوغسطس يقول: ان الباشا بقي حتى اليوم ينكر فائدة الكورنتينا للوقاية من الكوليرا ولكن لما رأى فتكها بجنوده لجأ الى قناصل الدول ليختاروا خمسة منهم يؤلفون لجنة لمنع انتشار الكوليرا وقد جعلوني رئيساً لهذه اللجنة رغماً عني لاسيما واني واثق انهُ لا فائدة من الوسائل التي سنتخذها لذلك

ونجحت كريت في حكم محمد علي فحدثتهُ نفسهُ ان يستولي على سورية ويفعل فيها مافعلهُ في كريت وكتب المستر باركر حينئذٍ الى المستر ابوت قنصل انكلترا في بيروت في ٢ يونيو سنة ١٨٣١ يقول: "لم تبقَ شبهة في ان الباشا قاصد حصار عكاء"

وفي خريف تلك السنة شاع في مصر ان محمد علي يقصد الاستيلاء على سورية وتحدث الناس بهذا الامر خاصتهم وعامتهم وامر ابرهيم باشا بعمل زينة في مصر مدعياً انهُ جاء اباهُ فرمان ولاية عكاء من الاستانة والحقيقة ان محمد علي عرض على السلطان مالاً طائلاً ليوليهُ سورية فلم يجب طلبهُ ثم ادَّعى ان عبدالله باشا والي عكاء اهانهُ فبعث جنودهُ لتأديبهِ وكتب المستر باركر في الرابع من فبراير سنة ١٨٣٢ يقول:

لا بدَّ لمحمد علي من فتح عكاء والاَّ دارت الدائرة عليهِ وقد مضى عليهِ الآن ثلاثة اشهر وجنودهُ حاصرة تلك المدينة ولا دليل على انهُ سيتمكَّن من فتحها قريباً ولقد عرض على الباب العالي مئة الف كيس جزية اذا اعطاهُ ايالة عكاء ودمشق . اما سفنهُ الحربيَّة فقد تعطلت ولا يمكن اصلاحها في اقل من اربعة اشهر او خمسة". ثم ذكر جامع الكتاب ان عكاء فتحت في ٢٧ مايو سنة ١٨٣٢ بعد ان مات كثيرون من الجنود المصرية بسبب البرد وسار ابرهيم باشا على دمشق بثلاثين الف مقاتل ففتحت ابوابها لهُ وارتدَّ محمد باشا بالجنود العثمانية الى حمص فتبعهُ ابرهيم باشا الى هناك واوقع بهِ وقتل الفين من الجنود العثمانية واسر ثلاثة آلاف ويقال ان عدد الجنود العثمانية كان ٣٥ الفاً وقتل من جنود ابرهيم باشا مئتان وجُرح مئتان . ولما بلغ المدائن السورية خبر انكسار الجنود العثمانية تسابقت الى فتح ابوابها لابرهيم باشا فاقرَّ والي حلب ابرهيم بك بابلسي في ولايتهِ وفتح انطاكية باحد عشر رجلاً

ثم فصَّل جامع الكتاب حروب ابرهيم باشا في بلاد الشام وما يليها مما لا غرض لنا باستيفائهِ الآن وكأَن المستر باركر لم يرضِ دولتهُ حينئذٍ فاحالهُ اللورد بامرستون على المعاش في ٥

فبراير سنة ١٨٣٣ وعين بدلاً منهُ الكولونل باترك كبل قنصلاً جنرالاً في مصر . وعاد المستر باركر الى السويدية وهي على اربع ساعات من انطاكية وكان قد بنى داراً بديعة فيها وغرس حولها جنة غناء ونزل ابرهيم باشا في هذه الدار لما دخل انطاكية وكتب اليهِ في ١٢ اغسطس سنة ١٨٣٢ يقول انهُ بات فيها واكل من اثمارها الشهية وفضَّل السويدية على جنان الدنيا بعد دمشق

وفي مكاتيب المستر باركر التالية اشارات كثيرة الى ما فعلهُ ابرهيم باشا في بلاد الشام وسنأتي على خلاصتها في جزء تالٍ

نبأ من اليابان

لا يختلف اثنان في ان اليابان صارت تعدُّ في مصاف الدول الاوربيَّة الكبرى مثل فرنسا وانكلترا والمانيا وروسيا من حيث جنديتها وبحريتها وانتظام حكومتها واهتمام شعبها بالصناعة والتجارة. وهذا الشأو لم تبلغهُ دولة اخرى شرقية ولا بلغتهُ الدول الغربية الاَّ بشق الانفس وبعد مئات من السنين فهي المثال الذي نضربهُ لملوكنا وحكامنا ورجالنا عموماً حينما نحثهم على الجري في خطَّة الاوربيين والقدوة التي يجب ان نقتدي بها اذا اردنا الفوز العاجل . ولقد كنا نودُّ ان نمضي الى تلك البلاد ونبحث عن اسباب ارتقائها فوقع لنا بالامس كتاب ان لم يغنِ عن الرحلة فهو خير ما نتعلل بها الى ان يقيّضها لنا الله كتبهُ المستر الفرد ستد بن المستر وليم ستد محرر مجلة المجلات الانكليزية بعد ان طاف في تلك البلاد ولقي جلَّة رجالها وباحثهم في احوال بلادهم . وقد شهد لهُ الوزير ايتو الياباني الشهير انهُ نطق بالصدق وقرَّر الحقائق لم يطرِ اليابانيين ولا بخسهم حقهم فرأينا ان نعتمد عليهِ في تقرير بعض الحقائق التالية وقدمنا لذلك مقدمة مسهبة ممَّا نشرناهُ في المقتطف في بعض السنين الماضية يتبيَّن منها تاريخ اليابان الى ان دخلت دور العمران الجديد

المقدمة

ما من شرقيّ انعم نظرهُ في تاريخ المشرق ورأى ما آلت اليهِ حال ممالكهِ بعد اتصال الاوربيين بها او جال في ممالك اوربا ورأى اركان عمرانها وانبساط ظل الراحة والرفاهة في ارجائها الاَّ تمنى ان ينهض الشرقيون كلهم الى مجاراة الاوربيين في فضائل عمرانهم ومسابقتهم الى كل ما يُحمَد منهُ ليعود اليهم سالف مجدهم ويجاروا امم المغرب في نهضتهم الحديثة . وقد

كتب الادباء في هذا الموضوع وحث الفضلاء على هذه المجاراة في مصر والشام والعراق وسائر ايالات الدولة العلية وبلاد فارس وممالك الهند منذ خمسين عاماً ولم يكفوا عن الحث والترغيب لكن لم يقترن القول بالعمل في مملكة من هذه الممالك كما اقترن في بلاد يابان فانها كانت منذ اربعين عاماً موصدة الابواب دون العمران الاوربي ودون كل اجنبي بل دون اهاليها اذا خرجوا منها ثم ارادوا العودة اليها حتى اذا عبثت الرياح بسفينة من سفنها وكسرتها في بلاد اخرى تعذر على ملاحيها دخول بلادهم ثانية . لكنّ هذه البلاد الشرقية المتوغلة في المشرق الاقصى التي لم تلتفت الى اقتباس شيء من اساليب العمران الحديث الأ منذ ثلاثين عاماً صارت الآن داراً لحكومة دستورية منتظمة ونشرت التعليم والتهذيب في كل انحائها وجعلتهُ الزامياً فبلغ عدد التلامذة في مدارسها الابتدائية الآن اكثر من سبعة ملايين وسبع مئة الف تلميذ وشرعت في انشاء اول مكتبة (كتبخانة) عمومية سنة ١٨٧٢ فصار فيها الآن ٣٨ مكتبة عمومية فيها نحو ستمئة الف مجلد

وتشتمل بلاد يابان على خمس جزر كبيرة ونحو اربعة آلاف من الجزائر الصغيرة ومساحتها معاً ١٤٨ الف ميل مربع وكان عدد سكانها سنة ١٨٩٨ نحو ثلاثة واربعين مليوناً و٧٦٣ الفاً من النفوس واسم ملكها المالك فيها الآن متسوهيتو ويُطلَق عليهِ لقب الميكادو ويلقَّب باللغات الافرنجية امبراطوراً وهو من عائلة يابانية قديمة قيل انها تسلَّطت على بلاد يابان منذ ٢٥٦٠ سنة اي قبل التاريخ المسيحي بستمئة وستين سنة . وقد ولد سنة ١٨٥٢ ورقي الى عرش الملك سنة ١٨٦٧ واستتبَّ لهُ على حداثة سنهِ ان ينقل بلادهُ من الظلمات الى النور ويرقى بها من حضيض التأخر الى اوج التقدُّم كما سيجيء

وفي اواخر القرن الثاني عشر للميلاد ضعف شأن ملوك يابان وعظم شأن احد القواد فقبض على زمام الملك وتوالت الحروب الاهلية بين خلفاء هذا القائد والملوك الاصليين مدة اربع مئة سنة واخيراً استتبَّ الامر لقائد اسمهُ اياسو سنة ١٦٠٣ للميلاد فجعل مدينة يدو عاصمة ملكهِ وحكم خلفاؤُهُ فيها الى سنة ١٨٦٨ فصارت من اكبر العواصم ولكن هؤُلاء الملوك او القواد (ويلقب كل واحد منهم باسم شوغن) لم يخلعوا الملوك الاصليين ولا نبذوا طاعتهم بحسب الظاهر ولا نفوا سلطتهم الدينية فبقوا ملوكاً بالاسم كما بقي الخلفاء العباسيون في آخر امرهم

ودخل البرتغاليون بلاد يابان سنة ١٥٤٣ للاتجار ونشروا فيها الديانة المسيحية فأوجس اليابانيون منهم خيفة وطردوهم هم وكل الاجانب من بلادهم سنة ١٦٣٨ وابطلوا الدين المسيحي

ونكلوا باتباعهِ تنكيلاً حتى لم يكد يبقى لهُ اثر ومن ثم جعلت يابان تمنع دخول الاجانب منعاً تاماً وظلت على هذه الحال الى سنة ١٨٥٣ حين جاءها الكومندور بري الاميركي باسطوله واضطرَّها الى عقد معاهدة تجارية مع الولايات المتحدة الاميركية واقتفت دول اوربا اثر الولايات المتحدة وبعثت بسفرائها الى مدينة يدو عاصمة الشوغن

وكان كثيرون من اليابانيين ناقمين من الشوغن لانهُ كان يتجسس كل امورهم ويرتهن اولادهم ليضطرَّهم الى الطاعة وزادت نقمتهم منهُ لانهُ اباح دخول الاجانب الى بلادهم فنشبت الحرب بينهُ وبين انصار الميكادو (اي الامبراطور) سنة ١٨٦٧ فدارت الدائرة عليهِ وعُقِد النصر للامبراطور في السنة التالية ودانت لهُ البلاد كلها . وكان انصارهُ عازمين على طرد الاجانب من بلادهم واطّراح كل وسائل العمران الاوربي والعود بالبلاد الى حالتها الاولى لكن لما استتبَّ لهم النصر عدلوا عن هذه الخطة واطَّرحوا نير التقاليد القديمة وفتحوا ابوابهم للعمران الاوربي دفعةً واحدة وخطوا في ذلك الخطى الطوال وجُعلت مدينة يدو عاصمة المملكة كلها لكنها سميت توكيو اي العاصمة الشرقية وعاصمة الامبراطور الاولى وهي مدينة كيوتو سميت سايكاي اي العاصمة الغربية

وكان حكم الامبراطور استبدادياً محضاً ولبث كذلك الى سنة ١٨٨٩ وحينئذٍ ابدلهُ بالحكم الدستوري وانشأ لحكومتهِ مجلس اعيان ومجلس نواب . والتأم هذان المجلسان اول مرة سنة ١٨٩١ وفي مجلس الاعيان نحو ثلثمئة عضو وهو يشمل كل الذكور من العائلة المالكة اذا كان سنهم اكثر من عشرين سنة وكل الحائزين على لقب برنس او مركيز اذا كان سنهم اكثر من ٢٥ سنة وكل الذين يختارهم الميكادو للمراتب العالية بناء على شهرتهم العلمية وكل من ينتخب من الحائزين على لقب كونت او فيكونت او بارون وبعض النواب الذين ينتخبهم اصحاب الاملاك الكثيرة

وفي مجلس النوَّاب ٣٦٩ عضواً ينتخبهم الاهالي ويحق لكل احد ان يكون منتخباً اذا كان عمرهُ اكثر من خمس وعشرين سنة وكان يدفع من الضرائب اكثر من جنيه في السنة . وكل ١١٨ الف منتخِب ينتخبون عضواً واحداً . واعضاء هذا المجلس خمسة احزاب المتطرفون والاحرار والمعتدلون والمحافظون والمستقلون . وينقسمون الى قسمين كبيرين قسم يوافق الوزارة وقسم يعارضها مثل مجالس النوَّاب في اوربا . ولا يحق للوزراء ان يكونوا اعضاء في مجلس النوَّاب ولا في مجلس الاعيان ولكنهم يحضرونهما هم او نوَّابهم اذا دعت الحال الى تفسير امرٍ او ايضاح غامض ولا ينتخب لمجلس النوَّاب احد من موظفي البلاط ولا من القضاة ولا من

مراجعي الحسابات ولا من جباة الاموال ولا من ضباط الجيش او البوليس ولا من مستخدمي الحكومة ولا من خدمة الدين ولا من التلامذة ولا من المعلمين ولا من مقاولي الحكومة

وفي بلاد يابان طائفتان عظيمتان عاونتا الامبراطور على قهر الشوغن وهما طائفة ستسوما وطائفة تشوسيو . والطائفة الاولى معتادة القتال وكان شأنها متوقفاً عليهِ وعلى بسالة رجالها ولذلك لم ترضَ باستتباب الامن والاغضاء عما كان لها من المزايا فشقت عصا الطاعة وجاهرت بالعصيان سنة ١٨٧٧ وامتشق الحسام اربعون الف محارب منها فتغلَّب الامبراطور عليها بعد قتال عنيف واثخن فيها حتى بلغ عدد القتلى والجرحى منها ثمانية عشر الفاً فخلدت الى السكون من ذلك الحين . والطائفة الثانية ليست اقل بسالة من الاولى فيرى الامبراطور ان لا بدَّ لهُ من تقريب رؤساء هاتين الطائفتين والقاء مقاليد الاحكام اليهم فتجد اكثر المناصب الحربيَّة والبحرية بيد رجال من الطائفة الاولى واكثر المناصب الادارية بيد اناس من الطائفة الثانية

وكان امبراطور يابان محتجباً عن الناس تمام التحجب فلما تغيرت الاحوال منذ سنين قليلة ازال الحجاب وصار يقابل رجالهُ وزوَّارهُ كغيرهِ من ملوك اوربا وكذلك الامبراطورة زوجتهُ تقابل الزائرين والزائرات مثل ملكات اوربا

قالت كونتس جرزي الانكليزيَّة وقد زارت بلاد يابان سنة ١٨٩٣ مع غيرها من الرجال والنساء انا طلبنا ان يباح لنا تقديم فروض الاحترام لجلالة الامبراطور وجلالة الامبراطورة فعُينت لنا الساعة العاشرة من النهار فالرجال منا قابلوا جلالة الامبراطور ثم ذهب الرجال والنساء معاً وقابلوا جلالة الامبراطورة وكانت لابسة حلة ارجوانية مزركشة بالذهب. وهي مشهورة في بلاد يابان بكثرة الصدقات وقد بلغها مرة ان احد المستشفيات في حاجةٍ الى النفقات فتصدَّقت عليهِ بكل المال المعيَّن لنفقاتها الخاصة مدة سنة ورجال التشريفات كلهم بالملابس الاوربية السوداء

هذا واللبيب يرى في النبذة المتقدمة كثيراً مما سبقتنا بهِ بلاد يابان على قرب عهدها بالعمران الحديث . ويقال ان احوال القطر المصري غير مجهولة عند اليابانيين وقد اتعظوا بنا فاستفادوا منا فائدة لا توازيها اموال الارض فانهم لما رأوا مصر اضحت غنيمة للمداينين اوجبوا على حكومتهم سنة ١٨٧٣ ان لا تستدين غرشاً واحداً من الاجانب

ديانة اليابانيين

الانسان معمول لعوامل كثيرة وعمرانهُ نتيجة هذه العوامل . واقواها المذاهب الدينية فبها تتصوَّر اخلاق الشعوب وتتكيف افعالهم . ولا بدَّ من ان يكون للديانة التي يدين بها اهالي اليابان فعل كبير في نهضتهم الحديثة يهذّب اخلاقهم ويدمث طباعهم ويغريهم بالسعي والجد

ولا يمنعهم عن مخالطة غيرهم واقتباس الفوائد منهُ ولا يغرّ ربهم فيقنعهم انهم خير من غيرهم جبلة ومعتقداً . ومدار ديانة اليابانيين على اكرام اسلافهم اكراماً دينياً سمّهِ عبادة ان شئت . فهذه الديانة تعلي قدر الفضيلة والهمة والبسالة والكرم لان المرء ميّال الى وصف اسلافهِ بهذه المحامد وامثالها ولو لم تكن بالغة فيهم ثم هو ميّال الى الاقتداء بمعبودهِ

وقد دخل الصينيون بلاد اليابان منذ عهد قديم وادخلوا معهم مذهب فيلسوفهم كنفوشيوس وهو موافق لديانة اليابانيين لانهُ مبني على اكرام الاسلاف فزادت بهِ تمكناً ثم جاء الدين البوذي من الهند وهو مخالف لها من هذا القبيل فاضطرّ دعاتهُ ان يغيروهُ حتى وافقها فاعتاد اليابانيون التسامح مع اهل الاديان المختلفة وجاء الآن العمران الاوربي ومعهُ دعاة المذاهب المسيحية فافلح العمران اكثر من الدعاة لانهُ لا يناقض اكرام الاسلاف ولا يتعرَّض لهُ بل ان اكرام الاسلاف اكبر عضد لاكرام القانون والدستور والخضوع لها لانهُ يستلزم اول كل شيء اكرام الملك واسلافهِ اكراماً دينياً كأن ديانة البلاد قائمة بعبادة الملك واسلافهِ او باكرامهم اكراماً يقرب من العبادة ولاسيما جدتهُ العليا التي يقولون انها الهة النور السموي

ومعنى الحكومة في لغتهم العبادات كأن مفهوم العبادة عندهم الاهتمام بمصالح العباد ولما سنّ دستور الحكومة حديثاً خطب الامبراطور يوم اذاعتهِ والعمل بهِ فقال " ان مؤسس دولتنا وغيرهُ من اسلافنا العظام شادوا هذه المملكة بمساعدة اسلاف رعايانا على اسس ابدية وقد ازدان تاريخ بلادنا بهذا العمل العظيم بفضائل اسلافنا وطاعة رعايانا وبسالتهم وحبهم لوطنهم . وما الدستور الذي نشرناهُ الآن سوى ايضاحات للوصايا التي اوصى بها مؤسس دولتنا وغيرهُ من اسلافنا العظام وقد اعتبرنا فيها ميل الناس الى الارتقاء ومجاراة العمران في تقدمهِ "

فامة تحسب نفسها مأمورة امراً دينياً بطاعة ملوكها والعمل بقوانين بلادها ويحسب ملوكها انفسهم مأمورين امراً دينياً باتباع ميل الناس الى الارتقاء ومجاراة العمران في تقدمهِ لا يصعب عليها وعليهم اقتباس العمران الاوربي ومجاراة الاوربيين في تقدمهم

التعليم

للتعليم الشأن الاكبر في احوال الامم بعد الدين ولا بدَّ منهُ لكل امة تريد ان تجاري الامم المتمدنة وقد ادرك اليابانيون هذا الامر وحالما فتحوا بلادهم للاوربيين ووجبت عليهم مجاراتهم او الخنوع لهم اوجبوا على انفسهم التعليم الاجباري اي ان يدخل كل ولد من اولادهم الكتّاب حالما يصير عمرهُ ست سنوات واقتبسوا اساليب التعليم الاوربي حالاً بدل الاساليب التي كانت متبعة في بلادهم والآن ٨٥ في المئة من اولاد اليابانيين يدرسون في المدارس .

وهذا التعليم الابتدائي لا يغني عن التعليم العالي كما لا يخفى . وقد رأى المركيز ايتو وزير اليابان الاكبر ان اليابانيين لا يستطيعون ان يجاروا الاوربيين ما لم يتعلموا مثلهم فبذل جهده في انشاء المدارس العالية والكلية وهاك جدول المدارس الابتدائية والمتوسطة والعالية والكلية عدا الكتاتيب الصغيرة وذلك عن سنة ١٩٠٠

المدارس	عددها	عدد المعلمين	عدد التلامذة
المدارس الابتدائية	٢٦٩٩٧	٨٨٦٦٠	٤٣٠٢٦٢٣
« المتوسطة	١٩٣	٣٢١١	٧٠٣٦٠
« العالية	٧	٣٥٠	٥٦٨٤
مدارس البنات العالية	٣٧٠	٤٤٩	٨٧٨٠
مدارس المعلمين	٤٩	٨٣٩	١٢٨٣٩
« « العليا	٢	١١٧	٨٠٣
المدارس الخاصة والصناعية	٣٠٣	٣٢١٢	٤٤٦٩٨
مدارس مختلفة	١١٥٢	٣٩٨٥	٧٣٩٤١
مدارس جامعة	٢	٣٠٥	٣٢٦٨
مدارس الاطفال	٢٣٠	٦١٨	٢١٨٦١

والجامعتان احداهما في عاصمة المملكة وفيها مدرسة للحقوق ومدرسة للطب ومدرسة لفنون الادب ومدرسة للعلوم الطبيعية ومدرسة للهندسة ومدرسة للزراعة. والثانية في كيوتو وهي مثل الاولى ولكن ليس فيها قسم لتعليم فنون الادب. واكثر الاساتذة في هاتين الجامعتين من الوطنيين ولم يكن الامر كذلك عند اول انشائهما بل كان اكثر اساتذتهما من الاجانب

قال المركيز ايتو للمستر ستد " لما كنت في لندن اهيئ الدستور الياباني اشار عليَّ البعض ان انشئ مدرسة للهندسة في اليابان فتكون منها فوائد جمة للبلاد فانشأت مدرسة الهندسة واتيتها بكثير من الاساتذة الاوربيين وقد خرج منها المهندسون اليابانيون الذين يديرون الآن اكثر الاعمال الهندسية العظيمة فاغنونا عن المهندسين الاجانب". وقد كانت هذه المدرسة مستقلة وحدها فاضيفت الى المدرسة الجامعة

ولغة اليابان وكتابتها تعوقان نشر التعليم فيها على حدّ لغتنا العربية وكتابتنا وهاك ما قاله الكونت اوكوما الياباني للمستر ستد في هذا الصدد

" ان من اكبر العقبات في سبيل طالب العلم من اليابانيين انهُ يضطر ان يتعلم القراءة

والكتابة الصينيَّة وان يتعلَّم لغة اجنبيةً على الاقل وعندنا عقبة اخرى خاصةٌ بنا وهي الفرق بين اللغة المكتوبة واللغة المحكية فقد كانتا قبلاً متماثلتين ثم انتشر في بلادنا التعليم الصيني فكُتبت لغتنا بالحروف الصينيَّة وهي لا توافقها فاذا خطب الاستاذ لا يستطيع التلامذة ان يكتبوا بالحروف الصينية الفاظهُ كما هي بل يضطرون ان يكتبوا ما يدل على معناها . ثم ان اليابانيين غير اقوياء البنية طبعاً لطول ما مرَّ بهم من سني السلم والرخاء وهم مضطرون ان يتغلَّبوا على ما تقدَّم من الاختلاف بين اللغة المحكية واللغة المكتوبة فلا يبقى لهم وقت كافٍ لتمرين اجسامهم وتقويتها واذا اردنا تمرين اجسامهم وجب علينا ان نطيل سني التعليم . وقد ادركنا هذه الصعوبة منذ نحو عشرين سنة وقام منا فريقان لازالتها فريق يطلب ابطال الكتابة الصينية وابدالها بالكتابة اليابانية وفريق يطلب ابطال الكتابة الصينية وابدالها بالحروف اللاتينية . واشتدَّ الجدال بين هذين الفريقين. وقام الآن فريق ثالث يطلب اصلاح اللغة والكتابة معاً. وقد اهتمت الحكومة بهذه المسألة وعينت لجنة للبحث فيها . ومن المصاعب الكبرى في التعليم ان بعض الاساتذة يعلّمون بالانكليزية والبعض بالفرنسوية والبعض بالالمانية وهذا مما لا بدَّ منهُ في التعليم العالي في دور الانتقال من حال الى حال ولكن صار يمكننا الاستغناء عنهُ الآن ولذلك انشأتُ مدرسة كلية اساتذتها كلهم من اليابانيين والتعليم فيها باللغة اليابانية وحدها وقد وجدنا صعوبة كبيرة في اول الامر لقلَّة كتب التعليم اليابانية فانشأتُ دار طباعة حيث تترجم الكتب المهمة وتطبع .وعاد هذا العمل بالخسارة المالية في اول الامر ثم كثر الطلب على هذه الكتب وقويت همَّة المترجمين على الترجمة وارجو ان تقتدي بنا الحكومة وكل دور الطباعة ولا يزال اهالي يابان متمسكين بكثير من اساليبهم القديمة ولكن كل سعي في ازالتها واقتباس الاساليب الجديدة يعود علينا بالنفع"

قال المستر ستد ولا يقتصر سعي الكونت اوكوما على تعليم الصبيان ولا على التعليم الادبي بل قد انشأ مدرسة عالية للبنات في العام الماضي ومدرسة للتجارة . وقال لي عن هذه المدرسة ما يأتي . "لا تزال هذه المدرسة قليلة التلامذة فليس فيها الآن سوى مئة تلميذ ولكنها تسع ثلثمئة وارجو ان تمتلئ سريعاً. ويدخلها التلامذة من المدارس العالية من غير امتحان يدرسون فيها ثلاث سنوات فيتأهلون لمعاطاة اي عمل تجاري وقد اشرت على الحكومة ان تنشئ فرعاً لعلم التجارة في كل مدرسة عالية . والاساتذة كلهم يابانيون ما عدا معلمي الانكليزية فانهم انكليز ومعلمي الصينية فانهم صينيون . وتعلُّم اللغة الانكليزية اضطراري واما تعلُّم اللغة الصينية فاختياري . وظاهر انهُ اختار هاتين اللغتين لان اكثر تجارة اليابان مع اهلهما "

والكونت اوكوما من وزراء يابان المشهورين وهو الذي حاول احد المتعصبين قتلهُ سنة ١٨٨٩ فقتل فرسي مركبتهِ وسائقهما واطار ساق الكونت بالديناميت وسيأتي ترجمتهُ في تراجم مشاهير اليابان والمركيز ايتو المذكور قبلهُ اشهر رجل في يابان نسبتهُ اليها نسبة بسمارك الى المانيا بل اعظم من ذلك كما سيجيء في ترجمتهِ

وترسل اليابان بعض التلامذة الى اوربا واميركا وقد ارسلت وزارة المالية هذا العام ثلاثة الى انكلترا اثنين لدرس الامور المالية وواحدًا لدرس بناء الارصفة والحياض في المرافىء البحرية وارسلت وزارة التعليم ووزارة التجارة والزراعة تلامذة آخرين

وجملة التلامذة الذين تعلّمهم الحكومة الآن في مدارس اوربا واميركا ١٠٦ وهم ٣١ من جامعة توكيو و٢٢ من جامعة كيوتو و٩ من مدرسة التجارة العليا و١١ من مدرسة المعلمين العليا و٨ من مدرسة توكيو الصناعية و٣ من مدرسة اوساكا الصناعية و٤ من مدرسة الفنون الجميلة و٢ من مدرسة الموسيقى و٢ من مدرسة اللغات الاجنبية و٣ من مدرسة الزراعة و٢ من مدرسة البنات العليا الخ . وقد شاهدنا بعض هؤلاء التلامذة ورأينا فيهم من الانفة وعزَّة النفس مع الرغبة الشديدة في احراز العلم ما اثبت لنا ان همهم كلهُ مصروف الى الاكتساب والارتقاء وحسبهم انهم صاروا يجارون علماء اوربا في الاكتشافات العلمية بل في ادقها كميكروبات الامراض وفواعل الاختمار وما اشبه

وجملة ما تنفقهُ الحكومة على مساعدة التعليم الصناعي وعلى تهذيب الامَّة نحو ٣٢ الف جنيه واما سائر نفقات التعليم فمن رسوم خصوصية تتقاضاها من الاهالي

وليس في مدارس يابان شيء من التعليم الديني ولكن عند اليابانيين وصايا ادبية مجموعة تسمى بوشيدو كأنها زبدة الآداب في كل الاديان . ومهما اختلف الناس في مذاهبهم لا يختلفون في آداب البوشيدو وهي توافق آداب الديانة المسيحية كل الموافقة ولم يكن اضطهاد اليابانيين للمسيحيين في اواخر ايام الشوغن ناتجًا عن مخالفة الديانة المسيحية لآدابهم بل عن ان الذين تنصَّروا من اليابانيين طلبوا امتيازات لا يتمتع اليابانيون بها. اما الآن فيعترض اليابانيون على الرسوم التي في الاديان المختلفة ويقولون انهُ اذا تجرَّدت هذه الاديان منها وبقي فيها الحقائق الادبية المجرَّدة لم تعد تفرق عما يجدونهُ في البوشيدو

وسيأتي الكلام على سائر مقومات العمران الياباني الحديث في الاجزاء التالية عظةً للمتعظ

علم الفكر

يخلق طفل الانسان ضعيفاً ناقصاً في مداركهِ العقلية سلبياً في معظم صفاتهِ ويخلق طفل الحيوان كاملاً في جميع القوى التي تؤهلهُ للحياة ايجابياً في معظم صفاتهِ . فطفل الانسان لا يعرف كيف يأكل ولا كيف يشرب ولا كيف ينام ولا كيف يمشي ولا كيف يفتكر فهو مجموع صفات سلبية على الغالب يشابه طفل سائر الحيوانات في الحياة والحس ظاهرًا ويختلف عنهُ من سائر الوجوه . وطفل الحيوان يعرف كيف يأكل ويشرب وينام ويمشي ويدير حركاتهِ وسكناتهِ بقدر ما تسمح لهُ غريزتهُ . وهو ارقى من طفل الانسان في الدرجة الاولى من الحياة فان طفل الانسان ضعيف جدًّا لا قوة لهُ ولا معرفة يحفظ بها نفسهُ ولا سلاح يدافع بهِ عنها. واما صغير الحيوان فكامل الخلق مثل كبيرهِ ولا يزيد الكبير عنهُ الاَّ في حجم جسمهِ وما يترتب على ذلك من زيادة القوة لا الخبرة وكلاهما مترتب على قوة النمو الحيوي . وطول الايام لا يزيد الحيوان الاعجم خبرة ولا دربة مثل الانسان

وقد يظن لاول وهلة انهُ ان احتاج صغير الانسان الى من يعلمهُ الاكل والشرب والنوم والمشي والكلام فهو لا يحتاج الى من يعلمهُ الفكر . بل ان هذا هو الاعتقاد العام فانا افتكر وانت تفتكر وكلانا شرعنا في الفكر منذ شرعنا في الكلام ووالدونا يخبروننا انهم علّمونا الاكل والشرب والمشي والكلام حين لم نكن نعرفها ولكننا لم نسمع ابًا ولا امًّا قالا انهما علّما اولادهما كيف يفتكرون. والحقيقة التي لاريب فيها ان الفكر علم باصول وقواعد مثل سائر العلوم والفنون فمن تعلَّم كيف يفتكر ويستدل كان فكرهُ صحيحًا ومن لم يتعلَّم كان فكرهُ فاسدًا او مستقيمًا

ومن الغريب ان علم الفكر لا يزال في طور الطفولة وهو من الحاجيات التي لا بدَّ منها ليكون الانسان انسانًا مع ان سائر الاعمال الحاجية كالاكل والشرب والمشي والكلام منها ما يشرع الطفل في تعلمهِ واجادتهِ منذ ولادتهِ وتختلف مدة اتقانهِ لها باختلاف شدة الحاجة اليها. فالاكل والشرب ضروريَّان جدًّا يباشرهما الطفل لدن ولادتهِ ويجيدهما بالممارسة فلا تمضي عليهِ مدة طويلة حتى يتقنهما تمام الاتقان او بعضهُ . واما المشي والكلام فيكونان في الغالب متلازمين ولا يتعلمهما الطفل حتى يجتاز الحولين الاولين من سنهِ ولا يتقنهما وخصوصًا الثاني منهما الاَّ بعد مضي السنين الطوال وقد يشب ويشيب ولا يتقن الكلام كما يجب

على ان علم الفكر والاستدلال لا يتقنهُ الاَّ العالم ولا يتضلَّع منهُ الاَّ الفيلسوف وقد

لا يتقنانهِ بل يغلطان فيهِ ويخطئان على الدوام واما سائر الناس فقلما يعرفون كيف يفتكرون ولو عرفوا لصدق حكم الانسان في جميع اعمالهِ صدق الغريزة في اعمال سائر الحيوان. وعلم الفكر هذا هو ما يسمونهُ بالمنطق . نعم ان الانسان منطقيٌّ بالطبع وقواعد المنطق مطبوعة على صفحات عقلهِ مخلوقة معهُ ولكنهُ لا يتقنها كلها من غير تعليم وتمرين

وليس من غرضي الكلام على علم المنطق بل ايراد بعض الامثلة والشواهد على ما نفتكر بهِ ونقولهُ ونفعلهُ ونسمعهُ كلَّ يوم وبيان مواطن الخطإِ في كلٍّ منها

مثال اول — يسمع زيد ان عمرًا تاجر فريح وانهُ عند ما بدأَ المتاجرة لم يكن عندهُ سوى مئة جنيه مثلاً . فيقول في نفسهِ اني اتَّجر فاربح مثلهُ لان عندي مئة جنيه او اكثر. فيشرع في الاتجار ولكن لا تمضي عليهِ مدة طويلة حتى يتأَخر في تجارتهِ ثم يفلس. فيعتذر عن اخفاق مسعاهُ وافلاسهِ بمعاندة الاقدار لهُ . وهذه حجة يلجأُ اليها كلُّ ضعيف الحيلة قليل العزم والحزم في قصورهِ وتقصيرهِ . وسأُبيّن سبب خطإِهِ وخطإِ غيرهِ فيما يلي من الامثلة بعد ايرادها كلها

مثال ثانٍ — يجول في خاطر زيد انشاء جريدة يومية فيقول في بالهِ لما انشأَ فلان جريدتهُ لم يكن معهُ سوى النزر القليل من المال وعندي اكثر منهُ الآن وهو لم ينل شهادة من مدرسة بل لم يتعلم في مدرسة ذات شأن واما انا فناقل شهادة من كلية كبيرة . وقد جمع في سنوات قليلات ما يعد بالمئات والالوف من الجنيهات وعليهِ سأَجمع انا في سنوات مثلها وآكثر مما جمع لاني اجمع منهُ للشروط اللازمة للصحافي . فيشرع في انشاء جريدتهِ ولكن لا يلبث ان يصدر العدد الاول والثاني منها حتى يظهر الضعف فيها على اشدّ حالاتهِ ولا يصدر العدد الثالث الاَّ وهي في سكرات الموت ونزعاتهِ . فيلجأُ الى عذر اخيهِ التاجر وينسب خيبة الامل والمسعى الى نجم سعدهِ الآفل . والحقيقة ان هذا الكاتب عرف شيئًا وغابت عنهُ اشياءُ ولو تدبرها ما اقدم على مشروعهِ اقدام الموقن بالظفر والنجاح

مثال ثالث — كنت احدّث ذات يوم طبيبًا من اصدقائي زار البلاد الغربية وكان مدار الحديث على المرأَة فقال اني اعجب كيف يقولون ان مدارك الرجل العقلية اسمى من مدارك المرأَة فان هذا القول يظهر صحيحًا في الشرق ولكنك لو ذهبت الى اوربا او اميركا لكنت ترى كثيرات من النساء يفقن الرجال في سموّ مداركهنَّ وقوة عقولهنَّ . قلت اني لا انكر عليك قولك بل قد تجد مثل ذلك في الشرق ايضًا ولكن قولهم ان مدارك الرجل العقلية اسمى من مدارك المرأَة لا يلزم عنهُ كون كلِّ رجل اسمى مداركَ من كلِّ امرأَة

مثال رابع — يضرب الصديق لصديقهِ موعدًا للقاء في مكان معلوم ويقول لهُ "ساوافيك

الى هناك الساعة السادسة تماماً " فتأتي الساعة السادسة والسابعة ولا يأتي . هذا ما يجري في الشرق عموماً حتى اخذ الغربيون يضربون فينا الامثال باخلاف الوعود ونكث العهود . واما الغربي كالانكليزي مثلاً اذا اراد ان يضرب لك موعداً للقاء فيقول لك "ساجتهد حتى اوافيك الى هناك الساعة السادسة " فيوافيك قبل مجيء الساعة . والسبب في اخلاف الصديق الاول لوعدهِ ووفاء الثاني بهِ ليس ناشئاً عن طبع الاول على الكذب والثاني على الصدق بل عن قصور في كيفية الفكر . فاستعمال اجدادنا وآبائنا عموماً لعبارة "ان شاء الله" عند ضرب المواعيد او الشروع في امر ما هو من الحكمة وحسن الفكر بمكان ولو كنا ننكرها عليهم ونعدها مناقضة لمجاملات تمدننا الحديث

مثال خامس — قال احدهم في ليلة ساهرة ان ابن فلان ضعيف البنية لا يرجى كثيراً وما ذلك الاَّ لان اباهُ تزوج وهو كبير السن ابنة صغيرةً وبنى على ذلك القاعدة العمومية الآتية وهي ان كل رجل يتزوج كبير السن بابنة صغيرة السن كأن يكون عمرهُ ٤٠ وعمرها ١٥ يكون اولادها نحاف الجسم ضعاف البنية. فاعترض احد الحاضرين قائلاً ان فلاناً تزوج كبير السن ابنة صغيرة السنّ واولادها ما شاء الله . فضعف بنية الاولاد لا يلزم عن تزوّج الاب كبير السن

مثال سادس — فصَّل زيد ثوباً يوم الثلاثاء فلم يلبسهُ يوماً او يومين حتى قضى نحبهُ وفصل عمروٌ ثوباً يوم الاربعاء فلبسهُ حتى ابلاهُ وربما لبسهُ ضعيفاً ضئيلاً فأبلاهُ قوياً سميناً فشرع الناس يفصلون الاثواب ايام الاربعاء لانها ايام سعود ويتحامون تفصيلها ايام الثلاثاء لانها ايام نحوس

وسافر بكر يوم الخميس فلم يعد الى قومهِ بل مات غريباً عن اهلهِ بعيد الدار . وسافر عبيد يوم السبت فعاد الى اهلهِ سليماً معافًى وربما سافر فقيراً فعاد غنيًا . فجعل الناس يسافرون ايام السبت وينقطعون عن السفر ايام الخميس لان السفر فيهِ شؤم ونزغ من ابليس

وفي النفس كثير من هذه الامثال والشواهد يكفي ما سردتهُ منها لبيان الغرض فاعود الآن الى بسطها واظهار مواطن الضعف والخطإِ في الاقيسة التي تضمنتها

الاول . سبب تأخر زيد في التجارة وافلاسهِ خطأَهُ في الفكر والاستدلال فانهُ ظنَّ ان وجود رأس المال في يد التاجر هو اسُّ نجاحهِ وحدهُ فلما ملك رأس المال بنى النجاح على ظنهِ الفاسد فاخطأ المرمى . فكأنهُ قال ان رأس المال هو كلُّ ما يلزم لنجاح التاجر ومعي رأس مال فلا بدَّ اذًا ان انجح ولكن المقدمة الاولى (وهي ما يسميها المنطقيون المقدمة الكبرى) فاسدة

فالنتيجة فاسدة ايضاً . اذ رأس المال احد الامور اللازمة للتاجر لا الامر الوحيد وقد لا يكون من الامور الجوهرية لهُ . فمّا يلزم التاجر في انجاح تجارتهِ غير رأس المال الميل الفطري الى التجارة والامانة والثبات والخبرة والاقتصاد في النفقة وملاءمة الاحوال الخارجية . فهات لي رجلاً ميالاً من فطرتهِ الى التجارة اميناً ثابتاً خبيراً بفنونها واساليبها مقتصداً في نفقتهِ والسوق التي يقيم فيها تجارتها رائجة وانا الكفيل لك بنجاحهِ

الثاني . لم ينجح زيد في انشاء جريدتهِ لانهُ اعتمد على مالهِ وذكائهِ وليس المال والذكاء كلّ ما يلزم لانشاء الجرائد بل لا بدّ للكاتب ان يتصف ببعض ما اتصف بهِ التاجر كالخبرة وملاءمة الاحوال فان معظم السبب في نجاح بعض الجرائد المصرية مثلاً انشاؤُها في زمان كانت البلاد فيهِ مستعدة لها محتاجة اليها وهذا ما سميتهُ بملاءمة الاحوال فلما صار فيها ما يكفيها منها امست كلُّ جريدة تصدر بعد ذلك ولا مزية لها زيادة عن اللازم وفضلة يستغنى عنها . فاذا عرف ذلك ظهر بعض السبب في موت كثير من الجرائد الحديثة بعد ظهورها برهة قصيرة . وهناك مزية اخرى يجب ان يتصف بها منشئُ الجريدة وهي ان يكون صحافياً بالطبع اي انهُ يجب ان تكون لهُ صفة خصوصية للتمييز بين ما يلائم اذواق قرائهِ وما لا يلائمها فينتقي الحسن وينبذ القبيح . فاذا تدبَّر العاقل هذه الامور لا يقدم على العمل الاَّ اذا ايقن انها متوفرة فيهِ كلها

الثالث . خطأ صاحبي الطبيب الحقيقة الثابتة وهي ان مدارك الرجل العقلية اسمى من مدارك المرأة اعتماداً على ما رأى من سمو مدارك كثيرات من النساء الغربيات ولكن ذلك لا يستلزم كون كلّ رجل اسمى مدارك من كل امرأة بل المراد بهِ الجنس عموماً وهي حقيقة اثبتها العلماء بعد طول البحث فاذا شذَّ بعض النساء عنها فذلك لا يقدح في صحتها اذ لكل قاعدة شذوذ

الرابع . سبب اخلاف الصديق المذكور في المثال الرابع لوعدهِ شدة توكيدهِ حيث لا يمكن التوكيد فكانهُ قال لا بدّ ان انجز شغلي قبل الساعة السادسة ولا يمكن ان يحدث ما يعوقني عنهُ فلا بدَّ اذاً ان اوافي صديقي في الاجل المضروب . ونسي انهُ قد يحدث لهُ ما ليس في حسبانهِ مما هو في عالم الغيب فيؤَخرهُ عن اتمام الوعد مكرهاً لا مختاراً . فعبارة ان شاء الله التي يستعملها بعضنا في امثال هذا الموقف غاية في الاصابة اذ يصير الوعد مشروطاً فيهِ

الخامس . بنى المذكور في المثال الخامس قاعدة عمومية على مثال خصوصي فكانهُ قال فلان تزوج كبير السن بابنة صغيرة السن فجاء اولادها نحافاً وعليهِ فكلُّ من يتزوج كبير

السن بابنة صغيرة السن يأتي اولادهُ ضعاف البنية . ولو وضع الاغلبية مكان التعميم لجاء حكمهُ صادقاً اذ الطب يثبت ان غالب الذين يتزوجون كبار السن ببنات صغيرات السن يكون نسلهم ضعيف الاجسام . فاعتراض المعترض في محلهِ

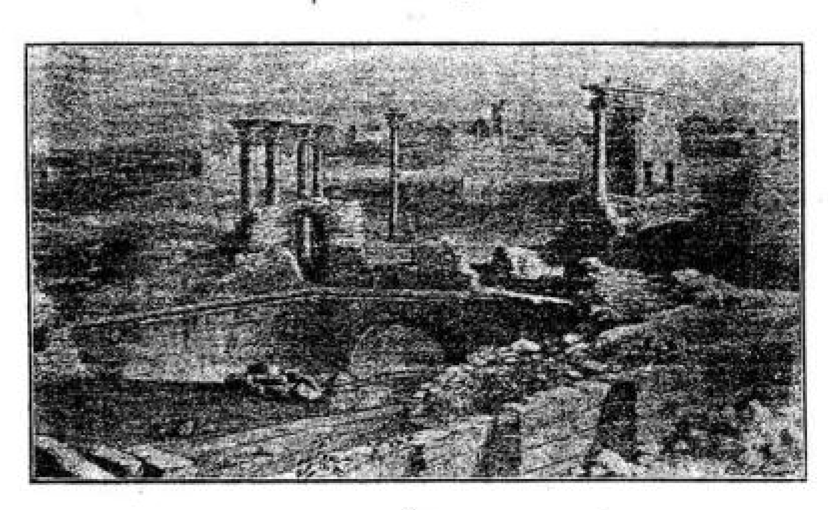
السادس . رأى اهل زيد واصدقاؤهُ انهُ فصَّل ثوباً يوم الثلاثاء فلم يلبسهُ مرةً او مرتين حتى قضى نحبهُ فقالوا كلٌّ من يحذو حذوهُ يصيبهُ ما اصابهُ وجعلوا تفصيل الثوب يوم الثلاثاء علة او سبباً للموت وهكذا فعل اهل عمر وبكر وعبيد وهو ما نفعلهُ نحن كلٌّ يوم نخلط علل الحوادث واسبابها بمصاحباتها فنجعل المصاحبات عللاً على حين انها ليست من العلل في شيء . نعم ان العلل قد تلتبس بالمصاحبات احياناً في الحوادث الطبيعية وغيرها ولكن الفكر الصحيح والبحث الدقيق يفرّق بينها. مثال ذلك ان البرق ليس علة للرعد بل مصاحب لهُ لانهما يحدثان معاً ولكننا نرى البرق قبل ان نسمع الرعد لسرعة سير النور وبطء سير الصوت فنظن الرعد ناتجاً عن البرق. يصاب زيد بالسكتة الدماغية ويسقط من مكان عالٍ في آن واحد فنقول ان زيداً سقط من مكان عالٍ فمات وكان السقوط علة موتهِ . ولكن الكشف الطبي يثبت ان سقوطهُ لم يضرَّ بهِ البتة وانهُ ليس علة لموتهِ بل مصاحب لهُ والعلة الحقيقية السكتة وانما نسبنا الموت الى السقوط لجهلنا السبب

وهكذا يجري في كثير من الحوادث اليومية وهنا منشأ الخرافات والاوهام التي لم تسلم منها امة تحت السماء فزالت بتقدم المعرفة وزوال الجهل او كادت

يرى مما تقدم ان الفكر الصحيح علم بقواعد واصول مثل سائر العلوم والفنون وانهُ لا يكون حكمنا في الامور صحيحاً ما لم يكن فكرنا صحيحاً فلا بدَّ لنا من تعلُّم علم الفكر وتعليمهِ لاعقابنا اذا اردنا ان نحيا الحياة على هدى لا على ضلال . وذلك يتأتى بتعليم اطفالنا كيف يفتكرون ويستنتجون ويستدلون وهم في البيت قبل زمن المدرسة. ثم اذا دخلوا المدرسة نسجوا فيها بادئ ذي بدء على منوال ما تعلموهُ في البيت . ومن ذلك النظام الذي ادخل حديثاً الى المدارس الابتدائية في اوربا واميركا وجرت عليهِ كلية بيروت الاميركية في قسمها الاستعدادي وبعض المدارس المصرية هنا وهو ما يسمونهُ درس الاشياء واسبابها . فتعمل امام التلاميذ العمليات والتجارب من طبيعية وكيماوية عن اسباب الاشياء ونتائجها وعللها ومعلولاتها اومصاحباتها فلا يسمعون بالاذن فقط كما في سائر الدروس بل يرون بالعين ويلمسون باليد فتنطبع المرئيات والتجارب على صفحات عقولهم حتى اذا شبوا وكبروا وشرعوا في العمل كانت اساساً للفكر الصحيح يبنون عليهِ العمل الصحيح

نجيب شاهين

خرائب الشام



مدينة بُصرى

فتحنا تقويم البلدان لنرى ما يقولهُ ابو الفداء عن هذه المدينة التي كانت عاصمةً من العواصم الكبيرة ومسقط رأس القائد العربي الذي لبس الارجوان وصار امبراطورًا على مملكة الرومان قبل الاسلام بنحو اربع مئة عام فرأيناهُ يكتفي بقولهِ " في العزيزي بصرى مدينة كورة حوران وهي مدينة ازليَّة مبنيَّة بالحجارة السود مسقَّفة بها وفيها سوق ومنبر وهي من ديار بني فزارة وبني مرة وغيرهم ولها قلعة ذات بناء متين و بساتين وبناء قلعتها شبيه ببناء قلعة دمشق . قال ابن سعيد بصرى قاعدة حوران وهي على اربع مراحل من دمشق " انتهى ما نقلهُ ابو الفداء في كتابهِ تقويم البلدان . وذكر الزبيدي بصرى في تاج العروس فقال انها بلد بالشام بين دمشق والمدينة اول بلاد الشام فتوحًا قال الشاعر

ولو اعطيت مَن ببلاد بصرى وقنسرين من عَرَبٍ وعُجْمِ

وينسب اليها السيوف البصرية وانشد الجوهري للحصين بن الحمام المري

صفائح بصرى اخلصتها قيونها ومطردًا من نسج داود احكما

ثم فتحنا الطبري لنرى ما يقولهُ في فتوح الشام ولو حشاهُ النسَّاخ بما ليس منهُ فوجدناهُ يقول ان بصرى كانت مدينة حصينة جدًّا في زمن الفتح آهلة بالخلق عامرة بالناس وكان العرب يقصدونها ببضائعهم وتجارتهم من اقصى اليمن وبلاد الحجاز فاذا كان في ايام الموسم ينصب لبطريقها

كرسي يجلس عليهِ ويجتمع الناس اليهِ يستفيدون من علمهِ وحكمتهِ وكان صديقاً لابي بكر الصديق . وجَّهَ اليها ابو عبيدة بن الجرَّاح شرجيلَ بن حسنة في اربعة آلاف فارس فنشبت الحرب بينهُ وبين اهلها وخرجوا اليهِ باثني عشر الف فارس من الروم وكادت الدائرة تدور عليهِ لولا ان قدم لنجدتهِ خالد بن الوليد وعبد الرحمن بن ابي بكر بجيوش المسلمين ولامهُ خالد قائلاً أَما علمتَ ان هذه ميناء الشام والعراق وفيها عساكر الروم وبطارقتهم فكيف غرَّرت بنفسك وبمن معك من المسلمين. ثم ان بطريق المدينة واسمهُ روماس خان قومهُ وامر غلمانهُ بثغر السور ففتحوا فيهِ باباً خرج منهُ واتى خالداً وادخل المسلمين الثغرة وفتح لهم ابواب المدينة فاستولوا عليها

اما الامبراطور العربي المشار اليهِ آنفاً فاسمهُ فيلبس ذكرهُ ابن خلدون باسم فلفش وقال انهُ ابن اولياق بن انطونيش وليَ سبع سنين وهو اول من تنصَّر من ملوك الروم . ولم يذكرهُ المسعودي او ذكرهُ باسم يعربيس اي ان واحداً من هذين المؤرخين ذكر اسم فيلبس والآخر ذكر لقبهُ واكتفيا بذلك . والمعروف من امر هذا الامبراطور الآن ان اسمهُ يوليوس فيلبس ويلقب بفيلبس العربي وهو من اهالي بصرى انتظم في سلك الجيش الروماني وارتقى فيهِ حتى صار قائد جيوش غرديانس في المواقع التي جرت بين الروم والفرس ثم اغرى الجنود بقتل امبراطورهم فقتلوهُ ونادوا بهِ امبراطوراً بدلاً منهُ وكان ذلك سنة ٢٤٤ للميلاد . فاهتمَّ بامر بصرى مسقط رأسهِ وجعلها عاصمة واعطاها حقوق العواصم الرومانية . ثم ثارت الجنود عليهِ فقتل قرب ڤرونا سنة ٢٤٩ . وذكر يوسيبيوس انهُ كان مسيحيًّا واثبت ايرونيموس ذلك وكان لهُ ابن اسمهُ فيلبس ايضاً قُتل معهُ ويلقب فيلبس الثاني لان اباهُ اشركهُ معهُ في الملك

واما مدينة بصرى فقديمة جدًّا اقدم من الاسكندرية لان الاسكندر المكدوني وجدها عامرة حصينة لما فتح الشام وبقيت في يد خلفائهِ من ملوك الشام الى ايام انطيوخُس ديونيسيوس فاستولى عليها ملك من ملوك العرب ثم اخذها الامبراطور طراجنس سنة ١٠٥ وبنى فيها المباني الفخيمة واباح لاهلها ان يسموها باسمهِ وجعلها كولونية رومانية وبقيت سنين كثيرة بعدهُ من اهل المدائن الشرقية ومباءة تجَّار العرب وجُعل لها تاريخ خاص مثل تاريخ الاسكندر والتاريخ المسيحي والهجري يبتدئ من تلك السنة اي سنة ١٠٥ وهو التاريخ البصري المشهور الذي ارَّخ بهِ الفرس زماناً طويلاً

اما مجدها السالف وما صارت اليهِ بعد الفتح فتدلُّ عليهما الصورة التي في صدر هذه المقالة حيث ترى العُمُد العظيمة ماثلة كأنها تستشهد الزمان على ما كان لها من المجد والعزة والخرائب منبثة حولها تندب ما حلَّ بها من الدهر وابنائهِ . وابلغ من ذلك واوضح وصف

الدكتور بورتر الانكليزي الذي زارها منذ نحو اربعين سنة وكتب عنها ما ترجمتهُ ملخصاً

" اقمت في بصرى ثلاثة ايام. خرائبها كثيرة لا ترى في يوم او يومين محيطها خمسة اميال لها سورٌ عالي الجدران وثيق البنيان وقلعة لا احصن منها في كل بلاد الشام . تبيَّنتُ في هذه المدينة خرائب مشهدين وستة هياكل وعشر كنائس او عشرة مساجد عدا القصور والحمامات والسبل والقنوات واقواس النصر وغير ذلك من المباني الكبيرة وهي تدلُّ على ان اهالي بصرى كانوا على جانب عظيم من الغنى وحسن الذوق لان بعض هذه المباني يصلح لأن تزدان بهِ اعظم عواصم اوربا الآن

ولم يكن البحث عن هذه الآثار بالامر السهل لكثرة الانقاض وتراكمها بعضها فوق بعض. صعدت على جدار لانسخ كتابة يونانية فوقع الجدار بي ولو لم اثب عنهُ بسرعة لدُفنت تحت حجارتهِ

كان في بصرى في زمن عزها مئة الف نفس ولما زرتها لم اجد فيها سوى عشرين عائلة تسكن بعض الخرائب القديمة قرب القلعة وما بقي من المدينة خراب لا ساكن فيهِ . وحول المدينة ينابيع ومصانع كثيرة يأتيها العرب احياناً يسومون فيها انعامهم وينهبون القوافل التي تمرُّ بهم ولم ننجُ منهم الاَّ باستجارتنا اخا شيخهم دليلاً لنا

كانت بصرى احصن مدن باشان ومعقل الرومان شرقي الاردن قست الباقي من سورها فوجدت ارتفاعهُ ٣٠ قدماً وثخنهُ ١٥ قدماً وفيهِ ابراج مربعة على ابعاد متساوية . وكان طول المدينة داخل السور ميلاً وربع ميل وعرضها ميلاً ويحيط بالسور ضواحي كثيرة المباني ويقطع المدينة شارع كبير على طولها يمرُّ في وسطها لهُ بابان جميلان على طرفيهِ وشوارع رحبة تقطعهُ على زوايا قائمة. ما اكبر الفرق بينها وبين الشوارع التي ابقاها العرب بعد الفتح بين بيوتهم. تلك رحبة مستقيمة تحفُّ بها المباني الفخيمة وهذه ضيقة متعوجة تحيط بها الاكواخ الحقيرة منتزعة من المباني القديمة . تجد قصراً رومانيًّا بديعاً او هيكلاً يونانيًّا فخيماً وبلصقهِ دكاكين العرب الحقيرة وقد مدَّ الخراب مطارهُ على الفريقين

ولقد يتعب القارئ اذا اردت ان اصف لهُ كما رأيتهُ هناك كما تعبت انا من البحث عنهُ لاني رأيت ما يفوق الوصف من غرائب الصناعة وبدائع البناء واساليب النقش في الهياكل والكنائس والقبور والمذابح . وركام الانقاض تدل على ما مرَّ بهذه المدينة من العبَر وما تقلَّب عليها من الازمان كما تدل طبقات الارض على العصور الجيولوجية. هناك ترى بيوت الاقدمين التي كانت ابوابها وسقوفها من الحجر وكان يسكنها الرفائيون قبل مجيء ابرهيم الخليل الى بلاد الشام وفوقها هياكل اليونان والرومان وكنائس المسيحيين . رأيت كتابة على حجر يقال فيها

ان الهيكل جعل كنيسة على اسم القديس يوحنا ودخلت هذا الهيكل او هذه الكنيسة فرأيت انهُ جُعل جامعاً وكتبت عليهِ كلمة الشهادة

من اول المباني التي دخلتها القلعة مررت في طريقي اليها بقوس النصر التي اقيمت للقائد فيلبس الذي صار امبراطوراً وهو من اهالي بصرى . والقلعة في جنوبي المدينة خارج اسوارها كبيرة جدًّا ولا تزال جدرانها وابراجها والخندق الذي حولها سليمة واما داخلها فخراب يباب في اسفلها صهاريج كبيرة ومخازن وفوقها غرف كثيرة وفي وسطها مشهد قديم قائم على عمد وقناطر يرى الجالس فيهِ المدينة وما حولها من الارباض . والمشهد نصف دائرة قطرهُ ٢٧٠ قدماً وهو مكشوف من الاعلى مثل كل المشاهد الرومانية والظاهر انهُ بني لتسلية الجنود الرومانية حينما كانت بصرى مقرهم. وفي القلعة برج شاهق صعدت الى قنتهِ ورأيت منهُ الطرق التي كانت متفرعة من بصرى وممتدة الى كل المدن المجاورة في خطوط مستقيمة واحدة تصل الى اذرع وواحدة الى السويداء ودمشق وواحدة تجري في الشمال الغربي بين جبال باشان وواحدة الى القُرَيَّة وواحدة الى قلعة صلقة . والدلائل كلها تدلُّ على ان البلاد حول بصرى الى ما يمتد اليهِ النظر بالتلسكوب كانت عامرة آهلة بالسكان كثيرة المدن والمصانع في اطيب بقاع الارض ماء وهواء وهي الآن قفر بلقع

ثم اخذنا الدليل الى كنيسة كبيرة وهي كنيسة بصرى المشهورة في التاريخ فرأيتها مبنية في شكل صليب يوناني وفوق بابها كتابة يقال فيها ان يوليانوس رئيس اساقفة بصرى بناها سنة ٥١٣ تذكاراً للشهداء سرجيوس وباخُس وليونتيوس . وقال الدليل انها كنيسة الراهب بحيراء النسطوري المشهور في كتب العرب. وعلى مقربة من الكنيسة جامع كبير يقال ان الخليفة عمر بن الخطاب بناهُ سقفهُ قائم على اعمدة كبيرة بينها سبعة عشر عموداً من الرخام الابيض وعلى اثنين منها كتابة تدلُّ على ان اصلهما من كنيسة ولعلهما كانا قبل الكنيسة في جامع يوناني

وسرنا الى الباب الغربي في طرف الشارع الكبير فوجدناهُ قنطرة رومانية واسعة مزخرفة القائمتين وامامها بيت الديدبان بناؤُهُ مثل بنائها وقفت هناك انظر من هذا الباب وارى ركام الانقاض والجدران المتصدعة ووراءها قوس النصر كانها اقيمت تذكاراً للدمار لا للنصر وحول المدينة قفر بلقع لم ارَ ما يماثلهُ خلا الأ حول تدمر " انتهى كلام الدكتور بورتر

وكان شرقي بصرى حوض للماء طولهُ ٣٩٠ قدماً في مثلها عرضاً وعمقهُ ١٥ قدماً والى جنوبيها حوض آخر طولهُ ٥٣٠ قدماً وعرضهُ ٤٢٠ قدماً وعمقهُ ٢٠ قدماً والى غربيها حوض اكبر منهما طولهُ ٥٦٠ قدماً وهذه الحياض مملوءة الآن بالردم والانقاض

هذا ما بقي من عاصمة كورة الرومان في بلاد العرب وللزلزلة التي حدثت في اواسط القرن الثاني عشر اليد الطولى في تخريب مبانيها اما ضعفها فابتدأ من حين خربت البلاد التي حولها

ماهية الفلسفة

كان علماء اوربا في الثلث الاخير من القرن الماضي يكرمون الفلسفة كأنها ربة العلوم كلها وكانت دور العلم في المانيا قاعدة العلوم العليا غاصة بالطلبة يسمعون اقوال فلاسفتها ويقبلونها كأنها وحيٌ مُنزَل . وكثر البحث الفلسفي في كل مكان واصحابهُ يحاولون حل المسائل الكبرى مسائل الحياة . واشتاق الناس الى كشف الغوامض واشتدَّ بهم هذا الشوق حتى لم يصبروا على البحث في امور الكون بالتأني فاكتفوا بالاوضاع الفلسفيَّة الباحثة عمَّا وراء الطبيعة

ويتضح ما كان للفلسفة من السطوة على عقول الناس في ذلك العصر من قول فردرك وشر الذي قال ان كل قوى الشبان كانت تصرف الى حل المسائل العويصة ولم يكن الشاب يحسب انهُ بلغ اشدَّهُ ما لم يفهم حقيقة حريَّة الارادة والقضاء والقدر وإلاَّ فلا يحق لهُ ان يتزوَّج

ذلك العصر كان عصر الفلسفة الذهبي لكنهُ كان حاملاً في اردانهِ بزور انحلالهِ . فان الفلاسفة الكبار مثل نختي وشلنج وهيجل حدَّدوا الفلسفة بانها تركيب تصوُّري للكون من مبادئ اولية اكتشفتها بعض العقول الذكيَّة . وجروا مجرى الفيلسوف سبنوزا في استنتاج نتائج عدوها لازمة من اوليات حسبوا ضرورية واغمضوا عيونهم عن شهادة الحواس وحسبوا انهم يستطيعون تعليل المحسوسات بانها نتائج لازمة عن بعض المبادىء الاوليَّة . وقالوا ان لا قيمة للاختبار من هذا القبيل لان غاية ما يستفاد منهُ تحقيق الاستدلال الفلسفي بل ان شلنج انكر عليهِ هذه الفائدة وقال ان الاستنتاج العقلي لا يحتاج اثباتهُ الى اختبار مادي لانهُ ثابت لذاتهِ فان كان الاختبار لا ينطبق عليهِ فالخطأ في الاختبار لا فيهِ. وهيجل لم يتطرَّف الى هذا الحد في انكارهِ فائدة الاختبار لكن اعتمادهُ الاكبر كان على الاستدلال العقلي . وكان اولئك الفلاسفة يحسبون ان لا حدَّ لما يدركهُ العقل فهو يدرك الاوليات كلها بالبداهة ثم يعلم ما يبنى عليها بالاستدلال المنطقي وعلى ذلك بنى نختي وشلنج وهيجل فلسفتهم فجاءت بناء عظيماً فخيماً ولكن لا اساس لها في الارض وما لا اساس لهُ في الارض يتلاشى في الهواء

وبينما كان الفلاسفة الالمانيون واتباعهم يبرهنون بالاقيسة المنطقية ما يجب ان يكونهُ العالَم اخذ علماء الطبيعة يحاولون ان يعرفوا ما هو العالم واذا بصفير الآلة البخارية ايقظ اهل

الاحلام والاوهام ونبهم الى التقدُّم العظيم الذي تقدمتهُ العلوم الطبيعية باتباعها اساليب البحث والاختبار فقامت القيامة على فلسفة هيجل وأفل نجمها حالاً لان الناس كانوا قد ملُّوا الابحاث الخيالية وودوا ان يهبطوا من سحب الخيال الى ارض الحقيقة . فانشئت سكك الحديد واتسع نطاق التجارة واقيمت المدارس الصناعية والتجاريَّة واتجهت قوى الناس كلها الى اكتشاف النواميس الماديَّة وتوضيحها واستخدامها وقامت العلوم الطبيعية مقام الفلسفة في اذهان الناس وادخل ليبغ الكيماوي المعامل الكيماوية الى المدارس الالمانية واشتهر الكسندر همبلت شهرة فائقة وشهرتهُ علمية محضة وكُشفت المكتشفات المهمَّة في فرنسا والمانيا اكتشفها الفسيولوجيون مثل ملر وويبر وفلورنس ومجندي ولوره ولونجه واضاعت الفلسفة اكليلها واحتقرها الذين كانوا يعبدونها ويتغنون بمدحها وبالغوا في ذمها كما بالغوا قبلاً في اطرائها ولم يبقَ احد يجاهر بصداقتها . وعُرِّف الفيلسوف بانهُ الرجل الذي يتكلم عن امور لا يعلمها كلاماً لا يفهمهُ احد . فانكر علماء الطبيعة كل علاقة لهم بها واستقلوا بانفسهم واغتروا بانهُ يمكنهم نفي الفلسفة من كل المباحث الطبيعيَّة ففسروها تفاسير لا تنطبق على قوانين العقل تفاسير رفضها العقلاء قبلهم منذ زمن طويل وصار المذهب المادي هو المذهب الغالب مع انهُ ابعد المذاهب عن القوانين العقليَّة

امور مثل هذه اضعفت عزائم الفلاسفة والذلُّ ابن الفشل ولذلك لا يُستغرَب ما ظهر من ضعفهم على اثر ما اصابهم من الخذلان حتى اضطرُّوا ان يثبتوا ان للفلسفة شأناً ما وانها تستحق ان تبقى بين العلوم

لكنَّ ما حلَّ بالفلسفة من الازدراء كان وقتياً الى اجل محدود لان الميل الفلسفي في الانسان ارسخ من ان يزول منهُ كما قال شوبنهور . واسمى ما في الانسان سؤالهُ عن علل الاشياء ولا يمنع عن هذا السؤال الاَّ منع عقلهِ عن البحث والاستقصاء وهذا امر يعزُّ ادراكهُ ولذلك فالفلسفة ليست ابنة عصر معلوم بل هي ابنة كل العصور وسيموت آخر فيلسوف حينما يموت آخر انسان ما لم يكن ذلك الانسان ابله لا عقل لهُ . وما من احد في رأسهِ ذرة من العقل الاَّ وهو يبحث ولو قليلاً عن العالم الذي هو فيهِ ونسبتهِ اليهِ وعلة ما يراهُ والغاية منهُ . ويجيب عن هذه المسائل على حسب ادراكهِ . والعلوم الطبيعية المحضة لا تقوم من غير شيء من الفلسفة ولو انكرت ذلك وحاولت التملُّص منهُ كما تحاول التملُّص من داءٍ خبيث . أَلا يوجد شيء من الفلسفة في مذهب النشوء أَوَلا يوجد في مذهب الجوهر الفرد الذي قال بهِ اولاً فلاسفة اليونان قبل المسيح باربع مئة عام وهل زالت منهُ الفلسفة لان علماء الطبيعة ينوهون واوضحوهُ . أَوَليس رد كل الظواهر المادية الى اصليها المادة والقوة امراً فلسفياً مما وراء الطبيعة . أَوَليس ان مذهب

بقاء المادة والقوّة وعدم تلاشيهما من الامور الفلسفية . أوَ ليس ان رد كل القوى الى قوة واحدة انما هو محاولة الوصول الى المبدإ الاول الذي يتوقَّف عليهِ كل شيء . اي امر اقرب الى الفلسفة من ذلك . ولقد شاعت الآن الرغبة في رد المركَّبات والمتخالفات الى ما تظهر بهِ وحدتها وفي ايجاد اصل عامّ يمكن ان تعلَّل بهِ حوادث الكون لان هذه الرغبة مغروسة في نفس الانسان وليس في طاقتهِ ان يقاوم ما في نفسهِ من الميل الى توحيد ما يعلمهُ بالاختبار وادراك كل الموجودات وكشف العلل التي تعلل بها حوادث الكون كلها

وقد يستطيع اهل كل علم على حدتهِ ان يكتشفوا الاسباب الاولى لقضايا ذلك العلم وحدهُ ولكنهم لا يستطيعون ذلك الاَّ اذا غضُّوا الطرف عن سائر العلوم فيظهرون حينئذٍ جزءًا من الحقيقة لا الحقيقة كلها . فقد يمكن ان تفسَّر ظواهر الطبيعيات بفرض القوة والجواهر الفردة المتماثلة ولكن هل يستطيع الكيماوي ان يفهم ظواهر الكيمياء من غير ان يفرض ان هذه الجواهر مختلفة الصفات . وهل يستطيع الباحث عن الحياة (البيولوجي) ان يعلل الحياة بالقوى الميكانيكيَّة المحضة او هل يستطيع ان يوفق بين ما يرى في الموجودات الحية من دلائل القصد وبين المذهب الميكانيكي. وهل يستطيع الباحث في علم العقل والوجدان ان يفسّر افعال العقل بمبادىء العالَم الطبيعي اي بالجواهر والحركة. لا بدَّ من علم يجمع هذه العلوم المتفرقة ويوفق بينها يتناول كل الحوادث الطبيعيَّة ويوحّدها ان امكن بان يجمع مبادئ العلوم المختلفة ويمحّصها ويقابل بعضها ببعض ويظهر ما تختلف فيهِ ثم يوفّق بينها ان امكن . هذا العلم هو الفلسفة. والحاجة اليهِ ماسَّة وهي ظاهرة لا تخفى وان كان قد قدّر للناس ان يتفلسفوا فيجب ان يحكموا فلسفتهم. ولا يجوز لنا ان نترك حل المسائل المهمة مسائل الحياة ولا ان نحيلها على الصدفة او على اناس لاعلم لهم ولا مهارة او هم من الغرض بحيث يحملهم غرضهم على حلها حسب اهوائهم. ومن تعلَّم احسن تعليم وتدرَّب احسن تدريب وصبَّ قواهُ العقلية على موضوع بحثهِ لجدير بحل معضلاتهِ. امور مثل هذه ارجعت الناس الى الفلسفة والناس كلهم في حاجة اليها الاَّ من لا يعقل منهم . ان من يقيس الزمن اللازم لمرور المجرى العصبي في عصب ساق الضفدع لا يستفيد شيئًا من ذلك لان مجرد العلم بالشيء لا يفيد ما لم يبنى عليهِ حكم من الاحكام اي ما لم يُستخدَم مرقاة الى اكتشاف قضية كلية مبنية عليهِ وهذا الامر اي البلوغ الى فلسفة الاشياء والافعال صار شائعًا الآن في كل العلوم الطبيعية والتاريخية بل في العلوم الدينية والرياضية ايضًا

ثم اننا اطلقنا اسم الفلسفة في السطور الماضية على ما يسمَّى بعلم ما وراء الطبيعة او علم

المبادىء الاولى او الاصول الاولى التي تبنى عليها حوادث الكون ولكن الفلسفة لا تقتصر على ذلك بل غرضها اكتشاف الحق او الحقيقة فلا تستطيع ان تعلِّل ما يُعرَف من حوادث الكون ما لم تعرف كثيرًا من هذه الحوادث معرفة صحيحة وحوادث الكون على نوعين نوع مادي ونوع عقلي ولذلك قسمت العلوم الى قسمين علم طبيعي وعلم عقلي مدار الاول البحث عن الاجسام المادية حيَّةً كانت او غير حيَّة وكل ظواهرها . ومدار الثاني البحث عن ظواهر العالم الباطني اي النفس او العقل . ويطلق على علم العقل الفلسفة العقلية او علم النفس (سيكلولوجيا) وهي تبحث في تحليل افعال النفس او العقل او الوجدان وتبويبها وتفسيرها وعليها يبني علم المنطق وفلسفة الجمال (استثك) والاخلاق وفلسفة الديانة . ومن مباحثها ماهية الشعور والادراك والتصور والتذكر والهوى والغريزة والاندفاع والانتباه والارادة . كل هذه افعال من افعال العقل او الوجدان . ومن مباحث المنطق فعل العقل وقت الاستدلال والوصول الى القضايا التي يعدها صحيحة وما هي قواعد البحث والاساليب التي يجري عليها العلماء في بحثهم اي ما هي قواعد القياس والاستقراء . وعلم الجمال يبحث عمَّا يجعلنا نحكم بجمال بعض الاشياء او بقبحها بعظمتها او بحقارتها وما هي النواميس والمبادىء التي يبني عليها الاتقان في المصنوعات الجميلة . وعلم الاخلاق يبحث عن مزايا الفضيلة ولماذا نحسب العمل الواحد صوابًا والثاني خطاء وما هو المقياس الذي نقاس بهِ الادبيَّات . نشعر ان بعض الاعمال خطأ او حرام فما هي حقيقة هذا الشعور وما هو اصله وكيف ينمو فينا وبالاختصار ما هي النواميس المتسلطة على العالم الادبي وكيف تظهر في حياة الانسان

ثم ان علم الاجتماع يرتبط بعلم السيكولوجيا وعلم الاخلاق ويقدّم لها كثيرًا من الافعال ومعلوم ان مداره فكر الانسان وشعوره وارادته من حيث هو عضو حي في جسم الاجتماع الانساني والغاية التي وجد لها في جسم الاجتماع والوسائط التي يستعملها لبلوغ هذه الغاية . والاجتماع الانساني نفسهُ جسم حيٌّ لهُ غاية يسعى اليها ووسائط يستعملها لبلوغ هذه الغاية . فما هي هذه الغاية وما هي تلك الوسائط وكيف تنال الاولى بالثانية وما هي الاجزاء التي يتكوَّن منها هذا الاجتماع ما هي عاداتهُ وقوانينهُ وكيف نشأت وكيف نمت . ذلك ما يسمَّى بعلم السيسولوجيا اي علم الاجتماع الانساني والغاية التي يقصدها هذا الاجتماع لا تنال الاَّ بانتظام الحكومة او الدولة فما هي اشكال الحكومات وكيف تبلغ غايتها . هنا يدخل علم السياسية الباحث عن هذه المسائل ونسبتهُ الى علم الاجتماع الانساني (السيسولوجيا) نسبة هذا العلم الى علم النفس (سيكولوجيا)

ثم ان فلسفة الديانة تبحث عن الامور الواقعة ضمن اختبار الانسان التي نعدها دينية فهي من هذا القبيل فرع من علم النفس لكنها لا تقتصر على ذلك بل تبحث عن الاساليب التي تظهر

بها الامور الدينية وتتبع ارتقاء الاديان لكي تكتشف المبادئ الاولى التي تشترك فيها

فعلى الفيلسوف ان يتنبه الى العلوم العقلية الاساسية كعلم النفس وعلم المنطق وعلم الاخلاق وعلم الجمال وفلسفة الديانة . وهذه العلوم انما تفرق عن العلوم الطبيعية في مواضيعها لا في اساليب بحثها لان العلوم كلها طبيعية كانت او عقلية تبحث عن الظواهر وردها الى النواميس المتسلطة عليها . وما من علم يقتصر على ذكر الناموس او القانون بل كل العلوم تحاول كشف علاقة النواميس بعضها ببعض وربطها بعضها ببعض وردها الى ابسط اشكالها . فالفيلسوف الطبيعي يردّ كل ظواهر المادة الى اصل واحد وهو القوَّة . واما العالم الحيوي (البيولوجي) فيتعذر عليهِ رد ظواهر الحياة الى الاصول الميكانيكية المحضة . والفيلسوف النفسي يرى امامهُ اموراً لا تعلَّل بما يعرف عن جواهر الاجسام يرى انهُ يستحيل عليهِ ان يعلل القوى العقلية بانها افعال مادية محضة . وقد يستطيع العالم الطبيعي ان يعلل حركات الكواكب في مداراتها بنواميس الحركة ولكنهُ لا يستطيع ان يعلل كيفيَّة وجود الاميبا (ادنى انواع الحيوان) ولا ابسط انواع الشعور وما احسن ما قالهُ الفيلسوف كنت في هذا المعنى وهو "ان الانسان يستطيع ان يقول اعطني مادة فاصنع لك منها ارضاً مثل ارضنا ولكنهُ لا يقدر ان يقول انهُ يصنع منها ابسط انواع النبات او الحشرات ولا ان يفسّر بالمادة كيفيَّة وجود الارادة في الدودة"

ان العلوم الطبيعية تحاول رد الافعال المختلفة التي تبحث فيها الى اصل واحد فتقول ان الحرارة والنور والصوت والكهربائيَّة كلها انواع من الحركة او القوة فهل الشعور ايضاً نوع من القوة او لهُ اصل آخر وهذا الاصل هو اصل كل الافعال الطبيعية والعقلية

هذه مسائل تستحق البحث لكن صعوبة حلها واختلاف الباحثين فيها يشيران الى امر آخر وهو ان العقل ميَّال بطبعهِ الى توحيد الامور ورد الافعال الى اصل واحد او الى الاصول الاولى فما هي فائدة هذا الميل في الوصول الى حقائق الاشياء وهل يمكننا ان نصل الى هذه الحقائق . ثم ان العقل وهو آلة المعرفة ولولاهُ ما كان علمٌ من العلوم امرٌ غامض يحتاج الى التفسير والتعليل . ونحن نجري على اسلوب واحد في كل العلوم وهو رد المعلولات الى عللها لان عقولنا تضطرنا الى ذلك افلا يوجد حدٌّ لطلب العلل او لا نصل الى العلة الاولى التي لا علَّة وراءها بل هي علة العلل . وما هو مفاد هذا الميل فينا الى طلب العلل لكل المعلومات وما هي المعلومات وكيف تكون صحيحة فان العلوم المختلفة تستعمل معلوماتها من غير ان تبحث عن صحتها اما الفلسفة فلا تسلم الأَ بما تتضح لها صحتهُ وضوح الشمس . العالم الطبيعي يضطر ان يفرض وجود اشياء

لا يحسّ بها لكي يعلل بعض ما يقع في عالم الحس فهل يجوز ذلك اي هل يحق لنا ان نفرض وجود موجودات لا تدرَك بالحس او نقتصر على ما يدرك بالحس . وهل نقول ما قاله دي بوا ريموند في الكلام عن المادة والقوة وهو ان حقيقتهما لا تدرك او نقول ما قاله هيكل وهو انهُ ليس في الطبيعة ما لا يمكن ادراكه ذلك وامثاله من المسائل التي تحل بالبحث عن اصل المعارف . وهذا البحث يمهد السبيل للفلسفة العقلية وما وراء الطبيعيات ويطلع الباحث المدقق على ما يزجي في فروع العلوم من كل رأي فطير . وكثيرًا ما نرى العالم الطبيعي يهزأ بالفيلسوف مستعملاً عبارات وادلة لم يعرفها لولا الفلسفة . ومثل الفلسفة وعلماء الطبيعة في ذلك مثل الشيخ الذي حمله السندباد البحري على عاتقهِ من غير ان يشعر بهِ

وتاريخ الفلسفة يدل على انها قد ارتقت ارتقاء بيّنًا وما وقع فيها من الخطإ يفيد الباحثين لانهُ يحذرهم من الوقوع فيهِ ثانية فان من يعرف السبيل الذي لا يوصل الى المطلوب يستفيد من معرفتهِ في اكتشاف السبيل الموصل اليهِ

(ترجمت للمقتطف من مقالة في جريدة العلم العام الاميركية للاستاذ فرنك ثلي)

البانيا (1) او بلاد الارناؤوط

ليس في هذه الايام بلاد تهدّد دعائم السلم في اوروبا اكثر من البلاد الالبانية وهي قريبة من مراكز العمران يحدها الجبل الاسود شمالاً وبلاد اليونان جنوبًا ولها ساحل طويل يمتد على البحر الادرياتيكي المسمَّى عند العرب ببحر البنادقة الفاصل بينها وبين ايطاليا ومع ذلك لا يُعرف عنها اكثر مما يُعرف عن مجاهل الصين لصعوبة التوغل فيها. قاعدتها مدينة اشقودره على بحيرة تسمى بهذا الاسم يوصل اليها بطريق مركبات تبتدئ من بلدة كطارو في دلماطيا مارة بستينيا عاصمة الجبل الاسود الى ان تنتهي عند ريجكا من قرى هذا الجبل فينقل منها الى باخرة تعبر البحيرة الى اشقودره ويلزم لقطع هذه المسافة يومان على الاقل . ويمكن الوصول الى اشقودره من بلدة مدو وهي ثغر الباني على الادرياتيك

وتنقسم بلاد البانيا الى مقاطعات صغيرة يسكنها قبائل من الارناؤوط . ويتعذر على السائح الدخول اليها لما في ذلك من الاخطار . والبلاد تابعة للدولة العلية وفيها حامية من

---

(1) معربة ببعض تصرف عن مقالة نشرها في احدى المجلات الانكليزية سائح من الانكليز تجولا في بلاد البانيا الداخلية من عهد قريب وسطرا ما رأياه فيها مرأى العين

الجيش العثماني الأ ان سلطة الحكومة فيها اسمية لا يعتدُّ الشعب بها وطبيعة البلاد تساعد اهاليها على عدم اتباع الاحكام والامتثال لها لانها جبال شامخة وعرة المسالك والسكان لا يهابون احدًا ولا قيمة عندهم للحياة وهم دائمًا مدججون بالسلاح يحسبون كل غريب يطأ ارضهم جاسوسًا ارسل ليطلع على مواقع الضعف فيها ويحرمهم الاستقلال

واشهر هؤلاء الاقوام قبيلة تدعى الغزينية تسكن سهلاً طويلاً ضيقًا يحيط بهِ سور من الجبال المنيعة اذا دخل ارضها غريب فلا تدعهُ يخرج سالمًا . وهذه القبيلة لا تمنع الغريب من دخول ارضها ولكن لا تمر ساعة على وصولهِ حتى يجتمع مشايخها ويقرروا قتلهُ ثم يعينوا من ينفذ ذلك . ويلتزم الغريب ان يأخذ جوازًا من رئيس كل قبيلة لكي يتمكن من الجولان في داخلية البلاد الالبانية ويعين الرئيس رجلين او ثلاثة ليسيروا معهُ ويكونوا مسؤولين عنهُ باموالهم وارواحهم اذا اتنابهُ اذًى . وعند مبارحتهِ اراضي هذا الرئيس يفعل مثل ذلك مع رئيس القبيلة الثانية التي يجتاز ارضها وهذه الطريقة الوحيدة التي يمكن للغريب ان يسيح بها في هذه البلاد ما عدا بلاد الغزينية ومقاطعة أُخرى لا يسمح اهاليها للغريب في الدخول اليها ايًا كان

وبلاد الغزينية واقعة على حدود الجبل الاسود وهي صغيرة لا يزيد عدد سكانها على عشرين الفًا الأ انهُ اذا مس احد استقلالها بسوءٍ ففي امكانها ان تجمع نحو ثمانية آلاف رجل من الاقوياء المسلحين ويتسارع حينئذٍ الرجال والاولاد والنساء الى حمل السلاح للدفاع عن الاوطان والذود عن الحرية التي يتمتعون بها . ويرسم اهل الجغرافية بلاد الغزينية على الخارطة كانها جزءٌ من البانيا ولكنها في الحقيقة بلاد يسكنها قوم مستقلون بانفسهم لا يميلون الى احد ويفضلون الموت على تغيير شيءٍ من حالتهم . وهم اكثر الالبانيين ميلاً الى سفك الدماء غدارون يقضون معظم ايامهم في مناجزة اهالي الجبل الاسود المجاورين لهم ومناوشتهم القتال وهم لا يقبلون غريبًا بينهم الأ اذا كان جانيًا هاربًا من وجه العدالة فيعدون جنايتهُ لجواز لهُ . وبين بلادهم والجبل الاسود غابة كبيرة يختبيء بين اشجارها اربعة اوخمسة من الاشقياء حتى اذا اقتربوا من حدود الجبل فتكوا بمن اوقعهُ سوء طالعهِ بين ايديهم . وفي وسط هذه الغابة طريق الى الجبل الاسود مشهور بكثرة ما يقع فيهِ من حوادث القتل والسلب وعلى جانبيهِ كثير من الاحجار المنقوشة نصبت لتدل على الاماكن التي سقط فيها المسافرون الابرياء مقتولين بايدي هؤلاء الاشقياء . على ان هذا الطريق يعد من اهم طرق البلاد لانهُ الطريق الوحيد الذي يجتاز اراضي هذه القبيلة ولكن لا يمكن لمسافر ان يمر بهِ الأ اذا كان مستصحبًا

نفرًا من الرجال شاكي السلاح وعلى غاية الانتباه والحذر لانهُ لا يُعلم من اي جهة تطلق الرصاصة التي تصوب اليهِ على حين غفلة . ولا يتوهمن القارئ ان اهالي الجبل الاسود يقاسون هذه الاهانات وهم صاغرون بل كثيرًا ما ينزلون هم ايضاً على بلاد الالبان ويأخذون بثار من قتل من مواطنيهم. وعوائد هذه القبائل واحوالها غريبة يسر الانسان الاطلاع عليها على ان ضيق المقام يحول دون اشباع الكلام عليها فلذلك نذكر القليل منها

ان لباس قبيلة الغزبنية يشبه لباس بقية الالبانيين وهو سراويل بيضاء ضيقة مزينة بنقوش جميلة على اطرافها وتطريز اسود عريض ويعلوها قميص ابيض فوقهُ سترة صغيرة سوداء بنصف اكمام وكثيرًا ما يحملون في وسطهم ذخيرة من الرصاص وطبنجة وخنجرًا ويعلقون بندقية على كتفهم ويلقون على رأسهم قماشاً طويلاً ابيض ويلفونهُ حول رقبتهم كالعرب . وفي الصيف يبدلون السراويل الضيقة بسراويل واسعة من القطن وهذا لبس الطبقة السفلى على الدوام . وفي بعض المقاطعات الاخرى يختلف الزي قليلاً عن هذا فمنهم من يلف قماشاً ملوناً على رأسهِ ومنهم من يلبس طربوشاً ابيض تمييزًا لهُ عن المسلمين الذين يلبسون الطربوش الاحمر. واغلب سكان البانيا يدينون بدين النصرانية على مذهب كنيسة رومية وهم شديدو التعلق بهِ ويسمى الاتراك الذين اعتنقوا الاسلام من اهل الجبال ارنؤوطاً. وتساعد الدولة النمسوية الاكليروس الالباني مساعدة مالية كبيرة حتى تبسط بواسطتهِ نفوذها على البانيا وقد اسست ايطاليا فيها عدة مدارس لتأييد نفوذها ازاء نفوذ النمسا واهم هذه المدارس ان لم يكن احسنها في اشقودره وعدا ذلك فلا مدارس في البلاد كلها ولا اثر للتعليم فيها حتى ان اللغة الالبانية نفسها ليس لها اجرومية لضبط قواعدها . واكثر الاهالي اميون

وقد روى السائحان الانكليزيان اللذان كتبا هذه المقالة انهما حضرا قداساً أُقيم في الجبال تحت القبة الزرقاء وكان منظر الالبانيين عجيباً مدهشاً فانهم لما جاؤوا للصلاة نزعوا عنهم سلاحهم وعلقوا بنادقهم على الاشجار وكانوا يركعون ويسجدون بكل خشوع امام هيكل بسيط نُصب امامهم مع انهُ كان بينهم نزاع وقتال وقبيل هذا الاحتفال بيومين قتل صبيان منهم عمر احدهما ١٥ سنة والآخر ١٦ سنة رجلاً رمياً بالرصاص على مسافة ٤٠٠ قدم . وهم اذا ارادوا قتل امرىء فلا يهابون احدًا . فيختبئون خلف صخرة ويطلقون الرصاص عليهِ واحياناً يحزون رأس القتيل ويأتون بهِ الى منزلهم كعلامة انتصار ليشاهدهُ اقرباؤهم واصحابهم ويعجبوا ببسالتهم. ولا يستصعبون ذلك بل يعدونهُ من اسهل الامور عليهم

ولكل قبيلة رئيس تخضع لهُ ويعيش اعضاؤها سوية كعائلة واحدة لا يتنازعون فيما

بينهم ولكنهم كثيرًا ما يتقاتلون مع القبائل المجاورة لهم . ويفصل في المسائل الجزئية شيخ البلد وليس لهم سجون فاذا ارتكب احدهم جناية كبيرة ارسلهُ الرئيس الى تركيا ليسجن فيها . واذا كانت الجناية صغيرة حكم على الجاني بالوقوف تحت شجرة او في زريبة البقر مدة تختلف من ساعة الى خمسة عشر يوماً . وهذا العقاب يشابه كثيرًا الاقتصاص من الاولاد في المدارس

وقد يجتهد الحكام الاتراك احيانًا بتأييد سلطتهم على هذه القبائل ولكن بلا جدوى كما ترى من الحادثة الآتية . وهي ان رجلاً من الالبان ضبطهُ رجال الحفظ في احدى المدن لقتلهِ آخر فأرسل الى السجن ليعاقب على ما جنتهُ يداهُ فنزلت من الجبال عصابة من قبيلتهِ واخبرت الوالي انهُ اذا لم يطلق سراحهُ ويرجعهُ معها في مدة اربع وعشرين ساعة تهجم القبيلة كلها على البلد وتحرقها فامتثل الوالي وافرج عن رفيقهم. والالبان معفون من الخدمة العسكرية لا تأخذ الدولة جندًا منهم ولكن اذا حدثت حرب يقدمون انفسهم للخدمة متطوعين

ومن عوائد اهالي هذه البلاد الاخذ بالثار وهو شائع عندهم شيوعاً كبيرًا فاذا قتل رجلٌ واحدًا من قبيلتهِ او من قبيلة أُخرى والتجأ حالاً الى منزل اقرب قريب للقتيل وشرح لهُ واقعة الحال وجب على هذا القريب حماية الجاني ما دام تحت سقف بيتهِ وعليهِ ايضاً ان يوصلهُ بسلام الى حدود اراضي القبيلة ولكنهُ يقول لهُ عند ما يفترق عنهُ ان حمايتهُ لهُ قد انتهت الآن فيحق من بعد ذلك لاقارب المقتول قتل الهارب في اي مكان وجدوهُ حتى ولو بعد مضي سنين ولا ينجو ابنهُ او حفيدهُ بل يؤْخذ منهم بثار من قُتل. في بعض الاحيان يجوز للقاتل ان يدفع دية المقتول وهي تختلف من مئتي جنيه الى الف جنيه حسب منزلة القتيل ولكن الصلح الذي من هذا القبيل لا يخلو من خطر ولو كان كلام الشرف عند الالباني ضمانًا على صدقهِ

واذا قتل رجل آخرَ من قبيلة مجاورة لقبيلتهِ فلا يفتش اقارب القتيل واصحابهُ عن القاتل نفسهِ بل يقتلون حالاً اي شخص يلقونهُ من عائلتهِ او قبيلتهِ ولكن اذا اهان القاتل المقتول فلا ينجو حينئذٍ من القصاص مهما فعل واذا هرب فيؤْخذ الثار من اقرب اقاربهِ وقد يحدث مرارًا ان القاتل لا يهرب مع علمهِ انهُ سوف يقتل لكي لا يقع حيف على اقاربهِ

روى كاتبا هذه المقالة خبرًا من هذا القبيل شاهداهُ باعينهما قالا

كنا نجول يوماً في احدى المقاطعات الالبانية فطرق آذاننا بغتة صوت اطلاق البنادق ثم رأينا الفلاحين الذين كانوا يعملون في حقولهم قد حملوا بنادقهم التي لا تفارقهم ابدًا وجعلوا يركضون نحو غابة مجاورة وهم يحشون بنادقهم بارودًا وبعد قليل ابصرنا رجلاً يسرع الينا ويستنجد بنا ولم يكن الاَّ كلمح البصر حتى احاطت بنا شرذمة من الالبان وهم مدججون بالاسلحة يصيحون

ويصخبون فما زلنا نلاطفهم ونلاينهم حتى خلّصنا الرجل منهم وكان شابًا بهي الطلعة وحكايتهُ كما اخبرنا هي ان امرأة متزوجة احبتهُ فلم يعبأ بها فتهددتهُ بكسر مغزلها امامهُ اذا لم يحبها وذلك يعد عند النساء الالبانيات اكبر شيء تهدد بهِ المرأة الرجل الذي يرفض حبها او يهينها ومعناهُ انها سوف تقتلهُ بيدها او تسلط رجلاً آخر عليهِ . فلما لم يرَ بدًّا من اجابتها اختار اهون الشرين وحملها الى منزلهِ ومن ذلك اليوم صارت حياتهُ تحت الخطر لان زوجها من اهل اليسار ولما رآها هربت مع عشيقها اعلن انهُ يعطي مبلغًا وافرًا من المال لمن يأتيهِ برأسهِ فكثر طالبي هذا المسكين والالبانيون لا يستكبرون قتل رجل بريء فكيف يكون حالهم اذا علموا ان من وراء عملهم مغنمًا فبينما كان يشتغل في حقلهِ اطلق عليهِ رجل بندقيتهُ فقابلهُ بالمثل فرماهُ جريحًا وهرب الينا ومن بعد ما قصَّ علينا حكايتهُ اخذنا العجب لما رأيناهُ راجعًا الى منزلهِ ولم يطلب منا الاَّ بندقية جديدة وبارودًا حتى يمكنهُ على الاقل ان يدافع عن نفسهِ لان بندقيتهُ كانت قديمة ولم يكن معهُ الاَّ قليل من الذخيرة

ولما سألناهُ ان يبقى معنا اجابنا كيف يمكني ان اهرب واخوتي يعيشون هنا ويملكون حقولاً واراضي فاذا هربت يقتلونهم لا محالة فتعجبنا من شجاعتهِ وشهامتهِ ولا بد ان يكون قد لقي حتفهُ الآن . وامثال هذا كثيرون في هذه البلاد لا يعلمون في اي ساعة يلقون حتفهم وعوضًا عن ان يهربوا و يعرّضوا اقاربهم للخطر تراهم يلبثون في منازلهم ينتظرون الموت بقلوب واجلة وعيون شاحبة

ومن غريب تلك العوائد ان النساء على انحطاط منزلتهن عند الالبانيين تراهم يحترمونهنَّ كثيرًا في مسألة الثار وقتل المرأة يُعدُّ عندهم جناية لا تغتفر وعارًا على القبيلة يلزم ازالتهُ بكل الوسائل حتى ان المرأة اذا وقفت الى جانب زوجها فلا يمكن لاحد ان يطلق عليهِ بندقيتهُ خوفًا من ان يصيبها بسوء

واشقودره عاصمة البلاد الالبانية تحتوي على نحو اربعين الف نسمة جلُّهم من المسلمين وبها حامية كبيرة من الجند الشاهاني وهي مقسومة الى قسمين قسم يسكنهُ الافرنج وقناصل الدول ويدعى حيّ القناصل وقسم يسكنهُ الوطنيون ويدعى حيّ الاسواق ولا يسمح للالبان سكان الجبال دخول المدينة الاَّ اذا كانوا عزلاً من السلاح فترى الذين يؤمونها منهم يوم السوق يسيرون في الازقة وليس عليهم سوى حزام فيهِ الخرطوش

ويصادف الغريب الذي يقدم هذه المدينة صعوبات جمة من العمال الاتراك الذين يؤشرون لهُ على ورق جوازهِ ما لم يكن قادمًا من جهة الجبل الاسود بطريق البحيرة وفي عزمهِ مبارحة

البلدة حالاً . وكذلك ينتش عال الجمارك القادم بكل شدة ولكن يمكن تخفيف ذلك ببعض دريهمات يعطيها المسافر للعامل وتمنع الدولة ادخال الاسلحة الى هذه البلاد ومع ذلك ترى كل واحد من الالبان يحمل السلاح وهذا من الغرائب

والقسم الذي يسكنهُ الاجانب نظيف مرتب منظم خلافاً لحي الاسواق فان طرقهُ معوجه وتكثر فيهِ الاقذار كما هو الحال في اغلب المدن الشرقية

ويقيم في اشقودره اسقف البانيا الكاثوليكي وفيها كنيسة كاتدرائية كبيرة

وستنتهي المسئلة البلقانية يوماً الى نزع الاستقلال النوعي الذي تتمتع بهِ البانيا الآن ولكن الدولة التي تكون هذه البلاد نصيبها تصادف صعوبات في اخضاعها اكثر مما لاقت النمسا في اخضاع البوسنه والهرسك. ونفوذ النمسا الآن عظيم بواسطة الكنيسة ولهذا السبب قد عينت لها في اشقودره قنصلاً جنرالاً وقنصلاً ووكيل قنصل

توفيق كلداني

عروسة النيل

الفصل السادس والعشرون

كان مضجع اوريون تلك الليلة مضجع العاشق الواله يطارد فيهِ الوجدُ الكرى ويهزم الحنين الراحة فظل يتقلب على مثل شوك القتاد حتى انشقَّ الفجر فنهض وارتدى ثيابهُ وركب جوادهُ وسار يطلب الفسطاط ليُودِع صالحاً اخا هاشم التاجر نصف مال باولين عملاً بما اتفقوا عليهِ وكان الطباق بين المدينتين مدينة الفراعنة وعاصمة العرب على اتمهِ فبدت هذه بمظاهر النشاط والشباب وازوت تلك وعليها امارات الضعف والانحطاط والشيخوخة حتى خيل لاوريون ان منف جثة محنطة في العدوة الواحدة والفسطاط شاب في مقتبل العمر وشرخ الشباب في العدوة الاخرى . واكبر ما رأى في وجوه العرب من سيماء النجابة والنشاط فانَّى التفت ابصر عيوناً ينبعث منها الذكاء وحدَّة الذهن ووجوهاً ارتسمت فيها البسالة والاقدام وانوفاً شماء ابى اصحابها الاَّ الانتصار على المصاعب وتذليل العقبات فسار في الشوارع المزدحمة بالخلق حتى وصل الى حانوت صالح فترجل ودخل يتبعهُ نياس خازنهُ وفيما هما هناك ابصر عبادة بين المارَّة فحيَّاهُ هذا تحية الصديق فردَّ اوريون التحية باحسن منها لكنَّ انقباضهُ من الرجل عاودهُ وخطر ببالهِ ما قالهُ عمرو. وعاد عبادة فمرَّ بهِ ثانية وثالثة فادرك اوريون انهُ لامرٍ ما يفعل ذلك لكنهُ لم يكد ينجز ما جاء لاجلهِ حتى نسي عبادة ولما قضى غرضهُ رجع الى منف وسار توًّا الى البيت فرأى

لدار غاصة بالاتباع والحشم وقيل لهُ ان البطريرك في البيت ثم اتاهُ سبك القهرمان فقال لهُ "امك تدعوك اليها" فتبع القهرمان على مهل حتى دخل عليها فحيَّا البطريرك بالتعظيم ووقف مطرقاً برأسهِ فقال البطريرك اهلاً وسهلاً بابن صديقي الحميم فقد تركتك يافعاً واراك اليوم رجلاً كامل الخلقة بهيَّ الطلعة اما وقد انهيت حديثي مع امك فساخصك بجزءٍ من وقتي وشيءٍ من ارشادي . فاجاب اوريون وقال هلمَّ بنا الى مكتبة ابي وتقدمهُ فتبعهُ البطريرك حتى اذا ما صارا هناك قال اذاً انت حفيد مينا العظيم وابن جريج المقوقس الذي كان حاكم قطيعي المحبوب في منف فهات يدك

— امرك مطاع يا مولاي لكني اظن انهُ لا يحلُّ للابن ان يصافح العدوَّ الذي لم يستأصل الموت عدوانهُ فاهان الاب في قبرهِ واهان باهانتهِ الابن ايضاً

— لا يصعب على المسيحي ان يغفر لعدوّ خاطئٍ ما اقترف من الذنوب وان من دواعي السرور عندي الصفح عن فتى يزعم انهُ أُهين باهانة والدهِ المتوفى فغيظك لا يؤذيني ولكنهُ دليل على حاجتك الى تلك الصفات التي يجب على المسيحي ان يتحلى بها اعني الطاعة والتقوى والتسليم فاعلم اذاً انني كبطريرك هذه الامة اطالب كل يعقوبي بالخضوع لاوامري دون تردد كأنها اوامر العلي فماذا يكون من امرنا اذا تفرقنا وسار كل واحد منا في السبيل الذي يهواهُ فلا يمرُّ بنا قرن واحد حتى تتداعى اركان ايماننا وتتفرق ايدي سبا فتعلَّم ايها الفتى المعجب بنفسهِ المدل بمقامهِ وشبابهِ الخضوع لامر الله وارشاد نائبهِ واصغِ الى ما اقولهُ لك ترَ وجه الخطإ في سوءِ ظنك بي فانت تدعوني عدوّ ابيك اخطأت فقد كنت احبهُ محبة الشقيق لشقيقهِ وكنت اودُّ لواستطيع ان امطر على ضريحهِ سحائب الرحمة والرضوان اللذين تسحهما الكنيسة وحدها

— لكنك حرمت صديقك الحميم هذا الذي تدعي حبهُ من نعمةٍ تمنحها الكنيسة لاشقى اللصوص والقتلة اذا تابوا وحلَّهم الكاهن من ذنوبهم

— وابوك حلَّهُ الكاهن — نعم انني حظرت على رجال الدين الاحتفال بدفنهِ أفتعلم علة ذلك

— اردتَ ان توصمهُ امام الملإِ بوصمة تسليم البلاد الى الغزاة

— اراك تحسن قراءة الافكار فهب ان غرضي كان تشهير ابيك في عيون اهل منف فاريهم العقاب الذي يحل بمن يسلِّم بلادهُ الى العدوّ أفلا يصح ان اكون مصيباً في ما فعلت وان كنت مصيباً فهل أُلام على ما فعلت

— اتزعم انَّ ابي دعا الغزاة الى مصر

— كلاَّ فقد اغار العرب عليها من تلقاء انفسهم

— الم تتنبأ ايام كنت في المنفى الذي نفاك اليهِ الروم ان العرب سينكلون بالروم ويجلونهم عن هذه الديار

— نعم فقد كان الامر كذلك بحسب ما اوحى بهِ الله اليَّ على انهُ كشف لي الستار عن امور اخرى ايام محنتي فاحذر يا فتى لئلاَّ تتمَّ النبوة بامرها فيسقط بيت مينا ويمحى اثرهُ فيصبح كالعصافة التي تحملها الريح وتذرّيها في انحاء الارض

— ان نبوتك اثرت في ابي تأثيرًا عميقاً فلما غُلِب الروم وافتيتَ انهم كفرة كانت فتواك اكبر معزٍّ لهُ واقوى سند يستند اليهِ ويعلم الله انهُ كان يكرههم كرهاً شديداً بعد ان قتلوا ابنيهِ ولكنك لو قرأت كتابهُ الذي بعثهُ الى الامبراطور يبرئ فيهِ نفسهُ من تهمة الخيانة لا تضح لك حرج موقفهِ وشدة حكمتهِ فقد قال فيهِ

" ان هؤلاء العرب على قلتهم اقوى منَّا على كثرتنا وواحدهم بالف تراهم يطلبون الموت ويفضلونهُ على البقاء ويخوضون غمار القتال كمن لا وطن لهُ ولا اهل يعود اليهم ويعدون من يسقط منهم قتيلاً في حومة الوغى شهيدًا مصيرهُ الجنة وهم ابعد الناس عن حب زخارف الدنيا ونعيمها اما نحن فنكرهُ الموت ونحبُّ الحياة فلن نقوى عليهم "

— وما الذي تستخلصهُ من هذه الرسالة

— ان ابي لم يسلّم البلاد الاَّ مضطرًا

— لكنهُ لم يكتفِ بذلك بل انحاز الى العرب فصادقهم واحبهم وفي ذلك اثم كبير ألا ترى انهُ في كتابهِ هذا مدح شدة تعبدهم وتدينهم

— ان ابي كان منطويًا على حبّ العدل مطبوعاً على الاستقامة لا يراعي فيها خليلاً ولا يفرق بين الصديق والعدوّ

— قلت لك انهُ مال الى العدوّ فلمَّا آنس منهُ شعبنا هذا الميل اخذوا يقلدونهُ فانزاح الوف منهم عن معتقدنا واعتنقوا ايمان العرب بعد ان رأوا واليهم الحكيم يمالئهم ويعدهم خير اصدقائهِ فرأيت ان اتغلب على حبي لهُ وصداقتي لبيتهِ حفظاً لركن الدين ان يتهدم فخطرت على رجال الدين ان يكرموهُ الاكرام الذي يستحقهُ فاخفض من غيظك واقبض على اليد التي يقدمها اليك راعيك . فصدع اوريون بالامر كارهاً وحينئذٍ غيّر الحبر مجرى الكلام فاخذا يبحثان في مواضيع شتّى حتى جرّها الحديث الى الجواهر فسألهُ البطريرك عمَّا اتضح من امر الزمردة فاجابهُ اوريون ان التحقيق لم يكشف لهم الحقيقة الى ان قال ولم يقصد ابي ان تكون الزمردة في جملة ما اهداهُ الى الكنيسة وكان يتكلم وهو يخشى ان امهُ وسوسنة اطلعتا البطريرك على ما جرى

بشأنها امَّا هذا فاصرٌ على طلبهِ وامرهُ بتجديد البحث زاعماً انها ملاك الكنيسة فقال واذا لم تأتِ بها اتخذت جميع الوسائل للحصول عليها فوعدهُ اوريون خيرًا وحينئذٍ وقف البطريرك وقال والغيظ بادٍ في وجههِ

— لقد عجمتك يا ابن المقوقس وبلوت سرّك فعرفت انهُ ينقصك التواضع وعلمت انك لا تزال تجهل سلطة الكنيسة ونفوذها وقد ادركت ممَّا فاهت بهِ والدتك انك على شفا جرف هارٍ فقد حدثتك نفسك بالتزوج بابنة ملكية فعللت نفسك بالتمتع بملذات هذه الدنيا الفانية والتلهي بغرورها وكأن ذلك لم يشبع مطامعك فذهبت الى الفسطاط وعرضت ان تتطوع في خدمة الغزاة فاعلم اذًا انني لا آذن لاغنى قومي وارفعهم مقاماً واعرضهم جاهاً ان يضلَّ الوف اليعاقبة بسيرتهِ فاطعني او يأتيك زمان تذرف فيهِ الدمع دماً ثم سكت ساعة وقال وقد اتيتك اليوم آمرك بقطع الربط التي تربطك باعداء امتك ودينك فانزع من قلبك حب الفتاة الملكية فان حبها يطوّح بك في مهاوي الهلاك

فثارت عزة النفس في اوريون ولم يطق السكوت فصاح قائلاً

— لن اقلع عن حبها فافعل ما تشاء فانا ابن الكنيسة وسابق بنعمة الله في حظيرتها كما كان آبائي من قبلي لكنني لا اهجر الفتاة التي احبتني وكانت رسول السلام اليَّ فارشدتني الى الواجب الصحيح فاعلم انني لست بناسٍ عظم سلطتك ونفوذك فمرني اطعك على ان لا تبغي المستحيل فلست بناقضٍ عهدي معها لابرهن على اخلاصي لك اما العرب .... فقاطعهُ البطريرك وقال

— حسبك ما قلت فهانذا مسافر الى الصعيد وعليك ان تقرَّ على رأي ما قبل عودي منهُ فتختار لنفسك ما يحلو وانت في سعة من الوقت فزواجك بالملكية المرطوقية على رفعة مقامك لممَّا لا يطاق امَّا صداقتك للعرب فسنرى فيها في فرصة اخرى فاذا اطعتني في امر زواجك — ولك ان تختار اية فتاة يعقوبية بعدها — عاملتك باللين والرفق وعضدتك ومنحتك بركة الكنيسة بدل لعنتها

— لا استطيع ذلك ولا افعلهُ ولن افعلهُ

— اذًا في استطاعتي اكراهك عليهِ وحينئذٍ تحسّ بثقل وطأتي

— لا ريب عندي في قدرتك ولكن اذا احرجتني اضطررت ان اطلب السعادة التي تتعطش اليها نفسي في عدوة النيل الشرقية

— لا اراك تجسر على ذلك ثم خرج من الغرفة وهو يتميز غيظاً

الفصل السابع والعشرون

فجلس اوريون يفكر في ما دار بينهما واحسَّ بان البطريرك سبر غوره وانتزع سرَّهُ فاشتدَّ بهِ الحنق والغيظ وقال في نفسهِ لقد احسنت امي في كتمانها عنهُ خبر لعنة ابي لي على فراش الموت ولكن من يضمن لي انها لا تبوح بهِ اذا عاد اليها واستطلعها طلعها. وفيما هو كذلك فطن الى ان البطريرك خرج وحدهُ فشق عليهِ ذلك لعلمهِ انهُ خرق في حقوق الضيافة والآداب فاسرع الى الدار واذا بامهِ هناك والبطريرك يودعها فدنا منهُ اوريون مودعاً فتلقاهُ باسماً كانهما صديقان حميمان وفيما هما سائران نحو الباب رأى البطريرك تمثالين من صنع اليونان يمثلان العدل والحق وفي يد العدل سيف وفي يد الحق مرآة ينظر فيها فوقف وقال

— ارى اباك اغضى عن اشارتي برفع هذين التمثالين فليس بيت المسيحي مكانهما لاسيما بيتاً كهذا تقصدهُ العامَّة من اطراف البلاد اما نحن فندرك الغرض المقصود منهما واما العامة فلا وقد يؤَولون ذلك الغرض على خلاف المطلوب واودُّ ان لا اراهما في هذا المكان بعد عودي اليهِ ولما بلغا الدار السفلى لثم اوريون يدهُ وجثا الحشم والخدم فركب مركبة سوسنة وعاد اوريون الى امهِ وهو يحسبها معياة بعد مقابلتها للبطريرك فاذا هي على خلاف ذلك فداخلهُ العجب واخذ يسائل نفسهُ عما حدث فدعتهُ الى مرافقتها الى الكنيسة فلبى الدعوة وركبا مركبتها وفي الطريق طفقت تكلمهُ في امر زواجهِ بباولين قائلة اني اسمع صوتاً في قلبي يحدثني بخراب بيت مينا اذا اختلط دمنا بدم الملكيين وقد زادني حديثي مع البطريرك ايقاناً بصدق هذا الهاجس فتوسل اليَّ البطريرك ان اقنعك بهجر ابنة توما فعلمت ان الصوت صوت الله . فاخذ اوريون يبدد اوهامها وحاول ان يسكن مخاوفها وينزع اضطرابها فذكَّرها بوعدها لابيهِ وهو في النزع وما قاستهُ باولين من جرَّاء تردده وما زال كذلك حتى بلغا الكنيسة فلبث فيها نحو ساعتين وفيما هما عائدان الى البيت استولى التعب على نفورس فاسندت رأسها الى كتف ابنها ونامت فلما وصلا الى المنزل دعا الخدم فحملوها الى غرفتها وهي نائمة ولما فرغوا فارقها وذهب تواً الى غمالائيل الصيرفي فابتاع منهُ الماسة غالية وكلفهُ ان يرسلها الى اخيهِ في القسطنطينية وذاك يدفعها الى نسيبة يوستينوس ثم جلس الى مكتبتهِ فخطَّ كتاباً اليها يتوسل فيهِ ان تعيد اليهِ الزمردة مستعيضة منها بالالماسة وبعد ان ختم الكتاب عاد الى البيت فتناول الغداء وسأل عن ماري فقيل لهُ ان الحمى عاودتها فاسرع الى غرفتها وقرع الباب وانتظر بضع دقائق قبل ان سمع ماري تدعوهُ الى الدخول فدخل ورآها مضطجعة في سريرها بقرب النافذة وعلى مائدة امامها باقتان من الازهار احداها ذابلة والثانية نضرة فراعهُ ما رآهُ من شحوب لون الفتاة

وضعفها وتنبه الى احمرار وجنتيها فعلم انها الحمى فهشت لهُ ماري واومأَت اليهِ بالجلوس فجلس بجانبها وامسك يدها وقال ازارتك جدتك اليوم فهزت الفتاة رأْسها وبدا الحزن في وجهها فسأَلها قائلاً "ومن اتاك بهذه الازهار" فاضطربت ولم تجب ولم يخفَ عليهِ علة اضطرابها فندم على سوءَالهِ ثم اجال نظرهُ في الغرفة فرأَى مروحة من ريش النعام فقال وما هذه فصبغ الاحمرار وجهها ووضعت اصبعها على شفتيها علامة السكوت فقال اذاً كاترينا هنا وهذه مروحتها فاين هي الآن فاشارت الى الغرفة الملاصقة فهمس اليها وقال وما غرضها من المجيء فقالت

— اتت سرًّا في قاربها وكانت قد سبقت فارسلت انوبيس يسأَلني عما اذا كنت اسمح لها بالمجيء فاجبت بالايجاب ثم اخذت تبكي فقال اوريون

— علامَ البكاء فقد اتيتك بشارة تفرحكِ . رأَيت باولين امس فكلفتني ان احمل اليك وهي تدعوك الى الذهاب الى بيتها والاقامة فيهِ ريثما تبرئين فاكتمي السرَّ حتى اتمكن من اقناع جدتك بوجوب نقلكِ وقد اطلعتكِ عليهِ كي تسرّي فتنامي الليل فلما سمعت كلامهُ غلب السرور عليها حتى ابكاها وحينئذٍ سمعا المهذبة تخاطب شخصاً في الغرفة الاخرى وتقول علامَ هذا التمنع فماري تسرّ برؤْيتك ومن لا يفرح لرؤْية اصدقائهِ ثم دفعت كاترينا الى حيث كان اوريون وماري وتبعتها فلما ابصرت اوريون ارتاعت وجمدت في مكانها والتقت عين اوريون بعين كاترينا وساد السكون برهة فاراد اوريون ان يخفف بعض جزعها فسأَلها عن كلبها فقالت ربطتهُ في دار الطير لان البطريرك لا يطيق الكلاب

— وقد رأَيتهُ لا يطيق بعض الناس ايضاً

— ذلك اذا كانوا لا يطاقون . واستمر الحديث بينهما على هذا النمط بين اخذ ورد حتى قاربت الشمس المغيب فهبت كاترينا من مكانها مذعورة وقالت

— لقد فات الوقت واخشى ان ابطيءَ في العودة وقد تركت قاربي في مرفإِكم افلا تزال الخزينة مفتوحة فانسلُّ منها ولا يراني احد من اهل القصر

— لكنَّ اليوم عيد والخزينة مقفلة . فشق هذا الخبر على كاترينا وبدا الجزع في وجهها واخذت تضرب اخماساً لاسداس اما اوريون فكان يفكر في وسيلة لقطع زياراتها لماري لعلمهِ ان هذه الزيارات تعود على ابنة اخيهِ بالضرر فلما شاهد اضطرابها قال لها لا تخشي شرًّا فمفتاح الخزينة معي وانا ارافقك الى المرفإِ فنهض الاثنان وسارا معاً فاستطرقا الى الخزينة ومنها الى الباب المشرف على النيل فاخرج اوريون المفتاح من جيبهِ وهمَّ بفتحهِ لكنهُ تردَّد ثم دار الى كاترينا وقال

— ما الذي يدفعك الى زيارة ماري . فاستولى عليها الخوف واثرت فيها سكينة المكان فترددت في الجواب خشية ان تعترف بالدافع الحقيقي فانها جاءت لتطلع ماري على ما تمّ بين اوريون وباولين ظنًّا منها ان الفتاة تنقل الخبر الى جدتها فتعود هذه الى اعتراض ابنها كالاول فلما سألها اوريون سكتت برهة ثم قالت شوقي الى ماري فقال قد يكون الامر كذلك وانما يجدر بكِ ان لا تستسلمي الى شوقك فقد اعلنت امك كرهها لنا على رؤوس الاشهاد ولست اشاء ان يقال اننا نرحب بكِ في بيتنا كي نعصي اوامرها ونواهيها فاذا رأيت ماري فلا تحدثيها بما يهيجها فانها سريعة الانفعال ضعيفة المزاج شديدة الذكاء وهي في حاجة الى الراحة لا سيما ساعة المرض ولا يخفى عليك ان البطريرك عدوٌّ لي ولاهل بيتي وقد سمعتِ ما دار بيننا اليوم من الحديث فوقفت منهُ على اشياء تهمك معرفتها طبعاً وقد تستخدمينها لنيل غاياتك. فامتقعت كاترينا وادركت انهُ مصيب في كلامهِ فصارت تتقلب بين الحيرة والغيظ والخوف ثم قالت

— ليس لهذا الكلام من داعٍ فلن ادخل بيتكم ابداً ولو عرفتُ . . . .

— انك ستلقينني لما جئتِ اليوم

— نعم ولا انكر انني سمعت ما دار بينكما من الحديث كما قلت واي امرىءٍ لا يشتاق الى الوقوف على ما يدور بين العظماء وكلاكما اعظم مَن عرفت بعد ابيك وهذا خُلقُنا نحن النساء ورثناهُ عن امنا حوَّاء حتى ان التطفل يدفعنا الى اعمال غريبة امَّا انا فسيئة البخت في ارتكاب الذنوب فقد اذنبت مرة بفضل اغرائك وجهلي فهدم ذنبي سعادتي ثم اذنبت اليوم ولم انجُ في الحالين

— فهمت تعريضك وعتبك عليَّ في مكانهِ فاحمدي الله على انفصالنا فنحن لم نخلق لنقضي الحياة معاً ولو فعلنا لجلبنا الشقاء على نفسينا طول حياتنا واعلمي انني لم انجُ من تبعة ذنبي كما تتوهمين بل اصبت اعظم الجزاء واشدَّ العقوبة

— قد يكون ذلك كما تقول ولكن هيئتك لا تؤيد دعواك فانك لم تلبث سوى بضعة ايام حتى عدت الى تلك الفتاة فاقنعتها بحبك لها وعادت المياه الى مجاريها

— حسبك ما قلتِ ثم فتح الباب فاعترضتهُ وقالت

— لا تظن انني اكترث لوقائع حبك او يهمني امر باولين لكنني لا اخالك تنكر انك مديون لي ببعض الشيء فهل لك ان توفي دينك فتجيبني على بضع اسئلة اطرحها عليك

— حبًّا وكرامة فاسأليني اجبك

— هل عرف غيرك انني استرقت السمع — كلاَّ

— وهل تعدني انك لا تبوح بالسر

— نعم فهاتي السؤَال الآخر. فترددت برهة ثم قالت قد تخالني معتوهة ولكني سأسألك ولو كلفني ذلك ما لا اطيق احتمالهُ فاقسم باعز الاشياء لديك انك تجيبني صدقاً وتقول حقاً

— ولكن قد يحدث ان يشمل سؤَالك غيرنا فلا استطيع اجابتك

— كلاَّ فالسؤَال وجوابهُ خاصَّان بي

— اذاً قبلت فاسأَلي

— لا افعل ما لم تفتح الباب حتى اذا فرغت من كلامي تمكنت من الفرار دون ان تعيقني فناولني كرسياً فلما فعل جلستْ وقالت ان عليك رقباء من البطريرك يتجسسون اعمالك ويتنسمون اخبارك وقد درى بزيارتك عمرًا ليلة سرت اليهِ في الفسطاط ووقف على ما دار بينكما ولما اجتمع بعمروٍ مؤخرًا انباَهُ هذا بما اقرَّ عليهِ من اقفال نصف اديرة الرهبان والراهبات في هذه البلاد وذلك لأنَّ عمرًا لم يفتهُ ان هؤلاء يقضون اوقاتهم في ممارسة الصناعات المختلفة ولما كانوا لا ينفقون على طعامهم ومسكنهم استطاعوا ان يزاحموا العمال من العامة فيبيعوا سلعهم باثمان لا يتسنى لاولئك مناظرتهم فيها فرأى ان ذلك يعود بالضرر البليغ على الاهلين والصنَّاع منهم لاسيما صنَّاع المسلمين فاصرَّ على اقفال الاديرة لكنهُ لقي من البطريرك مقاومة عنيفة ولم يسلّم هذا بمطلب ذاك حتى وعدهُ بأن يملكهُ دير راهبات الروم في منف فيضع يدهُ عليهِ ويستولي على جميع عقاراتهِ ومنقولاتهِ فعند ذلك اتفقا واقرَّا على اقفال الدير بعد ثلاثة ايام وامر البطريرك بنفي الرئيسة الى احد اديرة اثيوبيا وبنقل سائر الراهبات وتوزيعهنَّ على الاديرة الاخرى

— اهذا مجمل ما عندكِ — نعم

— ولكنكِ ذهلتِ عن سؤَالك فانا مستعد لاجابتكِ

— حسبتك لا تفعل وقد كنت اخالك تعاف رؤْيتي بعد الذي جرى فاذا الامور على خلاف ما ظننت فقد اسأْت اليَّ ولكني لست حاقدة عليك ولست من اللواتي اقعدهن الدهر والسنون فانا بحمد الله غنية جميلة صغيرة السنّ والمستقبل امامي متسع الارجاء ولعلَّ خطيبي الثاني يكون اوفى عهدًا من الاول فلا ينبذني كما فعل هذا

— اودُّ لو كان في طاقتي التكفير عن ذنبي

— لا تحتاج اماًّ وقد هان لي ان اطرح سؤَالي عليك فاجبني جواباً صريحاً كما اقسمت ان تفعل . أتذكر ليلة كنَّا معاً في البستان فجلسنا في ظلّ تلك الجميزة ساعة اقسمت انك تحبني

فوق كل شيء ودعوتني منية فؤادك وزهرة عمرك أنفلتَ ما قلت حينئذٍ مخلصاً وكان حبك صادراً عن فؤادك وكنت تحبني كما تحبّ تلك التي لا اسميها اليوم . ولما قالت هذا صبغ الاحمرار وجهها وبرقت عيناها وبدا حبها لهُ فلم تستطع اخفاءهُ وكادت تسمع باذنها خفقان قلبها واحسَّ اوريون بما كان يخامرها فتمنى لو ان في استطاعتهِ ان يعود الى حبها وكاد يجيبها جواباً يخفف بعض جواها لكنهُ تشدد وقال

— ان حسن طلعتكِ اليوم يوازيهِ جمالك في تلك الساعة ولست انكر ميلي اليكِ حينئذٍ علي انَّ الحبَّ الصحيح الذي يحلّ في قلب المرء فلا يفارقهُ طول حياتهِ لا يأتي مرتين فتناسي ما حدث وعدّلي سؤالك بعض التعديل واطرحيهِ ثانية عليَّ اجبك عنهُ . . . . لكنهُ لم يكد يتم كلامهُ حتى مرقت امامهُ مروق السهم واسرعت الى المرفإ

الفصل الثامن والعشرون

فوقف اوريون ينظر اليها وقد غلب عليهِ الحزن وتولتهُ الشفقة عمّا منهُ بما تقاسيهِ ثم اخذ يفكر في ما انبأتهُ بهِ ورأى ثمت فرصة لابداء بسالتهِ وشهامتهِ فعزم على انقاذ الراهبات والفرار بهنَّ وزاد في جرأتهِ واقدامهِ خطر المشروع وما يحول دون انفاذهِ من المشقات فاقفل الباب وعاد الى البيت فلما دخل غرفة ماري اذا بالطبيب هناك وسمع الفتاة تقول لهُ اراك كئيباً اليوم وعلى وجهك صفرة الموت فاسمع يا عماهُ ان فيلبس يعالجني واراهُ احوج مني الى العلاج فاذا مرضت يا فيلبس سقيتك من هذا الدواء الذي بعثتهُ اليَّ فتعلم شدة مرارتهِ . وحينئذٍ دار الطبيب الى اوريون فتبادلا التحية وقال اوريون لي كلام معك فتردد الطبيب عن جوابهِ لكنهُ ادرك ان ماري موضوع الكلام فقال في نفسهِ لا بدَّ من القيام بالواجب قبل كل شيء فلما خلا باوريون اطلعهُ هذا على ما ينويهِ من نقل ماري الى بيت روفينس فاستاء فيلبس وحسبها حيلة من اوريون يريد بها اغتنام فرصة وجود البنت هناك للتردد على حبيبتهِ وفطن اوريون الى ما دار في خلدهِ فقال

— ان ما تفكر بهِ ابعد الاشياء عن قصدي فلست اروم سوى خير ماري فقال فيلبس

— ان الموت يحاولني في خدمتها ولن تجد في منف خيراً من باولين للعناية بها لكني اخشى ان يتخذ نقلها ذريعة لادراك غاية اخرى فاذا اصاب حدسي . . . .

— اخطأت في تهمتك فلست ابغي سوى انقاذ ابنة اخي وفضلاً عن ذلك فبيت روفينس سيكون مفتوحاً لك كل يوم فاذا آنست ما يؤيد ظنك حق لك اتهامي ولا اكتمك انني سانفصل عن منف قريباً فقد دسَّ بعضهم دسيسة للايقاع بقوم بررة فعزمت على ردّ كيدهم

في نحرهِ ولو هلكت وستعلم انت وغيرك ان في استطاعتي الاقدام على عمل الخير والابتعاد عما يشين المرء وليس من العدل تضحية هذه الفتاة على مذبح مناظرتنا في حب باولين

— اصبتَ ورأيي كرأيك نعم مساء فاوقفهُ اوريون وقال لا تأخذك الحدة ولا تنقم عليَّ فباولين لم تفشِ سرَّك ولكنني اكتشفتهُ بنفسي ليلة رأيتك عندها نحو نصف الليل فاكلتني الغيرة اذ علمت ان لي مناظرًا في حبها فافرغ غيظك عليَّ وقل فيَّ ما تشاء بشرط ان تنقذ ماري . فوقع هذا الكلام في نفس فيلبس احسن وقع وادرك ان خصمهُ ممن تثمر الصنيعة فيهِ فزال غيظهُ وعاودهُ الحنان فوعد اوريون بانهُ يبذل جهدهُ في اقناع امهِ لتاذن بنقل باولين ثم انصرف في سبيلهِ فاسرع اوريون الى بيت روفينس وطلب اليهِ ان يقبل ماري في بيتهِ ثم مال الى باولين فانبأَها بما تمَّ الى ان قال وليتكِ رأيتها ساعة تلقت الخبر فقد كادت تطير فرحًا ولما فرغ دعا روفينس فاختلى بهِ واطلعهُ على ما بلغهُ من عزم البطريرك على اقفال الدير وتشتيت الراهبات في انحاء البلاد وقال كثيرًا ما اهتمَّ ابي بالدفاع عن هذا الدير ومن فيهِ وارى من الواجب عليَّ اقتفاء خطواتهِ فاسعف الراهبات وانقذهنَّ . فلما سمع روفينس كلامهُ صفق صفقة الاوَّاه واخذ يندب سوء حظ ملتهِ . فطفق اوريون يعزيهِ وقال انما اتيتك للمشورة في ما يجب علينا اتخاذهُ من الوسائل التي تؤدي الى الغاية المطلوبة

— انا اتبع لك من ظلك وتراني مستعدًا لبذل حياتي في الدفاع عنهنَّ فهل وضعت خطة تجري عليها

— نعم فبعد غدٍ في مثل هذه الساعة

— وعلامَ لا يكون غدًا

— ان عملاً كهذا يستدعي استعدادًا كبيرًا لا يتمُّ في اثنتي عشرة ساعة فمتى حانت الساعة المعينة آتي بسفينة فترسو في مرفإِ الدير وفي العتمة اخذ الراهبات الى دمياط وسابعث رسولاً الى احد انسبائي في تلك المدينة فيستأجر سفينة تذهب بهنَّ الى حيث تريد الرئيسة

— احسنت فيالك من شهم كريم النفس فقد سفك الملكيون دم اخويك وهدوا ركن ابيك وانت اليوم تقابل عداءهم بالمعروف على اني لا ارى بدًا من تحذيرك العواقب فالشيخ يراها قبل الفتى فاذا درى البطريرك ان لك يدًا في انقاذهنَّ لم يهنأ لهُ عيش حتى يوقع بك

— لقد نظرت في ذلك وأعلم انني مخاطر بحياتي ولن يعيقني خوف البطريرك عن القيام بالواجب فسر الى الرئيسة واطلعها على ما دار بيننا قال ذلك وعاد الى حيث كانت السيدات فجلس يحدثهن حتى عاد روفين فالقى عصاهُ والتفت الى زوجتهِ فقال

— تشددي واتكلي على الله فقد عزمت على القيام بعمل كبير . فامتقعت المرأة وتعلقت بهِ وتوسلت اليهِ ان يفصح عن مرادهِ . قالت ذلك وهي عالمة انهُ انما يريد التغرُّب والسفر وان غايتهُ من ذلك خدمة الغير جريًا على عادتهِ . فجلس واطلعهنَّ على حقيقة الامر وانبأَهن بما عزم عليهِ من مرافقتهنَّ في فرارهنَّ فحزنت النساء وبكين لعلمهنَّ بشدة الخطر المحيق بالراهبات فقال روفينس وقد استحسنت الرئيسة الخطة كما رسمناها ونقحتها فارتأَت ان تخلف راهبة واثنتان من الاخوات في الدير ليقمن على العناية بالمرضى ويقرعن الاجراس واقترحت ان تساعدهنَّ في هذا العمل المبرور هيلانة وباولين

الفصل التاسع والعشرون

خرج فيلبس من بيت المقوقس وسار يعدو في الشوارع لايلوي على احد حتى بلغ بيتهُ فالفى ابولون يكتب كعادتهِ فحياهُ وجلس امامهُ فالتفت اليهِ هذا وقال ارى التعاسة منقوشة على جبينك وكأَنك الكلب يلحس اليد التي لطمتهُ فسكت فيلبس واطرق ساعة ثم اخبر ابولون بجميع ما دار بينهُ وبين اوربون الى ان قال ووجه الغرابة انني اكاد احبُّ هذا الفتى مع مناظرتهِ لي وقد استحسنت ما اقترحهُ من نقل ابنة اخيهِ الى بيت روفينس فان جدتها تكاد تقتلها على اني لا اعالجها مدة اقامتها في ذلك البيت وارى باولين كل يوم فتغرز النصال في قلبي

اذا عالجتها كانت النتيجة عكس ما تحسب فانك تعتاد رؤْية باولين كما هي الآن اعني فتاة جملة مخطوبة لرجل آخر وعندي ان تثابر على مداواة هذه الفتاة فاني احبها رغمًا عن كرهي لانسبائها واقلع عن السفر وانا الكفيل لك بالشفاء من علتك . فاشار فيلبس بالقبول

— فقال ابولون هيَّا بنا اذًا نترجم بعض الفصول ثم جلس الاثنان يكتبان وابولون يقول في نفسهِ اذا داوى الفتاة فلن يغادر منف وفي خلال ذلك احفر حفرة لابنة توما تغيبها

وقضى اوربون صباح اليوم التالي في اعداد ما يلزم لفرار الراهبات فارسل الى دمياط من يستأْجر سفينة تقلع بهنَّ ساعة يصلنها ثم اسرع الى المرفإِ فاستأْجر مركبًا من مراكب النيل لينقلهنَّ الى البحر فتوفق الى استخدام نوتي مشهور ببسالتهِ وخبرتهِ وبعد ذلك عاد الى البيت فاختلى بنيلس خازنهِ نحو ساعة قضياها في كتابة وصيتهِ احتياطًا لما قد يحدث من المكروه وبعد ان اتمَّ الخازن كتابة ما املاهُ عليهِ ختما الورقة بخاتميهما وامرهُ اوربون بحفظها اربعة اسابيع فاذا لم يعد فيها فتحها واعلن ما فيها على رؤُوس الاشهاد ثم يقسم تركتهُ بين الورثة بحسب نص الوصية . ولما فرغا صعد اوربون الى غرفتهِ فلقيتهُ المهذبة واخبرتهُ ان السيدة نفورس اذنت لها ولماري بمغادرة البيت والسكن في غيرهِ ريثما تشفى الفتاة وذلك عملًا باشارة فيلبس فشكرها

وانبأها بعزمهِ على السفر وطلب اليها ان تبذل جهدها في العناية بابنة اخيهِ مدة غيابهِ ووعدها خيرًا قائلاً لست ممن يكافئون خدمات الناس بالكلام فتمنت لهُ سفرًا سعيدًا وعودًا حميدًا غير عالمة وجهتهُ . وذهب يطلب امهُ في غرفتها فتلقتهُ بالترحاب فقال يا أماه سأسافر غدًا في مهمة الى الوجه البحري وقد اغيب نحو شهر فلا يقلقك غيابي فقالت ليتك تذهب الى الصعيد فتزور امرأة اخيك في ديرها فقد اتاني امس كتاب منها فحاولت قراءتهُ وجاء في الطبيب يخاطبني في شأن ماري فلم يتسنَّ لي اتمامهُ . ثم دفعت الكتاب اليهِ فتناولهُ وفضهُ فاذا بهِ مجموعة تهم وجهتها الكاتبة الى ابيهِ وكلها يشف عن تعصب وسوء نية الى ان تقول "هذا وانا بحمد الله وعونهِ مستريحة من عناء هذا العالم فقد هجرت افراحهُ واتراحهُ وجردت نفسي عن ملذاتهِ نعم ان قلبي يشتاق الى ماري واود لو تقيم معي بعد ان اصبحت رئيسة هذا الدير ولكني اخشى ان يضعف قربها تقواي فيحسن بكم ان تربوها في احد الاديرة القريبة من منف " فانتفض اوريون وقالت امهُ

— لعل ذلك امر الله ومشيئتهُ . فقال اما الآن فاهم من هذا وذاك شفاؤها من الحمى ثم ننظر في مستقبلها فلتذهب الآن حيث يريد الطبيب لعل تبديل الهواء يفيدها

وفي ذلك النهار نقلوا ماري الى بيت روفينس فلما رأت باولين انطرحت عليها وقبلتها وهي تبكي فرحًا بلقائها ثم اخذت تشرح لها ما اصابها مدة مرضها وقلبها الطاهر يفيض حبًّا ودعة فاكبَّت باولين عليها تقبلها وتمسح دموعها وتعزيها وفيما هما كذلك سمعت صوت اوريون فعلمت انهُ بانتظارها فارادت النزول اليهِ فشق عليها ان تدفع الفتاة عنها وهي على تلك الحال فتربصت مكانها حتى خف اضطرابها فاسرعت الى اسفل وسألت عن اوريون فقيل لها انهُ ذهب وترك لها رسالة فاخذتها وفتحتها ولما قرأتها صرخت صرخة النادم وتمنت لو اطاعت قلبها فقابلتهُ ولم ترجعهُ خائبًا بعد ان قضى يومهُ في استيفاء المعدات لانقاذ صديقاتها

الفصل الثلاثون

ورأى اوريون من اللياقة ان يستأذن عمرًا في السفر فركب جوادهُ وسار الى الفسطاط وكان في الطريق يفكر في باولين فقال في نفسهِ لو كان حبها لي كما تدعي لتخلت عن كل شيء واتت لمقابلتي وهي تعلم انني مفارقها غدًا وذاهب في سفر قد لا اعود منهُ

ولما دخل على عمرو واستقر بهِ المقام طفق يحدثهُ عما آل اليهِ امر الخلاف بينهُ وبين البطريرك فنهض عمرو من مكانهِ وقال لم يعد هنالك ما يمنعك عن اعتناق الاسلام فاذا فعلت وليتك عمل ابيك رغمًا عن حداثة سنك ويشق علي السفر من هذه البلاد وليس في منف عامل

من اهلها . فلما سمع اوريون هذا الكلام رأى سبل المجد والعلاء مفتوحة امامهُ وخال انهُ قبض على ناصية العز لكنهُ عاد فتذكر وعدهُ لابيهِ ولباولين فتناول يد عمرو وقبّلها قائلاً لا يغضب مولاي اذا اصررت على التمسك بديني ودين آبائي واجدادي فقد قطعت عهداً ان لا اجحدهُ . فسكت عمرو ثم اطلعهُ اوريون على ما ينويهِ من السفر وقال اتيتك مستاذناً ومودعاً فبدا الكدر في وجه عمرو وقال

— ليتك تبقى فان لديَّ عملاً جزيل النفع يعود بالفائدة والخير على اهل هذه البلاد وقد اتاني كتاب عن الخليفة يشكو قلة الخراج ويقول انهُ لم يولّني مصر ليجعلها طعمة لي ويشهد الله انني لم آخذ لنفسي ديناراً واحداً من الخراج وعندي مئة وخمسون الفاً من الفعلة يعملون في اصلاح الترع والمجاري التي اتلفها الروم فانا ازرع ليحصد الخلف وعليهِ فقد عقدت النية على العودة الى المدينة لا برئَ نفسي ولاستأذن الخليفة في اتمام هذه الاعمال على الوجه الذي تقتضيهِ مصلحتنا ومصلحة البلاد وقد سمعتك تفاخر بحب وطنك فهلاَّ تزال على حبك

— نعم ولن ازال كذلك

— اذا ففي طاقتك ان تخدم بلادك خدمة جليلة وليس ما انتدبك اليهِ بالامر السهل فقد رأيت ان احوّر تقسيم البلاد وان اعهد اليك بذلك فتستعين على القيام بهِ بمعرفتك البلاد واهلهُ مستنداً الى ما في خزائنك من الصكوك والمحفوظات واذا تبين لك ان في النظام المتبع عيباً يستحيل اصلاحهُ فاقلبهُ ظهراً لبطن ووجّه همك الى تعديل الضرائب في الاقاليم المختلفة فان الاجحاف فيها يبدو لنا كل يوم واعلم ان غيرك يحاول نفس الامر والفوز لمن يضع الخطة المثلى فاذا صدق ظني فيك فانت ابن بجدتها فلامر ما تريد الانفصال عن منف

— ان ما يدفعني الى ذلك يا مولاي عمل لا ربح لي فيهِ ولا فائدة لي منهُ ولكنهُ وعد صدر مني ولولاهُ لاطعت اشارتك من ساعتي فان عهدك اليَّ بحل هذه المعضلة اكبر ثناء عليَّ فاذا اذنت شرعت في العمل يوم اعود

ليكن كذلك فابذل جهدك فحلبة السباق متسعة واحذر الاثنين البطريرك وعبادة فليس عندي من يقوم مقام عبادة سوى القاضي عثمان وهو ليس بمقاتل وليكلأك المهيمن برحمتهِ

وفي صباح الغد دعا اوريون نيلُس اليهِ وانفرد بهِ في الخزينة ليطلعهُ على امر سفرهِ ورآهما انوبيس اخو كاترينا فعلم ان انفرادهما لامر جلل فحدثتهُ نفسهُ باستراق السمع عملاً باشارة كاترينا فصعد على السطح واكبَّ على فتحة فيهِ فلما سمع ما شاء سماعهُ من الحديث اسرع لينزل واذ خشي ان يراهُ احد الكتبة ابتعد عن السلم وامسك باحد الميازيب يريد النزول عليهِ

فانكسر الميزاب وسقط الى الحضيض فترضضت عظامهُ فصاح صيحة دوت لها جوانب المكان فهرع اليهِ الاعوان والخدم فرفعوهُ من مكانهِ . اما نيلس فلما وقف على غرض سيدهِ طار رشدهُ فاخذ يتوسل اليهِ ويستحلفهُ ان لا يغرّر بنفسهِ وافاض في وصف المخاطر التي تعترضهُ فاقتنع اوريون بصحة ارائهِ لكنهُ لم يحد عن عزمهِ وقال لقد وعدت روفينس ولا اطيق ان ارى هذا الشيخ يسير الى الموت وحدهُ

فقال نيلس ولكنَّ في منف يونانياً آخر وهو ملامبوس صانع السفن ولهُ ابنان كلاهما باسل شجاع وهذا الرجل غيور على دينهِ وابناه ملتهِ ولا اراهُ يأبى اسعاف روفينس فاذا فعل وساعدهُ ابناهُ افادا روفينس اكثر منك

— اذاً سأطلب معونتهما لكني لا اخلف وعدي . ثم ركب ونيلس قارباً وسارا الى ملامبوس فاطلعاهُ على امر الفرار وطلبا اليهِ ان يسعفهما فاجابهما الى ذلك بطيبة خاطر ودعا ابنيهِ فاخبرهما الخبر ثم ذهب اوريون الى بيت روفينس وسأل عن باولين فقيل لهُ انها ذهبت الى الدير تخبر الرئيسة بما تمَّ من امر المعدَّات حتى تكون الراهبات على اهبة السفر فجلس ينتظر عودها فابطأَت حتى عيل صبرهُ وحسب انها لا تعود وفيما هو كذلك جاءتهُ هيلانة فاخبرتهُ ان باولين رجعت من الدير ففرح بعودها وبقي في مكانهِ حاسباً انها تأتي اليهِ وانقضى نصف ساعة دون ان تجيء فاخذ الغيظ منهُ كل مأخذ وشق عليهِ ان لا تحفل بهِ الى هذا الحدّ وحينئذٍ اتت هيلانة فقالت باولين تدعوك اليها في البستان

ولما ذهبت باولين الى الدير اطلعت الرئيسة على ما تلقتهُ من الاخبار فلما اعلن ذلك للراهبات ذعرن واخذت كل واحدة منهنَّ تأتي بذخائرها حتى ضاقت الغرفة بها فأمرتهنَّ الرئيسة باعادتها جميعاً وقالت ان السفينة لا تسع هذه الامتعة فهي تزيد في ثقلها وتعيق سيرها ثم عدَّدت لهنَّ ما يستطعنَ اخذهُ فتفرقن في غرفهنَّ وحينئذٍ خلت الرئيسة بباولين لتلقي عليها شيئاً من النصائح قبل فراقها فاندفعت هذه تحدثها بحديث حبها وتطنب في وصف حبيبها الى آخر ما يقولهُ المحبون اذا اتسع لهم مجال الكلام فلما فرغت سألتها الرئيسة قائلة

— ألا يدفعكِ هذا الحبّ الى ترك العالم بامرهِ واتباع من تهوين فاشارت باولين بالايجاب

— اذاً فتحذيري اياكِ سيذهب سدًى لكنَّ حبيبكِ ليس من ابناء مذهبنا

— على انهُ يحترمهُ يدلك على ذلك مجازفتهُ بحياتهِ لا نقاذ كنَّ

— انما يفعل ذلك ارضاء لحبيبتهِ وان زواج ابنة توما يعقوبي يسوءني وانا عالمة انكِ لا تنبذينهُ ولكنَّ الله يتخذ الحبَّ الصادق وسيلة لاتمام مشيئتهِ على طرق شتى قد تبدو لعين الناظر

مملوءة بالمعاثر. فسرّت باولين لهذا الكلام وكادت تقع على عنق الرئيسة وتقبلها امّا هذه فلم تمهلها ريثما تفرح بما سمعتهُ فقالت

— ولكن حبيبكِ يشتهي ان يتمتع بنعمة الله وهو مندفع بكليتهِ الى ملذات هذا العالم فلا تزال طبيعتهُ كما كانت ولا يزال يرى في غرور هذه الدنيا منتهى السعادة فالحبّ الزمني يدفعهُ الى طلب الاغراض النبيلة لكنهُ غير مأمون العثار فاذا سقط لم يستطع النهوض لأن حبّ الله ليس في قلبهِ فاذا رأيتِ ان تصغي الى صوت حبكِ فتقبليهِ زوجاً لكِ فتمهلي زماناً ريثما يبرهن لكِ عن صدق طويتهِ وحسن توبتهِ

— لكنهُ تاب منذ زمن

— وما دليلك على ان توبتهُ خالصة فهو لا يزال يبتغي السعادة الزمنية ولما كنت اعتبركِ ابنة لي فانا انصحك كما تنصح الام ابنتها فجاهدي وثابري على مراقبتهِ ولا تسلمي لهُ بمقدار ذرة حتى

— حتى متى . اهذا هو الحب الصحيح فقد عهدت الحبّ يقضي على المرء بمقاسمة حبيبهِ افراح الحياة واتراحها

— صحيح ولكن الصبر من واجبات المحبين ايضاً فتذرعي بهِ ولا ترتبطي برباط الزواج الذي لا ينفكّ حتى تري اوريون كما ينبغي ان يكون وساعديهِ على نهج السبيل القويم دون ان تتسرعي في قبولهِ . فاحجمت باولين ولم تحرجواباً وظلّت الرئيسة تخاطبها حتى وعدتها بانها لا تبتّ امراً الى ان يعود اوريون من دمياط وبيدهِ كتاب منها تضمنهُ ما ترتاءيهِ بشأنهِ وكانت تتكلم والدموع تهطل على خديها لان قلبها ابى التسليم بما لم يستطع عقلها دفعهُ فلما عادت الى البيت وقابلت اوريون كما تقدم قالت

— عفواً ولا يغظك ابطائي عنك فقد اصابني الم شديد في رأسي بعد ان فارقت من كانت لي بمثابة امي

— ابيتِ لقائي امس وسمعتِ روفينس اليوم يدعوني الى الفطور ولست اريد خطابك بلفظ الآمر فهذا ابعد الامور عن قلبي واعلم انكِ لا تطيقينهُ ولكننا سنفترق يا باولين عن قريب فلماذا اضعتِ الوقت الثمين فاختصصتِ صديقتك بساعتين ولم تبقي لحبيبكِ شيئاً

— اما امس فلم استطع ان ادفع ماري عني وقد كانت تبكي وتقصّ عليّ حديثها بقلب مفعم سروراً وعينين دامعتين لئلاّ تحسب ذلك قساوة مني فلما نزلت ورأيت رقعتك بدلاً منك حزنت جداً وندمت على ابطائي

— اضطررت الى الذهاب الى الفسطاط لالقى عمراً ولا يخفى عليكِ انني اصبحت مقيداً

بواجبات كثيرة ولم يعد قيادي في يدي فقد قضيت ساعة الفطور كمن يتقلب على شوك اماً وقد حان وقت الفراق فهنالك امر احب الوقوف عليهِ واود لو تخبريني ما . . . فقالت ما اذا كنت احبك نعم وساحبك الى الابد تعال معي نجلس في ظل تلك الجميزة فهناك مقعد من الخشب. فشخص اليها واعتراهُ الذهول لكنهُ لم يرَ بدًّا من الانقياد اليها فتبعها حتى اذا ما جلسا قال

— أهذا جوابكِ لصوت الحبّ المنبعث من اعماق فؤادي أكذا تعامل الخطيبة خطيبها ليلة يفترقان . فبدا الاضطراب والجزع في وجهها وقالت

— الم اعرب لك عن حبي او خفي على عينيك فاعلم ان قلبي لك وانت مقيم فيهِ فلا يهمني سواك ولا احيا الاَّ لك ولن احب غيرك ولا اصلّي الاَّ لاجلك ولكني لست خطيبتك بعد ولا استطيع ان اكون كذلك اليوم

— وعلامَ لا تستطيعنهُ اذا صحَّ انك تحبينني حقًّا وما الذي يدفعك الى تعذيبي

— الفطنة والحذر يقضيان بذلك فلم يحن الزمان بعد ويلوح لي انك لا تستطيع ان تضع شكيمة لعواطفك فقد نسيت الماضي وغابت عنك ذكرى تلك المودَّة العميقة التي كانت تفصلنا فالعناية حوَّلت البغضاء التي كانت تجيش في صدري الى محبة اشد منها لكني لا استطيع ان اكون خطيبتك بعدُ . ان هذا القول يكلفني عناء شديدًا وسيكلفني حزنًا ودموعاً غزيرة على انني اعرف شيئًا واحدًا واردد قولاً واحدًا وهو ان قلبي لك وحدك ولن اصير عروسك حتى استطيع ان اقول لك بملء الثقة لقد فزت تخذني وحينئذٍ يتضح لك ان حبي لك لا يقل عن حبك لي واربأُ تفهم ما اقول يا اوريون انوجع رأسي يكاد يقتلني . قالت ذلك والقت رأسها على كفها وتنهدت من كبد حرَّى . فاجاب اوريون وقدخنقهُ الغيظ

— ان كلامك هذا لم يصدر عن قلبك ولكنهُ تلقين من تلك الراهبة

— انهُ صوت العقل وكانت عواطفي قد تغلبت على عقلي فانارت صديقتي بصيرتي

— لعن التي نصحتكِ هذه النصيحة فهي لا تعرفني ولم تسمع كلمة من فمي ولو علمت تلك الزاهدة بما في فؤادي لقالت غير ما قالت ومهما يكن من ذنوبي وشري فانا رجل لا انسى اللطف والمعروف ولو اقترنت بكِ يا باولين لتم لي ما اتمناهُ وسرت في السبيل الذي اقتدتني اليهِ فبلغت اوج المجد والكمال اما الآن فلم يبقَ لي من عمل سوى السعي لاكسب حبك بافعالي فاقدمها على مذبح حبك حتى تدبَّ حرارة ذلك الحب في قلبكِ فما قولكِ في رجل يفعل ذلك امام عيني حبيبتهِ فهذه اهانة لا تطيقها نفسي وتأبى همتي ان اجري على هذه القاعدة فاذا كانت دعواكِ في حبي صحيحة فتنازلي عن مطالبكِ هذه . فقبضت باولين على يدهِ وقالت

— انها صحيحة فانا احبك من كل قلبي وقد تكون مصيباً فيا لله ما العمل فامهلني في الجواب ألا ترى اضطرابي وما اقاسيهِ فنظر الى وجهها الشاحب وجبينها المقطب فاخذتهُ الشفقة وقال

— نعم اراهُ فارجئي الجواب الى هذا المساء واذهبي الآن فاستريحي

— وانت في سفرك قل للرئيسة عين ما قلتهُ لي فهي امرأة فاضلة فاذا سمعت كلامك وعرفت صفاتك قدرتك حق قدرك واحبتك فحلني من وعدي

— اي وعد

— وعدتها انني لا اتزوجك حتى . . . . فقاطعها وقال مغضباً

— حتى يتمَّ الامتحان فاذهبي واستريحي الآن فقد عكَّرت صديقتك صفاء ساعة كنت احسبها احلى ساعات حياتنا وخير لنا ان نقف عند هذا الحدّ من البحث فلا نتجاوزهُ الى ما لا تحمد عقباهُ فاذهبي ونامي فيخف بعض ما بكِ من الالم فاني ناسٍ ما قلتِ وليتكِ ترين ما في صدري فالوداع الى يوم اللقاء . قال ذلك ودار فمشى في سبيلهِ فصاحت باولين والبكاء يقطع كلامها اذكرحبي لك يا اوربون ولا تنسهُ اما هو فلم يسمعها بل اسرع في مشيهِ وخرج من البستان

داء السرطان

واحدث الابحاثِ عن اسبابهِ

في مثل هذه الايام من العام الماضي صدرت مجلات الطب الامركانية والانكليزية كلها مشحونةً بالمقالات الطويلة عن الابحاث البكتيريولوجية التي قام بها معملُ (او مختبر) ولاية نيويورك البكتيريولوجي عن يدِ الدكتور جيلورد والدكتور پارك الجراح الامركاني المشهور اللذين قالا يومئذٍ بوجود حليات في الاورام السرطانية هي سببُ العلّة على زعمهما . وذاع قولهما هذا في كل اقطار المسكونة حتى ان الشركات التلغرافية عنيت بنقلهِ الى كل انحاء المعمور لِما رأت من ارتياح الناس الى الاطلاع على سبب السرطان واكتشاف ذلك السبب ضالتهم المنشودة

ولكن الاطباء والعلماء المدققين علموا منذ ذلك الحين ان اكتشافاً هاماً كهذا يجب ألاَّ يحلَّ محل الاعتبار والتصديق إلاَّ بعد التمحيص والتدقيق . ولذلك وقف العالم الطبي والعلمي ناظراً بملء الرغبة والتشوُّق الى اللجنة التي عينتها جامعة هارڤرد الشهيرة لتبحث عن هذا "الرأي الحلمي" حتى صدر تقرير تلك اللجنة في شهر مايو الماضي واذا بهِ تفنيد للرأي الحلمي بحججٍ دامغةٍ لا تقبل الرد والاعتراض تعود كلها الى ثلاثة براهين

(١) ان الحلميّات التي قيل عنها انها هي سبب السرطان الاصلي اذا لُقح بها كبد الارنب مثلاً احدثت فيهِ أوراماً بسيطة اعراضها كاعراض سائر الالتهابات المزمنة البسيطة لا غير

(٢) ان هذه الاورام او الخراجات التي تتولد من ادخال هذه الحلميّات الى جسد الحيوان يختلف بناؤها اختلافاً كلياً عند بناء الاورام السرطانية

(٣) ان طبائع هذه الحلميّات او مميزاتها البكتيريولوجية هي ذات المميزات التي ذكرها علماء البكتيريولوجيا سابقاً لحلميّاتٍ اذاعوا انها هي اصل العلة ولكنهم بعد التجارب والامتحانات المتوالية لم يقدروا على تأييد دعواهم. ولذلك لم نعد نسمع عنها شيئاً مطلقاً . فرجع الاطباء بهذا التفنيد الى سابق عهدهم من حيث جهلهم سبب السرطان الاصلي وبالنتيجة عدم وصولهم الى علاجٍ خاصٍ لهُ يكفل الشفاء التام منهُ

ولا بدع اذا رأينا علماء الارض واطباءها قاطبةً يبذلون كل مرتخصٍ وغالٍ في سبيل الابحاث الدقيقة عن سبب السرطان تلك العلة الخبيثة التي اذا اصابت الانسان اوردتهُ حتفهُ بعد آلام مبرحة والاطباء حيارى في امرها يلتفتون اليها والى ضحاياها العديدين وهم مغلولو الايدي لا يدرون ماذا يفعلون

ومن مطالعاتي الاخيرة عن هذا الداء الوبيل وجدتُ ان اشتغال العلماء بهِ لا يقل عن اشتغالهم بالسل (التدرن الرئوي) العدو الالد لبني آدم ولكن العالم قد خطا خطوة كبرى في سبيل ما يعرف عن السل اي عن سببهِ وعلاجهِ والوقاية منهُ بعد اكتشاف باشلس كوخ السبب الاولي لهُ . لاننا بمعرفة السبب يسهل علينا البحث عن الوسائل الآيلة الى استئصال شأفة العلة او على الاقل الوقاية منها

قامت جمعيةٌ علميةٌ بفرنسا منذ عهدٍ قريب وعرضت مبلغاً كبيرًا من المال جائزة لمن يكتشف دواء شافياً لداء السرطان . وقد اطلع على هذا الخبر علماء الارض واطباؤها ولكنهم كانوا يقرأون ويصمتون لانهم لا يعرفون السبب الاصلي لهذه العلة فكيف يمكنهم ان يعرفوا كيفية معالجتها بطريقة علميَّة ؟

وارسل جلالة الملك ادوارد السابع رسالة برقية في العام الماضي الى اعضاء مؤتمر السل المنعقد حينئذٍ في لندن وقال فيها : — " وهناك داء آخر عجز عنهُ العلماء والاطباء حتى الآن وهو السرطان قدركم الله على اكتشاف دواء لهُ بعد عهدٍ غير بعيد والذي يكتشف هذا الدواء يستحق ان يقام لهُ تمثالٌ في كل العواصم " . [1] وسمع هذا الكلام اعضاء ذلك المؤتمر وهم نخبة

(١) انظر مقتطف ٣٦ : ٨٥٧

علماء الارض . وطار بسرعة البرق الى كل اقطار العالم كيف لا وهو من كلام ملكٍ يملك اعظم الممالك ولكننا للآن لم نسمع عن طبيب حاول اكتشاف دواء لهذا الداء ذلك لان البحث عن السبب اولى والوصول الى معرفتهِ اول خطوةٍ يجب ان نخطوها حتى نتمكن من الوصول الى علاجٍ خصوصيٍّ لهُ

وليس البحث عن اسباب السرطان حديث العهد بل يمتدُّ الى اول اكتشاف علم البكتيريولوجيا واستخدام المكرسكوب في تشخيص الامراض نظرًا لاهمية السرطان وكثرة فتكهِ بعباد الله وخصوصاً في مركز العلم والتمدن في اوروبا واميركا . فقد قيل ان معدل الوفيات بهِ في بلاد الانكليز لا يقل عن معدلها بالسل . ومن المعلوم ان اكثر علماء البكتيريولوجيا مثل فيفر وغيون وهانو وكلبس وسن وغيرهم كثيرٌ من العلماء والاطباء والوا البحث سنوات عديدة للوصول الى سبب السرطان ولم يفلحوا لسوء حظ الانسان وكانت تجارب هؤلاء العلماء احيانًا في الحيوانات كالارانب والخنازير المندية واحيانًا اخرى في الانسان نفسهِ وكلها لم تأتِ بنتيجةٍ مرضية

نعم اننا نعلم الآن ان من الاسباب المهيئة الاستعداد الوراثي وهذا مما لا شك فيهِ اليوم وكبر السن وهذا مرجحٌ بدليل ان الاصابة بالسرطان تندر ان تكون في من هم تحت الخامسة والعشرين وكثرة التعرُّض للآفات الميكانيكية وخصوصاً في مَن بهم استعدادٌ وراثيٌّ لذلك . والاكثار من اكل اللحوم المملحة . والسكنى على ضفاف الانهر الكبيرة الى غير ذلك من المعدَّات للمرض . ولكن علمنا بها لا يكفي كما ان علمنا بالاستعداد الوراثي للسل لا يكون سبباً حاتماً على المرء بالاصابة بهِ بل كثيرًا ما ينجو منهُ المستعدون لهُ اذا استخدموا الوسائط الكافية التي تقي من باشلس كوخ وبذلك تحفظ من العلة والخطر. وهذا يأتي بنا الى البحث عن هذه المسئلة وهي : —

هل السرطان معدٍ

يعتقد العامَّة ان السرطان علة معدية ولذلك تراهم في انكلترا يطلبون من الحكومة احيانًا ان تأمر بعزل المصابين بهِ خوفاً من ان ينتقل الى الاصحاء وهذا الاعتقاد مبنيٌّ اكثرهُ على كلام الاطباء قبل اكتشاف علم البكتيريولوجيا فانهم كانوا يعتقدون بعدوى السرطان ويعلّمون الناس بذلك حتى اواسط القرن الماضي

اما الاكتشافات الحديثة فقد برهنت جليًّا ان السرطان لا ينتقل بالعدوى ولو كان ينتقل بالوراثة حتى الى الاحفاد . ولذلك وجب على اهل المصاب واصدقائهِ ان لا يحجموا عن قضاء واجباتهم نحوهُ خوفاً من العدوى . فقد جمع الدكتور ديماركي تاريخ ١٣٤ حادثةً بها لقح الجراحون انفسهم بخلايا الاورام السرطانية ولم يصبهم ادنى عرَضٍ من اعراض هذا

الداء . واحدث تجربةٍ وقفت عليها من هذا القبيل اجراها الدكتور سن Senn الجراح الامركاني الشهير وقد قال عن نفسهِ ما ملخصهُ : — " في ٤ مايو سنة ١٩٠١ لقحت نفسي بخلايا سرطانية اخذناها من غدرٍ لمفاويةٍ مصابةٍ بالسرطان في رجل ارلاندي عمرهُ ٦٠ سنة . وتأكدنا تشخيص العلة بهِ بالفحص المكرسكوبي . . . . . ومضى الاسبوع الاول ولم اشعر بشيء مطلقاً مكان التلقيح وفي الاسبوع الثاني شعرت بظهور نتوء مثل دملة صغيرة في محل الجرح دام اسبوعين ثم اخذ في الزوال رويداً رويداً حتى انني لم ارَ منهُ شيئاً في آخر الاسبوع الخامس "

والدكتور كلبس Klebs جرَّب هذه التجربة عينها في عنقهِ وفي كثيرين من مساعديهِ اربعين مرةً وكانت النتائج سلبيةً فيها كلها . وعلى هذا بنى قولهُ المعروف وهو : — " مادمنا لا نقدر الآن ان نلقح السليم بخلايا سرطان المصاب او بالحلميات الموجودة فيهِ ونولد فيهِ المرض عينهُ بكل اعراضهِ فكل ابحاثنا الهستولوجية البكتيريولوجية المقصود منها معرفة سبب السرطان الاصلي هي في خطةٍ غير الخطة التي يجب ان نسير فيها للوصول الى هذه الغاية اعني معرفة السبب " . وهذا ايضاً يأتي بنا الى امرٍ آخر لهُ علاقة بمعرفة السبب وهو

هل السرطان آخذٌ في الازدياد

من المشهور عند كل العامة وقسم كبير من الاطباء ايضاً ان السرطان آخذٌ في الازدياد الى درجةٍ اوجبت خوفهم الشديد منهُ وقد راع هذا القول الناس ولاسيما في انكلترا واميركا . ولكنهُ كقولهم ان السرطان معدٍ لم يقم دليلٌ علميٌّ على صحتهِ للآن . بل المرجح اليوم عند طائفة كبيرة من الاطباء ان عدد المصابين بالسرطان لم يزد عما كان عليهِ قبلاً . لكن معرفتنا بهِ وبطرق تشخيصهِ زادت كثيراً عن الماضي وخصوصاً بعد استخدام المكرسكوب والفحص الرئي في التشخيص

فاذا كان السرطان لا يعدي ولا هو آخذ في الازدياد حال كوننا نجهل طرق مقاومتهِ فيكون " الرأي الحلمي " ضعيفاً لا نقدر ان نعمل بهِ في الوقت الحاضر

علاقة السبب بالعلاج

لا شك ان الغاية التي يتوخاها الطبيب هي مساعدة الطبيعة على شفاء الامراض او تخفيف آلامها . ولذلك قلما ترى العامة وقسماً ليس بقليل من الاطباء يهمهم البحث عن اسباب العلل الرئيسية او كيفية تشخيصها . بل جلُّ ما يهمهم هو كيفية علاجها او استخدام الوسائط للوقاية منها

ولكن الاطباء قلما يقدرون في الوقت الحاضر ان يجاروا الناس على افكارهم وخصوصاً في المسائل المتعلقة بشفاء اكثر الامراض الخبيثة كالسرطان والسل وكثير غيرها . ولكنهم يأملون بالفوز العاجل على هذه الاعداء الشديدة الوطأة على الجنس البشري نظراً لتقدم علم البكتيريولوجيا

في هذه الايام . وذلك سيكفل لنا ولو بعد حين كشف الجراثيم التي هي السبب الاصلي لهذه العِلل . وعندئذٍ يسهل على الاطباء محاربة عدوٍ محسوسٍ عرفوا طباعهُ ومميزاتهِ وتحققوا ما يضعفهُ او ما يميتهُ

وهذا يُظهر لك السبب في عدم نجاح الاطباء اليوم في معالجتهم السرطان اعني عدم تحققهم ماهية الجراثيم الحية التي هي اصل العلة

نعم اننا نستخدم الآن بعض العقارات الطبية كالزرنيخ والكوندورانغو والشلدونيوم (وهو ما سماهُ المقتطف نبات اليتوع . انظر مقتطف ٢١ : ٧٣) والتربنتين وما اشبه . ولكنها كلها لم تأتِ بفائدة تذكر . وقد استخدم بعضهم كيَّ التورم السرطاني نفسهِ امَّا بالحديد المحمى بالنار وامَّا بنترات الفضة كما انهم استعملوا حقن السرطان بالفورمالين او المثيل الازرق — وذلك كلهُ لم ينجِ المصاب من مخالب الموت ولو خفَّف وبلات المرض نوعاً

ولمَّا سرى القول بان سبب السرطان بعض الحلميَّات حاول الدكتور كولي Coley النيويوركي استعمال مصلٍ لشفاء هذه العلة بطريقةٍ تشبه طريقة رو في مصل الدفثيريا (الخانوق) . ولكنهُ لم يفلح طبعاً . لان سبب العلة لم يتحقق بعد وسبب الدفثيريا صار امراً محققاً لدى الجميع

والمعوَّل عليهِ اليوم هو استخدام الجراحة لشفاء السرطان . اي استئصال التورم باصولهِ وخصوصاً في بادىء الامر فذلك يطيل حياة العليل ويحبب الحياة لديهِ ولو كان العضو المنزوع معدتهُ كما بيَّنا ذلك في العام الماضي وتقاريرُ كل الجراحين والاطباء تدلنا على ان السرطان لا يرجع الى صاحبهِ بعد استئصالهِ من اول الامر بكل اصولهِ الاَّ بعد ٣ سنواتٍ الى عشر . وانهُ من الممكن ان تختفي العلة بالكلية في بعض الحوادث بعد العمليات الجراحية

ومع ان سكين الجراح اتت بفوائد جمة في ما يتعلق بعلاج السرطان لا تعدُّ العلاج الخصوصي لهُ . ولا علاج معروف لهُ حتى اليوم لاننا لا نعلم سبب العلة وماهيتها كما قدمنا

وعلى ما رأيت من اخبار الولايات المتحدة علمت بان معمل ولاية نيويورك البكتيريولوجي لا يزال آخذاً في البحث عن سبب السرطان ولو كان قد اعترف بفساد الرأي الحلمي . وان مدرسة الجراحين من جامعة هارفرد في بوسطن اخذت في البحث بطريقةٍ جديدة عن السبب نفسهِ ايضاً . وما علينا الآن سوى الصبر والتعلل بالآمال لنرى ما تأتينا بهِ لنا الولايات المتحدة بلاد العجائب والغرائب

سان باولو بالبرازيل الدكتور
سعيد ابو جمره

باي تونس وحاضرتهُ

سحت منذ نحو سنتين في بلاد الجزائر وتونس مبتدئاً من وهران ومنها توجهت الى تلمسان بالقرب من حدود مراكش فعاصمة الجزائر فبلاد بليدا فقسطنطينة فعنّابة او بون كما يسميها الفرنسويون ثم تركت الجزائر وذهبت الى عاصمة تونس حيث تشرفت بمقابلة سمو محمد الهادي باي صاحب المملكة التونسية الذي جلس الآن على عرش البيت العلوي الحسيني وكان حينئذٍ وليّ العهد وهو الباي الثالث عشر من سلالة حسين بك علي تركي مؤسس البيت الحسيني فاني حينما بلغت تونس ذهبت لمقابلة سموهِ في قصرهِ الذي بناهُ في درمش بضواحي تونس فقابلني مرحباً وكنت قد تشرفت بمقابلة سموهِ اول مرة في مدينة فيشي من اعمال فرنسا . وهو على جانب عظيم من الانس والدعة مع ذكاء عقل ونباهة قدر يدلان على انهُ اهل للقيام بالمهام العظيمة التي عُهدت اليهِ خبير بالاحكام والشؤون المالية والفنون العسكرية اتم دروسهُ في احسن مدارس فرنسا ثم عاد الى وطنهِ يشارك المرحوم والدهُ في ادارة مهام البلاد وهو الآن سهران على مصالح امتهِ وتقدمها ونجاحها وهيئتهُ تملأ العين مهابة فهو طويل القامة اسمر اللون ذو عينين سوداوين براقتين يعلوهما حاجبان اسودان عريضان . وجبهتهُ عريضة ويداهُ كبيرتان يمسك باحداهما سبحة اما لباسهُ فاللباس الافرنجي وعلى رأسهِ طربوش مغربي

وعاصمة تونس واقعة في طول ٨° شرقاً وعرض ٤٤َ ٣٦° شمالاً فهواؤُها كهواء بيروت حارٌّ في الصيف ولكنهُ جيدٌ جداً وسكانها الوطنيون من المسلمين واليهود وغير الوطنيين من طوائف مختلفة . امَّا الوطنيون فالمسلمون منهم سبعون الفاً واليهود اربعون الفاً وغير الوطنيين احد عشر الفاً من الايطاليين وعشرة آلاف من الفرنسويين والجزائريين وتسعة آلاف من اهالي مالطة والجملة ١٤٠ الفاً وقد كثر الايطاليون فيها والمالطية لقربها من بلادهما

والى شرق تونس وشمالها بحيرة طولها ستة اميال وعرضها ثمانية اميال ومساحتها ١٨٠٠٠ كيلومتر ومتوسط عمقها متران وكانت ارضها يابسةً تزرع فتغلَّب البحر عليها فصارت بحيرة وكانت البواخر تفرغ شحنها في صنادل تسير فيها الى الجمرك على ما في ذلك من النفقة والمشقة فتألفت شركة حفرت ترعة في البحيرة طولها تسعة كيلومترات تمخر البواخر فيها وترسو في ميناء أُنشئَ لهذه الغاية وتفرغ شحنها في الجمرك مباشرةً

وكان منظر المدينة قبلاً كمنظر مدينة مصر قبل انشاء احياء الازبكية والتوفيقية والاسماعيلية فاصبحت اليوم من المدن الجميلة بشوارعها ومنتزهاتها وكان امام بابها اراضٍ سبخة

فردمت وخططت فيها الشوارع وهي الآن حي الافرنج وأُطلق على شوارعها اسماء الممالك الاوربية كشارع روسيا وشارع النمسا وشارع اسبانيا ويقال للشارع نجع وفتح في وسط هذا الحي شارع يبتدئ من باب المدينة وينتهي الى البحر طولهُ ٥٠٠٠ متر وعرضهُ ٦٠ متراً وغرست على جانبيهِ الاشجار واقيمت الفنادق والمخازن الكبيرة والقهاوي فكأنهُ شارع من شوارع مرسيليا . وللمدينة باب كبير فاصل بينها وبين حي الافرنج ومنهُ دخلتها فوجدت شوارعها ضيقة الاَّ انها مبلطة بالحصى ونظيفة والدكاكين صغيرة لكنها مملوءة بالبضائع وتسمى الاسواق باسماء ما يباع فيها . والسوق العمومية مبنية على شكل سوق استانبول وبالقرب منها جامع الزيتونة المشهور بمدرستهِ وظللت سائراً الى ان وصلت الى القلعة ويقال للقلعة هناك قصبة وهي قديمة العهد بناها الاسبان واحتلها الاتراك وغيَّر الفرنسويون هيئتها القديمة وفيها حاميتهم ولما فتحها الاسبانيون سنة ١٥٣٥ وجدوا فيها عشرين الف اسير ممن اسرهم القرصان وهم الذين فتحوا بابها للاسبان

ولما كانت شوارع المدينة ضيقة لا يمكن سير المركبات فيها مدوا خط تراموايٍ خيل حول المدينة يبتدئ من الباب المذكور آنفاً و يسير الى جهة اليمين حتى يصل الى امام القلعة ثم يتجه شمالاً حتى يعود الى الباب . فتستغرق هذه الدورة نصف ساعة يرى الراكب فيها هيئة المدينة وفي اثناء مرور الترامواي ينزل الركاب ويدخلونها منهُ

ومما يستحق الرؤية في تونس الباردو او قصر البايات القديم الى جانبهِ قصور اخرى وثكنة للجند والمحكمة والسجن وحول الجميع سور كبير. وكان الباي ينتقل كل يوم من قصرهِ الخاص الى قصر المحكمة او الديوان فيعقد جلسة مع وزرائهِ ومستشاريهِ للنظر في ادارة امور البلاد . ولكن بعد الحماية الفرنسوية ترك علي باي هذا المكان وبنى لهُ قصراً على شاطئ البحر . وقصر الباردو هذا لا شيء عليهِ من فخامة البناء ولكنهُ واسع جدًّا كثير الفسحات والدهاليز لما وصلت الى بابهِ صعدت على درج من رخام على جانبيهِ ثمانية اسود من الرخام الابيض حتى انتهينا الى فسحة مبلطة بالرخام الابيض حولها رواق قائم على اعمدة من رخام وعليهِ نقوش عربية لطيفة وآيات قرآنية وتحت الرواق قاعات اشبه بقاعات سراي شبرا بمصر ثم دخلنا قاعة الاستقبال وفيها يقابل الباي وفود المهنئين في المواسم والاعياد وهي واسعة جدًّا وفي صدرها العرش وهو مذهب وفي اعلاهُ شعار الحكومة التونسية وجدران القاعة مزينة بصور الملوك وبايات تونس بالقد الطبيعي وبين كل صورتين مرآة كبيرة . ومنها صورة محمد باي وحسين باي واحمد باي وصادق باي وهو الذي وقَّع المعاهدة مع حكومة فرنسا سنة ١٨٨١ وصورة علي باي الذي توفي حديثاً وصورة نابوليون الثالث وامبراطور النمسا. ولكن اثمن هذه الصور صورة الملك لويس فيليب

رسمت على قماش دوبلين وكانت تساوي نصف مليون فرنك حينما صنعت ولا يعمل الآن مثلها باقل من نصف هذه القيمة

وتوجهنا من هناك لمشاهدة المكان الذي كانت زوجات محمد باي الاربع يقمن فيهِ وهو كثير الزخرفة والنقوش فيهِ فسحة كبيرة مبلّطة بالرخام الابيض في كل زاوية منها غرفة للمنامة تشبه غرف المنازل الشهيرة في دمشق ويليها قاعة كبيرة لها قبة كقبب الجوامع تتألق من داخلها لكثرة ما فيها من النقوش المذهبة . وهذه القاعة والغرف والفسحة جعلت الآن متحفاً لما وجد في تونس من العاديات والتماثيل القديمة وهي كثيرة وبينها تمثال اورفه من الصوان وهي واقفة تعزف بالقيثارة وامامها وحوش الارض كالاسد والنمر والدب تسمع صوتها وعليها ملامح الطرب

وضواحي تونس كثيرة جميلة وقد تكفلت شركة ايطالية بمد سكة حديد بينها وبين العاصمة يبلغ طولها ٢٠ كيلو متراً وبعد ان مدّت غار الفرنسويون فاشتروها منها بمبلغ كبير . وهاك بيان هذه الضواحي

(حلق الواد) اوغوليتا وهو اسم قرطجني والفرنسويون يقولون لاغوليت . لما ركبت قطار سكة الحديد اليهِ كانت بحيرة تونس الى اليمين. والى الشمال اراضٍ منبسطة مزروعة قمحاً وشعيراً وزيتوناً وكانت حلق الواد الميناء القديم لتونس ولكنها انحطت بعد فتح الترعة في البحيرة . وعدد سكانها الآن ٦٠٠٠ نفس

(خير الدين) نسبة الى خير الدين باشا الذي كان وزيراً لتونس وصدراً اعظم للدولة العلية بنى لهُ فيها قصراً على شاطئ البحر تحوّل الآن الى فندق وتياترو وحمامات بحرية يؤمهُ خلق كثير للتنزه نهاراً وليلاً

(قرطاجنة) ذهبنا اليها ومعنا الدليل فشاهدنا حدود عاصمة الفينيقيين من جهاتها الاربع واراضيها تزرع الآن قمحاً وشعيراً بعد ان كانت من اكبر العواصم وامنعها حتى كادت رومية تعجز عنها وتفرجنا على الفورم والصهاريج الرومانية والمتحف الكبير الذي بناهُ الكردينال لافيجري الشهير وجمع فيهِ العاديات والآثار الفينيقية والقرطاجنية والرومانية واليونانية والاسبانية والتركية والعربية وقسمهُ الى اقسام كثيرة ملأها بالاسلحة والمصابيح والحلى الذهبية والفضية والنحاسية والزجاجية والآنية الحديدية والنحاسية والفخارية وغير ذلك شيء كثير

وبالقرب من هذا المتحف كنيسة عظيمة بناها الكردينال المذكور سنة ١٨٤٢ في البقعة التي توفي فيها الملك لويس التاسع الملقب بالقديس سنة ١٢٧٠ وكانت وفاتهُ بالطاعون الذي فشا في جندهِ وهو قاصد غزوة تونس . والكنيسة تفوق في الجمال والاتساع والزخرف كنائس

مصر والاسكندرية مع انهُ لا يصلي فيها سوى الرهبان . وقد انفق على بنائها النفقات الطائلة وكتب على جدرانها اسماء المتبرعين بالمال الكثير من فرنسا . وبعد وفاة الكردينال دفن فيها ونصب لهُ تمثال على قبرهِ من الرخام الابيض يمثلهُ وهو ماسك بيدهِ كتاباً ومتكئ على ظهرهِ .

وفي قرطاجنة ايضاً فندق صغير يحتوي على نحو عشرين غرفة يقيم فيهِ مندوبو الجمعيات العلمية والمؤرخون ينقبون ويبحثون ثم يعودون الى اوربا لنشر نتيجة ابحاثهم واكتشافاتهم . ولكن لسوء الحظ لم يبقَ من آثار قرطاجنة شيءٌ يذكر لان كنائس تونس وجوامعها وقصر احمد بك في قسطنطينة وبعض كنائس مالطة وصقلية ورومية اجتمعت كلها على سلب الكثير مما وجد في انقاضها من اعمدة الرخام والمرمر والحجارة الرزينة

(المرسى) . وهي مبنية على شاطىء البحر اشتهرت بقصر علي باشا الذي توفي فيهِ منذ شهرين تقريباً . وهو متسع جداً ولهُ بابٌ كبير امامهُ ساحة يخطر فيها حرس الباي الخصوصي وعددهم نحو مئة جندي وفي المرسى الآن نحو خمسة آلاف من السكان

(سيدي ابو سعيد) . مبنية على مرتفع يشرف على البحر وهواؤها جيدٌ جداً ومنظرها جميل وبيوتها بيضاء تحيط بها اشجار الزيتون

وعلى مسافة بعض كيلومترات من تونس شمالاً اراضٍ منبسطة اتخذها الفرنسويون منتزهاً عمومياً وقرروا انفاق عشرين مليون فرنك عليها وقد انفقوا نصف هذا المبلغ الى الآن زرتها في المركبة فحسبتني في منتزه فرنسوي لما رأيت من حسن تخطيط الشوارع تحفُّ بها الاشجار على جوانبها وفسقيات الماء في وسطها وفيها مرتفعات تطلُّ على مدينة تونس فتظهر منها كالحمامة البيضاء في الايكة الخضراء

(حمام ليف) . وهي مبنية على شاطىء البحر ويوصل اليها بسكة الحديد في نصف ساعة بين البحر والمزارع الغناء وراءها جبل ابو قرنين ارتفاعهُ ٦٤٠ متراً ولهُ قنتان شاهقان ومن ذلك سمي بابي قرنين . يتردد التونسيون والاجانب على هذه الضاحية خصوصاً في ايام الآحاد وهي تشبه سان ستفانو في رمل الاسكندرية وقد غرست الاشجار على طرقها . وفيها تياترو شاهدت فيهِ تمثيل جوق فرنسوي يمثل عادة ايام الصيف من كل سنة

واحسن الاشهر للسياحة في تونس شهر سبتمبر (ايلول) ويستطيع السائح ان يشاهد اهم مدن الجزائر وتونس وجبالها واوديتها وسائر ما يتعلق بها في اربعين يوماً

وقد افضت الكلام على تونس وضواحيها وسائر بلاد المغرب في الجزء الثاني من رحلتي وهو تحت الطبع

ادوار الياس

مكاتب المسلمين

المكاتب (الكتبخانات) دليل على كثرة المعارف وتفوّق العمران وقد اثبت البحث في خرائب بابل واشور ان الميل الى جمع الكتب ليس حديثاً في الدنيا

وبالانتقال من فجر التاريخ الى نهارهِ الساطع الضياء نجد في الرومان رغبة شديدة في جمع الكتب اما ليستفيد منها افراد الناس او ليستفيد منها الجمهور. ولقد ظهرت هذه الرغبة من كثيرين من ملوكهم ولاسيما من أُلبيوس تراجنس الذي انشأ اوسع المكاتب الملكيَّة . ويقال انهُ كان في رومية وحدها في القرن الرابع للميلاد ثمانٍ وعشرون مكتبة عمومية ولم تكن المكاتب محصورة في العاصمة وحدها

ولقد كان سقوط المملكة الرومانية الغربية بداءة انحطاط شأْن المعارف فان البرابرة الذين اقتحموا تخومها تغلبوا عليها فنُسيت معارف الرومان او لم يبقَ لها شأْن الا عند نفر قليل

ومرَّت قرون على اوربا تنازلت فيها عن حقها في عضد المعارف لامَّة اوجدها نداء الرسول العربي فان المسلمين وجَّهوا اعتناءهم الى رفع منار العلم بعد ان خرقوا سياج مملكة الروم وقوَّضوا دعائم مملكة الفرس . ومرَّت القرون الوسطى وازمَّة العمران في يد ابناء الصحراء

ولا بأْس بايراد فذلكة من تاريخ المعارف عند المسلمين تمهيدًا للكلام على مكاتبهم

من البيّن ان العرب كانوا على شيء من المعارف حتى في عصر الجاهلية يدلك على ذلك ما يُروى عن سوق عكاظ حيث كان الشعراء يتبارون ويُحكَم بالسبق للمبرزين منهم فتكتب قصائدهم في القباطي وتعلَّق على الكعبة اكرامًا لهم . الاَّ ان اقدم المحفوظ من اشعارهم لا يمتد الى ابعد من قرن قبل الهجرة ولو قال قوم خلاف ذلك ولم تعرف الكتابة عندهم الاَّ قبل الهجرة بزمن يسير غير انها دفعتهم الى تسطير المحفوظ من اخبارهم واشعارهم ومهَّدت السبيل الى ارتقائهم العقلي وتلا ذلك ان ابا الاسود الدؤلي وضع قواعد النحو باشارة الامام علي فكان هذا مبدأ تدوينهم علوم اللغة

وبقيت معارف العرب قليلة جدًا حتى موت النبي ولكن لم يمضِ عليهم وقت طويل حتى اتصلوا بالفرس والروم فعرفوا فوائد الحضارة وكان الفرس الذين بلغوا شأْوا رفيعًا من العمران في عهد آل ساسان معلميهم الاولين ويتلوهم السريان الذين ارشدوهم الى علوم اليونان وفلسفتهم فتعلموا من الفرس الغناء والبناء والنقش والسياسة والفلسفة وحب التحلي والتأنق . واكثر علماء الاسلام من سكان بخارى وخرسان وبلخ ومن تلامذة مدارس البصرة ونيسابور وسمرقند وهرات

من اصل فارسي او تركي. اما علوم اليونان فجاءت عن يد نصارى نصيبين والرها . وكان اكثر حملة العلم من الموالي كما قال الخليفة عبد الملك

ولم يكد المسلمون يدخلون ميدان العلم حتى خطوا فيهِ الخطى الطوال وسار خلفاؤهم وكبراؤهم في مقدمتهم ولم يكن قد نشأ فيهم شيءٌ من التعصب الديني الذي من شأنهِ احتقار ما عند غيرهم من العلم والفلسفة بل تعلموا من الامم التي غلبوها واتقنوا علومها . واول مدرسة علمية في القرون الوسطى كانت مدرسة طليطلة التي انشأها العرب . وكانت مدرسة القاهرة المعروفة ببيت الحكمة على الاسلوب الذي اشار بهِ الفيلسوف باكون بعد ذلك بزمن طويل

واول من عني بجمع كتب العلم من امراء المسلمين خالد بن يزيد الاموي وقد ذكرهُ ابن خلدون ونفى ما ينسب اليهِ لكن الاستاذ شبلي خطَّأ ابن خلدون واثبت الفضل لخالد مستشهدًا بما قالهُ ابن نديم الذي قال ان خالدًا كان من اعلم الناس بفنون العلم ولهُ كلام في صناعة الكيمياء والطب وكان بصيرًا بهذين العلمين متقنًا لهما ولهُ رسائل دالة على معرفتهِ وبراعتهِ وبامرهِ ترجمت كتب الطب والكيمياء من اليونانية والقبطية . وبقيت رسائلهُ الى زمن ابن نديم

ولما تمهَّدت الامصار للخلفاء اخذوا في جمع كتب العلم الى ايام ابي جعفر المنصور فعني بترجمة كتب الفرس واليونان حتى اذا كثرت الكتب المترجمة والمؤلفة لدى الرشيد بنى لها بيت الحكمة وجعلهُ خزانة لها وديوانًا للمترجمين . فتقاطر العلماء الى بلاد المسلمين وكانت الكتب المجموعة في بيت الحكمة بلغات مختلفة فارسية ويونانية وقبطيَّة وسريانية. وكان يحيى بن خالد البرمكي رئيس هذه النهضة ومقدامها فاعتنى خصوصًا بنقل علوم الفرس لانهُ فارسيٌّ ونقل علوم الهند ايضًا

وجاء المأمون بعد الرشيد فاقتفى خطواتهِ وزاد في جمع الكتب وترجمتها ويقال انهُ انفق على ترجمة كتب اليونان ثلثمئة الف دينار . ولما كان في مرو راقت لهُ اساليب الفرس فاقتدى باردشير وجمع كثيرًا من التحف القديمة مما كان في بلاد العرب قبل الاسلام من ذلك كتابة كتبها عبد المطلب بيدهِ . وبقي جانب من الكتب التي جمعها الى القرن السابع من الهجرة ورآها ابن ابي اصيبعة (صاحب كتاب طبقات الاطباء) . والاهتمام بجمع الكتب وترجمتها دعا الى الاهتمام بصناعة النساخة والتجليد فاشتهر بالاولى ابن البواب وابن مقلة ووزير المقتدر بالله وياقوت المستعصمي وميرعلي وكان العرب يتنافسون في اجادة الخط كما يتنافس غيرهم في التصوير حتى ان الخليفة عثمان كتب بيدهِ اربع نسخ من المصحف ارسلها الى الآفاق واقتفى اثرهُ الحجاج بن يوسف الثقفي واهدى نسخ المصحف التي نسخها بيدهِ الى عواصم المملكة

وكان السلطان ابرهيم بن محمود الغزنوي يجيد الخط ويكتب نسخة كاملة من القرآن كل

سنة يرسل بها الى مكة. وذكر ابن خلدون ان السلطان ابا الحسن سلطان افريقية كتب نسخة من القرآن بيدهِ وبعث بها الى مكة ونسخة اخرى بعث بها الى المدينة وكان ينوي كتابة نسخة ثالثة يبعث بها الى بيت المقدس فتوفي قبل اتمامها

وانتشرت الرغبة في جمع الكتب في بغداد كلها اقتداء بالمأمون وكان كبراء الامة لا يضنون بمال في هذا السبيل فانشأ الفتح بن خاقان وزير المتوكل بالله مكتبة عظيمة . وكان وزير الواثق بالله ينفق ثلاثين الف دينار كل شهر على ترجمة الكتب ونسخها

وكانت كتب الواقدي (في القرن التاسع) تملأ ستمئة صندوق ويقتضي حملها مئة وعشرين جملاً

ولما انتقلت الخلافة من بني امية الى بني العباس هرب عبد الرحمن الاموي الى الاندلس فرحّب بهِ اهلها وانشأ دولة في قرطبة فناظرت القاهرة وبغداد او فاقتهما . وبلغت علوم العرب اوجها في بلاد اسبانيا فلها اوربا مديونة اعظم دين لانها اوقدت مصباح المعارف في اوربا . وكان للمستنصر بالله الحكم سلطان قرطبة اليد الطولى في هذه النهضة العلمية فانهُ جلب كتب الفلسفة من البلاد الشرقية وامر بترجمتها . قال المقري انهُ "كان يبعث في شراء الكتب الى الاقطار رجالاً من التجّار ويرسل اليهم الاموال لشرائها حتى جلب منها الى الاندلس ما لم يعهدوهُ وبعث في كتاب الاغاني الى مصنفهِ ابي الفرج الاصفهاني وارسل اليهِ الف دينار من الذهب العين فبعث اليهِ بنسخة منهُ قبل ان يخرجهُ الى العراق. وجمع بدارهِ الحذّاق في صناعة النسخ والمهرة في الضبط والاجادة في التجليد فاوعى من ذلك كلهِ واجتمعت بالاندلس خزائن من الكتب لم تكن لاحد من قبلهِ ولا من بعدهِ الاَّ ما يذكر عن الناصر العباسي بن المستضيء ولم تزل هذه الكتب بقصر قرطبة الى ان بيع اكثرها في حصار البربر" . واثبت ابن خلدون ان اسماء دواين الشعر كانت تملأ ٨٨٠ صفحة

واختلف المؤرخون في عدد الكتب التي كانت في خزائن الحكم ولكنهم اتفقوا على انها كانت كثيرة وكان على كثير منها شروح وحواش بيدهِ

وخلف الحكم ابنهُ هشام المؤيد بالله وكان صغيراً فولي الاحكام وزيرهُ المنصور ابن ابي عامر وكان كارهاً للفلسفة فاتلف كتب الحكمة والهيئة وكل ما فيها من علوم الاوائل وابقى كتب اللغة والشعر والتاريخ والفقه والحديث وظلَّ الحال على هذا المنوال والناس على غير رأي الحكم الى ان انقرضت دولة بني أمية من الاندلس

ثم كثرت الفتن في البلاد وعبثت بالكتب الايادي فنقل بعضها الى اشبيلية وبعضها الى غرناطة وبعضها الى الالميرة وغيرها من العواصم . وبلغ عدد المكاتب العمومية في اسبانيا لما

كانت في اوج مجدها في عصر العرب سبعين مكتبة . ولا يزال فيها حتى الآن كثير من كتب العرب رغماً عمّا مرّ بها من ازمنة البؤس ورغماً عما ابداه النصارى وقت اخراجهم العرب

نقل المقري عن الحضرمي ما خلاصته ان الحضرمي كان يقيم في قرطبة ويحضر سوق الكتب كل يوم عساه يعثر على كتاب كان يتطلبه وظلّ على ذلك اياماً واخيراً عثر على الكتاب المطلوب فسامهُ وصار كلما زاد الثمن زاده الدلال اكثر حتى بلغ مبلغاً فاحشاً لا يستحقهُ فقال للدلال مَن مناظري في ابتياع هذا الكتاب فاراهُ رجلاً من الكبراء فحياهُ الحضرمي قائلاً حيّاً الله مولانا الاستاذ على مَ تغالي في هذا الكتاب فقد فاق ثمنهُ ما يستحقهُ فان كنت ترغب فيهِ فهو لك من غير مزايدة فقال الرجل لست استاذاً ولا انا عارف موضوع الكتاب ولكن في بيتي خزانة كتب جمعتها ليعلو بها شأني بين اقراني ولم يزل فيها فراغ يسع هذا الكتاب فاريد ان ابتاعهُ لتتم بهِ

ولما عقد الصلح بين ابي يوسف سلطان المغرب الاقصى وبين دون سنخو كان من جملة شروطهِ ان يرد دون سنخو الكتب التي غنمها من مدن المسلمين فردها ووضعها السلطان في المدرسة التي بناها بفاس لكي يطالعها طلبة العلم

ولما ضعف شأن الخلفاء العباسيين وقوي ملوك الطوائف استقلّ بنو سامان في بخارى وبنو حمدان في الشام وبنو بويه في شيراز والفاطميون في مصر . وكانت هذه الدول المستقلة تتنافس في رفع شان العلم وتقريب رجالهِ فانشأ نوح بن منصور سلطان بخارى مكتبة كبيرة قال عنها ابن سينا انهُ دخلها وكانت عديمة المثال فيها من كل فن من الكتب المشهورة بايدي الناس وغيرها مما لا يوجد في سواها ولا سمع باسمهِ فضلاً عن معرفتهِ فظفر فيها بكتب من علم الاوائل وغيرها وحصل نخب فوائدها واطلع على اكثر علومها

ونوح بن منصور هذا هو الذي عرض الوزارة على الصاحب بن عباد فاعتذر عن قبولها بانهُ لا يستطيع ان ينتقل اليهِ ما لم يأخذ معهُ كتبهُ وهي حمل اربع مئة جمل

وذكر البشاري ان عضد الدولة انشأ في شيراز اكبر المكاتب وجعلها في جانب من قصرهِ ولم يكن لها مثيل في ممالك الاسلام. وقال الامام الثعالبي انهُ ما من دار من دور الامراء بعد دور العباسيين كانت كثيرة الكتب مثل دار سيف الدولة وهو الذي قرّب ابا نصر الفارابي وكان يجري عليهِ النفقة الى حين وفاتهِ. وقضى ابو الفرج الاصفهاني خمسين سنة في جمع كتاب الاغاني وحملهُ اليهِ فاجازهُ بالف دينار واعتذر اليهِ عن قلّة المال لديهِ

(ترجمت من مقالة في مجلة القرن التاسع عشر الانكليزية للقاضي خوده بخش قاضي قضاة حيدر اباد . وستأتي بقيتها)

اتقاء الكوليرا وعلاجها

ظهرت الكوليرا في بلد موشه بالقرب من اسيوط في اواسط الشهر (يوليو) واشتدَّ فتكها حالاً فصار يصاب بها ثلاثون او اربعون في اليوم يموت منهم عشرون او ثلاثون . وحالما شعر السكان بظهور هذا الوباء لجأَ بعضهم الى الفرار فاوصلوهُ الى القاهرة ونحن نكتب هذه السطور في السادس والعشرين من الشهر وفي نشرة مصلحة الصحة ان عدد الذين توفوا بالكوليرا خارج المستشفى في الاربع والعشرين ساعة الماضية ٦٢ وعدد الذين درت بهم قبلما توفوا ونقلتهم الى المستشفى ١٦ ولا بد من ان يكون كثيرون قد اصيبوا ولم تدرِ بهم لان ذوي المصاب يخفونهُ عادةً . ولو كانوا يخبرون عن كل مصاب حتى يُعزل عن غيرهِ حالاً ويمنع انتقال العدوى منهُ لكان الوباء حُصر في مبدإِهِ ومُنع عن الانتشار

وغنيٌّ عن البيان ان الكوليرا وكل الامراض المعدية لا تتولَّد الاَّ بالعدوى كما ان نبات القطن لا يتولَّد الاَّ من تقاوي (بذار) القطن ونبات القمح لا يتولَّد الاَّ من تقاوي القمح . ولم تكن الكوليرا في القطر المصري كلهِ منذ شهرين من الزمان فهي وافدة اليهِ من الخارج من مكان كانت فيهِ واتى بها احد الناس اما بماء تخالطهُ ميكروباتها او بثياب ملطخة ببراز اناس ماتوا بها . ونودُّ ان تبحث الحكومة بحثاً مدققاً عن كيفية وصولها الى القطر المصري لتعاقب الذين اوصلوها عقاباً صارماً جزاء لهم وعبرةً لغيرهم وليتضح للناس كيفية انتقال هذا الوباء فيجتنبوهُ في المستقبل

ونعيد هنا ما قلناهُ وكررناهُ مراراً منذ عشرين سنة الى الآن وهو ان الكوليرا تنشأُ من ميكروبات صغيرة جدًّا لا تُرى بالعين لصغرها تدخل معدة الانسان مع الماء الذي يشربهُ او الطعام الذي يأْكلهُ فاذا لم تهضمها معدتهُ بل وصلت الى امعائهِ سليمة نمت فيها وتكاثرت وحاول جسمهُ التخلُّص منها ومن سمها بالقيء والاسهال فتمتزج بهما . والغالب ان سمها ينتشر في بدنهِ ويميتهُ . واذا اتَّصلت مبرزاتهُ بالماء او غسلت ثيابهُ الملطخة بها في ترعة يشرب الناس منها انتشر ميكروب الكوليرا في الماء ودخل معد الذين يشربونهُ . والذين يخالطون المصاب او يغسلون ثيابهُ قد تتلطخ ايديهم بشيءٍ من مبرزاتهِ ثم يمسكون طعامهم قبل غسلها جيدًا فيتصل الميكروب بهِ . واذا طُرحت المبرزات في الشوارع فقد تقع عليها الذبان فيلصق ميكروب الكوليرا بارجلها واجنحتها ثم تقع على الطعام فتنقل الميكروب اليهِ

هذه هي اشهر طرق العدوى ومتى عُرفت ظهر ان التوقي منها يقوم بالامور الآتية وهي

اولاً . حفظ المعدة في حالة الصحة حتى تستطيع هضم ميكروب الكوليرا اذا دخلها . وقد شرب الدكتور كلين خصيم الدكتور كوخ كاساً فيها كثير من ميكروبات الكوليرا فلم يصب بمكروه ثم ثبت انهُ ما دامت حموضة المعدة طبيعية مات ميكروب الكوليرا فيها ولكن اذا زالت الحموضة منها وصارت قلوية لم يمت بل مرَّ فيها سليماً الى الامعاء حيث يلقى عصاهُ وينمو ويتكاثر ولذلك يشير الاطباء باضافة قليل من الحامض اللبنيك او الهيدروكلوريك الى الماء وقت شربهِ تسهيلاً للهضم ومساعدةً لحموضة المعدة على قتل ميكروب الكوليرا

ثانياً . تنقية الماء مما يمكن ان يخالطهُ من ميكروبات الكوليرا باغلائهِ ثم تبريدهِ فان ميكروب الكوليرا يموت بالحرارة ولو كانت درجتها بين ٥٥ و ٦٠ بميزان سنتغراد اي تحت درجة الغليان بكثير ولكن الاغلاء اوفى . اما اذا كان الماء نقياً لا سبيل لاتصال ميكروبات الكوليرا بهِ فلا داعي لاغلائهِ

ثالثاً . تنقية المآكل كلها بتسخينها قبل اكلها او بغسلها بالماء الغالي حتى الخبز والفاكهة لان الذبان الذي يقع عليها قد ينقل ميكروب الكوليرا اليها

رابعاً.غسل اليدين قبل الاكل بماء فيهِ ما يميت ميكروب الكوليرا كالحامض الكربوليك والسليماني اما الحامض الكربوليك فيمزج الدرهم منهُ بخمسين درهماً من الماء. واما السليماني فيمزج الدرهم منهُ بثلاثة آلاف درهم من الماء

خامساً . الامتناع عن الاطعمة التي تلبّك المعدة مهما كانت وعن الاكثار من اي طعام كان لانهُ اذا تلبكت المعدة وضعفت عسر عليها قتل ميكروب الكوليرا اذا دخلها

سادساً . الابتعاد عن الاماكن الموبوءة اذا امكن لان وسائط التوقي قد لا تمنع وصول ميكروب الكوليرا الى الطعام او الى الشراب لا سيما وان الذبان تنقلهُ اليهما كما تقدَّم

اما في‌ء المصابين ومبرزاتهم فيجب صب السليمان عليها كلها لكي يميت ما فيها من الميكروبات وثيابهم الملطخة بقيئهم ومبرزاتهم تطهر بالبخار السخن او بمحلول السليماني او تحرق وهذا هو الاسلم. ولا يجوز صب مميتات الميكروبات في الكنف لان ميكروبات الفساد التي في الكنف تكفي لاماتة ميكروب الكوليرا واما اذا صُبَّ فيها مواد مميتة للميكروبات فقد تميت ميكروبات الفساد وتبقي ميكروب الكوليرا حياً

هذا من حيث الوقاية من الكوليرا اما العلاج فيجب ان يوكل الى الطبيب . ونذكر حضرات الاطباء باسلوبين شهيرين لمعالجة المصابين بالكوليرا الاول اسلوب الدكتور كنتاني على ما ورد في خطبة مسهبة لهُ عرَّبها المرحوم الدكتور سالم باشا سالم ونشرناها في المجلد الثالث

عشر من المقتطف والثاني اسلوب الدكتور السر جورج جنسن الذي لخصهُ الدكتور وديع برباري بعد ان استعملهُ في الكوليرا الماضية ونشرناهُ في المجلد الثالث والعشرين من المقتطف

اما الاسلوب الاول فمدارهُ على ان الحامضِ التنيك الذي مزج الدرهم منهُ بمئة درهم من الماء وسخِّن الى الدرجة ٣٨ يميت ميكروب الكوليرا في الامعاء اذا حُقن بهِ من المستقيم او يمنع ضررهُ وان الماء الذي فيهِ قليل من الملح يقاوم تكاثف الدم

اما الحامض التنيك فيذاب عشرة جرامات منهُ الى عشرين غراماً في ليتر ونصف الى ليترين من الماء السخن الذي حرارتهُ نحو اربعين درجة ويضاف اليها من ٢٠ الى ٣٠ نقطة من اللودنوم ويحقن بهِ المصاب في المستقيم . واما الملح فيذاب اربع جرامات منهُ و٣ جرامات من كربونات الصودا في لترمن الماء السخن ويحقن بهِ المصاب تحت الجلد في الجزء القطني البطني والاربيتين وتحت الكتفين والاليتين. والحقن الاول بالحامض التنيك يميت الميكروب فيوقف الاسهال والحقن الثاني بالماء والملح يقاوم تكاثف الدم والتسمم الحيضي الكيماوي وهو لا يستعمل الاَّ في الادوار الاخيرة من ادوار الكوليرا

واما الاسلوب الثاني فمدارهُ على ان القيء والاسهال اللذين يكونان في الكوليرا طريقتان يلجأُ اليهما الجسم لاخراج المواد المهيجة من الامعاء وبالمشاركة تُهيج المعدة ويحدث القيء. فالاسهال علاج طبيعي تجريهِ الطبيعة للتخلُّص من ميكروب الكوليرا ومن سمّهِ . فمن كانت بنيتهُ قويّة وقوي على احتمال هزال الاسهال الى ان يتم التخلُّص من سم ميكروب الكوليرا نال الشفاء والاَّ ذهب شهيد السم والاسهال . وشدَّة الاسهال تكون بالنسبة الى شدَّة المرض وكثرة الميكروبات وقوة فعلها وضعف البنية عن احتمالها . فكلما زادت المواد المهيجة زاد احتياج الجسم الى قوة طاردة . فالموت من شدَّة الاسهال دليل على قوة السم ولذلك فكل واسطة توقف الاسهال قبل خروج السم من الجسم تعجل الموت او تجعلهُ امرًا محتوماً . اما توقف الدورة الدموية في درجة التهوُّر او الدرجة الثالثة من درجات الكوليرا فسببٌ عن تقلص الطبقة العضليَّة في الاوعية الدموية بسبب تهييج سم الكوليرا الذي في الدم وبذلك يعلل فراغ الشرايين من الدم وفقد النبض وازرقاق العينين وغورها وبرودة الجسم . وتعاق الدورة الدموية في الرئتين فتقل كمية الاكسجين الداخلة الى الجسم وبتكاثف الدم فاذا فصد وريد من اوردتهِ في كل ذراع ونزل نقط قليلة من الدم منها يخف الضغط عن القلب ويزيد تقلُّص عضلاتهِ وتعود الدورة .

وقد ذكر الدكتور برباري القواعد التالية لمعالجة الكوليرا حسب اسلوب الدكتور جنسن وهي

اولاً . يجب الانتباه الى كل اسهال في زمن انتشار الكوليرا ولا يجوز اهمالهُ ساعة واحدة

ثانياً . لا يجوز السعي في توقيف هذا الاسهال بواسطة مركبات الافيون او غيرها من القوابض ما دامت الدلائل تدلُّ على وجود مواد سامَّة او مهيجة او منتنة في الامعاء والاَّ فيكون فعل القوابض وقتياً ومتى انتهى رجع الاسهال . وفي مدة استعمال القابض يزيد امتصاص الجسم للسم الذي في الامعاء ولذلك يجب طرد السم من الامعاء اولاً بمسهل بسيط ولا بأس بعد ذلك بأخذ جرعات صغيرة قابضة لتلطيف الاسهال اذا زاد كثيراً

وقد وُجد بالاختبار ان زيت الخروع احسن مسهل في هذه الاحوال لسرعة فعلهِ ولعدم تهييجهِ الامعاء ولما يعقبهُ من الامساك فتؤخذ ملعقة كبيرة منهُ بعد ان تمزج باللبن او عصير الليمون الحامض او الكنياك او مستحلب الصمغ العربي اخفاء لطعمهِ واذا تقيأ المصاب الجرعة الاولى تكرَّر حالاً ويمنع من تناول شيء الى ان يمضي نصف ساعة اي حتى يصل الزيت الى امعائهِ ويبتدئ فعلهُ . واذا حدث من فعلهِ ضعف يعطى المصاب نقطاً قليلة من الافيون . واذا كان لا يستطيع شرب زيت الخروع مطلقاً فلا بأس باعطائهِ الكالومل مع الكافور . فاذا فعل المسهل فعلهُ واتضح انهُ لم يبقَ في الامعاء الم ولا غاز ولا تطبُّل ونظف اللسان يستنتج ان المهيجات قد خرجت من الامعاء وان الامعاء قد صارت في غنىً عن المسهلات فيعطى المصاب اذ ذاك طعاماً لطيفاً مع قليل من الكنياك ويوقف الاسهال بالافيون

ثالثاً . لا يعطى الافيون الاَّ بعد ان يخرج ميكروب الكوليرا ومفرزاتهُ من الامعاء اي لا يقفل الباب قبل خروج العدو بل بعد خروجهِ ويجب في بعض الاحوال ان يكرَّر زيت الخروع والافيون بالتعاقب للتلطيف اذا كان الاسهال قوياً وبائياً مضعفاً . واذا فُرّغت الامعاء بجرعة من زيت الخروع تعود فتمتلئ حالاً من الافرازات المهيجة التي تكون قد تكونت فيها او رشحت من الاوعية الدموية . فيعاد اعطاء زيت الخروع

واذا رافق الاسهال قيء وجب مساعدتهُ بالماء السخن . وفائدة الماء السخن مزدوجة فانهُ ينبه الدورة الدموية ويساعد الاسهال على طرد المواد المهيجة . ولكن اذا جاشت النفس ولم يحدث القيء وترجَّح وجود مواد مهيجة او غير مهضومة في المعدة فلا يكفي الماء السخن بل يلزم اعطاء مقيء كملعقة صغيرة من الخردل او ملعقة كبيرة من ملح الطعام او عشرين قمحة من مسحوق عرق الذهب في ماء سخن . ومتى زاد القيء في القوة او عدد المرات يحسن تلطيفهُ بالثلج او بوضع الخردل على المعدة او اعطاء جرعة من الكالومل لتصريف مهيجات المعدة عن طريق الامعاء

ويروى العطش باعطاء الماء المبرَّد المحمَّض بقليل من عصير الليمون الحامض او الحامض الكبريتيك العطر . ولا بدَّ من ان يكون ماء الشرب نقياً وان يقيم المصاب في الفراش

واذا استمرَّ الاسهال وصارت المواد المفرزة مائلة الى البياض كماء الارز وهبطت حرارة الجسم وازرقَّ لونهُ يكون المرض قد وصل الى الدرجة الثالثة درجة التهوُّر فيجب حينئذٍ ان يلقى المصاب على ظهرهِ ويرفع رأسهُ وصدرهُ عن مساواة جسمهِ ويمنع عن الحركة وتفتح لهُ الشبابيك والابواب لتجديد الهواء ويسمح لهُ بشرب مقدار كبير من الماء المبرَّد بالثلج او قطع الثلج ولكن لا الى درجة كافية لحط حرارة الجسد الداخلية. واذا اشتدَّت الحالة جدًّا فيستحسن الجري على ضد ذلك اي يسقى الماء السخن لتدفئتهِ وتنبيه الدورة الدموية . واذا لم يحصل قيء في الحالين يمنع القيء لئلاَّ تتمدَّد المعدة بهِ فتعيق التنفس . وقد مدح بعضهم الحقن بالماء السخن لتنبيه الدورة الدموية ولا غنًى عن تدفئة الاطراف بالفلانلاَّ المسخنة وقزائز الماء السخن

ومتى حدثت الاعتقالات العضلية في الدرجة الثالثة يستعمل الدلك بالفلانلاَّ المسخنة ولا بأس باستعمال الادهنة المنبهة كالكلوروفورم والترنتينا ووضع الاطراف في ماء سخن اضيف اليهِ خردل

وتعرف حالة المصاب من المواد البرازية وحالة البطن ففي الاصابات السليمة يدوم الاسهال مدة الدرجة الثالثة والى بداءة رد الفعل . ومن اول علامات الشفاء ظهور الصفراء بعد انقطاعها مع المواد المستفرغة والمبرزة. واذا انقطع الاسهال في الدرجة الثالثة ينتهي المرض بالموت غالبًا وعليهِ فمن اهم الامور في الدرجة الثالثة منع الامساك بجرعات صغيرة من زيت الخروع . ومن دقق في فحص المصاب في الدرجة الثالثة وجد امعاءهُ متمددة بالمواد المائعة وليس فيها قوة لدفعها

واذا حدث نزف من الامعاء يمنع استعمال زيت الخروع ويبدل بزيت الترنتينا ٢٠ نقطة كل ساعتين مع مستحلب الصمغ العربي . ويمنع اعطاء الطعام للمصاب في الدرجة الثالثة لان افرازات المعدة تكون متوقفة فيبقى الطعام غير مهضوم ولا بدَّ من اعطاء مسهل خفيف من وقت الى آخر في درجة رد الفعل ويطعم المصاب حينئذٍ الاطعمة المغذية الخفيفة كاللبن والارز والتبيوكا والاروروط . وتكون المعدة ضعيفة وتبقى مدة قبل ان تسترجع قوتها على هضم الجوامد فيحسن في هذه الحالة ان يعطى المصاب جرعات صغيرة مقوية من الكينا والحامض الهيدروكلوريك مع الطعام

ومعلوم ان هذه الوسائل العلاجية لا يقوم بها غير الطبيب ولكن اذا كان اهل المريض عارفين بها ساعدوا الطبيب في استعمالها وسهل عليهم استعمالها في غيبتهِ ايضاً. اما الوسائل الواقية فيجب ان يعلموها ويعملوا بها من تلقاء انفسهم

———



قد رأينا بعد الاختبار وجوب فتح هذا الباب ففتحناهُ ترغيباً في المعارف وانهاضاً للهمم وتشحيذاً للاذهان . ولكنَّ العهدة في ما يدرج فيهِ على اصحابهِ فنحن براءٌ منهُ كلهِ . ولا ندرج ما خرج عن موضوع المقتطف ونراعي في الادراج وعدمهِ ما يأتي : (١) المناظر والنظير مشتقَّان من اصلٍ واحد فمناظرك نظيرك (٢) انما الغرض من المناظرة التوصل الى الحقائق . فاذا كان كاشف اغلاط غيرهِ عظيماً كان المعترف باغلاطهِ اعظم (٣) خير الكلام ما قلَّ ودلَّ . فالمقالات الوافية مع الايجاز تستختار على المطوَّلة

المرأة الشرقية

وصلني اليوم مقتطف مايو الماضي فرأيتُ فيهِ مقالةً نفيسةً لحضرة الكاتب البليغ اسعد افندي داغر موضوعها " المرأة الشرقية " بها يشكو تقصير نسائنا بازاء اخواتهنَّ الغربيات ملقياً تبعة ذلك التقصير على الرجال كأني بهِ يستنهض همم المشارقة لاصلاح حالتهم الاجتماعية عموماً وترقية نسائهم على الخصوص

وكنتُ وانا أُطالعُ هذه المقالة كَمَنْ يقرأُ افكارَهُ وافكار كثيرينَ مثلهِ من شبان المشرق الى ان وصلتُ الى اواخرها فوقفتُ عند قولهِ : — " وعندي ان المرأة الشرقية كاللغة العربية في حاجةٍ شديدة الى الترقية والاصلاح . وتبعة قصور كلٍّ منهما علينا نحن الرجال "

افكارٌ كثيرة مكدرة تمرُّ في مخيلة الشرقي الجالس في مكتبهِ في العالم الغربي وهو يطالع جرائد وطنهِ ومجلاتهِ التي سداها الجاهرة بكوننا متاخرين ولحمتها الحث على الاصلاح لانهُ لا يرى سوى " كلام في كلام " . ثم يرى جرائد العالم الاوربي والاميركي ومجلاتهِ تبحث عن اعمال الحكومة ونفعها او ضرها وعن مساعدة ولاة الامور لذلك المشروع او محاولتهم نبذ ذلك القديم المضر واقناع الشعب باتخاذ هذا الجديد النافع — اي انهُ يرى " افعالاً في افعال "

يقف الشرقي المتغربُ عند هذا المشهد المؤثر وقفةَ الحزين الآسف . يقف حزيناً لانهُ لا يرى تقصيرًا في رجال الشرق على ما اتهمهم بهِ حضرة الكاتب فانهم عند ما توفرت لديهم معدات النجاح اظهروا ما اشتهر عنهم من علو الهمة وتوقُّد الذهن . وشواهدنا على ذلك حسيةٌ عديدة نراها في نوابغهم في القطر المصري وغيرهِ حيثما وجدوا المسعفات من اهل الحل والربط لاظهار مقدرتهم العقلية في ميدان التقدم ويقف آسفاً متكدرًا لان احوال كتَّابنا لا تساعدهم

على البحث عن السبب المانع من وجود هذه "المسعفات" في اكثر بلدان المشرق وبغيرها لا يتم اصلاح النساء واصلاح اللغة واصلاح الوطن

اتاني طبيبٌ امركاني قبيل كتابة هذه السطور وقال لي في حديثهِ ان زوجتهُ مضت الى العاصمة — ريوجانيرو — لكي تخلص بعض الامتعة الواردة اليهما حديثاً من الولايات المتحدة. اي ان امرأة سافرت في قطار سكة الحديد ١٤ ساعة الى مدينةٍ يكره اهاليها الاجانب وعمَّال جماركها مشهورون بتصعيب الامور في تخليص بضائع الاجانب. ولكن المرأة الاميركية لاتبالي باصعب من هذه المشقات فهي امرأة كدّ وتحمل. امرأة تفكيرٍ وترو. امرأة دأبها الاستقلال الشخصي وديدنها الشجاعة الادبية امرأة تشارك الرجل في جهاد الحياة . وكل هذه امور لا ننكرها على الاميركية . ومنذ بضعة ايام اتتني فتاة سورية واستشارتني فيما يجب ان تعملهُ لوقايتها من امراض العاصمة الكثيرة فانها مزمعة على السفر اليها لكي تشتري بضائع لمحل تجاري لها وهو خاص بها وحدها ومسجَّل باسمها . وهي تديرهُ وتحسن ادارتهُ في داخلية هذه الولاية حتى صار معها من الجنيهات الانكليزيات ما يُعَدُّ بالالوف وهي على غاية من الظرف والتهذيب

الاولى امرأة اميركية طنطنت باخبار تقدمها جرائد العالم . والثانية سورية شرقية من وادي التيم دلَّت بنجاحها المادي وارتقائها الذاتي على انها تقبل التقدُّم مثل الاميركية وتتقدم بنفسها من غير واسطة حيث لا تجد مانعاً اجتماعياً يمنعها من ذلك او عائقاً سياسياً يعوقها عنهُ . فما السبب الذي جعل الغربيات يفقن الشرقيات مع انهنَّ من جبلةٍ واحدة وجنس واحد وطباع واحدة ؟ هل السبب من نفس المرأة الشرقية ام السبب كل السبب هو كون الاحوال الخارجية — الاجتماعية والسياسية — المحيقة بأُم المشرق بنسائها ورجالها ولغتها هي غير الاحوال الخارجية التي في العالم الغربي

وقبل ان اسأل هذا السؤال كان الاجدر بي ان اسأل لماذا نرى الرجل الغربي اكثر ارتقاء من الشرقي . وهذه الحقيقة اعني تأخر الشرقي حقيقةٌ محزنة ولكن الجهر بها من اوجب الواجبات على الباحث في الاصلاح

اذا علمنا اسباب تاخر رجالنا علمنا ايضاً اسباب تاخر نسائنا وتأخر لغتنا وتأخر كل شيءٍ مختص بنا فانهُ من المستحيل على الرجل المرتقي ان يرضى بتزوج امرأةٍ على غاية من الجهل والسذاجة كما انهُ من المستحيل ايضاً على نساء الامة المرتقية مدارك رجالها ان يبقينَ في حالة الجهل

قد قال احد الباحثين العصريين ان الرجل لا بد من ان يكون على حالة من حالات ثلاث في ما يتعلق بنظرهِ الى المرأة . اما ان ينظر اليها كانها آلة للتوليد لا غير . او ان يتساهل

فيقول انها مساوية لهُ في بعض الامور لكنها اضعف منهُ عقلاً واكثر منهُ حاجةً الى الاعتماد على الغير . او ان يعتقد انها مثلهُ في جسم الهيئة البشرية لها ما للرجل من الحقوق وعليها ما عليهِ نحو المجتمع الانساني من الواجبات . فمن اي نوع من هذه الانواع الثلاثة يمكننا ان نعد معظم رجالنا في الشرق يا ترى ؟

قام قاسم بك امين ونشر كتابيهِ الجليلين في " المرأة الجديدة " "وتحرير المرأة" . وبيَّن فيهما ان تأخر المرأة الشرقية ناتج عن تأخر الرجل الشرقي . فكيف يمكننا اذن اصلاح المرأة قبل اصلاح الرجل وهو الذي خصَّتهُ الطبيعة بكونهِ الاقوى والبادئ في كل شيء

وُجد قاسم بك امين الذي نعتهُ المقتطف بحق بلوثيروس الشرق في زمنٍ تنبهت فيهِ افكار المشارقة الى طلب الاصلاح . ولكن هل يتأتَّى النجاح لمصلحنا الفاضل بغير ان يقوم لهُ من ولاة الامور مَن يساعدهُ على نيل المرغوب ؟ أكان نجاح لوثيروس ميسوراً لهُ لو لم يقم منتخب سكسونيا ويأخذ بيدهِ في ذلك الموقف الحرج ؟ أكانت ترقية اليابان سهلةً لو لم يكن الميكادو الحالي ورجال دولتهِ من اول المنادين بالاصلاح والعاملين بهِ . وهل أخذت اشعة الاصلاح تنير القطر المصري لو لم يقم من ارباب الحل والعقد هناك من مهّد السبيل كذلك . . . . واذا طرقنا باب البحث من وجهةٍ أخرى نجد ان اصلاح الرجال لا يقوم بدون تعميم التعليم والتهذيب. وهذا ايضاً لا يتيسر لاية أمةٍ كانت ما لم تأخذ القوة الحاكمة معظم ذلك على عاتقها وتجعل التعليم الزامياً كما نراهُ الآن في ارقى ممالك الارض . وعندئذٍ يستحيل على الرجل المهذب ان يحرم بناتهِ من التنوير وحسن التربية اذا كانت تلك التربية ميسورةً لديهِ في مدارس اميرية لا تكلفهُ كثير نفقة

وكلمة " الزامي " في الفقرة السابقة جعلتني اذكر الآن ما نقلتهُ في صدر هذه الرسالة من كلام اسعد افندي داغر عن " ان المرأة الشرقية كاللغة العربية محتاجة الى الاصلاح " . كأنهُ من الممكن ترقية اللغة بدون ترقية الامة المتكلمة بها . وكأن ترقية تلك الامم الشرقية الخاضعة الآن لحكومات أجنبية مما يمكن رجال المشرق من غير ان يقوم بينهم من اولي الامر والنهي انفسهم مَن يُعينهم على نيل المرغوب

كيف ترتقي العربية وقد طردتها الانكليزية من القصر العيني بمصر عن يد القوة الحاكمة نفسها ؟ وكيف ترتقي العربية وقد دُحرت من المدرسة الكلية السورية ببيروت منذ نيف وعشرين سنةً وفي خلالها لم نرَ تأليفاً علمياً صدر من ذلك الصرح العلمي الشهير . وكنَّا قد اعتدنا ان نرى عشرات من التآليف العربية المفيدة قبل تلك الحادثة المكدرة . والى الآن لم أرَ

مؤلفاً عربياً خطتهُ يد احد المتخرجين من الكلية اليسوعية في بيروت لانها لم تعتني الاعتناء اللازم باللغة العربية منذ تأسيسها

فكيف يتسنى لنا اذاً ترقية لغتنا ونحن لا نجد الاَّ المُعاكسات من اكثر الذين لهم النفوذ في الشرق والذين منهم وحدهم يرجى كل تنشيط وتشجيع . وعندي ان اعتداد اهل القطر المصري بكلام المستر ولمور وهو قاضٍ انكليزي في بلادٍ عليها السيطرة الانكليزية يؤيد ما نحن بصددهِ الآن . فان الضعيف كثير التشبه بالقوي والمرؤوس يكثر من تقليد الرئيس

وقد حان للشرق ان يرى في مقدمة المُصلحين كثيرين من ارباب النفوذ والوجاهة . فان في رجال الشرق همَّةً قعساء لا ينكروجودها أحدٌ الاَّ من اعمت بصيرتهُ الاغراض الذاتية او التعصبات الجنسية . وما التقصير من "رجالنا" بل جلُّ ما ينقصهم هو ان تمهد لهم القوات المتسلطة في الشرق سُبُلَ الترقية والنجاح والاَّ فكل الابحاثِ عن هذه المواضيع واشباهها لا يكون على ما ارى سوى "كلام في كلام" الدكتور

سان باولو بالبرازيل سعيد ابو جمره

مدارس الشويفات الانكليزية

في العشرين من حزيران (يوليو) احتفلت مدارس الشويفات الداخلية للصبيان والبنات احتفالها السنوي المعتاد فشهدهُ جم غفير من اعيان الوطنيين والاجانب وجرى الاحتفال قبل الظهر في مدرسة البنات فالمنتهيات منهنَّ وقفنَ موقف الخطابة والقينَ على مسامع الحضور خطباً بالانكليزية والعربية والافرنسية دلَّت على سلامة ذوقهنَّ وبراعتهن في الالقاء وكان لكلامهنَّ وقع حسن في قلوب سامعيهِ وفي الختام وقف جناب الفاضل الدكتور هنري جسب وخطب خطاباً انيقاً كانت تغشاهُ سحابة من تصدية الاستحسان عند كل وقفة . ثم وزعت الشهادات على المنتهيات وهنَّ . عدلا شهاب . اسمى بلمع . نبيهة شهاب . روزا ابو مسعود . ادال ابو مسعود . نظلة برباري . املي دمشقي . اولغا كوراني . فريدة نخو . نلي سليمان . ثم شدون مترنمات بلحن شجي بترنيمة وداعية حقق كل من سمعها انهُ في موقف وداع

ولما اذنت الساعة الواحدة ونصف بعد الظهر وهي المعينة لاحتفال مدرسة الصبيان الداخلية قدم الناس اليها زرافات فافتتح الحفلة جناب العالم رشيد افندي مراد الخوري استاذ المدرسة بقصيدة عامرة الابيات تتضمن مدح الجمهور وشكرهم لاجابتهم الدعوة بالحضور ثم القى بعض التلامذة خطباً بديعة فوفى كل منهم الخطابة حقها من تنسيق المعاني وحسن الالقاء

ولما فرغ الخطباء من القاء خطبهم وقف حضرة الاديب فؤاد افندي طانيوس غصن استاذ اللغة الافرنسية في المدرسة والقى خطاباً افرنسياً موضوعهُ الثبات اجاد بهِ ما شاء فكان تصفيق الجمهور لهُ متواصلاً . ثم تلاهُ جناب السري الامير شديد بلمع وقرظ الاحتفال تقريظاً لطيفاً بعبارات فصيحة مدح بها حضرة رئيسة المدرسة السيدة لويزا بروكتر وشكر مساعيها التي تكللت بثمرات النجاح في ترقية الطالبات درجات العلم والادب واثنى على جناب الهمام طانيوس افندي سعد مدير هذه المدارس وتلاهُ حضرة نجلهِ الذكي الامير توفيق فحضرة الامير بشير شهاب فحضرة ملحم افندي خلف وارفض الحشد يثنون على حضرات رئيسة المدرسة ومديرها واساتذتها

حنا صروف

باب التقريظ والانتقاد

تاريخ الرومانيين

تأليف محمد بك فريد المحامي

محمد بك فريد المحامي نجل المرحوم فريد باشا من اعلى ابناء مصر همةً واكثرهم بحثاً في المسائل التاريخية وقد اتحفنا الآن بجزء من تاريخ الرومانيين وقال في مقدمتهِ انهُ اختارهُ "لانهُ مفعم بالحوادث الصادرة عن حب الوطن والاخلاص لهُ والتفاني في خدمتهِ والتهالك في الدفاع عنهُ والذود عن حوضهِ ولان مطالعتهُ واجبة على كل من يريد معرفة طرق تقدم الامم وارتقائها وكيف تنال الحرية والاستقلال بالدفاع عن حقوقها قبل كل معتدٍ ظالم والاتحاد على ما فيهِ خير وطنهم وفلاحهُ وجمع كلمتهم امام الاجنبي المهاجم والدخيل المزاحم ونبذ النفاق والشقاق من بينهم ليكونوا يداً واحدة لاعلاء شأن الوطن وبنيهِ"

ولو سألنا حضرة المؤلف من هو الاجنبي المهاجم والدخيل المزاحم في القطر المصري وهل يصدق ذلك على العائلة الخديوية مثلاً او على الدولة العثمانية او على الامة العربية التي هاجمت بلاد الاقباط واخذتها من اهلها او هل يصدق بنوع خاص على البيوت التركية التي زاحمت الاهلين مثل بيت المرحوم والدهِ او هل يصدق على كل اجنبي استوطن هذا القطر من عرب وعجم وترك وديلم لو سألناهُ ذلك وانصف لترك هذا الوتر ولم يعد يعزف عليهِ واكتفى بالحث على نبذ النفاق والشقاق

والجزء الذي نشرهُ الآن من هذا التاريخ يبتدئ من تأسيس مدينة رومية سنة ٧٥٤ قبل الميلادِ وينتهي بخراب قرطاجنَّة سنة ١٤٨ قبل الميلاد وهو مثل كل مؤلفاتهِ منسجم العبارة واضح البيان فنشكر لهُ عنايتهُ بجمعهِ ونشرهِ

نهضة الاسد

نُشر تاريخ الثورة الفرنسوية في تاريخ فرنسا الحديث الذي طُبع في بيروت سنة ١٨٨٤ لكن الحوادث التاريخية اذا أُفرغت في قالب الرواية وافرغها مؤلف ماهر مثل اسكندر دماس الكبير كانت تلاوتها اوقع في النفوس . وقد لخَّص حضرة رصيفنا الفاضل فرح افندي انطون منشئ مجلة الجامعة رواية دماس عن الثورة الفرنسوية وطبعها في ثلاثة اقسام سمَّى الاول نهضة الاسد لانهُ يصف نهوض الشعب الفرنسوي في ثورتهِ الكبرى الى طلب حقوقهِ وتذكير الحكام بواجباتهم . والثاني وثبة الاسد لانهُ يصف وثوب الشعب على المظالم وكسر نير الاستعباد والاستبداد . والثالث فريسة الاسد لان موضوعهُ افتراس الثورة للملك لويس السادس عشر والملكة ماري انطوانت قرينتهِ وجميع النبلاء ومشاهير الرجال . وحوادث الثورة الفرنسوية مفصَّلة في هذه الرواية احسن تفصيل وقد مزج بها المؤلف اخبار كاليسترو ومسمر واضاليلهما اي مزجهما الحق بالباطل مثال ذلك ما ورد في الرواية عن نوم اندري واعترافها بما تعلمهُ فان النوم ممكن واعتراف النائم بما يعلمهُ ممكن ايضاً . ولكن قولها بعدئذٍ ان مسمر نوَّمها نوماً مغنطيسياً فعلمت وهي نائمة بوجود الصندوقة ورأت اين كانت مخبوءة خداع لا صحَّة لهُ ولو استطاع منوّم ان يكشف المخبآت لا ستُعمل التنويم لكشف كل مخبإٍ وركاز . وقد انكر العلماء كثيرًا من دعاوي مسمر لا لأنهم جهلوا سببها بل لانهُ لم يقُم ادلة صحيحة على صحتها والادلة التي اقامها اثبتوا فسادها . فاذا قال قائل ان عندي دواء يجعل الحمار فرساً طالبناهُ بالدليل على صحة قولهِ اي باثبات قولهِ بالامتحان فاذا عجز عن اثباتهِ بالامتحان قلنا انهُ من الدعاوي الكاذبة . ثم ان الذي يحكم بصحَّة الامتحان او بفسادهِ يجب ان يكون كفئاً للحكم خالياً من الغرض فاذا ادَّعى رجل انهُ اكتشف دواء يشفي من السرطان وشهدت امهُ واختهُ وخالتهُ وكل نساء قريتهِ بصحة دعواهُ لم تقم شهادتهنَّ عند اهل التحقيق وانما الشهادة التي تقبل هي شهادة جمهور من الاطباء المجربين الذين يفحصون المصاب ويثبتون انهُ كان مصاباً بالسرطان بتطعيم الحيوانات منهُ وحدوث داء السرطان فيها ثم يثبتون انهُ شفي منهُ بزوال الاورام السرطانية تماماً وتطعيم الحيوانات بمواد مستخرجة من اماكنها وعدم ظهور داء السرطان فيها . وقد امتحنت

لجنة من العلماء دعاوي مستر فوجدت اكثرها كاذبًا . "وعلى المدعي البينة" والعالم معذور بانكار ما يخالفهُ علمهُ الى ان تقوم البينة على صحتهِ

وقد نشرت هذه الرواية التاريخية في اربعة اجزاء بعد ان نُشرت تباعًا في مجلة الجامعة فنثني لحضرة ملخصها وناشرها الشكر الجزيل

روايات الشعب

اهدت الينا مطبعة الشعب ست روايات صغيرة ثمن كل رواية منها غرش واحد وهي معربة باقلام جمهور من الادباء وقيل في مقدمتها انها تُرجمت ونشرت لكي يشدَّ بها ازر الحركة الجديدة التي يرجى ان تعود على البلاد بالخير في اقرب الاوقات وانها احسن اثر في نفوس الامم لانها ترقي الكمال والادب وشرف النفس وتوسع الفكر وتسمو بالعواطف. فعسى ان تكون كما وُصفت

تقرير مصلحة البوسطة

لا يزال النمو والارتقاء حليفين لمصلحة البوسطة فقد زادت المراسلات المتبادلة داخل القطر في العام الماضي عما كانت عليهِ في العام الذي قبلهُ اكثر من مليون فانها كانت ٢١٨٢٠٠٠٠ فبلغت ٢٢٨٢٧٠٠٠ وكذلك عدد المراسلات الصادرة الى البلدان الاخرى والواردة منها

ومن ذلك زيادة اعتماد الناس على البوسطة في تحصيل اموالهم فقد حصلت سنة ١٩٠٠ نحو ثلثمئة الف جنيه وسنة ١٩٠١ اكثر من ٤٣٦ الف جنيه فالزيادة نحو ٤١ في المئة

ومنهُ ازدياد مراكز البوسطة في العام الماضي ٦١ مركزًا وازدياد المكاتب وحدها ١٢ مكتبًا

هذا من حيث آثار النمو اما آثار الارتقاء فمنها تخفيض رسوم النقود المرسلة من مكان الى آخر فان البوسطة كانت تأخذ ١/٤ في المئة حتى سنة ١٨٩٥ ثم خفضت هذا الرسم وجعلتهُ ١/٨ في المئة ثم خفضتهُ في شهر ابريل الماضي وجعلتهُ ١/١٢ في المئة فقط ولكن الظاهر ان مكتب البوسطة في العاصمة لا يعرف ذلك حتى الآن وليست هذه اول مرة اهمل فيها المرؤوسون العمل باوامر رئيسهم

ومنها انشاء صندوق التوفير اقتداءً بالممالك الاوربية وقد انشئ في غرة مارس سنة ١٩٠١ وبلغ عدد مكاتبهِ في العام الماضي ٢٨ وكان الجناب الخديوي اول من وضع مالاً فيهِ . وبلغ عدد الذين وضعوا النقود فيهِ في العام الماضي ٦٧٤٠ اكثرهم من الموظفين والمستخدمين ونحو نصفهم من الوطنيين والنصف الآخر من المستوطنين اكثرهم من الايطاليين والانكليز واليونان .

وبلغت الاموال التي ودعت فيهِ نحو ٨٦ الف جنيه والبوسطة تدفع لاصحابها فائدة بمعدل ٢/١ ٢ في المئة سنويًّا

كتاب حاضر المصريين

كتب حضرة العلاَّمة المفضال القاضي امير علي الى حضرة الاديب المجتهد محمد افندي عمر صاحب هذا الكتاب ما ترجمتهُ

ورد كتابك المؤرخ ٨ مايو الماضي ومعهُ نسخة من مؤلفك العربي "حاضر المصريين او سر تأخرهم" فاشكر لك ذلك كثيرًا

وحررت هذا لك بالانكليزية لاسباب اولها اني تعودتُ ان اقضي كل اشغالي بها فاستسهلها في التعبير بها عن افكاري بكل سهولة وثانيًا لان الافصاح عن رأي من الآراء بهذه اللغة يكون اوسع انتشارًا بها منهُ بسواها ولان كثيرين يطلعون على ما يكتب بها . هذا وقد قرأت كتابك باهتمام عظيم ومنهُ استنتجت فوائد جمَّة وان وصفك للهيئة الاجتماعيَّة المصريَّة الاسلامية ينطبق تمام الانطباق على الهيئة الاجتماعية الهندية الاسلامية وحالة معيشتها وما وصفتهُ حضرتك من الدواء لا يصلح لمصر فقط بل للعالم الاسلامي بامرهِ وان انحطاط الامم الاسلامية ناشئ عن عدم التربية والتعليم وما استولى على المسلمين عمومًا من السبات الفائق الحد . لانهم ما داموا متمسكين بالماضي فلا تؤثر فيهم عوامل التمدن الحديث . وقد دهشت كثيرًا بما ذكرتموهُ في مؤلفكم عن خراب عائلات المسلمين المصرية من عهد ليس ببعيد . وهذا لما يطابق الواقع عندنا . واني اصادق على ما ابديتموهُ عن تعليم الاولاد وتربيتهم . فان تعليم النساء لمن الزم الامور لتقدم الامة اذ من البديهي ان الاطفال يتغذون بلبان الاعتقادات الفاسدة من الامهات الجاهلات . واما ما اشرتم اليهِ عن تعليم المصريين وجعلهم صالحين للعمل والحياة المستقبلة فانا اقدرهُ حق قدرهِ . وفي الختام اشكركم كثيرًا للتكرم بارسال نسخة من كتابكم اليَّ

كلكتا الامير علي

وكفى بهذه الشهادة من عالم من اكبر علماء الهند للدلالة على اتفاق فضلاء الامة في تشخيص دائها ووصف دوائها ولا عبرة بما يقولهُ الذين اعتادوا استعمال المسكنات والمخدرات مخافة ان يروا ما يحيق بهم من الدمار وما يتهددهم من سوء المصير

الحجاج بن يوسف

رواية تاريخية غرامية من قلم حضرة رصيفنا الفاضل جرجي افندي زيدان منشىء الهلال وهي الحلقة السادسة من سلسلة روايات تاريخ الاسلام تتضمن حصار مكة على عهد عبدالله ابن الزبير الى فتحها ومقتل ابن الزبير وخلوص الخلافة لعبد الملك بن مروان . ويتخلل ذلك وصف مكة والمدينة وعادات اهاليهما واخلاقهم وسائر احوالهم . ومن رأي حضرة المؤلف ان نشر التاريخ على اسلوب الرواية افضل وسيلة لترغيب الناس في مطالعتهِ والاستزادة منهُ وقد قال ان العمدة في رواياتهِ على التاريخ وانما يأتي بحوادث الرواية تشويقاً للمطالعين فيبقى الحوادث التاريخية على حالها ويدمج في خلالها قصة غرامية تشوق المطالع الى استتمام قراءتها فيصح الاعتماد على ما يجيء في هذه الروايات من حوادث التاريخ مثل الاعتماد على اي كتاب من كتب التاريخ من حيث الزمان والمكان والاشخاص

هذا والرواية حسنة اللغة سهلة العبارة يجدر بجميع الراغبين في مطالعة الروايات قراءتها لما فيها من الفائدة التاريخية واللذة العقلية

فتاة الاسكندرية

ان كان مؤلف هذه الرواية قد اوجز فيها هذا الايجاز فيكون قد قصَّر في واجب موضوعهِ كل التقصير لانهُ يحتمل شرحاً طويلاً ولا يملُّهُ القارىء لكننا نستبعد ذلك لما يُعلم من سعة معارفهِ ومقدرتهِ على التوسُّع في الشرح كيف لا وهو صاحب رواية كوفادس الشهيرة كما يظهر من اسمهِ. وان كان هذا الايجاز من المترجم فيكون قد اخطأ الى رواية من ابدع الروايات واكثرها فائدةً وحبذا لو زاد عبارتها تنقيحاً فانها من الروايات الجليلة الحريَّة بكل اعتناء

مجلة الاحكام الشرعية

اهدي الينا العدد الاول من مجلة الاحكام الشرعية لحضرة المحامي الشرعي حسن بك حماده من متخرجي مدرسة الحقوق السلطانية في الاستانة وهي مجلة قضائية شرعية علمية ادبية تصدر في منتصف كلّ شهر عربي . ومن مواضيع العدد الاول القضاء الشرعي في مصر ماضيهِ وحاضرهُ . والمحاماة والقضاه . والمجالس الحسبية . وتنازع الاختصاص وغير ذلك من المواضيع القضائية فنثني على حضرتهِ طيب الثناء ونتمنى لمجلتهِ الرواج

المذكرة الذهبية

ألَّف حضرة الاديب اسكندر افندي فهمي من مدرسي مدرسة الاقباط الارثوذكسية بالاسكندرية كراساً سماهُ المذكرة الذهبية في المقاييس والموازين والمكاييل والنقود المصرية ومقارنتها بالانكليزية والفرنسوية . ويليها ١٦٨ مسألة واجوبتها لتلامذة السنة الثالثة والرابعة الابتدائيتين حسب المقرر في البروجرام الاخير

رسائل ارشاد الافكار الى طريق الابرار

هذا عنوان كتيّب لحضرة الشريف منصور افندي رئيس جمعية التعاون الاسلامي يتضمن ترجمة الشريف بقلم احد اصحابهِ واحدى عشرة رسالة في بيان امر المهدوية وسياسة الراعي بالرعية وحقائق علم الدين الاسلامي وهو يباع على حساب جمعية التعاون الاسلامي بعشرة غروش صاغ وبنصف هذه القيمة لطلبة العلم

باب المسائل

فتحنا هذا الباب منذ اوّل انشاء المقتطف ووعدنا ان نجيب فيهِ مسائل المشتركين التي لا تخرج عن دائرة بحث المقتطف . ويشترط على السائل (١) ان يمضي مسألتهُ باسمهِ والقابهِ ومحل اقامتهِ امضاء واضحاً (٢) اذا لم يرد السائل التصريح باسمهِ عند ادراج سؤالهِ فليذكر ذلك لنا ويعين حروفاً تدرج مكان اسمهِ (٣) اذا لم ندرج السؤال بعد شهرين من ارسالهِ الينا فليكررهُ سائلهُ فان لم ندرجهُ بعد شهر آخر نكون قد اهملناهُ لسبب كافٍ

(١) الاعتدال

سنورس . عزيز افندي ابرهيم . بكلية اسيوط جمعية اسمها جمعية الاعتدال غايتها الامتناع عن شرب المسكرات فهل يصح ان تسمَّى بهذا الاسم . وهل تجدون لها اسماً اصلح منهُ

ج نظن اننا نحن الذين اخترنا هذا الاسم وقد فضّلناهُ على غيرهِ لانهُ مثل كلمة temperance المترجم منها بكل معانيها الاصلية . اما الامتناع التام عن المسكرات فمعنى حديث عارض عليها يصح ان يضاف الى الكلمة العربية كما اضيف الى الكلمة الانكليزية. ولا نعلم كلمة عربية معناها الامتناع التام عن المسكرات . وقد اشار البعض باستعمال كلمة صحو وهي مصدر من صحا السكران اي ذهب سكرهُ ولكن يعترض عليها بانها تستلزم وجود السكر اولاً

(٣) التهاب البريتون

صدفا . ناشد افندي جبرائيل . قرأت في احد الكتب ان البريتون غشاء يغلف الامعاء والكبد وبعض اعضاء البطن فاذا اصاب التهابهُ جميع امتداد الغشاء كان منهُ خطر واذا اصاب جزءا منهُ انتهى بالشفاء. وان اكثر وقوعهِ في الاشخاص المصابين بالتدرُّن والسرطان فهل ذلك صحيح وهل من دواء يشفي منهُ من غير عملية جراحية وما الفائدة من اجراء العملية الجراحية وهل تعاطي الافيون خير دواء لهُ

ج ان اكثر ما ذكرتموهُ في سؤالكم صحيح فالتهاب البريتون هو التهاب الغشاء المصلي الذي يكسو الامعاء والاحشاء البطنية وبطن جدران البطن والعام اشدُّ خطرًا من الجزئي ومن اسبابهِ انثقاب المعدة بسبب سرطانها او انثقاب الامعاء بتدرنها لكن لهُ اسبابًا اخرى كثيرة غير ذلك. والعملية الجراحيَّة لا تستعمل الاَّ اذا كان الالتهاب ناتجًا عن سبب يقتضي عملية جراحية كالادرة المخنوقة. اما الافيون فيستعمل اذا كان الالتهاب ناتجًا عن ثقب في المعدة او الامعاء لتسكين الاعراض

قدم المخلوقات

ومنهُ . قلتم في جواب سؤالي في الجزء السابع ان الادلة كثيرة ومقنعة ان الخليقة خلقت منذ اكثر من ستة آلاف سنة فاذكروا لنا بعض هذه الادلة

ج ان تاريخ بلادكم مصر يمتدُّ الى اكثر من اربعة آلاف سنة قبل المسيح نعم ان الباحثين مختلفون في تاريخ الدولة الاولى من الدول المصرية فشمبليون يجعل زمنها ٥٨٦٧ قبل المسيح ومريت ٥٠٠٠ قبل المسيح وبرغش ٤٤٠٠ قبل المسيح ولبسيوس ٣٨٩٢ قبل المسيح ولكن اقل هذه السنين يبلغ نحو اربعة آلاف سنة وحساب برغش ارجح من غيرهِ . وكانت الامة المصرية مرتقية في عهد الدولة الاولى ارتقاء لا يبلغهُ البشر الاَّ في الوف كثيرة من السنين كما يظهر من ابنيتها ونقوشها واسلوب حكومتها . ويظهر من هذه النقوش ان الفرق بين اجناس الناس كان قد صار عظيمًا في ذلك العصر كما هو الآن فكان المصري يفرق عن الزنجي وعن الصقلبي وهذه الفروق لم تتكوَّن الاَّ بعد ان انفصلت طوائف الناس واختلفت مساكنها ومرَّ عليها كذلك الوف من السنين بدليل ما نراهُ الآن من بطء التغير في اشكال الناس فان كانت الف سنة لم تكفِ الآن لصيرورة العربي ساكن افريقية زنجيًا افطس الانف ضخم الشفتين فهي لم تكن كافية في الازمنة الغابرة . ثم ان الخليقة لا تقتصر على الانسان بل تعم سائر المخلوقات الارضية وهذه عاش جانب كبير منها ومات منذ سنين لا يحصيها الاَّ الله فان جانبًا كبيرًا من جبال الارض مكوَّن من اصداف حيوانات بحرية عاشت

وماتت ووقعت اصدافها في قاع البحر وتراكمت بعضها فوق بعض طبقات كثيرة في ادوار مختلفة ثم ارتفع قاع البحر بفعل الحرارة المركزية او باسباب اخرى فصار برًّا ثم زاد ارتفاعهُ فصار جبالاً وتماسكت بقايا الاصداف بعضها ببعض فصارت صخورًا ومن بعض هذه الصخور قطعت حجارة الاهرام منذ ستة آلاف عام والاصداف البحرية ظاهرة فيها . وقد مرَّت مياه الامطار على بعض هذه الصخور في بلدان اخرى فنحتتها رويدًا رويدًا الى ان اذابت اكثرها وعادت بهِ الى البحر واذا قدّر ما تُنحَتهُ منها كل سنة وما نُحتهُ منها حتى الآن ظهر انها ابتدأت في نحتها منذ ملايين كثيرة من السنين . هذه بعض الادلة التي يمكن ايرادها على قدم المخلوقات الارضية

(٤) اسماء اشهر الممثلين

ومنهُ . ما هي اسماء اشهر الممثلين والممثلات في الدنيا الآن

ج كوكلين وارفنغ وساره برنار وادلينا بتي

---

(٥) سكان اميركا الاهليون

الاسكندرية . الخواجه بترو خليل فرداحي . قرأت في الجزء العاشر من سنة ١٩٠١ عن كيفية دخول كريستوف كولمب الى اميركا وذكرتم انهُ كان هناك هياكل فما هي تلك الهياكل وما كانت معبودات الاميركيين في تلك الايام وما هي اللغة التي كانوا يتكلمونها

ج تجدون الجواب عن ذلك كلهِ في المقالات التي نشرناها تباعاً عن افتتاح اميركا بنوع عام والمكسيك بنوع خاص وفي ما سننشرهُ ايضاً في الاجزاء التالية

(٦) اهرام مصر

ومنهُ . كم عدد اهرام مصر وعلى عهد من بنيت وكم كان عددها وما هو القصد من بنائها وكم اقتضى من السنين لبناء كل هرم منها وهل سخّر الاسرائيليون في بنائها

ج عددها نحو ٧٢ هرماً بنيت على عهد ملوك مصر الاقدمين في ازمنة مختلفة اشهرها هرم الجيزة الاكبر الذي بناهُ الملك خوفو من ملوك الدولة الرابعة وكان قبل المسيح بنحو ٣٧٣٣ سنة ويتلوهُ الهرم التالي لهُ بناهُ الملك خفرا وكان قبل المسيح بنحو ٣٦٦٦ سنة والهرم الثالث بناهُ الملك منكرع وهو الرابع من الدولة الرابعة وتاريخهُ سنة ٣٦٣٣ قبل المسيح . ومن الاهرام المشهورة هرم اوناس وهرم تيتا وهرم ببي ولا يعلم كم من الزمن اقتضى بناء كلٍّ منها . والقصد من بناء الاهرام ان تكون مدافن او رموساً او انصاباً فوق المدافن وقد ذكر هيرودتس انَّ بناء الهرم الاكبر اقتضى عشرين سنة وتمهيد الطريق لجلب حجارتهِ اقتضى عشر سنوات وبعضها لا يعلم مَن بانيهِ حتى الآن ولم يذكر في الآثار

المصرية ان الاسرائليين سخّروا في بنائها ولكن ان كانوا في القطر المصري وقت بنائها فالمرجح انهم لم ينجوا من السخرة

---

(٨) باي تونس

تونس . د.ن جاء في الخطبة التي تلاها المسيو يشون يوم تنصيب سمو باي تونس الفقرة التالية

Je donne à Votre Altesse l'investiture solennelle au nom du Gouvernement de la République.

فكيف تترجمونها الى العربية

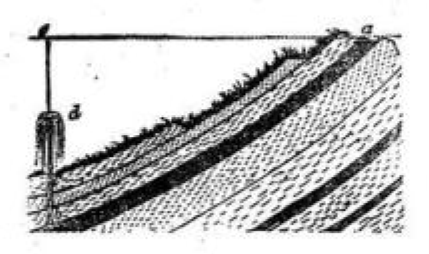
ج اقلّد سموكم السلطة الرسمية باسم الحكومة الجمهورية

---

(٨) الآبار الارتوازية

قنا . اسحق افندي بارد . سمعنا بالآبار الارتوازية وشاهدناها في اوربا ولم نشاهدها في القطر المصري الاّ نادرًا فهل عدم الاكثار منها في القطر المصري مسبَّب عن اهمال ذويهِ او عن عدم نجاحهم لقلة المياه في جوف الارض

ج لا تكون الآبار الارتوازية الاّ حيث يكون في الارض تجويف تجتمع المياه فيهِ ولا تنفذهُ او يكون فيها طبقتان صخريتان او طفاليتان مانعتان لنفوذ الماء وبينهما طبقة هشّة تجتمع المياه فيها والطبقتان ممتدتان الى مكان مرتفع فاذا حفرت بئر ووصلت الى هذا الماء صعد فيها حتى يوازي ارفع نقطة متصلة بهِ كما ترون في هذا الشكل فقد فُرض فيهِ ان الخط الاسود المدلول عليهِ بالحرف a الافرنجي طبقة من الارض هشّة بين طبقتين من الصخر او من الطفال المانع لمرور الماء فاذا ثقبت الارض بين الحرفين c وb بئر ضيقة خرج الماء منها ونبع في الجو كانهُ خارج من فسقية لان الماء الذي في الطبقة الهشة متصل الى حيث الحرف a ولولا مقاومة الهواء لهُ لبلغ ارتفاعهُ اعلى الشكل حيث الحرف a . والمرجح عندنا ان هذه الشروط للبئر الارتوازية غير



متوفرة في القطر المصري والآبار التي حُفرت فيهِ تُسمى ارتوازية توسعًا . ولا نرى مزية زراعية ولا صحية من تعميق الآبار جدًّا فان ماء السواقي العادية في القطر المصري غزير صحي مثل ماء الآبار التي يقال انها ارتوازية فيهِ ولا يقل عنهُ جودةً وصحةً ولقد كان احد اصدقائنا يحفر بئرًا ارتوازية منذ سنتين عن يد مقاول تعهّد لهُ بحفرها وبان الماء يخرج منها غزيرًا لري اطيانهِ فنصحنا لهُ مرارًا ان يعدل عن ذلك لئلاّ يضيع مالهُ سدًى فلم يعدل واخيرًا عاد بصفقة المغبون بعد ان انفق خمس مئة

جنيه ولم يخرج من البئر ماء اكثر مما يخرج من ساقية عادية لا تزيد اكلافها على اربعين جنيهاً

(٩) ماريون دلورم

دمياط . ع . ل . كثيرًا ما رأيت في مؤلفات الكسندر دياس ذكر امرأة تسمى ماريون دلورم ويظهر منها انها كانت من ذوات الوقائع الخطيرة مع رشليه الوزير الشهير. وقد بحثت عن هذا الاسم في القسم التاريخي من قاموس لاروس فوجدت ما ترجمتهُ "ماريون دلورم امرأة اشتهرت بجمالها ووقائعها في عصر لويس الثالث عشر ولدت في شالون سيرمارن (١٦١٢ — ١٦٥٠)". والظاهر ان المؤلف امسك عن الاسترسال في ايراد تاريخها لئلا يكون فيهِ ما لا يجوز اطلاع التلامذة عليهِ فهل لكم ان تذكروا لنا شيئًا آخر عنها

ج خلاصة تاريخها ان عشاقها كانوا كثارًا ومنهم دوق بكنهام وسنت افرمند ودوق بريساك واميري ويقال ان الكردينال نفسهُ لم يكن خليًا من حبها وانهُ اقصى عنها حبيبها الذي كانت تحبهُ حقيقة حبًّا شريفًا وهو الشاب سنك مارس . وكان بيتها مباءة لزعماء حرب الفرنديز حتى عزم مازارين ان يلقيها في السجن من اجل ذلك لكنها توفيت فجأة سنة ١٦٥٠ وزعم البعض انها لم تمت بل هربت الى لندن وتزوجت هناك ثم عادت الى باريس وقال البعض انها بقيت حيَّة الى سنة ١٧٤١ لكن ذلك من الخرافات وقد بنى فكتور هيغو رواية على قصتها

(١٠) يهوديت

ومنهُ . مَن هي يهوديت الفتاة الاسرائيلية التي دمَّرت معسكر الاشوريين وكيف كان ذلك

ج هي ارملة يهودية نجَّت بلدها بيت فلوى من يد الاشوريين بمكيدة كادتها لقائد جيوشهم اليفانا وذلك انها تزينت ونزلت الى معسكرهِ واسكرتهُ واحتزت رأسهُ وهو نائم وعادت بهِ الى قومها ولمَّا نهض رؤساء جيشهِ في الصباح ورأوا ما جرى لقائدهم مزَّقوا ثيابهم ووقع عليهم من الخوف والرعب ما لا يطاق واضطربت قلوبهم ولجأ الجيش كلهُ الى الهزيمة . والقصة مذكورة بالتفصيل في سفر يهوديت احد اسفار التوراة المعدودة عند البعض من الابوكريفا

(١١) الزهري

دمشق . احد المشتركين . نرجو ان تكتبوا لنا فصلاً مسهبًا في داء الزهري وكيف يتولَّد وكيف يعالج

ج لقد نشرنا في المجلد العشرين من المقتطف مقالة مسهبة جدًّا في الداء الزهري وتاريخهِ والادوية النافعة فيهِ فعليكم بمطالعتها فان ذلك اولى من كتابة مقالة ثانية في هذا الموضوع السمج

(١٢) ثمن المعادن

حلوان . عبد الحليم افندي فهيم . لماذا تفضَّل بعض المعادن على البعض الآخر كالذهب على الفضة

ج لانهُ اقل منها واصعب استخراجاً. ولو كان اكثر من الفضة واستخراجهُ قليل النفقة لصار ارخص منها وقد كان ثمن الفضة مثل ثمن الذهب تقريباً عند الاقدمين

(١٣) تبسم الطفل

ومنهُ . لما ذا يتبسَّم الطفل وهو نائم

ج التبسُّم فعل منعكس مسبَّب عن ازدياد تنبُّه في القوة العصبية وليس هو باغرب من حركة يد الطفل ورجلهِ. راجعوا ما قالهُ الفيلسوف هربرت سبنسر عن الضحك في الصفحة ٢٧٢ من مقتطف هذه السنة

(١٤) الزواج في فرنسا

ومنهُ . علم بالاحصاء ان الزواج يقل في فرنسا شيئاً فشيئاً فما سبب ذلك

ج لا يظهر ان الامر كما تقولون كما يتضح لكم من الجدول التالي وقد ذكرنا فيهِ عدد الزيجات في السنوات الخمس الاخيرة من القرن الماضي

١٨٩٦	٢٩٠ ١٧١
١٨٩٧	٢٩١ ٤٦٢
١٨٩٨	٢٨٧ ١٧٩
١٨٩٩	٢٩٥ ٧٥٢
١٩٠٠	٢٩٩ ٠٨٤

فقد قلَّ قليلاً سنة ١٨٩٨ ثم عاد فزاد كثيرًا في السنتين التاليتين اكثر من نسبة الزيادة في عدد السكان

باب الاخبار العلمية

تجارة فلسطين

كتب المستر دكصن قنصل انكلترا في يافا تقريرًا عن تجارة فلسطين في السنة الماضية جاء فيهِ ان الصادرات والواردات زادت عما كانت عليهِ في سنة ١٩٠٠ فبلغ مجموع ثمنها ٧٠٣٩٤٥ جنيهاً يقابلها ٦٤٧٣٥٥ جنيهاً سنة ١٩٠٠ . وقد كثرت المضاربة في تجارة البرتقال ولكن اسعارهُ هبطت في الاسواق الانكليزية فادَّى ذلك الى خسارة تجارهِ وزاد مقدار الشحن من ميناء يافا رغماً عن الحجر الصحي المضروب على البواخر بسبب الطاعون في مصر

وزاد جلب الآلات من اوربا لسقي البساتين حتى بلغ عددها في السنة الماضية ٤٨ آلة ثمنها نحو ٤٧٠٠ جنيه

اما تجارة انكلترا مع فلسطين فحسنة بوجه الاجمال . فقد نقصت الصادرات عما كانت عليهِ سنة ١٩٠٠ ولكن الواردات زادت ٣ , ٥ في المئة على حين ان واردات فرنسا نقصت ١٣ في المئة وواردات ايطاليا ٩ , ٣٤ في المئة وواردات المانيا ٢٧ في المئة

ولا تزال المستعمرات الالمانية وخصوصاً مستعمرات الاسرائيليين في فلسطين تصنع انواع الخمر المختلفة وتبذل الجهد في اتقانها حتى تجيء مشابهة لاحسن انواع الخمر الفرنسوية واكثرها يرسل الى همبرج في المانيا

ثقب الجمجمة

ان بعض الامم التي عاشت قبل زمن التاريخ كانت تثقب الجماجم لاسباب جراحية وقد اثبت احد العلماء ان العرافين في بريطانيا الجديدة احدى الجزائر الجنوبيَّة يثقبون الجمجمة بقطعة من الصدف او الزجاج اذا انكسرت بعارض من العوارض . ومتوسط الذين يموتون على اثر ذلك ٢٠ في المئة وموتهم ينشأُ غالباً عن انكسار الجمجمة لا عن عملية الثقب والذين يشفون يقتضي لهم اسبوعان او ثلاثة اسابيع . وفي ارلندا الجديدة يثقبون الجمجمة عند انكسارها وعند اصابة احدهم بالصرع او بعض انواع الجنون الناجمة عن ضغط الدماغ . وبعد ثقب الجمجمة يصاب المريض بالشلل الوقتي ثم يزول عنهُ وقد يصاب بالجنون ايضاً . ويؤكد الاهالي ان الذين يشفون من الجنون او الصرع بهذه العملية كثيرون

وقاية الطيور

عقدت بعض الدول الاوربية وهي البلجيك وفرنسا واليونان والنمسا والبرتوغال واسوج ونروج وسويسرا واسبانيا وغيرها من الحكومات الصغيرة اتفاقاً في ١٩ مايو الماضي لوقاية الطيور التي تفيد الزراعة بأكل الحشرات المضرَّة وقد حظر فيهِ صيد هذه الطيور في جميع فصول السنة ومن الغريب ان ايطاليا لم تدخل في العقد المذكور مع ان كثيرًا من الطيور المفيدة تقتل فيها كل سنة

غرائب الصاعقة

انقضت صاعقة على منزل في مدينة جفرسن بولاية ايوى من الولايات المتحدة الاميركية فاحدثت ضررًا عظيماً . ومن غريب ما حدث ان اثني عشر صحناً من صحون المائدة كانت موضوعة الواحد فوق الآخر فانكسر الواحد منها وبقي ما يليهِ سليماً وهكذا من اول الصحون الى آخرها ولم يعلم ان كان ذلك قد نشأ عن فعل كهربائي او ميكانيكي

وزير طبيب

ان وزير فرنسا الجديد المسيو كومب حائز على دبلوما دكتور في الطب ودكتور في فنون الادب وكان قبلاً من معلمي المدارس

تلفون بلا سلك

روت جريدة السينتفك اميركان انهم يجربون التجارب في اميركا لعمل تلفون بلا سلك فنجحوا في ذلك بعض النجاح وتمكنوا من نقل الكلام مسافة مئات من الامتار في البرّ واقلّ من ذلك في البحر

مركوني وتلغرافهُ

خطب مركوني في المجمع الملكي بانكلترا عن ارسال الرسائل البرقية بالتلغراف الذي بلاسلك من الباخرة التي ركبها في الاوقيانوس الاتلنتيكي الى اميركا . فقال ان الاشارات التي كان يرسلها نهارًا لم تصل الى اماكنها على بعد ٧٠٠ ميل واما التي كانت ترسل ليلاً فكانت تصل على بعد الفي ميل وقال انهُ لا يبعد ان يكون السبب في ذلك تأثير النور في الاسلاك الهوائية واضعاف كهربائيتها ويعالج ذلك بتقوية المجرى الكهربائي كما جرى عند ارسال الاشارات من نيوفوندلند فانها بلغت الاماكن التي ارسلت اليها مع انها ارسلت نهارًا على ذلك البعد الشاسع

قاموس وبستر وقواميسنا

لا يمضي يوم تقريبًا الاَّ ويضع علماء الانكليز وكتابهم كلمات جديدة تقتضيها مطالب التمدن الجديد والعلم الحديث ويضيفونها الى لغتهم . ويكفي لاعتمادها وادراجها في قواميسهم صدورها عن عالم من علمائهم او كاتب من مشاهير كتابهم . فقد ظهرت طبعة جديدة من قاموس وبستر المشهور وفيها ٢٥ الف كلمة وعبارة جديدة اكثرها كلمات وعبارات علمية وجمل اصطلاحية جدّت في العشر السنوات الاخيرة

اما قواميسنا فلا تزال على حالها المعروف محشوَّة بالوف من الكلمات التي لا يمكن ان يستعملها كاتب في كتابتهِ وكلما مرَّ عليها يوم نسي كثير منها لقلة استعمالها ثم ان كتابنا مقيدون باستعمال القديم محافظة على شرف اللغة الفصحى كما يقولون واذا ادخل كاتبٌ كلمة جديدة او استعار عبارة اجنبية قامت عليهِ قيامة المتمسكين بالقديم وعدوهُ مارقًا من حزبهم وخارجًا من حدود العربية وتقاليدها الشريفة

سباق مركبات الاوتوموبيل

انبأنا البرق في اوائل هذا الشهر بان بعض مركبات الاوتوموبيل تسابقت بين باريس وفينا . وقد فصلت الجرائد الاخيرة هذا السباق فقالت ان مئة وثلاثين مركبة اشتركت فيهِ ولكنَّ كثيرًا منها انقطعت عن السير في آخر اليوم الاوَّل لما طرأَ عليها من الطوارىء في الطريق امَّا المسافة بين المكانين فطولها ٧٨٢ ميلاً وقد قسمت الى ثلاث مراحل لتقطع كلٌّ منها في يوم واحد فكان المجلي فيها مركبة رجل فرنسوي اسمهُ رندل

والمركبة من صنع معمله وثقلها نحو عشرة قناطير مصرية فاجتازت المسافة المذكورة في ١٥ ساعة و٢٢ دقيقة اي ان متوسط سيرها في الساعة بلغ ٥١ ميلاً وربع الميل وهي سرعة عظيمة لا يفوقها اكثر القطارات الحديدية سرعة

على ان الغريب في ذلك ان رندل المذكور كان يضطر في بعض الاماكن ان يقلل سرعة مركبته بسبب وعورة الطريق . فللمحافظة على المتوسط المذكور كان يسيّر مركبتهُ باسرع من ٥١ ميلاً بعض الاحيان. واغرب من ذلك متانة المركبة واحتمالها مشقات طريق تُعدُّ من اوعر الطرق في اوربا لا سيما وانها تمرُّ في المرحلة الاخيرة على جبل علوهُ ٥٠٠٠ قدم والثلج مكلّل قمتهُ

اهالي فرنسا

بلغ عدد اهالي فرنسا في الاحصاء الاخير الذي جرى السنة الماضية ٣٨٩٦١٩٤٥ نفساً اي بزيادة ٤٤٤٦١٣ نفساً عما كانوا عليهِ في احصاء سنة ١٨٩٦ . ولا يزال الاهالي يهاجرون من القرى والمزارع الى المدن الكبيرة حتى بلغ عدد سكان باريس ٢٧١٤٠٦٨ وصار في فرنسا الآن ١٥ مدينة يزيد سكان الواحدة منها على مئة الف نفس على حين انهُ لم يكن منها سنة ١٨٩٦ سوى اثنتي عشرة مدينة

صعود الجبال

أعلى ما بلغهُ الانسان في الصعود الى الجبال ٢٣٣٩٣ قدماً ولكنَّ العلماء يتساءلون عمَّا اذا كان يستطيع الصعود الى علوّ ٢٩٠٠٠ قدم مثلاً والاقامة هناك فان جسمهُ غير معتاد سكن الاماكن العالية جدًّا وعليهِ اذا باشر احد التصعيد في الجبال العالية شعر بعوارض كثيرة منها سرعة التنفس وسرعة دورة الدم وضعف القلب والاعياء ولذلك لم يحاول كثيرون الصعود الى الاماكن العالية اعتقاداً منهم ان الانسان لا يستطيع الاقامة حيث الهواء لطيف . ولكن من رأي بعضهم ان ذلك يتأتى بالعادة فاذا اراد احد الصعود الى رأس جبال حملايا وجب عليهِ ان يفعل ذلك رويداً ويستريح مراراً كثيرة حتى يتعود جسمهُ التغيرات الطارئة عليهِ اما الذين حاولوا الصعود الى قمم الجبال الشاهقة الى الآن فانما فعلوا ذلك دفعةً واحدة فلم يكن للمجموع العصبي في الجسم فرصة يعتاد فيها احتمال تأثير الهواء اللطيف ولا للجسم فرصة لاحتمال برد الاعالي فكانوا يصابون بالاعراض المتقدّم ذكرها ويكفُّون عن اتمام الصعود

المسيو اندره

لا يزال الناس يتحدثون في امر الرحالة اندره المشهور ويتساءلون عمَّا اذا كان لا يزال حيًّا يرزق او قضى نحبهُ في بلونهِ هو ومن سافر

معهُ . فقد جاء رجل من الاسكيمو سكان الاصقاع الشمالية الى بورت تشرتشل منذ سنتين وروى ان جماعة من اهالي تلك البلاد وجدوا اندره ورفاقهُ على بعد ٣٠٠ ميل شمالاً من بورت تشرتشل المذكور فلما اقترب اندره منهم اطلق بندقية فظن الاهالي انهُ يروم بهم سوءا فانقضُّوا عليهِ وعلى رفاقهِ وقتلوهم

هذا ملخص الرواية ولكن لم تثبت صحتها . ولما سمعت شركة خليج هدصن الاميركية بها وعدت الراوي بجائزة عظيمة على شرط ان يأتيها بشيء مما كان مع اندره واصحابهِ فعاد من حيث اتى وكان ذلك آخر العهد بهِ . ولكن مرسلاً انكليزيًا في بلاد الاسكيمو بعث يقول انهُ رأى آلة تشبه التلسكوب قال عنها ان الاسكيمو اخذوها من اندره ورفاقهِ في ما اخذوهُ من السلب والغنائم

العلم والعمل في المانيا

من ادلة تقدم العلم في المانيا وتطبيق العمل عليهِ انهم استخرجوا سنة ١٨٤٠ ثمانية آلاف طنٍ من السكر الخام (غير المكرر) من ١٥٤٠٠٠ طنٍ من جذور البنجر اي انهم استخرجوا خمسة ونصفاً في المئة من السكر من تلك الجذور . وبعد ذلك بعشرين سنة استخرجوا ١٢٨٠٠٠ طنٍ سكر من ١٥٠٠٠٠٠ طنٍ من الجذور اي ثمانية في المئة وفي السنة الماضية استخرجوا ١٥٠٠٠٠٠ طنٍ سكر من ١٢ مليون طن من الجذور اي ١٣ في المئة وهذا كلهُ ناشيء عن الوسائط العلمية المحضة

ومما تقدمت فيهِ المانيا تقدماً سريعاً صناعة الادوات والآلات العلمية فصدر منها سنة ١٨٩٨ ما قيمتهُ ٢٥٠ الف جنيه اي ثلاثة اضعاف ما صدر منها سنة ١٨٨٨ واقتضى لها ٦٤٠٠٠ من العمال

هذان دليلان من الادلة الكثيرة على ما بين العلم وتقدم التجارة في المانيا من العلاقة الشديدة

كهربائية الشمس

ذكرنا في جزء سابق مذهب ارهنيوس العالم الاسوجي الذي علَّل بهِ تكوُّن النيازك وذوات الاذناب والنور البرجي وما اشبه باندفاع ذرَّات صغيرة من الشمس الى الفضاء الذي حولها . وقد نشرت الآن مجلَّة العلم العام الفرنسوية مقالة للمسيو نوردمان بيَّن فيها ان كل ما يعلَّل بمذهب ارهنيوس يمكن تعليلهُ بان امواجاً كهربائية من نوع امواج هرتس تصدر من الشمس وتنتشر حولها ولا تصل هذه الامواج الى وجه الارض لان هواء الارض يمتصها قبل وصولها اليها

سبب زيت البترول

اشهر المذاهب لتكوُّن زيت البترول مذهب برتلو الكيماوي الفرنسوي على ما نوَّعهُ مندليف الكيماوي الروسي ومدارهُ ان البخار

المائي يفعل بالمركَّبات الكربونية المعدنية فيتكون من ذلك مادة هيدروكربونية كزيت البترول تماماً. وكان يعترض على هذا المذهب ان الزيت الروسي لا يعلل تكونهُ بهِ لان ليس هناك مركبات كربونية معدنية لكن المسيو سباتيه والمسيو سندرن بينا الآن انهُ اذا التقى غاز هيدرو كربوني بمعدن النكل تكوَّن منهُ سوائل كزيت البترول تماماً وبذلك يعلَّل تكون زيت البترول في اميركا وفي روسيا فاذا وجد في جوف الارض معادن قلوية وكربيدات معدنية واتصل بها الماء تكوَّن منها غاز الهيدروجين وغاز هيدرو كربوني ثم اذا مرَّ هذا الغاز على النكل او الكوبلت او الحديد تكوَّن منهُ زيت البترول وهذه المعادن كثيرة في اميركا وفي روسيا حيث يوجد زيت البترول

جائزة مركوني

اعطت اكادمية لنسي الايطالية المسيو مركوني اربع مئة جنيه جائزة لهُ لاستنباطهِ التلغراف الذي بلا سلك

هدية علمية

اهدى المستر بيربنت مورجان متحف بستان النبات في باريز مجموعة من الحجارة الكريمة ثمنها الفا جنيه

رقّاص فوكول

ان الرقّاص الطويل الذي برهن بهِ العالم فوكول دوران الارض نُزع من كنيسة النثيون لما اعيدت كنيسة كاثوليكية سنة ١٨٣٢ ووضع جانباً ويراد الآن اعادة التجارب بهِ بادارة المسيو برجه والمسيو بوانكره

ترعة بناما

قرَّ قرار الولايات المتحدة على تكميل ترعة بناما وقد خوَّل مجلس الشيوخ الاميركي رئيسها ان يبتاع كل ما عند شركة بناما من الاعمال والادوات بثمانية ملايين من الجنيهات ويبتاع من جمهورية كولمبيا الارض اللازمة لاتمام الترعة

الكوليرا في القطر المصري

ابنا في مقالة مسهبة في هذا الجزء ان الكوليرا ظهرت في القطر المصري في اواسط الشهر ووصلت الى القاهرة وبلغت وفياتها فيها مبلغاً عظيماً . ثم اتضح بعد ذلك ان الكوليرا وصلت الى موشه مع الحجاج فان سبعة عشر من اهاليها حجوا الى مكة في هذا العام ولما عادوا الى بلدهم توفيت امرأة منهم بالكوليرا في آخر شهر مايو ولم يعرف المرض الذي توفيت بهِ حينئذٍ ثم اصيب ابنها بعدها وسرت العدوى الى سواها . والظاهر ان الماء الذي يستقي منهُ اهالي موشه تلطخ بميكروب الكوليرا ولهذا اشتدَّ فتكها بهم . اما العاصمة فهبط عدد الوفيات فيها الى ٣٥ في اليوم بعد ان بلغ ٧٨ وهبط عدد الوفيات بالكوليرا في موشه الى ١٤ في اليوم واصيب واحد في الجيزة

واثنان في اسيوط ورجال الصحة باذلون اقصى جهدهم في حصر الوباء واستئصاله

معرض سنت لويس

اخَّر الاميركيون معرض سنت لويس الى صيف سنة ١٩٠٣ وقد بلغ المال المجموع لاقامتهِ حتى الآن اربعة ملايين من الجنيهات ولذلك ينتظر ان يكون اكبر من كل المعارض التي اقيمت قبلهُ

مجمع ترقية العلوم الاميركي

التأم مجمع ترقية العلوم الاميركي في مدينة بتسبرج بين ٢٨ يونيو و ٣ يوليو وتلا رئيسهُ السابق الدكتور تشارلس سد جوك منوت خطبة الرئاسة وموضوعها الشعور او الوجدان والنظر فيهِ بيولوجيًّا وقد اثبت فيها الوجدان للحيوانات حتى ادناها وفسَّرهُ بانهُ توفيق الجسم الحي نفسهُ للاحوال الخارجية لاجل فائدتهِ وذهب الى انهُ ليس نوعاً من القوة ولا حالة من حالات الجسم وان فيهِ مقدرة على تغيير شكل القوة. فالشعور غير القوة الطبيعية المعروفة وليس في الطبيعة غير الشعور والقوة واما المادة فلا دليل عندنا على وجودها

قلعة بعلبك

كتب الدكتور بلس ان المذبح القديم الذي وسط هيكل بعلبك الكبير ليس منحوتاً في الصخر بل مبني بالحجارة وانهُ ليس في قلعة بعلبك شيءٌ من قبل الرومانيين

خريطة مدبَّة

اشرنا الى هذه الخريطة غير مرة وقلنا انها تمثل فلسطين ومصر وهي مصنوعة بقطع ملونة من الفسيفساء وقد خيف من انها تتلف بعد اكتشافها فصنعت الآن صورتها بالزيت ووضعت في مدرسة القديس ديمتريوس الارثوذكسية في القدس

فائدة الغبار

لا يخلو مكان على سطح الارض من الغبار وان لم يصعد من الارض يهبط من السماء حتى ان السفن الماخرة في قلب الاوقيانوس العظيم لا يمرُّ بها يوم الاَّ وتجد الغبار قد تجمَّع على سطحها يقع عليها من الهواء حسب الظاهر وهو في الحقيقة آتٍ الى الارض من بين الاجرام السموية بعد ان يكون قد مرَّ عليهِ الوف من الاعوام تائهاً في فضاء الكون. والدقائق الكبيرة منهُ تسرع نحو الارض حينما تدنو منها فتحمو من شدَّة الاحتكاك بهوائها وتحترق وتظهر في الليالي الظلماء شهباً ثاقبة

ولولا الغبار ما كنا نرى شيئاً من النور المستطير بل كنَّا نرى السماء مظلمة ولا نرى نور الشمس الاَّ حيث يقع مباشرة وكنا نمسي في ظلام دامس حالما تتوارى في الحجاب او تواريها سحابة عن الابصار ثم نرى نورًا يبهر الابصار حالما تشرق او تبين. وكنا نرى النجوم دواماً في جلد السماء لان نور الشمس

لا يحجبها عن الابصار . ولم يكن ضباب ولا سحاب لان دقائق البخار الصغيرة التي يتكون الضباب والسحاب منها لا تتجمع ولا تتكاثف الأ حول دقائق الغبار بل كان البخار يصعد الى الجو ثم يتكاثف بغتة حيثما يبرد ويهطل ميازيب كافواه القرب فيخرب البيوت ويتلف المزارع ويغرّق الناس . والخلاصة ان الغبار الذي نشكو منهُ دواماً ولاسيما في هذه الديار لازم لزوم الهواء والماء ولولاهُ ما كانت المعيشة ممكنة في هذه الدنيا

سكة سيبيريا

اخطأ مهندسو الروس في مدهم سكة الحديد القاطعة بلاد سيبيريا خطاء لا يصلح الأ بالمال الكثير وضعوا قضباناً لا تحتمل القاطرات الثقيلة الأ اذا سارت عليها عشرين ميلاً او اقل في الساعة والقاطرات تضطر ان تسير في بعض هذا الطريق بسرعة ٣٥ ميلاً في الساعة لكثرة انحدارهِ هناك ويقتضي اصلاح هذا الخطاء ستة ملايين من الجنيهات

اقدم الاعلام

يقال ان اقدم الاعلام علَم الصين الذي ترسم فيهِ صورة تنين او علم اليابان الذي ترسم فيهِ صورة زهرة من الاقحوان اما اعلام اوربا فاقدمها علم الدنمارك وهو صليب ابيض على رقعة حمراء وقد استعمل منذ سنة ١٢١٩ . ومن الغريب ان علَم الاميركيين اقدم من علم الانكليز المستعمل الآن لان الاول صنع سنة ١٧٧٧ واما الثاني فصنع سنة ١٨٠١

فضل اميركا على انكلترا

لم ينتج الخطاء صواباً كما انتجت السياسة الخرقاء التي دعت الى انفصال الولايات المتحدة الاميركية عن البلاد الانكليزية . وقد صارت الولايات المتحدة الآن بحيث لا تستغني عنها انكلترا شهراً واحداً وكيف تستغني عنها واكثر من نصف طعامها يأتي من الولايات المتحدة . قيل انهُ لما اشتدَّ الخلاف بين انكلترا والولايات المتحدة لاجل فنزويلا قال المستر كارنجي للمستر غلادستون ان اللورد سلسبري يخطئ اذا حاربنا لاجل فنزويلا لاننا نضطرهُ الى التسليم حالاً من غير ان نطلق بندقية فلم يفقه غلادستون مرادهُ وقال لهُ ان عمارتنا تسد كل موانيكم باسهل ما يكون فقال كارنجي وهذا الذي نفعلهُ نحن بانفسنا ان لم تفعلوهُ انتم لاننا نسد كل موانينا ونمنع ارسال الطعام اليكم فنميتكم جوعاً . فسكت غلادستون ولم يحر جواباً

وترسل الولايات المتحدة الى انكلترا كل سنة ٦٤٥ ٤٩٥ رأساً من البقر و ٣٣ ٨٣٣ ٣٨٢ رأساً من الغنم وخمسة ملايين و ٤٢٠ الف قنطار من لحم البقر و ١٢ مليوناً و ٥٥٠ الف قنطار من لحم الخنزير وسبعة وار بعين في المئة من الحنطة التي تؤكل فيها و ٨٣ في المئة من الدقيق

توزُّع الثروة

قدَّر احد الباحثين ثروة اهالي الولايات المتحدة الاميركية بعشرين الف مليون جنيه وقسم الاهالي الى اربع طبقات الطبقة الاولى الذين يملك كلٌّ منهم عشرة آلاف جنيه فاكثر وهم ١٥٥٠٠ نفس ويملكون كلهم عشرة آلاف مليون واربع مئة مليون جنيه . والطبقة الثانية الذين يملك كل منهم اكثر من الف جنيه واقل من عشرة آلاف جنيه وعددهم ١٩٣٧٧٠٠ ويبلغ مجموع ثروتهم ستة آلاف مليون وستمئة مليون جنيه . والطبقة الثالثة الذين يملك كلٌّ منهم من الف جنيه الى مئة جنيه وهم ٦٧٧٣٤٠٠ نفس ويبلغ مجموع ثروتهم الفين وخمس مئة مليون جنيه . والطبقة الرابعة الذين يملك الواحد منهم اقل من مئة جنيه وعددهم ٦٧٧٣٤٠٠ ومجموع ثروتهم خمس مئة مليون جنيه لا غير . وجملة هؤلاء السكان ١٥ مليوناً و ٥٠٠ الف نفس والباقون من اهالي الولايات عيال عليهم نساء واولاد وخدم . فخمسة عشر الف رجل يملكون اكثر من نصف ثروة البلاد ولو وزعت اموالهم اليوم على السكان كلهم ورجعت بعد خمسين سنة لوجدت اكثر الاموال عند نفر قليل منهم

تذكار الدكتور بلس

اجتمعت اللجنة المصرية التي أُنيط بها الاهتمام بالاكتتاب لاقامة تذكار للدكتور دانيال بلس رئيس المدرسة الكلية على اثر استعفائهِ من رئاستها فوجدت ان المال الذي جمع في القطر المصري الى الآن بلغ ١٣٦ جنيهاً افرنجياً و ١٧ غرشاً ونصف غرش . ونظرت في ما يمكن ان يعمل بهذا المال تذكاراً لذلك الرئيس الفاضل في المدرسة التي انشأها ورعاها بعين عنايتهِ وبث في نفوس ابنائها الشهامة وعزة النفس عدا ما مهد لهم من اسباب الارتقاء العقلي والادبي . وطالعت ما اقترحهُ لذلك بعض المكتتبين فوجدت مقترحاتهم كلها غاية في الاصابة وودّت لو كان المال المجموع كافياً للعمل بها كلها لكنهُ لا يكاد يكفي لمقترح واحد قرَّ عليهِ رأْي متخرجي المدرسة في الاجتماع الاول الذي اجتمعوهُ في ادارة المقتطف وهو عمل تمثال من الرخام ينصب في المدرسة الكلية ويكتب عليهِ بالعربية والانكليزية

تذكار

للدكتور دانيال بلس الرئيس الاول

لمدرسة الكلية السورية الانجيلية

من تلامذتهِ

فقررت اللجنة ان يكتفى بعمل هذا التمثال تذكاراً لهُ آملة ان الرؤَساء الذين يأْتون بعدهُ يحذون حذوهُ ويفيدون المدرسة بعلمهم وعملهم كما افادها . وان التلامذة يرون هذا التمثال دواماً فيتذكرون الرجل العظيم الذي انشأ هذه المدرسة ومهد لهم سبل العلم

فهرس الجزء الثامن من المجلد السابع والعشرين



مجلة علمية صناعية زراعية

لمنشئيها

الدكتور يعقوب صرّوف والدكتور فارس نمر

AL-MUKTATAF

A MONTHLY ARABIC SCIENTIFIC REVIEW

EDITED BY DR. Y. SARRUF

VOL LXX. No 5

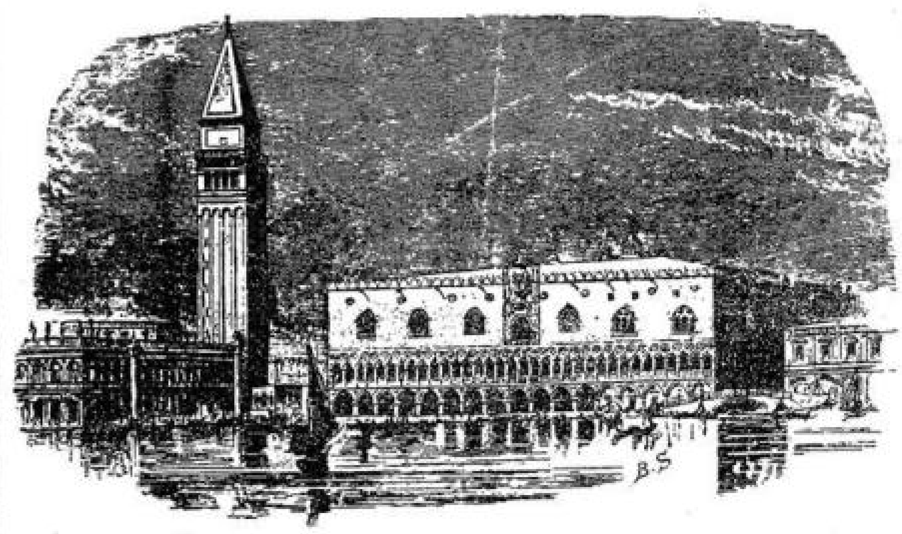
FOUNDED 1876 BY DRS. Y. ŞARRUF & F. NIMR

المقتطف

الجزء التاسع من المجلد السابع والعشرين

١ سبتمبر (ايلول) سنة ١٩٠٢ — الموافق ٢٨ جمادى الاولى سنة ١٣٢٠

الكمبانيل برج البندقية



لم يخطر لنا لما وقفنا امام هذا البرج نمعن النظر في علوهِ الشاهق وبنائهِ المحكم ان سوس الدهر قد نخر اصولهُ وانهُ قدّر لهُ ان لا يتم عشر سنوات . ولا دار في خلدنا حينئذٍ ونحن نتأمل في وضع الملاك الواقف فوق رأسهِ انهُ سيحط عنهُ ويصير الى حمى الكنيسة القائمة في جانبهِ . وقد غفلنا عن نوائب الدهر حينئذٍ فتمثلنا بقول السموأل حيث قال

رسا اصلهُ تحت الثرى وسما بهِ   الى النجم فرع لا ينال طويل (١)

(١) انظر الكلام على البندقية في مشاهد اوربا في المجلد السابع عشر من المقتطف

لكن الانسان وهو سيد المخلوقات في هذه الدنيا لا يعمر مئة عام فأحرِ بما كان من صنع يديهِ ان يكتفي بالف من الاعوام فقد كان الشروع في بناء هذا البرج سنة ٨٨٨ او سنة ٩٠٢ للميلاد ليكون علماً للشعب الذي نزل جزائر البندقية يقيم فيهِ الرقباء يرقبون البر والبحر ويقرعون الاجراس اذا دنا منهم عدو مفاجئ او اذا ارادوا الاجتماع لغرض سياسي او احتفال ديني . ومرَّت سنون كثيرة قبلما بلغ القبة التي كانت فيها الاجراس الآن ثم جددت هذه القبة سنة ١٥١٠ واقيم فوقها الهرم الذي أُوقف الملاك على رأسهِ سنة ١٥١٧

وكان ارتفاع البرج قبل سقوطهِ ٣٢٣ قدماً وطول كل جانب من جوانب قاعدتهِ ٤٢ قدماً ويصعد الى اعلاهُ على سطح مائل في داخلهِ فيشرف الواقف في اعلاهُ على اجمل مناظر الارض بحر البنادقة وخلجانهِ من الجنوب الشرقي وجبال الالب من الشمال وارباض البندقية من الغرب ويرى تحتهُ امَّ القصور والترع تتجلَّى بما ابقتهُ فيها القرون الوسطى من بدائع البناء والنقش وما جرى اليها من خزائن المشرق والمغرب يوم كان البنادقة قابضين على زمام التجارة وكانت اساطيلهم تناوئ اعظم دول الارض

ويقال ان احد المهندسين رأى فيهِ منذ عشر سنوات ما حسبهُ دليلاً على دنو اجلهِ فانبأ رجال الحل والعقد بذلك فلم يكترثوا لكلامهِ فزاد في حثهم وانذارهم حتى اضطروا الى نفيهِ لكي لا يسمعوا تقريعهُ ولما عاد من المنفى عاد الى الانذار فامرت الحكومة الايطالية بعض العمال بترميم البرج فاكتفوا بوضع "المؤونة" بين الاجر مما يلي القصر الملكي ويا ليتهم لم يفعلوا ذلك لان ما فعلوهُ اضرَّ ولم يفد كما سيجيء

وفي الثالث عشر من شهر يوليو الماضي ظهر فيهِ شق كبير فقال ذلك المهندس ان ساعة هبوطهِ قد دنت لا تتأخر يوماً كاملاً . وبعث حاكم البندقية الى وزير المعارف يخبرهُ بذلك فامر بعض المهندسين ان يذهبوا حالاً اليها ويعملوا ما يلزم عملهُ لحفظ البرج من السقوط ولكن نفذ السهم قبل ان يفعلوا شيئاً

وكتب مكاتب التيمس من البندقية في الرابع عشر من يوليو يقول ما ترجمتهُ

"سقط الكمبانيل هذا الصباح الساعة التاسعة والدقيقة ٥٣ وصار كومة من الحجارة والاجر . اتيت الى الساحة (التي هو فيها) بُعيد الساعة ٩ والدقيقة ٣٠ صباحاً فرأيت فيها جمهوراً من الناس ينظرون الى الشق الذي ظهر فيهِ فانهُ كان قد اتسع في الليل الماضي ثم رأيت غباراً يصعد من هذا الشق ثم سقط عمود من اعمدة القبة التي فيها الاجراس في اعلى البرج وتبعهُ الملاك المذهب وبعد لحظة سقطت قبة البرج كلها وحطمت الرواق الذي عند

قاعدته (وهو المعروف باسم لوجيا سنسوڤينو حيث بعض التماثيل البديعة) وبعد هنيهة سقط البرج كلهُ دفعةً واحدةً كأنهُ شيخ ادركتهُ المنيَّة فتنهَّد واسلم الروح ولم يؤْذِ انسانًا. الأَّ ان الجانب المحاذي للقصر الملكي الذي أُدخلت المؤُونة بين اجرهِ التصقت اجزاؤُهُ بعضها ببعض فسقطت قطعاً كبيرة على زاوية القصر القريبة منها واتلفت ما مساحتهُ ستة امتار من واجهتهِ ولو رُمّ البرج كلهُ كذلك لاتلف بسقوطهِ القصر الملكي وقصر الدوقات والكنيسة اما وقد سقط من غير ترميم فاقتصرت الخسارة عليهِ وعلى الرواق الجميل الذي كان عند قاعدتهِ

وكان احد الاميركيين النازلين في البندقية ينظر الى اعلى البرج من فوق سقف بيت فرأى الملاك المذهب يهبط رويداً رويداً الى ان غاب عن بصرهِ وللحال علت في الجو سحابة من الغبار وهرع الناس من كل انحاء المدينة ليروا ما جرى فوجدوا انهُ لم يبقَ من البرج فخر مدينتهم سوى تلة من الانقاض علوها ثمانون قدماً وهي منبسطة القاعدة حتى تمس جدران الكنيسة . ويقال ان في نية الحكومة الايطالية ان تعيد بناءهُ وتردهُ الى ما كان عليهِ تماماً وقدرت النفقات اللازمة لذلك بمئة وعشرين الف جنيه

وقد كان لسقوط هذا الاثر وقع اليم في النفوس فقامت صحف الاخبار تعزي البلاد الايطالية كأنها فقدت عزيزاً كريماً . قالت جريدة التيمس ان امم الارض جمعاء تقدم فروض التعازي الى البندقية والى المملكة الايطالية عن هذا المصاب الاليم والخطب الجسيم لان للبندقية صلةً بكل العالم المتمدن مثل رومية وفلورنسا واثينا. والالوف الذين يقصدونها كل سنة من انكلترا واميركا والمانيا تبقى ذكراها في نفوسهم حتى الممات ذكرى مدينة حافلة بآثار الماضي وامجادهِ فيشعرون بالرزء الذي حلَّ بها كأنهُ حلَّ بهم

سل البشر والبقر

في اواخر يوليو من العام الماضي قام الاستاذ كوخ في مؤتمر السل المنعقد حينئذٍ في لندن وخطب خطبتهُ المشهورة التي انتقلت بالبرق وبسرعتهِ الى كل انحاء العالم المتمدن وصارت منذ ذلك الحين موضوع اهتمام العلماء والاطباء وبحثهم المتوالي المدقق ليس لان المسألة ذات اهمية كبرى بحد ذاتها فقط بل ايضاً لانها تخالف معتقد كل الاطباء من حيث وحدة نوع الباشلس التدرني (ميكروب السل) في البشر وفي البقر ومن حيث امكانية انتقالهِ من النوع الواحد الى الآخر

كان علماء الطب والبكتيريولوجيا يعتقدون ان ميكروب السل في البشر وفي البقر من اصل واحدٍ وانهُ ينتقل طبعاً على سبيل العدوى من النوع الواحد الى الآخر نظراً لوحدة نوعهِ فيهما. ولذلك كانوا يحرّضون رجال الحكومة اشد التحريض على منع ادخال المواشي المسلولة الى بلادهم وعلى تعقيم البان البقر واخذ الاحتياطات اللازمة لتحقيق صحة اللحم والزبدة واللبن

وفي ٢٣ يوليو من العام الماضي قال كوخ في خطبتهِ المذكورة آنفاً ما يخالف هذا الاعتقاد العام الذي كان هو نفسهُ من اقوى مؤسسيهِ وادعى ان سل البقر يختلف عن سل البشر وانهُ لا يمكن نقلهُ اليهم. وان عدوى البشر من البقر نادرة جداً ولذلك فلا موجب للاهتمام بمقاومتها (انظر المقتطف مجلد ٢٦ صفحة ٧١٩ الى ٧٨١)

ولا يخفى ما لهذه المسئلة من الاهمية الكبرى ليس فقط في نظر اهل العلم والطب والصحة بل في نظر اهل التجارة والزراعة والسياسة لما نعلمهُ من شدة احتياج الناس الى البقر الى لبنها وزبدتها ولحمها وكثرة اتجارهم بهذه الاصناف التي تعد الآن من اهم الحاجيات

ومن يطالع مجلات اوروبا واميركا يعلم انهُ قد مضى سنة كاملة على خطاب كوخ المذكور ولا يزال صداهُ يتردد في كل اندية العلم على السنة نخبة رجال الارض باهتمامٍ شديدٍ لم يسبق لهُ مثيل في عالم الطب والبكتيريولوجيا. ولكن عدد المقاومين رأي كوخ آخذٌ في الازدياد يوماً بعد آخر ومن المرجح انهم سيتفقون على تفنيد كلامهِ بحججٍ دامغة وبراهينٍ قاطعة لا تقبل الرد والاعتراض فيرجع الناس الى ما كانوا عليهِ قبلاً من حيث اعتناؤُهم بانتقال السل من البقر الى البشر ووجوب اخذ الاحتياطات الكافية لمقاومة العدوى الآتية من اكل لحومها والبانها اذا كانت مسلولةً

ومن لاحظ مجرى الامتحانات العديدة والتجارب المتوالية التي قام بها علماء اوروبا واميركا هذا العام يرى انهم لم يتركوا باباً الاَّ طرقوهُ حبًّا بالوصول الى الحقيقة ولو كان ذلك الباب تلقيح ذواتهم او غيرهم من البشر بباشلس التدرن البقري معرّضين بذلك حياتهم لخطر الموت في سبيل خدمة الانسانية. وانني الى تاريخ هذه السطور عرفت اسماء ستة من الاميركيين بينهم ممرّضتان لقحوا انفسهم بميكروب السل البقري لتحقيق هذه المسئلة الهامَّة. ولعل البعض منهم فعلوا ذلك قصد الشهرة فقط وذلك ليس نادراً بين شعبٍ كالاميركيين يكثر بينهم من يتطلب الشهرة ولو بالاستشهاد. وقد فعل بعضهم ذلك في انكلترا ايضاً. وفي هذا الشهر نقل بريد اوروبا الينا خبر تلقيح الدكتور غارمول (Garmault) نفسهُ بالسل البقري لهذه الغاية. ولكنني شممت رائحة التعصب الجنسي من كلام غارمول على كوخ وقولهِ الجديد وهذا مما يؤاخذ بهِ

الطبيب الفرنسوي المذكور لان العالم الحقيقي يجب ان يقول سرًّا وعلنًا "لاعداء في العلم"

وكيفما كانت الحال فهذه الامتحانات الافرادية قلما تأتي بالفائدة المطلوبة عندما يراد اثبات حقيقةٍ علمية او دحضها. بل المعول عليهِ في مثل هذه الحال هو سرد تاريخ مئات والوف من الحوادث الكلينيكية والامتحانات العلمية (وهذا ما يعبر عنهُ بالاحصاءات) حتى يمكننا التوصل الى نتيجةٍ يقف العقل عندها وينزع من الفكر كل شك وريب بصحتها فنثبتها كحقيقةٍ علمية مبنيةٍ على الاستقراء والاستدلال

امتحانات الحكومة الاميركية

وهذا نفس ما فعلتهُ حكومة اميركا في العام الماضي فان تقارير اطباء اللجان التي عينتها بعض الولايات للبحث عن هذا الامر مبنيةٌ كلها على اختباراتٍ وامتحاناتٍ حسية تبرهن فساد قول كوخ الذي قالهُ في العام الماضي وتدل على صحة الرأي القديم القائل بوحدة نوع الميكروب في سل البقر والبشر او امكانية انتقالهِ من النوع الواحد الى الآخر. وبالنتيجة توجب اتخاذ كل الوسائل الممكنة لمنع ادخال المواشي المسلولة الى الولايات المتحدة والمحافظة الصحية الدقيقة على الالبانِ واللحوم التي يقتات بها الناس من اي مصدرٍ كانت

وممن اشتغلوا كثيرًا بحل هذا المشكل الدكتور (رافنل) (M. P. Ravenel) بكتيريولوجي مجلس ولاية بنسلفانيا الصحي. والتقرير الذي رفعهُ الى جمعية فلادلفيا الباثولوجية يبحث في ثلاثة امور وهي: —

اولاً. ان سل البقر ينتقل الى البشر خلافًا لما قال كوخ. واسند ذلك الى عدة تجارب واحصاءات وحوادث كلينيكية. واتمامًا للفائدة نذكر واحدةً منها — فحصت رمة طفل مات بسل اغشية الدماغ فوُجدت الغدد المساريقية كلها في حالة الارتشاح التدرني وبعد ان استنبتَ الدكتور رافنل منها مستنبتات عديدة من باشلس السل لقح بها عددًا من العجول فظهر السل فيها حالاً وبقوةٍ شديدة اماتتها في وقت قصير. فهذا يبرهن على ان ميكروب السل في البقر والبشر من اصل واحد وان نوع السل الذي مات الطفل بهِ كان من اصل بقري طبعًا

ثانيًا. ان سل البقر ينتقل الى البشر وهو اصل العدوى في كثيرٍ من الاطفال الذين يكثرون من شرب لبن البقر الذي لا يراقب مراقبة صحية دقيقة. ومع ان الدكتور رافنل لا ينكر ان بعض الاطباء يبالغون في ذلك ولكنهُ مع كل التساهل الممكن لا يقدر ان يسلم مع كوخ ويقول ان اصابة الاطفال بالسل المعوي ابتداء نادرةٌ جدًّا لان الاحصاءات التي في يدهِ تدل دلالة صريحة على كثرة عدد الاطفال الذين يموتون بالسل المعوي او المساريقي ابتداء

خلافاً لما يزعم كوخ (انظر مجلة مدرسة فيلادلفيا الجامعة عدد مايو سنة ١٩٠٢ صفحة ٦٦)

ثالثاً . انهُ يوجد احياناً بعض الفرق بين ميكروب السل البقري وميكروب السل البشري. ذلك من حيث الهيئة وكيفية الاستنبات وتفاوت القوة على العدوى . ولكن ذلك الفرق زهيدٌ الى الغاية وليس هو مما لا يقبل التغير كما انهُ ليس دائم الوجود . فلذلك لا يجب ان نعلق عليهِ كبير اهمية ونستنتج منهُ مخالفة اصل الميكروب في البقر وفي البشر او عدم مماثلتهِ فيهما جميعاً . وخصوصاً اذا اعتبرنا نوع الوسط الذي يعيش فيهِ كل منهما اعني كمية الحرارة ونوع التغذية والنسيج وكمية المقاومة — فكل ذلك يختلف في البشر عنهُ في البقر ويدعو الى وجود بعض الفرق في ميكروب السل البقري والبشري من حيث الهيئة والقوة على العدوى وكيفية الاستنبات وهذا مما لا يعتدُّ بهِ لانهُ يأتي بالعدوى في اي حال كان

ابحاث المجمع الطبي الاميركي

وقد اقرَّ القسم البكتيريولوجي في المجمع الطبي الاميركي الذي انعقد حديثاً في ولاية نيويورك من ١٠ الى ١٣ يونيو هذا العام على فساد رأي كوخ حاثاً الحكومة الاميركية على وجوب المحافظة على القوانين القديمة المتعلقة بمنع ادخال البقر المسلولة الى الولايات المتحدة وبوجوب النظر في امر البانها ولحومها

وقد قال الدكتور امرت (Emmert) في خطاب نفيس لهُ في ذلك المجمع ان السل يفتك بسبع العالم . وان ثلث وفيات الناس بين الخامسة عشرة والستين هي من السل . وان هذا الداء الوبيل يفتك بالناس اكثر مما تفتك الحمى التيفوئيدية والقرمزية والدفتيريا والجدري معاً باربعة اضعاف ونصف . وان عدد الوفيات في الاطفال تحت سن الخامسة يكثر ان يكون سببهُ تدرن المساريقي او الامعاء ابتداء خلافاً لما زعم كوخ في العام الماضي

وقد قال الدكتور امرت المذكور انهُ سقى عدداً من الارانب والخنازير الهندية والكلاب لبناً من بقر مسلولٍ فأصيبت بالسل بعد شربها اللبن بوقت قصير . واطعم العجول ايضاً بعض الطعام الحاوي على باشلس السل البشري فأصيبت بالسل خلافاً لما قال كوخ

امَّا فيما يتعلق باصابة الاطفال بالسل البقري فقد ذُكر في المجمع الطبي الاميركي احصاء جمعهُ الدكتور وودهد سرد فيهِ تاريخ ١٢٧ طفلاً مات منهم ٤٣ بالسل المعوي ابتداء. وذلك اتى عن تناولهم لبناً من بقرٍ مسلولة . (انظر مجلة المجمع الطبي الامركاني عدد ١٤ يونيو سنة ١٩٠٢)

وذكر الدكتور لو Law ان طفلاً عمرهُ سنة ونصف مات بالسل المعوي ابتداء لانهُ

كان يشرب لبن بقرةٍ علم انها كانت مسلولة حينئذٍ . وروى الدكتور غوص Gosse من جنوى ان طفلة له أُصيبت بالسل المعوي ابتداء لانها كانت تُسقى لبناً من خمس بقراتٍ علم ان اثنتين منها كانتا مصابتين بالسل وذلك بعد ان ماتت الطفلة . فانهُ ذبح البقرات الخمس لتحقيق اصل مرض ابنتهِ بالفحص الرمي والمكرسكوبي

وذكر الدكتور بروادل Brouardel الفرنساوي المشهور خمس بناتٍ بين ١٤ بنتاً في احدى المدارس الداخلية في باريس توفين بالسل المعوي أصابهنَّ ابتداء لشربهنَّ لبناً من بقرة المدرسة ولما أُشتبهَ في هذه البقرة بسبب كثرة الوفيات في المدرسة ذُبحت وفحصت رمتها فتحققوا وجود السل فيها

هذا من حيث اللبن امَّا من حيث اللحوم فالشواهد التي تؤيد انتقال السل من البقر الى البشر اكثر من ان تُعد

ذكر الدكتور تشرمن Tscherming من كوبنهاغن عن طبيبٍ بيطري جُرحت يدهُ اليسرى وهو يشرّح جثة بقرة مسلولة . وبعد ان شفي الجرح ببضعة اشهر ظهر تورمٌ خبيث في محل الجرح تماماً تقرَّح بعدئذٍ ولم يتمكن الطبيب من شفائهِ لا بكثير ولا بقليل حتى التزم جراحهُ ان يستأصلهُ بالكلية . وبعد الفحص المكرسكوبي في نسيج ذلك التورم المنزوع وُجد باشلس السل فيهِ كثيرًا جدًّا

وروى الدكتور فيفر Pfeiffer البكتيريولوجي الشهير عن رجل عمرهُ ٣٥ سنة قوي البنية لا أثر للسل مطلقاً في عائلتهِ جرح بنصر يدهِ اليسرى وبعد ان اندملَ الجرح بستة اشهر ظهر في محلهِ تورمٌ لم يبرأ منهُ الرجل المذكور قط رغماً عن كل الوسائط الفعالة التي استخدمها لهُ . وفي نهاية السنة ظهرت عوارض السل الرئوي فيهِ وكان هذا سبب موتهِ بعد سنتين ونصف ولدى الفحص المكرسكوبي تحققوا وجود باشلس السل بكثرة في التورم الذي في البنصر المجروح . وكان ذلك الرجل بيطارًا أُعدي بنصرهُ من بعض الماشية المسلولة وانتقل ذلك السل اخيرًا الى رئتهِ فاماتهُ

النتيجة

هذا قليل من كثير من الامتحانات العلمية والاحصاءات الدقيقة التي يستشهد بها اليوم رجال العلم والطب في اوروبا واميركا لتفنيد كلام كوخ ورأيهِ الجديد والظاهر انهم سيتغلبون عليهِ او قد تغلبوا لانهم اقوى حجةً منهُ والشواهد حسية عديدة لا تقبل الاعتراض والرد ناهيك عن انهم يقولون بوجوب التحفظ على صحة كلامهم من اللبن واللحوم المشتبه فيها وهو يقول

بقلة الاهتمام بذلك . والناس اقرب الى التحفظ منهم الى قلة الاهتمام في مسائل حفظ الصحة وإطالة العمر لما نعلمهُ من تشبثهم بالحياة واحتفاظهم بها . وهم في ذلك غير ملومين فانهم يجرون على مقتضى ميل غريزي يدفعهم الى مقاومة كل ما يدعو الى تقصير الحياة او جلب الشقاء

سان باولو . برازيل الدكتور سعيد ابو جمره

الزواج والمشاهير

من الاقوال المأثورة ان كبار الانام الذين اشتهروا بالعلم والفضل او بالسياسة والرئاسة او بغير ذلك من المطالب قلما يتزوجون وان تزوجوا تأخروا في زواجهم وقلَّ اولادهم كأنَّ الارتقاء بلغ فيهم حدهُ وهم ثمرة فرعهم وغاية ما ينتهي اليهِ قبيلهم . وقد بحث الاستاذ ثورنديك الاميركي في هذا الموضوع بحثاً استقرائيًّا فلم يجد ما يؤيد هذا القول من حيث الزواج . ذلك انهُ اختار ١٢١٨ رجلاً من المشاهير الواردة اسماؤهم في كتاب الاعلام الاميركي وبحث عنهم من حيث تزوجهم والسن الذي تزوجوا فيهِ فوجد

٢٨٦	منهم سنهم بين ٦٠ و ٧٠	والمتزوجون منهم ٨٨	في المئة
و ٢٤٧	« « « ٥٠ و ٦٠	« « ٨٨	« «
و ٣٤٢	« « « ٤٠ و ٥٠	« « ٨٨	« «
و ٢٤٣	« « « ٣٠ و ٤٠	« « ٨٥	« «

والمتزوجون من الرجال سكان اميركا كلهم على ما في هذا الجدول

من الذين سنهم بين ٦٠ و ٧٠	٩٣	في المئة
« « « « ٥٠ و ٦٠	٩٢	« «
« « « « ٤٠ و ٥٠	٨٩	« «
« « « « ٣٠ و ٤٠	٧٩	« «

فالفرق قليل جدًّا بين المشاهير وغيرهم من هذا القبيل

وظهر لهُ من بحث آخر ان المشاهير يتزوجون ابكر من غيرهم خلافاً للقول الشائع فالذين سنهم اربع واربعون سنة مثلاً وقد تزوجوا بين الخامسة والعشرين والثلاثين من عمرهم يبلغون من المشاهير ٤٣ في المئة ومن غيرهم ٤١ في المئة فالزواج الباكر شائع بين المشاهير اكثر مما هو شائع بين غيرهم . ولم يبحث عن مواليد المشاهير وغيرهم ونظن انهُ لو بحث لرأى ما يؤيد القول المأثور وهو ان نسلهم يقل رويداً رويداً الى ان ينقرض

تعليم الحيوان

للورد افبري الذي كان اسمهُ اولاً السر جون لُبك مباحث طليَّة جدًّا فانهُ من كبار الماليين لكنَّ اشتغالهُ بالمال لا يمنعهُ من الاشتغال بالعلم ولاسيما المباحث العلميَّة الكثيرة التجارب التي تسلّي المشتغل بها كالبحث عن طبائع النمل والنحل . وقد قرأنا لهُ الآن مقالةً نشر فيها خلاصة تجاربهِ في تعليم الكلاب القراءة على نسق تعليم الصم البكم من البشر وفي البحث عن سمع النحل والنمل وهاك خلاصة ما اوردهُ فيها

اتى بقطعتين متساويتين من الكرتون (المقوَّى) طول كلٍّ منهما ٢٥ سنتمترًا وعرضها سبعة سنتمترات وطبع على واحدة منهما كلمة طعام بالانكليزية "food" بحروف كبيرة ولم يطبع على الثانية شيئًا ووضع الاولى على صحفة فيها قليل من الخبز واللبن والثانية على صحفة فارغة واتى بكلب اليف من الكلاب الصغيرة التي لها شعر طويل جعد وهي مشهورة بشدة نباهتها وسمح لهُ ان يرفع القطعة عن الصحفة التي فيها الخبز واللبن ويأكل ما فيها وكرر لهُ ذلك مرارًا حتى شبع . ثم اعاد ذلك مدة عشرة ايام متوالية فصار الكلب يميز بين القطعة التي عليها الكتابة والقطعة الخالية منها . وبعد ذلك طرح القطعتين على الارض وامرهُ ان يأتي بهما فصار اذا جاءهُ بالقطعة التي عليها الكتابة يعطيهِ لقمة من الخبز واذا جاءهُ بالاخرى يطرحها ولا يعطيهِ شيئًا واستمرَّ على ذلك شهرًا من الزمان فصار الكلب يميز بين هاتين القطعتين تمييزًا واضحًا

واتى بقطع كثيرة من الكرتون طبع على واحدة منها كلمة "خارج" وعلى الثانية كلمة "شاي" وعلى الثالثة كلمة "عظم" وعلى الرابعة كلمة "ماء" وعلى قطع اخرى كلمات اخرى لا يهم الكلب امرها وابقى بينها قطعاً بيضاء لا كتابة عليها فتعلَّم الكلب بعد زمن قصير ان يميز بينها ويأتيهُ بالقطعة المطلوبة منها فاذا جاع اتاهُ بالقطعة التي عليها كلمة طعام واذا عطش اتاه بالقطعة التي عليها كلمة "ماء" واذا اشار اليهِ بالخروج من البيت اتاهُ حالاً بالقطعة التي عليها كلمة "خارج" واسرع بها الى باب البيت

وكان يغيّر لهُ اوضاع هذه القطع واماكنها حتى لا يهتدي اليها من وضعها بل من شكل الكتابة التي عليها . ثم خاف ان يكون اهتداؤُهُ اليها من رائحتها فطبع كلمة طعام على قطع كثيرة وكذلك كلمة شاي وهلمَّ جرًّا وكان اذا جاءهُ بقطعة عليها كلمة طعام يأخذها منهُ ويضع قطعة غيرها بين القطع فيهتدي اليها ويأتيهِ بها فيأخذها منهُ ويضع غيرها وهلمَّ جرًّا

حتى لقد يبدل لهُ ١٨ قطعة فلا يتعذَّر عليهِ الاهتداء اليها دلالةً على انهُ كان يميزها برسم الكتابة التي عليها لا بشيء آخر . وكان يضع قطعة عليها كلمة ماء في غرفة يمر بها مراراً كثيرة كل يوم وكان الكلب يتبعهُ دائماً في خروجهِ ودخولهِ ويمرُّ بهذه القطعة فلا يلتفت اليها الاَّ حينما يعطش فيلتقطها ويأتيهِ بها

وكان يخطئ احياناً ولكنَّ خطأهُ قليل جدًّا . طلب منهُ مرةً ان يجلب لهُ القطعة التي عليها كلمة طعام مراراً كثيرة فاتى بها ثمانين مرةً واتى بالقطعة التي عليها كلمة شاي ٣١ مرة وكان مع هاتين القطعتين عشر قطع اخرى فاتى باثنتين منها مرةً واحدة وكان على واحدة منها كلمة تقرب من كلمة طعام وهي كلمة باب door والمشابهة كبيرة بينها وبين كلمة طعام food فلم يخطئ اكثر مما يخطئ ولد عمرهُ ست سنوات

وانحرفت صحتهُ ذات يوم وكان واحد يتغدَّى مع اللورد افبري واراد ان يمتحنهُ امامهُ فاشار اليهِ ليأتيهُ بالقطعة التي عليها كلمة طعام فلم يفعل فلجَّ عليهِ فاتاهُ بالقطعة التي عليها كلمة "بيت" فانتهرهُ موبخاً فعاد واتاهُ بالقطعة التي عليها كلمة شاي فسكب لهُ فنجان شاي فلم يشرب منهُ مع انهُ كان مغرماً بشربهِ وهي المرة الوحيدة التي ابى فيها شربهُ

وكان عند اللورد افبري كلبة من الكلاب الكبيرة كانت ترى هذا الكلب يجلب القطع ويعطى الطعام فلم يخطر ببالها ان تفعل فعلهُ مع انها رأتهُ يفعل ذلك مراراً لا تحصى

ثم اراد ان يرى ما اذا كانت الكلاب تميز الالوان بعضها عن بعض فاتى بست قطع من الكرتون ولوَّن اثنتين منها باللون الاصفر واثنتين بالازرق واثنتين بالبرتقالي وجعل يمسك قطعة منها بيدهِ ويشير اليهِ ليأتيهُ بالقطعة الملونة مثلها وكان اذا جاءهُ بالقطعة المطلوبة يطعمهُ شيئاً يستطيبهُ واذا جاءهُ بقطعة غيرها يأخذها منهُ ولا يطعمهُ شيئاً ويامرهُ ان يأتي بغيرها . واستمرَّ على ذلك ثلاثة اشهر فلم يدرك الكلب التمييز بين هذه الالوان الثلاثة فظن ان سبب ذلك خلل في باصرتهِ لانَّ من الناس مَن لا يميز بين بعض الالوان ويقال لهذا الخلل العمى اللوني . فامتحنهُ في تمييز الاعداد فرسم على لوحة خطا واحداً وعلى لوحة أُخرى خطين وعلى لوحة ثالثة ثلاثة وحاول تعليمهُ الفرق بينها واستمرَّ على ذلك عشرة اسابيع فلم يفلح . ولكنهُ لا يحسب ان تجاربهُ تدل دلالةً قاطعة على ان الكلب لا يمكن ان يميز بين الواحد والاثنين والثلاثة فان العالِم لروى استدلَّ على ان الغراب يعد الى حد الاربعة وذلك انهُ اراد ان يصيد غراباً من فترة وكان الغراب حذوراً لا يدنو منها ما دام احد فيها فادخل اليها رجلين ثم أَخرج رجلاً منهما فلم يدنُ الغراب منها كانهُ علم ان واحداً من الاثنين لا يزال فيها . ثم ادخل

اليها ثلاثة رجال واخرج اثنين منهم فلم يدنُ الغراب منها ايضاً كأنهُ ميز انهُ لا يزال فيها واحد. فادخل اليها ستة رجال ثم اخرج خمسة منهم فضاع الحساب على الغراب وحسب ان الرجال خرجوا كلهم من القترة فدنا منها

ورأى لتشنبرج ان العندليب يميز العدد الى الثلاثة ايضاً مثل بعض المتوحشين فانهُ كان يغذّيهِ ثلاث دودات كل يوم يطرح لهُ الدودة الاولى فيلتقطها ويذهب يأكلها ثم يعود فيطرح لهُ الدودة الثانية فيفعل كما فعل اولاً ويعود اليهِ فيطرح لهُ دودة ثالثة فيذهب ولا يعود الاَّ في اليوم التالي

وقال اللورد افبري انهُ كان اذا وجد بيضتين في عش واخذ واحدة منهما عرف الطائر ذلك وترك عشهُ ولكن اذا كان في العش اربع بيضات واخذ واحدة منها فالغالب ان الطائر لا يدرك ذلك فلا يترك عشهُ

وقال ايضاً ان الزنابير التي تجمع الديدان وتضعها في وكرها طعاماً لها يجمع كل نوع منها عدداً محدوداً من الديدان خمساً او عشراً او خمس عشرة وكلٌّ منها يجري على وتيرة واحدة لكنهُ يزيد المجموع او يقللهُ حسبما ينتظر ان تولد صغارهُ فان كان ينتظر ذكراً جمع لهُ خمس دودات مثلاً وان كان ينتظر انثى جمع لها عشر دودات لان انثى الزنابير اكبر من الذكر وتأكل اكثر منهُ فهو يعدُّ الخمسة ويعلم ما اذا كانت بيضتهُ تنقف عن ذكر اوعن انثى. لكن يظهر ان اللورد افبري مرتاب في صحة امر العد او في ان هذه الزنابير تجمع الدود خمسات خمسات لصغارها

ومن قبيل ذلك الزنابير التي تبني بيوتاً من الطين لصغارها في الجدران العالية وتخزن لها العناكب طعاماً لها بعد ان تلسعها لسعاً يمنعها عن الحركة ولكنهُ لا يميتها فتحفظها القوة الحيوية من الفساد وقد رأيناها مراراً في بلاد الشام ورأينا العناكب في بيوتها ولم يخطر لنا حينئذٍ ان نعدَّها لكننا لا نظنها كثيرة الى حد العشرة او الخمسة . فعسى ان يراقبها بعض قرَّاء هذه السطور ويخبرونا بما يرونهُ فيها ويجب ان يفرقوا بين الدود الذي يصير زنابير والديدان او العناكب التي تكون معهُ طعاماً لهُ

ثم ذكر لورد افبري بعض التجارب التي اجراها ليعرف بها مدارك النمل والنحل فقال انهُ افرغ جهدهُ ليعلم ما اذا كانت النمل تسمع الاصوات المختلفة كصوت الزمّارة والصفّارة فلم يظهر انها تسمع شيئاً منها . فحاول ان يعلم ما اذا كانت تدعو بعضها بعضاً بصوت لا نسمعهُ فنصب امام قرية من قراها ستة اعمدة صغيرة من الخشب ارتفاع كلٍّ منها نحو اربعة سنتمترات ووضع على رأس ثلاثة منها قليلاً من العسل ووضع عليهِ بعض النمل فجعلت تأكل

منهُ حالاً ولو سمح لها ان تنزل وتعود الى قريتها لاهتدى كثير من النمل الى العسل ولكنهُ لم يسمح لها بذلك بل رفعها بيدهِ ووضعها حيث لا يمكنها الرجوع الى قريتها ووضع غيرها بدلاً منها واستمرَّ على ذلك اربع ساعات وقال انهُ لو كان النمل ينادي بعضهُ بعضاً لنادت هذه النملات غيرها ليأتين ويأكلنَ معها ولكنها لم تفعل بدليل انهُ لم يصعد على هذه الاعمدة الثلاثة الاَّ سبع نملات وصعدت على الاعمدة الاخرى التي لا عسل عليها سبع نملات اخرى فصعودها عليها من باب الاتفاق وهي تسعى في طلب رزقها لا بنداء خاص من اخواتها . ثم ترك بعض النمل يأكل العسل ويرجع ادراجهُ الى قريتهِ فلم تمضِ مدة طويلة حتى اجتمع على العسل ٤٣ نملة . وكرر هذه التجربة مرارًا عديدة فكانت النتيجة واحدة

وظهر لهُ من تجربة اخرى ان النمل اذا اراد ان يعرب عن مرادهِ لغيرهِ لم يعرب عنهُ بالكلام بل بوسائط اخرى فانهُ كشف قرية من قرى النمل الصناعية للشمس فخرج النمل منها وتفرَّق ثم ظلَّل جانبًا منها حتى اظلم فاهتدى اليهِ بعض النمل وعاد يفتش عن غيرهِ ويأتي بهِ اليهِ وكانت النملة المهتدية تقبض على اختها وتحملها على ظهرها وتذهب بها الى ذلك المكان المظلم ثم تعود وتأتي بغيرها . فالنمل جمهوري اشتراكي تسعى كل نملة منهُ الى اشراك غيرها في ما تجدهُ من المنافع ولكنهُ لا يستطيع التعبير عن مرادهِ بالكلام ولا بالاشارة فيلجأُ الى هذه الواسطة . اما استدراج النمل بعضهُ بعضاً اذا اكتشف طعاماً فالمرشد فيهِ الرائحة لا الكلام

وعاد من التجارب في النمل الى التجارب في النحل لما هو مشهور من ان النحل يسمع وانهُ اذا طار خشرم منهُ زعقوا لهُ وقرعوا النحاس ونحوهُ لكي يجتمع ويعود الى خليتهِ فاتى بصندوق موسيقي ووضعهُ في حديقة فيها خلايا النحل وادارهُ ووضع عليهِ قليلاً من العسل حتى يسمع النحل صوت الموسيقي وهو يأكل العسل فيحسب ان بينهما علاقةً واستمرَّ على ذلك عشرة ايام ثم رفع الصندوق ووضعهُ في مكان مرتفع يطلُّ على الحديقة فلم تهتدِ اليهِ نحلة من النحل مع ان صوتهُ كان يملأُ الحديقة . ثم اعادهُ الى الحديقة فاهتدى النحل اليهِ حالاً . وبعد تجارب كثيرة من هذا القبيل استنتج اما ان النحل لا يسمع مطلقاً فلا يستطيع ان يهتدي الى العسل من صوت الصندوق او انهُ يسمع ولكن المدة التي سمع فيها الصوت الموسيقي غير كافية لتجعلهُ يعلّق وجود النحل بهِ واثباتاً لامر من هذين الامرين وضع العسل على الصندوق الموسيقي وعلى لوح من الزجاج ووضع الصندوق واللوح في الحديقة على بعدين متساويين من المكان الذي كان يضع الصندوق اولاً فيهِ وبعد نصف ساعة رأى على العسل الذي على الصندوق كثيرًا من النحل واما العسل الذي على لوح الزجاج فلم يهتدِ النحل اليهِ . وكرَّر

هذه التجربة فوجد النحل يذهب الى العسل الذي فوق الصندوق لا الى العسل الذي فوق لوح الزجاج ولكنهُ رأى ان النحل يهتدي الى الصندوق سواءٌ كانت الآلة الموسيقية دائرة او غير دائرة اي سواءٌ خرج منهُ صوت او لم يخرج فلم يكن ارتشادهُ اليهِ بالصوت . ويظهر لنا ان شكل الصندوق هو الذي هدى النحل الى العسل

ومن رأْي بعض العلماء ان النمل والنحل يسمعان الاصوات العالية جدًّا التي لا يسمعها الانسان وانهُ ان كان لها اصوات فتكون من هذا القبيل

بمثل هذه المباحث يتسلَّى عظماء الامم الراقية مراقي الفلاح . فبماذا يتسلَّى عظماؤُنا يا ترى وهم احوج من غيرهم الى البحث عن شيءٍ مفيد. في المقالة التالية المعنونة بشرف العمل بيان كافٍ لما آلت اليهِ احوال قومنا وفي التي بعدها مثال ما تفعل الهمم اذا انفكَّت قيود الاوهام

شرف العمل

من المشروعات المفيدة في هذه الديار ما قامت بهِ جمعية "العروة الوثقى" في الاسكندرية من تأسيس مدرسة صناعية نسبتها الى "محمد علي" رأس الأُسرة الخديوية . وقد دبَّت الايام ودرجت الشهور وما برحت الهمم متقاصرة والمبالغ التي جمعت لا تسد عوز النصف ممَّا ينبغي لهذا المشروع الجليل

لا أُشير الى نتيجة هذا العمل على فرض حصولهِ اذ ليس المقام مقام نبوات والمستقبل يكشف القناع عن وجه الحقيقة . وغاية ما ينبغي ان يقال في هذا الباب ان اهل هذه البلاد والمسلمون منهم خاصة لكثرة سوادهم احق الناس بالتوفر على مذاهب المعاش الثلاثة من زراعة وصناعة وتجارة والزهد في الإمارة او الاستخدام لانها ليست بمذهب طبيعي للمعاش

مضت قرون على قومنا حسبوا الخير برمتهِ محصورًا فيهم وان فضل الله لم يؤْتهِ ولن يؤْتيهُ سواهم وان عندهم كل شيءٍ وان حسن اليقين والتسليم للاقدار يغنيانهم عن تعرُّف كل جديد. اغتروا ويا لضيعة الآمال بظواهر الحال ذاهبين الى ان الاغيار مهما بلغوا من درجات الرُّقي بفضل عقولهم لا يدركون شأْو سلف هذه الامة في كل منحى من مناحي الحياة فاكتفوا من ثمَّ بعلالات هي بالاطفال اليق منها بالرجال وبالامم المائتة اشدّ علاقة منها بالامم الحيَّة

ولما انسال تيار الغرب على الشرق واستصفي معظمهُ واستبيح حمى البقية او كاد اصبح القوم

يشعرون بان تلك الدعاوي الطويلة العريضة على فرض صحتها لا طوّل فيها ولا طائل تحتها وان قد انقضى دور التعزّي بالاقوال اذ هي لا تُغني غناء الافعال بحال من الاحوال

بلغ اهل بعض البلاد هذا المبلغ من الفكر بعد إيقانهم بان من خرق الرأي ثقة المحكوم عليهم بحكامهم في كل شأن من شؤون الحياة لاسيا وقد اثبتت التجارب ان اغلبهم زعماء شهوات لا زعماء نهضات وامراء جبايات لا امراء زراعات وصناعات

نعم ان ما قام من الحضارة في بعض ادوار الممالك الاسلامية كان بحسنات ملوك وامراء اوجدوا بعلمهم وعدلهم العالم والعامل فانقلب الامر الى ضدهِ لما قضي عليهم حتى قيل "الدول اسواق يحمل اليها ما يروج فيها" ولكن من قال اننا لم نكن في كل ايامنا اهل اتكال مجسّم ولم يسجّل بان كل ما اتت بهِ الشريعة من الحث على السعي والتعلم لم تأخذ منهُ النفوس الاَّ جهد طاقتها ومبلغ حاجتها

حاذَرَ الاسلام من عواقب الكسل فحضَّ على العمل ولم يأمر بالزهادة على النحل والذي عرفهُ المتأخرون المعطلون وجاء حاثًّا على الاخذ من خيريْ الدارين غير آمر بالخروج عن سنن الكائنات ولولا قواعد سنّت لصلاح العمران ماوجدت في المسلمين من يقوم على زرع ارض او إجادة صناعة وتجارة لكثرة ما دسّهُ المشعوذون من الزهديَّات المثبطات والخرافات المضنيات بل ولولا الحاجة الطبيعية الدافعة في بعض اقطار المشرق ما رأيت من يفكّر في استخراج البرّ من سنابلهِ او يحسن عمارة المساكن او يعرف نسج الثياب

ولذا ترى اكثر الفقهاء صبغوا القواعد العمرانيَّة بصبغة دينيَّة فقالوا ان الفلاحة والنساجة والبناية فرض على الكفاية. وقام بعد السلف خلَفٌ وهموا الدخول في غمار العاملين مزريًا بصاحبهِ ان كان لهُ ما يكفيهِ من حطام الدنيا . وقد اجمع علماء الاجتماع والدين ان كل عمل جسديًا كان او عقليًا لا يثلم شرف الآخذ نفسهُ بهِ . وان كلَّ ما ساغ ربحهُ وجوّزهُ قانون لا يُعدُّ الاشتغال بهِ عرَّة في وجوه الاحساب ولا مَضيعة للاستعداد والكفاءات ولا متلفة للقرائح والعقول . قال عليٌّ كرم الله وجههُ اني لأرى الرجل فيعجبني فأقول ألهُ صنعة فان قالوا لا سقط من عيني

منْ هذا الخراب العظيم الذي تُصاب بهِ البيوتات في مصر والشام احتقارُ الاجداد والآباء للصناعات والزراعات والتجارات واكتفاؤُهم من تربية ابنائهم بان يغرسوا في عقولهم حب الاحتفاظ بثرواتهم والاعتماد عليها وان احسن ما يعملونهُ بعد وفاة والديهم الجري على آثارهم . وقد رأينا كثيرين جزعوا من تبديد مخلفاتهم من بعدهم فاوقفوها ولكن ابناءهم وورثتهم نقضوا

ما ابرمهُ اولئك المورّثون وتصرفوا فيها بما شاءوا

ولو علم الآباء والاغنياء منهم خاصة ان خير ذخر يبقونهُ لاولادهم بث الملكات الصحيحة فيهم وان الثروة هي العمل وان الارض لا توجد الثروة ما لم تُبذل العناية في استثمارها واستنباتها وان الثروة ليست عبارة عن نقود ولا امتلاك عقارات وقرى للقنوا ابناءهم ما يرتفعون بهِ عن الدنيئة اذا تجرّدوا يوماً عمّا يملكونهُ

هذه الثروات الطائلة التي تضمحل كل يوم ونسمع من انبائها عجباً كانت بمأمن من غوائل التبديد لو عرف وارثوها قدر العمل وقيمة المال وطرق اكتسابهِ . وتدارك اهل الغرب من هذه القاعدة فرأينا مئات من بيوتاتهم في المانيا وانكلترا وفرنسا وغيرها من الممالك دامت لها النعمة عدة قرون وبطون على حين لم تدم نعمة بيت في بلادنا الأ ثلاثة اجيال في الغالب

ماذا اصاب سكان غربي آسيا وشمالي قارَّة افريقية حتى زهدوا في الصنائع وغالى كبراؤهم في احتقارها فمحقت الأ بقايا تدل على القديم دلالة الاثر على مؤثرهِ . وليت شعري هل اضمحلت باسباب خارجية ام داخلية وجدت في جو البلاد من ظلم حكومة واشتطاط قانون وديانة تابذ اهلها من لم يقولوا بقولهم وتمكُّن خرافات في النفوس حتى وصلت الى البلادة . ام عرَت اهل البلاد امورٌ طبيعية ربّت فيهم الخمول وعششت الجبر المحض في قلوبهم فطفئت جذوة العمل من رؤوسهم . وسكان الاقطار الحارَّة على رأي العمرانيين تضعف قواهم العقليَّة والجسديَّة وتغلب عليهم الخفة والطيش فيطربون للجزئيات ويتأثرون بها ولا يبكون للكليَّات ولا يحزنون عليها. وكلما درَّت اخلاف الطبيعة وامرعت اكناف الغبراء بخيرات الخضراء واصبح الرزق ميسوراً اخصب السكان فاستحوذت البطالة على النفوس

فاذا كان هذا هو الداعي لفقدان الصنائع وانحلال الاجسام بحيث بَعُدت عن العمل فلِمَ لم يُصب سكان الشمال الغربي من آسيا وان شئت فقل الشمال الشرقي بما أُصبنا بهِ منذ قرون وبلادهم ليست دون بلادنا بحرارتها متشابهة بطبائع اقاليمها واهلها . وها اننا نرى الفرس وهم اخواننا في الانحطاط لم يزالوا متوفرين على الصنائع شأنهم في القديم وامتازوا بها على مجاوريهم امتياز الانكليز على جميع امم الغرب بميلهم الى الصناعات قديماً وحديثاً مما دعا الى تقدمهم اشواطاً الى الامام فصاروا كالطلائع من جيش المشارقة وغيرهم كالقواعد والمخلفين

وبلغنا لهذا العهد عن اهل الطبقة العالية في ايران وبخارى والافغان انهم يقضون الساعات في عمل ما من نجارة وحدادة وحياكة ورسم وخط ونقش وحفر وغيرها يتلهون بها ويعوّدون بالمران عليها عضلاتهم وان لم يتوقع اكثرهم منها نفعاً مادياً شأن اغنياء الغرب لعهدنا

فانهُ لا بدَّ لكل واحد منهم ان يختص بصناعة تفيد مجتمعهُ وتسليهِ في وحدتهِ وتروّض جسمهُ وترفع قدرهُ عن نسبة البطالة اليهِ "وغبار العمل خير من زعفران العطلة" . ولعلَّ الفرس ورثوا حب الصناعات فتسلسلت فيهم لانهم من اصل آريّ يجتمعون والسكسونيين في جرثومة واحدة كما يقول الباحثون في اصول الشعوب

ألا وان الصناعات ليست كما يعتقدها في بلادنا من أُشربت قلوبهم مقت العمل وربوا في مهاد الاتكال والكسل . فقد مارسها كبار رجال الخليقة وما تقززوا منها وهم ينزعون الى اسمى المطالب وينشدون اشرف الغايات . فقد كان نوح نجارًا وموسى راعياً ومحمد تاجرًا واصحابهُ كانوا يتاجرون في البر والبحر ويعملون في نخيلهم وكان ابو بكر الصديق وعثمان بن عفان بزّازين وعمرو بن العاص جزارًا وسعد بن ابي وقاص يبري النبال وابو حنيفة النعمان خزازًا يبيع الخز وابو مسلم الخراساني صاحب الدعوة العباسية كان على غناهُ يجلب المواشي الى الكوفة والثعالبي صاحب اليتيمة كان فرّاءً يخيط جلود الثعالب والحريري صاحب المقامات كان يعمل الحرير ويبيعهُ وابن حوقل الجغرافي كان تاجرًا وياقوت الحموي الجغرافي اشتغل بالمتاجر وابو بكر القفال الفقيه المروزي كان ابتداء اشتغالهِ بالعلم على كبر السن بعد ما افنى شبيبتهُ في عمل الاقفال وابو منصور الجواليقي احد الائمة في فنون الادب نسب الى الجواليق وبيعها وابو اسحق الزجاج النحوي كان زجاجاً . وهكذا لو تقصيت سير المشارقة من قبل تجد في علمائهم وامرائهم الفلاَّح والنسَّاج والحائك والفرَّاء والخياط والصفار والقصار والمعمار والحجار والعطار والبيطار والدهان والسمان

ومثلهم كثير في المغاربة[1] فقد كان من الصنَّاع طاليس رأس الحكماء السبعة وصولون المؤسس الثاني لاثينا وكان افلاطون الحكيم زيَّاتاً يطوف بلاد مصر وسبينوزا الفيلسوف اليهودي عاش بصقل زجاجات المناظر ولينيوس النباتي تعلم وهو يعمل في السكافة وشكسبير رأس شعراء الانكليز كان يدير الملاعب وداود ريكردو واضع الاقتصاد السياسي كان تاجرًا وبيلي الفلكي كان سمسارًا ويوحنا ستورت ميل الفيلسوف فاحصاً في شركة الهند الشرقية . وتعلم فرغوسن الهيئة وهو مرتدٍ بجلود الغنم على رؤوس التلال وملر درس طبقات الارض وهو يعمل في المقالع . وكثيرون من الاحياء يتجرون ويحترفون فان رئيس جمهورية سويسرا يتاجر بالاقمشة واللورد روزبري كبير وزراء انكلترا لهُ تجارة واسعة ببيع اللبن واللورد لوندندري يبيع الفحم واللورد هارنجتون يبيع الثمار والبقول

لا جرم ان النهوض بالشرق متعذر ما لم يسعَ اليهِ كبراؤهُ ومتى فكرت الطبقة العالية فيما

(1) راجع كتاب سرّ النجاح لمعربهِ منشئ المقتطف ففيهِ الغنية من اخبارهم

انتهت اليهِ حال البلاد يحسن حال الطبقة الوسطى والطبقة الدنيا ومتى قام في الامة أُناس مثل كمال بك وهدايت باشا وغيرهما من الرجال العاملين يُرجى للشرق بعض الرجاء ان يلحق بشقيقهِ الغرب . واليك مثالاً من حال هذين الرجلين في العلم والعمل

كمال بك رأس النهضة العثمانية الاخيرة وقائد عصابتها واكبر كاتب وشاعر تركي عرف معنى الوطن والوطنية . ومن جملة ما عملهُ في احدى نفياتهِ الى جزيرة رودس ان تقرَّب من بعض معلمي الكتاتيب وطفق يصلح لهم طرق التدريس ويبث الغيرة في قلوبهم وقلوب تلامذتهم من تربية الملكات تربية صحيحة وتلقين العلم النافع ولم تمضِ سنوات حتى تخرَّج بفضلهِ نحو ثلثمائة طالب قاموا بدعوتهِ واهتدوا بهديهِ

وكان من امر هدايت باشا انهُ مرَّ بحلب على ما روى فاضل حكيم ذاهباً الى البصرة والياً عليها فلما كان يطوف ازقة الشهباء بصر فاعلاً يخمر الطين على طريقة صعبة لا يحسن بها فوقف قائلاً للفاعل ما هكذا يعمل الطين واشار اليهِ بكيفية اسهل واحسن فلم يفهمها فما كان من المشير المشار اليهِ الاَّ ان خلع حذاءهُ وسراويلهُ وراح من ساعتهِ يغوص في الطين الى نصفهِ ليعلم العامل كيف يجبل التراب . وصارت القاعدة التي علمهُ اياها مطردة الاستعمال عند كل طيانة حلب الى هذا اليوم

فبمثل هذين الرجلين تحيا العلوم والصنائع وترتقي البلاد بمادياتها ومعنوياتها ومن لنا بامثالهم يؤسسون في كل مدينة وبلدة من بلدان المشرق مدرسة او معملاً للصناعة والزراعة والتجارة . وبعيد علينا محاكاة سابقينا دفعة واحدة فللكون سنن لا يتعداها وللارتقاء مدارج لا مناص من الصعود عليها ينبغي لنا ان ننهض بانفسنا لا بحكامنا ونتشبه بالناجحين ما ساعدت المكنة ونبدأ بالجزئيات لنصل منها الى الكليات

والعالم ميدان جهاد لا تنفع فيهِ الاَّ الحكمة العملية ولا يسبق الاَّ من توفرت لديهم ادوات الكفاح ونفثت في نفوسهم روح العلم . وكنوز السعادة مرصودة لاهل الجلادة والنجادة وسرُّ النجاح مكتوم في بطون الليالي لا يفشى الاَّ لمن تسعهُ صدورهم . وعلى نسبة رجال الامة العاملين يحسن حالها في العالمين . فطوبى لمن بورك لهُ بساعات حياتهِ فانفقها في جلب المنافع ودرء المضار وعرف ان الوقت نقد عزيز والعمر ركاز إبريز فضنَّ بهما وسعى في ايقاظ شرقنا من رقدتهِ المزمنة وإنعاشهِ من صرعتهِ المحزنة

محمد كردعلي

نبأ من اليابان

التجارة

بسطنا الكلام في الجزء الماضي على ركنين من اركان العمران في بلاد اليابان وهما الديانة والتعليم وقلنا ان ديانة اليابانيين تهذّب الاخلاق وتدمّث الطباع وتغري بالسعي والجد ولا تمنع ذويها عن مخالطة الغير واقتباس الفوائد منهُ ولا تغرّر بهم فتقنعهم انهم افضل خلق الله جبلة ومعتقدًا . وهي تعلي شأن الفضيلة والهمَّة والبسالة والكرم لان مدارها على عبادة السلف والمرءُ ميَّال الى وصف اسلافهِ بهذه المحامد والى الاقتداء بمعبودهِ . وان التعليم صار اجباريًّا في تلك البلاد حينما سارت في سبل العمران الجديدة . ولا ندري كيف وجدت العدد الكافي من المعلمين ولكن يظهر ان معرفة القراءة والكتابة كانت شائعة فيها قبل نهضتها الحديثة ولذلك لم يتعذر عليها ان تجد اكثر من مئة الف مدرس لمدارسها الابتدائية والعالية

ونأتي الآن الى الكلام على الركن الثالث وهو التجارة . وقد جرت العادة في مثل هذا البحث ان نقدّم الزراعة والصناعة على التجارة ولكن الزراعة قديمة في يابان وقد بلغت حد الاتقان فيها قبل هذه النهضة الجديدة وهذا شأن الصناعة اليابانية التي يعتمد فيها على يد الصانع واما الصناعة التي يعتمد فيها على البخار في المعامل الكبيرة فسيأتي الكلام عليها . وكذلك التجارة قديمة في بلاد يابان كما هي قديمة في غيرها من بلدان المشرق ولكن لا نسبة بين ما كانت عليهِ وبين ما صارت اليهِ بعد النهضة الجديدة . وكأنَّ اليابانيين رأوا ان مقام الامم يتوقف على ثروتهم وان مصدر الثروة الاصلي الزراعة والصناعة ولكن لا تصير حاصلات الارض ومصنوعات الصنَّاع مالاً ما لم يُتجر بها اي ما لم تُرسل الى البلدان الاخرى وتبدل بالنقود او ببضائع تحتاج اليها البلاد فاذا كان زيد يأكل في سنتهِ عشرة ارادب من الحنطة لا غير وغلّت ارضهُ اربعين اردبًا ولم يستطع ان يبيع الثلاثين الزائدة عن طعامهِ ولا ان يقايض بها كانت خسارة عليهِ واذا اخذها منهُ تاجر ولم يدفع اليهِ من ثمنها الاَّ نفقات استغلالها لم يكن لهُ نفع منها فيقتصر في السنين التالية على ما يسدُّ رمقهُ ويقوم بكفافهِ وهكذا تضعف الزراعة وتضعف الهمم . وقس على ذلك مصنوعات الصنَّاع فانها اذا بقيت مقصورة على حاجة اصحابها او حاجة اهل بلادهم فلا سبيل الى زيادة ثروتهم منها

هذه الحقيقة ادركها اليابانيون فأنشأوا الشركات التجارية لكي لا يستأثر غيرهم بربح تجارتهم بل يكون ربحها لهم وساعدتهم حكومتهم لان نجاحهم نجاحها وفشلهم فشلها . ومن حين نهضوا

نهضتهم الجديدة زادت تجارتهم زيادة لا مثيل لها كما ترى من هذا الجدول . وقد ذكرنا فيهِ قيمة متاجرهم اي الصادر من بلادهم والوارد اليها بالجنيهات الانكليزية

سنة ١٨٦٨	٢ ٦٠٠ ٠٠٠	جنيه
« ١٨٧٨	٥ ٩٠٠ ٠٠٠	«
« ١٨٨٨	٤٤ ٣٠٠ ٠٠٠	«
« ١٨٩٨	٤٩ ٠٠٠ ٠٠٠	«
« ١٩٠٠	٥٢ ٢٠٠ ٠٠٠	«

ونحو نصف ذلك ثمن الصادرات والنصف الآخر ثمن الواردات اي ان تجارة البلاد الخارجية كانت تساوي نحو مليونين ونصف منذ ثلاثين سنة فصارت تساوي الآن اكثر من خمسين مليونًا فزادت عشرين ضعفًا وهذه الزيادة بالغة جدًّا وهي ليست من ارتفاع الاسعار لان الاسعار هبطت كثيرًا في هذه الاثناء بل من كثرة الصادرات والواردات

والتجارة الصادرة ثابتة وآخذة في النمو لانها مرتبطة ببلدان كبيرة كثيرة المقطوعية كاميركا والصين وانكلترا وفرنسا فتبلغ قيمة الصادر الى الولايات المتحدة الاميركية نحو ستة ملايين من الجنيهات والى هنغ كنغ الانكليزية نحو اربعة ملايين والى بلاد الصين نحو ثلاثة ملايين والى فرنسا نحو مليونين . وموادها التي عليها الاعتماد الاكبر الحرير الخام وقيمتهُ نحو ستة ملايين جنيه والحرير المنسوج وقيمتهُ نحو مليوني جنيه والقطن المغزول وقيمتهُ نحو ثلاثة ملايين جنيه والفحم الحجري وقيمتهُ نحو مليوني جنيه والنحاس وقيمتهُ اكثر من مليون جنيه . وكلها من الضروريات التي لا يستغنى عنها

وهذه التجارة نامية متزايدة في بلدان المشرق اي مع الصين وكوريا والهند ويحسب اليابانيون ان لهم الحق الاول في القبض على زمام التجارة الشرقية لقرب بلادهم من بلدان المشرق ولرخص مصنوعاتهم حتى ان منسوجاتهم القطنية تباع في بلاد الصين بارخص مما تباع بهِ المنسوجات الصينية

ورجال اليابان ينظرون الى مستقبل بلادهم من هذا القبيل بعيون ملؤُها الامل وقلوب طافحة سرورًا كيف لا وهم يحسبون انهم سيقبضون على زمام تجارة المشرق حتى لا يبقى لهم مناظر فيهِ ويكون شأْنهم في بحارهِ شان الانكليز في بحار المسكونة

قال احدهم البارون سبوساوى لمستر ستد " ارى اننا قد صرنا الآن اقدر من غيرنا على اقامة اسواق المشرق ولو اقتصرت تجارتنا على المقايضة . مثال ذلك اننا نجلب من كوريا الارز

والفول والجلود والعظام ونرسل اليها المنسوجات القطنية والحريرية ونحو ذلك مما تحتاج اليهِ وستتحوَّل تجارة البلدان الشرقية الى يدنا كما يحق شرعي. ولا اظن انهُ يسهل علينا ان نناظر الاوربيين والاميركيين في اسواقهم لان آلاتهم ترخص المصنوعات كثيرًا ولان الصانع الياباني حديث العهد في استعمال الآلات واتقان الصناعات فلا يستطيع ان يباري الصانع الاوربي والاميركي ولو كانت اجرتهُ رخيصة. وسيمرُّ علينا جيلان او ثلاثة قبلما يصير صنَّاعنا مثل صناعكم مهارة وفي غضون ذلك يكون اصدار بضائعنا الى بلادكم خامًا اربح لنا من عمل المصنوعات منها وارسالها اليكم مصنوعةً . ونحن نصدر الآن الى اوربا واميركا شايًا وارزًا وحريرًا وفحمًا ونحاسًا وخزفًا . وارجو واتوقع ان يأتي الزمن الذي نناظر فيهِ امم الارض بمصنوعاتنا ولكنهُ لا يزال بعيدًا بحكم الضرورة"

وقال ياماموتو مدير بنك يابان . "لا تزال بلادنا حديثة العهد بالتجارة ولكن وسائلها ميسَّرة للصناعة وستكفي حاجتها من المصنوعات وترسل ما يفيض عنها الى الصين وسائر اسواق المشرق لرخص ثمن الفحم فيها وبخس اجور العمال ولان فيها كل وسائل النقل وقد ثبت لنا ذلك من نمو معامل الغزل والنسج في السنوات العشر الاخيرة "

ومتى كبرت نفوس الناس حتى لا يقنعوا بالقليل ولا يتوكلوا وجدوا مذاهب الرزق مفتوحةً امامهم وان سدَّت فتحوها بعزائمهم "ومن خطب الحسناء لم يغلها مهر" ولله درُّ ابن هانيء حيث قال

ولم اجد الانسان الاَّ ابن سعيهِ فمن كان اسعى كان بالمجد اجدرا

وقد قلنا في صدر هذه المقالة ان تجارة البلاد لا تكون رابحة الاَّ اذا كانت في يد ابنائها فالقطر المصري مثلاً تبلغ قيمة تجارتهِ في السنة نحو ثلاثين مليونًا من الجنيهات لكنهُ قلما يستفيد منها غير ثمن الحاصلات الاصلي واما الفضلة التجارية التي تزاد على ثمن المواد الاصلية وتبلغ بضعة ملايين من الجنيهات فتذهب الى التجار الاجانب وشركات السفن البخارية . قابل بين ذلك وبين وما فعلتهُ اليابان تجد ان الفرق بينها وبيننا كالفرق بين الثريا والثرى وايضاحًا لذلك نقول

كانت بلاد يابان في سالف عهدها تتجر مع الصين وكوريا وكان فيها سفن كثيرة لهذه الغاية وكلها صغير من ذوات الشراع ثم جاءها بعض الرهبان من اوربا واحدثوا هيجًا فيها فاضطرت ان تطردهم من بلادها وان تمنع بناء السفن الكبيرة التي تستطيع عبور البحر واقتصرت على بناء الزوارق الصغيرة التي لا تبعد عن الشاطىء . ووصلت اليها البواخر الانكليزية والروسيَّة في غضون ذلك فلم تسمح لمن فيها في النزول اليها الى ان جاءها القومندور بري بالاسطول

الاميركي على ما تقدَّم واضطرها الى فتح بعض موانيها للسفن الاجنبية وكان ذلك سنة ١٨٥٤ ثم لما سارت في نهضتها الحديثة رأت ان لا بدَّ لها من ان تقبض على زمام تجارتها والاَّ افلتت من يدها فهبَّت الى بناء السفن الشراعية والبخارية ونشأت فيها شركة من اعظم شركات الدنيا الملاحية كان عندها في الصيف الماضي ٦٧ سفينة بخارية كبيرة محمولها ٢١٢٥٨٣ طنًّا وكانت تبني خمس سفن اخرى محمول الواحدة منها ستة آلاف طن. وكل اعضاء هذه الشركة من اليابانيين وكل اموالها منهم فليس لاجنبي سهم فيها

وكان عدد السفن المبنيَّة على النسق الاوربي سنة ١٨٧٧ نحو ٢٦٠ سفينة ومحمولها ٢٩٧ ١٣٣ طنًّا فزاد في السنوات التالية على ما ترى في هذا الجدول

سنة	السفن البخارية	محمولها	السفن الشراعية	محمولها
١٨٩٦	٠٨٩٩	٢٣٣ ٩٤١ طنًّا	٦٤٤	٤١٤٤٥ طنًّا
١٨٩٧	١٠٣٢	٢٣٨ ٧٧٩ «	٧١٥	٤٨١٣٠ «
١٨٩٨	١١٣٠	٢٩٥ ٥٤٤ «	١٩١٤	١٥٩٩٤٨ «
١٨٩٩	١٢٢١	٣١٥ ١٦٨ «	٣٣٢٢	٢٦٩٠٣٢ «

والزيادة مضطردة ففي سنة ١٩٠٠ بلغ محمول السفن البخارية ٥١٧٤٠٧ اطنان ومحمول السفن الشراعية ٣٠٠٨٣٩ طنًّا

وانظر ماذا فعلت حكومة اليابان اغراء لاهاليها بمجاراة الاوربيين في هذا السبيل. ساعدت اهل الملاحة بكل واسطة ممكنة وقرَّرت سنة ١٨٩٩ اعطاءهم مساعدة مالية عشر سنوات متوالية وكان المبلغ الذي قرَّرت انفاقهُ سنة ١٩٠١ في سبيل مساعدة الملاحة ٦٩٠ الف جنيه وهو مقسوم هكذا نحو ٢٩ الف جنيه لمساعدة الملاحة المحلية و ٨٠ الف جنيه لمساعدة في انشاء شركات الملاحة و ٥٦٠ الف جنيه لمساعدة الشركات التي ترسل سفنها الى الجهات البعيدة كاوربا واميركا ونحو ٢٨ الف جنيه لمساعدة في بناء السفن

ورأس مال الشركة التي اشرنا اليها آنفًا مليونان ومئتا الف جنيه . وخمس عشرة سفينة من سفنها محمول كلٍّ منها اكثر من ستة آلاف طن. وتسع محمول كل منها اكثر من ثلاثة آلاف طن . وخط من سفنها يسير كل اسبوعين بين يوكاهاما وانفرس ولندن ويمر على الصين وملقا. وخط يسير من هنغ كنغ ويذهب الى غربي اميركا ثم يعود الى شنغاي واليابان . وخط ثالث يجري بين اليابان واستراليا عدا خطوط كثيرة بين اليابان والهند . والخدمة في هذه السفن مثل الخدمة في السفن الاوربية والاميركية وهي تسع ١٢١٨ راكبًا في الدرجة الاولى

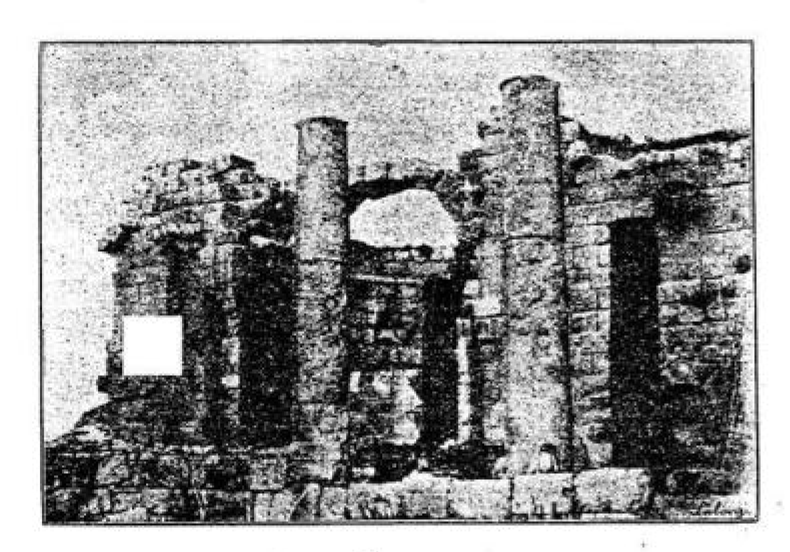
و ٧١١ راكباً في الدرجة الثانية و ١٠٠١٦ راكباً في الدرجة الثالثة واكثر رؤسائها حتى الآن من الاوربيين والاميركيين ولكن اليابانيين باذلون جهدهم لا بد لهم برؤساء منهم حالما يتأهلون لذلك وقد ابدلوا بعضهم الآن

وفي بلاد يابان شركة ملاحيَّة أُخرى اصغر من هذه عندها ثلاث سفن بخارية كبيرة تجري بين هنغ كنغ وسان فرنسسكو باميركا ويقال ان كثيرين من السيَّاح الاميركيين يفضلونها على السفن الاميركية والانكليزية القديمة . وفيها شركة ثالثة لا تخرج سفنها من البحار الشرقية وميدان التجارة واسع امامها هنالك

وكانت السفن الكبيرة تبنى في اوربا اما الآن فصار اليابانيون يستطيعون بناء السفينة التي محمولها ستة آلاف طن ورغَّبتهم الحكومة في ذلك لانها جعلت مساعدتها للسفينة المبنية في بلادها مضاعف المساعدة التي تعطيها للسفينة المبنية في غيرها . ولا يزال جانب كبير من تجارة يابان يحمل بالسفن الاجنبية ولكن ما يحمل بالسفن اليابانية يزيد زيادة بالغة كل سنة وما يحمل بالسفن الاجنبية يزيد زيادة قليلة ففي سنة ١٨٩٥ كان عدد السفن البخارية التي دخلت مرافئ اليابان ١٨٦٣ ومحمولها ٢٧٤٩٨٣٩ طنًّا وكان عدد البواخر اليابانية منها ١٢٦ ومحمولها ٠٩٣٥٠٥ وفي سنة ١٩٠٠ بلغ عدد السفن البخارية كلها ٥٣٣٠ ومحمولها ٩٦٠٦٧٥٢ طنًّا وكانت البواخر اليابانية منها ٢٦٤٥ ومحمولها ٣٣٩٣٦٥٧ طنًّا اي كان محمول البواخر اليابانية جزءا من ثلاثين من محمول البواخر كلها فصار في خمس سنوات جزءا من ثلاثة فكأنهُ نما عشرة اضعاف ما نما غيرهُ . واذا استمرَّت البلاد على هذا النمو لا يمضي عليها عشر سنوات اخرى حتى تصير اكثر تجارتها الخارجية في يد ابنائها وينتقل اليهم جانب كبير من تجارة اوربا واميركا

ورب قائل يقول ترى هل زادت ثروة البلاد من هذا التوسُّع في المتاجرة ومما جرى مجراهُ من انشاء المعامل ونحوها . والجواب ان رأس مال بنوك يابان كان سنة ١٨٩٤ نحو ١٠ ملايين جنيه والودائع فيها كانت نحو ١٣ مليون جنيه فبلغ رأس مال بنوكها سنة ١٨٩٩ نحو ٢٩ مليون جنيه والودائع فيها ٧٥٠ مليون جنيه فمن اين اتى هذا المال الوافر الى بنوك اليابان ولاسيما الودائع فان بنوك انكلترا على غناها ليس فيها من الودائع سوى ٦٢٥ مليون جنيه . وسنعود الى موضوع المالية في فصل آخر

ولاهتمام اليابان ببناء السفن التجارية فائدة اخرى وهي ان ابناءها تدربوا فيها على ركوب البحار فسهل عليهم ركوب البوارج الحربية واستخدام سفنهم لتعبئة الجيوش فصارت اليابان بذلك دولة بحرية عظيمة تحالفها اعظم دول الارض البحرية



خرائب عمّان



خزنة فرعون في وادي موسى

خرائب الشام

مدينة عمّان ووادي موسى

مدينة عمّان قصبة بني عمون شرقي الاردن على نحو مرحلتين من القدس كان اسمها ربة بني عمون وكان لها شأن كبير في الزمن القديم. لما مات ناحاش ملكها وملك حانون ابنهُ ارسل النبي دواد ملك بني اسرائيل وفداً لتعزيتهِ فلم يكرم الوفد بل اوجس منهم خيفةً وحلق لحاهم وقص اذيالهم فاغتاظ داود منهُ وحاربهُ سنتين الى ان فتح ربة عاصمتهُ وقتل اهلها واخذ تاجهُ عن رأسهِ ووزنهُ وزنة من الذهب مع حجر كريم

وعاد بنو عمون فشادوا قصور ربَّة واعلوا اسوارها فتنبأ عاموس النبي قائلاً اضرم ناراً على سور ربَّة فتا كل قصورها. ودخلها الفرس وهم نازلون الى مصر ثم وقعت في يد البطالسة فسماها بطليموس فيلادلفس فيلادلفيا واشتهرت بهذا الاسم زماناً طويلاً وكانت من المدن العشر شرقي الاردن . وحاصرها انطيوخُس الكبير سنة ٢١٨ قبل الميلاد وكانت جنود بطليموس فيلوباتر فيها فعجز عن فتحها الى ان دلّهُ واحد من الاسرى على مجرى الماء اليها فقطعهُ واضطرها الى التسليم

وعظم شأن هذه المدينة في عهد الرومانيين وبنوا فيها المباني الكثيرة التي لا تزال اطلالها الى الآن شاهدة بما كانت عليهِ من الفخامة والرونق وبما كان لاهلها من الثروة والجاه . وكل الاطلال يونانية او رومانية الاصل الاَّ القلعة فانهُ يظن انها قديمة من قبل ايام الرومانيين ولعلها من عهد بني عمون

وتنصَّر اهل عمّان مع غيرهم من اهالي مدن الشام وصارت مدينتهم كرسي اسقف ولا تزال جدران كنيستها قائمة على جانب النهر (الزرقا) وفي حجارتها روابط من الحديد او النحاس لتوثيقها او لالصاق النقوش بها واعمدتها من الرخام الابيض من الطراز الايوني وهي مصروعة الآن على الثرى مكسَّرة ومبعثرة والى جانبها كنيسة اخرى كان لها برج او هو ما ذنة اضيفت اليها لما حوّلت جامعاً ولا تزال جدرانها قائمة

وعلى مقربة من ذلك حصن لهُ برجان كبيران مستديران بينهما سور من حجارة كبيرة منحوتة مقرنصة من قبل عهد الرومانيين وصلة على اربع اقواس الواحدة منها فوق الاخرى تصل بين الخندق وباب الحصن اما داخل الحصن فخراب الاَّ الجدار الشرقي فانهُ لا يزال قائماً وفيهِ محاريب للتماثيل ونقوش كورنثيَّة وداخل الحصن اعمدة كبيرة كان سقفهُ مستنداً عليها

ويتلو الحصن هيكل كورنثي بديع الصنعة لهُ في جانبهِ الغربي ثلاثة ابواب حول الاوسط منها نقوش من الطراز المصري . وعلى الجانب الآخر من النهر معمَّد فيهِ احد عشر عموداً لا تزال ثمانية منها قائمة وتيجانها كورنثية

وهناك مشهدان الصغير منهما لا تزال جدرانهُ قائمة لكن داخلهُ خراب مملوء بالانقاض والاعمدة المكسرة والكبير من اكبر مشاهد سورية وانقنها واجملها قطر ساحتهِ ٤٥ خطوة حولها المقاعد ٤٣ صفًّا الواحد فوق الاخر كاهلَّة متراكزة

اما القلعة فعلى شاهق يعسر الصعود عليهِ وهي قسمان احدهما ارفع من الآخر والقسم المرتفع مساحة سطحهِ عدة افدنة مغطاة بالانقاض وفيهِ صهريج كبير والى جنوبيهِ بناء مربع ظنهُ الماجور كندر من عهد الفرس (بني ساسان) او من عهد العرب . والى غربي القلعة كثير من الاعمدة الكبيرة باقية من آثار ما كان فيهِ من الابنية

وحول المدينة ابراج كثيرة كانت مدافن لعظمائها مبنية بالحجر النحيت وفيها نواويس الموتى

كنا نحسب ان ما وصلت اليهِ يد الدهر من التخريب والتدمير تقف عندهُ وانهُ اذا صلحت حكومة البلاد تقام فيها ادارة تراقب آثارها القديمة وتهتم بحفظها فلا نفقد الاثر بعد العين . ولكننا كنا نطالع مجلة القرن التاسع عشر الانكليزية قبيل كتابة هذه السطور فعثرنا في الجزء الاخير منها على مقالة لاحدى السيدات الانكليزيات زارت بلاد الشام منذ عهد قريب ووصفت البلاد الواقعة شرقي الاردن وخرائب عمان في جملتها وهاك ترجمة ما قالتهُ

"نزل الشراكسة في هذه البلاد منذ بضع عشرة سنة وبنوا قراهم على ضفتي نهر الزرقاء (اليبوق) ونواصرهِ بعد ان هجر السكان هذه الانحاء منذ اكثر من الف سنة ودبَّت الحياة في مدينتي اليونان عمان وجرش وقامت اكواخ الطين بين اعمدة الشوارع القديمة وتحولت اروقة المشاهد الى مساكن ومخازن وشقَّت المحاريث ساحات الاندية وصارت الحمامات حظائر وبيادر . ولا شان لتلك الآثار عند الشراكسة فلا يحسبونها سوى محاجر يقتلعون الحجارة منها فتجد في جدران مبانيهم تيجان العمُد الكورنثيَّة وسوقها المضلَّعة وتجد امام اكواخهم مذابح المرمر المنقوش يستخدمونها موائد يأكلون عليها ونصُب الرخام يدقون عليها الحبوب والكتابة اليونانية التي عليها تطمسها اقدام نسائهم واولادهم"

لما قرأنا هذه السطور صفقنا صفقة الاواه وقلنا لقد عجز الدهر عن ان يفجعنا بالاثر بعد العين ولكن ما عجز عنهُ لم يعجز عنهُ بنو الانسان . افليس بين رجال دولتنا العلية مَن تأخذهُ الشفقة على آثار العمران والحمية على مجد الاوطان فينادي بصوت يسمعهُ اهل الحل والعقد

ويمنع يد المخرب عن العبث بما بقي من هذه الاطلال . لقد بعث الينا احد نوابغ الاتراك بالصورة الفوتوغرافية المنشورة في صدر هذه المقالة وحبذا لو بعث الينا بصور غيرها من تلك المدينة لعلَّ منظرها يغري احداً بحفظها اذا وجد الى ذلك سبيلاً

ومن الصور الفوتوغرافية التي صوَّرها ذلك النابغة العثماني وبعث بها الينا لنشرحها لهُ ولقراء المقتطف صورة خزنة فرعون في وادي موسى وهي التي كانت معروفة عند اليونان والرومان باسم بترا ولعلها البتراء التي ذكرها ابن هشام في غزوة النبي لبني حيان حيث قال انهُ سلك على غراب جبل بناحية المدينة على طريقهِ الى الشام ثم على مخيض ثم على البتراء . وقد وصفنا هذه المدينة واهلها الانباط الذين بنوها في المجلد العشرين من المقتطف ولا بأس باعادة شيء مما ذكرناهُ هناك وهو

"وكانت البتراء للادوميين ثم تغلَّب عليها النبط جاؤُوها من العراق العربي وكانوا اهل حضارة وتجارة ولغتهم كالارامية وحروفها كالحروف الكوفية والمظنون ان الحرف الكوفي مشتق منها . وجاء في التواريخ القديمة ان انتيغونس احد قوَّاد الاسكندر المكدوني الذي توفي سنة ٣٠١ قبل المسيح بعث حملتين على النبط في بتراء بعد ما استولى على سورية وفلسطين الاولى بقيادة قائد اسمهُ اثينيوس فهاجم بتراء سنة ٣١٢ قبل المسيح ورجالها غائبون عنها في سوق عمومية وغنم منها غنيمة وافرة من المر واللبان وخمس مئة وزنة من الفضة ولما عاد اهلها ورأوا ما حلَّ بهم اقتفوا اثرهُ ثمانية آلاف منهم وبيتوهُ وقتلوا اكثر رجالهِ . والحملة الثانية بقيادة ابنهِ ديمتريوس وبلغ خبرهُ النبط فامتنعوا عليهِ ولم ينلهم منهُ مكروه

"وذكر سترابو المؤَرخ النبط في ايام اغسطس قيصر فقال ان عاصمتهم بتراء وقد سميت بذلك لان الصخور تحيط بها من كل ناحية وفيها مياه غزيرة لسقي بساتينها واكثر الارض حولها قفار ولا سيما في ما يلي اليهودية وكان تجار الهند والعرب يأتونها ببضائعهم وينقلونها من هناك الى العريش وزادت هذه التجارة في ايام الرومان فاختطوا طريقاً لها من ايلة الى بتراء فدمشق وطريقاً اخرى من بتراء الى اورشليم وعسقلان وثغور الشام

"واتى الفيلسوف اثينادورس صديق سترابو الى بتراء واستوطنها مدة ورأى فيها كثيرين من الرومانيين وغيرهم من الغرباء وكانوا مستوطنين فيها

"وذكرها بلينيوس في القرن الاول المسيحي وقال ان النبط يسكنون مدينة اسمها بتراء في وادٍ اقل من ميلين اتساعاً يحيط بها جبال لا تُسلك وفيها نهر جارٍ

"وقال يوسيفوس ان الاسكندر ملك اليهود حارب عُبيْد ملك العرب (سنة ٩٣ قبل المسيح) وكان عبيد قد اقام لهُ كميناً في وعر عسر المسالك في الجولان فدخل الاسكندر وادياً عميقاً هو ورجالهُ ولم ينجُ منهُ الاَّ بشق الانفس

"ثم ذكر كيفية استيلاء ملوك النبط على دمشق فقال ان انطيوخس آخر ملوك السلوقيين قصد الحرث ملك بتراء فابعد الحرث من وجههِ اولاً الى حيث تمكنهُ البلاد من مناجزتهِ ثم انقلب عليهِ بغتةً بعشرة آلاف فارس من فرسانهِ فكاد جنود انطيوخس يولون الادبار ورأى منهم ذلك فاسرع الى لم شعثهم وتشديد عزائمهم فاصابتهُ ضربة قضت عليهِ وتفرق شمل رجالهِ بعدهُ وانهزم الذين نجوا منهم الى قرية قانا فماتوا جوعاً . وكان اهالي دمشق يكرهون بطليموس فدعوا الحرث ملك العرب وملكوهُ عليهم

"وخضعت البتراء للرومانيين في عهد تراجنس في اوائل القرن الثاني للمسيح وسماها سكانها باسم ادريانس اكراماً لهُ وضربوا نقودهم باسمهِ. ثم ذكرت في القرن الرابع والخامس والسادس وحضر مطرانها جرمانوس في المجمع السلوقي سنة ٣٥٩ . ومطرانها ثيودورس في المجمع الاورشليمي سنة ٥٣٦ ولم يبقَ منها الآن الا شيءٌ من مدافنها وهياكلها وكلها منحوتة في الصخر على جانبي الوادي وهي من اعجب ما صنعهُ الناس كما ترى في الصورة المدرجة في صدر هذه المقالة"

والظاهر ان النبط كانوا يسمون بتراء سلعاً ومعناهُ الشق في الجبل لانها شقٌّ في جبل فحسب اليونان والرومان ان معناها الصخر وسموها بترا . وابتدأ خرابها من حين قامت تدمر وعظم شانها وانتقلت طريق التجار اليها. ولما تنصَّر اهالي مصر وابطلوا تحنيط موتاهم زاد شأنها ضعفاً لانهُ كان لاهاليها تجارة واسعة بالموميا الذي كانوا يحملونهُ من بحيرة لوط الى القطر المصري

والبناء المرسوم في صدر هذه المقالة ليس بناءً بل هو نقش في صخر وردي جميل وقد ابدع النقاشون فيهِ ما شاؤوا فجاء كاجمل المباني الرومانية . واكثر آثار هذه المدينة الباقية الى الآن منحوت في الصخر كما تقدَّم ويدل على ان اصحابهُ كانوا على جانب عظيم من استفحال العمران ورفاهة العيش ولا عجب في ذلك لان سكانها كانوا تجاراً والثروة والرفاهة ابنتا التجارة . وكانوا في اول امرهم يقتصرون على التجارة ولا يهتمون بالزراعة ثم لما ضعف شان تجارتهم عادوا الى الزراعة لكنهم لم يفلحوا فيها كثيراً ولا عبرة بكتاب الفلاحة النبطية الذي ينسب اليهم لانهُ ليس لهم بل هو موضوع على الراجح في نحو القرن العاشر للميلاد

والظاهر ان هذه البقعة سميت وادي موسى حسبان ان موسى الكليم شق الصخر فيها واجرى منهُ الماء لبني اسرائيل على ما جاء في التوراة

منزلة الشعر من التاريخ

﴿ ٤ ﴾

الاحتجاج بأنَّ الشعر يؤخذ شاهدًا تاريخيًا

والشعر في الجاهلية كثير الروايات والاخبار يروي شاعر القبيلة ما عليها وما لها ويقصُّ اخبار الملوك على غاية من السداد والتحقيق فمن ذلك ما جاء في شعر أمية بن ابي الصلت في رواية استخلاص سيف بن ذي يزن الحميري ملك آبائهِ التبابعة من الحبشان وهو قولهُ

لا تطلب الثار الاَّ كابن ذي يزنٍ	اذ خيَّم البحر للاعداء احوالا
وافى هِرَقلَ وقد شالت نعامتهُ	فلم يجدْ عندهُ النصر الذي سالا [1]
ثم انتحى نحو كسرى بعد عاشرةٍ	من السنين يهين النفس والمالا [2]
حتى أتى ببني الأحرار يقدمهم	تخالهم فوق متن الارض اجبالا
بيض مرازبة غلب أساورةٌ	اسدٌ تربّتْ في الغيطان اشبالا [3]

فانظر يا رعاك الله كيف ذكر هذا الشاعر رحلة الملك سيف وما اعترضهُ من المثبطات وثباتهُ على السعي عشر سنوات واستصراخهُ كسرى لما رأى اغفال امرهِ عند قيصر ثم فوزهُ بالملك اخيرًا . ولعمري ايستطيع المؤرخ ان يجمع في اقل من هذه العبارات ما اوردهُ هذا الشاعر في ابياتهِ. ولو وازنّا بعيار التعقّل بين قول مؤرّخٍ مّا لهذه الحوادث وهذا الشاعر فيا ليت شعري مَن يكون الأثبت رواية والاصدق عهدة. اقائل بحضرة الملك عن ذاك الملك نفسهِ انهُ عاذ بالقيصر هرقل فلم يفز بطائل ثم لجأ الى كسرى فأمدَّهُ بالرجال. ام ناقلٌ عن رواةٍ لا مندوحة لنا مهما وثقنا بصحة روايتهم من ان نقرَّ ان هذا الشاعر كان اقرب الى ذاك الملك منهم واعرف بحالتهِ

وأتبرأ الى القارىء اللبيب من ان اكون ممن يذهب الى احلال الشعراء مراتب الاولياء واعتبار كلامهم منزَلاً لا اثر بهِ لهوى النفس ولا وجه للقول بأنَّ فيهِ تحاملاً . ولكنني ابوّىء الشعراء مكانة اصدق المؤرخين وما من مؤرّخ خلت اقوالهُ من مغامز. ولدى المقايسة نجد ان كثيرًا من المؤرخين أضربُوا عن تدوين ما يشين أمتهم واما الشعراء فكثيرًا ما اثبتوا ما عليهم

(١) شالت نعامتهُ مات وسال سهل سأل (٢) انتحى قصد (٣) المرازبة جمع مرزبان وهو رئيس الفرس والغيطان جمع غوط وهو المطمئن الواسع من الارض

ولو جرَّ غضاضة على اقدارهم لإيثارهم الصدق على الكذب . ولنا شواهد عديدة تؤيد ما قلناهُ من ذلك قول ورقاء بن زهير العبسي

رأيتُ زهيرًا تحت كلكل خالدٍ ... فاقبلت اسعى كالظليم ابادرُ (١)

فشُلَّت يميني يوم اضربُ خالدًا ... وشُلَّت ثناياها وشُلَّ الخناصرُ (٢)

ويا ليتني من قبل ايام خالدٍ ... ويوم زهيرٍ لم تلدني تماضرُ (٣)

فطرْ خالد ان كنت تسطيع طيرة ... ولا تقعنْ الا وقلبك حاذرُ

فان قولهُ هذا اقرار بالفشل ومن روى عن نفسهِ الخذلان في مطلبهِ جدير بنا ان نصدّقهُ اذا روى الغلبة لخصمهِ . وكذلك يقول وعلة بن عبد الله الجرمي

ولما سمعتُ الخيل تدعو مقاعسًا ... تطلَّع مني ثغرة النحر حائرُ

نجوتُ نجاءً ليس فيهِ وتيرة ... كأني عقاب دون تيمن كاسرُ

فهذا اقرار صريح بانهُ فرَّ من معمعة الهيجاء وهو اكبر العيوب عند العرب ومع ذلك فانهُ لم ينكر المخافةُ بهِ . وقد شهد عامر بن الطفيل لاعدائهِ بالمنعة حيث قال

تقول ابنة العمري مالك بعد ما ... اراك صحيحًا كالسليم المعذَّبِ

فقلتُ لها همي الذي تعرفينهُ ... من الثار في حيي زبيد وأرحبِ

ان أغزُ زبيدًا اغزُ قومًا اعزَّةً ... مراكبهم في الحي خير مراكبِ

وان اغزُ حيَّي خثعم فدماؤهم ... شفاءٌ وخير الثار للمتأوِّبِ

وقد شكا عمرو بن معدي كرب من قومهِ حيث قال

فلو أنَّ قومي انطقتني رماحهم ... نطقتُ ولكنَّ الرماحَ اجرَّتِ

واعترف فروة بن مسيك المرادي باندحار قومهِ واعتذر لهم بقولهِ

فان نغلب فغلاَّبون قدمًا ... وان نغلَب فغير مُغلَّبينا (٤)

وما ان طبنا جبنٌ ولكن ... منايانا ودولة آخرينا

وذكر زفر بن الحارث بن معاوية الكلابي بأس اعدائهِ واقرَّ بالغلبة لهم حيث قال

فلمَّا لقينا عصبة تغلبية ... يقودون جردًا بالاعنَّة ضُمَّرا

سقيناهمُ كأسًا سقونا بمثلها ... ولكنهم كانوا على الموت اصبرا

وكنَّا حسبنا كلَّ بيضاء شحمة ... عشية لاقينا جذام وحميَرا

---

(١) الكلكل الصدر او ما بين الترقوتين والظليم الذكر من النعام (٢) شلت لغ دعاء عليها ان تيبس

(٣) تماضر اسم امهِ (٤) المغلب المغلوب المرة بعد الاخرى

وهذا يخالف ما ورد في شعر النابغة الجعدي وقد قال

فلمَّا قرعنا النبع بالنبع بعضهُ ببعضٍ أبتْ عيدانهُ ان تكسرا (١)
سقيناهمُ كأساً سقونا بمثلها ولكننا كنَّا على الموت اصبرا

وممَّا يروى للعباس بن مرداس السلمي ويُعَدُّ من باب المنصفات قولهُ

سمونا لهم سبعاً وعشرين ليلة نجوب من الاعراض قفراً بسابسا
فلم أرَ مثل الحيّ حيًّا مصبَّحاً ولا مثلنا يوم التقينا فوارسا
اكرَّ واحمى للحقيقة منهمُ واضربَ منَّا بالسيوف القوانسا (٢)
اذا ما شددنا شدَّة نصبوا لنا صدور المذاكي والرماح المداعسا (٣)
وكنتُ امام القوم اول ضارب وطاعنتُ اذكان الطعان تخالُسا (٤)
ولو مات منهم من جرحنا لاصبحت ضباع باكفاف الاراك عرائسا
فان تقتلوا منا كميًّا فاننا أبأنا بهِ قتلى تُذِلُّ المعاطسا
قتلنا بهِ في ملتقى القوم خمسة ومن بعدهِ زدنا مع القوم سادسا
وكنَّا اذا ما الحرب شبَّت نشبُّها ونضربُ فيها الابلج المتقاعسا (٥)

وقد بلغ هذا القول الى عمرو بن معدي كرب خصم القائل فما انكرهُ واجاب

اعبَّاس لوكانت شياراً جيادنا بتثليث ماناصبتَ بعدي الاحامسا (٦)
لدسناكمُ بالخيل من كل جانب كما داس طباخ القدور الكرادسا (٧)

وقد نجد هذا الانصاف في شعر المهلهل عدي بن ربيعة التغلبي حيث يقول

فانا غدوة وبني ابينا بجنب عنيزة رحيا مُدير

وما نجدهُ في اقوال هؤلاء الشعراء من الاقرار بشجاعة اعدائهم وانصافهم لا نراهُ في اسفار المؤرخين من يونان وروماني فان اولئك المؤرخين يحيفون على اخصامهم كل الحيف ويرمونهم بكل داهية نآد . فالاستشهاد باقوال الشعراء حيث وُجد نصٌّ قامت الدلائل على انهُ مُرسل عن قوس خلو الغرض او امكن استخراج ذلك المضاد من القرائن المقبولة عقلاً يكون اولى من

---

(١) النبع شجر تتخذ منهُ القسي (٢) اكراي لا اكر. واضرب اي ولا اضرب والقوانس جمع قونس وهو اعلى الراس (٣) المداعس جمع مدعاس وهو الرمح الذي لا ينثني (٤) من خالسة اي اعجلة (٥) الابلج المشرق وهو يريد الرئيس والمتقاعس المتأخر ويمكننا ان نفهم من هذا البيت ان قادة الحرب عند العرب كانوا يقفون في المؤخرة حين اشتباك الحرب (٦) شياراً اي سماناً قوية (٧) الكردوس كل ملتقى عظمين كذا جاء في خزانة الادب للبغدادي وفي المعاجم للكردوس معنى آخر وهو كل عظم عظمت غضنة اي شحمة واخذ ما عليه والطباخ يغلب ان تكون العظام ملقاة تحت قدميهِ

الوثوق بقول مؤرخ متأخر الزمان مهما كان ثقة في روايتهِ وخبيرًا بحل طلاسم الآثار الطامسة

وبهذا القدر كفاية من ايراد النتائج المستخلصة من اقوال الشعراء على الطريقة الاولى وهي طريقة الجمع وسنورد ابحاثًا اخرى على الطريقة الثانية اي طريقة التنسيق

امين ظاهر خيرالله

عروسة النيل

الفصل الحادي والثلاثون

وا شقاء المحبين انهم لا يكادون يذوقون طعم الهناء حتى تفاجئهم التعاسة من حيث لا يدرون فقد كان اوريون يستسهل الموت في سبيل مرضاة محبوبتهِ ويتمنى لو تعرض لهُ فرصة تمكنهُ من ابداء شهامتهِ ومروءتهِ وشدة اخلاصهِ في حبها وهو يحسب ان السعادة بسمت لهُ بعد عبوسها واشرق كوكب سعدهِ بعد غروبهِ لكنهُ لم يكد يخرج من بستان روفينس حتى اسودَّ الضياء في عينيهِ ورأى خيبة الامل ماثلة امامهُ فاستغرب هذا الانقلاب وعجب لباولين كيف فسحت مجالاً في قلبها للريب ففرَّق ثالث بينهما كما فعلت الرئيسة تلك الراهبة التي ناصبتهُ العداوة يوم عقد النية على المجازفة بحياتهِ ومالهِ سعياً لانقاذها وانقاذ من في ديرها فقابلت معروفهُ واحسانهُ بالطعن فيهِ وتحويل قلب باولين عنهُ فكاد يصيبهُ مسٌّ من الجنون ولولا وعدهُ لروفينس بان يشاركهُ في سفرهِ لاقلع عن عزمهِ في تلك الساعة ولما بلغ البيت اسرع الى غرفتهِ واستلقى على مقعدهِ وهو يضرب اخماساً لاسداس وتمثلت لهُ باولين باكية شاكيةً مترددة فاستاء لترددها وطفق يفكر في وسيلة ترجعها عن غيها ولمَّا اعياهُ الامر نهض ومشى الى غرفتها فرأى قيثارتها مسندة الى الجدار فتناولها ونقر عليها لحناً فلم ترقهُ رنَّتها فطرحها من يدهِ واخذ قيثارتهُ فعزف بها عزفاً دلَّ على ما كان يجيش في صدرهِ من الحبّ والغضب والقهر وكان نقرهُ شديدًا لما هاجهُ من واقعتهِ مع حبيبتهِ فلم ينتهِ من الدور حتى انكسر عامود القيثارة وحينئذٍ طلع عليهِ كاتبهُ فقال

— اتى رسول بهذا اللوح وفيهِ ان يوستينوس وقرينتهُ في منف ويطلبان اليك ان توافيهما الى الفندق فلهما معك حديث ذو شأن

— ايوستينوس في منف وافرحتاهُ فقد صار في طاقتي اذًا ان احتفي بهم واكرمهم فاكافئهم على بعض فضلهم وسابق جميلهم فرهم يعدُّوا المركبة وقل لسبك ان يهيء غرف الضيوف

لنزولهم وليعطهم غرفتي هذه ايضاً فهذه بشرى لم اكن لاحلم بها ولا تبطئ في اعداد البيت فانا ذاهب اليهم . قال هذا واصلح ثيابهُ واسرع الى غرفة امهِ فانبأها بقدوم اصدقائهِ فقالت اهلاً وسهلاً بهم فلينزلوا هنا على الرحب والسعة فاننا لا ننسى ما لهم عليك من الايادي البيضاء ايام كنت في القسطنطينية ومن الواجب عليك بعد هذا تأجيل سفرك فتبقى في منف لتقوم بنفسك على اكرامهم والعناية بهم فبلغهم سلامي واعتذر اليهم عن احتجابي فانا كما ترى لا استطيع لقاء الناس. وبعد قليل ركب اوريون مركبتهُ ولم يكد يصل الى الفندق حتى رآهُ يوستينوس من النافذة فلوَّح منديلاً كان في يدهِ ثم دار الى زوجتهِ فقال جاء صديقنا

فابتهجت المرأة وكان الى جانبها فتاة بارعة في الجمال فقالت لها

— اتفضلين لقاءهُ هنا ام تختبئين حتى نطلعهُ على قدومكِ

— ارى ثاني الرأيين افضلهما

— اسرعي اذاً فاني اسمع وقع اقدامهِ

وكأنَّ يوستينوس وزوجتهُ خُلقا ليقضيا الحياة معاً لما بينهما من التشابه في الاخلاق والصفات وكان كلاهما على سعة من الثروة والجاه يعصمهما غناهما ورفعة مقامهما عن الاهتمام بالمال والتقيُّد بالعادات والازياء المتبعة في ذلك العصر وكانا مشهورين بالكرم وحب الضيافة فلا يكاد قصرهما يخلو من الضيوف والاصدقاء لا سيما اولئك الذين الفوا في بيتهما من المجال لحرية القول والفكر ما لم يكن معروفاً لذلك العهد في بيوت العاصمة ولم تكن مارتينا من البارعات في الجمال لكنَّ لطفها ورقتها كانا اشدَّ وقعاً من الجمال فحببّاها الى جميع من عرفها وكانت تميل الى عشرة الشبان والشابات لما تراهُ فيهم من كرم الاخلاق وعدم الاكتراث لامور العالم فلما ترملت دورا زوجة ابن اخيها كفلتها وضمتها الى بيتها ولقيها اوريون هناك فتعاشقا حتى اشتهر امرهما في القسطنطينية وكان لها ابن اخ غير المتوفى ضابط في الجيش الامبراطوري فلما نشبت الحرب بين الروم والعرب شهد معركة من المعارك فسقط فيها قتيلاً ولم يعرف شيء من امرهِ فاخذا يبحثان وينقبان بمعونة المقوقس وابنهِ علهما يعثران على جثتهِ فيدفنانها بالاكرام اللائق فعلما انهُ لا يزال حيًّا يرزق وانهُ اسير في بلاد العرب ثم اتاهما كتاب من الضابط نفسهِ يصف فيهِ ما يلاقيهِ من العناء ويتوسل اليهما ان يسعيا في انقاذهِ بواسطة عمرو بن العاص فاسرعا في المجيء الى مصر ورافقتهما دورا الارملة يدفعها دافع الشوق الى رؤية اوريون وكانت زوجة يوستينوس قد نصحت اوريون ان يتزوج دورا حبًّا منها بالاثنين فاعتذر بقولهِ ان اباهُ يعقوبي فلا يقبل بزواجهِ من ملكية فسكتت ولم تحر جواباً لكنها قالت في نفسها اذا رأى المقوقس

دورا وشاهد جمالها وعرف محاسنها وخبر لطفها الساحر وسمع صوتها الرخيم تمناها عروساً لابنهِ فانها كانت من اجمل غادات القسطنطينية بقامةٍ كالرمح وعينين ماؤُهما يذيب الصخر وصوت يسبي القلوب ورقة ولطف وكمالٍ هذا فضلاً عن رفعة حسبها ووفرة غناها مما جعلها قبلة الناظرين فلم يبق بين شبَّان العاصمة من لم يحم حولها فلمَّا عوَّل يوستينوس وزوجتهُ على السفر الى مصر رأَت هذه ان الفرصة حانت لاتمام مرغوبها فاستصحبت دورا معها ولمَّا بلغهم نعيُ المقوقس في الاسكندرية اتخذتهُ بشير النجاح وحسبت انهُ لم يبق ثمت مانع يحول دون اقترانهما

لما دخل اوريون عليهما حياها تحية الصديق المشوق فلقياهُ بالترحاب وضمَّهُ يوستينوس اليهِ فقبلهُ وفعلت زوجتهُ كذلك ثم قالت بربك كيف استطاع اسلافك العظام القيام بافعالهم المجيدة في هذا الحرّ الشديد فاني اراني اذوب كما يذوب السمن ثم دعت خادماً فامرتهُ بان يأْتي بكرسي وشيءٍ من الشراب المبرَّد وجلس الثلاثة يتحدثون فاطلعهُ يوستينوس على علة مجيئهم وطلب اليهِ ان يسهّل لهُ لقاء عمروٍ وان يكلمهُ في شأن الاسير فقال اوريون حبًّا وكرامة ولكن عمرًا سيغادر الفسطاط بعد يومين ذاهباً الى المدينة وانا مسافر الليلة فوقع كلامهُ هذا وقعاً سيئًا في نفسيهما وبدت امارات الكدر على وجهيهما فرأى اوريون من اللياقة اطلاعهما على علة سفرهِ والداعي اليهِ فلمَّا بسط الكلام سفَّها رأيهُ وقال يوستينوس اخطات خطأً كبيرًا فانت زعيم اهل منف واكبر اهل مصر فاذا قمت بهذا العمل تداعت اركان نفوذك وسلطتك عليهم وكان الاولى بك مصادقة البطريرك لا مغاضبتهُ فتخففان باتحاد سعيكما وطأة حكم الاجنبي على اهل بلادكما فانصحك ان تقلع عن غيك لا خوفاً على حياتك ولا كرهاً بالراهبات بل لما ذكرت واذا تأملت كلامي رأيت وجه الصواب فيهِ. فعرض اوريون عليهِ ان يعبرا النيل ساعتئذٍ فيذهبا الى عمرو ويطلب معونتهُ فارتاح الشيخ الى اقتراحهِ واسرع الاثنان وركبا مركبة اوريون فلما بلغا الفسطاط قيل لهما ان عمرًا خرج يستعرض العسكر فلا يعود الا في الليل وقد يبطيءُ قدومهُ الى الصباح فعادا ادراجهما وفي اثناء غيابهما جاء خدم القصر فنقلوا امتعة الضيوف اليهِ واتوا بالمركبات فركبتها مارتينا ودورا والحشم وسرَّت مارتينا بحسن موقع القصر وبهاء غرفهِ وما فيها من نفيس الاثاث والتحف واكبرت اتساع البستان وكثرة الازهار والرياحين فيهِ فلما عاد زوجها واوريون من الفسطاط وحدثاها بخيبتهما خيَّم الحزن في قلبها فقالت لاوريون انما اخفاقك بقضاء الله فليس سفرك من مشيئتهِ فالاولى بك البقاء معنا فتسعفنا في ادراك غاية نبيلة محمودة فتخلص ذلك التعيس من ربقة العبودية. فاصرَّ على عزمهِ فقالت وهب ان عندي ما يبقيك فاجاب لا شيءَ يحول دون ذهابي قالت سنرى في ذلك قريباً ثم دارت الى الشباك فاذا السماء

بلون الدم والشمس تكاد تتوارى وراء الاهرام فصاحت ما ابهى هذا الغروب وما اجملهُ فكأنَّ مصر والاهرام شعلة من النار فتعال يا اوريون وانظر ما اعددت لك ولنبدأ بهذه الحلية قالت ذلك ودفعت اليهِ سواراً من صنع اليونان القدماء مرصعاً بالحجارة الكريمة ومنقوشاً نقشاً بديعاً ولما حاول ان يشكرها قاطعتهُ وقالت هلمَّ وانظر البقية ثم فتحت الباب المؤدي الى غرفة باولين فاطلت رأسها وعادت اليهِ فدعتهُ الى الدخول قائلة هناك تجد هديتي الاخرى فتعجب اوريون لكلامها ولكنهُ لم يطأ عتبة الباب حتى رأى دورا واقفة عند النافذة والابتهاج ينبعث من عينيها وقد طوت ذراعيها على صدرها كأنها في وقفتها قديسة تنظر آية من آيات السماء او فرحاً من افراح النعيم فلما وقعت عين اوريون عليها امتقع وانتفض واعتراهُ الذهول فجمد مكانهُ ولحظت مارتينا ذلك منهُ فعادت الى زوجها وقالت لقد جاء اللقاء على ما اشتهي فانهُ لما رآها وقف كمن اصابتهُ صاعقة واذا صدق حدسي فسنشهد عرساً على ضفاف النيل

— هنا حما الله فذاك من احب الامور اليَّ على اني اتمنى قبل كل شيء ان تقنعي هذا الفتى بضرورة اقلاعهِ عن جنونهِ في عملهِ هذا هلاكهُ ولم يفتني ما لقيهُ من الحفاوة اليوم في دار اميرالعرب وعندي ان ليس في مصر من يكفل لنا مساعدة عمروٍ سواهُ فلا بدَّ من بقائهِ

— او عندك ريب في ذلك الآن فقد رأى دورا فلا شيء يزحزحهُ بعد من مكانهِ ثم شرعت تكلمهُ في شؤُون مختلفة حتى اذا ما فرغا طلب اليها ان تذهب اليهما فصدعت باشارتهِ

ولما رأت دورا اوريون لم تستطع الوقوف فانطرحت عليهِ واخذت تبثهُ شوقها وتصف ما قاستهُ من جراء بعادهِ حتى كاد يغمى عليها فطفق يلاطفها ويجاملها ويرحب بها فسألتهُ عن سفرهِ وتوسلت اليهِ ان لا يركب متن الشطط فيغرر بنفسهِ ويلقي بها في التهلكة الى ان قالت أجب سؤلي وابقَ الليلة في منف وسافر غداً اذا شئت واذا اردت قتلي بعد ذلك فافعل ايكون لقاؤنا وداعاً بعد ان بكيت فراقك وكدت اذوب شوقاً اليك اتذهب في مهمة قد يكون بها ذهاب حياتك فاموت حزناً واسفاً فلا تذهب ان ذهابك يقتلني وكانت تتكلم وعيناها تستغيثان بهِ فاشعلتا ما خمد في قلبهِ من نار حبها فقال في نفسهِ ومن لا يحب امرأَة كهذه جمعت الحسن والظرف لا تبغي من حبيبها سوى حبهِ الخالص غير حذرة او خائفة فقد احتملت عار الانتقاد والتهكم فاصغت الى صوت قلبها مع علمها باني هجرتها وأَبيت ان اتزوجها. تغلبت لبهُ في تلك الساعة كما سحرتهُ عيناها لاول عهدهما باللقاء اما هي فعادت تتوسل اليهِ وتحبب اليهِ البقاء حتى فرغت جعبتها فقال سأرى ما اذا كان التخلص من وعدي في يدي ولما قال ذلك مثلت امامهُ صورة باولين وسمع هاتفاً يقول لهُ ان باولين المرأَة الكاملة لا هذه الفتاة الضعيفة

القلب والارادة فتنبه وافاق من سكرهِ وندم على ما بدا منهُ من الضعف والتسليم الى هواهُ فسلّ يدهُ من يدها وجلس يحدثها وهي تطالبهُ بالبقاء وتذكرهُ بما يتوجب عليهِ من اسعاف عمها وانقاذ الضابط حتى ألانت قلبهُ فوعدها خيرًا فصفقت بيديها فرحًا وخرجت الى حيث عمها وزوجتهُ فقالت سيبقى اوريون فلن يسافر الليلة فسرُّوا سرورًا عظيمًا ووقف الاربعة يتكلمون وفيما هم كذلك دخلت كاترينا ومرضعها آتيتين لتزورا انوبيس بعد سقطتهِ فلما رأت اوريون ودورا وشاهدت جمال هذه اعترتها الدهشة وقالت في نفسها اترى هذه حبيبتهُ التي اشار اليها او هي احداهنَّ فيخدعها كما خدعني. ورأتها دورا فدارت الى اوريون وقالت أأختك ام ابنة اخيك فدعا كاترينا وعرفها بضيوفهِ حتى اذا ما ذهبت قالت مارتينا انها حسنة الصورة خفيفة الروح كأنها عصفور فاجاب اوريون

— وهي اغنى بنات منف . فاطرقت دورا ولم يفت ذلك اوريون فقال وكانت امي ترغب في زواجنا ولكننا مختلفا الاذواق وفي قامتينا فرق عظيم. ثم استأذنهم واسرع الى نيلس فاطلعهُ على ما ارتآهُ من البقاء وفصَّل لهُ الاسباب التي حملتهُ على تغيير خطتهِ وكلفهُ ان يذهب الى روفينس فيعتذر اليهِ بالنيابة عنهُ فرقص الخازن طربًا وطوقهُ بذراعيهِ وقبَّلهُ فرحًا وعاد اوريون الى ضيوفهِ فتعشوا وسهروا الى ما بعد نصف الليل وفي الصباح ذهب يوستينوس واوريون الى الفسطاط فقيل لهما ان عمرًا سار توًّا من عين شمس الى الاسكندرية فيغادرها الى المدينة فقال يوستينوس لم يبقَ لنا سوى لحاقهِ فقال اوريون وانا رفيقك ولمَّا عادا الى منف حاولت دورا ان تثبّط عزمهُ فابى الاصغاء الى كلامها ورأى ان الفرار من قبضة هذه الفتاة اضمن لسعادتهِ وفي الغد كتب كتابًا الى باولين وصف فيهِ حبهُ لها وشدة غرامهِ وعزم عزمًا اكيدًا على هجر دورا والابتعاد عن اشراكها ولما اعدَّ الخدم الخيل والمركبات ركب ويوستينوس وخرجت مارتينا ودورا لوداعهما ولما عادتا لقيتا كاترينا في البيت فدعتاها لزيارتهما اما هذه فابت واسرعت في الخروج وذلك ان انوبيس اطلعها على ما سمعهُ من حديث اوريون ونيلس في شأن فرار الراهبات فهرعت الى مركبتها فركبتها وذهبت الى المطران فحدثتهُ بحديث انوبيس وهذا اذ سمع الخبر اخذ الغيظ منهُ كل مأخذ فعبر النهر الى الفسطاط ليطلب من عمروٍ القبض على الراهبات ومنقذيهنَّ ولما انبىءَ بغيابهِ لقي عبادة فحدثهُ بما كان

الفصل الثاني والثلاثون

ولم يبطئ نيلس في انفاذ رغائب سيدهِ فذهب الى روفينس ونقل اليهِ كلام اوريون وبسط عذرهُ فلم يسع الشيخ الاَّ الاعتراف بفضل ابن المقوقس الى ان قال وقد اجاد في اعداد

اسباب الفرار اجادة تغنينا عن استصحابهِ وتعريضهِ للمهالك وجميع ما فعلهُ يدل على شهامتهِ وكرم عنصرهِ وعذرهُ في التخلف واضح لخدمة اصدقائهِ واجب لايستطع التخلص منهُ ولما سمعت باولين الخبر حزنت لكنها عادت فسرَّت علماً منها بان حبيبها نجا من خطر عظيم وكانت قد سمعتهُ يصف صداقة يوستينوس واهل بيتهِ لهُ وما افرغوا عليهِ من الرعاية والاكرام ايام كان في القسطنطينية فقالت في نفسها لقد احسن في انتهاز الفرصة لمكافأتهما على سابق معروفهما وغدًا يأتي فأراه'

وفي تلك الليلة قبل طلوع القمر خرجت الراهبات من ديرهنَّ متنكرات بزي الفلاحات وركبن السفينة واحدة فواحدة وتبعتهنَّ الرئيسة ثم جاء روفينس فتعلقت بهِ زوجتهُ وابنتهُ فقبلهماوقال تشددا واقتديا بهذه الفتاة الباسلة فانا مرعي بعين السلامة ما دامت عين الحب لا تنعس ولا تنام فالوداع يا خير النساء فاذا ادركني اجلي في الطريق فاعلمي ان زوجك الغبي جلب الموت على نفسهِ في سبيل انقاذ خمس وعشرين نفساً بريئة من العذاب والنفي فبكت زوجتهُ وناحت وقالت لهُ خذ البستاني معك فقد تحتاج اليهِ وقال البستاني خذني معك يا مولاي اذ لا فائدة من بقائي هنا فالازهار تذبل رغماً عني لقلة الماء وشدة الحرّ فقال لهُ روفينس اسرع وهات فراشك ثم دفع النوتية السفينة الى وسط النهر حتى غابت عن عيون النسوة وبعد قليل قرعت اجراس الدير وكانت القارعات باولين وهيلانة عملاً باقتراح الرئيسة لتوهما الناس بان اهل الدير فيهِ وسكنت الريح فقبض الملاحون على مجاذيفهم وطفقوا يجذفون الى ان غابت منف عن عيونهم لكنهم لم يكادوا يتجاوزون الفسطاط حتى جنحت السفينة فاضطروا الى النزول على البر ومعالجتها الى ان طفت ولم يزالوا كذلك حتى وصلوا عند شق الفجر الى ليتوبوليس حيث يتفرع النهر الى شعبتيهِ وانتشر ضباب كثيف حجب سفينتهم فلم يرَها الحفظة المكلفون بقبض الرسم من السفن وعند طلوع الشمس كانوا في الفرع الدمياطي وقد تجددت قواهم بما بدا لهم من تباشير النجاح ناسبين ذلك الى شفاعة الراهبات وكان ماء النهر قليلاً على غير المعتاد في ذلك الفصل فلا تقع اشعة الشمس الاَّ على حقول عارية من الخضرة وضفاف يبست فصارت كالحجر وتردَّت الحلفاء ثوباً من الصفرة عليهِ طبقة ثخينة من الغبار ولم تكن الراهبات قد اعتدن السفر ومشقاتهِ فذقن صنوف العذاب الواناً وغلب عليهنَّ العطش الشديد ولم يروِ الماء غليلهنَّ لشدة الحرّ فلما غابت الشمس وانخفض جأش الحرارة هبَّ النسيم البليل فانعشهنَّ وردَّ اليهنَّ ارواحهنَّ بعد ان خلنَ الموت اقرب اليهنَّ من حبل الوريد فلما ازف وقت العشاء جلسنَ معاً وتعشين بعد ان لم يتناولن طعاماً النهار بطولهِ فلما اكتفين أخذن يتساءلن عمَّا اذا كانت نجاتهنَّ في حكم المقرر فقالت

الواحدة اذا تبعنا الجند فانهم يأتون على خيولهم وقالت اخرى بل يسيرون مشاة فقالت الثالثة وما يمنعهم عن لحاقنا في سفينةٍ يدفعها عدد كبير من الرجال الاشداء وما زلن كذلك حتى طلع القمر وهدأ الليل فساد السكون في السفينة واستحوذ عليهنَّ الخوف فشرعت احداهنَّ تترنم فاقتدت بها الباقيات وصحت النوتية يصغون الى تلك الاصوات الرخيمة وبعد نصف الليل نعسنَ ونمنَ ولم يفطن احدٌ الى الضفاف لاهتمام الريان والملاحين في تسيير السفينة فلا تجنح لكنَّ الريّان سمع حفيفاً في النبات والانجم استمرَّ الليل بطولهِ فلما بدا ذنب السرحان حانت منهُ نظرة الى الشاطىء الشرقي فرأى ما راعهُ فصاح بن معهُ وقال ما هذا الذي اراهُ فدنا منهُ البستاني وقال لقد رأيتهم وسمعت صهيل خيولهم فانظر ثم اشار بيدهِ الى جواد بين الادغال وقال لقد ادركونا فامرهُ الريّان بالسكوت وقال اذهب ونبّه روفينس والملاحين وقل لهم ان يدخلوا الراهبات الى مخدع السفينة ثم اخذ يحدّث اخاهُ فقال لاجسر في هذه الانحاء والنهر كما ترى عريض فمن اراد الدنوَّ منا فانما يفعل ساعياً ولا اخالهم يجسرون على ذلك

اثمرت البذور التي بذرتها كاتربنا فلما اطلع المطران عبادة على امر الفرار اسرع هذا فارسل كوكبة من الفرسان لتقبض على الراهبات والنوتية وغيرهم ممن في السفينة وتعود بالجميع الى منف فلما بلغ الفرسان لتيوبوليس سألوا الحفظة عن السفينة فلم يستطع هؤلاء تعيين الفرع الذي سارت فيهِ فانقسموا فريقين في كل منهما اثنا عشر فارساً وسار الفريق الواحد حذاء فرع دمياط واتبع الآخر فرع رشيد فلما ادرك الفريق الاول السفينة نحو نصف الليل امرهم قائدهم بالبقاء على الشاطىء الى الصباح ففعلوا ولمَّا طلعت الشمس صاح بالريّان وقال امرني الامير ان اعود بهذه السفينة ومن فيها الى منف فخشي الريّان ان يعصي الامر لعلمهِ بما وراء ذلك من العواقب الوخيمة وبدت امارات الخوف على وجههِ فالتفت الى من حولهُ وقال ارى المقاومة ضرباً من الحماقة فالتسليم خير لنا فابى روفينس وقال للامبوس صانع السفن لا تكن كيهوذا فانت مقتول سلمت او قاومت فاذا اطعتَ امرهم سفكتُ دمك فقرع الريّان صدرهُ ونتف شعرهُ وبكى وقال انا مكلف بمعاش اهل بيتي فاذا عصيتهم حجزوا مالي وانتزعوا مني بيتي وبستاني ووقعت في قبضة ايديهم بعد نجاة الراهبات فدعوا الرئيسة واطلعوها على جلية الامر فقالت لا تخشَ باساً فانا اعيضك من ثمن بيتك وبستانك فاذا نجونا حملناك واهل بيتك من دمياط على سفينتنا وسرنا بك الى بلاد الروم حيث يعجز العرب عن الاقتصاص منك . فلما سمع كلامها سكن روعهُ واحسَّ ان حملاً ثقيلاً سقط عن كتفيهِ فاشار الى اخيهِ بوجوب الدفاع ثم دار الى حيث كان الفارس العربي وصاح بهِ اذا اردت القبض علينا فتعالَ بنفسك الى السفينة وافعل ما تشاء فعيل صبر

هذا وصاح برفاقهِ فاندفعوا بخيولهم الى النهر لكنهم لم يكادوا ينزلون فيهِ حتى غاصت الخيل في الوحل ولم تستطع الخطو فامرهم بالعودة وانقلب حصان براكبهِ فغاص كلاهما فترجل الباقون وجلسوا يتشاورون فيما بينهم والنوتية يرقبونهم وبعد ساعة انقسم العرب قسمين فانفرد ستة منهم القائد وربطوا خيولهم ثم استلَّ كل واحد منهم فاسهُ من منطقتهِ واخذ يعملها في جذع شجرة من اشجار النخيل وركب الخمسة الباقون وتقدموا على نيَّة ان يخوضوا النهر شمالي السفينة فيسيروا الى الغرب ويهاجموها منهُ ويركب الستة الاول اشجار النخيل فيستعينوا بها على عبور النهر والوصول اليها من الشرق وكانت الضفة الغربية حيث السفينة مكسوة بالاعشاب والانجم اليابسة فلما دار الفرسان الخمسة نحوها هبت ريح من الشرق فخطر للربان أن يحرق الاعشاب حتى اذا ما اندلع لسان اللهيب والتهمت النار ذلك اليابس علقت بالفرسان فاكلتهم او يلقوا بانفسهم في النهر فيغوصوا في الوحل لجهلهم السباحة فامر نوتيًّا بتسلق الصاري ومراقبتهم منهُ ففعل حتى اذا ما رآهم عبروا النهر وتغلغلوا في الانجم انبأ الربّان وهذا امر بعض الملاحين فاسرعوا واحرقوا الهشيم ولم يكن الاَّ كلمح البصر حتى أكلت النار ما حولها وانبعث منها دخان سدَّ منافس الجوّ ورأى الفرسان الستة في الضفة الشرقيَّة النار فامتلأُوا غيظاً وحقدًا فشدوا جذوع النخيل والقوها في النهر ثم عمدوا اليها فتعلق كل واحد منهم باليد الواحدة وحمل درعهُ باليد الاخرى ووضعوا قسيهم وكناناتهم على الجذوع فتسلح النوتية واستعدوا للقائهم وارسل الربّان احد رجالهِ الى العدوة الشرقية وقال لهُ اذهب واذبح خيولهم جميعاً حتى لا يفلت منهم من ينقل الخبر ولما بلغ الجند السفينة امسك احدهم بعتبة نافذتها وصعد آخر على كتفهِ فوثب الى ظهرها وطعن اول نوتي صادفهُ فخرَّ صريعاً وتبعهُ رفيقهُ فشهرا حساميهما وضرب احدهما الربان فالقاهُ جريحاً ولم يكن الاَّ كلمح البصر حتى سقطت خشبة من الصاري على رأس زعيم الجند فسحقتهُ وانتشب القتال بين النوتية والجند وفيما روفينس مهتم بتضميد جراح الربان عاجلهُ احدهم بضربة سيف فجرحهُ جرحاً بالغاً وسال دمهُ وبعد ساعة انجلت الموقعة عن ثمانية قتلى من النوتية وستة من العرب غير من جرح من اولئك ورأى النوتي من اعلى الصاري الفرسان الخمسة يلقون بانفسهم في الماء فغاصوا في الوحل وغابوا عن بصرهِ وذبح الآخر جميع الخيل فلم يفلت من اللاحقين احد وحينئذٍ خرجت الراهبات للعناية بالجرحى ونقل النوتية جثث القتلى الى البرّ فدفنوها واهتمت الرئيسة اهتماماً شديدًا بروفينس فظللتهُ بمظلتها وجلست بجانبهِ تضمد جرحهُ فلما رأى الربّان قال

— انا اب عائلة مثلك ولي زوجة وابنة تركتهما في منف فانَّى لي بمن يحملني اليهما

ناولوني شربة ماء فاني اكاد اموت عطشاً فناولتهُ الرئيسة شيئاً من الخمر فشرب وشكرها فقالت لهُ هل لك وصية توصيها فقال نعم فهيلانة لا يهنأ لها عيش الاَّ في الدير فوصيتي لها ان تبقى مع امها فتؤنس وحدتها وتعزيها في حزنها آه انني اشعر ببرد شديد وقد اصابني الجرح في كتفي ولكن الالم في رأسي فايتوني بقلم وقرطاس ومتى فرغت من الكتابة فاختموا الرسالة وليأخذها البستاني الى فيلبس الطبيب فناولوهُ فاخذ يكتب ويداهُ ترتجفان من شدة الالم حتى اذا ما انتهى دفع القرطاس الى الرئيسة وقال اختميهِ وسلميهِ الى البستاني وهو يدفعهُ الى الطبيب وحينئذٍ أُغمي عليهِ فرشوا ماء على وجههِ فافاق وقال رأيت زوجتي وهيلانة في الحلم فوبخاني على ما فعلت ولكنهُ الواجب وعلى المرء ان يقوم بعمل ما قبل مفارقة هذه الدنيا الباطلة . ولم يزل يردد هذا الكلام ونحوهُ حتى انعقد لسانهُ وبعد الظهر فاضت روحهُ فجزع عليهِ البستاني جزعاً شديدًا ولما بلغوا دمياط انفصل عنهم عائدًا الى منف وكانت السفينة التي استأجرها اوريون معدةً فركبتها الراهبات واستصحبن معهنَّ الربّان الجريح واهل بيتهِ واخاهُ ومن بقي من النوتية

وفي اليوم الذي مات فيهِ روفينس جاء مطران منف الى دير الراهبات يطلب تسليمهُ اليهِ باسم البطريرك وفي الغد سافر الى الصعيد ليرفع تقريرهُ الى رئيسهِ

الفصل الثالث والثلاثون

ظلَّ ماء النيل يتناقص والحرُّ يشتدُّ حتى ضاقت الارض على رحبها باهل منف واشتدَّ بهم اليأس اذ علموا من الرسائل التي جاء بها حمام الزاجل من ايثوبيا ان النيل لم يرتفع ماؤُهُ في تلك الاصقاع وكثرت الاقذار في النهر والترع فاخضرَّ لونها وامتلأَت بالنباتات والحيوينات فضاق السكان ذرعاً بماء الشرب ولما كان الفقراء منهم لا يعنون بترشيحهِ تفشَّى فيهم وباء جارف لم يسمع بمثلهِ في مصر وزاد في خوفهم ظهور نجم ذو ذنب في القبَّة الزرقاء فانهم عزوا اليهِ ما كان من شدة الحرّ وتأخر الفيضان وتفشي الوباء وكان في مقدمة القائلين بهذا القول والمنادين بهِ ابولون صديق فيلبس وكان منظر البلاد يشفُّ عمَّا اصابها ونزل باهلها من المصايب فيبست الاشجار وفسدت الاثمار وانتشر الغبار على البيوت وفي الطرق واصبحت المساكن افرانًا لا تطاق لشدة الحرارة ومات السمك في النهر فقذفهُ الماء على الشاطئ فانتن وانتشرت رائحتهُ فملأَت الهواء واشتدَّت وطأَة الوباء حتى لم يعد الاطباء يذوقون راحة لكثرة المصابين ولم ينقطع فيلبس عن زيارة بيت روفينس لمداواة من فيهِ لكن اهل البيت كانوا على احرّ من الجمر فان ابطاء روفينس في العودة الى منف وانقطاع اخبارهِ عنهم بدَّد الفرح من قلوبهم واورثهم القلق وكانت زوجتهُ وابنتهُ تشكوان امرهما الى فيلبس كلما لقيتاهُ وفي احد الايام انبأَتاهُ بأن نفرًا

من جند العرب طرقوا البيت ثلاث مرات يتنسمون اخباره وفي المرة الثانية الحواعلى الزوجة لتخبرهم بمكانهِ فلم يسعها الا كتم الحقيقة على كرهها الكذب فاجابتهم قائلة لقد ذهب الى الاسكندرية في قضاء مهمة وقد يضطرّ الى السفر الى سورية لاتمامها ولم يكن اهل الحلّ والعقد في الفسطاط يجهلون ما اصاب روفينس ولكنهم ارادوا كتم ما ألمّ بالفرسان لئلا يدري بهِ اهل منف فينحط شأن العرب في عيونهم

واشتدّ الضعف بنفورس فعادها الطبيب وادرك من ذهولها انها تتعاطى الافيون لتسكين آلامها وقيل لهُ انها تتجرع كميات وافرة منهُ فاستاء واخذ يبيّن لها مغبّة عملها فتوسلت اليهِ ان لا يتركها وشأنها فاخذتهُ الشفقة واجابها الى طلبها ظنًّا منهُ بانهُ يستطيع تخفيف عذابها وانقاص ما تتجرعهُ من السمّ

وكانت كاترينا تتردد على السيدتين اليونانيتين فتطلعهما على اخبار المدينة وفي ذات يومٍ اخذت تصف لهما باولين وافاضت في الكلام حتى تاقت السيدتان لرؤيتها فعرضت كاترينا ان تعرّفهما بها وطلبت اليهما ان ترافقاها الى بيت روفينس لكنّ مارتينا اعتذرت عن الذهاب بعلة الحرّ وقبلت دورا الدعوة فاحسنت باولين استقبالها وتلطفت في حديثها لكنها التزمت الحذر ولم تخلِّ مجالاً لما يشتمّ منهُ رائحة حبها لاوربون فلما رأتها دورا علمت انها لا تستطيع مناظرة هذه الحسناء التي تفوقها جمالاً وتعقّلاً وعلماً

وبعد ثلاثة اسابيع من مقتل روفينس كان فيلبس وابولون جالسين يأكلان طعام الفطور والطبيب يسرع في التهام طعامهِ لضيق الوقت فدخل العبد وقال بالباب رجل يطلب لقاء الطبيب لامرٍ ذي خطرٍ فاجاب هذا وقال ليس في طاقتي معالجة احد الا اذا أُعطيتُ اربع ارجل وست ايدٍ فقال العبد ليس الرجل مريضاً فهو بستاني روفينس فارتعد فيلبس وادرك الغرض من مجيء الرجل وحدهُ فامر بادخالهِ واذا بهِ مكسوٌّ بالغبار من قمة رأسهِ الى اخمص قدمهِ وقد تمزقت ثيابهُ وغارت عيناهُ حتى لم يكد يعرفهُ فلما وقعت عينهُ على فيلبس بكى فقال الطبيب امات روفينس فاومأ بالايجاب ثم طفق يحدثهُ بما جرى وكيف لقي سيدهُ حتفهُ والرجلان يصغيان الى حديثهِ فلما فرغ صاح الطبيب

ايموت هذا الشهم ويخلف بعدهُ فضلى النساء وخير البنات ويبقى مثلي في قيد الحياة ثم اخذ الكتاب وقرأهُ ولما فرغ دار الى البستاني وقال

— أنجتِ الراهبات

— نعم

— من لنا الآن برجل ينقل خبر موتهِ الى زوجتهِ وابنتهِ

— ليس من يستطيع ذلك سواك

— اصبت فغيري يا كل الحصرم وانا اضرس فقال ابولون

— ذلك واجب عليك لصديقك فما يكون من امر هاتين السيدتين اذا ابصرتا صاحبنا كما نراهُ

— قد تموتان جزعاً. ثم خاطب البستاني فقال اذا درى بك العرب سجنوك واقتصوا منك ولا يصعب تمييزك وانت على هذه الحال فاذهب الآن واغتسل والبث في بيتنا واكتم ما تعرفهُ لئلاَّ ينمَّ بك بعض العبيد والخدم ولا اخال السيدتين في حاجة ماسة اليك فالاجدر بك ان نقوم على العناية ببستاننا

— رأيك الصواب بعينهِ ولكني وعدت سيدي بملازمة اهل بيتهِ وانا العتيق الوحيد في ذلك البيت فلا يحسن بي مفارقتهما في مثل هذه الساعة فاذا اراد العرب قتلي فاهلاً وسهلاً بهم فحياتي لا تطيب لي الآن ثم بكى واخذتهُ الرعدة فسقط مغمى عليهِ فاسرع اليهِ فيلبس وسقاهُ كاس خمرٍ فافاق فدعا عبداً وامرهُ بنقلهِ الى المطبخ والعناية بهِ ولمَّا خلا الصديقان قال ابولون

— تبينت من هيئتك وانت تقرأ الرسالة ان ذلك المنكود الحظ كلفك امراً غريباً

— صدقت فهاك كتابةً فاقرأهُ فتناول ابولون القرطاس وقرأ

— من روفينس المحتضر الى صديقهِ العزيز فيلبس

ارى الموت قريباً مني واعلم انَّ ساعاتي معدودات ويدي لا تطيق القلم فسأوفي وبالايجاز ان همي الاول زوجتي وابنتي فكن لهما الصديق الوفي والسند الاكيد وقم على حراستهما فقد جعلتك وصيَّاً عليهما بعدي وتركت لهما ما يكفيهما مؤونة التعب ويضمن لهما الراحة فاعلم ان عقاراتي في يد اخي وهو مثال الامانة والاستقامة فاذا اتاك كتابي هذا فاذهب اليهما وبلغهما بركتي وسلامي وشكري لزوجتي على حبها لي واهتمامها براحتي ورفاهتي مدة زواجنا اما انت فاسمع نصيحة شيخ عرك الدهر وبلى شرَّهُ واقلع عن حب باولين فهي نصيب غيرك فان اللواتي ولدن في القصور لا يناسبننا نحن الذين ارتقينا بجدّنا وهمتنا فانبذ حبها واقتصر على صداقتها فهي اهل لصداقتك واكرامك وانما لاتعلل نفسك بالاقتران بها ولا تقضِ حياتك عزباً فالمرأة ريحانة الرجل يزداد بها سرورهُ وسعادتهُ وتتضاعف همتهُ ونشاطهُ امَّا انت فتجهل ذلك كما يجهلهُ صديقك الشيخ ابولون فقد قضى حياتهُ مقتدياً بالزهَّاد وهيلانة تحسبك خير الناس واكملهم

ولا يخفى عليك حسن تربيتها وكمال اخلاقها ولستُ بقائل لك تزوجها وانت تحبُّ اخرى لكني اطلب اليك ان تسكنا وصديقك في بيتي مع زوجتي وابنتي فاذا فعلتما فلن تندما . فاصغ الى طلب رجلٍ على حافة القبر وانت وصيهما والحارس عليهما فكن اميناً في وصايتك واذكر صداقتنا. وكانت الكلمات الاخيرة معماة لكثرة تعاريجها فلما فرغ ابولون من القراءة قال فيلبس وما رأيك

— اما كما يقول

— لم يؤدها حقهما من المدح

— فلا مانع يمنعنا اذاً من قبول دعوته فنستريح من هذا العناء ونقضي بقية العمر في بيت حسن ونتخلص من هذا الكهف فقد سئمت نفسي الاقامة فيهِ واراهُ يتداعى الى الخراب وليس من يرممهُ ثم ثاب الى الجدّ فقال ولكنهُ حلم يعبث براحة المرء فلننبذهُ

— على كل حال وما دام امر باولين كما هو فمن العبث النظر في هذا الشأن

— قاتلها الله فلا تبرح اتبع لنا من ظلنا وكأنَّ اسمها عنوان شقائنا على اني ساكيدها واتخلص منها. ثم ناديا البستاني واوصياهُ بوجوب الحذر وملازمة السكوت وقال لهُ فيلبس ابقَ في بيتنا ريثما انعي سيدك الى زوجتهِ وابنتهِ وليس من الحكمة ظهورك في منف فالجند يطرقون البيت كل يوم فاذا رأوك اوقعوا بك وعرضت سيدتيك للخطر الشديد

الفصل الرابع والثلاثون

اشتهرت مصر من قديم الزمان بمهارة سحرتها وحذاقة عرافيها فكان الاجانب يقصدونها من كل حدب وصوب ليتلقوا فنَّ السحر عن اهلها وكانت دورا في عداد من سمع بشهرة هؤلاء السحرة فارادت مكاشفة بعضهم علها تقف على ما خبأ لها الدهر فسألت كاترينا ان تدلها على ساحرة عليمة وطلبت اليها ان ترافقها فلبت هذه الطلب وذهبت الاثنتان الى واحدة اسمها ميديا فلما رأتهما وابصرت ما على دورا من الحلل الفاخرة والحلى الثمينة ادركت انها من النبيلات فاحسنت ملقاها ولم تحفل بكاترينا لجهلها بها فلما دخلتا البيت الفتاهُ مملوءاً بالبواتق والكؤوس وامثلة الشمع واقفاص الخفافيش وزجاجات كثيرة فيها انواع الذبابات والحشرات السامة والضفادع تتصاعد فيهِ البخرة وروائح كريهة فانقبضت نفس الزائرتين واشمأزتا اما الساحرة فاخذت تبين لها فوائد ما رأتا وطلبت اليهما ان تعودا بعد ثلاثة ايام قائلة ينقضي اليوم اشياء كثيرة لا يتمُّ العمل بدونها فاذا اتيتما في الموعد الذي ضربتهُ لكما كنت على اتم استعداد فوعدتاها بالرجوع ولم يحلّ الاجل المضروب حتى ركبتا مركبة نفورس وسارتا تقصدان ميديا

وكلتاهما مضطربتان اما دورا فخشية منها ان تأْتي النبوة على خلاف ما تشتهي واما كاترينا فلانها ابصرت في صباح ذلك اليوم فيلبس خارجاً من بيت روفينس وسمات الكآبة على محياه وجاء بعده جند من العرب فداروا في البستان وعادوا من حيث اتوا وقبل الظهر ابصرت باولين تبكي في البستان واذ خرجت زوجة روفينس وابنتهُ وقعت على عنقيهما وقبلتهما فادركت كاترينا انهنَّ لامرٍ ما يبكين فاسرعت الى بيت روفينس لتستطلع الخبر فلقيتها مرضع باولين بوجه عبوس ومنعتها عن الدخول قائلة ان السيدات منفردات فلا يقبلن الزائرات

وفيما هما سائرتان الى بيت الساحرة طلع عليهما كوكبة من فرسان العرب فدنا القائد منهما واخذ يسألها عن اسميهما وغرضهما من الخروج ونحوهِ فارتاعتا ولم تصدقا بالنجاة حتى اذا ما بلغتا بيت ميديا لقيتهما هذه بالحفاوة والاكرام وقد عرفت كاترينا فقالت لقد طلع الهلال وطلوعهُ من ادلة السعد وحسن الفال وقد قضيت الايام الثلاثة صائمة فطهرت نفسي من الادران وتهيات للعمل فلا يفوتني امرٌ الآن. ثم قدَّمت لهما كرسيين فجلستا ووضعت اناء على النار فلما غلا ما فيهِ وسمع ازيزهُ قالت ألا تسمعان غليان آنية السعد فهذه اصوات جدكما وبختكما ثم طفقت تعزّم وتدعو باسماء غريبة فلما فرغت من دعائها ربطت خيطاً الى بنصر يد دورا اليسرى وفعلت كذلك بكاترينا وطلبت من كل واحدة شعرة من شعر رأسها وامسكت الشعرتين فالقتهما في القدر وصاحت بهما

— ضعا الاصبع المربوطة على القلب وحدّقا الى القدر والبخار المتصاعد منها فانما يصعد هذا البخار الى ارواح النور في العلاء ففعلتا وقد امتلأتا رعباً وحينئذٍ وقفت الساحرة واخذت تدور على رجليها كانها مغزل وظلت كذلك نحو ساعة ثم جمدت فجأَة وانطفأَت الانوار وفاحت رائحة الطيب في البيت فسجدت ورنمت خافضاً الى السماء حتى انتشر شعرها خلفها وشرعت تنشد العزائم حتى كلَّت عن الغناء فافاقت من ذهولها وامسكت القدر وقالت لدورا هاتي سبعة دنانير فنحتها دورا بها فوضعتها في القدر ثم سكبت بعض ما فيهِ في صحفة فاذا هو اسود كالحبر ولهُ بصيص كبصيص المرآة فحدقت اليهِ واخذت تعيد ما تراهُ فوصفت شاباً تنطبق اوصافهُ على اوريون انطباقاً تاماً كانهُ مرسوم امامها وقالت اراهُ مسافراً صحبة شيخ غريب وهانذا اراهُ عائداً من سفرتهِ ثم وقفت برهة وعادت الى الكلام فقالت وارى في المزيج صورتكِ وقد طوّقكِ بذراعيهِ وها انتما الآن واقفان امام حبر جليل في كنيسة فخيمة صفتها كذا وكذا ثم وصفت الكنيسة وصفاً دقيقاً جداً

فلما سمعت كاترينا كلامها احست بدوخة والم في قلبها وصدقت جميع ما انبأَت بهِ خصوصاً

بعد ان اجادت في وصف اوريون ولم يفت كاترينا من وصف الكنيسة انها كنيسة القديسة صوفيا في القسطنطينية فلما فرغت الساحرة من دورا نبهت كاترينا وطلبت منها الدراهم فنقدتها سبعة دنانير فالقتها في القدر الآخر ولكنها لم تكد تصب المزيج حتى سمعن اصواتاً كهزيم الرعد فاخذ منهن الخوف كل مأخذ وصاحت ميديا والقت الاناء من يدها فتبدد ما فيهِ وكاد يغمى عليها فاسندتها دورا وسألتها عن علة اضطرابها فلم تجبها بشيءٍ بل افلتت من يديها وتوارت عن ابصارهما وراء الستارة وحينئذٍ دخل فتى وفتاة فجمعا الآنية والعقاقير والمساحيق وقذفا بها في فتحة في ارض البيت واطفأا النار وامسكا السيدتين فدفعاهما الى زاوية البيت وخرجا فارتاعت دورا وخفيت عليها علة هذا الانقلاب فارادت الخروج واذا بميديا داخلة فقالت ان حياتي في خطر عظيم وجزاء العرافة القتل فقولا انكما اتيتما الى بيتي لتمرضا من فيهِ ثم سارت بهما الى غرفة صغيرة فيها نور ضئيل فالفتا فيها شيخاً وطفلاً ملقيين على سريرين من القش وقد بدت اعراض الحمى فيهما كليهما فقالت الساحرة لتدن كل منكما الى سرير فاطاعتاها اما كاترينا فوقفت ترتجف خوفاً اذ لم تكن قد رأت مريضاً في حياتها واما دورا فكانت قد اعتادت تمريض ذوي الاسقام لاسيما زوجها فدنت من الطفل وامسكت بيدهِ ومسحت العرق عن جبينهِ ولم يستقر بهما المقام حتى سمعتا قرع الاسلحة ورنينها واصوات الجند فما راعهما الا فيلبس الطبيب وقد دخل وراء ميديا فلما ابصرهما دهش والتفت الى ميديا فاسرعت هذه وقالت ان الشفقة حركت فؤادي السيدتين النبيلتين فجاءتا لتمرضا هذين المسكينين فقال كذبتِ فلا تحاولي مخادعتي ثم اخرج دورا وكاترينا من الغرفة وقال لهما لقد اخطأتما خطأ كبيرًا في مجيئكما الى مكان موبوء فعودا الى البيت واغتسلا واطرحا ثيابكما واحرقاها لئلا تقعا فريستين لهذا الداء الوبيل فخرجتا وهما لا تصدقان بالنجاة ولا تعلمان كيف درى الطبيب بزيارتهما

اما مجيء فيلبس فكان بناء على طلب مجلس منف الذي نمي اليهِ ان ميديا لا تزال تمارس العرافة فيأتيها الناس من المدينة وغيرها وفي بيتها مرضى بالوباء فارسل نفرًا من الجند وكلف فيلبس ان يرافقهم ويحقق صحة التهمتين حتى اذا ما ثبتت احداها اقتصوا من ميديا فجاء ورأى كاترينا ودورا فاخرجهما من حيث لا يشعر بهما الجند ثم امر هؤلاء بنقل المصابين وانصرف واسرعت السيدتان الى المركبة وكاترينا تقول في نفسها اذا كانت هذه فاتحة السعادة التي بشرتك بها الساحرة يا دورا فحبذا هي واود الا تنقضي. ومرت المركبة بقصر المقوقس فاستوقفها بعض فرسان العرب وسألوا عمن فيها فاخبرته كاترينا وقد كادت تذوب خوفاً وحياء ولما رأت كثرة الجند سألت القائل عنهم فقيل لها ان اوريون متهم بتهم فظيعة فرأى الامير ان يحجز على

بيتهِ وامواله وإن يخرج من فيهِ من اهلهِ وضيوفهِ في الغد فشقَّ ذلك الخبر على دورا فدعتها كاتربنا لتبيت عندها فقبلت الدعوة ولما بلغتا البيت هرعتا الى الحمَّام فاغتسلتا وذهبت كل واحدة منهما الى مضجعها

الفصل الخامس والثلاثون

كانت تلك الليلة من اشدّ ما لاقاهُ اهل بيت المقوقس فان فرسان العرب قدموا من الفسطاط نحو العتمة يتقدمهم عبادة فاحاطوا بالقصر احاطة السوار بالمعصم ولما لم يجدوا اوريون القوا القبض على نيلس الخازن وسأل عبادة عن السيدة نفورس فقيل لهُ انها في غرفتها فارسل الترجمان اليها يستأذنها في الدخول عليها ويطلعها على سبب قدومهِ فاتاها هذا وانبأها بان اوريون متهم بمكيدة كادها للعرب قُتل فيها اثنا عشر فارساً من فرسانهم فاصبح بفعلتهِ هذه جانياً يستحق عقاب الموت وحجز املاكهِ الى ان قال وهو متهم بالسرقة ايضاً ثم عرض عليها ما طلبهُ الوكيل من لقائها فقالت تربص مكانك ريثما اعود ثم دخلت حجرة اخرى فجرعت شيئاً من الافيون ورجعت اليهِ فقالت اراني مستعدة للقائهِ فايتوني بهِ فدخل عبادة وقال بعد التحية ينبغي ان تخرجي من هذا البيت غداً ولك الخيار في البقاء في منف او الاقامة في بيتك الآخر في الاسكندرية فاجابت ساري في ذلك فهل قبضتم على اوريون

فقال كلاَّ ولكننا لا نجهل مكانهُ فسنقبض عليهِ بعد يوم او يومين ومتى فعلنا فجزاؤُهُ الموت

فقالت ومن يتهمهُ بالسرقة فقال بطريركهُ

فقالت ابنيامين ثم تبسمت وقالت ولو درى بنيامين بما اعددتهُ لهُ لما اتهمهُ هذه التهمة الفظيعة قالت ذلك مشيرة الى وصيتها التي اوصت فيها بجميع مالها للبطريرك والكنيسة وحينئذٍ نهضت واومأت الى عبادة بالانصراف فخرج وهو يقول في نفسهِ اذا لم تكن مجنونة فهي بطل في صورة امرأة

ولما خرج دعت جواريها فحملنها الى غرفتها ووضعنها في سريرها فامرت احداهنَّ بان تأتيها بصندوق صغير دلتها على مكانهِ فجاءت بهِ ووضعتهُ على المائدة بجانب السرير ولما فعلت امرتهنَّ جميعاً بالانصراف وعمدت الى الصندوق ففتحتهُ واخرجت منهُ كتابين بخط زوجها كتبهما اليها قبل زواجها وقصيدة نظمها اوريون لها فحاولت قراءة الكتابين والقصيدة فلم تفلح فعادت الى الصندوق وابرزت منهُ ذؤابتين من شعر ابنيها المقتولين وغديرة من شعر زوجها فامسكت الجميع وطفقت تتأملها وقد غلب عليها الحنوّ وهاجتها الذكرى ثم تجرعت شيئاً من الافيون وعادت تتأمل الغدائر وهي تقول لنفسها ايريدون طردي من بيتي حيث قضيت اهنأ ايام حياتي فاحببت زوجي وربيت اولادي وفيهِ كنز آمالي وذكرى ايام صباي أأطيع هذا

العبد بعد ان كنت في قمة المجد والعز اذ ا هم لا يعقلون وحينئذٍ مثلت امامها خيالات زوجها وولديها المقتولين وعقبها خيال اوريون ورأت زوجها في السماء فاتحاً ذراعيهِ ليرحب بهِ وقضت بضع ساعات على هذه الحال نهضت في ختامها فسكبت ماء في زجاجة الافيون وذوَّبت ما فيها من الحبوب ثم جرعت المذوب دفعة واحدة واسرعت الى سريرها وقد انبسطت اسارير وجهها وبدت عليهِ امارات الراحة والطمأنينة لكنها لم تضطجع حتى احست ببرد شديد فنادت جاريتها وقالت اسرعي وادعي كاهناً فاني في غمرات الموت فركضت الجارية الى القهرمان واخبرتهُ بامر سيدتها فاستأذن هذا عبادة فاذن لهُ في الذهاب فلما خرج من القصر لقي شماساً فدعاهُ وادخلهُ الى غرفة نفورس فالفياها في حشرجة الموت وقد ضاع رشدها ولما دنا منها الشماس ظنتهُ اوريون فاخذت تدعوهُ باحب الاسماء فزودها الاسرار وهي غائبة عن الوعي واعتراها برد شديد ورجفة فاسلمت الروح فبكى سبك بكاء مرًّا حزنًا عليها وخرج الى عبادة فانبأهُ بموتها فانقبض والتفت الى احد رجالهِ فقال كان في نيتي رعاية هذه المرأة واكرامها ففاتت وسيتهمونني في المدينة بقتلها ثم انقطع عن الكلام فجأَةً وقال في نفسهِ من يسعى في امتلاك بلاد لا ينبغي لهُ ان يكترث لهذه الحوادث

البراكين واسبابها

وحادثة مرتنيك

العاقل مَن رأى العبرة فاعتبر بها واستفاد منها ولذلك لم تكد انباء ما حلَّ بجزيرة مرتنيك وجزيرة سنت فنست تصل الى الاندية العلمية حتى اوفدت كثيرين من كبار علمائها للبحث عن اسباب ما حلَّ بهما وما يمكن ان يستنتج منهُ من النتائج العلمية وما يمكن ان يبنى عليهِ في الاستدلال على ثوران البراكين قبل حدوثهِ

وقد كانت الاخبار التي وردت عن هذا الثوران حال حدوثهِ صحيحة منطبقة على الواقع لان لا غرض لمرسليها الاَّ الاخبار عمَّا حدث على مرأى منهم اوعمَّا بلغهم خبرهُ . ثم هرع مكاتبو الجرائد اليومية ولاسيما الجرائد الاميركية وهؤلاء غرضهم الاول التهويل والتعظيم لكي يزيد وقع اخبارهم في النفوس ويكثر ما يباع من جرائدهم فلم تعد الاخبار تروى على صحتها ولذلك اضطررنا ان نمسك عن اذاعتها في المقتطف بعد ما اذعنا الاخبار الاولى الصحيحة الى

ان صدرت تقارير العلماء الذين مضوا الى هناك قصد البحث العلمي وسنورد الآن خلاصة ما وقفنا عليهِ من هذا القبيل ونشفعهُ بما يزيدهُ ايضاحاً فنقول

يظهر من المقابلة بين كرتنا الارضية والاجرام السموية ان الارض كانت في العصور الغابرة قبلما وُجد الانسان عليها وقبلما عاش فيها حيوان او نبات جسماً يكاد يكون سائلاً او متفرق الدقائق من شدَّة حموهِ ثم برد سطحها وجمد بتوالي العصور ولكن بقي جوفها شديد الحرارة ومن ادلَّة ذلك المواد البركانية التي تُقذَف منهُ من وقت الى آخر فقد يكون فيها اجسام معدنية مصهورة من شدَّة حموها

ولكن وجود الحرارة في باطن الارض لا يكفي لتعليل البراكين وثورانها في اوقات غير معلومة وان كان السبب الاول لها لان هذه الحرارة موجودة دواماً واما البراكين فلا تثور الاَّ نادراً وبراكين كثيرة انطفأَت منذ زمن طويل ولم يعد يبدو منها اقل علامة تدل على قرب ثورانها . وهذه البراكين المنطفئة كثيرة لا يخلو مكان منها حتى انَّ البلدان التي لم يذكر في اقدم التواريخ انهُ ثار فيها بركان ما كالقطر المصري والقطر الشامي ثارت البراكين فيها في العصور الجيولوجيَّة الغابرة . وكذلك من البراكين ما خمد سنين كثيرة ثم ثار ومنها ما ثار منذ مئات من السنين ثم خمد ولم يعد يذكر انهُ ثار ثانية . من ذلك ما جاء في تاريخ ابن اياس عن ثوران بركاني في الحجاز فقد قيل فيهِ انهُ في سنة ست وخمسين وستمائة (للهجرة) في خامس جمادى الاخرى جاءت الاخبار من المدينة الشريفة انهُ ظهر في التاريخ نار بوادي شطا في المدينة وانهُ يخرج منها شرر يأكل الحجارة وقبل ظهورها بخمسة ايام وقع بالمدينة زلزلة ولم تزل هذه النار مستمرة ليلاً ونهاراً نحو شهر وكان طولها اربعة فراسخ في عرض اربعة اميال وفي ذلك يقول القائل

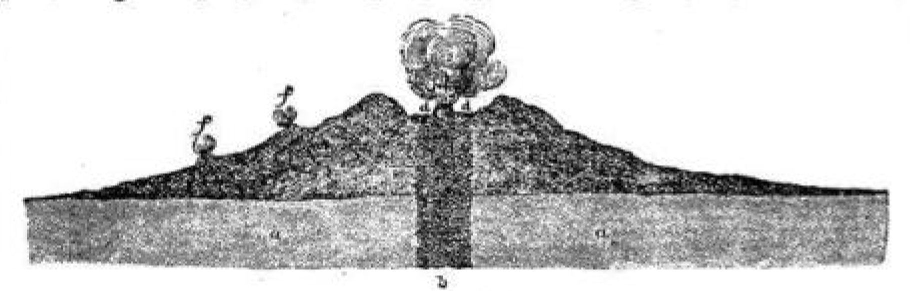
بحر من النار تجري فوقهُ سفن ... من الهضاب لهُ في الارض ارساءُ
منها تكاثف في الجو الدخان الى ... ان عادت الشمس منهُ وهي دهماءُ
يرمي لها شرر كالقصر طائشة ... كانها ديمة تنصبُّ هطلاءُ

ولا شبهة في ان ذلك الحادث من نوع الثوران البركاني لكن كان لهُ سبب آخر غير الحرارة التي في باطن الارض فزال ولذلك لم يعد يظهر مرةً أُخرى

وقد اتضح الآن ان السبب الآخر للبراكين هو الماء الذي يخالط المواد المعدنية الحارَّة فانهُ اذا حدث ما رفعها ولو قليلاً تمدَّد الماء الذي فيها ودفع ما فوقهُ وكلما صعد زاد تمددهُ لان طبقات الارض التي فوقهُ تكون ضاغطة عليهِ بثقلها فكلما صعد خفَّ هذا الضغط عنهُ واخيراً تبلغ قوة تمددهِ درجة عظيمة جداً حتى يمزّق الارض التي فوقهُ تمزيقاً كانهُ الديناميت ويدفعها

في الجوّ صخورًا واتربة بل يمزّق دقائق الصخور حتى تطير في الجو كالغبار المتطاير ويصعد بها الى علوّ شاهق جدًّا وقد يرفعها من عمق كبير حيث تكون حرارتها شديدة حتى اذا بلغت وجه الارض جرت عليها كالسوائل او كصهارة المعادن . وقد ثبت ذلك كلهُ من وجود البخار بكثرة في مقذوفات البراكين حتى ان ما يظن دخانًا خارجًا منها ليس الاَّ بخارًا مائيًّا . ولا غرابة في ذلك لأن البخار الذي في مرجل الآلة البخارية قد يشق المرجل ويمزق حديد الآلة البخارية والبناء الذي هي فيهِ ويفتت حجارتهُ تفتيتًا وما حرارة هذا البخار بالشيء المذكور في جنب حرارة باطن الارض حيث تبلغ الفي درجة او اكثر

ومتى اندفع البخار من البركان على هذه الصورة فكثيرًا ما يرفع قمة الجبل ويمزقها ويرمي بها في الجو فيصير الجبل مجوَّفًا من اعلاهُ كالكاس وهو كاس البركان كما ترى في الشكل الاول وهو



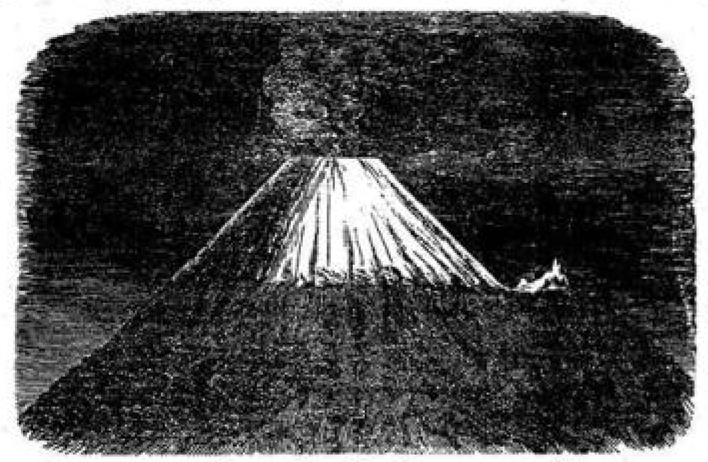
الشكل الاول

صورة وهمية لجبل ناري ترى فيها مقطوع هذا الجبل وعنق البركان حيث يخرج البخار وما معهُ من المواد المقذوفة بهِ من جوف الارض . وعلى جانب هذا الجبل فوهتان صغيرتان حيث الحرفان ف ف كان يظن اولاً انهما من البراكين الصغيرة المتصلة بالبركان الاصلي لكن ثبت الآن من ثوران جبل بيلي في مرتنيك ان ما كان كذلك ليس براكين صغيرة بل ابخرة صاعدة من الحمم الواقعة على جوانب البراكين

ثم ان الحمم التي تقذف من البراكين تجمع حول فوهتها حتى يصير بها شكل الجبل مخروطيًّا ويرى هذا الشكل المخروطي على اتمهِ في بركان كوتوبكسي المرسوم في الشكل الثاني . ومن غريب امر هذا البركان ان الثلوج تغطي الجزء المخروطيّ منهُ كما ترى في الشكل لان ارتفاعهُ اكثر من ١٩ الف قدم عن سطح البحر وهو من اعلى البراكين فترى عمود الدخان او البخار فوق رأسهِ والنار تتأجج فيهِ غالبًا والثلج يغطي جوانبهُ وهو من مدهشات الطبيعة . وقد ثار هذا البركان سنة ١٧٤١ وارتفع عمود الحمم منهُ خمسة آلاف قدم وبقي ثائرًا ثلاث سنوات متوالية

ومن جملة المقذوفات التي قذفها صخر ثقلهُ ٢٠٠ طن رمى بهِ مسافة عشرة اميال وكان ذلك سنة ١٥٣٣ . وعاد الى الثوران سنة ١٧٦٨ وكان ثورانهُ حينئذٍ على اشدهِ ثم خمد الى سنة ١٨٥١ فثار تلك السنة وسنة ١٨٥٤ و ١٨٥٥ و ١٨٥٦

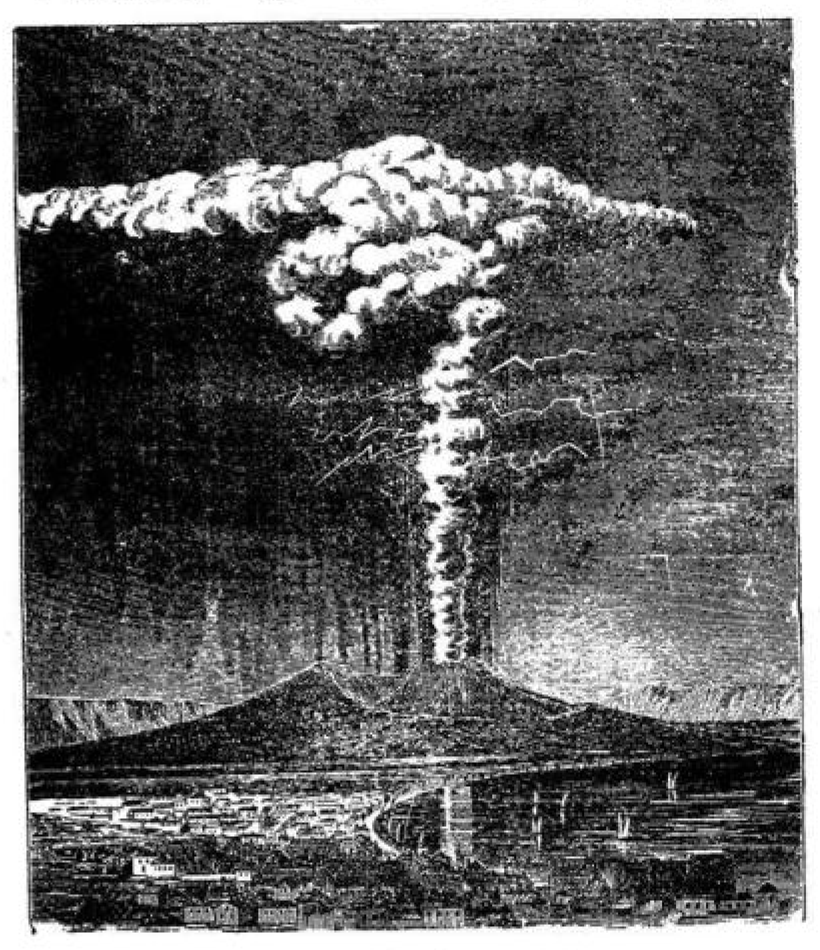
واذا كان كاس البركان وسعاً جدًّا كما صار بركان يزوف حينما قُذفت قمتهُ كلها سنة ٧٩ للميلاد وطمر ثلاث مدن بمباي وهركولانيوم وستابيا فقد تجتمع الحمم فيها في ثوران تالٍ وتكوّن كاساً مخروطية ضمن الكاس الاولى كما ترى في الشكل الثالث فانهُ صورة هذا البركان في ثورانهِ الذي ثارهُ سنة ١٨٢٢ والكاس الكبيرة التي حول الكاس المخروطية باقية من الثوران الاول الذي ثارهُ سنة ٧٩ للميلاد . وتفصيل ذلك الثوران ان يزوف خمد زماناً طويلاً



الشكل الثاني صورة بركان كوتو بكسي باميركا الجنوبية

قبلما ثار حتى نسي الناس انهُ كان بركاناً فغرسوا الاشجار والكروم على جوانبهِ وشادوا المنازل والقصور ومصَّروا عند سفحهِ ثلاث مدن كبيرة وبقيت قمتهُ العليا جرداء فاستدلَّ منها كبار المؤرخين مثل سترابو وديودورس الصقلي انها كانت بركاناً في سالف الزمن . وسنة ٧٩ للميلاد كان بلينيوس الاكبر العالم الطبيعي المشهور اميرًا على الاسطول الروماني في تلك الجهات وكان معهُ ابن اخيهِ بلينيوس الاصغر وهو فتى في السابعة عشرة من عمرهِ فوصف ما شاهدهُ هو وعمهُ في كتاب كتب بهِ الى تاشيتس لم يزل محفوظاً وقد جاء فيهِ انهُ صعد من قمة يزوف عمود اسود انبسط في اعالي الجو كشجرة كبيرة من الصنوبر بسطت اغصانها في الفضاء فاسرع بلينيوس الاكبر مع بعض رفاقهِ الى البر ليبحث عما حدث لذلك الجبل لانهُ كان من ارباب البحث والتحقيق فبلغ مرفأً راسينا ولكنهُ لم يستطع النزول هناك لكثرة ما كان ينهال عليها من

الحجارة والرماد ولأنَّ البركان قد حُسر عن الشاطئ . فمضى الى مدينة ستابيا ونزل فيها واسرع الى بيت صديق لهُ اسمهُ بمبنيانوس وبقي فيهِ الى المساء وهو يراقب الجبل . ثم ظهرت السنة النار على جوانبهِ فحسب انها من احتراق القرى والحراج لكنهُ لم يكن يوجس خيفة فدخل



الشكل الثالث ثوران بركان بزوف سنة ١٨٢٢

مخدعهُ ونام . وكثر وقوع الرماد والحجارة في ستابيا تلك الليلة حتى امتلأت دار البيت بها فايقظهُ خدمهُ وخرج الجميع من البيت بعد ان ربطوا الوسائد فوق رؤوسهم لكي لا تصرعهم الحجارة المنهالة عليهم وكان الظلام حالكاً مع ان النهار كان قد طلع فساروا على ضوء المشاعل الى

ان بلغوا الشاطئ ثم اغمي على بلينيوس وخنقتهُ الغازات السامَّة ففاضت روحهُ وانقضى اجل ذلك العالم الطبيعي شهيدًا في سبيل العلم

اما الثوران الذي حدث سنة ١٨٢٢ ورُسم في الشكل الثالث فارتفع فيهِ عمود السحاب المقذوف من الجبل عشرة آلاف قدم وتراسلت البروق فيهِ وهطل منهُ مطر حارٌ كالسيل العرم

وقد تبلغ المواد المقذوفة من البراكين ارتفاعاً شاهقاً جدًّا حتى تصير تدور حول الارض كما تدور الاقمار حول كواكبها ان الغبار الذي قذفهُ بركان كراكاتوى بين جاوى وسومطرة سنة ١٨٨٣ بلغ ارتفاعهُ ١٧ ميلاً على اقل تقدير وبقي ثلاث سنوات يدور حول الكرة الارضية واظلمت البلاد بهِ على اكثر من الف ميل حول البركان. وكان ذلك الثوران اشد من ثوران بركان يلي اضعافاً مضاعفة لان صوتهُ سُمع على مسافة الفي ميل واما ثوران بركان يلي فلم يسمع على مئتي ميل لكنهُ كان من اشد الثورانات فتكاً بالنفوس ومن اقواها على تحريك عاطفة البشر ومن انفعها في تحقيق شرائع البراكين

وسبق هذا الثوران حوادث بركانية كثيرة اولها ثوران بركان كوليما في غربي بلاد المكسيك في اواخر العام الماضي ثم زلزلة المكسيك والقسم المتوسط من اميركا التي اخربت بعض المدن في ١٨ ابريل الماضي. وكأَنَّ هذه الزلزلة حركت شقًّا متصلاً ببركان يلي في جزيرة مرتنيك او نكأَت جرحاً قديماً كان قد خمد منذ سنة ١٨٥١ وحركت جرحاً آخر متصلاً ببركان سوفريير في جزيرة سنت فنست وكان قد خمد منذ سنة ١٨١٢ فجعل هذان البركانان يقذفان البخار ولم ينتهِ شهر ابريل حتى توالت الاصوات كهزيم الرعد وكثر رجفان الارض واندفاع الوحول من بركان يلي وامتحن الاستاذ لاند من اساتذة مدرسة سان بير الهواء فوجد فيهِ غازات مما يكون في طبقات الارض السفلى فبعث الى حاكم مرتنيك ينبئهُ بدنو الخطر وكان بعضهم قد انبأ بهذا الخطر قبل ذلك باكثر من عشر سنوات حيث قال ما ترجمتهُ

"ثار جبل يلي سنة ١٨٥١ وقذف النار والدخان فاضطرب السكان ولجأ بعضهم الى السفن الراسية في المرفإِ وثورانهُ حينئذٍ لم يكن لهُ شأن كبير لانهُ اقتصر على طمر مئات من الفدادين بالمواد الكبريتية لكنهُ دلَّ على ان البركان لم ينطفئ بل هو خامد. ثم تنبَّه مرةً او مرتين بعد ذلك دلالةً على انهُ سيستيقظ يوماً ما ويطمر سان بير بالرماد والحمم كما فعل بركان بزوف بمدينة بمباي". وقد طبع هذا القول ونشر سنة ١٨٩٢ وتمَّ الآن حرفيًّا كأَنَّ صاحبهُ أُوتي علم الغيب. لكن ثوران سنة ١٨٥١ وذهابهُ من غير ضرر اغرى السكان بان ما حدث الآن من قبيل ما حدث حينئذٍ فلم يوجسوا خيفةً

وفي اليوم الخامس من شهر مايو ثار بيلي وقذف حثالة الصخور مازجاً اياها ببخار الماء فانهالت على الارض ماءً غالياً وطيناً حارًّا واكتنفت معمل سكّر وقتلت مَن فيهِ . ومع ذلك بقي حاكم الجزيرة يمنع الناس من المهاجرة حاسباً ان هذا الثوران سليم العاقبة مثل الثوران السابق الذي حدث سنة ١٨٥١

وثار بركان السفرير في جزيرة سنت فنسنت في السابع من مايو ثوراناً شديدًا جدًّا لكنهُ قطع الاسلاك البرقية فلم يصل خبرهُ الى سان بير لينذر سكانها بدنو الخطر فتربصوا في اماكنهم يتوقعون منيتهم وما خُبِئَ لهم في مخابئ القدر الى اليوم التالي وهو الثامن من مايو ذلك اليوم المشهود. وفي صباحهِ انبثق البركان من رأسهِ وجانبهِ وكان لانبثاقهِ صعقة صمَّت الآذان على ما قيل فارتجت الارض ومادت بسكانها فلاذوا بمنازلهم ومعابدهم وكان الجبل قد ارسل عليهم سحاباً من الغازات الملتهبة ومطرًا من الحجارة المحماة فانهالا على المدينة والسفن التي في مرفإِها فغمراها في لحظة من الزمان وكانت السفن سبع عشرة فلم ينجُ منها الاَّ اثنتان واصاب القرى المجاورة لسان بير ما اصابها فمحيت من لوح الوجود واهتزت جزيرة مرتنيك كلها بهذه الصعقة وحملت الامواج صوتها مئتي ميل من كل جهة وارتفع عمود البخار والغبار اميالاً وانتشر الغبار على سطح الاوقيانوس اكثر من مئة الف ميل مربع

ولم يكن هذا الثوران خاتمة المطاف ولا اقصى ما استطاعهُ ذلك البركان. واستمرَّ السفرير على قذف البخار والطين وبيلي على قذف الحمم الى العشرين من مايو فثار بيلي حينئذٍ ثورة اشد من الاولى بلغ تأثيرها المغنطيسي مدينة باريس شرقاً وجزائر هنولولو غرباً وتنبهت لها حمائم مكسكو الجديدة وبراكين كثيرة كانت خامدة . وبلغ عدد النفوس التي قضي عليها بثوران بيلي والسفرير اربعين الفاً وهم ٢٥ الفاً في مدينة سان بير وسبعة آلاف في القرى المجاورة لها والفان في جزيرة سنت فنسنت ونحو خمسة آلاف في بلدان أُخرى

وارتفاع جبل بيلي نحو خمسة آلاف قدم عن سطح البحر وهو مجوَّف من جانبهِ الجنوبي الغربي كأن جانباً منهُ خُسف من تلك الجهة في غابر الزمن فصار كالراحة المجوفة . هناك بنيت مدينة سان بير عاصمة جزيرة مرتنيك حتى اذا ثار هذا البركان يوماً لا تجد مقذوفاتهُ سبيلاً الاَّ اليها. لكن مضت السنون وهو خامد فاغفل الناس امرهُ ثم ثار سنة ١٨٥١ كما تقدَّم لكنهُ اكتفى بقذف الرماد والوحل فحسبوا ان هذا كل ما في وطابهِ فاستناموا وازدهت المدينة وكانت عروس المدن في جزائر الانتيل الصغرى وواسطة عقدهنَّ. وفيها ولدت جوزفين زوجة نبوليون الاول واليها يُنسَب برناردين الكاتب الفرنسوي الشهير مؤلف رواية بول وفرجيني التي جعل

وقائعها في جزيرة مرتنيك . وهي عاصمة تجارة جزائر الانتيل

وكانت جوانب جبل يلي مغطاة بالمزارع والقرى تجري فيها جداول المياه وتخللها طرق المارة فلا يبين من الارض سواها . وفي كاس البركان بحيرة يجري الماء منها وينضم اليهِ غيره من الينابيع فيتكون منها نهر يقال لهُ النهر الابيض

ومن رأي الدكتور مكجي الاميركي " ان الثوران الاول الذي حدث في الخامس من مايو قذف ماء البحيرة التي في اعالي جبل يلي فانهالت بعزم شديد وجرفت الاتربة ومعمل السكر على ما تقدَّم ثم في صباح الثامن من الشهر كان في حلق البركان صخور ذائبة فتمدد بخار الماء تحتها وقذفها في الجو فعلت فوقهُ بخارًا ودخانًا وغبارًا وحجارة محماة تكاد تكون مائعة لشدَّة حموها . وكان لانقذافها في الجوّ تأثير شديد في الهواء فتكونت فيهِ امواج شديدة الضغط ثم وقعت هذه المقذوفات بثقلها فلقيت امواج الهواء فجرت معها نحو المدينة كزوبعة هوجاء وفي جانب يلي فوهة صغيرة انفجرت حينئذٍ وقذفت بخارًا وغازات اثقل من الهواء فجرت امام مقذوفات البركان كغمامة كثيفة وجهها اسود عبوس وساقتها نار مضطرمة او بروق كهربائية فطارت سقوف البيوت من وجهها كالعصافة امام الريح وقُذفت المدافع الكبيرة من فوق مركباتها وهناك تمثال من المعدن ثقلة مئة وخمسون قنطارًا رمى بهِ العاصف فابعدهُ عن مقرهِ مئة وعشرين قدمًا وبلغ هذا العاصف السفن التي في مرفإِ المدينة فقلبها وقطع مراسيها ودفع ماء البحر امامهُ فحسرهُ عن الشاطىء الى امد بعيد حتى اذا بلغ ابعد مداهُ ارتدَّ بعنف شديد واجهز على المدينة وما فيها

" وحالما سمع الاهالي صعقة البركان وشعروا بارتجاف الارض تحت اقدامهم ورأوا الغمامة السوداء تعدو اليهم لجأوا الى منازلهم ومعابدهم او هاموا على وجوههم لا يدرون الى اين يذهبون لكن العاصفة ادركتهم حالاً وضربت بهم جدران البيوت ثم انهالت عليهم الحجارة المحماة بجمر النار واكتنفتهم الابخرة الكبريتية والغازات السامة فقضوا ترضضًا واحتراقًا واختناقًا واشتعلت الغازات فاجهزت على مَن بقي حيًّا

" هذه خلاصة ماشهد بهِ الذين كانوا في السفينة رودام التي نجت من الغرق والاحتراق بشق الانفس وما شهد بهِ اناس كانوا واقفين على شواهق تطل على سان بير وشهادة هؤلاء كلهم متفقة على ان بركان يلي حرق سان بير بنارهِ . وفي اقل من عشر دقائق اهلك ثلاثين الف نفس سكانها وسكان ضواحيها ثم كأنهُ ابى ان تبقى اشلاء قتلاهُ من غير دفن فثار في العشرين من مايو وطمرهم بالتراب والحجارة وكان الثوران الاول قد ابقى جانبًا كبيرًا من

جدران البيوت والمباني العمومية قائماً فلم يبقَ الثوران الثاني شيئاً منها بل مهّد المدينة تمهيداً". هذه خلاصة ما قالهُ الدكتور مكجي

ولا تخلو اقوال العلماء الباحثين في هذا الموضوع من الاختلاف والتناقض في بعض الامور ويؤخذ مما ذكرهُ الاستاذ ملن حديثاً في الجزء الاخير من جريدة نانشر الصادر في ١٤ اغسطس ان القبطان فريمن ربان السفينة رودام التي نجت ببعض بحارتها راقب الثوران الاول مراقبة دقيقة رغماً عن انهيال الرماد الحار عليهِ حتى حرق وجههُ ويديهِ فانهُ كان واقفاً على ظهر سفينتهِ حينما ثار البركان وكانت السفينة قد دخلت المرفأ حينئذٍ وصارت على امتار قليلة من الشاطئ وقد قال انهُ رأى سحابة سوداء آتية من جانب البركان بسرعة فائقة وهي التي قلبت السفن فلما رآها مسرعة اليهِ كان البخار لا يزال في سفينتهِ فاجراها الى الوراء باشد سرعتها حتى انقطع حبل مرساتها ومنع الرماد سيرها الى الوراء فعاد بها الى الامام ثم عاد الى الوراء وجعل يبتعد ويقترب وهو يرى السفن تحترق بجانبهِ والناس هائمين على الشاطئ دلالةً على انهم لم يموتوا كلهم دفعةً واحدة وكانت الحجارة والرماد تنهال على سفينتهِ كما تنهال على غيرها فقتلت ٢٦ من بحارتهِ واخيراً تيسّر لهُ الهرب فنجا بنفسهِ وبالذين بقوا احياء من رجالهِ وفي سفينتهِ ما زنتهُ ١٢٠ طناً من الرماد او التراب الناعم المقذوف من البركان وبقي هذا الرماد سخناً ثلاثة عشر يوماً وبلغ سمك طبقة الرماد في سان بير قدماً واحدة

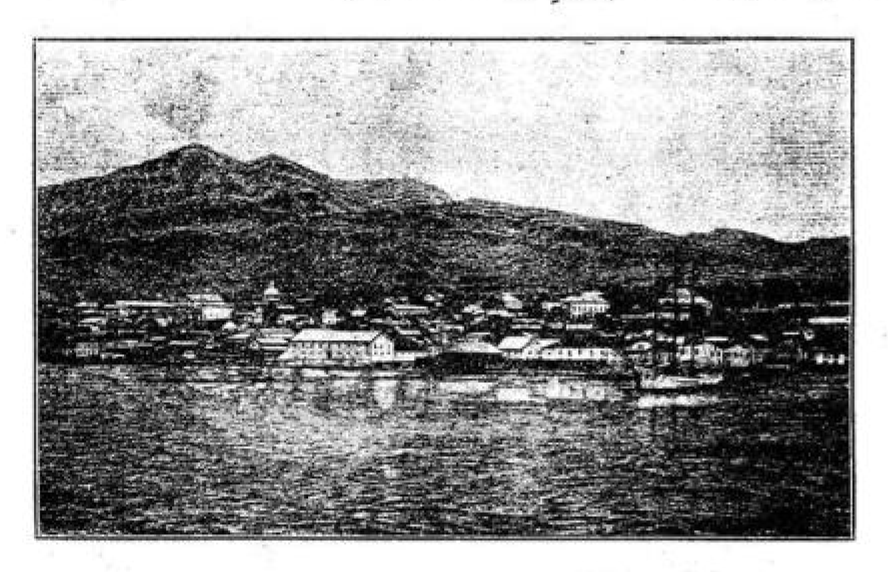
ومن رأي الاستاذ ملن ان الناس اختنقوا باستنشاق الرماد السخن او احترقوا بهِ او بالبخار السخن والسنة النار واحترق معهم كل نبات اخضر في المدينة وحولها ولكن لم يحترق من الجزيرة كلها سوى جزء من عشرين جزءا وما بقي لا يزال اخضر نضراً. ولم تجرِ من البركان انهر من المعادن المصهورة بل انهر من الطين

ومن الذين مضوا الى تلك الجزائر للبحث عمّا فعلهُ بركان بيلي والسوفرير الدكتور توماس جغار الاميركي من مدرسة هارڤرد الجامعة وقد قال في هذا الصدد ما خلاصتهُ

" وصلنا فور ده فرانس في الحادي والعشرين من مايو وانتقلنا الى سان بير حالاً ونزلنا فيها وكان الثوران الثاني قد حدث في اليوم السابق . وخاف رئيس الباخرة التي كنا فيها ان يفاجئنا مفاجئ فوقف يرقب البركان وامرنا ان نعود الى القوارب حالما نسمع صفير السفينة فجعلنا نضرب بين الخرائب فلم نرَ بناء قائماً بل كانت الشوارع كلها مغطاة بالانقاض والحجارة المستديرة كانها من زلط البحر يعلوها كلها مسحوق رمادي ضارب الى الخضرة كانهُ الرمل . ورأينا كثيراً من الجثث متفرقة ومجتمعة وتدل الصور الفوتوغرافية وشواهد العيان على ان الثوران الاخير

الذي حدث في العشرين من الشهر كان اشد من الثوران الاول الذي حدث في الثامن منهُ"

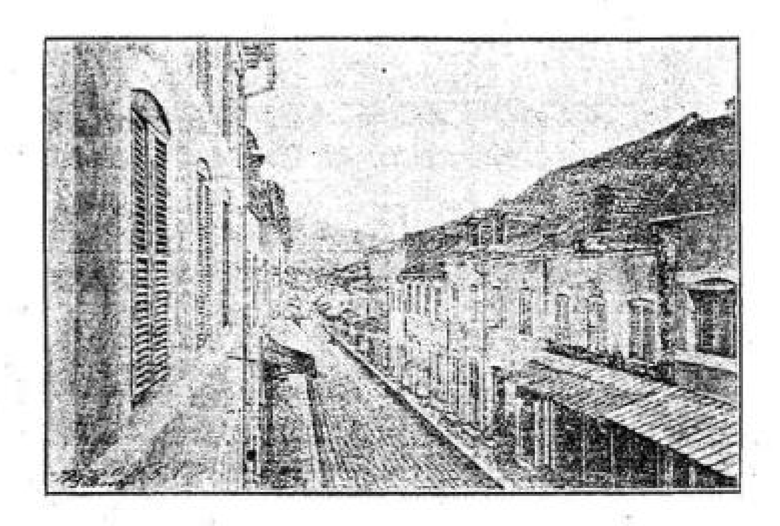
ويظهر ذلك جليًّا من الصور الاربع التالية فان الاولى وهي الشكل الرابع صورة المدينة قبل ثوران البركان والثانية وهي الشكل الخامس صورة شارع من شوارعها وهو شارع فكتور هيغو قبل الثوران ايضاً والثالثة وهي الشكل السادس صورة هذا الشارع عينهِ بعد الثوران الاول الذي حدث في الثامن من الشهر والرابعة وهي الشكل السابع صورتهُ بعد الثوران الاخير الذي حدث في العشرين منهُ فانهُ لم يبقَ فيهِ الاَّ انقاضاً مبعثرة



الشكل الرابع مدينة سان بيرقبل خرابها

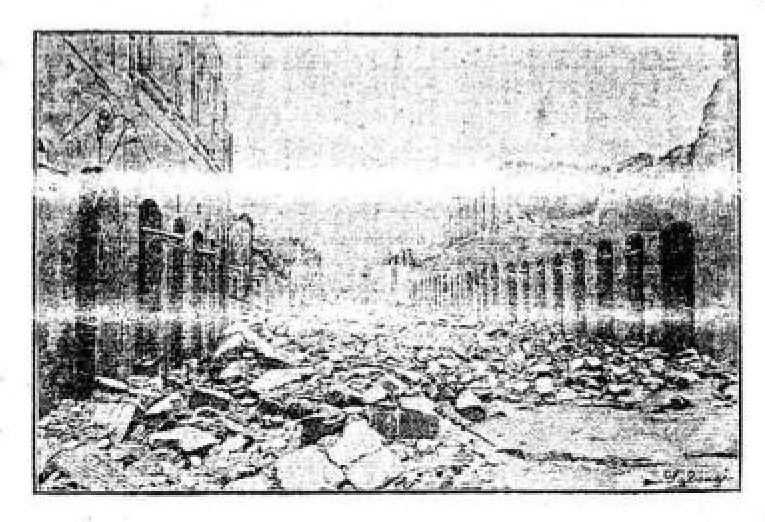
وقال الدكتور جغار "ان جثث الموتى كانت لينة بعد الثوران الاول فيبست وتقلَّصت بعد الثوران الثاني كأَن نفحتهُ كانت احرَّ من نفحة الثوران الاول والجانب القريب من البركان يغمرهُ الرمل والحصى الى عمق عميق واما الجانب الجنوبي فلا يزيد سمك ما عليهِ عن قدم او قدمين. ولمَّا مررت في شارع فكتور هيغو لم أكد اصدق ان تلك الخرائب كانت منذ اسبوعين شارعاً في مدينة فرنسوية عامرة فانهُ لم يكن فيهِ غير الانقاض وقد حُرِق الخشب منها. والتفتُّ الى البركان وكانت قمتهُ مغطاة بالضباب ولكن الشمس مشرقة على سفحهِ يبين في نورها معفَّرًا بالغبار كأَنهُ تمثال قديم علاهُ غبار النسيان . والجانب الذي فيهِ البركان ومجراهُ رمادي صخري لا حياة فيهِ ولا حراك غير منافس البخار تتنفس منهُ وحول ذلك آكام مكسوة خضرة . ولكن

ما هذه المنافس البخارية . لما نزلنا من القارب لم نرَ منها الاّ منفساً او اثنين وهي الآن ثمانية بل عشرة بل عشرون وقد امتلأ بها سفح الجبل وهي تعلو الى قنتهِ . كان الدكتور تشرش واقفاً



الشكل الخامس شارع فكتور هيغو في مدينة سان بيرقبل خرابها

الى جانبي ورآني ارقبها موجساً منها خيفةً . صارت الآن اربعين منفساً كأنها آلات بخارية



الشكل السادس شارع فكتور هيغو بعد الثوران الاول

خرجت من اسرابها واطلقت بخارها دفعةً واحدة . وكان العملة الذين معنا والضباط متفرقين

بين خرائب المدينة حيث لا يُرى البركان فلم يروها فالتفتنا الى السفينة فرأيناها قذفت البخار من صفَّارتها ونادتنا بصوت دوت لهُ الجبال والقيعان لنعود اليها سريعاً منذرةً ايانا بالخطر فانقلبنا راجعين الى الشاطئ وهرعنا الى القوارب لا نلوي على شيءٍ ولم نبعد عن البر الاَّ قليلاً حتى اقبل اثنان لم يسمعا الصفير الاول او كانا بعيدين فعدنا اليهما بالقارب ونظرنا الى الجبل واذا البخار يصعد عنهُ من كل ناحية كانهُ يتحفَّز للثوران لكنهُ لم يثر . ويظهر لي الآن ان ذلك البخار حدث من مطر وقع عليهِ من السحاب الذي كان يكتنفهُ فجرت المياهُ على جوانبهِ فاصابت



الشكل السابع شارع فكتور هيغو بعد الثوران الثاني

بقعاً فيها حجارة حامية فاستحالت بخاراً . ثم رأينا ذلك مراراً وتبينّاهُ جيداً في سنت فنسنت كما سيجيء

ثم وصف شكل الجبل ووضع سان بير في تجويفهِ مما يلي البحر وقال ان هذا التجويف يحيط بها من الشرق والجنوب وان البحر يحدها من الغرب . ورجَّح ان المواد التي انهالت عليها في الثوران الاول كانت حامية كالجمر وصغيرة الاجزاء كالرمل وهي اذا نُظرت في الظلام بانت كالمعدن المصهور او كأنهار من النار جارية على جوانب الجبل وان كاس البركان طولها نحو الفي قدم وعمقها نحو ثمانمئة قدم تتصل بشِعْب من جهة الغرب واصل الى البحر وقد كان هذا الشِعْب هناك قبل الثوران الاخير

وسنأتي على تتمة وصفهِ وما قالهُ هو وغيرهُ مما فيهِ فائدة وذكرى

الخمر والتبغ والطعام

بحثنا لنرى ما يشربهُ سكان القطر المصري من المسكرات فوجدنا انهُ دخلهُ من الخمر في العام الماضي ما ثمنهُ ١٤٧٣٨٣ جنيهاً وهي تباع بالتفاريق باكثر من اربعة امثال ثمنها الذي قدرت بهِ في الجمرك فلا يقل ما تباع بهِ عن ستماية الف من الجنيهات . ودخلهُ من البيرا ما قدر ثمنهُ في الجمرك بنحو ٨٣ الف جنيه ولعلها تباع بالتفاريق بنحو ثلثمئة الف جنيه ودخلهُ من سائر الاشربة الروحية كالكنياك والوسكي ما قدر ثمنهُ في الجمرك بمئة الف جنيه واكثر هذه الاشربة يباع بالتفاريق بثمن فاحش جدًّا فيبلغ ثمن زجاجة الكنياك من مئة غرش الى مئتي غرش واذا قدرنا الثمن الذي يدفعهُ سكان القطر بالتفاريق عشرة اضعاف الثمن الذي تقدر بهِ هذه الاشربة في الجمارك لا نكون قد زدنا بل قللنا ولذلك فسكان القطر المصري يدفعون نحو مليوني جنيه كل سنة ثمن الاشربة الروحية من خمر وبيرة وكنياك ووسكي وما اشبه وهم عشرة ملايين نفس فمتوسط ما يخص النفس الواحد في السنة عشرون غرشاً

ويأتي التبغ بعد المسكرات لانهُ من نوعها لذة وقتية يعقبها الضرر الدائم او لا تعقبها فائدة تذكر وقد دخل القطر المصري في العام الماضي نحو ستة ملايين ونصف مليون كيلو من التبغ وصدر منهُ نحو نصف مليون كيلو فاستعمل فيهِ ستة ملايين كيلو وهي تباع بالتفاريق باربعة ملايين جنيه او اقل قليلاً فمتوسط ما يخصّ كل نفس من سكان القطر اربعون غرشاً في السنة

وخلاصة ما تقدم ان سكان القطر المصري يدفعون كل سنة نحو مليوني جنيه ثمن المسكرات التي يشربونها ونحو اربعة ملايين جنيه ثمن التبغ الذي يدخنونهُ

نأتي الى ثمن الخبز الذي يأكلهُ سكان هذا القطر . وليس عندنا احصاء مدقق لهُ ولكن اذا كان ثمن حاصلات القطر ثلاثة واربعين مليوناً من الجنيهات وثمن القطن منها وبزرتهُ خمسة عشر مليوناً فالباقي وهو ٢٨ مليوناً هو ثمن الحنطة والذرة ونحوها مما يؤكل وثمن علف المواشي والفاكهة ولعلّ ثمن الحنطة والذرة لا يزيد على خمسة عشر مليوناً من الجنيهات وثمن بقية اصناف الطعام لا يزيد على عشرة ملايين وهذا ينطبق ما يقدرهُ السكان وهو اردب ونصف من الحنطة في السنة لكل نفس فسكان هذا القطر ينفقون في السنة على طعامهم خمسة وعشرين مليوناً من الجنيهات وعلى التبغ والاشربة الروحية ستة ملايين من الجنيهات الّا ان الطعام لازم لكل الناس ويشترك فيهِ الجميع واما التبغ والمسكرات فلا يستعملها الّا بعضهم فيخرج منهم اولاً الصغار كلهم من ابن اربع عشرة سنة فنازلاً وهم نحو ثلاثة اخماس السكان وثانياً النساء

كلهنَّ وكل الذين لا يشربون مسكرًا ولا يدخنون تبغًا . واذا قلنا ان عدد الذين يدخنون التبغ يبلغون مليوني نفس والذين يشربون المسكرات اكثرهم منهم لا من غيرهم لا نكون قد زدنا عددهم عمَّا هو عليهِ حقيقة ولذلك فالذين يدخنون التبغ ويشربون المسكرات لا يزيد عددهم على مليوني نفس ومتوسط ما ينفقهُ الواحد منهم في سنتهِ على التبغ والمسكرات ثلاث جنيهات وهو ينفق على طعامهِ الضروري لحياتهِ جنيهين ونصف جنيه لا غير كما تقدم وهذا على غرابتهِ امر واقعي لاجدال فيهِ

ثم ان بلادًا ينفق سكانها ستة ملايين من الجنيهات في السنة على بعض الملاذ يُنتَظر انهم ينفقون ما يقاربها على ما منهُ فائدة كبيرة او ما هو اساس عمرانهم وقوام كيانهم كالتعليم والتهذيب والكتب والجرائد

اما التعليم فغاية ما تنفق عليهِ الحكومة والتلامذة الذين يتعلمون في مدارسها نحو مئة وستين الف جنيه في السنة . وما ينفقهُ الاهالي على المدارس الاهلية من كل الانواع وما ينفقونهُ على اولادهم في المدارس الاجنبيَّة لا يزيد على مئة واربعين الف جنيه فجملة ما ينفق على التعليم في القطر المصري لا يزيد على ثلثمئة الف جنيه في السنة . واذا اضفنا الى ذلك ما ينفق على الكتب والجرائد لم يبلغ المجموع مليون جنيه اي ربع ما ينفق على التبغ وحدهُ ونصف ما ينفق على المسكرات فكان كل صاحب بيت في القطر المصري ينفق على التبغ والمسكرات ثلثمئة غرش في السنة وعلى تعليم اولادهِ خمسة عشر غرشًا لا غير على فرض ان اصحاب البيوت مليونان وفي كل بيت خمس انفس

وانظر كيف يُنفق دخل السكان في هذا القطر فان دخل الزراعة الآن يبلغ ثلاثة واربعين مليون جنيه في السنة ودخل الصناعة والتجارة والاستخدام نحو عشرين مليون جنيه في السنة فجملة دخل السكان نحو ثلاثة وستين مليون جنيه في السنة وهي تنفق هكذا بالتقريب

ثمن الطعام	٢٥	مليون جنيه
ثمن اللباس	٨	ملايين جنيه
ربا دين الحكومة والاهالي	٧	» »
نفقات الحكومة	٦	» »
ثمن التبغ	٤	» »
ثمن الفحم والخشب	٣	» »
ثمن المعادن والآلات المعدنية	٣	» »

ثمن المسكرات	٢	ملايين جنيه
ثمن السكر والشاي والبن	١	مليون جنيه
ثمن الحجارة والجير والرخام والخزف	١	« «
ثمن الاصباغ والمواد الكيماوية	١	« «
ثمن الورق والكتب واجرة التعليم	١	« «
ثمن مواد متفرقة	١	« «
والجملة	٦٣	مليون جنيه

فالذي يدخن التبغ ينفق عليهِ في السنة اكثر مما ينفق الفرد على طعامهِ واضعاف ما ينفق على لباسهِ والمدخنون وشاربو المسكرات ينفقون في السنة ستة اضعاف ما تنفق البلاد كلها على التعليم والتهذيب والكتب والجرائد والورق والحبر والاقلام وكل وسائل الارتقاء العقلي

وسكان هذا القطر غير منفردين في ذلك ولا هم ممتازون على غيرهم بهِ فان اهالي الولايات المتحدة الاميركية مثلاً ينفقون في السنة على التبغ ٩٦ مليون جنيه وهم ثمانون مليوناً اي ثمانية اضعاف اهالي القطر المصري فكل عشرة ملايين منهم ينفقون في سنتهم على التبغ اثني عشر مليون جنيه اي ثلاثة اضعاف ما ينفقهُ سكان القطر المصري . وينفقون على المسكرات نحو ٢٧٠ مليون جنيه فينفق كل ١٠ ملايين نفس منهم نحو ٣٤ مليون جنيه اي سبعة عشر ضعف ما ينفقهُ سكان القطر المصري لكن شتان بين دخل السكان هناك ودخلهم في هذا القطر فقد تقدم ان دخل العشرة الملايين سكان القطر المصري يبلغ ٦٣ مليون جنيه في السنة اما دخل سكان الولايات المتحدة فيبلغ ٣٦٠٠ مليون جنيه فدخل كل عشرة ملايين نفس منهم يبلغ في السنة ٤٥٠ مليون جنية او اكثر من سبعة اضعاف دخل السكان في القطر المصري وهم ينفقون على التعليم نحو خمسين مليون جنيه في السنة

وهاك جدولاً ابنّا فيهِ متوسط دخل الشخص الواحد من سكان الولايات المتحدة ومن سكان القطر المصري ومتوسط ما ينفقهُ كلٌّ منهما على التبغ والتعليم

	متوسط دخلهِ	نفقاتهُ على التبغ	نفقاتهُ على التعليم
الاميركي	٤٥٠٠ غرش	١٢٠ غرشاً	٦٢ غرشاً
المصري	٠٥٣٠ غرشاً	٤٠ «	٣ غروش

فمتوسط دخل المصري سُبع متوسط دخل الاميركي ولكنهُ ينفق على التعليم نصف عشر ما ينفقهُ الاميركي وعلى التبغ ثلث ما ينفقهُ الاميركي. والاميركي ينفق على التبغ اقل من مضاعف

ما ينفقهُ علي التعليم واما المصري فينفق على التبغ اكثر من ثلاثة عشر ضعف ما ينفقهُ على التعليم

وهذه المقابلة بيننا وبين سكان الولايات المتحدة الاميركية تصلح ان تكون بيننا وبين سكان انكلترا وفرنسا والمانيا وايطاليا وغيرها من الممالك المرتقية فان الدخل فيها كلها اكثر كثيرًا منهُ في هذا القطر وكذلك ما ينفق علي التعليم واما ماينفق على التبغ والمسكرات فقليل جدًّا بالنسبة الى الدخل

مكاتب المسلمين

«تابع ما قبلهُ»

وهاك ما ذكرهُ ابن نديم عن مجموع آخر من الكتب وهو حقيق بالنظر والاعتبار

"قال محمد بن اسحق كان بمدينة الحديثة (مما يلي الموصل) رجل يقال لهُ محمد بن الحسين ويعرف بابن ابي بعرة جمَّاعة للكتب لهُ خزانة لم أرَ لاحد مثلها كثرة تحتوي على قطعة من الكتب العربيَّة في النحو واللغة والادب والكتب القديمة . فلقيت هذا الرجل دفعات فأنس بي وكان نفورًا ضنينًا بما عندهُ خائفًا من بني حمدان فاخرج لي قمطرًا كبيرًا فيهِ نحو ثلثمائة رطل جلود فلجان وصكاك وقرطاس مصري وورق صيني وورق تهامي وجلود أَدَم وورق خراساني فيها تعليقات عن العرب وقصائد مفردات من اشعارهم وشيء من النحو والحكايات والاخبار والاسماء والانساب وغير ذلك من علوم العرب وغيرهم . وذكر ان رجلاً من اهل الكوفة ذهب عني اسمهُ كان مشتهرًا بجمع الخطوط القديمة وانهُ لمَّا حضرتهُ الوفاة خصهُ بذلك لصداقة كانت بينهما وافضال من محمد بن الحسين عليهِ ومجانسة المذهب فانهُ كان شيعيًّا . فرأيتها وقلبتها فرأيت عجبًا الاَّ ان الزمان قد اخلقها وعمل فيها عملاً ادرسها واحرقها وكان على كل جزء او ورقة او مدرج توقيع بخطوط العلماء واحدًا اثر واحد فذكر فيهِ خط مَن هو وتحت كل توقيع آخر خمسة وستة من شهادات العلماء على خطوط بعض لبعض . ورأيت في جملتها مصحفًا بخط خالد بن ابي الهياج صاحب علي رضي الله عنهُ . ثم وصل هذا المصحف الى عبد الله بن حسان رحمهُ الله ورأيت فيها بخطوط الامامين الحسن والحسين . ورأيت عندهُ امانات وعهودًا بخط امير المؤمنين عليهِ السلام وبخط غيرهِ من كتَّاب النبي صلم ومن خط العلماء في النحو واللغة مثل ابي عمرو اسحق بن العلاء وابي عمرو الشيباني والاصمعي وابن الاعرابي وسيبويه والفراء والكسائي ومن خطوط اصحاب الحديث مثل سفيان بن عينية وسفيان الثوري والاوزاعي وغيرهم

ورأيت ما يدل على ان النحو عن ابي الاسود ما هذه حكايتهُ وهي اربعة اوراق احسبها من ورق الصين ترجمتها هذه فيها كلام في الفاعل والمفعول من ابي الاسود رحمة الله عليهِ بخط يحيى بن يعمر وتحت هذا الخط بخط عتيق هذا خط علان النحوي وتحتهُ هذا خط النضر بن شميل . ثم لما مات هذا الرجل فقدنا القمطر وما كان فيهِ فما سمعنا لهُ خبرًا ولا رأيت منهُ غير المصحف هذا على كثرة بحثي عنهُ

[المقتطف . ذكر ما تقدم ابو الفرج محمد بن اسحق الوراق البغدادي المعرف بابن اسحق النديم في كتاب الفهرست الذي ألَّفهُ سنة ٣٧٧ للهجرة]

وذكر ياقوت الرحالة المشهور انهُ رأى في مرو اكثر من اثني عشر خزانة للكتب وهناك جمع اكثر ما ذكرهُ في معجم البلدان وكان اصحاب الكتب لا يضنون عليهِ بكتاب يستعيرهُ منهم وكثيرًا ما كان يبقي عندهُ مئتين من الكتب المستعارة

وقد اشرت قبلاً الى خزائن الكتب التي جمعها الحكم في الاندلس واقول الآن انهُ لم يفقها الاَّ خزائن الكتب التي جمعها الخلفاء الفاطميون في القاهرة . وقد اختلف المؤرخون في عدد ما كان فيها من الكتب وهي مئة الف مجلد على اقل تقدير وكان فيها كرتان الواحدة قديمة جدًّا والثانية صنعها ابو الحسن لاسد الدولة

وسنة ٣٩٥ انشأ الخليفة الحاكم دار العلم المسماة ايضاً دار الحكمة وجمع اليها اعظم علماء العصر في كل فن وقطع لهم ٢٥٧٠ دينارًا في السنة نفقة

ثم تفرق الجانب الاكبر من هذه الكتب ايدي سبا وصارت تعطى للناس بدل رواتبهم

[المقتطف. وقد اشار الكاتب بذلك الى ما ذكرهُ المقريزي في خططهِ فرأينا ان ننقل كلام المقريزي برمتهِ اتماماً للفائدة قال نقلاً عن المسيحي " انهُ ذكر عند العزيز بالله كتاب العين للخليل بن احمد فامر خزَّان دفاترهِ فاخرجوا من خزانتهِ نيفاً وثلاثين نسخةً من كتاب العين منها نسخة بخط الخليل بن احمد . وحمل اليهِ رجل نسخة من كتاب تاريخ الطبري اشتراها بمئة دينار فامر العزيز الخزَّان فاخرجوا من الخزانة ما ينيف على عشرين نسخة من تاريخ الطبري منها نسخة بخطهِ. وذكر عندهُ كتاب الجمهرة لابن دريد فاخرج من الخزانة مئة نسخة منها . وقال في كتاب الذخائر عدة الخزائن التي برسم الكتب في سائر العلوم بالقصر اربعون خزانة من جملتها ثمانية عشر الف كتاب من العلوم القديمة قال وكنت بمصر في العشر الاول من محرَّم سنة ٤٦١ فرأيت فيها خمسة وعشرين جملاً موقرة كتباً محمولة الى دار الوزير ابي الفرج محمد بن جعفر المغربي فسألت عنها فعرفت ان الوزير اخذها من خزائن القصر هو والخطير

ابن الموفق في الدين بايجاب وجبت لها عمّا يستحقانهِ وغلمانهما من ديوان الحسبيين وان حصة الوزير منهما قوّمت عليهِ من جاري مماليكهِ وغلمانهِ بخمسة آلاف دينار. وذكر لي من لهُ خبرة بالكتب انها تبلغ اكثر من مئة الف دينار . ونُهب جميعها من دارهِ يوم انهزم ناصر الدولة بن حمدان من مصر في صفر من السنة المذكورة مع غيرها ممَّا نُهب من دور من سار معهُ. هذا سوى ما كان في خزائن دار العلم بالقاهرة وسوى ما صار الى عماد الدولة ابي الفضل بن المحترق بالاسكندرية ثم انتقل بعد مقتلهِ الى المغرب وسوى ما ظفرت بهِ لواتة محمولاً مع ما صار اليهِ بالابتياع والغصب في بحر النيل الى الاسكندرية في سنة احدى وستين واربعمائة وما بعدها من الكتب الجليلة المقدار المعدومة المثل في سائر الامصار صحة وحسن خط وتجليد وغرابة التي اخذ جلودها عبيدهم واماؤهم برسم عمل ما يلبسونهُ في ارجلهم واحرق ورقها تفاؤُلاً منهم انها خرجت من قصر السلطان اعز الله انصارهُ وان فيها كلام المشارقة الذي يخالف مذهبهم سوى ما غرق وتلف وحمل الى سائر الاقطار وبقي منها ما لم يحرق وسفت عليهِ الرياح التراب فصار تلالاً باقية الى اليوم في نواحي آثار تعرف بتلال الكتب . وقال ابن الطوير خزانة الكتب كانت في احد مجالس المارستان اليوم يعني المارستان العتيق فيجيء الخليفة راكبًا ويترجَّل على الدكة المنصوبة ويجلس عليها ويحضر اليهِ من يتولاها وكان في ذلك الوقت الجليس بن عبد القوي فيحضر اليهِ المصاحف بالخطوط المنسوبة وغير ذلك مما يقترحهُ من الكتب فان عنَّ لهُ أَخذ شيءٍ منها اخذهُ ثم يعيدهُ وتحتوي هذه الخزانة على عدة رفوف في دور ذلك المجلس العظيم والرفوف مقطعة بحواجز وعلى كل حاجز باب مقفل بمفصلات وقفل وفيها من اصناف الكتب ما يزيد على مائتي الف كتاب من المجلدات ويسير من المجردات. فمنها الفقه على سائر المذاهب والنحو واللغة وكتب الحديث والتواريخ وسير الملوك والنجامة والروحانيات والكيمياء من كل صنف النسخ ومنها النواقص التي ما تمت كل ذلك بورقة مترجمة ملصقة على باب كل خزانة وما فيها من المصاحف الكريمة في مكان فوقها وفيها من الدروج بخط ابن مقلة ونظائرهِ كابن البوَّاب وغيرهِ وتولى بيعها ابن صورة في ايام الملك الناصر صلاح الدين . فاذا اراد الخليفة الانفصال مشى فيها مشية لنظرها . وفيها ناسخان وفرَّاشان صاحب المرتبة وآخر فيعطي الشاهد عشرين دينارًا ويخرج الى غيرها . وقال ابن ابي طي بعد ما ذكر استيلاء صلاح الدين على القصر ومن جملة ما باعوهُ خزانة الكتب وكانت من عجائب الدنيا ويقال انهُ لم يكن في جميع بلاد الاسلام دار كتب اعظم من التي كانت بالقاهرة في القصر ومن عجائبها انهُ كان فيها الف ومائتا نسخة من تاريخ الطبري الى غير ذلك ويقال انها كانت تشتمل على الف وستمائة الف كتاب

ومن الخطوط المنسوبة اشياء كثيرة انتهى. ومما يؤيد ذلك ان القاضي الفاضل عبد الرحيم ابن علي لما انشأ المدرسة الفاضلية بالقاهرة جعل فيها من كتب القصر مائة الف كتاب مجلد . وباع ابن صورة دلال الكتب منها جملة في مدة اعوام فلو كانت كلها مائة الف لما فضل عن القاضي الفاضل منها شيء . وذكر ابن ابي واصل ان خزانة الكتب كانت تزيد على مائة وعشرين الف مجلد " انتهى ما ذكرهُ المقريزي]

وذكر المقريزي وابو المحاسن والنويري ان من جملة ما وجد في دار امين الدولة ابي يحيى السامري كتب ثمينة يبلغ عددها مئة الف مجلد وبعضها من خط اشهر النسّاخ . ولمّا توفي الامام نور الدين علي ابن جابر في القاهرة سنة ٧٢٥ وُجد في خزانة كتبهِ ٦٠٠٠ مجلد

والظاهر ان جانباً كبيرًا من الكتب التي كانت في القاهرة حُمل الى الشام فوضع بعضهُ في طرابلس وحرقهُ الصليبيون لمّا فتحوها سنة ٥٠٢ للهجرة على ما قالهُ مؤرخو العرب والبعض الآخر وُضع في المدرسة الناصرية بدمشق التي بناها الملك الناصر يوسف الايوبي . وذكر النويري ان الملك الناصر بعث من جملة هدية الى الخليفة في بغداد ثلثمئة مجلد بديعة النسخ

وقال ابن خلدون ان الوزير ابا الحسن علي بن يوسف القفطي جمع من الكتب ما لا يوصف قُصد بها من الآفاق وكان لا يحب من الدنيا سواها واوصى بكتبهِ للناصر صاحب حلب وكانت تساوي خمسين الف دينار[1]

وقال احمد العسقلاني المؤرخ عن محمد بن يعقوب الفيروزبادي مؤلف القاموس انهُ لم يكن يسافر الاَّ ومعهُ احمال كثيرة من الكتب . ومن الغريب ان افريقية لم تكن دون غيرها من ممالك الاسلام في الكتب والمكاتب فقد قال مؤرخ من اهالي القيروان ان قاضيها واسمهُ ابو الفضل احمد جمع كتباً بيعت بعد وفاتهِ بالف دينار . ولما استولى الافرنج على سبتة سنة ٨١٧ للهجرة حملوا منها كل ما وجدوهُ فيها حتى كتب العلم وكانت كثيرة

ومما يذكر بالاسف ان مؤرخي العرب لم يذكروا تاريخ المكاتب العربيَّة وكل ما ذكروهُ عنها جاء عَرَضاً في كلامهم على غيرها . وقد ذهبت هذه المكاتب ايدي سبا ولا سبيل لجمع شملها الآن فان الفتن السياسية والحروب الاهلية والخصومات الدينية كل ذلك قلّص ظلَّ العمران وابعد العلم والعرفان عن معالم الاسلام . ولولا المغول الذين فاجأوا ممالك المسلمين كالسيل العرم واستباحوا محارمها وقوّضوا معالمها لبقيت من كنوزها العلمية بقية تذكر الى اليوم فانهم لما فتحوا بخارى وسمرقند غالوا في التخريب والتدمير فحرق ابن هولاكو مدرسة مسعود

(١) (المقتطف) نقلنا ذلك عن ترجمتهِ في فوات الوفيات

بك في بخارى سنة ٦٧١ وكانت من اوسع دور العلم في ذلك العصر فالتهمت النار كتبها الكثيرة . ولما فتح هولاكو مدينة حماه باع كتبها بابخس الاثمان. واثبت ابن بطوطة ان التتار قتلوا في العراق اربعة وعشرين الفاً من العلماء ولم ينجُ منهم الاَّ اثنان

ولا بدَّ لي قبل ختم هذه المقالة من ان اشير الى حالة العلم في الهند فاقول : ان المغول عادوا الى تعضيد العلم بعد ان تمهَّدت لهم الامصار ولو لم يبلغوا في ذلك شأو العرب في بغداد والقاهرة وقرطبة . فابناء جنكيز خان وتيمور لنك اعتنقوا الاسلام ورفعوا منزلة علمائهِ وتحت لوائهم نشأ نصير الدين الطوسي وقطب الدين الشيرازي وسعد الدين التفتزاني وغيرهم من المشاهير . وكان لدولة المغول في الهند اليد البيضاء في تعضيد العلوم والفنون . كان السلطان شاه جهان كثير المطالعة مغرماً بالكتب واقتفى عادل شاه وقطب شاه صاحبا دكان خطى سلاطين المغول من حيث الاهتمام بالعلم وتقريب العلماء فنشأت مكاتب كثيرة في بلاد الهند ولكن لم يبقَ منها اثر بعد الفتنة لانها حُرقت او اخذت كتبها منها والقليل الذي بقي من كتب الهند بيع بثمن بخس . وليس في بلاد الهند الآن مكتبة عربية تقابَل بمكاتب القاهرة او المدينة او القسطنطينية

وعسى ان لا أُنسَب الى التباهي اذا اشرت الى المكتبة التي وهبتها لمدينة بطنا لان غرضي من ذكرها انما هو تنبيه المستشرقين اليها. وهذه المكتبة في كنف الحكومة الآن وهي تعتني بحفظها شديد الاعتناء ولكنها تبقى دون المراد حتى تضاف اليها مطبعة تطبع ما فيها من الكتب النادرة المثال وتنشرها على الملا . وقد كان المرحوم والدي شديد الغرام بالكتب وانفق على جمعها واستنساخها اكثر دخلهِ فبلغ عددها حين وفاتهِ ١٤٠٠ مجلد . ولما حضرتهُ الوفاة اوصاني بها وامرني ان اجعلها مكتبة عمومية حالما استطيع ذلك وقد ورثت منهُ محبة جمع الكتب وجمعت كثيراً منها بعد وفاتهِ وفتحتها للجمهور سنة ١٨٩١ وكان فيها حينئذٍ سبعة آلاف مجلد من كتب الخط . وعدد كتب الخط فيها الآن ثمانية آلاف وفيها ايضاً نخبة كبيرة من الكتب الانكليزية العلمية والادبية

وفي هذه المكتبة كثير من كتب مشاهير المستشرقين مثل ده ساسي والسرغور اوزلي والمستر بلتشمان من مدرسة كلكتا وعلى بعضها حواشٍ بخطهم

اشرت سابقاً الى ما حلَّ بالكتب العربية في زمن الفتن السياسية والحروب الصليبية ولذلك قلَّت الكتب التي أُلفت بين القرن الثاني والسابع للهجرة وما يوجد من الكتب العربية الآن مؤلَّف اكثرهُ بين اواسط القرن السابع واواخر القرن الحادي عشر للهجرة . ولكنني توفقت الى جمع كتب قديمة في الفلك والجراحة والطب والفلسفة والتعاليم واكثرها مخطوط باقلام اناس

من المشاهير . وقد وصفت هذه الكتب بالاسهاب في المجلد الاول من الفهرست الذي طبعتهُ. من ذلك كتاب خط للزهراوي في الجراحة تاريخهُ سنة ٥٨٤ للهجرة وفيهِ صور الآلات الجراحية مصورة بالاتقان التام ويستدل منها على ان بعضها كان مثل الآلات الجراحية التي يظن انها اخترعت منذ عهد قريب . ومنها كتاب ديوسقوريدس في النباتات الطبية الذي ترجمهُ العرب في زمن هرون الرشيد . والنسخة التي عندي هي نفس النسخة التي وضعها جلال الدين شروان شاه في صيدلية شيراز منذ ستمائة سنة . وفي المكتبة كتب كثيرة ألّفها علماء العرب في هذا الموضوع بانين اياها على كتاب ديوسقوريدس . وفيها ايضاً كتاب قديم جداً من كتب ثابت بن قرة وشيء من كتب نصير الدين الفارابي وعبد الرحيم البيروني . وقال لي احد مشاهير المستشرقين ان النسخة التي عندنا من شرح المعلقات للنحاس اصح من النسخ التي في مكاتب اوربا . وفيها كتب كثيرة من كتب سلاطين دهلي واكثر من اربع مئة ديوان من دواوين الشعر وبعضها مكتوب بخط بديع مذهب

وفيها كثير من كتب الدين كالحديث والفقه والاصول والتفسير وعليها تواقيع كثيرين من مشاهير المؤلفين كالسبكي والذهبي وابن حجر . وتاريخ الهند كتبهُ كثيرون من الكتاب المسلمين وترجمات سلاطين المغول

هذه الكتب نادرة المثال واذا لم تبذل العناية بحفظها فقدت في نصف قرن وعلى المتولين امر هذه المكتبة الآن ان يهتموا بتنقيح هذه الكتب وطبعها . وعسى ان تهتم حكومة الهند بطبع كتب الادب والتاريخ المهمة ونشرها بدلاً من تركها مدفونة في زوايا المكاتب فانها اذا فعلت ذلك افادت الجمهور باذاعتها كتباً يود الكثيرون الوقوف عليها

واذا التفتنا الى ما يحيق الآن بالمسلمين من ليل الجهل الدامس رأينا تاريخ المعارف التي كان لهم فيها القدح المعلّى رواية بديعة لا يكاد يرجى عوْدها. ولكن على المرء ان يطرق باب الامل . فلنرجُ ان فجر المعارف قد دنا والامل بحسن المآل ليس بعيدًا وان المسلمين الذين استيقظوا الآن من سباتهم ورأوا ان لابدَّ لهم من مجاراة الامم التي سبقتهم في العمران سيحرزون قصب السبق في العلم والعمل

(المقتطف . لقد تمكنّا من رد بعض ما اقتبسهُ الكاتب الى اصلهِ العربي ولم نتمكن من رد البعض الآخر واضطررنا ان نتصرَّف قليلاً في بعض ما ذكرهُ مراعاة للفرق بين اللغتين)



قد رأينا بعد الاختبار وجوب فتح هذا الباب ففتحناهُ ترغيباً في المعارف وانهاضاً للهمم وتشحيذاً للاذهان. ولكنّ العهدة في ما يدرج فيهِ على اصحابهِ فنحن براء منهُ كلهِ. ولا ندرج ما خرج عن موضوع المقتطف ونراعي في الادراج وعدمهِ ما يأتي: (١) المناظر والنظير مشتقّان من اصل واحد فمناظرك نظيرك (٢) انما الغرض من المناظرة التوصل الى الحقائق. فاذا كان كاشف اغلاط غيرهِ عظيماً كان المعترف باغلاطهِ اعظم (٣) خير الكلام ما قلّ ودلّ. فالمقالات الوافية مع الايجاز تستختار على المطوّلة

الانذار بثوران البراكين

حضرات استاذيَّ الفاضلين منشئي المقتطف الاغر

ان فاجعة المارتنيك المؤثرة جعلتني افتكر كثيراً في هل كان ممكناً ان يدرأ بعض ذلك الخطب المؤلم بمعرفة انفجار بركان يلي قبل حدوثهِ بايام ريثما يهرب السكان المجاورون فيسلمون من شرّهِ فنتيجة افتكاري جعلتني اعتقد بان ذلك ممكن وها انا اعرض لديكم سبب اعتقادي هذا لكي تنشروهُ في المقتطف لعلهُ لا يخلو من فائدة

ان من تأمل في اسباب الزلازل وكيفية حركتها مع كيفية وقوف تلك الحركة يمكنهُ ان يستنتج ان ثوران البراكين العظيم لا يكون الاَّ نتيجة الزلازل ويمكنهُ ان يعرف ايَّ الزلازل يعقبها هذا الثوران فينذر بهِ قبل حدوثهِ بايام ولا يضاح ذلك اقول

الشائع عن العلماء المحققين ان باطن الارض جامد وان يكن صائراً الى درجة تجعلهُ سائلاً ولكن هذا الجمود حاصل من ضغط قشرة الارض الباردة على ذلك الباطن السائل فعلى فرض صحة قولهم يكون جمودهُ حاصلاً فعلاً على انهُ هو سائل حكماً. ولو فرضنا ان باطن الارض جامد ابداً فلا يمكننا ان نتصور ان قشرة الارض تتحرك عليهِ اذ يكون اساسها صخراً فلا تتزلزل ولكن اذا فرضنا انهُ سائل فقد تتحرك قطعةٌ منها على وجههِ كما تتحرك سفينةٌ على الماء. ثم ان جمود باطن الارض حاصل من شدة ضغط ثقل القشرة الباردة عليهِ فلو فرضنا ان ذلك الضغط خفَّ عما هو عليهِ الى حدٍ تحول باطن الارض حالاً الى سائل فعلاً

تعليل الزلازل — ان باطن الارض آخذ بالتبرُّد بسبب الاشعاع وبالاكثر بسبب التنفس من البراكين وبالنتيجة هو آخذ بالتقلص فلو فرضنا ان قطعة من قشرة الارض مساحتها

عشرة آلاف ميل مربع حاوية بركانًا او براكين عاملة فبمئات او بعشرات من السنين تنقص حرارة القسم الذي تحتها من باطن الارض بسبب التنفس نقصاً يؤثر في حجمهِ فيصغر عما كان ونقل إذ ذاك مقاومتهُ لقشرة الارض فينقص ضغطها عليهِ فيسيل. وكان من الضروري ان تتدرج تلك القطعة من القشرة في الهبوط تدرُّج ما تحتها بالتبرُّد والتقلص بحيث يبقى ثقلها وقوة مقاومتهِ لها متساويين تماماً ولكن بما انها ممسكة من محيطها بالتحامها بما يجاورها من اجزاء القشرة فلا تهبط الاَّ اذا اصبح الفرق بين ثقلها ومقاومة ما تحتها كافياً لكسر ملتحمها وفصلها عما حولها فتهبط اذ ذاك وتترجج على وجه السائل الذي تحتها وهذا الترجج هو الزلزلة

تعليل تنوع حركة الزلازل — فاذا تمَّ انفصالها من كل محيطها دفعةً واحدةً هبطت كلها باتفاق جميع اجزائها في الهبوط معاً في وقت واحد وبقوة الاستمرار مع قوة مقاومة السائل لها تصعد وتهبط عدة مرات مترججة كترجج كرة خشبية وضعت على وجه الماء واخيرًا تقف وهذه هي الزلزلة ذات الحركة العمودية . ولكن اذا انفصل احد جوانبها اولاً ثم تلا ذلك انفصال الجانبين المواليين لهُ ثم انفصال الجانب المقابل هبط اولاً الجانب الذي انفصل اولاً ثم صعد وهبط الجانب المقابل لهُ ثم صعد هذا وهبط ذاك وهكذا تتكرر هذه الحركة الميزانية الى ان تقف وهذه هي الزلزلة ذات الحركة الموجية الافقية. او اذا ابتدأ الانفصال من نقطة في محيط القطعة المذكورة وتقدم في محيطها الى جهة واحدة حتى ينتهي حيث ابتدأ فيسير الهبوط تابعاً لهُ جاريًا وراءهُ في دائرة ويتلوهذا الارتفاع جاريًا في ذات الدائرة وهذه هي الزلزلة ذات الحركة الرحوية

ما ذا ينتج عن كل من انواع الزلازل الثلاث :— ان النوع الثاني من الزلازل افعلها في تقويض المنازل ودكِّ الرواسي فاذا تصوَّر القارئ حركتها الغربالية يفهم جيدًا كيف تنسف الابنية. ويتلوها في كثرة التدمير النوع الثالث اي ذات الحركة الرحوية واما النوع الاول فقلما يهدم الابنية ولكن هو الذي يعقبهُ ثوران البراكين الجهنمي مثل ثوران بيلي ويزوف او يصحبهُ الانفجار الهائل مثل انفجار كركاتوى الذي اشرتم اليهِ في الصفحة ٥٧٥ من مقتطف هذه السنة

التعليل— ان القطعة المتزلزلة بحركة عمودية اما ان تستقر على الحد الذي يتوازن عندهُ ثقلها ومقاومة الباطن لها او تستقر على اعلى منهُ قليلاً وفي هاتين الحالتين لا يعقب الزلزلة ثوران بركاني لان باطن الارض يكون حينئذٍ غير منضغط ولا تقف على احدى هاتين الحالتين الاَّ اذا انتهت الزلزلة بانتهاء الحركة الصاعدة . واما ان تستقرَّ على اوطأ من حدِّ التوازن المذكور بقليل وذلك لا يحدث الاَّ اذا وقفت الزلزلة عند انتهاء الحركة النازلة وذلك لان تجاوزها ذلك

الحد الى الاسفل بقوة الاستمرار اذ يكون قليلاً واذ تندفع المواد السائلة في ثلم الانفصال على محيط القطعة بسبب انضغاطها فتبرد تلك المواد حالاً لملامستها الاجزاء الباردة وتجمد فتلحم بها القطعة الهابطة بالاجزاء الثابتة من قشرة الارض المحيطة بها واذ يكون تغلُّب قوة دفع الباطن على ثقل القطعة الهابطة قليلاً فلا يكفي لفصل ذلك اللحام فتقف حركة الزلزلة وباطن الارض منضغط بزيادة فتندفع موادهُ من افواه البراكين لكنها لا تظهر من فم البركان حالاً بعد الزلزلة بل تتأخر بعض ايام وذلك بسبب برودة قصبة البركان فانها تجمّد السائل حال مروره في اسفلها فيسدها ثم يعود فيسيل بسبب حرارة السائل الذي يزاحمهُ من الاسفل فيصعد مسافة أخرى ثم يجمد ايضاً وهكذا يتكرر الجمود فالسيولة في مقدمة المواد المندفعة في قصبة البركان الى ان تصل الى فيهِ مصحوبةً باصوات الزفير البركاني ومتى حميت القصبة كلها تدفقت المواد ووصلت الاراضي المجاورة . فبين حدوث الزلزلة وانبثاق مقذوفات البركان لا بدَّ من مدة تختلف طولاً باختلاف حالة قصبة ذلك البركان كما حدث في ثوران بيلي وسوفرير فانهُ وان كان تحديدها غير ممكن لكنها يغلب ان تكون اياماً كافية لهرب الناس المجاورين

اما سبب انفجار جزيرة كراكاتوى فهو زلزلة عظيمة من النوع الاول اي من ذات الحركة العمودية وكانت خطراتها طويلة المدى اي كانت تعلو كثيرًا وتهبط كثيرًا وفي احدى حركاتها النازلة اذ تجاوزت القطعة المتزلزلة حد الثوران بزيادة الى الاسفل بقوة الاستمرار ضغطت على سوائل باطن الارض بشدةٍ عظيمة وهذه السوائل ضغطت على الوجه السفلي لقشرة الارض الثابتة المجاورة للقطعة المتزلزلة واذ كان ثلثا الجزيرة الذي انقلب غير مشترك بالزلزلة وكان متصدعاً من قوة الارتجاج فسهل انفصالهُ عمَّا حولهُ فانفصل بقوة دفع السائل لهُ من الاسفل وطار في الجو

الانذار — فبناء على ما تقدم يمكن الانذار بهيجان البراكين قبل حدوثهِ بايام اي بحال وقوف الزلزلة التي تكون سبباً لهُ وذلك بان يكون في مجاورة البراكين مراصد للزلازل تحتوي على آلات تدل بدقة على حدوث الزلازل وعلى نوع حركتها وعلى جهة الحركة الاخيرة اذا كانت الزلزلة من النوع الاول وهذا هو الاهم وعلى مقدار انخفاض الارض الذي ينتج عن الزلزلة فاذا حدثت زلزلة حينئذٍ وعلم انها وقفت على الحركة النازلة فانذر بثوران بركاني عقبها . ومما يؤكد ذلك تحقيق انخفاض الارض بالزلزلة ويزيد التأكيد تأكيداً سمع اصوات الزئير كما سمع قبل ثوران بيلي

الدكتور
ابرهيم الصليبي
نابلس

الوهابية

من صالح بن دخيل بن جاد الله النجدي الى جناب منشئي المقتطف سلام على من اتبع الهدى وجانب طرق الغي والردى . وموجب تحريرهِ اني وقفت على ما جاء في مقتطفكم في المجلد السابع والعشرين في الجزء الثالث ١٩٠٢ عن مقالة القس الدكتور زويمر التي تليت في جمعية فيكتوريا الفلسفية في اصل الوهابية وتاريخهم وعقائدهم واضطرابهِ في ذلك فاحببت ان انبه على مقالتهِ . فاما اصل الوهابية فنسبتهم لوالد صاحب الدعوة النجدية العلامة الشيخ محمد بن عبد الوهاب لقبهُ واتباعهُ بذلك بعض معاصريهِ بغياً وحسداً ليعمي على الجهال انهم مبتدعة ضالون ليستوحش السالك على اثرهم ويأبى الله الاَّ ان يتم نورهُ ولو كره المشركون . وتركوا نسبتهم لاسم الشيخ نفسهِ حيث يكونون محمدية فيحصل لهم نوع تشريف لمشاركة اسم النبي محمد صلى الله عليهِ وآلهِ وصحبهِ

وقد ولد الشيخ محمد سنة ١١١٥ هجرية ودخل البصرة والشام والحجاز واخذ عن مشايخها واجازوهُ ثم رجع الى نجد واظهر دعوتهُ وكان قبل ذلك قد عرض كتاب التوحيد وكشف الشبهات على جملة من مشايخهِ فوافقوهُ الاَّ انهم لا طاقة لهم بالدعوة حيث تحتاج الى كلفة . وهذه الدعوة مشتملة على توحيد الله واسمائهِ وصفاتهِ . فاهل الفرقة الناجية ومن تبعهم مثل الشيخ واتباعهِ يثبتون لله ذاتاً لا تشبه الذوات وصفات لا تشبه الصفات من غير تكييف ولا تمثيل ولا تشبيه ولا تعطيل مشتملة على توحيد الالهية والعبادة . وقد حصلت الخصومة بينهُ وبين معاصريهِ من المنتسبين للعلم في هذا القسم عناداً وحسداً فرموهُ بالافك والبهتان ونسبوا لهُ اشياء ما عندهم من الله فيها برهان. وهذا النوع المذكور هو إفراد الله وحدهُ بانواع العبادة قولاً وفعلاً وذلك مثل الدعاء والذبح والاستعانة والاستغاثة والخوف والرجاء والذل والرهبة والانابة والخشوع والرغبة والخشية والتوكل وغير ذلك كلهُ لله وحدهُ . ومن ذلك الشفاعة لا تطلب الاَّ من الله ولا تكون الاَّ باذنهِ ولا يأذن الاَّ لمن رضي قولهُ وعملهُ ولا يرضى من ذلك الاَّ بما امر بشرعهِ لا بالاهواء والبدع ولا يرضى الاَّ ما كان خالصاً لله وحدهُ صواباً وهو ما شرعهُ على لسان رسولهِ . وادلة ذلك مبسوطة مقررة في كتاب الله وسنة نبيهِ صلى الله عليهِ وعلى جميع الانبياء والمرسلين وآل كلٍّ وصحبهِ اجمعين

وقولهُ يسمي اصحابها انفسهم اهل الحديث الى آخرهِ فكلٌّ يدعي انهُ من اهل الفرقة الناجية المذكورة في الحديث الآتي ذكرهُ ولكن ذلك لهُ ميزان وهو الاتباع وترك الابتداع .

قال الله تعالى قل ان كنتم تحبون الله فاتبعوني يحببكم الله الآية. وقال قل يا ايها الناس اني رسول الله اليكم جميعاً الى ان قال فآمنوا بالله وكلماته واتبعوهُ لعلكم تهتدون . وقال ما اتاكم الرسول فخذوهُ وما نهاكم عنهُ فانتهوا . وقال صلى الله عليهِ وسلم افترقت اليهود على احدى وسبعين فرقة وافترقت النصارى على ثنتين وسبعين فرقة وستفترق هذه الامة على ثلاث وسبعين فرقة كلها في النار الاَّ فرقة واحدة قالوا وما هي قال ما انا عليهِ اليوم واصحابي . وقال عليكم بسنتي وسنة الخلفاء الى آخر الحديث

وقولهُ انهُ لقي واحداً الى آخرهِ . فمن المعلوم ان اهل نجد وهابية حنابلة المذهب فامامهم الامام احمد وكذلك كل ما ينتسب الى السنة ينتسب الى الامام احمد فهو امام اهل السنة على الاطلاق . وقولهُ وهذا شأن الامام عبد الله ابن ابي بكر بن قيم الجوزية فانهُ يقول انهُ حنبلي ولا يقول انهُ وهابي فهذا وهم منهُ لعدم وقوفهِ على تاريخهم ومذهبهم فان ابن القيم وجد في القرن السابع وتوفي في الثامن وابن عبد الوهاب وجد في الثاني عشر ولما كان كل من امر بسنة ونهى عن بدعة يسمي وهابياً دخل عليهِ هذا الوهم من هذا الوجه لان ابن القيم وشيخهُ ابن تيمية كثيراً ما كانا ينتصران لاقامة السنة وترك البدعة فظن ان من كان كذلك فهو وهابي تقدم او تأخر .ومن هذا اضطرب الناس في الوهابية اضطراباً شديداً لعدم تحقيق احوالهم فالناس فيهم ما بين قادح ومادح فمنهم من جعلهم كالروافض والخوارج والبابية والحق انهم متبعون للسنة لا غالون ولا جافون حتى اني اجتمعت بكثير من مثل هؤُلاء بالشام ومصر والعراق سنة ١٣١٨ وبينت مأخذهم ومعتقدهم ومذاهبهم فاذعنوا لذلك ووافقوا عليهِ وقالوا انهُ الحق وطلبوا كتاباً يطبع من تآليفهم يزيل ما لبس على كثير منهم فان بعض السياح يجهل حقيقة حالهم .ولا عبرة يبعض العوام الجهال فانهُ قد يفرط منهم بعض افراط فيجعلهُ الخصم حجة لهُ فان الحق لا يخفى على المنصف . فطبعت في اواخر رجب سنة ١٣١٩ كتاب توضيح توحيد الخلاق في جواب اهل العراق وتذكرة اولي الالباب في طريقة الشيخ محمد بن عبد الوهاب فانتشر في الآفاق وتلقاهُ اهل الانصاف بالقبول والوفاق لانهُ كتاب وحيد في فنهِ يحتاج اليهِ المبتدي ولا يستغني عنهُ المنتهي وحقيق ان تشد اليهِ الرواحل وتقطع دون الوصول اليهِ المنازل ولم اكن اطلعت على مقالة هذا القس في مصر ولكن قبل هذه الايام ببغداد تحررت الى وكيلنا البابي الحلبي بمصر ان يدفع اليكم نسخة منهُ كي تقفوا على الحقيقة وتحرروا في مقتطفكم ما ترون من ذلك لان مقتطفكم هو الخطيب شرقاً وغرباً حيث لا يحكي الاَّ ما صحَّ لديهِ

[المقتطف] نشرنا هذه الرسالة قياماً بالواجب ولكننا نعتذر الى حضرة الكاتب الفاضل

عن ابداء رأينا في مسألة ليست من موضوع المقتطف على اننا نقول قولاً عامّاً ان نشر العلوم التي تنير الاذهان خير وسيلة لاصلاح العقائد الدينية ونزع ما تطرّق اليها من الشوائب

بابُ تدبير المنزل

قد فتحنا هذا الباب لكي ندرج فيهِ كل ما يهم اهل البيت معرفتهُ من تربية الاولاد وتدبير الطعام واللباس والشراب والمسكن والزينة ونحو ذلك مما يعود بالنفع على كل عائلة

الزوج والزوجة

حينما يشرع الشاب يفكّر في الزواج يتصوَّر صوراً يطلب وجودها في زوجتهِ من حيث جمال وجهها واعتدال قوامها ولونّ شعرها ومقدار معارفها ومقام اهلها . هذا اذا كان على شيء من التهذيب والاَّ فيتزوَّج لان العادة تقضي بذلك او لان اباهُ وامهُ حثّاهُ على الزواج فيسير فيهِ على غير هدًى

وغنيٌّ عن البيان انهُ لا يهنأُ عيش الزوج الاَّ اذا احسن اختيار زوجتهِ لا لان الزوجة الفاضلة تصلح الزوج بل لان الزوجة السليطة تنغص عيشهُ . وكل بليَّة اخف من بليَّة زوج امرأتهُ سليطة تخاصمهُ ويخاصمها دواماً

والشاب الذي يتطلَّب هناء العيش يجب عليهِ ان ينظر اولاً الى الحسن الداخلي لا الى الحسن الخارجي الى حسن الطباع لا الى حسن الوجه لا لان حسن الوجه امر طفيف لا يعبأُ بهِ فان الحسن حسنٌ كيفما كان ولهُ مقدار ومقام في النفوس بل لان المرأة الذكية العقل الذكية الفؤاد الطاهرة النفس السامية المطالب المترفعة عن الدنايا لا يمكن ان يستقبح الانسان منظرها ولو لم يكن فيها لمحة من الجمال لان نفسها الجميلة تجمّل منظر وجهها وتفيض عليهِ اجمل المعاني . والحسن كالحب لا يختفي وفي الوجه تظهر كل عاطفة شريفة من عواطف النفس ويبدو كل معنى جميل من معاني العقل فاذا كان الوجه جميلاً شكلاً ولوناً زاد بهذه المعاني جمالاً واذا لم يكن جميلاً افاضت عليهِ جمالاً معنويًّا ترتاح اليهِ النفس كما ترتاح الى الجمال الحسي ولا سيما اذا بدت المعاني بمستعذب الالفاظ فان هذا الجمال المعنوي يبقى بعد ان يزول الجمال الحسي بالمرض او بالشيخوخة ويزيد نموًّا وريعاناً كما يزيد الحبُّ في النفس

ثم ان للزواج شرائط حتى يكون موفقاً هنيئاً الحبُّ اولها ولا بدَّ منهُ ولكنهُ لا يكفي وحدهُ لهناء المعيشة . ويساويهِ او يفوقهُ اتفاق الطباع او اتفاق العقول والمشارب فاذا كان عقل الزوج والزوجة مهذَّبين في نوع واحد من التهذيب ومدرَّبين على النظر في المسائل على اسلوب واحد اتفقا اتفاقاً يفوق اتفاق الحب واذا كان الحب موجوداً مع هذا الاتفاق كان الهناء على اتمهِ من هذا القبيل

والقاعدة التي يصحُّ اتباعها فيقل وقوع الخطإِ هي ان يتزوَّج المرء من الذين من طبقتهِ في المقام والتهذيب فاذا كانت الفتاة من قوم ذوي وجاهة وربيت تربية الرفاهة وتهذبت في المدارس العالية وعاشرت علية القوم ثم تزوجت بشاب ليس من طبقتها ولا هو متهذب مثلها تنغص عيشها معهُ وعيشهُ معها لانهما يختلفان كل يوم في امور طفيفة او جسيمة اختلافاً يضعف لذة الحب الاول الى ان يزيلها وقد لا تعبأُ الزوجة بذلك في اول الامر كبرًا منها او تغلباً على طبعها ولكن القوة العصبية التي تبذلها في سبيل هذا التغلب تجعلها بعد زمن ضعيفة الاعصاب عاضَّة على كف الندم

ومن شرائط الزواج التي لا بدَّ من مراعاتها ولو لم تكن لازمة لهُ مثل الحب الحالة المالية . نعم ان الحب اسمى من ان تمسهُ الاعراض ولكن مقر الحب في الجسد والجسد لا يعيش بالحب بل لا بدَّ لهُ من طعام وشراب وكساء واواء ولا يمكن ان نتجرَّد عن حطام الدنيا ما دمنا فيها . فالشاب الخالي الوطاب الذي لا يملك شيئاً لا يستحق ان يتزوج لانهُ اذا كانت الفتاة التي يطلب التزوج بها غنيَّة عاش معها ذليلاً واذا كانت فقيرةً عاشا كلاهما ذليلين واذا كانت تحبهُ حقيقة وتريد الاقتران بهِ لا يصعب عليها انتظارهُ ولا يصعب عليهِ ان يعمل عملاً يكتسب منهُ ما يمكنهُ من اعالتها اذا كان يحبها حقيقةً وحينئذٍ يقترن بها شاعرًا من نفسهِ انهُ صار كفأً لها . واذا لم تنتظرهُ فذلك دليل على انها لا تستحق ان يعني بامرها ويبذل جهدهُ في ارضائها

والرجل قيم على المرأة اي انهُ يمونها ويقوم بشأنها وهو يشعر من نفسهِ ان ذلك واجب عليهِ مطلوب منهُ ويسرُّ بالقيام بهِ . وهذا الشعور من اشرف ما يشعر بهِ الرجل . وكما تفتخر المرأة بلطفها ودعتها يفتخر الرجل بقوتهِ وقدرتهِ على العمل والكسب . ويسرُّهُ ان زوجتهُ محتاجة اليهِ معتمدة عليهِ تنتظر منهُ مسرَّتها وحمايتها واعالتها . وقيامهُ بذلك كلهِ هو الشيء الذي تتطلبهُ فيهِ . ومهما قويت الزوجة تبقى تودُّ ان يكون زوجها اقوى منها واقدر . واعتماد الزوجة على الزوج خلق مغروس في كل النساء يزيد بزيادة خلق النساء فيها وخلق الرجال في زوجها اي ان اكمل النساء هي المعتمدة على زوجها واكمل الرجال هو القائم بما تحتاج اليهِ زوجتهُ

والمرأة الكاملة تقصر معيشتها على دخل زوجها والرجل الكامل يجعل دخلهُ كافياً لراحة زوجتهِ . وهذا سبب آخر يدعو الى جعل الرجل يختار زوجتهُ من اهل طبقتهِ الاَّ اذا كانت الزوجة غنيَّة جدًّا وارادت ان تُسلم ثروتها لزوجها للانفاق على ما لا يستطيع الانفاق عليهِ من عندهِ ولا تتم للزوجين راحة ولا يهنأ لهما عيش الاَّ اذا نظرا الى الوجه المالي نظر الحكيم المدبّر لان الجسم لا يشبع من الحب وآلة الحياة لا تسير من غير قوة تسيّرها وزيت يمنع احتكاك دقائقها

غسل الموزلين والكمبريك

لا بدَّ من الاعتناء في غسل الموزلين لكي لا يزول لونهُ ولا تتفتَّح خيوطهُ . وطريقة ذلك ان تسخن الماء الى درجة معتدلة الحرارة لان الحرارة الشديدة تتلف الالوان . وتذيب في الماء قليلاً من الصابون حتى يصير يرغي جيدًا . ثم تنفض ثياب الموزلين من الغبار وتضعها في الماء بعد ان تحركهُ جيدًا حتى تكثر رغوة الصابون فيهِ وتدعكهُ دعكاً ولكن لا تفركهُ فركاً لان الفرك يبعد الخيوط من جهة ويقربها من اخرى فيتلف منظر الموزلين . وبعد ذلك اغسلهُ مرتين في ماء فاتر بدون صابون ثم في ماء بارد . واذا تنفض اللون قليلاً في الماء السخن فاضف الى الماء البارد ملعقة كبيرة من الخل الى كل اربع اقات من الماء . واذا كان اللون يحلّ في الماء فاضف اليهِ ملحاً ملعقة كبيرة الى كل اربع اقات من الماء

واذا غسلت الكمبريك الابيض فضعهُ بعد غسلهِ في ماء بارد اذبت فيهِ قليلاً من النيلة ولا بدَّ من تحريك الماء جيدًا قبل وضع الكمبريك فيهِ لئلاَّ ترسب النيلة في اسفل الاناء فتلطخ الكمبريك تلطيخاً ثم يعصر الكمبريك ويطوى وينشّى ويكوى

ويحضَّر النشاء لهُ هكذا : تمزج ملعقة كبيرة منهُ بملعقتين من الماء ونصف ملعقة من البورق وقليل من الشمع الابيض الشفَّاف الذي قُطع حتى صار قشورًا رقيقة ثم يضاف الى هذا المزيج رطل من الماء الغالي وهو يحرَّك جيدًا فيشتد قوام النشاء ويصير شفَّافاً ثم يمزج ذلك برطلين ونصف من الماء ايضاً ويوضع الموزلين فيهِ ويعصر وينفض حتى يقع عنهُ ما يمكن ان يكون قد اجتمع عليهِ من النشا ويكوى وهو رطب قبلما يجف

ولا بدَّ من ان يكون اسفل المكواة نظيفاً صقيلاً لامعاً واذا اصابهُ شيءٌ من الصدإِ يمسح بقليل من البارافين ومسحوق السمباذج الناعم . واذا لم تكن المكواة نظيفة نظافة تامَّة ابقت اثر الصدإِ في ما يكوى بها ولا بدَّ من غسل المكاوي بالماء السخن والصابون مرةً كل

اسبوع ولو كانت تستعمل دائماً وتفرك بعد احمائها على ورقة ثخينة رُشَّ عليها قليل من مسحوق الخزف . ويجب ان لا تكون حرارتها شديدة حينما يكوى بها الموزلن والاَّ تلف لونهُ

ويكوى الموزلين والكمبريك على وجهيهما ما لم يكن على الوجه تطريز نافر فيكويان على قفاهما

الاغتسال في البحر

لا يزال الناس قرب الشواطىء البحرية يقضون ما بقي من فصل الصيف في الاغتسال او ما يسمَّى بالحمامات البحرية . وخير الاوقات لهذا الاستحمام الصباح لانهُ يغني المرء عن لبس ثيابهِ وخلعها ثم لبسها ثانيةً . ولا بدَّ للمستحم من ان يأكل شيئاً قليلاً قبلما يغتسل . ولا يجوز الاستحمام والجسم سخن او متعب اومتهيج تهيجاً عصبياً .ولا يجوز بعد الطعام الثقيل باقل من ساعتين . والذين تؤلمهم آذانهم وقت الاستحمام يجب ان يسدوها جيداً بالقطن قبلما ينزلون في الماء واذا تبلَّل الشعر بماء البحر وجب غسلهُ بعدئذٍ بماء نقي فاتر . واذا لم ترتدَّ الحرارة الى الجسم سريعاً بعد الاستحمام فذلك دليل على ان الاستحمام غير نافع او لا يخلو من الضرر فيجب ابطالهُ

واجبات الزوجة وقت الكوليرا

اول واجب على ربَّة البيت في هذا الوقت الذي انتشرت فيهِ الكوليرا في كل انحاء القطر ان تهتم بنقاوة ماء الشرب . ففي البلاد التي ليس فيها شركات توزع المياه على البيوت يجب استقاء الماء من اكبر الترع واكثرها جرياناً ومن وسط الترعة قبل مرورها في البلد ثم يغلى هذا الماء ويرشح في زير نظيف موضوع في مكان نظيف . واما التي فيها شركات توزع الماء فالترشيح برشح باستور او بالزير البلدي يكفي . ودفعاً لكل شبهة يغلى الماء قبل ترشيحهِ

ويحسن ان يضاف الى الماء وقت شربهِ قليل من عصير الليمون الحامض (المالح) لمساعدة حموضة المعدة

ويجب ان تعتني بالخبز بعد الاعتناء بالماء فتسخنهُ على النار قبل اكلهِ وكذلك بكل اصناف الطعام فلا تؤكل الاَّ بعد طبخها او تسخينها او غسلها بماء سخن

ولا بدَّ من ان تهتم بصحة اولادها وتمنعهم من اكل كل ما يضعف المعدة او يجلب الاسهال واذا اصابهم سوء هضم او شيء من الاسهال او القيء فعليها ان تخبر الطبيب بذلك حالاً

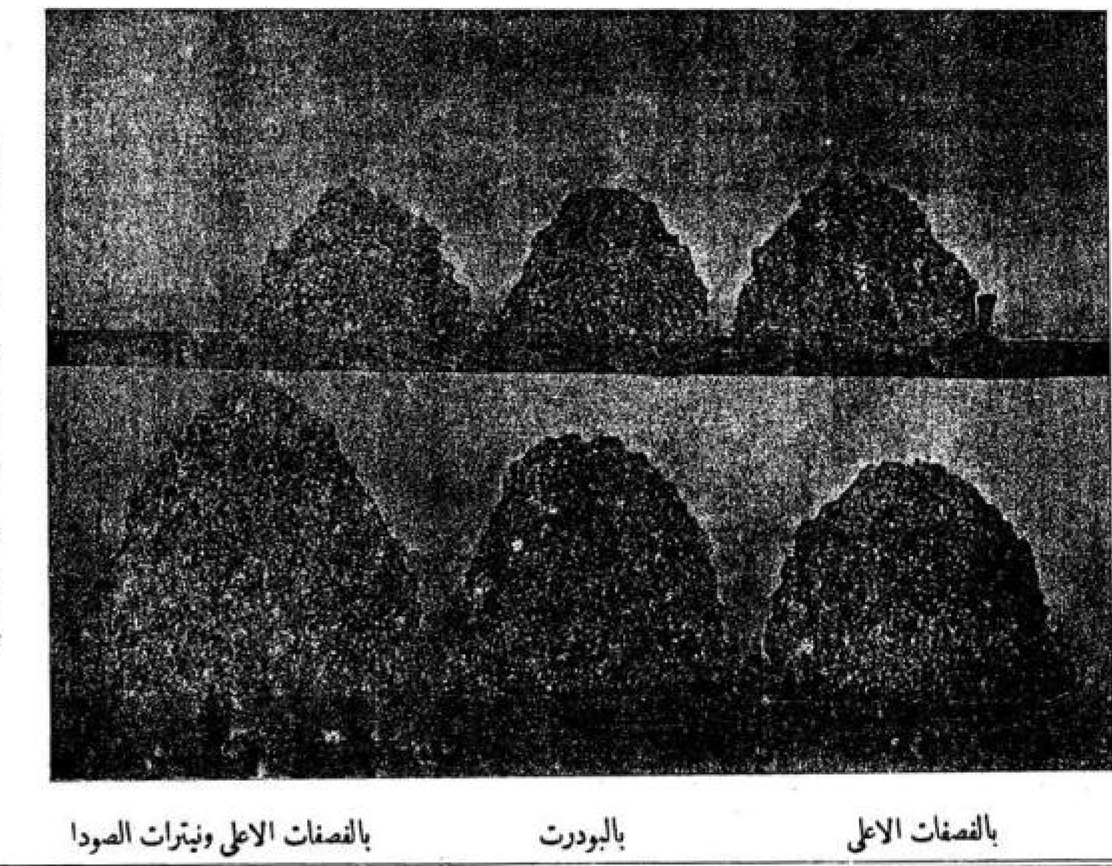
ثم انهُ لا داعي للخوف الشديد فانَّ الذين يموتون بالكوليرا الآن في هذا القطر ليسوا اكثر من الذين يموتون فيهِ بالحميات المعْدية كالتيفوس والتيفويد والحمى الملاريَّة وباساليب الاسهال المختلفة كالدوسنطاريا . والذين كانوا يموتون بالامراض المعِدية والمعوية التي تسبب اسهالاً كانوا دائماً من ثلاثين الى اربعين في المئة من كل الذين يموتون في اشهر الصيف من يونيو الى سبتمبر والذين يموتون بالكوليرا الآن ليسوا اكثر من اربعين في المئة من الذين يموتون عادةً . ومن المحتمل ان بعض الذين يُحسَب الآن انهم ماتوا بالكوليرا انما ماتوا بمرض معِدي او معوي عادي وذلك كلهُ دليل على ان هذه الكوليرا غير فتَّاكة او انَّ التوقي منها افاد الفائدة المطلوبة

الرياضة بتغيير العمل

يراد بالرياضة عادة ترويض الجسم بالمشي والركض والحركات العضلية . ولكن اذا أُريد بالرياضة ما يفعلهُ الانسان في الفسحة التي يأخذها للراحة من عناء الاعمال فقد تكون حركات عضلية كالمشي والركض والركوب وما اشبه وقد تكون جلوساً وانقطاعاً عن الحركة على قدر الامكان وذلك حسب نوع العمل الذي يعملهُ الانسان . فالذين عملهم يقتضي الجلوس المستمر تكون رياضتهم بالحركة على انواعها من مشي وركض وركوب وما اشبه والذين اعمالهم تقتضي الحركات الكثيرة تكون رياضتهم بالجلوس والسكون حتى تستريح عضلاتهم وهذا الحكم يصدق على العقل كما يصدق على البدن . فالذين اشغالهم عقلية متعبة يجب ان ينقطعوا عن الاشغال العقلية في زمن الفسحة والرياضة والذين اشغالهم بدنية ولا يشتغلون اشغالاً عقلية يجب ان يروضوا عقولهم بالدرس والمطالعة ويريحوا ابدانهم

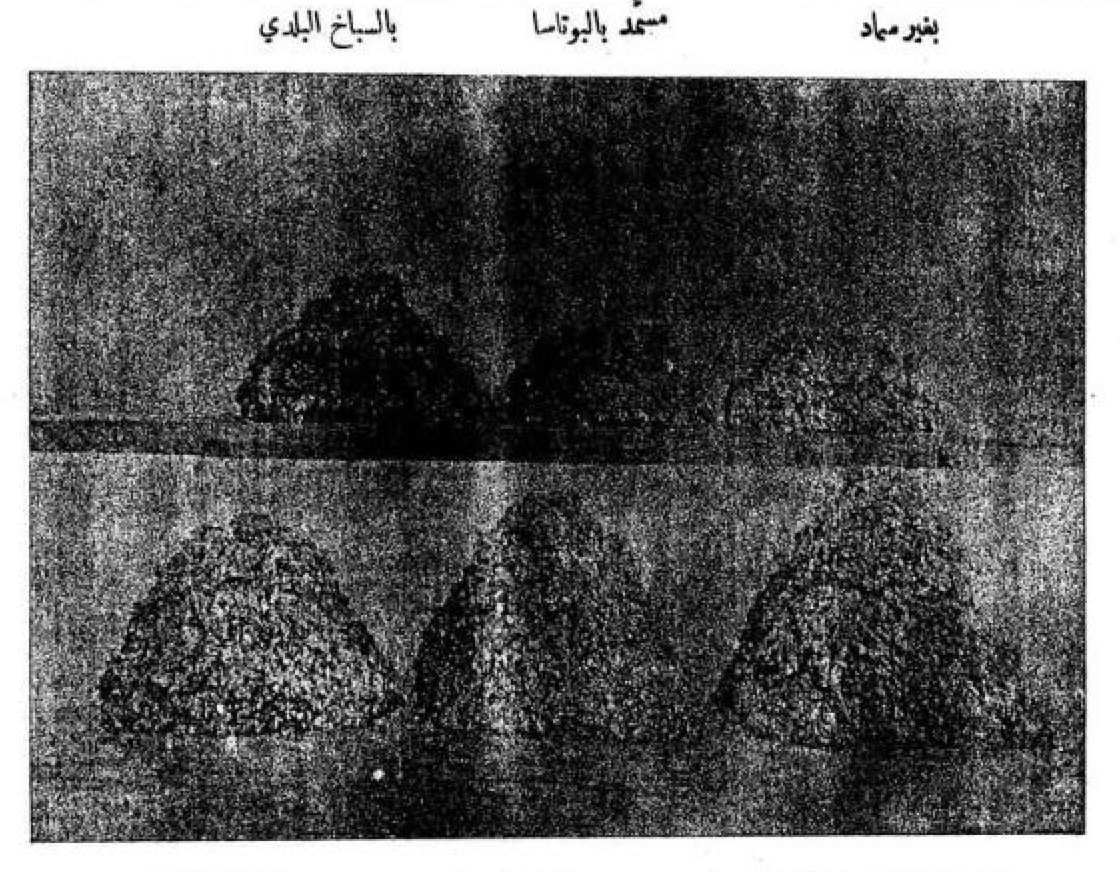
علاج الهبريَّة (القشرة)

علاج القشرة التي تكون في الراس امَّا منعي واما شفائي وهو في الحالين اوقية من البورق تذاب في اثنتي عشرة اوقية من الماء فاذا اريد العلاج المنعي يفرك الرأس بهذا السائل مرة في الاسبوع واذا اريد الشفائي يفرك بهِ مرتين في اليوم . واذا كانت القشرة كثيرة جدًّا ولم تزل بهذا العلاج يستعمل لها علاج آخر وهو مذوَّب نصف اوقية من الغليسرين في رطل من من الماء يغسل بهِ الرأس جيدًا مرة كل يوم



فوتوغراف حاصل القطن الميت عفيف من ميت الديبة

فوتوغراف حاصل القطن العباسي من ميت الديبة



بغير سماد — مسمّد بالبوتاسا — بالسباخ البلدي

بالفصفات الاعلى ونيترات الصودا — بنيترات الصودا — بالفصفات الاعلى

اذا نظر المرء الى ما تقدَّم وخطر لهُ انهُ يجب علينا ان نبتدئ الآن بما ابتدأ بهِ الاوربيون والاميركيون منذ مئة عام وقع في اليأس ولكن المعارف العلمية والصناعية لم تعد سرًّا غامضاً ولا هي في حَرَم يتعذَّر الدخول اليهِ بل موائدها مباحة للجميع فما قضى الاوربيون والاميركيون مئة عام في استنباطهِ واتقانهِ يمكننا ان نقتبسهُ منهم في عشر سنوات وما وضعوهُ من القواعد العلمية واكتشفوهُ من النواميس الطبيعيَّة يمكننا ان نتعلمهُ منهم في سنين قليلة فليس ثمة وجه لليأس اذا كان عندنا همَّة وارادة وقصدنا مجاراة الاوربيين في امر من الامور ولا يحول دوننا الاَّ العوائق الطبيعيَّة والسياسيَّة مثل عدم وجود الفحم او القوة وارتباطنا ببعض المعاهدات الدولية فاذا نشطت الحكومة الى فك القيود التي تمنع تقدُّم الصناعة وعني بعض الموسرين بجعل الصناعة مطلباً لهم فلا يبعد ان ننجح فيها نجاحاً اكيدًا

باب الزراعة

القطن المصري

بلغ الوارد من القطن الى الاسكندرية من اول سبتمبر الماضي الى ٢٩ اغسطس هذا العام ٦٤٧٧١٤٩ قنطارًا اي انهُ زاد اكثر من مليون قنطار عمَّا كان عليهِ في العام الذي قبلهُ لان مقدار الوارد فيهِ بلغ ٥٤٧٤٢٩٩ قنطارًا فدلَّ ذلك دلالة واضحة على ان موسم القطن قد يزيد او ينقص مليون قنطار وهو يساوي نحو ثلاثة ملايين من الجنيهات فكأن القطن المصري يكسب او يخسر نحو ثلاثة ملايين من الجنيهات اذا كان الماء كافياً لري القطن او غير كافٍ . الاَّ ان ثمن محصول القطن لا يزيد بزيادة المحصول بل قد ينقص كثيرًا بزيادتهِ . ولو كان الارتباط مضطردًا بين الثمن والمحصول اي لو زاد الثمن دائمًا بقلة المحصول وقلَّ بزيادتهِ متبعاً في ذلك نسبة ثابتة لرأت الحكومة ان مصلحة البلاد تقوم بقلة المحصول ففرضت على الاهالي ان يقتصروا كل سنة على ربع الاطيان الصالحة لزراعة القطن. فاذا فرضنا ان مساحة هذه الاطيان ثلاثة ملايين وستمائة الف فدان فيزرع منها تسع مئة الف فدان بدل المليون والمئتي الف فدان التي تزرع الآن فيكون ثمن محصول هذه التسع مئة الف فدان مثل ثمن محصول الالف والمئتي فدان ولكن سعر القطن لا يتوقَّف على محصول القطن المصري وحدهُ

بل على محصول القطن الاميركي ايضاً فاذا زاد محصول القطن الاميركي عن اللازم للمقطوعية هبط ثمن القطن سواءٌ كان المحصول المصري كثيرًا او قليلاً . واذا نقص المحصول الاميركي عن اللازم ارتفع السعر ولو كان المحصول المصري زائدًا لان الزيادة في المحصول الاميركي تبلغ مليون بالة اي خمسة ملايين قنطار او اكثر فيكون لها التأثير الاكبر في سوق القطن . ومع ذلك فالنقص في المحصول المصري يدعو الى ارتفاع سعره حتماً ولو كان هذا الارتفاع قليلاً في السنين التي يكثر فيها محصول القطن الاميركي

ومما يذكر في هذا الصدد ان الطلب على القطن المصري بلغ حدَّهُ في انكلترا وهو نحو مليونين ونصف مليون قنطار ولكنهُ آخذ في الزيادة في بقية الممالك الاوربيَّة وفي الولايات المتحدة الاميركية فقد زاد المرسل الى ممالك اوربا نحو ثمانمئة الف قنطار والى الولايات المتحدة الاميركية نحو اربع مئة الف قنطار . وزيادة المرسل الى اوربا واميركا من اصح العلامات على ان للقطن المصري سوقاً ثابتةً وحاجةً لا يقوم بها غيرهُ وان صحَّ ما بلغنا وهو ان الرطل من القطن المصريّ يقوم مقام ارطال من القطن الاميركي وما ثبت من التجارب الزراعية وهو ان القطن المصري لا يجود زرعهُ في اميركا فلا خوف من ان يهبط سعرهُ او تقل الحاجة اليهِ

ثم ان ما قالهُ الكونت كليخن حديثاً من ان القطن يجود في السودان لا يفهم منهُ ان قطن السودان يمكن ان يناظر القطن المصري في نوعهِ لانهُ ان كان قطن الفيوم والمنيا بل قطن الجيزة لا يناظر قطن الغربية والبحيرة فيبعد عن الاحتمال ان يخرج من السودان قطن جيد مثل القطن المصري او قريب منهُ هذا فضلاً عن ان اتساع الزراعة في السودان بعيد جدًّا لا يتم الاَّ بعد سنين كثيرة

النيل

بلغنا آخر اغسطس والنيل مقصر عن الوفاء لم يبلغ في الروضة سوى ١٥ ذراعاً و ١٢ قيراطاً مع انهُ كان في السنة الماضية في مثل هذا الوقت ٢٠ ذراعاً وفي التي قبلها ٢٠ ذراعاً و ٨ قراريط وكان سنة ١٨٩٩ خمس عشرة ذراعاً و ١٧ قيراطاً وكانت تلك السنة اشد السنين وطأة على القطر المصري . والفرق بين سنتنا هذه وسنة ١٨٩٩ اظهر في اصوان منهُ في الروضة فانهُ بلغ في اصوان حينئذٍ ١٣ ذراعاً و ١٧ قيراطاً و بلغ هذه السنة ١٢ ذراعاً و ١٤ قيراطاً . واكثر الهبوط في النيل الابيض ونهر الاتبرة وقد وردت الاخبار ونحن نكتب هذه السطور

ان امطارًا غزيرة هطلت في جهات سنّار ولذلك ينتظر ان يزيد النيل ايضًا فيبلغ ما بلغهُ سنة ١٨٩٩ على الاقل

وسواءٌ زاد او لم يزد فاري الكافي مكفول للوجه البحري من فضل خزان اصوان ومكفول ايضًا للمنطقة المتوسطة من اسيوط فنازلاً التي تروى من الترعة الابرهيمية من فضل خزان اسيوط حتى كأَن هذين الخزانين قد وفيا بنفقات انشائهما في سنة واحدة واما الصعيد من فوق اسيوط فسيبقى جانب منهُ من غير ري (شراقي) ومن ذلك خسارة كبيرة ولكن بعض الشر اهون من بعض

التعليم الزراعي

نرى الآن بالاختبار ان من امسّ ما يحتاج اليهِ هذه القطر رجال يعلمون طرق الزراعة وما يتعلق بها كالاعتناء بالمواشي وتدبير الري وحفر الترع واقامة الجسور وحساب مكعباتها فان امهر رجل بين نظار الزراعة لا يعلم كيف يداوي ثورًا من ثيرانهِ ولا كيف يحسب مكعبات ترعة حفرها او جسر اقامهُ اوعزبة بناها ولا يستطيع ان يعلم مناسيب ارض يريد تقصيبها واصلاحها . واذا اصاب زراعتهُ آفة من الآفات عجز عن معرفة سببها . ويسوءُنا ان المدرسة الزراعية الوحيدة في هذا القطر قد رفعت اجرة التعليم حتى صار يتعذَّر على متوسطي الحال التعلم فيها ولم يعد تعلم الزراعة ميسورًا الاَّ للاغنياء الذين لا يهمهم ان يتعلموا شيئًا وان تعلموا لم يرضوا ان يقرنوا العلم بالعمل وعلى كل حال لا يستخدمون نظارًا ومفتشين في الزراعات حيث تكون اجرة الناظر او المفتش من خمسة جنيهات الى عشرة او اكثر قليلاً

ويقيننا ان الحكومة تقصد خير الرعية وتودُّ ان تنشر المعارف الزراعية الصحيحة في البلاد لان ذلك يزيد ثروتها كثيرًا ولكن فعلها هذا جاء منافيًا لهذا القصد . فان كانت تجد الطلبة كثارًا ومدرستها لا تسعهم واساتذتها لا يكفون لهم فعليها ان توسّع المدرسة وتكثر عدد الاساتذة . وكل جنيه تنفقهُ في هذا السبيل تستردهُ من البلاد جنيهات كثيرة والبلاد تربح منهُ الوفًا

الفاكهة في مصر

لما نقلنا المقتطف الى القطر المصري منذ سبع عشرة سنة كان اول شيء استوقف نظرنا من باب زراعي قلة الفاكهة فيهِ مع ما هو معلوم من ربح زراعتها ولزومها لطعام السكان من

باب صحي . ومن ثم اخذ زرع الفاكهة يزيد عاماً فعاماً فكثر العنب على اشكالهِ وقد رأينا منهُ بالامس ثلاثة انواع من اجود انواع العنب في حديقة لحضرة سليم بك فرج في عزبة النخل مما يسمَّى في بلاد الشام بالجوزاني وخدود البنات . وكثر التين على انواعهِ حتى التين الشامي الابيض والاحمر ونوع يشبه تين ازمير . وكثر الموز البلدي والهندي والبطيخ الناتج من نقاوي البطيخ اليافاوي والمنجو والغوافيا والشليك . وقد رخص ثمن الكثير من هذه الانواع حتى انهُ نقص اربعين او خمسين او مئة في المئة عمَّا كان عليهِ منذ عشر سنوات ولولا كثرة الآكلين لرخص اكثر من ذلك ومع هذا فان الفاكهة لا تزال غالية جداً حتى يسهل على البلدان البعيدة كبرّ الاناضول وبلاد اليونان ان ترسل فاكهتها الى القطر المصري وتبيعها فيهِ . ولا يزال المجال واسعاً جداً للاكثار من زرع الجنائن والبساتين ولا سيما من زرع ما لا يتلف اذا لم يبع في حينهِ كالتين والعنب فان العنب ييبس ويباع يابساً باغلى مما يباع طريئاً والعنب يصنع زبيباً وخمراً . ويجب ان تبلغ غلة الفدان المزروع فاكهة اضعاف اضعاف غلة الفدان المزروع قطناً او حنطة ولا سيما اذا كانت الاطيان قرب المدن الكبيرة التي يسهل نقل الفاكهة اليها

زراعة الصبر السقطري

الصبر من النباتات التي تعيش في هذا القطر والقطر الشامي حيث لا تجود الزراعات الاخرى وقد اطلعنا على مقالة في كيفية زراعتهِ لمستروليم فريمان في جريدة الهند الغربية الزراعية فترجمناها لعلَّ الاطلاع عليها يغري احداً بزرع هذا النبات واستغلالهِ

كيفية زراعتهِ — تركس الارض وتسمد وتقطع بالمراوي والمصارف وتزرع فيها فسائل الصبر التي تنمو حول اصولهِ ووقت الزرع في بربادوز من ابريل الى يونيو وتزرع الفسائل صفوفاً بين الصف والآخر ١٨ عقدة او قدمان وبين الفسيلة والاخرى نصف قدم الى قدم

ونفقات الركس والتعشيب والتسميد والزرع تبلغ من جنيهين الى ثلاثة لكل فدان عدا ثمن الفسائل

واذا كان الزرع متقناً امكن جني الغلة الاولى بعد سنة من الزمان . ويمكن زرع الذرة بين فسائل الصبر في السنة الاولى واما في السنة الثانية وما بعدها فلا يزرع بين الصبر الاَّ القرع لانهُ يستعمل لجمع العصير من ورق الصبر

جني الصبر — حينما يكبر الصبر ويصير عمرهُ سنة او اكثر يمرُّ العامل بينهُ والسكين في يدهِ ويقطع الاوراق السفلى كلها من حول الساق ويضعها في حوض كبير من الخشب وكعوبها

المقطوعة الى اسفل حتى تخرج العصارة منها الى الحوض ثم تصبُّ منهُ في قرعة او اناء آخر

اغلاء العصير . يجمع العصير ويترك يومين حتى يرسب ما فيهِ من العكر ثم يغلى في اناء معدني ويحرَّك جيدًا فيسود لونهُ ويشتد قوامهُ وحينئذٍ تخفف الحرارة . والذين يغلون الصبر يعلمون من منظرهِ وشكل الفقاقيع التي تتكون فيهِ ما اذا كان قد أُغلي الاغلاء الكافي وحينئذ يرفع بمناشل طويلة من الاناء ويصب في القرعات حتى تمتلئ وحينما يجمد فيها يقل حجمهُ كثيرًا فتملأ من طبخة أُخرى من الصبر وتسع القرعة من الصبر الجامد عشرين رطلاً الى ستين

وتبلغ نفقات الفدان لتعشيبهِ وقطع اوراق الصبر واغلاء عصيرها نحو خمسة جنيهات

ويترك نبات الصبر في الارض اربع سنوات ويجنى منهُ في السنة الاولى ١٠٠ رطل وفي السنة الثانية ٢٥٠ رطلاً وفي الثالثة ٥٠٠ رطل وفي الرابعة ٥٠٠ رطل ايضًا وثمن قنطار الصبر من جنيه ونصف الى خمسة جنيهات او ستة واجود انواعهِ السقطري وهو اغلاها وقد يبلغ ثمن قنطارهِ عشرة جنيهات

الزيوت العطرية

في القطر المصري اشجار ونباتات كثيرة فيها زيوت عطرية طيارة يمكن استخراجها والاتجار بها كزيت قشر البرتقال والليمون والمندرين وزيت اليوكالبتوس وزيت النعناع عدا الورد الكثير الذي يمكن ان يستخرج عطرهُ . ولا يستخرج من ذلك كلهِ الآن الاَّ ماء الورد وماء النعناع وماء الزهر . وقد بلغنا ان الاسرائيليين الذين عادوا الى بلاد فلسطين زرعوا الورد الجوري قرب بحيرة الحولة وهم يستخرجون عطر الورد منهُ ويبيعون الكيلو بنحو تسعمائة جنيه وما هو ميسور لهم يجب ان يكون ميسورًا لاهالي هذا القطر ولكل سكان القطر الشامي

مرض القطن

ظهر الآن ان مرض القطن الذي خيف من انتشارهِ في اول الموسم لم ينتشر ولا رأينا لهُ اثرًا في كثير من الزراعات الواسعة ولكن ظهر نوع من الفطر الاسود على قليل من شجيرات القطن اتلف جوزها غير ان انتشارهُ قليل جدًا كنا نرى بضع شجيرات مصابة بهِ في الفدان وسائر القطن سليم منها . ولم يرتفع شجر القطن كثيرًا هذا العام كما ارتفع في العام الماضي ولكن الجيد منهُ جوزهُ كثير جدًا رغمًا عن عدم ارتفاعهِ

باب التقريظ والانتقاد

الاجنبي المهاجم والدخيل المزاحم

حضرة الفاضل محرر المقتطف الاغر

بعد الاحترام ابعث اليكم بالكلمات الاتية رجاء نشرها في " باب التقريظ والانتقاد " رداً مني على تقريظكم لكتاب فريد بك المحامي في تاريخ الرومان وهي :

ادهشني كلامكم على كتاب " تاريخ الرومان تأليف محمد بك فريد المحامي " الذي استفتحتم بهِ باب التقريظ والانتقاد في الجزء الثامن من المقتطف حيث دار محور انتقادكم بدون ان يلتفت الى ما شملهُ الكتاب من الاخبار التاريخية فقط حول كلمات قالها حضرة المؤلف في مقدمتهِ من جهة ومن جهة اخرى فان الفقرة التي انتقدتموها بسؤالكم الذي قلتم فيهِ " لو سألناه ذلك وانصف .... الخ " كان يجب عليكم ان تستحثوا الناس على مطالعتها واتباع ما حوتهُ من فضائل النصائح المفيدة عوضاً عن التعرض لها بمثل هذا السؤال الذي يحمل القارئ على الشبهات في حسن نية المنتقد . وفي رأيي انكم لو انصفتم انتم لما وجهتم مثل هذا السؤال الى رجل يقول لقومهِ قد اخترت نشر تاريخ الرومان بينكم لانهُ " مفعم بالحوادث الصادرة عن حب الوطن والاخلاص لهُ والتفاني في خدمتهِ والتهالك في الدفاع عنهُ والذود عن حوضهِ " الى آخر ما ذكر من الفضائل التي اتفق علماء الاخلاق في كل الامم على وجوب غرس جرثومتها في نفوس الافراد وهم اطفال وانمائها في جسومهم وهم فتيان وتحريضهم وحثهم على اتباعها والعمل بها وهم كهول وشيوخ . فما السبب الذي حملكم يا ترى على هذا الانتقاد وانتم لا شك ممن يعرف الفضيلة ويحق قدر الناصح بها قدرهُ . وما العامل الذي حرك قلمكم الى عرض سؤال مثل خلط الحابل بالنابل وارادة طمس وجه الحقيقة وهي ظاهرة كالهلال في ليلة صحواء ؟ ! فان كنتم تجهلون من يعني فريد بك " بالاجنبي المهاجم والدخيل المزاحم " فاسمحوا لي بيان ذلك ايجازاً

ينقسم سكان القطر المصري الحاليين في نظر الشبيبة المصرية الى ثلاثة اقسام الاول وهو الفريق الاكبر من كان يسكن القطر قبل الاحتلال الانكليزي وكان ولا يزال يخضع لاحكام الحكومة الخديوية المصرية ومن خلفهم ويخلفهم من اعقابهم والى هذا الفريق المعروف باسم الامة

المصرية قد وجهَّ فريد بك كلامهُ في مقدمتهِ . والقسم الثاني رعايا كل الدول الاجنبية صواحبات ما يسمونهُ "الامتيازات الاجنبية" من جهة والدولة المحتلة من جهة أُخرى ويطلق عليهم اسم "الاجنبي المهاجم" واما القسم الثالث وهو فريق الدخلاء فيطلق في عرف الشيبة المصرية على افراد من مصريين وغيرهم ممن تمصر من الاجانب وعلى الاخص من الشرقيين رعايا المملكة العثمانية وباع ذمتهُ في خدمة "المعتدي الظالم والاجنبي المهاجم" مع سبق علمهِ ضرر ذلك بجسم الامة التي دخل فيها

فهذان الفريقان هما يا حضرة الفاضل اللذان نوه عنهما فريد بك في مقدمتهِ "بالاجنبي المهاجم والدخيل المزاحم" ويوافقهُ على ذلك كل ذي احساس شريف وبصيرة لم تعمها الاغراض الذاتية الدنيئة . فان وافقتموني كنتم واياي سواء والاَّ فمطارحتكم البحث والمناقشة في هذا الموضوع واجبة عليَّ حتى يقنع احدنا الآخر والسلام

موبخ الدكتور محرم بك

[المقتطف] ان لم يخطئ حزرنا فالدكتور محرم بك هو ابن المرحوم محرم بك الذي عرفناهُ في هذا القطر وكنَّا نسرُّ بحديثهِ المفعم بالفوائد والنوادر . والدكتور محرم بك درس في اشهر مدارس اوربا ولذلك نرغب في مذاكرتهِ في هذا الموضوع على امل ان يزن اقوالنا بميزان العقل ولا يدع لاهواء النفس سبيلاً الى احكامهِ فنقول

ان ردَّهُ علينا يشتمل على امرين حريين بالنظر الاول تفسيرهُ للاجنبي المهاجم والدخيل المزاحم والثاني ارتيابهُ في صدق نيتنا لاغضائنا عن اقوال قالها المؤلف

امَّا عن الامر الاول فنقول انهُ اطلق كلمة "الاجنبي المهاجم" على رعايا الدول الاجنبية صواحبات الامتيازات الاجنبية" والدولة المحتلة بنوع خاص . واطلق كلمة "الدخيل المزاحم" "على افراد من مصريين وغيرهم ممن تمصَّر من الاجانب وعلى الاخص من الشرقيين رعايا المملكة العثمانية وباع ذمتهُ في خدمة المعتدي الظالم والاجنبي المهاجم مع سبق علمهِ ضرر ذلك بجسم الامَّة التي دخل فيها"

امَّا القسم الاول اي الاجنبي المهاجم فالمراد بهِ صريح واضح من كلام حضرة الدكتور وهو يشمل الانكليز والفرنسويين والالمانيين والنمسويين والايطاليين ونحوهم من رعايا الدول صاحبات الامتيازات الاجنبية . وتسميتهم بالاجنبي لا غبار عليهِ ولكن نعتهم بالمهاجم غير صحيح لانهُ لم يهاجم مصر احد منهم والانكليز انفسهم اتوا بطلب من الخديوي السابق وللمحافظة على حياتهِ وقمع الثورة العرابية واقاموا في القطر برضى الباب العالي صاحب السيادة وهو الذي ابطل

الاتفاق لتجديد زمن الجلاء . هذا هو ظاهر السياسة واما باطنها فهو ان اسراف الخديوي الاسبق دعا الى ارتهان المداينين الاوربيين لاكثر القطر المصري واجبارهم دولة من دولهم على احتلالهِ ائتماناً على اموالهم . وهذه الحقائق يعلمها حضرة الدكتور محرَّم بك كما نعلمها نحن فلا داعي للتطويل في شرحها ولا وجه لانكارها

ويتضح استنكارنا لنعت الاجانب بالمهاجمين من تطبيق وصف المهاجم على حضرة الدكتور محرم وعلى المرحوم والدهِ فان المرحوم والدهُ كان يفتخر برعويتهِ النمسوية . ولاننسى كم مرة ذكر لنا ذلك وقصَّ علينا اخبار ذهابهِ الى بلاد النمسا ومقابلتهِ العظماء فيها . فهل نلقبهُ هو واباهُ واخوتهُ بالاجانب المهاجمين الظالمين المعادين لمصر وابنائها

ومما يذكر في هذا الصدد اننا قلما سمعنا رجلاً يتكلم بحماسة عن الوطن والوطنية المصرية وسألناهُ عن اصلهِ الا وجدنا انهُ من غير المصريين . سمعنا بالامس رجلاً ينادي بالوطنية ويتشدَّق بكلام ثقيل فانتظرنا الى ان سكن جاشهُ وقلنا لهُ اين وُلد المرحوم والدكم فاطرق قليلاً ثم قال في بغداد واصلنا من ديار بكر فصمتنا ونحن نقول في انفسنا يا سبحان الله ان هؤلاء الناس يتبجحون بالوطنية واما المصريون الاصليون الذين يمتد نسبهم الى رعمسيس فلا نسمع منهم مثل هذه الدعوى

نأتي الآن الى فريق الدخلاء وقد وصفهم حضرة الدكتور بانهم "باعوا ذمتهم في خدمة المعتدي الظالم والاجنبي المهاجم" وكلمة باعوا ذمتهم غير محدودة المعنى ولا هي صريحةُ ولكن القرينة تدلُّ على انها وصف قبيح جدا اقل ما فيهِ الخيانة للوطن وهي تدلُّ على ان الاجانب الذين في مصر كلهم او جلهم مهاجمون معتدون ظالمون . وقد وصفهم بذلك صريحاً ولو لم يصفهم هذا الوصف الصريح لاستدللنا عليهِ من اتهامهِ بعض السكان ببيعهم ذمتهم لهم لان بيع الذمَّة لا يكون الاَّ للعدو

فتهمة المؤلف التي ذكرناها بالازدراء ودافع عنها حضرة الدكتور محرَّم بك هي هذه : ان الاجانب الذين في القطر المصري عموماً (ومحرَّم بك واخوتهُ منهم) اعداءٌ للمصريين معتدون عليهم ظالمون لهم . وزاد حضرة الدكتور محرَّم على ذلك الآن ان كل من يحاسنهم ولا يعاديهم فهو بائع ذمتهُ لهم ومشارك اياهم في الاعتداء على المصريين وظلمهم وان هذا هو معتقد الشبيبة المصرية ومعتقد كل ذي احساس شريف وبصيرة لم تعمها الاغراض الذاتية الدنيئة .

ونحن ننكر ذلك كلهُ ونستهجنهُ ونعتقد ان الذين يقولونهُ اما انهم يعلمون بطلهُ ولكنهم يتخذونهُ وسيلة للكسب او انهم مغرورون بطيش الشباب او بقلة الاختبار وانهم متى عركوا الدهر قليلاً

ادركوا خطأهم وانصاعوا الى الحق . ونعتقد ايضاً ان الذين يحاسنون الاجانب ويجاملونهم من الجناب الخديوي ونظارهِ فنازلاً الى اصغر فلاَّح في هذا القطر قد افادوا القطر بصنيعهم وان الذين اظهروا العداء للاجانب جرُّوا على القطر الويل والشر . وان اكبر صديق لهذا القطر هو الذي يحث ابناءهُ ويساعدهم على مناظرة الاجانب والاكتساب منهم والاقتداء بهم . وان اكبر عدو لهُ هو الذي يقنع المصريين بمعاداة الاجانب والابتعاد عنهم وعمَّن يواليهم

ونحن والاجانب من حيث ضعفنا وقوتهم وجهلنا وعلمهم وكسلنا واجتهادهم وخمولنا ونشاطهم كالخشب والحديد كلُّ احتكاك بيننا وبينهم يعود علينا وحدنا بالضرر والتلف. نعم انهُ لو لم يقيّد الخديوي الاسبق البلاد بقيود الدين ولو لم تأتِ الثورة العرابية فتقيد البلاد بقيود الاحتلال لفضَّلنا ان نبقى وحدنا نسير الهوينا الى ان نبلغ اشدنا فلا تشعر اوربا الاَّ ونحن دولة عزيزة الجانب مثل اليابان ولكن الخطأ الذي لسنا بمسئولين عنهُ اوقعنا في احوال لا يمكن التخلُّص منها بالمشاغبة والمناواة بل بالصبر والسعي والموالاة

ويقيننا ان حضرة الدكتور محرم بك لا بدَّ من ان يقول قولنا اذا تبصَّر في شرحنا هذا ونؤكد لهُ اننا لم ننتقد كلام صديقهِ المؤلف محمد بك فريد الاَّ لانهُ مضرٌّ يجب الاقلاع عنهُ. وهنا يصل بنا الكلام الى الامر الثاني وهو اغضاؤنا عن اقوال قالها المؤلف فنجيب ان المناداة بخدمة الوطن والاخلاص لهُ والتفاني في خدمتهِ في مثل المعرض الذي وردت فيهِ هذه المناداة وهو اتهام الاجانب بمعاداة الوطنيين وظلمهم — هذه المناداة اذا وثقنا بصدق المنادي بها قلنا انها تحريض على الثورة والاَّ فلا معنى للتهالك في الدفاع عن الوطن والذود عن حوضهِ في هذا المقام . واذا لم نثق بصدقهِ قلنا انها رياء وتضليل فاي الغرضين غدح

وعسى ان لا يرى حضرة الدكتور بعد هذا البيان اننا "خلطنا الحابل بالنابل" ولا اننا اردنا "طمس وجه الحقيقة" وسيعلم ان اكثر ذوي الاحساس الشريف والبصيرة التي لم تعمها الاغراض الذاتية الدنيئة لا يعتقدون معتقدهُ ولا معتقد الذين نعتهم بالشبيبة المصرية وفقنا الله جميعاً الى ما بهِ خدمة ابناء نوعنا خدمةً حقةً

رواية المروءة والوفاء

كان المرحوم الشيخ خليل اليازجي شاعراً مطبوعاً ولد في بيت الشعراء وربي فيهِ فنظم الشعر الحسن فتًى صغير السن وبرَّز فيهِ على الاقران وظلَّ الشعر طوع قريحتهِ الى ان تغلَّب باشلس السل على رئتيهِ . ورواية المروءة والوفاء من اول منظوماتهِ " وقد اختار موضوعها من

اشهر وقائع ملوك العرب الجاهلية واجدرها بالتمثيل اذ جمعت يوم البؤس ويوم النعيم وظهر فيها الفرج بعد الضيق وقد شخص فيها غوائل السكر وقباحة الظلم وكرم الاخلاق عند العرب . . .
وصدرها بقصيدة طويلة بسط الكلام فيها على الاصول والاحكام الواجب مراعاتها في هذا النوع من الروايات ممّا وضعهُ من نفسهِ واتمّ نظمها سنة ١٨٧٦ " وعمرهُ عشرون سنة ومثّلها سنة ١٨٧٨ وحضرنا تمثيلها حينئذٍ فكان غاية في الجودة

وقد طبعت هذه الرواية اول مرة سنة ١٨٨٤ واعيد طبعها الآن في مطبعة المعارف بمصر

آثار الفيوم الجيولوجيَّة

SOME NEW MAMMALS

FROM THE

UPPER EOCENE OF EGYPT.

BY

C. W. ANDREWS, D. Sc., F. G. S.,
of the British Museum (Nat. Hist.)

AND

HUGH J. L. BEADNELL, F.G.S., F.R.G.S.,
OF THE GEOLOGICAL SURVEY OF EGYPT.

اخذ قسم المساحة الجيولوجية يخلد اسم الفيوم وما فيها في ديوان العلم فقد اكتشف مؤلفا هذه الرسالة آثار حيوانات كثيرة في بلاد الفيوم ووصفا بعضها وصفاً موجزًا في هذه الرسالة من ذلك الحيوان الذي سمياه ُ فيوميا سريدتس نسبة الى الفيوم وهو من الحيوانات المتوسطة بين ذوات الكيس والضواري وتعرف عند علماء الحيوان باسم creodont وقد كشفت آثار هذه الحيوانات في اوربا واميركا في طبقات الميوسين والايوسين ولا نعلم انها كشفت في افريقية قبل الآن . ومنهُ آثار الحيوان الذي سمياه ُ صاغتريوم انتيكوم نسبة الى قصر الصاغة الذي وجد قربهُ وهو من نوع الوبر الموجود الآن في فلسطين ويدل شكلهُ على انهُ من القارضات وهو ليس منها. ومنهُ نوع من ذوات الخف سمي انكودس غورنجي نسبة الى المستر غورنج من رجال ادارة المساحة الجيولوجية الذي مسح اكثر الفيوم سنة ١٨٩٨ وفي هذه الرسالة صور هذه الآثار مصنوعة في دار المساحة الجيولوجية ويا حبذا لو اسرعت دار المساحة في نشرها حتى لا تنشر في غيرها قبلها

ويظهر من بقايا الاشجار المتحجرة الموجودة مع آثار هذه الحيوانات ان الماء جرفها كلها معاً ورسبت منهُ حيث وُجدت الآن

التصوير الفوتوغرافي

خُصَّ اهالي اسيا الوسطى من ايران الى بخارى فالصين بالمهارة في صناعة التصوير والنقش ولم تزل لهم هذه المزية مع ما نزل ببلدانهم من النوازل منذ اكثر من الف عام الى الآن . والظاهر ان حضرة مؤلف هذا الكتاب علي افندي شمس الدين البخاري اصلاً ورث هذا الميل عن اسلافهِ فتعلَّم صناعة التصوير الشمسي وألَّف فيها هذا الكتاب النفيس بانياً ما كتبهُ فيهِ على ما علمهُ بالعلم والعمل وما رآهُ في الكتب والجرائد والمجلات الفنيَّة فجاء كتاباً وافياً في بابهِ كما كان كتاب الدر المكنون حينما أُلِف لكن العقبة الكبرى في سبيل الكتب الصناعية التي مثل هذا الكتاب هي انهُ لا يمضي سنة او سنتان حتى تستنبط اساليب جديدة فيقدم الكتاب بالنسبة اليها قبلما يباع منهُ ما يقوم بنفقات طبعهِ فعسى ان يكون نصيب هذا الكتاب احسن من نصيب غيرهِ ويستفيد منهُ كثيرون . والكتاب جامع لما يحتاج الى معرفتهِ من يريد ان يتعاطى هذه الصناعة وموضح بكثير من الصور التي تزيدهُ بياناً فنثني على حضرة مؤلفهِ ثناء جميلاً

باب المسائل

فتحنا هذا الباب منذ اوَّل انشاء المقتطف ووعدنا أن نجيب فيهِ مسائل المشتركين التي لا تخرج عن دائرة بحث المقتطف . ويشترط على السائل (١) ان يمضي مسائلهُ باسمهِ والقابهِ ومحل اقامتهِ امضاء واضحاً (٢) اذا لم يرد السائل التصريح باسمهِ عند ادراج سؤالهِ فليذكر ذلك لنا ويعين حروفاً تدرج مكان اسمهِ (٣) اذا لم تدرج السؤال بعد شهرين من ارسالهِ الينا فليكررهُ سائلهُ فان لم تدرجهُ بعد شهر آخر نكون قد اهملناهُ لسبب كافٍ

(١) الكوليرا والطيور

المنيا . سيداروس افندي بطرس . يقال انهُ في زمن الكوليرا خصوصاً والاوبئة عموماً تختفي الطيور مطلقاً ولا سيما الجنزور ولا تظهر الاَّ بعد انتهاء الوباء . ولكننا نرى الآن العصافير طائرة على جاري عادتها والجنازير مطلقة الجناح فكيف ذلك وقد بلغني ايضاً انهُ لما انتشرت الكوليرا في القطر المصري سنة ١٨٨٣ اختفت العصافير فهل ذلك صحيح

ج سمعنا هذه الدعوى قبل الآن ولكننا راقبنا الطيور في بر الشام وفي القطر المصري في وبائين آخرين فلم نرها صحة والآن نرى الطيور كيفما اتجهنا مع ان الوباء منتشر

(٣) حموضة المعدة والكوليرا

مصر . احد التجار . يقال انهُ اذا كانت المعدة تفرز عصيرًا حمضيًّا عند الهضم فانهُ يميت ميكروب الكوليرا اذا دخل المعدة فهل ذلك صحيح وما هو احسن اسلوب او احسن دواء يسهل تعاطيهِ لحفظ حموضة المعدة

ج اذا كانت المعدة سليمة فعصارتها العادية حامضة وهي تميت ميكروب الكوليرا. راجعوا ما كتبناهُ في هذا الموضوع في اول الصفحة ٧٩٧ من الجزء الماضي من المقتطف . ويشير الاطباء باضافة نقط قليلة من الحامض اللبنيك او الهيدروكلوريك الى الماء وقت شربهِ تسهيلاً للهضم ومساعدةً لحموضة المعدة على قتل ميكروب الكوليرا . ويكفي عصير الليمون الحامض يمزج بهِ الماء وقت شربهِ

(٣) الاصابة بالكوليرا مرتين

ومنهُ . هل يمكن ان يصاب الانسان بالكوليرا مرتين اي انهُ اذا اصيب بها وشفي هل يصاب بها مرةً اخرى واذا كان يمكن ان يصاب بها مرةً اخرى فهل يجوز ان يكون ذلك بعد شفائهِ تمامًا او لا بدَّ من زمن معيَّن كتلقيح الجدري فانهُ لا يفعل في الانسان مرةً ثانية الاَّ بعد خمس سنوات او اكثر

ج اذا قسنا الكوليرا على غيرها من الامراض الميكروبية ترجح لنا ان الاصابة الواحدة بها تقي من الاصابة بها مرةً اخرى بعد زمن قصير او طويل ويؤيد ذلك دعوى الذين ادَّعوا وجود طعم يبقى منها لان الطعم لا يقي الاَّ على مبدإٍ ان ميكروبها يأخذ من البنية شيئًا لازمًا لنموهِ فيها او يبقي في البنية شيئًا يمنع نموهُ فيها ولكننا لم نقف على حوادث يوثق بصحتها تدلُّ على ان الكوليرا تقي الجسم او لا تقيهِ ولا على مدة الوقاية اذا كانت تقيهِ

(٤) علاج الكوليرا بالتطعيم

ومنهُ الم يتَّصل علماء الطب حتى الآن الى كيفية علاج لداء الكوليرا بالتلقيح بعد ما عانوهُ من اهوالها في اسيا

ج لقد اتصلوا الى التطعيم بمادة يقال انها تقي من الكوليرا فيصير دم المطعَّم بها اقوى من دم غير المطعم بها على مقاومة الكوليرا مئتي مرة الاَّ ان التدابير الصحية اوقى من كل الوسائل العلاجية لاسيما وانها تقوم بحفظ ماء الشرب نقيًّا

(٥) اتساع الحدقة

ومنهُ . لاحظت كثيرًا في طفل صغير ان انسان عينهِ (الحدقة) يكبر احيانًا حتى يصير كالعدسة الكبيرة ويصغر احيانًا حتى يصير كالنقطة الكبيرة وهذا يحصل نهارًا وليلاً فاذا زاد الضوء صغر واذا نقص كبر فما سبب ذلك هل هو النور

ج ان ذلك يحدث في الصغار والكبار على حدٍّ سوى في حال الصحة . والحدقة فتحة في القزحية يدخل النور منها فاذا كان النور كثيرًا فالقليل منهُ يكفي لاظهار صور

المرئيات والكثير يشوش صورها ولذلك تضيق الحدقة في النور الكثير واذا قلَّ النور لم يعد القليل منهُ كافياً لاظهار صور المرئيات واضحة فتتسع الحدقة ليدخل منها المقدار الكافي من النور . ولا شبهة في ان النور نفسهُ يؤَثر في المراكز العصبية المتسلطة على الحدقة فتوسعها او تضيقها حسب الاقتضاء كما ينفض الانسان يدهُ اذا اصابتها جمرة ولو كان غير ناظر اليها

(٦) الاسفلت في البناء

ومنهُ . ما هي فائدة طبقة الاسفلت التي توضع على اساسات (جدران) المنازل وهل تضر بعدم ربطها المباني بعضها ببعض

ج فائدتها منع رطوبة الارض من الصعود الى ما فوقها ولا ضرر منها في عدم ربط البناء لانها افقية

(٧) امساك الاطفال

ومنهُ . اذا كان الطفل حديث الولادة ومعهُ امساك على الدوام وتولدت فيهِ غازات فما هو احسن علاج لمنع ذلك

ج ان يسقى نصف ملعقة صغيرة من زيت الخروع مع نصف ملعقة صغيرة من زيت اللوز

(٨) هواء شارع الاهرام

ومنهُ . ما هو رأيكم في شارع الاهرام هل هواؤُهُ أصح من هواء خط المطرية والعباسية لمن يريد السكنى فيهِ

ج لا نظن انهُ اصح ولا هو مثل هواء الجانب الشرقي من خط المطرية صحة لان شارع الاهرام سيبقى الزرع على جانبيهِ سنين كثيرة والارض الزراعية الكثيرة الري تبقى فيها مستنقعات صغيرة يتولد فيها البعوض مسبّب الحمّى الملارية فضلاً عما يكون في هوائها من البخار الكثير

---

(٩) تولد التوأمين

العزازي . حافظ افندي سليمان . هل يتم العلوق بتوأمين في وقت واحد

ج نعم وهذا هو الغالب اذا وجدت في المبيض بيضتان بالغتان مستعدتان للعلوق . واذا وجد فيهِ بيض كثير بالغ تلقح كلهُ

(١٠) حرافة البصل

ومنهُ . جربت زرع البصل الافرنكي الاحمر الكبير فنبت ولكن جاء طعمهُ حريفاً جداً مثل البصل المصري فهل اذا زرع البصل المصري في الارض التي نبت فيها البصل الحلو يأتي حلو الطعم مثلهُ

ج هذا هو المرجح لان البصل كلهُ من نوع واحد واختلف طعمهُ باختلاف الاراضي والاقاليم لكنهُ قد يفقد الصفات الجديدة سريعاً في سنة واحدة وقد لا يفقدها الا بعد سنين كثيرة حسب رسوخها فيهِ فان كان البصل الاوربي الحلو قد صار حريفاً في القطر المصري في سنة واحدة فمن المحتمل او المرجح ان البصل المصري يصير حلواً اذا زرع في

بلاد باردة ليس فيها المواد التي تسبب حرافة البصل او لا تساعدهُ على امتصاصها وادخارها

(١١) ميل المطر

ومنهُ. لماذا تسقط الامطار بميل لا رأسياً

ج لان الجو لا يخلو من الريح اي من حركة في الهواء ولو طفيفة فتندفع نقط المطر وهي نازلة حسبما تدفعها الريح الهابّة حينئذٍ

(١٢) الفتن في المدارس

ومنهُ. قال جول سيمون اذا امتلأت المدارس فرغت السجون فلماذا نرى الفتن في مدارس روسيا

ج للفتن في مدارس روسيا اسباب خصوصية في نظام الحكومة الروسية ونظام مدارسها وطبيعة سكان البلدان الشمالية. ولا غبار على القول المنسوب الى جول سيمون لان الاحكام التي من قبيله لا يشترط ان تصدق على كل الناس وكل البلدان وكل الازمنة بل هو حكم اغلبي مثل كل الاحكام الاجتماعية التي لا تخلو من الشواذ

---

(١٣) المشد وتصغير القدم

طنطا. ابرهيم افندي نقولا يارد ارجو ان تخبروني ايهما اضر وضع قدم الولد في قالب من الحديد كما يفعل الصينيون او لبس المشد كما يفعل نساء الافرنج ولماذا نحسب العادة الاولى من عوائد التوحش والثانية من عوائد التمدن

ج ان تصغير اقدام الصينيات منعهنَّ من العمل والفائدة واما تضييق خصور الاوربيات فلم يمنعهنَّ من ذلك. ولا شبهة في ان المشد ضارٌّ ولا فائدة منهُ ولكن بعض الكتّاب بالغوا في ضرره جدًّا وهو ليس كذلك وهواي المشد ليس من لوازم التمدن بل من شوائبهِ

---

(١٤) قِدَم الانسان

مدينة جاكسن باميركا. الخواجه رشيد ابو ريحان. يقول العلماء ان الانسان صار لهُ على وجه الارض مئات الالوف من السنين. ولكن يظهر من تاريخ الخليقة على ما هو وارد في التوراة ان ليس لهُ في الارض الاَّ نحو سبعة آلاف سنة فنرجو ان تفيدونا هل من دليل تاريخي على قدم الانسان بهذا المقدار او هل وجد في الارض اناس قبل آدم

ج ان الادلة التاريخية المعروفة الآن تمتدُّ الى نحو عشرة آلاف سنة وكان الانسان حينئذٍ قادرًا على تمصير المدن وبناء المباني الفخيمة وتنظيم الجيوش واثارة الحروب فلا بدَّ من انهُ وجد على وجه البسيطة قبل ذلك بالوف من السنين. اما تاريخ آدم على ما هو مذكور في التوراة ووجود اناس قبلهُ فمن المسائل العويصة التي يختلف فيها الآن علماء التفسير ويتعذَّر علينا ذكر اقوالهم فيها هنا لضيق المقام وربما عدنا اليها في فرصة اخرى وذكرناها بالتفصيل

(١٥) قدم بركان اتنا

ومنهُ . على ماذا تعتمدون في قولكم ان بركان اتنا في صقلية ما زال يثور من وقت الى آخر منذ ٣٠٠ الف سنة على الاقل

ج معتمدنا في ذلك على علماء الجيولوجيا وهم يعتمدون على ما يرى من طبقات الارض تحت المواد المقذوفة منهُ والآثار الآلية الفارقة بينها فاذا وجد بين حممهِ آثار حيوان لا يعيش هناك الآن بل كان يعيش في العصر الجليدي او قبلهُ استنتجوا ان البركان كان ثائرًا في ذلك العصر وقبلهُ. وتاريخ العصر الجليدي يعرف بالتقريب بدلائل جيولوجية لا محل لبسطها هنا

وقد وجد ليل الجيولوجي الشهير ان اتنا كان ثائرًا قبل ان انقضى العصر الجليدي من اواسط اوربا وان اساسهُ كان في عصر البليوسين من العصور الجيولوجيَّة . ويعرف العصر من هذه العصور بما يوجد في الارض من المتحجرات ويستدلُّ على تاريخها من مقدار ما تجرفهُ الامطار الآن من صخور الارض واتربتها

(١٦) السفر نحو القطب الشمالي

ومنهُ . قرأت مرارًا ان اناسًا يجتهدون حتى يصلوا الى آخر البحر المتجمد الشمالي فما هو قصدهم من ذلك هل هو مجرَّد الشهرة او لهم غرض آخر وهل يجدون هناك ارضًا يابسة واناسًا ساكنين فيها

ج الغرض الاول تجاري فان البعض يظنون وجود بحر خالٍ من الجليد حول قطب الارض فاذا صحَّ ظنهم سهل السفر من اوربا الى اطراف اسيا في هذا البحر ويضاف الى ذلك ان الذين يرحلون الى تلك الاصقاع يصفون ما يشاهدونهُ في رسائل وكتب تباع فتغني مؤلفيها . والغرض الثاني علمي وهو البحث عن الظواهر الجوية وبعض الامور الطبيعية كمغنطيسية الارض والآثار الجيولوجية . وهناك جزائر صخرية ولكن لا سكان فيها

(١٧) سبب ملوحة البحر

ومنهُ . لماذا جُعلت مياه البحر مالحة

ج ان الملح موجود في طبقات الارض وهو يذوب في الماء فكلما وقع مطر على سطح الارض اذاب بعض الملح الذي فيها وجرى بهِ الى البحر ثم ان الماء يتبخر من البحر ولا يصعد الملح معهُ حينما يصير بخارًا فيزيد مقدار الملح في ماء البحر على توالي الازمان . وهو في البحار الكثيرة التبخر كما في البلدان الحارَّة اكثر منهُ في البحار القليلة التبخر كما في البلدان الباردة فالبحر الاسود مثلاً اقل ملوحةً من البحر الاحمر

---

(١٨) تولد الحيوانات

بغداد . الخواجه اسكندر مسيح . عند ما تكلمتم عن تولد الحيوانات العليا في الجزء السابع من المقتطف قلتم قد ثبت بالامتحان

امكان التولُّد في بعض الاحوال من غير تلقيح اي ان كلاًّ من جرثومتي الذكر والانثى قد تنمو وحدها من دون ان تمتزج بالاخرى ونرجو ان تشرحوا لنا اساليب الامتحان وثبوت هذا الامر وهل يمكن ان نستنتج ان فرساً تحمل وتلد من غير تلقيح

ج ان الذي ثبت بالامتحان حتى الآن هو ان بيوض بعض الحيوانات البحرية الدنيئة تفرخ من غير مباشرة اللقاح لها بل بمجرد وضعها في سائل يظن انهُ يفعل بها فعلاً كهربائياً وقد شرحنا ذلك في الصفحة ٧١٥ من الجزء السابع

اما ثبوت هذا الامر في بعض الحيوانات الدنيا فلا يدعو الى اطلاقهِ على الحيوانات العليا لان هذه قد افترقت ذكورها عن اناثها منذ زمن بعيد جدًّا وكثرت اعضاؤُها حتى يتعذر ان توجد كل الاعضاء المقومة للنوع في بيضة الانثى او في جرثومة الذكر اما الحيوانات الدنيا فلا يزال بعضها يتولَّد بالانقسام كالنبات مثال ذلك الاسفنج فانهُ حيوان وتقطع قطعة منهُ وتزرع فتنمو وتصير حيواناً كاملاً لان اعضاءهُ قليلة بسيطة توجد في كل جزء واما الحيوانات الكبرى فاعضاؤُها كثيرة ولكل عضوٍ منها عمل خاص بهِ فلا يقوم مقام بقية الاعضاء

---

(١٩) الشهوات والسكر

القاهرة م . ك . يرى بعض العمرانيين ان استفحال داء الشهوات بين الامم من اكبر العوائق التي تصدهم عن التقدم الحقيقي ويرى آخرون ان الشهوات على نوعيها عادية وغير عادية هي الباعث الوحيد لذلك الارتقاء ويستشهدون على ذلك بما عليهِ اوربا اليوم من اباحة ما كان محذورًا عند غيرهم من الامم الاخرى حتى كان ذلك من اكبر العوامل لاندفاعهم وراء تحصيل المكاسب واستجلاب الفوائد

ج اذا كان مرادكم بالشهوات الموبقات كالفسق والسكر والخلاعة فهذه يستحيل ان تؤول الى الارتقاء الحقيقي لانها تسقم الجسم وتضعف العقل وتذهب المال واذا انتشرت في بلاد افسدت عمرانها وقوَّضت اركانها كما حدث في اواخر المملكة الرومانية

---

(٢٠) عمل الطحال

سنورس . حنا افندي ملطي . ما هو عمل الطحال

ج نقل الدكتور ورتبات في فسيولوجيتهِ "ان الطحال يصلح مواد الدم الالبومنية لاجل التكوين ويعيها الى زمن ثم يأخذها الدم منهُ شيئاً فشيئاً بحسب احتياج الطبيعة وانهُ عامل في تكوين جراثيم الكريات الدموية كالغدد اللمفاوية وربما شاركتهُ في ذلك بقية الغدد الوعائية . ومن وظائفهِ ايضاً على ما يظن انهُ تنحل فيهِ الكريات الحمراء الدموية بعد اتمام وظيفتها وحلول الدثار فيها . وقيل ايضاً ان

لهُ وظيفة في الدورة البابية التي بينهُ وبينها علاقة شديدة" وبين علماء الفسيولوجيا اختلاف كبير في وظيفة الطحال لاسيما وانهُ ينزع كلهُ من الجسم من غير ضرر وآخر ما اتصل بنا علمهُ من هذا القبيل ان الطحال يصلح الكريات المكسرة من كريات الدم او يكون الكريات الحمراء



جوائز البالونات

عيّن مديرو معرض سنت لويس باميركا مئتي الف ريال جوائز للبالونات من ذلك مئة الف ريال (اي عشرون الف جنيه) جائزة لاحسن بالون يعرض في ذلك المعرض . وخمسون الف ريال جوائز صغيرة للبالونات التي دونهُ . وخمسون الف ريال نفقات المتحكمين والمعدات اللازمة لهذه المباراة. والمباراة للجائزة الكبرى مباحة لكل مَن يثبت انهُ صنع بالوناً مثل البالون الذي يريد عرضهُ طار بهِ مسافة ميل على الاقل ثم عاد الى مكانهِ. والمظنون ان المسيو سنتوس ديمون يربح هذه الجائزة . وزمن المباراة بين اول يونيو سنة ١٩٠٤ و ١٢ سبتمبر وسبعين يوماً بالضبط بعدئذٍ

الطائر الطويل الذنب

الشائع ان الطاووس اطول الطيور ذنباً ولكن في بلاد يابان طائراً اصغر من الطاووس كثيراً فان طول بدنهِ ورأسهِ نحو قدم وطول ريش ذنبهِ اثنا عشر قدماً وهو يتدلى منهُ كالشرائط والخيوط الدقيقة . وقد تمكن اليابانيون من توليد هذا الطائر بطول الاعتناء وبلغ ريش ذنبهِ هذا الطول في سنتين من الزمان فانهُ يطول نصف قدم كل شهر وفي ذنب كل طائر ١٥ او ١٦ ريشة طويلة ويبلغ ثمن الطائر منهُ نحو عشرة جنيهات

التلسكوب العيني

رسم الاستاذ طُد الفلكي الاميركي رسم تلسكوب يشبه عين الانسان وهو كرة كبيرة مجوفة قطرها مئة قدم يمتد منها انبوب طولهُ مئتا قدم وقطر بلورتهِ خمس اقدام فتجتمع اشعة النور بها على نقطة في باطن الكرة المجوفة حيث تكون الشبكية في عين الانسان. والكرة منصوبة حيث تتحرَّك كما تتحرَّك العين في محجرها فكأن هذا التلسكوب عين طبيعية كُبّرت الوفاً من المرات لكي ترى الاجسام البعيدة بعدًا شاسعاً رؤية واضحة . ولا بدَّ للراصد من ان يدخل هذه الكرة ويجلس حيث يجتمع النور على مقعرها ويرى صور

المرئيات كما ترتسم هناك . وحسب ان نفقات عمل هذا التلسكوب تبلغ ٢٧٥ الف ريال

ذهب الترنسفال

بلغ الذهب الذي استخرج من الترنسفال سنة ١٨٨٧ نحو ٢٣ الف اوقية وبلغ المستخرج منها سنة ١٨٩٨ اكثر من اربعة ملايين و٢٩٥ الف اوقية قيمتها ١٥١٤١٣٧٦ جنيهاً ويقدر الذهب الذي في كل ميل مربع من الريف الى عمق الف قدم بعشرة ملايين من الجنيهات واذا بلغ العمق ٦٠٠٠ قدم بلغ الذهب المستخرج من الميل المربع ستين مليوناً من الجنيهات وليس بعيداً ان يستخرج الذهب كذلك مما مساحتهُ عشرة اميال مربعة فيبلغ المستخرج منها ستمئة مليون من الجنيهات

واقية القطرات

قالت جريدة السينتفك اميركان ان اشد الاصطدام فتكاً بالنفوس اصطدام قطار بآخر بحيث تدخل المركبات بعضها في بعض كانها انابيب التلسكوب . وهذا الاصطدام كثير الوقوع وقتلاه كثار جداً . وقد يلتقي قطار بآخر فتثب قاطرة القطار الواحد فوق مركبات القطار الآخر وتسحقها ومن فيها وهذا كثير الضرر ايضاً . اما خروج القطار عن الخط فقليل الضرر لان القاطرة والمركبات تسير مسافة قصيرة بعد خروجها عن الخط ثم تقف من نفسها او تنقلب . فاذا امكن ان تُستنبط واسطة تحوّل كل الاصطدام الى خروج عن الخط قلَّ ضرر الاصطدام كثيرًا . وقد استنبط المستر ولدن هيبرن الاميركي اسلوبين لتحويل الاصطدام الى خروج عن الخط وشرحت هذين الاسلوبين وصورتهما وخلاصة ذلك ان توصل مركبة مثلثة الشكل بالقاطرة من الامام وبالمركبة الاخيرة (السبنسه) من الوراء بحيث يكون رأس المثلث امام القطر او وراءهُ على منتصف المسافة بين الخطين فاذا التقى قطار بقطار او ادرك قطار قطارًا سائرًا امامهُ انحرف رأس المثلث الواحد عن رأس المثلث الآخر فخرج احد القطارين عن الخط او خرجا كلاهما معاً ولا ضرر من ذلك الاَّ اذا كان هذا الخروج في مكان ضيق مرتفع فيتدهور احد القطارين او كلاهما ولكن ذلك قليل واذا اصطدم القطاران من غير هذين المثلثين فلا يسلمان من الانكسار والتدهور . وبعض الشر اهون من بعض

بركان بيلي والسفرير

لا يزال هذان البركانان يثوران كانهما لم يُفرغا كل ما في جوفيهما من قذائف الهلاك والتدمير. وكأن الكرة الارضية كلها شاركت جزيرة مرتينيك في مصابها فاخذت براكينها تثور الواحد بعد الآخر ويعتريها الاهتزاز والرجفان فثار بركان في كلبريا بايطاليا في الثاني والعشرين من اغسطس وكثرت الزلازل

في ذلك اليوم والذي تلاهُ وشعرت بها مراصد اوربا وثار بركان في بلاد اسبانيا وبركان آخر في الازورس واستيقظت براكين اخرى كانت خامدة وثار بركان في جزيرة صغيرة اسمها توري سيما قرب بلاد يابان بين الثالث عشر والخامس عشر من اغسطس وكان فيها ١٥٠ نفساً فاماتهم كلهم وغطى الجزيرة بالقذائف. وعاد بركان بيلي فثار ثوراناً شديداً في آخر الشهر اهلك الف نفس . وجاءت البواخر القادمة من مرتينيك بخبر فحواهُ ان الماء والوحل الغالي انصبا على قرية مورن روج بغتة فلم يسلم احد من سكانها وان سيلاً من الوحل ووابلاً من الحجارة هطل على قرية اجوبا بوليون فدمرها وان قطعة من الارض تزيد عن ميل في شرق الجزيرة غاصت تحت البحر

وورد في تلغراف رسمي ان ٥ قرى دمرت في ٣٠ اغسطس ليلاً و٨٠٠ نفس قتلوا و٢٠٠ جرحوا وقد جيء بالفي نفس فروا من الجهات الشمالية الى فور دو فرانس

وسام الاستحقاق

انشأ ملك الانكليز وساماً جديداً سماهُ وسام الاستحقاق انعم بهِ على اثني عشر من العظماء فكان منهم اربعة من رجال العلم وهم لورد ربلي الطبيعي ولورد كلفن الرياضي ولورد لستر الجرَّاح والسر وليم هجنس الفلكي . وقد اعترض البعض لان هذا الوسام لم يعطَ لهربرت سبنسر شيخ فلاسفة هذا العصر وفاتهم انهُ لا يقبل وساماً من ملك وقد عرض عليهِ امبراطور المانيا وساماً مثل هذا فاعتذر عن قبولهِ

مقاومة البعوض في مصر

استدعت شركة ترعة السويس الماجور روس مكتشف فعل البعوض في نقل الحمَّى الملارية ليأتي الى الاسمعيلية في شهر سبتمبر ويشير بالوسائل اللازمة لاهلاك البعوض منها

مقاومة السرطان

قبل البرنس اوف ويلس ان يكون رئيساً للجنة التي أُلِفت للبحث عن سبب السرطان وعلاجهِ وقد صار المال المجموع لهذا الغرض ٣٢٣٩١ جنيهاً والمال الموعود ٤١٠٠ جنيه

الخفاش والطاعون

ثبت الآن ان الخفاش ينقل جراثيم الطاعون كما ينقلها الجرذ . والظاهر ان البراغيث تمتص دم المطعونين وتعلق بالخفافيش كما تعلق بالجراذين فتصاب بالطاعون ثم تعدي منها براغيث اخرى وتنقل العدوى الى الذين تلسعهم

تتويج ملك الانكليز

تُوّج ملك الانكليز وزوجتهُ في كنيسة وستمنستر في التاسع من اغسطس وكان للعلم

اليد الطولى في اتمام هذا التتويج واظهار بهجتهِ فعلم الجراحة نجّى الملك من آفة قتّالة وردّهُ الى الصحة والعافية سريعاً وعلم الكهربائية زيَّن الكنيسة والمدينة كلها زينة باهرة واذاع اخبار الاحتفال في كل المسكونة بسرعة البرق فعسى ان يمتاز حكمهُ بتوسيع نطاق العلوم والمعارف

مجمع ترقية العلوم الفرنسوي

التأم مجمع ترقية العلوم الفرنسوي في اوائل اغسطس في مدينة منتوبان في جنوبي فرنسا وخطب رئيسهُ المسيو كرنتيه خطبة الرئاسة وموضوعها التلغراف الذي لا سلك لهُ . وقد وُهب هذا المجمع ٣٢ الف فرنك في غضون السنة الماضية

تمثال باستور

نُصب تمثال للشهير باستور في دول مسقط رأسهِ في الخامس من اغسطس وحضر وزير التجارة الاحتفال برفع الستار عن التمثال وخطب خطبة حسناء ذكر فيها ترجمة باستور بالاختصار وفوائد مكتشفاتهِ العلمية

الصابون الطبيعي

وجد في كولمبيا البريطانية صابون طبيعي طبخته الطبيعة واضافت اليهِ قليلاً من البورق وقد تألفت شركة لاستخراجهِ فاستخرجت منهُ ٢٧٥ طناً ويقدَّر ما يمكن استخراجهُ منهُ بعشرين الف طن

نيزك كبير

اكتشف الاستاذ هنري ورد الاميركي حجراً نيزكيًّا كبيراً في غربي بلاد المكسيك ثقلهُ خمسون طنًّا وطولهُ ١٣ قدماً وقد غار في الارض حين سقوطهِ عشرين قدماً

الدكتور شنك

توفي الدكتور شنك النمسوي الذي ادَّعى انهُ يمكن تعيين جنس الجنين بالطعام الذي تطعمهُ الحامل كما ابنّا ذلك في حينهِ

الذباب والامراض المعدية

خطب الاستاذ جمس برون رئيس المجمع الصحي عن الذباب وما يفعلهُ في نقل الامراض وقال ان للذبابة اليد الطولى في نقل الامراض الميكروبية وقد امتحنت مبرزاتها حديثاً بالاستنبات فوجد فيها كثير من ميكروبات الامراض وهي السبب الاكبر في نقل الحمى التيفويدية . واستئصال الذباب صعب جدًّا لانهُ قد يولد من الذبابة الواحدة خمسة وعشرون مليون ذبابة في فصل واحد

ميكروب السل في اللبن

وُجد بالامتحان انهُ اذا سخن اللبن الى الدرجة ٦٠ بميزان سنتغراد مات ميكروب السل منهُ ولو لم تطل مدة التسخين سوى عشر دقائق اذا كان الاناء مسدوداً و ٢٥ دقيقة اذا كان مفتوحاً

الاكادمية الانكليزية

رخّص جلالة ملك الانكليز لجماعة من العلماء بانشاء اكادمية للعلوم مثل الاكادمية الفرنسوية الغرض منها تعزيز درس العلوم الادبية والسياسية اي التاريخ والفلسفة والشريعة والسياسة والاقتصاد السياسي واثار الانسان وعلم اللغات وعدد اعضائها ٤٩

سر النجاح

ان ركفلر الغني الاميركي الشهير الذي تقدَّر ثروتهُ الآن باكثر من خمسين مليونًا من الجنيهات لم يكن يملك سنة ١٨٦٥ سوى الف جنيه وعندهُ الآن مئتا سفينة بخارية وسبعون الف مركبة من مركبات سكك الحديد وخمسة وعشرون الف عامل. في اوائل هذا العام اخبرهُ ناظر من نظار معامله ان العمال اخذوا يتذمرون ولا يبعد ان يعتصبوا ويضربوا عن العمل فلم يقل شيئًا بل لبس في الغد ثيابًا مثل ثيابهم وحمل مزودهُ بيدهِ مثلهم ودخل بينهم وجعل يشتغل معهم كانهُ واحد منهم وقضى يومهُ كذلك وعاد في المساء ولم يقل شيئًا ولكن لم تمضِ بضعة ايام حتى غيّر نظام ذلك المعمل فزالت شكوى العمال وجروا في اعمالهم بالهدو والسكينة

عدد المسيحيين

كتب اسقف ربون مقالة "الكنيسة المسيحية" في الجزء الثالث الذي صدر الآن من الانسكلوبيذيا البريطانية الجديدة وقال فيها ان عدد المسيحيين كان في غرة القرن السادس عشر مئة مليون نفس لا غير فصار عددهم الآن خمس مئة مليون نفس اي زادوا اربعة اضعاف في اربعة قرون. وكانت زيادتهم السنوية قبل الاصلاح الديني ٦٧ الف نفس فصارت بعدهُ مليون نفس. ومنذ ثلثمئة سنة كان المسيحيون يسودون على جزء من ثلاثة عشر جزءًا من المسكونة اما الآن فيسودون على اربعة اخماس المسكونة وتحت سيادتهم اربع مئة مليون من غير المسيحيين فعددهم وعدد الخاضعين لهم تسع مئة مليون نفس. وهم ثلاث طوائف كبيرة البروتستانت والكاثوليك والارثوذكس. وعدد البروتستانت والخاضعين لهم ٥٢٠ مليونًا وعدد الكاثوليك والخاضعين لهم ٢٤٠ مليونًا وعدد الارثوذكس والخاضعين لهم ١٣٠ مليونًا

ثروة الاوربيين

اكثر الاوربيين من اصول ثلاثة التوتون واللاتين والسلاف ومتوسط ثروة النفس من التوتون ٢٢٦ جنيهًا ومن اللاتين ١٤٠ جنيهًا ومن السلاف ٦ جنيهات

عقل المرأة

كتب المسترجمس سونبرن مقالة مسهبة في مجلة وستمنستر قابل فيها بين عقل الرجل وعقل المرأة. فقال ان عقل الرجل يعتمد على

الاستدلال والابتكار واما عقل المرأة فيعتمد على الذاكرة والتقليد . وعنده ان من الرجال مَن عقله مثل عقل المرأة ومن النساء مَن عقلها مثل عقل الرجل ولذلك وصف العقل الواحد بالعقل الرجلي والعقل الثاني بالعقل النسائي وقال ان العقل النسائي يمتاز باخذهِ بالمسلمات واحترامهِ لكل ما هو قديم وتصديقهِ للتعاليم والاحكام التي قال بها السلف ولو لم يقم دليل على صدقها . واستدلَّ على ذلك من ان المرأة تفلح في علوم الادب لان تحصيلها يتوقف على جودة الذاكرة وفي علم التاريخ لانهُ منقول لا معقول فتجاري الرجال فيهِ الا فروعهُ العليا حيث يستلزم قوة الاستدلال. وتحصّل العلوم الرياضية ولكنها لا تفلح في فروعها العليا لان ليس فيها قوة الاستنباط والابتكار . اما العلوم الطبيعية والطب في جملتها فتحصيل النساء منها قليل محدود وليس لهنَّ اكتشاف مهم فيها

والمظنون ان الموسيقى من الفنون التي يفلح فيها النساء ولكن الامر على ضد ذلك لانهُ لم يقم منهنَّ امرأة استنبطت الحاناً جديدة وغاية ما تفعلهُ المرأة البارعة في فن الموسيقى انها تماثل الآلة الموسيقية في إحكام حركاتها

اما الرجال الذين عقولهم نسائية فتراهم مقيدين بقيود التقليد خاضعين لاحكام المسلَّمات وتعاليم القدماء ومنهم اكثر خدمة الدين في رأي الكاتب واكثر اساتذة المدارس الذين يكتفون بالجري في الطرق المطروقة وعلى الاساليب المألوفة ويسلمون بكل ما قالهُ الاولون تسليماً اعمى بخلاف الرجال الذين عقولهم رجليَّة فانهم فكوا قيود التقليد وخرجوا عن احكام المسلمات واختطُّوا لانفسهم خططاً جديدة وهم الذين اوجدوا العمران الحديث وبثوا فيهِ قوة النمو. وعند الكاتب ان المدارس الحالية تجعل العقل نسائيًّا لانها تقيدهُ بقيود الكتب وتعاليمها وتضعف حريتهُ الطبيعيَّة .

تلغراف مركوني

من رأي السر وليم بريس الكهربائي الانكليزي الذي كان اول مَن بحث عن تلغراف لاسلك لهُ ان تلغراف مركوني لم يفِ بالغرض المقصود منهُ حتى الآن وان نجاحهُ في البحر لا يدلُّ على نجاحهِ في البر واذا سهل ارسال الاشارات بهِ في البحر لا يسهل ارسالها في البر وانهُ لم يفِ بالمراد لما جُرِّب في جنوبي افريقية . وتدل الدلائل على ان التلغراف الالماني اي تلغراف "سلابي ازكو" اصلح منهُ لارسال الاشارات الكهربائية . واكبر ما يُعترض بهِ الآن على تلغراف مركوني ان الآتهِ تتأثر بعضها من بعض عن غير قصد ولذلك لم يشع استعمالهُ ولا اثر اكتشافهُ في قيمة اسهم الشركات التي لها الخطوط التلغرافية تحت البحر فان بين اوربا واميركا ١٤ خطاً تلغرافيًّا في قاع البحر وهي تستعمل كلها دواماً

من غير ان يؤثر بعضها ببعض . وعنده ُ انهُ لا يمكن ان يرسل بتلغراف مركوني اكثر من عشر كلمات في الدقيقة . ولكن فائدتهُ كبيرة جدًّا في تمكين السفن من ان يخاطب بعضها بعضاً وهي في عرض البحر

اما مركوني فقال لاحد مذاكريهِ في هذا الموضوع انهُ سوف يربط الممالك الانكليزية بعضها ببعض بواسطة تلغرافهِ حتى يصير الانسان يقف في لندن ويكلم آخر في الهند او في زيلندا الجديدة وحتى تصير المراكب تتكلم بعضها مع بعض في البحار الشاسعة كما يتكلم اهالي المدينة الواحدة الآن بالتلفون

بطرية اديصن

قال المستر اديصن المخترع المشهور انهُ مضى عليهِ ثلاث سنوات وهو باذل جهده ُ في اتقان البطرية التي تخزن فيها الكهربائية فتمكن اخيراً من عمل بطرية ثقلها ٣٣٢ ليبرة وضعها في اوتوموبيل ثقلهُ نصف طن وجلس فيهِ رجلان فسار بها في طريق سهل مسافة ٨٥ ميلاً . وسار بها مرة اخرى ٦٢ ميلاً في طريق جبلي بعضهُ مائل اثنتي عشرة قدماً في كل مئة قدم. وثمن هذا الاوتوموبيل وبطريتهِ ١٤٠ جنيهاً ويمكن ان يسير ثمانين ميلاً بعشرة غروش لا غير فيغني صاحبهُ عن السائق والسائس والاسطبل وعن الاهتمام بالخيل والعلف

وبطريتهُ مؤلفة من صفائح من النكل والحديد توضع في سائل قلوي . وتخدم زماناً طويلاً جدًّا ولا تتلف فان عنده ُ بطرية ملأَها واستعملها اكثر من سبع مئة مرة ولم يظهر فيها شيء من التلف او التآكل

فاي الفلكي

نعت الجرائد العلمية في الشهر الماضي العالم فاي الفلكي الفرنسوي الشهير وهو في الثامنة والثمانين من عمرهِ . واول ما اشتهر بهِ اكتشافهُ المذنب المعروف باسمهِ منذ نحو ستين سنة وهو اول مذنَّب اهليلجي عُرِف مداره ُ بالحساب وحده ُ وبلا ارصاد سابقة وكان فاي اذ ذاك مساعداً في مرصد باريس

ولهُ آراء مشهورة في اصل العالمين وتركيب الشمس واسباب كلفها وكيميائها عموماً خدم امتهُ وبلاده ُ خدمة جليلة بعلمهِ وكتبهِ الكثيرة وكان عضواً في المجمع العلمي الفرنسوي وعينهُ المارشال مكماهون ناظرًا للمعارف في وزارتهِ . وقد زالت بموتهِ حلقة من الحلقات التي تربط العلم الحديث بالعلم القديم

اكبر القواطر

صنع معمل اميركي قاطرة لسكة الحديد في سنتافه ثقلها ٢٦٧٨ قنطاراً فهي اكبر القواطر واثقلها تسير على عشر عجلات قطر كل عجلة منها ٥٧ عقدة وقطر اظانها ست اقدام وست عقد

اكتشاف مهم

اكتشف عالم انكليزي اسمهُ الدكتور بركنس من منشستر اكتشافًا مهمًا في صناعة نسج القطن وهو وقاية المنسوجات القطنية ونحوها من الاحتراق. وقد توصل الى اكتشافهِ هذا بعد عمل الفي تجربة. والمنسوجات التي تعالج كذلك تبقى غير قابل للاحتراق على الدوام ولو غسلت من حين الى آخر حتى تبلى. ويمكن لبسها ملاصقة لسطح البدن لان المادة التي تعالج بها لا تضر بالصحة. ولم يزل هذا الاكتشاف سرًّا غامضًا

آثار تدمر

زار البرنس لازريف الروسي آثار تدمر وخرائبها منذ سنوات قليلة واكتشف حجرًا كبيرًا طولهُ ١٢ قدمًا وعرضهُ ٨ اقدام عليهِ كتابة واضحة باللغة اليونانية ولغة تدمر يظن انها نقشت عليهِ في القرن الثالث بعد المسيح وانها تتضمن تعريفة رسوم الجمارك والضرائب في تلك الايام. وفي السنة الماضية توجه الاستاذ اسبنسكي الاثري الروسي الشهير من قبل المتحف القيصري في بطرسبرج الى تدمر ومعهُ البعض من اُولي الخبرة ليكتب تقريرًا عن الكتابة المذكورة ويرى ما اذا كان يمكن قطعها من الحجر الكبير المنقوشة عليهِ فقرَّر ان قطعها سهل فاستأذنت الحكومة الروسية السلطان في ذلك فاذن لها. وارسلت الحكومة الروسية قنصلاً من قبلها بنفر من العمال فقطعوا الحجر الذي عليهِ الكتابة ثلاث قطع وارسلوها الى بطرسبرج

قواد البوير

اتى قواد البوير بعد التسليم الى بلاد الانكليز فلقوا منتهى الحفاوة والاكرام من الامة الانكليزية ومن ملكها ايضاً. وقد فسَّر الاكثرون ذلك بان رجال الحكومة الانكليزية يريدون اصطناع هؤلاء القوَّاد لكي يستعينوا بهم على ادارة بلادهم ونزع الضغائن من نفوس سكانها وان الشعب الذي اظهر هذا الاحتفاء بهم انما عبَّر عمَّا يشعر بهِ من الاعجاب بشجاعتهم واستبسالهم. لكن قام الآن رجل من كبار الكتَّاب عند الانكليز وهو المستر ادورد ديسي وكتب مقالة شديدة اللهجة في مجلة القرن التاسع عشر شدَّد فيها النكير على الذين احتفلوا بقواد البوير هذا الاحتفال وبيَّن ببلاغتهِ المشهورة ان البوير لجأوا في حربهم الى كثير من الحيل الدنيئة التي لا تعدُّ من البسالة في شيء وان هذه الحيل وان جازت للضعيف لكي يشدَّ بها ازرهُ لا تصير شريفة بوصف الملتجئ اليها بالبسالة فانهم كانوا يلبسون ثياب الجنود الانكليزية وينشرون الراية البيضاء راية التسليم والصليب الاحمر شعار المستشفيات لكي يخدعوا الانكليز وينجوا منهم. والانكليز ابوا ان يكيلوا

لهم بهذا الكيل او ان يستعينوا عليهم بالامم الافريقية المعتادة الكر والفر مثلهم وزادوا على ذلك ان اخذوا على انفسهم الاعتناء بنسائهم واطفالهم فبقي البوير يشنون الغارات عالمين ان عند نسائهم القوت والمأوى ولولا ذلك لاضطروا الى التسليم حالما فتحت مدنهم

قال ولا فضل لهؤلاء القواد يُشكَرون عليهِ بوجه من الوجوه لانهم ظلوا يحاربوننا حتى لم يبقَ لهم سبيل الى محاربتنا وكان يجب عليهم ان يسلموا حالما فُتحت بلفنتين وبريتوريا ويوهنسبرج لانهم علموا من ذلك الحين انهُ لا يمكن ان تقوم لهم قائمة بعد ذلك لكنهم بقوا سنة ونصفًا يشنون الغارات ويناصبون جنودنا العدوان وهم يقنعون رجالهم كذبًا ان عزائمنا ضعفت وقوانا خارت وانهُ لا بدَّ من ان تقوم الدول الاوربية علينا وتحف بيننا وبينهم او يقوى حزبهم في انكلترا نفسها ويغلُّ يد حكومتنا عن الحرب. وكان غرضهم الوحيد من اطالة الحرب الانتقام منا بما تصل اليهِ طاقتهم. ولو كانت امةٌ غيرنا في مكاننا لعاملتهم كما عامل الالمان الفرنسويين الذين لجأوا الى شن الغارات بعد الحرب الفرنسوية اما قواد البوير فكانوا يعتمدون على كرم اخلاقنا وانهُ في اليوم الذين يسلمون فيهِ نرحب بهم ونرد اليهم املاكهم ومقتنياتهم ولذلك لم يهتمُّوا ان يسلموا الاَّ حين لم يبقَ لهم سبيل الى الحرب المشاغبة ولم يبقَ في جعبتهم سهم يرشقوننا بهِ

ويقال ان قوَّاد البوير يستحقون شكرنا لانهم اعترفوا بانغلابهم علانيةً وبذلوا جهدهم في العمل بشروط التسليم وساعدوا قوادنا في ذلك وهذا لا ننكرهُ عليهم ونعترف لهم بهِ ولكنني اذا رأيت انهُ احتُفل بهم في بلادنا اكثر مما احتُفل بجنودنا الذين حاربوا حروبنا وسفكوا دماءهم عنَّا لا يسعني الاَّ ان اسأل قائلاً ماذا فعل ده وت وماذا فعل دلاري وماذا فعل بوتا حتى يستحقوا شكر انكلترا فانهم لو لم يساعدونا في اجراء شروط التسليم لاضروا بانفسهم وبقومهم. واقل ما ينتظر منهم في مثل هذه الحال اذا كانوا رجالاً ذوي حنكة ان يقنعونا بانهم تركوا كل عدوان وصاروا يرغبون في ان يكونوا على تمام الوفاق والوئام

وبمثل هذا الكلام لام قومهُ لاحتفالهم بقواد البوير وقال ان هذا الاحتفال ليس من الشهامة في شيء ولا هو من حسن السياسة في شيء لانهُ يحمل الناس في جنوبي افريقية على الظن اننا في حاجة الى هؤلاء القواد لكي يساعدونا على نشر راية الامن في البلاد ولولا ذلك ما احتفينا بهم هذا الاحتفاء

المناظرة الصناعية

اشد الدول مناظرة في هذه الايام انكلترا والمانيا والولايات المتحدة الاميركية والظاهر ان الفوز سيكون للولايات المتحدة ثم لالمانيا وتدور الدائرة على انكلترا اذا لم

تطرق سبيلاً آخر فقد كانت انكلترا تستخرج من الحديد نحو خمسة ملايين طن في السنة بين سنة ١٨٦٦ وسنة ١٨٧٠ فصارت تستخرج الآن ثمانية ملايين طن وكانت اميركا تستخرج اقل من مليون ونصف مليون طن فصارت تستخرج الآن نحو ١٦ مليون طن وكانت المانيا تستخرج نحو مليون وربع مليون طن فصارت تستخرج الآن نحو سبعة ملايين ونصف مليون طن

ميكروب الكوليرا

شاعت كلمة الميكروب حتى صار عامَّة الناس يحاولون تصوُّره. وفاتهم ان الميكروبات كميكروب الكوليرا وميكروب السل صغيرة جدًّا فلا ترى بالعين ولو كبرت عشرة اضعاف او عشرين ضعفًا او مئة ضعف وانها اذا كُبرت الف ضعف بانت كاصغر الاشياء فميكروب السل يرى حينئذٍ كالخطوط الدقيقة القصيرة وميكروب الكوليرا يرى كالاهلة الصغيرة ولذلك فلا امل ان يراهُ احد بعينهِ ولا يرى الأَ بالميكرسكوب الذي يكبّر الاجسام الصغيرة اضعافًا كثيرة ولا غرابة اذا بان الماء نقيًّا صافيًا وهو مشحون بالميكروبات . وكما يختفي الميكروب في الماء يختفي في اللبن وفي كل السوائل التي تمزج بالماء فاذا انتشرت الكوليرا في مكان وخيف من اتصال ميكروباتها بالماء خيف ايضاً من اتصال ميكروباتها بكل ما يمزج بالماء وبكل ما يغسل بهِ وهي لا ترى بالعين حتى تحذر فلابد اذًا من واسطة تزيلها من الماء او تميتها منهُ ومن كل ما يمزج بهِ وهذه الواسطة هي الحرارة فانهُ اذا أُغلي الماء مات ما فيهِ من الميكروبات واذا طبخ الطعام او غسلت الفاكهة بماء مغلي مات ما يكون فيهِ وفيها من الميكروبات

ميكروبات الكوليرا مكبرة جدًّا

ثم ان ميكروبات الكوليرا تصل الى الماء من مبرزات المصابين بها فاذا مرض انسان بالكوليرا وتلطخت ثيابهُ بمبرزاتهِ وغسلت في ترعة فانها تنشر ميكروب الكوليرا في مائها

ويصل الميكروب الى الطعام بواسطة الذبان التي تحوم على مبرزات المصابين فتحمل الميكروبات بارجلها وتمتصها بخراطيمها وتنقلها الى ما تحوم عليهِ من الطعام

ولو كان كل من يدخل جوفهُ ميكروب الكوليرا يصاب بها لمات اكثر الناس ولكن المعدة تميت ميكروب الكوليرا غالبًا فلا يصاب بها الأَ من كانت معدتهُ ضعيفة او عاجزة عن اماتتهِ او كانت الميكروبات التي دخلتها كثيرة جدًّا فعجزت عن اماتتها كلها . ومن ادرك ذلك لم تخفَ عليهِ طرق الوقاية

فهرس الجزء التاسع من المجلد السابع والعشرين